صالح جودت شاعر النيل والنخيل

بقلم شكر الله الجر

* * *

في ايام مشرقة من الدهر وليال هاربة من العمر، كان بيني وبين ادباء الشباب في مصر مناجاة ادبية حلوة ، ورسائل ودية متبادلة ، وذلك بين عام ١٩٣٣ و ١٩٣٥ يوم كنت في البرازيل مكبا على مجلتي «الاندلس الجديدة» لاقيم على صفحاتها لشعر المجددين قبابا، واركز لهم اطنابا في بلاد غريبة التقاليد واللغة. وكان طبيعيا ان اتلفت يومذاك الى مصر المطلة على دنيا العرب بنهضة ادبية شاملة يتجلى معظمها في مجلة « ابولو » وصفوة شعرائها وادبائها من الشباب المتيقظ المتحمس وفي طليعتهم ابو شادي ، وصالح جودت ، وحسن كامل الصيرفي ، وحسن محمد حبشي ، وسواهم من ذوي القرائح النيرة المنتجة . ولا عجب فطالما كانت مصر واحة الادب الكبرى مسرحا لسائر الفنون الجميلة تجتذب اليها القلوب والابصار وتستدرج الى مغانيها المزدهرة وسمائها النقية اسراب البلابل من الاقطار العربية لتغرد تغاريدها الحرة بين النيل والنخيل . ولا ننسى من دلف اليها من قراني هذا الجبل الاخضر لبنان، من اقلام مخصبة تألقت في مواكب النور على ارضها فكانت المقطم والاهرام والمقتطف والهلال والشرق ومجلة سركيس وسواها من الصحف اللبنانية التي تناوب على تحريرها نخبة المفكرين الاحرار .

من كل ذي مقول دان البيان له ... حتى لتحسبه في الجمع سحبانا
او كل ذي فكرة كالشمس نيرة ... تعطيك من عالم الابداع الوانا
او رب قافية ضج الخلود لها ... تريك من زهوها شوقي ومطرانا
ايام مصر وللعباس رايته ... في نهضة وطدت للشعر اركانا
كم لاذ حر بها من وجه مضطهد ... فحل من اهلها اهلا واخوانا

تلك كانت حقبة طيبة للادب تزخر بالنهاوة والشعر وخصوبة الفكر ، تراءت لنا من خلالها مصر عروسة المدائن العربية وهي تختال من محاسنها السنية ببردتين من نقف على الرباب وكحلة في الاهداب .

وعندما نزحزح ستارة الزمن عن جبين التاريخ لنطل من نوافذه على الماضي ، نرى من روابط الاخوة بين الارز والنيل ما لم تتمكن الايام من فصم عراه ، بل ما كانت الا لتزيده متانة ورسوخا . ومن اصغى في الامس القريب الى ذلك الاسمر الظريف صالح جودت يلقي من على منابرنا رائعته (١) الشعرية ادرك كيف تتناجى القلوب وتبث اشواقها النفوس الكبيرة ، وان هذا الحب ليس بحديث العهد بيننا بل هو حب قديم اصيل نمت احلامه وادهرت ايامه على ايد كريمة من ادباء الامتين ولا يزال يرف له جناحان على مشارف المقطم وصنين .. والى القاريء الكريم هذه الزهرات العطرية يقطفها الشاعر من حدائق وادي الملوك ليلقي بها اكليلا على جبين الارز ..

يا اخوة الارز الذي نبع الطلى ... من طيب جوهره وحسن طلائه
ما سر لبنان ؟ اشم جباله ... ما سر لبنان اطيب هوائه
لا والذي خلق النهى انا لا ارى ... لبنان الا في اجل رؤائه

واذا كان قد اعتاد الملهمون من الشعراء ان يسمعوا اصواتا تهتف بهم وهم في نشوة من جمال الطبيعة وسحرها ، فهذا ما وقع للشاعر :

وسمعت في وادي العرائش هاتفا ... منذا يرد القلب عن اغرائه
قال امتثل امر الجمال ولبه
.
اهبط فرو الروح من فردوسه ... وتقبل التفاح من حوائه
واغنم هوى الدنيا فانك شاعر ... يتسامح الرحمن في اخطائه

وهذا صحيح فاذا كان السماح معقودا بحسن النوايا فمن احق من الشعراء بنعمة الغفران ؟!

ولنعد الآن سنوات الى الوراء . لنسمع الشاعر نفسه يغني للجمال المغناج على ضفاف بردى بعدما انقشعت تلك الغمامة السوداء عن سماء الشقيقتين سوريا ومصر ..

فيحاء قربني اليك هوى ... القصيد وما اجله
فيحاء عاد النور يقترع ... الدجى ويفض كحله
قد جئت بالشوق الكبير ... أزفه فلقيت مثله
لي فيك حب لا تطيق ... ستائر الايام سدله
واواصر في سطح (دمر) ... شرفة الله المطله
لازلت لي ـ ليلى (أمية) ... يا مني قلبي وشغله
ليلاي في الشطر الحبيب ... على جبينك الق قبله

والحق يقال ان قصيدة الشاعر في دمشق هي من الخرائد القلائل في الشعر العربي وكأني بهذا الضاحك الممراح موكل بالجمال يهز له طفلا ويغنيه يافعا ويصفق له راقصا على مباسط دنيا الضاد وما أوسعها .. واليك به جاثما على ضفاف دجلة شاخصا بطرفه الى مسارح الغيب يرى بعين الفكر مواكب الشعراء على ابواب الرشيد فيهتف من قلبه :

وحق الذي عقد الآصرة ... ووحد بغداد والقاهره
ويا طالما كان حلمي العراق ... وأمنيتي الحلوة الكابره
اسائل اين ليالي الرشيد ... واين ملاعبه الزاهره
واين (زبيدة) فوق البساط ... تجرر اذيالها الفاخره
واين الجواري يلدن الفنون ... ويرقصنها كالها النافره
وهن المدافيء في الزمهرير ... وهن المراوح في الهاجره

وما انعم هذه المدافيء ، واروح هذه المراوح في البيت الاخير ، وهل سوى المرأة الحنون مدفئة في الزمهرير ومروحة في الهجير ..

اجل لقد غنى شاعر النيل لبنان في الامس القريب كما غنى من قبله مصر ، والشام ، والعراق ، وفلسطين،

١ ـ كان ذلك في العام الماضي لمناسبة ازاحة الستار عن اثر خالد الذكر عيسى اسكندر المعلوف .

وكاني به وحده موكل بالشعوب العربية يغنيها النخوة والمجد حاملا قيثاره الى كل عاصمة من عواصمها حتى لكأنه (هوميرها) يكاد لا يتوقف له نغم هنا ، حتى نسمع له انغام هناك وهناك . فمن شاطىء النيل ، الى ضفاف دجلة ، الى خمائل بردى ، الى وادي العرائش ، الى نهر الاردن ، ثم لا نلبث ان نراه على ابواب (اورشليم) واقفا وقفة (أرميا) النبي على اطلالها هاتفا بالامم المسيحية كيف لا تهزها الحمية لانقاذ الاماكن المقدسة من مخالب الصهيونية !

ايا امم الغرب ناشدتكم ... بحق المسيح ومن اكرمه
الا تؤمنون بعهد يسوع ... وتتلون اياته المنعمه
فمن انكر العهد غير اليهود ... ومن صد عنه ومن جرمه
وكيف جعلتم مهاد النبوة ... وقفا على الفئة المجرمه

الى ان يقول لاسرائيل :

الا انذروها بان الضرام ... سيحرق اطماع من اضرمه
وانا عرفنا طريق الوصول ... الى النصر والضربة المبرمه

واذا كان الشيء بالشيء يذكر فهذا شاعر من لبنان يقول :

ارض المسيح طعينة بحراب من ... طعنوا المسيح ولم تجد من يدفع
عاث الطغاة بها فسادا عندما ... عرفوا بان هناك لا من يردع
عار على الدول القوية ان ترى ... مهد النبوة يستباح ويصرع
وتظل جاحظة العيون كأن لا ... شيئا هنالك يستفز فتهرع

لصالح جودت دواوين شعرية متعددة المواضيع والالوان ، ومن وقف عليها وقف على قمم عالية للجمال تكر معانيه في جنباتها كرور الجداول في الروضة الغناء . ناهيك بسيادة مطلقة على القافية الشعرية فتنقاد له طيعة مشرقة ، ولا غرو بذلك فالقافية والمرأة صنوان في صيغة التأنيث ، كلتاهما عنيدة جرون . ومن القوافي من اذا لمست في الشاعر ضعفا شمصت وتمردت ، اما اذا وقعت منه على فحولة اصيلة في الفن انصاعت ورضخت ومشت متهللة بين يديه لتستوي على عرشها في آخر البيت .. والذي يتصباك ويضحكك من بعض الشعراء تلك العداوة القائمة بينهم وبين (قافية الضاد) فلكم تنكروا لها وتنكرت لهم واجفلت منهم بينما نزاها على يراعة شاعر النيل لينة مطواع ، واليك بها في قصيدة غزلية نأخذ منها :

ما للمدلل اغضى ... فقلبه ليس يرضى
منحته الدل صرفا ... فسامني الذل محضا
كأنه وهو مني ... بعضي يعذب بعضا

واتفق للشاعر وهو في فرنسا ان تعرف بحسناء من بنات (الرين) اسمها هيلدا طاب لكليهما الحب والغزل برهة من الزمن ولما دنت ساعة الوداع بكت وقالت :

اتحبني حقا فقلت لها ... واراك انس الروح والعين
قالت لانك ها هنا وغدا ... يقصيك عني طائر البين
واظل وحدي بين نارين ... اسقي بدمعي شاطىء الرين
مسكينة هيلدا اما علمت ... انني الف مدائن الكون
ويقودني عيشي ويفصلني ... عن كل ارض شاسع البون

والذي اخاله ان الثروة الشعرية التي اجتمعت لصالح جودت لم تجتمع لشوقي في ايامه ولا لحافظ ابراهيم ناهيك بتعدد الوان الحياة في شعره ، الى احداث عالمية وعربية في عهده لم يتوفر مثلها في عهد شوقي وحافظ ليكون لهما ما كان لشاعرنا جودت من اشواط بعيدة على تشعب في المواضيع وغزارة في الانتاج ..

ومن لطائف ما يروى عن الشاعر انه ما برح ندي العاطفة رقيق الحاشية يتصباه الجمال كما لو انه في اوائل شبابه فانظر اليه وهو يقطف الزهرة الخمسين من عمره كيف يطارد غزالة في حومة العشرين من ربيعها فيقول لها مستعطفا :

يا حلوة العشرين لا تفزعي ... من همسة الخمسين في مسمعي
انا شباب سرمدي المدى ... انا ربيع دائم المطلع
لا يكبر الشاعر يا طفلتي ... فعمره في حسه الطيع
لا زلت بالروح قوي السرى ... كدفقة النهر من المنبع
قلبي على العشرين قيدته ... فعمر قلبي ليس يجري معي

والذي يسرنا ان تبقى لشاعر العرب الكبير فتوته الروحية ويبقى له ربيعها الدائم الاخضرار وهو صديق قديم طالما نشرت له مجلتي « الاندلس الجديدة » عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ مقاطع من شعره في عهد الصبا لم تختلف بالوانها عن شعره اليوم وهو في ذروة الكهولة وفي ذلك دليل على دوام فتوته وحسن قابليته ..

قال منذ ٣٥ سنة :

ايها الشارد عن وكر الهوى ... قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لي يا تاركي في لوعتي ... انت والالحان والكاس طلاب
كنت لا اسمع الا بلبلا ... فاذا الشادي على الايك غراب
ليت شعري ما الذي أودى بنا ... اعذاب الحب ام حب العذاب

وعندي ان دراسة شاعر بعيد الآفاق كصالح جودت تتطلب كتابا مستقلا يحمل الى الادب الصحيح الفصيح مراوح في هجير الفوضى الشعرية الخانقة ؟!

جبيل ـ لبنان

شكرالله الجر

عودة المغترب

بغداد عدت اليك يا بغداد ... وكأنما انا لوعة وفؤاد
رؤياك بعد الاغتراب وهمه ... حلم لسغبة العواطف زاد
الليل ويح الليل بعدك قعدد ... قد مل منه تثاؤب ورقاد
متثاقل الخطوات كل دقيقة ... دهر بها تتسمر الاعداد
تترقب العشرات بطء مسيره ... عبثا فتشكو سهدها الآحاد

جامعة بغداد ... باقر سماكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليـلة الميـلاد

تضاء الشموع
هنـا وهنالك
عبـر البحـار
لماذا تضاء الشموع
ومهـدك مظلـم
تبل ثراه الدموع ..؟

تضاء الشموع
تـرن القبل
وتختال تلـك الشجيره
محملة بالهدايـا
ويعلـو النشيد
سلام .. مسره
وايـن السلام ..
وايـن المسره
ومهـدك
في الامسيات الحزينه
تبل ثراه الدموع ..؟

تغني النواقيس عبر البحار
وتنشج في القدس
في بيت لحـم
فيـا مهزلـه
اما آن ان تفتح الاعين
هنالك .. عبر البحار
أما آن ان تنتهي
المهزلـه ..؟

تضاء الشموع
بتلك القصور
وترقد في الدفء
حتى الكـلاب
تقبل .. تدلل ..
وتاكل كعكا
وناكل كسره

ونرقد نحن واطفالنا
تحت السماء
بغـير غطـاء
تبللنا بالدموع السماء

وتزأر من حولنا العاصفه
تنـادي ..
ألا يـا سماء
اطلـي ..
وهزي القصور
اطلـي ..
استبد الفجور

ويقتل منـا الالوف
ونحـرق
ونطرد من ارضنا
ومن موطن ظل عبر القرون
لنـا
وتوهب اقداسنا للدخيل
وآل الدخيل
ومع كـل هذا
تضاء الشموع ..؟

فيا مهد عيسى
ومسرى النبي
ويا امة الحق في ارضنا
وفي كـل ارض
متـى الحق يعلو ؟
متـى ؟
تنار المآذن في ارضنا
تغني نواقيسنا
ويعلـو النشيد
سلام .. سلام .. مسره

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رفائيل بطي

رفائيل بطي من خلال آثاره

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

رفائيل بطي نمط متميز في الادب والصحافة والسياسة ...

انه بما جبل عليه من قابلية متطورة.. متفتحة على النوافذ استطاع ان يجمع بين هذه الاسباب المهمة .. المؤثرة في مجاري الحياة ومسالك الثقافة وطبائع الاشياء جمعا يكاد يكون فذا بلور شخصيته وحدد ابعادها لارتباط كل سبب بغيره ارتباطا طبيعيا من حيث التكوين العضوي .

منذ العشرينات اسهم رفائيل بطي في انعاش الحركة الادبية الفكرية بالعراق الى جانب رهط من معاصريه من امثال ابراهيم صالح شكر ومحمود السيد ومصطفى علي وجعفر الخليلي ومن اليهم .. هؤلاء الرواد الذين شرعوا يتغنون بترانيم الحضارة ويتلهفون الى مستقبل اكرم وافق ارحب ، اثباتا لوجودهم واعرابا عن اخلاصهم القومي والوطني ..

فقد كانت محاولاته جادة في النهوض بالادب العراقي .. هذا الذي انتقل الينا من القرن التاسع عشر مثقلا بتركة كبيرة من سلبية وسطحية .. جمود وتخلف . وهل من دلالة على ذلك كله غير اثاره ..؟!

من هنا كان رفائيل بطي اديبا مجددا وان شئت فقل داعية تجديد بتطلعاته واهتماماته غير المألوفة لدى الكثيرين . انما كان ذلك من معطيات الدراسة الذاتية والتأمل في الوضع الادبي الراكد المفتقر الى اخف نسمة .

كذلك كان موسوعيا في ثقافته الادبية ضمن اطارها العام .. يتقصى انباء الادباء والشعراء معززا الصلات بهم متدارسا انتاجاتهم ومواهبهم ثم يتتبع التيارات والاتجاهات الفكرية ملتقطا اصداءها وردود افعالها هنا وهناك حتى اطلق عليه امين الريحاني « ابن خلكان العراق » . قال عنه الدكتور صفاء خلوصي « ليس اسم رفائيل معروفا في الشرق العربي فحسب بل في الغرب ايضا ولا سيما المستشرقين . فرفائيل مصدر من مصادر بحوثهم اعتمد عليه شيخ المستشرقين الالمان بروكلمان في كتابه الضخم (تاريخ الادب العربي) واعتمد عليه سانتيلانا في بعض ما كتب » ..

وبالرغم من الدور المتاح الذي تولاه رفائيل في تطوير الادب العراقي وتجديده على تقادم السنين وتقوية اواصر الاخاء والمعرفة بين الاعلام والمفكرين في اقطار العرب ودوائر الاستشراق عملا بقول الشاعر :

ان نختلف نسبا يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

حتى روى خيري العمري ان الدكتور احمد امين قال له في شتاء ١٩٥٢ بعد التقائه به بالقاهرة : « نحن المصريون مدينون لرفائيل بطي في التعرف الى ادباء العراق » ..

وبالرغم من دعواته الدائمة الى الاخذ من الفكر الاوربي ضمانا لعملية تلقيح ادبنا وثقافتنا وتوليد الطاقة الجديدة على مجابهة متطلبات الواقع المادي القاسي، وتأصيل القيم الانسانية وتحرير العقول والنفوس من التبعية والضلال ، فان انغماره في السياسة جر عليه مهالك النفي والسجن والتشريد وجنى على مشروعاته وامنياته التي طالما خالجته .

كان ممكنا ان يتضاعف انتاج رفائيل بطي لو انه تفادى السياسة وويلاتها ولكنه اصر ـ على ما يبدو ـ على الخوض في معامعها مهما تكن الاسباب .. كل ذلك من اجل الشعب والوطن اذ يقول « السياسي وهو ذلك الانسان الذي يضع مصلحة المجموع والوطن فوق كل شيء والوطني من تصلب في عقيدته على ان تكون لصالح وطنه وهو من يتفهم وضع بلاده قديما وحديثا وغب الحوادث العالمية » .

هكذا آثر السياسة ومعها الصحافة التي خلق لها على غير ما هنالك ضاربا صفحا عن سواهما وان ظلت نزعة الادب هي الطاغية دواما على عقله وقلبه ومزاجه ...

* * *

كتب رفائيل بطي قسمان ...

قسم يغلب عليه طابع التأليف والتحليل .

ان كتاب « الادب المصري في العراق العربي » رائد في موضوعه ومنهجه وموسوعة ذات خصيصة عبر اجيال تاريخ الادب .. انه ما برح بعد مرور نصف قرن من الزمان يعد المصدر الوحيد ، يراجعه الباحثون والمؤرخون في مباحثهم الادبية ودراساتهم التحليلية عن عدد غير ضئيل من شعراء العراق كالرصافي والزهاوي والهاشمي والاذري والشبيبي والدجيلي والكاظمي والبصير ومن اليهم ...

معناه ان الكتاب ـ طبع في سنة ١٩٢٣ ـ يتفرد باهمية تاريخية في مضمار الادب العراقي خاصة الادب العربي عامة بالقياس الى الكتب الصادرة وقتذاك في نفس المنحى والمضمون .. ذلك حسبه .

ومن حيث الميزة العلمية فان الكتاب يمثل الطريقة الفنية التي كانت متبعة في تأليف امثال هذا الكتاب وتحليل انتاجات الشعراء والادباء وتوضيح ميولهم واهوائهم وما يتخلل حيواتهم من مفارقات ومؤثرات صهرت نفوسهم وفجرت قرائحهم .

على ان الكتاب تسمو به روح الحياد والنصفة وتدعمه حقائق عارية استقاها المؤلف ممن ترجم لهم وتحدث عنهم ذلك الحديث الصريح البعيد عن الاغراق واضفاء الالقاب المنترية على كل من هب ودب ، هذا الذي صار سمة الجيل الحاضر كنتيجة للتمزق الوجداني والتفسخ الفكري والتناقض الحضاري .

هذا قسم المنظوم من الكتاب اما قسم المنثور فلم يظهر بالرغم من الهوة السحيقة الفاصلة بين تاريخ صدور الكتاب وبين وفاة مؤلفه في العاشر من نيسان في سنة ١٩٥٦ .. وقد يكون السبب انهماكه ـ كما نوهنا ـ في معترك السياسة وانشغاله بمشكلات الحياة المرهقة .. المعيقة لكل رغبة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع هذا ترامى الينا ان جليل العطية عثر مؤخرا على قسم المنثور من الكتاب . اننا وان سررنا به لانه يسفر عن الوجه الاخر للادب العراقي الحديث ، فانما نتمنى ان يرى النور في قريب عاجل .

متى ادركنا ان الاديب يعبر عن تجاربه ونظراته في كثير من الحالات بحكم طبيعته المتأثرة بظواهر الزمان والمكان ، كان من الاحجى ان نقول: ان كتاب « الربيعيات » ـ طبع في سنة ١٩٢٥ ـ هو الصورة الصادقة لما كان يعتمل في اعماق رفائيل بطي من نفثات فكرية وعاطفية على المستوى الانساني اكتوت بلهيب التناقضات والسلبيات وتأثرت بحوافز الانفتاح والانطلاق .

ويبدو لنا ان رفائيل بطي يحاول من خلال هاتيك الخواطر والمشاعر التلقائية ان يتوغل في قرارة الكون واسراره وان يستشف الطبيعة وبدائعها ، وان يفلسف الحقائق السائدة على طريقته الخاصة.

لعل في مقطوعة « اوراق الخريف » مصداقا لما نريد .. يتجلى فيها كاتبها كما لو كان فنانا يعاني شيئا داخليا ما .. يرمز الى الانسحاق الفكري والروحي :

« فما هي منحتك ..؟
ان عطيتك اثمن من عطايا غيرك من الفصول
انت تعلمنا سر الانحلال والاضمحلال وتمثل لنا خاتمة الحياة
انت نذير الموت . يقف عندك المفكر خاشعا لانه يقرأ على جبينك كلمات الزوال والفناء وعبارات الدثور والعفاء
اجل يا فصل العواطف والشعور
ان كان الربيع يلهينا ببهجته ولطافته
والصيف يخدعنا بلذائذه وطيباته
فانت تمثل لنا العبرة وتملي علينا دروس الحكمة البالغة
وانما هذه الاوراق الضئيلة التي تتلاعب بها الاهوية صحائف جليلة نطالع فيها حديث الوجود فنفهم معنى الحياة الحقيقية .
فالقلوب الواعية تحفظ لك اثرا طيبا » .

واضح ان رفائيل بطي متأثر في اسلوبه ومفهوماته بأقطاب الادب المهجري كجبران خليل جبران وامين الريحاني .

اما كتاب « فيصل الاول : في خطبه واقواله » فقد كلف رفائيل بطي بتاليفه من قبل مديرية الدعاية العامة التي تولت طبعه ونشره في سنة ١٩٤٥ ، وقدم له مديرها العام يومذاك احمد زكي الخياط .

اذا كان الشيء بالشيء يذكر فلا يغرب عن بالنا ما سبق ان افضى الينا الدكتور صفاء خلوصي : بان رفائيل بطي هو الذي دبج مذكرات عبد الاله ولي عهد العراق ، وقد قضت عليه ثورة الرابع عشر من تموز في سنة ١٩٥٨ ..

على ان رفائيل بطي لغرض في نفسه لم يضع اسمه الصريح على الكتاب ...

ومن منشورات معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية صدر لرفائيل بطي في سنة ١٩٥٥ كتاب « الصحافة في العراق » وهو محاضرات القيت على الطلبة ، تتناول الصحافة العراقية منذ دخول المطبعة الى البلاد حتى اندلاع الحرب الكونية الثانية .

لقد كان لنا قصب السبق في كتابة مقال نقدي عن هذه المحاضرات نشرته مجلة « قرندل » البغدادية وتضمنه ومقالات اخرى كتابنا « نظرات في الكتب » الصادر في سنة ١٩٧٠ ، ومن شاء فليراجعه ، لاننا امسكنا عن الكلام عليها في هذا المقام .

* * *

اما القسم الاخر من كتب رفائيل بطي فتستأثر بها ظاهرة الاقتباس والجمع والاعداد ...

قوام كتابه « سحر الشعر » ـ طبع في سنة ١٩٢٢ ـ ابحاث وقصائد لعدد من شعراء الشرق والغرب ، منهم عبد الرحمن شكري ، جبران خليل جبران ، جميل الزهاوي ، جون كيتس ، كارليل ، الفرد دموسيه واخرون .

حيث قدم رفائيل بطي لكل شاعر من هؤلاء بكلمة مكثفة .. جامعة غير مانعة وغير خالية من نقدات تدل على البراعة والرؤيا الصحيحة كقوله عن معروف الرصافي : « ان ما طبع او نشر من قصائده لا يدل على منزلته الفكرية وحرية ضميره » وكقوله عن عباس محمود العقاد « ولو خلا الكتاب ـ يريد كتاب الديوان ـ من بعض التحامل والتعرض بالشخصيات لكان اية النقد العصري وعد فتحا جديدا للادب العربي في هذا العصر الناهض » ،وكقوله عن ميخائيل نعيمة « ولو اوتي متانة وبلاغة عربيتين بقدر ما اوتي من هوية التفكير وشدة العارضة وطول الباع في الفنون الادبية لكان في طليعة ادباء العرب العصريين وحامل لواء كتابهم الناقدين » ..

عرف امين الريحاني برحلاته الى العراق والى باقي الاقطار العربية ، وكانت له صلات برجالاته السياسيين ومفكريه وادبائه ، كان من ثمراتها كتب منها « قلب العراق ـ ملوك العرب ـ المغرب الاقصى » ..

وفي رحلته الى العراق كانت الحفاوة به بالغة .. رائعة انعكست على الصحافة المحلية وعلى الحفلات التي اقامتها المنتديات الادبية تكريما لشخصيته ، واعتزازا بمواهبه .

من هنا جعل رفائيل بطي يجمع المقالات والقصائد التي نشرت هنا وهناك او القيت بين يديه وضمها بين دفتي كتاب اسماه « امين الريحاني في العراق » ـ طبع في سنة ١٩٢٣ ـ ، ووطأ له بمقدمة هي في الاصل خطبة القاها في احدى المناسبات عن الريحاني : حياته واثاره ..

يمكن ان يفصح الكتاب في حد ذاته عن واقع الفكر والادب يومذاك ونزعات اصحابهما : من تطرف او تجدد او اعتدال ، كذلك يمكن ان يعكس الكتاب التيار السياسي والاجتماعي الذي كان سائدا ..

ثمة كتاب اخر هو « تقويم العراق » وقد تولت صحيفة «العراق» البغدادية لرزوق غنام ـ وكان رفائيل بطي بها محررا ـ اصداره واهداءه الى القراء بمناسبة الذكرى السنوية للصحيفة في سنة ١٩٢٣ ..

والكتاب وان كان لا يعدو ان يغدو ترتيبا وتبويبا لمواد شتى ، فانه دائرة معارف من ابحاث قصار واحصائيات طريفة ودراسات مبسطة تناولت كل مرفق من مرافق العراق ، والقت الضوء على احواله الادارية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ..

ان الجهد المسخر في اعداد الكتاب بتفصيلاته وموضوعاته واضح لا يحتاج الى بيان مما جعله مرجعا حيا يرفد الابحاث المعاصرة ويعين الباحثين على مبتغاهم .

وليس على الكتاب اسم مؤلفه او جامعه ..؟!
قد تكون هناك علة .؟!

ولكن فائق بطي ـ نجل رفائيل ادرج اسم الكتاب ضمن مؤلفات ابيه في كتاب له اصدره بعنوان « ابي » في سنة ١٩٥٦ .. كما ان كوركيس عواد كتب بخط يده على غلاف النسخة التي يملكها من هذا الكتاب : « ان مؤلفه الحقيقي هو رفائيل بطي وقد اخبرني بذلك هو نفسه .. » .

نذكر للتاريخ ان لرفائيل بطي اثارا مخطوطة ما انفكت تنتظر من ينتشلها من ظلام النسيان والاهمال منها كتابه « الزهاوي » ، وقد كان متوقعا ان تضطلع دار المعارف بمصر بطبعه ونشره الا ان الموت المفاجيء قضى على تنفيذ المشروع .

ومنها موسوعته الضخمة عن « الشخصيات العراقية » تلك التي لعبت ادوارا في مجال القيادة والسياسة والعلم والادب والفن والتاريخ، اذ استمد مطاويها من مظانها الاولى فجاءت وافية مستوفية ، وانما تهيا لرفائيل بطي ان ينشر بعض الفصول من هذه الموسوعة في صحيفته « البلاد » على توالي الايام مثل ياسين الهاشمي . ابراهيم صالح شكر . عبد المحسن السعدون . معروف الرصافي . عجيل الياور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث الحب

الى التي احسنت الظن بي .. وآمنت بسمو شاعرها ..

منى النفس ان اهواك يـا نفحة الطهر ... فما غير دنيا الحب يزهو بـــه عمرى
تمنيت ان اهفـــو اشتياقا لطلعـــة ... تذيب شغاف القلب مـن بسمة الثغـر
تمنيت ان اروى مـــن الحب والهوى ... بدنياي .. بل أروى من الحب في قبري
فما رمت في دنيـاي .. غير مشاعـر ... تضيء لعيني الكون في ساعـة العسـر

تقولين : كـم تهـوى الحيـاة مفـردا ... كطير شجي اللحن .. لكن لدى قفـر
فيا عذبة الاشواق .. أين هـو الهوى ... فافديه باللذات .. والبيض والسمـر
هو الحب ينبوعا من العطف زاخـرا ... الذ من النعمى .. واشهى مـن العطر
فقد ذقت طعم الحب يوما .. وانمـا ... هو الحظ كالعشواء في حكمه يجـرى
بقلبي حصاد الشوك مـن بيدر الهوى ... وبالنفس من فقد الغرام لظـى الجمر
سلي الحظ والاقدار عنـــي لاننـــي ... أنا الشوق للصدر الحنـــون وللطهـر
سلي الحظ .. كم اشقى فؤادي مـرة ... بفقد الهوى حينا .. وحينا من الغدر
جفوت ؟؟ وهل يجفـــو بدنياه شاعـر ... يضيء لدنيـــا الناس كالانجم الزهـر
فما كنت يومـــا ارتضي الكيد للهوى ... وان كان بين الناب قلبـــي او الظفـر
أسر لنفـــح الطيب مـن كـل راحـة ... واشقى بدمع العين ، او غربة الفكـــر
فقلبي يعيش الحب دوما .. وان جرت ... أمور تنادي غير قلبي الـــى الكفـــر
فيا من تناجي القلب .. وهـو معذب ... بدنيـــاه كالعصفور في قبضة الاسـر
أثيري شجون النفس.. يا نفحة الشذى ... ويا نجمة بثت عقودا علـــى نحـري
صفي لي جمال العيش مـن كف غادة ... هي القلب.. بل اغلى من القلب في صدري
لصوتك يهفـــو القلب شوقـــا ولهفة ... فان حديث الحب اقوى مـــن السحر
فمـــا الحب تسديه الـــي كريمـة ... من القلب في ســـر لديها وفي جهـــر
سوى الحلم الغالـي لقلبي .. وانمـا ... عذابي متى جف الغرام ولـــم يغـــر
فمن اين لي صبر الحليم .. فأرتجـي ... ومن أين لي طبع اللئيم الـــى الهجـر

انقرة ــ تركيا

مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نوري ثابت (حبزبوز) . جعفر ابو التمن . عبد المسيح وزير وكثير غيرهم .

ولعناية رفائيل بطي بدراسة الشخصيات العراقية طلب الي في منتصف الخمسينات ان اجمع لـــه معلومات كافية عـــن عزت باشا الكركلي الذي استوزر لاول مرة في ابان الحكم الوطني بالعراق ليكتب عنه ، فلبيت طلبه ..

ثم هناك مجموعة الرسائل الادبية التي كان يبعث بها الادبـــاء والصحفيون والشعراء اليه من مختلف انحاء العالم العربي . ان هاتـه الرسائل لو قيضت لها اسباب النشر لانكشفت عـــن كثير من الاراء والافكار المطوية وعرت خبايا الصدور والضمائر وفتحت امام المؤرخين والباحثين افاقا جديدة لا تخلو من الغرائب والطرائف ..

ومقدمات كتبها رفائيل بطي لعدد من المؤلفات الادبية .. الفكرية. وهي آية من آيات الشمول والنفاسة والخلق منهـــا مقدمته لكتاب « ايليا ابو ماضي » لنجدت فتحي صفوت ، واخرى لكتاب « مباحث عراقية » ليعقوب سركيس وثالثة لكتاب « رجال وظلال » لمير بصري .. لسنا نغلو اذا ما عد بعض هذه المقدمات خيرا من الكتاب نفسه ...

بغـداد

وحيد الدين بهاء الدين

الجـزار

سكينة الموت الـذي لا يرحـم ... ويمينه الغـدر الـذي يتحكـم
عصفت بوارق للاذى في شفـرة ... من دونها وقف الـردى يتبسم
وأضاء بـرق ذبابهـا ببوائـق ... سحب الرزايـا خلفهـا تتجهـم
شخصت لها عين الضحية رهبة ... ونزا الفؤاد وغص من شجن فم
في مدية الجزار مـا فتىء الأذى ... يقظـان لا يعيـا ولا يتبـرم
وبحدها صور تطـل حزينـة ... لدم هريق ولـم يزل يتظلـم
مـا زالت المأساة فيها حيـة ... وفصولها الآلام سطرها الـدم
وعظت ولـم تفغر فمـا لمسائل ... بلسان حال لـم يزل يتكلـم

أبصرته فـوق الضحية جاثمـا ... يفري بشفرته الاديـم ويفصـم
يهوي على الشلو النحيل بمديـة ... وكأنـه دون الضحية ضيغـم
ما انفك يكسر عظمهـا بضراوة ... ويمزق اللحم الغريض ويجـرم
يهتـز للشلو المدمى باسمـا ... وبنانه بـدم الضحية عنـدم
زنـاره وصـداره وقميصـه ... في حشوها بغي وليل مظلـم
صبغت بنغض دم هريق لشهـوة ... أطماعهـا لا تأتلـي تتضـرم
نفض الدم المسفوح أبلـغ شاهد ... عن ظلم ما تبدي النفوس وتكتم
وحقيقـة لروايـة أجزاؤهـا ... لا تنتهي يومـا وليست تختـم

قبحا لجزار رأى سبـل الغنـى ... تجنى بسفك دم الضعيف وتغنم
لا قلبـه يومـا يـرق شفافـه ... لضحيـة بدموعهـا تتظلـم
أو كـان ياسو جرحها وعذابهـا ... هيهات ياسو أو يـرق ويرحـم
قلب تبلـد حسـه وكأنـه ... كهف تغشاه السكـون المبهـم
عصفت به الاطماع فهو مشتت ... وتقاسمته فـراح وهـو مقسم
ويد لـه كالموت ليس لبغيهـا ... حـد وضربتها القضاء المبـرم
أنست بأوجاع الضحايا دهرهـا ... أنس النزيف لباغـم يترنـم
ولو انـه ذاق العذاب ومـره ... لحنا ولـم يطمعه يوما مغنـم

صوت الدم المسفوح جلجل صارخا ... يحكي بشاهد حالـه ويدمـدم
في مسمعي صدى يـرن كأنـه ... قصف الرعود بكل أفـق يلطم
عجبا أكان بسمعه عـن صوتها ... وقر ودون العين ستـر مظلـم
أو لـم يأن أن يستفيق مضلل ... ويتوب عن عسف ضمير مجـرم
تجد الوحوش تعف من شمم اذا ... شبعت ولا يحنو ويرأف متخـم

أشقى البريـة آثـم سكينـه ... تفري الشوى وتراه زهوا يبسم

دمشق ... عدنان مردم بك

ARCHIVE



هـلال ناجي

عبد اللطيف البغدادي وآثاره المطبوعة

بقلم هلال ناجي

* * *

هو العلامة البغدادي موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد المعروف بابن اللباد ، الموصلي اصلا ، البغدادي مولدا ، ووفاة ، الشافعي مذهبا .

ولد عام ٥٥٧ هجرية وتنقل بين بغداد والقاهرة والقدس ودمشق وحلب وبلاد الروم وتوفي عام ٦٢٩ هـ .

جاوزت مؤلفاته المائة والسبعين كتابا في شتى فنون المعرفة ، خمسون منها في الفلسفة بكل فروعها متوزعة بين الطبيعيات والالهيات والمنطق . وخمسون اخرى في الطب . والبقية في اللغة العربية ومختلف علومها والنقد الادبي والفقه وعلم التوحيد والحيوان والنبات والتاريخ والحساب والعلوم والسحر والمعادن وسوى ذلك من فنون المعرفة واخص بالذكر كتابا في سيرته الذاتية ضاع فيما ضاع من تراثنا العظيم، لكن ابن ابي اصيبعه حفظ لنا منه شيئا كثيرا ونقل عنه في ترجمته للعلامة موفق الدين في كتابه الشهير المعنون « عيون الانباء في طبقات الاطباء » وتعد هذه الترجمة مصدرا اساسيا لكل من كتب عن هذا الرجل الفذ الى حد ان علي مبارك صاحب الخطط التوفيقية الجديدة، اثبتها نصا في الجزء الخامس عشر من خططه .

وانه لمن المؤسف ان احدا من الكتاب لم يفرد هذا الباحث الكبير بمصنف مستقل يعرض فيه لسيرته وآثاره وآرائه بطريقة عصرية تضعه في موضعه اللائق بين اعلام العرب ، فكل ما كتب عنه لم يجاوز شذرات في كتب القدماء (باستثناء ابن ابي اصيبعه) ، وفصولا او مقالات او محاضرات في كتب بعض المعاصرين لا تروي ظما الباحث المتقصي . ولعل مرد ذلك اساسا الى فقدان جل تاليفه وان المطبوع منها قليل بل اقل من القليل وهي على سبيل الحصر :

١ ـ ذيل فصيح ثعلب . طبع اولا مع كتاب التلويح في شرح الفصيح للهروي (مصر ١٢٨٥) وطبع ضمن مجموعة الطرف الادبية لطلاب العلوم العربية (مصر ١٣٢٥) . وطبعه العلامة محمد عبد المنعم خفاجة سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م بالمطبعة النموذجية بالقاهرة ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

٢ ـ مختصر فيما بعد الطبيعة : وقد نشر شطرا كبيرا منه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه « الافلاطونية المحدثة عند العرب » من ص ٢٤٨ ـ ص ٢٥٦ . وكتابه « افلوطين عند العرب » من ص ١٩٩ ـ ص ٢٤٠ المطبوعين في القاهرة سنة ١٩٥٥ .

٣ ـ « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » وهو كتاب صغير الحجم جليل الخطر شد في وقت مبكر انتباه المستشرقين وعلماء الغرب اذ نشر الاستاذ ج. وايت النص العربي وواجهه بترجمة لاتينية صحيفة بصحيفة ـ وذلك في اكسفورد سنة ١٨٠٠ ميلادية وكان الكتاب قد ترجم الى الالمانية سنة ١٧٩٠ من قبل « واهل هال » وفي سنة ١٨١٠ ترجمه المستشرق سلفستر دي ساسي الى الفرنسية ونشره نشرة علمية قيمة . ويذكر المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الادب الجغرافي العربي ان الطبعة الاولى التي اعدها « وايت » ظهرت عام ١٧٨٩ في حين يذكر يوسف اليان سركيس في معجم المطبوعات انه قد طبع ايضا بعنوان « مختصر اخبار مصر » او العبر والخبر في عجائب مصر مع ترجمة لاتينية للاستاذ ت. هايد في اكسفورد سنة ١٧٠٢ ميلادية .

هذا بالاضافة الى طبعته العربية بمصر سنة ١٢٨٦ هـ وطبعة سلامة موسى بمصر سنة ١٩٣٤ . وقد وفق الاستاذ كمال حافظ زند ولاول مرة الى اعادة نشر النص العربي مصورا عن نسخة فريدة بخط المصنف بالذات كتبها في رمضان سنة ستمائة للهجرة تعتز بها مكتبة بودليان باكسفورد وذلك بعد مواجهة النص العربي بترجمة انكليزية رفيعة صحيفة بصحيفة ساعده في ذلك صديقاه السيد « جون . ا » والسيدة « ايف. فيدين » ، وقد طبع الكتاب في لندن طباعة رائعة في مؤسسة جورج الين وآنون في مطبعة جريشام وقد قدمت له السيدة « ايف. فيدين » بمقدمة بالانكليزية مختصرة ولكنها قيمة ونافعة تحدثت فيها عن حياة البغدادي ومصنفاته والمخطوطات المتبقية منها وطبعات الكتاب باللغات الاجنبية وجهودهم في ترجمة الكتاب واعداده للنشر .

ويقع الكتاب مع فهارسه ومقدمته وترجمته الانكليزية في ٢٩٣ صحيفة من القطع الكبير وعنوانه : The Eastern Keg

وهذا الكتاب في واقعه مختصر من كتاب « اخبار مصر الكبير » الذي لم يصلنا ، اختصره مصنفه بالذات مقتصرا على الحوادث الحاضرة والآثار البادية اذ هي اصدق خبرا واعجب اثرا على حد تعبيره .

ويقع كتاب « الافادة » في مقالتين ، الاولى في ستة فصول هي :

الفصل الاول ـ في خواص مصر العامة لها .

الفصل الثاني ـ فيما تختص به من النبات .

الفصل الثالث ـ فيما تختص به من الحيوان .

الفصل الرابع ـ فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن .

الفصل السادس ـ في غرائب اطعمتها .

والمقالة الثانية وهي في ثلاثة فصول :

الفصل الاول ـ في النيل وكيفية زياداته واعطاء علل ذلك وقوانينه.

الفصل الثاني ـ في حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مائة .

الفصل الثالث ـ في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة .

في المقالة الاولى يتحدث البغدادي عن جغرافية مصر الطبيعية معتمدا على اساسين مهمين : رصد الظاهرة ثم محاولة تعليلها ثم محاولة مضاهاتها بنظائرها فيما زار من بلدان . « وهو في وصفه دقيق بالغ الدقة وفي تعليله اقرب ما يكون للصحة في وقت لم تكن العلوم الجغرافية والدراسات المناخية قد تقدمت هذا التقدم الذي هي عليه الآن حتى انه قد وصل الى احكام صحيحة اثبتتها الاحصاءات والارصاد

صحو

يقولـون الهـوى عيـب وذام
ومالي لا أرى عيبـا وذامـا
فكيف وان مررت على دروبي
صحا النارنج وابتسم الخزامى

دمشق — خليل خلايلي

الدقيقة الحالية » (١) .

وهو في وصفه لرياح مصر يكشف عن قوة ملاحظة جديرة بالتقدير وفي عرضه للثروة الحيوانية في مصر يحيط بها احاطة شاملة . وترى الدكتور دولت لان البغدادي قـد سبق عصره بعـدة قرون حين توصل « الى حقيقة مهمة من الحقائق الجغرافية الحديثة حول مائية النيل وهو ارتباط مستواه في اثناء التحاريق بمستوى المياه الباطنية في المناطق المحيطة به في الوادي وهو ما وصل اليه (ولكوكز وكريك) عام ١٩٠٨ في كتابهما المعنون « اجيبشن اريجيشن » اذ اوضحا المصدر الرئيسي لمياه النيل في اثناء هذه الفترة من السنة بانها نتيجة تسرب المياه الباطنية الى القاع في فترة الانخفاض بناء على قاعـدة الاواني المستطرقة المعروفة » (٢) .

والواقع ان البغدادي كان يمتاز ليس فقط بدقة الملاحظة وبدقة الوصف وربط العلة بالمعلول ولكن باستخدام العلـم التجريبي في دراسته لمياه النيل ارتفاعا وانخفاضا .

وقد اشار في كتابه الافادة والاعتبار الى تتبعه البياني لاحوال النيل خلال سنين كثار ، وقد ضمن هـذه التفاصيل كتابه المفقود « اخبار مصر الكبير » .

ويبدو انه توصل الى خضوع ظاهرة الفيضان لدورة تسير وفق نظام مخصوص فاذا كشف سر الدورة امكن التنبؤ باحوال الفيضان . وهو في هذا الكشف قد سبق العلماء المحدثين بسبعة قرون على الاقل على حد تعبير الدكتور الصياد (٣) .

والبغدادي في حديثه عن الآثار المصرية تمتـاز اقواله بالدقـة والشمول ، ويتخذ من الاهرام دليلا على عظمة صانعيه من ابناء مصر حين يقول في كتاب الافادة : « فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد افرغت عليهـا مجهودها ، والانفس النيرة قد افاضت عليها اشرف ما عندها لها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا هي غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم ، وتنطق عن علومهم واذهانهم ، وتترجم عن سيرهم واخبارهم » .

وحين يساله بعض الفضلاء عن اعجب مـا رأى يجيب : تناسب وجه ابي الهول فان اعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كمـا تصنع الطبيعة الصورة متناسبة ، وهو يعجب كثيرا باتقان اشكـال التماثيل المصرية واحكام هيئتها (٤) .

وحين يرى البغدادي اقدام الملك العزيز على هدم الاهرام طمعا في العثور على ثروات خبيئة يثور ثورة العالم المقدر للتراث الاثري والفني فيقول في اروع عبارة واشجعها :

« سول له جهلة اصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبـدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الاثافي » .

وهو يستنكر على قومه هذه الفعلة الشنعاء والاثم في حق الحضارة والتاريخ فيقول : « وما زالت الملوك تراعي بقايا هذه الآثار وتمنع من العيث فيها وبها ، وان كانوا اعداء لاربابها . وذلك لمصالح ، فانهـا لتبقى تاريخا يتنبه بها على الاحقاب . ومنها انها تكون شاهدة للكتب المنزلة . فان القرآن العظيم ذكرها وذكر اهلها . ففي روايتها خبـر الخبر ، وتصديق الاثر ، ومنها انها تدل على شيء من احوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم ، وغير ذلك . وهذا كله ممـا تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه . واما في زماننا هـذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا ، فتحركوا بحسب اهوائهم ، وجروا نحو ظنونهم واطماعهم . فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها ، وظنـوا ظن السوء بمخبرها . وكان اجل انصراف ظنونهم الى معشوقهم واجل الاشياء في قلوبهم ، وهو الدينار فهم كما قيل :

وكل شيء رآه ظنـه قدحـا وكل شخص رآه ظنه الساقي »

وفي الفصلين الثاني والثالث من المقالة الثانية يتحدث البغدادي عن الطامة الكبرى التي حلت بمصر عام ٥٩٧ للهجرة نتيجة عدم فيضان النيل وما نتج عنه من قحط هائل ووباء فتاك اهلك الحـرث والنسل على امتداد البلاد والحق بمصر الاسلامية محنة مـن افجع المحن في تاريخها الطويل الزاهر .

وفي حديث مفجع محزن يتحدث عن المآسي الكثار التي شاهدها بام عينيه ، من افتراس الناس لبعضهم وبيع للاحرار وانتشار للفوضى وانقلاب البلاد الى مقبرة كبيرة .

حتى يقول : « واعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مـع ترادف هذه الآيات عاكفون على اصنام شهواتهم لا يرعوون ، منغمسون في بحر ضلالاتهم كانهم هم المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيـع الاحرار متجرا ومكتسبا ، ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى ان منهم من يزعم انه اقتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر » .

وتظل النزعة العلمية ملازمة للبغدادي حتى ابان الكوارث وبعدها فهو يتخذ من اكداس العظام المتخلفة عن الوباء والمجاعة وسيلة لدرسها وتخطئة جالينوس في بعض ما ذهب اليه بانيا مناقشته علـى التجارب العلمية القائمة على المشاهدة .

وبعد فان الحديث عن نفاسة هذا الكتاب وما ورد فيه مـن آراء علمية دقيقة اوسع من ان يتسع له كتاب بله مقالة . ولكنني اجد من باب الامانة العلمية ان اشيد بنشرة الاستاذ الجليل كمال حافظ زنـد لهذا الكتاب ، والتي قدمت ولاول مرة صورة مصورة للكتـاب بخط المؤلف ثم اضافت لذلك ترجمة انكليزية كاملة وقيمة تساوق المخطوطـة صفحة صفحة .

وقد بلغت هذه الترجمة درجة عالية من الامانـة والدقة الا ان هذا لا يعني انها سلمت من المؤاخذات بصورة مطلقة فمن مآخذ الترجمة مثلا . ما ورد في الصفحة ٢٣٢ ونصه « ووجد باطفيح عند عطار عـدة خوابي مملوءة بلحم الآدمي وعليه الماء والملح » . وقد ترجمت في الصفحة ٢٣٣ فاهملت كلمة « اطفيح » ويبدو ان المترجم الفاضل لم يهتد الى معناها فاهملها ، وهي في واقعها قرية من قرى مصر .

وبعد فانني حين اختتم مقالي هذا ، اهنىء السادة : كمال حافظ زند والسيدة فيدين وزوجها على جهدهم العلمي الكبير هذا ، والذي سد ثغرة في المكتبة العربية بجدارة واستحقاق .

بغـداد — هلال ناجي

١ و ٢ ـ انظر جغرافية مصر في كتب موفق عبد اللطيف البغدادي (محاضرة) للدكتورة دولت صادق .

٣ ـ البغدادي وجغرافية مصر الاقتصادية (محاضرة) ـ للدكتور محمود الصياد .

٤ ـ الآثار المصرية عند البغدادي (محاضرة) للدكتور ابراهيم رزقانـة .

زهـرة النـدم

الى الشاعر البحريني الصديق احمـد الخليفة

●

فـؤاد الخشـن

●

الشويفات ـ لبنان



ايها الباحث عن اسرار آهاتي ودمعي
وغياب البسمات
اطفأ المجرم احلى انجمي
حين اغراني فزلت قدمي
في دروب الندم ...
تاركا في كل ضلع
من ضلوعي نقمة يضرمها الحقد وبغضا
بعدما كان صباح العمر في عيني غضا
ان هذا سر مأساتي وكفري
بالمثاليات ، بالخير ، بكل القيم ...
هو قنديل نهاري
هـو عذري
ان انا شككت ، شرعت بوجه الحب رفضا
ان تنكـرت لطيبـه
بنفوس لم تزل فيها براءات الطفولة
همسات هي عندي بعد رمضاء الرمال
واحة العمر الظليلة
وسؤالي
عن دنى مجهولة محض خداع
انه الوجه الطفولي الذي
اتمنى أن اكونه
وقناع خلته يخفي ضياعي !

زهرة في الوحل قالوا
ليت في اهدابهم رف السؤال ؟
من ترى ضيع في الفجر صباها
ورؤاهـا

عشت يأسا ، زهرة تذوي وشمعة
دمعة تغنى مع الليل فدمعه
اي وعد بانتظاري
ينعش القلب ويحيي
وردة النفس الحزينة
الصفاء الحلو والصحو وصدق الهمسات
لم تعد في تربة الواقع في كف اختياري
وبهذا الصدر قلب
لم يعد فيه لوجه الناس حب !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

•

صور تطالعنا كثيرا

كان في قسمات وجهه ما ينبيء عن تساؤل يتردد في نفسه ، وان كان لم يجاهر به على لسانه ، وتوهمت انه يتريث في ذلك لسبب ما ، فلم استدرجه اليه ، الا انه لم يلبث ان فاجأني بقوله :

ـ هل سمعت بمرض يسمونه « الانانية » ؟

فقلت وانا اعجب لصيغة سؤاله :

ـ مرض يسمونه « الانانية » ؟ لم اكن اعلم ان « الانانية » مرض ، ولكن الذي عرفته انها صفة غير محمودة ، تنفرد بها فئة من الناس ، وتغلب على افرادها حتى يعرفوا بها . ثم انني عرفت الكثيرين يلفظونها بتشديد « الياء » قبل « هاء » الآخر ، وصوابها ان محركة بالفتح وليس غير ، وآية ذلك ما يقوله « شوقي » امير الشعراء ، وهو حجة في صواب ما يقوله في شعره ، وذلك حين ينشد .

زنبقة في الانيه ضحية الانانيه

فقال وهو يبتسم مداعبا :

ـ ما هذا ؟ انني ما قصدت « انانية » اللغويين كيف يلفظونها وكيف يكتبونها ، ولا اردت « انانية » الشعراء ، كيف يقولونها لتصبح شاهدا يورده الكتاب والمحدثون دليلا يحتجون به على صدق ما يكتبونه ، وصحة ما يتحدثون به ..

كلا يا اخي ، ما اردت ذلك . وانما اردت تلك التي سميتها « انا » مرضا ، وسميتها « انت » صفة غير محمودة تصف بها فئة من الناس ..

فقلت اقاطعه :

ـ وتلك عرفتها كما انبأتك ، فهات اذن وحدثني ما شأنها ؟ لكأني بك قد اصبت بشيء من ادوائها ، فحز في نفسك ما اصابك منها ، او ممن اتصفوا بها ، فمضيت تنعتهم بالمرض ، حين خيل اليك انهم مرضى بذلك . ولعلك تكون قد التمست لهم العذر اذن .. اما تقول الآية الكريمة في محكم الكتاب « ليس على المريض حرج .. » ؟!

فقال وهو يظهر التبرم :

ـ نعم ، سميتها مرضا ـ كما قلت لك ـ ولكنني لا التمس العذر لاولئك الذين اصيبوا به كما تحاول ان تلبسني ذلك وانا بريء منه ..

فقلت معارضا :

ـ وهل تنكر ان : « ليس على المريض حرج .. » ؟

فقال بعد ان تريث مفكرا :

ـ ذاك المريض الذي لا حيلة له في مرضه ، حين يقعده عن ممارسة اي جهد ، فلا يستطيع معه قياما ، ولا يملك ان يسعى الى ما تعود عليه من مألوف عمله ..

فقلت وانا احس بالظفر عليه :

ـ لكأني بك اذن تعود الى ما رأيته « انا » فتوافقني على ان الامر لا يعدو ان يكون صفة غير محمودة ؟!

وبدا لي كما لو احس بالحرج لهذا التضييق فقال :

ـ ان ما اردته هو « الانانية » بذاتها ، ولا يهمني كيف تسميها او تنعتها ، بل كل ما يهمني ان اصل منها الى جماعة « الانانيين » من الناس ، فمالك تحول بيني وبين ان ابلغ ذلك ..؟!

واعجبني ان يتخلى صاحبي عن عناده ، فقلت :

ـ ما دمنا قد اتفقنا فلست اعترض سبيلك الى ما تريد ، هات حدثني عن « الانانية » واصحابها .. ما بالهم يا ترى ..؟

وانطلق صاحبي يتحدث .. ولم اعترض له سبيلا كما وعدته ، حتى ولو خرجت في ذلك عما تواضعنا عليه من جدل « بيزنطي » في كثير من احاديثنا ، بل وفي معظم ما نعقده من اجتماعات ، وفي كثير مما نؤلفه من لجان ..

واقبل الرجل ـ متحمسا ـ يعدد جماعة « الانانيين » ويتحامل عليهم أشد تحامل ، ويذكر منهم ذاك الذي يفتح المذياع في منزله عند أعلى طاقته ، وقد آوى جيرانه الى مضاجعهم وفيهم المريض المضني ، والعامل المكدود ، والطفل الذي انهك امه حتى اغفى بعد طول صراخ وعويل ، وبذلك اشقاهم جميعا ، واقض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مضاجعهم من أجل ان يستمتع وحده ..!!

ويذكر منهم ذاك الذي جلس في القاعات العامة ، وقد كتب في ابرز مكان منها : « التدخين ممنوع » ، ثم تراه رغم ذلك يشعل دخينته ، وينفث دخانها عن يمين وشمال ، فيلوث به الهواء من حوله ، ويضيق الانفاس على الذين يحيطون به ، وفيهم الكثيرون الذين لا يطيقون ذلك الدخان ، بل ربما لا يحتملون رائحته لاسباب شتى، ومع ذلك فهو لا يحسب لهم أي حساب ، ولا يقيم لهم أي وزن ، في سبيل ان يستمتع هو وحده ..

ثم يذكر منهم ذاك الذي يدخل المتنزهات والحدائق العامة ، وقد كتب فيها عند احواض الزهر والاعشاب النامية : « لا تقطف الزهر » ، او : « لا تطأ العشب بقدميك » ، او : « لا تجلس على العشب النامي » .. ومع ذلك ، فهو يقطف الزهر ، او يطأ العشب بقدميه ، او يجلس فوقه ، وكأنما هو غير معني مطلقا بهذا المنع او ذلك التنبيه ..

ويعدد صاحبي من الوان الانانية كثيرا غير هذا ..

يذكر من يزاحم غيره ممن يقفون في الصفوف عند شراء الحاجات ، او طوابع البريد ، او البطاقات لشتى الغايات ومختلف الاسباب ، فيتجاوز بذلك من هم امامه « انانية » منه ، وتطاولا بضخامة جسمه او قوة عضلاته ..

ويذكر ذاك الذي بلغت به انانيته وغروره حدا جعله لا يعد نفسه للمواقف المشهودة في عمله ، فتراه محاضرا يعتمد على ما في ذاكرته ، وهي غالبا ما تخونه وتخذله ، فاذا هو يتلكأ في القول ، او يغمغم فيه بما لا يعني عنه شيئا ، وتراه معلما يركن الى ما مر به من تجارب والى ما استوعبه من معارف ، فاذا به يفاجأ بما كان يتحتم عليه ان يعد نفسه له ، واذا هو يقف المواقف التي يحيطه الحرج فيها من كل جانب .. وتراه مذيعا يعتمد على ذلاقة لسانه ودربة حافظته ، فلا يخطط لما يقوله ، ولا يستعد من أجله ، فاذا هو يدركه من النسيان احيانا ، ومن الارتباك احيانا اخرى ، ما يجعله في الموقف الذي لا يحسد عليه ، فاذا هو يلجأ الى متكآت من يصيبهم الخور في القول مثل : « آ .. وا .. ال .. » . وما كان اغناه عن ذلك ، بل ما كان ايسر تلافيه ، وتجنب وقوعه ، لو اراد وعمل من اجل تحقيق ما اراده ..

تلك صور من الانانية ..

عددها صاحبي في معرض تحامله على اصحابها ، وانحائه باللائمة عليهم ، وعجبه المفرط لتراخي المجتمع عنهم ، حين لا يحول بين الواحد منهم وبين ان يمضي في غلوائه حتى نهاية المطاف ..

واكبرت للرجل غيرته ، وتمنيت ان يشاركه الكثيرون بها ، وبذلك تكثر حول اولئك الانانيين حين يوغلون في انانيتهم ، العيون التي تحملق فيهم شزرا ، والوجوه التي اكفهر فيها الحنق والغيظ والاحتجاج الصارخ .. !!

الجندي المجهول عندنا

تحتفل اغلب بلاد العالم بعيد « المعلم » وهي سنة طيبة محمودة ، جديرة بأن تقلد ، وذلك لتكريم المعلم الجندي المجهول الذي يفني حياته كاملة في شبابه وكهولته ، من اجل ان يبني لامته جيلها الذي يحمل الاعباء ، فيكشف بين يديه السبيل الذي يمضي فيه الى بعيد الغايات ، وقد زوده من المعرفة بما يجنبه الوقوع في العثرات خلاله .

وان من واجبنا في الوطن العربي كله ان نفعل هذا ، ما دمنا نحرص على ان نبني لغدنا الافضل ، جيلا صالحا يحمل على كواهله الفتية اعباء ذلك الغد .

واننا لنعلم حق العلم ..

ان المعلم وحده هو الذي يصنع لنا ذلك الجيل ، ويسهر على اعداده بالجهد المتواصل ، ويهيء له من الاسباب الكثيرة المتلاحقة ما يكفل له الوصول الى الهدف المنشود ، ولا يتم ذلك بغير العناء والدأب ، والصبر الذي لا يتناهى اليه اليأس ، والاخلاص الاكيد ، الذي يهون معه كل ذلك ويسهل .

وان من كانت هذه حقيقة امره ، لجدير بكل اجلال وتقدير ، وجدير بأن تكرمه الدولة ويحترمه الشعب ، فيقام له في كل عام عيد يكرس لهذه الغاية ، ويكون بمثابة اعتراف صادق ، تظهر فيه الامة بكامل هيئاتها الولاء والتقدير ، والشكر الخالص من كل زيف ، لهذا الجندي الباسل الذي بذل من الصمود والثبات في ميدانه ، ما لم يدخر معه جهدا ، ولم يتخلف عن واجب كان بوسعه ان يقوم به .

وانه لجندي باسل حقا ..

ذلك المعلم الذي اخلص النية في عمله ، وان عمله ذلك لميدان جهاد مشرف ، له فيه وقفة المجاهد الذي يستحق على جهاده كل مثوبة ، وان من حقه علينا ان نقدر له وقفته تلك ، بالقدر الذي نبذله لجنودنا الشجعان عند حدود الوطن حين يبلي احدهم البلاء الحسن في مقابلة اعداء البلاد .

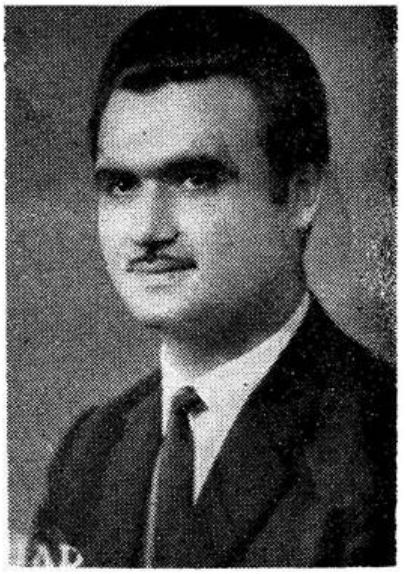
فمتى نفعل ذلك ؟

متى نقدر لذلك الجندي المجهول وقفته على النحو الذي نقدر به لجنودنا الشجعان ما يسجلونه من مواقف البطولة ؟

ان المعلم ــ وهو جندينا المجهول ــ لا يقل جهده في ميدانه الذي يقف فيه عن الجهد الذي يبذله جنودنا البواسل في ميادين القتال .

وان كلاهما ليجاهد عدوا يستهدف حاضرنا ومستقبلنا ، وان شر هذين العدوين هو الجهل ، وان اثره في حاضر الامة ومستقبلها ، ليفوق اثر كل عدو ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



البدوي الملثم

فوزي عطوي

القصيدة التي القيت باسم لبنان في الحفل التابيني الذي اقيم على مدرج الجامعة الاردنية في عمـــان

أتعذرني ، اذا شجنـي تنامـى ... وان أبت الجراحات التئامـــا ؟!
نداماك استثير الشوق فيهـم ، ... وعهدي ، لا تغيب عن الندامى ،
أتيت ودمع « لبنان » بعينـي ، ... أساي أسى الايامـى واليتامى ،
فـــلا تعتب اذا غصت حـروف ... بدمع الارز ، تهديـك السلاما !!

تلفت أيها « البدوي » ، تلق الـ ... مضارب كاسفات ، والخيامـا ،
وكل « ملثـم » ، الاك ، أمسى ... على ذكراك ، يحتضن اللثامـا !
وما أدري ، أجئت اليك أشكو ، ... وكنت وكنت نوقظ الابتسامـا ،
أم انـــي جئت أحـــزن للقوافي ... تنـد عـــن الاغاريد القدامى ؟!
فمثلك في المكـــارم لا يجارى ، ... ومثلك في الفضائل لا يسامـى ،
ومثلك ، ان يذق موتـا زؤاما ، ... يخلد فكـــره الموت الزؤامـا !!

أتذكر في « الاديب » لنـا لقاء ، ... سمرنا فيـه اخوانـا كرامـا ،
تحدثنا ، ففـي نجواك عطـر ، ... وفي الهمسات أنفاس الخزامى ،

مهما حشد لعدوانه من وسائل الفتك وللدمار .

ترى متى يأتي ذلك اليوم ، الذي تقيم فيـه الدولة عيدا للمعلم ، وان يكون قد سبق هـــذا انصاف ذلـك المعلم ، وتحقيق ما بذل له من وعـــود شتى متلاحقة ، تتناول العلاوة الفنية ، ونظام الترقية، وسنوات الخدمة بحيث تشملها نظرة عطف وتقدير ، تقرب من تلك النظرة التي شملت جنودنا البواسل ، ما دام كلا الفريقين ندب نفسه للجهاد في سبيل الوطن وابنائه ..

ان الدولة ـ عندنـا في الاردن ـ افـردت وسامـا خاصا اطلقت عليه اسم « وسام المعلم » ، وقـد جعلته مكافأة رمزية تكرم بها المعلم ، الذي بذل من الجهد الصادق ما يستحق معه التكريم ، وهي بادرة انفردت بها ـ على ما اظن ـ وحق لها الشكر على ذلك ، شريطة ان يبذل هذا الوسام لمعلم بذل حياته كلها في هـذا السبيل ، دون ان ينصرف عنه الى أي سبيل سواه . وليت هـذا التكريم لا يظل مقصورا على الاردن ، بل ليت دولا عربية اخـرى تفعل فعله ، وان اكثر الناس جدارة بهذا الوسام هـــم ذلك الرهط الجليل ، الذين يصدق عليهم هذا الوصف ، ونحن نجدهم في كل بلد عربي دونما استثناء .

وان افراد مثل هذا الوسام للمعلم لتقدير من الدولة لا ينكر ، ولكنه لا يمنع من ان نقيم الى جانبه عيد المعلم ، وان نتبعه بتقليد آخر نجاري فيه ما هـو قائم في مصر ، تقوم فيه الدولة ببذل « منحـة المعلـم » للمجيديـن في ميادين التخصص من المعلمين ، وان وجود مثل هـــذه « المنحة » لحافز قوي يبرز معـــه المبدعون مـن ذوي الاختصاص ، في شتى الميادين ، وما احرصنا على ان يبرز عندنا منهم الكثيرون ، ما دمنا نهدف الى ان نرتقي صعدا في معارج التقدم والازدهار .

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

وتمدح ، فالمديح مقال حق ، وتفرض ، حين تنقد ، الاحتراما،
وتحيي ذكر أفذاذ تواروا ، فتبعثهم ، كما كانوا ، عظاما
ولم تك كالألى عنهم تعاموا ، أضل الناس من عنهم تعامى !
أكنت مكلفا بالموت ، تنفي عن الموتى وعنه الاتهاما ؟!
متى يسقط أديب ، يا لمجد أديل ، ويا لكبر ما استفاما ،
ومن عجب ، يموت ثري مال ، فنستسقي لذكراه الغماما ،
وان غاب المفكر عن بلادي ، لبثنا ، في توافهنا ، نياما !!
ولولا سادة الاقلام فينا ، لما رفعت بلاد العرب هاما ،
ولولاهم لضيعنا تراثا ، وما صنا مآثرنا الجساما ،
ولولاهم ، لكان الارز نبتا ، وكان النيل ماء او رجاما ،
ولولاهم ، لما احلولى فرات ، ولا الاردن في عز أقاما ،
ولا مالت لاندلس قلوب ، وعانقت الجزيرة والشآما !!
أناملهم تطوف على الثريا ، وترعى للحضارات الذماما ،
اذا اقلامهم نفثت حروفا ، رموا سهما، او امتشقوا حساما!!

ندي الخلق ، لم اعهدك الا رفيع هوى ، ووثابا هماما ،
أبيا كنت ، تولع بالمعالي ، وتنفض عن مشاغلك الرغاما ،
اذا وافاك ظلم أو ظلام ، جبهت الظلم ، واجتحت الظلاما!!
وسعت بقلبك الدنيا جميعا ، ولم تنجز بدنياك المراما ،
ومن عجب الدواهي أن تواري يدا غرا ، وقلبا مستهاما !!

نجي الحرف ، لم نخفر ودادا ، ولم نسل المروءة والوئاما ،
ونحن ، وان تباينت الاماني ، بحبل الود نعتصم اعتصاما ،
مذاهبنا شتات ، غير أنا نحاذر في مذاهبنا الخصاما ،
فهل دين يجيز لنا اقتتالا ، وهل خلق يسيغ لنا انقساما
وهل وطن أردناه عزيزا يشاطرنا ضغائن وانتقاما ؟!
تلاحينا . تنابذنا . تناءت مسالكنا . تساقينا الحماما ،
اذا كانت ((فلسطين)) منانا ، أنرمي غير مرماها السهاما ؟!
أنبدو بين أهلينا أسودا ، ونغدو بين أعدانا نعاما ؟
أيقتل بعضنا بعضا ، ونلهو عن المحتل ، نقرئه السلاما ؟!
سألت الله غفرانا لقوم الى الشحناء أمرهم ترامى ،
كأن دم العروبة حال ماء ، فحال الحب بينهم حطاما !!

دعوتكم الى الود المصفى ، وقد طاف الردى فيكم وحاما ،
دمانا ، لن نفرط في دمانا ، هنانا ، لن نصيره سقاما ،
علانا ، لن يطاوله شموخ ، ابانا ، لن نحوله زحاما ،
سننقذ ارضنا من غاصبيها ، سنكفر بالمجيدين الكلاما ،
سنمحو عار أمتنا ، سنحيا ، ولن نحني لغير الله هاما !!

ويا رجلا يغيب ، وفي بلادي على العدوان محتل أقاما ،
سألتك ، لا تلم وترا شجيا يهيم بأرض أمته هياما ،
أنا الوتر الشجي ، نذرت لحني لتاريخ رفضت له انحطاما ،
فتاريخ العروبة لن يدانى ، وتاريخ العروبة لن يضاما ،
سألتك ، لا تلم وترا شجيا يحاذر ان يعاتب أو يلاما ،
اذا اغمضت جفنك ، نم هنيئا ، فجفنك ما تعود ان يناما !!

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قفز الى ذهنه سؤال جديد :

ـ ترى .. هل ستكون هذه ايضا من القطيع ؟..

اليست متميزة ؟...

لقد قرأ في عينيها البنيتين سيرة جديدة لم يقرأ مثلها في اية عينين مرتا به او مر بهما ، فهل يتابع الطريق ويدخل معها تجربة جديدة، ام يكتفي بما في صدره من سهام ؟..

كان يومئذ جالسا في مكتبه بادارة الجريدة يدخن وحيدا ، ويتسلى بقذف بعض الكرات الورقية الصغيرة من بين اصابعه ، عندما ارتفع رنين الهاتف وكأنه يلح باصرار ..

ـ انت الاستاذ صبحي .. اذا لم يكذبني حدسي ..

ـ حدسك صادق ..

ـ انا نجوى حلمي .. هل عرفتني ؟.

ـ انت احدى بطلات مسرحنا ..

ـ وهل لقب البطولة رخيص لديك الى هذا الحد فتمنحه لاول هاتفة ؟..

ـ لست اول هاتفة كما اعتقد ..

ـ معنى هذا انك تمنحني بقايا اللقب .

ـ اعرفك ممثلة بارعة على المسرح ، لكني اكتشفت الان انك محدثة لبقة ايضا ..

ـ ما دمت بارعة على المسرح ، لماذا اهملني قلمك حتى اليوم ؟

ـ لا تزالين في اول الطريق ..

ـ بل قل ان غيري يحتل الدور الآن ...

ـ احكامك جائرة .. مهما يكن ؟ فهل هتفت لي لهذا ام لسبب آخر؟

ـ سأكذب عليك اذا تعذرت بسبب آخر ..

ـ تعجبني صراحتك ..

ـ هل اعتبر الموضوع في حكم المنتهي ؟..

ـ انا لا اقرر اموري بمثل هذه السرعة ..

ـ اذن لا بد لنا من لقاء .. سأتصل به مرة ثانية ..

★

السؤال يلح عليه .. السؤال نفسه الذي كان يلح عليه كلما وجد نفسه امام تجربة مع واحدة من الباحثات عن الشهرة في الصفحة التي يشرف عليها بالجريدة .. آخر واحدة في قطيع هؤلاء الصبايا كانت ايضا فتاة على المسرح ، زميلة لنجوى هذه ، جاهدت كثيرا حتى استطاعت ان تثبت قدميها على الخشبة ، وتألقت بين الاضواء التي وجهت اليها من هنا وهناك ، ولكنها وجدت ان هالتها ناقصة اذا لم يكتب قلم صبحي شيئا عنها .. دعته الى عرض مسرحية كانت تمثل

الصلصال

بقلم جان الكسان

فيها دور البطولة ، واعطت يومها عطاء باهرا .. وعندما دوت القاعة بالتصفيق ، كان هو واحدا من المصفقين ودارت عيناها في الصالة تبحث عنه حتى وجدته ، فانحنت قليلا وابتسمت شاكرة .. وكتب عنها : « انها الاولى بين الواقفات على خشبة المسرح في البلد » ..

ومر عام ، فاذا هي تدلي لاحدى الصحف بتصريح حول بعض الامور الفنية .. وتأكد صبحي وهو يقرأ الحديث ان الغرور ركب رأسها



الصغير .. خاف عليها من هذا الغرور ، فاتصل بها يحذرها من نتائجه .. وكم كانت الصدمة قاسية عندما قالت له : انا اعي ما اقول .. واعرف حدود طريقي .. ثم لا تنس انني لست ممثلة ناشئة .. ولا تنس ان النقاد يقولون عني انني الفتاة الاولى على خشبة المسرح ..

واصبحت في آخر القافلة .. سقطت .. تهاوت الى الادوار الثانوية .. اصبحت في الظل .. وهذه الجديدة .. هل ستكون مثل الاخريات ؟. هل ستنتهي بدورها الى الغرور والضياع ؟. هل يدخل معها التجربة ؟..

★

رن الهاتف .. عرفها هذه المرة من صوتها :

ـ اهلا نجوى ..

ـ كيف عرفت صوتي ؟..

ـ ارجو الا يضيع مني بعد اليوم.

ـ الم تكن تنتظر مني مكالمة طيلة الاسبوع الماضي ؟.

ـ اصدقك القول : بلى ..

ـ اذن .. فنحن الان في سبيل التفاهم .. هل استطيع ان اسرق من وقتك ساعة نجلس فيها ونتحدث ؟.

ـ اين ؟ ..

ـ في بيتي .. في المقهى .. في الشارع .. على العشب في طريق قرية دوما ..

ـ الاقتراح الاخير يوافق مزاجي ..

ـ مزاجك غريب ..

ـ انني ابحث دائما عن الاشياء المختلفة ...

في الطريق الترابية الى قرية دوما قالت له : حول المدينة مناطق كثيرة اجمل من هذه المنطقة .. انها فقيرة .

ـ انت اقترحت المكان ...

ـ ولكني طرحت الاقتراح دون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تفكير .. انه اول اسم مر بذهني .

ـ ولهذا اخترته ..

ـ ولكنها منطقة فقيرة .. وسواقي المياه فيها ضحلة .. وهذه الروائح ؟..

ـ مرة .. وكان ذلك في ريف الشمال ، وكنا نحصد الشعير .. عطشنا ولم يكن هناك ماء سوى غدير تكومت فوق مياهه جثث الجراد التي سقطت بمبيدات دائرة الزراعة .. ازحنا جثث الجراد.. وشربنا ..؟

ـ « اذن .. فعلي ان اقبل المكان ولو كان زريبة بقر » .. كان يدرك انها ممثلة بارعة ولكنه لم يكن ليتصور انها بارعة في التمثيل على طريق قرية دوما ، كما هي بارعة على خشبة المسرح ..

وسألته فجأة : هل انا جميلة ؟.

ـ ماكياج المسرح يفسد جمالك الطبيعي ..

ـ ما اجمل ما في ؟..

ـ عيناك ..

ـ ارجو الا اكون بالنسبة لك مجرد عينين جميلتين ..

★

على المسرح ...

هذه المرة بدت اكثر تألقا .. اعطت عطاء باهرا ، وعندما دوت القاعة بالتصفيق كان هو واحدا من هؤلاء المصفقين.. وتبدل المشهد .. وفي ذروة تأزم احداث المسرحية في المشهد الثاني ، قدمت هي منولوجا بديعا من الاداء الفردي ، فالتهبت الاكف وهي تصفق لها ، وكان هو يصفق فرحا ، ورأته فرمقته بعينين شاكرتين ..

وعندما انسدل الستار هرع الى الكواليس ورمى معطفها على زنديها العاريتين ، ثم سحبها من يدها الى اقرب سيارة ..

ـ كنت اليوم رائعة ...

ـ هل اعجبتك ؟. انني مدينة بنجاحي لتشجيعك ..

ـ يسعدني ان اراك متفوقة ..

ـ هل لديك ملاحظات تبديها حول دوري ؟.

ـ لقد ارتكبت مخالفة لا اريد ان تتكرر مرة ثانية ..

ـ وما هي ؟..

ـ نظرتك الي وهزة راسك .

ـ ولكني كنت اشكرك ..

ـ كنت تمثلين مشهدا من المسرحية .. والممثل على المسرح يجب ان يكون منسلخا عن الجمهور ...

ـ في المسرح الحديث لا يحدث هذا الانسلاخ .. مع هذا سآخذ برأيك ..

ـ لم تطلبي الي ان اكتب عنك ..

ـ لم يعد يهمني ان تكتب عني للناس ما دمت انت راضيا عني ..

ـ حديثك هذا يذكرني ببراءة طالبات المدارس في تملق الاستاذ قبل الفحص النهائي .

ـ وهل امامي امتحان قادم ؟..

ـ الغرور .. انه آخر سهم في جعبة التجربة ..

★

وسقطت بدورها .. بعد عامين فقط .. لم تستطع ان تقاوم اغراء الشهرة .. خدعها بهجرها ، وبدا الغرور يحرق في عينيها ذلك التألق.

كانت تحمل « البوم » المقالات التي كتبها عنها صبحي وتتحدى به زميلاتها .. بل انها بدأت تطلق تصريحات غريبة ، « خشبة المسرح ضيقة .. ان المسرح يخنقني يجب ان انطلق الى اجواء اخرى .. الى السينما » ..

وعندما ضمتهما جلسة عرف انها تلحق حثيثا بالقطيع ، حتى طريقة اشعالها السيكارة تغيرت .. لم يقل لها شيئا .. كان ينعي في اعماقه التمثال الاسطوري الذي ظل ازميله يحدد ملامحه لتبدو واضحة ، نبيلة .. كبيرة .. فاذا به يتهاوى ويتحول الى كومة من الصلصال الرخيص ..

وبدأ الموسم المسرحي الجديد .. عرف انها ستكون بطلة المسرحية الاولى.. دخل الصالة ليلة الافتتاح وجلس في الصف الاخير .

على الخشبة كانت الصبية الرائعة تتعثر بأثواب الفشل .. وفي قلبه كان مطر اسود يهطل بغزارة ..

دمشق — جان الكسان

السفر

يا واحة خضراء في الصحراء ... أترين كم ظمأي وكم اعيائي
مائي سمو الروح منك ، وراحتي ... والفكر مشتعلا بنور ذكاء
فاذا هما حلا بفينوس انتهى ... سفري اليك وحيرتي ورجائي
كل لواحته يواصل سعيه ... والواصلون قلائل السعداء
اني لاغبطهم واعلم أنني ... سأظل رهن ضلالتي وشقائي
حسبي من الفردوس.. حسبي نظرة ... اني لسهل في الهوى ارضائي
لكأنما الحرمان في كاساته ... حتم علينا معشر الشعراء

الكويت — صلاح عبد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الشاعر والقمر

كان من عادتي ، وانا طالب في كلية الآداب ، ان اتوجه الى قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية بالقاهرة ، للاستماع الى المحاضرات العامة ، التي يلقيها كبار الاساتذة من الكلية او خارجها في فنون الآداب المختلفة .. وكان من اهم هذه المحاضرات التي احرص على حضورها ، قراءات في الشعر الانجليزي ، يقوم بأدائها الاستاذ سكيف ، استاذ الادب الانجليزي .. وكان سكيف الى كونه استاذا للادب ، ممثلا مسرحيا قديرا ، كما كان ذا حنجرة ذهبية موهوبة ، فكنت احب ان اسمع منه الشعر الانجليزي ، مفصلا ..

كان الساعي يحمل اليه صفا من دواوين الشعر المختارة ، يرصها امامه على المنضدة ، كالعمارات الشاهقة .. وهو في وقفته من ورائها ، يخرج ما وقع عليه اختياره منها ، ويفتحه على الصفحة التي حددها ، وبعد ان يلقي تقديما موجزا ، يمضي في قراءته التمثيلية الرائعة ، وبالقائه الساحر الجذاب ..

وسمعته مرة يلقي قصيدة عنوانها « المنصتون » .. للشاعر والتردي لامير .. فتركت قراءته في نفسي اثرا عميقا .. ويحسن قبل المضي في الحديث ان نعرض لنص القصيدة وهذا هو :

« هل يوجد من احد هناك ؟ » هكذا قال المسافر .. وهو يطرق الباب المضيء بنور القمر .. بينما راح جواده في صمت يلوك الحشائش على ارض الغابة المعشوشبة .. وخرج طائر من البرج فمر من فوق راس المسافر !. وراح يقرع الباب من جديد مرة أخرى ، وقال : « هل يوجد من احد هناك ؟ » .. لكن احدا لم ينزل للقاء المسافر ، ولا مالت راس من خلال دفة الباب لتنظر في عينيه الشهباوين ، حيث يقف متحيرا ، صامتا .. لم يكن هناك غير جماعة من الاشباح المنصتة ، التي تسكن الدار المنفردة ، وقد وقفوا يرهفون السمع في سكون ضوء القمر ، الى ذلك الصوت القادم من دنيا البشر .. كما راحوا يزحمون اشعة القمر الخابية على الدرج المظلم ، الذي ينزل الى البهو الخالي ، منصتين في هواء لا يحركه او يهزه غير نداء المسافر وحده .. لقد احس غرابتهم في قلبه ، وسكونهم يجيب على صيحته .. في حين تحرك جواده يقضم الاعشاب المظلمة ، تحت السماء المكوكبة المورقة .. لانه قرع الباب فجأة ، بأعلى مما فعل من قبل ، ورفع راسه قائلا : « قولوا لهم انني حضرت ، ولم يجبني أحد ، واني وفيت بوعدي » .. ولم يقع المنصتون باقل حركة ، ولو ان كل كلمة قالها تردد وقع صداها خلال الظلمة المبهمة للدار الساجية عن الرجل الوحيد الذي بقي مستيقظا .. نعم ، لقد سمعها صوت قدميه في الركاب ، ووقع الحديد على الحجر ، وكيف راح يجين الصمت ، وهو يعود برفق ، بعد ان كانت الحوافر المتوثبة قد مضت في سبيلها » ..

تأثرت بهذه القصيدة ، فقد احاطتني بجو رهيب ، هو جو الصمت الحاكم الذي تجري فيه الاحداث ، والابراز الواضح لدقائق الحياة خلال هذا الصمت ، وهي الدقائق التي لا تأبه بها اذن ، اذا كان المنصتون من البشر ، وليسوا من الاشباح .. وكان هناك ايضا شيء آخر ، جعل ذهني يلتفت التفاتة جديدة ، وهو وقع كلمة « طرق الباب المضيء بنور القمر » .. فيما كان يصوره سكيف من القائه التمثيلي الرائع .. لقد اعطاني وقع هذا الصوت وانا اتابع قصيدة بالانجليزية للمرة الاولى معنى آخر ، هو ان هذا الباب المضيء كان هو باب القمر نفسه .. فالقمر ذاته باب ، والطارق يدق بيده عليه ، بعد ان صعد اليه على رؤوس المرتفعات .. واذا فتح الباب ، فسيدخل الطارق ، وهو شاعر من البشر ، الى عالم السماء مباشرة .. وسوف يلتقي هناك باشباح ، قد تكون من الملائكة ، وقد تكون من الجن ، وقد تكون أي شيء آخر غير ان تكون بشرا مثله .. وحينما يفتح الباب ، فسوف يتجول الشاعر في بلاد القمر .. وسيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجائب .. ولا بد انه سيرى الحوريات ، وسيتحدث اليهن ، وسيبثهن غرامه .. وستقع حوادث .. وما دمنها في القمر فلا بد انه سيقع الخسوف بشكل او بآخر .. وهكذا راحت تتكون في خيالي بسرعة عجيبة ، قصيدة اخرى مختلفة كل الاختلاف عن قصيدة والتردي لامير .. لان خيالها عربي ، وقالبها عربي كذلك .. وان تميزت بشيء مما اقتضاه التجديد يومئذ ، من محاكاة بعض القصائد الغربية ، وخاصة في وضع عناوينها .. وهكذا عندما انتهت هذه القصيدة .. كان عنوانها الغريب هو « اشعة من الباب الفضي » ...

وقبل ان امضي في الحديث ، اسأل نفسي : هل لهذا الاعتراف قيمة ؟ ولماذا رحت اذكر والتردي لامير وقصيدته في هذا المقام ، وهو مقام الانصاف الذي يسعى فيه اي شاعر يقف هذا الموقف ، الى ان يذكر لنفسه كل محاسنها ، وان ينسب لها كل الفضل دون سواها ؟!..

لقد أشرت اشارة عابرة فيما سبق الى شعراء كانوا ينقلون عن الانجليزية ـ وهي المصدر الغالب يومئذ ـ صورا واستعارات وتشبيهات ، ليست عربية الاصل ، وينسبونها الى انفسهم ، لتأكيد عبقريتهم من جهة ، ولاعتمادهم على قلة من يقرأ في المصادر التي نقلوا عنها من جهة أخرى .. واذا كان هناك من يقرءوه في تلك المصادر ، فليس من الحتم اللازم ان يقفوا على نفس الغنيمة المسروقة ، ليعرفوا من اين اخذت !.. هذه قضية دقيقة في الواقع ، وليس من حقي الاتهام دون ان اضع النصوص والمصادر جنبا الى جنب ، وهذا ان كان يحضرني بعضه يومئذ ، فلا يحضرني اليوم منه شيء يغني .. والمهم هو انني ارى ان بناء الادب يجب ان يقوم على اساس من الصدق .. ولا اعني بذلك الرجوع الى ما تساءل عنه القدماء ، هل اعذب الشعر اكذبه او أصدقه ! كلا ولكني اعني بالصدق ان يكون الشاعر ذا شخصية ادبية قوية ، متمكنة ، لا يعتيه الا قول الحقيقة ، ما دام في اصل رسالته باحثا عن الحقيقة ، وفي نهاية رحلته طالبا الوصول اليها .. ولعمري اليس يقال ان الشاعر له رسالة ؟. فالرسول اذا يجب ان يكون صادقا في الايمان برسالته ، وفي اداتها على الوجه الصحيح .. واذا لم يكن الشاعر هو الناقد الاول لشعره ، فليس بشاعر ذي رسالة .. ومن اخص خصائص الناقد ان يكون صادقا ..

على ان قصيدة « اشعة من الباب الفضي » .. بحاجة في عرضها الى كل هذا الدفاع . فانها ليست متأثرة بشيء من قصيدة والتردي لامير .. ولكنها قصيدة عربية خالصة ، وكل ما ذكرته هو بعض الملابسات التي أحاطت بنظمها ، وكيف تكونت فكرتها .. وهي أمور تهم نقاد الادب ، كما تهمهم معالجة النصوص ، وتفصيصها لمعرفة نوع الجوهر من البهرج الذي تحتويه !

تبدأ القصيدة مباشرة هكذا :

طرق البدر .. وهو باب من الفضة .. فيه اشعة وضياء
طارق في السماء طرقا عنيفا رددته العشية القمراء

مر يعلو على الخيالات والاشباح ، والنخل ، والقرى المهجوره
روع الكائنات ثم تلاشى غارقا في بحار ضوء منيره

فصفى الطارق الغريب مليا في ذهول ورغبة استطلاع
وارتقى في تعنت يطلب البد ر وحيدا على رءوس التلاع

فيلسوف ، يظن من صفحة البد ر .. لقصر على السموات بابا
ويرى القصر للورى دار خلد قد اعدت للعاشقين مآبا

واذكر انني عرضت هذه القصيدة يومئذ على الاستاذ الكبير احمد حسن الزيات رحمه الله ، لنشرها في « الرسالة » .. فكانت القصيدة في نظرة من شطحات الشعر الجديد يومئذ .. الذي يقف منه الزيات موقف المحافظة .. ولذلك لم يجد غير هذا البيت الاول من الصمد الاخير . فقال لي : هل تريد ان تقول « فيلسوف يظن من صفحة البدر بابا .. لقصر على السموات » ؟ قلت : نعم ! فقال لي : ولماذا كل هذا التقديم والتأخير ؟ لماذا لا تصل الى ما تريد مباشرة ؟! ثم انه لم ينشر القصيدة بناء على هذا الخطأ الجسيم !

وتمضي القصيدة بعد ذلك تصف استجابة الحور الساكنات في القمر ، لهذا الطارق القادم من الارض .. وكيف اصابه الذهول حين ادخلنه الى ساحة القمر ، واغلقن خلفه بابا فضيا له صريف، او صرير ! وكيف راحت تكوبه الحورية التي ترافقه ..

كشفت ساقها ، كما فعلت بلقيس .. في صرحها .. قديم الزمان
ذاك صرح ممرد من قوارير ... وهذا ممرد من جمان

وسارت به الحوريات في صخب من الضوء ، وغنينه لحن « بدر البدور » . واجلسنه على « مذهل النور » .. وهو أسم مكان من الذهول ..

ثم غنين بالغناء النعاسي .. فاغفى واسبل الجفنين
ليت شعري ماذا رأى من بحار التبر .. في حلمه .. وذوب اللجين

قد تغنى في نومه بلحون من فنون جديدة الاشعار
لم يزل ينشد القصائد غرا ناصعات ، كأوجه الاقمار

انه شاعر .. فمن ادخل الشا عر في البدر ، يا بنات الضياء
فاجابت جنية : هو في الار ض غريب .. كسائر الشعراء

ثم بدأت بعد ذلك قصة خوف الشاعر، واصفراره، ثم موته .. ودفنه في القمر .. وهو خيال بعيد .. يسبق ما جرى ويجري الآن في خيال الانسان المتحضر ، وهو يركب الصاروخ ، وينزل فعلا على الارض القمرية ، يجمع منها التراب والحصى ، لينفع العلم ويفيده فائدة محققة ..اما شاعرنا فبعد موته ودفنه في القبر المنير بدأت قصة الخسوف .. فاظلمت الدنيا ، وخرج المشيعون في الارض يدقون النحاس ، ويطلبون الاطلاق

للقمر مما يعانيه من خناق ..

حفر الغانيات في البدر قبرا ... لم يزل آخر الزمان منيرا
ثم غسلن شاعر النور بالنو ... ر ، ولكن كفنه « برفيرا » ..

والبرفير ، هو الارجوان .. فارسية معربة ..

واعتلى الناس تلعة الارض ليلا ... فاذا البدر في السما مخسوف
واذا في احمراره أشباح ... خلف باب من الحديد وقوف

علموا انهن جنيات ... بدفوف يندبن ميت الاناسى
فبكوا شاعرا على البدر ميتا ... ثم دقوا النحاس فوق النحاس

ثم لاحت اشعة خنقتها ... من خلال الباب القديم سيوج
هي ألحان شاعر .. تخذ البد ... ر ضريحا .. حتى يحين الخروج

ويمكن قبل ان انتقل من هذا الموضع ، ان اذكر دفاعا جديدا هو آخر دفاع عن استقلال هذه القصيدة.. فعندما تصفحت ديوان « اليخت الذهبي » الذي عرض شعر هذه الفترة اخيرا ، وجدت فكرة القمر شائعة في اكثر قصائده .. شيوعا ظاهرا .. بل ان فكرة الوصول الى القمر كانت هي المسيطرة دون سواها ، او أكثر من سواها .. حتى لقد تخيلت حبيبنا في القمر اريد الوصول اليه ، فلما عن هذا الوصول كتبت اليه خطابا .. في مقطوعة بعنوان « من رسالة الى البدر » .. وهي في الواقع مشروع قصيدة ، على اصماد جديدة ، ولكنها لم تتم ، وهذا هو الصمد الذي بقي منها ، ونشر وحيدا في الديوان ..

الى البدر أكتب هذا القصيد ... وابعثه في بريد السماء
ليلحق بابن اللجين العتيد ... على شرفات البها والضياء
فليت حبيبي الذي في السماء ... وفي دارة السحر .. عند السحر
يرد الي رسول الوفاء ... ويكتب لي عن بلاد القمر
لتشرع روحي اليه السفر !

ثم مضت سنوات عدة ، تزيد عن العشر سنوات.. تخرجت في اثنائها في الجامعة ، وعملت في التدريس ، وسافرت منتدبا الى البلاد العربية .. وكانت اقامتي من السعودية في مكة المكرمة .. كان المعهد العلمي ومدرسة تحضير البعثات فوق جبل الهندي ، المعروف في التاريخ بجبل قعيقعان .. وكنا نجتمع في ليالي الصيف ، على سطح هذا البناء العالي ، لتصحيح اوراق الامتحان على ضوء « الاتريك » ... فاذا نظرت فوقي راعني منظر السماء المكوكبة .. لا كما يقول والتر دي لامير في هذه المرة .. ولكن في صورة اشد روعة وتأثيرا .. فالنجوم البعيدة تبدو قريبة ، كبيرة الحجم ، متلألئة بنورها ، وهي كثيرة جدا ، كأنها القناديل المعلقة .. وفي بعض الليالي الصافية رأيت القمر باهرا ، يفيض نوره في صفحة السماء ، كبحر من الفضة الرائقة .. عند ذلك كتبت شعرا ، لم اخرج فيه عن الفكرة القديمة ، وهي صعود الانسان الى القمر ، ومرة اخرى الى النجم .. على انني لم اجد من آثار هذا الشعر غير مقطوعتين ، من قصيدتين لم يكمل نظمهما ، احداها عن القمر ، والثانية

عن النجم ..

وهذه ابيات من الاولى .. بعنوان «شاطىء القمر»:

مدينة ظهرت في شاطىء القمر ... شفافة القصر والبستان والشجر
كانها مرفأ تجري زوارقه ... في ساطع من شعاع الموج مزدهر
من خفة السمك الطيار سرعتها ... ووثبها مرح الاطفال في الصفر

بعثت فيها خيال الفكر مبتهجا ... في زورق ذهبي اللون جذاب
تصيح في الليل من تجديفه لجج ... في منظر فاتن للعين خلاب
وتعزف الجن الحانا لتغزعه ... فلا يبالي ، ويمضي غير هياب

رأيت بحرا وراء الافق منبسطا ... له الزمرد والياقوت امواج
ومرفأ صاخبا بالنور مؤتلقا ... فيه الخيالات والاشباح افواج
وساحلا قاحلا .. لكنه عجب ... رماله درر ، أجباله عاج

وقلت : هذا جمال لا يحركني ... فانه صامت في النور وسنان
كان شاخصه تمثال غانية ... غرامها نائم ، والفن يقظان
فضقت ذرعا بحسن لا حياة به ... وصحت: ويحي،اما في البدر انسان

فقام دوني ظل لست أبصره ... لكن يخاطبني همسا فأسمعه
فقال: في البدر واد .. يقطعه ... جن يجن.. فمهلا ، كيف تقطعه
لكنه شاطىء تغني مناظره ... هيا ! فسرنا وراء الظل أتبعه

مشيت بالشاطىء الفضي في حذر ... حتى دخلت وراء الظل بستانا
بصرت بالزئبق المسحور منسكبا ... والروض ينبت ياقوتا ومرجانا
فقلت للنفس : ويحي ، انه عجب ... فهل أرى من خلال الروض انسانا

بصرت في الروض عن بعد بساقية ... يديرها في الدجى ثور من الذهب
يشدو بلحن كريه .. ثم يقطعه ... صمت الدياجي، وتعلو السن اللهب
ولم تكن تكشف النيران خافيها ... حتى صرخت بجوف الليل:واحجبي

من الخيالان فوق الشط قد جلسا ... رأس الى اختها ، والماء للقدم
اغادة كشفت عن حسن منظرها ... وفارس قد تبدى غير ملتثم
ترنو الى وجهه والعين حالمة ... فيستجيب لها عن ثغر مبتسم

وربما قلت كناقد ان عبارة « أما في البدر انسان ؟ » تتضمن التفاتة الى قصيدة والتر دي لامير السابقة ايضا .. كما ان الصمد الاخير عن الخيالين الجالسين على حافة الماء ، يشير بالتأكيد الى قصة « ايزيس واوزوريس » المصرية .. التي كنت قد بدأت نظمها في ذلك الحين دون شك .. ولكن الذي يؤسف له حقا هو ان هذه القصيدة لم تتم ، ولم يتيسر لي السير فيها مع الخيال لغايته .. ولعمري انني لاجد من الزيف اكمال قصيدة وقف فيها الخيال عند مرحلة معينة ، فلم تتم في وقتها .. اما القصيدة التي تحدثت فيها عن « النجم » فهي ابيات ايضا من عمل جميل لم تتح لي فرصة اتمامه، فانقطع به الخيال عند موقف معين .. وعلى كل حال فهذه هي الابيات :

تسلقت نجما في الدجى عالي الذرا ... فماذا رأت عيناي؟ اعجب ما ترى
هناك على عرش الظلام مدينة ... متوجة الهامات ، وهاجة الضحى
اذا بعدت كانت يتيمة جوهر ... وان قربت لاحت كساهرة القرى
حدائق يسري نفحها ذات بهجة ... تحيط بمنثور القصور على الربى

وارض يشع النور من جنباتها ... وكيف يشع النور من باطن الثرى
وطير عجيب ما تسير بأرجل ... وناس عجيب ما يسيرون في الفضا
نظرتهم لا يهرمون لحادث ... فما وقعت عيناي الا على فتى
جسوم من الانوار حشو اهابها ... مضاء ، وفي اجلادها مجمع القوى
وعذب لسان ان سمعت حديثهم ... وان هو لم يقرن بسيدة اللغى
وعارضني منهم على السير صاحب ... فصافح في جم التأدب واحتفى
وقال: نزلت النجم أهلا ومرحبا.. ... فقلت: نزلت النجم..والويلان هوى
تناثر في الاكوان كل شظية ... وتهوي على الاجرام مشبوبة اللظى
وتذرع اميال الفضاء كانها ... قصور تهاوى ، لا تقر على الهوا
ولو ان اخراها على الارض لم أكن ... لاحفل ما دامت لي الارض منتهى
ولكنه قبر الفضاء .. فضيعة ... لمنتشر الاشلاء في قبة السما

ولو استمر الخيال في هذه القصيدة ، لجاء منها بالعجب العجاب .. ويكفي ان ننظر بعين النقد الى موضع او موضعين في هذه الابيات .. فالبيت الذي يقول :

وطير عجيب ما تسير بأرجل ... وناس عجيب ما يسيرون في الفضاء

يشير تماما الى فكرة « الوجود العكسي » التي سبق شرحها بتفصيل في المقال السابق .. واما البيت الذي يليه ، وهو :

نظرتهم لا يهرمون لحادث ... فما وقعت عيناي الا على فتى

فانه يشير الى نظرية علمية دقيقة اثبتها اطلاق الانسان الى القمر ، في المراكب القمرية اخيرا .. فقد ثبت من التجارب العلمية ، ان جسم الانسان يزداد مناعة كلما انطلق في طبقات الهواء العليا ، وتخلص من الغلاف الجوي المحيط بالارض .. وهي فكرة نجدها في الكتب السماوية ، حين تتحدث عن دخول البشر بعد الحساب الى الجنة او النار « خالدين فيها ابدا » .. فلعل من خصائص الحياة بعيدا عن الارض ان تتخلص فيها الاجسام من الموت ، وتجد من نفسها مناعة ضده ، تحملها على البقاء بقاء دائما خالدا .. واما الحديث عن اللغة العربية بأنها « سيدة اللغى » في هذا العالم الجديد ، عالم النجم ، فهو دفاع عن الفصحى ضد العامية والرطانات التي تعمل على هدم قواعدها الثابتة .. كما ان الاشارة الى « قبر الفضاء » . وتناثر الاشلاء .. يعد وصفا سابقا باكثر من عشرين عاما .. على ما يجري الآن في فضاء الكون البعيد ، لهذه المخترعات الانسانية ، التي تدور في انحائه ، لانجاز الابحاث العلمية ، التي كلفت القيام بها .. حتى اذا ضعفت ، وخارت قواها ، وتحطمت نتيجة تصادم او انهيار ، راحت تتناثر في الفضاء الى غير مستقر تقف عنده شظاياها ..

وكنت قد اقترحت على بعض الاصدقاء ، في شهر يونيه عام ١٩٦٩ التفكير في اعادة اصدار مجلة « أبولو » الشعرية .. ذات التاريخ الحافل .. ثم ذهبت في الشهر التالي – يوليه – الى شاطىء ابي قير بالاسكندرية لقضاء العطلة الصيفية .. وفي ليلة السادس عشر من ذلك الشهر ، اخذت تلح علي رؤيا عجيبة ، تحدثت فيها الى الدكتور ابي شادي .. حتى اذا اقبل الصباح كانت الصحف تحمل انباء وصول اول انسان الى سطح القمر ، وهو الاميركي ارمسترغ .. وربطت في الحال بين رؤيا الليلة الماضية مع محرر ابولو .. وبين وصول مركبة « ابولو ١١ » الى القمر .. فكتبت قصيدة طويلة بعنوان .. « عودة ابولو » .. قلت فيها :

هذي أبولو في السماء.. وصنوها ... في الفكر تطوي شاسع الابعاد
كل الى القمر المضيء جبينه ... ماضي السهام ، محدد الارصاد
ان يرجع العلماء منه بحفنة ... من صلب أحجار ، وفضل رماد
فلكم اتى الشعراء منه بجوهر ... للفكر يبهر خاطر النقاد
واستودع العشاق طي ضميره ... در الدموع ، وراء ليل سهاد
هو صورة الحسناء عند سهومها ... في عطر ورد بالحديقة ناد
وتقلب العذراء في احلامها ... رسم الخيال لها أحب مهاد
سبق الخيال العلم في خطواته ... فجرالزمان .. بابعد الآماد

ثم قلت في ختام القصيدة :

ولتسر من ذكرى أبولو نفحة ... للشعر طاف بها الهزار الشادى
فدكان عيد الشعر يوم صدورها ... ورجوعها عيد من الاعياد
صعدت الى القمر المنير فحلقت ... لتعود منه بأكرم الامجاد
واليوم بالرواد ترجع ، مثلما ... رجعت أبولو العلم .. بالرواد

وهكذا كانت الصلة الاخيرة بين الشاعر .. والقمر!

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

المصادفات

حياتنا الشقاء والعذاب والجنون
وساعة نصادف السراب والفتون
فربما يضمنا طريقنا الحنون
وتلتقي عيوننا ونسدل الجفون
فحولنا الشفاه والانوف والعيون
وكبرياء ظننا ، وخوفنا الظنون
تصافحت أكفنا أصابعا (يعون)
كانه تشابك الورود يا غصون
ولم أقل .. ولم تقل .. وتصرخ الشجون
ونطبع الحديث قبلة على السكون
وعابر حديثنا مغلق الغضون
وتنطوي دقائق كما انطوت سنون
ونعبر المصادفات كيفما يكون
ونطلق الوجوه في الدروب والشئون
نسير مغلقين في السجون كالسجون
عقولنا تقودنا وقلبنا يخون
وينكأ الجراح فالغرام لا يهون

القاهرة — عصام الغزالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدينـة .. الشارع .. الـرقم

هدى أديب



الشارع للتدمير ـ الرقم ، رقم ما
المدينة مقلوعة تسكن فيها اصداء
لاسترجع في احشاء التمرد
هجـير الحادي
يغدو فيه لهاث الماضي
الكواكب تلمس اللفظة
الناس في ازقة ـ الناس في تربة مفتوحة
الرجل لا يريد ان ينهزم ـ لا يعرف الخجل
مـن الموت ابتكر الحرب
رؤوس تطل من الماضي ـ تتشكل من جديد
ستصبح اختلاج ولادة
غرستكم في شتاء الضجر
أرويكم كالظـلام الكسيح
كالرعد في صندوق ترك مفتوحا
انصتوا ـ استمعوا
العامة تنحدر صراخا
الخنادق تطلق شذى من الكبريت المحروق
الجثث لمحة من الارض
تفرش اللحظة للمنتهى
انفض عن ثيابي الاصداء
طحنت الاصـوات
انزل للشر المستطير لينقل الحقد للتثاؤب
رؤوس الاموات تطلع من فوق القبور
ينظرون مرتعبين ـ جاء البعد .. ليحرق شعرهم
أجسادهم مفطاة بالطحين
أجبلهم بالفقـر
يتمتمون ـ بطن المحار هابط بالجوع
ستتمدد علـى الضيـاء
يحصـد العتـم .

ـ ٢ ـ

اني متهمة ، انعلت اطفالا حفاة
في فك ضخم بالشتائم ـ تحجر مفتوحا
الشارع عضو من المستقبل
الرقـم المتـاه
لن تبقى غير معابد ومحاكم
المنازل تلفها شراشف منسدلة
دليل علـى الحداد
ندخل المدينة ـ ندخل الفك
تمددوا على بقايا الاجنحة على الغضب
بين الرعشة والرفة
يحط الطير على الانتظار
ساحط كطير على اكتافهم
بالامس كانوا يتلاقون للصلاة
بالامس اجتمعوا ليبقى كل منهم منعزلا ـ منفردا
اليوم يجتمع الناس في المعابد ـ لن يصلوا
لـن يخشعوا
نحن مدانون ـ نحن متهمون
كنتم ثلاثة تتشبثون بثياب اللحظة
فتحت عيونهم عليكم
كبرتم قبل جنسكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنسهم بقي صغيرا
تمردوا ـ لفتوا انظار من يلمح المشهد
من يساعد اللحظة
مرت السنون ، والاول استمر في بيع المخدرات
الثاني بقي على الرصيف
يحمل للبيع ثراء الراحلين
والثالث سجن لانه كان اقل شراسة
تمسح انفنا باطراف ثيابنا

ـ ٣ ـ

كاغنية يقف الكلام ـ يستمر اللحن
هكذا صمته في القصائد
الشارع ـ حيث الناس ضد العاطفة
الرقم الرغيف
تنتهي البئر ان احسست بالمجهول
من ظهري ياخذون الاشرعة
وجوه الجميع على ظهري
مشبتة مثل حديد ملتو
ماذا يفعل ؟ ماذا اصبح بهم ؟ ماذا جرى لهم ؟
ساتناول من كتفيك هتاف اليتيم
وآخذ من بعد ـ بلمسة افرغت كليا ـ
خنقته على الاشكال المتصاعدة
اللهيب يعود
نبحث بين الابهام والسبابة عن شكل مجوف
يهتز ـ يلتوي
لنفرس فيه حسا متيقظا
اعطي لكل امرأة طفل مكتمل
لكل امرأة على كتفها ـ
امرأة لن يكون هذا لها ـ
ستتمدد كماء في سرير القبلات
الاولاد لن يتاثروا ـ لكن
الاطفال يكبرون مع الضحك
الشر دمار ـ تعرفت على الضحك
عطره استراح على ابخرة المصانع
تركت البذور ، تساق فراشة الى الداخل
ليلعب بها الضوء ـ لتلعب بالبذور
تلتهب ، وتفرزها الآلة
الارض عابسة لن تغتصبها البذور
الارض يابسة لن تفترسها الجذور

ـ ٤ ـ

ملقط يلتقط الجميع
المشعل في يدك
الظلام في عينيك
التعذيب فكر الآخر
الشارع اهتدى بمجهول ما
الرقم قطيع مشلول
بوق يذيع تحويل الافكار
مثل صوت ازميل على طاولة خشب
حيث جسد خفي منح نفسه للتصميم
ملقط عملاق يطاردكم
أحذيتهم على عتبة منازلهم
البيت بسيط
الاحذية للخارج
ويداي ممدودتان فوق المناقل
تبحث عن جمر لا ـ عن وسيلة
تبحث عن رماد لا ـ عن تداعي
طرقات تدار للبحر ـ قطرة
على الطريق نساء تصطاد
الطرقات تهدي للبحر
الاحد ـ يكسر الحجر
أتناولك من الجمود
لاجعل من جسدك اللحظة الآتية
أوتوبيس ينزل راكبا خفيا
يغلق الباب يفتح ثم ـ
امرأة ورجل ربطا من مفصلي يديهما
يؤرجحونهما كالاجراس من الجبل
بين شبكتين مملوءتين بالعقد
من الظهر ، من الصدر ـ ينزفان من ـ
امرأة ورجل أحبا الحقيقة

ـ ٥ ـ

انتظروا ـ هبني شيئا من الزمن
يشعل القش ـ
أجساد تبرم على دولاب التعذيب ـ حركة
يحرقون المرضى لكي لا ينتشر المرض من الحب
المضطهدون كتشنج عضلي ،
مضطهد من الجسد
انتظروا ـ أعطني من اللحظة
توزع اسمي في كل فم
اني المولودة ـ المتوفية ـ المتزوجة ـ
العذراء والوجه الآخر
انهم يتكلمون عني
ينبغي لكم ان تبقوا دون اسم
من أراد التعرف عليكم
كان في لحظة فزع
انتظروا ـ هبني
لونا أصهب كنجمة بحر
يتغلغل شيئا فشيئا
قبل كل عزلة كتبت :
ممنوع الدخول ـ كتبت
على الحرية بعد كل انقباض كتبت
أعيدوا ـ أعيدوا ـ أعيدوا
لتنتفخ الكرة المستردة
انتظروا ـ فترة
ستقدم من تحويلين
توقف عند قدمك ـ ميعادا
سأجعل من يبحث عنك عاجزا
وأسرق ما أعطيك
كان الشارع للتحرير
الرقم ينتفض

هدى أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتورة ثريا ملحس

اما الكلمة فباقية

بقلم الدكتورة ثريا ملحس

* * *

ايها السيدات والسادة ، تشدنا في هذا الحفل الكريم الكلمة ، والكلمة تقرب بيننا المسافات الشاسعة ، تذيب الحدود الطبيعية ، تحطم السدود المصطنعة ، فتبدو قريبة بشخصها حتى لو اضحى صاحبها بين الاموات . ففقيدنا الاديب غائب بجسمه ، حاضر بروحه ، غائب بلحمه ودمه ، حاضر بلسانه وفؤاده : .

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

عندما يتدفق الفكر ، يخرج من قمقمه متوهجا ، يحط رحاله في الكلمة ، والكلمة تبقى وراءنا ، تخلدنا ، تنطق بنا ، تتحدث عنا ، تربط بيننا وبين خالقنا العظيم ، بيننا وبين الاخرين ، بيننا وبين المجهول ، بيننا وبين الموت ، فتنتصر على الموت لانها بعده باقية خالدة .

تشدنا الكلمة ، فينشد بعضنا الى بعض حاضرين كنا ام غائبين ، احياء كنا ام امواتا ، تبعث ما في القبور في احسن ذكرى ، في اصفى وانقى ما يكون التجريد لهذه الدنيا الفانية ، تتدفق حياة لانها غنية بشحنات من الخبرة الروحية ، باشعاع يخترق الرؤى ، والرؤى مؤلفات الفكر ، والفكر هو القلب والعقل والضمير والباطن مجتمعة معا ..

انا معكم بكلمتي ، اشارككم احياء ذكرى عزيزة علينا جميعا ، ذكرى الكلمة في احسنها واصفاها وانقاها . انتقل احد الذين يعرفونها مجتازا الدنيا الفانية الى اخرة الانسان الباقية . ذهب منه صورة اللحم والدم لتبقى معنا كلمته التي من اجلها سعى ، ولهث ، غدا وراح لتكون صادقة ، مخلصة ، وفية . رحم الله اصحاب الكلمة من الفنانين والادباء والعلماء والقادة ، وكل من التزم باحثا عن الانسان الصغير بصورته ، العظيم بكلمته ، الزائل بصورته ، الخالد بكلمته ، تلك الكلمة التي تربط بين هؤلاء الذين دعاهم جبران ابناء الكآبة ، القلقين ابدا ، العاملين الساعين الى الخير دائما ، « فالعلم » كما يقول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم « والمتعلم شريكان في الخير ، وسائر الناس لا خير فيهم » .

يقوم ، ايها السيدات والسادة ، نزاع ابدي بين الصورة اي صورة اللحم والدم ، وجوهرها اي الكلمة . وهذا النزاع يحتد ويشتد لدى « ابناء الكآبة » ، الملتزمين الذين يتحدون الفناء ، فيتركون وراءهم اثارا تخلد ذكراهم بعد انهيار الصورة ، وتبقى الذكرى كلمة تعزي الاهل والابناء والاوطان ، فتتناقلها الاجيال جيلا غب جيل ... تتجدد الذكرى كلما بعثت الكلمة .

فقيدنا الاديب كان احد « ابناء الكآبة » ، ملتزما بالصدق والوفاء والمروءة ، ملتزما بالسعي وراء الكلمة ، كانه موكل بفضاء الله يقطعه من اجلها ، يسافر من مكان الى مكان . وقد امتاز بجمع الاخبار من مظانها برا منه ان يبقى حلقة متسلسلة ، وصلة وثيقة بين اجدادنا العلماء الكادحين الصابرين الذين كانوا يبحثون عن العلم بالغدو والرواح ، وبيننا نحن الذين لا نزال في صورة اللحم والدم . ان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد فضل « الغدو والرواح » في تعلم العلم فقال انهما « افضل عند الله من الجهاد في سبيل الله » ... وان الفقيد الذي عرفناه بلقبه « البدوي الملثم » قد اراد ان يبقى مخلصا لحضارتنا العريقة في علومها وفي طرائقها ، فتابع ما كان يفعله علماؤنا منذ مطلع العصر العباسي في تدوين اخبار الادباء والعلماء واللغويين والفلاسفة والاطباء ، بل جميع اصحاب الفكر الذين اقسموا على خدمة الخالق والكون والانسان .

فان كان ابن سلام اقدم من جمع اخبار الشعراء ودونها في طبقاته ، واول من اشار الى صدق الرواية بالبحث والتحليل والتعليل ، « فالبدوي الملثم » هو سليل اجدادنا الكادحين المكافحين ، الذين كانوا يسافرون ويتنقلون ، يروحون ويجيئون لجمع الخبر الصحيح الصادق ، والسيرة الادبية المتكاملة من افواه اصحابها

● القيت في الحفل التابيني للبدوي الملثم الذي اقيم على مدرج الجامعة الاردنية في عمان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكة

●

رددي ، بعدي ، حكايات السنين ... واسمعي منها ابتهال الاقدمين
صلوات ... ما أشعت خمسها ... في الدنى ، الا بنجوى الملهمين
مكة الله ... حباها نوره ... فزهت بالمصطفى للعالمين
سمت الرؤيا بها وانطلقت ... عربيا صوتها للمؤمنين
أنزل القرآن يا فوح المنى ... عتق الشجو فأحيى الصابرين
مكة ... كرمها الباري فما ... بعدها في عزه ، أرض لدين
حجت الدنيا الى أفيائها ... تغرف الرحمة لمسا ... أو حنين
طوف الايمان في البيت وما ... للصدى الا نداء الخاشعين
والامام استوت التقوى له ... فارتوى العيد ببث المحرمين
يغسل الكعبة بالطهر وقد ... تمتم الداعون وانهل اليقين
آمني يا نفس هذي رعشة ... قد أتاها وعدها بالمهتدين
رجعي في الوحي آيات الهدى ... وأعيدي صلوات العابدين

جورج رجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحياء ، او من افواه اهل الموتى وقبيلتهم واصدقائهم . كفى فقيدنا جهادا في حياته ليكون العالم والمتعلم ، الراوية والمدون ، المسافر والمقيم ، متحليا بالوقار والتواضع والصدق والمحبة والوفاء في كل حين .

ايها السيدات والسادة ، لا شك في انكم سمعتم الكثير عن سيرة الفقيد ، عن مؤلفاته ، عن مكافحته في جمع اخبار الادباء والعلماء ، عن انصاف المعروفين منهم وغير المعروفين . بموضوعية دون تمييز ، او تقليل من قيمة اي فرد ، كصفة العالم العدل الذي يعشق العلم والمعرفة ، فكان بذلك الراوية والمدون لسير هؤلاء الادباء والعلماء ، من ادباء المهجر الى بعض ادباء الاردن ، الى ادباء فلسطين وعلمائهم .

اما العمل الاخير اي موسوعة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » فقام به عن قصد ، اراد ان يقول ما لم تستطع ان تقوله السياسة . اراد ان يجمع اشتات رجال الفكر الفلسطيني ، ان يلمهم بالكلمة ، ان يشاطرهم نكبتهم . فعندما فشلت السياسة في جمعهم من كل واد وسهل وجبل ، نجحت الكلمة في جمعهم واحدا واحدا في موسوعة ضخمة ، من اقدم العصور حتى هذا العصر . نتمنى ان يتابع ابناؤنا بمثل تجرد « البدوي الملثم » وجهده الذي لا يعرف الكلل ولا الملل فيجمع دائما الادباء والعلماء الفلسطينيين بقوة الكلمة ، ويواصل جهادها ، بعد ان خانتنا سواعدنا ، وخذلنا السلاح .

هذا فضل يقره للفقيد الاديب الاردني ، رحمه الله ، جميع زملائه الادباء والعلماء الذين اشتركوا معه في الكلمة وفي الجهاد امثال البير اديب، محمد اديب العامري، عيسى الناعوري ، محمد العدناني ، محمد عبد الغني حسن ، اكرم زعيتر ، وديع فلسطين ، فوزي عطوي ، وجميع من كتب عنه او تحدث عنه في هذا اللقاء ، لقاء الكلمة التي خلدته ، فبدا حيا بيننا بفضائله ، ومكارم اخلاقه ، وعلمه ، ودأبه على طلب المعرفة ، وتكبد مشاقها ، والصبر عليها . اما فضله الاخر الذي اجمع عليه هؤلاء الزملاء فوفاؤه للعائلة ، للوطن وللاصدقاء .

لقد رحل الجسد اما الكلمة فباقية .

ثريا ملحس



وديـع فلسطين

يعقوب العودات : اديب المبادىء

بقلم وديـع فلسطين

* * *

حي البداوة التي مـن اشرف شرفائها هـذا البدوي الاصيل . وانزع لثامه ، لان محامد البدوي الملثم لم يعد يحجبها لثام مهما يكن كثيفا .

والمقيم لحياة يعقوب العودات لا يسعه ، في معرض الرثاء ، الا ان ينظر في حياتـه ومقومات شخصيته ، لان النظر في آثاره ودراساته يتسع مجالـيه في غير مناسبة البكاء والتأبين ، وما أشقها مناسبة على صديق يحسب للبدوي الملثم من اصدقاء عمره الخلصاء .

أجل ، لقد كان يعقوب العودات رجـل مبادىء ، استمد بعضها من مناقب البداوة ، واستخلص بعضها الآخر من رسالات الانبياء ، وزاد عليها ما اصطنعه لنفسه من تجاربه وتجارب الانسانيين العظام في التاريخ .

واول مبدأ استقر عليه العودات من اكثر من ثلاثين سنة ، هو اختياره القيم الباقيات ، ولهذا اختار الادب لانه الابقى والاخلد والانفع والاجدى ، فهـو يجمع ولا يفرق ، ويعلم ولا يجهل ، ويرشد ولا يضلل ، ويرفع ولا يحط ، ويضيء السبيل ولا يطفيء شموعه . فالادب هو جامعته الكبرى التي آثرها واصطفاها وقضى عمره كلـه بين ساحاتها ، وكان دخوله اليها عصاميا ، كما كـان اعتصامه بها من صميم العقيدة ، وكان التزامه بمقاييسها الخلقية والعلمية التزاما رسوليا ، وكان دأبه ووكـده في هذه الجامعة ان ينصف حين يشيع الجحود ، وان يسرف في الحب حين تموج الدنيا بغير الحب ، وان يسعى سعي المجد فلا تقعد به وسيلة عن نيـل مرامه . فهو الاديب المكثر في غير اسفاف ، المثابر في غير كلل ، الواعظ وان جفاه السامعون ، الراكض وراء الحقيقة ركض الباحث الامين . وكم اتعب خلانه ـ وانا منهم ـ في سبيل سد ثغـرة او تحقيق واقعة او استيفاء خبر او استجلاء جانب مـن جوانب بحث ، فلا يقبل منهم عذرا او تعلـة ، ولا يكف عنهم الحاحه بأسلوبه الودود المرح ، حتى ينال بغيتـه ، وما بغيته الا وجه الادب .

لقد كان العودات اديبا معمدا بالادب مكرسا لـه ، وكان به مشغوفا هواية ورسالة ، وجهادا وكفاحا ، فملأ الدنيا بأدبه ، وشغل الناس بصداقاته ، ثـم عاجلهم ففجعهم بموته الصاعق وهو بعد مرتجى .

وثاني مبدأ اتخذه البدوي الملثـم لنفسه هـو ان يغربل كل شيء بغربـال اخلاقي كبير دقيق العيـون ، لا يتحصل منه الا الخير المصفى . ومن ثم ترك كل عناية بالعيوب والمثالب ، وانصرف الى حصر كل معنى كريم ، يبرزه ويجليه ويبشر به . ورسائله الى ولده خالد فيهـا شيء من فلسفته في الحب والايثار والتفاؤل والفضيلـة والخير والصرامة الخلقية والامانة والشرف وكل ما جـاء به فلاسفة الاخلاق والرسل ، وكل ما استقر في مواثيق الحضارة من مباديء انسانية كريمة .

فهو دائم التحريض على الخير ، دائم النهي عـن المقابح ، وما اكثر ما داعبته بسخريتي مـن « وعظـه المنبري » ، فما كان يستقبل هـذه السخرية المازحة الا برصيد مضاعف من هذه المواعظ المسوقة مـن فـوق منبره الرفيع .

ولدى صدور رسائله الى ولده ، قرأت نقدا لـه لاذعا جارحا في جريدة ممـا كنت أطالعـه في مهجري السحيق ، ولمست الظلم المفحش في عباراتـه والتحامل الشديد في الفاظه بل التجريح المفـزع في شخص البدوي الملثم ، مما استفزني وأثار غضبي وشجونـي . فأرسلت اليه هذا الكلام على علاته ، ونصحته بأن يرد للناقد الصاع صاعين ، وحسبت ان البريد في رجوعه يوافيني بـرد ناري مزلزل على هذا الكلام الجائـر للناقد المتحامل . ولشد دهشتي ، لم يوافني بريـد العودات الا بعبـارة واحدة : « القافلة تسير والكلاب تنبح . فلا تلتفت الـى هذا السخف . ومعجمي خال مـن الفاظ السباب أنازل بها بطل السباب ! » .

لقد كان العودات يعرف ان للمجادلات الادبية سننا اخلاقية تراعى ، فان انعدمت الاخـلاق ، فمن العبث

● القيت في حفل تأبين البدوي الملثم يعقوب العودات الذي اقيـم على مدرج الجامعة الاردنية في عمان .

العابث التذرع بالمنطق والحجة والرأي السديد رجاء الاقناع والافحام .

ومهما حاول المترصدون للاخطاء المتسقطون للعيوب ان يمسكوا على العودات شيئا ، فلن يمسكوه بخطأ اخلاقي ، لان الادب في عرفه اوله اخلاق وآخره آداب ، ولا غير .

وثالث المبادىء التي استعصم بها البدوي الملثم في حياته الادبية العامة ، هو مبدأ الوفاء الذي تراءى في كل آثاره الادبية المنشورة والمعدة للنشر . فهو وفي لامته ، يتابع تاريخ اعلامها مغربا ومشرقا ، مهجرا ومنفى . وهو وفي لاصدقائه يلبسهم الطيالس والقلانس الزاهيات فتنزل على البعض منهم فضفاضة مترهلة . وهو وفي للاحياء والاموات في آن ، فان فاته واجب الوفاء والناس بعد في قيد الحياة ، انصفهم وهم في الارماس . وان اهمل انصافهم وهم في مواقع السراوة والجاه ، انصفهم وهم بعيدون عن الاضواء . فالانصاف مذهبه ، والوفاء مبدأه ، ومن جمع بين الانصاف والوفاء ، فقد آتى الادب خيرا وفيرا .

وحسبه وهو الوفي الصدوق انه جمع في ندوة عشرائه المكاتبين مئات من حملة الاقلام في كل فج من فجاج الضاد ، يواصلهم بموداته ، وينصفهم بمراقمه ، ويشاركهم مشاركة فعلية ذاتية في تجارب الحياة التي يبلونها . فأجمع الناس على محبته ، ومحضوه موداتهم ، وهم اليوم ثكالى من بعده ، لان الوفاء عبء ينوء بحمله النفعيون في دنيانا المعاصرة التي غلبت عليها فظاظة المادة ، وغادرتها — او كادت — شفافية الروح .

والمبدأ الرابع الذي دان به يعقوب العودات هو ايمانه بان دنيا الضاد واحدة في مشارقها ومغاربها ، واسرتها وثيقة الوشائج وان تباعدت مفرداتها . ولهذا عني منذ باكورة عمره بالكتابة عن الناطقين بالضاد ، جامعا اخبارهم وسيرهم من كل مغترب قذيف ، متنقلا بنفسه بين حواضرهم وبواديهم ومرابض هجرتهم ، مستنبطا آنا ، مستنطقا التاريخ آنا ، ناقلا بالعيان والمشاهدة ما لا ينقل بالرواية والسماع . فهو يكتب عن المهجر وكأن نزلاءه جميعا نبت ارض عربية واحدة . وهو يكتب عن مؤرخ الكويت وعن شعراء فلسطين واعلامها ، وعن علامة لبنان المجمعي ، وعن اريحي حلب ، وعن الشابي التونسي ، وعن ديك الجن الحمصي ، وعن مي وشعشاعة وفوزي المعلوف شاعر الطيارة .

فالعروبة عند البدوي الملثم عروبة متصلة الوشائج ، لا تقوم بينها حواجز الا بالوهم ، ولا تباعد بينها الا اسباب عارضة تتبخر لو ترك امرها للادب والادباء ورجال الفكر والمفكرين . فوحدة الفكر والجنان ، ووحدة الضاد واللسان ، ووحدة العقل والوجدان ، ماثلة من عقود من الزمان وعقود ، وهي ابقى وحدة ، وانقى رابطة . ولهذا عاش البدوي الملثم لاهثا بين اقطار للضاد توزعت ، واعلام للبيان ترامت ديارها ، وآثار للادب تولاها الشتات بل الضياع ، فلا يضنيه هذا اللهاث ، بل يزيده عزما وعزيمة وهمة لا خمود لها ولا جمود .

ان يعقوب العودات الذي تمثلت في حياته الخصبة المباركة هذه المثليات والمباديء والقيم ، يقتضينا — وقد اغمضت عيناه في الكفن — ان نرد له بعض فضله المذخور ، ونكافئه لا بطي كتابه ، بل بنشره على اوسع ملأ غفير . فالضاد التي خدمها بأمانة وشرف وتضحية كل عمره ، لا يؤودها ان تخرج له اسفاره ومصنفاته التي انكب على تسطيرها ، وتلهف على اخراجها ، ومزج مدادها بمداد قلبه لا قلمه .

فلا لثام بعد اليوم يحجب عنا آثار يعقوب العودات وتراثه ، بل لقد حان الحين لكي تعلن هذه الآثار البواقي في شرفات المكتبات ، وتعرض بين مفاخر الكتب عرضا كريما يليق بالرسالة الادبية القدسية التي حمل لواءها صديقنا الراحل ، بعناد لا يؤتاه الا المؤمنون الصابرون الراضون .

لقد آن الاوان لنكون بررة بهذا الابن الابر لام اللغات .

القاهرة — وديع فلسطين

اغنية حزينة

●

الصمت تمدد في اقبية الخوف
فرأيت
جناحي اغنيتي المكسورة في القاع
يقتتلان
ورأيت الظل المشطور بحد السيف
يتقهقر منهزما
نحو الصيف المقهور الاحرف والكلمات
ووجدت ربيعي .. طللا ..
يبكي حبا مات !

القاهرة — حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زلطه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم فتحي الابياري



وتراجع الناس الكسالى بوجوههم الى الوراء قليلا ، خشية ان يصابوا برذاذ اللهب المتكرر المنبعث من فم ذلك الرجل العاري الصدر وهو يقدم الاعيبه البطولية امامهم وكان الرجل يقوم بعدة حركات بهلوانية ، ويرتمي على الزجاج المهشم ، ويجعل احد المارة يقف على بطنه ، ويصرخ في الذين تسمروا في الكراسي امامه .. على القهوة ليشاهدوا براعته ، وتضايق الرجل لانشغال الكثيرين عنه ، فترك تلك الالعاب العادية وملأ فمه بقليل من (الكيروسين) واشعل عدة الشغل ، وبكل ما في صدره من مرارة ، أطلق رذاذ الكيروسين من فمه على عدة الشغل المشتعلة فاحدثت ذلك اللهيب ، وتنبه بعض الكسالى ، ولكن احدهم قال له : حاسب يا عم تحرقنا .

وبصوت متحشرج رد عليه الرجل العاري الصدر :

ـ سليمة يا بيه ان شاء الله .

وراح يكرر المحاولة مرة تلو الاخرى بينما كانت السيارات والعربات وسيارات الاتوبيس .. تمر من جانبه مسرعة ، والمارة يتأففون من الرجل لانه يسد جزءا من الطريق المزدحم . والشمس تسقط أشعتها الحارقة فوق رؤوس الناس ، فتذيب من نفوسهم قطرات الصبر . وميدان المنشية ، مشتعل بالحركة والناس والسيارات ، وبلهيب مرارة الرجل العاري الصدر وصاح بعد انتهائه من لعبة النار .

ـ شوف يا حضرة انت وهو .. لعبة الزمان .. لعبة عم زلطة ..

وانحنى الرجل الذي جاوز الخمسين ـ وان كان يتمتع باطلال قوة شبابه ـ ومد يده الى جوال قديم ، واخرج بعض قطع الزلط الكبيرة ، وقذف بها الى الارض قائلا للناس الجالسين امامه على القهوة :

ـ شوف يا حضرة .. اختار اي زلطة تعجبك .. وانا أكسرها بايدي .. أرميها يمكن تكون مكسورة ..

وعندئذ التفت الى الرجل شابان كانا يلعبان الطاولة منذ مدة . وقال احدهما للآخر :

ـ لا فائدة .. من يستطيع كسر الزلطة .. هل ترى ماذا سيفعل ؟.

وقال زميله : لا أعرف يا خبير .

ـ سيقوم بعملية نصب .. سيمر على كل واحد في القهوة ويطلب منه قرشا .. ويلم الزلط .. ويرحل ..

ـ أنها وسيلة لاكل عيشه .

ـ ماذا فعل ؟

ـ انظر اليه .. لترى ..

العرق يسبح على صدره العاري .. وفتات الزجاج المهشم ملتصق بظهره .. والكيروسين يسيح من فمه ..

ـ بهلوان .. دعنا منه .. ألعب .. وارم الزهر ..

ـ دبش ..

وصاح الرجل ، وهو يمسك بزلطة كبيرة :

ـ شوفوا يا حضرات .. لما اكسر الزلطة بأيدي ..

وارتكن الرجل على ركبته اليسرى فوق الارض ، ووضع الزلطة امامه وقبض عليها بأصابع يده اليسرى ورفع قبضة يده اليمنى ثم هوى بها بشدة فوق الزلطة .. فارتطم الكف بالزلطة .. ولم يحدث أي شيء .. وصاح الرجل :

ـ يا قوي ..

واعاد الرجل المحاولة مرة ثانية ولم يحدث أي شيء ، بينما صاح أحد الجالسين على القهوة ، عندما شاهد امرأة (متختخة) تتمخطر امامه في الطريق المزدحم ..

ـ يا ارض احفظي ما عليك ..

ـ يا قوي ..

ولكن الرجل ، كان يعيد محاولاته لكسر الزلطة التي لم تتأثر بتلك الضربات اللينة ، وصاح الرجل ، وهو ينظر الى عيون رواد القهوة المبحلقة في الزلطة ، لترى ماذا سيفعل .

ـ قالوا لي ايه اللي رماك ع المر .. قلت اللي أمر منه .. يا كريم يا رب ..

ورفع يده هذه المرة ، وهوى بها بشدة فوق الزلطة ، التي لم يحدث لها أي شيء ، بينما تاهت نامة الم صدرت من فمه في تلك الصيحة التي أطلقها احد الشابين قائلا لزميله :

ـ دوسه يا حلو .. حبستك في خانة اليك ..

ونظر الى الرجل ، وهو يرفع قبضة يده ، ويهوي بها فوق الزلطة وارتعشت العيون المبحلقة ، وهي ترى قبضة الرجل الطرية ، وكأنها تئن في كل مرة . بينما تساقطت بعض قطرات من العرق على الارض من جبهة الرجل ، بجوار الزلطة وقال الشاب لزميله :

ـ انظر .. ان أكل العيش مر .. العرق يتساقط من جبهة الرجل .. والزلطة لا تنكسر .

فقال له زميله :

ـ عبيط .. انها حركات يا ساذج ..

ـ كل هذا من أجل قرش ..

ـ قرش من هنا .. وقرش من

الى اخي يعقوب الموداني

القيت في حفل تابين الفقيد الذي اقيم في عمان

ما كنت احسب ان اقول رثاءك ... بل كنت أرجو ان اكون فداءك
لكن سبقت وكنت دوما سابقا ... تمشي فيمشي المعجبون وراءك
أصغي اليك فلا أفوز بلفظة ... كم كنت أطرب ان سمعت نداءك
جاريت معنا في السخاء وربما ... لم يعط معن سائليه عطاءك
حملت أعباء الحياة وفي الثرى ... ألقيت يا خدن العلى أعباءك
يا خير من حفظ الوداد وصانه ... حق علينا ان نصون ولاءك
علمتني معنى الوفاء فصنته ... ونظمت من ذوب الفؤاد رثاءك
قد كنت شمسا ثم غبت وانما ... في كل خير نستشف ضياءك
خلعت يداك على العصاة مطارفا ... والله قد جعل الخلود رداءك
هذي أزاهير الرياض جميعها ... قطفت لتمسي في الضريح غطاءك
فرحت لمقدمك السماء وهللت ... فادخل لتلقى في السماء جزاءك

حلب

عبد الله يوركي حلاق
صاحب مجلة الضاد ورئيس تحريرها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك .. والحصيلة آخر النهار .. احسن من كل مرتبك في آخر الشهر .

ـ حرام عليك .. بذمتك هذا الرجل البلهواني كما تسميه .. أليس أفضل من رئيس السكرتارية في شركتنا .. انه لا يفعل شيئا اكثر من شرب القهوة واستقبال الضيوف .. انظر الى الرجل البهلواني .

وفي تلك اللحظة سقطت قبضة الرجل بعنف فوق الزلطة .. فتطايرت شظية رفيعة منها .. وصاح بعض الصبية الملتفين حول الرجل ، بينما بدأ الارتياح في العيون المبحلقة . ومسح الرجل قطرات العرق . وارتسمت على عينيه لمحة من الطمأنينة بعد ان انتابه القلق . وصاح وهو يحاول ضرب الزلطة بقبضته :

ـ صلوا على النبي يا حضرات . كل واحد يصلي على النبي المختار .. يا قوي ..

وانهال الرجل على الزلطة بعدة ضربات سريعة ، فانفلقت الى نصفين وصاح الصبية مهللين . وقام الرجل ليجمع القروش من العيون المبحلقة . وسرعان ما تحولت العيون الى اتجاهات اخرى . وكأنها لم تشاهد شيئا . وطاف الرجل بالذين تسمروا فوق الكراسي وهو يردد كلمة :

ـ يا كريم .. صلوا على النبي

واقترب من الشابين ، فوضع احدهم قرشا في راحة الرجل الذي قال له :

ـ ربنا يسترها معاك يا بيه . وابتعد . بينما قال زميله :

ـ عبيط والله .. تدفع مليما لهذا الرجل ..

ـ ما اكثر الدجالين .. الذين لا يفعلون شيئا ..

ـ طيب العب .. ولا داعي للكلام الفارغ ..

واقترب القهوجي من الرجل الذي كان ينظر الى القروش القليلة القابعة في راحة يده . وقال :

ـ شيل كراكيبك يا عم .. خلينا نعرف نشتغل .. وسع السكة .. وصاح بأعلى صوته :

ـ واحد شيشة .. واثنين قهوة ع الريحة .. وواحد ينسون .. ووضبه .. أيوه جاي ..

ورد الرجل وهو يستر صدره العاري بقميص مهلهل ، ويلم عدة الشغل .

ـ ربنا يسترها معاك يا بني .

وحمل كل شيء .. ونظر الى الارض فوجد الزلطة المكسورة .. فركلها برجله . ثم سار . وهو يتمتم يا كريم .

القاهرة

فتحي الابياري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

أجوبة مغلوطة

ويخطئون الذين يقولون : كانت اجابات الطلاب مغلوطة . ويقولون بأن الصواب : كانت اجاباتهم مغلوطا فيها ، لان الفعل (غلط) لازم لايتعدى بنفسه ، فلا يقال : غلط الشيء (بفتح الهمزة) ، بل غلط في الشيء.

وقد جاء في مستدرك التاج :

كتاب مغلوط = قد غلط فيه ، وكذلك حساب مغلوط .

فقطعت جهيزة قول كل خطيب .

(هذا مثل ، أصله ان قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين ، قتل احدهما من الآخر قتيلا ، ويسألون ان يرضى أهل القتيل بالدية. فبيناهم في ذلك ، اذ جاءت أمة ، اسمها جهيزة ، فقالت : ان القاتل قد ظفر به احد اقرباء القتيل فقتله . فقالوا عند ذلك : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، أي : لم يبق مجال للكلام) .

نموذجات من حرف الفاء

فتحة في الجدار

ويقولون : وجدنا في الجدار فتحة (بفتح فسكون) . والصواب : وجدنا فتحة (بضم فسكون) ، أو فرجة ، او ثغرة ، او ثلمة (بضم فسكون فيها جميعا) في الجدار . والفتحة (بضم فسكون) ايضا : ما يتطاول به من مال أو أدب .

الفجلة

ويقولون : أكل فجلة (بكسر فسكون) . والصواب : أكل فجلة (بضم فسكون) ، او فجلة (بضم فضم) . والجمع : فجل (بضم فسكون) وفجل (بضم فضم) .

والفجل : هو النبت الذي تؤكل اورمته ، وله لحم أبيض وقشر أحمر او ابيض . وورقه عريض جيد لوجع المفاصل واليرقان . ويقول ابن دريد بأن الفجل ليس بعربي صحيح .

فخذه الايسر

ويقولون : أصيب فخذه (بفتح فسكون) الايسر . والصواب : اصيبت فخذه (بفتح فكسر ، وهي الافصح) اليسرى ، او فخذه (بفتح فسكون) ، او فخذه (بكسر فسكون) وزاد الزركشي محمد بن بهادر في شرح البخاري كلمة فخذ (بكسر فكسر) .

أما جمع فخذ فهو : أفخاذ . وكلمة (فخذ) مؤنثة ، الا اذا كانت تعني احدى فصائل البطن في العشيرة ، فهي (مذكرة) .

الفاخوري

ويسمون صانع الفخار (بفتح الفاء وتضعيف الخاء) وبائعه بالفاخوري. والصواب : الفخاري (بفتح فتضعيف) . والفخار هو : الخزف .

أما الفاخوري فهو بائع الفاخور ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل: ضرب من الرياحين ، يسميه أهل البصرة ريحان الشيوخ ، ويزعم اطباؤهم أنه يقطع السبات .

تفرج عليه

ويقولون : تفرج (بفتح ففتح فتضعيف) عليه . والصواب : نظر اليه، او شاهده ، لان معنى : تفرج الغم : تكشف . ومثله : انفرج الغم .

بفارغ صبر

ويقولون : انتظره بفارغ صبر . وهذا تركيب تركي لا يزال دائرا على السنتنا من العهد العثماني . والصواب : انتظره بصبر نافد . راجع الآية ١١ من سورة الكهف .

اما قوله تعالى في الآية ٢٤٩ من سورة البقرة : « قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا » ، فمعناه : أنزل علينا صبرا ، أو : صب في نفوسنا الصبر .

فشل

ويخطئون من يقول : فشل فلان في الامتحان . ويقولون ان الصواب هو أخفق فلان في الامتحان ، او : خاب فيه ، لان الفعل فشل (بكسر الشين) معناه : فزع وجبن وضعف وكسل . فهو فشل (بفتح فسكون) وفشل (بفتح فكسر) وفشيل . وفعله : فشل (بفتح فكسر) يفشل (بفتح الشين) فشلا (بفتح الشين) .

واجاز التاج في مستدركه : فشل (بفتح الشين) يفشل (بضمها) وفشل (بفتح الشين) يفشل (بكسرها) .

أما فشل (بكسر الشين) عنه ، فمعناه : نكل عنه ، ولم يمضه. راجع الآية ٤٧ من سورة « الانفال » . ولكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على ان نقول : فشل في عمله : أخفق .

فضلا عن

ويقولون : فلان لا يملك دينارا فضلا عن فلس . والصواب : فلان لا يملك فلسا فضلا عن دينار ، لان كلمة (فضلا) تستعمل في موضع يستبعد فيه الاذى ، الذي يجب ان يأتي قبلها .

لذا تقع (فضلا) بين كلامين متفايري المعنى . واكثر استعمالها بعد نفي ، كما يقول القطب الشيرازي . وعندما نقول : فلان لا يملك كوخا فضلا عن قصر ، نعني أنه لا يملك كوخا ولا قصرا ، وعدم ملكه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للقصر اولى بالانتفاء ، فكأننا قلنا : لا يملك كوخا ، فكيف يملك قصرا؟

قال أبو حيان التوحيدي : « لم اظفر بنص على ان مثل هـذا التركيب من كلام العرب » . ولست ارى بأسا باستعمال هذا التركيب، وان كنت أرى ان قولنا : « لا يملك فلسا بله دينارا » ، أبلغ .

حسن الفعال

ويقولون : فلان حسن الفعال (بكسر الفاء) والصواب : حسن الفعال (بفتح الفاء) . وتطلق الفعال (بفتح الفاء) على الخير والشر ، اذا كان الفاعل واحدا ، فنقول : فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال .

اما اذا لم يكن الفاعل واحدا فاننا نكسر الفاء ، ونقول : هما حسنا الفعال ، وهم حسان الفعال . والفعال (بكسر الفاء) هي :

١ ـ مصدر فاعل ، ٢ ـ خشبة الفأس .

(لا أدري لماذا يخص اللسان المثنى بكسر الفاء ، ويهمل ذكر الجمع ، بينما التاج لا يفعل ذلك) .

وقال ابن بري : « الفعال مفتوح أبدا الا الفعال لخشبة الفأس، فانها مكسورة الفاء » . فعلا . فالمصدر مفتوح الفاء ، والاسم مكسورها .

ونقول : فعل يفعل فعلا .

فقط

ويستعملون (فقط) بعد ادوات الاستثناء والافعال التي تفيد معنى الحصر ، فيقولون : لم يجرح في المعركة الا فدائيان فقط . وما نجا من الاعداء سوى ثلاثة جنود فقط . فزيادة (فقط) هنا حشو لا ضرورة له . والمعنى يستقيم بدونها .

واصل فقط قط (بفتح فسكون) ، وهي اسم فعل بمعنى (انته) ، وتضاف اليه الفاء تزيينا للفظ . فاذا قلنا : سافر مرة فقط ، عنينا : مرة لا غير .

فكر بالرجوع

ويقولون : فكر بالرجوع الى وطنه . والصواب : فكر (بتضعيف الكاف) في الرجوع الى وطنه ، أو : فكر (بفتح الكاف) فيه يفكر (بكسر الكاف) فكرا (بفتح فسكون) او فكرا (بكسر فسكون) . أو : افكر (بفتح فسكون) ، أو : تفكر (بفتح ففتح فتضعيف) .

وقيل الفكر (بفتح فسكون) المصدر ، والفكر (بكسر فسكون) الاسم .

وقد استعمل الفعل (تفكر) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة ، والفعل فكر (بتضعيف الكاف) مرة واحدة .

اما الفعل (افتكر) فهو من استعمال العامة ، مع ان « المعجم الوسيط » قال : افتكر الامر : خطر بباله . في الامر : اعمل عقله فيه . ولكن المعجم لم يذكر بأن مجمع اللغة العربية القاهري وافق على ذلك .

فل من حده

ويقولون : فل من حد السيف ، أي : ثلمه . والصواب : فل حده أو : فلله (بتضعيف اللام الاولى) .

اما فل القوم فمعناه : هزمهم .

رجع فورا

ويقولون : رجع الى وطنه فورا . والصواب : رجع من فوره ، أي : من حركته التي وصل فيها ، ولم يمكث بعدها . وحقيقته ان يصل ما بعد المجيء بما قبله من غير لبث .

والطبرسي (بفتح ففتح فسكون) يقول في المجلد الثاني من مجمع البيان صفحة : ٤٩٨ ، « وقيل الفور : القصد الى الشيء بحدة » .

عم وخالة

قالت ، تجد ، ويا لها من قاله
عماه أنت ، فأرثت بلبابه
واستدركت أن المقال دعابة
زعم ، يناقض صدقه أحواله
خلع الزمان ، على الاصيل، شبيبتي
وكم ارتدى من فجرها سربالـه
ولطالما جررت من أذيالها
صبحا ، وجاذبت الضحى أذياله
ورأيت بادية الغروب مطالعي
فلأهرقن على غد آصاله
وأجبتها : لا يخدعنك ما أرا
ه صبا ، سقى ذوب البهاء جماله
فغدا وليس غد بيوم أبعد
يدعوك موفور الصبا يا خاله
فلأدعونك خالة متيمنا
ولأسبقن على الزمان مقاله
يا ويحه كهلا يقول لكاعب
يا خالتا ، أترى يخادع حاله

دمشق — وحيد العطار

الفوطة

ويسمون ما تمسح به اليد او الوجه فوطة . والصواب : منشفة (بكسر فسكون ففتح) .

والمشوش (بفتح ففضم) في المعاجم كلمة مرادفة لـ (منشفة) . وانا لا أنصح باستعمالها رغم انها فصيحة .

اما كلمة (فوطة) فهي سندية ، وجمعها : فوط (بضم ففتح) .

ويقول التاج : انها مآزر مخططة يشتريها الجمالون والاعراب والخدم .

تفوق عليه

ويقولون : تفوق على اترابه في الامتحان . والصواب : فاق اترابه فوقا (بفتح فسكون) وفواقا (بفتح الفاء) ، أي : علاهم بالشرف وغلبهم وفضلهم .

اما الفعل (تفوق) فمن معانيه :

١ ـ تفوق على قومه : ترفع عليهم .

٢ ـ تفوق الفصيل (ابن الناقة) أمه : رضعها فواقا (بضم الفاء) فواقا . والفواق : ما بين الحلبتين من الوقت .

٣ ـ تفوق فلان ناقته : حلبها بين الحلبتين .

٤ ـ تفوق شرابه : شربه شيئا بعد شيء . وهو مجاز .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني



قسطنطين تيودوري

كيف تسرب الدخيل الى العربية

بقلم قسطنطين تيودوري

* * *

بدات في العصر الاموي ترجمة العلوم الى اللغة العربية ، واول من بدأ حركة الترجمة في ذلك العهد خالد بن يزيد حفيد معاوية الاكبر المتوفي سنة ٧٠٤م . وعندما ازدهرت الحركة الادبية في العصر العباسي ، وخاصة في عهد هرون الرشيد وابنه المأمون ، ترجمت الى العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والكلدانية والمصرية ، كتب الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات والادب والكيمياء والتشريح وغيرها من العلوم ، مما أوجد نهضة علمية وادبية منقطعة النظير في تاريخ اللغة العربية امتدت الى كثير من اقطار آسيا واوربا وافريقيا ، فطرأ بواسطتها تطور على العربية كان من نتائجه وجود لغة علمية تقاس بمعيار المنطق والبرهان العقلي ، كما وضع كثير من مصطلحات العلوم والفنون ، وصيغت كلمات جديدة في جميع العلوم والمعرفة في ذلك العهد .

أثر اختلاط العرب بالشعوب

وابان الفتوحات العربية التي امتدت الى كثير من انحاء العالم ، خالط العرب عددا من الشعوب وتعلموا لغاتها واقتبسوا منها بعض العلوم والفنون ، فنتج عن ذلك اندماج طائفة من كلمات هذه الشعوب في لسان العرب ، خالط العرب السريان وهم في مقدمة الشعوب الارامية في الجاهلية والقرون الاولى للاسلام ، فاقتبسوا منهم مئات الكلمات الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة . ومما يلفت النظر ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة هي ارامية الاصل .

وقد غزا العرب فارس (ايران) سنة ٦٥٢ واستمرت سيادتهم لهذه البلاد العريقة في الثقافة والمدنية نحو ستة قرون ، فأخذوا عنها قسطا كبيرا من تلك المدنية ، واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات . وقد احتلوا اسبانيا سنة ٧١١م ، واستمر حكمهم فيها نحو سبعة قرون . وقد اثرت العربية في اللغة الاسبانية تاثيرا كبيرا ، فقد استمد الاسبان معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ، وقد اخذت اسبانيا وبواسطتها اميركا اللاتينية من العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ، فقد ذكر بعض الباحثين ان المفردات العربية التي دخلت الى اللغة الاسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الاسباني . اما البرتغال فقد فتحوها عام ٧١٤ وظلت سيطرتهم عليها حتى عام ١١٣٩ ، واسفر ذلك عن دخول ثلاثة آلاف كلمة عربية الى اللغة البرتغالية. وقد صنف الاب ساسا باتيسا الذي ولد في دمشق من ابوين عربيين عام ١٧٨٩ قاموسا جمع فيه الكلمات التي اقتبسها البرتغاليون من العربية ، هذه الكلمات التي تغلغلت في البرتغالية الى حد كبير ، والف المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠ – ١٨٨٤) قاموسا خاصا بالكلمات البرتغالية والاسبانية المشتقة من العربية . وقد وضع الراهب جوان دي سوزا المولود في دمشق كتابا بعنوان : « دراسة اشتقاق الكلمات والاسماء البرتغالية من أصل عربي » ، وقد وضع كتابا آخر يقع في ١٠٤ صفحات جمع فيه ٤٠٠ كلمة عربية دخيلة في البرتغالية، وقد طبع هذا الكتاب في ليشبونة سنة ١٩٣٠، قاموسا باسم : « قاموس الالفاظ البرتغالية المشتقة من العربية » وقد نشر منه ثمانية فصول ابتداء من الحرف A الى كلمة Cimitana توقف بعدها عن اصدار الاجزاء الباقية . وقد وضع الاستاذ ميكل نمر البرازيلي وهو من أصل لبناني كتابا بعنوان : « نفوذ اللغات الشرقية في اللغة البرتغالية » وقد نشر الجزء الاول من كتابه في مطلع عام ١٩٤٣ والجزء الثاني في اواخر العام المذكور ، ولم تقتصر دراسة المؤلف على العربية الدخيلة في البرتغالية بل شملت ايضا كلمات شرقية غير عربية ، وقد الف الاستاذ جورج ليان في ريو دي جانيرو عدة كتاب وقواميس برتغالية عربية منها كتاب : « الكلمات العربية في اللغة البرتغالية » جمع فيه ما اقتبسه البرتغاليون عن العرب من الفاظ وتعابير فصحى وعامية ويقع في ٢٠٠ صفحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخول كلمات أجنبية الى اللغة العربية

وابان احتكاك العرب بالصليبيين من محاربين وتجار ، تواترت علاقات فرنسا مع الشرق العربي وخاصة بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٧ ونشر حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ وعلى المغرب الاقصى سنة ١٩١٨ ، ونشأت علاقات تجارية مدة طويلة بين دويلات ايطاليا المستقلة والاقطار العربية ، فدخلت الى اللغة العربية كلمات فرنسية وايطالية لا تزال شائعة الاستعمال في الاوساط التجارية والمالية المختلفة .

ومع ان العرب لم يفتحوا اليونان كما فتحوا غيرها، الا انهم منذ ايام العباسيين أخذوا ينقلون علومهم ومؤلفاتهم من لغتها الاصلية او من ترجمتها السريانية ، وقد قرأ أبو نصر محمد الفارابي (٨٧٣ ـ ٩٥٠) كتب أرسطو ونشرها مع كتب أفلاطون لمعاصريه وشرحها لهم . وبعد نشأة النصرانية استعمل اللغة اليونانية العامية جميع أقطار الشرق الخاضعة لليونان . ولا شك ان مسيحيي سورية ومصر وغيرهما من أقطار الشرق الاوسط التي فتحها العرب والذين ينطقون بالضاد ، قد تأثروا باللغة اليونانية فاقتبسوا منها مئات الكلمات وخاصة عن طريق اللغة السريانية ، كما ان اللغة اليونانية نفسها قد اقتبست الشيء الكثير من العربية ، غير ان هذه المقتبسات اتخذت شكلا يصعب معه ارجاعها الى الاصل الغربي .

وهكذا دخلت الى العربية على مر الزمن كلمات كثيرة من أصل سرياني وفارسي ويوناني ولاتيني وفرنسي وايطالي واسباني وتركي وغير ذلك .

كلمات من أصل سرياني

تاجر ، رفعة (قطعة من الورق) جبار ، جاسوس ، مجلة ، ترعة ، بقعة (قطعة أرض) ، حصن ، حكيم ، أسبوع ، حرب ، رصيف ، روح ، حيوان ، أقنوم ، رحمن (نعت مختص بالله) ، جنة ، خيّاط ، درب ، دير ، أطلس (نسيج حرير رقيق) ، تنور ، اكليل (تاج)، أنبوب ، تلميذ ، حمى ، ريح ، أس (بمعنى أساس) ، أمهات (جمع أم) ، بيت ، ترجم ، حشرة ، دمية ، مروحة ، زمن ، زورق ، زاوية ، زيت ، سفينة ، سجد، ساس ، وكلمات كثيرة غيرها نحسبها عربية الاصل .

كلمات من أصل فارسي

أستاذ ، أوج (بمعنى علو) ، كوز ، ياقوت ، مسك ، قصفة (صفحة) ، فلفل ، عنبر ، دستور ، جوق (جماعة من الناس) ، برهان ، بستان ، ربان ، جهبذ (ناقد ماهر) ، ديباج ، أفيون ، ساذج ، ديباجة (مقدمة الكتاب او نحوه) ، سراب ، سرادق ، بند (فضل او فقرة من كتاب) ، صهريج ، بريد ، جادة (طريق) ، جزية (ضريبة) ، جناح (اثم) ، جوهر ، دفتر ، ديوان، خنجر ، سفنجة (كمبيالة) ، ابريق ، أسطوانة ، بازار (سوق) ، جام (كأس) ، دكان ، سمسار ، عربون ، برطيل ، برنامج ، طازج ، طبق (ما يؤكل عليه) ، طراز، خليج ، درويش ، دولاب ، روزنامة (تقويم) ، خواجه (سيد) ، جمارك ، خذ (حرير) ، جاموس ، بوتقة (وعاء تذاب فيه المعادن) وكلمات غيرها نستعملها كأنها عربية أصيلة .

كلمات عربية مشتقة من أصل يوناني

أسطول ، فردوس ، طقس (بالمعنى الكنسي) ، فلسفة ، موسيقى ، يرقان (اسم مرض) ، برج ، كيمياء ، ميناء ، درهم ، اقليم ، خليفة ، اسطور ، طقم ، قرطاس ، قيراط ، أبرشية ، ابليس ، أثير ، أرثوذكسي ، ازميل ، أنجيل ، أسقف ، ألماس ، اسفنج ، جغرافيا ، بلسم ، تلغراف ، خارطة ، فلس ، قندلفت (خادم الكنيسة) ، آفة ، ارث ، مقلاد (وجمعها مقاليد) ، ارستقراطية وغيرها .

كلمات عربية من أصل لاتيني

اسطبل (اصطبل) ، امبراطور ، بترول ، بركان ، رصيد ، ريف ، بلاط (بمعنى قصر) ، قنصل ، سجل ، فرن ، اكسترا ، دينار ، قنطار ، قميص ، ترانزيت ، مانيفاتورا ، بروتستو ، قلنسوة ، (نوع من ملابس الرأس) ، قيصر ، كردينال ، قفة (سلة (، ميل ، كوب (قدح) ، كوفية (غطاء للرأس) ، جنرال ، قنص ، انكدر (بمعنى انقض) . كل هذه الكلمات مقتبسة من اللاتينية واكثرها اندمج في العربية بواسطة اليونانية او الايطالية .

كلمات من أصل فرنسي

سكرتير ، برلمان ، بروتستانتي، دكتور ، راديو، ماسوني، طن (الف كيلو غرام) ، مليون ، مليار ، مارشال ، باسبورت ، كومسيون ، دزينة ، نوفوتيه ، فرنك ، بورجوازية وغير ذلك .

كلمات من أصل ايطالي

برميل ، بنك ، دوبيا ، بورصة ، كمبيالة ، كونتراتو ، فاتورة ، شوكولاتة ، سيكورتاه ، كمبيو ، صابورة (ما يوضع من الثقل في قعر السفينة لئلا يميل أحد جانبيها) ، قرصان (لصوص البحر) ، بوليصة (البيان ومنه : بوليصة الشحن وبوليصة التأمين) وغيرها من الكلمات . ويلاحظ ان اكثر هذه الكلمات نستعملها اليوم في المصارف وفي معاملاتنا التجارية .

كلمات من أصل اسباني

بطاطا ، تبغ ، ريال ، اندمجت هذه الكلمات في العربية

رأيي ورأيك

لـك مـا ترى بين الخلائق والورى ... ولي الذي مـا لا تدين ولا تـرى
فاذا أصبت فانني بـك معجب ... ولربما شايعت رايك مكبـرا
واذا غويت فقـد تراني معرضا ... عما سلكت مـن الوسائل مدبـرا
لا . لـن اقول بأن رأيك باطـل ... لكننـي قـد لا اراه نـيرا
لا انت تملـك مقـودي فتقودني ... بالرغـم منـي في دروبك صاغرا
كـلا ولا ارضى اقتيادك عنـوة ... مـا شان مثلي أن يقودك مجبـرا
لن اهتدي مـا دمت دوني حجـة ... ولو اعتليت مـن الفصاحة منبـرا
مـا في اتباعي مـا تقـول مهانـة ... الحق اولـى ان يصـان وينشـرا
لا . لا تقـل انـي المصيب تكبـرا ... لا . لا تقـل ان الحقيقة مـا ارى
فلربمـا أدركـت منهـا جانبـا ... ولربمـا اخطـأت حظـا اوفـرا
ولقد تـرى ان الصواب محالفـي ... فتصد حتـى لا يقـال تأثـرا
هل انت في هـذا الوجـود مميز ... هل انت اقدر من سعى فوق الثرى
يـا سيدي قل لـي فاني حائـر ... هـل انت تمتلك الحقائق يا ترى
لا والذي جعـل الحقيقة غايـة ... تسعى علـى اثارهـا متعثـرا
مـا انت الا مثـل غيرك بيننـا ... مـا انت الا واحـد بـين الـورى
فافتـح فؤادك للضيـاء ولا تكـن ... حرج المسالك في امـورك اعسـرا
فلقد فتحت مـع الصباح نوافذي ... للشمس للفجر الذي قـد اسفـرا
ولسوف الثم كـل نـور ساطـع ... واديـن للصبـح الاصيل تأثـرا

الكويت

خليفة الوقيان

بواسطة اللغة التركية .

كلمات من أصل تركي

برق (راية) ، ترسانـة (مستودع الذخائـر وأدوات الحرب) ، قرش (غرش) ، دمغة ، قنبلة ، قنطـان ، برغي ، وجاق (مدفأة) .

اندمجت هذه الالفاظ ومئـات غيرها في العربية ، فزادت ثروتها واصبح من المتعذر التمييز بينها وبـين الالفاظ الاصيلة ، وبهذه الطريقة أغنى العرب في عصورهم المزدهرة العربية بآلاف الالفاظ التي عربوها وجعلوها على صيغ عربية تلائم الذوق العربي ، وقـد اظهروا براعة في التحويل والتعريب حتى صارت الكلمات الاعجمية عربية لا غبار عليها . فهل يخطر ببال أحد ـ غير كبار اللغويين ـ ان كلمة ترعة مقتبسة من السريانية ، وبستان مقتبسـة من الفارسية ، وبرج من اليونانية ، ودينار من اللاتينية، وقنبلة من التركية ، ومليون من الفرنسية ، وبرميل مـن الايطالية ، وحج من العبرية ؟

وهكذا كان اثر الحضارة العباسية القائمة علـى الفارسية والسريانية واليونانية فعالا الى حد جعل اللغة العربية ردحا من الزمن أغنى لغات العالم علوما وآدابا .

قسطنطين تيودوري

سامي هداوي - علي السرطاوي

مبشبل ايطاربوس

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ ســامـــي هـــداوي

ولد « سامي » في بيت المقدس عام ١٩٠٤ وثقف نفسه بنفسه في سائر مراحل دراسته ، والتحق بحكومة فلسطين عام ١٩٢٠ وعين سكرتيرا لمساعد حاكم لواء القدس ثم سكرتيرا لحاكم لـــواء القدس (١٩٢٢ ـ ١٩٢٦) ونقل عام ١٩٢٦ الى دائرة تسوية الاراضي في القدس وعـــين مخمنا للاراضي فمفتشا للتخمين من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٩ وكان مسؤولا عن سياسة الحكومة في تخمين ضرائب الاراضي .

وبعد موافقة مجلس الامة الاردني في ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٤٨ علـــى توحيد ضفتي الاردن تحت التاج الهاشمي عين « ســامـــي » مديـــرا لتحققات الضرائب في الضفة الغربية فرئيسا لقسم الواردات في وزارة المالية بعمان (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢) .

ونظرا لخبرته الواسعة في الاراضي الفلسطينيـــة انتخب خبيرا للاراضي في لجنة التوفيق الدولية التي دعت الى تشكيلها هيئة الامم المتحدة في قرارها الصادر في ٩ كانون الاول ١٩٤٨ وكان ان وقع الاختيار على « اثردج » ممثلا للولايات المتحدة و « يوازنجيه » ممثـلا لفرنسا و « توفيق رشدي اراس » ممثلا لتركيا ومع كل منهم عدد من المعاونين، وعمل « سامي » معها في هيئة الامم المتحدة من عام ١٩٥٢ الى عـــام ١٩٥٥ .

ولالمامه الواسع باللغة الانكليزية ووقوفه الشامل علـــى شؤون اللاجئين الفلسطينيين عين مساعدا لمدير مكتب اللاجئينَ في نيويـــورك فمستشارا للقضية الفلسطينية مع الوفـــد العراقي في هيئـــة الامم المتحدة (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) .

وفي عام ١٩٥٩ عين مديرا لقسم العلاقات العامة في مكتب الاعـلام العربي بنيويورك التابع لجامعة الدول العربيـــة فمستشارا في شؤون فلسطين للوفد اليمني في هيئة الامم المتحدة ، وظل يمارس عمله هـذا حتى عام ١٩٦٠ ، ثم أسس مكتب الاعلام العربـــي في دالس (بولايـة تكساس) من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٤ ثم أعيد الى المكتب في نيويورك كمدير للعلاقات العامة ، وشغل هذا المركز عاما واحدا . وفي عام ١٩٦٥ عين مديرا لمؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت وزاول عمله فيهـا من ١٩٦٥ الى ١٩٦٧ .

وخلال عمله في « دالس » بولاية تكساس اقام ثلاثة معارض عربية باسم الجامعة العربية ، ضمت اجنحتها لوحات ونماذج من الفن العربي وكتبا تعالج القضية الفلسطينية .

من آثاره القلمية : ملأ الاستاذ هداوي الخزانة الانكليزية بكتب وكراسات نشرها على العالم الغربي حول قضية فلسطين والظلامة التي عصفت باهلها الاصليين ، ومن آثاره في هذا القطاع انـــه لفت نظـر المسؤولين في العالم العربي ، في كتاب وضعه عـام ١٩٤٩ وفي الصحف الفلسطينية اليومية التي تصدر في بيت المقدس ، الى تأسيس دائـرة تضطلع باحصاء خسائر العرب في فلسطين من جراء الكارثة العربيـــة الاولى .

ومن ابرز مؤلفاته :

١ ـ فلسطين : الميراث الضائع ـ ١٥٠ صفحة ـ طبع عام ١٩٦٣

٢ ـ الحصاد المر ـ ٣٧٠ صفحة ـ طبع عام ١٩٦٧

(ترجم هذا الكتاب القيم الى الايطالية الدكتور بينو غاسباريني عام ١٩٦٩ وتقع الترجمة الايطالية في ٤٠٠ صفحة وتدور حول القضية الفلسطينية من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٨ و « الحصاد المر » هـو اول كتاب ظهر بعد حرب الخامس مـــن حزيران ١٩٦٧ يصور القضيـــة الفلسطينية ، وقد علق عليه الكاتب البريطاني المشهور نيفل باربـر في الاذاعة البريطانية بقوله : « انه اول كتاب عبر عن القضية الفلسطينية باسلوب واضح نير » كما قال فيـــه الكاتب الاميركـي هاري هوارد : « بعد مطالعتي كتاب « الحصاد المر » اقول : انها اول مرة يعرض فيها كاتب عربي فلسطيني قدير ما حصل بعد كارثة الخامس مـن حزيران ١٩٦٧) .

٣ ـ المفكرة الفلسطينية (ج١) (مـن عـــام ١٩١٤ ـ ١٩٤٥) ـ ٤٢٠ صفحة ـ طبع عام ١٩٧٠

٤ ـ المفكرة الفلسطينية (ج٢) (مـن عـــام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) ـ ٤٠٠ صفحة ـ طبع عام ١٩٧٠

(شارك في تصنيفهما روبرت جون) .

(استغرق تصنيف هذين الجزئين سبع سنوات ويحتويان على ٢٦٠٠ مرجع ويعالجان القضية الفلسطينية منـــذ ظهور الحركـــة الصهيونية والثورة العربية الكبرى في الحـــرب العالمية الاولـــى ، ويصوران الصراع القائم بين العرب واليهود خلال الانتداب البريطاني، كما يصوران المؤامرة الدولية ضد عرب فلسطين لانشاء دولة اسرائيل).

٥ ـ قرارات الامم المتحدة حول قضية فلسطين من عـــام ١٩٤٧ الى ١٩٦٦ ـ طبع عام ١٩٦٧ (ترجم هذا الكتاب الى الايطالية عـــام ١٩٦٧) .

٦ ـ المشكلة الفلسطينية امام هيئة الامم المتحدة ـ طبع عـــام ١٩٦٥ .

٧ ـ المشكلة الفلسطينية امام هيئة الامم المتحدة ـ طبع عـــام ١٩٦٦ .

(اشتمل هذان الكتابان على ما حصل في هيئة الامم المتحدة خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ وصدرا عن « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » ببيروت) .

٨ ـ احصاءات فلسطينية ـ طبع عام ١٩٧٠ .

٩ ـ ملكية وتصنيف الاراضي في فلسطين ـ طبع عام ١٩٥٧ .

١٠ ـ الاقلية العربية في اسرائيل ـ طبع عام ١٩٥٩ .

١١ ـ تقسيم فلسطين ـ طبع عام ١٩٥٩ .

١٢ ـ فلسطين : سؤال وجواب ـ طبع عام ١٩٦١

١٣ ـ من يستفيد من اللاسامية ـ طبع عام ١٩٦١ .

١٤ ـ الصراع العربي الاسرائيلي (سبب ونتيجة) طبع عام ١٩٦٧ (ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية والايطالية والالمانية) .

١٥ ـ ملف القضية الفلسطينية ـ طبع عام ١٩٦٨ .

(ترجم هذا الكتاب الى العربية والفرنسية والايطالية والالمانيـــة والاسبانية) .

١٦ ـ فلسطين المحتلة ـ طبع عام ١٩٦٨ .

١٧ ـ فلسطين أمام هيئة الامم المتحـــدة : في دورتها الثالثـــة والعشرين طبع عام ١٩٦٩ .

١٨ ـ القضية الفلسطينية في الاعلام العربي ـ طبع عـــام ١٩٧٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(باللغة العربية) .

نموذج من نثره : « في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ ، أي قبل ان يحتل الجيش البريطاني فلسطين اصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا يومذاك ، ما يعرف اليوم بـ « وعد بلفور » وذلك بشكل رسالة موجهة الى اللورد روتشيلد يقول له فيها : « يسرني جدا ان ابلغكم ، بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة واقرته :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تاسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شانه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى . وساكون ممتنا اذا اطلعتم الاتحاد الصهيوني على هذا التصريح » .

لقد الفت كتب عديدة ودبجت مقالات لا تحصى حول الاسباب الاصلية لهذا التصريح ، ويعتقد ان هناك عوامل كثيرة تضافرت على حمل الحكومة البريطانية على التعهد بتاييد انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، غير ان عنصرا واحدا كان يتكرر فيها دائما وهو ان الهدف كان كسب عطف اليهود وتاييدهم في كل مكان للمجهود الحربي ، وحمل اليهود على استخدام نفوذهم لدى الحكومات الاخرى في مختلف بلدانهم للوقوف الى جانب بريطانيا .

ويروي جيمس مالكولم مثلا ان السر مارك سايكس ، من وزارة الخارجية البريطانية ، قال له قبل دخول الولايات المتحدة الاميركية الحرب ان مجلس الوزراء البريطاني تواق لان تنضم الولايات المتحدة الى الحرب ، فرد عليه مالكولم « انكم تسيرون في الاتجاه الخطا وبوسعكم ان تكسبوا عطف عناصر معينة من اليهود ذوي التفكير السياسي في كل مكان ، ولا سيما في الولايات المتحدة بطريقة واحدة فحسب هي ان تعرضوا عليهم المحاولة لضمان فلسطين لهم » .

ويؤثر عن ونستون تشرشل انه قال : « ان تصريح بلفور ينبغي اذن ان لا ينظر اليه كوعد اعطي لدوافع عاطفية ، بل كاجراء عملي اتخذ في مصلحة قضية مشتركة وذلك في آونة لم تكن فيها هذه القضية تحتمل اغفال أي عنصر لمساعدة مادية او معنوية » .

وكان لويد جورج اكثر من تشرشل صراحة ووضوحا اذ قال : « ليس من برهان على قيمة تصريح بلفور كخطوة حربية افضل من دخول المانيا على اثره في مفاوضات مع تركيا في محاولة لايجاد مشروع آخر يجتذب اليه الصهيونيون » وذهبت لجنة « بيل » الملكية لفلسطين الى ابعد من هذا اذ ذكرت في تقريرها عام ١٩٣٧ « ان الزعماء الصهيونيين (كما ابلغنا مستر لويد جورج) اعطونا وعدا قاطعا بانه اذا التزم الحلفاء باعطاء تسهيلات لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فانهم سيبذلون قصارى جهدهم في سبيل حشد عواطف اليهود وتاييدهم في جميع انحاء العالم الى جانب قضية الحلفاء ، وقد بروا بهذا الوعد ! » .

٢ ـ علي السرطاوي

ولد « علي » في قرية « سرطة » بمحافظة نابلس بفلسطين عام ١٩٠٦ وفجع وهو صغير بوالده الفقيه المتعبد المتجرد ، الشيخ محمد السرطاوي امام « سرطة » وخطيبها فتجرع « علي » غصص اليتم ، لكن عمه « عبد القادر » تعهده ببره وعطفه .

تلقى « علي » تعليمه الاول في كتاب القرية ، وفي عام ١٩٢٢ اختارته مديرية المعارف العامة بفلسطين مع نفر من لداته ابناء قرى لواء السامرة للدراسة في دار المعلمين الابتدائية بالقدس ، وبعد نجاحه في السنة التحضيرية قبل طالبا في السنة الاولى الثانوية وفي عام ١٩٢٧ تخرج في دار المعلمين يحمل شهادتها وعين في ادارة المعارف العامة وعمل في حقل التعليم بفلسطين وزاول التدريس في قلقيلية وخان يونس وطولكرم ونابلس وصفد وآخر مركز شغله في التعليم ادارة مدرسة جنين الثانوية .

وخلال دراسة « علي » في دار المعلمين بالقدس عكف على الدرس والمطالعة واقبل على نظم الشعر واطلع على دواوين كبار شعراء العربية ، وقرأ الكثير من امهات الادب والتاريخ متاسيا خطى استاذه المربي المرحوم درويش المقدادي . وفي عام ١٩٣٨ تقدم من امتحان شهادة المعلمين العليا فكان النجاح حليفه ، واقبل على الدراسات الادبية الخاصة فنهل من عيون الادبين العربي والانكليزي ، ولما جرت المناظرات الادبية بين عميد الادب العربي الدكتور طه حسين والمرحوم الدكتور زكي مبارك عام ١٩٣٤ على صفحات مجلة « الرسالة » القاهرية ادلى « علي » بدلوه في هذه المناظرات ، ونشرت « الرسالة » الكثير من أبحاثه وآرائه .

وبعد النكبة الاولى التي زلزلت الكيان العربي بفلسطين عام ١٩٤٨ نزح « علي » مع افراد اسرته الى بغداد ، متجرعا الزقوم والغسلين ، حتى يسرت له الايام صديقه الدكتور هاشم جواد مدير التربية والتعليم في بغداد فهيأ له العمل ، مدرسا للغة الانكليزية في مدرسة المسيب الثانوية فمدرسا ومحاضرا في دار المعلمين الريفية في بغداد .

وفي عام ١٩٥٢ عادت الايام فتنكرت له اذ كاد له بعض العملاء والزبانية ، ففصل من عمله ، بل حرم عليه العمل في اية مؤسسة حكومية او اهلية حتى عام ١٩٥٤ ، ففي هذا العام تكونت غرفة بغداد التجارية فاسندت الى « علي » امانة سرها ، وظل يعمل في هذه المؤسسة الاقتصادية الاهلية حتى عاد بعض الزبانية الى الكيد له ففصل من عمله في ربيع عام ١٩٥٧ وحظر عليه مزاولة اي نشاط في أي ميدان من ميادين الحياة ، واخيرا عين مدرسا في احدى قرى لواء الديلمية فقبل العمل على مضض . وفي هذه القرية اصيب « علي » بنوبة قلبية كادت تجهز عليه لولا ان القدر انسا في اجله المحدود !

وفي احداث عام ١٩٥٨ التي جرت في العراق سارع اصدقاء « علي » الى دفع الظلامة عنه واعادوه الى العمل في الغرفة التجارية ببغداد وعوضوا عليه ما لحق به من خسائر مادية ، وما لبث بعض عارفي فضله ان انصفوه وعينوه عام ١٩٦٣ مدرسا للغة الانكليزية في كلية الهندسة والصناعة فمساعدا لعميدها ومشرفا على تحرير مجلتها « رسالة المهندس » وتراس وفد معلمي العراق في الزيارة التي قاموا بها للقاهرة ولقوا فيها الرئيس جمال عبد الناصر والقى كلمة الوفد بين يديه فنالت اعجابه .

وبعد ان اطمانت نفس « علي » بعض الشيء عاوده نشاطه الادبي وخلف صورا زاهية ومشرقة من وجدانيات ادبه جاءت موزعة في صحف العراق الشقيق . وفي عام ١٩٧٠ احيل على التقاعد بعد ان انشا بنيه تنشئة قومية صالحة ، وغرس فيهم حب الوطن العربي الكبير ، وحضهم على الاخلاص له وتذكر فلسطين ، فردوس العرب المفقود ، والذود عن حياضها ، ففالى الابناء بوصية الوالد الماجد ، حتى استشهد نجله المهندس الطيار « عمر » اثر غارة اسرائيلية جوية.

وسارعت الايام الى تبديد هذه الطمانينة النفسية فروعت شاعرنا « ابا عمر » باختطاف قرينته « ام عصام » فنجله الشهيد البار ، المهندس الطيار « عمر (١) » فاصطلحت عليه العلل والامراض.. حتى لحق بالرفيق الاعلى في ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٧١ فخسر به ادبنا المعاصر نسرا محلقا هوى من عل ودفن في مقبرة جامع الامام ابي حنيفة في حي الاعظمية ببغداد .

من آثاره القلمية : جمع « علي » الكثير من قصائده ومقطعاته في ديوانين هما :

١ ـ السفينة الكبرى

ب ـ السفينة الصغرى

وقد ضمنهما بعض آثار والده الشيخ محمد السرطاوي الشعرية ذات النزعة الروحية والموشحات والاناشيد والابتهالات .

ج ـ وليام تل (مسرحية نقلها « علي » عن الانكليزية وقد نشرها اولا في مجلة « رسالة المهندس » البغدادية) .

نماذج من شعره : كان « علي » شاعرا بالفطرة ، وقرض الشعر في صباه ، وتطارح القول مع صفوة مختارة من الشعراء امثال : عمر أبو ريشة ، أبو سلمى ، محمد العدناني ، محيي الدين الحاج عيسى، محمود الحوت ، الشهيد عبد الرحيم محمود ، ابراهيم طوقان ، عبد الهادي كامل ، مطلق عبد الخالق ، راتب الشامي ، نازك الملائكة ، خالد نصره .

وتميزت مطارحاتهم الشعرية بالوان من الغزل والهجاء والتشطير والاخوانيات والوطنيات . ونشر « علي » الكثير من نفثات قلمه في مجلتي « الرسالة » و « رسالة المهندس » وفي جريدة « صوت الشعب » البيتلحمية وفي صحف ومجلات تصدر في العراق .

وفي قصيدته « فلسطين » تغنى « علي » بوطنه المغصوب ، وسال عن كل مدينة وقرية ، وحن الى كل زيتونة في « سرطة » والى كل تينة ودالية في مسقط رأسه .

وفي اعتداء اسرائيل على قرية « السموع (٢) » بمحافظة الخليل بفلسطين أرسل « علي » قوله :

فلسطين احلى لفظة ما ذكرتها ... لنفسي الا فاض دمعي على الخد
فلسطين داري والديار عزيزة ... لها الحب في قلبي المقيم على العهد
فلسطين انت الحب والاهل والمنى ... وانت مدى الايام شامخة المجد
فلسطين كيف اجتاح ربعك غادر ... وحدك من ماء المحيط الى نجد
غرامك في روحي وحبك في دمي ... رضعت الهوى والحب مذ كنت في المهد
لقد زادني فيك التشرد لوعة ... وعلمني صدق الحفاظ على الود
تراك على بعد المزار خواطري ... وراء ضباب الدمع أبهى من الخلد
وليست دموع الباكيات وانما ... دموع حنين الشوق للام في البعد
اذا طار طير من حماك سألته ... عن الاهل والاحرار في ذلة القيد
وان ذر قرن الشمس راحت عواطفي ... مع النور تسري في السهول وفي النجد
وفي الليل كم روحي اليك بعثتها ... اذا هاجني الشوق المبرح في السهد
وان باعدت ما بيننا في حياتنا ... صروف الليالي انت في مهجتي عندي
ترى كيف «يافا» يا بلادي واهلنا ... هناك واحبابي المقيمون في «اللد»
وكيف غدت من بعدنا «الرملة» التي ... بها نفحات من أمية كالند
وكيف غدت «حيفا» رعى الله ربعها ... و «كرملها» مهد الصنوبر والورد
وهل « طبريا » والبحيرة بعدنا ... تعيشان في أمن وفي عيشة رغد
وهل «صفد» روحي فداها وأهلها ... بخير وخل نازح صادق العهد
وهل «جرمق» ما زال في كبريائه ... يزلزل أهل البغي بالبرق والرعد

وتذكر « علي » « الطابغة (٣) » وقد أمضى فيها ليلة من ليالي العمر فانشأ يقول :

يا ليلة قضيتها ... في « الدير » في « الطابغة »

حولي البحيرة والحقول ... الخضر ذات النضرة
وعلى مدى بصري بدت ... « حطين » مثل النجمة
وبدا « صلاح الدين » منتصرا شديد السطوة
وبدا كأحلم قائد ... في ذروة المعركة
حقن الدماء ولم ترق ... في النصر اية قطرة
ورأيت في عين الخيال ... مواكب النبوة
عيسى بن مريم في التواضع ... كان أحسن قدوة
رمز المحبة والسلام ... ورمز كل فضيلة
يمشي مع الفقراء ماض ... في ثياب رثة
يشفي المريض اذا أتاه ... بمعجزات القدرة
ولكم بصير قد أتاه ... فعاد صافي النظرة
يدعو الانام الى السلام ... ونعمة المحبة
ما زال في سمع البحيرة ... صوته في الموجة
المؤمنون بديته ... فازوا باكرم عزة
والكافرون به غدوا ... في الكون أحقر أمة
كفر اليهود به فاشوا ... في هوان الذلة
آباؤهم لعنوا وهم ... ورثوا هوان اللعنة

وترجم « علي » قصائد من الشعر الانكليزي نظما الى العربية ومن مترجماته قصيدة للشاعر الفرنسي « اندريه ريفوار » ومن مقاطعها قوله :

انطلق في الحياة وامش على الشوك ... قويا كالمارد الجبار
شامخ الراس والعزيمة تمضي ... فوق نار الاخفاق كالاعصار
في رحاب الحياة عش شامخ الروح ... أبيا يدوس وجه النضار
احترق في الطموح والمثل الاعلى ... وما في العذاب من اسعار
احترق في الكفاح وافن نضالا ... في صميم الاهوال والاخطار
هكذا يغلب الحياة ويحيا ... ذو جنان في العز والاكبار
يثبت الباسل المظفر فيها ... وعلى ثغره ابتسام احتقار

ان تلاشت أحلام قلبك في يأس ... فحاول احياءها من جديد
او اذا أوهنت عزيمتك الدنيا ... فجدد عزيمة من حديد
او اذا ما طوى أمانيك اخفاق ... فلا تياس وابتهج في الوجود
خذ جناحا وطر بما فيك ... من خيبة سعي الى طموح بعيد
احترق قوة وضعفا وعزما ... وعذابا في النار ذات الوقود
احترق صحة وسقما وبؤسا ... وتغلب على جميع القيود
احترق في الحياة فوق أمانيك ... وعش في الحياة عيش الاسود

٣ ـ ميشيل أبيكاريوس

ولد « ميشيل » في مدينة بيروت عام ١٨٨٤ ودخل مدرسة ابتدائية في حي المصيطبة عام ١٨٩٢ وصرف فيها ثلاثة اعوام ثم التحق بمدرسة عينطورة عام ١٨٩٥ وامضى في قسميها الابتدائي والثانوي ستة اعوام، وفي عام ١٩٠١ أمضى في « الكلية الانجيلية السورية » (الجامعة الاميركية ببيروت اليوم) اربعة اعوام ودرس التجارة وفي عام ١٩٠٥ بارح بيروت الى القاهرة للالتحاق بافراد اسرته وعمل في « بنك كريدي ليونيه » وما لبث ان انضم الى حكومة السودان وعمل معها مدة قصيرة ثم التحق بـ « بنك مصر » في الخرطوم واصبح مساعدا للمدير ثم نقل مديرا لـ « بنك مصر » في بور سودان . وفي عام ١٩١٢ اصيب هذا البنك بشلل في اعماله المصرفية فتركه « ميشيل » وعين موظفا في دائرة المالية بالمنصورة ، وفي عام ١٩١٤ أقبل على درس الحقوق وأدى الامتحان امام لجنة افرنسية فاحصة كانت تؤم مصر سنويا لفحص الطلاب المنتسبين لدرس الحقوق وفي عام ١٩١٧ أدى امامها الفحص النهائي فنجح ونال شهادة ال آل دي ونقل موظفا الى مالية طنطا .

وبعد ان بسط الجيش البريطاني ظله على فلسطين قصد

١ ـ ولد « عمر » في مدينة جنين بفلسطين عام ١٩٤٢ ونزح مع والده الى بغداد عام ١٩٤٨ وأتم فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ثم ارسل في بعثة الى كلية الطيران في مدينة « بيرك » ببريطانيا حيث اتم دراسته وكان الاول في دورته . وبعد عودته الى بغداد عمل مهندسا في الخطوط الجوية العراقية ثم التحق بحركة التحرير الفلسطينية « فتح » وكان من ضباطها اللامعين . وفي ٤ ـ ٨ ـ ١٩٦٨ استشهد في الغارة الجوية الوحشية التي شنها العدو الاسرائيلي على الفدائيين العرب في « وادي شعيب » بمحافظة السلط.

٢ ـ السموع : قرية تقع الى الجنوب الغربي من مدينة الخليل وعلى بعد عشرين كم تقريبا .

٣ ـ مشتى يقع على شاطىء بحيرة طبرية ويملكه دير اللاتين .

« ميشيل » القدس عام ١٩٢٠ وعين في دائرة المالية للقوات البريطانية المسلحة لفلسطين التي تحولت الى حكومة الانتداب بعد ان تسلمت الحكومة المدنية سلطاتها بفلسطين وفي عام ١٩٢٥ رقي الى وظيفة مساعد مدير الخزينة فنائبا للسكرتير المالي .

وفي عام ١٩٤٠ ساهم في « لجنة اليتيم العربية العامة » وانشأ مع اعضائها « معهد ابناء الشهداء في دير عمرو » (غربي مدينة القدس) .

وفي عام ١٩٤٤ احيل على التقاعد وزاول الاستشارات الحقوقية، وبعد خروج البريطانيين من فلسطين عام ١٩٤٨ قصد مدينة بيت لحم وفي شهر آب تم الاتفاق بين جامعة الدول العربية والزعماء الفلسطينيين على تشكيل « حكومة عموم فلسطين » واثر انعقاد « مؤتمر غزة » بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٤٨ تشكلت هذه الحكومة برئاسة المغفور له أحمد حلمي باشا عبد الباقي وعين « ميشيل » وزيرا للمالية .

وفي صيف عام ١٩٤٩ نزح الى بيروت وانضم للتعليم في الجامعة الاميركية كاستاذ مساعد وتولى تدريس القانون الاداري والقانون الدستوري في لبنان وسورية والعراق والسعودية ومصر وترجم القانون الاداري والقانون الدستوري الى اللغة الانكليزية .

وبالاضافة الى عمله كاستاذ مساعد في الجامعة الاميركية ببيروت انضم الى جهاز طيران الشرق الاوسط وفي عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ عمل مع النقطة الرابعة ببيروت وأسس معهد الصناعات لتعليم الادارة ثم عين مساعدا لمدير النقطة الرابعة واطرى المسؤولون في النقطة الرابعة اعماله وانجازاته في التقارير التي كانوا يرسلونها الى واشنطون .

من آثاره القلمية : بالرغم من عمل المرحوم ميشيل ابيكاريوس في حكومة الانتداب وبلوغه مركزا حكوميا حساسا لم يكن راضيا عن سياسة بريطانيا واعمالها التعسفية في فلسطين . وبعد احالته على التقاعد استلهم ضميره ووضع كتابا نفيسا باللغة الانكليزية ليقراه الغربيون ثم ترجمه الى العربية « فلسطين من وراء ضباب الدعاية » وفي هذا الكتاب دحض المرحوم ابيكاريوس الدعاية المضللة التي تقوم بها الصهيونية العالمية ضد العالمين العربي والاسلامي .

وخلال عمله في الجامعة الاميركية صدر بقلمه كتاب بعنوان « العربي الحي » .

وفي الثالث عشر من ايلول ١٩٥٣ توفي المرحوم « ميشيل ابيكاريوس » بالذبحة القلبية في بيروت ودفن في مقبرة الزيتونة التي تمتلكها طائفة اللاتين .

نموذج من نثره : « أريق فيض من المداد هدرا في تمجيد ما انجزه اليهود في فلسطين ، وان تيار الدعاية الذي شرع فيه حينما اصبح قيام الوطن القومي اليهودي محتملا ، قد كسب زخما من كل انجاز يدعى به ، حتى اصبح مثل النهر الواعي لقوته قد حمل معه الرأي العام والعطف غير عابىء بالحقائق الواقعية للقضية .

لقد جرت بضع محاولات قام بها العرب واصدقاؤهم لتنوير الرأي العام بسيل من الحقائق في الصحف اليومية الكبرى حتى العام الماضي ولكن دون جدوى ، وان القليل الذي تسرب من وقت الى آخر ، كان متقطعا بحيث انه لم يؤثر قطعا حتى على صفحة التيار الجياش للدعاية الصهيونية ، ولكن لماذا تخلت الصحافة التي من واجبها تنوير الرأي العام ، عن تقديم حساب متوازن عن الوطن القومي اليهودي في فلسطين ؟ ولماذا تزود الصحافة قراءها بايضاحات غير متوازنة للقضية؟ هل المحررون ومساعدوهم مقتنعون بان تقديمهم هو الصورة الصحيحة لما هو حادث في الواقع بفلسطين ؟ حتى ولو كان الامر كذلك ، فان هذا لا يوضح لماذا في بلاد مشهورة بالديموقراطية يمنع الانسان منعا باتا من التعبير للجمهور عما يعتقده ، ان صحيفة حزبية ليس من المحتمل ان تتيح المجال لتعطي فراغا في اعمدتها لنشر اية مواد دعائية لحزب مناوىء . ولا يتوقع احد يملك حواسه من ان يذهب الى صحيفة « ذي نيو جوديا » مثلا ويطلب اليها ان تتكرم وتخصص اعمدتها لنشر المقالات عن القضية العربية . لم يتقدم احد ، الى مثل هذه الصحيفة الحزبية قطعا ، ومع ذلك فان الصحافة في مجموعها لم تعط القضية العربية الفلسطينية الا النذر القليل من الدعاية او لم تعطها دعاية بالمرة مهما كان لون تلك الصحيفة او عقيدتها !

وليفترض المرء ان السبب في ذلك يعزى الى ان هنالك يهودا عديدين ذوي نفوذ في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، ولكن لا يوجد عرب يتمتعون بنفوذ فيهما . فليس هنالك اصحاب صحف عرب ، او اعضاء في مجلس الشيوخ ، او اعضاء في البرلمان ، وندرة من الكتاب العرب الذين يكتبون بالانكليزية ، ولهذه الاسباب فان تقديم القضية العربية قد عفت عليها يد الاهمال .

وخلال متاهة نصف الحقائق وتشويه الحقائق ، التي تنشر وقد ضاقت انفاسها ، فقد يحدث ان يتوقف احدهم قليلا ليتنفس الصعداء وسرعان ما يكتشف ان القضية التي عرضت تحتاج الى تحقيق ادق ، وآخرون يحاولون عن كثب البحث عن الحقائق الكامنة خلف الانفجارات المتفرقة لعواطف العربي المكبوتة ، بالرغم من المحاولات الحاذقة التي تبذل لاظهاره بخلاف ذلك ، فهو لا يختلف عن اي انسان كان ، فان رد فعله للحيف او لاي شيء يرى انه يسيء الى كرامته وفخاره ، او يقف حجر عثرة في طريق حريته او يغلق باب الاستقلال في وجهه بحيث يجيش وعيه القومي ، لن يكون مخالفا لرد فعل الناس الآخرين . لقد سعى العرب وغيرهم ان ينشروا حقائق قد تاكدوا منها ، وقد ظهر اثران لهما قيمتهما ولكنهما حتى وقت قريب لم يتجاوزا طبعتهما الاولى هما :

١ ـ يقظة العرب لجورج انطونيوس
٢ ـ فلسطين الحقيقة لجفريز

ان الدعاية الواسعة النطاق للكتابات التي تمجد المنجزات اليهودية تغطي كافة الاعمال الانسانية من الحليب الذي يقدم للاطفال والمرضعات الى انشاء مستعمرة في ظلام ليلة من لا شيء . وليس احد من البلاهة بحيث ينكر ما قام به اليهود لانفسهم بفلسطين خلال ربع قرن ، ولكن ابراز هذا للعالم كبينة على ان العرب غير اهل لتنمية بلدهم لهو تشويه فظيع للحقائق . ذلك ان التنمية يجب ان تسير في الطريق التي تشير اليها حاجات الفرد او الامة . ومن الحمق اذا استثمر الفلاح امواله في شراء بقرة هولندية حلوب ، في حين ان حاجته ماسة الى حيوان للحرث ، كما يكون من الحماقة والغباوة ايضا اذا ما اشترى ثورا او بغلا اذا ما كانت بقرة بلدية تكفي لقضاء حاجته ، ثم تعطيه بالاضافة الى ذلك قليلا من الحليب . واذا ما اردنا الوصول الى تقسيم حقيقي لتقدم العربي وجب ان نربط بين انجازاته وحاجاته ووسائله الفردية ، ووجب ان لا يغرب عن البال انه يقف وحيدا دون مساعدة خارجية ، في حين ان ما قامت به الحكومة للفلاح العربي لا يعدو عن كونه مسكنا من مسكنات الاستعمار » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

اشتركوا في مجلة

الآداب

تساهموا في نشر الثقافة

الحاج احمد صابر ضخم الجسم مندلق البطن واسع العينين منتفخ الجفون كبير الرأس طويل القامة ممتلىء الاصابع . انه مجموعة من الغلظة متناسبة الاجزاء . وهي وان كانت لا تروق من يلقي نظرة عليها من الناس العاديين الا انها تلفت الانظار أولئك الذين يتذرقون الفن من المثقفين .

الحاج أحمد صابر جهوري الصوت لامع العينين قوي الاعضاء سليط اللسان جرىء الكلام . مساير تارة ساخط أخرى . قليل الضحك كثير الرزانة . انه شبيه بآلة تعمل في انتظام . وهو وان كان يصدم بعض القلوب الرقيقة الحساسة الا ان الرجل العملي يعجب بسلوكه المنظم المتقلب .

وابنه عبد السلام شاب نشيط الحركات دمث الاخلاق حلو الابتسام يسلي محدثه بما يسرد عليه من اخبار المدينة وحوادثها وان كان قد عجز عن ان ينال الشهادة الثانوية في ايام الدراسة لكسله وضحل تفكيره . انه على كل حال متفوق على ابيه في هذا الشأن لان اباه لم يجاوز تحصيله الدراسي الصف السادس الابتدائي .

اما زوجته ثريا فهي بيضاء اللون بدينة مثله . وبذلك ضاع بياضها سدى في اعضاء جسمها المتباعدة المتسعة المساحة ضياع البياض الحليبي الصافي في غيوم الشتاء . صوتها رقيق نحيف مطرب النغمة ، ولكنه غريب عن فمها الواسع الرقيق الشفتين . وعنقها طويلة ، ولكنها غليظة . ووجهها ناعم البشرة ، ولكنه مستدير استدارة الكرة . وشعرها سميك ذو لون أسود فاتن الا انه خفيف مسترسل الى كتفيها في اهمال . انها أمية مهملة .

وجاره سمير رجل هادىء تقاطيع الوجه معتدل القامة مرفوع الرأس خفيف الوزن والظل . يفكر كثيرا ويتكلم قليلا . صوته ناعم هادىء ينم على ما ادخر عقله من معرفة غزيرة كما ينم البخار الكثيف على امتلاء المرجل بالماء . حركاته بطيئة ولكنها خفيفة . وبذلك تكون منسجمة مع صوته . ويشعر محدثه ان ذلك الرجل بدا له في حلم جميل في ليلة من ليالي الصيف . وهو يطلق العنان لشدقيه حينما يهز المرح عاطفته ، فيضحك ملء فمه ضحك الغلمان . ولكثرة تعوده الضحك لم يتقن العبوس . غير ان له رزانة من نوع غريب تجعل الانسان يحترمه ويحبه في آن واحد .

وابنه زاهر شاب انيق الملابس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

جديد المظهر زاهي الالوان . وبذلك يبدو ناضرا كفرع أخضر نبت من غصن شجرة يرقوق منذ عهد قريب . اخذ عن ابيه كثرة الضحك والابتسام . وهو يحب المزاح ويعرف كيف يكتسب الاصدقاء . وقد فاز بشهادة جامعية في الطب . والمرضى يعترفون ببراعته في الطب وان لم يروا شهادته معلقة على احد جدران مستوصفه .

وزوجته سحر ذات وجه بيضوي جذاب بشقرته واشراقه المكتوم



الاشعة . وفمها الصغير ذو الشفتين المبطنتين يبدو كبرعم متفتح لا كثقب في جدار ابيض او في قطعة من القماش القطني . وصفاء لمعان عينيها وهدوء نظراتها ونعومة بشرة وجهها تؤكد للناظر انها على استعداد للابتسام في كل حين . وهي مثقفة كزوجها وان كان تواضعها يوهم الانسان انها ليست كذلك .

الحاج احمد صابر يقيم في دار بعض حجارتها حمر وبعضها سود ، ولكن ينقصها الذوق الهندسي السليم . اشترى حجارة غالية الثمن لبناء داره ، ولكن المهندس الذي رسم خارطة لمنزله لا موهبة له . ولعله آثر ذلك المهندس على غيره لضآلة المبلغ الذي نقده اياه ثمنا لخارطته . ان شرفات داره قليلة وصغيرة ، وهي تبدو للعين كعلبة من علب الكبريت .

اما سمير فهو يقيم في دار حجارتها منقوشة نقشا متقنا دقيقا ، وفنها الهندسي رائع يختلف عن هندسة ما حولها من الدور . ويشعر من يدخلها ان صاحبها المثقف بث ثقافته في كل جزء منها حتى جعلها تنسجم معه وتصبح شبيهة بكائن جميل حساس يدخل على صاحبه البهجة والهناء ويريحه في كل حين .

كان الحاج أحمد مدار سكان الحي كله . كل يتقرب اليه ويجامله ويتحبب اليه ويستعين به لقضاء حاجة له ، فقد كان الحاج أحمد شبيها بمختار القرية كوسيط بين السكان والحكومة . له معارف واصدقاء كثيرون في الوزارات وغير الوزارات . وهم يحترمونه ويلبون طلباته لانه ثري وسليط اللسان .

ومنذ شيدت تلك الدار الفخمة وسكنها جاره سمير وهو يتذمر نهارا ويتململ قلقا على فراشه ليلا لان سميرا استطاع في زمن قصير ان يجتذب اليه سكان الحي ويغض عن الحاج أحمد تلك الحلقة المؤلفة من

اصدقائه ومعارفه المتزاحمين . استطاع ان يفعل ذلك بما أوتي من ذكاء وثقافة ولباقة في المعاملة . انه يعامل الناس معاملة عصرية . وفضلا عن ذلك فان معظم سكان الحي من التجار . وهم بحكم مهنتهم مرتبطون بالمصارف . وسمير مدير مصرف معروف كثير الفروع ، فهو لذلك مفضل على الحاج احمد الذي لا يمتاز الا بثرائه واصدقائه من ذوي النفوذ الذين قلما تكون لهم علاقة بالتجار .

غاظ الحاج احمد ان يرى السيارات مصفوفة على مقربة من باب دار جاره ، وان يرى منزل سمير مزدانا بهندسة رائعة ، وحديقته مزدانة بأزهار مشرقة . اما هو فأصوات اولاده اللاعبين المتضاربين تنبعث من باب داره ونوافذها .

(اصوات من الداخل : ان سميرا يقود سيارته بيديه ، وهو يأخذ معه زوجته واولاده ويذهب بهم الى مكان بعيد ترويحا عن النفس . يفعل ذلك كل يوم تقريبا . ما أجمل اشكال اولاده ؟ وما ابدع طريقتهم في الحديث ؟ منزله يبدو كزهرة ضخمة جميلة بين ازهار حديقته الغريبة . ولديه خادم ينظم حديقته ويقوم باعمال منزله الخارجية) .

(منظر في الداخل : يمر بسمير وهو سائر على احد ارصفة الشارع ، وينظر اليه شزرا وقد اودع نظرته صوته الجهوري وغيظه وتهديده . ثم اقترب منه وهو يحدق اليه . فالتفت اليه سمير متنبها . وجذبه الحاج احمد من ذراعه في قوة هزت ذراعه ، ولكنها لم تهز ثيابه وثقته بنفسه ، وقال له : « اتجترىء علي وتختلس مني المشيخة ؟ ») .

« اصوات من الخارج : لقد انطفأ الحاج احمد . ولت ايامه . لم يعد شيخا للحي . سمير اخذ مكانه . سمير هو الآن المرجع في كل شيء . كأنه رئيس حكومة .

ـ واأسفاه عليك يا حاج أحمد ! كأنك لم تكن . ـ ان الناس لا يقيمون للحاج احمد وزنا ولا يلتفتون اليه في هذه الايام . دنيا ! هذه هي احوال الدنيا . لا يدوم شيء على حاله » .

ـ ثريا ! لماذا لا تحاسبين الاولاد على ما يقومون به من اعمال شاذة ؟ لماذا لا تضربينهم حينما يلعبون هذا اللعب الصاخب الذي يلفت الينا انظار الجيران ويجعلهم يأخذون عنا فكرة سيئة جدا ؟ انهم يظنون اننا متوحشون لا نفهم . انهم يضحكون علينا .



عبد الحميد الانشاصي

●

(انك انت السبب في كل ما جرى لي . أنت التي جررتني الى هذه الهوة السحيقة والقيتني فيها بجهلك وسوء تصرفاتك لانك أمية لا تعرفين القراءة والكتابة كما تعرفهما زوجة جارنا سمير) .

ـ ماذا افعل بالاولاد ؟ انهم أشرار . لقد خلقوا اشقياء . فما ذنبي ؟ انهم لا يحترمون احدا .

ـ ولكنهم يحترمونني حينما اكون في المنزل . نظرة واحدة مني كافية لان ... ينبغي للانسان ان تكون له شخصية قوية لكي يتمكن من التأثير في غيره .

(وانت لا شخصية لك . انك مهملة في كل شيء : في ثيابك التي ترتدينها ، وفي ترتيب شعرك ، وتحسين وجهك . يعوزك كل شيء حتى تصبحي زوجة جذابة ومحترمة كسحر . الحق علي أنا لانني تسرعت بالتزوج بك . ما كان اغباني !) .

ـ انك رجل . والرجل غير المراة . وانا مشغولة بالاعمال المنزلية من طبخ وكنس وغسل . انني لست في متسع من الوقت حتى أحاسب الاولاد على ما يفعلون. مرارا صحت بهم ، وكثيرا ما ضربتهم بيدي تارة وبالعصا أخرى . ولكنهم لم يطيعوني . ما زالوا اشرارا يكسرون الصحون والكؤوس ، ويرمون الملاعق والسكاكين ، ويوسخون الجدران والابواب .

(كدت أموت ضيقا من اعمالهم . كثيرا ما حدثتني نفسي بالخروج من هذا المنزل والاستراحة منهم) .

« ـ يا ولدي عبد السلام كن انيق الملابس . خذ حريتك في الحياة . اظهر في مظهر الشاب العصري . انك لبق ومجرب ولا ينقصك شيء غير الروح العصرية. انني متقدم في السن ولست شابا مثلك . لو انني شاب لرأيتني في غير هذه الحال . ـ ماذا اصنع يا ابي حتى أكون عصريا ؟ انني راض عن نفسي ، واصدقائي ومعارفي راضون عني . ـ لماذا لا تتعلم قيادة السيارات بيديك كما يقودها جارنا سمير وابنه زاهر ؟ لماذا تستخدم سائقا لهذا الغرض ؟ ـ انني يا ابي مشغول بالاتجار بالاقمشة كما ترى، وليس لدي وقت لتعلم قيادة السيارات . ـ لا ، قل : « انني اخشى قيادة السيارات فقد ادوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناس في طريقي » . هذا هو الذي ينبغي لك ان تقوله لي . أليس كذلك ؟ انني رجل من العصر الماضي . وقد مضى وقتي . اما انت فشاب تنتمي الى القرن العشرين . لذلك يجب ان تكون اعمالك اعمال ابن القرن العشرين ».

حار الحاج أحمد في أمره . لم يدر ماذا يصنع حتى يرتقي الى مستوى جاره سمير . لقد انتبه فجأة فوجد جاره في السماء ، ووجد نفسه على الارض . ولم يخطر في باله ان جاره ارتفع الى السماء بالتدريج . ارتفع بجهده في تحصيل العلوم ، وبمعاملة الناس معاملة حسنة ، وبنيل المنصب الذي تقلده ، وبتأليف أسرة رفيعة الشأن منسجمة الاعضاء ، وبالاقامة في دار انيقة رائعة الهندسة . والآن الحاج احمد يريد ان يرتفع الى السماء بقفزة واحدة ليستريح ذهنه ويتغلب على خصمه وليتخلص من كلام الناس الذي ينخسه من حين الى آخر . يريد ان يتخلص من زوجته ولو بالطلاق ليتزوج فتاة عصرية مثقفة . ولكن وجود اولاده من حوله يحول دون تطليق زوجته. لم يجد له منفذا للتخلص منها . انها لا تصلح محدثة ولا مفكرة ولا مؤنسة . لا تصلح الا للطبخ والكنس والغسل . ولكنها مناسبة له على كل حال . انها مثله متخلفة عن عصرها . وأمله الوحيد في ولده الاكبر عبد السلام . انه مثقف بعض الشيء ويصلح للتقدم ، ولكنه كسلان قنوع لا همة له . لقد سدت في وجهه الابواب واغلقت الطرق .

وفي ذات يوم التقى في طريقه احد اصدقائه فقال له :

ـ أين انت ؟ انني لم أرك منذ زمن طويل .

(هل نسيتني ؟ كنت تزورني كثيرا في منزلي . هل شغلك سمير عني يا جاحد المعروف ؟ هل نسيت انني قدمت اليك أشهى الفواكه في منزلي ؟ هل نسيت انني دعوتك مرة لتناول الغداء معي ؟) .

فتنهد الرجل تنهدة طويلة عميقة حزينة ثم أجاب :

ـ لعن الله الاشغال ! انها تلهي المرء عن صديقه .

(ماذا أصنع لك ؟ هذه احوال الدنيا . يوم لك ويوم عليك) .

فابتسم الحاج أحمد ابتسامة رقيقة عذبة وقال :

ـ تفضل بزيارتي في منزلي . أانتظرك في عصر هذا اليوم ؟

(انك ذو نفوذ وقد تساعدني على اقناع بعض سكان هذا الحي بالالتفاف حولي) .

ـ ان شاء الله .

(انني لا ارغب في ذلك) .

ـ واذن فسأنتظرك في المنزل .

فزاغ نظر الرجل وقال :

ـ انني لا استطيع ان اعدك . هذا مرتبط بالظروف .

(دعني وشأني . انصرف !) .

« اصوات من الخارج : ما هذا التكبر يا حاج احمد ؟ كل الناس يزورون سميرا في منزله . انك لست خيرا من غيرك من سكان هذا الحي . ـ ما زال الحاج احمد متوهما انه شيخ الحي . انه لا يعترف معنا بأن يومه مضى ومجده ولى . انه لا يعترف ان سميرا اوسع منه عقلا واغزر ثقافة وارفع مقاما . ان الامر ليس بالثروة والغنى . غنى العقل هو كل شيء . ـ يجب ان يخضع الحاج احمد لسمير ويعترف له بالمشيخة. هذا هو الواقع » .

ولكن الحاج احمد ابى ان يستسلم لسمير ويعترف له بالمشيخة . يريد ان يعزز مكانته ويرفع من شأنه . ما زال يسعى حتى زوج ابنه عبد السلام بابنة وزير ذي حسب وجاه . فأقبل عليه بعض اصدقائه ومعارفه من الموظفين ، فانشرح صدرا ، وبدا الامل يتمشى في اعصابه . أمل ان يقضي على خصمه سمير ويستريح من همه . ان حزبه الآن من الموظفين الذين يحتاجون اليه في اوقات المشاكل والازمات .

وراح الحاج أحمد يثني على الوزير وعلى ابنته الحلوة الفاتنة الجمال التي كانت السبب في تجديد حظه في الحياة . واعجب بابنه اذ رآه الآن شابا آخر يختلف عنه قبل الزواج . عد نفسه ذكيا لبقا لانه أعمل فكره حتى استطاع ان يبتدع فكرة تزويج ابنه بابنة الوزير . لقد ناسب رجلا ذا حسب وجاه ، فهابه معارفه واحترموه . اما وقد اجتذب اليه بعض الموظفين من سكان الحي فان في امكانه ان يكسب عددا من التجار . حاول ذلك بدعوة بعضهم لتناول الغداء معه . فرفض بعض التجار الدعوة ، ولباها بعضهم ، ولكن هؤلاء وأولئك لم ينضموا الى حزبه .

وانه ليفكر في طريقة يستميل بها بعض التجار اليه اذ وقعت عيناه في احدى الجرائد على نبأ تعيين زاهر ابن جاره سمير وزيرا ، فهو طبيب موفق له شهرة واسعة في المدينة . فشعر الحاج احمد ان صرح آماله انهار امامه ، وان كل امل في ان يقهر خصمه سميرا قد تحطم . ومما زاده غيظا ان الموظفين الذين آزروه قد انفضوا عنه لان ابن سمير أصبح وزيرا . فما حاجتهم الى الحاج احمد ؟ ان كان ابنه نسيبا لوزير فان ابن سمير نفسه اصبح وزيرا .

(اصوات من الداخل : لا حظ لي . لم اترك وسيلة تؤدي الى رفعة شأني دون ان اتخذها . ولكنني اضحيت الآن منحوس الحظ . لقد ولى مجدي كما يقول الناس . هذه ارادة الله . لقد قدر علي ان افقد مجدي . ارى انه من المحال ان استرده) .

« اصوات من الخارج : ما الفائدة من هذه المحاولات الفاشلة ؟ كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجوى في رباعيات

بوح الرضا ! أم رحيق الصفو أسكرني ... ومانح الود بعد الصد حيرني
لقد أطال سهادي والهوى عجب ... فالقلب يوم رأى الاشفاق أنكرني

أهوى من العيش حب النفس للغزل ... والحب في مذهبي كالنور للمقل
ولو يشاء حبيبي مقلتي معا ... قدمت عيني ان ما شاء في خجل

دع عنك يا عاذلي لومي وتانيبي ... فان لومك لي في الحب يغري بي
أني رضيت الهوى صفوا ومعتكرا ... وجانب الصفو يحلو بعد تعذيبي

أني أغار من الاضواء في الظلم ... اذا تسلل ضوء غير محتشم
وراح يغري الذي أهواه رونقه ... والروح ان راقها داعي الهوى تهم

أخشى على ظل من اهواه من عطب ... اذا ارتمى من ضياء غير محتجب
فقد يمر عليه السائرون وبي ... خوف عليه يكاد اليوم يعصف بي

يا فاتن الطرف أني عاشق وظمي ... وبين كفيك أحيائي من العدم
جد لي بوصل يسير ، ان سمحت به ... أحيا واخطر في الدنيا على قدمي

القاهرة — أحمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جهودك ذهبت سدى يا حاج احمد. ألق سلاحك واستسلم . ـ ليس عيبا ان ينضم الحاج أحمد الى حزب سمير . ان سميرا اوسع منه عقلا واسمى اخلاقا . ان هذا الرجل هو الشيخ الذي يحتاج اليه الحي . ـ نحن مالنا وللحاج أحمد؟ ان رجلا مثله لا يصلح ان يكون شيخا لانه لا يمتاز علينا بشيء . ليس له الا ان يعترف لسمير بالمشيخة . ومهما يكن من شيء فانه ليس ذا شأن سواء اعترف بذلك ام لم يعترف » .

عاود الحاج احمد همه ويأسه فاضحى وحيدا كما كان قبل . ان كلمات الناس وهمساتهم تلاحقه في كل مكان . كل يريده ان يخضع لسمير ويعترف له بالمشيخة . شعر بالغربة في الحي . شعر بانه منبوذ. لم يكتف الناس بتجريده من المشيخة واناطتها بسمير . بل راحوا يحطون من شانه ويتهكمون به ويسخرون منه . رأى ان ذلك كثير عليه . لم يستطع احتماله . واذن فلا بد له من النزول على رغبة اهل الحي والا اضطر الى الرحيل الى حي آخر بعيد . غير ان في ذلك هزيمة واضحة . ينبغي له ان يساير السكان ويتحبب اليهم بالانتماء الى حزب سمير وان كلفه ذلك غاليا . ان انضمامه الى ذلك الحزب يضع حدا لتهكم الناس به وسخرهم منه . حسبه ذلك منهم .

بعد مرور بضعة اشهر تبين للحاج احمد ان في انضمامه الى حزب سمير فائدة له فان هذا الرجل واسع العقل والنفوذ ، وفي امكانه اذا تقرب اليه واخلص له ان يعيد اليه شيئا من المهابة والمحبة بين معارفه . لذا قرر في نفسه ان يستسلم له .

وجاء يوم التنفيذ . كيف يدخل على خصمه ويتحبب اليه ؟ انه لم يتعود الجلوس بجانبه ومحادثته ؟ هل يذهب اليه وحده أم يذهب ومعه واحد من اصدقائه الباقين ؟ استسلم له في نفسه ، ولكنه تعذر عليه ان يستسلم له بعمله .

وفي ذلك اليوم رأى بعض الجيران الحاج احمد يسير هو وصديق له متجهين نحو باب منزل سمير . ولما دخلا الدار شعر الحاج أحمد بأن صديقه يسوقه الى غرفة الاستقبال في منزل سمير كما يسوق الشرطي المتهم الى المخفر . ولكنه شعر في الوقت نفسه انه متى مرت اللحظة العصيبة التي كان يخشاها بعد دخوله غرفة سمير والجلوس بجانبه ـ اصبح رجلا محترما مطهرا من العناد والكبرياء والانانية وفائزا بوسام المصلحة العامة .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



طائر بين المحيطين

تاليف يوسف السباعي ـ ٣٠٨ صفحة ـ الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة دار مصر للطباعة بالقاهرة

اغلب الظن ان الدور الذي كان يقوم به الرحالة القدامى ، ارضاء لحاجة المواطن العربي لاستشراف المجهول واستيعاب البلاد البعيدة والقيام بمهمة التعارف بين الشعوب والوقوف على العجائب والغرائب او الاشياء الجديدة .. هذا الدور يقوم به اليوم للقارىء صحفيو وادباء العصر . ولقد شارك يوسف السباعي في هذا المجال ايضا منذ وقت غير قصير ، رغم ان الصحافة والادب لم يكونا باعثه الاول على القيام باكثر رحلاته .. اذ ان وظيفته في المؤتمر الآسيوي الافريقي هي التي تتطلب منه ان يعبر القارات بين شهر وشهر . واذا كان رحالتنا الجديد قد تناول في كتبه التي تحوي مقالاته بعض هذه الرحلات ، فان احدث انتاجه « طائر بين المحيطين » الذي صدر قريبا ، يقتصر على الرحلة وحدها . ولذلك فهو ابين في الدلالة على ملامح هذا الفن في كتابات يوسف السباعي .

وقارىء رحلات السباعي لا ينتظر من من يبغض الجغرافيا ويكره الاعداد الى درجة .. الا يطيق التفاصيل في الارقام حتى لو اضافت شيئا في حسابه ، ان يجد في حديثه عرضا جغرافيا او احصائيا باي شكل من الاشكال . لقد كان شاغل صاحبنا الاول ان يتناول الهموم الداخلية والخارجية لرحالة العصر الحديث والعلاقات البشرية البسيطة او المتشابكة بين الناس .

وفي احيان غير قليلة بدت الرحلة خاصة في القسم الاول وكانها تتحرك على مسرح القصة الطويلة ، لا تلتقي بفن الرحلات الا عرضا او مصادفة . ولكن رغم هذا كله فان يوسف السباعي استطاع ان ينقل الينا من خلال تحركه في اعمال المؤتمر من مكان الى مكان ، طبيعة هذا البلد او ذاك باجوائه وناسه باسلوب افضل من سرد كتب الرحلات المباشر وتقديم المعلومات . فمن ثنايا الموقف والشخصية والحدث ، عبر باسلوبه القصصي عن اكثر الملامح اصالة واكثر القضايا والظواهر انتشارا في البلد المزار .. مثل هذه الفتاة البيضاء التي التقى بها في غينيا وهي نتاج الاب الفرنسي والام خليط الغينية والكونجولي ، واعتزازها الكبير بافريقيتها واسرتها السوداء الى الحد الذي تعرفه بها في كوخهم القروي في الدغل .

والرحلات دائما تؤكد هذه البديهية التي تقع منا في زحمة الحياة اليومية والاهتمام المحلي موقع المفاجاة ونحن نقف فيها ، وكاننا نكتشفه لاول مرة ، على حب الانسان للانسان . هذا الحب هو اللغة العالمية التي يعبر بها الناس جميعا عن آدميتهم قبل ان تنطق السنتهم بلهجاتهم القومية . وهي هنا ايضا تتنفس في رحلات يوسف السباعي. فالحواجز الحقيقية او المصطنعة تتهاوى مع الرغبة الصادقة في التعارف . ان الانسان هو الحقيقة الاولى على الارض .. قبل الدول والمشاكل والمذاهب واطماع الاقطاب . الانسان هو هو سواء اكان في بكين او كوبا او اديس ابابا او اكرا او هافانا او غيرها من البلاد التي عرض لها اديبنا . حقا ان العالم كما يقول السباعي صغير والانسان لا يتغير . ان السيدة الاذربيجانية في باكو مثلا التي تنشر سجاجيدها على حافة الشرفة ، لا تختلف عن اخت لها في القاهرة او اي مكان آخر من العالم ..

والسندباد الجديد الذي تقدمه رحلات السباعي ، لم يستطع في بعض رحلاته الا ان يكون سياسيا . وهنا غلبت حدة كلمات مؤامرات الاستعمار ومقاومته والاحتلال الامريكي الجديد .. الخ . ولعل ذلك صبغ جانبا من هذه الرحلات بلون معين لا نجده في الرحلات الاخرى . ورغم ذلك يمكن القول ان الذين لا يستسيغون السياسة ، يجدون في محاولات السباعي ما يرقق من حاشيتها قليلا ويجعلها تبدو غير عسيرة الهضم .. خاصة عندما يجعلها تجلو واقعا معاشا يبعد عن التقارير وما تديعه وكالات الانباء المؤيدة او المعارضة .. واقع يزار ويتعرف على اصحابه كما في تقديم فنانينا رحلة فيتنام ..

واذا كان الانسان العادي يختزن تلقائيا بلا وعي ما يقع له ويلتقط بصره ، فان الكاتب الرحالة الذي يريد ان يستخلص من مشاهداته ما يقدم للقارىء .. لا يملك الا ان يستشعر دائما وجود هذا القارىء في كل لحظة ، فيتشبث من البشر ويعيد النظر اكثر من مرة متاملا . فاستمتاع رحالتنا بزياراته بهذا الشكل ليس خالصا .. انه استمتاع موجه اذا صح هذا التعبير .. والذي يوجهه هو المتلقي .. يحدث هذا باسلوب غير مباشر ولكنه واضح قوي يحسه الكاتب الرحالة قبل غيره . يكتب السباعي مثلا .. تامل ما حوله ومن حوله .. فلم يجد به شيئا يبقى في الذهن .. يمكن ان يسترجعه عندما ينبش ماضيه .. ليجتره على الورق ..

ومن الملاحظ ان كاتبنا وسم رحلاته بالخطوط التي سارت عليها تنقلات اجتماعاته ، مما اعطى لها مذاقا خاصا لا نجده في رحلات غيره.. خاصة وهو يقدم الينا عالم المؤتمرات بتياراته الساخنة والباردة وجنسيات اعضائه المختلفة وكانه برج بابل . ولكن هذه الخطوط من ناحية اخرى ، قيدت خطوه الحر .. فرغم ان السباعي شرق وغرب، وكتب عن مشاهداته وانطباعاته وتاملاته ، وهو شيء كثير .. الا ان هذا كله كان في نطاق مواقع عمله بمعنى انه لم يبرحها الى غيرها في محاولة لاستكمال ملامح الصورة .

ان رحلات السباعي لا تحاول ان تستوعب فحسب البلاد البعيدة، بل هي تعمد ايضا وفي المقام الاول الى استيعاب اعماق صاحبها نفسه وفي ذلك كسب غير قليل للقارىء العربي الذي يقف على الدوام على شطآن عوالم حيوات ادبائه لا يكاد يعرف عنها شيئا !

القاهرة — علاء الدين وحيد

•

منهج البحث الادبي

تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٥٠ صفحة ـ مطبعة العاني ببغداد ـ ١٩٧٠

للاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر على الادب والنقد فضل ، وله فيهما مكانة سامقة عززها اطلاع واسع ، وعلم جم ، وداب متواصل ورفع منها ما غنم من نعمة التواضع ، وما فاز من حصيلة الادب ،

والخلق وهذه الفضائل مغانم العلماء الاجلاء من دنيا الادب ، والفن ، والابداع . واذا مال بعض الادباء الى التخصص في لون معين وجدوا فيه رغبة منهم له وتوفروا على النبوغ ، والبروز فيه فان يراع استاذنا الطاهر لم يقف عند قدر محدود من التخصص بل انه استطاع بما وهب من وساعة في الافق ، ودراية في الادب ، وعلم في النقد والدراسة، حيازة القدح المعلى في اكثر من باب ، وميدان . ولذا فقد تعددت مؤلفاته ، وتنوعت نتاجاته . فقد عرفناه دارسا في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » ومحللا وناقدا في « لامية الطغرائي » و « محمود احمد السيد » و « القصص العراقي » و « مقالات » و « ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة » ومترجما لمجموعة « الابن وسبع قصص اخرى » ومؤلفا ناضجا لاكثر من كتاب ، وكتاب . واذ يجد الدكتور الطاهر على صعيد التاليف رغم متاعبه الحياتية وارتباطاته الادبية فانه لا ينسى ان يطالعك على صفحات مجلتي « الاديب » الزاهرة و « العرب » الغراء .

وجريا على عادته ، واستمرارا على منهجه في تقديم خلاصة تجاربه خدمة للادب ، والتماسا لافادة قرائه ، وتلاميذه فقد ادلى بدلوه مرة اخرى بعد مرات فكانت النتيجة « منهج البحث الادبي » .

ينتظم الكتاب في فصول تسعة سبقتها مقدمة وتلاها تمهيد . وبين اولى الصفحات ، واخرياتها صولات وجولات ، ومناقشات وتحليلات كتبت باسلوب شائق ، وبتركيز واضح ، وبمنهج صحيح . تفضي هذه الفصول الى الخاتمة الصغيرة حجما المركزة موضوعا متضمنة عصارة ما في الكتاب من شرح وتفسير .

« البحث والبحوث » هكذا يطالعنا الدكتور الطاهر في الفصل الاول من الكتاب وكان منطقيا ان يبدأ بتعريف « البحث » وقد فعل ثم انتقل الى القسم الثاني من الفصل الى « البحوث » فاستوفى اقسامها ولم ينس التعريج على سرد ملاحظات مفيدة منهيا الفصل . حتى اذا استوفى الكلام على البحث والبحوث انتقل الى « الباحث » عبر الفصل الثاني متحدثا عن شروطه فذكر أحد عشر شرطا مهما هي :

(١) الرغبة . (٢) الصبر . (٣) التتبع . (٤) الحافظة والذاكرة . (٥) الربط . (٦) الشك والتثبت . (٧) الانصاف والموضوعية . (٨) الامانة والضمير . (٩) الجراة . (١٠) العقلية التنظيمية . (١١) الموهبة .

ثم ختم الفصل بتقديم نصائح لا غنى عنها . وفي الفصل الثالث حديث عن « اختيار الموضوع » معزز بشروط اربعة وهي :

(١) الدقة والوضوح . (٢) (الجدة) . (٣) وفرة المصادر. (٤) مناسبته للمرحلة التي هو عليها .

ولم ينس المؤلف وهو يسرد هذه النقاط ان يذيلها بملاحظة مهمة نافعة . اما الحديث عن « الخطة » فقد ورد في الفصل الرابع وهي امر مهم في البحث الادبي لانها « رسم للخطوط التي سيسير عليها الموضوع » .

وفي الفصل الذي كتبه عن « المصادر » تنبسط ستة اقسام تدور حول محور الاهتمام بالمصادر وما اليها . اما « جمع المعلومات » فذلك ما احتجنه الفصل السادس . بينما يشكل الحديث عن « المسودة » و « المبيضة » الفصلين السابع والثامن تبعه الفصل التاسع المعنون « من الطبع الى المطبعة » وقد ورد فيه :

(١) الطبع على الآلة الكاتبة . (٢) الفهارس . (٣) فهارس اعلام الاشخاص . (٤) المناقشة . (٥) الطبع والنشر .

ان الدراسة فضلا عن كونها علما فهي فن ايضا ، وفضلا عن كونها ابانة عن جوانب فهي قدرة ، وادراك ، ودقة وهذا لا يتيسر لطالب لا يعرف المنهج ، ولم يقرأ عنه ومن هنا يتبين حجم فائدة « منهج البحث الادبي » ككتاب علمي منهجي الف بموضوعية ، ودراية ، وفهم.

ان الدراسات العليا في الكليات ، والجامعات العربية وهي مقبلة على نهضة في الطريقة ، والاسلوب ، والمنهج تحتاج الى كتب مقررة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لدراسة المنهج الادبي مسايرة لاهتمام ارقى الجامعات العالمية بـــه ، وتمشيا مع درجة العزم الذي توليه جامعاتنا لاغناء طلبـــة الدراسات العليا وتزويدهم بما يروي عطشهم الى العلم ، والدراسة ، والتتبع .

أرجو الا اكون مبالغا اذا اقترحت ضمه الى فصيلة الكتب المقررة على طلبة الدراسات العليا فهو خلاصة معاناة ، وحصيلة خبرة طويلة.

بغـــداد — نبيل ابراهيم العطية

●

صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني

تأليف الدكتور محمود ابراهيم ـ ٢٤٣ صفحة ـ نشر المكتب الاسلامي بدمشق ، ومكتبة الاقصى بعمان

أهدى الي الدكتور محمود ابراهيم ، الاستاذ بكلية آداب الجامعـــة الاردنية ، كتابه النفيس عن ابن القيسراني وصدى الغزو الصليبـــي في شعره ، فلم أعجب لاختيار الدكتور محمود هذا الموضوع في هذا الوقت العصيب ، الذي تبلو الامة العربية فيه الامرين مـــن الغزو الصهيوني العنصري الجاحم ، وهو ابن طولكرم المجاهدة ، وجار قلقيلية الجبارة ، والشاعر العربي المرهف الحس ، الذي حملته حاسته السادسة على أن لا يرى للجهاد بديلا ، وعلى ان يسمي ولي عهده « جهادا » .

أطال الدكتور في وصف عماد الدين زنكي ونور الدين في الربـــع الاول من كتابه النفيس وصفا علميا دقيقا ، جمع فيـــه بين دقـــة المستعربين ، وبلاغة امراء النثر . وهـــذه الاطالة التي رآها المؤلف ضرورية لتوضيح ما بعدها تجعلني اقترح عليه تسمية كتابه : « الغزو الصليبي وصداه في شعر ابن القيسراني » . وهذا يجعل عنوان الكتاب يشمل مادته كلها .

وربما كان اطنابه في وصف الاسلوب الحكيم الذي حكـــم بـــه نور الدين شعبه ايعازا خفيا لبعض حكـــام اليـــوم ، الذين حصروا اهتمامهم بأنفسهم واسرهم ، واهملوا شعوبهم ، للاقتداء بذلك الحاكم العظيم الخالد ، من حيث محاربتهم العدو المغتصب لارضهم كما حارب نور الدين الفرنجة ، ومن حيث حملهم على النهضة بالبلاد عمرانيا ، وثقافيا واجتماعيا كما نهض بها ذلك الحاكم الفذ .

ويأتي الدكتور ابو جهاد بمنتخبات من شعـــر ابن القيسرانـــي الوطني كقوله لنور الدين :

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجـــة ... فبالافق الداجي الى ذا البسنا فقر
كاني بهذا العزم ، لافل حـــده ... وأقصاه بالاقصى ، وقد قضي الامر
وقد اصبح القدس المقدس طاهرا ... وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة في عنق سيف ولا نـــذر
وصلت بمعراج النبـــي صوارم ... مساجدها شفع ، وساجدها وتر

وقوله لنور الدين أيضا :

فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب ... يوليك أقصى المنى ، فالقدس مرتقب
وائذن لموجـــك في تطهير ساحلـــه ... فانما انت بحـــر لجـــه لجب
يا من أعاد ثغور الشام ضاحكـــة ... من الظبى عن ثغور زانها الشنب
ما زلت تلحـــق عاصيها بطائعها ... حتـــى أقمت ، وانطاكية حلـــب

ويورد الدكتور محمود عشرات النموذجات من شعر ابن القيسراني القومي ، ويحللها تحليلا نفسيا وأدبيا دقيقين عندما ينظم مدائحه التي وجه جلها الى المجاهدين البطلين عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ، وعندما يتغزل بحسناوات الفرنجة بعد تجاوزه الستين من عمره .

أما الفصل الذي كتبه ابو جهاد عـــن الصلة بين شعر ابـــن القيسراني واستعادة الارض والمقدسات ، والفصل الذي يليه عن القوة والوحدة ، فهما فصلان بلغ فيهما الدكتور محمود القمـــة ، ولحسن الحظ انهما جاءا في وقت تهم فيه أمتنا بتوحيـــد سواعدها وقلوبها ، لاستعادة بلادنا المقدسة الطاهرة التـــي احتلتها اسرائيل بمساعـــدة الاستعمار .

وقد اجاد المؤلف في تقصيه الابيات التي حذا فيها ابن القيسراني حذو المتنبي وأبي تمام في شعرهما الحماسي ، الذي طفت فيه قعقعـــة الحرف على قعقعة السلاح . واني الدكتور محمود بانموذجات كثـــيرة رأينا فيها الشاعر متأثرا جدا بالشعراء الاقدمين عامة ، وبشعر المتنبي وابي تمام خاصة .

ويورد أبو جهاد أسبابا وجيهة ، حدت بالشاعر الى الالتفات الى قصائد ذينك الشاعرين العملاقين ، ويبدع في تحليل ذلك الالتفات .

ثم نرى المؤلف الكبير قد وفى الصناعة اللفظيـــة (البديـــع) ، والبيان في شعر ابن القيسراني وعصره حقهما مـــن البحث ، وأحسن اختيار النموذجات الشعرية الكافية ، الدالة عـــلى اهتمامه بالبديـــع عامة ، والاكثار من الطباقات خاصة .

وبحث الدكتور محمود بعد ذلك في نقد الشعر العربـــي ، وأورد رأي ابن طباطبا في كتابه « عيار الشعر » في الطريقة التي على الشاعـــر الحديث ان يرد فيها ينابيع المعاني التي تتدفق مـــن دواوين الشعراء الذين سبقوه ، حتى اذا اختلطت تلك المعاني ، وأصبحت جزءا مـــن ذخيرة الشاعر الفكرية ، راح يرد مزيجها الجديد ، الذي سوف يصبح طابع ذلك الشاعر .

لا شك في ان رأي ابن طبا وجيه ، ولكنني أرى ان المعاني التي لم يفض ختامها شعراء الامس هي اكثر جدا من المعاني التـــي اكتشفوا كنوزها . وسوف تتولد معان جديدة في اذهان عباقرة شعراء الغـــد ، تبدو امامها المعاني القديمة كأنها وردة في حديقة ، او ساقيـــة صغيرة متفرعة من نهر ، او نجمة في سماء مرصعة بالنجوم .

وقد كنت أود ان يخلو ذلك الكتاب النفيس من اغلاط مطبعيـــة كثيرة ، يستطيع القارىء النابه معرفة بعضها ، ولا يمكنه معرفتها كلها، ولا حيلة للمؤلف في ذلك ، لانه يقيم في عمان ، وكتابه طبع في بيروت.

وهنالك جمل وفقرات كان يجب ان توضع بين قوسين ، للدلالة على أنها ليست للمؤلف ، لان عباراتها غير متماسكة ، كقولـــه في وصف نور الدين : « وبنى دار العدل في بلاده ، وكان يجلس هـــو والقاضي فيها ينصف المظلوم ، ولو انه يهودي ، من الظالم ، ولو انه ولـــده واكبر امير عنده » .

وربما كان ذلك من اهمال المنضد ، او مصحح المطبعة ، ولا ادري لماذا لا تضع المطابع اللبنانية التي تحترم نفسها ـ بعدما تسلم لبنـــان راية الطباعة والنشر في العالم العربي ـ مصححين من الادباء المعروفين، لتصحيح مئات الكتب التي تطبع سنويا في لبنان لمؤلفين يقيمون خارج لبنان ، ولا يستطيعون الاشراف على طبع كتبهم ، وانقاذها من برائـــن الاخطاء المطبعية .

وفي الختام ليس في وسع الناقد تلخيص كتاب نفيس مركز المعاني كهذا الكتاب ، كما يلخص زهر الروض في قوارير من العطر ، وما على الادباء الذين يرغبون في دراسة القرنـــين الخامس والسادس الهجريين تاريخيا وأدبيا ونقدا ، ويودون الاطلاع على الاسلوب العلمي الدقيق في البحث ، الا ان ينهلوا من معين هـــذا الكتاب ، ليجنوا ثمرات فكـــر ناضج ، قضى سنوات في دراسة شاعر كبير وعصره .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

●

العصـــف والريحـــان

تأليف عبد الله كنون ـ ٢٦٤ صفحة ـ منشورات المكتبـــة العصرية بطنجـة المغـرب

اذا أبحت لنفسي ، او وجدتني مدفوعا الى تناول العالم الجليـــل الاستاذ عبد الله كنون ، في هذا الكتاب ، فما ذلك ، الا انني قد كنت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امر على ما يقع تحت يدي من انتاجه ، مرورا على اكثر الادباء ، معرفة الاسم ، والمؤلف ، الى ان كان لي من امر الحديث مع هذا الرجل ، فاضطررت الى البحث عنه عن طريق صديقه الباحث الاستاذ انور الجندي ، الذي أعارني : « العصف والريحان » وطالبني برد عاريته بعد قليل ...

وقد شاء حظي السعيد ، ان اراجع الاستاذ كنون في بعض مؤلفاته وكثير من مباحثه ، وان كانت لي العتبى ، في انني طالعته على عجل ، ولمسته لمسا خفيفا ، في مكتبته تارة ، او عند صديق تارة اخرى ... لذلك ، اعترف بان ما اكتبه عن الرجل ، لا يمثل عندي الا جانبا ضئيلا من دراسة ، اريد ان استكملها في قابل الايام ، عندما يتاح لي ان استقرىء هذه البلاد ، او اضع دراسة مستوفاة عنها ، فهي اصل اجدادي ، كما قيل لي ، وموضع الاصلاء من بني : « زيان » ..!!

يضم « العصف والريحان » اثنين وعشرين بحثا ، هي أم هذا الكتاب ومحتواه ، وان كنت اجزم بان هناك مباحث اخرى ، تنتظر النور ، كما رأى غيرها ضياء الحياة في ظل « التعاشب » و « واحة الفكر » و « خل وبقل » و « كان لها اثرها في اثراء حياتنا الفكرية ، واخصاب انتاجنا الادبي » .

ولا ريب ، في ان هذه المجموعة الرابعة ، هي ما أرخت الا للادب المغربي ، وتناولت « البيت في الشعر العربي » ، ونظرت في الباحث الموسوعي : « انور الجندي » ، و « بطاقة زيارة » و « المعجم العربي » و « المغرب في مجمع اللغة العربية » وبحثت في « علم الجنس » ، وتجلى تقديرها « لمالك بن أنس » و « ابن ابي الخصال » و « ابي البقاء الرندي » و « ابن الابار » و « ابن سناء الملك » و « ابن خلدون » غير بقية الابحاث التي عرض لها الاستاذ كنون ، ووفاها حقها من الاستبطان والعرض والتحقيق والموازنة ...

والاستاذ كنون في مناقشته للاستاذ الصحراوي ، الذي اخذ عليه كلمة : « سوقة » في الكتاب الذي حققه وهو : « ديوان ملك غرناطة »، انما يتسم بالهدوء ، ويستقرىء الروايات ، ويسوق الادلة شعرا ، حتى يستقر في الاذهان ما عناه هذا الباحث من لفظ « سوقة » الذي يقابل في بحثه : « لفظ ملك » ويأتي بشواهد العروضيين ، وما انشده الخليفة المعتصم عند احتضاره ، وابن بسام ، وحرقة بنت النعمان بن المنذر ، بعد ان دل على ان : « لبيد » و « النابغة » وغير واحد من شعراء العربية الاقدمين ، قد استعملوا هذا اللفظ بمعنى « سوقة » في اكثر من موضع ، من تواتر القصيد ...

ولا يالو هذا الباحث الكبير جهدا في الاشادة بمجد بلاده ، فهو عندما يعرض لمساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية، يستعرض التاريخ، ويقلب صفحاته صفحة صفحة ، فيذكر قصة « الصاحب » عندما سمع بكتاب « العقد الفريد » ، ويتحدث عن الاندلس ، ثم يؤرخ لمكانة المغرب في الحياة الفكرية العربية ، ومدى اسهامه في تقدم هذه الحياة ، وذلك حين توحد على يد امراء المسلمين من ملوك المرابطين ، وخلفاء الموحدين، وسار في طريقه الى اليوم .

ويذكر المؤلف بعض من نبغوا في هذه البلاد ، وكان لهم دور في توجيه الثقافة العربية ، كالقاضي عياض ، وابن اجروم وابن الطيب الفاسي ، والشاعر : ابن حبوس الفاسي ، والجراوي ، ومالك بن المرحل ، غير المراكشي ، وابن عذارى ، وابن ابي زرع ، وابن القاضي، والقشتالي ، والافراني ، والزياني ، والناصري ، وابن جعفر الكناني ، وابن زيدون ، والشريف الادريسي ، صاحب الخريطة الدقيقة للعالم ، عدا العلوم الكونية التي ساهم رجال المغرب فيها ، والرياضية والطبية التي نبغ فيها كثير من علماء هذا البلد ، وكان لهم فيها فضل ومشاركة ...

وقد قلب الاستاذ كنون « السليقة عند العرب » ، واتى بمعانيها الكثار ، وما كان من المخالفة التي تعدى بها العرب القياس .

لكن الباحث الكبير ، لم يهمل في مساق كلمات ، عندما أصلا وواقعا في معناها ومبناها ، وبين ان الكلمة التي من هذا القبيل ، يجب ان تأخذ طريقها الى المعجم العربي من غير ما توقف او تلكؤ ، وبخاصة « اذا كانت متوافرة القياس اللفوي ، وجرت على السنة العموم بحكم ان واضعها قدر الحاجة الماسة اليها ، فسد بها فراغا كان الجميع يشعر به » .

ولا أدل على ما لهذا العالم من جلد وصبر ، حبه الذي لا يمارس فيه أحد ، البحث أيا كان نوعه ، وأيا كانت فائدته .

فان « البنيس » الذي طار فرحا عندما وجد اشارة تدل على معناه في قول الشيخ « المشرفي » :

وما البنيس الا دن خمر وبالتحقيق قد وجب انكساره

قد بل ظماه ، وشفى غلته ، وامتع نفسه اللهفى وراء لفظ ، ما أظنه بشافع في رد ما كان ، او بنافع فيما يكون ، الا انه البحث ، وراحة الضمير ، والشعور بالظفر ، وكذلك كان « الشرجب » بمعنى « النافذة » ، و « الزليج » بمعنى : « الفسيفساء » والقاشاني ، وغير هذا مما جاء تعقيبا له ، او توضيحا لما ورد على لسان بعض الباحثين في مؤتمرات المجامع اللغوية ، او سواها من الجلسات والندوات ..

ويكبر الاستاذ كنون ، من شأن الاستاذ عباس العقاد في تقديمه كتاب : « التفكير فريضة اسلامية » لا سيما اذا ظفر بالكتاب هدية من « رائد الفكر العربي الحديث » متناسيا انه صنو على طرف آخر من البحث والتحقيق ، لكن التواضع هو الذي ينطقه بأن هذا الكتاب: « اتجاه فلسفي ، يحدد نظرة الاسلام الى الحياة والكون ، وما تشاجر حولهما من آراء ومذاهب ، منذ ان وجدت الفلسفة ، وحاول الانسان تفسير غوامض هذا الوجود ... »

ثم يسرد المؤلف قصة لقائه بالدكتورة « بنت الشاطىء » ، وكيف استحيا ان يطلب توقيعها على كتابها : « قيم جديدة للادب العربي » ، ثم ما كان من امر تعرفه بها واتصاله الذي أبى عليه الا ان يقول عن كتابها : « انه محاولة ناجحة لوضع قيم حقيقية للادب العربي » ، ثم ما كان من تمنيه على الدكتورة .. « ان تتوسع في هذه الدراسة ، وتستمر فيها ، حتى تشمل العالم العربي بجناحيه ، وتصل الى ما بعد العصر العباسي ، من عصور حكم عليها ظلما : بالعقم والضحالة » .

ولا اراني قمينا بمناقشة الآراء التي جاءت في الفصول والمباحث التي ذكرتها بادىء ذي بدء ، او غيرها من بقية الافاضات ، فليس هذا العالم بحاجة الى اشارة مني ، او لفتة اضعه بها على صعيد الادب ، فالرجل قد قدم نفسه ، بما الف وبحث ، واخرج من كتب ، تشهد له ، يوم لا ينفع الا هي ، في : التجلة والاكبار .

القاهرة — **ابو طالب زيان**

•

الريـــاح العاصفة

ديوان شعر ـ ممدوح مولود ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة بدمشق

في عام ١٩٥٦ عندما صدر لممدوح مولود « نذير الامواج » قال الدكتور ممدوح حقي في مقدمة الديوان « لقد بدا ممدوح بقوة يضرب آفياق الشعر بعزم فهل يستمر على عزمه وقوته وايمانه ؟ »

وعندما أصدرت وزارة الثقافة « الرياح العاصفة » تأكد في قرارة نفسي قول الحقي عن هذا الشاعر الشاب الذي نشر على عاتقه ثلاثة كتب خسرت ماديا خسارة فادحة ... ولكن ايمان الشاعر بالعطاء ، وهو يحمل آمالا كبيرة ، ورغبات الشباب الجامحة ورغم كل المعوقات

لم ييأس قط بل حاول وحاول ...

وديوانه الجديد « الرياح العاصفة » ماذا حمل في طياته اليوم ؟ ما مدى التقدم الذي احرزه رغم المسافة الزمنية الطويلة بينه وبين ديوانه الاول ؟ ويمكننا ان نتساءل ايضا : هل تاثر بموجة التجديد المعاصرة التي صارت واقعا ملموسا تركت بصماتها على نتاج اغلب الشعراء الشباب من بدء الحركة التجديدية حتى يومنا هذا ...؟

في كلا الديوانين ومن خلال ما نشر في المجلات خلال هذه الحقبة التي لا يستهان بها نجد ممدوح محافظا على شكل العقيدة التقليدية : يحترم الفراهيدي ، ويصادق القافية ... يجذبه البديع ، ويطرب للتنغيم ... يمتاز بالنفس الطويل .. ، يحمل الحماس المتقد الخطابي المنتشر في منحنيات قصائده ... رغم ابتعاد المدرسة الحديثة في الشعر عن الضجيج الى الهمس ، وعن التصريح الى التلميح ... وقد لعبت نكسة حزيران دورا ايجابيا في هذا الشان هذا من حيث الشكل ... فكيف المضمون ... في « نذير الامواج » كان بين الذات المحترقة بنار الغرام والشباب والفتنة والجمال .. وبين الذات المتوقدة بنار الثورة اما في ديوانه الجديد ... فقد التزم خطا واحدا ... التقى عنده الوطن بالمعركة بالانسانية ... صار حرفه يحمل المرارة والتمرد والنزق ... فمثلما المقاتل الذي يناضل بدمه كان الشاعر يقاتل ويرفد الاول بالحرف بالفكرة .. بالحداء الصادق .. لماذا ؟ « لان الحياة اكثر اهمية من الفن ... وهذا ما يجعل الفن مهما » على حد تعبير « جيمس بالدوين » .. لذا اصبح الفن .. اصبح الشعر عند ممدوح التزاما عفويا ، سلاحا ومسؤولية ...

ما الشعر ان لم يكن والحرب دائرة ... نارا تحوج.. اعاصيرا .. براكينا
ما الشعر ان لم يكن والركب منطلق ... الا ضميرا ابيا مغضبا فينا ...

لذا علينا ان نكون اكثر صبرا وجلدا عندما نطالع « الرياح ...» في لحظة المطالعة لزاما علينا ان ندرك دور الحرف في هذه الفترة العصيبة التي تعيشها امتنا .. لزاما علينا ان نعاني بعضا مما يعانيه الجندي والشاعر يحاول تصويره ، ورصد مشاعره .. ان نلمس قرارة الفدائي والشاعر ينسج القصيدة تلو القصيدة عنه .. عن بذل الكثير .. ان لم نعش تلك المشاعر فسوف نتهم الشاعر بثقل الحروف، بمرارة الوقع ... واما اذا كنا كتلة منصهرة في أتون القضية فسوف نستشعر ابعاد القصائد ... التي تنداح كلمات صارخة في وجه العدو والظلام وكلمات خضر تحدد قوافل المقاتلين .

قراءة سريعة لعناوين الديوان « رسالة من الجبهة ، الانهيار الكبير ، اغرقوا الايلات ، زئير العاصفة ، عيون لا تنام ، الاطفال والضمير العالمي ، وطني ، رسالة من الارض المحتلة ، مذكرات فدائي.. الهزيمة ، الاطفال والاسلحة .. الخ ... » يدرك القارىء ماذا تحمله قصائد الشاعر ... انه يهتم بالجندي ، بالفدائي .. بالاطفال ... بالسلام .. بالمعركة .. بالمقاتلين .. بالغد الذي تشرق فيه الشمس.. قصة هؤلاء .. لم تنته بعد .. بلغت ذروتها الدرامية ـ ان جاز التعبير ـ في حرب حزيران .. وقصيدة « الشعر والمعركة » التي كتبها اثر التاهب العربي قبل هذه الحرب .. تدل دلالة واضحة على مدى فشل المثقف ، وفشل الحرف الذي اتكأ على التهويل والحماس .. وقد عرته النكسة فصار حرفا نقيا صادقا ... صار المثقف شاعر الفكر العادي .. والمفكر الشاعر ... اذا اصبح الضجيج نقطة ضعف يجب تلافيها .. لان الهزيمة كما قال ممدوح في قصيدة تحمل هذا الاسم :

انها المحنة .. او قل انها النكبة والرؤيا الدميمة
انها تجربة الاخلاق ، بل محض المروءات النؤومة

الشاعر بدأ يترقب اية ظاهرة صحية في جسد الامة ... فعندما تم اغراق « أيلات » نسج قصيدة تفيض فرحا لغرقها ... واخبر العدو بأنها البداية « انها البداية ، والباقي كفيل بسحقه الزلزال ... »

وبالفعل كانت البداية .. تلتها ما يسمى رد الاعتبار .. الدفاع عن الكرامة . ، رفض الخضوع ، لم يعد الحرف يكفي .. فكان الفدائيون .. يطلعون في كل مكان .. وقد سجل الشاعر هذه الظاهرة كما اسلفنا في عدة قصائده بل جل قصائد الديوان ... نجح في بعضها وكانت صعوبة المعاناة ومعايشة تلك الاجواء .. سببا في جفاف النسغ الخلاق في بعض القصائد .. مثل « غدا تشرق الشمس » و « اقوى من الموت » يصور فيها قتال الفدائيين مع طائرات العدو .. وكما في « القراصنة » ... وما اعجبني الامل ... الذي يشع في كل خلية من خلايا الديوان .. تفاؤله بالمستقبل .. بالرهص النضالي .. بالغد الجميل ..

فخلفنا لم تزل روح مقاتلة ... في كل قلب لغير الحق ما سجدا
وخلفنا الف جيل الف قافلة ... من الفداء تهز العالمين فدى

واما الجندي في الخندق فيعيش الشاعر معه .. يساعده في كتابة « رسالة من الجبهة » و « رسالة الى ماري » لان « الفارس العربي » يرسل « اغنية للغد الاخضر » بعد « سقوط الاقنعة » وظهور « الحقيقة العارية » من اجل « وطني » من أجل « الاطفال ... » « فالعيون لا تنام » !.

وقبل ختام كلمتي اسجل هذه النقاط التالية :

١ ـ حافظ الشاعر على العمود التقليدي وكم تمنيت لو ظهرت على شعره بوادر التجديد بالشكل والمضمون .

٢ ـ لقد سادت روح الخطابة في الديوان .. وهذا يعود لحب الشاعر للتنغيم الى حد الطرب .. فالقصائد محفلية .. منبرية تعتبر الصوت الداوي للنضال .

٣ ـ اهتمامه بالكم يجعله في بعض الاحيان يقع في حبائل النثر.. والاشياء السطحية ...

٤ ـ ما قبل النكسة كان الادب يستعين في مواجهة العدو بقاموس السب والصراخ ونعته بالصفات السيئة ولكن النكسة غيرت ما غيرت مع كل ذلك نجد شاعرنا الشاب يثور .. وفي أتون ثورته يسب ينعت العدو بتلك الصفات .. نجد ذلك في « الحقيقة العارية .. واغرقوا الايلات ... و ... مثلا » .

٥ ـ اذكر ان صحفيا سأل الروائي نجيب محفوظ بعد النكسة عن كتاباته عن المعركة .. و ... فاجاب ان من يعيش المعركة واقعيا ضمن القوات المسلحة سوف يكون اكثر معاناة وصدقا)) وهذه حقيقة واعية.. لذا فان المعاناة ، والتجربة لخلق فن المعركة يحتاج الى ادراك والى معايشة .. وقد وقع الشاعر في هذه التجربة فجاءت بعض قصائده غير ناضجة جدا ...

لا اخفي ان بعض قصائد الديوان مثلا : عيون لا تنام ـ رسالة ماري ـ الجندي المجهول ... وغيرها تركت في نفسي اثر حسنا ... وسوف يظل ممدوح مولود وغيره من الشباب الجنود المجهولين حتى يوجد الناقد والقارىء المنصفان اللذان يعرفان من هو الجندي المجهول ... وهو يقول :

واصبحت جنديا أبيا مقاتلا ... أخوض غمار الحرب حر الملابس
ولم اقتطف غير الجحود ولم أجد ... سوى الريح في وجهي تبيد مغارسي
كأني غريب في بلادي وليس لي ... مكان لصوتي في خضم التفارس

ولممدوح الجندي المجهول له جزيل شكري آملا ان يغذي المكتبة العربية بفائض عطائه ، محاولا التطور لان التطور واقع وطبيعي ، والتجديد لان معاناة الشاعر في هذا القرن والذي يليه تملي عليه هذا التجديد .

حلب — مصطفى أحمد النجار



الدكتور احمد الشرباصي

بين محمد عبده وسعيد الشرتوني

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

ما زالت لدي مجموعة كبيرة من الرسائل الفكرية والتاريخية التي دارت بين اعلام الفكر والادب في العصر الحديث ولم تنشر . ومن بين هذه المجموعة جملة رسائل وجهها اللغوي الضليع سعيد الخوري الشرتوني صاحب معجم : « اقرب الموارد » والى الاستاذ الامام محمد عبده الذي ملأ دنياه ، وشغل الناس في عصره .

والشرتوني علم من اعلام اللغة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهو كاتب منشيء ، لغوي بحاثة ، تفقه في العربية وتمكن منها ، وكانت كتابته سهلة المأخذ ، واضحة المنهج ، رقيقة الالفاظ .

وهو : سعيد بن عبد الله بن ميخائيل بن الياس بن الخوري شاهين الرامي ، وشهرته سعيد الخوري الشرتوني ، واذا رجعنا الى « الاعلام » للزركلي و « مصادر الدراسة الادبية » لداغر ، وغيرهما ، استطعنا ان نعرف ان الشرتوني ولد في بلدة « شرتون » بلبنان سنة ١٢٦٥ هـ ــ ١٨٤٩ م . وتعلم في مدرسة « عبية » الامريكية لمدة سنتين ، ثم انتقل الى مدرسة « سوق الغرب » . وتولى تدريس علوم العربية في مدرسة اليسوعيين ببيروت ، وقام بتصحيح مطبوعاتهم نحو ربع قرن .

كما قام بالتدريس في مدارس كثيرة في لبنان وسورية ، ومنها : مدرسة عين تراز ، ومدرسة راهبات الناصرة ، ومدرسة البطريركية ، ومدرسة الحكمة .

وقد توفي الشرتوني سنة ١٣٣٠ هـ ــ ١٩١٢ م في احدى ضواحي بيروت « قرية الشياح » حيث اقام فيها ايامه الاخيرة حزينا على وفاة اخيه رشيد ، وابنتيه الاديبتين : عفيفة وانيسة .

وللشرتوني مجموعة من الكتب والآثار ، هي :

١ ــ اقرب الموارد الى فصيح العربية الشوارد ، وهو معجمه المشهور طبع سنة ١٩٠٢ في ثلاثة مجلدات .

٢ ــ شرح كتاب بحث الطالب : في النحو والصرف .

٣ ــ الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب ، طبع سنة ١٨٨٤ .

٤ ــ السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب ، طبع سنة ١٨٧٤ ، وهو نقد لكتاب « غنية الطالب ومنية الراغب » لاحمد فارس الشدياق .

٥ ــ الغصن الرطيب في فن الخطيب ، طبع سنة ١٨٧٨ .

٦ ــ حدائق المنثور والمنظوم ، طبع سنة ١٩٠٢ .

٧ ــ نجدة اليراع ، طبع سنة ١٩٠٥ .

٨ ــ السفر العجب الى بلاد الذهب ، طبع سنة ١٩٠٠ .

٩ ــ المعين في صناعة الانشاء ، طبع سنة ١٨٩٩ .

١٠ ــ مطالع الاضواء في مناهج الكتب والشعراء ، طبع سنة ١٩٠٨ .

١١ ــ المحاماة عن الموارنة وقديسيهم ، طبع سنة ١٨٩٩ .

وكان يقول الشعر احيانا ، ومن شعره هذا البيت :

قد كتب الحسن على وجهها يا اعين الناس قفي وانظري

ولقد اعجب الشرتوني بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قبل ان يلتقيا ، وزاد اعجاب الشرتوني بالامام بعد اللقاء ، حتى روى امير البيان شكيب ارسلان ان الشرتوني كان يقول عن الشيخ بعد ان رآه وسمعه : « هذا الرجل اذا تكلم يخرج النور من فمه » . كما روى الامير ان الشرتوني اشتد اعجابه بمبادىء الاسلام وتعمق في طواياه بسبب استماعه الى الشيخ محمد عبده (١) .

والرسالة الاولى من الشرتوني الى الامام ــ مما هو مخطوط محفوظ عندي ــ كانت بتاريخ (٤ محرم سنة ١٢٩٤ هـ) . ونفهم منها ان الرجلين لم يلتقيا بعد ، بدليل ان الشرتوني يقول في آخر هذه الرسالة : « ما رأيت الشيخ محمد عبده ولا الشيخ عبد الكريم سلمان » .

وهو يتحدث الى الامام فيها عن اعجابه بالامام ، وذكره كثيرا مع غيره في مجالس امير البيان شكيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارسلان في لبنان ، ويشير الى رسائله التي يبعث بها الى الامام ، والى تقدم الشرتوني في اللغة الفرنسية والترجمة عنها ، ويطلب من الامام ان يكتب اليه باللغة الفرنسية ـ وكان الامام قد تعلمها ـ ويتمنى الشرتوني ان يزور الامام لبنان في ذلك الصيف ، ويرجو الشرتوني الامام ان يبلغ السلام الى المؤرخ امين فكري ، وسعد زغلول ، وشقيقه احمد فتحي زغلول ، والشيخ عبد الكريم سلمان .

وهذا هو نص الرسالة المخطوطة والمحفوظة لدي :

« ايها الشيخ الفاضل

انك لا تبرح متمثلا تجاه ناظري ، وكثيرا ما يدور ذكرك الطيب على لساني ، ولا سيما في الاجتماعات الارسلانية ، غير ان ذلك قد اوقع علي اهمالا لما يقتضيه الواجب من ارسال الرسائل اليك . وهذه الليلة كنت اتمشى في فناء بيتي ، فنهض ضميري يوبخني على هذا التقصير في حق الشيخ ، والاقتصار على الاستعلام من الامير شكيب عن احواله وصحته ، فاخذت القلم وكتبت هذه الرسالة ، راجيا من حلم سيدي قبول العفو (٢) عن ذنبي ، ومنبئا اياه اني لم ازل في عالم الاحياء ، وان كثرة الترجمة من اللغة الفرنسوية قد اضطرتني او اضطرت الالفاظ ان تثبت في حافظتي ، فصرت على رغم ما بي من التواني مقتدرا على فهم الكتب .

حتى اني ترجمت ثلاث مباحثات في علم الخطابة لفنلون مطران كمبري الفرنسوي صاحب تليماك ، وسأطبعها ملحقة بكتاب في قواعد صناعة الوعظ للمطران جرمانوس فرحات ، وهي في نفسها كتاب صغير . وكفى بهذا دليلا على اني قد تقدمت شيئا .

واعترف لك ان الداعي الى ذكر هذا الخبر الشخصي انما هو ان احملك على زيادة الابتهاج بما وصلت اليه من البراعة في اللغة الفرنسوية تكلما وكتابة وترجمة ، اذا قابلت كثير ما حصلته بقليل ما استفدته ، وسبحان من آتاك الفضل والمزية في كل حال .

ان نفسي مطمئنة هذه السنة الى تشريفك في الصيف ، فهل في النية تحقيق الامل ، والانعاش بلقاء من آثره الله على كثير من كبار الناس ببسطة في علمه ، ونقاء في سريرته ، ووفاء في مودته ، ام يتشبث حضرة الاستاذ بالوقوف تجاه جيش الوباء الذي لا فائدة من فعاليته ، ولا مردة من مصابرته .

واني في مثل هذه الاحوال استحسن منهج الروس الذي نهجوه في قهر نابليون الاول حين غزا بلادهم . اني انتظر الجواب باللسان الفرنساوي لعلي افيق من نومة كسلى ، واشتغل بالكتابة على أمل ان اصل الى كتابة مكتوب ساذج في ذلك اللسان ، فيكون حضرة الاستاذ قد اهدى الي شيئا من المعرفة .

ارجو من سيدي ان يكرم في جوابه بالاطمئنان عن صحة سعادتلو امين باشا فكري ، وسعد افندي ، وشقيقه فتحي افندي ، والشيخ عبد الكريم (ما رأيت الشيخ محمد عبده ولا الشيخ عبد الكريم سلمان) .

الحمد لله كثرت العبارات ، لكن غير منسقة ولا متناظمة . كنت اريد الاسهاب لكن ضاق المجال من حسن حظ الشيخ .

بيروت في ٤ محرم سنة ١٢٩٤ « سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الثانية فتاريخها هكذا : « آب ٩١ » ، ولكن الكتابة غير واضحة ، وجاء في اعلى الرسالة حاشية تقول: « التقيت امس اتفاقا بصديقنا الوفي عبد القادر افندي القباني ، وبلغني سلامك وسؤالك عني ، بعد ان كان قد بلغني ذلك في بيته ، وقلت له : غدا ان شاء الله اكتب الى الشيخ ، فقال : سلم عليه » .

وقد تحدثت هذه الرسالة عن الشوق والتحية والتقدير ، وعن عزم الشرتوني على طبع كتاب يسمى « نوادر ابي زيد » ، وانه ارسل الى الامام اوراقا للاشتراك في هذا الكتاب ، ليوزعها الامام على اصدقائه لمعاونة الشرتوني في نشره ، واملـه في ان يتبرع احد المصريين بنفقة طبعه ، وانه سيطبع الجزء الثالث من معجمه « اقرب الموارد » ، وعن ارساله بعض كتبه الى مختار باشا الغازي ، وبعض كتب اليسوعيين الى الحضرة الشاهانية والصدر الاعظم رجاء المعاونة ... الخ وهذا نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

بعد السلام الصادر عن شوق مخلص الوداد ، اعرض اني من عهد قريب بعثت اليك بكتاب شرحت فيه ان تقاعدي عن الجواب لم يكن لمرض في الجسم ولا لمرض في الحب ، سيما وان الثاني ما لم يركبه الله في سليقتي، وانما كان توانيا وتسويفا ، ولا اقول تخفيفا عليك ، لان انقطاع كتبي واخباري عنك مما يحزنك ، الا وانت اول من تطمئن نفسي اليه من كل من على الارض من قريب وبعيد ، ويشهد لك ذلك انـي اكاشفك بباطن امري ، ولا تطوع لي النفس أن أكاشف سواك. ومالي وهذا وانت تعرفني وانا اعرفك ، اعلى الله مقامك ، وادام علاءك .

نوادر أبي زيد

قد طبعت اوراق الاشتراك في هذا الكتاب النفيس، وارسلت الى مقامك مائتي ورقة ، وانـي اراها دون ان تكافىء مروءتك ، واستقلها على نفوذ كلمتك ، والانقياد لايمانك . وفي يقيني اني بعد شهر اسمع انها توزعت .

والكتاب هو بخط عبد الله بن المكرم ، ولولا صراحة خطه ، وعلو قدر كاتبه ، ما اقدمت على طبعه ، وان كان

١ ـ كتاب تاريخ الاستاذ الامام ، ج١ ص ٤٠٠ و٤٠٢ .

٢ ـ في الاصل : « قبو العفو » ولعله سهو .

فيه من النفائس ما لا يعادله ثمن .

وان تيسر من يدفع مائة ليرة ، ويأخذ خمسمائة نسخة ، كان ذلك اسعافا على ابراز هذا الكتاب من وراء حجاب الخط . وربما بعض الكبراء تسمح نفسه بهذا على قصد ان يذكر اسمه ، ويشهد انه انفق على طبع الكتاب . وما هو بغريب عن اخلاق كبار المصريين ، ولا سيما اذا حصل له ترغيب من جهة المولى أطال الله بقاءه.

اني في اوائل شهر آب متوجه الى « شرتون » اقضي فيها شهرين ، ثم اعود الى بيروت لاتمام طبع ذيل « اقرب الموارد » ، وهو يبلغ نحو ثلاثمائة صفحة على غراره ، وقد اودعته زيادات كثيرة على التاج واللسان ، وفي نيتي ان اجمع ما وجدته من الخطأ في طبع التاج ، وارسله دولتلو ابهتلو مختار باشا الغازي ، لان دولته ممن يحبون التدقيق في الاعمال ، كما ظهر لي من مؤلفاته التي تكرم علي بها ، فان رأيتم ذلك مناسبا فعلت والا عدلت .

ان الآباء اليسوعيين ارسلوا الى الحضرة الشاهانية والى الصدر الاعظم جملة كتب من مطبعتهم ، ومنها نسختان من « اقرب الموارد » على غاية ما يكون من الاتقان والاجادة وحسن الزينة ، احداهما باسم صاحب الشوكة ، والاخرى باسم الصدر ، ولا ادري ما يكون من اثر هذه التقدمة ، وهل يحصل لي فائدة اذا امكن ان دولتلو المختار يتعطف ويكتب .

وقصارى الحديث اني اكل الى عنايتك بي تدبير هذين الامرين (النوادر ، وجائزة اقرب الموارد) ، ولا تؤاخذني فقد كابدت نصبا شديدا ، واجرتي بالميزان السوري لا بالميزان المصري . ثم ان في جنبك من اخذوا الالوف المؤلفة من الليرات ، ولم يأتوا الا ما لا فائدة فيه، ولست اطلب هذا غيرة او مزاحمة او تشبها ، وانما اطلبه لانه جبر خاطر ، ورفعة قدر ، وسعة بعد ضيق ، وقد طلبه من تقدمني ، وان لم اطلبه كنت ممن تهيأت لهم اسباب الشيء ثم تركوه ، وليس في هؤلاء عاقل ، وفي حكم اهل الصين : « لا يساعد الله من يترك الفرصة » فان كان مثل هذا التصنيف ــ وانت في وجاهتك وعنايتك لي ــ لا يكلل بالجائزة ، فبأي عمل اقف بابواب الملوك ؟ وفي زمان من هذا ؟.

وارجو التكرم بالاخبار عنك

آب سنة ٩١ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الثالثة فتاريخها واضح ، وهو « ١٣ رجب سنة ١٣٠٧ » ، وهي تتحدث عن عزل امير البيان شكيب ارسلان من منصبه ، بسبب الحقد عليه والحسد له ، ثم تشير الى فساد الاخلاق واضطراب المجتمع ، وتثني على الاستاذ الامام . وهذا هو نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

رفعت الى مقام حضرة الاستاذ جواب كتابه الكريم ، وليس عندي اخبار مهمة اذكرها ، سوى ما تعلمونه من التجن في تلك الدعوة ، حتى كان الرجل بمقام النصير الطوسي او الفخر الرازي ، ولم يبلغ والله من الحكمة اني منازلكم .

ان منصب الغض الادب والشباب الامير شكيب قد ذهب شهيد العفة والدراية ، لعن الله ارضا يتخامل بها على الفضل ، واطال الله عمر القائل :

قالوا تخاف الموت قل لهم : نعم ذل الحليم وعزة السفهاء

فالموت والله خير من الحياة بين قوم لا يقومهم الا الاحدب ، شاب مهذب اليق من في قومه للمناصب يعزل بلا جريمة ولا رائحة تقصير ، عن منصب هو دون اهليته، فيا لله (٣) . قدس الله فما قال : « البلاد تحتاج الى التربية الصالحة » .

ومما يفرح سيادتكم ان هذا المجنى عليه قد استفاد في هذه المدة ما يقدره على مداورة الرجال ، ولو كان في دنيا واسعة لاخذ مقام من صاحبه قبيل العزل ، ومهما يكن فبعده عن ديار غلظ فيها الحس ، وخبث الذوق سعادة يكتبها في تاريخ عمره ان شاء الله .

هذه مساعدة ناشري قوائم الاكتتاب لمن هو عين قومه علما وذكاء . ولكن اذا فسد الذوق استوت الطعوم ، واذا فقد البصر سقط التفاوت بين الالوان . كتبت مولاي والحدة قد اخذت مني لذكرى هذه الاساءة الى المشار اليه ، فأرجو صرف النظر عما ترونه من التخليط ، ان كنت اكتفي لاولئك بهذه البوادر

تحياتي لآل بيت الشيخ ، وسائر الاحبة الذين هم في الحقيقة احبة . وحيا الله مصر وبياها ، وكفى بها فخرا انها منبت الفضل ، ومشرق النور ، وما الفضل وما النور الا من اسأل الله ان يطيل حياته ويعزز مكانته.

بيروت في ١٣ رجب سنة ١٣٠٧ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

واما الرسالة الرابعة فهي بتاريخ : « ٥ كانون الاول سنة ١٨٩١ » . وفيها يهنيء الشرتوني الاستاذ الامام على نقله من وظيفة القضاء في مدينة الزقازيق الى وظيفة القضاء في العاصمة « القاهرة » ، ثم يشير الى الاشتراكات في كتاب « نوادر ابي زيد » ، ويذكر انه قد بدأ فعلا في طبع هذا الكتاب ، ويعود الى رجاء الاستاذ الامام في ان يكلف احد معارفه بتوزيع هذه الاشتراكات .

ثم يشير الى انه طبع نصف الذيل الذي جعله ملحقا لمعجمه « اقرب الموارد » . ويتحدث عن اعترافه تأليف كتاب جامع في اللغة يشتمل على الامثلة من الكلام القديم يبلغ نحو الفي صفحة وخمسمائة صفحة . وهذا هو نص الرسالة :

« ايها الشيخ الفاضل

لا زالت المعالي ترحب بك مراتبها ، والمناصب العليا

٣ ــ هذه الكلمة غير واضحة في الرسالة .

تخطفك مما هو دونها ، حرصا على قدرك ان يكون مبخوسا ، وحقك ان يكون منقوصا ، وبعد ، فقد بشرت ان منصب القضاء في القاهرة قد تزين بك ، واعتز بالاضافة الى كمالك ، فهنأت أهل تلك البلاد بما اصابوا من نعمة العدل فيك ، وغبطتهم على ما رزقوا من راحة الضمير على حقوقهم ، بتقليدك القضاء . واما الشيخ فكل شيء فيه للناس منفعة ، فهو موضوع التهنئة له ، ووسيلة السرور الى قلبه .

قد تعجبت من كثرة ما كنت تشتغل في الزقازيق ، حتى صرت الوم نفسي اذ كلفتك رد الجواب ، فضلا عن اني خجلت من التثقيل عليك في مسألة الاهتمام بالاشتراك في نوادر ابي زيد ، وصرت الازم الدعاء لله ان يزيدك قوة ونشاطا ، ويحميك من هجمات الادواء وغارات الامراض، حتى تنفع خلقه بقدر ما اهلك لذلك . وفي خلال هذه المدة وردت البشرى بما أهنئك به ، فحمدت الله وسألته دوام نعمته عليك ، وان يريني وجهك بالخير هنا او هنالك .

باشرت في طبع « النوادر » وقد اسعفني صديق لي هنا بمائة اشتراك ، وانا ارجو ان كان لك من الوقت فرصة يسيرة ان توعز الى احد اودائك ان يوزع الاوراق التي هي عند حضرة الشيخ عبد الكريم ، وما اجد في هذا صعوبة ، لان للشيخ في اقل الامر نحوا من خمسمائة رجل من وجهاء البلاد وكبارها ، الذين اذا قال للواحد منهم : ادفع الف قرش ، يدفع ولا يسأله : ولم ذلك ؟. ثم انه له من جهتي كل الثقة . وبناء عليه اضطررت ان اكرر المسألة بالالحاح السوري ، واعدا نفسي اني في اقل من شهر اقبض خمسين ليرة فرنساوية بدل مائتي اشتراك مرسلة من قبل حضرة الشيخ حفظه الله واطال حياته .

وصلت في الملحق الى الصفحة ١٥٠ وقد بقي علي ١٥٠ صفحة ، وحينئذ يكون قد صار « اقرب الموارد » اغزرها واجمعها بحول الله ورعاية فضيلتو الإستاذ .

وقد حدثتني نفسي بأمر ان تم لي اسعاف من جهته ، وابرزته الى الوجود اكون قد اتيت بفائدة في اللغة نحن على احتياج اليها . والامر هو اني قد هيأت كتابا في اللغة مشتملا على الامثلة من الكلام القديم ، مع ذكر كل ما يلزم حتى من المقيسات ، انحو به منهاج « اقرب الموارد » . وفي ظني اني ذكرت لك قديما شيئا من خبره ، فاذا تم لي ان يشتريه واحد من المتمولين الكبار ، او دولة ، فحينئذ يكون لدى الناس كتاب لم يترك في اللغة شيئا ، ولم يدع في وجه الطالب مشقة .

ورب رجل يسمع هذا يقول : « امنية مخدوع » من الذي بقي يهتم في مثل هذه الشؤون حتى يتجشم نشر كتاب طويل كهذا ، يبلغ نحو الفين وخمسمائة صفحة ، يكون جامعا للاعلام والمصطلحات العلمية مع اللغة .

ولكني لا آسف على عنائي ، وعندي ان من يقدم على طبع مثل « تاج العروس » هو ارغب في طبع مثل الكتاب المشار اليه ، خصوصا وان الكلفة اقل . وهذا موضوع لست فيه اليوم ، وانما انا اليوم في نشر « النوادر » ، ويهمني ان احصل ما اقدمه لمدير المطبعة لسرعة ظهور ذلك الكتاب النفيس .

بيروت في ٥ ك١ سنة ٩١ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

هذا ولسعيد الشرتوني رسالة خامسة تحدث عنها رشيد رضا في « تاريخ الاستاذ الامام » وتاريخها «٦ ربيع الاول سنة ١٣١٦ » ، وموضوعها تقريظ كتاب « رسالة التوحيد » للاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهذا نصها :

« ايها الشيخ الفاضل

بينا انا في لوعة من طول البعاد ، واليأس من اللقاء ، أتلقى اخبار مولاي من سيادة الحاج محي الدين حماده ، اذ وردتني هديتكم التي كشفتم بها عار العصر، وجلبتم له بها الفخر ، وهي مؤلفكم الفريد في علم التوحيد ، الذي لا ريب عندي ان الله يثيبكم عليه بكرامة الدنيا وسعادة الاخرى ، بعد طول العمر . ولم اتعجب مما وقعت عليه فيه من البدائع ورايته من الجواهر ، لصدوره ممن كشف الله عن بصيرته ، وميزه بالاطلاع على اسرار المعقول والمنقول ، واختصه بفطرة شقيقة المروءة والكرم ، اخت كل مأثرة ومحمدة .

وما اظن ذوب العسل المصفى احلى عندي منه ، اقراه ولا امل ، ثم اعيده ملتذا به ولا التذاذ السامع عندما يسمع من المغني نغمة تطرب سمعه ، وتوائم ذوقه . فيا شرف العصر الاسلامي بك ، ويا فخر آدم بمثلك . فكأن الذي يطالع الكتاب المشار اليه يرى شخصا يشخص كل ما يخالج الفكر ويدور في الخاطر ، ولا يجد المتفكر طريقا لاخراجه بعبارة تحمل معناه .

ما انت في كل ما تشرع فيه الا رجل جديد عندنا ، مع طول معاشرتنا وكثرة مخالطتنا ، فلا غرو ان يكون دماغك مادة لكل بديعة ، ومخزنا لكل دقيقة . والخلاصة ان مثلك آية من آيات الله تشهد بقدرته ووجوده ، وتصدع بان بين الناس فروقا بعيدة المدى .

هذا واسأل الله ان يتولى مكافأتك على هذه الخيرية ، ويديمك شرفا للانسانية وخير ركن للاسلام ، بمنه وكرمه .

بيروت ٦ ربيع اول سنة ١٣١٦ الداعي : سعيد الخوري الشرتوني »

ان كل رسالة من هذه الرسائل تلقي ضوءا على جانب من جوانب تاريخنا الفكري ، وكل رسالة تقبل التعليق عليها ، واستخلاص امور منها ، وذلك يحتاج الى استئناف حديث ، فالى لقاء .

القاهرة أحمد الشرباصي

غـربـة الوطـن

وحدي أنـا
أسترجع الساعات والندم
وأنظر الماضي وقد رنحني الوسن
وأرقب الحاضر والآتي
ومن ومن
ويصرخ الالـم
أنت هنا في غربة الوطن

وحدي أنـا
والنيل نشوان يغني موجه الطروب
فيزهـر الربيـع
وتـورق الحيـاه
وتخفق القلوب
في لحظة سحرية الانـداء
افياؤها تعطر الدروب

وحدي أنـا
يا وطن الاحلام والمنى
يا نبضة في خافقي
لم تعرف الونى
أهواك ما رف ترؤى الحياه
وغـرد القمـر
وغازلت شمس الضحى ضحاه

وحدي أنـا
ألوذ بالنفس وبالخطى
استعجل الشروق والغروب
واكحل العينين بالرؤى
لعلني أعانـق العراق
فتسكت الاشواق
وحرق ظلت على المدى

وحدي أنـا
أسائل النجوم والقمر
والشمس اذ تشرق في
سهوله الفساح
وفي ضفاف الحب والامل
وتنسج الحياة في المقل
فتسكر الاقـداح

وحدي أنـا
يـا شمس يـا قمر
ويا نجوما طرزت سماءه سنى
هل يذكر الفرات
ودجلة الخير فتى هنا
يصارع الغربة والآهات
والشوق والعنـا

وحدي أنـا
تهصرني الاشواق
والحب والانين
وذكريات كلها حنين
لعب الصبـا
وللربيع ضاحك السماء
وطرز الربى

وحدي أنـا
يا وطن الجمال والهوى
أصحو على ندائك الحبيب
وارهف السمع فلا تجيب
وأنت في قلبي ولا أراك
في صحوة الكرى
فيصرخ الشوق متى ألقاك ؟

وحدي أنـا
يلفنـي السكون
وترقص الاشباح في قراره السحيق
مذعـورة الخطـى
كأنها سحائب الخريف
لا الفجر يهديها ولا الضحى

وحدي أنـا
وفي ذرى العراق
أغنية تطل من غدي
وزهرتان رفتا في برعم ندي
فيصرخ الالـم
عد للعراق أيها الشقي
قد يقتل النـدم

القاهرة

احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

هـديـة خـادعـة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

رجع غانم الاسدي من تجارته الرابحة الى منزله ببغداد، بعد سفر طويل استغرق منه قرابة ثلاثة اشهر .. وكان اثناء الطريق يفكر تفكيرا جديا في زوجته سلمى البصرية ، ويتأمل ما طرأ على نفسها من سأم ، وما ران على عاطفتها من جمود ، لقد اصبحت ضائقة بمنزله الشامخ، تراه سجنا رهيبا لشبابها الغض ، وجمالها الفتان !

ان زوجها يقطع الايام الطويلة غائبا عنها في تجاراته المتواصلة التي لا تكاد تنقطع حتى تعود ! وليس معها غير خادم عجوز لا تؤنس نفسا ، ولا تسعد جليسا ، ان الوحدة لتكظم انفاسها ، وتضيق على رئتيها الخناق .. ثم ان زوجها الرحالة بخيل شحيح يحاسبها على الدرهم قبل الدينار ، ولا يكاد يسمح بغير القوت الضروري رغم ثرائه الواسع وماله العريض .. فاذا جلس في منزله يوما او بعض يوم ، كان حديثه البارد عن ضياعه وتجاراته ، وما ينتظر في الغد من الربح ، وما اوشك ان يضيع عليه من الحظ لولا حيلته البارعة ، وذكاؤه اللماح ..

اما شجون القلب وحنين الاليف ، وهمس النجوى فما لا يخطر له على بال ، ثم هو اذا تكلف غير طبيعته ، وخاض فيه بعض الخوض يحس بانقباض فاتر يصرفه عن القول بعد لحظات .

هذه طبيعته التي يعرفها عن نفسه ، وانه ليتصور شخصه بعد ساعات ، وقد وصل الى منزله وصول الضيف الثقيل الذي لا يحس حرارة اللقاء ودفء الاستقبال ، فسلمى تسلم في تخاذل . وتصل القول في تصنع ، ثم تنظر اليه نظر من لا يفرق بين ذهابه وايابه .. بل نظر من يود ان يتصل الذهاب كي لا يتكلف ما لا يطيق من المصانعة والاحتيال ، فماذا عسى ان يصنع ليزيل وحشتها الكئيبة دون ان ينفق درهما واحدا ينقص قليلا من ثرائه . فتلك التي لا تتحملها نفسه الطموح ، لقد جمع ثروته بكده المتواصل ، وعرقه المتساقط ليتمتع بمرآها الذهبي في خزائنه لا ليتقدم بها او بقليل منها الى زوجة كسول ، لا تحتال للشراء ، ولا تعبأ بالاموال والضياع .

اجل .. كان هذا التفكير المحير يشغل ذهن « غانم» ويوقعه في أسف مرير ، ثم برقت في ذهنه فكرة .. هش لها فؤاده ، فأخذ يجيلها في خاطره ، منقبا فاحصا ، حتى اطمأن الى اكسيرها النافع وتأثيرها الحاسم .. ان معه عقدا لؤلؤيا قد اشتراه من الهند بثمن مرتفع ، لا يقدر عليه تاجر غيره ببغداد ، واذا ارادت سلمى ان تبيعه ذات يوم من ايام رحلته ، فلن تجد من يقدر على دفع الثمن المنشود ، انه وحده ثروة متجمدة لا تقبل التصرف والاستبدال ، فلماذا لا يعرضه على زوجته حين يفاجئها بحضوره كهدية ثمينة اختارها لحبيبته ، وقدمها دليلا حيا على توهج شوقه واشتعال حنينه ؟.

انها بلا شك ستغير مجرى شعورها النفسي ، وتجعلها تنقلب من معرضة نافرة الى مقبلة راغبة ، وربما اندفعت الى حب مخلص لا يعرف السأم والفتور بل تعود حياتها في القصر مرّحة بهيجة ، وكأنها طائر في حديقة يتنقل من زهرة الى شجرة الى غدير !! ما عليه لو قدم اليها هذا العقد لتحتفظ به في صوانها الخاص ، بدل ان يحتفظ به هو في خزانته الحديدية ذات الاقفال السبعة ، والنتيجة بعد ذلك واحدة .. فالعقد لزوجته في ظاهر الامر ، ولكنه في الحقيقة رهن اشارته ، لا تستطيع ان تتصرف فيه اذا وسوس لها هاجس بالبيع والانفاق !!

تلك فكرة حصيفة لا بد ان ينفذها الرجل بلباقته الماهرة ، وسيعود اليه ارتياحه النفسي حين يرى اشعة الحنان تشع من عيني سلماه ، ورقة الحب ترف في همسها العطوف ، ومظاهر الشوق تبرق في أسرة وجهها الفتان ، ولن يبقى بعد اليوم مجال للضيق والاشمئزاز.

وكانت ساعات عابرة تقلصت من حدود الزمن لتدفع بغانم الى منزله فدق الباب في لهفة .. واندفع الى سلمى مؤتلق الجبين باسم الثغر ، فغمرها بقبلاته ، وقد وقفت ذاهلة مبهوتة ، وكأنها تشاهد مسرحية مصطنعة ، ثم تطلعت اليه في جمود .. فمد يده سريعا الى كيس من المخمل الناعم طرز بالذهب وضمخ بالعطر ، ثم اخرج منه عقدا لؤلؤيا ، تراقصت عليه اشعة الشمس من النافذة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكان كمصباح كبير يشرق فجأة بالحجرة ليغمرها بالألاء براق ...

واندفع الرجل فعلقه في جيد زوجته ، وطبع على جبينها قبلة حارة نطقت بما اراد ان يظهره من اخلاص ، وهدأ صوته قليلا قليلا حتى تحول الى همس رقيق ، حين قال : لقد رايت هذا العقد في متجر اعظم دهاقين الهند، فخيل الي انه لا يأخذ جماله الفاتن الا اذا تحلى بجيد سلمى ، فبذلت نصف ثروتي ثمنا رخيصا له ، وهأنذا اقدمه اليك دليلا صادقا على وفائي الامين ، ثم سار حديثهما الرقيق في هذا المنحى ردحا من الوقت حتى شملهما الظلام فآويا الى الرقاد ..

كانت سلمى البصرية اديبة مثقفة تروي الشعر ، وتقرأ التاريخ .. ولولا هوايتها الادبية ما استطاعت ان تعيش وحدها في منزل ساكن لا يؤنسه سمير ، وهي بعد مرهفة الشعور ، متوقدة الاحساس ، ولها مع وجدانها الرقيق ادراك عقلي لماح يستشف السرائر ويستوضح الخلجات ..

وقد أوت الى فراشها لا لتنام ، بل لتفكر فيما وراء هذه الهدية الثمينة ، انها لتعرف شح زوجها البالغ وتقتيره الحريص ، ومثله في بخله الشديد لن يقدم لها هذه الثروة لتكون طوع يديها مرة واحدة ، لقد اكتشفت من حديثه وميضا يوحي بأن اعظم تاجر في بغداد لا يجرؤ على شراء العقد اللؤلؤي دون مجازفة خطيرة ، واذن فقد ضمن الزوج الا يباع ، وكأنه أهداه باليمين ليسترده بالشمال !! أي تضحية قام بها في سبيل الاهداء ؟ لقد ظن ان سيخدعها به متوهما سذاجتها البريئة وغفلتها الساهية ، ليته تقدم اليها بما يؤكل من الطعام وما يلبس من الثياب !!.

انه غبي ماكر يتوهم في نفسه مقدرة على ستر اهوائه واغراضه ، وانها لتتضح لكل ناظر حتى لتكاد تنادي على نفسها دون استتار ! ثم استرجعت انفاسها لحظات ، وهي تتقلب على الفراش القلق ، وقد سار تفكيرها في مجرى آخر ، فقالت بينها وبين نفسها ، لعلي سيئة الظن به ، ولعله غير بعض الشيء من سلوكه فقدم هديته في براءة لا تخفي الخديعة والاحتيال ، ثم صممت على ان تختبر شعوره بعمل حاسم تنكشف به السرائر ، وتفتضح النيات ، لقد تذكرت حبيبها الاثير ، وابن عمها الهائم سليمان البصري ، هذا الذي نشأ معها في منزل واحد ، وتأدبا معا على شيخ راوية غرس في نفسيهما حب الادب والقصيد ، وكانت تظنه فتاها المنتظر ، لولا ان والدها قد خدع بثروة غانم فآثره واختاره .. وما زال القلبان يشتعلان بالوجد ، وكثيرا ما نهض سليمان تحت ستار الليل في غيبة غانم ، وذهب الى القصر الذي تقيم به الزوجة فرويا الشعر ، وتطارحا الادب ، وتطلعت العيون ناطقة بما تكن به القلوب دون ان يخدشا حجاب المروءة ، او يهتكا ستر العفاف !!.

ان سليمان لاعز عليها من نور العين ، وسيلم بمنزلها غدا في هداة الليل ، ولا بد ان تنتظره ساهدة ساهرة حتى اذا لاح شخصه تحت الشجرة الضخمة في حديقة المنزل كشبح عابر في الظلام ، نهضت اليه واخبرته بعودة غانم ثم اعطته العقد مترقبة ما تتمخض عنه الايام !!

اشرق الصباح فنهض الزوج لبعض شأنه في المدينة، وعاد مع الظلام فقطع مع صاحبته وقتا لذيذا يحفل بالسمر والايناس حتى رفرف النوم على اهدابه ، فتركته في هدوء ساكن لتؤدي رسالتها الهامة في ظل الشجرة الباسقة ، وقد فوجيء سليمان بالعقد ، فهم بالرفض لولا نظرة حادة عرف مدلولها الصارم من عيني حبيبته ، فاستسلم لمشيئتها الكبيرة ، وتسلل تحت الظلام الى مأواه ، فنهضت سلمى الى فراشها رابطة الجأش هادئة الخاطر ، وغرقت في نوم عميق ما زال يمتعها بأطيافه حتى ايقظها زوجها في الصباح فقامت متثاقلة ، وتناولا الطعام معا ـ كما اعتادا ـ دون ان يحدث جديد ، حتى اذا هم غانم بالخروج ، دعته في هدوء بارد ، واخبرته انها بحثت عن العقد فلم تجده في مكانه ، وقد رأياه معا قبل النوم، وتشهد كما يشهد ان المنزل لم يطرقه كائن ما منذ غرقا في السبات ، فأين ضاع ؟ ومن الذي عرف حقيقته حتى تخفى في المنزل وتصيده في الظلام ؟ لقد كانت البغتة صاعقة شديدة التأثير في نفس الزوج ، فانتابه اغماء حاد افاق منه بعد تعهد وعلاج ، وحين رجع اليه صوابه خرج مستطارا الى رئيس الشرطة ببغداد ليفضي اليه بالنبأ الكارث بين الشهيق والنحيب .

كان سعيد بن خالد بن يحيى البرمكي رئيس الشرطة البغدادي اداريا نافذ النظرة ، واسع التجربة ، بعيد الغور ، وقد اعطاه عمه جعفر بن يحيي البرمكي وزير الرشيد سلطة واسعة تجعل كل بغدادي يرهبه ويخشاه ، فله ان يقتحم المنازل الممنوعة دون اعتراض وله ان يدلف الى المقاصير المحجبة متى شاء ! وله في مهمته الرسمية ما يشفع له بحثا عن مؤامرة مزمعة او خيانة مدبرة !!

وقد استمع الى غانم في يقظة حازمة ، والم بظروف حياته ، وحالة بيته ونفسية زوجته بعد اسئلة محبوكة لماحة وجهها في حكمة وسداد ، واجاب عنها التاجر في صدق واخلاص .

وبقليل من تفكيره الصائب لمح يد الزوجة وراء السرقة ، وامر التاجر في لهجة الحاكم المسيطر ان يأخذ قارورة من عطر خاص يحتفظ به ثم يمضي الى بيته متصنعا الهدوء ، مظهرا عدم المبالاة ، ويتقدم بها لسلمى في ملاطفة متحدثا عما ينتظره على يد الشرطة من نجاح في اعادة العقد واسترجاعه ، فاذا اصبح الصباح قام برحلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجارية جديدة تستغرق شهرين .. وحين يعود سيجد الكنز الغائب بين يديه ، ولم يجد المسكين بدا من التنفيذ العاجل فبادر بالرحيل ونفسه الحائرة تضطرب بين اليقين والشك واليأس والرجاء !.

وجاءت الخطوة الثانية .. فأحضر سعيد البرمكي شرطيا من خيرة اعوانه ، واطلعه على ما لديه من عطر بوليسي لا يشاركه فيه مشارك ، فعرف رائحته المتميزة، وتشمم مذاقه المنفرد ، ثم امره ان يجلس على راس الدرب المفضى الى منزل غانم كل ليلة ، فاذا عبر عابر تشمم رائحته ، وتعرف ثيابه حتى يصادف من يتعطر بمثله ، فيحمله اليه ، وقد صدقت فراسة الرئيس .. فما لبث ان جاءه تابعه بسليمان البصري يضطرب من الخوف .. فهدأ من روعه ، وسأله في هدوء :

ـ اين العقد اللؤلؤي الذي حملته من منزل غانم ؟.

فذهل سليمان لسؤال لم يكن يتوقعه ، وحاول الانكار ، فصاح به سعيد : « لقد اعترفت سلمى امامي بانك اخذت العقد فعلام الهروب ؟ » .

فتخاذلت شجاعته ، واعلن ان العقد معه .. ولكنه يخشى فضيحة قلبين على رءوس الاشهاد !

ففكر سعيد مليا ، ثم بعث بمن حمل اليه سلمى فكانت بين يديه بعد لحظات ، وتطلعت في حجرة الشرطة فلمحت ابن عمها ، ورات انوار العقد اللؤلؤي تشع في توهج ، فلم يخذلها ثباتها الحازم ، وقالت في صراحة :

ـ ايها الامير ، لقد تقبلت الهدية فتصرفت فيها كما أريد .. واني لصاحبتها : ففيم الملام ؟

فقال سعيد في انكار :

ـ وهل يرضى غانم ان يأخذها سليمان ؟.

فبادرت تقول في شجاعة لم تبرحها بعد : « ان غانما يملك جسمي وحده ، وقد حفظته له ، دون ان يعبث به انسان .. اما قلبي النائح في صدري فله ان ينبض حبا لمن يشاء » .

فأطرق سعيد اطراقة المفكر ، ونظر الى الحبيبين ، وقد سبر ما يخفيانه من حب وحنين ، وتأكد لديه ان بقاء سلمى عند غانم في وحشة الوحدة ، وجفاء العشير هم لا يطاق ، فعقد العزم على شيء خطير ، وطلب اليهما في رفق هادىء ان ينصرفا كل الى بيته ، وستأتي الايام بما لا يتوقعان !!

حانت اوبة غانم ، فاتجه الى دار الشرطة قبل ان يعرج على منزله ، ولا يعلم غير الله ما كابد في رحلته المضنية من طوارق الهم ، وشواغل الشجن ، حتى صار كطيف نحيل يتعثر مع النسيم اذا هب عليه هبة رقيقة !! وحين استأذن على سعيد لم يمهله بل عجل باستحضاره، ثم فاجأه بهذا السؤال :

ـ ايهما آثر لديك عقدك اللؤلؤي ام زوجتك سلمى؟

فارتبك الرجل ، ونظر كالحائر دون جواب ، فانطلق سعيد يقول في صرامة :

ـ لن تجمع بعد اليوم بين الزوجة والعقد فاختر ما تشاء !

فشخص غانم ببصره قليلا ، ثم قال :

ـ ان العقد ثروة نفيسة لا يمكن ان افرط فيها بحال !

فقال سعيد ، وقد أخرج العقد من كيسه المخملي: « ها هوذا يا صاح : ولا بد لسلمى بعد طلاقها من تعويض مالي لا يرهقك في شيء ! ستدفع خمسمائة دينار دون نقصان !! »

ولم ينتظر ان يسمع الجواب ، فأمر بمن يذهب معه الى منزله ليحضر سلمى اليه ، وليقبض الدنانير خمسمائة كما قدر ، ثم ليرجع به ليعلن الطلاق .

وبعد ثلاثة اشهر ، كانت سلمى البصرية في منزل زوجها الحبيب سليمان يرتشفان القبل الظامئة، ويبردان الجوانح الفائرة ، ثم يرويان قصائد البهجة واللقاء ، بعد ان رددا تحت شجرة البستان زفرات البعد وأنات الحرمان !

القاهرة — محمد رجب البيومي

عبثاً

عبثا افتش عن شبابي في الازقة والزوايا
او في الحوانيت الندية ب وبالصبايا
لم يبق لي فيها ـ أجل ! لم يبق لي فيها خبايا
ولى الشباب ، فليس الا الذكريات له بقايا
ولى مع الزمن الشريد ، فكل احلامي ورايا
ولى ، وكان له مع الهيفاء ـ رائعة ـ مزايا

كنا هنا يوما ، تحفزنا الى اللقيا العطايا
ويد الشباب تشدنا نحو المراشف والثنايا
كنا هنا ، واليوم مثقلة بأعوامي خطايا
قد عاقها ، بل غالها ، أنف الكريم من الدنايا
والخوف ان تلقى الصبابة حتفها بين البغايا
وانا الذي قد عشت ارعاها طويلا في الحنايا

عبثا افتش في الازقة والزوايا عن صبايا
ولى الشباب ولم يدع من كاسه الا شظايا

لندن — محمد عبده غانم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أرجوك من انت .. من انت ... من

ولم يتلق غير الصمت ، فقد انقطع خط المكالمة ، ووضع سماعة الهاتف بيد مرتعشة ، وعين زائغة ، وتغيرت ملامح وجهه ، واخذ يفرك يديه في ضيق ، وبدأ يتلعثم ويسائل نفسه من يكون « رسمي » هذا .. زوجتي تخونني .. لا اصدق ، من تكون تلك الانسانة التي حاولت الاتصال بي .. وما غرضها .. ربما لا تقصد غير المعاكسة ، ويا لها من معاكسة سخيفة .. ربما .. ولكن لا .. انها جاءت بأدلة ثابتة تشير الى اسم زوجتي وعملها ، والموعد.. والمكان الذي تذهب اليه.. بالاضافة الى اسم الشخص الذي يدعى « رسمي » ..

واخرج من جيبه علبة سجائره واشعلهاوبدأ يأخذمنها نفسا عميقا.. بعصبية ، وسحب منها سيجارة واستشعر النار بين جوانحه ، وحاول ان يضبط اعصابه ، ولكن دون جدوى .. فقد هزه هذا الامر، مصيبة كبرى لو تحققت هذه المكالمة ..

وحمل سماعة الهاتف الى اذنه ، وادار القرص برقم هاتف عمل زوجته .. انه مشغول .. ووضع السماعة واخذ نفسا طويلا من سيجارته ..

وبعد برهة مضت كأنها الدهر ، حمل السماعة مرة اخرى وادار القرص، النمرة ما زالت مشغولة..

وضاقت الدنيا في وجهه واحس كأنه يقف على رأسه والاشياء التي من حوله مقلوبة ..

ونظر الى ساعته ، ثم عاد وحمل السماعة مرة اخرى ، وادار القرص واخيرا رن جرس هاتف الشركة وسأل عنها .. فكان الرد انها غادرت الشركة منذ نصف ساعة ...

ووضع السماعة واخرج من جيبه علبة سجائره وسحب منها سيجارة واشعلها من السيجارة التي في فمه .. وبدأ يحدث نفسه في مرارة .. غادرت عملها منذ نصف ساعة اي الساعة الثانية عشرة .. حتى تتمكن من الذهاب اليه في الساعة الواحدة كما قالت السيدة بالضبط فعلا .. المشوار طويل يحتاج الى ساعة كاملة في الاتوبيس على الاقل ..

وبغتة .. غادر عمله .. وسار في طريق طويل بدا ضيقا ولا نهاية له ، متخاذل المشية ، واحس كأنه يسير وحده في هذا الطريق لا يرى امامه سوى غشاوة تحجب عن عينيه كل شيء ..

مفاجأتان

بقلم رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتراقصت امام عينيه صور كثيرة ، وتزاحمت الافكار السوداء في مخيلته كخيوط العنكبوت المتشابكة ، ويعود الى نفسه وسط هذه الدوامة ليسمع صوتا خافتا صادرا من اعماقه يدعوه للذهاب والتأكد اولا من صحة قول هذه السيدة ، حتى لا يتسرع في الحكم فان مع السرعة الندم ..

ويطفو في داخله هاتف عنيف يلح .. اسرع واقتلها انها تخونك .. فهي لم تقدر شعورك .. ولا شعور اطفالك .. اسرع واضغط بيدك على عنقها وعنق عشيقها وتخلص من هذه الفاجرة ..



ويعاوده صوت آخر .. صوت هادىء متزن .. واذا قتلتها فكأنك قتلت اولادك .. سيعيشون طوال حياتهم يلوثهم عار امهم .. وانت ايضا ستسجن .. اذن لا تتصرف الا بعقل واع وحكمة .. انظر الى اولادك .. طلقها عندما تتأكد من خيانتها ودعها وشأنها ..

وعندما بلغ نهاية الطريق وقف حائرا ماذا يفعل .. والى اين يذهب ، فقد خيل اليه انه ضائع في هذه الدنيا التي بدت لعينيه كالحة .

ووضع يده داخل جيبه ليخرج علبة سجائره ، فالتقت يده بعنوان « رسمي » ووقف يتأمله ، ثم أشار بسرعة الى (تاكسي) مرق بجانبه ، وركبه ، وفي الطريق كلما وقع بصره على امراة تسير كاد ان يبصق على وجهها ويتمتم بصوت مخنوق ليس مسموعا (خائنة) كل امراة خائنة .

الطريق طويل ، ومضى يتساءل ، ماذا صنع لها لتضعه في هذا الموقف .. لقد كان لها أخا ، وحبيبا ، وزوجا مخلصا ..

وقف (التاكسي) امام عمارة ضخمة عالية بدت له كوحش مخيف رابض له في الطريق ..

وصعد العمارة .. وفي كل درجة كان هاتفا الخير والشر يحومان حوله في سرعة متلاحقة :

« اقتلها .. لا تقتلها .. اقتلها .. لا تقتلها .. اولادك » .

ووقف امام الشقة ، وبيد مرتعشة ، وقلب واجف دق الجرس وكل جزء في كيانه يرتعش ، وفتح الباب بعد مدة شاب نحيف يرتدي المنامة بدا عليه الاضطراب لرؤيته..

فشخص « بهجت » ببصره قائلا:

ـ الاستاذ رسمي ؟

ـ نعم .. ماذا تريد ..

ـ اتسمح لي بالدخول ؟

ـ قبل ان اعرف من انت ..

ـ انا .. انا زوج السيدة التي معك ..

ـ ماذا تقول ؟

ولم يستطع صبرا ، فأزاحه من طريقه الى الداخل واغلق البـاب خلفه وهو يردد :

ـ زوج السيدة التي معك ..

قالها وهو ينتفض والشرر يملأ عينيه ..

وبصعوبة بالغة بعد ان خيل الى « رسمي » انه فقد صوته همهم مأخوذا :

ـ زوج من ؟

ثم صمت « بهجت » لحظة ، وقال :

ـ طبعا لم تكن متصورا ان يحضر زوجها الآن .. ويقف بهذه الصورة اتسمح لي بأن أريها وجهي ..

وعندما بدأت من « رسمي » حركة اعتراض ، استطرد « بهجت» في هدوء قاتل قائلا :

ـ لا تخف انني جئتك مسالما دون ان اخطر البوليس كما لم اخطر اهلها .. ان هذا الامر خاص بي وحدي وسوف انتهي منه بسلام وبدون أي فضيحة ..

وبعد هنيهة قال « رسمي » ساهما :

ـ ولكن ..

فقاطعه « بهجت » :

ـ ارجوك ..

وانتظر « بهجت » في البهو وهو يغلي ، وبعد فترة قصيرة ، عاد « رسمي» ومعه سيدة علا الشحوب وجهها ، وبدا عليها الارتباك والاضطراب ، وما كادت تضع عليها عينا « بهجت » ، حتى صاح من اعماق نفسه :

ـ انت .. أوصل بك الحد الى هذا ..

وتساءل « رسمي » في ذلة :

ـ اهي زوجتك ؟

اجابه « بهجت » على الفور :

ـ لا يا سيدي الفاضل انها « نادية » الشغالة التي تعمل عندي فحدق « رسمي » في وجه «بهجت» مدهوشا ، وقال :

ـ شغالة ..

والتفت « بهجت » اليها قائلا وعيناه تقدحان بالشرر :

ـ أوصل بك الحد الى انتحال اسم زوجتي في عبثك ومجونك ماذا فعلت بك سيدتك لتزجي باسمها في هذا الوضع الشائن ومتى تعرفت على الاستاذ ..

وانخرطت في البكاء ، وخفضت من رأسها ، وهي تقول بصوت مخنوق في اضطراب :

ـ منذ شهور ، وكان السبب في ذلك زوجتك .. نعم زوجتك فكثيرا ما كانت تنهال علي ضربا وسبا .. وخاصة عندما تجدني اتحدث مع اي انسان من الخدم ، او ارتدي ثوبا يكشف عن صدري او ذراعي ، لذلك اردت ان انتقم لنفسي .. فأقدمت على ذلك ..

فاهتاج « بهجت » صائحا :

ـ أيصل بك الانتقام الى هذا الحد يا ماجنة يجب عليك ان تدفعي الثمن غاليا ، تعالي معي ..

★

وفي قسم الشرطة .. تمكن الضابط المحقق من انتزاع اعترافها بما حدث ..

وغادر القسم « بهجت» ، واخرج من جيبه علبة سجائره وسحب منها سيجارة ، واشعلها واخذ منها نفسا عميقا .. وتنهد في ارتياح ..

★

كان الوقت متأخرا عن ميعاد الغداء ، عندما عاد « بهجت » الى البيت ، فلم يكن متعودا ان يذهب الى بيته في مثل هذا الموعد ..

وعندما دخل رأى زوجته تنتظره في البهو ، واستقبلته هي واولاده ، وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة كعادتها ..

وحياها تحية المساء ، وقبل أولاده ، ودخل غرفته ، وبدأ يخلع ثيابه في تؤدة ..

وبعد فترة ، دخلت عليه زوجته والفته مستلقيا على الفراش ويحملق بنظراته الى السقف في استرخاء..

وقالت له :

ـ لقد تأخرت عن ميعادك يا بهجت اليوم ..

ـ آسف يا عزيزتي .. لقد ذهبت الى زيارة زميل مريض ..

ـ اذن ساعد لك الطعام ..

ـ لا داعي .. لانني متعب ..

ـ تتصور يا بهجت انني عدت من الشركة فلم اجد « نادية » بالمنزل حيث تركت الاولاد بمفردهم ..

ولم يبال (بهجت) بحديث زوجته ، ومضى يقول :

ـ لقد اتصلت بك اليوم في المكتب ولم أجدك أين كنت ؟

وقالت في دلال وخفة :

ـ كنت في مشوار مهم .. مهم جدا ..

ـ اذهبت الى ماما ؟

ـ لا مشوار أهم من ذلك ..

ـ الى أين ؟

فصمتت برهة ، ثم قالت :

ـ أتريد ان تعرف ؟

فأجابها مبتسما :

ـ هذا موكول اليك .. وعلى كل فأنا مصدق لك ..

ـ اذن اغمض عينيك .. وانتظر ..

وجرت في خفة ناحية (دولابها) واخرجت من حقيبتها شيئا أخفته خلف ظهرها ، وتدانت منه وهي تهمس :

ـ افتح عينيك ..

وفتح عينيه .. وقدمت له علبة من القطيفة الزرقاء ، علبة صغيرة امسكها بيده ، وفتحها برقة ولهفة وهو يعتدل ، لقد وجد بها دبوسا ذهبيا للكرافته ..

وقالت له في رفق وهي تنحني وتقبله في جبينه :

ـ كل سنة وانت طيب يا حبيبي اليوم عيد ميلادك ..

واحتبس في فمه القول، وتعانقت عيناه بعينيها في نظرة طويلة ملؤها الحب .. والشوق .. واللهفة .. وكأنما يشاهدها لاول مرة بعد غياب طويل .. وما لبث ان اقترب منها، حتى لامس فمه خدها ، ودمعت عيناه ..

القاهرة — رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

ثورة في الفردوس ..

كان شاعر العراق الكبير ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، شغلني الشاغل ، بعد وفاة حافظ وشوقي .. منذ ان اعلن الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين ، يومئذ ، ان امارة الشعر قد انتقلت من مصر الى العراق ، وانه يرشح الزهاوي ليخلف الشاعرين الكبيرين على منصب الامارة .. ورغم اهتمامي يومئذ بشعر العقاد في مصر ، ورغم ان العميد طه حسين نفسه عاد بعد اقل من عامين ، في ابريل ١٩٣٤ ، فأعلن رأيا جديدا ، اذ قدم لواء امارة الشعر للعقاد ، ودعا الشعراء ان يسارعوا بالالتفاف حول هذا اللواء .. اقول برغم ذلك فقد ظل اهتمامي بالزهاوي وشعره ، في هذه الفترة ، اهتماما كبيرا .. وساعد على استمرار هذا الاهتمام ، ووضوح اثره ، ان المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات ، صاحب « الرسالة » .. اخذ ينشر على التوالي في مجلته ، شعرا للزهاوي يرسله اليه من بغداد .. واكثره شعر فلسفي، كان بلا شك يجد كثيرا من المعارضة .. ولكنه كان في الحقيقة يحمل من عمق الفكرة ، وطرافتها .. ومن قوة الديباجة ، ووضوحها .. عن كثير مما كان ينشر يومئذ ، ما جعلني الازم قراءته ، والاهتمام به ، وبصاحبه ..

وكنت في اواخر عام ١٩٣٥ ، واوائل عام ١٩٣٦ .. مشغولا بقراءة ديوان للزهاوي .. هو من آخر دواوينه يسمى « الاوشال » .. وكان الديوان يحتوي على مجموعة كبيرة من القصائد ، وكانت السمة البارزة في اكثرها هي هذا « التجديد » الذي دعا اليه الشاعر ، وطبقه بالفعل .. وسمي يومئذ بالشعر الحر ، او المرسل ، او الجديد ، او المنطلق .. او غير ذلك من هذه الاسماء ، التي تطلق دائما ، هي بعينها ، على كل موجة تجديدية ، تعمد الى تغيير الاشكال القائمة ، سواء احلت محلها ما هو أصلح منها ، او ما هو مثلها ، او ما هو دونها .. من الاشكال .. على ان التجديد في ديوان « الاوشال » كان معقولا ، وكان يعجبني ، وقد حاولت يومئذ مثله ، ثم طويته .. ولو دعيت اليوم ، بعد فوات الاوان ، لكتابة شعر مرسل ، لما عدوت تلك الطريقة ، التي كانت لا تزيد على هجر القافية وحدها ، مع الابقاء على اوزان الخليل ، وعلى شطري البيت ، والاعتماد فقط في آخر كل شطر على الروي ، الذي يختلف من شطر الى آخر بطبيعة الحال ..

وعندما كنت مديرا لتحرير مجلة « الثقافة » بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٥ .. ذكرت هذا الديوان ، وهذه الطريقة للاستاذ الكبير ، المرحوم محمد فريد ابي حديد .. فاهتم لها اشد الاهتمام ، واظهر رغبة شديدة في الاطلاع على ما ذكرت من امر ، اكد لي انه لم يعرفه من قبل .. مع انه هو نفسه قد اتبع مثل هذه الطريقة ، عندما حاول ترجمة بعض مسرحيات شكسبير ، في شعر مرسل .. قرأت بعضه يومئذ ـ اي في اوائل الثلاثينات ـ وذكرته به ، وحدثني عنه بتفصيل، وهو بالغ السرور والغبطة ..

على ان ديوان « الاوشال » للزهاوي .. رغم هذا التجديد في الشكل .. كان يحتوي في آخره على ملحمة طويلة ، بلغت ابياتها عدة مئات .. والتزم الشاعر فيها قافية واحدة كما هي الحال في الشعر العمودي .. وعنوانها « ثورة في الجحيم » .. وهي من الافكار الجريئة التي كان يطلقها الزهاوي هنا وهناك .. مقلدا في ذلك الشاعر أبا العلاء المعري ، من قبله . في اغلب الظن .. غير مبال بما تثيره هذه الافكار من معارضة رجال الدين بصفة خاصة ، وما تؤلب عليه من سخط الجماهير بصفة عامة ..

على اني ـ كما ذكرت في فصل سابق ـ كنت اكره الالحاد والملحدين .. ولكني لا اجد مندوحة عن قراءة هذا الشعر ، الذي يفتح امامي آفاقا جديدة ، وانا في مطالع الشباب ، اذ كنت يومئذ في الثالثة والعشرين من العمر .. ولذلك قرأت قصة « ثورة في الجحيم » .. التي لا اذكر منها الآن ـ لاني لم اطلع على شعر للزهاوي بعد تلك الفترة ـ سوى خيالات بعيدة ، لعلها تتمثل في ان زبانية الجحيم ، ومن دخل اليها من المحكوم عليهم بدخول النار ، قد قاموا بثورة ، وطالبوا فيها بمطالب ، دفعهم اليها ما يجدونه من عذاب ، وما يلتمسونه من انقاذ ..

لست اذكر بالضبط .. ولكن الفكرة التي سرعان ما خطرت ببالي ، هي الرد على هذه الملحمة .. وما دامت ثورة الزهاوي قامت في الجحيم ، فلا بد ان تكون الثورة المقابلة لها في الفردوس .. وراحت الفكرة تنشأ تباعا ، وامواج الافكار المتتابعة تمر بالذهن ، موجة اثر موجة .. وكان البحر والقافية اللذين اختارهما الزهاوي بسيطين ، سهلين .. فليكن الشكل هو ذات الشكل ، وان كان الموضوع سيختلف دون شك عن ذات الموضوع ..

كانت فكرتي متابعة لما هو مأثور ، ومحفوظ .. فسرت مع نفسي ـ بعد موتي بالطبع ـ منذ ساعة الدفن ، حتى اوشكت على دخول الجنة .. وقد مررت في ذلك بأهوال عظام .. ولكني ما كدت اعبر الصراط .. حتى توقف الذهن ، وهجمت الشواغل ، فعاقتني عن اتمام هذا العمل الادبي الباكر ، الذي كانت له ولا شك قيمة كبرى.. بعد ان كتبت فيه اكثر من ثلثمائة من الابيات !

ولا بد ان اقول ان هذه الابيات ، الثلثمائة .. كما اراها الآن بعين الناقد ، فيها الغث وفيها السمين .. وقد صرفت النظر عن الغث ، فلم استشهد بشيء منه .. واستشهدت فقط ببعض الابيات الجيدة ، دون ان ادخل عليها أي تعديل .. فهي في نظري قوية في ذاتها ، وابقاؤها دون اية رتوش انصاف لهذا العمل الباكر ، من شاب مخاطر ، مغامر ..

كان العنوان الذي يقدم لهذا العمل .. يجري هكذا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ثورة في الفردوس » .. وهي فصل متمم لقصيدة الزهاوي « ثورة في الجحيم » .. تأليف عامر محمد بحيري ـ بالجامعة المصرية .

وكانت الملحمة مقسمة الى فصول ، كل فصل يحمل عنوانا طريفا .. وهذا طرف من حديث الفصول ، وعناوينها ، وبعض ابيات منها ..

عنوان الفصل الاول « سؤال الملكين » .. ويبدا الحديث فيه هكذا :

خفت الصوت ، والبكاء المرير ... وتلاشى مع الشهيق .. الزفير
وتلقى العزاء في .. ذوو القربى .. فمنهم فتى ، وشيخ كبير
ثم ولوا معجلين .. سراعا ... يطلبون الميراث .. وهو يسير

هل رأيت ؟ لا يكاد الميت يوضع في قبره ، حتى ينصرف اقرب الناس اليه ، يتنازعون الميراث . على اني لم اكن ذا ثروة كبيرة ، انما كانت ثروتي هي الاصدقاء .. والذين يظهرون حبهم لما اقول من الشعر :

لم اكن في الحياة اكنز مالا ... ان كنز الاموال بعدي غرور
ومضى الاصدقاء يبكون بالدمع صديقا .. به تضن العصور
انهم اسعد الالى ورثوني ... ورثوا الذكريات .. وهي كثير
ورثوا الصدق والوفاء جميعا ... ورثوا الحب .. وهو روح طهور
والالى كان يزدهيهم قصيدي ... ورثوه .. وانه لا يبور
جمع الشعر حول نعشي جمهو ... را .. ولولاه ما اتى الجمهور

على ان العبرة من سير المشيعين وراء الميت .. تظهر بعد ذلك :

ساعة جمعتهم حول قبري ... ثم ساروا عني .. وغاب الحضور
قفل الناس .. راجعين الى الدنيا .. جميعا .. فسمهم مشكور
بقيت وحدي في القبر .. انتظر الحساب ، ولكن يظهر انني حتى

في هذا الموقف الرهيب لم اكن ابالي بشيء .. فالبيت التالي يقول :

كنت في القبر لا ابالي بشيء ... انا مالي .. انا امرؤ مقبور ..

ولكني احس بعد ذلك بشدة الكرب ، وتدور راسي ، ويستبد بي الخوف ، ويكاد يطير عقلي مما بت اخشاه :

انا مهما يكن قويا يقيني ... فقوى المرء في الضريح تخور
انه خطوة الى الله اولى ... ستليها خطى اليه كثير
ان حسن الختام.. ان يحسن البد ... ء .. فان لم يكن فناء المصير

على ان الله اكرمني في هذا الموقف ، فحلت عقدة لساني ، ونطقت بالشهادتين بلا عسر او مشقة .. ففاض الرضى بصدري ، وعم السرور وجهي ، وخف الضريح تحتي حتى كانه سرير ناعم ، وظهر النور فاضاء ما حولي من ظلام .. ثم سمعت طرقا خفيفا ، فرحبت بالقادم ، وما حسبته الا صديقا من اصدقائي القدماء ، وهو على اية حال اخ او سمير جاء يؤنس وحشتي ..

قلت هذا ، ولم يزل يعصف الشك بقلبي ، فانني مذعور
من يكون الضيف الجديد ؟ اهذا ... ملك .. جاء في الضريح يزور
ام هو اللص .. جاء يسرق اكفا ... ني .. اذا اظلمت علي القبور
هو اما من السماء .. فسام ... او من الارض .. فهو شخص حقير

على اني عرفت القادمين ، فزال الشك ، وحدث بعده الاطمئنان:

صافحاني ، فقلت : اهلا وسهلا ... انني اذ قدمتما مسرور
لم يقم بعد ذاك عندي شك ... ان ضيفي .. منكر ، ونكير

ثم ننتقل الى الفصل الثاني .. وفيه تبدا المحاورة الطويلة ، الطريفة بيني وبين ملكي الحساب .. وقد كان اول سؤال منهما سؤالا خطيرا ، وقد تولى احدهما القاء الاسئلة ، وانا اجيبه .. كان عنوان الفصل الثاني هو :

« السؤال عن ذات الله ، والاجابة بالعجز عن معرفتها ، وبالوحدانية»

قال : من ربك الذي كنت تدعو؟ ... قلت : ربي هو السميع، البصير
يفعل الله ما يشاء ، ويقضي ... ان ربي لما يشاء قدير
وله القوة الخفية في الكو ... ن ، كما شاء فالحياة تسير

وكنت طالبا في كلية الآداب ، ادرس الفلسفة والمنطق ، فرحت اظهر للملكين مبلغ علمي ، ومدى ايماني بالله ، وانحى باللائمة على الجاحدين المنكرين :

ولكم فكرت فلاسفة ما ... ضون فيه .. فخانها التفكير
ومن الناس في العبادة وهريسون .. قالوا ما للوجود مدبر
ان في مصر كان يعبد ابيس .. بجهل .. ويرتجى هاتور
ان ابيس .. من طرائف ما ير ... وون .. عجل حول السواقي يدور
وله غرة مثلة الشكل على عينه ، وجسم كبير

ثم لخصت قضية البعث ، تلخيصا مرضيا معقولا .. فما معنى ان يظلم الانسان في حياته ، ثم يموت ، فلا يبعث لكي ينال حقه المهضوم ؟

واذا المرء كان يفنى ، ولا يبعث حيا .. فانه لحقير !

والله سبحانه واحد لا شريك له ، وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ، لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا .. ولذلك فلا بد من ان تلون هذه الفكرة الدينية ، بما يحيط بالحياة الحاضرة من صراعات سياسية وحزبية :

واذا كان للاله شريك ... فسد الصنع منه والتدبير
فرأينا على السماء انقساما ... وخلافا يجري ، وشعبا يثور
ورأينا الملائك العصم احزا ... با .. وكل من حوله جمهور
وسمعنا بالاكثرية ، والقلة .. فالامر في السماء خطير
واذا عز في السماء انتخاب ... الغي البرلمان ، والدستور
جل ربي عما نقول بجهل ... ان ربي هو العفو الغفور

ونصل الى الفصل الثالث .. وهو اعمق فكرة ، ولذا فعنوانه اعجب .. يقول : « سؤال عويص لاحد الملكين ، زيادة في اختبار الميت ، وفيه حديث الحب الالهي العجيب » ...

لقد شجعني هذا الملك ، بعد اجابتي الاولى ، ولكنه حذرني من الكذب ، فيما سيلقى علي من سؤال عويص .. كان مفاده انه يشك في انني احفظ ما يقال لي كالببغاء دون تفكير فيه ، واني لفتت في الحياة كلاما جئت ادلي به طالبا النجاة .. ثم راح يشككني فيما قلت :

ربما لم يكن هناك اله ... او احاطت بالغيب منه امور
كيف صدقت ما يقول نبي ... بشر بين اهله وعشير

هذا هو السؤال المحرج ، فماذا قلت ردا عليه ، وبماذا اجبت؟

قلت : اني عرفت ربي بالغيب .. وربي هو اللطيف الخبير
ولقد طال عن حقيقة هذا الكون بحثي .. وانه لخطير
ورأيت النجوم تسرى من الليل سراها ، وفي الصباح تغور
ورأيت المدى نهارا وليلا ... ميزته شموسه والبدور
ورأيت الشتاء والصيف فصلين ، فهذا شمس وذا زمهرير
ورأيت الخريف فيه جفاف ... ورأيت الربيع فيه زهور
هو كون نظامه مستتب ... لم تغيره اذ تمر العصور
كل هذا كاف .. ليجعل للاكوان ربا .. هو العزيز القدير

وراح الملك في الفصل الذي بعده يسالني عن الرسول والكتاب .. وعنوانه : « السؤال عن الرسول والكتاب ، وفيه عود الى حديث الحب ، والديمقراطية النبوية » ..

قال لي : من تبعته من نبي ؟ ... قلت : هذا هو البشير النذير
النبي الذي بمقدمه بشر .. عيسى المسيح .. وهو ظهور
انه خاتم النبيين طرا ... فهو هاد ومصلح ومشير
وهو في الحرب قائد ذو فنون ... وهو في السلم صالح وعشير
ان اخلاقه هي المثل العليا .. لشعب الى الكمال يسير

وانتقل الملك فجاة ، بعد هذه الاسئلة التقليدية ، الى السؤال في موضوعات معاصرة ، تحيرت لها .. فقد سالني عن « رسالة الازهر في القرن العشرين » .. وكان هذا هو عنوان الفصل التالي .. ولكني لست راضيا اليوم ، عما كتبت في هذا الفصل ، من هجوم ودفاع .. كما ان اسلوبه لا يرقى الى مستوى القصيدة في مجموعها .. ولم يعجبني منه غير بيتين في وصف الازهر الشريف نفسه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسجد شاده العز لدين الله .. وهو الخليفة المشهور
عمره اليوم وهو يبلغ الفا في حياة الشعوب عمر قصير

وزادني الملك حيرة حين تحول من السؤال عن الازهر ، الى السؤال عن الجامعة .. بل عن اخص الموضوعات المتصلة بالحياة الجامعية (.)

وكان لا بد للملك ، وقد وصل الحديث الى هذا الحد ، ان يسألني عن العميد نفسه ، الدكتور طه حسين .. الذي قاد حركة التطور في شجاعة ، وايمان ، واقدام .. ولذا كان عنوان الفصل التالي هو : « مكانة طه حسين ، وعلمه ، وفضله ، ورأي في موقف خصومه منه » ..

سألني الملك عن طه حسين ، وتأثره بمذهب ديكارت .. فكان مما قال :

هو ممن دعوا لمذهب ديكار ت .. وديكارت فيلسوف شهير
وهو يدعو للشك في كل شيء طالما ليس لليقين ظهور

وعدد الملك اشياء ، ثم قال :

انها فتنة ، وان صح هذا فهو أمر بالاعتبار جدير

ماذا افعل ؟. لقد دافعت عن استاذي طه حسين ، وانا عرضة لسؤال الملكين ، في الموقف الذي يذهل فيه المرء عن نفسه .. ولقد سرني ان وجدت هذه الابيات من الملحمة ، في الدفاع عن طه حسين في هذا الموقف بالذات .. لاني ابتليت في الحياة بقوم لا خلاق لهم ، على مدى سنوات طوال ، لم يكن همهم غير سرقة القصائد التي احيي فيها الاستاذ الذي كان له على نفسي اثر كبير ، منذ مطالع الشباب ، وحتى اليوم ، ولا ينكر الفضل لذويه الاجاحد .. ولذلك اجبت الملك على سؤاله :

قلت : مهلا .. فانما هو استا ذي ، وانني بفضله لخبير
انني عالم بما في الخفايا والحديث الذي هناك يدور
ان طه لعالم عبقري وهو ايضا اب جليل وقور
سيد فضله ينم عليه واولو الفضل حاسدوهم كثير
انهم يحسدونه ، ولعمري اعجب الناس خامل موتور
ليس يرجى للحاسدين شفاء فهو داء به تموت الصدور
كيف يرجى اصلاح جيل اذا لم يتشر بين اهله التقدير

واذا انقادت النفوس الى الاهواء ، ساد الضعيف والمغرور
وجدير بنابغ الجيل ان تسجد شمس لعلمه ، وبدور
انما تبتغي العلوم جريئا ترتقي على يديه العصور

وهنا نصل الى آخر فصل كتبته في هذه الملحمة .. وقد انتهى فيه سؤال الملكين ، وجاء ذكر البعث ، والحساب .. وكان عنوانه « خروج الميت من القبر ، ومروره بالحوض ، والميزان ، وشاطىء الاعراف ، ثم دخوله الجنة قبيل غروب الشمس » :

ومضى الدهر .. ثم اقبل اسرا فيل ، في كفه يلوح الصور
واقفا يملأ الفضاء كنسر قد حكاه قديما الاسطور
نفخ البوق نفخة .. رجت الار ض ، فزالت قلاعها والقصور
ولقد دكت الجبال الرواسي ولقد بعثرت هناك القبور
وخرجنا من التراب جميعا كلنا في خروجه مذعور
ومضينا الى الحساب سراعا هكذا البعث مفزعا والنشور

ومضت الابيات تصف اهوال ذلك اليوم .. تنفطر السماء ، وتكور الشمس ، وتطوى السماء طي السجل ، وتكف الارض عن الدوران ، ويطفأ ضوء النجوم ، وتطير منها الشظايا .. ثم تمر بي غيبوبة ، ما تفتأ ان تنقشع ، ويعم نور بعد ظلام .. فأرى المنظر الرهيب ، واحقق ذلك كله بالعين :

لم تكن تسمع المسامع الا همس شعب على الغلاة يسير
ولقد اخرجوا حفاة عراة يبتغون الحساب وهو عسير
فيهم العرب والاعاجم والزنج ، وخلق وراء ذاك كثير

ثم نصل الى الحوض ، والناس يزدحمون حوله :

فتيممت نحوهم ، ، فاذا السقاء شمس .. والقاصدون بدور
ثم اني دنوت منه فسلمت ، فتم الرضى ، وعم السرور
وسقاني من كأسه بشراب مزجه الزنجبيل ، والكافور
ولقد طاب لي جلوس بمقهى الخلد .. والكأس بالشراب تفور

واكبر الظن اني تسرعت بالجلوس بهذا المقهى ، لانه كان ما يزال ينتظرني من الامور ما تشيب له الولدان .. لقد كان ما يزال هناك الميزان :

ثم اني مضيت في صحبة الاملاك ، والرعب في ركابي يسير
يمموا بي شطر الموازين توا منهم سائق ، ومني اسير
وكأني وقد وضعت على الكفة شيء مستحقر وصغير
ومن الحظ ان ثقلت كثيرا فكأني لما وزنت تبير

الحمد لله .. لقد فرحت لذلك ، فتلكأت في المسير ، وشاقني حب الاستطلاع ان ارى شاطىء الاعراف :

فتيممت ساعة شاطىء الاعراف ، والعقل ذاهل مسحور
انه شاطىء يطل على بحرين .. هذا ماء ، وهذا سعير

ووصلت اخيرا الى الصراط :

وتراءى الصراط غير بعيد وهو كالسيف خاطف مشهور
لم اكد انتهي عليه الى الفر دوس .. حتى اطمأن مني الضمير
ووقف بي النظم عند هذا البيت الاخير ، الذي يحمل في ذاته براعة المقطع .. وان كانت الملحمة ذاتها لم تنته بعد .. بل لعلها قد بدأت فعلا في هذا الموضع .. اذا كانت ستحمل العنوان الذي وضعته لها وهو « ثورة في الفردوس » ..

على اني وجدت عنوانا لفصل جديد .. لم انظم فيه بيتا واحدا .. يقول : « كيف دخلت الجنة على نغمات الموسيقى » ؟.. لقد كان المفروض اذا ان تدور احداث الملحمة الجديدة ، في داخل الفردوس ، وقد وصلت اليه بحمد الله .. ولكن لماذا هي ثورة ؟ اذا كان القوم المنعمون قد وصلوا الى غاية ما يريدون من ربهم الرحيم ، الكريم .. فماذا يطلبون بعد ذلك ؟ اننا نفهم من الزهاوي ان يجمع الهالكين في الجحيم ، منادبا فيهم ، او على لسانهم بالثورة ، لانهم في عذاب ، مهما تكن وجهة نظرهم ، فهم يرجون الخلاص منه .. ولكن فكرة الثورة من المنعمين في الفردوس لا محل لها .. ولعل هذا هو السبب الحقيقي، الذي جعلني اتوقف في نظم الملحمة ، عند الحد الذي وصلت اليه .. فلم اجد فكرة الثورة في الفردوس مستساغة .. ولذلك انصرفت عن اتمام العمل كله .. وان بقي منه للادب انه عمل جرىء ، وانه محاولة شاب مبتدىء ، وان ما ذكرت منه هنا من ابيات تقارب المائة ، يدل على اصالة ، وقوة ، واستعداد طيب .. لم اجد له في ذلك الوقت المبكر مشجعا .. ولذلك قلت في بعض المواضع ، وانا اجيب الملك على سؤاله العويص :

انني قد قضيت عمري في البحث .. وفاض الانتاج وهو غزير
واذا لم اجد عليه جزاء فكفاني ان يستريح الضمير

وهذه بحمد الله هي الغاية التي وصلت اليها ، في هذا العمل ، وفي غيره من الاعمال الاخرى ، في رحلة الحياة ..

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

اشتركوا في مجلة

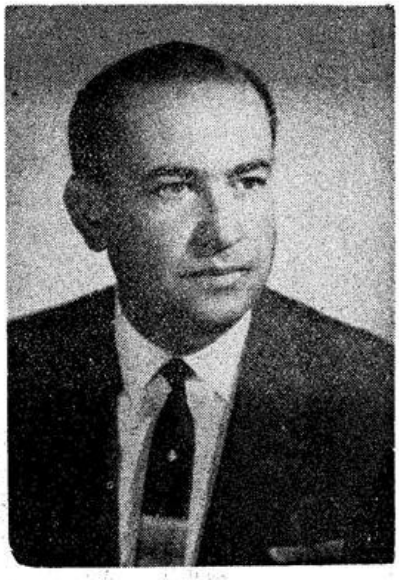
الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

الـزورق التـائه

فـؤاد الخشـن

الشويفات ـ لبنـان



زورقـي
قد ضاع في الافق
وما في الافق زورق
وعلى الشاطىء
لا ضوء رجـاء
يتالـق !
زورقـي
قد تاه في يم ؟
من المجهول اعمق !
معتم الارجاء
صخـاب
غضوب المـوج
مطبـق !
ان رأى نجمـا
على افق رقيق الغيم
صفـق
وتعالـى ...
فوق امواج الاماني
وحلـق !
زورقـي
دعنا من الجنات
تبنـى ...
وتعلـق
في ذرى بابـل ...
دنيـا
حولها الاطياب تعبق !
هـو حلـم
من ضباب الوهم
منسوج
منمـق
ووعـود
من سراب خـادع
لـن تتحقق !

زورقـي
يـا نفسي الحيرى
ويـا وجدي المؤرق
ايظل التيه يمضي
بشراعيـك ...
لتغـرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد ايطالية

لعيسى الناعوري

من مجموعته الشعرية « غناء وعبير »

Canto E Profumo

ترجمها المؤلف نفسه الى العربية

•

أخي ألبير

لعلك لا تعلم انني ، بين الحين والحين ، اكتب بعض القصائد الحرة باللغة الايطالية . حتى تجمعت لدي منها مجموعة لا بأس بها . وقد بعثت بها اخيرا الى بعض الاصدقاء الايطاليين الشعراء ليتولوا نشرها لدى بعض ناشري شعرهم .

وفي هذه الايام ، وانا في المستشفى للمرة الثالثة ، خطر لي ان اترجم بعض هذه القصائد الى العربية وابعث بها اليك لتكون مفاجأة لقراء « الاديب » رغم ما يعرفونه من صلتي بالادب الايطالي .

اسم المجموعة الشعرية « غناء وعبير » ، وقد نظمت بعضها – كما ترى من القصائد الاولى في هذه المجموعة المترجمة – في فترات وجودي في المستشفى . وكلها – كما ترى – ذات مسحة انسانية ، غنائية ، وبعضها كان له أصل في بعض قصائدي العربية ، ولكنني اخترت اشياء منه واعدت كتابتها بأسلوب يناسب الشعر الايطالي ويختلف عن الاسلوب العربي . ولكن هذه القصائد قليلة جدا في المجموعة .

ارجو ان تتفضل بجعل هذه السطور مقدمة للمجموعة عند نشرها في « الاديب » .

ولك خالص الود واطيب التحية . المخلص

عيسى الناعوري

الطبيب

كلما نظرت الى عينيك ، ايها الطبيب
ورأيت الابتسامة المشرقة بين شفتيك
يثرى قلبي بالاطمئنان
وبالرضى .
ما بين شفتيك ،
يا رسول العناية الالهية
تقيم الحياة والموت .

وفي قلبي تبرعم من أجلك
أزاجير عطرة من الشكر والعرفان

الجراح

المشرط الحاد أمامك
ويدك بارعة ثابتة
والله في قلبك وضميرك
والى هذه جميعها
تستسلم دون خوف او تردد
خرافا بشرية للذبح
لكي تعبث تجريحا وتمزيقا
ووصلا وتقطيعا

في قلوبها وشرايينها
وفي كل جزء من اجسامها ،
ولكنها مطمئنة
الى ان معجزة حياة جديدة قوية
ستولد من غمرات الصراع مع الموت
بفضل مشرطك الحاد
ويدك البارعة الثابتة
والله الذي في قلبك وضميرك

الزنبقة

(الى ممرضة)

ايتها الزنبقة النقية



عيسى الناعوري

المتفتحة على ندى الفجر
والمتبسمة بأول أشعة الشمس
والقائمة بعبير عذب
يعطر نسمات الصباح الوليد
أراك فتشرق في قلبي ابتسامتك الحلوة
كأشعة الصباح الدافئة
ويملأ نفسي
اريجك الزنبقي الحبيب

فاليك ، ايتها الحلوة بين الزنابق النقية
تحية كعطر الزنابق التي انت شبيهة بها :
بلباس الممرضة الناصع الذي ترتدين
وبقلبك العابق بالحب وبالحنان

الممرضة

أنت ، أيتها الممرضة
روح لطيفة موحية
وسر اللطف والحنان .
الى جانب الحبوب الطبية
والحقن
تمنحين ، بابتسامتك الحلوة
وبموسيقى كلماتك العذبة
لمسات الثقة والامل .
ان ابتسامتك العذبة
تبعث في النفس الغبطة
والطراوة النادية
وتعيد الى القلب الشباب

فراشات

فراشات ربيعية
من كل لون وفتنة
تضطجع وديعة ساكنة
في وجنتيك
وفي عينيك
يضحك الربيع
وترفرف اجنحة ذهبية
من ألف فراشة

سيمضي ...

أنا فراشة
وزهرة عطرة ،
وفي قلبي
كل افراح الحب .

هذا الربيع البهيج
لله ما أحلاه !
ولله ما أجمله !
ولكن – يا للاسف !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمر الربيع قصير دائما
ولا بد يوما من ان يمضي !

فتـــاة

انني أغبطك أيتها الفتاة ،
فانت كزهرة الربيع
ليس للثلج اثر على رأسك
ولا في قلبك الدافيء .
أما انا فاشعر في داخلي
بكل صقيع الثلوج
وأرى الهاوية الرهيبة
فاغرة شدقيها بشراهة
لكي تبتلعني في اعماقها

شيخوخة

اغتبطي يا صديقتي
فانت ما تزالين صبية وجميلة
فلماذا تشعرين بالشيخوخة والعزلة ؟
ما دمت قادرة على الحب
فانت في شباب دائم
وانت دائما زهرة
عابقة بأعذب الاريج

الثلـــج

الثلج يفرش على الارض
غطاء ناصع البياض
كقلوب بريئـة
لآلاف الاطفال

أيها الثلج النقي ،
دفيء بحنـان
قلـوب الامهات
والشيوخ العجزة
والمرضى .
أمـا الاطفال
فـلا تكن لهم
غير وسيلة لهو بريئة

في الضجيـج

في سلام الصباح
يستيقظ
العـبير
وغنـاء الطيور
وتتفتح عيـون
الازهـــار

وورود البساتين .
فيا للسلام ! ويا للطمانينة !

ثم يستيقظ بنو الانسان
لكـي يبدأوا
المعركة اليوميـة
للخبـز وللحيـاة
فيضيع كل شيء حالا
في الصخب والضجيج :
العـبير
وغنـاء الطيور
وكذلك ـ للاسف ـ
السلام والطمانينة !

اذا كنت سعيدا

اذا كنت سعيدا
واذا ما نمت في نفسي ورود عطرة
واذا كنت في سلام
مع نفسي ومع الحياة
ففي داخلي فقط
أجد السلام والسعادة .

ولكنني حين اكون حزينا
وحين تنبت الاشواك في قلبي
واشعر بالاضطراب والعذاب
ففي خارج نفسي فقط
لا أجـد السلام
ولا الصلات الطيبة
ـ الصلات الحميمة والصادقة ـ
مع الحياة ومع الناس

أزهـار وبركات

من كان في وسعه ان يغرس
الاشجار الشائكة
ففي وسعه كذلك
ان يغرس حديقة ازهار
وورود عابقة الاريج

ومن كان في وسعه ان يلعن ويشتم
ففي وسعه كذلك ان يبارك
وان يولد البهجة
في حياة الآخرين .

فيا لسعادة ذلك الانسان
الذي ، بدلا من ان يغرس الاشواك
وبدلا من ان يلعن ويشتم ،
يقتبط بأن يغرس
حدائق ازهار وورود

وان يبارى ، ويولد البهجة
في حياة الآخرين !

الدم والشرف

يقول شاعر عربي :
« ولا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم ! »

ترى ماذا يفيد الشرف
وماذا يفيد المجد
ان كان الدم الانساني
ـ الذي هـو الحياة ،
وهو الشرف ، والانسان نفسه ـ
يضيع هباء وهدرا ؟

ان لم يوجد الدم
لم يوجد الانسان نفسه
وعندئذ
لا يوجد حتى الشرف الرفيع
الذي يراد له ان يسلم من الاذى

هويـة

ماذا يفيد ان تكتب
على ورقة الهوية
جنسيات وقوميات مختلفة
ينتمي اليها الانسان ؟

ان لم يكن المرء أخـا
ان لم يكن مواطنا
لكـل انسان
على كل أرض
فليست ورقة هويته
سوى حاجز ،
فاصل ،
بين الانسان واخوته الآخرين !

فاذا كانت في الدنيا
رغبة حقيقية في السلام بين البشر :
السلام الذي لا يتزعزع
ولا ينقطع
فينبغي ان تكون
ورقة الهوية عامة :
لا تكتب عليها غير
عبارة عامة واحدة فقط :
« انسان ! »

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجوز والعربة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم رياض نصور

عاد الى البيت ونادى زوجته فهبت للصوت ... واخذا ينتقيان الجيد من البصل لبعض الزبائن الممتازين كمحمود بائع الحمص وحسن بائع الفلافل وغيرهم ... اما الباقي فقد تصدر العربة المزهوة ...

دفعها العجوز بقوة يا الله عدة مرات ... العربة ثقيلة لم يشعر بثقلها كاليوم كأنها تحمل طونات من الحديد ... والعرق اللزج يتفصد



انه عجوز ، عجوز جدا . تركت السنون آثارها العميقة في خديه .. اخاديد عميقة كالاثلام . نظر شحيح لا يرى الا بصعوبة ولا يسمع الا قليلا ... ومع ذلك فهو يعمل . هذا الشيخ الفاني . تلك الكتلة العظمية الواهنة ... يجر عربة خشبية ثقيلة بالنسبة لهيكله المتهدم. يجرها بصبر وهوادة . يدفعها بكل قواه فتمضي مرتجة متنقلة في ارجاء المدينة ... يقف على ابواب المحلات التجارية الكبرى ، وعلى ابواب المطاعم وفي كل مكان ، يعرض بضاعته على الناس ، كمية قليلة من البصل ، والبصل نوعان ، احمر وابيض . الاحمر بخمسة وعشرين قرشا ، والابيض بثلاثين .. يرد هكذا على كل من يتكلم او ينظر اليه انه لا يسمع ما يقولون ولا يهمه الا ان يبيع البصل ويعود الى البيت . انه متعب والتعب يدمر جسده ويترك العرق يتصبب غزيرا من خلال الاثلام العميقة المحفورة في وجنتيه.. بالامس احس بوجع في انحاء كثيرة من جسده ، لم يقو على النوم . قالت له زوجته هلم الى الطبيب ، ولكنه تحسس ما معه من نقود ، وما معه لا يكفي لشراء كيس البصل ، راسماله اليومي . اجابها بهدوء انه العصبي ، العصبي اللعين ، سخني لي بعض الماء اصنع مغطسا فأشفى ... وبالرغم من ذلك ظل يتلوى من الالم ويحلم ...

رزق من الدنيا ولدين لا غير . عمل على تربيتهما بصمت . حاول ان يكونا عونا له في الحياة .. الاول تطوع في الجيش ومات في حادث .. اما الثاني فتزوج وحرمته زوجته من اعانة والديه ... طلبت منه زوجته ان يذهب لرؤية ابنه وليأخذ منه بعض المال لتأمين رأسمال العربة وثمن الدواء ... غير انه نظر اليها بغضب مرددا : الاولاد يا امرأة ما نفع الاولاد ؟ قولي ليي ما نفعهم ؟ الاولاد اما ان تأخذهم الحكومة ... او تأخذهم المرأة ... الاولاد للشيطان وبح صوته .. وصرخ وبكى .. كان اشبه شيء بالطفل ، كان يبكي ... ثم عاد ونظر من النافذة عبر الشارع وهو يحس موجة عاتية من الالم تعصف به ، وبصق وتشبث بحديد النافذة ... ولعن المرأة ولعن الحكومة ... وبالرغم من انه لم يقو على النوم ، وبالرغم من انه ظل ساهرا ينظر بيأس الى النجوم ... ويشتم الحياة والمرأة والحكومة ... مع ذلك مضى جارا عربته الثقيلة باتجاه سوق الهال ... اشترى كيسين من البصل احدهما ابيض والآخر احمر ... فهل يا ترى سيتمكن من الحصول على اجرة الطبيب ؟؟؟

من جبينه مارا عبر الاثلام المنتشرة على صفحة وجهه الجعد مضمخة القميص الوحيد الذي يلبس صيف شتاء وهو من الجوخ السميك ... معتمرا عقاله الاسود الملفوف اتقاء للشمس والقميص والعقال ينضحان عرقا لزجا ... تخب قدمه بحذاء بال قديم رقع اكثر من مرة بانت اصابعه منه وحف اسفله فاصبح والارض والحفاء سواء ...

ومع ذلك فالعجوز يمضي ، والحر شديد وتموز يلهب العروق باوار قيظه اللاهب . لم يبع العجوز الا قليلا ... مر على الحواري والبيوت التي يعرف ... عرض على الناس بضاعته ... تحدث الى بائعي الحمص والفلافل ... الكل لاهون عنه . سوق البصل في كساد . والنهار يكاد ينتصف والحر شديد وجسده الضعيف لا يقو على الصمود . ومع هذا فالعجوز يمضي دافعا عربته معتمدا على الله ... سارحا في كفاحه الابدي من اجل القوت والحياة ... يتصارع والعجلة المتعبة عندما يعلو بهما الطريق ... ويتكمش بها خوفا عندما تنحدر بهما الطريق ... فهو والعربة رفيقان صنوان منذ زمن بعيد ... بالامس كان يستطيع ان يقطع بها المرتفعات بسهولة ويسر ... وكان يبيع كثيرا ، ربى ولديه ، اسبغ عليهما الحب والعطف ، كان يعطيهما كل ما يطلبان . كان يربح كثيرا ، اما الآن فهو يزحف عبر شوارع المدينة منذ الصباح الباكر ، ومع ذلك ما تزال عربته مليئة بالبصل ... لم يبع شيئا يذكر ، ما يزال الحمل ثقيلا ... وما يزال الحر شديدا والعرق يتفصد من جسده الكليل المتعب . الشمس تتوسط السماء ... انه لا يستطيع النظر الى فوق . تعود عيناه مدماة .. الشمس قذرة تتعبه ، الشمس كالمرأة والحكومة ... لعن الله

الشمس والمراة والحكومة .

ويقف في شارع هنانو الكبير ليأخذ نفسا عميقا بعد الكد والتعب . هذا الشارع اصبح خطيرا بالنسبة اليه ... رجال الحكومة يمنعون البائعين المتجولين من المرور عبر هذا الشارع الكبير ... ولكن ما شأنهم به وهو يمر عابرا الشارع في طريقه الى البازار ، عسى ان يتمكن من بيع بضاعته هناك ...

ـ بصل يا بصل !...

ينادي بصوته الابح ولا مجيب والشمس ما تزال ترسل بشواظ اشعتها الملتهبة فوق راسه المثقل . ومع ذلك فالعجوز يمضي مناديا :

ـ بصل ... يا بصل !...

ترى الى اين ؟ ماذا يفعل ؟ استحوز عليه الالم . تنهد بصمت. فكر بهدوء . فتح على صدره العظمي الضعيف ... بسمل ، استشهد ... وعاد يدفع عربته بتعب . لكنه توقف .. فالشاري حضر ... واخذ ينتقي مراده من البصل المتناثر فوق العربة ... والعجوز ينظر فيما حوله مخافة رجال الحكومة . ولكنه يخفي ميزانه داخل العربة فرجال الحكومة يصادرون الميزان وعندما يذهب لاحضاره يدفع الغرامة . اذا فما عليه الا ان يخبىء الميزان داخل العربة ، وفي حرز امين وهكذا عندما انتهى الشاري من انتقاء البصل ، تلفت العجوز حوله ، واذ لم ير احدا ، مد يده المعروقة الواهية الى داخل العربة واخرج الميزان الآمن ووزن اربعة كيلو من البصل حملها للشاري ومضى معه لاحضار الثمن .

كانت العربة العجوز وحيدة بجانب الرصيف وعليها بضاعتها الغالية ، والميزان الخارج للتو من مخبئه ... عندما وقفت سيارة الحكومة الكبيرة وبداخلها سيادة العريف بمهابته وحسن بزته ، مع بعض المعاونين من عمال الحكومة الافذاذ ... كان سيادته غاضبا تخرج كلماته متسابقة سريعة غاضبة ... من هو هذا اللص الذي يخالف اوامر الحكومة ؟... احجزوا العربة حالا !! ممنوع الوقوف في الطريق العام . وينزل من السيارة رجلان يدفعان العربة العجوز لدى عودة صاحبها بعد قبض ثمن البصل المباع ، وكان كالمجنون ، ينظر الى السارقين بعينين والهتين ، متكمشا بعربته العزيزة الغالية يشدها بيديه الكليلتين ليخلصها من قبضتيهما الشريرتين . كانا يرفعانها والبصل يهوي من داخلها متبعثرا عبر الشارع الكبير ... والميزان يهوي فيتمسك به العجوز كما يتمسك البحار بأية قطعة من قطع سفينته التي عصفت بها الانواء . يأخذ ميزانه بيد واليد الاخرى ما تزال تتشبث بطرف العربة والبصل يتساقط في الشارع العامر بالناس.

الناس ينظرون ، يضحكون ، مشهد من مشاهد الحياة ، سخرية الحياة. سيارة الشرطة ادت واجبها ... انها تمضي بعربة العجوز ... بعض الناس أحضروا كيسا اخذوا يجمعون به البصل المتناثر ... والبعض الآخر ازداد ضحكه وعبسه والعجوز يحمل كيس البصل الكبير على ظهره وباليد الاخرى يحمل ميزانه بلا كفتين ... الحمل ثقيل والرجل عجوز والحر شديد ، والشمس تتوسط السماء ، والشارع حافل بالناس ، والموضوع موضوع شائك وهو يقع بين حجري رحى ... كان له ولدان واحد اخذته الحكومة والثاني اخذته المراة ... وزوجته ستسأله عن العربة ، وستأكل راسه والحكومة اخذت العربة ، لماذا اخذت العربة ؟...

الحمل ثقيل ... انه يكاد يهوي بحمله الثقيل ... ولكنه يدور بعينيه المتعبتين فيما حوله سائلا بمرارة :

ـ ايها الناس بربكم قولوا لي الى اين اذهب ؟

الناس صامتون ضاحكون من حوله ، فيمضي بحمله الثقيل والحر لاهب ، والطريق طويل طويل دون ان يدري الى اين يذهب ؟...

اللاذقية **رياض نصور**

عودة الحب

تعاودني لهواك الشجون ... وأهفو الى ناره العاتيه
فيصرخ بي هاتف موجع ... أعدت لها مرة ثانيه
أعدت وعادت ليالي الشقاء ... تسربل أعراقك الذاويه
فأسخر من عارمات الجراح ... وأهزأ بالامع الهاميه
وهل أتناسى الغرام العنيف ... ومل‌ء دماي رؤى قانيه
ومل‌ء كياني شعور رهيف ... يحلق بي لدنا عاليه
أسمراء.. يا سحر هذا الربيع ... ويا نشوة الكرم والداليه
تعالي الي فانت الحياة ... وأنت ترانيمي الباقيه

بغداد **عبد الخالق فريد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبيل المجد

فائق جبور

●

يا رب حلمك قد اضعت رجائي ... وفقدت من هول المصاب عزائي
ووأدت احلامي وطيب تهللي ... بين الانام ولذتي وهنائي
ومضيت لا الوي على امل اذا ... عصف الشقاء يبيد بعض شقائي
امشي ولا ادري ادربي للردى ... بعد الكريهة ام الى الرمضاء
كلتاهما حال الذين تنكبت ... بهم المنى في الليلة السوداء
هي ليلة نسج الدمار نقابها ... ورمى عليها الغدر شر غطاء
هي نكبة ما ان عرفت مصيرها ... الا وناب عن الحديث بكائي
فبكيت احلامي بكاء مودع ... اشقاه بين الناس طول ثواء
حتى عشي بصري علي كانما ... القى عليه الحزن الف غشاء
قد كف عن نظر وذاكي لا يرى ... فعل الردى بالفتية النجباء
فنحرت امالي بمدية ناقم ... متفجع للنكسة الخرقاء
هي نكسة غمرت فؤادي بالاسى ... ومضت بسعدي وانطوت بصفائي

قد كنت ارغب بالحياة لكي ارى ... وطني طليق مساوىء وعداء
وارى الديار وقد خلت عرصاتها ... من آل يهوا ، طغمة السفهاء
وارى الشباب وقد ترنح عطفه ... جذلا يجر مطارف الخيلاء
واللاجىء المحزون عاد لارضه ... وطن النبوءة بعد مر تناء
كم مثل هذا الحلم مر مداعبا ... نفسي ليخمد من شديد عنائي
فمضى الزمان ونحن بين محبب ... ومشجب للغارة الشعواء
اما وقد بلغ العتو اشده ... بين الانام وما بلغت رجائي
والقلب قد فقد الهناء ولم تعد ... تقوى الحياة على الضنى حوبائي
فليعصف الزمن الزينم بما جنت ... ايامه السوداء من كاداء
ما ان تلك بلية بل وصمة ... غمرت جباه العرب بالاخزاء

يا خيبة الامل العثير يثيرها ... نبأ الخنى بالفعلة النكراء
مذ ردد الاهلون وقع مصابهم ... ما ان عرفت تنفس الصعداء
عبثت بهم ريح المنون ونالهم ... تحت الدجى نوء من الانواء
فمضيت انظر لا ارى في ذا الورى ... لي من عزاء ثم ام تأساء

قدر عسير قد دهي أهلي فوا ... أسفي ايحسن في الحياة بقائي
ما كنت من يرضى السكوت وانما ... عقلت لساني حدة الانباء
حتى ولا احسنت قافية وبي ... خذل ينوء بعزتي وابائي

اهلي واين هم وكيف تقلصت ... احلامهم عبر الزمان النائي
صحبي واين مضوا وكيف تناثرت ... اشلاؤهم مزعا على الغبراء
ملهى الصبا قد بات بعد نزوحهم ... واهي الصفوف مقطع الاجزاء
يبكي الالى فقد الصحاب بفقدهم ... خير الشباب واخلص الخلصاء
ووددت لو ان الزمان اقالنا ... عثرات تلك النكبة النكباء
او ان دولاب الحوادث ما اتى ... يوما بتلك الوصمة الشنعاء
انا لا الوم على المصاب ابالسا ... زرعوا المصائب تحت كل سماء
تخذوا الغواية للنساء مشيئة ... وبغى الشباب سجية الابناء
ومضوا على ضلل يبدد شملهم ... غضب المسيح ولعنة العذراء

اين الرجال واين ما وعدت به ... دنيا البطولة من جميل وفاء
اين الذي عرف الزمان بلاءه ... ليقي العروبة شر كل بلاء
وروت به الاحداث خير مؤدب ... ومهذب في السلم والهيجاء
ما كان اجرأ منه يوم كريهة ... كلا وما له ثم من نظراء
قد جاد بالغالي الثمين لكي يرى ... وطن العروبة منعما برخاء
بطل اذا ولي الزمام اراك في ... الباساء غرما ما مني بعياء
هو في الخواطر كلما ذكرت به ... أسد الشام ومصرع الشهداء
من مثل يوسف للخطوب اذا دجا ... ليل الردى في الوقعة الحمراء
يمشي على حد الحسام اذا دعا ... داعي العلى في الليلة الليلاء
ويغير ان حان الثبور بفتية ... نجباء تقطع دابر الغوغاء
ان يدعهم لبوا الدعاء وان قضوا ... لقضوا فدى وطن لهم ولواء
فالشام مسبعة الالى مهروا العلى ... يوم الوغى بالهمة القعساء
هي مرتع الصيد الاباة ومن بنوا ... للمجد صرحا كان ثبت بناء
ان كنت في ريب فدونك هضبة ... بين الرمال شذية الانداء
رقدت بها ابطال جلق بعدما ... ادت حقوق المجد خير اداء
هل ثم من عظة تثير اباءنا ... عبر السنين ولات حين اباء
فنعيدها عرباء حامية اللظى ... حرى تقد اضالع الخصماء
حربا تبدد بالشنار جموعهم ... وترد من عقبوا الى الدأماء
هذا سبيل المجد فلنسلكه ان ... نرم الفداة تسنم العلياء

خوخوي ـ الارجنتين — فائق جبور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور عبد السلام العجيلي

اشواق الانسان .. ومذاق النعل !

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

من منكم وضع النعل بين فكيه ، ولاكه باسنانه ، وذاق طعمه ؟.. معذرة ايها السادة .. فانا لا اجرح شعوركم بهذا السؤال ، ولا ابغي نوعا من السخرية الثقيلة او المزاح الممجوج .. بل اني ما وجهت هذا السؤال الا لاثير خيالكم مع الانسان .. اي انسان على ظهر البسيطة . قد يكون هذا الانسان افريقيا او امريكيا او اوروبيا . ولكني واثق تماما ان ذهنكم – في البدء – سوف ينصرف بالضرورة الى انساننا العربي في هذه الرقعة العريضة الممتدة من الخليج الى المحيط .

والتأمل في مكونات انساننا العربي ضرورة لا بد منها حيث كتب عليه ان يحيا الزمان في قسوة ، ويعايش المكان في معاناة ، ثم يكد ويشقى وفي النهاية يصل مشدودا بالفكر والوعي الى .. الانتظار .. انتظار شيء ما يفتح عليه قلبه وروحه .. ومن خلال هذا الانتظار صار انساننا العربي انموذجا للانسان المعلق الذي لا يحيا ولا يموت ، واصبح ظاهرة فريدة في نوعها ووجودها .. يعيش على الالم ويتعذب بالشقاء ومنذ فجر حياته وهو يعيش وحده ويكافح وحده لا يشاركه في احزانه احد ، ولا يفرح بسرائه احد .. وكان بما يملكه من طاقات متفجرة وثروات كامنة منبها للغير ، ومثارا لاطماع الوافد ، والعابر والمستوطن ، وكان مجالا خصبا لتسود فيه الوان شتى من الحيوات والسلوك ، والتناقضات التي حملها هذا الغير معه ، مما اوصله الى العصر الحاضر فريدا في نوعه ووجوده ومأساته !

ولا تظنوا أيها السادة اني امارس معكم قضية تاريخية او فلسفية .. فلست فيلسوفا او مؤرخا ، وانما ادعوكم لتقفوا معي لحظة على واقع الانسان العربي الذي هو نحن او نحن هو .. ثم نتساءل : ماذا عن الغد؟ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على من اساء الينا قريبا او بعيدا .. فقد بلغت المأساة حدا من الهوان يبكي ويضحك في آن واحد ، وهي مأساة لم يصل اليها احد من العالمين من مشارق الارض ومغاربها ، ولم يكتو بنارها شعب مثلما اكتوى شعبنا (انساننا) العربي الصبور .!

وتساؤلنا عن الواقع الآتي ضرورة يفرضها الاحساس بطبيعة المأساة .. فقد تواصى عدونا على التساؤل دوما والاستفهام ابدا عن ايامه وايامنا وواقعه وواقعنا مما اعطاه القدرة على مواصلة الكيد لنا والتحرش بنا وافتراسنا وقتما يريد ..

ثم .. من منا يسأل الآخر انا ام انت ؟ لعلي ارى ان كلامنا سائل ومسؤول ، قاتل ومقتول ، فنحن المأساة والمؤاساة ، ونحن السم والترياق ، ونحن التاريخ المشحون والمستقبل المخبوء .. نحن الخوف والامن .. نحن الزمان والمكان .. نحن كل شيء .. نحن العرب ..

معذرة يا سادة مرة اخرى فقد نسيت ذاتي وانا بصدد الحديث عن « مذاق النعل » قصة الكاتب السوري الممتاز د. عبد السلام العجيلي .. وهي واحدة من قصص خمس تضمها مجموعته الاخيرة « فارس مدينة القنطرة » والتي ضمنها اشواق الانسان العربي المعاصر تجاه واقعه ونحو مستقبله .

والدكتور العجيلي كاتب تمرس بالتجربة الحياتية في دنيا العرب وخبرها عن قرب وعايشها انسانا عاديا وممثلا للناس العاديين في مجلس النواب ثم وزيرا للخارجية في بلده ، واخيرا عاد انسانا عاديا يمارس مهنة الطب ويقرأ ويكتب ويعبر عما يشعر به تجاه وطنه وتجاه امته .

وهو كاتب ناضج الفكرة ، ثاقب النظرة ، اصيل الموهبة في غير ادعاء ، منتميا لذاته العربية وتراثها العريق بلا تعصب او جمود .. سائحا بأشواقه الى آفاق العالم الرحبة من حوله دون ان يذوب او يتوه . وحسبك من كاتب يضم هذه الاشياء في تكوينه الذهني ومزاجه الفكري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليكون جديرا بالاحترام والتقدير .. منا ومن غيرنا على السواء ..

ويتميز الدكتور العجيلي عن غيره من الكتاب والقصصيين العرب بالجراة والمصارحة ، فهو لا يهاب سوى ضميره ، ومن ثم يعبر في وضوح فني أصيل ، ولا يلجأ الى المداورة او المناورة او البين بين خوفا وهلعا .. انه يعبر في صفاء وثقة عن افكاره التي تؤرقه ، وهمومه التي تلسعه بحريقها المتوهج ، وآماله التي يحلم بها للانسان العربي في وطنه الكبير .. وللانسان في اي مكان من الارض .

وهناك بعض الفنانين ممن تعمى بصيرتهم فلا ينفذون الى اعماق الانسان الذي حولهم ، ومن ثم يفشلون في التعبير عن قضية هذا الانسان سواء كانت معتمة او مشرقة او ملونة بأي لون من الالوان . ولذا فانهم يعجزون عن اداء الدور الاساسي والمفروض ان يعطوه لمن حولهم من المتلقين .. وعجز الفنان موت شنيع لانه موت بطيء ، وهو اقسى بالطبيعة من اي موت فجائي او عادي .

بيد ان الفنان الذي يستكشف ببصيرته اعماق النفس الانسانية وينظر في قيعانها المحجبة ويرى ما يختلج على ارضيتها المضطرمة من صراع ، ثم يبني احلامه وآماله ، ويعبر عن اشجانه وهمومه لهو فنان عظيم حقا .

والدكتور العجيلي فنان عظيم حقا في كل ما كتب ، وتستطيع ان تشعر بذلك في وضوح وانت تقف امام فارس مدينة القنطرة بقصصها الخمس لانك ترى الانسان العربي في ايامه الراهنة ممزقا على جدران الفرقة والاضطهاد والقهر والمعاناة والحرمان والاسى القديم ..

واعتقد ان « مذاق النعل » افضل ما جاء في هذه المجموعة .. فهي تعبر عن العلاقة بين الانسان العربي وقوى القهر التي تصفده في قيودها وتغله باغلالها وتمنعه من ممارسة ايامه حرا طليقا ومبدعا . انها صورة الشوق السامي الى الحياة الفضفاضة بلا قيود ولا قسوة ولا ممارسة للعنف ضد بعضنا البعض .. انها اشواق تترفع عن واقع مليء بالخطايا .. تأمل هذه الصورة :

« .. انا ضيف الشيخ هنا ، ولعله ليس من حقي ان اقول ما اقوله الآن ولكني لا استطيع ان اتجاهل ما رايته اليوم في الظهيرة في الارض العراء التي تشويها الشمس دون ظلة تقي المسجونين المقيدين فيها . رايت ستة سجناء مطروحين ارضا ، الواحد بحذاء الآخر ، واعناق اقدامهم مصفوفة على جذع شجرة طويلة مقطوع، به بعض الانحناء ، في نهايته يمر سيخ من حديد كوتر على قوس الجذع . هل رايت ذلك السيخ ؟ سيخ صدىء به بقع جافة من دم وصديد يحبس ارجل السجناء بينه وبين جذع الشجرة فلا ينفلت احدهم او يتحرك حركة الا ويأكل السيخ من جلده ولحمه » ص ٤٩ ــ ٥٠ .

انها صورة مقززة حقا لنوع من القسوة يمارسه شيخ من مشيخته وهي صورة بدائية وكريهة اعتبرها راوي القصة اعتداء على الكرامة الانسانية واهدارا لحقوق الانسان وحرياته .. وهي حقا كذلك من وجهة النظر الانسانية والآدمية التي تنزع الحيوان من داخلها وتتنزه عن الشراسة البشرية ونوازعها الشريرة .

ان راوي القصة القادم من بلد عربي آخر اكثر تمدينا وتحضرا تسوءه هذه الصورة التي رآها لسجناء المشيخة بيد انه يفاجأ بصورة اكثر ضراوة وعنفا حين يلتقي بمحدثه في هداة الليل فيسمع منه قصته المثيرة والحزينة والتي كان بطلها الرئيسي وجرت عليه مراسيم عذاب رهيب !

« .. من تلك الاثناء فتح الباب فلمحت بين اجفاني المثقلة رئيس الجلادين ، الرجل ذا القميص الداخلي المبقع ورائحة التبغ الرخيص ، يدخل . سمعته يتساءل: هل اخذ نصيبه ؟ فكان جواب رجاله قهقهات لئيمة والفاظ سباب تعنيني واقوال لم تثبتها اذناي اللتان كانتا تطنان طنا غريبا فوق ارضية من ضجة مكبرات الصوت التي كانت تتسلل الى الغرفة عبر الباب المغلق . ورايته يضحك وهو يشير بيده الى شيء كان معلقا على .. الجدار ... » ص ٦٢ ــ ٦٣ .

ولا نحسب هذه الصورة من القهر الا بلورة لفلسفة الالم واللذة التي استشعرها البطل :

« ترى ما عدد الالوان التي يعرفها الانسان للذة ؟ لا اظن هذا العدد كبيرا واحسبه لا يتجاوز عدد اليدين . اما الالم فان الوانه على ما اعتقد تفوق الحصر» ص ٦٤ .

وهو تصور ينبع من التجربة التي يمر بها البطل ويعانيها وينسحق تحت وطأتها راصدا اقسى ما يتعرض له الانسان وانسانيته من عسف .

« .. ولكن يبدو ان صرختي كانت من القوة بحيث ازعجت اولئك الزبانية فقد مد ذلك الجاثم على ذراعي اليمنى يدي الى احدى فردتي الحذاء الذي كان ملقى بجانبي على الارض ، وليسكنني حشا بهما فمي ..

تصور .. ذلك الحذاء في فمي ! لعلني قادر على ان انسى كل ما مر بي من عذاب ومهانة في ذلك اليوم وفي ايام غيره وكل شعور سعيد او شقي مر في سني عمري كلها ، ولست قادرا على نسيان مذاق النعل في فمي ! » ص ٦٥ .

اي حياة يحياها الانسان كريمة وسط هذه الالوان من الشقاء ؟ واي عذاب يفرضه الانسان العربي على اخيه الانسان العربي ؟

ومن عجب انه يتفنن في هذا العذاب وذلك الشقاء وفق ما وصلت اليه ثقافته وادراكه الحضاري لما حوله من اشياء ومعالم ووسائل تمكنه من ممارسة القهر والارهاب دون رادع اخلاقي او وازع انساني !

لقد اصبح من المؤكد ــ وكان يجب ــ ان توجه هذه

الطاقة من الشراسة والعربدة الى العدو المشترك بالدرجة الاولى .. فهو الطرف الذي لا يتورع بتاتا عن ممارسة الشراسة والقهر بصورة ابشع واقوى ، ليس ضد بعضنا فقط ، ولكن ضد الجميع .. السيء والطيب، والطالح والصالح وينزل عقابه بلا تفرقة بين هذا او ذاك بل الكل عنده يستحق الرجم حتى الموت !

ووجود هذه الظاهرة في المجتمع العربي مخالفة صريحة للقيم التي سادت فيه زمنا ويحب ان تسود دواما ، واقصد قيمة عربية بالذات كانت سائدة وشائعة بين السلف الطيب وهي التعاطف والتراحم فيما بينهم ، واخذ العدو بالشدة والقسوة لرد عدوانه وبغيه عليهم . وقد تأصلت هذه القيمة العظيمة عندما جاء القرآن الكريم ذاكرا اياها في سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ، ورضوانا ... » (١)

ولا يخالطني شك ان الكاتب قصد الى هذا المعنى القيم حين تلفت حوله في مجتمعه المريض ولم يجد له اثرا ، بل وجد عكس هذا المعنى القيم سائدا ومعربدا بصورة مثيرة للتقزز والسخط والسخرية في آن واحد . ونستطيع ان نلاحظ ذلك في قصته « نبوءات الشيخ سليمان » حين يقول على لسان البطل :

« .. ولا اكتمكم انني ندمت حينذاك وقلت لنفسي ان العنف يجب ان نحتفظ به لاعدائنا . اما بنو قومنا فان الضال منهم عن الطريق له اسلوب آخر في رده الى الصواب ، مهما كان صفيق الوجه دنيء الطباع ... » ص ١١٩ .

وهي رؤية متطورة ومتقدمة عند كاتبنا تجعله صاحب فكر وفن معا ، على العكس من غيره من الكتاب الذين يجيدون مصنع القضايا التافهة والرؤى العاجزة وقد ينجحون في ابداعها او لا ينجحون .

ولعل ذلك يرجع الى التزام الكاتب بقضايا انوطن ، والمعاناة في البحث عن تشخيص لامراضه .. ومن ثم فانه يجد في الملاحقة والمحاصرة اسبابا للتخلف والجمود دون ان يخطب فينا بما يريد .. ثم يستقدم كلماته الفنانة لايصال المعنى المتخلق في داخله الى اعماق المتلقي بلا صعوبات تؤثر على الخلق الادبي او التكوين الابداعي .

انه ملتزم دون ان يقدم (مانيفستو) مطولا يمتلىء بالشعارات والخطب الجماهيرية والمصطلحات الايديولوجية التي تقصف عمر العمل الادبي وتعصف بالابداع الفني وتئد الكلمة في مهد صباها الاخضر .

لقد عبر عن ازمة الواقع العربي من وجهة نظره — وهي وجهة نظر صحيحة وصائبة في راينا كذلك — حين رأى الازمة الروحية تلوح في الافق بوجهها القبيح عبر اوروبا حين تخلت عن المبادىء والقيم الانسانية السمحة، وتركت الاصول العليا للاديان واندفعت في وهدة المادية الباردة والميكانيكية المظلمة .. ورأى الكاتب ان الامة العربية قد تأثرت بهذه الازمة الروحية واصيبت بتأثيراتها ايما اصابة خلال موجات الغزو الاستعماري المختلف ومنطقه المادي الشرس ، وقد ضمن الكاتب رؤيته هذه بصور عامة في قصته المطولة « رصيف العذراء السوداء » (٢) حيث استلهم فيها ذكريات الامس الغابر في الفردوس المفقود بالاندلس ..

بيد انه اليوم يعيد ذاته اكثر تفصيلا ويتناول الاندلس ليفرغ شحنة انفعالاته واحلامه واشجانه وآماله تجاه الواقع الآني على ارضنا العربية التي تمزقها الاحن وتفترسها المحن .. محنة بعد محنة تغدو تروح .. وتتوزع بلادنا بالفرقة والضياع والتيه ، وتنظر في مجاهل المستقبل علامة تنتشلها من حضيض الهاوية المعتمة الى عالم النور والمعرفة والحركة الطليقة .

وكانت كارثة الخامس من يونيه حزيران ١٩٦٧ افظع ما ذاق الوجدان الفني المعاصر والح عليه باستمرار وديمومة ، واخذ بعقله وفكره للبحث الدائب والتأمل النشط في جوانب هذه المأساة والحلول الممكنة والمأمولة.. وقد امسكت هذه المأساة — ايضا — بزمام العقل الباطن والشعور الواعي للدكتور العجيلي فاستلهم الاندلس من جديد وهي في محنتها الاخيرة والتي اودت بالوجود الاسلامي هنالك الى هزيمة مشابهة للخامس من حزيران ١٩٦٧ . وقد اخذ الدكتور العجيلي يحكي عن المأساة ببساطة متناهية ويدخل الى موضوع القصة دون ان يكدر صفو القارىء او يضايقه في التواءات رمزية او ضبابيات غامضة كما يحدث في كثير من القصص التي ترفع لواء الرمزية المعتمة في الآونة الاخيرة . والقصة هنا رمزية ولكنها تتخذ الجانب المضيء لا المعتم وتدخل الى واقعنا دون ان يشك القارىء في ان ما يقرؤه لا ينتمي الى واقعه او وجدانه المشحون . ويعترف الدكتور العجيلي في البداية ان ما يجده القارىء في هذه القصة مجرد تنسيق وتمحيص لمخطوطة قديمة جدا — وهذا الاعتراف ذكاء فني قد يفوت على الكثيرين — ثم يمضي في سرد قصته على نسق ما زعم انه مخطوطة تبعث في زمننا هذا وتحكي القصة مرحلة من مراحل الدفاع التي قام بها المسلمون لمواجهة « الاشبان » الاسبان وهم يزحفون لقهر العرب واخراجهم نهائيا من ارض الاندلس . وكان العرب يدافعون عن مدينة القنطرة ، وهي واحدة من المدن الهامة التي تمركز فيها المسلمون للدفاع الواهن ، ولا ندري — كما يقول المؤلف — اي قنطرة هي فهناك اكثر من قنطرة في بلاد الاندلس — كما ان فيها اكثر من « طيبة » . والحق اننى ظننت القنطرة حين لمحتها على غلاف الكتاب مدينة القنيطرة السورية التي يحتلها الاسرائيليون في هضبة الجولان منذ حزيران ١٩٦٧ .

ويظهر لنا من خلال الصراع ان العرب منقسمون على ذواتهم . فهناك من يمالىء العدو ويعمل لحسابه ويتولى زعامة العرب وقيادتهم ايضا — ابن سعران . وهناك من يعمل مخلصا للدفاع والجهاد « المهلهل بن سلام » . وهناك جواسيس العدو ذوو التأثير القوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنفوذ المتزايد ونحسبهم احبابا خلصا « سيبيلية » وقد كان يحبها « المهلهل » ويحسبها وفية بينما هي جاسوسة مخلصة لحساب اهلها الاشبان وباذلة نفسها في سبيلهم . وهناك من يجاهد بالكلمة لانه لا يملك سواها سلاحا قويا وفعالا .. « كابن حفص » وهو من الفقهاء المخلصين والعلماء المستنيرين ، وكأن الكاتب يرمز به الى مثقفي هذا الزمان ودورهم كما يراه وينبغي لهم . وهناك غير هؤلاء من يملك ايمانا وعقيدة . ومن يعيش بلا هوية ومن يبحث عن ذاته ونفسه فقط .. نماذج شتى لها مثيلها في ايامنا ــ وهي توضح فسادا قائما اثار الحزن والاسى وانتهى بهزيمة سوداء أبكت العيون ومزقت القلوب واورثت من الهم والكدر ما لا تحمله الجبال . وها نحن نرى جانبا من الصورة المحزنة :

« قال ابو بكر : وما يقعدك عن الجهاد في سبيل الله يا ابن سلام ، هل يحول بغضك لابن ساعر دون ان تحمل سيفك وتركب فرسك وتذب عن دينك ودارك . وفارقنا. فالتفت الي المهلهل وقال : يا نعمان ان ابن ساعر فاسق لا يصح له جهاد ولو أخلص النية . فكيف وانا على مثل اليقين من انه لا يخلص النية . فكيف وانا على مثل اليقين من انه لا يخلص النية بل يرى ان يذبحنا واولادنا لتخلص له البلد » ص ١٢ .

ويعبر هذا الجانب من الصورة عن مشهد آخر لموقف العلماء المستنيرين الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا يكتفون باصدار صكوك الغفران والرضا التماسا للراحة وايثارا للعافية دون نظر الى حاجات المسلمين :

« فألقى ابن حفص عمامته على الارض وصاح : يا ابن عمرون ، ونسيت قولي لك لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وتعلم انه ما من معصية اجل مما اقدم عليه سيدك . ولعلك تطمع ان تظل نائبه ، ويطمع سيدك ان يظل اميرا . ابشرك بالبوار والفقر والقتل . من يأتمنك بعد ان خنت اهلك يا ابن عمرون . وأبشر ابن ساعر بأن ملكه قصير .. العمر » ص ٣٢ .

أي صورة من صور المواجهة هذه ؟ أنها صورة مشرقة لشرف العلم في زمنه وفي كل زمان يرسمها العلماء بدمائهم قبل ان يخططوها .. بأفكارهم وعقولهم . وقد يكون المثقفون بديلا في زمننا عن علماء الفقه والشريعة في الزمن الماضي بيد ان مثقفينا لم يستطيعوا او يتمكنوا من اداء هذا الدور القديم لاسباب متعددة ولعل الكاتب الالماني برتولد بريخت كان يعني ذلك بقوله « هنالك شيء في عالمكم ايها النيرون غلط » (٣) . واعتقد ان الدكتور العجيلي كان يعني مثقفينا ايضا عندما وضع ابن حفص تجاه قدره ثائرا ورافضا وايجابيا ايضا .

ومن خلال هذه القصة « فارس مدينة القنيطرة » يرصد الكاتب كل عوامل الفشل والغفلة والعمى التي صاحبت مسيرتنا منذ غربت شمس الاندلس في يوم حزين لم يكن اكثر حزنا منه الا الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وهذا نموذج يوضح مدى الغفلة المتفشية والفكر المتخلف والبصيرة العمياء التي نعايشها ونواجه بها من حولنا مع الفارق الزمني بيننا وبين الاندلسيين ، وبين الاسرائيليين والاسبان : « وتحدث المهلهل وسيبيلية بحديث كنت به كالاكمة تفتحت عيناه بغتة على النور فراى ما لم يكن يرى او يعلم ان يراه . فيا لبؤس هذه الامة ، ويا لعميها كيف اسلمت عنقها الى جازرها ووضعت في يده السيف الذي به ذبحها » ص ٣٦ .

بيد ان الصورة على قتامتها لا تخفى بصيصا من الضوء يذكي في النفس شعورا بالثقة في الله والمستقبل وقد قام به من يحمل شرف العلم والفكر وامانة العقل والنقل واعني به ابن « حفص » الذي قام بدور الباعث الروحي لامة كادت تتحول الى بقايا رماد تخلفه نيران اليأس والهزيمة . يحكي ابن حفص خلال سرده للمأسي الحزينة التي شهدها للهزيمة المروعة :

« قلت فاني على علتي وضعفي لاقومن غدا في المسجد الجامع بعد الصلاة فاعرف الناس بما جرى واحذرهم من المقبل . قال ابو مرداس (٤) وانصحك بالا تفعل انك لا تدري ما بالقوم من عمى ، كأن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يفعلون . قلت والله لافعلن ولو كان فيها نفسي ، واحسست من غيظي بالقشعريرة تأخذ اطرافي وعاودتني الحمى ، فلم افق الا عند الغروب ، واني الآن في خير .. واني غدا لفاعلها . » ص ٤١ .

ان الشيخ ابن حفص صورة للتفاؤل رغم المحنة ، وزهرة امل خلال المأساة ، ونجمة فجر في ليل طويل . لانه يقاوم رغم العلة ويجاهد رغم الضعف ويسعى حثيثا ودائبا لتنفيذ ما اعتزمه وما اعتقده ، وبعد هذا كله يأمل في الغد ..

لقد نجح الكاتب في ان يستوعب المأساة في الواقع الراهن من خلال صورتها العامة ، دون ان تسيطر عليه اوهام اليأس الذي شل حركة كثير من كتابنا ، فاكتفوا بالحديث عن اشجان غامضة واحداث باهتة ، ومعالم خافتة او مظلمة لا نرى منها شيئا يبشر بأمل او يرصد في صدق او يحدث في اخلاص . وكاتبنا في تشخيصه للمأساة وعلاجها يحث ــ على رفض هذا الواقع المهين بكل ابعاده السيئة وملامحه القذرة ورائحته المنتنة ، لنصنع على ارضنا واقعا جديدا سيدا في ارضه ، كريما في ملامحه ، طيب الريح والروح .

واذا كان الكاتب قد تناول القضية من زواياها العامة فانه في قصته « نبوءات الشيخ سلمان » يخصص النظر الى زاوية واحدة وهي قضية فلسطين . ونجده هنا يتمتع ــ كما هو الحال دائما ــ بفهم موضوعي لابعاد هذه القضية فلا تجمح به العاطفة الى حيث تردد الشعارات ونلهب حناجرنا بالزعيق ، ولا يغرق في بحار السلبية والمؤاخذة .. انه ينظر الى الواقع في صورته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العامة ثم يركز على الاغوار ويبصر ما فيها جيدا ومن ثم كان تفاؤله بتحرير هـذا الوطن او الفردوس الضائع مشروطا بشروط لا بد منها لتحقيقه . وهو في هذا منصف لا يتجنى على الواقع ولا يتخاذل ازاءه .

« من الذي سيذبح في هذه الحرب يا شيخ ؟ قال كثيرون .. الم تأتوا من مدنكم وقراكم لتموتوا هنا ؟ وسكت الشيخ قليلا قبل ان يستدرك قائلا : ولكنكم لن تموتوا جميعكم .. الطيبون وحدهم سيموتون . هكذا قال الشيخ سلمان بصوته الرقيق ولكنه الحازم » ص ١٣٤ .

انه يعني بالطيبين هنا كل الشرفاء والاصلاء الذين يعقدون النية الخالصة في المحاربة والمقاتلة . وليس الذين يأتون الى فلسطين وكل ما في اعماقهم يتنافى مع ما في افواههم واقوالهم . انه يعلق شرط الموت في هذه الحرب على الجهاد الخالص غير المزيف . ولا يختص به مرتزق او مأجور او ثري حرب او مستغل او خائن او منافق او كذاب . ومن ثم كان الانتقاد مرا وعنيفا لهؤلاء :

« وانت يا استاذ زهير ؟ انا اذكرك جيدا . لقد كنت تجاهد بقلمك اعنف الجهاد ، تقتل كل يوم خمسمائة صهيوني ، وتخلى عشر مستعمرات من سكانها على صفحات جريدتك الغراء ، بينما كان الصهاينة يقيمون بالبلد وزرات اسوارا عالية من التراب حول براكاتهم ، وبينما كانت فتياتهم يحملن السلاح في الدوريات الليلية . اما انت احمد افندي فلا ادري ما الذي كنت تفعله منذ خمسة عشر عاما ربما كنت انت الذي باعنا الفاصوليا المسوسة التي كنا ناكلها في قمم الجليل . او التمر الذي تمور حباته بالدود والذي كان حلوانا بعد تلك الفاصوليا . انا اصدقك اذا انكرت فلو انك كنت انت ذلك المورد لقوى انقاذ فلسطين لما كانت سهرتك اليوم معنا في خمارة « الشاب الظريف » . اذن لكانت لك فيلا وسيارة واشتراك في احد نوادي العاصمة الفخمة » ص ١١٨ ـ ١١٩ .

هكذا يرصد الدكتور العجيلي قوى انقاذ فلسطين التي تتاجر بالكذب والخداع والمنفعة الخاصة . وكأنه يقول لنا ان هذه القوى ما زالت قائمة وانه بوجودها لن يتم تحرير او قتال . وهو يرى بناء على ذلك انه سوف يحكم الفاشل والعاجز والخائن والفاجر ومن يبيع فلسطين ومن يدفع مالا ليتخلص من فلسطين :

« بعد ان يموت الناس ويحترق التراب ويحكم الفاشل ثم العاجز ثم الخائن ثم الفاجر تهتز جنبات الارض وتجعل الامة بالالم لتلد المنقذ المطهر .. هل فهمت ما اقول ؟ » ... ثم يتابع « نعم سيأتي الحاكم الذي يبيع فلسطين ثم الذي يدفع مالا ليتخلص من فلسطين .. بل لعل هؤلاء قد اتوا وهم يقودوننا ونحن لا ندري .. » ص ١٣٧ .

هذه رؤية الدكتور العجيلي وهي رؤية متقدمة دون فلسفات معقدة او خطابة عالية الرنين . ونحن لا نملك الا ان نتساءل معه : متى تحبل الارض وتلد المنقذ المطهر ؟ متى .؟

ولا يمكن لانسان منصف ان يتجاهل قيمة هذه الرؤية ازاء السيل الجارف لبعض الكتابات التي تنفر الوجدان وتبعث على الفيء والغثيان لخلوها من الفكرة المتقدمة والحرفة الجيدة .

ونحن نستطيع ان تعالج قضايانا القومية والوطنية بوضوح وصراحة دون ان ننجرف مع تيار الخطابية والشعارات والمقالات المدرسية التي يزعم اصحابها انها قصص .. وذلك اذا استطعنا ان نمسك بزمام الكلمة الفنانة والفكرة النيرة كما فعل الدكتور العجيلي .

والذي يتابع ما يكتبه الدكتور العجيلي في فن القصة عموما وفي « فارس مدينة القنيطرة » خصوصا يشعر به كاتبا متمرسا لا يستطيع الناقد ان يصف اصالته في عالم القصة الا بالعمق والامتياز .

سألت العم « يحيى حقي » ذات امسية ادبية في الاسكندرية :

ـ هل ترى جديدا في الفكرة القصصية العربية المعاصرة ؟

وكان رده دبلوماسيا للغاية . بيد انني فهمت منه انه ينفي الجدة في الفكرة القصصية ، فتجرات وسألته :

ـ اذا ماذا يعجبك في « نجيب محفوظ » يا استاذ ؟

اجابني على الفور :

ـ الحرفة .. افندم (٥) .. الحرفة ..

وراح يشرح لي بطريقته الودية الحنون ما في حرفة « نجيب محفوظ » من ابداع وابتكار .

بيد انني استطيع القول للعم « يحيى » ان الدكتور العجيلي يضم الى العظمة في الحرفة الجراة في الفكرة .. وهو حق للدكتور العجيلي لا يمكن ان يغمطه اياه انسان منصف في اي مكان وزمان .

لقد عبر عن اشواق الانسان العربي المعاصر بصدق واصالة دون افتعال او سقوط في متاهات الغموض والضباب .. وهي اشواق مشروعة بالحق والجهاد .

حاشية : هناك قصتان اخريان في المجموعة هما : « الحب في قارورة » و « الزقاق المسدود » وقد آثرنا ان ندعهما جانبا حتى لا يفقد الموضوع وحدته ونغمته .. ورغم هذا فان لهما من القيمة الفنية والموضوعية مكان .

مصر ـ مرقص بحيرة — **حلمي محمد القاعود**

١ ـ في الآية ٢٩ من سورة « الفتح » .

٢ ـ راجع عدد « الاديب » شهر ابريل ١٩٧١ حيث تناولنا هذا الموضوع بتفصيل اكثر .

٣ ـ جاءت هذه العبارة في مسرحيته « الانسان الطيب » .

٤ ـ يمثل ابن « مرداس » النموذج المتشائم اليائس في الواقع الراهن .

٥ ـ « افندم » .. لزمة مشهورة من لزمات العم يحيى حقي ، وتتخلل حديثه دائما مثل الفواصل المهدئة والحافزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

عشرة دنانير ونصف

ويخطئون من يقول : اشتريته بعشرة دنانير ونصف . ويقولون ان الصواب ان نقول : اشتريته بعشرة دنانير ونصف الدينار ، خوفا من ان يظن ان المقصود بالنصف هو نصف العشرة . وبما ان الناس يفهمون ان المقصود بالنصف هو نصف الدينار ، فلا أرى مانعا من القول : اشتراه بعشرة دنانير ونصف . وفي الحذف مع المحافظة على المعنى بلاغة .

فما هو رأي مجامعنا ؟

الساعة السابعة ونصف

ويقولون : جاء تميم في الساعة السابعة ونصف ، ولا يحق لنا ان نعطف النكرة (نصف) على المعرفة (الساعة) . ولا ادري لماذا يخطئون من يقول : في الساعة السابعة والنصف ، ما دامت كلمة (النصف) تعني نصف الساعة ، لا نصف الدقيقة مثلا . ويرون ان الصواب ان نقول : في منتصف الساعة الثامنة ، او : في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين . فما هو رأي مجامعنا ؟

نضوج الثمر

ويقولون : نضج الثمر نضوجا . والصواب : نضج (بكسر الضاد) ينضج (بفتحها) نضجا (بفتح فسكون) او : نضجا (بضم فسكون) ، فهو : ناضج ونضيج (بفتح فكسر) ، او : انضجه فهو : منضج (بضم فسكون ففتح) ، ويقول المصباح : هو نضيج أيضا .

وقد اخطأ امير الشعراء احمد شوقي ، حين قال في جراح مصر الكبير علي باشا ابراهيم :

يد ابراهيم لو جئت لها بذبيح الطير ، عاد الطيرانا
لو أتت قبل نضوج الطب ما وجد التنويم عونا فاستعانا

ولو قال :

لو أتت من قبل نضج الطب ما وجد التنويم عونا فاستعانا

لتجنب الخطأ ، وظل الوزن مستقيما .

نضوة الحصان

ويقولون : بليت نضوة الحصان . والصواب : بليت نعل الحصان . وكلمة (نعل) في اللغة العربية مؤنثة .

نظرت الى المرآة

ويقولون : نظرت فلانة الى المرآة لترى حسنها . والصواب : نظرت في المرآة ، او تمرأت (بفتح ففتح فسكون) على توهم أصالة الميم ، كما قالوا : تمسكن . او : ترأت (بفتح ففتح فتضعيف) فلانة ، او : تراءت .

النعرة الطائفية

ويقولون : النعرة (بفتح فسكون ففتح) الطائفية ، ويقصدون بذلك: التعصب الطائفي . والصواب : النعرة (بضم ففتح) الطائفية . والنعرة هي الخيلاء والكبر ، وقد استعيرت للتعصب .

قال الجوهري : النعرة (بضم ففتح) ذباب ضخم ، أزرق العين، أخضر ، له ابرة في طرف ذنبه ، يلسع بها ذوات الحافر خاصة ، وربما دخل في انف الحمار ، فيركب رأسه ، ولا يرده شيء .

ثم استعملت النعرة مجازا للخيلاء والانفة والكبر . ويقال : لاطين نعرتك ، أي : كبرك وجهلك من رأسك . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه : لا أقلع عنه حتى أطير نعرته .

أما النعرة (بفتح فسكون) ، فمن معانيها :

١ ــ صوت في الخيشوم .

٢ ــ نعرة النجم : هبوب الريح ، واشتداد الحر عند طلوعه .

أنعم بزيد

ويقولون : أنعم (بفتح فسكون فكسر فسكون) بزيد ، صائغين التعجب من فعل المدح نعم (بكسر فسكون ففتح) . وبما ان (نعم) فعل جامد ، وبما انه يشترط في الفعل ، الذي يتعجب منه مباشرة ، ان يكون متصرفا ، لا جامدا ، لذا نخطىء من يقول : أنعم بزيد ، عندما يريد ان يمتدح زيدا .

ولكنه يكون مصيبا ، حينما يكون الفعل أنعم (بفتح فسكون فكسر فسكون) من الفعل نعم (بكسر العين وفتحها) الثلاثي، المتصرف، التام ، المثبت ، المبني للمعلوم ، القابل للتفاوت ، الذي ليس الوصف منه على (افعل) . فيصبح المعنى : ما أشد رفاهية عيش زيد ، واعظم لينه .

أما معاني الفعل (نعم) فمنها :

١ ــ نعم الرجل ينعم (بفتح العين فيهما) نعمة (بكسر فسكون): رفه .

٢ ــ نعم (بفتح العين) عيشه : طاب ولان واتسع .

٣ ــ نعمت (بكسر العين) بهذا عينا : سررت وفرحت .

٤ ــ نعمك (بكسر العين) الله عينا ، او : نعم (بكسر العين) الله بك عينا : اقر بك عين من تحبه ، او : اقر عينك بمن تحبه .

٥ ــ نعم (بكسر العين) العود ، ينعم (بفتح العين) ، نعما (بفتح ففتح) : اخضر ونضر .

٦ ــ نعم (بضم العين) الشيء ينعم (بضم العين) نعومة : لان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملمسه ، فهو ناعم .
وقال ثعلب حكاية عن العرب :
١ ــ نعم (بكسر فسكون) بزيد رجلا ، ٢ ــ نعم زيد رجلا .
الفعل نعم (بكسر فسكون) هنا متصرف ومشتق ، وليس جامدا.

انعي فلانا

ويقولون : انعي (بفتح فسكون فكسر) فلانا . والصواب : انعى (بفتح فسكون ففتح) فلانا . من الفعل : نعى (بالالف المقصورة) ينعى (بالالف المقصورة) نعيا (بفتح فسكون) ، ونعيا (بفتح فكسر فتضعيف) ، ونعيانا (بفتح ففتح) فلانا : أخبر بموته ، او : ندبه ، فهو ناع ونعم نعاة (بضم النون) ونعيان (بضم فسكون) .
ومن معاني نعى (بالالف المقصورة) :
١ ــ نعى عليه هفواته : شهره (بتضعيف الهاء) بها . (مجاز).
٢ ــ نعى فلانا : طلب بثأره .
٣ ــ نعاه الشيء : أخبره به .
٤ ــ نعى على نفسه بالفواحش : شهر نفسه بتعاطيه الفواحش.
٥ ــ نعى على فلان أمرا : أشاد به واذاعه .

نفد صبره

ويقولون : نفد (بالدال وفتح الفاء) صبره (بضم الراء) .
والصواب : نفد (بالدال وكسر الفاء) ، أي : فني صبره . ومن معاني نفد (بالدال وكسر الفاء) :
١ ــ ذهب ، ٢ ــ فرغ ، ٣ ــ انقطع .
راجع الآية ١١٠ من سورة الكهف .
وفعله : نفد (بكسر الفاء) ينفد (بفتح الفاء) نفدا (بفتح ففتح) ونفادا (بفتح النون) .
اما نفده (بفتح الفاء) البصر ينفده (بضم الفاء) نفادا (بفتح النون) فمعناه : بلغه وجاوزه . ونفد (بفتح الفاء) القوم (بفتح الميم) : مشى وسطهم وتجاوزهم .
وانفد القوم (بضم الميم) : ذهبت اموالهم ، او : فني زادهم .
قال ابراهيم بن هرمة :
أغر كمثل البدر يستمطر الندى ويهتز مرتاحا اذا هو أنفدا
ونفذ (بالذال وفتح الفاء) السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها (بضم الفاء) نفذا (بفتح فسكون) ونفاذا : خالط جوفها ، ثم خرج طرفه من الشق الآخر ، وسائره فيه .
ونفذه البصر : بلغه وجاوزه . هذا قول الكسائي ، اما ابو حاتم فيروي الفعل بالدال .
نفذ لوجهه : مضى على حاله (التاج) ، وهو من المجاز .
ونفذ (بفتح الفاء) ينفذ (بضم الفاء) نفاذا او نفوذا الامر والقول : مضى (مجاز) .
ونفذ الكتاب الى فلان : أرسل .
ونفذت الطعنة : جاوزت الجانب الآخر .
ونفذ الطريق الى موضع كذا : صار سالكا نافذا .

نوايا

ويجمعون نية على : نوايا . والصواب : نيات (بكسر فتضعيف) ، وقد ذكر صاحبا التاج واللسان ان نية (بكسر فتضعيف) تجمع ايضا على ني (بكسر فتضعيف) ، مستشهدين بقول النابغة الجعدي :
انك أنت المحزون في أثر الحي ، فان تنو نيهم تقسم
وارجح ان النابغة الجعدي ، جاءنا بهذا الجمع ، ليستقيم وزن بيته ، ولا اعرف شاعرا كبيرا آخر ، او اديبا لامعا استعمل هذا الجمع (ني) بكسر فتضعيف .

لحم نيء أو ني

ويقولون : لحم نيء (بفتح فسكون ففتح) او ني (بفتح فتضعيف).
والصواب : لحم نيء (بكسر فسكون) ، ويجوز : ني (بكسر فتضعيف) بالابدال والادغام ، او نهيء (بفتح فكسر فسكون فهمزة) ، وهو اللحم الذي لم ينضج ، او لم تمسسه نار .
اما النيء (بفتح فتضعيف) فهو : الشحم دون اللحم .

تقطعت نياط قلبه

ويقولون : تقطعت نياط (بكسر النون) قلبه . والصواب : تقطع نياط قلبه ، لان النياط مفرد مذكر ، وهو عرق غليظ نيط (بكسر النون) به القلب الى الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه .
والوتين هو : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه . وقال ابن سيده : هو عرق لاصق بالقلب من باطنه اجمع ، يسقي العروق كلها الدم ، ويسقي اللحم ، وهو نهر الجسد . والجمع : وتن (بضم فسكون) واوتنة (بفتح فسكون فكسر) .
وفي المعاجم : النياط هو الفؤاد أيضا . ومعلق (بضم ففتح فلام مفتوحة مضعفة) كل شيء . وجمعه : أنوطة (بفتح فسكون فكسر) ونوط (بضم النون) .
وفي الاساس : النياط والنوط (بفتح فسكون) بمعنى .
وفي الصحاح : النياط والنيط (بفتح فسكون) بمعنى .

نيف ومائة

ويقولون : جاء نيف (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ومائة رجل .
والصواب : جاء مئة (كتابة المئة دون الف بعد الميم اقرب الى الصواب والمنطق) رجل ونيف (بفتح النون وتضعيف الياء المكسورة وضم الفاء وتنوينها) . ولا يقال (نيف) الا بعد العقود (من عشرين الى تسعين) ، او المئة ، او الالف . نحو : جاء اربعون ونيف ، ومئة ونيف ، والف ونيف .
ويعنون بكلمة (نيف) الاعداد من واحد الى تسعة بعد العقود والمئات والالاف . ويقول بعض حذاق البصريين والكوفيين ان النيف من واحدة الى ثلاث ، والبضع من أربع الى تسع .

نموذجات من حرف الهاء

هتاف

ويقولون : استقبل فلان بالهتاف (بكسر الهاء) . والصواب : استقبل بالهتاف (بضم الهاء) . والهتاف هو : الصوت الجافي العالي : وقيل : الصوت الشديد .
وقد هتف به (بفتح التاء) يهتف (بكسرها) هتافا (بضم الهاء) وهتفا (بفتح فسكون) : صاح به .
وفي حديث حنين ، قال : اهتف (بكسر التاء) بالانصار ، أي : نادهم وادعهم .

سحاب هتن

ويقولون : سحاب هتن (بفتح فكسر) . والصواب : سحاب هاتن او هتون (بفتح الهاء) . أي : يصب ما فيه من ماء . والجمع : هتن (بضم فتاء مضعفة مفتوحة) ، وهتن (بضم فضم) .
ويضيف التاج ومتن اللغة : سحاب هتان (بفتح فتضعيف) .
وفعله : هتن (بفتح التاء) المطر والدمع ، يهتن (بكسر التاء) ، هتنا (بفتح فسكون) وهتونا (بضم فضم) ، وتهتانا (بفتح فسكون) ، وهتنانا (بفتح ففتح) .

محمد العدناني

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

نواف ابو الهيجاء - محمد ابراهيم الشاعر

معين الماضي - قسطنطين خمار

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ نواف أبـو الهيجاء

ولد « نواف » في قرية « عين حوض » من قضاء حيفا بفلسطين عـام ١٩٤٨ ولجأ مع افراد اسرته التي نزحت مع قوافل اللاجئين الفلسطينيين الى بلدة « جنين » ثم انتقل مـع ذويه الـى العراق واقامـوا في « الشعيبة » وهو معسكر أخلاه الجيش البريطاني في جنـوب العراق بالقرب من مدينـة البصـرة . ودرس « نواف » في مدرسة الشعيبة الابتدائية وبقي فيها حتى عام ١٩٥١ ثم انتقل مع عائلته الـى بغداد وسجل في مدرسة الاشبال ، وبعد ان اتم دراسته الابتدائية التحـق بمدرسة متوسطة واخرى ثانوية واكمل دراسته فيهما .

وفي عام ١٩٦٠ دخل قسم اللغة الانكليزية في كلية الاداب بجامعة بغداد وفي عام ١٩٦٣ عمل في « صوت فلسطين » من اذاعة بغداد وفـي شتاء ١٩٦٤ اعتقل وابعد الى الجمهورية العربيـة السورية وعمـل مدرسا في احدى ثانويات اللاذقية وسجل في كليـة الاداب بجامعـة دمشق ، وفي عام ١٩٦٥ حصل على الليسانس باللغة الانكليزية وعمل في جريدة « الثورة » ثم انتقل الى جريدة « البعث » فوزارة الاعـلام السورية وفي عام ١٩٦٨ انضم الى جهاز دائرة الثقافة بدمشق وعمـل محررا في مجلة « المعرفة » الشهيرة .

وخلال دراسته المتوسطة والثانويـة تفتحت عيناه علـى ادب المنفلوطي والدكتور محمد حسين هيكـل ونجيب محفـوظ ويوسف السباعي وعبد الحليم عبد الله وغيرهم واثرت فيه رواية « الثلاثية » لنجيب محفوظ واقبل على ادب غوته وشكسبير ونصحه بعض قـراء ادبه بكتابة الرواية بعدما وقفوا على مطولاته الشعرية ، فكتب اولـى محاولاته الروائية عام ١٩٥٩ وهو طالب في الثانوية المركزية . وفـي دراسته الجامعية تعرف على الافق الواسع للادب العالمي وعكف علـى ادب شكسبير ، هنريك ابسن ، برنارد شو ، تـي. اس. اليوت ، جيمس جويس ، فولكنر ، شارلز ديكنز ، موباسان ، غوغول ، هوغو، تشيخوف ، همنغواي ، سارتر ، كامي وغيرهم كما عكف على ادب نفـر من ادباء مصر المعاصرين .

من آثاره القلمية : في مطلع الستينات تفرغ « نواف » للمطالعة وفي اعقاب عام ١٩٦٤ ، وعلى شاطىء اللاذقية الجميـل ، كتب اول قصة قصيرة بعنوان « ثلاثة فقط » وبعد نشرها في دمشق وجد تشجيعا من قرائه فاقبل على كتابة القصة ونشر الآثار القلمية التالية :

١ ـ والخيبة ايضا (مجموعة قصص قصيرة) طبع عام ١٩٦٥

٢ ـ الطريد (رواية) طبع عام ١٩٦٦

٣ ـ من اجل حرب التحرير الشعبية (وهو محاولة في فهم معركة التحرير وابعادها) .

٤ ـ الفارس الاقرع (تحت تأثير الصدمة الهائلة بعـد حـرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ لـم يجـد « نواف » مناصا مـن كتابة المسرحية ليواجه الجمهور بالصراحة فكتب مسرحية « الفارس الاقرع» ونشرها في مجلة « المعرفة » الدمشقية) .

٥ ـ سودرا (مسرحية) نشرت في جريدة « الثورة » الدمشقية.

٦ ـ نهار خليلي (مسرحية) (نشرها وقدمها المسرح العربـي الفلسطيني) طبع عام ١٩٧٠.

٧ ـ الاسبوع ذو الايام الثمانية (رواية) .

٨ ـ التصفية (مسرحية) نشرتها مجلة « المعرفة » الدمشقية في عدديها ٩٦ و٩٧ عام ١٩٧٠.

٩ ـ ممرات مضيئة الـى احزان الفلسطيني (مجموعـة قصص قصيرة) نشرتها « دار العودة » في بيروت عام ١٩٧١

١٠ ـ الخسوف (رواية) .

وفي مطلع عام ١٩٧٠ شرع في كتابة نوع خاص من القصة القصيرة اسماه « رباعيات » ونشر « العصافير » وهي الرباعية الاولى في العدد الخاص بالقصة المعاصرة في سورية الذي اصدرته مجلة « المعرفـة » الدمشقية في ١ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ .

وفي كافة ما يكتبه « نواف » وينشره يحاول ان يكون صادقا مـع نفسه ومع ما يشعر به وما يدركه وما يلقاه من وسائل يقول عبرهـا « ان الفلسطيني انسان ... كبقية خلق الله ... والفارق الوحيـد بين الفلسطيني وبين غيره من الناس انه يعيش مشردا ... منفيا ... سواء أكان داخل ارضه او خارجها ... ! » .

نموذج من نثره : « قال لي مرارا ان الموت لافضل من ان يحتمل الانسان اعباء وجوده ... ولقد انكرت عليه هذا ، بل صرخت بوجهه ذات مرة : « اذهب وانتحر اذن !! »

راح يومها يفلسف لي كيف انه قد يموت وهو حي ... وكيف ان الانتحار قد يؤدي الى ما هو أشد تعاسة ... لانه يجهل ما بعده ... غير اني وفي هذا اليوم النيساني القمئي ادرك اشياء كثيرة ... فحين تغرق الخيبة فارا يقبع في حجره المظلم ، وقد تأتي أفعى تقضي عليه.. او قد يقتله الجوع ... وان ما يجيش بصدري الآن لا يعدو ان يكـون غير الحقد ، مجرد حقد أصبه على الكون ... لانه يضم تلك الآفـة اللعينة التي ما فتئت تنشر اليأس والخيبة ... انها الحب !

لم اشعر في أي يوم بدبيبه يسري في اعصابي ويجمد احاسيسي عن كل فكرة سواه .. غير ان عينيها العميقتين اغرقتانـي في بحريهما الازرقين ... ويوم رايتها وهي تدخل مبنى الجامعة تتهادى كأنما هـي طاووس فخور قلت : « ها هي ... انها هي .. لا شك في ذلك ! ».

وتم لي ما اريد .. فلقد كان من السهل ان اتحدث اليها واحس معها بان كل ما يقوله (احمد) هو مجرد وهـم وهذيان ليس الا ... اللحظات التي انفردنا بها كانت أحلى من الشهر ... بل لكاني بـذاك البحار الذي جال كل المحيطات واعيـاه التجـوال ... والعواصف تنتزعه من فرحه وهدوئه ... فاذا به امام جزيرة ليس فيهـا سوى الخضرة الدائمة والظلال الرحيمة ... وهكذا حلمت عدة مرات بأنـي اغرق صدرها بالدموع حين اشعر بالوحدة تمزقني ... وتفرغ هـدوء اعصابي . لقد قالت لي والمطر منهمـر فـوق الاعشاب والحشائش والاشجار ... ليعيد الحياة الى اوصالها الظامئة : « يا عزيزي ... كأنك لم تذق طعم الحب يوما ! » .

فاجأتني بجرأتها تلك ... ففتيات قريتنـا لا يكلمن الشبـاب ابدا الا ايام الافراح والاعراس ... وليس في وسع فتـاة ، تسمـع اشارة او تلميحا حول جمالها ، الا ان يتورد خداها وتغمض اجفانهـا حياء وخفرا ... لكن فتاتي التي احببتها جريئة ، من المفروض فـي كرجل ان اخوض معها موضوعات كهذه ... غير اني لم اجرؤ ... لقد خرس لساني وتجمدت الكلمات في حلقي ... رأيتها تبتسم وتقـول : « يا لك من شاب (خام) ! » .

لم تعتد مخاطبتي بهذه اللهجة ... كنا نتحدث عن الدروس ، وعن الناس وعن تصرفاتهم ... وعن السياسة ... رغم انها تمقت الحديث عن السياسة ... ويبدو الامتعاض منها على وجنتيها المتوردتين ... لكني لم اجد مادة للحديث معها سوى الحديث عن الجامعة والدروس والسياسة ... وكم مرة جلسنا صامتين ... كل منا ينتظر ان يبدأ الآخر الحديث ... وهذه المرة احرجتني !

لكن ماذا تجدي الذكرى الآن ؟ لقد ذهب كل شيء ... واتضح كل شيء يوم جاءني (احمد) وهتف : « فتاتك تخونك ! » . وددت ان اهشم وجهه ... بيد اني تمالكت اعصابي وقلت :

ـ انك مفرض !

ضحك ثم قال : « سأبرهن لك على صحة ذلك ... تعال معي ! »

ـ الى أين ؟

ضحك وهو يربت على كتفي : « هل تحتمل اعصابك الصدمة ؟ »

اجبت وانا مؤمن بكذبه : « طبعا ... اعصابي هامدة ... تحتمل كل صدمة ! »

اقتادني خارج المبنى وسرنا في شارع بور سعيد ... كنت صامتا افكر في عمله الوقح هذا وساءلت نفسي : أيريد ان يبرهن لي على ان ذلك الشعور مجرد خدعة ؟

وامام مبنى كبير قال : « هذه هي الكوريدا ... سندخلها ! »

وتساءلت باستغراب : « وما هي هذه ـ الكوريدا ـ ؟ »

ضحك وقال : « صحيح انك ساذج ! »

ـ كيف ؟

ـ ادخل معي ... هيا .. سترى ! »

صعدنا السلم بكل هدوء ... قلبي بدأ يخفق بعنفوان واضطراب ... فتح الباب ... الجو داخل « الكوريدا » هادىء كقبور قريتنا النائية ... وكان الظلام الشاعري يخيم على الجو كله ... وفي زاوية شبه معتمة لمحت شبحين ... يقابل كل منهما الآخر ... وهتف (احمد) : « تلك هي حبيبتك ... مع عشيقها الجديد ... انظر اليها ... انها تقبض على يديه ... كأنما تحتضن الدنيا و ... انظر اليه .. انه يتحسس كتفيها العاريين ! »

لم استطع الا الهرب ... قفلت عائدا تفرقني الخيبة ... ويملأني كلام « احمد » حقدا وغيظا على تلك الخائنة ! ولكن ما جدوى؟ عندما تذبل الوردة التي تقطف ... لا يمكن للماء ان يحييها من جديد ولا حتى التراب ... فهو يواريها ... ويغمرها الذهول والنسيان .. ها انذا اسير نحو الجامعة ... كل الناس من حولي مجانين ... يسيرون بغرابة هذا اليوم ... ما للشمس تحجبها السحب المكفهرة ؟ ما للسيارات تسرع بعصبية وجنون يمزقان اعصابي ... ويفتتان كبدي ؟ اود لو اصفع كل الناس ... ان اضرب أيا منهم ... لكني لا استطيع ... فالخيبة تقيدني .. ولا استطيع حيال ذلك امرا !

اريد ان اراها اليوم ... ماذا ستقول ؟ ماذا ؟ لم ادخل الجامعة منذ ذلك اليوم التعس ... ستفاجأ اليوم بوجودي .. ساوسعها سبابا وشتما ... سأصرخ بها امام الجميع : « انك خائنة ! » .

ولكن هل تحضر مساء ؟ اذا كانت عشيقة ذاك الفتى ... فلم لا ؟ موعد هنا ومن ثم « كوريدا » جديدة ... او قديمة !

وقفت تتجاذبني افكار عديدة ... لن اجدها !!! بلى ... ساعثر عليها ! لاذهب ! لانتظر !! ما هذا ... يد تهبط بنعومة لتتحسس كتفي فجأة ... التفت ... يا للهول ! ما هذا ؟ انها هي .. بكل ما فيها من عذوبة وجمال ... ايتها اللعينة ... ايتها الكلمات التي تخونني على الدوام كلما واجهتها ! انها تبتسم ... بل وتسألني :

ـ اين كنت هذه المدة ؟

غير اني لا اعثر على الكلمات ... تجمد ثانية ... خذلتني اللعينة ... عيناي تشعان ببريق حنان وعاطفة .. هما ايضا تخذلاني ... يداي تقبضان رغما عني على يديها ... انهما تخدعاني .. كلي خيانة ... وموت !

قادتني الى الخارج ... وهمست بأذني بينما بدأت استعيد شيئا من قواي :

ـ هل أنت اصم أبكم ؟

ـ من الذي كان يصحبك في « الكوريدا » ؟

ضحكت ... اقسم ان ضحكتها تلك افزعتني !

ـ انه صديق حميم !

ـ ايتها اللعينة ... تعترفين هكذا وبكل وقاحة ؟

مرة اخرى ضحكت ... ببراءة :

ـ اعرفك جيدا ... أنت (خام) !

حاولت جهدي الافلات منها ... غير ان ذلك العبير الذي يفوح يشدني اليها ... ويصغر العالم امامي ... ليستحيل الى (هي) .. صوتها العذب يفقدني كل احساس ، احاول ان الفظ ... ان اقول شيئا ... ان اصرخ في وجهها : « انت خائنة ! » لكني لا استطيع ... ها هي تقول بصوت خافت ناعم :

ـ انني اتمتع بك فحسب ... انك لطيف ... لطيف ! تختلف عنهم كلهم ... كل الذين اعرفهم شياطين ... اما انت ... فكشجرة الزيتون اليتيمة في صحراء الموت والخراب والى جانبها واحة خضراء أنشد فيها راحتي وسلواي !

قلت ، وقد انفلت الحبل الذي يشد الكلمات ، فجأة :

ـ انك خائنة ... خائنة !

حملقت في وجهي ... احسست بالدماء تغلي في عروقي ... وبرغبة شديدة في البكاء ... كنت اسمع انفاسها التي تحرقني ... اخيرا قالت :

ـ من ذا الذي دنس حرمة طبيعتك ؟ من ذا الذي اهان فيك براءة شجرة الزيتون اليتيمة ...؟ أهي فتاة ؟

ضحكت رغما عني بمرارة ولست ادري كيف ذاب الكلم اخيرا :

ـ نعم انها فتاة !

ـ من هي ؟

ـ أنت

وتذكرت صورة « أحمد » ... آمنت بان اقواله كاذبة ! ففي الحياة يمكن ان نكون امواتا ويمكن ان نكون غير ذلك ... سمعتها تهتف بعد ان ارتخت قبضة يدها من حول زندي :

ـ لقد نجحت تجربتي !

لم ادرك ما تعنيه ... فقلت مستغربا :

ـ تجربتك ؟ ما هي ؟ الخداع ؟

ضحكت وقد توقفنا تماما ... وحدقت في :

ـ بدأت احبك ... سترى « احمد » بعد قليل !

ـ ماذا تعنين ايتها اللعينة ؟

ـ اننا نعيش في عصر المادة ... أليس كذلك يا عزيزتي ؟

ـ نعم !

ـ عظيم ... لنحول علاقتنا التافهة ... الى مادية ... مجدية !

اخيرا فهمت ما تصبو اليه .. اذن هي ليست خائنة ... من هو ذاك الرجل اذن ؟

وقبل ان استوضحها ... اشارت بيدها وهي تبتسم :

ـ ستشاهده الآن عندما نذهب الى بيتنا !

قلت بعد صمت قصير ... استعيد فيه كل ما مضى :

ـ صحيح ان الخيبة مبعثها القحط ... وان الامل والحياة مبعثهما الخضرة والثمار !

كادت تحتضنني وهي تصرخ :

ـ بدأت تحيا ... المهم ... الثمار ... الثمرة !

وسرنا ... كان كل شيء هادئا ... لا اعلم لماذا وددت ان اسمع هدير الرعود ... وابلل نفسي بالمطر ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ محمد ابراهيم الشاعر

ولد « محمد » في مدينة « يافا » بفلسطين عام ١٩٢٨ من اسرة اشتهرت بحبها للعلم ، حيث كان جده عبد الخالق الشاعر اول من أسس مدرسة نظامية في يافا عام ١٨٦٠ لتدريس اللغة العربية وآدابها ، غير ان السلطات التركية اعتبرت عمله الثقافي هذا تحديا لسياسة التجهيل التي تبنتها في الولايات العربية فلاحقت عبد الخالق واغلقت مدرسته اكثر من مرة ، وقد سار على نهجه ولده ابراهيم الشاعر الذي حملته النكبة الاولى على استيطان دمشق وقد توفى فيها عام ١٩٦٥ .

انهى « محمد » دراسته الثانوية في الكلية الابراهيمية بالقدس عام ١٩٤٦ وقصد الاسكندرية لدراسة الهندسة المعمارية في جامعتها ، الا ان احتدام الصراع بين العرب واليهود ، وتهديد فلسطين بالتهويد، دفعاه الى التوقف عن متابعة دراسته لينضم الى صفوف الشبان الذين نذروا انفسهم للدفاع عن يافا ، حيث كان في عداد الفوج الاول من المقاتلين الذين تدربوا على ايدي المتطوعين اليوغوسلافيين الذين قدموا مدينة يافا عام ١٩٤٧ بهدف المشاركة في الدفاع عنها الا انه في نفس هذا العام رشح من قبل اللجنة القومية في يافا للدراسة العسكرية في سورية ، وقد انهى مع رفاقه الضباط الفلسطينيين دورة عام ١٩٤٨ وبقي يعمل في الجيش العربي السوري ، ويتدرج في رتبه الى ان بلغ رتبة العقيد عام ١٩٦٩ بالرغم من فترة الانقطاع التي امضاها لاجئا سياسيا خارج سورية حيث ظل اكثر من خمس سنوات خارج الخدمة العسكرية اذ درس خلالها الاقتصاد السياسي في احدى جامعات اوروبا .

وشارك « محمد » في تأسيس « جيش التحرير الفلسطيني » و « قوات التحرير الفلسطينية » في عام (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) وقام بعدة اعمال في المجالين النظري والعملي .

من آثاره القلمية : برز نشاط « محمد » في دنيا التاليف منذ عام ١٩٥٠ ، والكتب التي صنفها وخرجت الى عالم النور هي :

١ ـ الالغام ـ صدر عام ١٩٥٠

٢ ـ الالغام والمصائد والمتفجرات ـ صدر عام ١٩٥١

٣ ـ الهندسة العسكرية المصورة ـ صدر عام ١٩٥٤

٤ ـ برمجة الاقتصاد الوطني في الجمهورية العربية المتحدة ـ صدر عام ١٩٦٥

٥ ـ التخطيط الاقتصادي والعسكري في اسرائيل ـ صدر عام ١٩٦٦

٦ ـ تطوير القرى العربية الامامية الى وحدات اقتصادية ودفاعية ـ صدر عام ١٩٦٨

٧ ـ الحرب الغدائية في فلسطين على ضوء تجارب الشعوب في قتال العصابات ـ طبعة اولى عام ١٩٦٧ طبعة ثانية ١٩٦٨ طبعة ثالثة ١٩٦٩

٨ ـ نحن والعدو والعمل الفدائي ـ صدر عام ١٩٦٩

٩ ـ القواعد الحربية في العالم وفي الوطن العربي ـ صدر عام ١٩٧٠

١٠ ـ جغرافية فلسطين العسكرية ـ طبعة عام ١٩٦٩ طبعة عام ١٩٧١

نموذج من نثره : « عندما يريد الانسان ان يقوم بعمل ما لا بد له من رسم خطوطه ودراسة اسلوب تنفيذه وتحديد الوسائل اللازمة لتحقيقه وغير ذلك من التفاصيل التي تقل او تكثر وفقا لحجم العمل ودرجة تعقيده .

والحرب هي اعقد عمل يقوم به الفرد او الجماعات وخاصة الحرب الحديثة التي اصبحت في ايامنا هذه ملتقى اكبر العقول المفكرة في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية ، كما وان الحرب هي الساح التي تتبارى فيها مختلف الشعوب لتقدم آخر ما توصل اليه الانسان في مختلف العلوم النظرية والطبيعية وابراز احدث المبتكرات الصناعية والزراعية والطبيعية والكيماوية وغيرها ، حيث اصبحت التكنولوجيا هي السمة البارزة في الحرب الحديثة .

يقول الجنرال « فولر » في كتابه « التكنولوجيا والحرب الحديثة » لقد اكدت الحرب ثانية (يقصد الحرب العالمية الثانية) ان طاقة الانسان الآلية تربح الحرب ، والطاقة الآلية كما نعلم هي المقياس الذي يعطي مقدار تطور الامة في مجال العلوم والفنون والصناعة وغيرها . ويمكن ان يزاد على قول « فولر » بخصوص الحرب القادمة: ان القوة المجهزة بالاسلحة الصاروخية النووية لديها الطاقة الكافية للقضاء على الجيوش المجهزة باسلحة عادية ، كما وان الابتكارات الجديدة ستجعل الحرب القادمة مختلفة عن الحرب العالمية الثانية ، كما نعلم ان للحرب عناصر مادية واخرى معنوية .

وفي كل الاحوال يبقى الانسان في قطبي الحرب (الصديق والعدو) او الطرفان المتنازعان هو العنصر الحاسم ومن هنا تأتي اهمية دراسة قوانا بدقة ـ تحديدها ـ تقييمها ـ قياس قوتها ـ درجة استعدادها المادي والمعنوي ومقابل ذلك يتوجب علينا دراسة القطب الآخر أي العدو باسلوب يتصف بالدقة بغية اعطاء الصور الحقيقية عن العدو في جميع مجالاته الفكرية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية » .

٣ ـ معين الماضي

في قرية « اجزم » المطلة على الساحل الفلسطيني والرابضة على نجد واقع بين سلسلة جبال الكرمل ولد « معين » متحدرا من اسرة امتد نفوذها على القطاع الساحلي ما بين حيفا ويافا .

ويذكر المرحوم الدكتور اسد رستم استاذ دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت ان اقدم مركزين لمشايخ الاقطاع في فلسطين كانا قرية « اجزم » وقرية « أبو غوش » وان المنطقة الساحلية التي كان يسودها نفوذ آل ماضي ساهمت مساهمة فعالة في فشل الحملة التي قادها ابراهيم باشا المصري لاحتلال سورية .

درج « معين » في قرية ذات سحر طبيعي خلاب ، وتلقى فيها

١ ـ « في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) تأسس « المنتدى الادبي » في الاستانة ومن ابرز اعضائه : عبد الكريم الخليل وعارف الشهابي ويوسف حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ورفيق رزق سلوم واحمد عزت الاعظمي وعبد الوهاب الزوتيني وعبد الوهاب الانكليزي وتوفيق البساط وسليم الجزائري وامين لطفي الحافظ ومحمد الشنطي واحمد طباره ورشدي الشمعة وجرجي حداد وسعيد عقل وباترو باولي .

وكان لهذا النادي فضل كبير في ضم شتات الطلاب العرب وتلقينهم المبادىء الوطنية وافهامهم حقوق البلاد العربية واعدادهم لخدمة امتهم ولغتهم ، كما كان صلة الوصل بين افراد الجالية العربية في استانبول، وملتقى القادمين اليها من انحاء العالم العربي ، وقد بلغ عدد اعضائه عدة آلاف ، وانشئت له فروع كثيرة في الشام والعراق » . ـ جيل الفداء ـ ص ـ ٨٩ : قدري قلعجي .

١ ـ « انشىء « المنتدى الادبي » وكان الغرض منه ايجاد رابطة ثقافية بين الطلبة العرب ، ولكنه بدأ يتحول الى مركز سياسي منذ تبدلت سياسة « جمعية الاتحاد والترقي » مع العرب . ولم يخف ذلك على الترك فلجأوا الى سياسة المجاملة خصوصا بعد ان اصبح عبد الكريم الخليل معتمدا للشبيبة العربية ، فقد ظنوا انه اصبح في امكانهم السيطرة عليها بالتردد على ناديها وابداء العطف على معتمديها والقائمين بامرها » . ـ مذكراتي على هامش القضية العربية ـ ص ـ ٣٥ : اسعد داغر .

جانبا من دراسته الابتدائية ، وبانتقال والده المرحوم عبد الله الماضي مستنطقا الى حيفا انتقل « معين » اليها واكمل دراسته في المدرسة الرشدية . وروى الذين عرفوا « معينا » في فجر صباه انه كان المعيا مجدا في دراسته ، منكبا على تحصيل العلم . وفي عام ١٩٠٨ أي بعد اعلان الدستور العثماني التحق بالكلية الملكية في الاستانة وهناك تفاعل مع الطلاب العرب الذين كانوا يعملون لبعث القومية العربية وانتسب « للمنتدى الادبي » (١) .

« وقد (٢) اصدر المنتدى مجلة باسمه كانت مجال اقلام شبان العرب وادبائهم في كل ما يتصل بالعروبة وتاريخها وحقوقها ولغتها وامانيها ، وغدت مظهرا من مظاهر الفكرة ودعامة من دعائم حركتها ، وعلى صفحات هذه المجلة نشرت اولى القصائد والاناشيد التي تشيد بامجاد العرب وتعرب عن امانيهم ، والتي كان الشبان العرب يرددونها ويتغنون بها في اجتماعاتهم الخاصة والعامة » .

ونتيجة لمقال جارح ، طافح بالسباب والشتائم ، نشرته جريدة « طنين » التركية وفيه تحامل كاتبه على العرب ونحت من ائلتهم ... تنادى نفر من الشبان العرب في استانبول للقيام بمظاهرة صاخبة ضد تلك الصحيفة والقائمين على شؤونها ، وكان « معين » من اشدهم حماسا واكثرهم اندفاعا ، وقد دعا اخوانه الشبان الى تدمير مطابعها ومكاتبها ، فنجحت الدعوة وسارت المظاهرة ، وكانت اول مظاهرة عربية تشهدها الاستانة ، وهاجم الطلبة العرب مكاتب الصحيفة ودمروا مطابعها ، فاستدعى المسؤولون عنها رجال الامن الذين اصطدموا مع المتظاهرين من العرب ونشبت اعمال عنف سالت فيها الدماء من الجانبين ، وكان دم « معين » ودماء رفاقه اول دم عربي يهرق في سبيل القومية العربية .

وفي عام ١٩١٢ تخرج « معين » من الكلية الملكية باستانبول وعهد اليه بوظيفة في بلدة كشمونة (من اعمال الاناضول) ، ثم ما لبث ان عين رئيسا لبلدية عكا بفلسطين واثناء رئاسته قام باصلاحات جمة من ابرزها هدم جزء من الجانب الشمالي الغربي من سور عكا الشهير ليفسح المجال امام اتساع المدينة وامتدادها نحو العمران ، كما اضاف الى مشاريعه العمرانية شق وتعبيد الشارع الكبير المحاذي لشاطىء البحر ، وهذا الاصلاح الذي تم في عهد « معين » كان سببا في اتساع عكا ونشوء المدينة العصرية خارج السور .

وفي العهد الذي تولى فيه « معين » رئاسة بلدية عكا تولى صديقه الاداري الحكيم هاشم الاتاسي متصرفية ذلك اللواء ، ومن المعلوم انهما من غلاة القوميين العرب ، فتعاونا معا في الدعوة للحركة العربية ، فضلا عن تعاونهما في ازدهار عكا عمرانيا واقتصاديا .

واثناء تولي « معين » رئاسة البلدية زاره صديقه الشهيد عبد الكريم الخليل وافضى اليه بالصلة التي تربطه ب (جمال السفاح) واطرى العلاقات الودية التي انشأها معه ، وان « جمالا » وعده بالعمل على تنشيط حركة القومية العربية وتحقيق مطالب العرب !

وبعد عودة عبد الكريم الى بيروت روى « معين » لصديقه الاتاسي ما دار بينهما من حديث ... فكان جواب الشيخ الاتاسي « ان هذا الشاب هالك لا محالة ! » ولم تمض سوى ايام قلائل حتى امر السفاح الديوان العرفي بعاليه بان يقضي باعدام القافلة الاولى من الشهداء العرب ، وفي ٢٠ آب ١٩١٥ نصبت المشانق في ساحة البرج ببيروت لاحد عشر شهيدا ، وكان أول من صعد الى المشنقة عبد الكريم الخليل الذي أجال بصره في الحاضرين وقال :

« اذا كان جمال باشا يتهمنا باضرام الثورة لاستقلال العرب ، فلا بد من ضحايا لهذا الاستقلال ، ولكن نحن اول الضحايا ! » ثم هتف بحماسة : « يا ابناء بلادي ، نحن امة تسعى للاستقلال والتحرر من نير الترك ... فيا ارض وطني احفظي ذكرانا ، وانت يا سماء بلادي احملي الى كل عربي سلام هؤلاء الشهداء ، وقولي لهم اننا عشنا في سبيل الاستقلال ، ونموت في سبيل الاستقلال ! »

وما لبث « معين » ان اعيد الى الادارة فعين قائم مقام لقضاء بانياس ، ولما اشتدت نقمة جمال السفاح على الشبان العرب ... مد « معين » لهم يد العون باخفائهم عن الانظار ، واخفاء الوثائق التي يحملونها ... وعندما أحس بان السلطة التركية تراقبه عمد الى اتلاف تلك الوثائق فكان سببا في نجاة الكثيرين من مشانق السفاح ! وحدا من نشاطه القومي نقل الى ديوان الولاية في بيروت ليتاح للمسؤولين مراقبته عن كثب .

لكن « معينا » الذي عرف بصلابة عوده ورسوخ ايمانه ... لم يهن امام هذا النقل بل راح يندمج مع العاملين في حقل الحركة العربية في بيروت وينتسب الى جمعية « العربية الفتاة » ولا بد هنا من كلمة مستفيضة حول هذه الجمعية :

في عام ١٩١٣ « انتقل الدكتور احمد قدري (٣) وعارف الشهابي الى سورية ، ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي الى لبنان ، فاصبح للجمعية مركزان رئيسيان في دمشق وبيروت يعملان على نشر مبادئها الاستقلالية ، وسرعان ما اتسع نشاطها ، وتركز النضال القومي فيها ، وتكاثر عدد المنتسبين اليها . ومن ابرز هؤلاء فيصل بن الحسين وزيد بن الحسين وشكري القوتلي وياسين الهاشمي وجميل المدفعي ومولود مخلص وعلي جودة الايوبي ورضا الركابي وعزة دروزة ورفيق سلوم وعمر حمد وتوفيق البساط وصالح وسعيد ويوسف وابراهيم حيدر ومحب الدين وسيف الدين الخطيب ونسيب وفوزي وسامي البكري وفخري البارودي واحمد مريود وامين وعبد الوهاب ميسر وشكري الشوربجي وخالد واسعد الحكيم وصدقي ملحس وعمر الاتاسي ومحمد الشريقي ومعين الماضي وتحسين قدري وزكي ومحمد علي التميمي وتوفيق الناطور وبشير القصار وبشير النقاش وكامل القصاب وسعيد الباني ورشدي الامام الحسيني ورشدي الشوا وسليم عبد الرحمن وحافظ كنعان واحمد المناصفي وابراهيم هاشم ومحمد المغيني وتوفيق فايد وجميل مردم وصبحي الحسيبي ورشيد الحسامي وتوفيق السويدي واسماعيل وفائز وبهجة ومصطفى من الامراء الشهابيين » .

واسرفت السلطة التركية في مراقبة « معين » وبعد ان آمنت بازدياد نشاطه وتشجيعه على المطالبة بحقوق العرب ألقت القبض عليه واحالته على المحاكمة امام الديوان العرفي في عاليه وسرعان ما أتلف الوثائق والمستندات التي لديه ، فكان للجهد الذي بذله المرحوم والده ولاتلاف تلك الوثائق سبب تبرئته والافراج عنه .

وتخلصا من مطاردة الاتراك اختفى في احد بيوتات دمشق المسيحية بباب توما واتخذ له اسما مستعارا وكانت الاسرة التي حضنته هي اسرة صديقه المحامي الاستاذ نجيب الحكيم الذي اصبح فيما بعد شريكا لمعين في مكتب للمحاماة أسساه في حيفا .

وبعد ان انحسر ظل الحكم التركي عن سورية الطبيعية دخل الجيش العربي وعلى رأسه الامير فيصل بن الحسين دمشق وفي الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٩ قسمت سورية الى ثمانية الوية منها لواء الكرك (ومركزه مدينة الكرك) وتولى كرسي المتصرفية فيه على التوالي : عبد الله الدليمي ، عبد الفتاح المرعبي ، زكي الخطيب ، معين الماضي ، رؤوف الايوبي ، منصور عبد الصمد .

وخلال اقامته في دمشق اسس مع رهط من رجالات فلسطين جمعية سياسية باسم « جمعية فلسطين العربية » وهدف هذه الجمعية الدفاع عن فلسطين وقضيتها ضد الصهيونية الباغيةوالاحتلال البريطاني الضالع معها .

وتطلع الامير فيصل بن الحسين ورجال حكومته بعين الحذر واليقظة الى اطماع الدول الاجنبية بسورية الطبيعية فقرروا اشراك

٢ ــ حول الحركة العربية الحديثة ج١ ص ــ ٢٤ : عزة دروزة .
٣ ــ جيل الفداء ص ــ ٩١ : قدري قلعجي .

الشعب في تحمل المسؤولية ودعوا الى انتخاب ممثلين رسميين في « المؤتمر السوري » ليقابل لجنة الاستفتاء الاميركية برئاسة مستر كراين وليبايع « فيصلا » ملكا على سورية .

وفي السابع من حزيران ١٩١٩ افتتح هذا المؤتمر في دمشق وكان « معين » أحد ممثلي حيفا في هذا المؤتمر .

وبعد غروب شمس الحكم العربي الفيصلي عاد مع الكثيرين من رجالات فلسطين الى فلسطين وعمل مع اخوانه في حيفا في الحركة الوطنية وراح يمثل حيفا في المؤتمرات الوطنية التي كانت تعقد في امهات المدن الفلسطينية .

وفي عام ١٩٢١ اختاره المؤتمر الرابع عضوا في الوفد الفلسطيني الذي قصد لندن مقررة مصير الشعوب للدفاع عن عروبة فلسطين ومكاشفة المسؤولين برفض العرب لوعد بلفور ، وكان هذا الوفد برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني وعضوية كل من الحاج توفيق حماد وشبلي الجمل ومعين الماضي وابراهيم شماس ، وقد واجه هذا الوفد العربي امورا ذات بال منها :

اولا ـ عرج اعضاء الوفد العربي على الفاتيكان وقابلوا قداسة البابا وكشفوا له عن اطماع الصهيونية بالارض المقدسة وسألوا قداسته الوقوف الى جانب الحق العربي فوعد بنصرة فلسطين والوقوف معها . ولكن سرعان ما اثار هذا الوعد ثائرة الصهيونية التي دفعت الصحافة البريطانية الى شن حملة عنيفة ضد قداسته وطلبت منه الكف عن الخوض بالشؤون السياسية التي لا تعنيه ، وفعلا تراجع البابا ولاذ بالصمت .

ثانيا ـ حاول اعضاء الوفد العربي اكثر من مرة الاتصال بالصحف البريطانية ليوضحوا للشعب البريطاني وجهة النظر العربية في قضية فلسطين ، لكن الصحافة البريطانية راوغت في الاستجابة واقتصرت على نشر انباء وصول الوفد دون أي شرح او تفصيل .

ومن النوادر التي رواها المرحوم « معين » ان اعضاء الوفد اجتمعوا ذات يوم باحد رجال الصحافة البريطانيين وبعد نقاش طويل قال لهم ذلك الصحفي بصراحة : « ان جريدتي تعيش على الاعلانات وان الكثير منها يجيء عن طريق الشركات والمؤسسات اليهودية التي ستجمد الاعلانات عني اذا انا ناصرت قضيتكم ! » واضاف ذلك الصحفي قوله « انكم يا سادتي باقون في لندن لفترة قصيرة ... لكن اليهود باقون فيها الى الابد ! » .

ثالثا ـ اثناء جلوس اعضاء الوفد العربي في الفندق بلندن دخل عليهم شخص ايرلندي واستاذنهم بالجلوس معهم فاذنوا له ، وبعد ان وقف على الغاية من قدومهم لبريطانيا قال لهم بصراحة الرجل الحر : « انتم مخطئون وواهمون يا سادتي اذا تصورتم ان بريطانيا تعرف طريق العدالة ... ان مكان العمل لقضيتكم ليس في لندن ... ان مكانها في فلسطين ... وان قومي الايرلنديين كانوا يستجدون بريطانيا حقهم الصراح ولكن بدون جدوى ... وعندما الفنا المنظمات الفدائية وشرعنا في نسف العمارات بلندن والمدن البريطانية ونشرنا الذعر والاضطرابات بين صفوف الشعب البريطاني خف المسؤولون الى خطب ودنا ودخلوا معنا في المفاوضات وتنازلوا مرغمين عن حقوقنا المشروعة .. ونصيحتي لكم العودة الى فلسطين فورا والاقتداء بما عملنا ... عندها ستلقى قضيتكم العدل والاستجابة ! »

وفي اللجان العربية العليا كان « معين » ينتخب عضوا وفي عام ١٩٣٢ اشترك مع رفاق له في تأسيس « حزب الاستقلال العربي » وكان هذا الحزب يهدف الى الكفاح ضد الانكليز والصهيونية معا .

وفي عام ١٩٣٦ اوفد الى بغداد وهناك بذل جهدا مشكورا في سبيل تجهيز حملة عسكرية بقيادة فوزي القاوقجي لدعم الثورة الفلسطينية الناشبة عامذاك في فلسطين ، فاثار عمله هذا عداء السلطة البريطانية فشددت الخناق عليه .

وفي عام ١٩٣٧ سافر مع الشيخ كامل القصاب وعوني عبد الهادي وعزة دروزه الى العراق والسعودية واجروا محادثات مع المسؤولين حول مقاطعة عرب فلسطين للجنة الملكية البريطانية التي شكلتها الحكومة البريطانية لدراسة اسباب الثورات الفلسطينية وتقويم التوصيات اللازمة بصدد النزاع العربي الاسرائيلي .

وبعد ايابه من اداء هذه المهمة استانف الانكليز مراقبته فالتجا الى دمشق وهنا طلبت السلطة البريطانية اخراجه من سورية فلبت السلطة الفرنسية طلبها وحملته على مغادرة سورية الى لبنان . ولم تكف السلطة البريطانية عن التشديد عليه في لبنان فاضطر الى الاقامة في استانبول وظل فيها حتى انتهت الحرب العالمية الثانية .

وفي استانبول اخذت السلطة التركية بمراقبته مع رجالات فلسطين المقيمين فيها ، وخشية ان تقع الوثائق والمستندات المحفوظة لديه ومذكراته التي شرع في تدوينها عن حياته اقدم على حرقها وكان اتلافها خسارة كبرى للقضية العربية .

وفي عام ١٩٤٦ نالت سورية استقلالها فعاد « معين » الى سورية بعد ان اذن له بدخولها صديقه المرحوم شكري القوتلي . وفي دمشق شارك في عيد الجلاء عن سورية (١٦ نيسان ١٩٤٦) وقد اثلج هذا الحدث القومي صدره وحقق امنية عزيزة على قلب كل عربي مؤمن .

وفي صيف ١٩٤٦ غادر دمشق الى بيروت ومنها الى فلسطين بعد ان صدر العفو عنه وهناك استانف نشاطه السياسي وشرع في توجيه القوى العاملة لخدمة القضية وعمل ضابط اتصال بين سماحة الحاج محمد امين الحسيني المقيم في القاهرة وبين الوطنيين في فلسطين .

وفي عام ١٩٤٧ اختير عضوا في « الهيئة العربية العليا » وفي عام ١٩٤٨ استقال منها اثر خلاف نشب بين بعض اعضائها ومنهم « معين » وبين رئيسها الحاج محمد امين الحسيني ، ورغم استقالته منها ظل يبذل جهده مع رجالات سورية وفلسطين لدعم القضية الفلسطينية والعمل من اجل تحقيق الوحدة العربية .

وبعد حلول النكبة الاولى (١٩٤٨) استقر « معين » في دمشق وظل وفيا للقضية التي نذر نفسه لخدمتها الى ان وافاه الاجل في ١٦ تشرين الاول ١٩٥٧ فشيع جثمانه في احتفال مهيب ووري التراب في مقبرة الدحداح بدمشق !

٤ ـ قسطنطين خمار

ولد « قسطنطين » في مدينة عكا بفلسطين عام ١٩١٧ وانهى دراستيه الابتدائية والثانوية في مدرستي الحكومة بمسقط رأسه (من عام ١٩٢٣ ـ ١٩٣١) والتحق بالكلية العربية في القدس واحرز الشهادات العلمية التالية :

١ ـ شهادة الاجتياز الى التعليم العالي الفلسطيني ـ عام ١٩٣٣

٢ ـ دبلوم التربية (من الكلية العربية ودار التربية والتعليم) عام ١٩٣٤

٣ ـ الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية ـ عام ١٩٤٥

وبعد حصوله على دبلوم التربية عين معلما بالمدرسة الثانوية الحكومية في مدينة حيفا وظل يعمل فيها حتى عام ١٩٤٨ . وبعد النكبة الفلسطينية الاولى التي عصفت بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ شغل الوظائف التالية :

أ ـ مدرسا بوزارة المعارف السورية ، تجهيز البنين الاولى والثانية بحمص (١٩٤٩ ـ ١٩٥٣) .

ب ـ مدرسا بالكلية الانجيلية بحمص (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) .

ج ـ مساعد مدير بمدرسة برمانا العالية بلبنان (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥)

د ـ مراقب التعليم لمنطقة صيدا ، بوكالة الغوث الدولية (١٩٥٥ ـ ١٩٥٧) .

هـ ـ مراقب التعليم لمناطق بيروت والجبل والبقاع وطرابلس ، بوكالة الغوث الدولية (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشيد الحرية

●

حضوري لديك ...
طموح ينير طريقي اليك ،
طموحي اليك ...
رشاقة حلم يعانق دفء الالم ،
عبور تجلى بالف نغم ،

طموحي اليك ...
سيبقى يرن ...
ويبقى يحن ...
الى ان يتم العبور
عبوري اليك ،
فتغدو المسافة حلم هوية
واغدو بفيضي ...
اعانق جذوة نبضي ...
فيشهد رافض رفضي ...
باني ساصفو ...
لان تجارب قهري
لان سرايب اسري
تصوغ رؤاي وفكري
فاصفو ...
لابعث حب القضية
واملك صنع الحياة .

الناظور ـ المغرب — لقاح محمد

و ـ نائب مدير التربية والتعليم بوكالة الغوث الدولية في لبنان (١٩٥٩ ـ ١٩٦٦) .

ز ـ مدير التعليم العام بوكالة الغوث الدولية في لبنان (١٩٦٦ ـ الان) .

من آثاره القلمية : عالج قسطنطين موضوعات هامة في تاريخ فلسطين وجغرافيتها وقضيتها وفيما يلي اسماء الكتب المطبوعة التي صنفها بقلمه :

١ ـ الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ـ طبع في بيروت عام ١٩٦٤

٢ ـ الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية (طبعة ثانية منقحة) طبع في بيروت عام ١٩٦٦

٣ ـ جغرافية فلسطين المصورة ـ طبع في بيروت عام ١٩٦٦

٤ ـ جغرافية فلسطين المصورة (طبعة ثانية منقحة) طبع في بيروت عام ١٩٦٧

٥ ـ موسوعة فلسطين الجغرافية ـ طبع في بيروت عام ١٩٦٩ باشراف « مركز الابحاث » بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٦ ـ فلسطيننا ـ اسهم في تاليف هذا الكتاب الذي قام « مركز الابحاث » بمنظمة التحرير الفلسطينية باصداره عام ١٩٧١ .

نموذج من نثره : « كانت فلسطين منذ فجر التاريخ جزءا لا يتجزأ من (بلاد الشام) (سوريا) فجميع مراجع التاريخ العربي تسمي المنطقة التي تلي وادي النيل شرقا (ديار الشام) ذلك ان كلمة (شام) في اللغة تعني (الشمال) ومنها كلمة (تشائم) التي من جملة معانيها (اخذ نحو شماله) فقد كان العربي الواقف في ارض الحجاز ، والمولي ظهره نحو البحر الاحمر ، يجد هذه الديار عن شماله ، ولذلك اطلق عليها اسم (ديار الشام) كما انه ، وهو على هذه الحالة من الوقوف ، كان يجد بلاد اليمن عن يمينه ، ولذلك اطلق عليها اسم (اليمن) ويمتد هذا اللفظ (بلاد الشام) الى اقدم عهود الجاهلية . وكانت فلسطين جزءا من هذه البلاد ، وقد اشار اليها المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودتس » المكنى بـ « ابي التاريخ » قبل الميلاد بقرون خمسة ، على انها « جزء من بلاد الشام » . كما ان مؤرخي الحروب الصليبية من الفرنجة ، سواء منهم من رافق الحملات الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد ، او من أتى بعدها ، يؤرخون لفلسطين على انها جزء من بلاد الشام وقد ورد ذكرها كثيرا في آيات القرآن الكريم .

لقد كانت الموجات السامية تندفع من ارض الجزيرة العربية في فترات متعاقبة ، نحو الاراضي الخصبة المحيطة بشمالي الجزيرة ، وهي اراضي العراق وسورية التي اصطلح على تسميتها بـ « الهلال الخصيب » اما اسباب هذه الهجرات السامية فمتعددة ولعل اهمها التماس الكلأ والمرعى بعد حدوث القحط .

وكانت الموجة الثانية ، في عرف المؤرخين ، هي هجرة قبائل « الكنعانيين » في منتصف الالف الثالثة ق. م (حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م) واستيطانها الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام (وهو ما عرف فيما بعد بفلسطين) ولذا فقد دعي هذا الجزء ، منذ ذلك الزمن، باسم « ارض كنعان » ومن المعقول جدا ان يكون « كنعان » هذا من اجداد العرب القدامى امثال « قحطان » و « غسان » فقد ذكر الثقات من مؤرخي العرب ومفكريهم الاقدمين ان « الكنعانيين » من القبائل العربية البائدة ، وقد ذهب مذهبهم في ذلك المؤرخ الكبير المعاصر « برستد » . وعلى هذا نجد ان عروبة هذا الجزء الجنوبي من بلاد الشام اي « فلسطين » ترجع الى تلك العهود السحيقة ـ ارض عربية، ووطن عربي منذ اقدم الحقب . وما تسمية هذا الجزء الجنوبي من بلاد الشام (بارض كنعان) الا نتيجة لسيطرة الكنعانيين عليه سيطرة تامة ، ما يزيد على الف وخمسمئة سنة (من سنة ٢٥٠٠ ق. م الى سنة ١٠٠٠ ق. م) فقد عمروا البلاد وانصرفوا الى الزراعة ، وانشأوا المدن واحاطوها بالاسوار الحصينة ، وكان من اشهرها : اريحا وبيسان وشكيم (نابلس) ومجدو . وقد نقش على اعمدة هيكل الكرنك (في الاقصر بمصر العليا) اسماء ١١٩ مدينة من مدنهم ، وهذا اقدم ذكر للمدن الكنعانية . ومن هذه المدن : عكا ، صور ، يافا ، وغيرها .

كما اكد هذا القول اقدم مرجع تاريخي بين ايدينا وهو العهد القديم « التوراة » فهو المصدر القديم الوحيد الذي يبحث تاريخ فلسطين في ذلك العهد السحيق بصورة مفصلة ، اذ يذكر انها وطن الكنعانيين ، وانها بلاد كنعان . وتملأ اخبار القبائل الكنعانية الفصول الطوال من هذا الكتاب ، كما تذكر ان الكنعانيين جعلوا منها بلادا تدر اللبن والعسل ، فقد جاء فيها « مدن عظيمة لم تبنها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم زيتون لم تغرسها » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن لوالديها ولد سواها . لذا ربياها في جو من النعمة والدلال . وقد انسجم ما أحاطاها به من الوان النعمة والدلال مع ما وهب لها الله من فتنة وجمال . كل ذرة من جسمها تكلفت الشيء الكثير من الغذاء الغالي المفيد ، والابتسام العميق العريض ، والكلام الحلو الرقيق من والديها ومن صديقاتها ومعارفها . انها كثيرة المسايرة طلية الحديث ، لذا كثرت صديقاتها ومعارفها. حتى وهي صامتة تتقرب اليها الصديقات والمعارف . هناك شيء غير المسايرة والحديث الطلي يجذب النساء والفتيات من حولها. انه السنة الجمال الناطقة في العينين اللوزتي الشكل ، وفي الوجه المزهر ببياضه وحمرته ، وفي قوامها النحيف الذي يبدو طويلا وهو متوسط الارتفاع ومشرفا وهو ليس كذلك . طول الخصر اكسبها طولا ، وطول العنق اكسبها اشرافا .

هذه هي (ندى) التي حام حولها الرجال متنافسين في الفوز بها زوجة تلهي وتسر وتطرد الحزن من القلب والكآبة من الوجه . كل يريد ندى زوجة له . راضي بك الموظف الكبير اعجب بها ويريدها زوجة له . حسبه ما قضى من السنين العديدة من شبابه في الحرمان والانتظار . ها قد تمكن بما بذله من جهد شديد ان يدخر من راتبه مبلغا ضخما من المال . انه على استعداد لان يقدمه بين يديها مهرا وهدايا . وعبد القادر صاحب مصنع الحلويات الشهير يرغب عن طيبة قلب ان يمطرها وابلا من ذهبه المكدس في صندوقه الحديدي الضخم ومن امواله المتجمعة في المصارف . ويوسف تاجر البضائع التي تباع بالجملة يتمنى ان تقبله ندى زوجة له فيهدي اليها حليا ماسية وذهبية تجعلها تبدو اجمل مما هي عليه الآن .

ـ ماذا فعلت حتى الآن يا اختي ؟ ارجو ان تكوني قد وفقت في اقناع ندى بانني اقدر الناس على توفير السعادة والهناء لها ان اتخذتها زوجة لي .

(آه يا انعام ! قولي لي كلمة سارة . قولي نعم ، لقد وفقت ، وانا اسبغ عليك هدايا ثمينة لم تكوني تفكرين فيها) .

ـ ماذا افعل لك يا أخي ؟ انها بعيدة المنال . لقد قالت لي : « انني ما زلت صغيرة السن ، ولا افكر في الزواج الآن » .

(انها عنيدة ومتكبرة وان كانت حلوة الحديث ومشرقة الابتسام) .

ـ ولكنك صديقتها . انها تفضلك على جميع صديقاتها ، فكيف لا تجيبك الى طلبتك ؟

الحب محاصر

بقلم عبد الحميد الانشاصي

(واذن فهي ليست صديقة مخلصة كما قلت لي مرارا) .

ـ ولكن الحب فوق الصداقة . انها تحب يا راضي .

(هذا هو سبب تمنعها) .

ـ تحب ؟ تحب من ؟

(انني لم اكن اعرف ذلك من قبل) .

ـ تحب شابا اسمه نبيل .

(انه مثلها جميل وذكي . فكيف تتخلى عن حبه من أجل المال ؟)



ـ أغني هو ؟

(لا شك انني أغنى منه فانه ما يزال شابا غرا) .

ـ كلا . انه ليس غنيا ، ولكنه جميل وذكي .

(ان في ذلك كفاية . وماذا يعجب الفتاة من خصال في حبيبها غير ما ذكرت ؟) .

فهز راضي بك راسه ، ثم قال بصوت ضعيف :

ـ لا تيأسي يا اختي . حاولي ثم حاولي . انني على يقين بأن ندى سوف توافقك في النهاية . لا بد ان يهديها فكرها الى الحقيقة والصواب فتجيبك الى طلبتك . ان جميع الحسان من الفتيات يرفض في اول الامر ان يتزوجن المتقدمين في السن من الرجال الاثرياء ثم لا يلبثن ان يقبلن طائعات راغبات .

وقد انصرفت انعام من عند أخيها وهي مصممة على بذل المزيد من وسائل الاقناع لعلها توفق في مهمتها .

★

ـ هل قبلت أم ندى ان أتزوج ابنتها ؟ بشري !

(انني املك مصنعا ضخما وثروة هائلة . فماذا تريد بعد هذا كله ؟)

ـ لم تقل أمها كلمة فاصلة يا عبد القادر ، ولكنها تؤمل وتعد من طرف غامض .

(ولكنني اؤكد لك انها رفضت طلبي) .

ـ ان الامهات هكذا . تتدلل الواحدة منهن على من يطلب يد ابنتها . الحي عليها يا امي . الحي عليها . لا بد ان تقبل في النهاية . لا بد ان تقبل .

ـ سأحاول مرة اخرى يا ولدي، بل عدة مرات . وارجو ان تكون النهاية خيرا ان شاء الله .

قالت الام ذلك وهي تعلم ان سعيها سوف ينتهي بالفشل .

★

ـ ماذا فعلت يا فريد ؟ هل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استطعت ان تفهم ابا ندى الحقيقة وتقنعه بأنني اصلح الرجال زوجا لها ؟

(يجب ان يحمد الله على ان ساق اليه رجلا ثريا مثلي يرضى ان يتخذ ابنته زوجة له) .

ـ لا يا يوسف . لقد اعلمني ابوها انه لم يحن الوقت بعد لتزويج ابنته .

(قال ذلك ليقطع رجائي ويريحني من التردد اليه في هذا الشأن) .

ـ وهل صدقته ؟ لا شك ان الفتاة تحب شابا اسمه نبيل راشد. هذا ما انبأني به كثيرون من اصدقائي التجار . ولا شك ايضا ان البنت هي التي تمانع في الزواج بي لانها متيمة بحبيبها الجميل . وهذا شأن بنات هذا العصر فهن يردن الشباب والجمال ، ولكن بعضهن ذكيات يدركن ان المال هو المحور الذي يدور حوله العالم . ان في امكان والدها ان يقنعها بذلك . الح عليه ، ولك مني مئة دينار ان وفقت . هذا غير الهدايا . أفاهم انت ؟ ابذل ما لديك من جهد .

★

نبيل شاب جميل ذكي لا يخالط الناس الا قليلا فهو مقبل على دروسه التي يتلقاها في الصف الثالث الثانوي ، مكب على المطالعة في منزله مشغول البال بطموحه ومستقبله . ولكن في قلبه مكان للحب . انه متيم بندى . كثيرا ما مر بها وهي في طريقها من المدرسة الى الدار ، وكثيرا ما صادفها في اسواق المدينة وهي سائرة على الرصيف او واقفة امام حانوت نوفوتيه .

« اصوات من الخارج : هذا الشاب الجميل الخليع نبيل يحب ندى . انه يعشقها . ولست ادري متى يتزوج بها . ما هذه الوقاحة ؟ حب مكشوف واضح. لماذا لا يتدخل الوالدون فينهوا العاشقين عن هذا التصرف الشاذ ؟ »

ان كانت ندى شبيهة بزهرة من ازهار الشباب فان نبيلا يشبه ثمرة من ثماره . واذا تحاذيا وهما ماران في شارع او سوق كانا شبيهين بزهرة وثمرة نابتتين على غصن اخضر مورق في فصل الربيع .

(اصوات من الداخل : احبك يا حبيبتي ندى . لشد ما اشتقت اليك وتمنيت ان اراك . ما اجمل وجهك ، وما اخف جسمك على ارض ، وما ارشق الحان وقع قدميك عليها !)

« اصوات من الخارج : هذا الشاب السافل المتكبر ! لست



عبد الحميد الانشاصي

●

ادري كيف تحبه تلك الفتاة الطائشة ؟ »

كانت ندى تسير على مهل في الشارع العريض الممتد في اعلى الجبل حيث يقل المارة من الناس . اشجار مزدحمة بجذوعها واغصانها واوراقها تطل على جانب الطريق اليميني ، بعكس المارة القليلي العدد المتفرقين على الطريق هنا وهناك . وكان الهواء يهب على الوجوه لطيفا كأن مراوح خفية تجلبه اليها في ذلك اليوم القائظ من ايام الصيف ، غير ان ذلك الهواء اللطيف المنعش وان استطاع ان يلطف الحرارة التي تمشت في وجه ندى فانه لم يستطع ان يلطف الحرارة التي كبتت في قلبها الفتي . انها تسير على الطريق وحدها والهواء لطيف والمناظر الطبيعية خلابة . هناك همس عذب في حفيف الاوراق وهمس آخر في هبوب نسمات الهواء . مرارا التقت نبيلا في تلك الطريق الجميلة ، فسارا متباعدين بجسميهما متقاربين بقلبيهما ونظراتهما . ترى هل تراه اليوم ايضا ؟ لها وقت طويل وهي تسير وتتلفت ، تسير وتتلفت ، ولكنها لم تره ـ لم يأت بعد . كان رماد المساء ينتشر على وجه الارض وفي الجو ، ماذا جرى له ؟ ان هذا ليس من عادته . لقد كان يجيء اليها في مثل ذلك اليوم .

واخيرا قدم نبيل . انه مقبل عليها يحث الخطى . ولما داناها ابتسمت اليه . لم يكن على مقربة منهما احد من المارة . كانت ابتساماتهما تفيض حبا وشوقا .

قالت بصوت معزوف على شفتيها الحمراوين المتلئتين :

ـ لقد كنت في انتظارك . لماذا تأخرت ؟

ـ كنت أعلم ذلك . ولهذا حثثت اليك الخطى .

ومالا الى طريق جانبية مسقوفة باغصان الاشجار ومحروسة بجذوعها الغليظة القوية . وكانت ندى تبتسم في هدوء . مضت برهة وهي تبتسم . فلفت ذلك نظر نبيل اليها . ان ابتسامها غير طبيعي . ادرك ان هناك سببا لذلك الابتسام الطويل الامد . لم يكن الابتسام تعبيرا عن سرورها بالتقائهما بعيدين عن عيون المارة . لا ليس ذلك هو السبب .

ـ لماذا تبتسمين يا ندى ؟ انك تكادين تضحكين .

(لا بد ان يكون هناك شيء خفي يجول في ذهنك ولا تريدين ان

تصارحيني به . قولي لي الحقيقة . لماذا تبتسمين ؟)

كادت كلماته : « انك تكادين تضحكين » تحثها على الضحك . وقد ضحكت فعلا . اطلقت بضع قهقهات موسيقية عذبة بعثت الطرب في اذن نبيل وانتشرت ابتسامة على وجهه ولكنها لم تجبه . فكرر عليها سؤاله . وبعد برهة اجابت وهي تبتسم :

ـ لقد ضحكت من اولئك الذين طلبوا يدي . ما اسخف عقولهم ! انهم يلحون ويلحون .

(الا يدرون انني خطيبة حبيبي نبيل ؟)

فوسع نبيل عينيه في استطلاع ، وقال في خوف :

ـ طلبوا يدك ؟ من هم ؟

(وماذا قلت لوالديك ؟)

ـ انهم قوم اثرياء ، ولكنني لا اقيم للمال وزنا . انك تعلم ذلك . لقد ردوا خائبين .

(لقد اتفقنا على الزواج وقضي الامر . انهم لا يدرون انني اخترتك زوجا لي . مساكين !)

ولكنها لم تذكر اسماء الذين طلبوا يدها . الح عليها في ذلك . فذكرت اسماءهم . فهز نبيل رأسه ساخرا ثم قال :

ـ هه ! موظف وصاحب مصنع وتاجر . حسن ! ان هؤلاء الرجال متقدمون في السن . لقد قضوا شبابهم وهم يكدحون ويجدون حتى جمعوا الثروة ، ولكنهم خسروا الشباب . لم يعرفوا الحب في شبابهم لانهم كانوا منصرفين عنه الى جمع المال ، فكيف يعرفونه في كهولتهم ؟ ان الحب شجرة لا تنبت الا في ارض الشباب ولا تترعرع الا في جوه . فكيف يجدون لذة في الزواج ان تزوجوا في الكهولة ؟ لقد قضوا شبابهم في الصراع والجهاد والخبث واللؤم والخداع حتى تغلبوا على خصومهم ومناوئيهم وتمكنوا من ان يصلوا الى النجاح ويجمعوا ثروات ضخمة . لقد ملئت قلوبهم لؤما وخبثا ودسا ومقاومة . فهل بقي في قلوبهم مكان للحب والاخلاص لمن يتزوجون ؟ تعودوا ان يكونوا جادين ، فكيف يمرحون ؟ ذهب الشباب مخلفا تجاعيد في جباههم وذبولا في جفونهم وسوسا في اسنانهم . لا احد من هؤلاء يا ندى يصلح لك زوجا .

لم يكد نبيل يتم كلامه حتى انطلق الضحك من ثغر ندى سلسلة من القهقهات الرنانة وصارت تتمايل من شدة الضحك . فسرى الضحك اليه وقال :

ـ ما قيمة اموالهم الآن ؟ ليلقوها الى الكلاب . انهم يريدون زواجا ليرزقوا اولادا لا حبا ليتزوجوا .

فصاحت ندى في اعجاب :

ـ خير لهم ان يقضوا بقية حياتهم اعزابا .

ـ هذا هو عين الصواب . هذه هي الحقيقة .

(لا مكان لاحد من هؤلاء في قلب فتاة صبية) .

ثم حدقت الى حبيبها ، وقالت بنغمة مشبعة بالهوى والحنان وبعينين دانيتين بنظراتهما وان كانتا بعيدتين بحدقتيهما .

ـ انني لك وانت لي يا حبيبي .

ـ لقد خلقت لك وخلقت لي .

ان الاقدار اعدت احدنا للآخر . ونحن نتم عمل ذلك بالحب والزواج . اليس كذلك يا حبيبتي ؟

(ان الاثرياء اعجز من ان يتغلبوا علينا) .

ـ طبعا . طبعا .

ـ ان مستقبلي امامي . غدا اتخرج في المدرسة ، وسوف احترف الصحافة ، فان لي موهبة في الصحافة . لقد اتفقت انا وصديق لي ورث عن ابيه ثروة ضخمة ان نشتري مطبعة ونصدر جريدة من نوع جديد لا بد ان تتفوق على جميع جرائد هذا البلد بما ندخله فيها من ابواب طريفة مفيدة ، وبعد ثلاث سنوات على الاكثر نجمع مالا غزيرا ونصبح من الاغنياء .

★

« ـ اخي راضي في الدرجة الاولى . انه وكيل وزارة . وهو على استعداد لان يدفع مهرا مقداره خمسمائة دينار وان يقدم هدايا ثمينة . ـ سأفاتح زوجي في هذا الشأن ، ولست ادري بعد ماذا تقول ابنتي . ـ ان ابني عبد القادر موفق في مصنع الحلويات الذي يملكه ، وهو على استعداد ان تزوج ابنتك ان يخصص اليها اسهما في المصنع . فهل انت راضية الآن ؟ ـ سافاتح زوجي بهذا الامر . انه صاحب الحل والربط . ـ يوسف التاجر اشهر من نار على علم . فهل ترده خائبا يا أبا كامل ؟ ان زوجته ابنتك تعش معه في سعادة وهناء . سيارته الخاصة تحت تصرفها ، ويمكنها ان تشتري ما تشاء من الوان الحلي وان تشتري في كل شهر فستانا جديدا . وسيقدم مهر لها مقداره الف دينار . ـ سأفكر في الامر مليا . امهلني اسبوعين » .

مل الوالدان كثرة المراجعات في شأن ابنتهما ندى . يريدان ان يزوجاها بأحد الرجال الثلاثة الذين طلبوا يدها فيستريحا من هذا العناء .

ـ الم يعجبها احد من هؤلاء الثلاثة رجال الاثرياء الذين طلبوا يدها ؟ من تريد ان تتزوج ؟ انها فرصة سانحة لها ، وقد لا تعود في المستقبل . فيجب ان تقبل احدهم زوجا لها .

ـ ولكن ندى تحب نبيلا يا ابا كامل . انها تفضله على اولئك الاثرياء .

(انها تحبه . وقد اقسمت لي انها سوف تتزوجه ، وانه من المحال ان تتخلى عنه) .

فضيق الوالد عينيه وحدد نظراته ثم قال :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عودة بلا روح

●

عدنا وعدنا فهل عادت أمانينا ... وهل يعود الهوى والحب لوحينا
عدنا ولكن بلا لحن بلا أمل ... غاض الذي كان بالاحلام يسقينا
ماتت عيون الجوى والوجد في دمنا ... وجف فيض من الاعماق يروينا
كنا نقول الهوى يبقى ولو غربت ... شمس الحياة كأن القول يبقينا
كنا نصوغ من الاشواق فرحتنا ... تذوب في سحرها احلى اغانينا
كنا وكان الهوى طفلا نهدهده ... ما زال يحبو وترعاه مآقينا
كنا وعدنا وعاد الوهم يسبقنا ... فالوصل يسعدنا والبعد يبكينا
عدنا كطيف وقد ذابت سرائره ... وصار نبض الهوى في القلب يدمينا
عدنا وعدنا وملء الوهم عودتنا ... يمتص من عمرنا الزاكي الرياحينا

القاهرة — فاطمة عبد المقصود يوسف

ـ نبيل ! الا تزال تحب نبيلا ذلك الشاب الخالي الجيب من المال . انها طائشة وهو اشد طيشا منها . اقنعيها بالعدول عن فكرتها الطائشة وبالنزول على رغبة يوسف فهو تاجر موفق في بيع البضائع بالجملة . ان المال ينهال عليه انهيالا .

(ان لم تنفذ كلمتي نفذتها بالقوة) .

ـ لقد حاولت اقناعها مرارا فلم أوفق .

(أنذرتني بالانتحار ان ارغمتها على الزواج بأحد هؤلاء الرجال) .

ـ واذن فسأفاتحها انا بالامر . انا اقدر منك على اقناعها .

(حتى متى ندللها ؟)

ـ لا ، لا . اترك هذا الامر لي . انها تؤخذ باللطف لا بالعنف .

ـ امهلك يوما واحدا . بعد غد تعلمينني ما تم بينك وبينها .

(ان فشلت فاتحتها انا بدوري) .

ولما ابتعد ابو كامل عن زوجته شعرت بخور في قواها وباسترخاء في اعصابها وكادت يغمى عليها من شدة الحزن والالم .

« ـ يوسف تاجر غني جداً يا ابنتي . لقد عرض الف دينار مهرا لك . ان له سيارة ومنزلا فخما بني على الطراز الحديث . وكل تجار المدينة يشترون منه . انه اكبر موزع للدقيق والارز والسكر والشاي . وهو يحبك . ـ ولكنه اصلع يا امي . وشعره معظمه ابيض اللون . انه كهل في الخامسة والاربعين وانا صبية في السابعة عشرة من عمري ، وهو فضلا عن ذلك شبه امي لا يعرف الا الحساب وتقييد اسماء المدينين في سجل الحانوت . انه لا يعرف الانجليزية ولم يطالع في حياته كتابا واحدا . فكيف اتزوجه ؟ ـ ولكن اباك مصر على ان يزوجه بك سواء ارضيت أم أبيت ـ ماذا تقولين ؟ ان أصر على زواجي بذلك الرجل احرقت نفسي او هويت من نافذة في المنزل على الارض لاستريح مما تجلبانه علي من الضيق والظلم . اريد ان اعلمكما ان نبيلا هو الشاب الوحيد الذي وقع عليه اختياري . وسأتزوجه سواء ارضيتما ام ابيتما » .

(اصوات من الداخل : نبيل ! نبيل ! أين انت يا نبيل ؟ خلصني مما وقعت فيه من ورطة . ان والدي يريد ان يرغماني على التزوج بالتاجر يوسف وانا امقته ولا أطيق رؤية وجهه) .

(منظر في الداخل : ينتظرها نبيل في الطريق حتى اذا اقتربت منه امسك يدها وركبا سيارة خاصة وهربا) .

★

ـ ماذا تم من الامر يا اختي ؟

ـ لقد رفضت ندى رفضا باتا ان تتزوجك .

ـ هل اقنعت أم ندى يا امي ؟

ـ لا فائدة من الالحاح عليها . ان ابنتها تحب نبيلا .

ـ هل قبل والد ندى يا فريد ؟

ـ لقد وعدني بالقبول ، وبعد انتهاء اسبوعين اقابله لآخذ منه الجواب النهائي .

★

ـ ماذا قالت ندى ؟

ـ لقد أبت ان تتزوج التاجر يوسف .

ـ رفضت ؟ اين هي ؟

ـ انها ليست في المنزل .

ـ الى اين ذهبت ؟

ـ لست ادري . لقد انذرتني بان تحرق نفسها او تهوي من النافذة على الارض . وقد اعلمتني بأنها ستتزوج بحبيبها نبيل سواء ارضينا ام أبينا . ولها وقت طويل وهي في خارج المنزل . ولعلها التقت نبيلا وتزوجته .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



العـرب واليهود في التاريخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثارية

تاليف الدكتور احمد سوسة ـ ٥٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المكتبة الحديثة رقم ٤٢ ـ منشورات وزارة الاعـلام العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد

يا قادة العرب في ارض العرب !
يا سدنـة تاريخ العرب !
ايها « الجامعة العربية » في عهد محمود رياض !
ايها الاساتذة والمعلمون والمربون والمهذبون !
ايها العربي الصغير ابن الجيل الجديد !

اني اعتقد اعتقادا كليا ، واصبح هذا الامر عندي يقينا ، انه لـو طبع من هذا الكتاب المفجر الناسف ، مقدمته التي لا تزيـد علـى اربعين صفحة وعنوانها « الكتاب في سطور » ، وكان المطبوع لا اقل من نصف مليون نسخة ، ووزع ذلك بعناية مدروسة على العالم العربي ، وقررت وزارات التربية والتعليم في كل دولة وامارة عربية تدريس هذا الكراس في جميع المدارس بلا استثناء ، لكان من وراء ذلـك في سنتين ، هـذا الفتح الذهني العظيم :

اولا ـ انكشاف الستار العلمي التاريخي عن مزاعم اليهود فـي تاريخهم واظهار باطلها ، من تزويرهم في التوراة فنازلا الـى هـذه الساعة .

ثانيا ـ هذا الانكشاف ليس رأي مجتهد ، ولا قصيدة شاعر ، ولا خطبة خطيب يستهوي الجماهير بلسانه وبيانه ، بل هو حصيلة جهـد علمي رصين ، منظم ، مرهق ، ظل الدكتور احمد سوسة ، بارك الله بعلمه ، وزاد ثروة العرب بغالي كنوزه ، اربعين سنة وهو يدأب ويتابع نتائج المكتشفات الاثارية في الشرق الادنى ، موطـن الحضارات ومنشأ الاديان ، وينسق المحصول الصافي بابا بابا ، ثـم يجمعه في كتاب حالفه فيه التوفيق الاكبر ، وعندي ان سنة ١٩٧٢ في دراسة التاريخ القديم هي سنة الدكتور احمد سوسة ولا نزاع .

ثالثا ـ ان تسمع عن اباطيل اليهـود وفاسد دعاويهم التاريخية التي عاشت قرونا ، شيء ، وان تقرأ ذلك اليوم في كتاب « العـرب واليهود في التاريخ » شيء آخر بالمرة .

رابعا ـ قلت ان يطبع من مقدمة هذا الكتاب نصف مليون نسخة، والسبب الميسر في هذا ان الدكتور العبقري احمد سوسة ، رأى مـن باب التيسير على القارىء العربي ، ان يوجز نقاط الكتاب ايجـازا حافظا للباب معانيها ، بعبارات ومبان تشتمل علـى « فيتامينها » ، بحيث اذا عني القارىء الذي لسبب ما لا يستطيع قراءة الكتاب المبين كله ، ومتنه يقع في اكثر من خمس مئـة صفحـة ، اذا عني القارىء بالمقدمة ، امتلك هذه النقاط امتلاكا ، يجعل ذهنه يستوعب وجـوه الحقائق المكشوفة ، ويتفاعل ذلك في منطقة مداركه ، فيصحح المغلوط القديم بنسخه من باله ، ويحل محله الجديد وهـو صفوة العلـم الحديث في المكتشفات والمقارنات الحضارية ، فيظهر للقارىء عندئذ العوبة قـوم موسى ـ اليهود ـ الصهاينة بعدئـذ ، في التوراة والتاريخ ، وتزييف الحوادث ودعاوي النسب الفارغة ، مما زيفوه زمن السبي البابلـي ، قبل المسيح بعدة قرون . هذه المقدمة لا تزيد على ٤٥ صفحة . والآيـة الباهرة في ذهـن الدكتور سوسة انه جعل نقاط المقدمة حاوية كل الجوهر واللباب .

خامسا ـ وليس معنى متمناي هذا ، ولا اقول « اقتراحي » لان الاقتراح ينبغي ان تكون وراءه قوة تنفيذيـة تنقله من عالم القوة الى عالم الفعل ـ والطبع والنشر ـ ليس معنـى متمناي ان يحد هذا شيئا من اعادة نشر الكتاب في طبعات تالية ، بـل متمناي الذي اسال الله له التوفيق في ارض الرافدين ، مؤداه العملي امتداد آفاق الكتاب ، وتقريب متناوله من اصحاب الاذهان الذين قد يجدون الاستطاعة الكاملة لتلاوة الكتاب كله ، مع ان تلاوة الكتاب كله لو كنت مسؤولا عربيا لجعلته فرضا وواجبا .

سادسا ـ هناك شيء آخر في مسالة طبع المقدمة في كراس علـى حدة على الشكل الذي نحن في صدده ، وذلك انه ليس من المعقول ان تطبع من كتاب « العرب واليهود في التاريخ » مئة الف نسخة او اكثر، وتتولى ذلك دولة واحدة ، « الجمهورية العربية العراقية » المؤيدة ، او غيرها ، ذلك لان نفقات هذا العمل من الناحيـة الاقتصادية ، شيء باهظ . ولكني ، واعلن لقارئي الكريم اينما كان ، اني التزم غايـة الوضوح والصراحة في متمناي هذا ، اضيف الى متمناي المتعلق بطبع المقدمة لا اقل من نصف مليون نسخة ، متمنى مشتق منه ، وهـو ان تتولى كل دولة عربية طبع العدد الذي يكفيها من الكتاب كله ـ لا دخل لهذا بطبع نصف مليون نسخة من المقدمة ـ وهذا الامر في هـذا المدار يصبح من اختصاص المهمات العربية التي تضطلع بها الجامعة العربية، على ان يكون الطبع موحدا في الشكـل والتقنيـة ومستوى الاناقة في الاخراج . وهناك لدى الجامعة العربيـة طريقة مسهلـة تجمع بين الاقتصاد ، والمراد ، وايقاظ ابناء الضاد ، من المحيط الى الخليـج او من الرباط الى بغداد ، وهو ان تتولى « الجامعة » افراغ صفحات كتاب الدكتور احمد سوسة في صفائح معدنية وبهـذا يسهل طبـع المقادير العظيمة من الكتاب ، ويمكن ان يفعل هذا في طبع المقدمة على حدة . ومهما يكن من أمر ، فان الامل اولا ان تنظر « الجامعة العربية » في هذه المسالة الخطيرة ، او الجمهورية العراقية البادئة وزارة الاعلام فيها بهذا الفضل الخالد ، الذي هو اسهام جليل خطير في احياء المجد التراثي الطارف والتالد ، وهذه الوزارة البناءة لما وقفت على الكتاب، تبنت مشروع اخراجه فاخرجته للامة العربية بحلة قشيبة ولكن حاجة الامة الى ان تقرأه ، مقدمة ومتنا ، حاجة ملحة تستصرخ مئات الالوف من النسخ .

سابعا ـ ولا يظن أي قارىء ان الحقائق التاريخية الاثارية العلمية التي تسلمها الدكتور احمد سوسة من ارهاط الباحثين اهل الرصانة والتعقل عبر كتبهم وما دلت عليه النقوش والرسوم والآثـار في الشرق الادنى ، تتناول ناحية او ناحيتين او ثلاثا او عشرا من تاريخ اليهود ، وبقي من امرهم وغضب الله عليهم ، نـواح اخرى لم يمسها البحث وتندرج في قافلة الحقائق المجلوة وتشغل مكانها مـن القضية كلهـا . كلا . فالكتاب بجملته « ثورة علمية » على تاريخ اليهود المزيف ، وصرخة مدوية في اذهان العرب اجمعين ، دون نظر الى حدودهم السياسية ، ان يستيقظوا على ما بين دفتي هذا الكتاب من حقائق مذهلة ، نجـح اليهود مئات السنين وهم يفشون العالم غشا مطردا بالاكاذيب المنمقة ، والقصص المنسقة ، وادعاء النسب الابراهيمي وابراهيم منهم براء ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبين موسى وابراهيم القرون المتوالية ، حتى لفقوا اسفارهم المتمزقة ، وانتهوا الى الصهيونية ، وحتى كلمة صهيون التي يقولون انها يهودية ما هي الا كنعانية في لغة اليبوسيين سكان القدس الاولين والباقين فيها على قوة شكيمة واهل بأس ، حتى القرن الخامس قبل المسيح .

ثامنا ـ ولا ننسى ان اسم الكتاب « العرب واليهود في التاريخ »، فبرهن الدكتور سوسة بالطريقة العلمية نفسها على ان العرب الساميين هم في فلسطين ، شعبا وحضارة وعمرانا ، وقوم منهم يخلفون قوما قبل ان دنس البلاد عنصر اسمه بتالي الزمن « اليهود » ، فترقص طربا لقصة عروبة فلسطين القدمى ، وتبتهج روح عروبتك وانت ترى هذا التاريخ الموغل في الدهور الخوالي ينتفض امامك انتفاضة علمية ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وكأنه غربال سقط من الاعالي الى الارض ، وجعل يغربل ذلك الماضي الامضى ، والقصي الاقصى ، فتفترق بعدئذ المواد ، وينزع الباطل عن الحق ، وهكذا دواليك حتى تمام القصة ، فترى في الختام ان الحق استعلن وظهر وبان ، وانقشعت عنه ركام الضباب ، واستقر على عرش النور ، كما ترى الباطل قد زهق واضمحل وباد وبعد ان كان سطورا امسى اساطير او عنكبوتيات تافهة . هذا ما صنعه الدكتور احمد سوسة في كتابه « العرب واليهود في التاريخ » .

وليسمح لي القارىء ان احدثه بقصة قصيرة لي وهي على سبيل المثال لا اكثر : لما اصدر الكاتب المؤرخ الانكليزي « ولز » كتابه « موجز التاريخ » في حدود السنة العشرين من هذا القرن ، كانت مميزة هذا الكتاب انه سرد قصة العالم كله ، منذ التكون الارضي الاول ، ثم نشوء النبات فالحيوان فالانسان ، فعمارة الانسان للارض في الاقاليم المختلفة ثم اختلاف الامم والشعوب واللغات ، كل هذا ، سردا متواصل الادوار والحلقات ، الى الزمن الحاضر ، فلاقى هذا الكتاب لا من الانكليز وقراء الانكليزية وحدهم ، بل من معظم الامم الراقية كالالمان والفرنسيين والطليان والامم الراقية الصغرى في شمال اوربا ، رواجا عظيما فائق الحد . وصارت تتجدد طبعاته ، واختلفت بين طبعة مترفة الاتقان ، وطبعة شعبية دون تلك في الثمن والالوان . وكنت من جهتي من المولعين جدا بمطالعة هذا الكتاب ومراجعته . فلما تكلم عن اليهود وملك داود وسليمان ، وهذا الاخير خاصة ، نبه « ولز » الى ما غالى فيه اليهود في كتبهم وتوراتهم من وصف ابهة سليمان ، واجتيازهم الحدود المعقولة في ذلك كله ، وان سليمان الموصوف في كتب اليهود هو غير سليمان الذي كان يخالف معظم تلك الاوصاف . فسررت بكلام « ولز » سرورا شديدا ، وازداد مقامه في نظري علوا ، وكنت في تلك الايام في بداية عنايتي بتاريخ اليهود . وكانت كلمات « ولز » مفتاحا لي في فتح مغاليق كثيرة تتعلق باليهود والتوراة.

واني على صلة ود قلبي نام باخي الدكتور احمد سوسة ، فخر العراق والعرب ، منذ سنين ، وهو ابدا يده مبسوطة بالفضل علي ، فكتبه القيمة المتعلقة بالحضارات القديمة حوقني بها وانحفني بدررها ، واني من المنادين بتفرده في علومه ، والمحلين في المضامير ، وله سبق بعد سبق لم يلحقه فيه احد .

وانا الآن لا اتكلم مدفوعا بآصرة الصداقة ، فالعلماء الذين هم على طرازه ، واحرزوا من لباب العلوم مثل احرازه ، هم على كل حال اصدقاء الامة ، فردا فردا ، وجماعة جماعة ، فهم كالنور من الشمس، ونور الشمس لا يحجب عن احد على وجه الارض . ولكنني اقول ان كتابه « العرب واليهود في التاريخ » ملاق من الامة العربية ما لاقاه « موجز التاريخ » لولز من قراء الانكليزية قبل ٥٢ سنة ، بل آمل ان يكون اقبال العرب في بقاع آسيا وافريقيا على الدكتور احمد سوسة اشد واوسع من اقبال اولئك على ولز .

ولكن هناك فرقا كبيرا بين « موجز التاريخ » لولز ، « والعرب واليهود في التاريخ » للدكتور احمد سوسة . فقصة العالم الانساني التي حبكها ولز مستضيئا بخلاصات العلوم التي يستمد التاريخ منها



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جذوره ، هي لكل الامم والشعوب على حد سواء ، لتزداد بهـا نورا وضياء في معرفة تحرك الانسان ونشاطاته المختلفة علـى هذه الكـرة الارضية ، لا فرق بين ابيض واصفر واسود ، على مر الدهور واختلاف العصور . اما قصة تاريخ العرب واليهود التي نسج خيوطها العلمية الدكتور سوسة هذا النسيج الرصين المحكم ، وجعلها قافلة مضيئة المراحل ، تطرد اطرادا منطقيا بديعا ، فهي مستمدة من التاريخ ايضا كالقصة الاولى ، ولكنـه لا التاريخ البشري العام المحيط بالكـرة الارضية ، بل « التاريخ » المتعلق بالعرب واليهود في فلسطين ، وهـو نوعان : تاريخ حق ، وتاريخ باطل . اما التاريخ الحق فهـو الـذي زحف في الشرق الادنى قطاره ، على سكة العلوم الاثارية المكشوفة مـن تحت الركام والاطلال ، ونضجت بعد طـول العمل والبحث ثماره ، ونخلت اخباره ، ونؤمن بحقائقه اليوم ايماننا بوصول الانسان الـى القمر . تاريخ الحق ، او التاريخ الحق ، هذا ، هو الـذي توافرت عليه ارهاط العلماء المجردين عن الهوى ، نقول هذا لنستثني الكتاب « الثوراتيين » الذين يتلبسون علم تاريخ الشرق الادنى تلبسا يريدون من ورائه خدمة اليهود علنا وصراحا ، ومعظم هؤلاء هم مـن الشيعة البروتستنتية ، بل من هؤلاء العلماء من أصل يهـودي محض وتنصر لا ليتبع رسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ، بـل رسالة الصهيونية المقنعة . ولا اضرب غير مثلين من هـذا الصنف : امـا في السياسة فدزرائيلي ، واما في العلوم فالمستشرق مرغليوث ، ثم اخذ رجال الدين اليوم في اميركا من البروتسنتت وحتى الكاثوليك ، يتجندون لخدمـة الصهيونية .

هذا التاريخ العلمي المحض كشف عن التاريخ الباطل ، تاريـخ اليهود ، مما لم يعرف منه شيء في اول هذا القرن ، دع عنك ما قبل ذلك . فاليهود هم الشعب الوحيد في العالم ، وكانوا من هذا العالـم بأسره كالبترة الخبيثة من الجسم الانساني المفرد ، وهم منفردون دون سائر الامم باصطناع تاريخ كاذب ونسب مزور ودعاو لا اصل لها . نعم ثم نعم ، ان اول صوت من السماء قال ان اليهود حرفـوا وزوروا ، ونسفوا واضافوا ، هو القرآن الكريم ، ثم جاء علم الاثار ففصل لنـا هذا تفصيلا ، وامسينا وبوسعنا اليوم ان نعلم قصة الباطل الاسرائيلي علما واضحا ، خيطا خيطا ، وازاء ذلك نعلم قـدم الوجود العربـي الكنعاني في فلسطين وهو اقدم قدم ، قبل ان وجد ذكـر لقوم موسى او بني اسرائيل في حواشي الامم . هذا مـا صنعه الدكتور احمـد سوسة ، وقدم ثمراته الى العروبة والاسلام واهل البحث والتحقيق .

حقائق هذين التاريخين : التاريخ الحق العربي ، والتاريخ الباطل اليهودي ، هي من صميم المعركة التـي بيننا وبين مـن يسمـون ب « اسرائيل » ، « اعرف عدوك » قاعدة مسلم بها ، ولكنها تحتاج الى تطبيق وتعميق ، فاذا بقيت مجرد كلمات فهي العبارة الجوفاء . فارجو من القارىء العربي ان يعي ما بينته في هذا الفصل وعيـا يليق بحـر عروبته ، ومجد تراثه ، فاني ما جئت اقرظ كتاب « العرب واليهود في التاريخ » واطوف من حوله وحول مؤلفه بالمديح ، فالكتاب وصاحبـه يغنى عن هذا من قبل ومن بعد . وانما جئت بعامل عروبتي واسلامي وتراثي ، ومستقبل ولدي وامتي ، ابين اين نحن من « اسرائيل » في معرفة اصلها من فصلها بعد ظهور كتاب الدكتور سوسة .

ان اخواني في العراق الوثاب ما اكثرهم ، امتع الله بهم العراق والعرب مشرقا ومغربا . وفي هذه الساعة التي اكتب فيها هذا الفصل أتاني البريد برسالة من صديقي الصحفي الاستاذ صبيح الغافقي يقول فيها ان كتاب « العرب واليهود في التاريخ » قد نفدت طبعته ، ويعـد الدكتور سوسة العدة لاخراج طبعة ثانية منه مع اضافة اشياء جديدة اليه ، في مادة متنه وفهارسه البديعة . فرقصت طربـا ، وايقنت ان معركتنا مع اسرائيل في النور والعرفان ، التحمت ومعركتنا مع اسرائيل في النار والنيران ، وكلتا المعركتين واحدة . فاقرأ كتاب الدكتور احمد سوسة ، ايها العربي اينما كنت ، واعلم منه علـم المعتصم بالحق ، المؤمن بانتصار الحق ، كيف نرهق الباطل ـ باطـل اسرائيـل ، ان الباطل كان زهوقا .

رأس المتن ـ لبنان — عجاج نويهض

•

جوانب مضيئة مـن الشعر العربي

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٦٩ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعـة الفنية الحديثة بالقاهرة

تفضل الاديب المحقق والبحاثة الجليل الاستاذ محمد عبد الغني حسن باهدائه الي كتابه النفيس (جوانب مضيئة من الشعر العربي) المطبوع في المطبعة الفنية الحديثة عام ١٩٧٢ وينطوي على ٢٦٩ صفحة من الحجم الكبير .

ان موضوعات الكتاب وآيم الحق شائقـة ومحببة للنفس والقلب وفيها متعة كبرى وفائدة جلى وقد بدأه بمقدمة بارعة وتحدث بعدها عن الآباء والابناء وسرد بعض الاشعـار اللطيفة التـي صورت حنان الاب وعطفه على اولاده ومنها البيت المشهور للشاعر حطان بن المعلى وهو :

وانمـا اولادنا بيننـا أكبادنا تمشي على الارض

ونوه بأبيات نظمها بعض شعراء عصرنا في ذلك الموضوع كالاساتذة احمد رامي وندرة حداد والياس فرحات وجورج صيدح وانور العطـار وعدنان مردم بك والعوضي الوكيل ورياض معلوف وزكي قنصل كمـا أورد اشعارا تتعلق بعقوق الابناء لآبائهم وامهاتهم وسرد بعض مراثـي الآباء لبنيهم ومنها مرثاة ابن الرومي لولـده محمـد اوسط صبيته وتضمنت البيت الآتي :

واولادنا مثـل الجوارح أيهـم فقدناه كان الفاجع البين الفقـد

وقد جاء في الكتاب خطأ طباعي اذ ورد في الشطر الاول من البيت: أينا : بدلا من (أيهم) وورد في الديوان الذي جمعـه الاستاذ كامـل كيلاني : أيها : وهو خطأ ايضا ولا يصح مبنى البيت ومعناه الا كمـا قال ابن الرومي (ايهم) لان الضمير عائد الى قولـه في اول البيت : واولادنا : ولو انه كان عائدا الى الجوارح لقال في اول الشطر الثاني: فقدناها : وبه يختل الوزن كما لا يصح ان يقال : اينا فقدناه :

ثم انتقل الى ادب الاغتراب واللقاء في وصف مرارة الغربة وحلاوة اللقيا وسرد أبياتا جميلة قالها شعـراء المهجـر في الامريكتين وشعراء العرب في الاندلس .

وليت المؤلف الفاضل ذكر أبيات عبـد الرحمن الداخل المشهورة وهـي :

أيهـا الراكب الميمـم ارضـي اقر مـن بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كمـا علمـت بارض وفـؤادي وساكنيـه بـارض
قـدر البين بيننـا فافترقنـا ولوى البين عـن جفونـي غمضي
قد قضى اللـه بالفـراق علينا فعسى باجتماعنـا سـوف يقضي

وبيتي ايليا أبي ماضي في ختام قصيدته التي انشدها في حفلـة تكريمه بدمشق :

يا ريح نفسي كم تطاردني النوى وتهـد منـي القلب والاعصابـا
ودعت خلف البحر أمس أحبـة وغـدا أودع ها هنـا أحبابـا

ثم تطرق المؤلف الى الامومة والام في الشعر العربي وعد أجمل مـا قيل في هذا الباب قديما وحديثا قصيدة أبي ماضي وعنوانها : هـي : وجاء فيها هذان البيتان :

أتخجل باسم مـن تهـوى أحسنـاء بغـير اسـم
فأطرق غـير مكتـرث وتمتـم خاشعـا أمـي

قوله : أتخجل باسم : خطأ لغوي اذ يقال : خجل منـه : ولا

يقال : خجل به :

وقصيدة الشاعر القروي يخاطب المسيح عليه السلام وعنوانها : حضن الام .

وما أحلى قول المؤلف الشاعر في قصيدته : أمي :

الحب يا أماه منك مزاجه ... مهما شربنا فيه من أكواب
فسقاه مختوم الرحيق كأنما ... يسقى بنشوته ألذ شراب
نلهو بما سمح الزمان بحسنه ... ونطيق كل شقاوة وعذاب

وقد أشاد بقصيدة الاخطل الصغير وعنوانها : هند وأمها : هذا مطلعها :

أتت هند تشكو الى أمها ... فسبحان من خلق البرين

ثم انتقل المؤلف المحقق الى الانسانية في الشعر العربي فقال ان هذه الكلمة من المصادر الصناعية وقد خلت المعاجم القديمة منها واثبتها بعض المعاجم الحديثة مثل محيط المحيط واقرب الموارد والمنجد وهي على هذا كلمة مولدة وذكر انسانية الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي لان ما كانوا يغنمونه في غاراتهم يوزعونه على الفقراء والمساكين واكرام الضيف مع العلم ان الغارات للسلب والنهب ليست من الانسانية في شيء ولكن برهم بالمعوزين وكرمهم ونجدتهم جعلهم انسانيين وعرض نماذج من الاشعار التي تنم عن انسانية كقول معن بن أوس المزني :

فما زلت في لبني له وتعطفي ... عليه كما تحنو على الولد الام
لاستل منه الضغن حتى سللته ... وان كان ذا ضغن يضيق به الحزم

وكقول المقنع الكندي :

وان الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ونوه بانسانية أبي العلاء المعري وبما جاء منها في شعره وبما جاء من انسانية في شعر الشعراء المهجريين وشعر حافظ وخليل مطران والرصافي وخليل مردم بك وابي شادي والصافي النجفي والاخطل الصغير وطانيوس عبده وذكر بعض أبيات لايليا أبي ماضي في فراشة محتضره ومن قوله فيها :

قالوا فراشة حقل لا غناء بها ... ما افقر الناس في عيني واغناك
فراشة الحقل في روحي كآبته ... مما عراه ومما قد تولاك

وتحدث عن الشعر القصصي عند العرب وذكر ممن طرق هذا الباب امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والشعراء الصعاليك مثل تابط شرا والشنفرى وعروة بن الورد في الجاهلية وعمر بن ابي ربيعة والفرزدق وذا الرمة في العصر الاموي وابا نواس في العصر الاموي ولم يذكر معه بشار بن برد فان له غزلا قصصيا وذكر خليل مطران وشبلي الملاط والزهاوي والرصافي والزركلي والاخطل الصغير وفوزي المعلوف وأخيه شفيق المعلوف في العصر الحديث وأشار الى حكايات لافونتين التي ترجمها شعرا الاستاذ عثمان جلال والى حكايات كليلة ودمنة التي نظمها أبان بن عبد الحميد اللاحقي ولم يشر الى حكايات شوقي الشعرية وهي كثيرة ولها في ديوانه باب خاص .

وتكلم عن المساء وما ألهم الشعراء من شعر حزين او سار وسرد نماذج من ذلك . ثم انتقل الى مأساة غرناطة وسرد اشعارا رقيقة قيلت فيها منذ حدوث تلك المأساة حتى العصر الحاضر دون ان ينوه بسينية شوقي المشهورة وقد تضمنت خمسة وعشرين بيتا عن غرناطة منها هذه الابيات :

من لحمراء جللت بغبار الـ ... ـدهر كالجرح بين برء ونكس
حصن غرناطة ودار بني الاحـ ... ـمر من غافل ويقظان نعس
مشت الحادثات في غرف الحمـ ... ـراء مشي النعي في دار عرس
خرج القوم في كتائب صم ... عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا في البحار نعشا وكانت ... تحت آبائهم هي العرش أمس

وتحدث عن الشعر والشعراء على ضفاف بردى فسرد ابياتا بديعة بوصف ذلك النهر البديع وحبذا لو أضاف الى ما ذكره من شعر في بردى قول شوقي في قصيدته : دمشق :

جرى وصفق يلقانا بها بردى ... كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة ... والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في درر أوحول هامتها ... حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة ... الساق كاسية والنحر عريان
وقد صفا بردى للريح فابتردت ... لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا ... جفت من الماء أذيال واردان

وهذه الابيات بارعة ماتعة وفي غاية الابداع لم يقل شاعر مثلها ولن يقول . وقول ايليا أبي ماضي في القصيدة التي أنشدها في حفلة تكريمه بدمشق :

واهبط على بردى يصفق ضاحكا ... يستعطف التلعات والاعشابا
روح أطل من السماء عشية ... فرأى الجمال هنا فحن فذابا
وصفا وشف فأوشكت صفاته ... تنساب من وجد به منسابا
بل أدمع حور الجنان ذرفنها ... شوقا ولم تملك لهن ايابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا ... وبني الهوى فترشفوك رضابا

وهذه الابيات من أبدع واروع ما قيل في بردى .

وقول الدكتور نقولا فياض في مهرجان المتنبي بدمشق :

قالوا تحب الشام قلت وهل سوى ... بردى يبرد يا شام أوامي
الشرق شرقي أين لاحت شمسه ... ودم العروبة في دمي وعظامي

وتكلم عن الفكر والعاطفة في شعر عبد الرحمن شكري واثبت انه كان شاعر عاطفة كما كان شاعر فكر لا كما يدعي البعض انه كان شاعر فكر فقط .

ثم تكلم عن الطبيعة في شعر شوقي وسرد ابياتا كثيرة ولطيفة في وصف الطبيعة والطير والحشرات وتحدث عن شعراء كانوا أصحاب حرف وذكر بعض اشعارهم .

وتحدث عن التواريخ الشعرية التي ظهرت في عصر الانحطاط والعهد التركي وعدها نكبة على الشعر العربي وذكر بعض الشعراء الذين نظموا بها وبعض التواريخ الشعرية .

ثم تكلم عن الشعر والرجز في تدوين التاريخ ونوه بأسماء علي بن الجهم وابن المعتز وابن عبد ربه وابي طالب عبد الجبار وصلاح الصفدي وابن اياس المصري والشيخ طه الدمياطي واحمد محرم وشوقي في ارجوزته المشهورة وعنوانها : دول العرب وعظماء الاسلام : وقد اجاد بها كل الاجادة ولا سيما في موشحه : صقر قريش : وهو الموشح الوحيد لشوقي .

وتحدث عن شعراء الشرق المسيحيين ومواقف لهم عن الاسلام وذكر منهم شعراء المهجر في الامريكتين كالشاعر القروي والياس فرحات وجورج صيدح ورشيد أيوب ونصر سمعان ومحبوب الخوري الشرتوني ورياض المعلوف والياس عبد الله طعمة وقد اعتنق الاسلام عام ١٩١٦ وتسمى باسم أبي الفضل الوليد وكان يوقع بهذا الاسم تحت قصائده العصماء بعد عودته الى لبنان وهو شاعر فحل .

وذكر المؤلف المدقق من الشعراء المسيحيين الذين اشادوا بالاسلام خليل مطران وشبلي الملاط ووديع البستاني والدكتور لويس صابونجي وسابا زريق وحليم دموس وقد أسلم وابراهيم زيدان وعبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد الحلبية وله ديوانان الاول : خيوط الغمام ، والثاني : حصاد الذكريات ، وسرد بعض اشعارهم في هذا الباب وليت المؤلف الفاضل ذكر الدكتور نقولا فياض القائل في قصيدة أنشدها في المؤتمر الوطني ببيروت :

لي في هوى وطني كتاب خالد ... يبقى على المكتوب من أيامي
سجلت نصرانيتي في متنه ... ونشرت فوق سطوره اسلامي

والقائل في قصيدة طويلة وجميلة انشدها في عيد المولد النبوي في كلية المقاصد :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نبي العرب ألهمني بيانا ... على عجزي أهز به الزمانا
فيا لك مولدا حضنته دنيا ... ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا
ويا لك من يتيم أعز يتما ... وحلى الفقر حلته وزانا
يروح اليه جبريل ويغدو ... فينفحه الفصاحة والبيانا

وقد تحدث المؤلف العالم عن الآباء المنجبين من العلماء والادباء والشعراء وعن المشاركة في التأليف والشعر وعن لقاء وذكريات مع بعض الشعراء المصريين الراحلين . ثم تكلم عن ابيات وقصائد حائرة النسب وذكر قسما منها واورد البيتين المشهورين لابن الرومي في وصف أحدب :

قصرت أخادعه وطال قذاله ... فكأنه متربص ان يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة ... واحس ثانية لها فتجمعا

وقد نسبهما علي بن سعيد المغربي الى عبد الله بن الطباخ وليت المؤلف المدقق ذكر ما قاله عنهما الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « على السفود » ردا على الاستاذ العقاد فقد نسبهما الى الامير مجير الدين بن تميم وصحح بعض كلماتهما فقال (وغاب قذاله) بدلا من وطال قذاله لان الاحدب يقصر قذاله ولا يطول والقذال مؤخر الرأس . وقال (فكانه مترقب) بدلا من : فكانه متربص : لان التربص قد يفيد معنى الانتظار الطويل . وقال (وكانما قد ذاق اول صفعة) بدلا من : وكانما صفعت قفاه مرة : لان القفا مذكر على الاغلب الاعم وتانيثه قليل . وليت المؤلف الفاضل اضاف الى ما ذكره في هذا الباب قصيدة « اليتيمة » فقد نسبت الى عدة شعراء واشتهر بها دوقلة المنبجي وهذا مطلعها وبعض ابياتها :

هل بالطلول لسائل رد ... أم هل لها بتكلم عهد
لهفي على دعد وما خلقت ... الا لطول تلهفي دعد
فالوجه مثل الصبح مبيض ... والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد
وبصدرها حقان خلتهما ... كافورتين علاهما نهد
ان تنهمي فتهامة وطني ... أو تنجدي ان الهوى نجد

ثم تكلم المؤلف البحاثة عن الشعر العربي الفصيح والغربة المزعومة بينه وبين القارىء وعن شعر الوطنية والقومية في ليبيا وعن استجابة الشعر لعوامل الوطنية والتحررية في تونس وعن شاعري الوطنية والعروبة في الجزائر وهما مفدى زكريا ومحمد العيد آل خليفة وسرد نماذج من اشعارهما .

وختم كتابه بالتحدث عن السفن والاساطيل العربية بريشة الشعراء واورد ما قيل في هذا الباب من اشعار لطيفة وطريفة .

هذا ما وددت عرضه عن اقتباس وتلخيص لذلك الكتاب القيم النفيس وقد استفدت منه واستمتعت به . واني لاشكر مهديه المفضال اجزل الشكر واغتنم هذه المناسبة لاقدم له من صميم فؤادي تهنئاتي الخالصة لاختياره عضوا في المجمع اللغوي بدمشق وقد أعطي القوس باريها .

جبلة ـ سورية — رشاد علي أديب

حكاية البيت الشامي الكبير

تأليف الدكتور كاظم الداغستاني ـ ٢٠٦ صفحة ـ مطبعة الف باء بدمشق

قرأت « حكاية البيت الشامي الكبير » بمتعة ، ايما متعة ، ولقد استحثني القلم ، وانا اكتب هذه السطور ، ان استهلها بالملاحظات الثلاث التالية :

١ ـ طال بنا الزمن ، ونحن نقرأ لكتاب لم يتقنوا سبك الجملة بلغة عربية صحيحة ، وبالفاظ مختارة ، تنأى عن المتداول من الكلام المحكي والمنشور في صفحات الصحف اليومية . وهذا الكاتب .. ينجو من السقوط في منزلق الكلام المحكي ، والاسلوب الشائع في الكتابة .

٢ ـ من الممتع ان يتجسد فولكلورنا في روايات او قصص ، لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تربط المواطن بالارث الذي ورثناه عن الاجداد ، ان الفولكلور ، بشكله النظري ، من الجفاف بحيث يدفع القراء الى بحيرة من السأم ، اذا ما قدم اليهم مباشرة كما هو . وقد يكون الدكتور الداغستاني قد تعمد ان يجسد الفولكلور الشامي في ما يشبه القصة ، حتى يحبب الفولكلور وينقذه .

٣ ـ يجد القارىء المطلع على الكتب التي تتحدث عن دمشق القديمة (١) متعة اكبر وهو يقرأ هذا الكتاب .

تمتد الحكاية على اكثر من مئتي صفحة ، ملأى بالممتع والطريف، عائدة بالقراء الى دمشق القرن الماضي ، بنكهتها الخاصة ، حريمها ، طقوسها ، تقاليدها ، ياسمينها الذي يتسلق الجدران ، مربعاتها المفروشة بالطنافس ، ناسها واحوالها ، وما كان يجري في حركة الحياة اليومية فيها ، فكأن المؤلف يعرض فيلما .. نرى شخوصه بالطربوش والحجاب ، يقصون علينا حكايتهم كي يقولوا دونما مواربة ان دمشقكم التي تعيشون ليست سوى ابنة فتية لدمشقنا تلك التي كنا نعيش ، وان طبيعة التطور يجب الا تقصي دمشقيا عن دمشقه القديمة ، فمن لا يؤمن بقديمه .. تاه ، كما يقول المثل .

لا يقول الدكتور داغستاني ذلك مباشرة . ان مجرد العودة الى دمشق ما .. ووضع الموضوع على المائدة يعني هذا ، وما آخذه عليه هو ان القصة المروية لم تكن قصة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، فالمؤلف يقحم نفسه في اكثر من موضع ، والجمل والكلمات التفسيرية ظاهرة ملحوظة في النص ، وكثيرا ما تستيقظ حاسة الفولكلوري في نفس الدكتور الداغستاني ، فيعقب على مسالة ما .. شارحا ، وفي الوقت نفسه ناسيا السياق القصصي ، واحيانا يمضي في الشرح فيفسر صنعة دمشقية كما اوردها القاسمي في قاموسه .. وهكذا .

ان هذا المأخذ لا يتبلور في موقف نقد ، فمن طبيعة الموضوع ، وربما بسبب مخطط وضعه الدكتور داغستاني للكتاب ، ان يخرج كتابه بهذا الشكل الشبيه بالقصة . واذا كان لا بد من كلمة اختتم بها هذه السطور .. فالاعجاب بالحكاية ، والدعوة الى الاكثار منها .. والتنويه بأن سطورا كهذه لا يمكن ان تكشف او تعرض حياة كاملة صبها الكاتب في مئتي صفحة .

دمشق — عادل أبو شنب

١ ـ « حوادث دمشق اليومية » للبديري الحلاق ، الذي يؤرخ لفترة من تاريخ دمشق في القرن السابع عشر .

سعر الاديب في
تونس
٢،٥٠ فرنك



● الرؤيا الابداعية في شعر البياتي ـ تاليف عبد العزيز شرف ـ ٢١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٤٤ في سلسلة الكتب الحديثة ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام ـ دار الحرية للطباعة ببغداد ـ مطبعة الجمهورية ببغداد .

● الشعر العربي منذ مطلع ١٩٧١ لغاية اذار ١٩٧٢ ـ اعداد ميخائيل عواد وطراد الكبيسي وعبد الجبار داود البصري ـ ٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر بمناسبة انعقاد مهرجان المربد الشعري الثاني في البصرة من ١ ـ ٥ نيسان ١٩٧٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد .

● ضفاف الهوى ـ مجموعة شعرية ـ رضا الفيلي ـ تقديم محمد عفيفي ـ ١٦٨ صفحة ـ مع لوحات فنية ـ مطبعة حكومة الكويت .

● عندما تحب المرأة ـ مجموعة قصص ـ تاليف حلمي مراد ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٢ ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● دراسات وتراجم عراقية ـ تاليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ـ تاليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ . ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ اربعة اجزاء ـ الجزء الاول ٤١٠ صفحة ـ الثاني ٤١٨ صفحة ـ الثالث ٣٤٠ صفحة ـ الرابع ٣٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ مطابع دار صادر ببيروت .

● شجرة محار ـ مجموعة من النثر الفني ـ تاليف محمد الصباغ ـ ١٥٦ صفحة ـ سلسلة « والقلم » رقم ١ ـ منشورات وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي مديرية الشؤون الثقافية في الرباط بالمغرب ـ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية في فاس بالمغرب .

● ذكرى العودات (البدوي الملثم) ـ الكلمات والقصائد التي القيت في حفلة التأبين والقصائد والكلمات التي كتبت لهذه الذكرى ـ اعداد مكتب لجنة التأبين ـ ٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القوات المسلحة الاردنية في عمان .

● قرقيسيا (قرية البصيرة) قاعدة وادي الخابور ـ دراسة تاريخية جغرافية ادبية اقتصادية ادارية رائدة ـ تاليف عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها بدير الزور ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المدن الفراتية القديمة في سورية رقم ٢٢ ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ صدر في دير الزور سورية .

● سطر مفلوط وقصص اخرى ـ تاليف احسان كمال ونجيبة العسال وهدى جاد ـ تقديم الدكتورة نبيلة ابراهيم ـ ١٨٠ صفحة ـ الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● مأساة حب ـ رواية قصيرة ـ تاليف عبد العزيز رجب ـ ١٠٦ صفحة ـ توزيع دار الحضارة (؟) ـ مطبعة العلم (؟) ـ (طبع في سورية) .

● ارمينية في التاريخ بالعربي ـ تاليف اديب السيد ـ ٣١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الحديثة بحلب .

● المكتبة ومنهج البحث : دليل الباحث والطالب الى وسائل استخدام الكتب والمكتبات ـ تاليف عبد الجبار عبد الرحمن ماجستير في علم المكتبات مدرس في كلية الاداب وامين مكتبة جامعة البصرة ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الطباعة الحديثة بالبصرة العراق .

● الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ـ تاليف جورج شهلا وعبد السميع خربلي والماس شهلا حنانيا ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نال جائزة جامعة الدول العربية لسنة ١٩٥٦ ـ طبعة جديدة منقحة ـ دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت .

● حكاية مجانين ـ مجموعة قصص ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ مصمم الغلاف الفنان بهجت ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص قصيرة جدا ـ تاليف فتحي الابياري ـ صمم الغلاف الفنان احمد مصطفى ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكتب الجامعية بالاسكندرية ـ دار بور سعيد للطباعة بالاسكندرية .

● متاعب المعلم ـ مجموعة شعرية ـ محمد فهمي الحمدان ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الوطن العربي بحلب .

● القانون في الطب لابن سينا ـ طبعة رومية ايطاليا سنة ١٥٩٣ ميلادية : كتاب الادوية المفردة والنباتات ـ شرح وترتيب جبران جبور ـ قدم له الدكتور خليل ابو خليل ـ تعليق الدكتور احمد شوكت الشطي ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الطلاب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص « ابو هاشم » ـ المجموعة الاولى ـ تاليف عبد اللطيف هاشم السعدي ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة دار السلام ببغداد .

● اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر منذ تاسيسها الى اليوم ١٩٦١/١٩٧٢ ـ اعداد عيسى الناعوري سكرتير اللجنة ـ ٨٠ صفحة ـ مطبوعات وزارة التربية والتعليم الاردنية ـ مطبعة القوات المسلحة الاردنية .

● من وحي فلسطين : في غمرة النكبة ـ مجموعة شعرية ـ كامل الدجاني ـ ٦٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (طبع في بيروت).

● الموسوعة الموجزة ـ المجلد ١ رقم ٤ حرف ث ـ تاليف حسان بدر الدين الكاتب ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء /الاديب بدمشق .

● اعترافات المتهم الغائب ـ مجموعة شعرية ـ معد الجبوري ـ مصمم الغلاف خالد النائب ـ ٧٢ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام على نشره ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق.

● احلام الدوالي ـ مجموعة شعرية ـ حافظ جميل ـ صمم الغلاف صادق سميسم ـ الرسوم الداخلية خالد النائب ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٢ في سلسلة « ديوان الشعر العربي الحديث » منشورات وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ببغداد ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● في انتظار اوبة الجواد ـ مجموعة شعرية ـ فتحي الكواملة ـ تقديم الدكتور عبد الرحمن ياغي استاذ الادب الحديث بالجامعة الاردنية ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● في الادب العباسي ـ تاليف محمد مهدي البصير ـ الطبعة الثالثة ٤٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف العراق .

● نواح المزرعة ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور سليمان داود ـ الجزء الثالث ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة دار الريحاني ببيروت ـ مطابع مؤسسة دار الريحاني ببيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مؤلفات الدكتور يوسف عز الدين

باللغة العربية

الشعر العراقي في القرن التاسع

دراسة مستفيضة عن تيارات الادب والفكر في هذا القرن . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

بحث شامل عن تاريخ العراق المعاصر وشعرائه وحياته السياسية والاجتماعية واهم احداثه التي صورت في الادب . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الاشتراكية والقومية واثرهما في الشعر الحديث

اوسع دراسة عن اثر هذين التيارين في الوطن العربي . من محاضرات الدراسات العليا في القاهرة وبغداد .

فهمي المدرس ـ من رواد الفكر الحديث

بحث جديد عن الفكر العربي وتطوره والتجديد ومظاهره في الادب والصحافة وانشاء الجامعة الاولى في بغداد . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة .

خيري الهنداوي ـ شعره وحياته

ديوان الشاعر الكامل مع دراسة مستفيضة عن الحياة الاجتماعية والفكرية وطرف الشاعر وصلاته بالمفكرين ورجال الدولة . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية .

مخطوطة عربية في مكتبة صوفية البلغارية

اول كتاب يصف جملة كبيرة من المخطوطات العربية في بلغارية في الادب والتاريخ والجغرافية . مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

شعراء العراق في القرن العشرين

تراجم الشعراء باقلامهم كالرصافي والزهاوي وناجي القشطيني ومحمد الهاشمي وكاظم الدجيلي مع ثلاثين من الشعراء المعاصرين في العراق مع اجمل المختارات الشعرية واعذبها .

داود باشا ونهاية المماليك في العراق

اول كتاب صدر باللغة العربية عن والي بغداد المشهور مع رسائله الخاصة التي كان يكتبها لاسرته باللغة الجورجية مع تركيز على حياته الخاصة .

في الادب العربي الحديث

هذه مقالات نقدية احدثت ضجة كبيرة ونفدت الطبعة الاولى فيها حياة الشعراء العرب النفسية ، مشكلات الادباء والمفكرين الخاصة. وطبعته الثانية تظهر قريبا في القاهرة عن دار الكاتب .

في ضمير الزمن

الطبعة الثانية من الشعر الرقيق الذي لم تبق الطبعة الاولى الا قليلا . وقدم لها الشاعر الكبير صالح جودت بدراسة مفصلة عن منزلة الشاعر بين شعراء عصره مثل الشاعر ناجي ورامي وشعراء ابولو .

الحان

مجموعة الشعر الذي نظم ايام الجامعة حياه في المقدمة الشاعر الكبير احمد رامي بقصيدة من خرائده . والطبعة الثانية طبعت في القاهرة.

لهاث الحياة

ذكريات اوربا في حلوها ومرها ومرحها وبؤسها سجلها في شعر لذيذ جميل . طبع في بيروت .

من رحلة الحياة

مختارات عذبة من شعر الشاعر مع ترجمة لحياته من بعقوبة الى لندن وما قاساه من صعاب وما واجهته من عقبات وكيف ذللت .

النصرة في اخبار البصرة

نسخة فريدة وحيدة من دراسة لحياة البصرة في القرن التاسع عشر الاجتماعية والاقتصادية والزراعية حققها الكاتب وعلق عليها تعليقات مثيرة في هذه الفترة من التاريخ في العراق . تطلب من مكتبة المثنى في بغداد والمكتبة العصرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

الاتجاه الاسلامي في شعر خالد الشواف

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

متى ما عرفنا ان خالد الشواف ينسل من بيت فضيل.. عريق في احتضان المجد الديني والعلمي بالعراق وتوطيد المثل الروحية والخلقية على قدر مستطاع في مسالك المجتمع واقامة الحياة على ارهاصات ما توارثناه من المعاني والمبادىء وعلى اصالة ما تداعى الينا عبر القرون من التعاليم والمشخصات ، ادركنا الى اية درجة يتجاوب في قرارته مع اصداء هذا المجد ويدعو الاخرين بلسانه وبيانه وفي كل سانحة الى استشراف شمائله واثاره والذب عن حوضه بكل ما ترصد من امكانات وجهود ، حفاظا على ما لا بد منه من عاديات الدهر وتخليدا لما ينبغي من ذخر الحضارة .

كان لهذه التربية الرائعة بكل ابعادها انعكاس ايجابي على شخصيته ومزاجه .. على واقعه الفكري والادبي .. حيث صقلته عقليا وصهرته وجدانيا وسوته خلقيا ، في حين يمكن وفي احوال اخرى ان يصبح رد الفعل مضادا لدى البعض ممن هم على هذا الطرز من ابناء الجيل .. اي جيل .

وارد ذلك ... مهما يكن من شيء فان مبعثه في الاستعداد الفطري والسلوك النفسي لدى المرء ، لا يلبث ان يتأثر بتيارات البيئة ومنطلقات اللحظة الحضارية وتناقضات القيم المجتمعية السائدة اما لتقبل مثل هذه الاسباب والرضوخ لها ، واما لمقاومتها يعني رفض الهزيمة امامها .

ولما كان الشواف وما ينفك شاعرا مرموق المكانة في الادب العراقي المعاصر ، له موقفه وهدفه ، فان واقعه الشعري تتنازعه اتجاهات ثلاثة ، هي الاتجاه المسرحي المتمثل في مسرحيات (شمسو . الاسوار . الزيتونة) والاتجاه القومي والوطني المتجلي في ديوانيه (من لهبي الكفاح . حداء وغناء) ، ثم الاتجاه الاسلامي البادي في قصائده الجياد الكثار هنا وهناك ولا ينتظمها ديوان مستقل بعد .

غير مقبول من الوجهة العلمية ان يتغافل عن هاتيك الاتجاهات المتميزة اي باحث وكاتب في شاعرية الشواف ولاي اعتبار كان وهو يحاول توضيح خصائصها الفنية ومنطلقاتها الاساسية وان كنا نحن نحسب ان الغلبة هي للاتجاه الاسلامي بسبب من الارضية العريضة .. المتينة التي يقف عليها الشواف ويستقي من اصالتها مضموناته الشعرية والفكرية ويدعم بها نظراته وخواطره الخاصة والعامة .

ولو سرحنا نظرة عجلى في مسرحيتي الشواف الشعريتين : (شمسو . الاسوار) ، لطالعتنا فيهما ومضات مشرقة من النفحات الاسلامية والعربية بينما نجد مسرحيته « الزيتونة » يسودها الطابع الاسلامي المحض فكرة وغاية .

جاء في نهاية الفصل السادس من المسرحية :

الرجل :

دخلناها وتكبيرنا يصعد من افواهنا والقلوب
ويمم الكعبة خير الورى في موكب لله فخم مهيب
فكبت الاصنام من فوقها ومن حواليها وقام الحبيب
فطهر البيت وصلى به وكبر الله السميع المجيب
واقبلت من بعد افواجنا تسعى وفي كل فؤاد وجيب
وجاءت الافواج من مكة تشهد لله وللمصطفى
وتنبذ الشرك واصنامه ، فقد هداها الله فيمن هدى

احد الحاضرين :

ما فعل المختار صلى عليه الله فيمن ناله الاذى

الرجل :

قال لهم ماذا تراني بكم افعل ؟ قالوا لابر الورى :
خيرا .. اخ انت كريم .. فما كذبهم في ظنهم بل عفا

بعد ان توضحت لنا معالم الطريق بالنسبة الى استئثار الاتجاه الاسلامي بشعر الشواف باتت الاطلالة عليه والحديث عنه شيئا ذا بال ...

مسلم به ان شاعرا في مستوى المسؤولية الادبية والتاريخية كالشواف اشرب تعاليم الاسلام واستوعب معظم حقائقه وحوادثه واستوقفته اكثر حركاته ومواقفه لا مندوحة له عن تحشيد قواه المخزونة من اجل الانهاض بالكيان الحضاري للاسلام والعرب .. هذا الباقي بقاء ابديا ، وصد افاعيل الكائدين والمستعمرين ، كذلك لا مندوحة له عن تصوير ما تتابعت عليه من اخطار وخطوب وما منيت به من هزائم وخسائر ، مقارنا بين اقباله وادباره .. بين ماضيه وحاضره .. بين عزه وذله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. بين ايثاره الجهاد في سبيله والقعود عنه .

لنسمعه ماذا يقول في قصيدته « عز الماضي وذل الحاضر » :

فقد رأيت الهداة الراشدين على ... ما شاء مرشدهم من منعة وتقى
وكنت في عبد شمس لا اكاد ارى ... شبرا من الارض لم يزجوا له البلقا
وكنت في ال عباس يجاذبني ... للسيف والعلم برد الفخر ما استبقا
وكنت عند بني الزهراء في كنف ... يضيئه ازهر مثل السها القا
وقد رأيت صلاحا في ملاحمه ... تعشو النجوم اذا بناره برقا
طوفت فيهم وبي من عزة صيد ... وقد لويت بكم من ذلتي العنقا
من ذا اذلكمو يا قوم ويحكمو ... هل طاف بالذل فيكم طائف فسقى
من الملوم على ما صار امركمو ... اليه ؟ والكل لوام اذا نطقا

وقوله في قصيدته « ذكرى وشكوى » يثير الشجو والشجن :

هذا رسول الله حاضر امة ... كانت لصولتها الجبابر ترعد
عزت بدين الله يوم مشى بها ... في نوره ومشت به تسترشد
كان الجهاد يقود منها جحفلا ... في الله يستل السيوف ويغمد
ويدك ما شاد الضلال من البنى ... ويقيم اركان الهدى ويوطد
وملاك عز المسلمين جهادهم ... ان الجهاد هو العلى والسؤدد
ارأيت كيف ـ اذا الجهاد مضيع ... ركنوا الى الذل المرير واخلدوا
والذل ان ركب النفوس تحملت ... ما ليس يحمله الصفا والجلمد

ويسوق اللوم والعتبى معنفا في اسلوبه الشعري المباشر وخطابه العام :

ويدور الزمان دورته النكر ... فنناى عن الهدى ونجافي
فاذا نحن كثرة وعديدا ... كغثاء في غامر السيل طاف
اين كنا ؟ واين عدنا وماذا ؟ ... حل بالركب اخريات المطاف
لا تسلني .. فالقوم اعجاز نخل ... صرعتها من السموم سوافي
اظماتنا الحياة حين ضللنا ... فمتى العود للمعين الصافي

ولكن الشواف في قصيدته « ذكرى الاسراء في عام النكسة » تجيش عواطفه لاهبة لما لحق ببني قومه .. بني وطنه ، وتتجدد احزانه ثائرة على أولئك المارقين المتهاونين في غسل العار العربي بفلسطين على نحو يتناهى الى نصابه اذا صدقت النيات وصحت العزائم :

يا بارك الله في الذين لهم ... من الجدود المثال والشيم
الشاهرين الفداء اسلحة ... والمسرجين الحتوف تقتحم
والناثرين الرصاص في عرس ... تخضب فيه الجباه واللمم
والنابذين الحلول مخزية ... والرافضين السوام يهتضم
والاخذين الحياة مأخذها ... غابة وحش بالناب تقتحم
لا يحكم العدل في مساربها ... بل الغلاب المفرج الحكم

انما الشواف في تناوله الصور التاريخية والحوادث السياسية ، تلك التي سبقت واعقبت ظهور الاسلام وفتوحه وخلقت الاجواء الملائمة لتطور كثير من الافكار والمفاهيم الى غير ما كان منتظرا لها ، وبروز مسالك جديدة في حياة الامم ومواقفها ـ نقول في تناوله اياها انما يجسدها باخلاص موضوعي وصدق فتى لكون الاول عملية خارجية تخضع للواقع المادي ولكون الثاني عملية داخلية تخضع للتجربة الذاتية .

ومن الاحداث على سبيل الذكر « ميلاد الرسول » صلى الله عليه وسلم . « العام الهجري » . « موقعة بدر » . « ليلة القدر » . « الاسراء والمعراج » وما اليها .

فقد قال في قصيدة « ذكرى وشكوى » :

هزج على شفة الزمان مخلد ... تغنى الملاحن وهو باق سرمد
ينثال في سمع الوجود وقلبه ... فاذا الوجود مرنح يتاود
يا موسم الهدي المبارك مرحبا ... لم لا تحييك الشداة وتنشد
انت الربيع فكيف لا تشدو به ... ان البلابل في الربيع تغرد
مسحت مواجعها وقد طالعتها ... مهج لتبسم للحياة واكبد
وطلعت انت وكان فيك المولد ... وظللت وحدك خالدا تتجدد
هيهات لا تنفض سوق للهدى ... في الارض واسم (محمد) يتردد

كذلك يقول في قصيدة «موسم المجد » الخاصة بذكرى موقعة بدر الكبرى والحاسمة في تاريخ الاسلام والعرب :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا غاية في ذاتها . فالعملية عملية ربط تاريخي ومزج فني للخروج منهما بصورة اكثر واقعية واوسع افقا واعمق رؤى ...

دونك قصيدته « ليلة القدر .. دعوة » فانك لواجد وصفه ليلة القدر بكل مظاهر التجسيم الموضوعي والفني ولكنه ينتقل بحكم طبيعة الاشياء التي تفرض وجودها الى اهم ما كان يشغل البال ويكتنف الحال يومذاك من عام ١٩٥٤ ، داعيا الى الثورة على الاستعباد والارهاب ومن ورائهما الاستعمار البغيض والتطويح بالسالبين حقوق الشعب والسارقين قوته والساحقين امانيه وتطلعاته .. هذا الشعب المغلوب على امره .. المعزول سياسيا وفكريا عن العالم الخارجي بكل اهوائه واضوائه .

هكذا يستهل قصيدته :

هي حتى مطلع الفجر سلام ... فسلام ليلة القدر سلام
ليلة الذكر ضياء وهدى ... ودعاء مستجاب وقيام
كم امان سبحت في جنحها ... مثلما يسبح في الجو حمام
الهدى والامن والسلم بها ... حلم العالم والافق قتام

ثم يستطرد :

ليلة الران كم جرح له ... بهدى آياتك الغر التئام
اقبلي بالبلسم الفذ الذي ... فيك فالارض احتراب واختصام
مرجل تذكي المساعير اللظى ... تحته والحطب الجزل الانام
بدت الشحناء في افواههم ... فادرايها اول الحرب كلام
اوشكوا ان يربطونا حزمة ... في اللظى تلقى اذا اشتد الضرام
اوشكوا فالقوم ايقاظ لما ... بيتوا والمصطلو النار نيام

وينتقل الشاعر الشواف انتقالا طبيعيا الى عرض ما يثقل الفكر هما ويزيد القلب كدرا :

هذه (الاحلاف) لا شان بها ... لك يا شعب ففيم الانضمام
دفعوا عن (عالم حر) وما ... انت بالحر فما ثم التزام
انت مقهور مضام ومتى ... نصر القاهر مقهور مضام
نهبوا ارضك زيتا وجنى ... واستباحوا واباحوا واساموا

ويشن الشواف حملة شعواء شديدة على حضارة الغرب الغارقة في حمأة المادية .. لانها جاءت تناهض الاسلام جهرة لطمس معالمه الانسانية وشعائره الازلية الابدية ، واحلال مفاهيم الانحلال والتحلل والكفر والعهر محلها ، ولانها حضارة لا تعترف بحقوق الانسان بالمعنى الصحيح ـ كما تدعي ـ بقدر ما تشجع التفرقة والضغائن وتنازع البقاء بين الامم وتأليب الظالم على المظلوم ، وايثار الدجل السياسي والدعارة الثقافية لبث السموم وتحقيق المآرب :

من سطوة الذر والمكروب سطوتهم ... بئست بطولتهم فتك واسقام
رسل الحضارة لا كانوا ولا شمخت ... حضارة رسلها في الارض اقزام
مزرعيها الامن ما في الشرق حاق به ... وحارسو الامن انصاب واصنام
من العدالة من اخلوا ديارهمو ... لفاصبيها ومن بادوا ومن هاموا
من المساواة ان المؤمنين بها ... من ولد آدم الوان واقسام
جلوا حضارتهم جسما وما حفلوا ... بروحها فهي تزييف وايهام
ان النفوس اذا ما شابها كدر ... لم تصف ما بلغت في اللطف اجسام

اما خواطره في « موكب الذكرى » فتنثال وتتداعى حتى ليرتفع بها الى ذروة الادراك الكلي العميق في مجابهة الحقائق المرة والفجائع القاصمة ولمس خطورة الحال التي سنتردى في اغوارها اذا ما امعنا في الارتماء كالعميان في احضان الحضارة الغربية .. لا نميز الخير من الشر .. ولا الصالح من الطالح :

يا ايها الشرق هل اقصيت منتجعا ... وافى حياضى فلم يعبق بها فمه
اما ترى الغرب مسعورا به شره ... فكيف غرك مسعول ينمنمه
هو المريض وهل يشفيك من رهق ... من لم تبل من الادواء اعظمه
اي السراطين اهدى للتي انقطعت ... ما كله بان .. ام غاب معظمه
واي ركنين اوى للتي اغتربت ... ما يدعم الله ام ما الغرب يدعمه

ويرى الشواف ان الوحدة تضع حدا لكل هذا الذي ينيخ بكلكله ويقض المضاجع ..

من هنا يدعو الى هذه الوحدة لتكون درعا واقيا من المضاعفات المحتملة ولتصبح اداة تنفيذ لتحقيق الاحلام والمطالب المشروعة :

اعتصم بالوحدة الكبرى فما ... في سواها لك يا شعب اعتصام
انها عروتك الوثقى وما ... لعرى يمسكها الشعب انفصام

ثم يعزز موقفه الوحدوي .. لان الوحدة هي ضربة للاستعمار وحد من تدخلاته وتطاولاته :

انما العزة في وحدتنا ... فاقيموا صرحها تحيوا كراما
من يرى الوحدة شرا غير من ... قلبه عن كل خير يتعامى

تحتل قضية فلسطين في شعر الشواف المكان الحري به لارتباطها بالوجود الاسلامي والعربي ارتباطا دينيا وتاريخيا يستحيل ان يأتي عليه الزمان ـ مهما تمادى ـ بالنسيان ، ومهما حاول الصهاينة والمستعمرون تشتيت شمل المسلمين والعرب والهائهم عن ما يشغلهم وتحطيم وحدة الدين واللغة والشعور .

لذا فان الشواف بايحاء وجداني ينعطف في معظم قصائده الاسلامية ذات المسحة الرومانسية تارة ، وذات الاسلوب الخطابي المباشر اخرى ، بحسب الحالة النفسية التي يمر بها ، الى محنة فلسطين تصويرا وتفسيرا ... تعبيرا وتعليلا ، كما هو الشأن في قصيدة « قبس من بدر » :

يا فلسطين ... طوينا صفحة ... جللتها نكبة الامس سوادا
تخذ العار الذي سطرها ... من دم سال ومن دمع مدادا
كم طوينا قبل ان نطويها ... سنوات مكفهرات شدادا
يا فلسطين .. وهذي صفحة ... بدءها كهان وناما واتحادا
فتحتها ذروة العرب التي ... هرعت يوم دعا الداخي ونادى

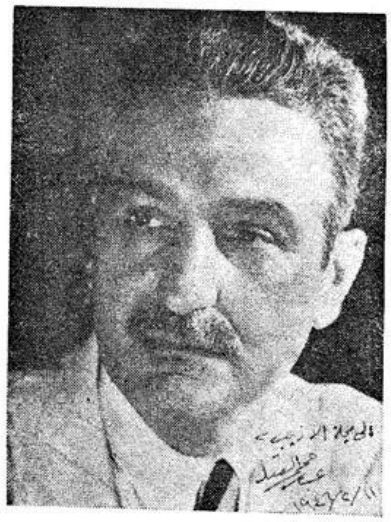
ويقول في قصيدة اخرى لا تقل عن سابقتها أثرا وتأثيرا :

ايه فلسطين .. يا جرحا بعزتنا ... ولا ضماد بغير الحقد والغضب
متى ترف بك الرايات خافقة ... ويمحق الجد عار الهود واللعب

ثم اسمعه يقول .. وما اصدقه .. فالنبرة شجية .. والهم كاسح :

وهبوا قدسك للقوم الالى ... ضربوا في التيه اجيالا وهاموا
شردوا منبك الوفا لم يعد ... لهمو الا الصحارى والخيام
ان يكن فيك كفاء فادفعن ... عنك من ساموك خسفا واستضاموا
ان يكن فيك اباء فانبذن ... من اقاموهم على الامر فقاموا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عباس محمود العقاد

عباس محمود العقاد المفكر العربي

بقلم عبد القادر حلمي طوى

* * *

يقول ارسطو « ان السعادة في العمل وان احسن حياة هي حياة الفكر » ذلك ان الفكر في رأيه هو الدليل على ما انفرد به الانسان من تفوق وامتياز وان « العمل بالانسان هو ان تعمل نفسه بالاتفاق مع عقله » .

وهكذا كانت حياة العقاد قدرة وقدوة ، جهدا وجهادا ، عمقا للفكر وللحياة . وقد امتد نشاطه الذهني الى ميادين واسعة فكانت النتيجة ان عمقت نتائج بحوثه ادراكنا للحياة .

ولد العقاد في اول يوليه ١٨٨٩ بمدينة اسوان وكان الولد الثاني لخمسة من الاشقاء منهم ابنة واحدة وثلاثة من غير الاشقاء للسيد محمود ابراهيم مصطفى العقاد . وهناك نشأ وتعلم وتخرج من المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ واشتغل مدرسا في احدى المدارس الخيرية الاسلامية ، وفي عام ١٩٠٧ عمل محررا في صحيفة الدستور ...

وكانت سماء مصر وقتذاك مرتعا في مطلع هذا القرن امتدادا لقرن آخر قد سبقه للفكرة العثمانية الاسلامية وللفكرة الفرعونية وللفكرة المتوسطية . ولم تكن نفس العقاد تميل الى الفكرة الاولى ولذلك سكت عن رثاء مصطفى كامل رأس الدعاة الى العثمانية ، بينما رثى محمد فريد لانه ادرك ان الفكرة الوطنية المصرية عند فريد اعمق واغزر منها عند مصطفى كامل ...

وفي عام ١٩١١ كان اللقاء بين العقاد والمازني وشكري ... وفي عام ١٩١٢ توظف العقاد في امانة سر المجلس الاعلى بديوان الاوقاف ثم ترك تلك الوظيفة الى العمل كمحرر بجريدة الاهالي بالاسكندرية ، ويتم الاتصال بالوفد المصري ويظل العقاد وفديا حتى عام ١٩٣٥ ... وقبلها بخمس سنوات يدبر القصر الملكي مؤامرة له ليدخل السجن مدة تسعة اشهر كما لا يتوانى عن تدبير حملات هجومية ضده بأقلام المغرضين ...

وقد نحت العقاد طريقه وحده دون عكازة او معونة أحد ، وانما تسلح بكفاح كرامة وسمو ارادة وعقيدة عميقة الاسم والاثر في دنيا الفكر والناس ... وقد شاد مثل هذا الصرح الرائع من التفكير معتمدا على بصيرة نافذة وعلى « جنوحه الى الفلسفة والتأمل واعتصامه بالمنطق الذي يفيد في الجدل والمناظرة » .

يقول العقاد : « الفلسفة تعلمنا ان العدم معدوم ، فالموجود موجود . موجود بلا اول ولا آخر لانك لا تستطيع ان تقول : كان العدم قبله او يكون العدم بعده . وموجود بلا نقص . لان النقص يعتري الوجود من جانب عدم ولا عدم هناك . موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقص ولا قصور . والوجود الكامل الامثل هو الله » .

ويتصدى العقاد للتيار الالحادي ويبث الثقة في النفوس بالتوحيد والايمان حيث « ... ان مسألة وجود الله مسألة « وعي » قبل كل شيء . فالانسان له «وعي» يقيني بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ولا يخلو من « وعي » يقيني بالوجود الاعظم والحقيقة الكونية ، لانه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه . والوعي والعقل لا يتناقضان وان كان الوعي اعم من العقل في ادراكه لانه مستمد من كيان الانسان كله ومن ظاهره وباطنه وما يعيه هو وما لا يعيه ولكنه يقوم به قياما مجملا . ونحن نخطىء فهم العقل نفسه حين نفهم انه مقصور على ملكة التحليل والتجزئة والتفتيت وانه لا يعمل عمله الشامل الا على طريقة التقسيم المنطقي وتركيب القضايا من المقدمات والنتائج واثباتها بالبراهين على النحو المعروف ... » .

ويعتز العقاد « بالفرد » ايما اعتزاز ويوقف قلمه وفكره للدفاع عنه ولتثبيت كيانه امام طغيان الجماعات وامام الظروف الاقتصادية الساحقة والاحوال المادية :

« وليس الفرد لغوا الى جانب المجتمع او الاحوال الاقتصادية ولكنه شيء والمجتمع شيء والاحوال الاقتصادية شيء . وليس من الضروري اللازم لادراك حقيقة من الحقائق الاجتماعية والفلسفية ان تلغي شيئا من هذه الاشياء وتغليب الشؤون الاقتصادية او تغليب الدوافع المادية على دوافع الحياة في الافراد هو في الواقع « قدرية » جديدة يلجأ اليها العاجزون في زماننا هربا من

التبعة كما لجأ العاجزون فيما مضى الى قدرية القرون الوسطى . كان العاجزون فيما مضى يقولون: ماذا نصنع؟ وما الحيلة ؟ هذا قدر مكتوب لا حيلة فيه ! فأصبح العاجزون في زماننا يقولون: ماذا نصنع؟ وما الحيلة؟ هذه ضرورات الاقتصاد التي تسيطر على ارادة الافراد » (١).

ونتيجة لذلك يرى العقاد « ان الاصلاح الذي يلغي حرية الفرد فساد شر من كل فساد » و « مقاييس التقدم كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فاذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم واذا قسناه بالغنى فقد يغنى الجاهل ويفتقر العالم . واذا قسناه بالعلم فقد تعلم الامم المضمحلة الشائحة وتجهل الامم الوثيقة الفتية . الا مقياسا واحدا لا يقع فيه الاختلاف والاختلال وهو مقياس المسؤولية واحتمال التبعة ... »

ومنبع الاهمية في موقف العقاد في جانب الفرد انما يرجع الى رغبته في حماية المجتمع ذاته ، وذلك للحيلولة دون احتكار السياسة ، فالحرية الفردية هي ضمان التربية السياسية والاجتماعية لدى الافراد من اجل خدمة المجتمع السليم ولتوفير وسائل التثقيف وللتعود على تحمل المسؤوليات والحرية بعد ذلك عبء ومراس لمباشرة التعاون مع المجتمع الذي يعيش فيه الفرد (٢)..

وقد شنها العقاد حربا لاهبة على كل المذاهب الجماعية والشمولية التي تهدم « الانسان الفرد » او تطحنه في ساقية الجماعة مهما كانت تلك المذاهب والمبادىء مغلفة بالمثالية او المادية او غيرهما ، ولذلك كان العقاد عدوا للاضداد مفندا لحججها كاشفا لاساليبها : حارب الشيوعية والراسمالية والصهيونية والامبريالية والدكتاتورية ، وكانت الهجمات قاسية ومتبادلة خرج العقاد منها باوفى نصيب وباكرم جزاء ...

قاوم العقاد بكل عنف رياح الدعوة العامية التي

الشيوعية والراسمالية والصهيونية والامبريالية والدكتاتورية ، وكانت الهجمات قاسية ومتبادلة خرج العقاد منها باوفى نصيب وباكرم جزاء ...
قاوم العقاد بكل عنف رياح الدعوة العامية التى

ان العرب المسلمين قاموا بثلاثة فتوحات في آن واحد هي : الفتح البلداني والفتح الديني والفتح اللساني ومن غير شك فقد استغرق الفتح الاخير مدة اطول وجهدا أعمق ...

ولقد كانت ذخيرة العقاد من مفردات اللغة العربية وتراكيبها خير عون له في توضيح اصالتها ودقة ابنائها في استخدام كل لفظ ومعنى فمثلا اللغة العربية « تمتاز على سائر اللغات بكلمات ثلاث يمكن ان تستخدم لمعاني السنة المختلفة وهي السنة الفلكية ، والسنة من الموعد الى الموعد ، والسنة التي تتم بها الفصول على اختلاف ترتيب الشهور » « وقد وجدت في اللغة العربية كلمات لكل لحظة من لحظات النهار والليل » و « قد احتوت اللغة العربية كل جذور الالفاظ التي يقال انها الاصل في تسمية آدم وحواء . فشراح العهد القديم يرجعون باسم (آدم) الى كلمة (دم) بمعنى الاحمر او كلمة (ادمو) الاكادية بمعنى المجبول او المصنوع . واللغة العربية فيها مادة الادمة بمعنى اللون الاسمر الى احمرار ومادةالادمة بمعنى القرابة ، ومادة الادمة بمعنى المواءمة بمعنى التوفيق بين زوج وزوج لان آدم زوج لحواء . اما اسم (حواء) فقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين في العهد القديم انه مأخوذ من الحياة (ودعا آدم اسم امراته حواء لانها ام كل حي). ومادة الحياة موجودة في اللغة العربية ، كما توجد فيها مادة (الحوة) بمعنىاللون الذي يشبه لون آدم ، ومنه قوله تعالى : « ... والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (٤)

ويتجه فكر العقاد في بساطة وعمق واقتدار الى تعميق رسالة الادب فينفوسنا(٥) «الادب تعبير. والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل ان تلحظ فيه الغايات ... والرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع ان يعبر استطاع ان يفهم نفسه ويفهم ما يريد واستطاع

تعميق رسالة الادب فينفوسنا(٥) «الادب تعبير. والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل ان تلحظ فيه الغايات ... والرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع ان يعبر استطاع ان يفهم نفسه ويفهم ما يريد واستطاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النغم الخامس والستون

من ديوان « رسوم النغم المفكر » تحت الطبع

لبنان أنت مواسم الالوان ... وحكاية الازهار للغدران
الصخر فيك متاحف مبثوثة ... كمقاعد فرشت على الشطآن
يتفيأ التاريخ تحت ظلالها ... كتفيوءي في ظلك النشوان
من ها هنا اذا ما اوغلت ... نشواتها بدمي شدت أحزاني
وعيون من تهفو لهن نوازعي ... زرقاء بالعطش الشهي رواني
بيض الوجوه كانهن مخابىء ... للعطر والبسمات والالحان
حركاتهن طلاقة ما أوقفت ... أشواطها الاغلال في الانسان
سامرت منهن النجوم على ربى ... والفجر مرسوما على أبدان
ثغر الى ثغر يتوق وآهة ... في آهة ويدان ثم يدان
مارست ألوان الجمال فلم أجد ... لونا كلون بنفسج ببنان
يومي الي مع المساء كانه ... بقيا نهار هائم حيران
من شاهد الوديان في اشراقها ... بل من رأى الاشراق في وديان
خضر يضرجها اخضرار راعف ... فكانها كون من الاكوان
كادت بها الالوان تنطق بعضها ... فلهن همس حكاية ومعان
ولهن شبه تلفت وتانق ... حتى كأن بيانهن بياني

لبنان جنتك من نواحي بسمة ... شعت على الشطآن والكثبان
لولا ثلوجك ما عرفت لهيبها ... والثلج بعض مواسم النيران
ما ابعدتك المبعدات فكلنا ... أبناء سائر هذه الاوطان
من هذه الارض التي لما تزل ... عذراء رغم تلاحق الحدثان
من هذه القمم المنيفة فكرنا ... ودماؤنا من عارم الطوفان
ولئن تناهبنا الزمان فاننا ... للآن فوق مذاهب الازمان
والارض مذ كانت مسارح فكرة ... شرقية النزعات والبنيان

الكويت — محمد الفايز

منه وهي شيء موجود لا خلاف في وجوده وهي مصدر التعبير والتعبير دليل الحياة ».

واننا نلاحظ على فكر العقاد ان سنوات عمره بما تحتويه من زاد وتحصيل لا تشكل فواصل او تصحيحا لمسار آراء سابقة وفي ذلك اكبر دليل على عبقرية العقاد وان عظمة فكره نتيجة الجهد الموصول وترى آراءه خلال عمره مطردة السياق متتابعة الفصول من تمهيد الى مقدمة الى نتيجة بعد التعليل والتحليل معتمدا في ذلك كله على المنهج النفسي والمنهج العلمي والمنهج النفساني. وقد تسلح العقاد حين خاض ذلك العباب بارادة لا تلين وفكر صارم ومنطق رصين وتحد جبار للاستبداد واليأس والجهل وايمان عميق بالحق والكرامة والحرية والجمال .

وكأنما يحيا العقاد بيننا اليوم جسدا وفكرا حين يشير الينا انه « لا فائدة من تعظيم خطر الصهيونية والارتفاع به الى ما وراء طاقة الجهود البشرية ولكن لا فائدة كذلك من تهويد هذا الخطر اذا لم يقترن تهوينه بالشروع في العمل المفيد ». و «انما نحن آمنون اذا واجهنا الغد المجهول بعدته وانما نحن مستعدون بخير ما نستطيع اذا خرجنا من الماضي الطويل بعبرته الوافية. وعبرته الوافية ان العقائد اثبت من السياسات . وان الامم اثبت من الدول وان الجاهل اعدى لامته من أعدى أعدائها . وما نكب الاسلام قط من حرب صليبية او من حرب استعمارية كما نكب من ابنائه الجهلاء ...»

الفيوم ـ دار المعلمات — عبدالقادر حلمي طوى

مسرح التمثيل

★

أأقضي حياتي في الوجود أمثل ... لتلك التي استاء منها وأخجل
أكاشف قلبي بالذي أنا صانع ... فتصفر نفسي عند نفسي وتضؤل
أألقى غريمي بابتسام ملاطف ... وفي مهجتي مما أكاتم مرجل
أأعبس في وجه الصديق مغاضبا ... وقلبي لمرآه يهش ويجذل
يلوح الضحى طلقا فأزعم أنه ... لبعض الهوى ليل على الكون أليل
وآكل أشهى ما أحب من الجنى ... فان سالوني قلت صاب وحنظل
أيناى شعوري عن حقيقة واقعي ... فكل الذي آتيه زيف مضلل
أأبغي رضا الاقوام بالغش مذعنا ... للقمة عيش تزدرى حين تؤكل
أعظم من لا يستحق وقد غدا ... بمنصبه المرموق يولى ويعزل
وأهمل ذا الفضل المبين لانه ... على فضله صفر من الجاه مرمل
وأرقب ما آتى فتصرخ مهجتي ... وان يك وجهي وحده يتهلل
أميس انتشاء حين تنعب بومة ... كأن الذي هز المشاعر بلبل
واكتب تقريظا لها متوقحا ... أبين فيه سحرها واحلل
ومن عجب يتلوه قومي كأنه ... لتصديقهم اياه وحي منزل
أسائل عقلي أين نفسي فانني ... أعيش بلا نفس ، وذلك مذهل
نأى الصدق عن عيني رواحا ومغتدى ... ولو جئته يوما لأسرع يجفل
وراعيت أهواء الانام فلم أزل ... أتابعها فيما أقول وافعل
وفيها الذي يؤذي الكمال اقترافه ... ولكنه للجاه نهج مذلل
يسير عليه اكثر الناس قبلنا ... وما عندهم عن وجهه متحول
ويا ربما قد دافعوا عن فساده ... وليس لهم غير اللجاج معول
قد اعتقدوه من صميم شعورهم ... وساروا اليه مهطعين فهرولوا
ولكنني بيني وبين مشاعري ... أضيق به ذرعا ، فما أتقبل
فيا مسرح التمثيل أيان تنقضي ... وتتركني حرا فخطبك معضل
وأعنف ما يهتاجني ان صبوتي ... أزيفها تزييف من يتنصل
أكاتم حبي وهو حق عواطفي ... فيقتلني الكتمان أو كاد يقتل
أكاتم حبي حين أظهر غيره ... وأرهق أعصابي فما تتحمل
أأعشق هندا ثم أذكر زينبا ... وأرسل اشعاري بها أتغزل
أمالي حق ان اجاهر بالهوى ... فسري ما بين الحشا متغلغل
وزهدني في الصدق بؤس رجاله ... فاكثرهم نابي المقام مقلقل
اذا قدروا من فاضل متحرر ... فآلاف آلاف تلوم وتعذل
واني على ما كان من سوء موقفي ... أقدرهم دون الورى وأبجل
أهيم بهم جهدي وأهوى نضالهم ... وأبغي بهم بعض اللحاق فانكل

الرياض ـ كلية اللغة العربية

محمد رجب البيومي

شمس الخريف الغاربة ، تلف بدفئها الفاتر ، الاجساد المكومة فوق مصطبة الدوار ، مهمومة مجهدة .. تفرش صفرتها المحمرة ، فوق شفاههم المرتعشة بالصمت ، المتلهفة الى الكلام .. تفضح الموج المتعب ، المتدفق من عيونهم اللاهية بالشرود ..

واذا تبدأ امواج المساء تجتاح مشارف الافق ، وتنشر عتمتها على امتداده، يرتفع صوت يذب الصمت من فوق الرؤوس :

ـ كانت ليلة سوداء ..

يتبعه صوت آخر :

ـ وامتد سوادها الى ما اعقبها من ليالي ..

في ذات اللحظة ، يظهر عند ناحية الدوار ، غريب يدثر بعباءة سوداء ، ويلف راسه وجانبي وجهه بكوفية صوف رمادية .. يقترب من الجالسين .. يصافح العمدة .. يحيي الآخرين بايماءات سريعة .. يفسح العمدة له مكانا بجانبه .. يتفحصه بعينيه .. يجلس متربعا .. لا يأبه للعيون التي ترمقه ..

يتوجه الى العمدة قائلا :

ـ لم يتضح شيء بعد ؟..

يرد العمدة وهو ما يزال يتفحصه بعينه :

ـ لا ..

ـ اذن .. لم يبق غير ان ينهض القتيل .. يعرفكم بنفسه .. ويدلكم على قاتله ..

ـ صدقت ..

ـ ما يثير الدهشة ان حادثة واحدة كشفت عن احداث كثيرة ..

ـ هذا ما يحيرنا ..

يعلق واحد وهو يعبث بعصاه التقطها من تحت قدميه المدلتين من فوق المصطبة :

ـ لم نتصور ان كل هذا سيكتشف دفعة واحدة ..

يقول الغريب :

ـ تحت الرماد جمر كثير ..

يمصمص ماسك العصاة شفتيه ويطرق برأسه .. ينزل الخفير البندقية من فوق فخذيه ويضعها فوق الحصيرة ، بينه وبين الغريب الجالس قبالته .. يدوم الصمت لحظة .. يقول الغريب :

ـ لكن صحيح لا أحد منكم يعرف القتيل ؟..

يسارع العمدة محتدا :

ـ لو كان أي واحد منا يعرف عنه شيئا لقاله للنيابة ..

ينبح كلب عند طرف من اطراف البلدة .. يجاوبه نباح كلب آخر.. تمر امراة .. تنظر الى الناحية الاخرى وهي تداري وجهها بذيل طرحتها ..

يواصل الغريب كلامه :

ـ الامر يا عمدة غريب للغاية ..

القتيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

والمفروض عليكم الا تتركوه دون تقصي ..

العمدة بضيق :

ـ النيابة قيدت الحادث ضد مجهول ..

ـ انتم تستطيعون تحقيق ما لم تحققه النيابة ..

ـ كيف ؟..

بنرفزة ..

يستمر الغريب بنبرة هادئة :

ـ لا تنس ان الطبيب الشرعي قرر ان القتيل اما انه احرق نفسه



.. او ان آخر اشعل النار في كومة الحطب التي كان يندس فيها للنوم.

يسأل الجالس عند آخر المصطبة :

ـ ولماذا احرق نفسه ؟..

يجيب الغريب وهو يلتفت ناحيته نصف التفاتة :

ـ هذا ما ينبغي ان تبحثوا عنه ..

ينظر العمدة الى الخفير .. يقول :

ـ قم هات الفانوس ..

يهم الخفير بالقيام .. يمد الغريب ذراعه .. يضغط براحته ركبة الخفير ويقول :

ـ لا داعي ..

يبقى الخفير قاعدا .. يرمي العمدة الغريب بنظرة مستغربة ولا يقول شيئا .. تخرج من باب الدوار صبية .. تمد يدها بصينية فوقها اكواب شاي صغيرة .. يتناولها الخفير .. يدور بها وهو في مكانه على الجالسين .. يعلو صوت الرشفات .. يقطع الغريب السكوت :

ـ هل تعرفون من اول رجل صرخ منبها الى وجود الحريق في كوم الحطب ؟..

تتلاقى العيون في صمت .. تنفلت عينا العمدة من عناق الصمت .. تتوهان في فراغ غير الفراغ المحيط .. تعودان لتستقرا فوق وجه الغريب الذي لا يبين .. يخرج صوت العمدة غائما خفيضا :

ـ النيابة سألت عن ذلك ..

ـ وقلتم .. رأيتم النار في لحظة واحدة .. هكذا .. صدفة ..

ـ هذا ما حدث ..

ـ لكن البلدة كانت كلها نائمة حين دوت الصرخة ..

يحملق العمدة في وجه الغريب.. يحاكيه الآخرون .. يستمر الغريب :

ـ طيب .. ومن قال لحظة اكتشفتم الجثة داخل النار انها

لا بد جثة حنفي .. بالذات ؟..

العمدة ببلاهة :

ـ صحيح .. مـن قال هـذا يا أولاد ؟..

يزوم المتحلقون فوق المصطبة ..

ينطق الخفير :

ـ لا بد واحد منا .. فلم نهتم ساعتها لنعرف مـن يكـون ؟.. ما كدنا نسمع اسم حنفي حتـى جرينا الى بيته ..

ـ واكتشفتم انـه لا يبيت في البيت ..

ـ نعم ..

ـ ثم تبين انه في السناجرة عنـد زوجته الثانية ..

يعلق العمدة :

ـ مصيبة .. زيجة لم يعلم بهـا احد ..

يضحك الغريب ويغمغم :

ـ تحت الرماد جمر كثير ..

يحوم الصمت فوق الرؤوس .. تمتد الايدي لتعيد الـى الصينية اكواب الشاي الفارغة .. يتكلـم الخفير :

ـ لو نعرف من الـذي قـال لضابط المباحث ان الصعيدي الذي كان ينزل بدار عطية الجعبي هـو القتيل ؟..

يقول العمدة :

ـ ضابط المباحث قال ان شخصا فاجأ المخبر في الظلام .. وهمس له بأن القتيل هو ذلـك الصعيدي .. وافلت من المخبـر قبـل ان يمسك بـه .

يتدخل الغريب :

ـ وتبين ان الصعيدي عاد الـى بلدته وما زال حيا ..

العمـدة :

ـ بعد عذاب ..

الغريب :

ـ وكشف هـذا عـن فضيحـة اخرى ..

والعمدة ينفخ بغيظ :

ـ نعيش في البلدة ولا نعرف ما يدور بها ..

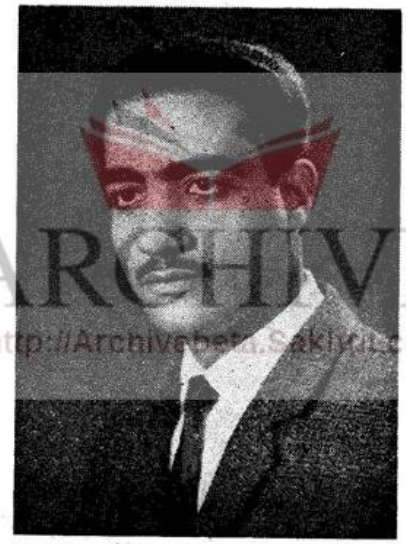
يضحك الغريب :

ـ عشق فتحية لآخر غير زوجها كان لا بد ان تتكتمه ليعيش طويلا .. وبالطبع لا يمكن ان يعرفه غير عليها يرصد خطاها .. او آخـر يريدها لنفسه .. وابن عمها كـان يهمه ان يبقى هـذا العشق تحت ستر حتى اذا مـا صرع العاشق لا تحوم حوله الشبهات ..

ـ البلدة ليست كبيرة لتختفي بها كل هذه الفضائح ..

ـ المسألة انكم لا تدققون فـي شيء لتكتشفوا خباياه ..

يتدفق من شباك فـوق المصطبة ضوء ضعيف .. يصدر عن فانوس



اسماعيل علـي اسماعيل

★

علق لتوه داخل الغرفة المفتوح بهـا الشباك . يصنع الضوء مستطيـلا فوق الحائط المقابل .. تقطعه طولا وعرضا ظلال حديـد الشباك .. يسقط بعض الضوء فـوق رؤوس الجالسين .. يرجع الغريب بظهره ليلصقه بالحائط الذي يستند اليه .. يبقى وجهه في الحيز المظلم .. يجيء صوت الجالس عند حافة المصطبة من ناحية الشارع :

ـ وكيف عرف ضابـط المباحث بحكاية بنت منصور ؟..

يشرح العمدة :

ـ فاجأ المخبر بالليل شخص لم يتبين ملامحه ولم يتمكن منه ..

الخفير مقاطعا :

ـ يعني ربما يكون نفس الشخص السابق ..

يسترسل العمدة :

ـ المهم .. قال له انه يرجح ان القتيل هو ملاحظ العمال الذيـن كانوا يعملـون بمشروع الصرف .. اذ انه اوقع بنت منصور في غرامـه وهرب بها . ولا بـد اهلها عثروا عليه وجاؤا به واحرقوه ..

يقول الغريب :

ـ وحتى هذا تبين انـه مـا زال حيا .. وانه والبنت التي فر بهـا يعيشان معا في المحلة وزارها ابوهـا اكثر من مرة ..

الخفير :

ـ وكان يقول انه ذاهب لزيارتها في الاسكندرية .. عند زوج عمتهـا الذي تقوم بخدمته ..

العمدة :

ـ اذن .. كل ما قاله الشخص الذي كان يفاجيء المخبر في الظـلام مجرد تخمين ..

الغريب :

ـ اظنه كان يهدف الـى اثارة اشياء اخرى ..

ـ تقصد كشف هذه الفضائح ..

ـ ربما ..

ـ ولم ؟..

ـ لو عرفتم مـن يكـون فسوف تعرفون قصده ..

شارك في الحديث الجالس الـى يمين الغريب :

ـ لا بد انه واحد مـن البلـدة يعرف كل أسرارها ..

يترامى عواء ذئب .. يعلو نباح الكلاب في انحاء متفرقة من البلـدة .. يستمر برهة .. يعود السكون يبتلع كل صوت ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبيبتي

حبيبتي أراك في القمر
أغنية تطل في خفر
فتبعث الحياة والامل
في خافق عذبه الحنين
والشوق والالم

عشرون يوما كلها دموع
والداء في ليل الضنى يروع
والموت قد ران على المقل
يطوي هوى الحياة والسنين
ويبعث الالـم

عشرون يوما عصر العذاب
قلبي بها وآدني اغتراب
يا ليتني وقد دنا الاجل
أغفو على ذراعك الحنون
واقتل الالـم

يا خالق الوجود من عدم
يا باعث الحياة في الرمم
رحماك فالداء الذي نزل
فخفف الالـم
لم يبق غير الشوق والانين

هل يا ترى أعود للعراق
وترتوي الاحلام والاشواق
وتزهر الحياة والامل
في خافق معذب حزين
ويسكت الالـم

حبيبتي ان يقطع الردى
ما بيننا ويبعد المدى
ففي حماك زهرتا أمل
تعطران حبك الدفين
فيسكت الالـم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جامعة الكويت — احمد مطلوب

يفاجيء الغريب المتجمعين فوق المصطبة :

ـ هل تذكرون شافعي ؟..

تحتقن الوجوه .. تتلاقى .. يضغط الصمت الانفاس .. يكمم الافواه ..

يواصل الغريب كلامه :

ـ طردتموه من البلدة لان الشيخ ابراهيم اتهمه بالاعتداء على ابنته..

يسكت لحظة ثم يقرر :

ـ كلكم تذكرونه ..

يتنهد واحد ويقول بصوت خفيض :

ـ والله ظلمناه ..

يوجه الغريب حديثه الى العمدة:

ـ سمعت يا عمدة انك قابلت شافعي ليلة الحادث عند المصرف.. رجاك ان يرجع الى البلدة فنهرته .. وامرته بأن يظل بعيدا والا تعرض للقتل ..

تتجه الوجوه لتحاصر العمدة .. يتبلد العمدة ..

يتساءل الغريب :

ـ لماذا لا يكون هو القتيل ؟..

تنطلق اصوات مستغربة :

ـ هو ؟..

ـ شافعي ؟..

الغريب بنبرة قاطعة :

ـ وهو الذي اثار ما تلا من احداث ..

اصوات تشوبها رعشة خوف :

ـ القتيل ؟..

الغريب مؤكدا بصوت عميق :

ـ القتيل ..

تختنق الكلمات فوق الشفاه .. ينتفض العمدة واقفا .. ينسحب داخلا الى الدوار .. يقوم الآخرون .. يلحق الخفير بالعمدة .. يبقى الغريب وحده جالسا .. يتحرك واقفا بتثاقل .. يختلس الخفير النظر اليه من باب الدوار الموارب .. يلمح العباءة تسقط من فوق كتفيه وهو ينزل من فوق المصطبة .. يهم بتنبيهه .. يغلق فمه .. تسقط الكوفية الصوف من فوق راس الغريب .. يعجب الخفير اذ لا يهتم الغريب بما يسقط عنه .. يتجه الغريب ناحية الغيطان بقامته المفرودة وخطوه الوئيد .. يبدو للحظة عاريا .. ثم يواريه الظلام .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

مشهد من مسرحية مصرع غرناطة

الوزير يوسف كماشة ، موسى بن ابي غسان ، زينب ابنة الوزير .

يوسف :

ما كنت تأمل عندي ... على قراع الزمان
وليس لي في قراع ... مع العدو يدان
شيخ أكاد لعجز ... تهوي بهي القدمان
ولست أرجى لكر ... ولا لحمل سنان

موسى :

انا ما دعوتك للمسير ... الى نزال أو طعان
اني دعوتك كي تكون ... لسان صدق عن لساني
لتزيح عن عين المليك ... سراب غاشية الاماني

يوسف بالم :

ما كنت تأمل من مليك ... ليس في يده خيار
أشياعه لا يرتجى ... منهم على الجلى انتصار
ورجاله كالهيم أشتات ... بكل يد ، تدار
وعدونا الموت الزؤام ... وأين من موت فرار
هيهات لم يهن المليك ... وانما الموت اضطرار

موسى :

عماه لو صدق اليقين ... لما استبيح لنا ديار
عماه خذ بيد المليك ... وكان مثلك يستشار
وكن المنار اذا دجا ... ليل واعوزه المنار
وابعث به روح الرجاء ... لعل خافقه يثار

يقف قليلا ثم يتابع :

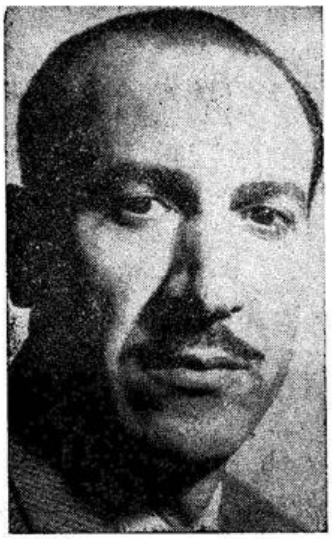
دعا المليك اليه ... أشياعه والرجالا
يريد اقرار سلم ... ولا يريد قتالا
ظن السلام نجاة ... والسلم كان وبالا
كن لي المعين فاني ... ساحطم الاغلالا
ولن اقر سلاما ... يجر داء عضالا

زينب الى ابيها :

ابتاه ليس مع الاذى ... خير وعيش الذل علقم
ان لم يكن من مورد ... الا الردى فالصبر احزم
ما كل عيش يشتهى ... او فيه للعافين مغنم
سر للمليك وقل له ... بلسان صدق غير ملجم
ان البلاد أمانة ... كالعرض بل اغلى واكرم

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سعد صائب

حوار مع قاص ناشىء

بقلم سعد صائب

* * *

كان في مستهل نشأته الادبية ، يجاهد نفسه ان يخرج من سلك أترابه في كتابة القصة ... وكلما انجز قصة جيدة، خالها بعين نفسه الغاية القصوى في الجودة ، ورآها قراؤه مملة ، فاتها الحظ من القيمة الفنية ، واخطأها التوفيق فيما تقتضيه كتابة القصة الجيدة .. مما دعاهم للصدوف عنها ، وعدم التعاطف معها ، والاهتزاز لها ... واذ آلمته هذه الجفوة من قرائه . وأعياه أمرها، فاتحني الراي ، فلم أر بدا من ان اطرح عليه هذا السؤال : نبئني بنهجك في كتابة قصصك ؟

قال : لشد ما ينتابني قلق روحي حيال الواقع الذي احياه ، فيدفعني ـ بفعل منبهات نفسية معينة ـ الى الافتتان بتسجيل اوهام تستهويني ، اخالها تهديء من قلقي ، وتساعدني على تحمله والرضا به .. وبالتالي تستثير في صورا للتعبير ، أجنح فيها الى الافصاح عما ينتابني من هذه الاحاسيس والمنبهات ، وابراز عالمي العاطفي ، ورؤياي التي تعكس ما يبدو لي من هذا الواقع ... من هنا ترى انني اكتب قصصي ، لا بقلبي فحسب، بل وبدمي كذلك ..

قلت : كأني افهم من كلامك انك « رومانسي » حالم ، لا هدف لك ترنو الى بلوغه ، لارتكائك في كتابتك على عاطفتك وحدها ، وتنكبك عن تركيز ذهنك على ما يدور في واقعك ، واعراضك عن نقل خبرتك له ، ومعرفتك به ، وتسديد نظرك اليه ، وتحديد موقفك منه ، ويبدو ان ذلك متأت من اعتزالك الناس ، ونأيك عنهم ، ونفورك مما يعانونه ، او يضطربون فيه ، وعدم تجاوبك معه ...

كما أفهم كذلك انك لا تعنى بفكرة تدور حولها قصتك ، وتبلور رؤيتك ، فأنت والحال هذه ، تحلم بالواقع قبل ان تتأمله وتحياه ، وتعجز عن ان تحياه أولا ثم تحلم به ، مما أبعدك عن التوفيق بين حلمك وواقعك، وافضى بك الى الفصل بينهما ...

فان كان فهمي صوابا ، فدعني اقل لك ان ذلك ليس من الجودة في كتابة القصة ، ولا من البراعة في احكامها ، ولا من القدرة على معاناة التعبير ، عن دلالة ومعنى ما تلحظه ، ونقل هذه المعانات الى قارئك . كما يعني كذلك ، انك لا تبتغي شيئا مما تكتب ، بل لا تأمل شيئا .

وبدهي ان « من لا يريد شيئا ، ولا يأمل شيئا ، ولا يخاف شيئا ، لا يمكن ان يكون فنانا » كما يقول تشيخوف .

قال وقد استفزته كلماتي : ما المقصود من كلمة « حالم » التي ذكرتها في عرض حديثك ؟ وهل للحلم ضروب تهجس لكاتب دون آخر ، وانواع تواتي أديبا ولا تعتري سواه ؟

قلت : لقد ذكر الدارسون نوعين من الحلم وفرقوا بينهما « النوع الاول هو الحلم المبني على الهروب من الواقع الحي ، بحيث يكون الحلم تنفيسا عما يختزنه الانسان في حياته اليومية من مشاكل ومشاعر مختلفة .. والحلم هنا نوع من الفرار ، وهو في النهاية ضعف وعجز عن مواجهة الواقع .. ان الانسان الهارب على هذه الصورة ، هو الانسان الهش الرومانسي ، العاجز عن مواجهة اعباء الحياة وتجاربها الصعبة .. وفي العادة يكون هذا النوع من الاحلام قاتما معتما . ويكون الفن الذي يعبر عن مثل هذه الاحلام قاتما معتما كذلك ...

اما النوع الثاني من الاحلام ، فهو الحلم الذي يقوم على فيض من المشاعر الحية الكبيرة ، التي تملأ وجدان الانسان وتسيطر عليه سيطرة كاملة .. ان هذه المشاعر تفيض لشدة غناها وحيويتها عن يقظة الانسان فتملأ احلامه ، وهذا النوع من الاحلام هو الهام وحيوية وقوة، وهو تعبير عن اندماج كبير في الواقع ، ودليل على الامتزاج بين وعي الانسان وعقله الباطن معا » (١) ... وانت تنزع ـ كما بان لي ـ الى النوع الاول ، وكم أود لو تتحاماه !..

قال وقد استشف ما اعنيه : الا يكفي تسجيل

انفعالي الصادق بما اراه عوضا مما ذكرت ؟

قلت : المعذرة لك ... لئن توهمت ذلك ، لقد خطئت في وهمك ، لان فن كتابة القصة ليس انفعالا فحسب ، انه معرفة كذلك « معرفة عميقة بالاشياء ... معرفة تستند الى العلم ونتائجه ... ويتطور بتطور الحياة الاجتماعية .. والتعبير الفني ، تعبير ذاتي ، ولكنه في الوقت نفسه تعبير اجتماعي ، شارك المجتمع في وضع ما فيه من اشكال .. وصياغات وصناعة .. انه تعبير تاريخي عميق الجذور ، بكل ما في المجتمع البشري من اضافات علمية وفكرية » (٢) ...

قال وقد كبر عليه الخطب : ولكنه نمط اسيغه ، تحلو لي الكتابة فيه ، وما نزعت اليه الا لانه يوائم طبعي، ويلائم مزاجي ، ويتسق ونهجي في الحياة ، وانا في مقتبل عمري .

وكان بقدري انه يوائم طبع قرائي ، ويلائم مزاجهم فيهتزون له !..

قلت : لقد عزب عنك ، انك اذ تعمد للتعبير عن واقعك ، تجنح الى تصوير ما تختاره من تجربتك الخاصة في الحياة لما تراه بعين عاطفتك من وقائع محددة فحسب ، لا ما تختاره من تجربتك العامة في الحياة كما تراه بين عقلك كذلك .. وبدهي ان ليس في ميسور عاطفتك وحدها التعبير عن الواقع ، ولا في طوقها تبيان تجربتك له ، ولا في مقدورها تحديد موقفك منه .. كما انها عاجزة اشد العجز عن ايضاح فهمك لهذا الواقع ، واعطاء فكرة عنه .. لذا كان اعتمادك عليها وحدها دليلا على ان قصصك توشك ان تغدو تجربة ذاتية خاصة لما تعانيه انت ، لا تجربة انسانية عامة لما يعانيه مجتمعك !.

فاذا اعتبرنا ان القصة كالقصيدة يجب ان يجري عليها ما يجري على القصيدة من «الهروب من الشخصية، والانفلات من الذات » لذا اضحى لزاما عليك ان تخرج عند كتابتها من أفق ذاتك الضيق لتدخل في افق مجتمعك الرحب . لا سيما وانه « لم يعد مقبولا ان ينفصل الفنان عما يدور حوله من مشاكل ، وعما يتردد من اسئلة في حياة الناس ونفوسهم » . ولا اكتمك ان عمل الفنان المتمكن الاصيل « هو ان يرينا انفسنا كما هي في الحقيقة . فاذهاننا ليست شيئا غير هذه المعرفة بانفسنا ، ومن يزد قليلا على هذه المعرفة يخلق ذهنا جديدا ، كما تلد المرأة اناسي جددا » .. وحسبك مثلا القاص الفرنسي « بلزاك » الذي قيل انه « كان يدفع الاموال لبعض الاسر حتى يعيش بينها ، ويمتزج بحياتها طويلا ، لكي يعرف بعد ذلك كيف يكتب عن حياة البورجوازية الفرنسية » !..

ولا يخالجني شك في ان لديك طاقة على كتابة القصة ، بيد ان جهلك استغلال طاقتك مدعاة لهدرها .. وليتك تعلم « ان القدرة على الابداع هبة يمكن بدورها ان تسلب ، فاحذر ، لكيلا تبدد ما أوتيت » ولا جرم ان اعتمادك على انفعالك وعاطفتك عيب قد يبدو لسواك ما لا يبدو لك مما يدعو قراءك لتجاوز قصصك والاغضاء عنها ، لانهم لم يلفوا فيها بغيتهم ، ولانك لم توح اليهم بما يعينهم على فهم واقعهم ، بل اوحيت اليهم بخطأ وهمك فيه ، ونزارة تجربتك له ، وقصور تعبيرك عنه .. وما ذلك الا لانك لم تروض نفسك على معرفة هذا الواقع ورؤيته رؤية موضوعية .. ولم تبل حقيقته وتملأ جفونك منها ، بل قصرت براعتك على تصوير احاسيسك فحسب .. وما دريت ان البراعة كامنة في تصوير احاسيس الناس من حولك وحياتهم كذلك !..

ولن يتم ذلك الا اذا كانت تجربتك من العمق والوضوح والدقة بحيث تؤثر على خيال قارئك ، وتنطبع في عقله وتستهوي قلبه !..

قال وقد أضلعه الامر : وماذا تبتغي مني ان اصنع لتمسي قصصي مستساغة ، عظيمة الجدوى ، شديدة الاسر ، يميزها عن غيرها من القصص ؟

قلت : ان تنهج نهجا مغايرا ، تتحامى فيه ما انتهجته في البداية .

قال وقد ابهته ما سمع : انى لي ذلك ؟

قلت : عليك ان تكون ذا ارادة ووعي ، فتحطم القيد الذي قيدت به نفسك وفنك ، فتختلط بالناس من حولك وتندمج في حياتهم وتتجاوب معهم ، لا سيما وان على الاديب او الفنان الا يعتزل الناس « او يتغرب عن الحياة من حوله ، والا جاء تعبيره قاصرا مجتزئا ، محدود الصدق .. وليخرج الى تجارب الناس ، وليعبر عنها كما يشاء ، خلال انفعاله الصادق .. ولينقد ، وليحلل ، وليبشر ... انه سوف يكشف عن الحياة من حوله ، وسوف يكتشف نفسه وفنه كذلك ، وسيتجدد فنه بهذا ، وستجدد حياته كذلك ، ويستطيع فنه ان يجدد الحياة ذاتها من حوله ، وان يجدد الحياة من حولنا كذلك » .

فعليك اذن ان تنحو هذا النحو ، وان تعمد الى تصوير واقعك بعين عقلك مقترنة بعين عاطفتك ، لا بعين عاطفتك وحدها .. وبذلك تتم لك معرفة واقعك والتأثير فيه وتغييره ، فتطيب نفوس قرائك لقصصك ، ويتباشرون بها ويبتهجون لها ... ثم أردفت : ربما التبس الامر عليك اذ نوهت لك بالعقل وحرضتك على الانقياد له ، وما هاجني على هذا التنويه الا لعلمي أنه يخضع عاطفتك لما تقتضيه مصلحة الجماعة التي تنتسب اليها . وانه يفهم الواقع اعمق مما تفهمه العاطفة ، وانه

١ ـ ادباء معاصرون ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ وحيد النقاش ـ كتاب الهلال ـ العدد ٢٤١ ـ فبراير ١٩٧١ .

٢ ـ الثقافة والثورة ص ١٥٤ ـ لمحمود امين العالم ـ دار الاداب ـ بيروت ١٩٧٠ .

بالتالي شاهد صدق على ما تراه وتحسه وتحياه .. لا سيما وان العقل ـ كما ينبئنا علماء الاجتماع ـ « ليس بروح مجردة عن الجسم مستقلة عن الزمان والمكان ، وانما هو حركة الانسان في جماعته الاجتماعية، ويجب ان يقتصر استخدامه على الاغراض التي تقتضيها حياة تلك الجماعة » !...

وهل ثمة أجدر من الاديب او المفكر باستخدامه ، ما دامت وظيفته تغيير مجتمعه ، ورائدة السمو به ؟.

قال مطيلا طرف الحديث : أويكفي العقل والعاطفة، او المعرفة والانفعال وحدهما في كتابة القصة ؟ أين اذن القواعد والقوانين التي يجب على القاص مراعاتها ؟ أين النماذج القصصية المختارة وسواها من روائع الادب والفكر التي ليس بد للقاص او الاديب من الاطلاع عليها ، ليفيد منها في تعميق ثقافته واغناء وجدانه ؟

قلت : وقد آنست منه افتتانا بما أفضى : اما القواعد والقوانين فلست أنكر عليك الاستئناس بها في كتابتك ، بل أحضك عليها ، لانها خلاصة خبرات وتجارب ذوي مهارة في كتابة القصة .. بيد ان ما أنصح لك به الا تغلو او تشتد وراءها ، لئلا يكون صنيعك هذا ذريعة الى تقيدك بها ، وجريك على سننها واقتدائك بواضعيها ، لان ما اتسق لهم ، قد لا يتسق لك ، ولان ما تتشوف اليه انت في كتابتك ، ربما لم يخطر لهم ان تشوفوا اليه .. لذا لا أبتغي لك ـ وانت في بداية الطريق ـ ان تشغلك اية قواعد او قوانين مهما كان شأنها ، لانها ان أجدتك في تلمس طريقك ، فلن تجديك في السير عليها... ناهيك من انها لن تخلق منك قاصا البتة ، مهما جهدت في التقيد بها .. هذا من نحو ، ومن نحو آخر فان لكل قاص موهوب متمكن من فنه ـ بل لكل عصر ـ قواعده وقوانينه التي تولد معه .. وعليك ان شئت ان تغدو قاصا حقا ، تعرف باسلوبك المميز ، ويشار الى تفردك واصالتك ، ان تبدع لنفسك قواعد وقوانين خاصة بك ، لا سيما وان فيها مشابه من تجربة العمل الفني « التي لا تتكرر عند فنان آخر ، بل لا تتكرر في عملين صادرين عن فنان واحد » !...

أما ما يتصل بالنماذج التي ذكرت ، فلا مندوحة لك عن الاطلاع عليها ، والتزود منها ، لانها تعمق ثقافتك وتنمي معرفتك ، وتغني وجدانك ، ومن ثم ترشدك الى النهج السوي في الكتابة ، كما تقصيك عن الشوائب التي قد تلم بكتابتك !..

سعر الاديب في
تونس
٢،٥٠ فرنك

واني موصيك خيرا بالاكثار من الاطلاع عليها ، ما وسعتك القدرة واسعفك الوقت ، شريطة ان تعي ما تطالعه ، وتتمثله ، وتتذوقه وتصدف عن تقليده!.. ولك اسوة بالروائي « فلوبير » الذي قيل انه كان « قارئا مجنونا بالقراءة .. كان يقرأ ويسجل ملاحظاته بلا توقف ، وهو يستعد بالقراءة خمس سنوات متتالية لكتابة رواية واحدة » !...

واذ فطن صاحبي لما أبديت ، وآمن بصحة ما قلت أطرق مديدة ، نبأني فيها حدسي وأنا ارمقه بعيني ، بأن ندامة غشيته على ما فرط منه في نسيانه التوفيق بين عقله وعاطفته .. ثم ما عتم ان رفع ناظريه وقد أشرق وجهه ، وطفق يفيض بالحديث عن المواهب القصصية الفتية عندنا ، التي اخذت تشتد في سمتها وتشق طريقا جديدة لم تجر عادة قصصيينا الرواد بمثلها .. وراح يبثني شكاته من النقاد الذين دأبوا على تجريح هذه المواهب والنيل منها ، ابتغاء تحطيمها وتثبيط عزائم اصحابها ، عازيا ذلك الى عوامل جمة لم تتوفر لهؤلاء النقاد ، منها ـ كما يقول ـ : عمق الثقافة، ونضج الرؤية ، وصفاء الوجدان ، وصدق التناول ؟

لذا فقد ظل نقدنا ـ ان جاز ان نسمي هذا الهذر نقدا ـ عاجزا أشد العجز عن تجديد معالم ادبنا ، بعيدا أنأى البعد عن تقويم حركتنا الادبية الوليدة الناشطة والتأثير فيها ، قاصرا عن المشاركة في اضافة ابعاد جديدة يفيد منها ادبنا ، ويستهدي بها ادباؤنا ، فتقودهم الى بلوغ هدفهم ، وتعينهم على اداء رسالتهم ! ..

واذ ترويت فيما اورد من جور النقاد وجهلهم ، ومضيهم على خطئهم ، ثار في خاطري ان انفض له لاروح عن نفسه نبأ احد قدمائنا ، وكان شديد الغار على ادب عصره ، شديد الحرص على شحذ مواهب ادبائه ، فلم يغمض عن اساءة بدرت من ناقد فهتف غاضبا : « فليترفق بهم فما بلغ احد علما بقوة ، ولا غاية بعسف » .

ثم ما لبث ان مضى مطرقا لا ينبس . ومكثت وحدي اعقد ناظري بمرآة فأرى الى ما يعانيه هو وامثاله من الادباء والقصاصين الناشئين من جور النقاد ، وما يتحسونه من مرارة نقدهم ، ولو انصفوا لكشفوا لهم عن الخطأ ، ودلوهم على الصواب ، فصنعوا بذلك صنيع ناقد اندلسي منصف قرأ كتاب صاحبه فلم تعفه الصحبة من قول الحق فيه ، فدل على معرفته اصول النقد ، قبل ان يعرفها الغربيون بمئات السنين ، حيث قال : « وهو صاحبي الذي اوافقه في هذا الكتاب تارة ، وتارة اؤاخذه ، ومرة اعاهده ، ومرة انابذه » !..

فيم لا تنطلق اذن السنة نقادنا على غرار ما انطلق لسان ناقدنا القديم ؟ أم انه طراز من القول الصحيح لا يحسنونه ؟ لست ادري !..

دمشق — **سعد صائب**

الفـرح القـتيـل

صقـر أليف
كان ينقب في مداخل البعد
عن أنصار يحملون في طيرانهم اوسمة الموت
ويرشون السموات بالذكريات
ولأنه المولود في لحظة النهاية
فقد اختارته السيوف
لكي يلمع في قضيتها
ويحلق داخل الارض
يطير بين التراب والظلمة البيضاء
ليجمع اصوات النصر المبعثر
ويبنيها جدارا سميكا من الزمن
ويرفعها في اعماق العربي المنتظر

صقـر أليف
حمل جميع الاوسمة
واغتصب أفراحنا القتيلة
وطار في سجف الاشياء الهائلة
تحت اقدام الانسان
معترفين له بلحم صمته المسفوك
وفضيلة ابتسامته
عند انفجار الغدر المتجه اليه
ومزدانا بأناقة النصر في كل وقت

لكن لماذا أيها الحقد
كان دويك أصخب من طعم الصبر
ومـرا بانفجاره
حتى أقتنصت بذعرك العالي
ريشة واحدة فوق العادة
لصقر أليف كان يعلم
أنـه ولـد شهيدا
يثقب بنظره الحاد مداخل البعد
باحثـا عـن أنصار
يحملون في طيرانهم اليه أوسمة الموت
فآثر ان يطير الى يافا ورفح وعيلبون
بين التراب والظلمة البيضاء

مكفنا بعبير شجرة مرارتنا
وهي تفوح بزهورها الناصعة
ممتلئا بالعودة
وممزوجا بالصدى العنيف

ليكن نادرا ايقاف الموت
ما دام هناك من يلمح في ذاته
طيرانـا خفيـا
يتعرف فيه الى حياة الاعداء
فما من شيء يعطل الجرأة سوى التردد
ومـا مـن مغامر
الا ستحكمه فجاءة الشجاعة
في المنعطفات ، والفضاء ، والحقول الساكنة
بالوقـار المعزول
فعندما تتسلى الاحزان
بنجاح الانتصار الاسود
يزأر الباقي من تغضن الوجوه العاصفة
ويحلق الواحد في فضاء الآخر
خارجا من الخيام الى العودة

غير انه وهو الصقر المغتسل
بفرحـه القتيل
يرتفع بزمانه على قمم الجبال
وجسده ذو الصور المقلقة
مليء بنقاء المشاعل المبتهجة باحتراقها
يزيـح بكـل طفولـة
عن جبهة الليل ، تجهمه الغامض
ويده مرفوعة كلمة واحدة للتضحية
والاخرى تفتح طريق طيرانها الخفي
بين التراب والظلمة البيضاء
متعرفة بحدسها على الشهداء
وموجودة في مجهول الغد
ومحطمة على ابواب العودة
أقفـال الانتظـار

حلب

لؤي فؤاد الاسعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل بلا وطن

بقلم اسمى طوبي

* * *

وطن ... احرف ثلاثة ما اروعها اغنية على الشفاه وهي للفنانين والشعراء اهزوجة في فم كل مخلوق قطعة من كيان المرء ينفطر قلبه بدونها .

انها حيثما توجه الانسان تظل فردوسه .. يظل صوتها في اذنيه يناديه .. تعال .. وحتى بعد الموت تنادي ابناءها فيحسون الراحة اذا ما رقدوا بين احضانها . « احملوا قلبي ليدفن في فرنسا » .. تلك كانت وصية نابليون الجبار قبل وفاته .

ولقد كتب الكاتب ادوارد ايفرت هيل قصة الرجل الذي لا وطن له فترجمت الى لغات عدة ذلك لان الوطن هو في كل مكان .. ولكل انسان قال الكاتب :

كان فيلب نولان ضابطا من المع العسكريين في الولايات المتحدة ولكنه اخطأ بحق بلاده فقبض عليه وحوكم .. وسئل اثناء المحاكمة .. هل لديه ما يثبت ولاءه لامريكا ..؟ فصاح في غمرة نزقه وطيشه .. الا سحقا لامريكا وولاياتها المتحدة .. كم تمنيت ان لا اسمع باسمها . وصعق النظارة واكفهر وجه القاضي ثم اختلى بهيئة المحكمة وعاد بعد دقائق فنطق بحكم لم يسمع التاريخ اغرب منه قال : لقد حكمت المحكمة ان تلبي طلبك فلا تدعك تسمع بأسم بلادك بعد .

وابتسم الضابط فما شعر ساعتئذ بقسوة الحكم ولا ادرك معنى هذه الكلمات القليلة التي تلفظ بها القاضي بمنتهى البساطة .

وجرد نولان من سيفه ونزعت ازرار بزته العسكرية .. وجرد من كل اثر يذكره ببلاده .. ثم امرت المحكمة ان ينقل الى ظهر سفينة تبحر به بعيدا عن وطنه فاذا ما اتمت رحلتها وعادت سلمته قبل ان تشرف على شواطىء بلاده الى سفينة اخرى مبحرة بعيدا .. وهكذا لا ترى عيناه شواطىء موطنه حتى الموت .

وصدرت الاوامر كذلك الى السفن الامريكية ان لا ينطق بحارتها بكلمتي الولايات المتحدة امامه .. وان ينذر كل راكب جديد يصعد الى باخرة تقل نولان بان التكلم الى هذا الشاب او ذكر حرف عن الولايات المتحدة امامه ممنوع منعا باتا . وصدرت الاوامر كذلك الى كل ربابنة السفن ان ينزعوا من كل مجلة او صحيفة تصل المركب الكلمات او الاخبار التي تشير من بعيد او قريب الى الولايات المتحدة .

وابتدأ القصاص الرهيب .. عاش نولان خمسين عاما من حياته على ظهر السفن .. يعامل باحترام ولا يعرض لاي مهانة ولا يذكر بانه سجين ولكنه « الرجل الذي لا وطن له » . ولم يستطع ان يتناول طعامه مع احد من الضباط .. كانوا يودون التحدث عن وطنهم واهلهم واولادهم وكان وجوده بينهم يحرمهم من ذلك وهكذا كان يتناول طعامه وحيدا . وكان اذا ما اقيمت حفلة في السفينة يدعى اليها او لا يدعى وفقا لرغبة القائمين على الحفلة .. فاذا ما دعي اليها ذهب يحرسه جندي وقد لبس لباسه العسكري الذي نزعت عنه الازرار التي تحمل شارة الوطن الذي لعنه . ولقد تقف السفينة في ميناء ما اشهرا فلا يسمح له بالنزول الى المدينة لئلا يسمع شيئا عن بلاده .

وكان الضابط الثائر في بادىء الامر لا يحفل كثيرا بوضعه حتى حدث ما جرح صميم فؤاده . لقد تجمع البحارة في امسية ما وجلسوا على ظهر السفينة يقطعون الوقت بقراءة ديوان شعري عثر عليه احدهم .. ورأوا ان يشركوا نولان فدعوه ليجلس بينهم .. ودار الكتاب على الجالسين ليقرأ كل واحد منهم قصيدة حتى وصل الى الثائر السجين فابتدأ يقرأ بصوته العذب الشعر الذي رآه امامه :

افي العالم رجل ماتت روحه
فلا يهتف بنفسه
هنا وطني ومسقط رأسه

وخيم السكون فجأة على الجالسين .. وامتقع وجه الضابط وتردد ثم جرع جرعة ماء واكمل :

رجل لا يلتهب بنيران الشوق
عندما تتجه قدماه
نحو بيته وموطنه
بعد ان عاش في غربة طويلة .

وتمنى الجالسون المصعوقون بسبب الموقف المؤلم لو انه يكف عن القراءة ويضع الكتاب جانبا ولكن شدة انفعاله ضعضعت تفكيره واضاعت سرعة خاطره فعاد يقرأ وقد امتقع لونه :

ان وجد هذا الرجل فيا لبؤسه
مهما علت رتبته وتعاظمت ثروته
فقلبه يظل مأوى للتعاسة

ولم يستطع نولان ان يتم فقد تصبب عرقه واضطربت انفاسه ثم وقف مترنحا والقى الكتاب بعيدا في البحر واسرع مضطرب الخطى الى غرفته . ولم يره احد بعد ذلك لشهرين كاملين .. وعندما خرج من غرفته بعد اعتكافه الطويل بدا مخلوقا آخر جامد الوجه صامتا لا يتكلم الا نادرا وقد طبعت كل حركاته بطابع قلب جريح فكأنما احس من تلك الليلة بعظم جرمه .. وقسوة عقابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحدث حادث آخر عمق جراح نولان فقد اقامت السفينة التي كان على ظهرها مرة حفلة راقصة واحتاج الربان الى غرفة نولان فدعاه من قبيل المجاملة الى الحفلة بعد ان حذر الجميع من تركه يتحدث الى اشخاص غير موثوق بهم . وفي اثناء الحفلة جلس نولان الى احدى المدعوات فساور الجميع القلق من ان تتكلم بشيء عن الولايات المتحدة ولكنها نظرت اليهم من بعيد مطمئنة . وطال الحديث بينهما .. وسألها نولان عن رحلاتها وعن اشياء اخرى ثم قال بغتة .. كأنما بدافع لا يقهر .. وما **اخبار الوطن يا سيدتي ؟** وارتسم الغضب على محيا السيدة ونظرت اليه بقسوة شديدة ثم قالت .. الوطن يا سيدي ..؟ لقد سمعت انك الرجل الذي لعن وطنه وتمنى ان لا يسمع باسمه ابدا .. ثم نهضت وتركته وحيدا .

ولم يشترك نولان بعد ذلك بحفلة حتى يوم وفاته .

ووقع حادث ثالث .. هاجمت احدى سفن الاعداء السفينة التي على ظهرها نولان .. وانصب الرصاص عليها فقتل كثيرون ثم قتل ضابط المدفعية وكل من حوله من الرجال وامتلأ ظهر السفينة بجثث القتلى واشلائهم .. وبدا ان النصر محقق للاعداء . وبغتة خرج نولان من غرفته والشجاعة تلمع في عينيه والبطولة ترتسم على جبينه الحزين .. ورأى الهرج والمرج يسودان السفينة فهتف بالرجال يأمرهم بالصمت .. وذهب الى المدفع الذي فقد ضابطه وابتدأ يضع القذائف فيه بيده ويحارب الاعداء بلا هوادة او رحمة وبين كل طلقة واخرى يشجع الرجال بكلمات مؤثرة ويعلمهم طرقا جديدة لاطلاق القذائف وهكذا حتى احرز النصر للسفينة وخرجت من القتال ظافرة ..

وعندما انتهت المعركة جمع الربان الرجال وقال للشاب البطل .. لقد فعلت الكثير يا سيدي اليوم فالف **شكر لك ولن انسى ما حييت ما فعلته** .. اننا كلنا نعترف بجميلك . ثم اخذ الربان سيف قائد الاعداء وقدمه للرجل الذي لا وطن له وطلب منه ان يتقلده ففعل وهو يجهش بالبكاء لانه فقد سيفه منذ محاكمته .

واخبر الربان حكومة الولايات المتحدة بموقف نولان الوطني البطولي وطلب مسامحته جزاء عمله العظيم هذا ولكن اوراقه كانت قد احرقت مع ما احرق في حادث من الحوادث .. وهكذا قدر لنولان ان يظل الرجل الذي لا وطن له .

ويئس نولان فاستكان الى نفسه وقنع بحياته .. وقسم ساعات يومه تقسيما حكيما فراح يحرر يومياته وينكب على الكتب يدرسها بشغف .. وعلم الضباط الصغار الكثير من الفنون التي يتقنها .. ثم راح يعنى بكل من يمرض في السفينة ويقوم بطقوس الوفاة لمن يتوفى وهكذ حتى طعن في السن .

وحدث حادث رابع يحرك اقسى القلوب .. كانت **الاوامر قد صدرت بتحريم تجارة الرقيق ومع ذلك فقد** التقت سفينة نولان بسفينة برتغالية تحمل مجموعة من **الارقاء فأسرتها .. ولم يكن هناك من يتقن اللغة** البرتغالية ليقوم بالترجمة بين السفينة الآسرة والسفينة المأسورة الا نولان فاستدعوه ليقوم بالمهمة .

ووصل السفينة فكان المنظر مزريا لا يرى الانسان مثله في حياته .. قذارة لا توصف .. وثورة بين الارقاء تزيد المنظر فظاعة . وفكت قيود العبيد ليعلموا انهم اصبحوا احرارا .. وقيل لهم ان ربان السفينة الذي ود بيعهم سيشنق فصفقوا فرحا .. ولكن عندما قيل لهم انهم سيعادون الى اوطانهم جعلوا يرقصون وترامى بعضهم على قدمي نولان يقبلونهما . واصفر محيا الرجل الذي لا وطن له .. وتساقطت حبات العرق من جبينه. وكان احد الارقاء يقول .. نريد العودة الى اوطاننا .. خذونا الى بلادنا الى اطفالنا ونسائنا وبيوتنا . وكان آخر يقول .. ان ابي العجوز سيموت حسرة اذا لم يرني. وقال ثالث .. لقد خلفت ورائي امي المريضة وكنت ذاهبا الى الطبيب عندما اختطفت .

وبدا كأن الرجل الذي لا وطن له يترنح المأ حتى يكاد يسقط .. والتفت الى البحار الذي بجانبه وقال هامسا : خذ ما رايته اليوم درسا فتفهم منه كيف يعيش الانسان بلا وطن او منزل او اسرة .. واذا اغراك الشيطان يوما لتنطق بكلمة تقف بينك وبين هذه الاشياء الغالية فاهمل الاغراء والا فاطلب الى الله ان يميتك في الحال . اخلص لوطنك يا بني وعندما تنهي مهمتك بعيدا عنه اهرع اليه فرحا كما يفعل هؤلاء الارقاء .. كرس خدماتك للارض التي انجبتك ولو قادتك تلك الخدمات الى الجحيم ومهما اساء اليك وطنك فلا تنظر قط الى علم غير علمه او تشتاق الى ارض غير ارضه . ثم نظر الى البحر ساهما حزينا وقال .. آه لو انني وجدت من ينصحني كما انصحك انا الان .

ومرت الاعوام خمسون عاما كاملة والرجل الانسان لا يتكلم ولكنه يتألم بصمت حتى وجد له في قرار البحر موطنا .. ولقد كتب احد البحارة من رفاقه على السفينة التي مات عليها ما يأتي :

دخلت حجرته ولم اكن قد دخلتها من قبل فاذا به يرقد على سريره ليموت .. واذا بالغرفة الصغيرة كالمعبد الرائع .. علق على احد جدرانه صورة لرئيس الولايات المتحدة رسمها بيده وزينها بنجوم صغيرة لامعة . واشار بيده الى الجدار الآخر وقال بغصة .. ان لي وطنا هنا يا بني .. ونظرت فرأيت خريطة للولايات المتحدة رسمها من الذاكرة ووضعها في مكان يستطيع ان يراها فيه كلما اضطجع في فراشه وعلى الخريطة اسماء عجيبة .. مقاطعات وبلدانا عرفها اباؤنا ثم تغيرت منذ ذلك العهد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشتاء وزهر اللوز

الى التي في فرنسا ، صديقتي الغالية ، فقيـــدة الادب والصبا والنبل
« اليس جوليفه دي كاستلو » كريمة المغتـــرب الصديق يوسف الزرزور

زمن وقافلـة وأفـــق يرحـل ... وكأننـا نجتـي السراب فنأمـل
النجم ذاك وحسبت حين أفولـه ... لسوى وداع أحبـــة هل يأفـل
هـي ، مـن لانهار المودة رافـد ... ايموت في النهر الكبير الجـدول
اسبالها اهدابها يـا هـل تـرى ... سفـر بعيـد أم رؤى وتأمـــل
ويـد علـى الصدر الدفيء لعلها ... تستمهـل الاشواق او تتـوسل
هـا ورد بسمتها ! أللصلبان ، أم ... للناس ، أم هزء بـورد يذبـــل
غربت بها عرباتهم فمتى الضحى ... او ما كما شمس الاصائل تفعـل
أنفاسها ، كـم مـن نسائم بيتنا ... ستلملمين صبا غـدا يـا انمـل
أنـــى اتجهنا رنـــة لحديثهـا ... كادت لجرأتهـا تـرى وتقبـــل
رحبت عوالمها تراها قـــد محت ... مـــا بين واقعنا ومـا يتخيـل
فاذا افتقدت خيالها عند المـدى ... وغدوت استجدي الرياح فتعول
وسألت ليـل الغائبين فما يعـي ... وتراه مـن فرط السكوت يولول
حتى الغمام يحول شيئا كالاسى ... يهمي علـى وجه الدنى اذ يسأل
أبصرت زهر اللـوز بكـر مومئا ... ان قد يعود بهـا الربيع المقبل
كسحابة تهـب الصحاري نفسها ... وبها الروابي كـــل عـــام تحبل

باسمة باطولي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال لي الرجل الشاحب المضطجع عـــلى سريره بصوت خافت : دانفورت .. انني سأموت ولن اعود الى الوطن فحدثني عنه .. لا ترفض يـا بني قبـل ان اتـم حديثي فليس على ظهر هذه السفينة .. بل ليس فـــي امريكا كلها من هو اكثر وطنية مني فانا اقدس علم بلادي واصلي كل مساء من اجل مجده وسعادته فحدثني باللـه عليك .. قل لي شيئا قبل ان اموت . وذاب قلبـي بين ضلوعي .. واحسست انني اكـون وحشا ضاريا لـو امتنعت .. وخالفت واجبي رفقا بهـذا الرجل الراحل التعس الذي اضاع كل حياته ثمن هفـوة واحـدة مـن هفوات الشباب . قلت له حسنا ساحدثك .. وابتسم بسمة الرضى وشد على يدي بحماس وقال : حماك الله يا بني .. حدثني عن المقاطعات والبلدان وكل شيء .. وحدثته عما جرى في بلاده خلال خمسين عاما .. الكتب الجامعات الهاتف المدارس البحرية وكل شيء .

وكان يصغي بشغف شديد ويهتف احيانا ويصفق بيديه بثورة وسرور .. ثم هدأ شيئا فشيئا وطلب الي ان اعطيه جرعة ماء فاعطيته .. فبلل شفتيه ثـم طلب كتاب الصلاة ورجاني ان اقرأ لـــه فقرة معينة وجعـل يكرر معي الصلاة التالية :

اننا نشكرك ايها الاله العظيم من اجل نفوسنا .. ومن اجل الوطن الذي وهبتنا .. ونشكرك على كرمـك العظيم بالرغم من هفواتنا واخطائنا .

ثم قلب الصفحة واشار الى فقرة معينة فقرات .. من صميم قلوبنا ندعوك ان تحمي بلادنا ورئيس بلادنا .. ثم قال باسما .. دانفورت .. لقد كررت هذه الصلاة كل مساء خلال خمسين عاما .. وطبع قبلـــة علـى جبيني وقال .. عندما اموت انظر في هذا الكتاب يا بني .

وبعد ساعة زاره الطبيب فوجده قـد لفظ انفاسه .. مات وعلى شفتيه بسمة الراحة والرضا . ونظـرت في الكتاب فوجدت انه قد وضع علامة حول جملة هـي : « انهم يطلبون وطنا في السماء لان اللـه وعدهم بمدينة افضل » .

ثم وجدت ورقة صغيرة كتب عليها : ادفنوني فـي البحر فهو مثواي ولكن ضعوا على ارض الوطن صخـرة لذكري حتى لا يكون عاري بعد موتي اكثر مما احتمل .. واكتبوا على الصخرة « فيلب نـولان » مـلازم في جيش الولايات المتحدة .. احب بلاده كثيرا ولكنـــه اخطـأ فاستحق منها العقاب الكبير

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي

حتى نفهم ايليا ظاهر ابي ماضي

بقلم جورج ديمتري سليم

* * *

ليس في حياة ابي ماضي اثر ، او مظهر لما تعود الناس رؤيته او انتظاره في حيوات الشعراء ، من « صخب » ، فقد مرت ايامه كلها على هذا الاديم ، دون حادثة او تجربة غير عادية . لقد عاش وعمل وهاجر وتزوج ورزق اولادا ، كان موفقا الى حد بعيد ، في معيشته وعمله وهجرته وزواجه واولاده . (١)

هكذا استهل عبد اللطيف شرارة دراسته التحليلية عن ايليا ظاهر ابي ماضي ، وهو حكم صحيح اذا كان مرجعه النظرة العابرة في حياة الشاعر واشعاره ، تلك النظرة التي تنتهي بتصويره لنا شاعرا ذا « فلسفة قائمة على « المزاج » ، معرضة لما يتعرض له المزاج من تقلب واضطراب » . (٢)

ونحن نتساءل : أصحيح ان يكون سر التناقض والاضطراب الذي اوصل ابا ماضي الى الحيرة كامنا ـ كما يقول شرارة ـ « في طبيعة فلسفته ... وفي التحول العام الذي طرأ على البيئة التي كان يعيش فيها ، اي على الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، في سني ما بعد الحرب الاولى » ؟ (٣) ام ان لهذا التناقض والاضطراب اسبابا اخرى اقوى لا دخل لمزاج ابي ماضي ولا للبيئة الاميركية فيهما ؟

كان ابو ماضي ـ كما يقول لنا عيسى ابراهيم الناعوري ـ « ضنينا جدا بالحديث عن نفسه وعن حياته . حتى انني حينما اردت اصدار الطبعة الاولى من هذا الكتاب عام ١٩٥١ ، كتبت اليه ارجو ان يوافيني بموجز عن حياته لاقدمه الى القراء ، وبصورة له انشرها في الكتاب ، فكتب الي ـ بعد انتظار غير قصير ـ يقول : يعز علي وانا اجيبك على رسالتك ان لا يكون مع جوابي رسم لي ، فاني مهمل هذه الناحية كل الاهمال . اما سيرة حياتي فليس فيها ما يستحق النشر ، او على الاقل هكذا اعتقد انا ، اذ ليس فيها ما ينفع فضول احد . » ويتابع الناعوري حديثه فيقول : « وليس صحيحا ان حياته ليس فيها ما ينفع فضول احد ، فانه لم يصل الى المنزلة التي وصل اليها الا بجهاد عصامي طويل ، تقلب فيه على الشوك والجمر والحراب طويلا قبل ان يعرف جنباه الفراش المريح . اتراه كان يخجل بجهاده هذا ، وهو مصدر فخر عظيم لمثله ؟ » (٤)

فالناعوري حين شرع في دراسة الشاعر ـ كما نرى ـ كان يدري ان هناك مؤثرات في حياة ابي ماضي جعلت منه هذا الشاعر الانساني الكبير . لذلك حاول ان يتعرف عليها ويستقيها من الشاعر نفسه حتى تكون دراسته سليمة . ولكنه لم يوفق . وما كان هذا ليرده عن محاولة اخرى هي فهم شاعره فهما صحيحا .

لم تكن حياة ابي ماضي كلها سعادة وهناء ، ولكنها كانت حياة متارجحة بين السعادة حينا والشقاء حينا آخر . بل لعل الشقاء كان له الكفة الراجحة في حياته . لمست نادرة جميل سراج هذا في شاعرنا ، فقالت : « هو ، كما سبق ان قلت ، باسم مستبشر امام الناس ، كئيب حزين في قرارة نفسه ، يظهر للملأ خلاف ما يبطن من هم وغم ، ولعمري ان في عمله هذا لانسانية وكرم نفس وعلوا في الاخلاق والطباع ، وفيه في الوقت نفسه كبرياء واعتداد لا يستبعدان عن نفس شاعرة رقيقة كنفس ايليا ... اي ايثار هذا الذي يدعو الشاعر الى ان يستر عبرته حتى لتكاد تحرقه في جوفه ويلتهب بنارها جفناه خشية ان يسبب الما لمن معه ؟ » (٥)

ووصف لنا احسان عباس ومحمد يوسف نجم ابا ماضي في سياق تحليلهما لقصيدة « الشاعر والملك الجائر » ، فكتبا : « القصيدة تحمل صورة رومانطيقية في اكثر اجزائها ، فلم اختار ابو ماضي ان يكون واقعيا جدا في هذا الموقف ؟ ... وليس يعتذر عن هذا الخطأ ان يقال ان الشاعر (اي ابا ماضي) يريد ان يصور قوة الموت وجبروته ، وتساوي الناس امامه ، فهذا موضوع مبتذل ، والتجديد فيه شاق ، وليس هو الموضوع الاساسي للقصيدة ، بل هذا خطأ آخر وقع فيه الشاعر ، الذي كان حائر النفس مسلوب الخاطر امام الموت ، فانزلق الموضوع من يده نحو الموت وسطوته وجبروته. وهذا التحول بالموضوع جر وراءه اخطاء اخرى ، منها : انه هون من شأن الخلود الذي احرزه الشاعر ، ومنها انه بسط سيطرة الموت على الطبيعة ، على الغاب ، على الصالح والطالح دون تمييز ، فافقد الانسان ثقته في كفاحه ،وافقده ثقته في الطبيعة وكمالها . » (٦)

نقرأ هذا التحليل فنعجب بالمحللين اذ نجدهما قد تغلغلا في نفسية ابي ماضي وكشفاها لنا ، ولم يكن هذا بالسهل ، وان عجزا في الوقت نفسه عن تبيين البواعث التي دفعت ابا ماضي الى ان يكون له « نظرته المفلسفة القائمة على عجز الانسان امام الطبيعة . » (٧)

لم يبق امامنا اذن الا الرجوع الى الوراء وعرض اهم الاحداث التي وقعت لابي ماضي في حياته ، تلك الاحداث التي ظلت مجهولة للان والتي لا شك تلقي ضوءا كافيا على اشعاره ، وتساعد على فهمه فهما كما يجب .

هاجر ايليا محيدثة لبنان الى اسكندرية مصر عام ١٩٠٠ صبيا له من العمر احد عشر عاما ، فترعرع هناك بدنيا وادبيا بينما كان يبيع السجاير والدخان . وفجأة ، عام ١٩١٠ ، يتوفى الله طانيوس ، رابع الاخوة ، وهو بجانب ايليا وفي ريعان الشباب ، فيتكفل هذا بدفنه ويرثيه بقصيدة « البدر الآفل » (٨) التي منها هذه الابيات المتفرقة :

أبعدك يعرف الصبر الحزين ... وقد طاحت بمهجته المنون
عجيب ان تعيش بنا الاماني ... وانا للاماني نستكين
وما ارواحنا الا اسارى ... وما اجسادنا الا سجون
وما في الكون مثل الكون فان ... كما تفنى الديار كذا القطين
فيا لهفي لامك حين يدوي ... نعيك بعد ما طال السكون
ولهف شقيقك الثاني بعيدا ... اذا ما جاءه الخبر اليقين
ستبكيك الكواكب في الدياجي ... كما تبكيك في الروض الغصون
ويبكي اخوة قد غبت عنهم ... وأم ثاكل وأب حزين

ونحن لا نعرف عن طانيوس شيئا ، ولكننا نستطيع ان نقول بشيء من التأكيد ان وفاته كانت من الاسباب التي دفعت اخاه ايليا الى التغرب ثانية . ففي العام التالي بعدما نشر هذا الاخير « ديوان تذكار الماضي » سافر الى امريكا وحط رحاله في سنسناتي اوهايو قرب اخيه الاكبر مراد ، وكان هذا الاخ قد سبقه هناك منذ زمن . وفي هذه المدينة الجديدة بدأ ابو ماضي من جديد ، فقسم وقته بين تجارة السمانة وبين النظم . ونظن ان الحياة سارت مسراها العادي حتى آخر مارس (آذار) ١٩١٦ عندما قدم متري (ديمتري) ، ثالث الاخوة ، الى سنسناتي . ونحن لا نعلم كيف جاء متري ولماذا ، ولكن مراسل جريدة « السائح » النيويوركية ، في عدد ٣ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص٣ ، يخبرنا بانه :

« لم يكن في الحسبان ان يفاجئنا البرق بخبر ارتجت له الابدان الا وهو نعي المأسوف على صباه الفض المرحوم متري ضاهر ابو ماضي شقيق صديقينا العزيزين مراد وايليا في سنسناتي اوهايو .

وجد الشاب الفقيد صريعا في غرفته في سنسناتي التي كان قد قدم اليها قبل ثلاثة ايام . وكان اول من رآه على هذه الحالة رفيقه في المنامة جورج ناصيف ، فدعا بعضهم من الشارع فراوه ، وأسفاه عليه ، ممددا لا حراك فيه ، واثر الرصاص في رأسه ، والمسدس على الارض بقربه . فجاء الاخوان على الاثر والاصدقاء ، وبكوا الزهرة في كمها ذابلة

وما نفع البكاء !

مات الذكي الفؤاد والقوي الهمة غير متجاوز العشرين من عمره . مات غير آسف على دنيا كلها متاعب واهوال ، كلها احزان وويلات ، فتركها ساخرا بها هازئا بزخارفها ، ولكن ـ رحمه الله ـ لم يرحم مهجتي اخوين كان يحرسانه كحدقة العين ، ويدأبان في انجاحه ، ويسهران على حياته ، فتركهما رهن البكاء والعويل . »

ويتابع المراسل في عدد ٦ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٣ ، سرد الحادث الاليم فيقول : « جاء السبت (١ ـ ٤) وهو ميعاد دفن فقيد الشباب المرحوم متري ابي ماضي ، فصلى على الجثة كاهن ابوسكبالي .ونقلت الى النعش المعد لنقلها ، فدرجت عربة النعش ووراءها عربات الازهار المقدمة من الاصدقاء والمعارف في سنسناتي ، ثم عربات عديدة لجمهور غفير من معظم الوطنيين وسائر الموكب المؤثر ، الى المدفن ، الى المكان الاخير الذي يوضع فيه الفقيد . فاكمل الكاهن الصلاة . ووقف الشقيق الشاعر ايليا ابو ماضي عند القبر فرثى شقيقه بعبارات اثارت عواطف الحزن في القلوب ، وبكاه بقصيدة بليغة من الدموع فابكى الاحشاء على الشباب الذابل ، ثم عاد الجميع والحزن ماليء الصدور . »

لقد كانت الرزايا لابي ماضي بالمرصاد وهو لا يدري . فلما نزلت عليه هذه الفاجعة تشجع ، ووقف للمرة الثانية في حياته عند قبر اخ اصغر ثان ، والقى (٩) :

لوعة في الضلوع مثل جهنم ... تركت هذه الضلوع رمادا
بت مرمى للدهر بي يتعلم ... كيف يصمي القلوب والاكبادا
كيف ينجو فؤاده أو يسلم ... من تمادى به الاسى فتمادى
انا لولا الشعور لم أتألم ... ليت هذا الفؤاد كان جمادا
كيف لا أبكي وفي العين دموع ... كيف لا أشكو وفي القلب صدوع
قل في الناس من صبر ... مختارا

لحظة ثم صار ضحكي وجيبا ... ونشيجا ، والنوم صار سهادا
رب لما خلقت هذي الخطوبا ... لم لم تخلق الحشى فولادا
كلما قلت قد وجدت حبيبا ... طلع الموت بيننا يتهادى
صرت في هذه الحياة غريبا ... ليت سهدي الطويل كان رقادا
فتجلد أيها القلب الجزوع ... أو تدفق كلما شاء الولوع
عندما او دما هدر ... أو نارا

كان بين الكرى وبيني صلح ... فاراد القضاء ان نتعادى
لم أكد أخلع السواد واصحو ... من ذهولي حتى لبست السوادا
في فؤادي لو يعلم الناس جرح ... لا يلاشى حتى يلاشي الفؤادا
يا خليلي هيهات ينفع نصح ... بعدما ضيع الحزين الرشادا
أنت لا تستطيع احياء الصريع ... وانا حملء الاسى لا أستطيع
ذا الذي صير الكدر ... أكدارا

ثم يذكر أخاه طانيوس فيقول :

يا ضريحا على ضفاف الوادي ... جاد من أجلك الغمام البلادا
فيك اودعت منذ ست فؤادي ... وبرغمي أطلت عنك البعادا
غير أني وان عدتني العوادي ... ما عدتني بالروح أن أرتادا
أنبتت حولك الزهور الغوادي ... والليالي أنبتن حولي القتادا
وذبول الغصن في فصل الربيع ... لو رآه شجر الروض المريع
جمد الماء في الشجر ... مختارا

وتحرك هذه المأساة المؤلمة بعض الشعراء الاصدقاء ايضا ، فينظم نعمة الحاج « الى البلبل النائح » (١٠) ليعزي بها صديقه ايليا ، ويفتتحها بهذا المقطع :

خل عنك النواح ... وانف عنك الكدر
من تولى استراح ... من شقاء البشر
فعلى الراقد الرقاد الطويل ... رحمة الله بكرة واصيلا
ووداعا قولوا ، وكفوا العويلا ... ذاك حكم القدر

وينظم « غصن » صديق آخر هو فارس شلنك . (١١)

كان لا بد بعد الذي كان ان يضيق ايليا بسنسناتي كما ضاق بالاسكندرية من قبل ، فيتحين فرصة لهجرة ثالثة . وتاتيه الفرصة في الصيف ، فينتقل الى مدينة نيويورك على اثر دعوة من بعض الشباب العربي الفلسطيني يعهدون اليه بتحرير « المجلة العربية » التي كانوا يصدرونها هناك .

ولم يكن هذا الخطب الاليم هو الوحيد الذي تلقاه شاعرنا في فترة الحرب العالمية الاولى ، اي ما بين يونيو (حزيران) ١٩١٤ ونوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ . فقد قيل لنا ان ابرهيم ، خامس الاخوة ، توفي خلال هذه الحرب في المحيدثة ، مسقط رأس الشاعر . (١٢)ونحن لا نعرف بعد كيف ومتى توفي بالتمام ، وان كنا نرجح ان وفاته كانت بعد ابريل (نيسان) ١٩١٦ . ولا شك ان هذه الوفيات المتتابعة في العائلة الماضية اثرت في نفس ايليا فنظم قصائد مثل « في عصر الرشيد » (١٩١٦) ، و « اذا مت » (١٩١٧)، و « انة نائح » (١٩١٨) ،و« نزوة الم » التي لم نستطع تاريخها والتي نظن انها ترجع الى هذه الفترة . (١٣) فقد جاء فيها :

رمته الحادثات بكل سهم ... وخدشه الزمان بكل ناب
فراح كانما هو شعب موسى ... غداة التيه في القفر اليباب
نأى عن أرض مصر حذار ضيم ... ففر من العذاب الى العذاب

ولكن يظهر ان الدهر الذي عبس له زمنا وقسا عليه بدأ يتبسم له ويرأف بحاله . فاذا به يسمع في عام ١٩١٨ انّ اخته الوحيدة جنى (اوجيني) ، صغرى الاخوة ، اقترنت بابرهيم نمر الخوري نعمه ، (١٤) فيفرح في الغربة ومعه مراد ، كما يفرح عندما يخطب هو ، في ١٥ ابريل (نيسان) من نفس السنة ، دوروثي (دورا) ابنة نجيب موسى دياب صاحب جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية ، (١٥) التي اقترن بها في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ . (١٦) ويمر عامان آخران يرزق بعدهما برتشرد اول انجاله ، فيسر ، ويكتب الى امين الريحاني من نيويورك بتاريخ ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٢٢ : « انا كما تركتني الا اني صرت يوم الخميس الموافق ٢٣ شباط ابا وصارت زوجتي اما . فقد رزقنا غلاما هو عندي اجمل قصيدة نظمتها الحياة في حياتي . » (١٧)

ويمر عام تقريبا يجيء بعده ربيع ١٩٢٣ بغير المنتظر . اخته اوجيني التي كانت تملأ قلبه وقلب مراد بعواطف الحياة والامل يتوفاها الله اثر ولادتها الاولى قوسايا البقاع بلبنان . (١٨)

اذن فقد انقلبت عليه الايام مرة ثانية بعد ان كان قد أمن جانبها . وكان الذي اصابه في اخوته لا يكفيه ، اذ به يجد ان ادوارد ، نجله الثاني ،« قد خلق مريضا بعاهة دائمة عاجزا عن القيام بأي عمل .»(١٩)

لم يكن هناك في لبنان ، بعد فقد جنى ، من يستطيع ملء الفراغ الذي تركته في حياة ظاهر (ضاهر) وسلمى ابي ماضي وفاة اربعة اولاد ماتوا كلهم في ريعان الشباب ودون انجاب . لذلك رحل الوالدان الثاكلان الى العالم الجديد ليكونا قريبين من ابنيهما الاكبرين في سنيهم الاخيرة . ولا ندري تاريخ وصول الوالدين الى الولايات المتحدة ، ولكن ندري انهما اقاما فيها وقتا ينعمان بمرآى ابنيهما وحفيديهما حتى كانت اواخر عام ١٩٢١ عندما قرر الوالد « ان يغادر هذه البلاد ... مدفوعا بعامل الحنين الى مراتع صباه وشبابه ، فعاد الى الوطن رغم توسلات نجليه . » (٢٠) وتمضي اشهر يصل بعدها الى زوجته وابنيه ، في يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ ، نعيه غير المتوقع من المحيدثة . وكان لهذه الوفاة المفاجئة بعيدا عن العائلة وقعها في ايليا الذي رثا اباه بقصيدة منها هذه الابيات المتفرقة (٢١) :

أبي ! خانني فيك الردى فتقوضت ... مقاصير أحلامي كبيت من التبن
فليس سوى طعم المنية في فمي ... وليس سوى صوت النوادب في أذني
أبحت الاسى دمعي وأنهبته دمي ... وكنت أعد الحزن ضربا من الجبن
أحتى وداع الاهل يحرمه الفتى ... أيا دهر هذا منتهى الحيف والغبن

ولكن من عادة الدهر الا يستقر على حال مهما طال . اذ تبسم له

ثانية بعد نجلهم . ففي ١ ـ ٥ ـ ١٩٣٣ يسعد الشاعر بروبرت ، مولوده الثالث والاخير . (٢٢) وتستقيم له الايام بعد ذلك ، فيهنأ بها بعد ان تحمل الكثير من اذاها . ولا يعكر صفو هذا الهناء الا فجيعتان ليس لهما ، على ما نظن ، هول فجائعه السابقة . فاما الفجيعة الاولى فهي وفاة حميه بمدينة نيويورك في ١١ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ ، اثر عملية جراحية ، وله من العمر ـ كما قيل ـ ستة وخمسون عاما . (٢٣) واما الفجيعة الثانية فهي وفاة والدته قريبة منه في ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٣ ، وهي في سبعينياتها او ثمانينياتها . (٢٤) وتفيدنا جريدتا « السائح » و « الهدى » بتاريخ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ ، ص ٢ و ٣ على التوالي ، بأن ابا ماضي كان قد ودع حماه عند القبر بقصيدة مؤثرة ، لم أوفق الى العثور عليها بعد . أما والدته فلم يرثها هو ، حسب ما جاء في « السائح » بتاريخ ٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٤٣ ، ص ٢ ، بل رثاها صديقان له : توفيق فخر مساعده في تحرير « السمير » ، وفوزي البريدي صاحب جريدة « الاصلاح » النيويوركية ، ومرافقه في سفرته الى لبنان عام ١٩٤٨ .

بقي الآن ، وعلى ضوء ما تقدم ، النظر في الفكرة القائلة بالحاد أبي ماضي وكفره . لقد استسهل الاب روفائيل نخلة اليسوعي الامر، كما استسهله غيره ايضا ، فحكم على أبي ماضي ، حكما نظنه فاصلا ، بانه « كافر متحذلق » ، « يجهد مخيلته لبث الحاده السمج » ، وبانه « قد سخر شاعريته السامية لنشر الحاده وشكه الفاضحين في انحاء العالم العربي » (٢٥) ، دون ان يحاول البحث عن بواعث هذا الكفر ، ولو فعل لما صب غضبه على أبي ماضي كما صبه ، بل لقام مدافعا عنه كما قام الاب لويس شيخو اليسوعي من قبل، مدافعا عن المعري ، حين كتب « تبرئة أبي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء » . (٢٦)

وهنا يجب علينا ان نقف لحظة لنتساءل : أليس من الانصاف لانفسنا وللاديب المدروس أيا كان ، اذا جهلنا تفاصيل حياته ووقائعها، وتغبت علينا مكوناته النفسية ومسبباتها ، ولم يكن امامنا الا المعلوم من انتاجه الادبي نعتمد عليه اعتمادا كليا لدرسه ، أليس من الانصاف ـ ان نتثبت في احكامنا عليه ، ونتحفظ في اصدارها ؟

فهم هذا زهير ميرزا ، فكتب في دراسته القيمة تحت عنوان « الله ومشيئته » : « ليس هناك وضوح في رأي الشاعر في هذا الموضوع الخطير ، فلست تلمح الحادا وكفرا ، كما لا تلمح ايمانا واضحا » . (٢٧) اما انا فاستطيع ان اقول ان أبا ماضي كان مؤمنا ، غير ان ايمانه كان اكثر وضوحا في شبابه منه في كهولته وشيخوخته . تشهد بذلك قصيدة مصرية له ما زالت مخطوطة (٢٨) ، جاء فيها :

أنكرت ربك هازئا ... هبلتك أمك جئت نكرا
وزعمت ان الله وهم ... مر في الاذهان مرا
ونما مع الاجيال حتى ... صار رب الناس طرا
فعلى م ذهنك ما به ... أثر له ، أفكنت صخرا
اني لابصر في الصخو ... ر وكل شيء منه أثرا
حاشا المهيمن أن يكو ... ن كما زعمت، لقيت شرا
قصرت عن ادراكه ... فحسبت بالرحمن قصرا
وكذاك ذو الطرف الحسـ ... ـير يخال بالاضواء حسرا

قل للالى نبذوا التقى ... واستملحوا الكفر الامرا
من ذا الذي أرخى الظلا ... م ، وأطلع القمر الاغرا
ومن الذي نظم الكوا ... كب في السما بدرا فبدرا
ومن الذي أرسى الجبا ... ل ، وسير الامواه بحرا
ومن الذي نشر الغما ... م وساقه للارض قطرا
وعجائب وغرائب ... لا أستطيع لهن حصرا
أفكل ذلك صدفة ... جاءت لامر ليس يدرى
اني تتبعت المشا ... هد وهي فوق الارض تترى
فرأيت هذي الشمس تط ... لع ثم تغرب وهي حسرى

ولقد نظرت البحر بخـ ... ـطر لا يني مدا وجزرا
لا يستقر وكل مـا ... فيـه أراه مستقـرا
والليل يقفوه النهـا ... ر ويقتفيه الليل اثـرا
يتناوشان كلاهمـا ... أعمارنا كرا وفـرا
واليوم يمضي لا يعود ... كأنما قد حل قبرا
والمرء يولد غير مخـ ... ـتار ، وبعد يموت قسرا
هـذا وذاك وكلهـا ... تدعو الحكيم بأن يقـرا
أو بعد ذلك يستطيـ ... ـع المـرء بالديان كفرا
رب السماوات العلى ... والموجـد الاشياء طـرا
انـي لارجو أن تشـو ... ب الى الهدى فانال أجرا
من لم يعمر قلبه الـ ... ـايمان ظل الدهر قفرا

نعم ، كان أبو ماضي مؤمنا حقا ، فلولا هذا الايمان الذي ملأ قلبه في صباه لما صمد في هذه الحياة بعد الذي أصابه فيها . وكم كان صادقا حين قال في قصيف تكشف عن شخصيته (٢٩) :

فما حطمت يد الايام روحي ... وان حطمت أباريقي و

وللحديث عن أبي ماضي بقية ، أيها القارىء العزيز .

الحواشي

(١ ـ ٣) عبد اللطيف شرارة ، « ايليا أبو ماضي : دراسة تحليلية » . بيروت ، دار بيروت ـ دار صادر ، ١٩٦٥ ، ص ٦ ، ٢٨، ٣٤ على التوالي .

(٤) عيسى الناعوري ، « ايليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث » . ط ٢ . بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٥٨ ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٥) نادرة جميل سراج ، « دراسات في شعر المهجر : شعراء الرابطة القلمية » . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ص ٣٣٩ ، أو ١٩٦٤ ، ص ٣٣٦ .

(٦ ـ ٧) احسان عباس ومحمد يوسف نجم « الشعر العربي في المهجر : اميركا الشمالية » . بيروت ، دار صادر ـ دار بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٦٥ و١٥٢ على التوالي .

(٨) راجع القصيدة في « ديوان تذكار الماضي ، نظم ايليا ظاهر ابو ماضي » ، الجزء الاول . الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٩) راجع القصيدة كلها في « ديوان ايليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني . نيويورك ، مطبعة مرآة الغرب اليومية ، ١٩١٩ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ، وعنوانها « مصرع القمر » . نشرت أصلا بعنوان « دمعة حارة» في « السائح » ٢٤ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ . راجع كذلك « السائح » ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٣ ، تحت عنوان « واجب الشكر » .

(١٠) نشرت القصيدة اصلا في « السائح » ١٥ ـ ٥ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ ، ثم في « ديوان نغمة الحاج » ، الجزء الاول . نيويورك ، المطبعة التجارية السورية الامريكية ، (١٩٢١) ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١١) القصيدة في « السائح » ٦ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ .

(١٢) جرجي ابرهيم نصر ، « امير شعراء المهجر : ايليا أبو ماضي ، ١٨٨٩ ـ ١٩٥٧ » ، « المشرق » البيروتية ، ت٢ ـ ك١ ١٩٦٩ ، ص ٦٥٢ .

(١٣) نشر أبو ماضي القصائد الثلاث الاولى أصلا في « الفنون » النيويوركية ، آب ١٩١٦ ، ص ٢٤٤ ، « السائح » ١١ ـ ١٠ ـ ١٩١٧، ص ٤ ، و « السائح الممتاز » ١٧ ـ ١ ـ ١٩١٨ ، ص ٢ ، على التوالي . ثم ضمنها « ديوان ايليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني ، ١٩١٩ ، ص ٢٨ ، ١٩٠ ، ١٥٦ . اما قصيدة « نزوة ألم » فهي في ص ٩٣ . والملاحظ أن أبا ماضي كان يغير أحيانا عناوين قصائده عندما ينشرها في ديوان . فقصيدة « اذا مت » أصبحت « ابنة الفجر » و « انة نائح » أصبحت « يا جارتي » . والعنوانان الجديدان كما نرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شجن

سهـــرت تسامرنـي ادمعـــي ... وليت الـــذي همت فيه يعـي
يعـي مـــا أقاســـي فينصفني ... ويرحـم شكـــواي او يدعـــي
يـرى في عيونـي شمـوع الاسى ... وفـــي ضوئها لمعـت أدمعـــي
ويسمع خفق ابن جنبي الـذي ... تعالـــى وضاق بـــه مسمعـي
فينكر دمعي وخفق ابـن جنبـي ... ومـا قـد تداعت لـــه أضلعـي
وامضي على درب هـــذا الجوى ... الى الشجن البالـــغ المفـــزع
ومـــن عبث الحـب بالعاشقين ... حنـين المحـب الـــى المصـرع
وحسبي خطـاه اذا مـا خطـــا ... ولـــو في دموعـي او أضلعـــي
وأفديـه قلبـــا غـــدا طيعـا ... واطـوع مـن مدمعـي الطيـــع
لان صـــــار مـورده سلسـلا ... صفـي الجـداول والمنبـــع
هـو ... وهـو المنـار الـــذي ... يقـــود شراعي الـــى الابـدع
واخشى زمانـا يـــرى مدمعـي ... عصيا ، فيهفو الـــى أدمعـــي

القاهرة — أحمد عبد المجيد

خاليان مَن النغمة الحزينة . واحب ان أشير هنا أيضا الـــى المثـل اللاتيني Per aspera ad astra الذي أدرجه أبو ماضي في نهايـة قصيدة « عصر الرشيد » ، ص ٣٢ من الديوان المذكور ، والـــذي ترجمته « خلال الصعاب الى النجوم » .

(١٤) جرجي ابرهيم نصر ، ص ٦٥٦ .

(١٥) « السائح » ١٥ ـ ٤ ـ ١٩١٨ ، ص ٢ . راجع كذلـك « السائح » ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩١٨ ، ص ٥ ، التي نشرت تحت عنـوان « مداعبة شعرية » قصيدتين : الاولى لندرة حداد نظمهـا بمناسبة خطبة صديقه ايليا ، والثانية لابي ماضي يرد بها على ندرة .

(١٦) « السائح » ٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٢٠ ، ص ٢ .

(١٧) « السائح » ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٢٢ ، ص ٢ ، و « الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه » ، جمعها ألبرت الريحاني . بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٨ .

(١٨) « السائح » ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٢٣ ، ص ٢ .

(١٩) جورج صيدح ، « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » ، ط ٣ . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩٥ . راجع كذلك خيرية خيري ، « ايليا أبو ماضي يقـــول ... » ، مجلة « الجيـــل » القاهرية ، ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٥٥ ، ص ٣٥ . لم اعثر اثناء بحثي على تاريخ ولادة ادوارد ، أما تاريخ عماده فهو ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٢٤ حسب ما جاء في « السائح » ١ ـ ١٢ ـ ١٩٢٤ ، ص ٢ .

(٢٠) « السائح » ٢٩ ـ ١ ـ ١٩٣١ .

(٢١) « الخمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ . ص ١٠٩ .

(٢٢) « الهدى » النيويوركية ٥ ـ ٥ ـ ١٩٣٣ ، ص ٣ .

(٢٣) « الهدى » ١١ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ ، ص ١ ، و « السائح » ١٣ ـ ٧ ، ص ٢ . لم تذكر هاتان الجريدتان تاريخ ميلاد دياب او سنه عند الوفاة ، أما جريدة الـ « نيويورك تايمـز » بتاريـخ ١٤ ـ ٧ ، ص ٢٠ ، فتفيدنا بان عمره كان ٥٦ عاما ، وهذا غير معقول . فالمعروف انه تولى تحرير جريدة « كوكب اميركا » النيويوركية عام ١٨٩٣ حتـى انشأ جريدته « مرآة الغرب » في ١٢ ـ ٩ ـ ١٨٩٩ وعكف على تحريرها وادارتها حتى وفاته . راجع لهذا ما كتبه سلوم مكرزل في « الهدى » ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٦ ، ص ٤ ، وفيليب دي طرازي في « تاريخ الصحافة العربية » ، الجزء الرابع . بيروت ، المطبعة الاميركانيـة ، ١٩٣٣ ، ص ٤٠٧ و ٤٠٩ .

(٢٤) « السائـح » ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٣ ، ص ٣ ، ٢٩ ـ ٣ ، ص ٣ ، « الهدى » ٢٣ ـ ٣ ، ص ٣ . ـ نرجح هذه السن اذا كان صحيحا أن الوالد كان له من العمر ٧٦ سنة عندما توفي ، حسب مـا ذكره جرجي ابرهيم نصر ، ص ٦٥٢ .

(٢٥) الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، « الشاعر ايليا أبو ماضي، ١٨٩٠ ـ ١٩٥٧ » ، « المشـرق » ، ك٢ ـ شباط ١٩٦٨ ، ص ٨٤ ، ٧٧ ، ٨٦ .

(٢٦) الاب لويس شيخو اليسوعي ، « تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء » ، « المشرق » ، ١ ـ ١٢ ـ ١٩٠١ ، ص ١٠٦٨ ـ ١٠٧٢ .

(٢٧) « ايليا ابو ماضي شاعر المهجر الاكبر : شعر ودراسة » . ط ٢ . (بيروت) ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٣ ، ص ٨٦ .

(٢٨) تفضل صديقي الدكتور روبـرت ماضي فوضع مخطوطات والده بين يدي . وانا الان قيد اعداد « مصريات ابي ماضـــي المجهولة » ، وهو كتاب يضم اشعار ابي ماضي التي نظمها في مصر ولم ينشرها في ديوان ، والتي منها هذه القصيدة . اما اشعـاره الاخرى المجهولة التي ظلت مبعثرة في بعض الجرائد والمجلات والكتب فقد جمعت منها ٧٨٤ بيتا في كتاب تحت الطبع الان عنوانه « ايليـا ظاهر ابو ماضي ، ١٨٨٩ ـ ١٩٥٧ : اشعار له مجهولة مع تاريـخ وبيليوغرافيا لدراسته » .

(٢٩) قصيدة « وقائلة » في « الخمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ ، ص ٣٨ .

واشنطن — جورج ديمتري سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصرع كبش

●

وقفت فما أغراك يا كبش بالموت ... أما كان خيرا لو مضيت على سمت
وظلت لنعجات يرينك سيدا ... وكنت بها تمضي الى صالح النبت
ولكن قضاء حال دونك فانثنت ... دلائل حمق اوصت النفس بالبت
بدت صورة شوهاء . قرنان لوحا ... وعينان مثل النار نفثا بلا صوت
أجل خانك التوفيق يا كبش عندما ... نهزت الى كبش شبيهك في النعت
هجمت تريد الخصم وهو معرس ... بمرآته يختال كالفارس الصلت
كانك لما ان نويت تريده ... وتقتص منه الغدر فعل ذوي الخت(١)
تقول لنفس لم تهبك قيادها ... لقد زغت عن حق وفي العدل قد جرت
فما هي الا لحظة كنت بعدها ... طريحا تعاني خيبة الحظ والبخت
هو الحمق يردي ذا الحجا ما مضى به ... الى مستقبل الركب باليسر والعنت
فماذا ترى لو كنت تسمح عن رضى ... برفقة ذاك الند بعضا من الوقت
واصبحتما قد بارك الله فيكما ... رفيقي معاش في اليسار وفي السحت(٢)
ترودان أرض الله وهي فسيحة ... وتستأنسان العيش حلوا بلا مقت
وخير كثير والظلال وريفة ... وخضراؤها من بعد صحراء مرت(٣)
فان كانت النعجات تخلف ضغنة ... لدى كل ذي قرنين فاتك ما تأتي
فان نعاج الله كانت وفيرة ... وفيها رغاب كاشفات عن الكبت
أما كان يكفي أربع قد تحوزها والعدل اذ يفتي
فيا كبش ان احزن فليس لانني ... رأيت فتى يمضي الى الهلك بالبغت
ولا أن ظلما قد أردت به أخا ... لتقذفه من بعد عزالي تحت
ولا أن فذا مثلك اليوم قد غدا ... صريع هوى ما عاد يجدى به لفتي
ولكن لأني قد رأيت بما جرى ... صراعا على الرغبات بالقسر واللت(٤)
صراعا جمعنا لا اختلاف بنا ولم ... نكن مرة أخلاق روح ولا نحت
يجمع منا القول فيما نرى به ... ملاذا اذا لم يؤذن القوم بالشت (٥)
فيا ليت أني بالغ منك مطلبي ... أيا كبش اردى حمقه الكبش يا ليتي
رأيت خصيما خانك القصد عنده ... فكنت بئيس الحال في الصد والهرت(٦)
فاصبح أهل الحي من بعد عزهم ... على أسوأ الاحوال من عارض الفوت(٧)
واصبحت النعجات بعدك رملت ... وأقوانها في الارض تعمل بالنكت
وها أنت في قاع الحفير وقد هوت ... رغابك في قاع من الابد السكتى
وأمسيت للذؤبان لقمة سائغ ... ولا تستطيع الدفع بالصوت والصت(٨)
ولكن نزولا عند حكم مقدر ... على كل باغ غاله القدر المعتى

(١) الخت : الخسة والغدر . (٢) السحت : العسر والجدب او ما خبت من المكاسب . (٣) المرت : المفازة او الارض لا نبات فيها . (٤) اللت : السحق والدق . (٥) الشت : امر شت أي متفرق . (٦) الهرت : الطعن . (٧) الفوت : الهلاك . (٨) الصت : الدفع يقهر .

القاهرة — حسين رشيد خريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

هدا من ثائره

ويخطئون من يقول : هدأ (بفتح فتضعيف) من ثائره . ويقول اللسان والاساس والمحيط ومتن اللغة والمصباح : ان الصواب هو : أهدأ (بفتح فسكون) ثائره (بفتح الراء) ، لان الفعل (اهدأ) يتعدى بنفسه .

ولكن الصحاح والوسيط ومد القاموس تقول : إهداه : سكنه ، ويقال : هدأت (بتضعيف الدال) الصبي أمه : اذا جعلت تضرب عليه بكفها لينام ، واهداته اهداء . وينقل التاج في مستدركه عبارة الصحاح نفسها ، دون ان تظهر الشدة على دال (هدأ) ، وارجح ان الشدة سقطت في الطباعة عن الدال ، لان الفعل (هدأ) لازم في جميع المعاجم ، وقول التاج : وتسكنه (بالهاء ودون شدة على الكاف) ، وقوله بعد ذلك : (واهداته اهداء) يدل ان التاج يريد : هدأت (بتضعيف الدال) الصبي (بتضعيف الياء وفتحها) . لذا يحق لنا ان نلجأ الى المجاز ، ونقول : هدأت (بتضعيف الدال) ثائر القائد .

هدف اليه

ويقولون : هدف الى الفتك بالعدو . والصواب : كانت غايته الفتك بالعدو ، او : استهدف الفتك بالعدو (مجمع القاهرة) ، او : جعل الفتك بالعدو هدفا له . اما الفعل (هدف) فمن معانيه :

١ ـ هدف اليه : دخل (التاج ومتن اللغة والمحيط) .
٢ ـ هدف اليه : اسرع (التاج واللسان ومتن اللغة) .
٣ ـ هدف للخمسين ، او اهدف لها : قاربها . (مجاز) (التاج والاساس والمحيط) .
٤ ـ هدف فلان : كسل وضعف (مجاز) (متن اللغة) .
٥ ـ أهدف اليه : لجأ (مجاز) (التاج واللسان والمحيط والصحاح ومتن اللغة) .
٦ ـ أهدف له الشيء (بضم الهمزة) : عرض له (التاج والاساس ومتن اللغة واللسان والمحيط والصحاح والمصباح) .
٧ ـ أهدف منه : دنا (التاج والمحيط ومتن اللغة) .
٨ ـ أهدف له : دنا (اللسان ومتن اللغة) .
٩ ـ أهدف على التل : أشرف (اللسان والمحيط ومتن اللغة والصحاح) .

اهداه كتابا

ويقولون : أهدى فلانا كتابا . والصواب : أهدى لفلان او الى فلان كتابا ، أي : بعث به اليه واتحفه به اكراما .

ومنه : أهدى الهدي الى الحرم : ساقه . والهدي (بفتح فسكون) : هو ما أهدي الى الحرم من الابل والشاء .

وأهدى العروس الى بعلها : زفها اليه .

هداه الطريق

ويخطئون من يقول : هداه الطريق . ويقولون ان الصواب هو : هداه الى الطريق . وفي الحقيقة يأتي الفعل هدى (أي : أرشد) متعديا دون حرف ، فتقول : هديته الطريق (بفتح القاف) ، وهذه لغة الحجاز . ونقول ايضا : هداه الى الطريق ، وهداه للطريق ، متعديا بحرفي الجر (الى) او (اللام) .

والفعل (هدى) من اكثر الافعال ورودا في آي الذكر الحكيم ، اذ جاء ١٣٧ مرة ، اما متعديا دون حرف ، او متعديا بحرف الجر (الى) أو (اللام) ، ففي الآية ٦٧ من سورة النساء أخذ الفعل (هدى) مفعولين . وفي الآية ٣٥ من سورة يونس ، جاء المفعول به الثاني مسبوقا بحرف الجر (الى) مرة ، وبحرف الجر (الباء) مرة اخرى .

في هرج ومرج

ويقولون : كانت أسرتا العروسين في هرج (بفتح فسكون) ومرج (بفتح فسكون) . والصواب : كانت الاسرتان في مرح (بفتح ففتح) وطرب ، لان معنى الهرج (بفتح فسكون) هو : الفتنة ، والاختلاط ، والقتال . أما معنى المرج (بفتح ففتح) فهو : القلق : والاختلاط ، والاضطراب ، والفتنة المشكلة ، والتهويش .

وقد سكنت الراء في (مرج) للمزاوجة مع (هرج) .

الهراوة

ويقولون : ضربه بالهراوة (بضم الهاء) . والصواب : ضربه بالهراوة (بكسر الهاء) ، وهي العصا ، وقيل : العصا الضخمة . والجمع : هراوى (بفتح الهاء وبالالف المقصورة) ، وهري (بضم فكسر فتضعيف) ، وهري (بكسر فكسر فتضعيف) .

نقول : هروته (بفتح ففتح) ، أهروه (بفتح فسكون) ، هروا (بفتح فسكون) . ويجوز ان نقول : هريته : ضربته بالهراوة .

هطول المطر

ويقولون : هطول المطر . وليس بين مصادر الفعل (هطل) المصدر (هطول) . ففي المعاجم : هطل المطر هطلا (بفتح فسكون) ، وهطلانا (بفتح ففتح) ، وتهطالا (بفتح فسكون) : مطر متتابعا متفرقا عظيم القطر ، فهو هطل (بفتح فكسر) ، وهاطل . وهي هطلة (بفتح فكسر) ، وهاطلة . والجمع : هطل (بضم وتضعيف الطاء المفتوحة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تهافت على الخير

ويقولون : تهافتوا على الخير . والافصح : تهافتوا على الشر ، لان الفعل (تهافت) لم يستعمل الا في الشر والمكروه .

وفي الحديث : يتهافتون في النار ، أي : يتساقطون ، من الهفت، وهو السقوط .

ويقول صاحب اللسان : واكثر ما يستعمل (التهافت) في الشر .

وجاء في التاج : تهافت القوم تهافتا : تساقطوا موتا . وفي مستدرك التاج : تهافت الثوب تهافتا : تساقط وبلي .

وانا لم اعثر على أديب او شاعر يوثق بهما قد استعملا الفعل (تهافت) في الخير . ولكن هذا لا يعني ان استعماله في الخير خطأ .

طائرة هليكوبتر

ويقولون : سافر بطائرة هليكوبتر . والصواب : سافر بطائرة عمودية ، لانها تحلق عموديا وتهبط عموديا ، أو : سافر بطائرة مروحية ، لان في أعلى هيكل الطائرة مروحة .

هليون

ويطلقون على النبات المعروف اسم هليون (بفتح فسكون ففتح) . والصواب : هليون (بكسر فسكون ففتح) .

أمر هام

ويخطئون من يقول : أمر هام ، ولا خطأ في ذلك ، لان هنالك فعلين : همه الامر ، يهمه (بضم الهاء) ، هما (بفتح فتضعيف) ، ومهمة (بفتح ففتح فتضعيف) : أقلقه وحزنه ، فهو هام . وهنالك ايضا : أهم (بفتح ففتح فتضعيف) الامر فلانا : أقلقه وحزنه ، فهو مهم (بضم فكسر فتضعيف) . وكلتا الكلمتين صحيحة .

يهمني ان تفعل كذا

ويقولون : يهمني (بفتح فضم فتضعيف) ان تفعل كذا . والصواب : أود ان تفعل كذا . او : ارغب في ان تفعل كذا ، لان الفعل (هم) هنا يعني : أقلق وأحزن .

اما هم (بفتح فتضعيف) بالامر يهم (بفتح فضم) ، فمعناه : عزم عليه . وهمه السقم : أذابه .

واهمه (بفتح ففتح فتضعيف) الامر : أقلقه واحزنه .

هيمنة النسيم

ويقولون : هيمنة النسيم ، أي : صوته الخفيف جدا . والصواب : هينمة النسيم ، اذا لجانا الى المجاز، لان تاج العروس يقول: الهينمة (بفتح فسكون ففتح) هي الدعاء الى الله تعالى . بينما يقول الثعالبي في فقه اللغة : الهينمة شبه قراءة غير بينة . أما الفعل هيمن (بفتح فسكون ففتح) فمن معانيه :

١ ـ هيمن عليه : هيمنة (بفتح فسكون ففتح) : صار رقيبا عليه وحافظا .

٢ ـ هيمن عليه : شهد عليه .

٣ ـ هيمن الطائر على فراخه : رفرف .

٤ ـ هيمن الرجل هيمنة : قال آمين .

اما المهيمن (بضم ففتح فسكون فكسر) فمن أسماء الله الحسنى، ومعناه : القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم .

الهناء

ويقولون : عاش فلان في هناء . والصواب : عاش في هناءة ، رغم ان ابن الرومي استعمل كلمة (الهناء) كثيرا في شعره ، وهو القائل :

ليس للمكثر المنغص عيش انما عيش عائش بالهناء

والقائل :

وكذا كلما نويت لمولا ك مزيدا ، اوتيته والهناء

كان وسيم هو الناجح

ويخطئون من يقول : كان وسيم هو الناجح (بضم الحاء) ، ويقولون ان الصواب : كان وسيم هو الناجح (بفتح الحاء) ، لان (هو) يسمى ضمير الفصل ، او ضمير العماد ، ولا محل له من الاعراب لانه حرف ، وسمي ضميرا لمشابهته الضمير في صورته .

وسمي ضمير فصل ، لانه يؤتى به للفصل بين ما هو خبر او نعت . ولذا يعربون الناجح (بفتح الحاء) خبر كان المنصوب . ويعربون (هو) ضمير فصل او عماد لا محل له من الاعراب .

وقد جاء في الآية ٣٢ من سورة الانفال : « ان كان هذا هو الحق من عندك (بكسر الدال وفتح الكاف ونصب القاف المضعفة في كلمة : الحق) »

وجاء في الآية ١١٠ من سورة المائدة : « فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » (توفيتني ، بفتح ففتح ففاء مضعفة مفتوحة ففتح ، كنت : بفتح التاء . الرقيب : بفتح الباء)

وقال سيبويه : « ان كثيرا من العرب يجعلون (هو) واخواته اسما مبتدأ ، وما بعده خبره » .

وحكي عن رؤبة بن العجاج ، الراجز المشهور ، وأحد ائمة اللغة الذين يستشهد باقوالهم ، والمتوفى سنة ١٤٥ هـ . انه كان يقول : أظن زيدا هو خير منك .

وحكي ان كثيرا من العرب كانوا يقولون : وما ظلمناهم ، ولكن كانوا هم الظالمون . (راجع الجلد الاول من كتاب سيبويه ، صفحة ٣٩٥) .

لذا لا ارى اعراب ضمير الفصل خطأ ، ولكنني أرى الافصح ان نعامله كحرف خالص الحرفية كما عامله القرآن الكريم ومعظم ائمة النحاة .

بلا هوادة

ويقولون : سنحارب الاعداء بلا هوادة (بضم الهاء) ، أي بلا لين او رفق أو صلح . والصواب : سنحارب الاعداء بلا هوادة (بفتح الهاء). ويجوز ان نقول ايضا : بلا مهاودة (بضم الميم وفتح الواو) ، وتهود ، وتهواد (بفتح فسكون) ، وتهود (بفتح ففتح فواو مضعفة مضمومة) .

مهووس

ويقولون عن الرجل المصاب بلوثة في عقله بانه رجل مهووس (بفتح فسكون فضم) . والصواب : رجل مهوس (بضم ففتح فواو مضعفة مفتوحة) .

والهوس (بفتح ففتح) : طرف من الجنون . ويعني (الهوس) عند العامة : الميل والرغبة والعناية الزائدة .

الهوية

ويقولون : أضاع فلان هويته (بفتح فكسر فياء مضعفة مفتوحة) . ويقصدون بالهوية حقيقة الشخص المطلقة ، المشتملة على صفاته الجوهرية . والصواب : اضاع فلان هويته (بضم فكسر فياء مفتوحة مضعفة) ، لان هذه الكلمة جيء بها نسبة الى (هو) . اما الهوية (بفتح الهاء) فهي البئر البعيدة القعر . والهوية (بفتح الهاء) مذكرها : هو (بفتح فكسر منون) ، وهو المحب . وفعله : هوي (بفتح فكسر) يهوى (بفتح فسكون ففتح) ، هوى (بفتح الهاء وبالالف المقصورة) .

أهاجه

ويقولون : أهاجه . أي : أثاره . والصواب : هاجه يهيجه (بفتح فكسر) هيجا (بفتح فسكون) وهيجانا (بفتح ففتح) وهياجا (بكسر الهاء) ، لان جملة : أهاجت الريح النبت ، معناها : ايبسته .

محمد العدناني

عانقي قلبي ومدي ساعديك

رمضان الصبـاغ

المنصورة ـ مصر

حبيبتـي
أحب في عينيك هذا البحر
يسكرني من شفتيك العطر
يلفني .. يجذبني
يأخذني الى ربيع الزهر
أعانـق الاطيـار
وأرتوي من عسل الانهار
وأتغنى فرحـا بالشعر

حبيبتـي
اليك طار عاشق وحيد
لاذ بصدرك المفتوح
بقلبك السعيد
يعزف لحنه الجريح
يحاول العبور نحو عالم الزهور
والأسـرار
يحاول الخروج ..
من مدائن الأحجار
فعانقي فؤاده الذي أحب
وعانقي في صدره الاشعار

حبيبتـي
ها أنذا بين يديك
حمامة صغيرة تدور حول الأيك
وزهرة رحيقها في شفتيك
فعانقي قلبي ، ومدي ساعديك
تثمر في دمي الحدائق
وتطلـع الزنابـق
ويتغنى في ربيعي الحب
كما يغني زهر وجنتيك

حبيبتـي
اليك أعبـر البحار
شراعي الفؤاد
وساعدي الاصرار
فانتظـري
فانني على جناح الريح آت
وفي عيون الشمس آت
وفي ضياء البدر آت
وفي الزهور في الربيع آت
انتظـري
فقد حملت في فؤادي عالما من الاسرار
هجرت يا حبيبتي برودة المحار
وجئت .. جئت يا حبيبتي اليك
أعصر قلبي العاشق المفتون في كفيك
انتظـري
فالعاشق الذي أحب آت
فالعاشق الذي أحب آت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحث عن السعادة

بقلم عبد العزيز جادو

منذ عهد سحيق متطاول في الزمان، كان هناك ملك عظيم ، رأى نفسه قد بلغ من العمر عتيا ، فدعا اليه اولاده الثلاثة وعرض عليهم رسما لغادة حسناء . وكان يبدو عليها الجمال بأبهى مظاهره ، وأجلى معانيه في ثوبها البسيط الناصع البياض ، الامر الذي جعل الامراء الثلاثة يشغفون بها حبا ، ويتمناها كل لنفسه . فتساءلوا جميعا : « من تكون هذه الحسناء ؟ » . فأجابهم الملك الكبير : « انها تدعى (السعادة) ، ومن يبحث عنها منكم ويحضرها معه هنا تكن عروسا له أزوجه منها واتخلى له عن العرش ليكون حاكما » فسألوا : « واين تعيش هذه ؟ واين يمكن ان نبحث عنها ؟ » .

ـ هذا ما لا يمكن ان اصرح به ، وليس من كتمانه بد . وعليكم ان تجدوا في البحث عنها .

فجمع الاخوة الثلاثة امتعتهم واستعدوا للرحيل . وقبل ان ينطلقوا ، استدعاهم الملك مرة اخرى وقال لهم :

ـ اولادي .. لقد كدت انسى هذه الاعشاب . ان هذه اللفافة التي امامكم ، قد وهبتها لي امي منذ عشرين سنة وظلت مهملة في مخزن القصر لم ينتفع بها احد منذ ذلك الحين ، وهي تحوي صنفا من الاعشاب يطلق عليه اسم « العطاء »، تجلب الفرح لكل من اعطيتموه منها، وتخفف عنه الالم ، وتذهب الحزن.

فضحك الابن الاكبر وقال: لست في حاجة لشيء من هذا ، فهو لن يساعدني في العثور على «السعادة». وفي حوزتي مال كثير وحلى نفيسة.

وهزأ الابن الثاني بها ايضا قائلا: ان هذه الاعشاب التالفة المتربة ليس في مقدورها مساعدتي في الحصول على « السعادة » وسأحصل عليها حتما باستخدام عقلي .

ولكن الابن الاصغر قال مبتسما: لست ارى كيف يمكن ان تقودني هذه الاعشاب الصغيرة الى « السعادة » ، ولكني على كل حال، سآخذها معي لاعطي منها كل من يصادفني في الطريق من المحزونين والمتألمين .

فانطلقوا معا . وبينما كانوا سائرين راوا فتاة فقيرة حيرى ، جالسة على قارعة الطريق ، يستر جسدها ثوب بسيط ، وعلى راسها غطاء يتدلى على وجهها فيحجبه . فوقفوا يسألونها عن هويتها . فأجابتهم بحياء وخفر :

ـ من الناس من يسميني « القناعة » ، وما انا الا فتاة رقيقة الحال .

فواصل الاخوان الاكبران سيرهما قائلين : علينا ان نحث الخطى اذا اردنا ان نجد السعادة ، فليس لدينا وقت نضيعه مع فتاة كهذه .

اما الابن الاصغر فوقف امامها وسألها : لماذا تجلسين هنا على قارعة الطريق ؟

فاجابت : انني أجلس هنا لكي استريح قليلا ، ولانعم برؤية الشمس وهي تشرق . ولكن ماذا تملك في جعبتك ؟

قال : ان هي الا اعشاب كالحة، كانت تمتلكها جدتي وتتصدق بها على الناس . اسمحي لي ان اقدم لك شيئا منها .

فشكرته ثم سألته عن وجهته ، فأجاب : سأطوف العالم للبحث عن « السعادة » ، وربما كان في استطاعتك ان تدليني أين يمكنني ان ابحث عنها . أغلب الظن ان بيننا وبينها بعدا شاسعا ..

فقالت الفتاة المعوزة : ربما لا تكون بعيدة كما تظن ، ولعلك تقابلها في بعض هذا الطريق .

ـ اذن فلأتحرك . واذا كنت ستذهبين في طريقي ذاتها يمكنك ان تمتطي جوادي ، فلعل صحبتك تهون علي وحدتي وبعض ما الاقيه .

وبدآ رحلتهما ، فكان هو يسير على قدميه ، وهي تمتطي صهوة جواده . وبعد قليل لقيهما رجل مقعد يسألهما شيئا من المال فقال له الشاب : « سأعطيك بعضا من المال ، وسأمنحك ايضا بعضا من اعشابي لعلها تذهب عنك الحزن والالم » ثم سأله من أين أتى ، فأجابه المقعد بأنه قدم من « مدينة الحياة » . فسأله الامير : ألم تسمع بفتاة هناك اسمها «السعادة»؟ فأجابه المقعد بأنه لم يسمع بمخلوق بهذا الاسم !..

وبعد ذلك صادفا اناسا عديدين على طول الطريق ، وراح يوزع من المال والاعشاب على كل من يقابله من المحتاجين ولقد قالوا له جميعا بانهم قادمون من « مدينة الحياة » حيث الحزن والالم ، ولم يعرفوا احدا اسمه « السعادة » . فصاح الشاب: سأذهب الى هناك وسأتبرع بهذه الاعشاب العجيبة . فانه يبدو لي انها الشيء الوحيد الذي يصرف عن المحزون احزانه ، وعن المتوجع آلامه . وربما يمكنني بعد ذلك ان اعثر على « السعادة » ان لم يكن قد وجدها اخواي بعد .

★

بعد اعوام عدة ، عاد الابن الاكبر

الى قصر أبيه ، راكبا عربة مصنوعة من الذهب يجرها ستة جياد مطهمة ، وبجانبه غادة هيفاء . قال لابيه الملك : لقد بنيت قصرا منيفا وزينته بالحرير والسندس والدمقس . ووشيته بالذهب الخالص والدر النفيس . ولقد اقمت حفلات فاخرة ، وزينات باهرة ، ودعوت اليها كل الفتيات اللواتي في البلاد ، وليس بينهن من يطلق عليها « السعادة » . ولكن هذه الفتاة الحسناء واسمها « اللذة » قد صادفتني في طريقي فأتيت بها معي لتكون عروسي وتكون ملكة البلاد .

و « اللذة » كانت جميلة المنظر ، بهية المظهر ، عليها ثوب جمع كل الوان قوس قزح . ولها ضحكة عالية مرحة ترن في ارجاء القصر .

ولكن الملك الكبير العاقل هز رأسه قائلا : انها ليست مثل « السعادة » ولا بد أنك ستملها يوما . وراح يترقب حضور ابنه الثاني .

وعاد بعد قليل ابنه الثاني راكبا عربة فخمة من الصلب المصقول ، وبجانبه فتاة رشيقة . قال لوالده : لقد شيدت مخازن عظيمة ومصانع هائلة . وابتعت جميع الحبوب التي في البلاد . وارسلت مراكبي عبر البحار . ورجال الارض قاطبة يعملون من اجلي . فهم يطيعون امري ، وينفذون طلبي . ومع ذلك لم أجد تلك « السعادة » ، ولكني أتيت بهذه الفتاة واسمها «النجاح» لكي تكون عروسي ، ولتقاسمني المملكة .

تلبس العروس « نجاح » رداء من المخمل الارجواني والقرمزي ، مزركش بنسيج من الذهب ، طويلة وسمراء وجميلة ، ولكن وجهها يبدو عليه الجمود والكبرياء ، قلما تضحك او تبتسم .

قال الملك مبتئسا كئيبا : انها لن تكون ملكة ، انها متكبرة ، وربما تطغي كبرياؤها على رعيتي .

وكاد اليأس يتسرب الى قلبه لولا بصيص من الامل اخذ يعلل به نفسه بعودة ابنه الاصغر .

لقد مر وقت طويل قبل ان يصل الابن الصغير . ولم يكن راكبا عربة فخمة ولا جوادا اصيلا ، ولكنه كان يقود حمارا عجوزا اغبر تمتطي ظهره فتاة يبدو عليها العوز .

ـ كم انا آسف يا ابتي العزيز لطول غيبتي . ولكني كنت مشغولا في « مدينة الحياة » اذ كنت أهب من يقابلني تلك الاعشاب النافعة . والحق اقول لك اني لم أجد فسحة من الوقت لابحث عن « السعادة » .

فسأل الملك وهو يشير الى الفتاة الفقيرة المتواضعة : ومن تكون هذه ؟..

ـ انها تسمى « القناعة » ، ولقد اصطحبتها معي منذ بدء رحلتي . وهأنذا آتي بها كي تكون عروسي .

ان كلمات كهذه لا بد انها تبعث الاستغراب والدهشة في بلاط الملك ..

ضحكت الاميرة « لذة » ضحكة عالية رن صداها في ارجاء القصر ..

وسحبت ربة الثراء « نجاح» ذيل ردائها حتى لا يمسه ثوب الفقيرة ، وراحت تنظر اليها بازدراء .

عندئذ تقدمت الفتاة الفقيرة الى الامام ، ورفعت الغطاء عن رأسها ، والنقاب عن وجهها ، وطرحت عن كتفها رداءها الرث ، ووقفت امامهم بثوبها البسيط الناصع البياض . فبان جمالها ، وظهرت مفاتنها ، وكانت قبلة الانظار جميعا .. فصاح الملك العظيم : يا لله !.. انك انت « السعادة » ذاتها .. فقالت وهي تبتسم : هي انا ..

وركع الابن الصغير تحت قدميها هاتفا : ما كنت احسب انك في حوزتي كل الوقت .

فلم يفهم اخواه وتساءلا : أين وجدك ؟ اننا تعبنا في البحث عنك اكثر مما تعب .

فأجابت : لقد كنت عند باب القصر حين كنتم خارجين منه للبحث عني !. .

الاسكندرية عبد العزيز جادو

بقايا ذكريات

دع الزمان المرير ... يفعل ما يفعل
وخلنا للمصير ... بناره نشعل

مرت حياتي سدى ... زادي بها الذكريات
لا شيء غير الصدى ... والشوق والامنيات

وأنت عني بعيد ... تنأى ولله تحفل
تثملني بالوعود ... وقد نأى المأمل

سئمت عمري الجديب ... سئمت حتى السأم
وعدت مثل الغريب ... ملقى بوادي العدم

لا النفس تسلو هواك ... ولا فؤادي ارعوى
متى عيوني تراك ... لنستعيد الجوى

بغداد عبد الخالق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خليـل مطـران

خليـــل مطـران

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

اسرتـــه :

والده عبده مطران من بعلبك كان تاجرا واسع الثراء يملـك المزارع العديدة : ومن رجال الاعلام المثقفين . تزوج بملكة الصباغ وهي ذات ثقافة عالية تحسن قرض الشعر ، تنحدر من اسرة فلسطينية عريقة نزحت الى لبنان هربا من بطش الجزار اثناء ولايته على عكا . (مجلة المقتطف عام ١٩٣٩) . فانجبت له الخليل عام ١٨٧٢ المولود النبيل .

نبوغـه الباكـر :

تجلت علامات العبقرية ومعالمها على قسمات وجه ذلـك الجسم النحيل في سن مبكرة ، تأثر الخليل بأمه الاديبة الشاعرة ، فمال الى الشعر وحفظ مقتطفات من ديوان ابن الفارض وابـي تمام والمتنبي والبحتري ، ولشدة شغفه بها كان يرددها احيانا في نومه ، مما كان يقلق شقيقته المجاورة لسريره ، وكثيرا مـا شكت امرها معه الـى والدهما ، وكان الوالد يطمح بان يكون ابنه تاجرا فكان يقول لـه : « برضاي عليك لا تمارس صنعة الشعر ، فما رأيت شاعرا على جلده قميص » (مجلة المصور ١٩٤٩ عدد ١٢٩٢) فيجيب الابـن : « ليس الامر بيدي يا والدي » .

تحصيلـه للعلـم :

تلقى خليل مطران علومه الاولية ، في الكلية الشرقية بزحلـة ، ونال بجده وبراعته كل تقدير منها ، ولما اتم دروسها الحقه ابوه فـي الكلية البطريركية في بيروت ، فحذق العربية فيها على يـد معلمها علامة عصره الشيخ ابراهيم اليازجي ، ومال الى نظم الشعر ، وحذق الفرنسية على يد معلم فرنسي ، وانكب علـى مطالعة الادب الفرنسي واعلامه ، فتأثر به وبتياراته الفكرية وشغف بروح الحرية ، واثـرت هذه الثقافة في شعره وايقظت لديه الحس الوطني والابداع الجمالي .

مقاومته للحكم العثماني :

نظم كثيرا من الشعر ضد استبداد سياسة السلطان عبد الحميد، وكان ينشد مع رفاقه في النزهات نشيـد المارسلياز الفرنسي رمز الحرية والنضال ، تحديا للاستعمار العثماني ، فقبضت عليه السلطة العثمانية واتهمته بالتحريض على الثورة ثم اطلقت سبيله ، وفـي احدى الليالي الصائفة لعام ١٨٩٠ في ساعة متأخرة من الليل اطلـق مجهولون النار على غرفته فثقب سريره ونجا من الموت لانـه لـم يكن ساعتئذ فيها . واتقاء للبطش العثماني وبتدبير من اهله رحل خليـل مطران الى باريس واطلع فيها عن قرب على التيارات الادبية المعاصرة ، وطبع المسرح الفرنسي في ذهنه صورا عديدة واعمالا كبارا . واتخـذ المدرسة الرومانسية منطلقا لشعره المتجدد . ولكن اقامتـه في باريس لم تدم طويلا ، لانه فيها وجه نفسه يعمل مع جماعة مـن حزب تركيا الفتاة التي يناهض سياسة السلطان عبد الحميد ، فانغمس مجـددا بهذه السياسة ولكنه خشي مغبة استرساله فيها ومن اذى اعـوان عبد الحميد المنتشرين في باريس ، ففكر في النزوح الى اميركا الجنوبية، حيث العديد من المهاجرين اللبنانيين ، فاخذ يتعلم اللغـة الاسبانية ولكنه عاد وغير فكـره وسافر الـى مصر ، وكانت حينئذ ملجأ احرار البلاد العربية ينزلون بها فرارا من بطش العثمانيين .

خليل مطران الصحافي :

في عام ١٨٩٢ وصل خليل مطران الى الاسكندرية ، وكان نعـمي صاحب الاهرام سليم تقلا يتردد في كل مكان ، فرأى من الواجب ان ينظم قصيدة في رثائه ، فذهب الى الكنيسة حيث احتشد كبار القوم وممثلو الدول الاجنبية ، ولما انتهت الصلاة انتظر معتقدا انه في تلـك الساعة سيتبارى الخطباء والادباء والشعراء في ذكر مناقب الفقيـد ، ولكنه لم يجد احدا ينهض الى المنبـر ليودع الراحل الكبير ، وكـان في الكنيسة منبران احدهما كبير لا يصعده سوى المطران ، فاخـذت حمية الشباب خليل مطران واسرع وارتقى المنبر الكبير ، فجذبه عنـه احد الحراس ولكنه تمالك قوته وجـذب نفسه منه ، فتطلعت اليـه الجماهير فوجدوه شابا ضئيلا ، فولوا وجوههم شطر بـاب الكنيسة عندئذ صاح قائلا : اين خطباؤكم ؟.. اين ادباؤكم ؟.. اين شعراؤكم؟. ايدفن هذا الرجل العظيم الذي خدم الوطن والعلم والادب والصحافة دون ان يودعه خطيب او شاعر بكلمة ؟.. توقف الجمهور واشرأبت اليه الاعناق من جديد فانتهز هـذه الفرصة والقى قصيدة نالت الاعجـاب والتقدير .

ثم ما لبث ان طلب اليه بشارة تقلا شقيق سليم تقلا ، ان يقبل التحرير في الاهرام فقبله ، واثناء ذلك كتب ودبج بقلمـه المقـالات الرائعة ، وعالج بارائه السديدة مشاكل البلاد الاقتصادية والسياسية، فكان يتابعها الجمهور بارتيـاح ، فبرزت مواهبه الصحفية وكلمـه اللغوية .

وفي عام ١٨٩٣ انتدبته الاهرام لمرافقة الخديوي عباس في زيارتـه الى الاستانة . ولما رجع من رحلته انتدبه بشارة تقـلا ليكون مراسلا للاهرام في القاهرة ، وعمل خليل مطران في تحرير الاهرام ، والمؤيد ، وغيرهما مدة ثماني سنوات ثم عن له ان يشتغل في الصحافة لحسابه الخاص فانشأ في عام ١٩٠٠ المجلة المصرية نصف شهرية ، ساعده في تحريرها رفيقه وصديقه ابراهيم سليم نجار . وفي ٦ شباط سنـة ١٩٠٢ اصدر العدد الاول من الجوائب المصرية ، يومية ، شعارهـا جريدة سياسية ادبية مالية تصدر كل يوم صباحا .

وجاء في افتتاحية العدد الاول :

« اما بعد فقد اصدرنا الجوائب على ظـن ان لمثلها بين الصحف المتقدمة طريقا مندوحا وبابا مفتوحا ، اذ اننا نتوخـى لهـا ان تقف منهن حيث لا مشايع لها الا من كان المدح لعمله حقا يؤدى . ولا مخاصم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا من كان عمله لا يستوجب حمدا ، فهي تنظر من ثم الى الخدمة المقضية او الضالة المنشودة ، بعين نزاهتها لا بعين حزبها ، وتروم استقامة امر البلاد وسلامة احوال العباد ، برأي صدقها لا برأي صحبها . وستكون ان شاء الله لفتها سهلة محررة باقلام فريق من ابرع الكتاب الناشئين على مكارم الاخلاق وخلوص الطوية ... »

بهذه الروح النضالية الواعية ، المتفتحة على الخير والجمال ، افتتح مطران العدد الاول من الجوائب . والجوائب كان اسما لصحيفة احمد فارس الشدياق ولصحيفة اخرى صدرت اثناء حملة نابوليون بونابرت على مصر .

مطران يعرف بالصحافي الاديب :

عرف خليل مطران الصحافي والصحافي الاديب ، قال : يمكن التجمع بينهما ، فالصحافي الاديب هو الذي تعلم تعليما واقعيا ، وتمكن من لغته واخذ حظا من البيان ثم زاول الصحافة ، وتصرف في الموضوعات تصرفا لا ينسى معه الاساس الذي قام عليه علمه وادبه ، من اتقان اللغة وحسن الديباجة ، ومراعاة الاصو لبدقة . واما الذي دخل الصحافة بعلم بسيط لتلقط الاخبار وبه فطنة خاصة لفهم بعض الامور التي تتعلق بالجماهير ، فهذا لا نستطيع ان نقول انه اديب .

شعره الجديد :

مهد مطران لدعوته الى التجديد بمقالات نشرها في المجلة المصرية، والجوائب وغيرهما ، وفي عام ١٩٣٣ كتب بمجلة الهلال عن تلك الجهود التي بذلها في سبيل التجديد ، وما لقيه من عنت ومناواة ، قائلا : « اردت التجديد في الشعر ، وبذلت ما بذلت ، من جهد من عقيدة راسخة في نفسي ... ليكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف انواع رقيه ، اريد كما تغير كل شيء في الدنيا ، ان يتغير شعرنا ، مع بقائه شرقيا ، مع بقائه عربيا ... »

وهذه الشاعرية العميقة الغور والقرار ، المتوازنة بين القديم والجديد والمتفتحة على العالم ، جعلته قبلة انظار شعراء العالم العربي ، تقديرا واعجابا فمنحوه لقب شاعر القطرين (١) اتجه مطران في مدرسته الجديدة الى الشعر التمثيلي ، والقصص ذات الطابع الدرامي ، الذي يتصل بالحياة الانسانية ومنازعها ، كقصة « الطفلة الثرية التي عشقت طفلا فقيرا وظلت تذكره حتى مماتها » وقصة « ابنة الامير التي عشقت حارس ابيها » وغيرهما ... وهذا الاسلوب الدرامي الجديد ، لا عهد للعربية به ، قبل مطران بشهادة رائد الادب العربي طه حسين ، فقد عبر به تعبيرا صادقا عن احاسيسه ، واحل الشعور الدقيق محل الخيال ، وقدم شعرا مبتكرا في المعاني والافكار واحتفظ لشعره باوزانه القديمة ، ولم يخرج عنها الا في المزدوج والموشح .

وهكذا اعتمد مطران في شعره على الخيال المبتكر فصور الحقائق المرئية وغير المرئية في الطبيعة وفي الحياة . وشعره سواء اكان وصفا في طبيعة جمالية ام في تأملات انسانية ، هو مليء بومضات فكرية مشرقة ، وكل الصور التي انتجها خياله الخصب ، وقدمها للناظر بمحاسنها ورموزها الخفية ، تشير الى النبوغ المقيم فيه والى كل شائق ورائق من فصيح اللغة العربية . انظر اليه يناجي الغروب ويضفي بشعوره المتدفق على عظمة الطبيعة .

يا للغروب وما من عبرة ... للمستهام وعبرة للرائي
اوليس نزعا للنهار وصرعة ... للشمس بين مآتم الاضواء
اوليس طمسا لليقين ومبعثا ... للشك بين غلائل الظلماء
اوليس محوا للوجود الى مدى ... وابادة لمعالم الاشياء
حتى يكون النور تجديدا لها ... ويكون شبه البعث عود ذكاء

استمع اليه يصور بؤس الفلاح ويدعو لرفع مستواه .

طف بالقرى تلق الوفا بها ... منهم رقيق الحال والمعدم
وشظف العيش الذي ورده ... احلى له لو انه علقم
واخشن الاثواب ما يكتسى ... واردأ الالوان ما يطعم
واخبث الامراض تتابه ... من حيث لا يدري ولا يفهم
هم ثروة مفقودة للحمى ... فعلموهم علموا عاموا

تأمل وصفه في دخان سيجارة :

دخانها يؤنسني راقصا ... مبتسما والجو باك عبوس
آنا اراه كالوشاح انطوى ... ثم اراه شبه تاج العروس
يحمل ما تعجز عن حمله ... شم الرواسي من هموم النفوس

ما اروع وصفه للكرنك عند بزوغ الشمس :

ثمل الكرنك الوقور اصطباحا ... فتراءى في الماء غير وقور
ومشى النور في حناياه يغزو ... ما نجا من شتائت الديجور

مطران يوقف اصدار الجوائب :

بالرغم من ان مطران وجد في عمله الصحفي اقبالا وموؤازرة من الجمهور ، فقد ابدى امتعاضه من صعوبة جمع الاشتراكات من المشتركين ، مع انه كان يعتمد في تحرير صحيفته على بعض الاعلانات التي تقاضى اجر نشرها آنذاك وكان ذلك بمثابة مورد جديد للصحافة العربية ، ومما كان يردد اثناء تذمره قائلا : لكن نوع المؤازرة الذي كان لا يلائم طبعي ... ومما يمض النفس ان دافع الاشتراك في ذاك الحين ، كان يعد نفسه صاحب فضل في حياة الجريدة ، وفي كل ما يبلغه صاحبها من جاه او مال او كرامة ، ... وقد كنت امتعض واحس بي ميلا الى العمل لرزقي في غير الصحافة ، حينما يعود الجابي الي فينبئني ان فلانا المشترك قال كذا وان فلانا قال كذا ... وصرت اتربص الفرصة الاولى حتى سنحت ... فوهبت جريدتي وبعت مطبعتي ، وانصرفت الى ممارسة الاعمال الاقتصادية وكان ذلك عام ١٩٠٤ .

وايقاف اصدار المجلة ، والجوائب ، بعدما تألقتا في سماء المجتمع العربي كان خسارة لمطران وكارثة للصحافة والادب .

وبالرغم من انصراف مطران الى ممارسة الاعمال التجارية فكان من وقت الى آخر ، يبعث بمقالاته الشيقة ونفحاته الشعرية الى الجوائب ، والوطن ، واللواء ، والزهور ، ولكنها لم تكن لتعوض ، او تسد فراغا .

مطران وكبار ادباء وشعراء عصره :

ويعتبر مطران في نظر احمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وطه حسين ، واسماعيل صبري ، وشوقي ضيف رائدا من رواد الشعر الموضوعي في اللغة العربية . تأثر مطران بتيار الادب العربي وبث من ثقافته في الشعر العربي روح العصر ، واحتفظ بقوة وجزالة ومتانة شعرنا الاصيل وبمقوماته ، بما انتجه من روائع القصائد المطولة في القصص التي يمزج فيها بين الوصف والدراما والتصوير. كما يعتبر شاعرا رومانسيا ارسى قواعد الرومانسية في الادب العربي الحديث، وهو احد ثالوث جبابرة الشعر العربي في عصره، شوقي، ومطران، وحافظ، وقد ذكر هذا الثالوث امير البيان الامير شكيب ارسلان في ديوانه الباكورة، بقصيدة مميمية بعث بها الى صديقه محمود سامي البارودي في عام ١٩٠٢ وكان حينئذ في طبريا شاتيا عند ابن عمه الامير امين مصطفى ارسلان قائمقام تلك الناحية :

وسلامي على الخليل وشوقي ... وعلى حافظ بديع النظام
الرباً التي قدمت عليها ... بضئيل السهى وشبه القتام

خليل مطران والامير شكيب ارسلان :

مطران صديق وعشير صبا للامير شكيب ارسلان ، ناب عنه في المهرجان الذي اقامه شعراء المهجر العربي في مدينة نيويورك عام ١٩٢٧ تكريما لاحمد شوقي حيث بايعوه امارة الشعر ، ومما جاء في قصيدة الامير شكيب المؤلفة من ٤٨ بيتا .

ناد القريحة ما استطعت نداءها ... ان الحقوق لتقتضيك اداءها

١ـ ثم شاعر الاقطار العربية .

مهما ينل منها الجمود فان من اعجاز احمد ان يفجر ماءها
فاسعد بعرش امارة الشعر التي القت اليك لواءها وولاءها
وتهن وابق لامة عربية لا زلت قرة عينها وضياءها

وقد ذكر مطران الامير في عدة مناسبات ادبية ، بكل اجلال وتقدير ، ولخص بلاغته وشعره في مجلة الزهور ، قائلا : حضري المعنى بدوي اللفظ يحب الجزالة حتى يستسهل الوعورة فاذا عرضته رقة والان لها لفظه ، فتلك زهرات ندية ملية شديدة الريا ساطعة البها كزهرات الجبل . نبغ منذ طفولته في الشعر ، وكان ابكر الفتيان في نشر ديوان له ، وجاء ديوانه في وقته آية . غير انه لم يلبث ان ترك الشعر وانصرف الى الترسل ، فحبس فيه ما اوتيه من العبقرية ، وهو في مذهبي امام المترسلين . على انه قد يدعو داع من النفس او من الطوارىء فينظم ، ينظم كما ينثر فياض الفكر غير تعب ، لكن نظمه يحمل في عهده الاخر اثرا من نثره .

وقد صدر مطران وقدم لديوان الامير جامع اشعاره من ايام الصغر الى ايام الكبر ، الذي طبع بمطبعة المنار في مصر عام ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ باشراف العلامة منشىء المنار الامام محمد رشيد رضا . ومما جاء في هذه المقدمة التاريخية الغالية الحالية قوله : هذا ديوان امير البيان ... افي حاجة الى تسمية صاحبه ، بعد هذا النعت الذي نعته به الاجماع في الامة العربية ؟ ... اتيح لي ان اصدره بهذه الكلمة ، وفي النفس داع من الود القديم وباعث من الاعجاب والاكبار، فانتهزت الفرصة السانحة مغتبطا بها ، ولا ابرىء اغتباطي من اثر فيه للاثرة ، فان حظي من الفخر بهذا التصدير اضعاف حظ الصديق الكريم ... وختم تصديره : ... وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ، ليجد بحرا زاخرا في الادب ، ليست اللؤلؤات المنظمة فيه ، الا شقائق اللآليء المنثورة منه في كل جانب .

مدرسة مطران الرومانسية :

من الذين تاثروا بشعر مطران وبنزعته الدرامية العربية ، وخرجوا من حدود الشعر الغنائي الذاتي التقليدي الى اجواء الشعر القصصي الاجتماعي ، والى الاستمتاع بجمال الحياة ، وافتخروا بانتمائهم الى هذه المدرسة الرومانسية : علي محمود طه ، ابراهيم ناجي ، خليل شيبوب ، بشارة الخوري ، احمد زكي ابو شادي ، اديب مظهر ، يوسف غصوب ، الياس ابو شبكة ، ايليا ابو ماضي ، الياس فياض ، نقولا فياض وغيرهم ، وقد رفع لواء هذه المدرسة شعراء الرابطة القلمية في نيويورك ، ميخائيل نعيمة ، رشيد ايوب ، فوزي معلوف ... واصدر خليل شيبوب قصته الشعرية « الفجر الاول » واهداها الى خليل مطران اعترافا بفضله صدرها بقوله :

الى نادرة العصر وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين ونابغة القطرين

خليل مطران

ووصف اسماعيل صبري شعر مطران بقوله :

قم ادر يا خليل شعرك فينا قرقفا يشرب النهى وعقارا
انت مطران دين شعر جديد فتن المسلمين قبل النصارى

ثم قال : ان خليل مطران مبتدع وسباق الى الجديد في شيء من التوفيق لانه معنى بتثقيف نفسه ادبيا وعلميا ويتصل بالدنيا من عدة جهات ، فهو شاعر وعالم ... وصبري زميل وصديق لمطران وهو القائل :

يقول للعلم الخفاق في يده فيىء من الارض ما تختار يا علم

البيت الذي توقف عنده مطران وخاطب صبري بقوله : « قد اسكرتني وسبقت الشعراء بستماية عام » .

وقال شوقي : « صديقي خليل مطران صاحب منن على الادب ، والمؤلف بين اسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب .

وقال المنفلوطي : بياض معاني مطران في سواد عجمته كالماس في الفحم ، اكبر الناس نفقة استخراجه فاغفلوه . يكاد يلمسك خياله ، ويسمعك رنين اوتار قلبه .

وقال حافظ ابراهيم : « خليل مطران لا يلتمس القافية ولا يتكلف القول ، يصف فيصيب نص الشيء ، يكتب فلا يخطىء عين القرطاس ، قوافيه لا تطلب ومعانيه لا تقلب ، اذا شاء انضر بشعره الشجر ، واذا شاء دهده به الحجر ... اذا شاء فاخر بانفه الف شاعر ، وخرج يشمخ به خروج الظافر » ...

وكتب الدكتور طه حسين مقالات عديدة عن خليل مطران في الاهرام ، والرسالة ، والثقافة ، وغيرها من المجلات والصحف ، وقرض لشعره في كتابه « حافظ وشوقي » والقى عنه بعض المحاضرات في الاذاعة ، وفي كلية الاداب بجامعة القاهرة . ويعتبره بانه علم المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن افناء النفس فيمن يقلدون ، وعلم المجددين كيف ينزهون انفسهم عن الغلو الذي يجعل تجديدهم عبثا ، وابتكارهم هباء ، وعلم اولئك وهؤلاء ان للغة اصولا يجب ان تبقى ، وحرمات يجب ان ترعى ، وحقوقا لا ينبغي ان تضيع » .

ومطران في نظر الدكتور طه حسين زعيم الشعر العربي المعاصر ، واستاذ الشعراء المعاصرين دون استثناء . ولا غرو فشعر مطران مجمع الصور وملعب الخيال ، ونفسه كالهندسة الحساسة ، ينطبع عليها كل ما يمر بها ، جعلته شاعرا مرهف الحس ، يتجلى بالنزاهة والمحبة والصدق والشجاعة والوطنية ، صور بها اوضاع مجتمعه الاقتصادية والسياسية والادبية ، دون ان يتزلف او يوارب او يخاتل او يداهي او يحابي ، او يخاف وعيد حاكم .

وهو القائل :

انا لا اخاف ولا ارجي فرسي مؤهبة وسرجي
فاذا نباني متن بر فالمطية بطن لج
لاقول غير الحق لي وهذا النهج نهجي
الوعد والابعاد ما كانا لدي طريق فلج

فشله في العمل التجاري :

اما الاعمال التجارية والمالية التي تفرغ لها بعد العمل الصحفي فلم تكن موفقة ، فقد خسر في عام ١٩١٢ بالبورصة وبالمضاربة كل ثروته ، وبعد ذلك عين سكرتيرا مساعدا للجمعية الزراعية الخديوية .

تكريم مطران :

في عام ١٩١٣ اقيمت للخليل حفلة تكريمية في دار الجامعة المصرية ، كانت سوق عكاظ ، تلاقى فيها ادباء وشعراء مصر وسوريا ولبنان والعراق والمغرب على الاشادة بمواهبه التي تعدت الشعر ، والصحافة ، الى الادب المسرحي ، وعلم الزراعة والاقتصاد والتاريخ .

مؤلفاته

ـ ديوان الخليل اربعة اجزاء .
ـ ترجم بالاشتراك مع حافظ ابراهيم الموجز في علم الاقتصاد تاليف بول لروي بوليه خمسة اجزاء .
ـ ترجم الروايات المسرحية لشكسبير ، وشيلر ، وفكتور هوغو، وكورني وراسين .
ـ ترجم بالاشتراك مع يوسف نحاس التاريخ الطبيعي تاليف فكتور ديري .
ـ ترجم كتاب الاحوال الزراعية في القطر المصري ، الذي طبع اثناء حملة نابوليون بونابرت على مصر تاليف المهندس الفرنسي ب.س. جيرارد .
ـ ترجم كتاب تعليم الارادة ، تاليف جول بايو .
ـ الف كتاب مرآة الايام في ملخص التاريخ العام .

وهذا التراث القيم الذي تركه للخزانة العربية جمعه بفضل سعة معلوماته في اللغتين العربية والفرنسية ، والمامه بالانكليزية والتركية .

مطران ولبنان :

رغم اقامة مطران في مصر ، فان محبة وطنه كانت ملازمته كظله فزاره عدة مرات ، وغناه في كثير من المناسبات الوطنية وغيرها . وفي جماله السحري يقول :

لله يا لبنان ما ابهاه من جبل ... يمشي به الحسن تصويبا وتصعيدا
في كل موقع طرف آية عجب ... تكفي المنى وتريح الذهن مكدودا
ترابه يخرج الازهار مونقة ... وماؤه قرقف ينشي الاماليدا

ويقول ايضا :

لبنان ما زالت سماؤك مطلما ... للفرقد اللماح بعد الفرقد
يا منبت الارز القديم ومربضا ... يوم الحفاظ لكل ليث اصيد

وفي عام ١٩٢٤ زار الخليل لبنان وانشد في الجامعة الاميركية ملحمته الخالدة « نيرون » .

وفي صيف عام ١٩٢٩ زار بعلبك بصحبة صديقه حافظ ابراهيم وقال في قلعتها :

خرب حارت البرية فيها ... فتنة الساعين والنظار
اهل فينيقيا سلام عليكم ... يوم تغني بقية الادهار
لكم الارض خالدين عليها ... بعظيم الاعمال والآثار
خضتم البحر يوم كان عصيا ... لم يسخر لقوة من بخار

وفي عام ١٩٣٤ عين رئيسا للفرقة المصرية للتمثيل المسرحي ، وابان ذلك زار لبنان عدة مرات ، واخر زيارة له كانت في عام ١٩٤٦ وكان يشكو من داء النقرس .

اليوبيل الذهبي لمطران :

في عام ١٩٤٥ اجتمع رهط من كبار الادباء وعلية القوم، واقاموا له حفلة تكريمية في النادي الشرقي ، وشكلوا لجنة تعنى بتكريمه وبجمع تراثه الادبي .

وفي عام ١٩٤٧ برزت فكرة اقامة اليوبيل الذهبي لتكريمه فاجتمعت اللجنة التكريمية واعيد تنظيمها برئاسة خليل ثابت وعضوية كل من : عباس محمود العقاد ، انطوان الجميل ، فكري اباظة ، كامل الشناوي، ادجار جلاد ، احمد امين ، نقولا كحلا ، ابراهيم عبد القادر المازني ، غالب ابو النصر اليافي ، موريس ارقش ، فؤاد صروف ، جميل الرافعي ، روفايل بطي ، سمعان طراد ، يوسف توتنجي ، محمد يحيي الزبارة ، رزق الله حمصي ، ادوار غرزوزي ، فؤاد شاكر ، صموئيل عطية سكرتيرا ، والياس مرشاق امين صندوق . وباشرت اللجنة مهام اعمالها وقررت : ١ ـ اقامة مهرجان كبير تدعى اليه البلدان العربية ، ٢ ـ صنع ثلاث مداليات تذكارية من الذهب الخالص تهدى لملك مصر ، ولرئيس الجمهورية اللبنانية ، ولخليل مطران ، ٣ ـ صنع مداليات برونزية تهدى لجميع المشتركين في حفلة يوبيله الذهبي ، ٤ ـ طبع مؤلفات وديوان الخليل بالمال الذي تبرع به اصدقاء الخليل ، وما يبقى يصرف في انشاء مؤسسة علمية يطلق عليها اسمه .

وهكذا في يوم السبت بتاريخ ٢٩ اذار سنة ١٩٤٧ اقيم له مهرجان ادبي كبير في دار الاوبرا الملكية ، شمله ملك مصر برعايته ، قدمت له فيه اوسمة رفيعة من مصر وسوريا ولبنان ، وتلاه حفلات تكريمية اقيمت في القاهرة والاسكندرية وفي كثير من النوادي العربية في الوطن العربي وفي ديار المهجر .

مطران في يومه الاخير :

في اول تموز من عام ١٩٤٩ نعت مصر ومحطات الاذاعات العربية والعالمية وفاة خليل مطران شاعر الاقطار العربية بعد اشتداد داء النقرس عليه .

ومما قاله في ساعاته الاخيرة :

انا اعتبر نفسي الان قد انتهيت ، وان كنت لا ازال اعيش ... وكل ساعة احياها ليست من حقي ، انها سرقة موصوفة !... اه ايها الطبيب اريد ان اخلص ، فقد انتهيت وخرج طبيبه من غرفته وتوسل الى ابن عمه حبيب مطران ان يقنعه بضرورة تناول الدواء ، فدخل عليه حبيب ورجاه في ذلك فقال : « اذا كان في المي فائدة لكم فساحيا ولا سيما انني اتلقى امرا منك وانت اليوم قائدنا ورئيسنا ، فساطيع لانني لم اتعود مخالفة الامر ... » وبموته غيب الردى الشاعر الملهم ، صاحب الخيال الخصب والعقل النير والعلم الغزير والحس الوطني ، واقتم الافق المترامي الاطراف ، وحبست الريشة الساحرة التي صورت الطبيعة الضاحكة ، واروقه المعابد ومقاصير المدرسة الرومانسية ، والاماني القومية والمشاعر الانسانية ، وتوقفت قريحة سيالة رتلت الشعر طوال نصف قرن ، بشعر هو اقرب الى الترانيم الرخيمة ، فايقظت القوى الخيرة ، وكشفت عن مواطن الجمال وابرزت الدوافع الوطنية ، والمعاني النبيلة حتى غدت وكانها تمشي في ركاب الخليل .

وطنية مطران :

ما اكثر قصائد مطران التي تبرز فيها الروح الوطنية ، وهو القائل :

داعي الولاء اذا دعاني ... سمعا له في كل آن
ومسرة باشق ما ... يرضي البلاد وان شجاني
يابى الهوان دمي وفي ... عز الحمى اهوى هواني

مقدمة ديوانه :

ومما ورد في مقدمة ديوانه الذي طبع عام ١٩٠٨ واعيد طبعه عام ١٩٤٧ : « ليست هذه الكلم التي احتواها ديواني باجزائه الاربعة هي كل ما نظمته بل هي كبقايا السفينة الغريقة او كالقطع السالمة من الاثار العتيقة ... ولم اكن مبتكرا فيما صنعت فقد فعل فصحاء العرب قبلي ما لا يقاس اليه فعلي ... » ورد على منتقديه بان شعره عصري: فقال لهم ، نعم هذا شعر عصري !... وفخره انه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر ! ... وامنيتي الكبرى بان ادخل كل جديد الى شعرنا العربي بحيث لا ينكره ، وان استطيع اقناع الجامدين بان لغتنا ام اللغات ، اذا حفظت ففيها ضروب الكفاية لتجاري كل لغة قديمة وحديثة .

شهرة مطران الادبية :

وهكذا فقد جمع مطران المجد من جميع اطرافه ، من علمه الغزير، من استاذية الشعر والصحافة ، من مدرسته الرومانسية ، من منظوماته الاجتماعية ذات الدعوة الانسانية الخيرة ، من قصائده الوطنية ، من كل مؤلفاته . ومما قاله الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد في يوبيله الذهبي :

ذمم اليراع قضيتها ... في كل ميدان دعاك
ليس النظيم او النثير ... قصار ما استرعى هواك
ان الجوائب والمجلة ... في الصحافة شاهداك

ويعترف العقاد بان مطران علم من اعلام الشعر في العصر الحديث.

وقال الدكتور احمد زكي ابو شادي في يوبيله الذهبي :

من لي بآيات دنيا الفن لا ادبي ... حتى يمجد فني شاعر العرب

غزل مطران :

والغزل لدى مطران يتميز بجودة المعنى ودقة الوصف :

الحب روح انت معناه ... والحسن لفظ انت مبناه
والانس عهد انت جنته ... واللفظ روض انت معناه
ارحم فؤادا في هواك غدا ... مضنى وحماه حمياه
تمت برؤيتك المنى فحكت ... حلما تمتعنا برؤياه
يا طيب عيني حين آنسها ... يا سعد قلبي حين ناجاه

والحب عنده مصدر كل امر عظيم فيقول :

والحب الزم للارواح ما عظمت ... وقد يكون لها ادعى الى العظم

وشغف مطران بحب صديقة له ، بثها كل عواطفه ، ونظم فيها اعذب القصائد وارقها ، ومما قال :

اسكريني على الدوام وافني ... مهجتي ادمعا وعزمي حريقا

من شعره الضاحك :

قال في مفاكهة ارسلها الى صديقه اسعد نقولا ، وكان قد ذهب

القوة في العدم

أي سر بات يغلي في دمي ... ذلك الصائر نحو العدم
قوة خارقة قد أودعت ... بين ذرات ، وفي مجرى دمي
تشعل النار اذا ما عصفت ... نزوة فيها ... وفيها ترتمي
شيدت صرح حضارات ... وكم ... هدمت ما شيدت من قدم
قوة بناءة ... هادمة ... يا لها من قوة من عدم
فجرت آياتها ما فجرت ... في الثرى ، او في رءوس القمم
وانثنت تكشف اسرار الدنى ... في فضاء الكون بين الانجم
وتناهت فاذاها تعتلي ... لاكتناه السر في المستبهم
وتجلت فكرة رائعة ... روعة التاريخ عند الهرم
وسعت في ما بنته دأبا ... لخلود ... ثائرات الهمم

أتراها لخلود خلقت ... والمنايا رصد من أمم

البصرة ـ العراق

سالم علوان الجلبي

مع اسرته يصطاف في لبنان :

واقرأ سلامي لاخي باسيلي ... واشفعه بعد الاذن بالتقبيل
وقل له اوحشتنا كثيرا ... واوحش الاربع والقصورا
فليشرب الصحة شرب الماء ... ولينشق السرور في الهواء
ولياتنا بسل ماء سلسل ... وطرد خيش من هواء ممتلي

وبعث بمفاكهة الى محجوب ثابت قائلا :

طبيب بالمعارف لا يضاهى ... اديب غير خال من مجون
اذا ما هز لحيته خطيبا ... يقول الخصم يا ارض ابلعيني

اجمل مرائيه وابلغها :

رثاء ابراهيم اليازجي ، مطلعها :

رب البيان وسيد القلم ... وفيت قسطك للعلى فنم
نم عن متاعبها الجسام وذر ... في جنب ما للميت من عظم

رثاء احمد شوقي ، من قصيدة قوامها ١٠٧ ابيات مطلعها :

عجبا اتوحشني وانت ازائي ... وضياء وجهك ماليء سوداني
لكنه حق وان ابت المنى ... انا تفرقنا لغير لقاء

رثاء حافظ ابراهيم من قصيدة ١٦٨ بيتها مطلعها :

عظم الله فيك اجر الضاد ... وبنيها من حاضر او بادي
راع آفاقها نعيك حتى ... لكأن النعي بوق التنادي (١)

وقال في رثاء جبرائيل تقلا :

لا تنكروا الانات في اوتاري ... لم يبق لي في العيش من اوطار
ذهب الاحبة بعضهم متعقب ... بعضا وكان السبق للاخيار

وقال في رثاء صديقه الامير شكيب ارسلان ١٠ ـ ١٢ ـ ١٩٤٦ :

طفى الصباح بعيني الالهام ... وتفمد اللألاء جفن ظلام
وكان شمس العبقرية كفنت ... بعد ازدهار شعاعها بقتام

ومن رثائه في سعد زغلول :

ما من عظيم سوى سعد اتيح له ... في الناس حيا وميتا ذلك العظم
لمصر عهد بالاستقلال مفتتح ... فداه عمر بالاستشهاد مختتم

وقال لمن وفد يساله كيف حاله بعد وفاة والدته :

وفدوا يسالونني كيف حالي ... لو دروا ما جواب هذا السؤال
ما حياتي بعد التي هي منها ... ما كفاحي فيها وما آمالي

قال مخاطبا حافظ ابراهيم في حفلة تكريمه سنة ١٩١٢ :

يا شاعر النيل جار النيل بالشيم ... وحاك اطياره بالشدو والنغم
في ضفتيه وفي تغريد صادحه ... ما في نظيمك بين الوحي والكلم
وفي معانيك من ارواح جنته ... اشفى النسيمات للارواح والنسم
مصر الحضارة والاثار شاهدة ... مصر السماحة مصر المجد من قدم

وقال مخاطبا احمد شوقي :

ضمنت لهذا العهد ذكرا مخلدا ... وجددت للاسلام معجز احمدا
اسحرا ترينا ام صحائف كلما ... نقلبها وجها نرى عجبا بدا

وقال في وصف وعود السياسيين لطلاب الوظائف :

فسد التوسل في البلد ... هيهات يصدق من وعد
ترجو وتلحف سائلا ... اما المجيب فلا احد

صورة مطران بدار الكتب الوطنية :

الى جانب رسوم مشاهير الادباء والاعلام اللبنانيين ، التي تزدان بها قاعة المطالعة بدار الكتب الوطنية ، رفعت صورة خليل مطران في عام ١٩٦٩ بموافقة وزارة التربية الوطنية ، في حفلة متواضعة اقتصرت على بعض الاهل والاصدقاء من رجال الصحافة والادب .

وخليل مطران الذي لاقى كل تقدير في حياته وممانه ، هو عملاق الادب والشعر والصحافة ، والكاتب المجلي في معالجة الشؤون الوطنية والاجتماعية ، ومن نخبة لبنانية لا تتصف بالكثرة العددية ، ولكنها تضم افذاذا لهم على لبنان والعالم العربي اكثر من خلة ومنة .

واليوم مع مرور مئة سنة على مولده يذكر ادباء لبنان والعالم العربي ، باجلال وتقدير الشاعر العبقري .

محمود الحسنية

١ ـ اي يوم القيامة .

قصة .. حدثت في القمر

بقلم السيدة ضياء قصبجي



اوه .. يا للروعة .. غدا الحلم حقيقة . اني هنا على سطح القمر، ادق ارضه بقدمي ، وارتع فيه وامرح . رحت أتجول فيه واصف مجاهيله .

كل شيء يختلف عما يدور على سطح الارض ، قمرية القمر تختلف جذريا عن ارضية الارض . فأرض القمر هائلة مخيفة ، والسكون موحش مرعب ، والرهبة الالهية منتشرة في كل مكان وكل ذرة . اما التراب ، فهش تغوص فيه القدم.

خطوت الخطوة الاولى ، واذا بجسمي اطلق في الفراغ والغازات الغريبة ، فارتفعت عن أرض القمر وكأني تخلصت من وزني ، وبدوت في خفة الريشة .

فراغ وسكون ، ووحدة موحشة تحتل النفس احتلالا مدمرا .

تذكرت صديقي ، آه لو كان بجانبي الآن لنعمت بشيء من الطمأنينة والتسلية ، ولو كان معنا حفنة من فستق العبيد لطقطقنا الحبات ، والقينا بالقشور على سطح القمر بالذات .

لم لم اصطحبه جولتي الاكتشافية الرهيبة التي ستحدث في عالم الارض ضجة ما بعدها ولا قبلها ضجة ... (ضرب من حب الذات والشهرة).

نظرت الى السماء فوجدتها واضحة ، لا سحب ولا غيوم ، ولا غبار ، تحجب عن عيني الرؤية . رميت بنظري الى الفضاء البعيد ، وجدت كوكبا صغيرا لا يبدو منه اكثر من نصفه ، انها أرضنا . تلك الارض الطيبة التي تسمح للكائنات الحية ان تعيش فيها .

كنت اتنقل برشاقة الغزال ، وانظر الى آثار حذائي المطبوعة على سطح القمر .

وصلت مكانا اسمه (فوهة مشكلين) فجلست فيه القرفصاء ، واثقلت نفسي بالاثقال ، مخافة ان اطير ويلقي جسدي في عالم الفضاء المجهول النهايات ، المترامي الاطراف، اللامحدود، واللامتصور.

غادرت مكاني بعد ان حصلت على كتلة من مسحوق سطح القمر فيها قطع صغيرة مختلفة الالوان ، وبها جسيمات كروية ، مضيئة تراها العين . وعباتها في جعبتي القمرية.

وانحدرت الى وادي (هاباتيا)، واد مخيف ، قليل الضوء ، وبسرعة وضعت في جعبتي القمرية كتلة صغيرة جدا ، وعليها رشاش من مادة زجاجية ، كأنها قطرة من مادة منصهرة، سقطت عليها، وترششت ثم جمدت .

تابعت جولتي الصامتة، البديعة، ووصلت مكانا اسمه (فوهة ملتكه) وحصلت على قطعة من صخر قمري غائصة في مسحوق من تربة القمر ، وحول هذه الصخرة تناثرت قطع صغيرة ، على سطحها نقر صغيرة ولها سطح مصقول ، وكذلك احرف عالية تشبه أحرف تلك النقر التي تسببها نيازك مكروئية صغيرة عندما تصطدم مع الصخرة . اودعتها جعبتي المقرية .

ما زلت اغرز قدمي في تربة القمر واتنقل من مكان الى مكان ، حتى وصلت (بحر الهدوء) .

واول ما لفت انتباهي واثارني ان علما امريكيا على عصا ، قد دك في تراب القمر . أذهلني هذا لحظات ، ووددت لو اقتلعه بدافع الغيرة ، لكني لم افعل بل انني احسست بتقدير لذاك الانسان الذي وضعه ، لكن احترامي يكون اكيدا وبالغا فيما اذا كان قد وضع مكان العلم اشارة فقط تدل على هبوطه ، فالقضية قضية انتصار انسان البشرية بكاملها ، وليست قضية انتصار انسان اميركي فقط .

حصلت على قطعة صخرية قمرية مستقرة في التربة التي هي فيها ، ولونها غير لون ما حولها ، وعلى سطحها تتراءى عدة نقر ولها سطح زجاجي ، وضعتها في جعبتي القمرية وغادرت بحر الهدوء .

اقتعدت سطح القمر ، وجعلت انبش في ترابه ، واحفر في ارضه حفرة ، باحثا عن كائن حي ، دودة حمراء تنزلق ، حشرة تعيش في جحر لها ، خلد فنان مبدع في تشييد بيته ؟ ربما اعثر على خلد قمري له شكل يختلف عن خلد الارض ، فأعود به الى الارض ، لتتخذ منه ادوات الاعلام والجرائد، والمجلات والسينما ، والتلفزيون ، اداة للدعاية والشهرة . فيبدو خلدي القمري هذا مشهورا اكثر من شكسبير نفسه .

وانا في جلستي هذه ، حيث لا شجرة تتمايل وريقاتها على نسيمات لطيفات ، ولا مياه رقراقة تنعكس على صفحتها الصافية الوجوه ، وضوء القمر، ناجيت القمر ..

أيها القمر ... لقد خذلتني . كل سني عمري السابقة ، كنت اعجب بجمالك، وكنت اضم حبيبتي في ظل نورك المفرح ، الذي يوضح الاحباء ويخفي الاعداء .

اذكر ، كم من الليالي امضيتها سابحا في نورك ، ادخن نارجيلتي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على حافة بحر تصطخب امواجه في مكانها ولا يبلغني منهـا الا الرذاذ المنعش فقط ، أهكذا أيها القمر.. انت على هذا الشكل ؟ خال مـن الجمال ؟ ومما يشابه الجمال ؟ هل انت غيري الى هذا الحـد ، فتهب جمالك لكوكب آخر وتحرم نفسك ؟ انك حقا بعكس انسان الارض ، انه يحرم الجميع من الجمال ويستأثـر به وحده . أنت اذن رائع الصفات .. يا قمر .

توغلت في الحفـر والتنقيب في سطح القمر ، لم اعثر على شيء . اللهم الا رطوبة تزيد شيئا فشيئا ، كلما امعنت في التوغل .

عجيب أمـر الانسان الحالـي ، يهدر الذهب الارضي بحثا عن تراب القمر ...

أحسست بالضيـق ، تعبت قدماي من جلستي القرفصاء ، اذا لم اجد شيئا هنا في هـذا المكـان سأنتقل الى منطقة قمرية اخرى .

تحللت من اوزاني ، وبحريـة بسيطة جدا ، لمست ارض القمـر بقدمي ، فطرت الى مكان آخـر ، تماديت في البعد ، وسرت خطـوات عديدة ، قذفت بـي الـى وادي (سيدوندر) . اصابنـي خشوع مسربل بخوف . اغتبطت . غـدا ساحكي مـا رايت ، وساضـع حجيراتي في كفة ميزان ، وفي الكفة الاخرى جواهـر ، سابيعها بثمن باهظ ، وساصير ثريـا جـدا . فاهل الارض تواقـون الـى قشة استجلبها معي مـن سطح القمر . المجهول دائما منطلـق الارادات ، والاكتشافات ، والبحوث العلمية.

عبأت جيبي مـن ذرات المنطقة السابقـة ، والآن سأعبـىء هـذا (الخرج) بقطعة من هـذه الصخرة جلست في سفح الصخرة الهائلـة السوداء ، اخرجت ازميلي ورحت أدق على طرف منها ، يا للدهشة ؟ اني لا اسمـع صوت الطرقـات المزعجة ؟. بل انـي لـم اسمع اي صوت خلال رحلتي . مـاذا هـل صمت آذاني ؟ لا اعتقد . ولكنـه لا هواء ينقـل اهتزازات الصوت . يا للروعة ..؟ هنا على سطح القمر يستطيع الانسان ان يعمل نجارا ، وان يستمر في عمله في اثناء النوم ، دون ان يزعج احدا ، تستطيع ايضا سيارات المرور ان تستعمل (بوقها) بحرية ، دون كتابة مخالفات ، ولكن ما فائدة بوق السيارة اذا لم يكـن له صوت محـذر .؟ لست ادري ؟ لا شك ان الحياة اذا كانت ستحدث هنا بعد عدد مجهول مـن السنين ستكون مصطنعة ، وليستطبيعية،



السيدة ضيـاء قصبجي

●

كل شيء فيهـا بدراسـة وتفكير ، وتغيير ايضا ، ترى هل سيسكن ، انسان الارض سطح القمر ؟ ربما ؟ لكن لماذا هذا التعب والشقاء .

هل نبذتنا الارض ؟ هل بصقتنا الى القمر ؟. هل ضاقت بنا ؟

لا هناك لم تزل مساحات خيرة ، في تربتها دودة تتزحلـق وتنساب ، وذبابة تطير وتنطلـق ، وفـراشة تحط على زهرة ، ما زال على سطح الأرض مكان للسكن خـال مـن الناس ، يمكن ان يتحول الى جنة ، فلم البحث عن المصاعب ، ؟ حقا ان الانسان العصري لا يرتضي الحيـاة سهلة دون عناء ، فلم يعـد الانسان كسولا كما كان قبل الف عام ، حيث كان يستضيء بضـوء شمعـة ، ويتغذى بالخبز وما آتت الارض من اكـل .

ان الانسـان العصري يحـب المسؤولية والتعب ، والوصول الى الامور التـي لا تصدق ، يعجبني الانسان العصري ، أنا مثلا ، ودعت زوجتي الطيبة ، وقبلت اطفالـي الصغار ، وصممت رغـم المخاطرة بحياتي الغاليـة ان ازور القمـر . هذا الساحر المتكبر .. هذا الجميل المتعفف ، ان الانسـان في العصر الحاضر يملك قوة مخيفة ، بامكانـه ان يحطم الارض ، ويقتل الملايين . لكن ، ما نفع القوة اذا تحولت الـى شر مستطير ؟ اللعنة علـى القـوة المنحرفة ناحيـة الشر ، والبركة للقوة التي تتوجه ناحية الاختراع ، واكتشاف غياهب الكون .

كنت ما زلت أطرق بازميلي على نتوء من صخرة هائلة سوداء ، لكن قوتي كانـت تتلاشى ولا تصـوب باكملها الـى راس الازميل الـذي يلامس نتوء الصخرة ، كانت قوتـي تضيع ، واحس بيـدي خفيفة ، وازميلي محطم القوة .

فجأة ... لاحظت مـن بعيـد شيئا يتحرك متجهـا نحـوي ، اصابتني رعشات الخوف ، لصقت نظري فيه ، ورايت خطواته متسعة ومتزنة ومسرعة باتجاهي ، ارتجف قلبي بين جنبي ، فانا مطمئن البال الى ان القمر خال مـن المخلوقات بأسرها ، فما هـذا الشيء الغريب الذي لم ار مثله في حياتي ؟ ها هو يقترب منـي فيكـبر حجمه اكثـر فاكثر ، اضطربت ، القيت بازميلي.

انه ليس بانسان ، فلا يوجـد انسان غيري على سطح القمر .

انه ليس بحيوان ، فهو منتصب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القامة .

انه ليس بنبتة ، فلا يوجد نباتات تسير وتخطو .

انه ليس بحجر ، فالحجر لا يتحرك . فماذا يكون ترى ؟

اقترب كثيرا ورأيت انه لا يرتدي شيئا من الثياب ، لكن كل اعضاء جسمه ذات تركيب يختلف عني . راسه كبير جدا ، ويساوي حجم جسمه كله ، ليست له كتفان ، بل تخرج من جذعه يدان طويلتان جدا ، احسب انها ستلطمني بعد قليل ، قدماه ضخمة هائلة ، تذرع ارض القمر بقوة ، وتنتهي بقدمين ضخمتين كذلك .

اقترب اكثر ، لم يبق الا خطوتان ويبلغني ، الرحمة ؟ ما أشد سرعته ؟ فعلى الرغم من بعد المسافة يكاد يلمسني ، ان الارض والظلمات ، لا تخيف مثلما تخيف الروح التي تحرك شيئا ذا جسم ، استدرت راغبا في الانعتاق والهرب ، واذا بحاجة عنيفة تهزني وتهز القمر من تحتي ، عرفت ان هذا الشيء المتحرك يعاقبني على هربي منه ، وعدم ترحيبي به . توقفت ، وابتسمت له ابتسامة صفراء ، نظرت الى وجهه ، عيناه كحليتان ، كل عين بحجم الكف ، فمه ثغرة مخيفة مظلمة ، دون شفاه ودون اسنان ، ولا يتوسط وجهه انف .

احسست اني في ورطة كبرى ، ومأزق رهيب ، قلت له في وجل :

ـ انا انسان من الارض ، احب أن يزور كوكبك .

ـ اخرس . عليك اللعنة .

ـ ارجوك لا تكن شديد القسوة علي ، لقد اتيت بهدف شريف جدا .

ـ ارني ايها اللص ماذا تعبىء في جيبيك ؟..

ـ حفنات من تراب القمر .

ـ سارق نذل .. ولماذا تسرق قمرنا ؟. هل وصل بكم (انتم اهل الارض) الطمع الينا ، ونحن في كوكبنا .

ـ كلا لست بسارق ، انما مكتشف .

ـ انتم اهل الارض تستعملون العبارات الزائفة لاخفاء نواياكم العكرة ، انتم بارعون في التمويه ، واخفاء المعاني .

ـ وماذا تعنيك بعض ذرات من سطح القمر ؟؟.

تجاهل سؤالي وتابع :

ـ انت من اي بلد على سطح الارض .؟

ـ اوتعرف تاريخنا .؟

ـ طبعا ..

ـ انا عربي .

صرخ :

ـ عربي ؟ الا يعنيك اذن ان اليهود جمعوا الذرات بأرض كبيرة اسمها فلسطين ، وسرقوها تحت عناوين ، واسماء ، وكلمات كاذبة .

ـ الحق معك .. اني آسف ، اخرجت ما في جيبي ونفضته ، جلجل وصرخ :

ـ عليك اللعنة .. لماذا ترمي التراب هنا ؟؟ .

ـ اني اعيده لك .

ـ انه مقدس في مكانه .. اعيده الى مكانه وارحل . هيا .

ـ الا تسمح لي أن آخذ معي بعض عينات من سطح القمر ..؟ الا تساعدني ؟. قال بعنف وصوت راعد :

ـ انتم اهل الارض لا تساعدون بعضكم بعضا ، وتكرهون بعضكم بعضا ، فكيف تطلب المساعدة من اهل القمر ؟

ـ من فضلك . من تكون انت ؟. قال بصوت مجلجل :

ـ انا حي اقطن في المنطقة التي جلست تدق فيها بازميلك .

ـ لم لم تستضفني ؟.

ـ لا اريد اناسا من سطح الارض .. ان سمعتكم سيئة لدينا ..

ـ ليس كلنا ..

ـ بل كلكم ..

ـ ليس كلنا ..

ـ بل كلكم ..

ـ ليس كلنا ..

ـ زمجر بأصوات انتقلت الى نفسي بطريقة التأثر .

ـ اتعاندني ؟ ايها الخنزير .؟ ورفع يده الغريبة ، وزمجرت عيونه الكبيرة ، ثم هوى بكفه على وجهي بصفعة جعلتني اهتز اهتزازا بالغا. اتبعها بصفعة اخرى واخرى ، احسست به يسحقني ، حتى وجدتني اصرخ بقوة :

ـ دعني .. دعني . ايها القمري؟

اهتزت الصور . واحسست ان اجفاني كانت مسدلة ، كستار اسدل امام ممثلي مسرحية .

جر الستار . فتمثل الواقع امامي .. اين انا .؟ أين القمري ؟؟ لا شيء ؟

استفقت مذعورا ، وجلست من بعد استلقائي ، واغفاءتي القصيرة .

وكان مذيع اخبار دمشق يقول :

هيوستن . تواصل مركبة الفضاء ابولو ١٥ سيرها نحو القمر، وتأكد الآن الاستمرار بالرحلة بعد نجاح اشعال المحرك الرئيسي فيها كما كان مقررا تماما .

حلب ضياء قصبجي

تائه

ابحث في القفار
عن منقل السمار
ابحث في الرياح
عن عزبتي عن دار
عن آهة
انستها في الليل
في الديار
عن جرح رابية
بلا ازار
عن دمعة غصت بها
عيني وعن اشعار

محردة ـ سورية فريد لوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لسع الجمر

مهداة الى الذين تنفسوا في العراء

●

سامية كيالي القبيسي

●

الافق الجميل ـ البرازيل

الاكليل والشمعة وانسانيتي
حكايـة في الغربـة
مزقت عيني
لا ، لن تبصر روحي
وهاتين العينين
ولن تدرك حكاية عمري
حكايتنا حيث ولدنـا
والسماء تمطر يأسا
تحت سحاب يكسوه الغبار
خلف حيطان مغلقة
كالسرداب العتيق ، كالضباب
والعاصفة تغني بؤسا
بطنين الذباب
هناك علمونا كيف نداري حبنا
كيف نكـره ونخاف
ومـاتـوا

بلسعة نحلـة ، بلذعـة جمرة ،
ما تالذين زرعوا في رؤوسنا
الغاب الاصفر .. الجفاف !
وخرجت الى العراء اتنفس
انتظـر العيـد
ويدق الناقوس الحزين في موكبي
فتحترق مشاعل النـور
والظلام لا يخمد انفاس الدخان
ولا يمحو ظلال الكآبة من أفقي
كآبتي ، اعتقيني
لا تجرد من نفسي ،
لاتنفس في غربتي
اكليلي ملون ، وشمعتي مضيئة
سأبـدل ثوبي ،
وارقص حيث اشتهي !

بيروت .. ها أنا اعود اليك
كانني انا انت .. وانت انا
بيروت .. اسير في شوارعك ضريرة
اكليلي شوك ، وشمعتي حرقة
وفي صدري التراب
اتلمس الحائط البني ، اغوص في السراب
بيروت .. قصيدة في فمي
أتنكرينني .. واغترابي على كل باب
ليغفر لي من تركت لاتنفس في العذاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حكايـة مجـانين

مجموعة قصصية ـ تأليف الدكتور عبـد السلام العجيلي ـ ١٢٨ صفحـة ـ منشورات دار العـودة ببيروت ـ ١٩٧٢

كنت أصدرت عام ١٩٧٠ دراسة نفسية عـن الوصف القصصي عنـد الاديب القاص عبد السلام العجيلي ، حاولت فيهـا اصطناع مبادىء علم النفس العام ، وبحوثه لتبين الجذور النفسيـة في أدب العجيلـي وتجربته .. فاظهرت في الاساس ان هذا الادب القصصي البهي القوي الذي يتحف به العجيلي قراءه هو ثمرة هوايـة ، وطبـع أصيلين ، يخدمان فن الكلمة من زاوية الايمان بالوظيفة الاجتماعية للادب والفن..

ثم أعيدت طباعة الكتاب ، عام ١٩٧٢ ، مع مقدمة ضافية اكـدت فيها على هذه الهواية الصادقة والالتزام الاجتماعي ، وعلى الخصوص الواقعية التي يستميح العجيلي معها الخيال في حدود الامكان الانساني .. وقد اطلعت صديقي العجيلي وقتها على المقدمة فعلق على هـذه النقاط بالذات ، وانه واقعي يستميح الخيال وانـه بالفعل يكتب عـن هواية ، ولكن ليس معنى الهواية انه لا يحمل الادب محمل الجـد ، على العكس ، انه حين يكتب يضع كل نفسه في ما يكتب او انه يتركه .. الـخ ..

واليوم ، يتحفنا الدكتور عبد السلام العجيلي بمجموعة قصصية جديدة هي « حكاية مجانين » ، تحوي علـى ست قصص منها اثنتان مطولتان ، هما ايامي في جزيرة شاور ، ثم حكاية مجانين ، ثـم اربـع قصص قصيرة هي الحاجان ، ثم الجدب والطوفان ثم فيفا ثم الورم ..

انها في الحقيقة ربح جديد للادب القصصي السوري والعربي ، وعلى الخصوص أنها نتاج أصيل غير متكلف ، تكـاد تقول هي نتـاج البديهة وفيض الخاطر نتاج الموهبة التي تصرف القول القصصي فـي كل موضوع فتخضعه لها كما تشاء ، وفي كثير من الاحيان دون التقيد بالقواعد المتعارف عليها في القصة او النقد الادبي ..

وبالفعل لفت نظري في هذه المجموعة الجديدة تقنيتها القصصية، أي بناء هذه القصص المختلفة والتي هي قصص واقعية من الحياة ، قصص وقائع من الاسفار والمجتمع والنفوس ..

وذلك ان التقنية التي تهيمن على قصص العجيلي الى الآن ، هي تقنية السرد الوصفي التحليلي المعهودة ، والتي تقابـل اليوم تقنيـة اللامعقول ، او تقنية الهمش الشعري ، وغيرهما ..

في حين التقنية في هذه المجموعة الجديدة تقنية منوعة ، فهـي تقنية الحديث النفسي الفردي والاعتراف كما في قصة « الحاجان »، او هي تقنية الحوار ، كما في قصة « الورم » او هي تقنية المشاهـد المرصوفة ، كما في قصة « الجدب والطوفان » ناهيك بتقنية الوصل بين قصتين ، او اكثر كما في قصة « فيفـا » ، او تقنية الاستطراد الالف ليلي ، كما في قصة « حكاية مجانين » او ايضا اصطناع عـدة أساليب كما في عدة قصص فيها ..

واذكر هنا بالمناسبة ، قول الرائد القصصي الكبير المرحوم فؤاد الشايب في رواية « وداعا يا افا[illegible] » شكيب الجابري ، وذلك حين زرته في مكتبه في مجلة المعرفة بدمشق ، لآخذ المقدمة التي كان تكرم وكتبها لكتابي « ادب القصة فـي سورية » في مطلع عام ١٩٦٦ .. فسألني عن رأيي في « وداعا يا أفاميا » فقلت له أنـي كنت الى جانب دراسة الكتاب ، كتبت نقدا فيها نوهت بجرأتها .. فقال لي ، حقا هي جريئة ولكن ألا ترى الـى القمش والتقطيع فيها ؟!.. ان الوصل بـين الاجزاء فيهـا متكلف ، يحشر القاص فيه نفسه ، وكأنه الحكواتي الذي ينقلنا مـن مشهد الى آخر ، وهذا ضعف في التأليف القصصي والروائي !.

تلك نقدة شهيرة للرائد القصصي الكبير المرحـوم فؤاد الشايب ، لا تزال عالقة في ذهني ، وتدل على ذوق هذا القاص الكبير في اسلـوب الوصل بين الاجزاء القصصية في القصص والروايات .. وهـو اسلوب شائع اليوم نجده عند العديد من القصاصين ومنهم العجيلي ..

وفي هذه المجموعة نجد هذا الاسلـوب في القصة المطولـة المسماة « ايامي في جزيرة شاور » والتي تجمع الى اسلوب الرسائل ، اسلوب المحاضرة ثم اسلوب الوصل بين اجزاء وصفية واخرى تحليلية ، وثالثة تفنيدية .. والقصة هي بالاحرى (قصة ـ محاضرة) ، وهـو اسلوب شيق ، يحسن العجيلي استغلاله ، فيودعـه اخبار اسفاره وعظاتها ، وبراعة فنه القصصي ومتعته ، وهي تروي خبر انقلاب أبيض حدث عـام ١٩٦٤ في احدى جزر الخليج العربـي ، اسمها شاور ، وأطاح بحاكم الجزيرة الشاب يحيى بن حديد ، وهو صديق للعجيلي ، فيقصى هو وضيفه العجيلي عن الجزيرة ..

ونجد فيها مثلا، بعد التقديم برسالة تعرف بزيارة القاص للجزيرة: « .. كنت أنهيا لان اروي لصديقي فيها اشياء مضحكة مما مر بي فـي الجزيرة ، ولكن نهاية تلك الاشياء كانت هي المرة » . ثم نجد « .. على اني لن استطرد ، وأبدأ فاصف لكم صديقي الشيخ يحيى فاقـول » . ثم نجد « .. عن زيارتي الاولى التي استغرقت اياما قليلة لـن اتحدث كثيرا » ثم « .. كما قلت لن احدثكم عن زيارتي الاولى طويلا . يكفي ان اصف لم الوليمة التيّ اقامها لي الشيخ سالم ثاني يوم وصولي » ثـم نجد « .. هكذا كانت جزيرة شاور في اوائل الخمسينيات ، اما في عام ١٩٦٤ فكانت شيئا آخر » . او « .. اول ما طالعني مـن جزيرة شاور عن بعد ، وانا مقبل عليها مئذنتان بيضاوان » او « .. لم اعرف الا بعد ذلك ان الشيخ دحمان ، وأمه ايرانية لا يهتم بما كنت اعرف ان صديقي الشيخ يحيى يتمسك به من الحرص على الطابع القومي العربي لجزيرة شاور » او « .. تذكرت ما قيل لي انه حين كان الشيخ يحيى مشغـولا في باريس في دراسة الطب بالتنقل بين بيغال والسان جرمان دي بريه ، كان الشيخ دحمان يتنقل في البحار الشرقية بـين جاوة وسيلان ، وفي الهند وافغانستان وبلاد اخرى » .. الخ ..

في حين في قصة « الحاجان » ، نسمع الى احد بطلي القصة يبـدأ السرد بحديث هو تقريبا حديث نفسي اذ يقول « انا محمد عبد الستار صالح من مدينة بينية في قضاء صور » ، ثم يروي حكايته في المهجر ثـم بدون مقدمات غير ترقيم القصة ننتقل الـى حديث صديقـه في (٢) ، ونسمعه يقول « انا انطون بن ابراهيم متى من مواليد الرامة على الطريق بين عكا وصفد .. » ثم يروي حكايته في المهجر ، ثم نجدهما في (٣) في فندق في بيروت ، عام ١٩٦٨ قصد التوجه الى الحج ، احدهما الـى القدس ، والآخر الى مكة .. الخ ..

بينما قصة « الجدب والطوفان » تعتمـد علـى الترقيم ايضا ، وترصف المشاهد الحياتية رصفا ، فنجد في (١) صورة آخـاذة لبأس بدوي من العطش والجفاف ، يدفعه الى ان يطلب مـن سائق جرار ان يدهس له عجلاته المشرفة على الموت ، ثم في (٢) نجـد صورة لفيضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرات ، وانقاذ فرق الانقاذ لفلاح مع بقراته يهدده الفيضان بالموت ، الا ان الفلاح يأبى الاقلاع بالهليوكوبتر ، لان السائق رفض حمل البقرات فيه . ثم في (٣) نتنقل الى مشهد عن بطل ثانوي في المشهد الاول ، يهجر البادية الى المدينة والى العمل والوظيفة .. الخ ..

في حين قصة « فيفا » تروي بعد تمهيد عن رؤية حلية ذهبية مع موسر من الرحالين، قصة هذه الحلية وما حولها من مناسبات وطرائف، وهي بدون تقسيم او ترقيم وتنتهي بأطار ، يشبه أطار التمهيد « .. وحين بلغ صاحبنا هذا المبلغ من الكلام سكت .. فودعنا وانصرف مسرعا ... » ..

اما قصة « حكاية مجانين » فنجدها مقسمة الى سبعة اقسام متسلسلة تتداخل فيما بينها في اسلوب يمكن ان نقول انه اسلوب ألف ليلي تحليلي ، اذ يدور موضوعها حول جنون صبية يتحاور فيه ركاب سيارة قادمة الى حلب ، فيقدمون تفسيرات مختلفة له ، ويستغل العجيلي الرأي ليستطرد الى هموم صاحبه في الحياة .. وهكذا ..

ان التقنية في هذه القصص اذن متنوعة .. او بعبارة اخرى ان البناء القصصي غير مطرد في تقنية ، او اسلوبها في هذا التاليف القصصي المنوع .. ولا شك ان السرد الوصفي التحليلي هو الغالب ، والمسيطر ، ولكن أليس من الاحسن ان يحدد المؤلف موقفه من اسلوب (القصة ـ المحاضرة) ، كما رأينا ، وما فيه من تقطع ، ووصل ؟! او ان يحدد موقفه من ترقيم القصص كما رأينا وخاصة ان اثره الجمالي متنوع من قصة الى اخرى ؟ !..

ان احدث نظريات النقد الادبي في فرنسا اليوم ، وهي ما يسمى النقد الاسلوبي للمضامين (تيماتيزم) تحاول ان تربط اسلوب المؤلف وانواعه الادبية وكذلك مفرداته وتراكيبه وعباراته نفسها بتجربته وتطورها ، كي تصل الى الدافع النفسي ، الشعوري واللاشعوري او الفكرة الموجهة ، او الموضوع الرئيسي الذي يشغل باله شعوريا ولاشعوريا .

ودراستي النفسية العامة نسبة الى علم النفس العام ، والتي أربط بها الادب بجذوره النفسية الشعورية واللاشعورية لا تدعي انها نقد اسلوبي للمضامين لانها مجرد دراسة نفسية أدبية .. ولكن اذا اجزنا لانفسنا هنا مثل هذا النقد الاسلوبي هل نقول ان هذه التقنية التي تظهر عليها شوائب من نقص ، هي نتيجة العفوية التي يدين بها المؤلف .. ـ وهذا ما نرجحه ! ـ أم انها نتيجة اهمال شعوري او لاشعوري للنوعية القصصية وتقنيتها بنائها واسلوبها ؟! ـ وهذا ما لا نعتقده ـ خاصة وقد دللنا بنصوص صريحة ، على ايمان العجيلي بفنه القصصي وعمله له بكل نفسه .

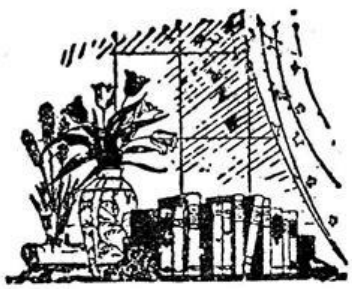
ان هذه الموضوعات القصصية الشيقة والمتنوعة والتي يغرفها عبد السلام العجيلي من الحياة والواقع والاسفاه لو وفر لها قاصنا الكبير قدرا اكبر من العناية الاسلوبية والتقنية في البناء القصصي نفسه لكان ذلك ربحا لها ، وضمانا للصمود .. فان الادب يظل هو الادب ، يظل هذا الفن الجميل الذي اداته الكلمة والعبارة والاسلوب !. واذا اهملنا هذه النواحي الاساسية في صناعة الادب نكون قضينا على الادب ومتعته الفنية نفسها ، ولعل قاصنا الكبير بأريحيته وغيرته على الفكر والفن يولي هذه التقنية عنايته وهو لا شك فاعل ، والى لقاء .

دمشق — عدنان بن ذريل

نـــور ونـــار

للشاعر زكي قنصل ـ تقديم فؤاد الشايب ـ ٢٥٣ صفحة من الحجم المتوسط ـ طبع بوانس ايرس ١٩٧٢

اهدى الي الشاعر العربي المهجري زكي قنصل الجزء الاول من



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوانه « نور ونار » الذي ما كدت اشرع في قراءته حتى لفت انتباهي امران :

اولهما : اعلانه ان هذه الطبعة الجديدة مزيدة ومصححة تلغي ما قبلها ، لان على جميع الشعراء – في رأيي – اعادة النظر في كل ما نظموه ونشروه من شعر ، وتنقيحه في كهولتهم دون اشفاق على بنات افكارهم.

وثانيهما : دعوته النقاد الى ان يقسوا عليه في نقد شعره، ويجتنبوا الثناء الزائف . ويختم دعوته الناقد بقوله : « قل ما يبدو لك ، ولكن بصوت عال ، لئلا يصح فيك القول الشريف : الساكت عن الحق شيطان اخرس » .

وهذا شجعني على ان اقول كلمتي المنصفة في هذا الديوان ، لكي ارضي ضميري والنقد الادبي ، واكون عند حسن ظن صديقي شاعر الشهباء الاستاذ عمر أبا قوس في اسلوبي الصادق المنصف في النقد كانصاف اديب سورية الكبير الاستاذ رشاد علي اديب .

ان نقد الشعر والنثر هو اظهار ما فيهما من حسنات فيثنى عليها ، وما فيهما من سيئات فيدعى الى اجتنابها ، باسلوب هادىء رصين ، يستوحي فيه صاحبه العقل ، ويسدل ستارا كثيفا على العاطفة ، التي قد تجمح يمينا فتضع الاديب المنقود على رؤوس الافلاك ، وعلى رأسه تاج الخلود والعبقرية ، او تجنح شمالا فتهوي بالاديب الى حضيض الركاكة والجهل والغباوة ، وعلى هامته اكليل من شوك القتاد .

ان الاسراف في مدح الشاعر ، ووضعه على قمة الكمال – والكمال من صفاته تعالى وحده – ، يحمل القارىء على الشك في كل ما قاله الناقد ، الذي جعل نفسه بوق دعاية للشاعر ، فاضاع حسناته ومميزاته الحقيقية في خضم التدجيل ، وضجيج التزمير والتطبيل ، وسراب الشكوك والاوهام .

ولا بد لي هنا ، بعد هذه المقدمة ، من ان اشهد أنني ما كدت اقرأ ثلاث القصائد الاولى من الديوان ، حتى رأيتني مشدودا الى الشاعر الذي مفنطت ابياته لبي ، فظل سابحا في مجال جاذبيتها ، الى ان انهيت قراءة الديوان كله ، بعدما رقمت على هوامشه الآراء الآتية :

يجب ان يصبح اسم الشاعر « زكي سفير » بدلا من « زكي قنصل»، كما اصبح اسمي « محمد العدناني » بدلا من « محمد خورشيد » لان صاحب ديوان « نور ونار » احد سفراء الشعر العربي الى جمهورية الخلود ، وكوكب ساطع سيظل متألقا في سماء قريضنا الى ان تزول من الوجود الامة العربية ، امة الشعر والفصاحة والبيان ، وهيهات ، هيهات !!

تشعر وانت تقرأ ديوانه ، ان الوطنية الصادقة العملاقة تكاد تنبض بها كل قصيدة في الديوان كما تنبض حياته في كل شريان ، وتجعلك تفتح له قلبك على مصراعيه ليدخله دون استئذان . فمن قصائده الوطنية الرائعة قصيدة « نور ونار » ، التي انشدها في الذكرى الثانية لاستقلال سورية ، والتي ختمها بقوله :

يا بلادا نزحت عنها وقلبي ... حائم في ربوعها دوار
يشهد الله لم أفارق مغانيك ... اختيارا ، لكنها الاقدار
عصفت ريحها ، فاقفر عش ... وخلت أيكة ، وتاه هزار
أنت رؤياي في منامي ونجواي ... اذا أرقتني الاكدار
ضاع في غمرة الهموم شبابي ... وفشا في بنائه الانهيار
فاذكريني اذا قضيت غريبا ... رب ميت يهزه تذكار

وقد جعلته وطنيته الاصيلة يسمو فوق النعرات الطائفية ، التي حاول المستعمرون ايقادها في صدورنا فاخفقوا وهو القائل في قصيدته « عرس الضياء » :

رمضان هبني من اريجك نفحة ... نديا تحيي بالرجاء فؤادي
كحل بأنوار السماء بصيرتي ... واغمس بأطياب الفضيلة زادي
لاكاد أسمع في أذانك – أشرقت ... نغماته – ترتيلة الميلاد

ثم قال :

آمنت بالانجيل ثورة مصلح ... وخشعت للقرآن دين جهاد
خلع الظلام عن الانام وشاحه ... لما حدا باسم الامين الحادي
فاصمت اذا تلي الكتاب مهابة ... واخشع اذا ذكر النبي الهادي

وصيره ايمانه بالشعب العربي وقواه الكامنة متفائلا ، ومطمئنا الى النتيجة المشرفة المظفرة التي سيحصل عليها في النهاية ، من طرد اسرائيل وانهيار زعماء عام ١٩٥١ ، يؤيد ذلك قوله في قصيدته التي وجهها الى الشاعر القروي جوابا على قصيدته « اليك عني » قال ، لا فض فوه :

أثار أنينك المجروح حزني ... وقرح دمعك المسفوح جفني
رسول الشعر لا يغلبك يأس ... فقد يشفى عليلك بعد وهن
قسوت على العروبة مستفزا ... وألبست العتاب ثياب ضغن
أتمطرها شواظا من وعيد ... وكنت على خمائلها تغني
وتأخذها بما لم تقترفه ... وتنكأ جرحها ب « اليك عني »
أعيذك أن تجور ، وانت أدرى ... بمن وهبوا اليهود جنان عدن

اما قصيدته الخالدة « وصية الثار » فانني انصح القراء كافة بقراءتها وهي موجودة في الصفحة ٢٩ .

اما حملاته الشعواء على زعماء العرب ابان النكبة الاولى ، ففيها جراة نادرة في قول الحق . جاء في قصيدته : ملوك الكلام :

ملأوا الارض ضجة ، ثم مرت ... فاذا كلها صياح ديوك
ولغوا في دماك ، ثم تباروا ... يتباكون للدم المسفوك

ثم يخاطب الزعماء ويقول :

يشهد الله ما ضعفتم ، ولكن ... أعوزتكم عقيدة اليرموك
لم يقم فيكم – وانتم كثير – ... (خالد) في حمية وفتوك
لو حبستم بتروكلم عن عدو ... لم يمت غيرة على شيلوك

ويقول في قصيدة « كفرت بالعيد » :

يا فتنة المال كم اغويت من قلم ... وكم جنيت على تاج وصمصام
لاجل عينيك قد ضحت زعامتنا ... مهد المسيح على اقدام حاخام

وانصح بقراءة قصيدتيه « العملاق الاسود » صفحة ١١٨ ، و « ارض الشهداء » صفحة ١٥٢ ، ولو شئت اختيار ابيات منهما لاخترت ابياتهما كلها دون تردد .

ومن مميزات هذا الشاعر تفاؤله الشديد ، والتفاؤل من صفات الرجال ذوي الشخصيّة القوية ، بينما تكون نفوس المتشائمين كالاطلال ينعب فيها البوم ، واين البوم من هذا النسر العربي الذي قال :

أبدا ... لم يهزنا الزلزال ... نحن قوم تشدنا الاهوال
كلما غالت النوائب فينا ... أملا زاهيا ، نمت آمال
كلما أطبقت علينا الليالي ... ضحك الفجر او أطل هلال
لم نهن للخطوب مهما تمادت ... نتردى ، لكننا لا ننال
نلبس الشمس بسمة ، ونواري ... خلفها الجرح وهو دام عضال

وما على من يريد الاستزادة من شعره المتفائل الا ان يقرأ الصفحات ٢٣ ، و٦٤ ، و ١٥١ .

وقد حملته عروبته ووطنيته على دعم الفدائيين العرب ، والاشادة بهم ، فقال :

هذي غطاريف الفداء بدت ... فاستبشروا بالانجم الشهب
من كل أروع في شمائله ... بحران من لطف ومن غضب
ريح الخلود تهب عاطرة ... فواحة من كوخه الخرب
ثاروا على الاقدار فانفرجت ... وعلى الهوان فلاذ بالهرب
من غيهب الصحراء قد طلعوا ... نورا يشق غياهب الريب
باعوا النفوس ليشتروا وطنا ... هو عندهم كالعين للهدب
اسيافهم عزم وتضحية ... وعتادهم ما شئت من دأب
يعطون لا خوفا ولا طمعا ... شأن الندى يهمي بلا سبب
تعب حياتهم ، ولو رضخوا ... لنجوا من التشريد والتعب
أعلى من الايوان خيمتهم ... وترابها أغلى من الذهب
نقشوا على الاسياف آيتهم ... القدس أمي ، والجليل أبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكثر الحكمة في شعره دون ان يتعمد نظمها واقحامها بين ابياته ، كقوله :

صفوة الناس من تمسك بالحق ظهيرا ... وما عداهم نفايه
عبثا يتقي المعاير من لم يصرف الناس عن دروب الغوايه

وقوله :

من صاحب البطل لم يأمن غوائله البطل بين مطاوي الثوب ثعبان

وقوله :

يخشى المنية من يساق الى الوغى وتخافه من خاضها استبسالا

وقوله :

رب نصر كالائم ينضح خزيا وانكسار كالحق فيه جلال

وقوله :

ومن يخذل أخاه في الرزايا يظل على الزمان بلا نصير

اما فلسطين فقد وفاها حقها من شعره وقليه ، وخير نموذج لذلك قوله :

لولا فلسطين كانت ظلمتي ألقا وكان بردا على اضلاعي الضرم
اني لاحمل في قلبي لواعجها أليس يجمعنا الايمان والرحم
ما دام عرضي للشذاذ ممسحة فليس لي بين اعلام الورى علم
أيلفظ الوطن الدامي حشاشته و « سادة الرمز » لا حس ولا ألم
لاهون عنه بتطبيل وشعوذة ساهون عنه بما يستهجن الكرم
خنافس رطنوا فكرا وقافية كانهم واو عمرو كلما نظموا

وهذا يسوقنا الى رأيه السديد في الشعر ، قال حفظه الله :

كل شعر لا وزن فيه ولا معنى هراء أصوله أجنبيه
شرف القول ان يكون فصيحا لم يلجلج الا خبيث الطويه

وجاء في قصيدته التي رثى بها الاخطل الصغير :

آيات شعرك لا نفاد لها وخنافس الرمزية انصرموا
فرضوا على الاغرار بدعتهم ثم انطوت ، وتقلص الوصم
أقسمت لم اسمع سفاسفهم الا حلا في اذني الصمم
ساء الجديد ، وخاب قائله لا العرب تفهمه ، ولا العجم

ماذا نقول لمن يهاجم شعرنا هل يقحم البركان الا احمق
يا سادة الشعر الذي لم يلتزم وزنا ولا معنى ... أأنتم زئبق
لم تخجلوا ، والشوك من أخلاقه ألا يفض ... وقد يفض الزنبق

ويبدع في وصف الاغتراب ، فيقول :

غصص المهاجر ليس يعرفها الا الذي عن ربعه اغتربا
لا تخدع بوميض بسمته هذا هو الفجر الذي كذبا
يطوي على جمر اضالعه ويرشه في كاسه حببا
قل للذي يزري بفاقتها أقسمت يفضل رملها الذهبا
لا يستحق بلاده عدنا من لا يحب بلاده خربا

ويجيد في كثير من مطالع قصائده ، منها :

ما للمدامع في عينيك تختلج حمراء يهدر فيها الحقد والوهج
لا الشمس هاوية ولا الهرم الثاكلان الحرف والقلم
يفنى الزمان ، وأنت حي يرزق وتغيب اسماء ، وذكرك مشرق
هتكوا حماك ، وانت لم تثب أولست من عدنان يا عربي

اما صفاته التي يبرزها شعره ، عدا وطنيته وعروبته الجامحتين ، فهي الاباء ، وهو القائل :

تأبى على مثلي كرامته أن يستحيل لحاكم ذنبا

كرهه المال :

اذا غاص في الارقام تفكير تاجر ثنيت عناني خلف قافية بكر
يثير اقتتال الناس كامن حيرتي ويدهشهم أني سعيد على فقري
لكم سائل فاخرته بقناعتي فلم ير فيما قلت شيئا من الفخر
يقول وقد شام ازدرائي بماله أتدفع اجر البيت من غلة الشعر
أتاكل نفح الروض ان كنت جائعا وتلبس مما تنسج الريح للنهر

اعجابه بالبطولة ، واحيل القراء على ديوانه ليقرأ في الصفحة ١١٨ قصيدته الخالدة « العملاق الاسود » التي وجهها الى بطل الملاكمة العالمي محمد علي كلاي ، لانني حاولت انتقاء بعض ابياتها ، فاشرأبت الابيات كلها باعناقها الي لانتقيها .

هذا هو رأي في حسنات هذا الشعر الذي أطل على الضاد بدرا تماما من سماء الخلود ، والذي حاكى بدر السماء بوجود قليل من الكلف عليه ، ولكن دون ان يشينه . فمن هذا الكلف :

عدم شرحه بعض الكلمات الصعبة ، واكتفاؤه بشرح بعض الاعلام ، واستعماله كلمات عفى عليها الزمان ، ولا توجد الا في الزوايا المظلمة من المعاجم ، كقوله :

شدوي على مسرح الاحداث دمدمة وبسمتي في مآسي أمتي غسم

والغسم التي استعملها مرتين في ديوانه ، تعني الظلمة او السواد ، فمن من ادبائنا الافذاذ يعرفها ؟ وقوله :

لكن اذا غمز الزاري كرامتنا ثار العجاج ، وماد السهل والجرج

والجرج : كلمة ميتة معناها الارض الغليظة ذات الحجارة .

ولا أوافق شاعرنا ابا عمر على استعمال المصدر (غلوان) المهمل ، بدلا من المصدر (غلواء) المألوف في بيته الآتي :

خفوقه كدبيب الظن حشرجة أهذه غاية الفلوان يا هرم ؟

قصره الممدود ، ولا انكر ان هذا ضرورة شعرية ، ولكن الشعراء الفحول لا يلجأون الى مثل هذه الضرورة ، وقد قصر الممدود في الصفحات ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٤٧ (القضا ، البكا ، السما ، الرجا ، سماه) .

وجود اخطاء مطبعية غير قليلة في الديوان ، مع ان الشاعر صحح بعضها قبل ان أهداه الي ، فمن تلك الاخطاء وضع همزة قطع بدلا من همزة وصل في كثير من الاحيان ، ومنها نقل كلمة من صدر بيت الى عجزه :

شنت على الوحش حربا مشبوبة الزفرات

ف (حربا) يجب ان تأتي في نهاية الصدر .

ليت شاعرنا زكيا ، (وهو الذكي) ، وكل امر طباعة ديوانه النفيس الى « دار العودة ببيروت » التي وقف صاحبها نفسه لنشر خير دواوين الشعر العربي مطبوعة طباعة انيقة جدا على ورق صقيل ممتاز .

خلو الديوان من الترقيم (، ، : ! « » ـ) ، ومن الشكل شبه التام ، مما جعل بعض المعاني غامضا كقوله :

اذا لم تنسحب ارجا وظلا فلا تك بينهم لفح الهجير
ليقذي المجد ان تقسو عليهم وانت وان كرهت من العشير

اكثاره من استعمال (لا) الناهية من المضارع الغائب والمتكلم . وهذا جائز ، لكن الاكثار منه يهز بنيان النظم المكين ، كقوله في قصيدته عن جبران :

لبنان لا يفخر علينا بابنه لا نحن نسبقه ، ولا هو يسبق

هنالك ملاحظات لغوية وهفوات ، ارجح ان السرعة ، ومشاكل الحياة الكثيرة ، والنكبات المتلاحقة التي حاقت بأمتنا العربية كانت السبب في شل تفكير شاعرنا ، والحيلولة دون التنبه الى تلك الهنات البسيطة كقوله :

تلقى اولى مبادىء القراءة بدلا من (أول مبادىء القراءة) ، لان (مبدأ) مذكر :

وقوله : مليون لاج بدلا من مليون لاجىء .

وقوله : يقولون شكواك افتعال وتخمة (بتسكين الخاء) والصواب بفتحها ، والفتح يحدث اختلالا في الوزن .

وقوله : كان حوض المنايا منزه خضل .

والصواب : متنزه .

وقوله : ويغمر دنياك ظل الامن .

بفتح (ميم) الامن ، والصواب : تسكينها ، وبه يختل الوزن .

وجمعه زهر على (ازاهر) ، والصواب (ازهار وازاهير) .

وقوله : تعاليمك (السمحاء) بدلا من (السمحة) .

وقوله : يدوي بدلا من يدوي (بتضعيف الواو) ، لان الفعل هو دوى (بفتح فتضعيف) لا دوى (بفتح ففتح) .

وقوله : ونملأ النفس من ينبوعه العذب (بكسر الذال) ، والصواب : بتسكينها .

وقوله : ولن يحوم على اسمي الدود والنمل (بكسر الميم) ، والصواب : بتسكينها الذي يخل بوزنه .

وقوله :

تعب حياتهم ، ولو رضخوا لنجوا من التشريد والتعب

والصواب :، ولو خضعوا ، لان معنى (رضخ) : كسر او اعطى.

وقوله :

نقشوا على الاسياف آيتهم . ليته قال : نقشوا على الصاروخ ، لان عهد السيوف قد ولى .

وقوله : شتان ، والصواب : شتان (بفتح النون لا بكسرها) ، لانها اسم فعل ماض ، لا مثنى .

وقوله :

لا تخف ان تعصف الريح ، فلا لن تهز الريح أركان الجبل

وهذا خطأ لان (لا) لا يجوز ان تسبق (لن) .

وقوله : كيف تنمي للمعالي أمة .

والصواب : تنمى (بالالف المقصورة لا بالياء) .

وقوله :

لن يستعيد العرب غابر مجدهم الا اذا نبذوا الفوارق والتقوا

والصواب : والتقوا ، وهذا يجعل قافية هذا البيت ذات حرف روي مفتوح ، بينما حروف الروي في أبيات القصيدة كلها ذوات قاف مضمومة ، وهذا لا يجوز . أما (سورية) التي يجب ان تكتب بالياء المخففة والتاء المربوطة ، فانه يكتبها (سوريا) بتشديد الياء والالف وهذا غير جائز .

وقوله :

آمنت بالانجيل ثورة مصلح وخشعت للقرآن دين جهاد

فهنا جعل القرآن دينا ، وهذا غير صحيح وانا اقترح عليه ان يقول :

وخشعت للاسلام دين جهاد

او : وخشعت للقرآن سفر جهاد (بكسر السين وتسكين الفاء في (سفر)) .

وقوله :

وغزوا الكون بالثقافة فانحلت قيود واشرقت انوار

فالوزن مختل هنا ، ولا يستقيم الا اذا كان الزاي في (غزوا) مضمومة ، وهذا لا يجوز لان الفعل مقصور . والقاعدة توجب فتح الزاي ، وبذلك يختل الوزن . أما بيته :

ساء مسعى صهيون يبني على الاوهام دارا أساسها الدينار

فانني اقترح عليه ان يقول : اساسها الدولار . لان اسرائيل لولا الدولار الاميركي ، الذي تدفق الوف الملايين منه عليها ، لما كانت موجودة الآن .

هذه هي النقاط القليلة التي حملني ضميري وحبي للفتى على ابدائها ، لكي لا يقع الشاعر الكبير المطبوع زكي قنصل في مثلها عندما يطبع دواوينه الاخرى ، ولكن نبتعد بالنقد عن تملق المنقود حتى لا ندعه يكرر اخطاءه ، ويهمل تنقيح شعره تنقيحا شبيها بتنقيح زهير بن ابي سلمى لحولياته المطلة على البابنا من سماء الخلود .

أما زبدة رأيي في شعره الذي نشره في ديوانه « نور ونار » فهو انه :

شعر واقعي عاطفي فطري ، يستطيع به الشاعر ان ينسرب في قلبك ، بعد ان تتنشي برحيق العبقرية والصدق ورهافة الحس . وانصحه بأن يمزج وحي العاطفة بوحي العقل كما فعل المتنبي وشوقي، وان لا يكتفي باستلهام العاطفة وحدها كما فعل البحتري وحافظ ابراهيم . فالمعنى في الشعر يجب ان نهتم به اهتمامنا بالمبنى ، وجدير بأبي عمر ان يغوص على لآلىء المعاني بعقله الجبار ودأبه المتواصل غوصه على الالفاظ في بحور المعاجم .

وهو شعر قومي يبهرنا فيه (نور) الوطنية والعروبة ، و (نار) الغيرة على بني قومه ، وحسبه فخرا القصائد الكثيرة المتأججة ثورة ، وغضبا ، ويأسا ، وأملا ، وشكا ، ويقينا ، والتي تدفق عليه وحيها بعد نكبة حزيران ١٩٦٧ الفادحة ، تدفق الامطار المتمردة على السحب، والمفلتة من سيطرتها .

تجد في كثير من ابياته شموخ المتنبي وابي فراس واباءهما ، وحسبه قوله :

رضنا الزمان فما تمرد صرفه الا تمردنا على المتمرد

لم تستطع كلماته دائما ان تعبر تعبيرا صادقا عن نفسه الكبيرة ، وشعوره الرهيف ، وعروبته السامقة ، مع ان سيطرته على اللغة تضعه مع شعراء الصف الاول من المهجريين .

يستشهد بحوادث تاريخية تدل على اتساع ثقافة الشاعر العصامي وعمقها .

هذا هو رأيي في الشاعر المهجري الكبير زكي قنصل ، ذلك الرأي الذي حاولت جهدي ـ كعادتي ـ ان انهج به نهج الحق والانصاف ، وان اعتمد على العقل وحده ، واضع العاطفة جانبا ، لانني أحببت هذا الشاعر الوطني المخلص لامته وعروبته حبا جما، بعد قراءة ديوانه، واحللته مكانا رفيعا في قلبي .

والله وراء القصد

محمد العدناني

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـوزي المعلـوف

تأليف صموئيل عبد الشهيد ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات العالم العربي ببيروت ـ عام ١٩٧١

في فترة الزهوة الاولى للادب المهجري ، كـان صوت الشاعر الشاب فوزي المعلوف من أصفى الاصوات الشعريـة الجديـدة ، واعذبهـا ترجيعا وشدوا. ولعله كان بين المهجريين الجنوبيين آنئذ الصوت المجدد الوحيد ، الذي يذوب رقة في غنائه، وينظم الشعر في المعاني الانسانية الكبيرة الجديدة . وكان التجديد الحقيقي ابرز ما يكون في شعـره : في جمال العبارة ، وعذوبة الموسيقـى ، وصدق الاحساس ، وغنـى الخيال والتصور ، والابتكار في المعاني ، والتميز بثوب جديد لم يكن مما لبسه القدامى .

في تلك الآونة من بداية زهوة الادب المهجري ، طلع فوزي بمطولته الغنائية الشهيرة « على بساط الريح » او « شاعر في طيارة » ـ كـما كان عنوانها في البداية ـ وكانت صوتا جديدا متميزا بالقوة والجمال. وقد ظهرت بالعربية والاسبانية في وقت واحد . وسرعان ما انتشرت في المشارق والمغارب على السواء ، فاذا فوزي المعلوف ، الشاب النديان العود ، شاعر في الطليعة والقمة .

ولكن فوزي لم يعش طويلا . لقد كان يتغنى بالمـوت في شعـره ويشود اليه . ومن ذلك قوله :

والآن يـا موت الـي اقتـرب ... يـا حبـذا بالموثـق المعتـق
معتق نفسي مـن قيـود الردى ... موثق جسمي في المـدى الضيق
لم يبق لي في الارض من بغيـة ... مـا الارض الا جنـة الاحمـق

ومنذ ان ظهرت مطولة « على بساط الريح » كان فوزي حديثـا على كل لسان في مجالس الادب والشعر ، وفي صحف الشرق والغرب.

ثم طار البلبل الفريد عن عشه ولما يكتمل ريشه بعد ، فقد كان فوزي في الحادية والثلاثين من عمره حين انقصف غصنه اليانع ، وخلف وراءه ثروة شعرية خالدة على الايام . وراحت الاقـلام تكتب عـن فوزي وشعره كثيرا ، فما تقف عند حد .

وآخر كتاب صدر عن فوزي المعلوف هو هذا الكتاب الذي اصدره الصديق الاديب الاردني الاستاذ صموئيل عبـد الشهيد في منشورات العالم العربي في بيروت عام ١٩٧١ في ٢٢٠ صفحة مـن القطع الكبير ، ودرس فيه الشاعر المهجري الخالد دراسة وافيـة ، شملت حياتـه وشعره ونثره ، وحللت عناصر القوة والتجديد في شعره ، وعوامـل الابداع التي تترقرق فيه عذبة صافية .

لقد كان هذا الكتاب رسالة الماجستير التـي قدمهـا صموئيل عبد الشهيد للدائرة العربية في الجامعة الاميركيـة في بيروت . وهـي لذلك تتوافر فيها عناصر البحث الجامعي ، والاحاطة الشاملة ، مـع قوة التحليل والتعليل ، والبحث عن الحقيقة وراء المظاهر الكلامية .

لقد جاءت الدراسة والبحث في ١٧٤ صفحة ، ثـم تلاها قسم للمختارات الشعرية ، جمع فيه المؤلف عددا كبيرا مـن قصائد فوزي المعلوف المتفرقة والتي لم يجمعها ديوان بعد . وقد احسن كثيرا فـي جمع هذه المختارات ليقدمها باقة حلوة لمن يقرأوا شعر فوزي في مظانه، ولم تتوافر لهم مظانه .

في الفصل الذي حلل فيه صموئيل اسباب وفـاة الشاعر اشارة الى ما جاء حول ذلك في كتابي « ادب المهجر » من ان فوزي قضى على اثر عملية للزائدة الدودية . وهو ، طبعا ، غير مقتنع بذلك .

وانا احب ان اوضح هنا انني انا ايضا قد سجلت ذلك في كتابي ولم اكن مقتنعا به . غير انني لم أشأ ان انقض مـا قاله لي المرحوم الشيخ عيسى اسكندر المعلوف ـ والد فوزي ـ رحمه الله عليهما . فحين سألته عن سبب وفاة فوزي ، وكنا على مائدة الغداء في منزله في بيروت ، قال انها الزائدة الدودية وليس سواها . واذكر انني ناقشته في هذا مبديا عدم سهولة الاقتناع بأن الزائدة الدودية يمكن ان تكـون سببا كافيا للوفاة ، ولكنه اكد لي ذلك باصرار .

والحقيقة انني كنت من قبل ـ وما تزال لدي شكوك ـ مقتنعا بأن الذي قصر أجل الشاعر الشاب لا بد ان يكون مرضا جنسيا ، او هو السل على الاقل . وذلك لان الشاعر نفسه يقول في احدى قصائـده ـ ولا شك انه يعني نفسه ـ :

جاء والطهر والحياء رفيقاه ، وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والسداء الـى القبر في ربيع شبابه

و « الاثم والداء » هما مبعث شكي في امر وفاة فوزي . ومع ذلك لم أشأ ان أسيء الى صديقي المرحوم الشيخ عيسى المعلوف باثبـات هذا الشك ، وفضلت على ذلك تسجيل ما ذكره هـو لي عـن سبب وفـاة ابنـه .

رحم الله الوالد والابن ، وشكرا للصديق صموئيل عبد الشهيد على كتابه النفيس الذي أضاف به جهدا جديدا في دراسة الشاعـر الخالد فوزي المعلوف .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

موازين الشعر العربـي باستعمال الارقام الثنائية

تأليف الدكتور محمد طارق الكاتب ـ ٢٤٨ صفحة ـ مطبعـة مصلحة الموانيء العراقية بالبصرة ـ ١٩٧١

من غريب الاتفاق ان يكون العراق مهبط علم العروض في العالم ، فقد اخترعه السومريون قبل اربعة آلاف سنة ، وانتقل من اللغة السومرية الى السنسكريتية ، ومنها الى اليونانية والعربية ، وكان واضع علم العروض العربي عراقيا هو الخليل بن احمـد الفراهيدي ، ويقـوم بتطويره في ايامنا هذه عراقيون ، بل يظهر من بينهم من يطبق القواعد الالكترونية على العروض العربي ، فيعرف صحيح الشعر من فاسده بطريقة رياضية فريدة من نوعها ، وقد سبق للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد مندور ان ذكر لي ـ اثناء زيارته لبغداد بمناسبة انعقاد مؤتمـر الادباء العرب فيها ـ ان الفرنسيين كانوا ، ايام دراسته في فرنسا ، يقيسون اوزان الشعـر بآلات مبتكرة خاصة ، غـير انهـا ليست اليكترونية ، فبدعة الاستاذ الدكتور محمد طارق الكاتب ، مؤلف كتاب « موازين الشعر العربي » فريدة من نوعها ، وهـي حرية بالتقديـر والثناء والاعجاب ، ولقد قدر لي اخيرا ان اطلع على كتابه ، اذ وصلت نسخة منه الى صومعتي بلندن ، بطريق الاستاذ عبد الله اليماني ، فرأيته كتابا يضم ٢٤٨ صفحة ، غير ان النسخة التـي قدمها لـي الصديق الكريم تنقصها الصفحات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ فقد جاءت بيضاء ناصعة ، نتيجة اهمال في الطبع، مع ان مطبعة مصلحة الموانيء العراقية في البصرة مـن خيرة المطابـع المعروفة ، ولعلي الوحيد الـذي كنت سيء الحظ فجاءتني هـذه النسخة ، مع ذلك فقد استطعت ان اكون فكرة واضحة عن الاتجـاه الرياضي الجديد في العروض ، وقد قدم للكتاب بثلاث مقدمات اولاها للاستاذ الشاعر مصطفى جمال الديـن وثانيتها للدكتور ابراهيـم السامرائي ، وثالثتها للمؤلف نفسه ، واعتقد انه كان بالامكان الاكتفاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمقدمة واحدة ، لا سيما وان الكتاب صغير الحجم نسبيا ، يحتمل ثلاث مقدمات في آن واحد .

وقد لفت نظري في مقدمة الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي قوله (ص ١٦) :

« حاول غير العرب من المستشرقين ان يجدوا ضوابط اخرى غير الموازين العروضية التي قال بها الخليل بن (١) احمد . لقد توصلوا الى شيء جديد يقوم على الخط المنحني (كذا) رمزا للمقطع الطويل، والنقطة (كذا) رمزا للمقطع القصير » .

لقد استغربت ، وايم الحق ، هذا الكلام من الدكتور السامرائي الذي درس في فرنسا على يد المستشرق بلاشير ، واتصل بالثقافة الغربية من كثب ، لان هذه الطريقة ليست من استنباط المستشرقين، بل هي طريقة اوربية في التقطيع استعارها الاوربيون من رموز الخليل في دوائره ، بعد تحوير جزئي ، ثم انهم لا يستعملون الخط المنحني رمزا للمقطع الطويل ، بل يستعملون خطيطا (ـ) ، اما المقطع القصير فيرمزون له بركزة ، لا بنقطة ، كما توهم الدكتور الفاضل ، ولم يجد المستشرقون « ضوابط اخرى غير الموازين العروضية » على نحو ما ذهب اليه الاستاذ الدكتور ، بل أبقوا على الموازين العروضية العربية ودعموها بالرموز التقطيعية ، على نحو ما اوضحناه في كتابنا : « فن التقطيع الشعري والقافية » (٢) .

واود كذلك ان اشير تعليقا على مقدمة الدكتور محمد طارق الكاتب ان الاخفش الاوسط لم يكتشف ميزانا شعريا ، وانما زعم انه استدرك وزن « المتدارك » على استاذه الخليل ، وكان الخليل عارفا به واهمله ، لا عن جهل ، وانما عن عدم اعتداد به .

وكنت ارجو ان يخلو الكتاب من بعض الهنات اللغوية ، كقول المؤلف (ص ٢٥) « العمليات الاربعة » وصوابها « الاربع » ، « عمل كمسؤول » وصوابها « مسؤولا » ، و (ص ٣٩ ـ ١) « لم يتماشى » وصوابها « لم يتماش » بحذف الالف المقصورة ، و (ص ٣٨ هـ ١ـ٨) : « بدوره مقتبس » وصوابها « مقتبسا » وفي (ص ٣٠ هـ ١) كان الافضل ترجمة كلمة Suffix « بالكاسعة » لا « اللاحقة » .

على ان هذه وامثالها لا تقلل من قيمة الكتاب الفنية والعلمية ، فالرجل قد جاءنا بجديد ، واثبت ان العروض ضرب من الرياضيات الموسيقية ، وانه قائم على حساب دقيق حساس ، وهذا ما كان يجهله او يتجاهله الكثيرون ممن يزعمون ان معرفة العروض وقف على من رزق اذنا موسيقية حسب !

غير انه مع ذلك اصبح يقينا لدي الآن ان العروض العربي يجب ان يعاد النظر فيه ويكتب من جديد ، وقد شرعت شخصيا بوضع كتاب عروضي جديد على سبعة أسس ، هي :

١ ـ حذف الدوائر العروضية الخمس ، لانها غير ذات جدوى ، فهي سبب تعقيد العروض العربي وعدم تطوره ، وان هي في الحقيقة الا دوائر خيالية اريد حصر البحور الستة عشر ضمنها بصورة غير طبيعية .

٢ ـ الغاء البحور الستة عشر ، وسيلة لنظم الشعر ووزنه .

٣ ـ الغاء الزحافات والعلل كافة .

٤ ـ الغاء نظام التفعيلة من اساسه .

٥ ـ الغاء نظام الابيات واعتداد الشطر اساسا ، بدل البيت .

٦ ـ تصبح اسس الشعر العربي قائمة على :

ـ النقرة .

ـ السبب الخفيف .

ـ السبب الثقيل .

ـ الوتد المجموع .

ـ الوتد المفروق .

٧ ـ يعرف كل رمز من هذه الرموز بالوحدة الشعرية ، ولا يجمع بينها الا حسب قواعد شعرية ايقاعية منظمة .

فبوسعك ان تجمع بين وتد مجموع وسبب خفيف او سببين خفيفين حسب ترتيب هندسي لا يخرج عن الذوق الموسيقي السليم ، فبدلا من ان نقول مثلا ان بحر الطويل مؤلف من :

فعولن ـ مفاعيلن ـ فعولن ـ مفاعلين .

نقول : انه مؤلف من ثلاثة اوتاد يفصل بينها سبب خفيف ، وسببان خفيفان على التعاقب ، ويمكنك ، على سبيل التنويع ، ان تختم الشطر الاستهلالي بوتدين متعاقبين ، وبذلك تتخلص من ادعاء « علة القبض » او حذف الخامس الساكن ، وهكذا .

ان هذه الطريقة ستبسط عروضنا ، عند تدريسنا اياه في المدارس الى حد كبير ، على ان نستبقي الطريقة التقليدية للمختصين فقط .

اعود مرة اخرى فاكرر تهنئتي للاستاذ الدكتور محمد طارق الكاتب الذي يعد ما انجزه مفخرة من مفاخر العرب في العصر الحديث، ويمكن تطبيقه لا على العروض العربي وحده ، بل على أي نظام عروضي متقن في اي لغة من لغات العالم ، باستثناء عروض « الشعر الفوضوي السائب » الذي لا معنى فيه ولا مبنى ، ويعد مؤامرة خطيرة ، بريئة المظهر ، لنسف التراث العربي العريق من القواعد ، ولا علاج له الا باحياء فن الموشحات الاندلسي الرائع ، لانقاذ ثقافتنا من الانحدار

١ ـ جاءت لفظة (بن) في كلام الدكتور في بداية السطر ، وكان حقها ان ترسم بالف هكذا : (ابن) ، واكبر الظن انها غلطة طباعية .

٢ ـ الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الهاوية الادبية التي ففرت فاها لتبتلع كل ما هو جميل وخالد.. فيا ويلنا من الوليد المسخ الذي انجبه مدمنو المخدرات من الهيبيين ذوي الشعور الطويلة والاظفار غير المقلمة .

لنـدن — صفاء خلوصي

●

ضجـة في الزقـاق

رواية ـ تاليف غانم الدباغ ـ ١٩٦ صفحـة ـ حجـم كبير ـ مطبعـة الاديـب ببغـداد

في رواية غانم الدباغ الجديدة « ضجة في الزقاق » تلك التي تأخـذ ملامحها وخيوطها ومناخاتها من ازقة الموصل القديمة ومن قناطرها (في العهد العثماني)... حيث يرصد الكاتب الحياة الاجتماعية والسياسية والبداية الفكرية معا للقطر من خلال مدينة واحدة ... تختلف بعض الشيء عن المدن العراقية الاخرى .. ويسلط الضوء على زوايا صغيرة الا انها تمثل بمجموعها وجه المدينة ... وتمنح الرؤية فنيـة عفويـة تجعلها نابضة بالحياة ..

وخليل بطل الرواية سليل عائلة بورجوازية الا ان وفاة والـده وسرقة عمه للارث جعله فقيرا بالصدفة ولم تبق لعائلته الا ان تفخر او تلجا عند الحاجة الى العم الضابط المتقاعد ، وهو ايضا يحتقر العائلة ويعتبر اخاه ـ المرحوم ـ سكيرا مات من ادمانه الخمرة ...

ولخليل مع هذا العم حدث جلل ـ كما يحدث دائما في مثل هذه الاوساط ، فقد طرد هو وعائلته من بيت عمه بعد ان شاهده العم في وضع مريب مع ابنته ...

وخليل موظف صغير له شلة تلتقي في انها تنكر الحكم القائم مهما اختلفت الوسائل .. فالبعض يجد ان الحكم بعيـد عـن الاسلام ، والاخر يجده بعيدا عـن الشعب وهكذا ... الا ان صداقتهم فـوق اختلافاتهم البسيطة هذه ... وحتى حين يتناقشون في هذا الموضوع فانهم يتناولونه بروح من الدعابة ... وهو كالمثقفين ـ يتناقش كثيرا ومواقفه غير حادة .. ويقتني الكتب بكثرة ... وله قطبان .. الجنس والسياسة .. وهو متردد حتى في مغامراته الجنسية القليلة .. ولما كانت السياسة كما عاينها تعني السجن والموت وتعني (ان يصير جمجمة لتشييد الوطن) والجنس يعني الحياة ... فيحدث صراع داخلـي ، بين ان يكون كباقي الموظفين وبين ان تكون له هذه الصداقة الدائمة مع (ذوي الافكار الهدامة) ...

ويبدو خليل بطلا مهزوزا ... فهو حين يعلم ان هناك من يترصده يحرق المناشير وحين يفتش بيته لا يجـد المتحرون سوى بعض الكتب السياسية دون ان يجدوا منشورا او دليلا فعليا وتنحصر التهمة فـي وجود (كتب) ممنوعة وحسب .

اما اشتراكه في المظاهرة التي سبقت التحري ... فلم يكـن الا عبثيا او عاطفيا فهو يحاول ان يدلف الى زقاق آخر او يرجـع الا ان الجموع قطعت عليه الطريق ويجد نفسه في خضم المظاهرة فهو لا يملك اذن الا ان يهتف ويصفق ... ثم انه لم يكن حاضرا في التظاهرة ... فهو يقف وسط ساحة البريد القديم المزدحمة بالمتظاهرين ولا يفوته ان يتذكر تلك الامرأة ... والعربة التي عبرت بهما الجسر مرتين ...

وفي خاتمة المظاهرة ... ربما عثر فوقع على الرصيف ... يؤخذ الى التوقيف ... فيجد في الموقف بعض اصحابه ... ويبادره احدهم باستغرابه لتوقيفه فهو (آخر من تفكر بهم السلطة) ... وفي هـذا الحديث تهمة واضحة له .. لدوره الضعيف المتخاذل ... ولعائلتـه التي يحتمي بها رغما عنه في الملمات ...

واثناء توقيفه يبدأ دور العائلة ، حيث تتوسط لدى عمـه علـى العمل لاخلاء سبيله ويوافق العم على مضض ـ وكما يحدث للموقوفين الذين يملكون سندا يفرج عنه .

انه يشعر بالخزي من واقعه هذا ... من توسط أمه لدى عمـه الا انه لا يتجاوز هذا الواقع ولا ـ يفعل ـ شيئا الا ان يقرف مـن وضعيته ... ان العائلة (الانتماء الطبقي الذي يقـود الى الانتمـاء الاجتماعي) تطارده وتحاول ان تشدها اليه عطفا عليه ، ولانه يعيـل عائلة اخ الضابط آلبيك ، ذي السمعة الحسنة ـ لـدى الحكومـة والعثمانيين .

فحين تاذن المحاكمة تاخذ الام طريقها الى بيت العم مرة اخرى .. لانه يعرف رئيس المجلس العرفي ، والام تعرف زوجته (وللنساء دور كبير في التاثير على ازواجهن ولو كانوا قضاة) ..

وفي المحكمة يفرج عنه بالطبع ... والشاهد الشرطي حين يـرى الحاكم يدافع عن خليل يبدل موقفه ... ويخرج خليل مرة اخرى ... ويذهب الباقون الى غياهب السجون ... انـه يشعـر بالخزي الكبير حين يشيعه صديقه المحكوم القصاب ويحس بثقل ان الانسان قـد اندحر فيه ...

وهكذا نتعرف على خليل عن كثب بطـلا مهزوزا مليئا بالافكـار والحس الا انه لا يملك ان يحولهما الى فعل ... ثم ان العائلة تجره دائما الى القاع ... انها تجعله موضع شك وازدراء مـن اصدقائه وموضع عدم ثقة من الحكومة ، هذا الموقف الوسط له جسده الكاتب خير تجسيد ـ واسوأ الامور الوسط ـ .

ان « ضجة في الزقاق » اضافة جديـدة وخط اصيل للروايـة العراقية ، والرواية العربية ... وان رصد الواقع المحلي ، والنظرة العميقة اليه ، لهو الطريق الى تاكيـد الادب العربي وحضوره فـي الآداب الانسانية ...

الموصل ـ العراق — أرشد توفيق

تحت الطبع

جـدران الصمت

شعـر رمـزي

للشاعر السعودي م٠ ع٠ الرميح

●

منشورات مجلة الاديب

ص. ب ٨٧٨

بيروت ـ لبنـان

من مؤلفات الدكتور يوسف عز الدين

باللغة العربية

الشعر العراقي في القرن التاسع

دراسة مستفيضة عن تيارات الادب والفكر في هذا القرن . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

بحث شامل عن تاريخ العراق المعاصر وشعرائه وحياته السياسية والاجتماعية واهم احداثه التي صورت في الادب . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الاشتراكية والقومية واثرهما في الشعر الحديث

اوسع دراسة عن اثر هذين التيارين في الوطن العربي . من محاضرات الدراسات العليا في القاهرة وبغداد .

فهمي المدرس ـ من رواد الفكر الحديث

بحث جديد عن الفكر العربي وتطوره والتجديد ومظاهره في الادب والصحافة وانشاء الجامعة الاولى في بغداد . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة .

خيري الهنداوي ـ شعره وحياته

ديوان الشاعر الكامل مع دراسة مستفيضة عن الحياة الاجتماعية والفكرية وطرف الشاعر وصلاته بالمفكرين ورجال الدولة . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية .

مخطوطة عربية في مكتبة صوفية البلغارية

اول كتاب يصف جملة كبيرة من المخطوطات العربية في بلغارية في الادب والتاريخ والجغرافية . مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

شعراء العراق في القرن العشرين

تراجم الشعراء باقلامهم كالرصافي والزهاوي وناجي القشطيني ومحمد الهاشمي وكاظم الدجيلي مع ثلاثين من الشعراء المعاصرين في العراق مع اجمل المختارات الشعرية واعذبها .

داود باشا ونهاية المماليك في العراق

اول كتاب صدر باللغة العربية عن والي بغداد المشهور مع رسائله الخاصة التي كان يكتبها لاسرته باللغة الجورجية مع تركيز على حياته الخاصة .

في الادب العربي الحديث

هذه مقالات نقدية احدثت ضجة كبيرة ونفدت الطبعة الاولى فيها حياة الشعراء العرب النفسية ، مشكلات الادباء والمفكرين الخاصة. وطبعته الثانية تظهر قريبا في القاهرة عن دار الكاتب .

في ضمير الزمن

الطبعة الثانية من الشعر الرقيق الذيلم تبق الطبعة الاولى الا قليلا . وقدم لها الشاعر الكبير صالح جودت بدراسة مفصلة عن منزلة الشاعر بين شعراء عصره مثل الشاعر ناجي ورامي وشعراء ابولو .

الحان

مجموعة الشعر الذي نظم ايام الجامعة حياه في المقدمة الشاعر الكبير احمد رامي بقصيدة من خرائده . والطبعة الثانية طبعت في القاهرة.

لهاث الحياة

ذكريات اوربا في حلوها ومرها ومرحها وبؤسها سجلها في شعر لذيذ جميل . طبع في بيروت .

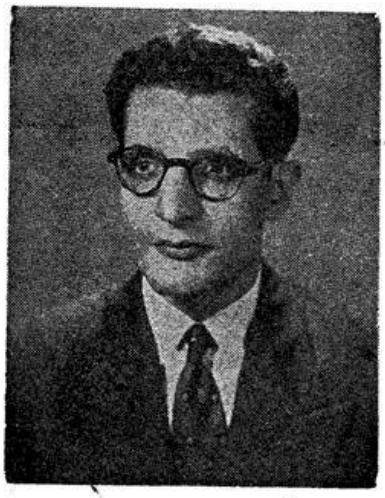
من رحلة الحياة

مختارات عذبة من شعر الشاعر مع ترجمة لحياته من بعقوبة الى لندن وما قاساه من صعاب وما واجهته من عقبات وكيف ذللت .

النصرة في اخبار البصرة

نسخة فريدة وحيدة من دراسة لحياة البصرة في القرن التاسع عشر الاجتماعية والاقتصادية والزراعية حققها الكاتب وعلق عليها تعليقات مثيرة في هذه الفترة من التاريخ في العراق . تطلب من مكتبة المثنى في بغداد والمكتبة العصرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

حقائق مريرة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كنا ونحن تلاميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية نجل الكتب المدرسية ونرى في مؤلفيها امثلة عليا للادب والعلم والفضل ، وكان من اعظم الامنيات لاحدنا اذ ذاك ان يضع في مستقبله كتابا في القراءة او النصوص او التاريخ كتلك التي يقرأ ، ومما اذكره على بعد العهد اننا اشترينا كتيبا صغيرا يحمل عنوان « نتيجة الاملاء » لمؤلفيه الاستاذين مصطفى عناني وعطية الاشقر ، وهو لا يخرج عن مقررات اولية عن الهمزة متطرفة ومتوسطة وعن الالف اللينة وعلامات الترقيم وما يمت الى رسم الحروف من الاوليات المشتهرة ، وظل الكتاب بأيدينا طيلة العام ، ثم ضاعت نسختي فذهبت لشراء نسخة اخرى بعد أيام فوجدت طبعة جديدة تحمل اسم الاستاذ مصطفى عناني فقط دون صاحبه ، وقد ضم اليها بابا جديدا من ابواب الاملاء ! فدهشت دهشا كبيرا لاغفال الزميل المؤلف ، وزادت دهشتي حين علمت انه انتقل الى رحمة الله ولما كان مدرس الفصل مرجعنا الاول في حل هذا اللغز فقد رفعت اصبعي في ادب لاسأله عن ظهور الطبعة الجديدة باسم واحد لا باسمين اثنين ، فلم اجد لديه اكتراثا بما اعني وقال في استخفاف : هذه مقررات شائعة لا يحتفل بانتمائها لمؤلف ، ولكن اجابة الاستاذ لم تقنعني ! وطال بي العجب .

وحين انتقلت الى معهد الزقازيق الثانوي وجدت كتاب الوسيط مقررا في دروس الادب ، وهو كتاب ذائع الذكر منتشر التداول متعدد الطبعات ، ومؤلفاه هما استاذنا الكبير احمد الاسكندري والاستاذ مصطفى عناني ، وقد انتقل السكندري الى رحمة الله سنة ١٩٣٨ وظهر الوسيط من بعده في طبعة جديدة يضم فصلا جديدا عن الادب الاندلسي ولم يجرؤ الاستاذ مصطفى عناني ان يسقط اسم زميله الكبير كما فعل بعطية الاشقر ، لان الاسكندري علم في جيله ، وتلاميذه الكثيرون متيقظون فكيف اباح مصطفى عناني لنفسه في الاولى ما لم يقدر عليه في الثانية ؟ واين حقوق الكرامة والوفاء .

لم تكن حادثة الاستاذ مصطفى عناني فريدة في بابها ، ولكنها كانت اول ما صادفت ، ولم يطل بها العهد فتنسى ولكن تلتها حادثة مشابهة بعثت دهشتي من جديد ، وانا بعد لا ازال طالبا بالقسم الثانوي بالازهر اذ قرر علينا في الصف الثالث كتاب اوضح المسالك لابن هشام النحوي ، وهو كتاب دقيق مستوعب وذو ايجاز يحتاج الى بسط ففزع المدرسون الى حاشية خالد الازهري المسماة بالتصريح على التوضيح ، وهي دون شك فوق مستوى الطلاب على بعد منالها في المكتبات العامة والخاصة ، فمن لطلاب الصف الثالث اذا غمضت عليهم عبارة التوضيح ؟ لقد كان من التيسير الحميد لامثالهم ان يخرج كتاب منار السالك الى اوضح المسالك مفسرا بعض ما غمض ، ومفصلا بعض ما اجمل فيتلقفه آلاف الطلاب في مختلف المعاهد ، ويحمل الدارسون لمؤلفيه الاستاذين عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن ما بذلاه من جهد ، ثم تنفد الطبعة الاولى ويموت الاستاذ عبد العزيز حسن فتظهر الطبعة الثانية وقد كتب على واجهتها « تأليف محمد عبد العزيز النجار المفتش العام للغة العربية بوزارة المعارف » وبعد ذلك فراغ تعقبه هذه الكلمات « اشترك في اصله المرحوم الشيخ عبد العزيز حسن من علماء الازهر » وهو صنيع يبعث على التساؤل ويدفع الى قراءة المقدمة التي تقول بلسان النجار .

« وبعد فقد كنت وضعت منذ عشرين سنة ونيف — مع زميلي المرحوم الشيخ عبد العزيز حسن من علماء الازهر الشريف شرحا مختصرا على كتاب اوضح المسالك الى الفية ابن مالك لجمال الدين ابي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري المصري المتوفي سنة (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) .

فصدرنا فيه تجلية الغامض من عباراته وتكميل الناقص من شواهده ، واعراب المغلق منها واجمال معناها وذيلنا كل باب بطائفة من الاسئلة والتمرينات تجمع شتاته وتوضح مغلقه ، وقد نفدت هذه الطبعة منذ سنوات وحالت موانع شتى دون اعادة طبعه ورغب

الي كثيرون من حضرات زملائي واخواني وابنائي طلاب العلم في المعاهد المختلفة ان اعيد طبعه فلم يسعني الا تحقيق رغبتهم والنزول على ارادتهم ، وقد قمت بمراجعة الكتاب وتحريره وترقيمه وتداركت ما ند عن حرصنا في الطبعة الاولى كما أتممت أبيات الفية ابن مالك التي سايرت الكتاب وهذبت الاسئلة والتمرينات وزدت عليها ما رايت الحاجة ماسة اليه » .

هذا ما قاله النجار ! وبتتبع كل ما احدث بعد صاحبه نجد ان الكتاب بجزئيه في طبعته الاخيرة لم يزد اكثر من مائة صفحة فصار ثمانمائة واربعين بعد ان كان سبعمائة واربعين في طبعته الاولى ! والزيادات تمرينات مدرسية وتسجيل لابيات الالفية ! ايشفع ـ ليت شعري ـ هذا في محاولة انتقاص جهد كبير لصديق راحل وفقيد صامت ! لو ان الاستاذ النجار اقتصر على ذلك لرحمناه بعض الشيء فقد أشار الى مجهود صاحبه بسطر او اثنين وهو ما لم يفعله صاحب نتيجة الاملاء ! ولكن الاستاذ النجار المفتش العام للغة العربية والتربية الدينية بوزارة المعارف اراد ان يمحو اسم صاحبه محوا ، فطبع الكتاب مرة ثالثة تحت عنوان « منار السالك الى اوضح المسالك » معلنا في واجهته انه من تأليفه وحده ومتخلصا من عبارة « اشترك في أصله فلان» وهكذا خيل اليه انه تخلص من مزاحم كريه واذن فقد ذهب جهد عبد العزيز حسن ادراج الرياح ، وكأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس .

والمؤسف حقا ان عبد العزيز حسن رحمه الله قد كان نهبا لكل محتال ، فقد حقق شرح نهج البلاغة للامام محمد عبده فقدم الاصل مشكولا والشرح محققا ثم ذهب الى رضوان الله لتتوالى الطبعات غير مشيرة الى فضله وقد اعتمدت عليه كل الاعتماد فماذا عسى ان يقول لسارقيه اذا جمعهم موقف الحساب ، ومنهم الصديق والتلميذ .

نترك كتاب المنار الى عبث آخر فان الرواية لم تتم فصولا ، ولن تتم الا بعد ان تحيا الضمائر وتعلو النفوس! ضمائر المؤلفين من العلماء ونفوس المربين من الفضلاء .

فقد تقدمت بنا الدراسة من المرحلة الثانوية الى كلية اللغة العربية ، ووجدنا مؤلفات المغفور له الاستاذ محمود مصطفى تملأ عقول قارئيها ادبا وعلما وذوقا ، وقد انتقل الى رحمة الله قبل ان نتمتع بدرسه ، ولكن زملاءه من اساتذة الكلية قد اسهبوا في الثناء عليه وتوجيه الانظار الى مؤلفاته النافعة ومنها تاريخ الادب العربي في ثلاثة اجزاء كبار ، وتحقيق كتابي هبة الايام والمجازات النبوية ، وكتابه الرائع « اعجام الاعلام » هذا غير تحقيقاته النقدية في أمهات المجلات ومقالاته الصحفية في انهار الجرائد وكتابه الموفق عن العروض ! وغير ما نتعرض له الآن من اشتراكه في ترجمة كتاب « يوميات فيلسوف قانع » للكاتب الفرنسي « أميل سوفيستر » مع زميله الاستاذ اسعد عبد الملك المفتش العام بوزارة المعارف ، وقد ظهر هذا الكتاب في حلة قشيبة ولغة سامية يعرفها قراء الاستاذ محمود مصطفى ! فحظيت الطبعة العربية الاولى بسرعة الانتشار ووجدت من التأييد والقبول ما كان موضع الغبطة لدى صاحبيها الفاضلين ! ثم انتقل الاستاذ محمود مصطفى الى رحمة الله سنة ١٩٤٢ لتظهر الطبعة الثانية مجردة من اسمه ومفردة الى الاستاذ اسعد عبد الملك وحده ! فاذا رجعت الى مقدمة هذه الطبعة وجدت صاحبها يقول :

« نشرت يوميات فيلسوف قانع منذ عشرين سنة ونيف ، وقد كنت عربته بمعاونة المرحوم الاستاذ محمود محمد مصطفى وخطر لي ان اعيد طبعه ، ولكني عند مراجعته وجدت أسلوبه غريبا شبيها بأسلوب الجاحظ وابن المقفع كما قال المغتطف في تقريظه حين ظهوره ، ولكن اللغة تطورت ، من أجل هذا عمدت الى تنقيح الكتاب في هذه الطبعة الثانية، فهذبت اسلوبه (أي والله! هذب اسلوب الجاحظ وابن المقفع) وبدلت من كلماته الغريبة المهجورة كلمات سهلة مألوفة ، وقصارى القول انني حاولت اخراجه في لغة قريبة من اللغة التي نكتبها اليوم وكان زميلي المرحوم الاستاذ محمود محمد مصطفى قد نزل عن حق المساهمة في التعريب بعقد مؤرخ في ٥ ـ ٩ ـ ١٩٢٧ على ان هذا لا يمنع التنويه بفضله رحمة الله عليه ورضوانه » .

فماذا يقول القارىء في هذا الكلام الذي يتضارب ويتناقض الى درك لا يليق ، ان ابلغ رد عليه هو ما ذكره صديقي الكاتب المبين الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف بالعدد ٧٣٣ من مجلة الرسالة حيث قال بعد عرض هذه الوصمة النكراء :

« ان تغيير الاسلوب جناية على الاستاذ محمود مصطفى لانه مسخ لجهده ، وجناية على الكتاب لانه حط من قيمته ، وقد قابلت بين الطبعتين فلم أر هذا التغيير الا في كلمات وتعبيرات كان الاستاذ محمود مصطفى رحمه الله يشرح معناها فحسبها صاحبنا لا تلائم العصر ، اما مسألة العقد فقد حدثني الاستاذ محمود مصطفى رحمه الله انه لما فرغ من الكتاب اتفق مع زميله ان يتقاضى منه قدرا من المال ، وينزل له عن الحق المادي فيه ليتولى هو تصريفه وجمع نقوده لانه لا يصبر على المساومات المادية ، وقد كان هذا شأنه في جميع ما ألف من الكتب ، وهب ان الاستاذ مصطفى تنازل عن حقه فهل يكفي هذا العقد لنقل هذه الملكية ، وهل يصح لدور النشر التي تشتري حق تأليف الكتب من المؤلفين ان ترفع اسماءهم وتدعي انها من تأليفها وعبقرية اموالها ! » .

ويلي ! أيجوز ان استرسل في هذه السقطات المتشابهة ! انني سأشير الى رابعة تقرب منها قربا واضحا

من وحي الارض

معولي

اهـــواه رغـم جفائـه اهـواه ... فاحفظه لـي بالله يـا اللـه
لـم أدر أي الطيبين احب لـي ... مـرآه عنـد الفجر ام ريـاه
اغدو عليـه بمعولي فيلين لـي ... قنديله وترن لـي حصباه
لله مـا اشهى انحنائي فوقـه ... كلـي عيـون نهمـة وشفـاه
يا معولي المحبوب يـا رمز الوفا ... أوليتني مـا لـم ولـن انساه
أدنيت منـه فمي وزدت تمتعـي ... ببهيـج رؤيتـه وطيب شـذاه
وفتحتلي في صدره الجرح الذي ... تسري الى جسدي الضعيف دماه
فاعـدت أمـات البـذور اجنـة ... فيـه تـردد همسهـا . امـاه
صلي لنعطي جدنا القروي مـا ... يكفيـه مونـة صيفـه وشتـاه
يـا مـن يفاخرني بحسن بـلاده ... هـذا ثـرى وطني فكيف سماه
لو لم تكن امي هناك ... مقيمة ... لحلفت انـي لا احـب سواه

البربارة ـ لبنان — الشاعر القروي

وان لم تكن من بابها ! وسأشير اليها مستفهما لا ناقدا ، فان صاحبها الشاعر النابغة والكاتب اللامـع الاستاذ عبد الرحمن صدقي ذو مكانة رفيعة في نفسي ، ومـا قرأت له غير الرائع البارع نثرا وشعرا ، تأليفا وترجمة! وأنا أعده مع الكاتب الكبير الاستاذ عـلى أدهـم خلفين تاليين للمازني والعقاد ، ولكـن سؤالا يتردد في خاطـري ويتطلب اجابته ، اذ قرأت له مقالا جيـدا يحتل اربعـة عشر عمودا من مجلة المجلة الصادرة بتاريخ ابريل سنـة ١٩٦٠ تحت عنوان « الفنان الديني فوق المآذن والمقارىء ووسط الموالد » فتذكرت اني قرأت هذا المقال باستثناء الصفحة الاولى منه بمجلـة الصباح المصريـة الصادرة بتاريخ ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٤٤ م مـا بـين صفحة ١٢ ، ١٦ معزوا الى الاستاذ الدكتور محمد صلاح الدين بك وكيل وزارة الخارجية اذ ذاك وقد مهدت له مجلة الصباح بمـا يأتي :

« كانت اذاعة صاحب السعادة الدكتور محمـد صلاح الدين بك وكيل وزارة الخارجية ورئيس لجنـة التمثيل والسينما والمسرح حادث الاسبوع الذي يستحق لا الذكر ولا التنويه فقط بل الاشادة والتمجيد والاكبار ، لان كبيرا من كبار رجال الدولة يحيي جهـود مقـرىء ومنشد (هو الشيخ علي محمود) يجدد بدء نهضة فنية جديدة في مصر والشرق العربي لان الفن ذاته قد اعتـز وازدهر بهذا التمجيد الكريم ، ولما كان الدكتور محمـد صلاح الدين بك اول من كرم الفن رغم مشاغله الجمة في منصبه الخطير فقد استحق اسمه التسجيل في كتـاب الفن الذهبي وفي تاريخ مصر الاجتماعي ونحن ننشر فيما يلي اذاعة سعادته للحقيقة والتاريخ » .

والدكتور محمد صلاح الدين سياسي بارع ومفكـر من الطراز الاول دون نـزاع ، وخاصة الناس يعلمـون ثقافته الرفيعة وجهاده الوطني ومواهبه العالية ولـن يعز عليه ان يأتي بمقال في تاريخ فـن او حياة فنـان ، ولكن اعماله الكثيرة ـ فيما اظن ـ قـد اضطرته الـى الاستعانة بالاستاذ عبد الرحمن صدقي في تدبيج كلمـة تذاع في موسم خاص على ان يلقيها رئيس لجنة التمثيل والمسرح والسينما » وقد اذيعت الكلمة ونشرت معـزوة الى الدكتور صلاح الدين ، ثم توارى الرجل الكبير عـن المسرح السياسي مضطرا ولم يعد ذا نفوذ سياسي يذيع حديثه في الناس أفيجوز للاستاذ عبـد الرحمن صدقي حينئذ ان ينشر باسمه حديثـا نشر لسواه وتناقلـه الرواة ؟ هذا ما أحاول الاهتداء الى تبريره فلا أستطيع .

هذه طرائف لاذعة مما اعلم ، وقد يتنفس القلـم بأخوات لها بعد حين .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي



عبد الرحمن شلش

احمد شوقي

بقلم عبد الرحمن شلش

* * *

تحية وفاء

امير القوافي قد أتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

هكذا قال الشاعر حافظ ابراهيم في قصيدته التي بايع فيها صنوه الشاعر احمد شوقي ـ على امارة الشعر ، وقد القيت قصيدته عام ١٩٢٧ في احتفال كبير اقيم بدار الاوبرا لتكريم احمد شوقي ، ودعي اليه اعلام الادب والفكر في وطننا العربي الكبير .

ومنذ ذلك الحين ، اصبح احمد شوقي اميرا للشعراء بعد ان سلم له الانداد بهذا ، وفي مقدمة هؤلاء حافظ ابراهيم الذي كان يعد من اكبر منافسيه .

حقا ، لقد كان شوقي شاعرا قديرا ، ورائدا من من اعظم رواد التجديد في المدرسة الكلاسيكية ، كما كان الرائد الاول للمسرحية الشعرية .

واحمد شوقي هو امير الشعراء لانه كان ـ بحق ـ اميرا للشعراء في جيله وعصره . وبالتالي ، فان مبايعته بامارة الشعر كانت عن استحقاق وجدارة ، وبذلك انعقدت له زعامة دولة الشعر العربي في العصر الحديث.

وفي ذكرى مولده ورحيله التي تمر في هذا الشهر (اكتوبر) نقدم هذه الدراسة السريعة تحية وفاء وتكريم لذكراه الخالدة .

وسنقتصر دراستنا على تناول بعض الجوانب في حياته وشعره ، لاننا نجد انفسنا امام شخصية ثرية المواهب ، متعددة الجوانب مما يجعل الالمام بكل جوانب شخصيته في مثل تلك الدراسة السريعة امرا صعبا .

مولده ونشأته

ولد بحي الحنفي بالقاهرة في ١٦ اكتوبر عام ١٨٧٠ (وقيل عام ١٨٦٨ والارجح انه ولد بعد هذا بعامين كما يستدل على ذلك من واقع وثيقة رسمية هي شهادة الليسانس التي نالها في الحقوق من فرنسا) .

ونشأ منذ نعومة اظفاره في بيئة ارستقراطية ، فبعد ولادته اخذته جدته لامه لتكفله ، وكانت هذه الجدة منعمة موسرة ، فهي واحدة من معتوقات الخديوي ، وكانت تحنو عليه . وكان ابوه « علي شوقي » غنيا هو الآخر ، اذ ورث عن ابيه مالا كثيرا ، ولكنه لم يلبث ان بدد هذا المال الكثير في سكرة الشباب ، ثم عاش بقية عمره بعمله غير نادم ولا محروم كما يحدثنا عن ذلك في مقدمة الشوقيات ، وللاسف الشديد ان هذه المقدمة التي كتبها شوقي ثم رفعها من جميع الطبعات الحديثة للديوان ، واستبدلت بمقدمة اخرى كتبها الدكتور محمد حسين هيكل ، ورفع المقدمة فيه جناية كبيرة على تراث شاعرنا ، ذلك لانه كان جديرا ان تظل بالديوان ، لا سيما وانها بقلم صاحبه ، فضلا عن انها تلقي الضوء على بعض جوانب حياته وشعره . وعاش شاعرنا سنوات طفولته وصباه وشبابه الباكر في نعيم القصر ، فنشأ بعيدا عن جماهير الشعب ، فلم يحس بآلامها وآمالها .

مراحل تعليمه

وتلقى تعليمه بمكتب الشيخ صالح ، ثم انتقل الى المبتديان ، فالتجهيزية ، وكان متفوقا في دراسته ، فرأى والده ان يدرس القوانين والشرائع ، فادخله مدرسة الحقوق ، ودرس بها لمدة سنتين ، وقضى مثلهما في قسم الترجمة الذي انشىء بهذه المدرسة لتخريج المترجمين .

ثم سافر في بعثة الى فرنسا لمواصلة واستكمال دراسة الحقوق ، فدخل كلية الحقوق في جامعة مونبلييه وهناك اتيحت له فرصة تذوق مواطن الجمال في الآداب الاوروبية عامة ، وفي الادب الفرنسي بصفة خاصة ، فقد قرأ اعمال : فيكتور هوجو ولامارتين والفريد دي موسيه ، وكان مغرما بقصصهم وشعرهم ، وزار باريس وانجلترا والجزائر ، والتقى بالامير شكيب ارسلان ، وجمعت بينهما صداقة قوية ، واشار عليه ارسلان ان يسمي ديوانه باسم « الشوقيات » ففعل هذا ، اذ جعل تلك التسمية عنوانا لديوانه :

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها سواي على ان الصحاب كثير
حرصت عليها آنة ثم آنة كما ضن بالماس الكريم خبير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلما تساقينا الوفاء وتم لي وداد على كل الوداد امير

واذا كان شاعرنا قد بدأ يقرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، فانه كان متأثرا ببلاغة الاقدمين من امثال : البهاء زهير والمتنبي وابي تمام ، كما انه تأثر بعد ذلك ببلاغة الاوروبيين واتجاهاتهم اثناء دراسته في فرنسا ، ولكن تأثره ببلاغتهم كان اقل عن تأثره ببلاغة العرب وتراثهم الخالد ، عصرا بعد عصر .

والواقع ، انه استفاد استفادة كبيرة من خلال قراءاته في الادب العربي والادب الفرنسي والادب التركي، وكان المامه بالتاريخ القديم والحديث الماما كبيرا ، مما جعله يكتسب ثقافة واسعة بدت في شعره ، وعلى الاخص في الشعر الذي كتبه في العشرينات وما قبلها بقليل اثناء وجوده في منفاه .

الوطنية في شعره

وعندما عاد شاعرنا من بعثته الى ارض الوطن راح يمتدح ولاة مصر ، حتى سمي شاعر الامير . ولكنه في نفس الوقت راح يكتب الشعر الوطني ، فتغنى بالحرية وبالوطنية ، ورفع صوته عاليا ينادي بحق وطنه في الحرية وتقرير المصير .

وفي ذلك يقول احمد زكي عبد الحليم في كتابه : « احمد شوقي شاعر الوطنية » : « اصبح المجال في ذلك الحين واسعا امام شوقي ، فاستطاع ان يكتب عن الحرية والوطنية ، وان ينادي بالسيادة والاستقلال نداء طائر كان محبوسا في قفص من حديد ، فاستطاع ان يفلت من هذا القفص ، فاذا به يجد نفسه في حجرة محكمة الاغلاق ، فهو يشعر انه قد ذاق نصف الحرية ، فهامت روحه شوقا الى الحرية باكملها .. حرية الحياة والراي والوطن » .

ان روح الوطنية تفيض بها نفس شوقي منذ زمن بعيد ، قبل ان يسافر الى منفاه حيث يقول البعض ان المنفى هو نقطة تحول في شعر شوقي ، فهو يهاجم رياض باشا الذي كان يتملق اللورد كرومر ـ المعتمد البريطاني. يقول شوقي مخاطبا رياض :

جنيت على قلوب الجمع باسا كانك بينهم داعي الحمام
اراعك مقتل من مصر باق فقمت تزيد سهما في السهام
وهل تركت لك السبعون عقلا لعرفان الحلال من الحرام

واخذت شاعرنا موجة من الحماس والوطنية ، فراح يتحدث عن مصر وهو يتغنى بحبها قائلا :

احبك مصر من اعماق قلبي وحبك في صميم القلب نام
سيجمعني بك التاريخ يوما اذا ظهر الكرام على اللئام
لاجلك رحت بالدنيا شقيا أصد الوجه والدنيا امامي
وانظر جنة جمعت ذئابا فيصرفني الاباء عن الزحام

ولم يكف عن التغني بحب الوطن والمناداة بحريته واستقلاله بالرغم من كل الظروف التي كانت تمر بها البلاد وقتئذ ، وعلى راس هذه الظروف وجود المستعمر البريطاني من جهة ، وسيطرة القصر وفساده من جهة اخرى .

في المنفى

وعندما سقط الخديوي عباس حلمي الثاني مخلوعا من مصر ، لم يترك الانجليز شاعرنا وشأنه ، وانما عزموا على نفيه ، فخيروه البلد التي يحب ان يذهب اليها ، فارتاح الى ان يذهب الى اسبانيا .. اندلس العرب حيث غنى ابن زيدون روائعه .

وامضى في منفاه سنوات امتدت من ١٩١٥ حتى ١٩٢٠ وكان قلبه ينبض شوقا وحنينا الى ارض وطنه :

ارض الابوة والميلاد ، طيبها مر الصبا من ذيول من تصابينا
كانت محجلة ، فيها مواقفنا غرا مسلسلة المجرى قوافينا

وحين رجع من منفاه الى ارض الوطن ، صاح يخاطبه :

ويا وطني لقيتك بعد يأس كاني قد لقيت بك الشبابا
ولو اني دعيت لكنت ديني عليه اقابل الحتم المجابا

وهو هنا يشبه عودته الى ارض الوطن بعودة الشباب بعد المشيب ، وقد كان هذا التشبيه جميلا من شاعرنا العائد الى مصر الغالية بعد سنوات مريرة في المنفى . ويودع أرض الاندلس بقوله :

وداعا ارض اندلس وهذا ثناني ان رضيت به ثوابا
وما اثنيت الا بعد علم وكم من جاهل اثنى فعابا

ويعبر عن اسفه لعدم اشتراكه في ثورة ١٩١٩ التي تفجرت اثناء وجوده في المنفى ، فيقول :

لولا عوادي النفي او عقباته والنفي حال من العذاب جهنم
لجمعت الوان الحوادث صورة مثلت فيها صورة المستسلم
وحكيت فيها للنيل كاظم غيظه وحكيته متغيظا لم يكظم

ولم يترك شاعرنا اية مناسبة وطنية الا وراح ينظم فيها شعره ، فهو يشارك شعب سوريا الكفاح والنضال، ويحمل على الفرنسيين حملة لا قبل لهم بها ، ويواسي مصاب دمشق :

سلام من صبا « بردى » ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ويقول :

دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه نور وحق
جرى في أرضها ، فيه حياة كمنهل السماء وفيه رزق

ويخلد ذكرى الزعيم الليبي عمر المختار ويحيي كفاح شعب ليبيا قائلا :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم يوحي الى جيل الغد البغضاء

وهكذا ظل شوقي يتغنى بالحرية والوطنية وينادي بالسيادة والاستقلال لوطنه الصغير والكبير .

مسرحياته

ولاحمد شوقي سبع مسرحيات شعرية هي : علي بك الكبير التي كتبها عام ١٨٩٣ ثم عدلها ونشرت عام ١٩٣٢ ومصرع كليوباترا (١٩٢٧) ومجنون ليلى (١٩٣١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقمبيز (١٩٣١) وعنترة (١٩٣٢) واميرة الاندلس (١٩٣٢) والست هدى وقد توفى قبل ان ينشرها . كما كتب مسرحية شعرية اخرى هي « البخيلة » ولكنه لم يتمها . وله الى جانب هذا « رواية فاشودة » وهي ارجوزة شعرية كتبها سنة ١٨٩٨ ، واخرى تناول فيها تاريخ الاسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي وعنوانها : « دول العرب وعظماء الاسلام » ، ونشرت بعد وفاته . عدا بعض الروايات النثرية التي لم تطبع حتى الآن .

وهكذا نجد ان شاعرنا قد اعطى ادبنا العربي سبع مسرحيات شعرية وضع بها الاساس الذي قامت عليه المسرحية الشعرية التي كان هو رائدها الاول .

ولقد اخذ موضوعات بعض مسرحياته هذه من التاريخ العربي القديم كمسرحية مجنون ليلى التي استمد حوادثها من زمن بني امية . واستمد من تاريخنا المصري العريق موضوعات لمسرحية مصرع كليوباترا ومسرحية قمبيز .

وكانت شخوص مسرحياته ملأى بالحياة والعواطف الانسانية ، وبرزت فيها مواقف رائعة للبطولة ، كما ظهرت فيها المرأة ذات سلطان .

والواقع ان شاعرنا كان متأثرا في مسرحياته هذه بآثار رواد الادب الانجليزي والفرنسي مثل شكسبير وفيكتور هوجو ، ذلك لانه اثناء دراسته في فرنسا وزيارته لانجلترا قد اطلع على الحياة المسرحية هناك ، وقد افاده هذا عندما كتب مسرحياته الشعرية التي اتى فيها بالجديد .

وليس من المصادفة ان يستمد موضوعات مسرحياته من التاريخ ، لانه كان يرى التاريخ بذكرياته ، كعنصر هام من عناصر تجربة الشعر ، فهو يؤكد هذا بقوله :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة او حكمة فهو تقطيع واوزان

في نظر نقاده

وكان شعر احمد شوقي موضع نقد كتاب ونقاد عصره ، وقد دارت معارك ادبية كثيرة حول شعره ، فهاجمه معظم كتاب ونقاد عصره وعلى رأسهم : الدكتور طه حسين والمازني والعقاد ، ومع هذا لم يرد شاعرنا عليهم ، وبعد وفاته ، لم يلبث الجميع ان غيروا رأيهم في شعره ، ونعرض هنا بعض آراء الكتاب والنقاد الثلاثة في شوقي .

يقول المازني عن شوقي : « كان من انضج شعراء طبقته وكان ادقهم تعبيرا وابلغهم . وما زال رأيي في شعره كما كان ، وهو انه كان في صدر حياته أشعر منه في اخرياتها ، ولكنه في العهد الاخير كان ابلغ عبارة واغلى بيانا وانه كان ذا حيوية عجيبة . ومن ذلك انه اقتنع في شيخوخته بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل فتحول الى وضع الروايات الشعرية التمثيلية وطمع في ان يكون في الادب العربي كشكسبير في الادب الانجليزي .. رحم الله شوقي فقد كان عنوانا بارزا لمصر في الشرق العربي كله واكبر ظني ان اسمه سيظل مذكورا في تاريخ عصره مهما بلغ اختلاف الناس في امره » .

اما الدكتور طه حسين ، فقد انصف شوقي بقوله عنه : « انه ـ اي شوقي ـ بعد ان عاد الى مصر من المنفى تحول تحولا خطيرا حقا ، لا نكاد نعرف له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه الى ادبنا العربي وتحول من ناحيتين خطيرتين : فاما احداهما فهي ان شعره التقليدي تحرر من التقليد بظروف السياسة فانطلق ، كان شعره يصبح صورة لاهواء الشعب من حوله وليوله ، هذا الشعب بكل قوة وبكل حرية كأن الشعب انما كان ينطلق بلسانه . والناحية الثانية هي انه فجأة استكشف نفسه ، واذا هو شاعر قد خلق ليكون مجددا ، فأقبل على التجديد في السنين الاخيرة من حياته ، فأدخل في اللغة العربية وفي الشعر العربي خاصة فنا جديدا لم يسبقه احد اليه ، وهو فن التمثيل الشعري .. ومهما يكن من شيء فحسب شوقي انه رد الى الشعر العربي قوته ورصانته ومتانته » .

وانصف العقاد شاعرنا بقوله : « هو امام مدرسة يستطيع ان يسميها بمدرسة التقليد المبتكر او التقليد المستقل ، لم يكن شوقي من المقلدين الآليين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولا يزيدون ، ولم يكن من المجددين الذين يعطون من عندهم كل ما اعطوه من معنى وتعبير ، ولكنه كان يقلد ويتصرف ، وكان تصرفه يخرجه من زمرة الناقلين الناسخين ، ولكنه لا يسلكه في عداد المبدعين الخالقين الذين تنطبع لهم « ملامح نفس مميزة » على كل ما صاغوه من منظوم او منثور ، فهو قد نشط بالشعر من جمود الصيغ المطروقة والمعاني المكررة ولكنه لم يستطع ان ينتقل به من شعر القوالب العامة الى الشخصية الخاصة التي لا تخفى معالمها ولا تلبس بغيرها ، وخلاصة القول فيه انه مقلد مبتكر ، أو انه مبتكر مقلد ، فلا هو يقتفي آثار الاقدمين ، ولا هو ينفرد بملامحه الشخصية في التعبير عن نفسه او التعبير عن سواه » .

تخليد ذكراه

وفي ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ ـ انتهت حياة شاعرنا عن اثنين وستين عاما . وترك خلفه تراثا ادبيا ضخما يتمثل في ديوانه الكبير وفي مسرحياته الشعرية ورواياته النثرية التي لم تطبع .

ولعلنا نخلد ذكرى امير الشعراء باعادة نشر تراثه وتحقيقه ، وقيام دراسات جديدة تتناول سمات وخصائص هذا التراث .

رحم الله احمد شوقي رحمة واسعة ، وطيب ثراه ، وخلد ذكراه .

مصر الجديدة **عبد الرحمن شلش**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحركة الادبية في المملكة السعودية

اطروحة الدكتور بكري شيخ امين

بقلم خليل الهنداوي

* * *

هو واحد من الذين درسوا على يدي الادب في فصول مدرسية ليلية ، وقد توسمت فيه ان يكون وجها ناصعا ، فكان . ولا ادري : أكنت جانيا عليه ، أم محسنا اليه ؟

وتكر الايام وهو يثابر على كلية الآداب بدمشق ، حتى تخرج منها ، ثم تقذف به الاسفار من المشرق الى المغرب حتى يستقر في المملكة السعودية ، ليقوم بتدريس الادب في كليتي اللغة العربية والشريعة بالرياض . ولكنه ـ والطموح ملء اهابه ـ أحب أن يكمل طموحه ، فاعد نفسه لتحضير رسالة تنيله شهادة « الدكتوراه » .

راح يفكر في موضوع من الموضوعات التي لم يكدر مواردها الصافية وارد ، ولم يقع عليها قاصد . وفجاة ، وقع على موضوع بكر ، حديث ، لا يزال مكانه ناقصا في الخزانة العربية ... وهل أجد عنده من ان يكتب ـ وهو في المملكة السعودية ـ عن الادب السعودي ، وتطوره ، ومراحله ؟

حتى اذا ارتاحت نفسه الى الموضوع ، شمر عن ساعد الجد : واقدم على جمع المصادر ، سواء منها ما كان منشورا في بطون الكتب، وما كان منها لا يزال في خبايا الصدور ، فتنقل مسافرا من قطر الى قطر ، ليجتمع الى الادباء الاحياء ، ويتصل بهم ، ويستمع اليهم . وجدير بمثل هذا العمل ان يكلفه الجهد الكثير ، والعناء الكبير ، والسهر الطويل .

« اما الصعوبات التي واجهتها فتتمثل اولا في المصادر ، ويعلم الله ان الوصول احيانا الى بيت واحد من الشعر ، او الى فكرة جد صغيرة ، كان يكلفني التنقل عبر الجزيرة آلاف الكيلو مترات والعشرات من الايام ، والنفقات الكبيرة ، وفي سبيل جمع معلومات هذه الرسالة كنت كالحافي في أرض الشوك » .

وما زال حتى استكمل مصادره ، وباشر بتصنيف الرسالة وانهاها ، وتقدم من اللجنة الفاحصة في معهد الآداب الشرقية ببيروت في ١٨ نيسان ١٩٧٠ ، وجادت عليه بالدكتوراه بمرتبة الشرف الاول مع تهنئة اللجنة .

والرسالة ضخمة تقع في (٥٤٢) صفحة كبيرة ، هي الآن في طريقها الى الطبع ، وعنوانها « الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية » . وابوابها متعددة ، تجمع بين القديم والجديد ، والاغراض السابقة ، والاغراض المعاصرة . ولقد سبق بعض من كتب في التيارات الادبية ، في الجزيرة العربية ، لكنها لم تكن الا دراسات بعيدة عن ان تتسم بالدراسة الجديدة الموضوعية الشاملة ، التي تعتمد على الاصول الدراسية الحديثة . وفي ذلك يقول :

« نعم ، ان كتبا كثيرة الفت في تاريخ هذه البلاد وعقيدتها ، ولكنها مقسمة الى فريقين : فريق متعصب لها كل التعصب ، فلا يرى الا محاسنها ، وفريق آخر ينظر اليها بعين الكره ، فهو لا يجد الا سوءا ، ولا يرى الا قبيحا . وكلا الفريقين جائر ، يخفي الحقيقة ، ويركب مركب الهوى » .

وجل ما يريده من هذه الدراسة ان يجهر بالحقيقة سافرة ، فان أخطأ هذه الحقيقة حينا ، او نأى عنه الصواب ، فما هو الا مجتهد يصيب او يخطيء . اما هذه الرسالة فقد جاءت جامعة ، محيطة بكل شيء : فيها من العلم كثير ، وفيها من التحقيق كثير ، ولكن فيها من الذوق الادبي الاصيل الكثير أيضا .

قرأت هذه الرسالة بشغف ، شغف من حملته الى أرض جديدة، وسماء جديدة ، وعرفته بعقول وارواح ، بيننا وبينها صلة أواصر الادب المشترك ، وان كانت عنا بعيدة . نحن اليها بتكويننا العقلي والروحي ، لغة وادبا ، لانها ذلك الحضن الاول الذي نشأت فيه هذه اللغة العزيزة لغة القرآن ، ونهض فيها ذلك الادب والشعر اللذان لا يزالان محجة كل اديب عربي ، في أي زمان ومكان . ولكن الظروف القاسية شاءت لها او لنا ، ان ننقطع عنها زمنا مديدا ، انقطاعا مرعبا ، لا نستطيع ان نعين أسبابه . قد يعلل المؤرخون هذا الانقطاع بأن العقل العربي في الجزيرة ، قد نضب وتوقف عن العطاء . ولكن ، لماذا نضب هذا العقل وتوقف ؟

والصحراء هي الصحراء ، والعطاء هو العطاء ، ومن ذا ينسى ما تفجرت به الجزيرة من شعر في مكة ، والمدينة ، واطراف الحجاز ، وبلاد نجد ؟ وفي تلك الاطراف كانت مناقر الشعر ترسل الالحان العذبة ، الندية الوجدانية ، التي لا تزال غرة الشعر الوجداني ، في جبين الشعر العربي ... قد يكون ذلك النضوب مرده الى الاحداث السياسية التي توالت على الجزيرة ، وقطعتها عن العالم العربي ، واغرقتها بالجهل والنسيان .

والآن عاد الى الاتصال ما انقطع ، وراحت تلك الانفاس الجديدة تدب فيها الحياة ، واخذت مناقر جديدة ترسل الغناء ، فاذا اللحن لحن واحد ، والهوى هوى واحد ، واذا بالجزيرة المنسية ـ قلب العروبة ـ يعود قلبها الى الخفقان مرة ثانية ... تسعى سعيها الاكيد لاستعادة مكانتها من الصدارة في أدبنا الحديث .

في الرسالة منحيان بارزان : المنحى القديم ، والمنحى الحديث، ولا بد ان يعرج المؤلف على موضوعات المنحى القديم قبل ان ينفذ الى موضوعات المنحى الجديد .. والقديم ، لا بد ان يبقى هو القديم بموضوعاته واسلوبه الفني .

والمؤلف ـ في مقدمته ـ وضح لنا خطته في العمل ، وحدد الزمان بمطلع القرن الرابع عشر للهجرة ، وحدد المكان بحدود المملكة العربية السعودية . كما جعل منهج دراسته على قسمين : عرض وتحليل ، اما العرض فقد غلب على البابين الاول والثاني بفصولهما العديدة التي تناولت تاريخ هذه البلاد ، وعقيدتها ، وشعر هذه العقيدة ، ومجاري السياسة .

اما الباب الثاني فقد درس فيه العوامل المباشرة للنهضة الادبية، ومن ذلك انتشار التعليم ، وتكون الصحافة الاولى ، ومولد الاذاعة السعودية ، اخيرا ، واثرها في تطور الادب وحركته ، والمكتبات ، والمطابع .

حتى اذا جاء دور الادب ، آثر ان يقسمه الى قسمين : تقليدي، وحديث .

اما التقليدي فهو ما يجمع تحته من اغراض الشعر المعروفة من مديح ، ورثاء ، وغزل ، وهجاء ، وفخر ، ووصف ، وحكمة ، ولكنه اكتفى بدراسة الوان ثلاثة منه : الغزل ، والمدح ، والرثاء . اما الغزل العمودي ، فهو لا يكاد يختلف شكلا ومحتوى ، عن الغزل السابق ، حيث اتخذه بعض الشعراء حلية لقلائد قصائدهم . وحيث اتخذه بعضهم صورة للتعبير عن حب صادق ، وجوى لافح . وهذا الغزل بلونيه ـ يستمد صوره ، واخيلته ، غالبا من غزل العصر الجاهلي ، او الاسلامي . وتبقى الصورة الجمالية للمرأة عند الاسلاف هي نفسها عند المعاصرين . كأن توالي العصور ، وتعاقب الايام لم يستطع ان يبدل شيئا في ملامح هذه الصورة ، وعاداتها ، وتقاليدها البدوية . ولا ينسى شاعر الغزل ـ احيانا ـ ان ينهج نهج عمر بن ابي

ربيعة « شاعر النرجسية » المتغزل بنفسه .

وهذا محمد حسن فقي يخاطب حبيبته :

فلا تبطري بالحسن . يا رب غادة تمنت مشيبي بعد فوت شبابي
يسيل لعاب التافهين على الهوى ودودا ، ولكن لا يسيل لعابي

وقد يكون مثل هذا الغزل وليد الكبت والحرمان .

واذا كان الغزل القديم تجليب اكثره بالاوصاف الجمالية الحسية ، فان الغزل الحديث تسامى ـ أحيانا ـ بالمرأة ، فجعلها « قسيم الحياة » و « توأم الروح » و « نور البصر » و « النجمة الهادية في ديجور الحياة » و « الروضة الظليل في هجير الايام » .

وخلاصة ما يتسم به هذا الغزل :

١ ـ شخصيته الاسلامية .

٢ ـ ظهور معالم البيئة الصحراوية فيه وفي أخيلته وصوره .

٣ ـ غلبة العفة ـ والغزل العفيف كانت البادية من مدارجه الاولى .

٤ ـ بعده عن الميوعة والتخنث .

٥ ـ غلبة الالم عليه .. مما يجعله غزلا وجدانيا صرفا .

واما باب المديح ، فاننا لا نشاهد مثيلا لكثرة المديح في شعرنا ، في أية أمة من الامم . كانت ثروتنا منه في القديم ضخمة ، وظلت ثروتنا منه في الحديث ضخمة .. وقد يكون الدافع الى المديح متنوع الغاية .. قد يكون بعضه وليد التزلف ، والتحبب ، والتمجيد والتعظيم ، وقد يكون بعضه لطلب العطاء ، والجاه . ولكن أصدق المدح ما أريد به تعظيم العظيم الذي قاد أمته ، في أحلك الايام ، نحو الرفعة والمجد ... وما ينطبق على القديم ، من دوافع المديح ، ينطبق على الحديث أيضا . وقد ورد في تراثنا فيض كثير من المدائح ، ولكن كر العصور مسح عليها ، ولم يبق منها الا ما تفجر من عاطفة صادقة ومن قضية كبرى مقدسة .

وأما الرثاء ، فلعله أصدق الشعر عاطفة ، ولا يمنع ذلك ان يأتي الرثاء ـ أحيانا ـ متكلفا ، كاذبا . ولكن الرثاء الحق هو الذي أشار اليه ذلك الاعرابي حين سئل :

ـ ما بال مراثيكم أجود أشعاركم ؟

فقال :

ـ لاننا نقولها وقلوبنا محترقة .

وهؤلاء الشعراء السعوديون الذين قالوا الرثاء ـ وقلوبهم محترقة ـ كانوا صادقين في تصوير عواطفهم ، صادقين في نقل بكائهم . ومن ذلك ما رثى به فؤاد شاكر الملك عبد العزيز :

أيها المصلح العزيز ، سلام يتهادى الى علاك انتسابا
كيف أسست أمة من هباء وجمعت الاشتات والاحزابا
كيف بدلتها الضراوة ودا والعداوات ألفة واصطحابا
كيف ألفت باقة من قلوب ما استقرت من الحياة اضطرابا
كيف سويت بين شرق وغرب وجمعت الاضداد والاحبابا
قد ملكت النفوس بالعرف والـ مدل ، وبالفضل قد ملكت الرقابا

معان تتراكض بيسر ، واسلوب يتهادى بيسر ... تقوده عاطفة مشبوبة غير جامحة ، لتنصرف عن البكاء الرخيص ، الى وصف مكانة الراحل العظيم . بدون غلو ولا مبالغة .

ومن هذا الرثاء رثاء الاحبة ، ولا سيما المرأة المحبوبة . التي أنف الاقدمون ان ينزلوها في الرثاء ، لان رثاء المرأة يمنع عنه الحياء.. ومن هذا الرثاء الشجي ما خاطب به الزمخشري زوجته وهي على سرير الموت :

ليس لي بعدك في الدنيا بقاء فاسلمي . او نسلم الروح سواء

وقد يصل الشاعر الى رثاء نفسه ، حين يجد نفسه ضائعة في دوامة الحياة ، شأن الشاعر « محمد حسن فقي » في ديوانه « قدر ورجل » .

كل هذا الرثاء ، برغم الجدة في بعض موضوعاته ، يغلب عليه الاسلوب التقليدي بصوره ، وتراكيبه .

وفي الباب الرابع ... موضوعات الادب المستحدثة ، وهي موضوعات تتناول النثر والشعر معا ، باعتبارهما يشكلان « كلا » لا يتجزأ ... ولا بد ان تطور العصر يحمل على تطوير الموضوعات بحسب الظروف ، والتحولات الحديثة ، ومن ذلك الادب الاجتماعي الذي ابدعته الآراء والنظريات الحديثة . وكان هدف هذا الادب الاول : تطوير المجتمع ليجاري الحياة ، والتوفيق بين الحضارة المضخمة وقيم البلاد وظروفها وامكاناتها وتراثها . ولعل في طليعة قضايا هذا الادب ، قضية المرأة ... التي شغلت ادباءنا في مطلع عصر النهضة ، ولا تزال تشغلهم .

وبدلا من ان يعنى الادباء بالمظاهر التي لا تغني ، فقد انصب اهتمامهم الاول على « تعليم المرأة » باعتبار « ان المرأة نصف المجتمع وهي حصن الرجال وأمهم ، ومدرستهم الاولى » .

ولعل تعليم المرأة ، وحده ، هو الذي يستطيع ان يحل كل مشاكل المرأة ، وبمقدار ما تتعلم تحترم .

وهناك قضية الفقر والغنى : وهي قضية تعاني منها المجتمعات العربية ، وقد أقبل الادباء السعوديون على وصف ضحايا الفقر باشكال شتى من فنون التعبير ، ولكنهم لم يتعمقوا في استقصاء اسباب الفقر. الا ان نضال الادباء قد انتهى الى حلول تتمثل :

آ ـ في الزكاة .

ب ـ وفي الضرائب التصاعدية .

جـ ـ وفي الدعوة الى تأميم بعض المرافق العامة والاوقاف لانها تنفع الناس جميعا .

د ـ وفي الضمان الاجتماعي .

هـ ـ وفي اقامة المشاريع الوطنية ، وتنظيم الصدقات ، وفي احترام الفقير .

ولا ريب ان هذه الحلول الاجتماعية جديرة بأن تحل الكثير من عقدة الفقر والغنى ، وأجمل ما فيها أنها سلكت طريقا ايجابيا ، بناء ، لا يكتفي بالتمرد والسلبية .

وتلي هذه القضية قضية العمل والعمال : وتعتبر هذه القضية حديثة ، بالنسبة الى اكتشاف النفط الذي جعل من أرض المراعي ، والواحات أرضا تحيا فيها المصانع . وبينما كانت نظرة العربي ، في القديم ، الى العمل نظرة ازدراء ، أصبحت الآن نظرة اهتمام واحترام . وفجأة تعالى النداء الى تقدير « دولة العمل » وانتشرت الدعوة ، في كل مكان ، الى نشر المدارس ، والمعاهد التي تهيء عمالا فنيين « للدولة الحديثة » . فكان ، من وراء ذلك ، ان مجموعة اجتماعية جديدة قد ولدت في هذا العصر ، هي « مجموعة العمال » .

وهنالك قضية الاخلاق .. التي لا تزال علة العلل . ولا يزال بيت شوقي المأثور هو العلاج الوحيد لهذه العلة :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ولكن أية أخلاق نأخذ بها ، وأية أخلاق نطرحها ؟ ان جل الادباء لا يزالون يرون ان « المثل الاعلى » في الاسلام ، هو صخرة الاخلاق الصامدة . وبذلك ، نجد اول طوابع الادب الاجتماعي غلبة الروح الدينية عليه . وظاهرة ثانية محمودة لهذا الادب الاجتماعي في السعودية هي اقتران الاقوال بالافعال ، وانسجام الادباء مع الحكام ، وسعي الجميع الى اصلاح ما يمكن اصلاحه جهد الطاقة ، وقدر الامكان .

والادب السياسي : وما اغزره . هو ادب طالما تردد في العصور الاولى ، فكان لكل فئة السنتها ، وكان لكل مذهب حماته . والادب السياسي قد انطلق في هذه الاتجاهات البارزة :

آ ـ اتجاه عربي ، يقصد به الدعوة الى وحدة كلمة الشعوب العربية ، وهو بذلك يشارك أي أدب عربي في الاقطار العربية .

ب ـ واتجاه اسلامي ، كان لا بد ان يتأثر بالدين ، ليشارك هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سآتي معك

سآتي بخفقة روحي معك
أطير بنبضي كي أرجعك
سآتي واحمل في أضلعي
حنينا تسوق له أضلعك
سآتي وأصنع من أحرفي
كتابا يضم الاماني معك
سآتي اليك برغم جراحي
ويمسح نبضي هوى أدمعك
أصوغ دعائي لحنا شجيا
بهمسة قلبي كي أسمعك
نعود معا يا نجي الفؤاد
سلمت حبيبي ما أروعك

القاهرة — فاطمة عبد المقصود يوسف

المجموعة البشرية المسلمة في شتى القارات بآمالها واحزانها .

ج ـ واتجاه عالمي : يتجلى في تبني الحركات التحررية للبلاد المستعمرة .

فمن شعرهم المليء نداء الوحدة : لابراهيم الفلالي :

اخي . بالوحدة الكبرى — نعيش العمر احرارا
ونجعل من مرابضنا — قلاعا تنفث النارا

ونداء طاهر الزمخشري :

نسب نادى نبيه فاهابوا — ودم ثار ، فلبوا واجابوا
عرب هاجت بهم ثاراتهم — فاذا الوحدة للمطلب باب
قد دعوا للمجد في صحبتهم — فاذا الدنيا سؤال وجواب

وهيهات ان ينسى هذا الاتجاه قضية فلسطين التي هي قضية العرب والمسلمين أجمعين . وقد اسهم الادباء السعوديون في وقوفهم عند هذه القضية منذ عهد بلفور الى ما أحاط بهذه القضية من مؤامرات . كما اكثروا من القول في موضوع اللاجئين .

ومن أجمل القصائد قصيدة أحمد قنديل : « انا اللاجيء »

انا اللاجيء ، يا أماه للمسطور من قسمي
ومن بلدي وفي بلدي الى صف من الخيم
انا اللاجيء يا أماه من راسي الى قدمي
فهل أحسست يا أماه بالذل الذي بدمي
أبعد الوطن المحبوب تصبح : موطني خيمي

وقد كثر هذا اللون في شعرهم ، بحيث لا نستطيع الا ان نذكر باكبار مشاركة هؤلاء العرب للعرب في محنتهم الكبرى . ولم يقف الامر بهم عند وصف النكبة وتصويرها ، بل كانوا ايجابيين في جعل المقاومة لونا من « الجهاد المقدس » . ومن يتيسر له الاطلاع على الادب السياسي اطلاعا كافيا يدرك انه ادب يتصل بالادب السياسي في البلاد العربية المجاورة . وتلك هي معجزة الوحدة الكبرى .

وفي الباب الخامس : حديث واف عن الاداء الفني في الشعر السعودي ، وهو اداء يشبه كل اداء ، منه ما كان تقليديا جامدا ، او تقليديا متطورا حالف النهضة الاولى للشعر . ومنه اداء متجدد ، راح يظهر في اواخر الحرب العالمية الثانية ، متاثرا بالاتصال المباشر بأهل التجديد في الاقطار العربية . واخيرا ذلك « الاداء الواقعي » الذي وقف فنه للمجتمع ، او كقضية التزم بها .

والخلاصة ان الشعر السعودي يتفاعل مع مؤثرات عديدة ، بعضها قديم يتصل بالادب العربي العريق ، وبعضها حديث ، فيه ما ورد من الاقطار المجاورة ، وفيه ما عبر من خلف البحار ، وفيه الاجنبي قدم بلغته الاصلية ، او مترجما . ولكن مصدر الابداع فيه هو ان الشاعر السعودي لم يجمد على اقتباس صور القدماء ، او رسم صور البيئة ، ولم يكتف بترسم المحدثين من زملائه العرب ، بل كان يمزج القديم بالحديث ، ويضيف اليها الوانا محلية مناسبة ، فنجح الى حد مقبول .

وفي الباب السادس ، يتطرق المؤلف الى الفنون الادبية المستحدثة ... من هذه الفنون : « القصة » وهي في مولدها ، وتطور نشأتها نظيرة للقصة في الاقطار الاخرى . والقصة الفنية حديثة العمر ، في اصولها الفنية . اما الخيط الاساسي الذي اتبعته القصة فهو الارتباط بالاتجاه الاجتماعي ، والوطني والتاريخي والديني .

والفن الثاني هو فن المقالة ، وقد عالج الادباء السعوديون المقالة بانواعها ، من ادبية ، ونقدية ، واجتماعية ، وسياسية ، متاثرين بأسلوب رجال المقالة الذين نضجوا قبلهم في الاقطار العربية ، ولاسيما مصر . وقد تطول المقالة لتحول بحثا عاما ، او دراسة منهجية ، تجعل همها دراسة ادب الجزيرة . واكثر من طرق هذا الباب شباب مثقفون ثقافة جدية جيدة . ولكن الدراسات النقدية لا تزال قليلة نسبيا . لان طريق النقد مملوء بالاشواك ..

حقا ، ان طريق النقد مملوء بالاشواك . واشهد اني حرصت على ان ابحث عن ثغرة في هذه الرسالة انفذ منها ... فكنت ارى الدرب مسدودا ، لان المؤلف احاط بموضوعه ، وتحصن بمصادره ، ثم تجرد عن الهوى ، فجاءت احكامه بتجرد واحكام ، لا يريد منها الا وجه الحق والانصاف . وبذلك ضرب اروع مثل في خلق الباحث الدؤب ، ونبل القاضي الذي جعل العدل متوخاه ، دون ان يحمل ظلما ، او يمالىء حكما . وهو الذي درس القضاء كما درس الادب .

وبذلك وحده استحقت هذه الرسالة ان تكون مرجعا وافيا لكل دارس ادب الجزيرة ، وستبقى محتلة الصدارة زمنا طويلا ، لانها عمل متقن ، قد رفده العقل ، ومسحه الفن .. وكان رسالته الضخمة بمثابة عملية مسح كبرى للادب ، في تلك المنطقة القارية ، القت الضوء على عهد مجهول ، ومنطقة اغفلها الدارسون اثني عشر قرنا ، على مستوى موضوعي ، جدي شامل ، حتى كان عمله ـ كما وصفه احد اعضاء اللجنة الفاحصة ـ اشبه بعمل المخاطر الاول الذي جازف بنفسه ومستقبله ، في ريادة عالم مجهول ، خال من الاسناد الثابتة ، والمعالم الواضحة ... انه عمل جيل لا عمل فرد . سد فراغا كبيرا في موسوعة الادب السعودي .

واين مستوى هذه الرسالة من مستوى تلك الدراسة « الحياة الادبية في جزيرة العرب ـ عام ١٩٣٠ للدكتور طه حسين » التي لا تحمل طابعا دراسيا موضوعيا .

وبعد فهذا منتهى ما طمح اليه القلم ، وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم . فاذا كنت قد اغدقت في بعض المواقف ، فلانني لا انسى ان الفرسة غرستي ، والانسان ميال الى ما يغرس ، فخور بما يعطي من نفسه وادبه .

حلب — خليل الهنداوي

كانت تظن انه نائم ولكنها حينما فتحت عينيها رأته مستيقظا ، واحست بشيء من الانزعاج . ما له ؟ وتطلعت اليه مستفسرة . عيناه ساهمتان تحدقان في لا شيء باتجاه السقف . وانصتت قليلا . ثمة زفير مكتوم يخرج من صدره . ما له ؟ وبدأت أعصابها تتمزق ، وسألته :

ـ ما لك يا خليل ؟

التفت اليها نصف التفاتة . وتفرست في وجهه . كان يرقد فيه حزن دفين . وجاءها صوته يتأجج فيه الهم :

ـ استيقظت ؟

امتدت يدها تمسح على شعره وقالت :

ـ لماذا لم تنم حتى الآن ؟

رمقها بنظرة سريعة . هل يبوح لها بما يحس ؟ وتزاحمت النقط مرتحلة عن الحروف . وتنهد في عمق . متى تجد كل مشكلة حلا جديا ؟ وقال :

ـ لا أشعر برغبة في النوم .

توقفت حركة يدها (وكانت فوق جبهته تماما) تصفعها حيرة مشدودة الى التأزم . وتسأله بلهجة مضطربة :

ـ لماذا ؟

استدار اليها . جعل ينظر الى عينيها السوداوين . تسألين ما الذي يجعلني أرقا ؟ ينفخ في أسف. عيناك كانتا بيارات برتقال والف كرمة زيتون اخضر ، وفي لهيبهما كانت النار تذوب ولم يكن شيء (في الوجود) قادرا على التخلص من أسرهما وانظري اليهما الان . ما لهما ذابلتان منطفئتان كأن لم يضيء فيهما سراج منير ؟

ـ لا شيء

ـ ما هذه عادتك ؟

ـ هذه هي الدنيا

ـ هل اصارحك بشيء ؟

ـ ماذا ؟

ـ حالك هذه الايام لا يعجبني

ـ كيف ؟

ـ انه يجعلني اقف حائرة لا أكاد افهم شيئا البتة

ـ لا اظن ان شيئا واحدا قد تغير .

ـ كل شيء فيك قد تغير .

ونظرت اليه بتأمل . اين ابتسامتك المضيئة ؟ وقالت :

ـ لقد أصبحت شيئا مختلفا تماما .

ـ أنا ؟

ـ نعم .

ـ لا أظن .

ـ كنت نقيا لم تلوثك ما بالزمن من آفات .

ـ وقد تلوثت الان ؟

ـ كلا ولكن ..

ـ ماذا ؟

النور ينتشر بسرعة
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسين ابو النجا

ـ انك تعيش في عالم آخر

ـ لم اتركك لحظة .

ـ نعم و ..

وصمتت قليلا ثم قالت :

ـ انك معي بجسدك ولكنك تعيش في عالم آخر . عقلك دائما في عالم آخر . لا اعرفه . ترى أي غين أصابتك ؟

ـ هل انتهيت ؟

فقالت بابتسام :

ـ لا احب ان أراك حزينا

ـ وانا لا احب الحزن

ـ لكنك حزين

قصة

ـ رغما عني

ـ وهذا الحزن يقتلني

ـ لا اشك في ذلك

ـ فقل لي عن سبب حزنك

ـ لتزيليه ؟

ـ اذا استطعت

ـ لن تستطيعي

ـ ولماذا هذا التشاؤم ؟

ـ اسألي القدر .

جلست في الفراش . يظل مستلقيا على ظهره (تبدو عليه سيماء المطوف في عالم غامض) الالم ولد وكبر . تراه يموت ؟ تتأمله بود . له قدرة خارقة على المضي بأفكاره الى ابعد حد . دائما يبدأ من نقطة صغيرة ولكنه ينتهي الى عالم فسيح لا تستطيع الشمس ان تضيئه دفعة واحدة فتقسمه الى نصفين . نصف تضيئه في الليل والنصف الآخر تضيئه في النهار . وفي البداية و (اول ما تعارفا) ظنت ان به مسا من خبال ولكنها (فيما بعد طبعا) تبين لها انه ذو خيال خصيب ، ورأت ان الحياة معه سيتلألأ فيها معنى الوجود فتزوجته ، ولكنه في الشهرين الاخيرين (منذ الاحتلال الجديد) قد تغير تماما ، وقالت :

ـ الا تريد شيئا ؟

انفجرت احاسيسه . أريد اشياء . ونظر اليها طويلا ، أريد ان ينقلب العالم رأسا على عقب . ان يغور في ثنايا العدم فلا يبقى له اثر. اريد ان ارى طفلا صغيرا يعيش في احلام الطفولة . تغسل الفرحة عينيه بدلا من الالم الذي ينغل في العظام . اريد للاطفال ان يدغدغهم نور المستقبل الوضاء فلا يتألمون ولا يحزنون ولا يحسون انهم يعيشون في الظلام .

ـ كل الذي اريده ان لا يتيتم الاطفال .

ـ آه ..

واسترجع عقلها صوتا متفجعا ينطلق من بيت جارهم وعرفت فيه صوت أم ابراهيم وتساءلت :

ـ ماذا حدث ؟

(وفيما بعد عرفت ان رصاصة ملعونة قد اصطادت زوجها وهو يطل من فوق السور) وبعد ايام جاءها ابنه محمد :

ـ عمتي هل عندكم لقمة ؟

وانفجر السؤال الذي كان كامنا في اعماقها :

ـ لماذا تريد بنا هذا يا رب ؟

وصرخت بألم :

ـ لماذا ؟

وودت ان تظل تصرخ لولا ان والديها قد زرعا في قلبها الايمان ، ووجدت ان صرختها احتجاج ضد ارادة الله فتراجعت ، وارتفعت في ذاكرتها صورة جثة ملقية بجانب الحائط واختلطت بصورة الطفل وهو يطلب لقمة فنزف قلبها حقدا ثريا وصرخت :

ـ ملعونون .

فتساءل بصوت خافت :

ـ من هم الملعونون ؟

ـ بسبب كل هذه الاحزان .

ارتفع في وجهه أسى ملحوظ وتنهد من جديد . فتح الباب امام احزان جديدة . اخذت تتدفق الى الداخل . لو ان الباب ظل مغلوقا . وقال وهو يمسك بيدها :

ـ نحن خلقنا للحنين .

اريد ان نفرح مرة واحدة .

ـ قريبا .

ـ متى ؟

ـ عندما يريد الله .

ـ ومتى يريد ؟

وندت عنها آهةمنكسرة والقرميد تشقق بعضه من قوة الانفجارات ، وفي الرؤوس يعتصر الالم العقول والصمت الملعون ما زال يزيد في احكام قبضته على المدينة . يتأملها مليا . الجبين خلا من الاحلام وقد كان يغني لربيعها . وعلته رغبة في التشوق الى الفرحة وقال بحرارة :

ـ تريدين ان تفرحي ؟

ـ نعم .

ـ فتزودي بالاحزان .

ـ ماذا تعني ؟

ـ لكي يفرح الانسان يجب ان يحزن اولا .

ـ ولكننا منذ ان ولدنا ونحن حزانى ومع ذلك فلم نفرح مرة .

ـ هذا الحزن لا يكفي .

ـ فماذا يكفي ؟

ـ ان نموت من الحزن .

ـ حتى انت .

ـ ما لي ؟

ـ لا شيء .

ـ تعرفين .

ـ ماذا ؟

ـ ان الحياة اصلها حزنوستظل حزنا الى يوم يبعثون .

ـ لا تزد همي .

ـ هذه هي الحقيقة .

ـ ارجوك .

ـ ان اكف عن ذلك ؟

ـ نعم .

ـ ولكن لا بد من معرفة ذلك .

ـ حتى يزداد الحزن ؟

ـ حتى لا تنتكسي .

ـ أو .. او ..

ـ لست افضل من آدم وحواء .

ـ انجبوننا لكي نظل نحزن .

ـ لقد حزنا قبلنا .

ـ ولكن ليس مثلنا .

ـ لقد هبطا من الجنة .

ـ ثم عادا اليها .

ـ وقتل ابتهما اخاه .

ـ ونحن ظللنا نموت منذ الهجرة

ـ وما زلنا .

ـ وسنظل .

ـ حتى تجيء الفرحة .

ـ اتعتقد انها ستأتي ؟

ـ بالتأكيد .

ـ متى ؟

ـ انظري هو ذا الفجر .

نهضت وهي تسعل سعلة خفيفة . ونظر الى النافذة . كان النور يبزغ رويدا . ولم يستطع البقاء . تململ في السرير ثم جلس. ما زال الراس يلفه الهم . وود ان تشرق الشمس بسرعة . كانت ليلة طيبة على اية حال . راسان ثقيلان تطعما ضد العذاب وامتلأ حتى فاضا ونادى :

ـ مريم

جاءته من الخارج وهي تقول :

ـ نعم .

ـ ناوليننني علبة السجائر .

ـ الا تنتظر الشاي ؟

ـ اريد ان انفث دخانا في اعقاب الليل .

ـ اتركه بحاله .

ـ لقد جرحنا بعنف .

ـ ها هو قد ذهب .

ـ بعد ان ..

قاطعته بلين :

ـ لننس كل شيء .

ـ لا يجوز النسيان .

ـ يجب ان نبحث عن مستقبل فيه عزاء .

ـ هل يكون ؟

ـ بلا مراء .

ـ يا ..

ـ ما لك ؟

ـ لقد تغيرت انت ايضا .

ـ حقا .

ـ نعم .

وشعر بارتياح وهو يرى النور ينتشر من خصاص النافذة. وخشي ان تؤوب الكآبة فتتلوث الفرحة المنتظرة فقام الى النافذة . فتحها وهو يقول لنفسه : ليكن ما يكون . تدخل وبيدها صينية فوقها الشاي فتهتف :

ـ ما زال التجول ممنوعا .

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ اخاف ان ..

ـ لا تخافي .

ـ مات ابو ابراهيم .

ـ اريد ان اتمتع بالضياء .

ـ قد تصيبك رصاصة .

ـ وقد لا تصيبني .

ـ « الطوبة لا تجيء الا في المطوبة » .

ـ اكون ساعتها قد ملأت رئتي بالنور .

وضعت الصينية على طرف السرير ثم مضت تقف بجانبه امام النافذة . كان النور قد بدأ ينتشر بسرعة .

الجزائر **حسين ابو النجا**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ضفاف مجردة

●

مهداة الى الدكتور يوسف عز الدين ذكرى للقائنا على ضفاف مجردة وتقديرا لقصيدته المنشورة في الاديب الغراء بعنوان تونس الخضراء

أتونس يا ربة المزهر ... وباعثة النور في الاعصر
لك المجد تيهي بما نلته ... من المغنم الوافر المثمر
نشرت المحبة بين القرى ... وأهديت للعالم الاكبر
فارضك مهد الجمال الرطيب ... وجوك جو السنا المقمر
وافقك للنور مستودع ... يوزع من فيضه المطر
أتيتك واللقب في لهفة ... الى عالم بالعطا مزهر
وجئت وفي القلب شوق المحب ... لارشف من وردك الكوثري
فعدت وقلبي في نشوة ... بما نال من مربح نير
أتونس أنت مراح الفؤاد ... وأنت منى الشاعر العبقري
وفي جوك الرحب صنعت القريض ... وأنشدتك اللحن من مزهري
وارسلت الحاني الشاديات ... بآفاق مجردة (١) الانور
فمن ضفة النهر وحي سرى ... بروحي . ولولاه لم اشعر
أتونس ان نشيد الضفاف ... تهادى من المنبع الاطهر
لقد صفته من شذا الذكريات ... وهن عواطر كالعنبر
وللذكريات بقلبي الطهور ... منازل خالدة الجوهر
ستبقى مدى العمر وضاءة ... تذكرني بالهوى الازهر
تذكرني بالضياء المنير ... وبالملتقى الطاهر الخير
تذكرني بالليالي الوضاء ... وبالحب في ربعك الاخضر
وبالمجد قد همت حتى بدا ... لي المجد في طرفه الاحور
ففيك البطولة هتافة ... لرب الفصاحة والمنبر
وفيك الخيال المشع الخصيب ... يفدي الشعور مدى الادهر
فيا تونس المجد ذات الجلال ... لك الشعر يصدح بالمزهر

١ ـ هو نهر مجردة . ينبع من جبال الجزائر ويصب في البحر المتوسط قرب قلعة الاندلس في تونس .

تونس ـ سفارة الكويت ... فاضل خلف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الشرباصي

الدكتور عبد المنعم النمر

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاريخ : هو يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٩٢ هـ ـ السادس من شهر يوليه (تموز) سنة ١٩٧٢ م . والمكان هو قاعة الاستاذ الامام محمد عبده ، بجامعة الازهر في حي الحسين رضي الله عنه بالقاهرة . والحاضرون جمع غفير من رجال الازهر وشبابه واساتذة الجامعات وشبابها ، والمهتمين بشؤون العلم والفكر والتاريخ . والموضوع هو مناقشة الرسالة العلمية التاريخية ، التي تقدم بها الدكتور عبد المنعم النمر مدير البعوث بالازهر ، لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات التاريخية من جامعة الازهر ، ومن قسم التاريخ بكلية اللغة العربية ـ حرسها الله ـ معقلا للغة القرآن وادب العرب .

والدكتور عبد المنعم النمر من العلماء الباحثين الدارسين المنتجين ، الذين يفتحون الابواب الفكرية على عقول الناس وقلوبهم بالكلمة المكتوبة في الصحف والمجلات والكتب ، والكلمة المسموعة في الاذاعة ، والكلمة المرئية ـ ان صح هذا التعبير ـ في التلفزيون ، وهو يسهم بمحاضراته هنا وهناك ، وله عدة كتب ومؤلفات تشهد بطول الباب في البحث والتفكير ، ومنها : « تاريخ الاسلام في الهند » و « كفاح المسلمين في تحرير الهند » و « الاسلام والشيوعية » و « الاسلام والمبادىء المستوردة » و « دراسات بين الدين والحياة » .

وقد قضى سنوات في الهند مبعوثا من المؤتمر الاسلامي في مصر ، وسنوات في المملكة العربية السعودية ، مبعوثا للازهر الشريف ، وسنوات في الكويت مبعوثا للازهر كذلك ، وكان رئيسا لتحرير مجلة « الوعي الاسلامي » هناك عدة سنوات .

وهو من ناحية السن قد تجاوز الخمسين بكثير ، ودون الستين بقليل ، فما الذي دعا ذلك العالم الازهري ، والرجل المكتهل ، الى ان يعود طالبا من جديد ليبحث ويكتب ، ويحلل ويناقش ، ويقف موقف الطالب من لجنة المناقشة ، ليحصل على لقب « فضيلة الدكتور » ؟ لعل سر ذلك هو التدليل على مواصلة طلب العلم الذي يبدأ من المهد ويمتد الى اللحد ، وهنا يعطي الدكتور مثلا يحتذى في الاصرار على طلب العلم والاستمرار في البحث مهما تقدمت به السن .

وموضوع الرسالة هو « مولانا ابو الكلام آزاد : حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند » . والرسالة تقع في مجلد ضخم تبلغ صفحاته خمسمائة صفحة من الحجم الكبير بملحقاتها .

ولجنة المناقشة تتكون من الاساتذة الدكاترة : زكي غيث (المشرف) ، وعبد الفتاح شحاتة ، ومحمود زيادة .

ويقف الطالب العجوز امام الجمع الكبير من المشاهدين والمناقشين ليحدثهم عن سبب اختياره هذا الموضوع لرسالته ، فيذكر ان ذلك يرجع الى نقطة تحول في ثقافته شدته شدا قويا الى العناية بتاريخ الاسلام في الهند ، ونقطة التحول هذه هي ارساله من قبل الازهر والمؤتمر الاسلامي بمصر الى الهند سنة ١٩٥٦ . وحين تهيأ للسفر لم يجد امامه من المعلومات عن الهند ما يكشف له احوال البلاد التي يتجه اليها . واضطر ان يسافر وهو على غير علم بحياة المسلمين وتاريخهم فيها ، وخلال اقامته هناك تكشفت له حقائق اغرته بالبحث والتنقيب عن تاريخ الاسلام في الهند ، حتى تعلم من اجل ذلك اللغة الاوردية ، وكانت حصيلة ذلك ان اخرج اول كتبه « تاريخ الاسلام في الهند » سنة ١٩٥٩ في نحو خمسمائة صفحة . ولاحظ ان هناك كتبا كثيرة عن زعماء الهند من غير المسلمين ، ولكن زعماءها المسلمين لا يوجد عنهم مثل هذه الكتب ، فرأى انصافا لجهاد هؤلاء الزعماء وكفاحهم ان يكتب عنهم ، فكان كتابه الثاني « كفاح المسلمين في الهند » سنة ١٩٦٤ في نحو اربعمائة صفحة .

وحين كان يكتب عن تاريخ الاسلام في الهند ، وعن كفاح المسلمين في تحرير الهند ، لفت نظره عالم من العلماء المتنورين ، ومجاهد من اعلام المسلمين ، قاد

حركة الاصلاح الديني ، وابلى في ذلك بلاء حسنا كان له اثره في الايقاظ والتجديد ، وفي الوقت نفسه وصل الى قمة الحركة السياسية وقادها في اعنف مراحلها ، وانشأ المجلات واتخذ منها منبرا لمهاجمة الاحتلال ، وايقاظ قومه وتنبيههم الى مبادىء الاسلام التي تنفر من الاستعباد ، فطارده المحتلون ، واغلقوا مجلاته واحدة بعد اخرى ، وصادروا مطابعه ، ونفوه من بلده «كلكتا» ، والقوا به في غيابة الاعتقال خلال الحرب العالمية الاولى ، ولم يفرج عنه الا في اول سنة ١٩٢٠ .

لفت الزعيم ابو الكلام ازاد نظر الدكتور الباحث ، فوجده جديرا كل الجدارة بأن يكشف بعض عظمته ، وان يجعله موضوع رسالته التي بداها بالحديث عن الدوافع التي دفعته الى اختيار الموضوع ، ثم انشأ مدخلا خصصه لالقاء اضواء على الهند منذ دخلها الاسلام الى عصر ازاد ، حتى يتبين ماضي المسلمين وحاضرهم في تلك البلاد الكبيرة ، ثم عقد الباحث فصلا عن التعريف بالزعيم ابو الكلام ، فأبان كيف وفدت اسرته على الهند من افغانستان في عهد الامبراطور « شاهجان » الذي تولى الحكم سنة ١٠٣٧ هـ ـ ١٦٦٨ م . وكانت أسرة ازاد أسرة علم هيأ لها ان يتولى افراد منها مناصب ملحوظة في قيادة الدولة الاسلامية ، واستمرت في الهند حتى احتل الانجليز بوساطة « شركة الهند الشرقية الانجليزية » على البلاد. وهنا لم يطق جد ازاد ان يقيم في البلاد ، فهاجر الى مكة ، ولكنه توفي في الطريق ، وواصل ابنه الرحلة الى مكة ، وتزوج بامراة عربية ولدت له « محي الدين احمد » وهو ابو الكلام ازاد الذي عاد مع والده طفلا الى كلكتا ، ونشأ ابو الكلام في كلكتا ، وتخرج في دراسته كعالم ديني ، ولكنه تطلع الى آفاق واسعة ، فدرس كتبا كثيرة مختلفة ، وتفتق ذهنه واتسع افقه ، ومرت به مرحلة شك خرج منها سليما ، واختار لنفسه لقب « ازاد » ومعناه « حر » ، واخذ ينشط في الميادين السياسية ، ورحل الى كثير من البلاد الاسلامية، ولقي زعماء الحركات الاصلاحية ما بين روحية ووطنية ، وزار فرنسا ثم عام الى الهند .

وفي الفصل الثاني من الرسالة تحدث الدكتور النمر عن « ازاد المصلح الديني » ، فأشار الى تأثره بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكيف نشأت صلة وثيقة بينه وبين السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار. ولذلك استقر عزمه على اخراج مجلة تكون لسانا لنشاطه وآرائه ، فأصدر مجلة سماها « الهلال » في كلكتا ، وقد صدرت في يونيه سنة ١٩١٢ ، وانتشرت انتشارا كبيرا ، ولكن المحتلين وقفوا في طريقها ، واضطهدوا صاحبها حتى فكروا في اغتياله ، لانه كان يهاجم الاستعمار ويدعو الى الحرية والاستقلال ، وفي يونيه سنة ١٩١٥ اغلقت سلطات الاحتلال مجلة « الهلال » ، وصادروا المطبعة .

ومع ذلك لم ييأس ابو الكلام ، بل انشأ مجلة اخرى باسم « البلاغ » فأغلقها الاحتلال وصادر مطبعتها، وابعدوه عن كلكتا في مارس ١٩١٦ ، واوعزوا الى الولايات لمنع دخوله فيها ، فلم يجد امامه الا مدينة « رانشي » وهي قريبة من كلكتا ، فأقام فيها مدة ، ولكن الاحتلال عاد فاعتقله في يوليه سنة ١٩١٦ . وكان ابو الكلام بليغا فصيحا ، وكاتبا قديرا ، وقد شهد له الناس باسلوبه الذي تميز به ، فاستغل ذلك في دعوته ، حتى التف الناس حوله ، يتابعونه حيثما تحدث او خطب ، ويتابعون ما يكتبه بشغف ، ويتأثرون بذلك تأثرا عميقا ، وبذلك اوجد حوله مدرسة ورأيا عاما ، وكان يؤمن بأن القرآن الكريم منبع للهداية والاصلاح والتوجيه ، وانه ينبغي تقريب فهمه للناس ولطلاب المدارس الدينية ، ولذلك عزم على ان يتناول القرآن بتفسير واضح مفهوم ، بعيد عن الحشو والخرافات والاسرائيليات ، متابعا في ذلك اعلام الاصلاح الديني من امثال ابن تيمية وابن القيم وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا .

واقدم ابو الكلام على تنفيذ عزمه ، فتناول موضوعات من القرآن ، ووقف امامها طويلا بالتحليل والتفسير ، وبدأ ينشر ذلك في مجلته « البلاغ » ، ولكن الاحتلال عاجل بمصادرتها .

وفي هذا الفصل تحدث الباحث عن تفسير ازاد للقرآن ، او ترجمته لمعاني القرآن بتعبير ادق ؛ وقد طبع من هذا التفسير حتى سورة النور بعنوان « ترجمان القرآن » ، ولم تسلم ترجمته لمعاني القرآن من ناقدين ومعارضين ، اشتد بعضهم او اشتط في الهجوم ، حتى تناولوا عقيدة الرجل بكلام واتهام ، وقد بذل الباحث جهدا كبيرا في الدفاع عن آراء ابي الكلام وانصافه من مهاجميه الذين ينتسبون الى مدرسة التقليد والجمود عليه .

كما تحدث عن دعوة ازاد الى الاجتهاد والتحرر من الآراء التقليدية ، ومن امثلة اجتهاده وعميق بحثه ما فعله في موضوع « ذي القرنين » ، فقد استعان بآيات القرآن وبالتوراة والتاريخ وكتب الآثار ، وقام برحلة الى ايران حيث توجد آثار ذي القرنين .

وبعد البحث الطويل والتأمل العميق انتهى ابو الكلام ازاد الى ان المراد بذي القرنين هو « كورش » الامبراطور الفارسي . وقد طبق ابو الكلام ما جاء في تاريخ هذا الامبراطور على ما جاء في القرآن الكريم ، من وصف لذي القرنين ، فوجد تطابقا كاملا بينهما ، وزاد على ذلك فرسم خريطة في تفسيره تبين رحلات ذي القرنين التي تحدث عنها القرآن ، وتبين السد ومكانه .

ويرى الدكتور النمر ان ازاد هو اول عالم مسلم وصل الى حقيقة ذي القرنين نتيجة لدراسة علمية

واسعة عميقة ، وان بحثه يعد فتحا جديدا في هذا الموضوع ، بعد ان ظل المفسرون والمؤرخون يختلفون في أمر ذي القرنين ، دون ان يبلغوا الحقيقة

ولذلك جعل الباحث ما كتبه ازاد ملحقا من ملاحق رسالته .

ثم يأتي الفصل الثالث من فصول الرسالة ، وهو عن « ازاد الزعيم السياسي »

وهنا يذكر الدكتور النمر ان ازاد عند خروجه من المعتقل سنة ١٩٢٠ وجد الرأي العام قد تحرك ضد المستعمر ، وهذا هو ما كان يدعو اليه ابو الكلام ازاد في الماضي عن طريق مجلتيه الهلال والبلاغ ، وعن طريق خطبه واحاديثه ، فلم يكن امامه الا ان يشرع في الاسهام مع قومه في تطبيق ما دعا اليه ، فنزل لقيادة الجماهير التي تأثرت بدعوته وآمنت بها ، فانضم الى حزب المؤتمر الهندي ، دون ان يقطع علاقته بالهيئات الاسلامية الاخرى ، مثل حركة الخلافة ، وجمعية علماء الهند التي كانت تجاهد كذلك ضد الاحتلال .

وقد رحب حزب المؤتمر الهندي بازاد ، واحله المقام اللائق به بين زعمائه ، وكانت الهند قد شرعت تسير نحو حركة « العصيان المدني » التي اتخذها المسلمون في الهند شعارا لهم في كفاحهم ضد الانجليز ، ثم اعلنها المهاتما غاندي الزعيم الهندي الروحي المشهور ، واخذ ابو الكلام ازاد مع غاندي — او بدونه — في طول البلاد وعرضها داعيا الى حركة العصيان ومقاطعة الاحتلال ، فاعتقله الانجليز ، واتهموه بأنه يثير الشعب ، وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، وحاكموه وحكموا عليه بالسجن لمدة سنة .

ويعجب الباحث اعجابا كبيرا بموقف ازاد خلال محاكمته ، فقد كان بطلا جريئا ثابتا ، وقد تحدث في المحاكمة عن مقاومة الاسلام للاستبداد ، وذكر في ذلك بحثا تاريخيا عميقا مدعوما بالادلة والشواهد ، ولم يحاول ان ينفي التهمة عن نفسه ، بل اخذ يسوق الادلة لاثبات التهمة على نفسه ، واعلن ان قرة عينه في هذا العمل الذي تعده حكومة الاحتلال جناية ، لانه يقوم بفرض اوجبه عليه دينه وايمانه وهو مقاومة البغي .

ودلل الباحث على شدة اعجابه بمرافعة ازاد في محاكمته بأن جعل هذه المرافعة احد ملاحق الرسالة .

وخرج مولانا ابو الكلام ازاد من الاعتقال فاختاره عارفو جهاده وفضله رئيسا للحزب ، وكان يومئذ في الرابعة والثلاثين من عمره ، فساءه ان يجد الفرقة قد نشرت سمومها بين ابناء الهند ، وذهبت الوحدة الوطنية ، واستعلنت الخلافات الطائفية والمذهبية ، فأخذ ابو الكلام بذكائه واتزانه واتساع أفقه يطب لذلك الداء العضال ، ليراب الصدع ويلم الشمل ، ومع عظيم ما بذل وحاول ، كانت الفتنة اطغى واقوى منه ومن طاقة أي زعيم آخر .

وبذلك ضعفت الحركة الوطنية التحريرية ، ووصل الدخلاء الى ما ارادوا من سياستهم المعروفة : « فرق تسد » . ومرت فترة هدوء نسبية في الجبهة الوطنية ضد الاحتلال ، وحينما تقدم الانجليز بحركة اصلاح دستورية تقدم حزب المؤتمر الى الانتخابات وفاز بالاغلبية في اكثر البلاد ، وقام بتشكيل الوزارة ، وبقي ازاد مع اثنين من الاعضاء خارج الوزارة ، ليشكلوا لجنة عليا لتوجيه الوزراء ، وظل هذا الوضع حتى اعلنت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، واعلن الانجليز دخول الهند الحرب دون استشارتها ، فاستقالت الوزارة ، ودخل حزب المؤتمر في صراع جديد مع المحتلين .

ثم يأتي الفصل الرابع من فصول الرسالة ، حيث يتحدث الباحث عن قيادة ازاد لاخطر مراحل الكفاح ، فقد اجمع حزب المؤتمر وعلى رأسه المهاتما غاندي نفسه على ان يختاروا ازاد ليتولى رئاسة المؤتمر ويقوده في اخطر مرحلة يمر بها ، وانما اختاروه ليكون الربان الماهر الذي يقود سفينة البلاد بين امواج عاتية خلال فترة الحرب الشرسة .

وفي هذه المرحلة الخطيرة تجلت مواهب الزعيم الحكيم ، والعالم المصلح ، في ميدان السياسة ، والكر والفر ، ومواجهة الازمات ومواجهة العواصف ، واذا كان غاندي قد غلبت عليه نزعة التصوف وسياسة المقاومة السلبية ، فقد ظهر ابو الكلام ازاد زعيما سياسيا ماهرا ينازل دهاة الانجليز ، وكان يرى ان الهند المحتلة المستعبدة فاقدة الحرية لا يمكنها ان تشترك في الدفاع عن الحرية مع الحلفاء ، وهي محرومة منها ، فاذا اعلن الانجليز انهم سيعطون البلاد حريتها واستقلالها بعد انتهاء الحرب ، وشرعوا يعدون لذلك فعلا باشراك الهنود في الحكم فان الهند توافق على الحرية محروم من هذه الحرية .

وقامت حركة عصيان اخرى سنة ١٩٤٠ قادها ابو الكلام ازاد ، واعتقله الانجليز وسجنوه سنتين ، ثم اضطرت قوات الاحتلال الى الافراج عنه ، تحت ضغط امريكا ، بعد هزيمتها المشهورة امام اليابان ، وذلك لكي يتولى ابو الكلام ازاد امر المفاوضات باعتباره رئيسا للحزب . ولكن الانجليز غادوا فخانوا العهود والوعود ، واعتقلوا ازاد وغيره من الزعماء حيث ظلوا في غيابة السجن الى انتهاء الحرب ، حيث اتجهت انجلترا بعد ذلك مضطرة الى حل مشكلات الهند ، فأرسلت وفدا للمفاوضات ، وكان ابو الكلام ازاد هو ممثل الهند فيها ، وانتهت المفاوضات بتسليم الهند الى اهلها وتقسيمها الى دولتين : الهند وباكستان ، وكان ازاد ضد فكرة التقسيم ، ولكنه لم يستطع مقاومتها بسبب قسوة الاضطرابات الطائفية القاسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـــودة

*

لا تهـدهـد بالمنـــى قلبـي فقـد ... عاف هـذا القلب في الدهر .. مناه
يـا أخ الـروح ذوى مـــا تبتغـي ... من جنى زهري .. لقـد جف جناه
أيـــن مـن عمري زهـر نـاضـر ... عاثـت الايـام في طيب .. شذاه
وفـؤاد .. متـــرف .. روعـــه ... زمـن اعمى ، ولـم يرحـــم صباه
كلمـــا ردد آهـــا مـــن لظـى ... تبعتهـــا مـن لظـــاه ، ألـف آه
يـــا نجـي الروح ، أرجعت الهوى ... أمـلا حلـوا .. ودنيـا .. وحياه
وبعينيـــك أرى يـــا ملهمـــي ... بسمـة الدهـر وقـد طـاب رؤاه
يدك السمحاء ، قـــد مرت علـى ... قلبي الدامـي فانستـــه .. أساه
فـــاذا الجـــرح عطـــور وشذا ... واذا قلبـي ، عيـــون ، وشفـــاه
عـاد خفـاقـــا لحـــب عـاطـر ... صرت دنيـــاه ، وقـد كنت رجاه

طرابلس ـ لبنان — غادة سلهب

وظل ابو الكلام أزاد يرأس حزب المؤتمر ، كما تولى وزارة المعارف المركزية لعموم الهند ، وظـل فيها حتـى أنتقل الى رحمة الله تبارك وتعالى في فبرايـر سنـة ١٩٥٨ م .

وجعل الدكتور النمر خاتمة رسالته عـدة ملاحق تشمل بحوثا لازاد ، وهي بحث عن المسلمين بين التقليد والاجتهاد ، وبحث عن ذي القرنين والسد ، وبحث عن الخلافة ، ومرافعته امام المحكمة حين محاكمته . ولقـد اعجبني كذلك ان يعنـــى الباحث بتفصيل الكلام عـــن صداقة أزاد مع السيد رشيـد رضا ، ولا غرابـة فـي اعجابي فقد شغلني رشيد رضا زمنا طويلا ومـــا زال يشغلني بعد ان جعلت حياته وجهوده موضوعا لرسالتي في الدكتوراه ، ولقد اثبت الدكتور النمر مجموعة رسائل من أزاد الى رشيد ، وكنت قد عثرت على هذه الرسائل بخط أزاد ، وحينما علمت باشتغال الدكتـور بموضوع ازاد اعرته هذه الرسائل ، فأثبت صورتها وعلق عليها ، وقال في صفة ٢٤٨ من اصل رسالته المخطوط : « قـدم لي هذه الرسائل مشكورا فضيلة الاخ الدكتور احمـد الشرباصي وقد عثر عليها وهو يبحث عن اوراق السيد رشيد ليكتب رسالته عنه » .

والرسالة تكشف عن المجهود الجليل الذي بذلـــه الدكتور النمر في اعدادها ، وخصوصا اذا تذكرنا ما قاله في آخر الرسالة من أنه لم يصدر كتاب عربـي حتى الآن عن ابي الكلام أزاد ، لانـه مـن المعاصرين ، ولذلك بقي تاريخه موزعا بـــين الصحف والنشرات ، ولا سيمـــا الاوردية منها ، ولم يترجم الى العربية شيء ذو بال عن حياته ، اللهم الا بعض ما جاء في مذكرات ازاد التي كتبها في حياته عن الهند وجهادها لنيـل حريتها واستقلالها ، وقد جمع الباحث كل ما استطاع من معلومات عن أزاد ، ورجع الى عدد كبير مـــن المراجع والمصادر ، وتظهـــر ضخامة هذه المراجع من القائمة التـــي اوردها صاحب الرسالة في آخرها ، وكذلك من تضاعيف الرسالة .

وبعد عرض ممتع، ومناقشة دسمة طالت وامتدت، قررت لجنة المناقشة بالاجماع منـح الدكتور عبد المنعم النمر درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى ، وطبع الرسالة لتعم بها الفائدة .

تحية طيبة وتهنئة خالصة الى العالم الازهري الذي لم يمنعه تقدم السن ان يقرأ ويبحث ، ويحلل ويناقش، ويكتب ويؤلف ، ونرجو ان يوفقه الله تعالى الى تحقيق ما وعد به في ختام رسالته من مواصلة التعريف بالزعماء المجهولين من رجال الهند ، الذي جمـــع عنهم معلومات تستحق التقييد والنشر .

القاهرة — احمد الشرباصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

نموذجات من حرف الواو

رجال ثقات

ويقولون : عندنا رجال ثقاة ، فيأتون بكلمة (ثقاة) مجموعة جمع تكسير ، مثل : (قضاة) و (رعاة) ، جمع : (قاضي) و(راعي). والصواب ان تكتب بالتاء المبسوطة (ثقات) ، لان مفردها (ثقة) لا (ثاقي) .

واثق ببراءته

ويقولون : نحن واثقون ببراءته . والصواب : نحن موقنون ببراءته ، لان وثق (بكسر التاء) به ، تعني : ائتمنه .

وفعله : وثق به يثق ثقة (بكسر التاء في الكلمات الثلاث) ، وموثقا (بفتح فسكون فكسر) ، ووثاقة (بفتح الواو) ، ووثوقا (بضم الواو) .

لا يجب ان نكذب

ويقولون : لا يجب ان نكذب . وهذا يعني اننا يجوز ان نكذب . ولهذا علينا ان نقول : يجب ان لا نكذب (وهي جملة فيها قوة) . او : لا يجوز ان نكذب (وهي اقل قوة من الاولى) .

وجبة

ويطلقون على كل مرة ناكل فيها الطعام اسم : وجبة (بفتح فسكون) .

والصواب : أكلة (بفتح فسكون) ، لان الوجبة هي الاكلة الوحيدة في اليوم والليلة .

وقد اطلق المجمع الثاني المصري في نادي دار العلوم سنة ١٩١٠م . في الجدول رقم ١٠٣ كلمة الوجبة على الاكلة الواحدة في اليوم والليلة .

اما طعام الصباح فهو الصبوح (بفتح الصاد) ، وهو كل ما أكل ، او شرب من لبن او غيره صباحا . واسم طعام الصباح : غداء (بفتح الغين وبالدال) ، لاننا نتناوله غدوة ، أي : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

ولا ارى ما يمنع الموافقة على رأي المولدين في تسمية أكلة الظهر غداء . اما من يشاء تحري الدقة والصواب ، فعليه ان يقول : طعام الظهر او اكلته .

اما طعام المساء فهو : العشاء (بفتح العين) او العشي (بكسر فسكون) ، لاننا نتناوله في العشي (بفتح فكسر فتضعيف) . والعشي اخر النهار . وقيل : من صلاة المغرب الى العتمة .

التواجد

قرأت على لوحة اعلانات احدى كليات الآداب الجملة الاتية :

« على الطلاب التواجد في اماكنهم في التاسعة صباحا » . فهالني ذلك ، لان الفعل (تواجد) معناه : اظهر وجده (بفتح فسكون) ، أي : حبه الشديد .

والصواب : على الطلاب ان يوجدوا في اماكنهم في التاسعة صباحا.

يوجد بيننا

ويقولون : يوجد بيننا كثيرون يجهلون هذا الامر . فالفعل (يوجد) هنا ، لا ضرورة لبقائه ، لان (بين) تدل على مطلق الوجود . ومثله قولهم : لم يكن موجودا في بيته . والصواب : لم يكن في بيته .

وقف تجاهه

ويقولون : وقف تجاهه (بضم التاء) ، أي : تلقاءه وما يواجهه . ولا خطأ في ذلك ، ويجوز ان نقول : تجاهه (بفتح التاء) وتجاهه (بكسر التاء) ايضا .

وبما ان تجاهه (بكسر التاء) صحيحة ، وبما ان العامة تستعملها دائما ، فانني اوثر ان لا نستعمل الا تجاهه (بكسر التاء) .

ان أصل (تجاه) هو (وجاه) بكسر الواو وضمها وفتحها . اما الزمخشري فقد اكتفى في الاساس بكسر الواو وضمها . واقتصر المصباح على ضم التاء والواو في (تجاه) و (وجاه) ، وضم الصحاح التاء والواو ، وكسرهما في الكلمتين كلتيهما .

أما (واو) وجاه ، فقد ابدلت (تاء) .

وحدوي

وينسبون الى (وحدة) قائلين : وحدوي . والصواب : وحدي (بفتح فسكون) ، لان كلمة (الوحدة) مفردة أصالة (أي : بغير نظر الى جمعها بالالف والتاء الزائدتين ، لداع معنوي ، كعدم وجود وحدات متعددة) . وتكون النسبة اليها بحذف تاء التانيث واضافة ياء النسب .

وديان

ويقولون : يحب الجبال والوديان (بكسر فسكون) . والصواب : والاودية (بفتح فسكون فكسر) ، والاودية (بفتح فسكون) ، والاوداء (بفتح فسكون) ، والاوداة (بفتح فسكون : التاج والمحيط) ، والاوداه (اللسان وذيل اقرب الموارد) .

وقد تفرد صاحب التاج بان قال في مستدركه : وقد يجمع الوادي ايضا على (وديان) بضم الواو .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاوداة او الاوداه : لغة طيء .

الوريث الوحيد

ويقولون : فلان هو الوريث الوحيد لعمه الثري . والصواب : هو الوارث الوحيد . وجمع وارث : وراث (بضم فتضعيف) وورثة (بفتح ففتح) .

وفعله : ورث يرث (بكسر الراء فيهما) ورثا (بكسر فسكون) ، ووراثة (بكسر الواو) ، واراثة (بكسر الهمزة) ورثة (بكسر الراء) وورثا (بفتح فسكون) ، وميراثا .

راجع الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

والآية ٨٥ من سورة الشعراء .

الايرادات والمصروفات

ويقولون : ايرادات الدولة ومصروفاتها . والصواب : دخل (بفتح فسكون) الدولة وخرجها ، أو : دخل الدولة ونفقاتها .

والايراد من سير الخيل : هو ما دون الجري (مجاز) .

والايراد : جعل الانسان يرد الماء ، او : احضاره الى مورد الماء.

وايراد الخبر : ذكره (مجاز) .

والشراب المصروف هو : الشراب الصرف ، أي : غير المزوج .

تورف الظلال

ويقولون : تورف الظلال في البساتين . أي : تتسع وتمتد .

والصواب : ترف (بفتح فكسر) الظلال في البساتين ، لان الفعل ورف (بفتح الراء) مثال (فعل ثلاثي أوله حرف علة) واوي ، مضارعة مكسور العين ، لذا تحذف واوه في المضارع للتخفيف .

وهذا يشمل كل فعل مثال واوي من باب ضرب (مفتوح العين في الماضي مكسورها في المضارع) ، وباب حسب (مكسور العين في الماضي والمضارع) ، مثل :

وأد يئد من باب (ضرب) .

ووثق يثق من باب (حسب) .

وقد وجدت ان معظم الافعال الثلاثية ، التي اولها واو ، هي من باب (ضرب) .

أما الافعال من الابواب الاربعة الاخرى ، فان الواو فيها تظهر في المضارع ، مثل :

وجل (بكسر الجيم) يوجل (بفتح فسكون ففتح) ومعناه : خاف

وسخ (بكسر السين) يوسخ (بفتح فسكون ففتح) .

من باب علم (بكسر اللام) يعلم (بفتح اللام) .

وضع (بضم الضاد) يوضع (بفتح فسكون فضم) ومعناه : كان وضيعا خسيسا .

وشك (بضم الشين) الامر ، يوشك (بفتح فسكون فضم) ومعناه : سرع .

من باب كرم (بضم الراء) يكرم (بضم الراء) .

وقد شذت الافعال الآتية :

يضع ويهب ويقع ويدع (مفتوحة العين في الماضي والمضارع) ، ووطىء يطأ (مكسور العين في الماضي ، مفتوحها في المضارع) .

وهنالك افعال ثلاثية ، يكون واحدها من بابين مختلفين ، لذا يختلف المضارع فيها ، فالفعل :

وضح الكلام يضح (بان وانجلى) هو من باب : ضرب يضرب .

والفعل وضح يوضح (اصيب بالوضح ، أي : البرص) هو من باب : علم يعلم .

والفعل وله يله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هو من باب : ضرب يضرب .

والفعل وله يله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هو من باب : حسب يحسب .

والفعل وله يوله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هو من باب : علم يعلم .

جاء في الآية ٦٢ من سورة الاحزاب قوله تعالى : « ولن تجد لسنة (بكسر فضم فتضعيف فكسر) الله تبديلا » : الفعل (وجد يجد) من باب : ضرب يضرب .

وجاء في الآية ٥٣ من سورة الحجر قوله تعالى : « قالوا لا توجل (بفتح فسكون ففتح فسكون) ، انا نبشرك بغلام حليم » . (وجل يوجل) من باب : علم يعلم .

ظل وريف

ويقولون : ظل وريف (بفتح فكسر) . والصواب : ظل وارف . اما كلمة (وريف) فهي أحد مصدري الفعل : ورف (بفتح الراء) الظل يرف (بكسر الراء) ورفا (بفتح فسكون) ، ووريفا ، أي : اتسع .

وورف (بفتح الراء) النبت والشجر يرف (بكسر الراء) ورفا (بفتح فسكون) وورفا (بفتح ففتح) ، ووريفا ، ووروفا : تنعم واهتز ، ورأيت لخضرته بهجة من ربه ونعمته ، وهو وارف ، أي : ناضر رفاف (بتضعيف الفاء الاولى) شديد الخضرة .

قال ابو منصور : وهما لغتان ، رف يرف (بكسر الراء) ، وورف (بفتح الراء) يرف (بكسرها) ، وهو الرفيف والوريف ، وورف الظل : اتسع .

وقال ابن الاعرابي : أورف الظل وورف (بفتح الراء) ووورف (بتضعيف الدال وفتحها) : اذا طال وامتدت ، والظل وارف ، أي : واسع ممتد .

وركه الايسر

ويقولون : كسر وركه الايسر . والصواب : كسرت وركه (بكسر فسكون) اليسرى ، او وركه (بفتح فكسر) ، او وركه (بفتح فسكون) ، لان الورك مؤنثة . وجمعها : اوراك .

والورك : ما فوق الفخذ ، كالكتف فوق العضد .

الوز

ويخطئون من يقول : وز (بفتح فتضعيف) بدلا من اوز (بكسر ففتح فتضعيف) . وكلا الجمعين صحيح ، وأنا أوثر استعمال الجمع (وز) ، لانه ينقص حرفا عن (اوز) ، ولان العامة تستعمله .

لا يوازي شيئا

ويقولون : هذا لا يوازي شيئا . والصواب : لا يساوي شيئا ، لان (وازى) معناه : حاذى وجارى وقابل . وربما ابدلت الواو همزة ، فقيل : آزاه .

موصود

ويقولون : الباب موصود . والصواب : الباب موصد (بضم الميم وفتح الصاد) ، أي : مغلق ، لان فعله هو (اوصد) وليس (وصد) الذي يعني :

١ ـ وصد (بفتح الصاد) النساج يصد (بكسر الصاد) وصدا (بفتح فسكون) : نسج .

٢ ـ وصد النساج : أدخل بعض الخيوط في بعض .

٣ ـ وصد بالمكان : ثبت واقام ، فهو واصد .

محمد العدناني

ابن سلام يروي للمحدثين

بقلم جاسر ابو صفية

•

الذين كتبوا عن محمد بن سلام الجمحي وعن كتابه « طبقات الشعراء » وصفوه بأنه متعصب للقديم ، ولم يرو للمحدثين رغم معاصرته لبعضهم . ولا نريد هنا ان نستعرض اقوال النقاد الذين اطلقوا عليه هذا الوصف ، ويكفي ان نشير الى بعضهم .

فالدكتور محمد مندور في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » يشير الى تعصب ابن سلام للقديم لاعتماده الزمان في تقسيم الشعراء الى طبقات ، وعند حديثه عن ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ومخالفته للمقلدين من انصار القديم (١) ــ يعني ابن سلام ــ .

والدكتور محمد زغلول سلام يصرح بتعصب ابن سلام للقديم بقوله : « ولم يعتبر المحدثين في طبقاته بالرغم من انه عاصر جماعة من مشهوريهم » (٢) .

واما استاذنا الدكتور محمود السمرة في كتابه « القاضي الجرجاني » فيقول : « اما ابن سلام فتعصبه للقديم واضح في كتابه ، فهو قد قسم الشعراء الفحول في طبقات ، دون ان يشير الى المحدثين مع انه عاصر بعضهم » (٣) .

والدكتور علي جواد الطاهر يقول: « وكنا نود ــ نود فقط ــ لو تعداهم (يقصد القدماء) فاتخذ لابناء عصره من شعراء القرن العباسي الاول مقعدا ، ولكن للرجل عقليته ولعمله مسوغاته ، ولكتابه ظروفه » (٤) .

هذه التهمة التي علقت بابن سلام ، وما زالت ، انطلقت من دراسة النقاد لكتاب ابن سلام وحده ، ودون الرجوع الى بقية الكتب التي روت روايات عن ابن سلام لم تثبت في « الطبقات » ، وهذا الكتاب الذي الفه ابن سلام لم يجزم للآن بأنه كتاب واحد بمقدمة واحدة ، وذلك لما حدث في هذه المقدمة من اضطراب ، واختلاف مقدمة طبعة دار المعارف عن مقدمة طبعة مطبعة السعادة.

ورغم هذا الخلاف فانه من الجور ، والبعد عن المنهج العلمي ان نصدر حكما على ناقد كابن سلام من خلال عمل واحد له ، دون ان نستقرىء الكتب القديمة بحثا عن روايات تشير الى مؤلفات ابن سلام ، او روايات عن المحدثين . وهذا ما وجدت بعضه في « الاغاني » (٥) .

وقبل ان ننطلق لاستقراء الكتب ، نود ان نشير الى قضية مهمة في النقد لها صلة كبيرة بموضوع حديثنا ، تلك هي قضية الصراع بين القديم والمحدث ، وموقف النقاد والدارسين من هذه القضية ، فنراهم يقفون موقفين متعارضين : فريق يناصر القديم ويقدسه لقدمه، وفريق يطالب بالقاء الضوء على هذا القديم لغربلته . ولسنا هنا بصدد بحث هذه القضية واستعراض الموقفين ، وانما نحن بصدد ابن سلام ومحاولة اثبات روايته للمحدثين ، ونفي التهمة بالتعصب للقديم عنه .

وابن سلام من النوع الثاني من النقاد الذين نظروا الى القديم نظرة علمية خالصة ، وطالب بالقاء الضوء على هذا القديم ليستخلص منه الجيد وينبذ الرديء ، واتضح ذلك جليا في نظريته « النحل » التي شك فيها في كثير من الشعر ، وساق الادلة النقلية والعقلية على ذلك انزيف . وكانت ابرز نظرية في كتابه . وحظيت بدراسة مستفيضة من الدارسين المحدثين .

ولو تساءلنا : هل من العدل ان نطلق على رجل يريد تطبيق المنهج العلمي على القديم ويشك فيه ، هذا الوصف الذي دفعه طوال هذه السنين ؟ لا اظن انه يستحق مثل هذا اللقب ، فلو كان متعصبا للقديم ، فهو سيتقبل القديم بما فيه من حسنات وسيئات دون محاولة منه لنظر فيه او شك .

ولعل الذين وصفوه بهذا الوصف من الدارسين المحدثين اعتمدوا في حكمهم على تقسيم ابن سلام الشعراء الى طبقات باعتبار الزمن في الدرجة الاولى ، وقسمهم الى جاهليين واسلاميين ومخضرمين . ولكن ابن سلام يرد عليهم بالغائه عنصر الزمن فيقول : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على اربعين شاعرا ، فألفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات » (٦) .

فهو اذن قد الغى المخضرمين وطبقاتهم ، فنراه في الكتاب يتحدث في الطبقة الواحدة عن شاعر جاهلي الى جانب مخضرم ، او عن اسلامي الى جانب مخضرم دون مراعاة للزمن .

بعد هذا سننطلق لاستقراء الكتب ، ثم نحكم عليه بالتعصب القديم او ببراءته . فتتبعناه في « الاغاني » ورأيناه يروي لشعراء محدثين عاصروه وانشدوه شعرهم. اما لماذا لم يرد ذلك في الطبقات ؟ فذلك مرده ــ في الغالب ــ الى ضياع كثير من اوراق الطبقات ، ومن مؤلفات ابن سلام ، والا فكيف يسقط شاعر مثل عمر ابن ابي ربيعة ، مع ان ابن سلام روى له في غير الطبقات (٧) ، ويعتبره النقاد ممن يحتج بشعرهم ؟ ويبقى السؤال معلقا حتى تكتشف مؤلفات ابن سلام الاخرى ، او تظهر حقيقة « الطبقات » .

ونبدأ ببشار بن برد ــ استاذ المحدثين ــ على رأي صاحب الموشح .

يروي صاحب الاغاني رواية عن محمد بن سلام في تفسير « المرعث » قال : « بشار المرعث هو بشار بن

برد ، وانما سمي المرعث » لقوله : (٨)

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت : أو يغلب القدر
أنت ان رمت وصلنا فانج ، هل تدرك القمر

ثم يورد ابن سلام رواية اخرى في تفسير (المرعث) (٩) . وهي طريقة ابن سلام في طبقاته وان اختلف الراوية .

وفي « الاغاني » روايات أخرى برواية ابن سلام عن بشار منها : مفاخرة جرير وبشار (١٠) . وهجاء بشار لهلال بن عطية (١١) . وهجاء بشار لرجل سبه عند الامير محمد بن سليمان (١٢) ، وهي رواية طويلة لا يستحسن ايرادها لما فيها من الفاظ بذيئة . ورواية اخرى تحتوي على الفاظ نابية في هجاء رجل شريف من بني زيد (١٣) .

وعن محمد بن سلام قال : قال يونس النحوي : « العجب من الازد ، يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم ! ـ يعني بشارا ـ ويقول :

« الا يا صنم الازد الذي يدعونه ربا »
الا يبعثون اليه من يفتق بطنه ؟ » (١٤) .

ويونس هذا من اهم الرواة الذين اخذ عنهم ابن سلام في الطبقات .

ونجد ابن سلام يروي خبرا عن نسب ابي العتاهية، وهو خبر مجرد من الشعر ، يقول : « وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر ان اصلهم من عنزة ، وان جدهم كيسان كان من أهل عين التمر ... الخ الرواية » . (١٥)

ويوغل ابن سلام في العصر العباسي ليروي قصة عن مروان بن أبي حفصة المعاصر للمهدي الخليفة ، والرواية يستقيها ابن سلام عن الاصمعي يقول : « جاء مروان بن أبي حفصة الى حلقة يونس فسلم ثم قال : ايكم يونس ؟ فأومأنا اليه ، فقال له : أصلحك الله ، اني أرى قوما يقولون الشعر ، لان يكشف احدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق احسن له من ان يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعرا اعرضه عليك ، فان كان جيدا اظهرته ، وان كان رديئا سترته ، فأنشده قوله :

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها

فقال له : يونس : يا هذا اذهب فاظهر هذا الشعر، فأنت والله أشعر من الاعشى في قوله :

« رحلت سمية غدوة اجمالها »

فقال له مروان : سررتني وسؤتني ، فأما الذي سرني فارتضاؤك الشعر ، واما الذي ساءني فتقديمك اياي على الاعشى ، وانت تعرف محله . فقال له : انما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في الشعر كله ، لانه قال فيها :

« فأصاب حبة قلبها وطحالها »

والطحال لا يدخل في شيء الا افسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه » (١٦) .

وسنعرض عما في النص من نظرات نقدية كانت سائدة آنذاك ، لاننا في مجال استعراض شعراء محدثين روى لهم ابن سلام ، فالرواية هنا عن الاصمعي ، المصدر الثقة عند ابن سلام ، وهي عن شعر مروان بن أبي حفصة الشاعر العباسي المحدث الذي ترجم له ابن المعتز في طبقاته .

وعن مروان بن أبي حفصة هذا يثبت المرزباني رواية عن ابن سلام عن أبيه ، تتعلق برأي مروان في شعر جرير والفرزدق وكثير عزة (١٧) .

وهذا زند بن الجون (ابو دلامة) المعاصر للمهدي كذلك ، يروي عنه ابن سلام رواية عن علي بن اسماعيل يجمع فيها أبا دلامة والسيد الحميري ، وهما من شعراء بني العباس ، يقول علي بن اسماعيل : « كنت أسقي أبا دلامة والسيد الحميري ، اذ خرجت بنت لابي دلامة، فقال فيها أبو دلامة : (١٨)

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا ربـاك لقمان الحكيم

وقال : أجز يا أبا هاشم ، فقال السيد :

ولكن قد تضمك أم سوء الى لباتها ، وأب لئيم

ولم يقف ابن سلام عند الرواية عن رواة ثقات كالاصمعي ويونس ، بل يتعدى ذلك الى الاخذ مشافهة عمن عاصره من الشعراء المحدثين ، فيروي لهم شعرهم واخبارهم ، من ذلك ما اورده صاحب « الاغاني » في اخبار الشاعر البصري الظريف الحكم بن قنبر المازني ، وابن قنبر هذا كان مهاجيا لمسلم بن الوليد الانصاري (صريع الغواني) . ولمسلم قصائد يهجو فيها ابن قنبر مثبتة في ديوانه (١٩) . ومسلم من كبار المحدثين .

قال ابن سلام : انشدني ابن قنبر لنفسه : (٢٠)

ويلي على من أطار النوم وامتنعا وزاد قلبي على اوجاعه وجعا

(١) ص ١٢ ، ٢٢ ، (٢) تاريخ النقد العربي ١ ـ ٦٣ ، (٣) ص ١٢٣ ، (٤) مجلة الاديب جزء ٥ سنة ٢٦ـ مايو ١٩٦٧م ص ٥ حاشية، (٥) اشارة الى طبقات الفرسان ، واشارة الى مؤلف لابن سلام عن الغناء والمغنين ، (٦) الطبقات ص ٢٢ ، (٧) الاغاني ـ مصورة عن دار الكتب ، ١ ـ ٧١ ـ ٧٢ ، ١٠٨ ، ١٦٦ الموشح المرزباني ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، (٨) اغاني ٣ ـ ١٤٠ مصورة عن طبعة دار الكتب (٩) اغاني ٣ ـ ١٤٠ ، (١٠) اغاني ٣ ـ ١٥٣ ، (١١) اغاني ٣ ـ ١٦٨، (١٢) اغاني ٣ ـ ١٩١ ، (١٣) اغاني ٣ ـ ٢٠٣ (١٤) اغاني ٣ ـ ٢١١ ، (١٥) الاغاني ـ اخبار ابي العتاهية ٤ ـ ٣ ، (١٦) اغاني ١٠ ـ ٨٢ ، (١٧) الموشح ص ٢٢٨ ـ طبعة دار نهضة مصر تحقيق علي البجاوي ، (١٨) اغاني ١٠ ـ ٢٣٩ ، (١٩) ديوان صريع الغواني ـ تحقيق د. سامي الدهان (ص ١٣٩ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٣ وغيرها) ، (٢٠) اغاني ١٤ ـ ١٦٤ ، (٢١) اغاني ١٤ ـ ١٦٥ ، (٢٢) اغاني ١٤ ـ ١٦٥ ، (٢٣) اغاني ١٤ ـ ١٦٨ ، (٢٤) اغاني ١٥ ـ ٢٩ ، (٢٥) اغاني ١٦ ـ ٣٠٧ .

ملحوظة : اعتمدنا الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب لكتاب « الاغاني » وطبعة دار نهضة مصر ـ تحقيق علي البجاوي لكتاب « الموشح » .

حيرة

غادرة يا دنيا غادرة
بالناس ماذا تفعلين ..
سراب من حلو الحياة ما تقدمين ..
ثم تسقينهم كأس العذاب
أياما وسنين ..
الى أي مصير تقودينهم
وبهم ماذا تريدين ..
تكلمي .. تكلمي
ولكنك للاسف لا تسمعين ..
لا تأبين بصراخ الضعاف
برحمتك يستنجدون ..
وكأنك لا تسمعين ..
وانت يا نفسي المعذبة ، ماذا تريدين ؟
أتأملين في العيش السعيد ؟
أتبغين من العذاب المزيد ؟
ماذا تخفين وراء ضحكاتك من سر دفين ؟
يا لنفسي الضائعة
تبحث عن ذاتها منذ سنين ..
ولكن هل يمكن حقا
تحقيق الذي به تحلمين ؟
مهلا نفسي .. مهلا ..
ولوذي بالصبر ولو الى حين ..

القاهرة — مها امين

ظبي اغر ترى في وجهه سرجا ... تعشى العيون اذا ما نوره سطعا
كانما الشمس في اثوابه بزغت ... حسنا ، او البدر في اردانه طلعا
فقد نسيت الكرى من طول ماعطلت ... منه الجفون، وطارت مهجتي قطعا

وقال ابن سلام : ثم قال ابن قنبر : « لقيتني جوار من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

« ويلي على من أطار النوم وامتنعا » ؟

فقلت : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السمج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبنني ويلهون بي حتى اخرجنني من ثيابي ، فرجعت عاريا الى منزلي . قال ابن سلام وكان حسن اللباس » (٢١) .

وقال ابن سلام : انشدني ابن قنبر لنفسه : (٢٢)

صرمتني ثم لا كلمتني ابدا ... ان كنت خنتك في حال من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جرت خطرة منه على بالي

قال ابن سلام : « فقلت له وانا اضحك : يا هذا لقد بالغت في اليمين . فقال : هي عندي كذلك ، وان لم تكن عندك كما هي عندي » .

ثم يروي لنا ابن سلام بعد ذلك رواية عن مرض ابن قنبر وموته ، فيقول : « مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه :

ولقد قلت لاهلي ... اذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب ... للذي بي بطبيب
انما يعرف دائي ... من به مثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالما بمرضه ، فنظر الى مائه فقال : زعم جالينوس ان صاحب هذه العلة اذا صار ماؤه هكذا لم يعش . فقيل له : ان جالينوس ربما أخطأ، فقال : ما كنت الى خطئه احوج مني اليه في هذا الوقت. قال ومات من علته » (٢٣) .

ونقرأ الابيات التالية لشاعر معاصر لابي جعفر المنصور هو عبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير يخاطب فيها أبا جعفر ، ويدعوه لسماع مغنية . وهذه الرواية تدخل ضمن ما الفه ابن سلام عن المغنين والغناء ، وانما اوردناها لورود اسم الشاعر المحدث فيها .

يقول عبد الله بن مصعب مخاطبا المنصور بعد رجوعه من الحج ومروره بالمدينة : (٢٤)

أراحل انت ابا جعفر ... من قبل ان تسمع من بصبصا
هيهات ان تسمع منها اذا ... جاوزت العيس بك الاعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة ... ومجلسا من قبل ان تشخصا
احلف بالله يمينا ومن ... يحلف بالله فقد اخلصا
لو انها تدعو الى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

« فبلغت الابيات ابا جعفر ، فغضب فدعا به ، فقال : أما انكم يا آل الزبير قديما ما قادتكم الا النساء ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرت انت آخر الحمقى تبايع المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم» .

ونحن نقلنا هذه الرواية على علاتها بما قد يكون فيها من زيف وتجريح ، لاننا — كما قلت — لا نناقش مضمون النص ، او نعلق عليه ، وانما هي رواية من روايات ابن سلام .

واخيرا نرى ابن سلام يروي لشاعر عاش في الدولتين : الاموية والعباسية ، وهو أبو حية النميري المشهور بالجبن وادعاء الشجاعة . (٢٥)

بعد هذا الاستعراض لما ورد في « الاغاني » و « الموشح » من روايات ابن سلام عن الشعراء المحدثين، نقول : هل يبقى لدينا ولدى الدارسين شك في ان ابن سلام برواياته هذه ينفي التهمة عن نفسه ، ويرد على الذين وصفوه بالتعصب للقديم ظلما ؟ أم تبقى التهمة لاصقة به حتى يبعث فيكتب لنا كتابا عن طبقات الشعراء المحدثين ؟.

الزرقاء — الاردن — جاسر ابو صفية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظل الشجرة العارية

بقلم عبد الرحمن البيك



كانت المحادثة التي تجري بين صاحب مكتب الوساطة لتسيير المعاملات العقارية ، واحد الزبائن ، تبلغ مسامع هلال ، من خلال فرجة باب الغرفة ، وكان هلال ، يصغي الى ذلك الحوار الذي يدور داخل الغرفة ووجهه منقبض .

سمع معلمه يقول للزبون :

ـ ارجوك يا حاج زاهد، لنصرف النظر عن الحديث بموضوعه ..

ورد الزبون :

ـ هل اعلم من ذلك انك مصمم على تسريحه يا ابا نعيم وهو اب لخمسة اولاد .

اجاب ابو نعيم :

ـ انت ترى انني مضطر الى ذلك ، يا حاج زاهد ، اذ لم يعد بوسعي ابقاءه في هذا المكتب ، فالظروف تغيرت ، ولم يعد هناك اعمال تحتاج الى وجود مساعد ...

ـ انت بذلك تذكرني بامرأة اوصتني ان اتدبر امر رهن عقارها على ستة آلاف ليرة سورية هل من مرتهن لديك ؟..

ـ حبذا !! لقد مضى شهر ونحن قاعدون ، لا زبون ، ولا حتى هاتف من احد .

عرف هلال ، اثر سماعه هذه المحادثة ، ان معلمه مصر على تسريحه ، وتصور ان معلمه هذا يتحين فرصة ما ، او ينتظر وقوع هفوة منه ، ليصارحه برغبة صرفه من العمل . لهذا دنا من المشجب وتناول معطفه ولفته الصوفية وازمع مغادرة المكتب ، دون كلمة وداع ، وكانت الدموع قد اخذت تترقرق في عينيه ، فهو يغادر هذا المكتب ، بعد ان امضى فيه عشرين سنة يستقبل الزبائن ، ويقرب وجهات النظر ويهيىء المعاملات ، ويحسب الرسوم ويدفع الايصالات دون ان يثقل على معلمه عبء المراجعة وغلظة المراجعين .

تذكر هلال ، وهو يزمع مغادرة هذا المكتب ، انه عاش فيه حقبة من الزمن ، عيشا هنيئا ، وتمكن بفضل ما ادخر من ارباح ان يتزوج وينجب ، وهو من اجل المحافظة على سمعة المكتب وحسن سير العمل فيه لم يستعمل الا اجازة صيفية واحدة منذ عشر سنوات ، سافر خلالها الى دريكيش ، وتنقل بين احضان الجبال ، ثم عاد الى هذا المكتب الذي يغادره الآن في ظروف صعبة ، دون ان يقول لصاحبه اية كلمة وداع ...

رن الجرس ، فلم يكترث هلال لامره ، انه لاول مرة لا يلبي نداء معلمه .. ولكن الجرس تواصل .. وعند ذلك لوى هلال راسه ، ثم دخل الغرفة وهو منطو على نفسه.

حدجه المدير بنظرة استغراب ، ثم سأله :

ـ ماذا تريد ان تفعل يا هلال ، ارى وكأنك مزمع مغادرة المكتب ..

اجاب هلال ، بصوت خافت :

ـ لا ... ولكنني مريض ... وربما استأذنتك في ان اذهب الى البيت لاغطس رجلي بالماء الساخن.

تأوه الحاج زاهد الذي ركز انظاره على هلال ، متألما للمصير الذي ينتظره ، وكذلك فقد استحوذت على صاحب المكتب ، عاطفة الشفقة ، فلم يجد الجراة الكافية لابلاغ هلال الامر الذي عزم عليه ، فقال له :

ـ لقد دعوتك من اجل تحضير فنجاني قهوة ...

اجابه هلال ، دون مراعاة لاصول اللباقة :

ـ ولكن انت تعلم انه ليس عندنا قهوة منذ عشرة ايام .

وضرب صاحب المكتب قبضته على الطاولة وهو يقول في غضب :

ـ هلال ... كيف تقول هذا .. الا تستحي ، هل من الادب ان تبوح بفقدان القهوة امام الزبائن ... انت مسؤول عن ذلك ، ثم انك توانيت عن هذه المدفأة وقد كان في مقدورك اصلاحها بنفسك ... انت اصبحت عبئا لا يحتمل ...

واستدار صاحب المكتب نحو الحاج زاهد وهو يخاطبه :

ـ الم اقل لك انه اصبح عديم الجدوى ... الا ترى معي ان توانيه عن اعداد المدفأة يوجب تسريحه .

قال هلال :

ـ ما علاقة رغبتك في تسريحي بتصليح المدفأة ، انت تعلم ان تصليحها امر لا استطيعه ، ثم انه لا يدخل ضمن اختصاص عملي .

ـ ما هذا الامر الخارق الذي لا تستطيعه ... هل يعجزك امر فحص المدخنة ، او حك قعر الوجاق ...

وتدخل الحاج زاهد ، مقاطعا صاحب المكتب :

ـ الامر لا يحتاج الى مثل هذه الانفعالات .. انني سامضي الآن وارجو ان تجدا حلولا مناسبة لسوء التفاهم المستحكم بينكما ...

وامسك الحاج زاهد عن الكلام ، ثم عاد وسأل صاحب المكتب :

ـ وبعد ... هل تفضل ان آتيك بحبل أم برجل ...

فقال له صاحب المكتب :

ـ ايهما انفع ، الحبل ام الرجل ؟...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الحبل طبعا ، فهو يساعدك في فحص المدخنة دون اية كلفة .. يكفي ان تدلي الحبل المثقل بيد هاون في المدخنة حتى تزول تكتلات هباب المازوت وهذه عملية سهلة .

ـ اذن اوصلني بحبل ارجوك..

غادر الحاج زاهد المكتب ، ووجد هلال نفسه وجها لوجه مع معلمه الذي يريد صرفه من الخدمة .

وبعد فترة من الوجوم الثقيل ، سأل هلال معلمه :

ـ هل تريد شيئا آخر ...

ـ وماذا طلبت منك امرا حتى تسألني المزيد ؟..

ـ هل انصرف اذن ...

تردد صاحب المكتب ، ثم اطرق ... وقال بعد تفكير عميق :

ـ كلا ... انني في واقع الامر لا اريدك ان تنصرف ... ولكن قل لي ، اذا ما انصرفت ماذا بوسعك ان تعمل او بعبارة اخرى كيف ستعيش ..

ـ الله يرزقني ... لذلك لا استطيع ابلاغك كيف ساعيش ..

ـ هلال ، انا احبك وانت تعرف ذلك ، ولكن الظروف قاسية .

اتجه هلال صوب المدفأة ثم القى فيها عود ثقاب ، بينما اردف معلمه قائلا :

ـ ماذا تفعل يا هلال ؟..

ـ سأحاول اشعال المدفأة .

ـ ولكن انت تعلم ان ذلك مستحيل ... الم تحاول قبل هذه المرة .

ـ لنجرب مرة اخرى ..

ـ هذه تجربة غير مفيدة ، فكم من مرة سألتك ان تلقي في المدخنة شيئا ثقيلا او تدلي حبلا كما اقترح الحاج زاهد ...

ـ انك تعلم انني في السنة الماضية احضرت حبل غسيل بيتي وادليت بيد هاون فانفتحت المدخنة، وظهر في داخلها عش فيه عصفور محروق .

ـ تريد ان تقول بانك لن تتبرع بحبل الغسيل مرة اخرى ..

اشتعلت المدفأة بصعوبة ، حتى ظن ابو نعيم بانها تريد مسايرة الظروف القاسية التي يمر بها المكتب ، وهي على وشك ان تعمل، الا ان اشتعالها لم يكن سويا ، فاللهب يتجمع فيها ولا يجد لنفسه مسرى .

جلس الاثنان صامتين ، صاحب المكتب لا يقطع بامر صرف هلال من الخدمة ، وهلال لا يريد ان يغادر المكتب ، انما التصدع واقع ، في كل الحالات بينهما ، وليس هناك من يحاول رأبه ...

قال صاحب المكتب :

ـ الحقيقة انك تلبدت يا هلال.. وقلت حركتك ، في الماضي كنت تبذل



عبد الرحمن البيك

●

المساعي هنا وهناك ، وتحيي القضايا الميتة ، وتفتح امام المكتب موارد كثيرة للرزق ، اما الآن فانت عاجز حتى عن الكلام .

ـ يا معلمي ، الظروف كانت آنذاك ملائمة ... هل تريد مني الآن ان اطوف على الحوانيت والدور ، واسأل اصحابها ، هل من مرتهن ، هل من بائع .. هل من يقرض بالفائدة ...

قال المعلم مسلما ...

ـ صحيح ما تقوله يا هلال ، الظروف كانت وقتئذ ملائمة ، من اجل هذا لم يقع بيننا ما هو واقع الآن ، ومع ذلك فما علينا الآن الا ان نصرف عن اذهاننا الافكار السوداء ، سوف نبقى هنا سوية نترقب ، فعسى ان تتغير الاحوال وتتدفق علينا الارزاق ونضيق بالاعمال مرة اخرى .

تبسم هلال ... ثم نزع معطفه وغاب قليلا ثم حضر وبيده كأس من الماء ، طرح ما فيه على المدفأة المتعثرة ، فانطفأ لهيبها المكظوم بعد ان انبثقت عنها الابخرة .. وسأل المعلم :

ـ ماذا دهاك يا هلال ... ماذا تفعل ، هل جننت ؟.

وفيما كان هلال يترقب نتائج عمله اشتعلت المدفأة من تلقاء نفسها بعد ان احدثت انفجارا جعل صاحب المكتب يقفز عن الارض لشدة الرعشة التي اصابته ، في حين اكتظ جو الغرفة بادخنة المازوت ذات الرائحة الحادة ... واذ ذاك صدر عن المدفأة دوي اللهب الذي سرى في المجاوى بصورة طبيعية ..

عاد صاحب المكتب يتساءل ...

ـ ماذا جرى ... لماذا فعلت ذلك يا هلال ؟..

قال هلال :

ـ هذه طريقة، رخيصة يا معلمي من اجل تنظيف المدافيء ... الانفجار الذي حدث ازال الهباب العالق في مسامات الوجاق ، وكذلك وقع تأثير هذا الانفجار على المدخنة التي زال منها كل ما هو عالق بها .

سر صاحب المكتب من هلال ، وانشأ يصفق ، ثم اقبل نحوه وجعل يقبله وهو يقول :

ـ لن افكر بعد الآن بتسريحك.. اننا سنعيش معا هذه الضائقة مثلما عشنا سوية تلك الايام الهانئة ، انصرف الى شأنك يا هلال وترقب دخول الزبائن ... اننا في كل الحالات نعيش ...

حلب **عبد الرحمن البيك**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبهورة الاحداق

●

عدنان محمد الدرويش

●

بيروت ... :
مدينتي التي عشقت فيك روعة الطموح
عشقت قصة الخلود والحياة والعلاء
.. اعانق الفنـاء والضجر
كلما تعرت المدينة الجميلة
والثم النهاية المشؤومة الغبية
وارقب البـلاء والكدر :
اضيع في زحمة الناس في الشوارع
واشرب الضجيج والصخب
والعق الاضواء والدخان والصور .
.. مجنونـة الآفـاق ،
مبهورة الاحداق :
كانما قد خانها النظر :
بـيروت .. ،
مدينتي التي عزمت ان الجم الضياع في المباني
ان ازرع الازهار التي سقيتها الاغاني
واجمع الاضواء في افقها محطة
وجدت كـل شارع محطتي
وكل حي ومنزل وافق ..
لانها الاحداق مبهورة النظر
والموت والفراغ والضجر
يعانق الصباح والمساء والبشر

... وامسي الذي شيدت بالاماني
وافقي المنشود بالامانـي
تلاشت الاضواء في زحمة الثواني
وضاعت الاحـلام والصور ..
اصبحت في موجة الحياة والضياع والبشر
اهيم ليس لـي افق ..
بيروت يـا مدينتي
بالامس واليوم ، من يدري ، والغد
معانقي الفناء في شوارعك
مقبلي في القصور والبيوت والمباني
وحانـة الوجـود والضجر
اصبحت ملء الضياع والضياع والكدر
امست محطتي في معارض القدر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفن في المسرح التاريخي

بقلم عدنان بـن ذريل

* * *

الشاعر المسرحي الكبير عدنان مردم بـك شاعر سلفي محافظ على عمود الشعـر وديباجته ، يطيعهما اليـوم بنجاح كبير للشعر المسرحي ومتطلباته التقنية والفنيـة جميعا .. وذلك لانه في الاساس مجدد في سلفيته مبدع في فنه ، يعطي من اصالته وروحه ما هو بالفعل محـل التقدير ، لانه قيمة فنية في ذاتهـا ، ملؤهـا الحياة ، والرونق ..

ويمكننا حقا ان نعتبر المسرح الشعري عند عدنان مردم بك حلقة جديدة في تجربـة المدرسة السلفية فـي الشعر المسرحي العربي ، وهي المدرسة التـي اسسها خالد الذكر احمد شوقي امير الشعراء ، كما يعتبر عزيز اباظة ركنا فيها اصيلا .. ومع ذلك فان النتاج المسرحي يطور يوما اثر يوم في فنية هذه المدرسة ومفاهيمها ..

كان ابرز ما يميز المسرحيـة الشعرية عنـد امير الشعراء احمد شوقي موضوعها التاريخي الـذي كان يحافظ على تاريخيته يعرضها ويفندها ، بـل ان امير الشعراء احمد شوقي كان يحرص علـى تقصي ملابسات موضوعه التاريخي وظروفـه ولونياته المحليـة يثبتها ويصور بواسطتها العصر والمجتمع اللذين حصلت فيهما ، عسى ان يساعد ذلك علـى فهم نفسيـات الابطال او صراعاتها المختلفة ، كما نجـد ذلك في : مجنـون ليلى ، وعنترة ، ومصرع كليوباترة ، وعلي بك الكبير وغيرها ..

ولكن الموضوع التاريخي تزاحمه اليـوم في مسرح عدنان مردم بك ذهنية الفكرة التي لهذا الموضوع ، بحيث ان الدارس لهذا المسرح يجد ان مؤلفه لا يصرف عنايتـه الى تصوير العصر ، او المجتمع ، بقدر ما يصرفها الـى فكرة موضوعه بالذات ، او الى موضوعه كفكرة يعرضها ويدلل عليها ويفندها ...

بعبارة اخرى المسرح الشعري مع عدنان مردم بـك صار الى مفهوم فكرة انسانية تفند مـن خلال الموضوع المسرحي ككل ، بحيث تكون القصة ، او لنقل الحادثة في المسرح وسيلة الى الفكرة ، او اطارا لها ، وفي ذلك نقلـة الذهنية الصريحة التي لهذا المسرح الشعري ، والتـي تركت وراءها مسحة اللونيـات التاريخيـة والمحلية ، لتعتني على العكس بالصراع النفسي والذهني نفسه ..

وان الحالتين البارزتين اللتين لمسرحيـة : ـ غادة افاميا ـ ١٩٦٧ وهي في موضوعها مفتكرة ، متخيلة كلها ، او مسرحية : ـ رابعة العدوية ـ ١٩٧١ وموضوعها عتق رابعة في صباها الاول ، اي فترة قصيرة من سيرة هـذه الشخصية الانسانية الرائدة .. حالتان فريدتان في هذه الفنية المسرحية التي هي في الاساس فنيـة الذهنيـة الانسانية التي تطيع لها الموضوع ، والعمـل المسرحي جميعا ، من أجل عرض فكـرة او تفنيدها او التدليـل عليهـا ..

هناك حقا مسرحيات اخرى لعدنان مردم بك يسير الجانب التاريخي السردي فيها جنبا الـى جنب مـع التحليلات والتفنيدات الذهنيـة والنفسية مثـل : ـ العباسة ـ ١٩٦٨ ، و ـ الملكـة زنوبيـا ـ ١٩٦٩ و ـ الحلاج ـ ١٩٧٠ .. ولكـن الفن ظاهـر في هـذه المسرحيات ، وعلـى الخصوص في ذهنيتها الانسانية ، والتي تصطنع لها تفسيرا واحدا للاحداث ، بـل لنقل تصطنع موضوعا واحدا لعملها المسرحي تعرضه وتفنده ، يكون في مجموعه بمثابة وجهة نظر المؤلف واجتهاده ..

فمثلا مسرحيـة « العباسة » ادب سياسـي مئـة بالمئة ، هي من الفها الـى يائها تـدور حول الصراع السياسي بين الرشيد والبرامكة ، والذي يصوره المؤلف من خلال الشخصيات ، ومواقفها منه ، بما فيها العباسة اخت الرشيد ، والتي يجعلهـا المؤلف في صف زوجها جعفر ، وكذلك الحال في « الملكة زنوبيا » ، فهي تمـزج الجانب السياسي والاجتماعي بذهنية الفداء ، والـذي يبرر المؤلف بواسطته سلوك زنوبيـا ، اذ يجعلها المؤلف تسلم نفسها للاسر لتفتـدي شعبهـا ، وتقيه عوادي الكوارث ، علاوة على ان « الحلاج » ادب سياسي فـي الاساس ، تصور جرائر السياسة على روادها ، وهكذا دواليك ...

والشاعر عدنان مردم بك يعترف صراحة بهـذه الذهنية في مسرحه ، واثرها في فنه ، وموضوعاته علـى السواء ، يقول في مقدمـة « غـادة افاميا » وهي اولـى مسرحياته :

« ان الذي دفعني اليوم لاختيار طبـع مسرحية غادة بالذات دون غيرها من مسرحياتي كونها تدور حـول فكرة قومية وانسانيا معا » .. ثـم يقـول في موضوع مصدرها التاريخي :

« تشير المصادر الاغريقية ان افاميا خضعت للحكم اليوناني ، غير ان اساطير قليلـة تذكر انهـا خضعت للرومان ، وقد اخذت بهذا الزعم لما عرف عن الرومانيين من قسوة ، وحب للفتوح ، وتمجيد للواجب » .

ويقول في مقدمة الحلاج :

« حاولت في مسرحيتي هذه ان انصف الحلاج فيما له وما عليه دون تحيز ، وبينت ان سبب قتل الحـلاج يرجع الى اسباب سياسية بحتة ، فقد كان ثائرا عـلى نظم مجتمعه ، وكان على اتصال بالقرامطة ..

ثم يقول « .. انشد في مسرحيتي هـذه ، الحقيقة التي ينشدها كل منصف ، كما اتوخى الجمال الفني في الكشف عن ادق المشاعر النفسية والانسانية » ..

ويقول في مقدمة رابعة العدوية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« اخترت حقبة من حياتها . مادة لمسرحيتي ، هي الفترة الاولى من شبابها ، حين كانت رقيقة ، لابين مأساة حياة الرق ، تلك المأساة البشعة التي لم يخل من عارها عصر » .

ثم يقول : « .. احببت أن اقدم للناس شيئا من أريج روحانية رابعة ، وكم نحن اليوم بحاجة الى مثل هذا الحب السامي ، بعد ان انهارت المفاهيم الاخلاقية ، وطغت المادة على الروح » .

هذه الامثلة المختارة شواهد قيمة على الذهنية التي في أساس الفن المسرحي عند عدنان مردم بك ، وهي ذهنية ملتزمة وانسانية ..

يقول عدنان مردم بك في مقدمة غادة افاميا :

« اخترت مدينة افاميا مسرحا لابطالها ، لان افاميا قطعة من البلاد الشامية التي لي شرف الانتساب اليها ، يضاف الى ذلك ان فيها تصويرا لمشاهد طالما شاهدتها ايام طفولتي في دمشق وعشت معها حقبة طويلة ، حين كان الشعب السوري بمجموع طبقاته حربا على المستعمر ، فحاولت تسجيل هذه الحقبة تمجيدا لها وبعثا لماضيها المشرق الذي جمع أسمى المعاني الخيرة » .

ويقول في مقدمة الملكة زنوبيا :

« وخطر لي ان اجعل من تدمر تلك المدينة السورية التاريخية مسرحا لحوادث تاريخية عاشتها الملكة العظيمة زنوبيا ، لابعث تاريخا مشرقا من تاريخ بلادي » .

وهو دائما يؤكد كما راينا على الجانب الانساني في هذه الموضوعات التي يختارها لتخدم ذهنيته ، قال :

« وكنت أنحو في مسرحياتي الشعرية منحى التحليل النفسي ، واحل الفكرة موضع الصدارة » .

وهذا معناه ان اختيار الموضوعات واشخاصها خاضع لهذه الذهنية ، علاوة على ان تحريك الشخوص بالعمل المسرحي خاضع هو نفسه لها ، اذ يصير العمل المسرحي الى موضوع واحد ، يستقطب كافة التحليلات والتفنيدات ..

فاذا كنا ربحنا بالفعل من هذه الذهنية وحدة الموضوع ، أي نقل وحدة العمل المسرحي عند عدنان مردم بك ، وهو الامر البارز في تقنيته المسرحية ، فاننا نربح بها ايضا جهدا للتناسق الفني في بناء المسرحية الشعرية ..

ان وحدة العمل المسرحي هي بالفعل ابرز ما يميز مسرح عدنان مردم بك ، والذي يتحاشى التطويل او الاستطراد ، كما يتحاشى في الاساس الصور الجانبية عن عصر ما ، او مجتمع ما ليركز اهتمامه في عرض موضوعه وتفنيد فكرته ..

فاذا ذكرنا ان وحدة الزمان ووحدة المكان غير مرعيتين في مسرح مؤلفنا ـ أي كون الموضوع الواحد يتسلسل في مكان واحد ، او في اربع وعشرين ساعة ـ نرى لماذا يصير التناسق الفني ، او بالاحرى التنسيق الفني للبناء المسرحي تابعا لتقنية العمل المسرحي خادما لفكرته ..

ان من يتأمل البناء المسرحي عند عدنان مردم بك يجد المسرحية الواحدة مقسمة الى فصول ، والفصل يقسم احيانا الى قسمين ثم الى مشاهد ، الا ان مؤلفنا بفعل عنايته بالعمل المسرحي موضوعه وفكرته يصير الى تبديل المكان ، او تمديد الزمان كيفما شاء في هذه الفصول ، والمشاهد ..

ومن هنا تجد المكان منوعا عنده في المسرحية الواحدة ، بل في الفصل الواحد ، مثلا الطريق ، واستعماله شائع عنده ، او الدروس او غرف من الدور ، او القصور او ارجاء منها ، الحانة ، السجن ، المحكمة ، المذبح ، الخ .. في حين الزمان يطول ويقصر حسب الموضوع ، اشهر ، اعوام ، او اكثر ..

وعلى سبيل المثال نذكر ان العمل المسرحي في : « غادة افاميا » يجري على النحو التالي : الفصلان الاول والرابع يتسلسلان بمشاهدهما كافة في الزقاق ، بين السابلة والشعب ، والجنود ، في حين الفصلان الآخران الثاني والثالث ففي قصر الحاكم المغير ، او دار والد غادة ..

في حين في مسرحية : « الملكة زنوبيا » تتسلسل مشاهد الفصل الاول كلها في رواق قصر زنوبيا في تدمر ، ثم يجري القسم الاول من الفصل الثاني في دار همام ، والقسم الثاني في الشارع ، بين السابلة ، والشعب ، والجنود ايضا ، حتى نعود في الفصلين الاخيرين الى قصر زنوبيا وارجائه ..

وهكذا الحال في المسرحيات الاخرى ، فمثلا الحلاج ، يجري العمل المسرحي فيها في الشارع العام ، قرب نشز خارج بغداد ، هو نفسه مستهلك في المسرحية ، ثم في دار الحلاج او سجنه ، لنعود من جديد الى الزقاق والسابلة والشعب والجنود حتى نشاهد محاكمة الحلاج ، ويحكم عليه ..

او مسرحية رابعة التي تجري تارة في الحانة ، وتارة في دار ابن زياد ، او مسرحية العباسة التي تجري على شرفة القصر ، ثم في ابهاء قصري جعفر والرشيد ، وهكذا دواليك ...

الفكرة هنا بدون شك تمتلك هذا التنسيق ، من اجل اظهار حيثيات الموضوع ، وصراعاته ، لنقل حيثيات الفكرة وامكانياتها المسرحية ..

ويمكننا ان نسجل ان اصطناع الشخصيات ، والمواقف هو نفسه تابع لفكرة الموضوع يخدم ذهنية المسرحية في مسرح عدنان مردم بك ، كما هي الحال في ذلفاء المريدة التي تتوب على يد الحلاج ، وتظل في خدمته ، او رفقة رابعة في الحانة ، ومواقفهن الشقية في الزق ، او همام وزميله اللذين يصوران اثر الحرب على الشعب .. وغيرها ، مما سيكون لنا عود عليه .

دمشق **عدنان بن ذريل**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

يوسف خليل بيدس - معين بسيسو

كامل العسلي - خالد بعباع

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ يوسف خليل بيدس

قالت عنه احدى صحف بلجيكا « خلق الله النيل لمصر وبيدس للبنان» وذهبت مجلة « لايف » الاميركية الى القول « انه ذلك العبقري من القدس » فيوسف بيدس مهما قال عنه خصومه وحاسدوه هو حتما واحد من عباقرة المال والاعمال في الشرق العربي .

ولد « يوسف » في بيت المقدس في ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩١٢ ووالده الروائي الشهير خليل بيدس ، ودرس في مدرسة المطران بالقدس ومال بصغره الى درس الحساب والى مادة الرياضيات في دراسته الثانوية ، وبعد تخرجه عين موظفا في بنك باركليز بالقدس وبدأ العمل براتب قدره ثمانية جنيهات استرلينية في الشهر وسرعان ما تمرس بالاعمال المصرفية بسرعة لفتت اليه الانظار وجعلت ملفه الشخصي في بنك باركليز يضيء بالملاحظات الجيدة من قبل رؤسائه ، وتمكن وهو في الحادية والعشرين من عمره ان يصبح رئيسا لقسم التسليف ، وهي وظيفة كان من الصعب على المواطن العربي الفلسطيني ان يحصل عليها في ذلك الحين ، فلمع اسمه بين شبان القدس وسط اعجاب بكفاءاته وقدرته على حل المعضلات المصرفية والمالية .

قوبلت جهوده في بنك باركليز بالكثير من التقدير المعنوي وبالقليل من التقدير المادي فكان عليه ان يبحث عن طريق آخر اكثر سلامة ، وفي عام ١٩٤٣ انضم الى جهاز البنك العربي بالقدس واتيح له ان يحول الكثيرين من زبائن « باركليز » الى « البنك العربي » وظل يعمل في هذه المؤسسة العربية حتى نشوب الحرب العربية الفلسطينية عام ١٩٤٨ حيث لحق بافراد اسرته في بيروت مؤمنا باستحالة العودة الى القدس المحتلة .

وفي بيروت تطلع يوسف الى عمل يملأ به فراغه وجيبه فصارح بعض اخوانه الذين نزحوا عن فلسطين بقوله « ما دمنا نعيش هكذا فاننا لن نتخلص من الحلقة المفرغة التي ندور فيها لنشغل ادمغتنا قليلا ، باستطاعتنا ان نفعل شيئا . لو جمعنا ما تبقى معنا من مال واستلفنا فوقه نستطيع ان نؤسس مكتبا يتعاطى الاعمال المصرفية ، ويبدو لي ان هذه التجارة ستكون رائجة ! » .

اعجب الرفاق بالراي الذي ابداه يوسف وتم الاتفاق بينه وبينهم على تاسيس مكتب للصرافة اطلق عليه بيدس اسم « التجار العالميون» الذي اشتقت منه كلمة « انترا » وتمكن الرفاق من جمع مبلغ ١٢ الف ليرة لبنانية جعلوه رأسمال المكتب واختاروا مقرا له غرفة في بناية بيضون ، ساحة النجمة ، ببيروت . وفي حديث ادلى به يوسف بيدس لمجلة « لايف » الاميركية قال :

« ان التشغيل السريع للعملة ، حتى ولو كان الراس المال صغيرا يعطي ارباحا متواصلة » وبهذه الفلسفة تمكن بيدس من السير بمكتب « التجار العالميون » وكان مقود العمل في السوق المالية بيده ، وعمل بسرعة ومهارة عجيبتين واصبح حديث بيروت ، وتمكن خلال فترة وجيزة من اقامة علاقات وثيقة مع المصارف المحلية والاجنبية مما اكسبه ثقة الجميع ، وساعدته تجارة الاسهم والسندات والمضاربات في السوق المالية على زيادة رأس المال والارباح حتى تمكن تدريجيا خلال سنة واحدة من السيطرة على ٦٠٪ من السوق المالية اللبنانية الامر الذي دفعه الى زيادة رأسماله الى خمسة ملايين ليرة لبنانية .

ونتيجة لتدفق الرساميل الفلسطينية على لبنان وتقدر في حدود (١٥٠) مليون جنيه استرليني قرر بيدس تحويل شركته التجارية الى مصرف ، ولم يات عام ١٩٥١ حتى تمكن من المساهمة مع السيدين منير حداد ومنير ابي فاضل من الحصول على رخصة مصرف برأسمال اربعة ملايين ليرة لبنانية ما لبث ان زاد عام ١٩٥٣ الى ١٢ مليون ليرة لبنانية ثم الى ٣٠ مليون ليرة لبنانية واخيرا بلغ ٦٠ مليون ليرة لبنانية.

وكانما القدر كان على موعد مع يوسف فالتاميمات في البلاد العربية حول لبنان بدات تشتد عنفا في مصر وسورية والعراق ، وكان الرأسمال العربي المغترب عن بلده يبحث عمن يحس معه ويفهم عليه ، ويعيش قلقه وخوفه ، ومن كان في السوق مثل يوسف بيدس المغترب الفلسطيني يعرف كيف يفهم لغة كهذه فجند زملاءه وشركاءه في ادارة المصرف ، وكذلك مشاعره المرهفة ... وهو ينشد نفسه قول « شوقي » : « ان الحياة عقيدة وجهاد ! » .

ودبت عقارب الحسد في صدور بعض خصومه فشنوا عام ١٩٥٤ اول حملة صحافية ضد بنك انترا وضد بيدس شخصيا لكن مهاجميه لم يفلحوا قط في مواجهة ما ابداه من التحدي فخرج العبقري الفلسطيني سالم الرأس من هذه الازمة وواصل عملياته بحيوية ونشاط ، ومضى قدما حتى تجاوز الحد الذي وضعه لنفسه في البدء واستولى في بعض الحالات على شركات اجنبية كبرى ظلت حتى الآن مسيطرة على مؤسسات لبنانية شتى .

وجاء الهجوم الثاني سنة ١٩٦٢ وكان ايضا في صورة حملة صحافية استمرت شهورا عدة لكن بيدس العملاق خرج من هذه الازمة بسلام .

وفي عام ١٩٥٥ أسس فندقا ضخما بملايين الليرات ، وتبعه بعدة شركات عقارية ثم اشترى اسهم شركة بريطانية في شركة طيران الشرق الاوسط واتجه الى شراء الشركة المنافسة ايضا محاولا توحيد الشركتين بعد مفاوضات وصعوبات وعراقيل استمرت سنة كاملة ، ووضع خططا اخرى لبناء ثلاثة فنادق جديدة ، واشترى المطبعة الاميركية على طريق بيت مري طامحا الى تحويلها الى مؤسسة طباعة للمجلات العالمية والموسوعة البريطانية بالعربية والفارسية ولغات شرقية اخرى ، وخطط لتوسيع مدينة بيروت بردم جزء من البحر شمالي المدينة واسس استوديو للتصوير السينمائي واشترى قطعة كبيرة من الارض لبناء مجموعة استوديوهات وفنادق مؤلفة من شقق فخمة لنجوم السينما العالميين ، متخيلا انه بامكان لبنان ان يضم هوليود جديدة « حيث الطقس ملائم للتصوير طيلة ٣٢٠ يوما في السنة » وخطط للتعاقد مع كسب المخرجين والنجوم في العالم ، في الوقت الذي كان يحلم بالربح عن طريق حل مشكلة التفاح في لبنان بانشاء شركة مختلطة للتبريد والشروع في بناء براد كبير لها ما لبث بعد بدء العمل فيه ان توقف مع اندلاع الكارثة ، كما اسس البنك العقاري العربي وانشأ شركة ترميم وتصليح الطائرات ورافق ذلك كله احلام جسام بعضها لم يكن من نسج الخيال كانشاء مسمكات واسطول لصيد الاسماك وبناء مساكن شعبية رخيصة لذوي الدخل المحدود يدفعون قيمتها على اقساط بواسطة التسهيلات المصرفية التي كان « انترا » يوزعها ايضا في الداخل والخارج على مؤسسات لبنانية وعربية وعالمية .

ودع الناس عام ١٩٦٥ واستقبلوا العام الذي يليه فوجدوه عام

الحاجة المتزايدة الى السيولة المالية ، ناهيك عن توقف مؤسسات مالية عديدة ومؤسسات اقتصادية كبرى عن العمل ، وليس في الجو ما يشير الى ان اموالا جديدة ستتدفق على البلد خصوصا بعد ان وجد المتمولون مجالات جديدة لهم في اوروبا والولايات المتحدة ، ولقوا اغراءات في الخارج وفي طليعتها الفوائد المرتفعة ، وهنا تحرك الخصوم لتهديم « انترا » والاجهاز على بيدس فلفقوا التهم وحرضوا احد امراء البترول العرب على سحب عشرين مليون ليرة لبنانية في يوم واحد ... مما اصاب بيدسا ومعاونيه بالدهشة والحيرة والقلق خصوصا ان المنافسة على جذب الودائع بلغت اوجها صيف ١٩٦٦ بين المصارف اليابانية التي اجزلت العطاء في الفوائد المرتفعة .

وتتالت السحوبات من امراء البترول العرب لحساب المصارف الاجنبية ، وهنا أحس بيدس بالخطر فجال في اوروبا بحثا عن المال لتفادي الازمة وقصد نيويورك واجتمع الى ممولين كبار بينهم « لودفيغ » لكن مفاوضاتهم لم تؤد الى النتيجة التي كان يتوخاها .

وبينما كان بيدس يجول في اوروبا يجمع الرساميل ويقوم بالعمليات الكبيرة ومن بينها شراء قطعة ارض في الشانزليزه بباريس وشراء مصنع للفولاذ ، ليظهر مصرفه في وضع سليم ، طرق باب « البنك المركزي » في بيروت ليسلفه مبلغ ٣٢ مليون دولار ، فجاء الرد من عالم المال « ان بيدس في مازق » ووزعت آلاف النشرات على مودعي انترا تحثهم على سحب ودائعهم من « انترا المهزوز » ، وفي ١٥ تشرين الاول ١٩٦٦ توقف « انترا » عن الدفع نتيجة ازمة داخلية مفتعلة تهدف الى القضاء على « انترا » والقائمين على شؤونه .

وفي مدينة سان باولو بالبرازيل القت السلطات البرازيلية القبض على يوسف بطلب من السلطات اللبنانية واودعته السجن لكنه اصيب بذبحة قلبية وهو في سجنه نقل على اثرها الى احد مستشفيات المدينة . وعندما شفي من الذبحة غادر البرازيل الى باريس بجواز سفر مزور ومنها توجه الى سويسرا بنفس الجواز وبعد شهر اكتشفت السلطات السويسرية حقيقة امره فاوقف في مدينة لوسرن في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ بطريق المصادفة عندما ترك سيارته مضاءة الانوار امام مركز بوليس المدينة ، وهنا عرفه البوليس السويسري واعتقله لفترة وجيزة ثم ما لبث ان افرج عنه بعدما تبين له ان ملف استرداده الى لبنان جاء خلوا من المستندات القانونية الكافية وخصوصا ان الاطباء اكتشفوا انه يعاني من السرطان في البنكرياس فدخل المستشفى واجريت عليه عملية جراحية ، وبعد ان تماثل للشفاء جلس يكتب مذكراته ورسالته الى الشعب اللبناني ، كانما ادرك ان نهايته باتت قريبة فانجز كتابة رسالته ووصيته وختم كلا منهما بالشمع الاحمر .

وفي مدينة لوسرن السويسرية قال يوسف بيدس « انا لم اسرق، اخبروا المحكمة بهذا ... هنا اريد ان ادفن ... هنا وجدت الحرية الحقيقية ، هنا يحترمون الانسان ، نفسي تتوق الى الهدوء . ضعوني في حضن الطبيعة التي احببت خلال هذه الاشهر ، ليت القدس حرة لكنت اوصيتكم ان تنقلوا رفات امي وابي اليها وان تدفنوني الى جوارهما » وفي غرفة المستشفى ودع يوسف الحياة مسامحا الذين اساءوا اليه وللبنان والشرق العربي ، وتاركا قضيته في ذمة التاريخ وهو يقول « لن اعود (١) الى لبنان لتوضع الاصفاد بيدي ولكي يرموني في السجن دون محاكمة ، ولكي يسكنوني الى الابد ، ان اعدائي هناك بامكانهم ان يقتالوني » .

وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ ودع بيدس شهيد النجاح هذا العالم الفاني ، الى العالم الثاني وزوادته عوامل نجاحه وهي : الطموح والحلم والمغامرة والسفر ودفن في مدينة لوسرن السويسرية .

نموذج من نثره : « لقد (٢) راودتني رؤيا مجد لبنان : هذه الامة الصغيرة التي شعبها في الماضي اقدم على نهج من المغامرة لا يقل في دلالته عما حققه اولئك المكتشفون الذين دانت لهم قارات جديدة ، والتي حقق شعبها اليوم انجازات كبيرة مماثلة في عالم التجارة في كثير من القارات ، ولم تعوزه سوى القوة الدافعة من ارض الوطن .

لقد بدأت هذه الرؤيا تراودني قبل عشرين عاما عندما فقدت بيتي وموطني واستدرت نحو وطن امي وزوجتي ، يحفزني حلم لذيذ بان اساهم في خلق مثل هذه القوة الدافعة ، فاغرس حبة يغذيها الآخرون ويرعونها . وبدأت جادا ، وسرعان ما اصبح وطن اقاربي هو وطني ايضا . لقد اثر في نفسي ما لقيت من مودة وضيافة ، فارتبطت بارضه وبشعبه وباسلوب حياته ، وعندئذ اتخذت آمالي واحلامي منعطفا اكثر طموحا . وبرغم ان راحتي الشخصية ونجاحي الخاص كفرد كانا جزءا لا يتجزأ من عملي ، فان هذا الاعتبار اخذ يتلاشى من خاطري حيال سعيي الذي استولى على كل كياني في سبيل ان ادعم شعور العالم الخارجي بوجود لبنان ، وان اكفل لامتنا رخاء يستند الى معرفة فذة بالتجارة والى انجازات مدعومة في كل ميدان .

لقد تركت فلسطين بعقيدة ثابتة فحواها ان العامل الاكبر وراء ضياع فلسطين كان عدم مقدرتنا على استخدام امكاناتنا في القطاعين المالي والسياسي على السواء ، وان الجهد السياسي يتطلب تركيزا اكبر على توسيع نطاق معرفتنا وثقافتنا الى ما هو ابعد من حدود الماضي الضيقة . لقد كان لاعدائنا من قوة المال ودقة تنظيم الجهاز ما لم يكن في طاقتنا مباراته . ولقد حلمت بلبنان مالكا لناصية قوة مشابهة ، ولم ار ما يحول ، بفضل مثابرة شعبه ، دون ان يضع حجر الاساس ، على الاقل ، لمثل هذا البناء . وبرغم اني كنت على بينة من صغر شعبنا عددا ومن قلة مواردنا القومية ، لكنني كنت أرى اننا نتمتع ، في مقابل ذلك ، بموقع جغرافي ممتاز وبطاقة بشرية هائلة — أي بما يلزم من مقومات لتحويل هذا الوطن الى مركز مالي ودولي او الى قدرة تجارية ضخمة ، ينافس في رخائه سلفه الفينيقي وجاره الذي فرض عليه في الجنوب .

بدأت على نطاق متواضع جدا اذ كان رأس المال شحيحا ذلك الحين ، وكانت مواردي الخاصة ، شأني شأن سائر رفاقي الفلسطينيين ، لا تكاد تفي بمتطلبات الحياة اليومية . فاقمت مكتب صرافة بسيطا تطور بعد جهد كبير الى بنك صغير كان نواة للصرح المالي الضخم الذي وفقت أنا وزملائي الى تشييده خلال خمسة عشر عاما ، الا اني ادركت ، منذ مطلع الخمسينات ، ان انجاز ما صبوت اليه هو اسهل في عالم الرؤيا منه في عالم الواقع . لقد كان من الواضح ان جل الاعمال المهمة في لبنان تسيرها مصالح اجنبية بطريق مباشرة او غير مباشرة ، وكان هذا أشبه بالامر الطبيعي ، نظرا الى ان لبنان لم يكن تخلص بعد من الانتداب الفرنسي سوى منذ وقت قصير ، والى ان اموال النفط المتدفقة من منطقة الخليج كانت جعلت من لبنان هدفا بارزا لمصالح الاعمال الفرنسية والبريطانية والاميركية ، حتى بعد انتهاء الانتداب .

كما كان جليا ايضا انه لا يمكن احراز أي تقدم اقتصادي ذي بال ، بل أي استقلال سياسي حق ، دون احراز الاستقلال الاقتصادي اولا .

وما كان مستطاعا بلوغ هذا ، كما كنت اعلم علم اليقين ، الا باسباغ الصفة اللبنانية الحقيقية على ذلك العدد الزاخر من المشاريع اللبنانية بالاسم وان كانت في الواقع في برائن المصالح الاجنبية . وشرعنا ، انا وزملائي ، خطة اللبننة ونحن نعرف خير المعرفة اننا بعملنا لا نتحدى المصالح الاجنبية المقتدرة فحسب ، بل ايضا جماعة من ابناء لبنان ، قليلة العدد لكنها عاتية النفوذ والسلطان . وهذه الجماعة التي لا تنتمي الى اكثر من خمسين اسرة ظلت تعتمد حتى تعيش ، منذ ايام الانتداب ، على خدمة المشاريع الخاضعة لسيطرة اجنبية في لبنان ، انما بشكل مستتر ، ومن ثم توجسنا ، انا

١ — من حديثه لمجلة « لايف » الاميركية ، ٢ — من خطابه الذي وجهه الى الشعب اللبناني قبيل وفاته .

وزملائي ، منذ البداية ، خيفة من ان ايه خطة للبنية صميمة ستقابلها معارضة عنيفة نكراء من قبل هذه الجماعة ، وسرعان ما تحققت مخاوفنا . وفي ايامنا الاولى في بنك انترا ، قبل ان يجتذب نمونا انتباها كافيا ، تركنا وشاننا نعمل بسلام . ولقد نجحنا ... ونمونا سريعا وآلت الينا مشاريع عدة من ايد اجنبية نقلناها الى ايد لبنانية ، ومضينا في طريقنا لبت مصير عدد من اهم المؤسسات الخاضعة للسيطرة الاجنبية في لبنان » .

٢ ـ معين بسيسو

ولد « معين » في غزة هاشم سنة ١٩٢٦ وانهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية غزة التي انشاها الاستاذان شفيق ووديع ترزي ، واتخذ من شعره سلاحا يفري به هامة الظلم ، ومصباحا يضيء للمناضل العربي درب الكفاح المسلح ، وكانت باكورة شعره قصيدة « الفلاح الفلسطيني » التي نشرتها مجلة « الحرية » اليافية سنة ١٩٤٦ ، ويعتبر « معين » احد اركان شعر النكبة .

واستكمالا لدراسته التحق سنة ١٩٤٨ بالجامعة الاميركية في القاهرة وتخرج سنة ١٩٥٢ من (قسم الصحافة) وكان موضوع رسالته « الكلمة المنطوقة » وتدور هذه الرسالة حول الحدود الفاصلة بين كل من المذياع والتلفزيون من جهة والصحيفة (الكلمة المطبوعة) من جهة اخرى . وخلال دراسته في مصر شرع ينشر قصائده في صحف ومجلات القاهرة وفلسطين وهو اليوم يعمل في جريدة « الاهرام » .

وليغني « معين » جراح شعبه المنكوب ، ووطنه المغصوب ، وليستعين بشعره على الكشف عن المصائب التي صبها الاستعمار والصهيونية على امته ... نشر الدواوين التالية :

١ ـ المعركة ـ صدر في سنة ١٩٥٢
٢ ـ الاردن السليب ـ صدر في سنة ١٩٥٨
٣ ـ فلسطين في القلب ـ صدر في سنة ١٩٦٤
٤ ـ الاشجار تموت واقفة
٥ ـ على الصليب
٦ ـ العن اجدادك يا جدي
٧ ـ عطر الارض والناس
٨ ـ مارد من السنابل ـ صدر في سنة ١٩٥٨
٩ ـ قصائد على زجاج النوافذ ـ صدر في سنة ١٩٦٩
١٠ ـ القمر ذو الثلاثين وجها

وفي اعقاب سنة ١٩٥٦ نشر « معين » بمشاركة بعض الشعراء مجموعة شعرية اسموها « قصائد مصرية » جمعت الوانا من شعر المقاومة ابان العدوان الثلاثي على مصر وغزة .

نماذج من شعره : تفيض دواوين « معين » بالوان من الشعر القومي النابض بفضح جرائم الاعداء والكشف عن الظلامات التي الحقوها بالعرب في فلسطين .

ومن قصيدة عنوانها « المعركة » يقول « معين » :

انا ان سقطت فخذ مكاني ... يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يخفك ... دمي يسيل من السلاح
وانظر الى عيني اغ ... مضتا على نور الصباح
انا لم أمت انا لم أزل ... أدعوك من خلف الجراح

وفي قصيدة بعنوان « تحد » يقول الشاعر :

انا لا اخاف من السلاسل ... فاربطوني بالسلاسل
من عاش في ارض الزلازل ... لا يخاف من الزلازل
لمن المشانق تنصبون ... لمن تشدون المقاصل
لن تطفئوا ـ مهما نفختم في الدجى ـ هذي المشاعل
الشعب اوقدها وسار بها قوافل في قوافل

وصور « معين » الويلات والمصائب التي صبها الاستعمار على « غزة » ، ومن قوله في المدينة المحاصرة والرابضة على شاطىء الابيض المتوسط :

البحر يحكي للنجوم ... حكاية الوطن السجين
والليل كالشحاذ يطرق بالدموع والانين
ابواب غزة وهي مغلقة على الشعب الحزين
فيحرك الاحياء ناموا فوق انقاض السنين
وكانهم قبر تدق عليه ايدي النابشين

وفي قصيدته « دقت الساعة » يقول الشاعر :

ليس ذنبي ان كان للنور قبر ... في بلادي وللمكافح قبر
انني اكتب الحقيقة لكن ... ثورة الحق في بلادي كفر
قلمي في الحديد في ظلمة السجـ ... ـن طريح مكبل لا يصر
نفسي حائم يفتش في الظلـ ... ـمة عن منفذ ولا يستقر
ابدا ارفع العيون الى البا ... ب ولا حامل شعاع يمر
واذا ما سمعت دمدمة الريح ... تدوي قلت العواصف كثر
أين شعبي العملاق في القمقم ... لي دين في عنقه لي عمر
أين انفاسه تحطم قيدي ... أين ثاراته ؟ أمالي ثأر
ان شعبي العملاق في القمـ ... ـقم مثلي وفوقه الليل بحر
ويماني الذي أعاني وهل ... يفرح نسر وفي السلاسل نسر

وتطلعا الى يوم تحرير .. يقول « معين » بلا مواربة ولا ابهام :

نحن لن نترك السلاح وفي الار ... ض اسارى وآسرون وأسر
أيها الشعب ! أيها الميت الحي ... بارض منها القبور تعر
انظر الصين كيف ثارت على المو ... ت وفي الصين للملايين نصر
كيف دكت جدران معبدها الرح ... ب وفيه الاصنام بيض وصفر
صرخات العبيد في أذنيها ... جمعت فالعبيد بعث وسر
دقت الساعة الرهيبة وانشـ ... ـق عن المارد المخدر ستر
غدنا أيها القريب لقد اوشك ... يمشي على الطريق الفجر
سوف نجتاح حائط السجن يوما ... فوراء القضبان يلهث حر

واثر الاعتداء الثلاثي الذي شنته بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر وغزة عام ١٩٥٦ خاطب « معين » الغزاة :

أبدا تحزم في الحقائب ... أين أزمعت الفرار
ويد الجماهير العريقة ... في الطريق وكالجدار
أين المفر ولا طريق ... الى القطار أو المطار

٣ ـ الدكتور كامل العسلي

ولد « كامل » في بيت المقدس عام ١٩٢٥ واكمل دراسته الثانوية في الكلية الرشيدية وكان مبرزا بين اقرانه ، والتحق بـ « معهد الحقوق الفلسطيني » ونال دبلوم الحقوق عام ١٩٥١ وعين معلما في مدرسة الروضة فمترجما في مكتب الترجمة التابع للسكرتيرية العامة بالقدس.

وبعد توحيد ضفتي الاردن (١٩٤٨) عمل في الاذاعة الاردنية ونال شهادة بكلوريوس في الآداب من جامعة لندن في عام ١٩٥٠ ، وفي عام ١٩٥٢ قصد الكويت وعين معلما في المدرسة الشرقية ، وبعد سنة امضاها هناك عاد الى القدس وعمل مفتشا للتعليم في وكالة الغوث ، ثم انتقل الى مدرسة خضوري الزراعية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) بطولكرم وعاد الى القدس وعمل في دار الاذاعة الاردنية وفي عام ١٩٥٧ بادر الاردن الى القاهرة وعين معلقا في اذاعتها وامضى فيها سنتين .

وفي عام ١٩٥٩ يمم « كامل » برلين وعمل في حقل الصحافة وعكف على الدراسة في جامعة برلين حتى احرز الدكتوراه في الفلسفة بدرجة الامتياز عام ١٩٦٧ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « الاتجاهات التقدمية في الفكر العربي الحديث : ١٧٩٨ ـ ١٩١٨ » ، وفي عام ١٩٦٨ عاد الى الاردن وعين مديرا عاما لمكتبة الجامعة الاردنية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور العسلي عشرات المقالات في الصحف وزود اذاعتي القدس والقاهرة بطائفة من التعليقات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتمثيليات . ومن مؤلفاته التي وقفنا عليها :

١ ـ الحرب الاهلية في فرنسا (١٩٦٠)
٢ ـ تعليم الالمانية بالراديو (بالعربية والالمانية) (١٩٦٢)
٣ ـ الثامن عشر من برومير لويز بونوبارت (١٩٦٥)
٤ ـ الاتجاهات التقدمية في الفكر العربي الحديث (١٧٩٨ ـ ١٩١٨)

نموذج من نثره : « لم يكن فرح انطون ذا مذهب فلسفي متكامل، فالسمة الظاهرة في تفكيره هي طابعه الانتقائي ، فقد كان يضع جنبا الى جنب عناصر متناقضة . وهذا التناقض كان يعكس بدوره الظروف الشديدة التعقيد للبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها هذا المفكر ، ويعكس التنافر بين آفاق واهداف الطبقة الاجتماعية المتوسطة التي كان « فرح » ينتمي اليها وبين الطبقة الحاكمة ، وكذلك اثر الثقافة الاقطاعية السائدة في المجتمع ، كما كان صدى لتاثر فرح انطون بانماط مختلفة من المفكرين ينتمون الى مدارس فكرية شتى ، فقد تاثر بتولستوي ونيتشه وديدرو وافلاطون وسبنسر وويلز وشو . واجتمعت في تفكيره المثالية مع عناصر من المادية وعناصر من الاخلاق المسيحية مع مذهب تنازع البقاء وسيادة الافضل ، وعناصر من مذهب الرجوع الى الطبيعة ، الى جانب تمجيد الحضارة الحديثة !

وبالرغم من ذلك كله يظل في تفكير « فرح » اتجاه محدد وهدف واضح ، فالاثر الابرز في تفكيره انما كان للانسانيين الكبار . والخط الاساسي في فكره هو الايمان العميق بمصائر النوع البشري ، وبما يدعى بالانسانية ، شانه في ذلك شان الانسانيين الطوباويين الكبار الذين نددوا بالظلم الاجتماعي وحاولوا ان يفصلوا نماذج لمجتمع انساني سعيد .

وكان « فرح » في هذا يعبر عن الطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي اليها ـ الطبقة الوسطى ـ التي كانت ترزح تحت الضغط الاقتصادي والسياسي والفكري ، وكانت بالتالي تتطلع الى المساواة الاجتماعية والاقتصادية والى الحرية الفكرية والسياسية .

واذ لم تكن الطبقة الوسطى الناشئة قادرة على قلب النظام الاقطاعي القائم ، فقد لجات ، بلسان ايديولوجيتها ، الى التبشير بالمثل الانسانية العليا ، وطالبت بحقوقها باسم هذه المثل حين لم تكن في وضع يمكنها من الثورة على الباطل باسم الحق » .

٤ ـ الدكتور خالد بعباع

ولد « خالد » في مدينة طولكرم بفلسطين سنة ١٩٢٤ وانهى دراسته الابتدائية والاعدادية في المدارس الاميرية بمسقط راسه ثم التحق بكلية تراسانطة في القدس فكلية بيرزيت وفي عام ١٩٤٤ حصل منها على الشهادة الثانوية وبعد عام التحق بمعهد الحقوق في القدس وظل يوالي دراسة القانون حتى انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

وفي عام ١٩٥٢ بارح البلاد الى الولايات المتحدة والتحق بجامعة ساوث وسترن بمدينة جورج تاون بولاية تكساس وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية بمرتبة الشرف وشهادة الماجستير في العلوم السياسية والتاريخ بمرتبة الشرف كذلك في عام ١٩٥٦ وكان عنوان الاطروحة التي قدمها « البحث عن الانصاف ـ نقد تحليلي لقضية اللاجئين العرب من فلسطين » .

وفي عام ١٩٥٦ التحق بجامعة تكساس واقبل على الاعداد لشهادة الدكتوراه ثم التحق بجامعتي نيويورك ونيوسكول للابحاث الاجتماعية واحرز الدكتوراه في نهاية عام ١٩٥٩ وكانت الاطروحة التي قدمها بعنوان « الحياد وعدم الانحياز : بين الحقيقة والخيال » .

وبعد توحيد ضفتي الاردن عين كاتبا لقائمقامية طولكرم فرئيسا لكتاب متصرفية لواء اربد ، وعقب رحيله الى الولايات المتحدة عمل رئيسا لقسم الابحاث في الوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى الامم المتحدة (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) فعضوا في وفد اليمن لدى المنظمة العالمية (اثناء الدورات) فمذيعا لنشرة انباء الامم المتحدة باللغة العربية (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) فمديرا لمكتب جامعة الدول العربية في كندا (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤) فمديرا لمكتب جامعة الدول العربية لجنوب غربي الولايات المتحدة . وتقديرا لكفاءاته منح « العضوية » في عدة اكاديميات وجمعيات علمية في اميركا .

من آثاره القلمية : جمع الدكتور بعباع بين الدراسات العليا وبين العمل السياسي البناء لقضية فلسطين ، ووضع بين ايدي الساسة والمهتمين بالقضية الفلسطينية طائفة من الكتب والنشرات باللغة الانكليزية ، كما نشر سلسلة مقالات قيمة في جريدة « الدفاع » المقدسية ابرزها « الحقيقة والرؤيا في الشرق الاوسط » .

ومن الكتب والمقالات المنشورة باللغة الانكليزية :

١ ـ البحث عن الانصاف ـ نقد تحليلي لقضية اللاجئين العرب من فلسطين ـ طبع عام ١٩٥٦
٢ ـ الاستعمار البريطاني في اليمن (كتيب) ـ طبع عام ١٩٥٨
٣ ـ حقائق واخطاء (كتيب) ج١ يشتمل على (مجموعة رسائل لمحرري الصحف الكندية لدحض المفتريات الصهيونية) طبع عام ١٩٦٠
٤ ـ حقائق واخطاء (كتيب) ج٢ طبع عام ١٩٦١
٥ ـ مغالطات عن قضية اللاجئين العرب (كتيب) طبع عام ١٩٦١
٦ ـ سياسة الثار الاسرائيلية ومبادىء الامم المتحدة (كتيب) ١٩٦٢
٧ ـ المحترفون السياسيون وقضية فلسطين (كتيب) ١٩٦٢
٨ ـ الحياد الايجابي (كتيب) ١٩٦٢
٩ ـ قضية مانكرفت الصهيوني الانجليزي (كتيب) ١٩٦٣
١٠ ـ عدم الانحياز كمبدأ دبلوماسي وعقائدي (يدرس هذا الكتاب في الجامعات الاميركية) وقد نشرته جامعة بنسلفانيا بعنوان « السياسة والنظام الدولي » كما نشرته جامعة الاباما بعنوان « قضايا الامم » ١٩٦٩

ونشر الدكتور بعباع طائفة من المقالات السياسية عرفنا منها « نشاط الجامعة العربية في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والثقافية» و « الصهيونية ومبادىء الاخلاق » و « روح جديدة في العراق » و « التقدم الاقتصادي في مصر » و « الحياد الايجابي العربي » و « العلاقات العربية الاميركية الحديثة » و « القوة الثالثة والامم المتحدة » .

نموذج من نثره : « عندما يتحدث العربي للغربي عن قضية فلسطين يوافق الغربي العربي على ان انشاء اسرائيل كان خطأ اساسيا ، ولكن يختلف مع العربي على واقع الحال والمستقبل بشان اسرائيل .

يتفق اصدقاء العرب الغربيون مع العرب على الحقائق التالية :

أ ـ ان ما تزعمه الصهيونية من ان انشاء اسرائيل قائم على حجج تاريخية ، وذلك لارتباط التاريخ اليهودي بفلسطين ، هو زعم باطل لا يستلزم انشاء دولة سياسية اسرائيلية . ذلك ان مثل هذا الادعاء التاريخي لو صح لتغيرت معالم خارطة العالم الان ، ولطالب العرب باسبانيا ، والمكسيك بولايتي تكساس وكليفورنيا ، والهنود الحمر بالولايات المتحدة .

ب ـ ان وعد بلفور لوعد باطل وعار من النواحي الاخلاقية والشرعية ، وكذلك الانتداب البريطاني على فلسطين ، اذ انهما مخالفان للوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب في الاتفاقية المبرمة بين الحسين ـ مكماهون عام ١٩١٦ ، كما انه لا يحق لفريق ثالث (بريطانيا) ان تقطع فريقا آخر بلادا لا تملكها ، وعند اعطائها وعد بلفور لم تكن قد احتلت فلسطين بعد . هذا بالاضافة الى ان وعد بلفور نفسه قد ضمن حقوق غير اليهود ، وهي الاكثرية العربية .

و (وعد بلفور) ينطوي على انشاء ملجا روحي في جزء من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أين هاجرت

سمـاء عينيـك
مأوى صباباتي
وعطـر
يوغل في ذاتي
مثل سحابات
من أرج عـات
أو زورق أزرق
يطوي المـدى الآتي
بالله يـا رفيقة الزهر
في السهل والوادي .
يـا ضحكة النهـر
وغنـوة الشادي !
كيف تواريت
من أفق العمر
وأيـن هاجرت
في وحشة الصمت ؟
أمس سألت الربوع
عن طيفك العافي
بين ثنايا الاصيل
والقصب الغافي
فجاوبتي الحقول :

« ولى مع العاصفات
وما له من رجوع »
أيامنا الهاربات
والذكريات العتاق
تومض في وحشة ليل الفراق
كالانجم النائيات
فيغمر القلب أريج الحنين
عذبا ، وتمحو خطوات السنين
نوازعا لم تك الا هباء
وتشرق الشمس
على هوى غيبه رمس
في فلـوات الشتاء
صوت رفيق رفيق
شق سكون الطريق
ينعي روى غابرات
ويشعل الذكريات
ولما طواني الغروب
أسلمت نفسي الافول .

دمشق

رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسطين ، وليس دولة سياسية في معظم فلسطين ، كما فسرت ذلك مذكرة تشرشل لعام ١٩٢٢ واكد ذلك « هوجارت » .

ج ـ ان سياسة بريطانيا في اخضاع عـرب فلسطين ومحاولة اذلالهم ، في الوقت الذي كانت تحمي فيـه يهود فلسطين وتسمح بالهجرة ، وتضع المناطق العربية في ظروف اقتصادية عصيبة ، هـي سياسة تعسفية جائرة تخالف النظم الديموقراطية .

د ـ ان انسحاب بريطانيا المفاجيء من فلسطين في ظروف هددت مصالح الاكثرية العربية ، يخالف التزاماتهـا السياسية والاخلاقية بموجب صك الانتداب ، وكذلك امتناعها عن التصويت على التقسيم في الامم المتحدة يغاير نظم العدالة لعلمـه الاكيـد باجحافه بحقوق العرب ، وعدم قابليته للتنفيـذ الا باستعمال القـوة وتشريد عرب فلسطين من ديارهم ووطنهم كما حدث ذلك بالفعل .

هـ ـ ان قرار التقسيم لم توافق عليه الامم المتحدة باغلبية ٣٣ صوتا وامتناع ١٠ دول عن التصويت ومعارضة ١٣ دولة ، لان ذلك يعبر عن وجهة نظر عالمية ، لكن ووفق عليه للضغط الواضح الـذي قامت به الولايات المتحدة . والامم المتحدة لا يحق لها ان تقسم اية دولة ضد رغبات اكثرية السكان ، لان ذلك يخالف حق تقرير المصير الذي نص عليه الفصل الاول ، المادة ٢ (١) من ميثاق الامم المتحدة .

ان قول الغربي ان اسرائيل امر واقع ، ويتطلب من العرب عقد صلح معها لقول مردود ويغاير مجرى التاريخ ، اذ ان حقيقة وجـود اسرائيل لا يستلزم من العرب الاعتراف بأمر واقع غير اخلاقي ، كما لا يمنعهم هذا الامر الواقع من الثورة عليه ، لانها حقيقة غير محببة الى نفوسهم ومصالحهم . ان القاعـدة والمبدأ الدوليين وهي « مبـدأ المصلحة الحيوية » تقف الى جانب العرب . وليفهم الغربي وجهـة النظر العربية اليس من الحـق ان نذكرهم بان الاميركيين الاصليين ثاروا على الاحتلال البريطاني لبلادهم ، كما ثار الفرنسيون على النظام الاقطاعي القديم في وطنهم بما عرف بالثورة الفرنسية ؟ الم يثر كافور ومازينا على تجزئة ايطاليا حتى تم توحيدها ؟ الا تتمتع الان اكثر من ثلاثين دولة افريقية بسيادتها واستقلالها ؟

ان اسرائيل بالنسبة للعرب هي واقع بغيض ، وقد جاء اليهـود الى فلسطين كغزاة غاصبين مجتلين ، اذ ان فلسطين لم تكن وطنا بـلا مواطنين ، ليحتله مواطنون بلا وطن .

لم يكن في وسع الصهيونيين احتلال فلسطين دون اخراج سكانها العرب بحد السلاح واذا سلمنا جدلا بوجهة النظر هـذه فان ذلك يؤيد القول « الحق للقوة » ويتبع ذلك مسخ للقواعد الدولية واستبدال القانون الدولي وقوانين الامم بقانون الغاب ! »

عمان ـ الاردن

البدوي الهاشم



واصف باقـي

من ربـوع بـلادي

بقلم واصف باقـي

* * *

سألني ما الاندلس ؟ اصحيح انها اسطورة من الجمال ؟ فانتابني الصمت هنيهة وانا سادر الخيال وقلت له : الاندلس ، كلمة تملأ النفس بمعاني السحر والفتنة ، بلى يا صديقي انها آية في الروعة والجمال ولم لا ، وهي تسمو بالمشاعر الى آفاق خلدية من الالهام والخيال ، وتهز القلوب بألوان من الحب والعواطف والصبابات ، وتثير في الخواطر افانين من صبوة السنين وجميل الذكريات .

كلمة تدل على طبيعة هي بين طبائع البلدان كطبيعة الربيع بين الفصول والايام . صاغها الله آية سامية من فرائد آياته ، ومثلا رائعا من بدائع آثاره ، فجاءت كما يشاء الفن الطبيعي الرفيع عروس الكون وغرة البلاد ، وفتنة الافاق ودمية الجمال ، ومثال الحسن ومصدر الروعة ، ومجلى البهجة واغنية الوجود . طبيعة ترسل النسمات انغاما موسيقية تؤخذ شعرا رقيقا ، وتلفظ الحانا حلوة معبرة طبيعية هي الشعر ، فلو لم تجد من تلهمه النطق بها لكانت افصح الشعراء .

طبيعة تفرض نفسها على الناس فرضا ، حتى من لم يكن في طبعة الشعر او ملكته .. ففي رباها المشرقة ووديانها المنبسطة وانهارها الدافقة ومعانيها الباسمة ، وآفاقها الحالمة ، واجوائها الباسمة ، وخمائلها الجميلة ، وادواحها الظليلة وفي رفوف المروج كالاهداب على عيونها العذاب والتفاف انهارها كالاساور على معاصم الهضاب ، في كل ذلك او في بعضه ما يفتح مغالق النفس ويبعث فيها البهجة والانس ، ويشيع فيها بسمة الامل ويقظة الشعور وفي كل ذلك او في بعض ذلك ما يستوقف الشاعر فيقول له : انا الخيال والجمال والسحر والالهام فاستوحني وما يمسك بغير الشاعر فيقول له انا الشعر فكن شاعرا .

لهذا لا تعجب يا عزيزي اذا سمعت ان هذه البلاد قد عرف اكثر اهلها ان لم نقل جميعهم معترفين بالشعر يقولونه وينغمونه ، وبالحب يقدسونه . أنوثة تلك الطبيعة يا صديقي ، قد انطقت النساء فكيف بالرجال كانوا اذا هب النسيم ، او دار ... في كف ظبي رخيم او تبسم عن شعاع ثغر نهر او ترقرق جفن او خفق بارق ، او لم طيف طارق ارسلوا الشعر بين رقة الهواء وجزالة العربية .. فجاء كما قال شاعرهم ابن وهبون .

رقيق كما غنت حمامة ايكة وجزل كما شق الهواء عقاب .

وما اكاد استرسل في حديثي حتى شعرت وكأني به يقاطعني بقسمات وجهه التي تنم عن غبطة وحبور حيث بش وجهه وانفرجت اساريره لهذا التعريف الادبي المعبر واردف قائلا : كان السؤال الذي يدور في خلدي ويعتمل في خاطري هو ان تحدثني ولو ببضع كلمات وبتلك الشفافية في التعبير ، والرقة في التصوير عن ربوع شآمنا ومتنزهاتها المخملية وحدائقها الغناء ، ثم ماذا ؟ برداها ذينك النهر الرقراق ..

بيد انني اللحظة عوضا عن اجابته عما يوده مني اوقفت حديثه لان القريحة جفت .. ونضب الخاطر وشح الفكر وجمد الخيال وتأت عن كلينا لحظات الرقة والصفاء والابداع ، فودعت صديقي في الحال ، وتوجهت على التو الى داري انشد الراحة النفسية والاستجمام الفكري .. على امل اللقاء به مرة اخرى .

★ ★ ★

بادرني بالتحية فجأة وباغتني على حين غرة ، فلمست منه روح الصديق الاديب الذي يثير في نفسي شتى الاحاسيس والعواطف والاشجان والانفعالات .. نعم هو الآن وليس غيره . فلما اجد بعد سواه انسانا يسبر اغواري ويدغدغ عواطفي ويثير اشجاني فكان لي نهلة باردة في هجير الحياة المحرق وما كدت اعيش مع تلكم السحابة الفكرية العابرة التي تكاد تنقشع الا قليلا حتى بدهني صديقي قائلا : سألتك امس عن الاندلس فنقلتني باسلوبك المعبر وفكرك المصور الى اجوائها الرومانسية الحالمة وطبيعتها الوادعة ، وربوعها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الساحرة ، ورحنا نحلق معا على اجواء الحب والشعر والموسيقى والخيال ولكنني كما ذكرت رمت سؤالك عن ربوع الفيحاء الرائعة الجمال التي افتخر بها ايما افتخار واشمخ لذكرها واشراب لذكراها واحبها من كل قلبي حبا جما شغفا .. ولم لا وهي بلادي التي نشأت وفيها ترعرعت وبين جنباتها عشت احلى ايام حياتي وبها قضيت شرخ شبابي ومقتبل عمري وريعانه .

والان اريد ان اسالك هل تعرف الهامة ودمر او سواها من الوادي الاخضر الجميل الذي ينساب من خلاله وينحدر من ربوعه بردى وفروعه .. فاجبته ووجيب قلبي يضرم بين جوانحي ، كيف لا اعرفها يا صديقي وقد قضيت فيها شطرا من حياتي الجامعية بله اوقاتي كانت هناك سرقتها من يد الزمن وهو عنا في غفلة بلى يا عزيزي الهامة تلك الربوع الساحرة الاخاذة التي اذا ما عنت في خاطري ورن مسمعها في اذني دق ناقوس الذكرى في هيكلي ورحت اعيش في عالم الذكريات تعصف في قلبي وتهز كياني وتغمر جوانحي وهل في الدنيا احلى من الذكرى وعالم الذكرى انتي كلما لاحت في خاطري وجابت في روحي اجدني ترنو اليها نفسي وترمقها عيني ويهفو لها قلبي . وهل الحياة باجمعها الا تلك الهالة من الذكريات حلوها ومرها لذيذها وعلقمها . عفوا يا صديقي فالحديث ذو شجون ـ كما يقال ـ والذكرى كما تعلم ملازمة للحياة واحداثها .

لقد دار بنا الحديث مداره ونقلنا الى عوالم اخرى ولكن .. ولكني اردفك الحديث عما كنا في صدده الهامة ـ ورباها الحلوة الهادئة .. تلك الناحية المنعزلة والقرية الجميلة ذات المناظر البهيجة والهواء الطلق والنسيم العليل هناك وفي مرتفع قليل تحيطه الاشجار الباسقة ويسمره هدير المياه وتغريد الهزار تقوم هامة رائعة على ضفتي بردى ذلك النهر الجميل والذائع الصيت بما يحيي من ارجاء في الغوطتين .

ما ان حططت رحالي ووطأت قدماي تلك البلدة الصغيرة للمرة الاولى فأبصرت اناسا ينم مظهرهم على حسن الطوية وطيب النية ويكتنف الجو صمت يدل على الحال الطبيعي الذي لا تشوبه جعجعة المعامل وقعقعة الآلات واصوات المدينة الصاخبة المجلجلة وهذا السكوت انما يروق النساك والشعراء وارباب الخيال والذوق الرفيع .. فخلت نفسي اني ذلك المحظوظ .

احدثك الان يا صديقي عن هذه القرية الوادعة وانا اتصور نفسي جاثما على ضفة بردى في صباح احد الايام المشرقة وانا اتأمل هذا النهر الجاري الصاخب وعلى جنباته الحور المشوقة بقدها الاهيف ودلبها الحاني على حافة النهر يزيده رونقا وبهاء والشمس في تلك الايام شاحبة تتنبه على صفير العنادل وتغريد البلابل والحساسين ولا تلبث في المساء ان يحتضنا الافق بأناة ورفق فأراها ترمقني بطرف كليل قد علته حمرة الشفق اللازوردي فما تفتأ حتى تسدل عليها ستائر المغيب لتستجم من عنائها الى صباح مقبل .

ونظرة الى الطبيعة في فصل الخريف نراها قد راحت تنفض عن اذرع جواريها الحسان لبوسها الورقي البالي فتبدو هذه الاغصان وكأنها ضارعة الى السماء وهي تنشد ما يسليها الخريف من حللها الزاهية التي ازدانت بها في ربيعها الراحل على ان وريقات الحور المصفرة تتألق لمعانا كلما اختلس طرف الشمس اليها النظر وناعورة امامي صغيرة جميلة المنظر جذابة المرأى تدور دونما كلل او ملل دام النهر في سيره وجريانه تملأ الدلاء من ماء غذير لتسقي الحقل المجاور واراها وهي تحطم قرون مويجات طائشة راحت تتدافع على ازالة تلك الدلاء من طريقها التي لا تلبث ان تعيد كرتها لتأخذ نصيبها من الماء ثم تعلو وكأنها تسخر من هذه الامواج العبيطة التي لم تدرك حتى الان ان محاولاتها في دحر هذه الدلاء من مجراها تذهب ادراج الرياح ، والنهر في زمجرة صبيانية غضب ثائر لا يهدأ لترنيم طيور ولا لخشخشة امواج او حفيف اشجار ، بل اراه في حدة متزايدة وعناد صلب وقد ظهر على شدقيه زبد متناثر وهو يرعد ويندد بتلك الجنادل البليدة التي قد تطفلت واعترضت طريقه ، ولكن سريره الضيق لا زال يصده عن هذا المجون ويردعه عن الميوعة واجتياز الحدود .

آه .. الامتحان يقرع الابواب قلبي وها هو ذا الكتاب يجذبني اليه بلهفة وشوق شديدين ليعود عيناي ان تسمران في صفحاته الطوال المنهكة وقد سلب مني تلك النشوة حينما كنت استمع الى حديث الطبيعة المشوق الذي ملك علي مشاعري وهواجسي ومسامعي بل كلي .

وما هي عيشة مضت في ذلك السكوت الرهيب الا وانبعث شعاع ذكي على تلك الروابي والهضاب تعكسه قطرات الندى فتراها كاللآليء في لمعانها البديع ، وكأنها تخاطب بعضها بلغة الضياء ، علت اصوات الديكة والانغام السائمة ، وغرد العندليب بصوته الساحر فاجابه الفه وردد اصوات المياه والنسيم واوراق الاشجار حتى قضينا وطرا من الموسيقى الفطرية الطبيعية وراح كل يسعى وراء حاجة غذاء للجسم بعد ان اعطى الروح غذاءها ، شعرت بهذه الحركات وتأثرت بهاته العواطف واشجاني لون الورق وقد اصطبغ بلون اصفر مشيرا الى ما به من سقم فتذكرت قرب يومه وجزعت عليه وتأثرت على فراقه لولا ان املا برجوعه في العام المقبل عللت به نفسي وقلت ان لهذا الخريف ربيع ولكن ليس لخريفي ربيع .

حلب **واصف باقي**

الحية

بقلم محمد حسين عبد المجيد

تحت ظلال عريشة الكرم الممتدة امام الدار استندت العجوز الى جذع نخلة نخرة ، وارتمى رأسها على صدرها ، وراحت تغط ـ ساعة القيلولة ـ غطيط المتعب المكدود ، والنسمات الحارة تنفلت من الهجير، منسابة حيث ظلال السقيفة لتبترد ... والعجوز يشرق وجهها وئيدا ... وفيما هي منغمة بغفوتها اذ بها تستيقظ فجأة ، وتهرول حيث زوجة ابنها التي اصابها الذعر حينما سمعت خوار البقرة المتلاحق ، فهرعت اليها ، وانطلقت تصرخ مستنجدة لدن ما راتها تخرج لسانها ، وتبول بلا توقف ، وقد جحظت عيناها ومسها الذعر الناتج عن الم مبرح ...!

وادركت العجوز زوجة ابنها الواقفة في حلق باب الحظيرة ، فدفعتها بيدها المعروقة القابضة على هراوة غليظة وهي تقول في لهفة :

ـ اي داهية حلت بك يا فريدة ..؟! ولم تخور البقرة هكذا ..؟ لقد كانت نائمة تجتر بخير ..!

وتحسست البقرة في لهفة ، وشملت جسدها المرتعش براحتها المعروقة ، التي لا تباري في علاج لدغات العقارب والثعابين ، وتوعك الانسان والحيوان على السواء ، ثم التفتت الى زوجة ابنها التي احضرت البصل والشيح ، وصاحت فيها زاجرة :

ـ لقد لدغتها الحية يا فريدة ، وليست بها وعكة كما تتصورين..!

وجذبتها بعنف لتريها الاورام التي بدت للعيان في وجه البقرة ، ثم اعقبت قائلة :

ـ هيا .. اطلقي الشيح في الحظيرة ، وكل الدار ... ولطالما قلت لك ذلك ولكنك كسولة ..!

وانبعث وميض قوي من عينيها ، راحت ترسله في كل ركن من الحظيرة ، وهي تتمتم قائلة :

ـ لقد تهاون عمك تهامى ، ولو كان حازما لجد وراءها ليلة ان سمعها ، وهي ترسل فحيحها بينما كان مسترخيا بجانب الجدار ، ليستمتع بغفوات الصيف، ونسماته الملطفة بعد حر النهار .. واغلب ظني انه لم يدرك كنه ذلك الفحيح، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على عدم الحنكة .. بخري بالشيح كل الدار ، واحرقي معه بعضا من الشعر ..!

وخرجت فريدة من الحظيرة المعبأة بالدخان ، وقد حملت معها مدفأة من الفخار عليها بعض من الجمر والشيح المحترق .. بينما العجوز تواصل حديثها قائلة :

ـ لقد تهاونت يا تهامى ، ما في ذلك شك .. ولو كنت هنا في تلك الليلة لكنت قد بحثت عنها في كل جحر ، ومددت يدي في كل شق ، ولم اكن لاهدأ الا بعد ان اطبق عليها بقبضة من حديد ..!

وتسمرت عيناها عند احد الاركان ـ فجأة ـ ثم دفعت بهراوتها في شق ، اندفع اثر ذلك جسد سحلية ، راح يضطرب على الروث الى ان سكن ..

ـ آه .. يا سائبة .. اتصرخين من سحلية كانت تطل من الشق عندما خنقتها رائحة الشيح والشعر المحترق ..؟ كل هذه آفات يجب القضاء عليها .. هل انتهيت من تبخير كل مكان ..؟!

ـ بلى ..! ها هو عم تهامى ..!

ـ انظر يا تهامى لتر ماذا فعلت الحية التي تهاونت في امرها ..

وبدأت من فورها تشرط موضع عضة الحية بموسى حادة ، وراحت تدلك جسد البقرة في اتجاه العضة لتفرغ السم الذي كان يسري في جسدها ، وهي تدمدم في غضب ، واخذت تمتص الجرح بفمها ، وتبصق من حين لآخر ، وهي لا تفتأ تنحي باللائمة على العجوز الذي تهاون ، بل افرط في واجبه ليلة ان هرعت العجوز لتنقذ ابنة عمها التي لدغتها عقرب في قرية عبر الشاطىء الآخر من الترعة ..

وصاحت محذرة ابنها والعجوز لدن ما تناولت مسمارا محميا ضخما من نار مضطرمة ، ثم اضافت وهي تصوب رأس المسمار المتوهج الى موضع العضة :

ـ انا ما تهاونت قط في واجبي نحوكم ونحو الارض التي لا أزال اكد واكدح فيها رغم كبر سني ، اني اعمل فيها بأظافري وجهدي لتخرج النبت والزرع ، ومع ذلك لم انس الآخرين ، آخذة في اعتباري انني أم لكم جميعا ..!

وصوبت نظراتها الى تهامى وهي تتصبب عرقا .. ورائحة الجلد المحترق تزكم الانوف ثم قالت :

ـ انطلق يا تهامى ، وابحث في كل شق ، ومد يدك في كل جحر .. هيا وسألحق بك عندما يطمئن قلبي على البقرة ..

ورمت ابنها بنظرة شزراء حالما راته مبديا اشمئزازه وتقززه من رائحة الجلد المحترق ، ثم قالت ساخرة وهي تدفع بالمسمار البارد الى النار وتأخذ غيره :

ـ الى متى ستظل مائعا ..! لقد

كان حريا بك ان تكون في موضعي الآن لتنجز ما اقوم به يا منعم ، ولو كنت قد دعكت بأنفك في الروث منذ الصغر لما ابديت تقززك على هذه الصورة المنفرة ..

وعاد اليها تهامى ، وهي قابعة ترنو ـ في صمت ـ الى البقرة التي اخذت تتشمم راحتها الممدودة لها بعود اخضر .. على حين ابتدرها بقوله :

ـ لم اعثر لها على مكان.. ولعلها تمكنت من الاختفاء تلك اللعينة التي تنالنا بالاذى من حين لآخر ..!

ـ اغلب ظني ـ يا تهامى ـ انها هي التي كنت قد اصبت مؤخرتها ـ منذ اعوام ـ فانقطع ذنبها وهي تلوذ بالشق .. ولو اصبنا لكنا قد هدمنا الجدران .. يومها .. غير انك ضحكت باستخفاف عندما سألتك ذلك .. وهكذا انثنينا عن مواصلة تعقبها ... وها هو دخان شرها يلوح في الافق امام اعيننا .!!

ـ ومن ادراك انها هي بعينها التي انقطع ذنبها .!؟

ـ انها رعناء خبيثة ، يمكنني معرفة اثرها ... اتذكر تلك الافعى السامة التي شدخت رأسها عندما نلت منها ، بعد طول نضال معها .؟ صحيح اننا لم نقتلها .. ولكن الضربة آلمتها ..؟ ووجدت اننا بالعصي واقفين لها ، فما كان منها الا ان القت بنفسها في اليم ..

ونهضت واقفة ويدها قابضة على هراوتها ، التي راحت تدفع بها في كل صدع وشق ، صابة جام غضبها على تلك الحية التي اقلقت من في البيت جميعا ، وروعتهم بشناعة فعلتها ، اذ افرغت سمها الرهيب في جسد البقرة التي منها يعيشون ، كما فعلت من قبل في ثور كانوا يقتنونه للتلقيح ، فقتله سمها الزعاف في حقل البرسيم الحجازي ..!

وفي عناد راحت العجوز تفتش كل ركن ، دافعة بعصاها في سقف البيت تارة وعرش الحظيرة اخرى وذلك كلما لاح لها ما يتخفى بين البوص والحطب المكدس على الاسطح ..! وفيما هي تجد باحثة، اذ بها تقع على اثر اكثر وضوحا للحية الخبيثة مطبوعا على الروث الرخو .. فصاحت وقد روعها ذلك الاثر الدال على عظم جرم الحية الرهيبة ، وبه يمكن للعجوز تحديد طولها ..

ـ أسرع يا تهامى ، ماذا ترى الآن امامك ..؟ لقد خدعنا ، وكان في ذلك استهانة بخطرها .. لقد



محمد حسين عبد المجيد

●

استطالت ، وعظمت وها هي تعمل سمها فينا في رابعة النهار ..!

واشتد غيظها وارهبها ما راته ، فراحت تنقب، وقد تجمع من حولها الجيران .. على حين اختبأت الحية في صدع يكتنفه الظلام وجعلت تطل بعينين براقتين منهما يلوح الغدر والشر معا !!

وحل الظلام ، ففترت الهمة في البعض وكلت الاعين والايدي .. على حين باتت العجوز ، واليقظة لا تبرحها ، والنوم لا يجسر على مس عينيها الكليلتين ، حتى انها كانت تفزع ـ من حين لآخر ـ وتنهض ضاربة صدر الظلام بيمينها وهي تدفع هراوتها ، حيث تصدر اقل نأمة من السقف او الجدران.!

وفي هدأة الليل استرخت العجوز وركنت ظهرها الى الجدار فأغفت واخذت تغط في النوم وذهنها مسرح لاحداث جسام .. وما لبثت ان نهضت مذعورة ، وكان النوم لم يداعب جفونها قط .. وشرعت في تجوالها في الحقل كدابها ، ثم عادت لتلقي نظرة داخل الدار بعد ان جاست من حولها واخذت تصلح من وضع الاطفال على الفراش وهم مستسلمون لنوم هنيء واحلام بيضاء فيها البراءة والطهر ، مما جعلها تنحني بقامتها الفارهة وتمس بشفتيها الرقيقتين وجناتهم الصغيرة ، وتبسط بكفها المعروق ملابسهم المنحسرة عن اجسادهم ، ثم قفلت عائدة ، حيث استرخت بجانب الجدار وهي ترنو الى النجوم المتألقة في السماء الصافية بينما يسترسل تهامى في غطيطه المنتظم ، وهو نائم وصفحة وجهه المغضن تستقبل السماء .. على ان غطيطه قد انقطع عندما اخذ يتقلب على الحشيش الاخضر البارد وانفرج جفناه ليرى العجوز قابعة بجانب الجدار .. وضوء القمر الشاحب يستقر عليها ، وقد سقط راسها على صدرها .. ومن لا يعرفها يقول انها فقدت الحياة .. غير ان تهامى العجوز ابتدرها قائلا :

ـ الا ترقدين لتريحي عظامك ايتها الساهرة ...؟

وما انفك ان ارتفع غطيطه من جديد ..!

بينما اخذت العجوز تنبش التراب بعود من القش .. وعينها الغافية ترمق العجل الرضيع الذي يرقد من بعد على الحشائش ويجتر، ثم يتوقف من حين لآخر كما لو كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غازليني

غازليني بالمقلة النجلاء ... وتمادي ما شئت بالاغراء
انا اهواك يا حياة حياتي ... يا سمائي القمراء يا نعمائي
انما الحب بالعذاب لعذب ... عذبيني بالله .. يا سمرائي
كلما عينك الكحيلة ترنو ... حدجتني بنظرة خرساء
أفهمتني الذي تريد وتهوى ... أترى غير موعد ولقاء
مدية في العيون تذبح قلبي ... دون اهراق قطرة من دمائي
كل شيء أحبه فيك حقا ... كل باد وكل ما في الخفاء

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

يحس الخطر يحدق به ..!

وانتفضت العجوز مذعورة لدن ما صدم جدار اذنيها خوار فجائي للعجل الرضيع ، الذي وثب متألما في الهواء حينما لدغته الحية الشريرة ..!

ـ تهامى .. تهامى ..!

شق صوتها صدر الظلام ، فتمزق السكون من حوله، وانهارت رهبته تحت اقدام الصوت القوي المنبعث من الام الساهرة لتدرىء الخوف والخطر عن اولادها .. والعصا مشرعة في يدها والمصباح في اليد الاخرى على حين هب تهامى .. وقد لدغه الذعر ، غير حانق على الام التي انتزعته من لذيذ نومه ..

ـ لقد لدغت العجل يا تهامى .. لقد لمحتها في ضوء القمر .. وهي تندفع الى كوم الحطب ..

وصوبت عينيها الى كوم الحطب، وهما تشعان بغضب ملتهب ، ثم صاحت قائلة :

ـ لتكن هذه آخر لدغاتك ايتها الحية الخبيثة ..

وبحزم قاطع صاحت فيمن حولها :

ـ الي بصفيحة الجاز ... اسرعي يا فريدة ..

وافرغت ما في الصفيحة من بترول ، واشعلت النار في الحطب، فارتفعت السنة اللهب وامتدت حيث احالت المكان المظلم الى نهار.. ودارت العجوز حول النار والكل قد استيقظ واخذ ينحو نحوها ، فبدأ الجميع كما لو كانوا يقيمون طقوس حرب لا هوادة فيها ..!

ـ لن تفلتي هذه المرة حتى لو ادى ذلك الى .. الى ..

واتت فريدة بصرخة ـ هائلة ـ الجمت العجوز ، وجعلتها تندفع نحوها .

ـ ليست الحية وحدها يا أماه ، لقد مرقت من هنا .. على حين ثعبان آخر يتبعها ..

واحتضنت ابنها الصغير الذي يصرخ من فرط الخوف ..

ـ اجروا يا جماعة .. وانت يا تهامى ، لا بد من القضاء على هذه الحية الهائجة ، والنار التي لم يخب اوارها بعد ما تزال مستعرة .. انها هنا تحت هذا الصندوق..

وصاحت في جارتها محذرة :

ـ اياك والتهاون .. بل عليك ان تستعملي عقلك ، وبسرعة .. وانت يا أم سعيد اضرمي نارا حامية والقي فيها عددا من المسامير ..!

ودعت احد الجيران وقد أعتمدت عليه لامتصاص السم من العجل المدوغ .. بينما هي ومن معها يجدون في محاصرة الحية الهائجة بهراواتهم ..

ـ تقدم يا تهامى واقلب الصندوق بحرص بالغ ..

وشرعت عصاها تأهبا للانقضاض على الحية حالما تظهر ..!!

ـ ما هذا ..؟ ماذا أرى ؟

وتقهقر تهامى امام الافعى ، وصل غريب ، بلغ به الانتفاخ الى الحد الذي جعله يتخبط كالاعمى .

ـ من هذا الذي القى بهذا الصندوق اللعين هنا ..؟

ـ ليس هذا وقت المناقشة والحساب يا تهامى ..!

وانفلتت الحية من تحت الصندوق والصل وراءها يتخبط .. بينما صاح البعض مشدوهين لعظم الثعبان وضخامته .. على حين صرخت الام منبهة :

ـ اضربوه .. اضربوا ضربة رجل واحد .. ولا يبالي أحد بما يحدث يا رجال ..!

وبضربة محكمة وقويةانقضت الام ومن معها على الحية والصل العتيق معا ، فانسحقت راساهما ..

ومع اولى تباشير النور المنبلج من الفجر الوضيء حملت الام ومن معها الحية القتيلة والصل والقوا بهما في اليم ، فجرفهما التيار ..!!

القاهرة ... محمد حسين عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مطالعات وذكريات

تاليف العوضي الوكيل ـ ٢٩٦ صفحة ـ الهيئة العامة للكتب بالقاهرة

الكتاب ـ فيما يقول المؤلف ـ احاديث القاها على الناس من محطة الاذاعة بالكويت .. وقد حرص المؤلف ـ فيما يقول ايضا ـ ان يتوخى البساطة في عرض هذه الاحاديث لتحمل النسلية الى جانب المتاع العقلي .. والحق ان الشاعر الاديب قد التزم بما قال .. وحقق ما اراد .. والحق ايضا انه قد فعل خيرا حين جمع هذه الاحاديث بين دفتي كتاب ، ليقراها من لم يستمع اليها عن طريق المذياع ..

وقارىء الكتاب يحس بالاحساس الذي أراده له المؤلف ، فالى جانب الامتاع العقلي يحس بالتسلية ، والمطالعات مع انها جادة عميقة الا ان فيها ايضا كثير من التسلية والمتعة .. والذكريات على الرغم من انها جادة ايضا ففيها كثير مما يبعث الملل عن النفس ويذهب عنها السأم ..

وقصارى القول ان الكتاب يجمع بين دفتيه المتعة العقلية والوجدانية ، وحين تقرأ الكتاب تعيش مع المؤلف بعقلك وقلبك .. تطالع معه ما يطالع ، وتستعيد معه ما يستعيد من ذكريات ...

واول ما تقع عليه عيناك قصة حب عجيبة بين مي ومحبيها .. مي احبها كثيرون منهم العقاد والمازني والرافعي واسماعيل صبري وسلامة وموسى .. وغيرهم .. لكن ماذا عنها هي لم تحب احدا ، او لعلها لم تفصح عن حبها لاحد .. وان كان بعض الادباء قد حاول الزعم بانها كانت تحبه .. لكن مي ذهبت دون ان تقر بشيء ، او تنكر شيئا، ولعل ذلك ما جعل في قصة حبها كثير من الغرابة والعجب ... وفتح بذلك الباب للسائلين والباحثين .. بيد ان قصة حبها ستظل واحدة من قصص الحب الغريبة ، التي قرانا وسنظل نقرأ عنها ... فكيوبيد لا يزال يرمي بسهامه فيصيب قلوب البشر ... وكلنا نطيعه ، بعضنا يعترف بقلبه وينكر بلسانه ، وبعضنا يعترف بقلبه وبلسانه .. لكننا، جميعا ، ان انكرنا او اعترفنا تصيبنا السهام .. فبدون ان تصيبنا ، ودون ان نحب فلسنا احياء ...

ويأخذ المؤلف على بعض من يزيفون التاريخ عن طريق ما يملأون به كتاباتهم من حوادث لا تمت الى الواقع بصلة من باب أطراف القراء والترويح عنهم ، دون ان يتحروا الدقة والامانة العلمية فيما يكتبون..

ويبدو جليا أثر هذا في الاجيال القادمة حين يجيء المؤرخون فيكتشفون التناقض بين حياة من كتب عنه وما كتب فيه .. ومن هنا تكون الخطورة .

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن ابن مفرغ الحميري الشاعر الاموي وعن ابن القرية الاعرابي الامي العظيم ، الذي يروى ان الحجاج ساله : العرب تزعم أن لكل شيء آفة فما آفة الحلم مثل الغضب ، قال فما آفة الحجاج بن يوسف فقال ابن القرية : اصلح الله الامير لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبه وزكا فرعه .. فقال الحجاج : امتلأت شقاقا واظهرت نفاقا ، ثم امر به فضرب عنقه وانتهت بذلك حياة الرجل .. ونظرا لغرابة القصة فان كثيرا من المؤرخين ينكرونها معتقدين ان شخصية ابن القرية شخصية خرافية ...

ولا ينسى المؤلف ان يحدثنا عن المتنبي او يترك المجال للمتنبي ليحدثنا عن نفسه .. فيحدثنا عن عظمة شاعريته وتفوقه على من يقولون الشعر غيره .. ويتضح ذلك من الشعر الذي اورده المؤلف .. ولعل الحديث مهما طال عن المتنبي فلن يتوقف يوما .. ذلك ان المتنبي الذي شغل الناس وقتا طويلا .. سيظل يشغلهم طوال الوقت ...

ويترك المتنبي ليحدثنا عن رواد الشعر في الكويت ، عن فهد العسكر وخالد الفرج وصقر الشيب ... فيقول عن فهد العسكر بانه وان كان متشائما الا ان تشاؤمه تشاؤم فنان .. وانه أقرب الى وجدان القارىء منه الى عقله ، اما خالد الفرج فهو شاعر مفكر او ان التفكير يغلب على شعره ، والشاعر صقر الشيب فيه لمحات من ابن الرومي كما يقول المؤلف ..

وفي الكتاب كثير من الذكريات الممتعة المسلية مثل شبيبة وكهولة، من عبث الصبا ، شعراء يتهمون ويحاكمون ، حفلة أزاحة الجبة ، رثاء الحيوان ، وحديث عن الحمار ، واخر عن الكلب ...

وفيه وقفات مع الجاحظ ، والحجاج بن يوسف ، وشاعر لم يذكر المؤلف اسمه ، ورجل عالجت الاقدار حظه ...

وفي الكتاب ايضا حديث عن الشعر النائه الذي يدعى كل انه له، ويظل هكذا لا يعرف احدا على وجه التحقيق من هو صاحبه نظرا لاختلاف اقوال الرواة فيه ... ثم حديثا عن الشعر الحلمنتشيي وهو مجموعة من الازجال كان يكتبها حسين شفيق المصري وبيرم التونسي ..

ولا يفوت المؤلف ان يحدثنا عن محمود رمزي شاعر الموشحات ، وعن الارتجال في الشعر ، مفرقا بين البديهة والارتجال ، الى حديث عن المدح في الشعر ..

وينقلنا الشاعر المؤلف الى احدى ندوات الاستاذ العقاد ، رحمه الله ، لنستمع الى بعض الاسئلة التي كانت توجه اليه .. ونعرف ماذا كانت اجابة استاذنا العقاد عليها ...

ولعلي أكون في هذه العجالة قد اعطيت القارىء فكرة موجزة عن الكتاب تحفزه الى قراءته ، وتدفعه الى مطالعته ، فهذا ما قصدت وارجو ان اكون قد وفقت .

القاهرة — راضي حكيم

●

اغلال القلب

مجموعة قصص ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ١٦٠ صفحة ـ من مطبوعات دار المعارف بالقاهرة

ليس فن القصة هو فن سرد الحوادث والوقائع بل هو محاولة ابراز اصولها واسبابها والا كانت القصة اشبه بمحاضر البوليس .

فالروائي الفنان هو الذي يذهب الى ما وراء الحادثة ، ويكشف ما استطاع عن بواعثها العميقة ثم يحلل تلك البواعث ويصورها في دقة تمثل الواقع النابض الحي .

وكلما كان القصصي وافر الثقافة جم التجارب واسع افق الخيال ، استطاع بثقافته وتجاربه وخياله ان يبدع الواقع في صورة تقنعنا بصدقه وبما يشتمل عليه من حقائق انسانية خالدة .

واننا لنحس هذا اتم احساس وابلغه في شتى القصص التي يبدعها قلم الكاتب الروائي الكبير الاستاذ ابراهيم المصري ولا سيما في مجموعته القصصية الاخيرة « اغلال القلب » .

ففي هذه المجموعة نحس متابعة متانية وحارة لاصطخاب العواطف واحتدامها داخل النفس البشرية ، كما نحس تفطنا كاملا لبواعث الاحداث فيها وتأثر بعضها بالبعض الآخر ، وذلك في اسلوب عربي جزل وممتع ، يعبر عن اخفى الدقائق الوجدانية ، وتتجاوب عباراته كما تتجاوب الالوان المتعددة المتباينة متسقة ومنسجمة في لوحة مصور متفوق ممتاز .

فقصة « اغلال القلب » هي قصة شاب ظل سجين خياله الغرامي تكبله اغلال حب عنيف قاهر نحو امرأة متزوجة تموه عليه الحب كي تثير الغيرة في نفس زوجها المنصرف عنها دائما الى هوى الغانيات . وترى شقيقة تلك الزوجة وهي فتاة بائسة مسكينة لا حظ لها من جمال فاتن ، تحب ذلك الشاب دون امل وتشفق عليه وتحاول جاهدة اقصاءه عن اختها التي تحتقرها لفقرها والتي تعذب الشاب وتغرر به . والعجيب في هذه القصة ان اغلال القلب تطوق جميع افرادها . فالشاب يحب المرأة وهي لا تحبه ، وزوج المرأة يحب الغواني ولا يحب امرأته ، وشقيقة الزوجة تحب الشاب والشاب لا يحبها ولا يكترث لها . فكل منهم يتخبط في حلمه وخياله دون ما بارقة من خلاص ، وكلهم يدور في فلك ذاته ولا يرى الآخرين الا من خلال ذاته وحدها ، فتخدعه ذاته عن الحقيقة وتستحيل الى سجن يجاهد للفرار منه ولكن على غير جدوى . فشخصيات هذه القصة هم فرائس خيالهم يستبد بهم ويعميهم عما فيه حريتهم وخلاصهم .

فالقصة تعبر عن عارض نفساني عميق مؤداه ان مأساة الانسان في جانبها الوجداني انه كثيرا ما يخلع عواطفه ويركزها على انسان آخر متوهما ان ذلك الانسان يستجيب اليه ويبادله العواطف نفسها في حين انه في الواقع انما يحيا حياته هو ولا يستمسك الا بخياله هو ولا يعرف غير غايته هو .

فالانسان باندفاعه وراء خياله يعصب عينيه بيده وكأنه يجد لذة خفية في ان يكون اعمى عن رؤية ذاته ومن يحب وفي ان يعذب نفسه عذابا مريرا لا طائل من ورائه .

ذلك هو الجانب الرائع حقا في هذه القصة التي صاغها المؤلف صياغة محكمة وعرف في استاذيته المعهودة كيف يحبك حوادثها ويصور ابطالها وينفذ الى مكنون نفوسهم ويجلو لنا ما يعتمل فيها من امل ويأس ، وما تسبح فيه من نور هو الظلمة ومن ظلمة تحسبها نورا ، ومن شقاء تخاله سعادة ومن سعادة هي الشقاء بعينه .

فالارتفاع الى هذا المستوى الانساني هو الذي يميز فن ابراهيم المصري في قصة « اغلال القلب » وفي سائر قصص المجموعة التي يضفي عليها فوق ذلك الوانا مصرية شائقة تتمثل بصورة اوضح في قصة « الشيخة مندورة » .

وتدور حوادث هذه القصة حول فتاة عانس اقرب الى الدمامة منها الى الجمال . يئست من العثور على زوج فاتقد فيها الشعور الديني ووجدت فيه عزاءها . فاتشحت بالسواد من قمة رأسها الى اخمص قدميها ، وعكفت على الصلاة والصوم والتطلع الى حج بيت الله الحرام . فخلع عليها الاهل والجيران لقب الشيخة مندورة .

وفجأة اقبل عليها كهل راقه منها صفاء نفسها . فطلب يدها وجاءها ذات يوم باعواد ريانة من نبات التمر حنة رأت فيها الفتاة رمز الحب والامل المحقق وتنسمت منها نفحة من نفحات جنة الحب والزواج التي طالما هفت اليها نفسها المحرومة الظمآى .

ولم تكد تلك الفتاة البائسة تشعر ان ذلك الكهل قد اصطفاها حتى ازدهرت فجاة وتالق فيها جمال طارىء عجيب . فذهلت واستكبرت وزهاها ما تحولت اليه . فلم تعد تكترث للكهل الذي ايقظ فيها انوثتها ، ومضت ترمق بعينها شابا جميلا من اقاربها كان قد انجذب



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى سحر جمالها الطارىء هذا . فاسرعت وانشبت فيه مخالبها ، وجعلت تشتد في الغيرة عليه وفي الاستبداد به والرغبة في حيازته حيازة مطلقة . فراى فيها الشاب صورة وحش لا امراة . فراغ منها وانسحب من حياتها فجاة واختفى . فطاش صواب الفتاة ولم تشا لفرط ما اضطرم في نفسها من كبر ان تسعى الى الشاب واعتقدت انه لا بد عائد اليها . ولكنه لم يعد بل كان الكهل العاشق المسكين هو الذي عاد ... عاد يلاطفها ويتودد اليها ويطلب مع ذلك يدها ويحمل اليها ذات مساء نفس اعواد التمرحنة . فتناولت الاعواد وتنشقتها فلم تحس لها اي عبير . لا امل ولا جمال ولا نفحة من نفحات جنة الحب التي كانت في البداية قد اذهلتها . فدفعت الكهل عنها وصرخت فيه : « ابدا .. لن اتزوج ابدا » . فتطلع اليها الكهل مبهوتا وخيل اليه انها قد جنت !

وعادت مندورة الشيخة الى منسكها ، واتشحت بالسواد من قمة راسها الى اخمص قدميها ، وعكفت على الصوم والصلاة وحياكة الجلاليب والفساتين لجاراتها ، كي تجمع قرشا الى قرش وتحقق الحلم الامثل الغالي الذي اصبح وحده غاية حياتها ، وهو ان تحج الى بيت الله الحرام وتزور النبي الحبيب وتسعد .

والواقع ان هذه القصة طرفة . فهي تجمع بين اللون المصري والهدف الانساني في تلاؤم وتكامل وفن خالب بديع . وهي تصور من خلال تلك الالوان المصرية الزاهية نزعة المراة التي لم تكن تتصور ان في مقدورها ان تظفر من متع الدنيا باي شيء ، فلما اقبلت عليها متعة متواضعة ممثلة في كهل كان يمكن ان يسعدها وينقذها من ظلمة يأسها ، عصف بها الكبر والطمع والبطر فابت الا ان تظفر بكل شيء اي بالشباب والجمال والحظ او تودع الحياة بأسرها .

تلك هي المراة في جبروتها وفي شعارها العنيد : « كل شيء او لا شيء » فهذه القصة كما ذكرنا تعتبر طرفة في ادبنا المصري العربي الحديث .

واما قصة « النداء الاعلى » فهي قصة لا نعتقد ان ثمة قصة تشبهها في ادبنا الحديث . انها قصيدة شعرية بل سمفونية موسيقية ترتفع بنا الى مستوى وجداني مثالي خالص . فهي صورة من حب خارق عظيم جمع بين قلبين ووحد بينهما في انجذاب روحي تخلصا به من شتى نوازع الجسد ومغرياته لتلتقي روحاهما في عالم اسمى واكمل من هذا العالم . والشائق في هذه القصة انها تسير اول الامر في مجرى واقعي ثم ترتفع شيئا فشيئا الى ذلك الافق المثالي الرائع الذي اشرنا اليه والذي يخلب لب القارىء بما يتخلله من لمسات نفسية عميقة زاخرة بالوان الشعر الحي والخيال المستطرف العجيب .

وعلى هذا تتعاقب سائر قصص المجموعة ، نازعة الى الواقعية تارة والى المثالية تارة اخرى ، او مؤلفة بين النزعتين في فن ينهض على دقة الملاحظة وبراعة التحليل وقوة التخيل وبلاغة العبارة والاسلوب .

فهذه المجموعة تؤكد لونا متميزا من الوان القصة عندنا . لونا يرتفع ولا ريب الى مصاف اجمل واقوى ما عرفنا من الاعمال الادبية عند مشاهير كتاب القصة في الغرب ، كما تؤكد المجموعة اصالة الاستاذ ابراهيم المصري في فنه وتجعل منه بحق ذلك القصصي الشرقي المبدع الذي لا يفتا يضيف الى مكتبتنا العربية كل ما هو فذ ورائع وجديد .

طنطا ـ مصر

ابراهيم سعد الجندي

•

الاصول العربية للدراسات اللبنانية

تاليف يوسف اسعد داغر ـ ٧٦٠ صفحة من القطع الكبير ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ مطابع حبيب عيد ببيروت ١٩٧٢

لا يزال الاستاذ يوسف اسعد داغر يمد المكتبة العربية بكتب المراجع والاصول ممثلة بهذه الببليوغرافيات العديدة التي اتحف بها البحث العلمي والناهضين باسبابه في الشرق العربي . فقد اخرج للباحثين والدارسين ، في مجال الدراسات اللبنانية ، كتابا جديدا هو : « الاصول العربية للدراسات اللبنانية » ضم ٥٢٠٠ مرجع ببليوغرافي باللغة العربية تتعلق بلبنان في شتى مراحل تاريخه ومناحي نشاطاته ومظاهر ثقافته .

وهذه المصادر والمراجع هي في سوادها الاكبر ، مؤلفات وكتب عربية تتعلق بلبنان ، وضعها لبنانيون او غير لبنانيين بينما يتالف الباقي من مقالات وابحاث مستمدة من مجلة « الابحاث » الصادرة عن الجامعة الاميركية في بيروت ، ومن محاضرات الندوة اللبنانية منذ تاسيسها عام ١٩٤٧ ، ومن بعض المقالات من مجلة : « اوراق لبنانية »، هذه المجلة التي اصدرها الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ .

وتسهيلا للمراجعة ، حرص الاستاذ داغر على تنسيق هذه المصادر تنسيقا علميا مستلهما اقسام تصنيف ديوي العشري . وقد ساق تحت كل موضوع عام ، المراجع والمصادر التي تتعلق به واوردها بحسب اسماء مؤلفيها مرتبة على الهجاء .

في الاسواق

م . ع . الرميح

قراءات معاصرة

• دراسات
• مراجعات
• نقد

منشورات مجلة الاديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكتاب ينتهي بفهرسين كبيرين يقعان في نحو ٨٠ صفحة ، الاول منهما للمؤلفين والكتاب الواردة اسماؤهم في تضاعيف الكتاب ، بحسب مادة الموضوع .

يؤلف هذا الكتاب اداة علمية لا مثيل لها من حيث وفرة المواد وغناها والدقة في التعريف والتحقيق البيليوغرافي نتمنى صادقين ان يتوفر مثله لكل بلد عربي . نبدي هذه الامنية ونحن لا نجهل ان المؤلف المغربي عبد السلام بن سودة ، وضع للمغرب كتابا بعنوان : « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ، صدرت طبعته الاولى عام ١٩٥٦ في ٥٥٤ صفحة ، وقد طبع طبعة جديدة في مجلدين ، في الدار البيضاء ، عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ .

والاستاذ داغر هو الان في سبيل نشر الجزء الثالث من موسوعته « مصادر الدراسة الادبية » ويضم هذا الجزء ٥٥٠ ترجمة او دراسة لمثل هذا العدد من ادباء النهضة الراحلين . وسيقع هذا الجزء في نحو ١٧٠٠ صفحة . ومن المتوقع انجاز الطبع في اواخر هذه السنة .

●

أقاصيص أردنية

تأليف عيسى الناعوري ـ ترجمة اسبانية للمستعرب الاسباني خوسيه رودريغس تروبوخو ـ ٥٠ صفحة من القطع الوسط ـ الناشر : البيت الاسباني العربي بمدريد

صدرت اخيرا في سلسلة منشورات البيت الاسباني العربي ، في مدريد ، ترجمة اسبانية لعدد من أقاصيص الاديب الاردني عيسى الناعوري ، من مجموعته القصصية « اقاصيص اردنية » الصادرة عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٩ . وقد قام بهذه الترجمة وكتب مقدمتها المستعرب الاسباني الشاب خوسيه رودريغس تروبوخو . وفي ما يلي الترجمة العربية لهذه المقدمة الاسبانية :

ليس من شك في أن ثمة شخصية تتميز بقوة في محيط الادب الاردني ، وتتألق بضياء خاص ، ليس في بلدها وحده ، بل في محيط الآداب العربية عامة . ذلك هو عيسى الناعوري .

ولد عيسى الناعوري عام ١٩١٨ ، في فترة تعتبر ذات اهمية رئيسية في ربط التاريخ العربي الحديث ، هي نهاية الحرب العالمية الاولى . ولذلك اندمج بعمق في حياته واعماله الادبية بكل الاحداث السياسية والاجتماعية التي تلاحقت دون انقطاع في العالم العربي ، وعلى الاخص ، وبشكل أشد قسوة ، في بلده الاردن وفي فلسطين المجاورة له .

ولما كان الناعوري من أصل قروي (ولد في قرية قريبة الى عمان ، تدعى ناعور) فقد حافظ دائما على صلة شعبية متينة وواضحة ، وعلى حب متميز ، لكل ما يتعلق بالقرية .

وعلى الرغم من ذلك فقد زوده استعداده الفكري برصيد ثقافي محسود ونادر المثال .

لقد أتم دراسته الابتدائية في القرية ، ثم انتقل الى المدرسة الاكليريكية اللاتينية في القدس (ولا بد من ان نذكر ان الناعوري مسيحي) حيث أتم دراسته الثانوية .

بعد ان انهى دراسته واصبح ذا ثقافة متينة ، كما اسلفنا ، انصرف قرابة عشرين سنة الى تدريس اللغة العربية وادابها .

وقد بدأ متأخرا بعض الشيء في نشر مؤلفاته ، فكأنما لم يكن كافيا لذلك ما لديه من تهيئة ثقافية للبدء في النشر . ثم التحق بوزارة التربية والتعليم حيث يعمل سكرتيرا للجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ، التي تعنى بالترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية . وفي سنة ١٩٥٢ أصدر مجلة « القلم الجديد » ومضى يكتب وينشر دون انقطاع (في اخر الكتاب ثبت بأعماله الادبية) .

ان الناعوري يجيد عددا من اللغات الاوروبية ، كالانكليزية ، وشيء من الفرنسية والاسبانية ، وعلى الاخص اللغة الايطالية، ويترجم الى العربية كثير من الاعمال الادبية الاكثر اهمية وتمثيلا لآداب البلدان التي تكتب بتلك اللغات . وهو في الوقت نفسه كثير الاسفار ، لا يكل منها ، وقد شارك في المؤتمر السابع للثقافة الاسبانية العربية الذي عقد في قرطبة عام ١٩٦٧ . وقد أحب بلدنا ـ اسبانيا ـ كثيرا ، وخير دليل على ذلك المقالات العديدة التي نشرها في الصحف الاردنية عن تلك الرحلة ، وعبر فيها عن انطباعاته المدهشة التي اوحت بها الحمراء ، وعن الآثار الرائعة التي خلفتها طليطلة في نفسه .

وهو يقيم الآن في عمان ، مستمرا في ممارسة نشاطاته الادبية المتعددة الجوانب .

اما اسلوب عيسى الناعوري فهو اسلوب رشيق ، مرن . وقلمه يكشف لنا عن تكوينه الفكري الموسوعي ، وعن الثقافات المتنوعة التي ترفده . وربما كانت واقعيته الادبية ـ وهي واضحة جدا لديه ـ متأثرة بالواقعية الايطالية ـ واللغة الايطالية ماثلة دائما كلما جاء ذكر الناعوري ـ التي تلت الحرب العالمية الثانية : واقعية براتوليني ، ومورافيا ، وغيرهما ، ممن ترجم الناعوري الكثير من اعمالهم الادبية الى العربية .

وعلى الرغم من أنه يمارس مختلف الفنون الادبية ، فان موهبته المتفوقة تتجلى دون شك في حقل القصة : في رواياته ، وعلى الاخص في استاذيته الفائقة في اعماله القصصية القصيرة والطويلة .

ولهذا حينما اردنا ان نقدم بدورنا نموذجا من ادب الناعوري ، اخترنا بنوع خاص ثلاث اقاصيص قصيرة من مجموعته الاخيرة « اقاصيص اردنية » .

في هذا الكتاب يكشف لنا المؤلف عن حياة القرية الاردنية وعاداتها في عهد مضى ، أي انه يعيد الى اذهاننا عالم طفولته . وبهذا الالتزام يرمي عيسى الناعوري الى اثارة الاهتمام الشديد بكل هذه

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

الحكايات الصغيرة عن الخيالات ، وحوادث الحب ، وكذلك المصائب التي تجري في القرية ، لان القرية هي المركز والمحرك للكتاب برمته . انها المحور الذي يدور حوله جميع اشخاص الاقاصيص ، بل هي أمهم جميعا ، الام الرئيسية التي ترى كيف يولد أبناؤها ، ويكافحون ، ويعيشون ، ويموتون !

وطبيعي انه حين يقدم الناعوري كتابا قصصيا من حياة الشعب، لا يمكنه ان يظل بعيدا عن مشكلة الوضع الاجتماعي والاقتصادي لذلك الشعب ، او ان ينسى شبح الحرب المخيم دائما ، والنزاع على الارض « الاحتلال » الذي تعيش القرية دائما عرضة له . وهكذا نجد في الاقصوصة الثانية « عسكري » من هذه الاقاصيص التي ترجمناها هنا، صورة لهذه الحرب التي تدور دائما، او المتوقعة دائما، في القرية، والتي تقرر المصير النهائي لـ « فضة » ، بطلة الاقصوصة ، اذ حرمتها من عريسها بعد ايام قلائل من زواجهما .

والوضع الاجتماعي والاقتصادي ينعكس بوضوح شديد في النزاع بين الفلاحين والرعاة ، الذي هو موضوع الاقصوصة الاولى « وانتصرت الارض » .

ومع ذلك كله فان عيسى الناعوري ، وان لم يكن كاتبا سياسيا ، لم يستطع ان يظل بمعزل عن الحالة السياسية القاسية في بلده ، وفي البلاد العربية عامة ، ولكنه يستعمل في اقاصيصه عنصرا خاصا هو عنصر « الرقة » .

والواقع ان الرقة التي يستخدمها الناعوري وهو يروي لنا الاحداث العاطفية التي تجري في القرية ، بعيدة كل البعد عن الغضب او الحقد . وبدلا من ان يستخدم المواضيع القروية ، التي يهتم بها الناعوري كل الاهتمام ، كعوامل سياسية ، يفضل الناعوري ان يحدثنا عن النزاعات الصغيرة ، وعوامل الخيبة اليومية التي تدور في عالمه القروي ، وفي عهد طفولته . وبهذه الطريقة الناجحة يغرينا بالتلذذ بالاقصوصة الحلوة التي عنوانها « انفاس البهائم » ، والمترجمة في هذا الكتاب .

ربما كان في وسعنا ان نعزو اليه الخطأ في سرد المظهر الرقيق ، وغير الضار في الوقت نفسه ، من الحياة القروية ، متحدثا عن المظهر الاجتماعي الصرف للقضية بكلام حصيف ، دون ان يهمله او يتجاهله. ولعل المظهر الشائك في الموضوع ان الناعوري ، ربما بحكم وضعه الخاص في الجهاز الرسمي الاردني ، لم يشأ ان يذهب الى ابعد من ذلك . ولعله تعمد ان لا يحمل اقاصيصه اصباغا كثيفة ، فاكتفى بأن يصور لنا شعبا بائسا عاملا ، كما لعله قد تأثر في ذلك بصديقه مورافيا . غير ان مما لا شك فيه ان هذه الطريقة تترك فينا اثرا عميقا للحياة المحببة التي تحياها جماعة من الناس وحد بينها قاسم مشترك من حياة الحقل والقرية .

وكما يتلاءم اسلوب الناعوري الواضح البسيط ملاءمة تامة مع رقة اقاصيصه ، كذلك يجعل هذه « الاقاصيص الاردنية » غنية بالجمال واللذة ، مما يجعل قراءتها تطيب لنا وتحلو .

مدريد — خوسيه رودريغس تروبوخو

•

قراءات معاصرة

دراسات ، مراجعات ، نقد ـ تاليف م. ع. الرميح ـ ٢٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الاديب ببيروت

« قراءات معاصرة » . كتاب جديد جيد ، صدر في بيروت هذا الشهر، وقفز بسرعة الى واجهات المكتبات ، ثم الى ايدي القراء ، فالى حلقات الدرس والبحث ، حيث تناولته بعد ذلك اقلام النقاد ، فوضعته على مائدة المناقشة والتشريح ، لتعطيه حقه من الثناء او .. التجريح !

وليس هذا بدعا في صناعة التاليف ، فكل كتاب ذي شأن ، لا بد له من قادح او مادح ، اما الغث الذي لا سمين فيه ، فهو ذلك الكتاب ، الذي لا يهتم به فكر ، ولا يجيش منه شعور ، ولا يتحرك له قلم .

كتاب « قراءات معاصرة » الذي ألفه الصديق الاديب الناقد ، الاستاذ محمد العامر الرميح ، والذي نشرته « مجلة الاديب » الغراء، هو من النوع الاول ، الذي شق لنفسه دربا مستقلا بين الدروب ، وفرض نفسه على ندوات الادب والفكر ، جاعلا من فصوله مجالا للبحث، ومن موضوعاته مدارا للاهتمام .

واذا كان من المعروف ، ان الكتب انواع منوعة ، وان فنون التاليف ، لا تحد بحدود ، وان جوانب المعرفة ، موزعة على اختصاصات الناس ، بحسب تعدد العلوم ، وتشعب الفنون ، فان توق القراء ، ونهمهم الى التهام المزيد من قطوف المعرفة ، هو الذي يجعل لكل كتاب ميدانا خاصا به ، ولكل فن من الفنون ، مجالا يستاثر فيه، وعلى هذا نلاحظ ان كل فريق من الناس ، لا بد له من الاقبال على نوع من الكتب ، يتصل بعلمه وفنه وثقافته ، او بميوله ونزعته وهوايته ، او بمذهبه ومهنته و ... احترافه .

هنا نسأل : ما هو المجال او الميدان ، الذي اقتحمه لنفسه كتاب « قراءات معاصرة » ؟!

الجواب : هو مجال « الفكر الادبي » . فالادب بما يشتمل عليه من نثر وشعر وقصة ومقالة ، يظل اكثر شمولا ، واوسع مجالا ، مما تشتمل عليه بقية فنون المعرفة ، ذلك لان الادب ، هو الحياة ، والحياة تهم الناس جميعا ، فكل فريق منهم يغترف لنفسه منها ما يشتهي ، واما بقية العلوم والفنون والمعارف ، فموزعة ـ كما قلنا ـ على اختصاصات الناس ، حسب اختلاف الرغبات والمشارب .

وليس كل كتاب ادب ، يمكن ان تتوفر له كل حظوظ النجاح .. فهناك كتاب قد يستهويك غلافه وعنوانه ، فاذا اخذته لم تجد فيه المادة التي ترضيك ، وهناك كتاب ، قد يرضيك موضوعه ، دون ان تستسيغ اسلوبه ، فتتركه غير آسف عليه ، وهناك كتاب يصعب عليك ان تقرأه كله ، لانه ذو موضوع واحد جامد ، يفرض عليك السأم والملل ، الا اذا كنت واحدا من المختصين بموضوعه ، المهتمين بدراسة فنه ، واما الكتاب الذي يستحوذ على اهتمام السواد الاعظم من القراء ، فهو ذاك الذي يشبه الحديقة الغناء ، او البستان النضير ، الذي ترى فيه الوانا مختلفة من الازاهير ، فتنتقل من زهرة الى زهرة ، لتستمتع بعبير الطيوب ، او تتجه من ظل شجرة الى ظل شجرة ، لتفر من لفحات حر ، وتتفيأ حنايا ظل ، وبين هذا وذاك ، تطرق سمعك اغاريد طيور او زقزقة عصافير ، فينساب نشيدها الى قلبك ونفسك وفكرك ، عبر خرير السواقي ، ومشي النسيم ، وحفيف الاشجار .

هذا هو كتاب المتعة المحببة ، الذي يحمل مع متعته ، غذاءا للفكر والقلب والروح .

واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، فكتاب « قراءات معاصرة » يدل عنوانه على محتواه ومضمونه ، هو بستان نضير او حديقة غناء ، تلتهم صفحاته بسرعة ، فلا سأم ولا ملل ، لانه متنوع الموضوعات ، ولا تعب ولا ارهاق ، لانه واضح المعنى طري الاسلوب ، ولا تقزز ولا اشمئزاز ، لانه بعيد عن التقعر فلا صنعة فيه ، ولا تكلف ولا قسوة.

تقرأ فيه افكارا في الشعر والنقد ، فتشعر ان المؤلف قد ألم بمختلف افكار المدارس الادبية ، القديمة والحديثة ، وناقشها مناقشة موضوعية ، ثم اعطى فيها رأيه ، من خلال احترامه لآراء وافكار الآخرين . حتى اذا خلص من بحثه ، ترك لك ، بادب جم ،

حرية ابداء رأيك بما كتب ، دون ان يدعي لنفسه كمالا او امتيازا .

بعد هذا ينقلك المؤلف ، الى ظل شجرة اخرى ، يحدثك فيها عن الشعر المهجري ، مختارا « فوزي المعلوف » فيقدم دراسة وافية عنه ، مبتدئا بسيرة حياته ، ثم بتقييم شعره ، وبعدها يختار بعض قصائده ، فيشرحها بلغة الباحث الدارس ، منتهيا الى وضع فوزي المعلوف ، فوق السدة التي ارتضاها له ، ورآها جديرة بادبه وشعره.

وعلى هذا النسق ، يسير المؤلف ، على درب تقييم الشعر المهجري ، فيتحدث عن ديوان « لكل زهرة عبير » للشاعر شفيق المعلوف ، وعن ديوان « سمار » للشاعر زكي قنصل ، وعن الملحمة الشعرية « معلقة الارز » لنعمة قازان ، ثم عن ديوان « من السماء » للشاعر المصري « المهجري » احمد زكي ابو شادي .

فاذا فرغ الاستاذ العامر الرميح من مختاراته المهجرية ، انتقل بك الى الشعراء المعاصرين ، فاختار يوسف الخال من لبنان ، و « ادونيس ـ علي احمد سعيد » من سورية ، ومحمد الفيتوري من السودان ، وسلمى خضراء الجيوسي من فلسطين ، وصالح جواد الطعمة من العراق ، فناقش شعرهم ودرس ادبهم وحياتهم ، ووضعهم على مائدة النقد الادبي الفني ، ثم انزلهم المنازل ، التي رآها متكافئة ، مع ما نشروه من اثر ، وما قدموه من فن .

ومن هنا انتقل بنا المؤلف الاستاذ الرميح ، الى تقديم موضوعات وافية ، على شكل دراسات لادباء ، وتلخيص لكتب ، وتقييم لآثار ، فتحدث عن شاعر تونس ابي القاسم الشابي ، وعن نازك الملائكة ، من خلال دراسة وافية للشعر العراقي المعاصر ثم اختار كتاب « ادباء من الجزائر » للدكتور ابراهيم الكيلاني فلخص محتواه ، وناقش بعض افكاره ، مشيرا الى خمسة ادباء جزائريين ، كان لهم حظ الاهتمام من الدكتور الكيلاني فاحتلوا كل صفحات كتابه ، وهم ادريس الشرايبي، ومحمد ديب ، ومولود فرعون ، وكاتب ياسين ، ومولود المعمري ، وتساءل صاحب كتاب « قراءات معاصرة » عن الاسباب التي جعلت الدكتور الكيلاني يقصر بحثه على هؤلاء الخمسة ، تاركا العدد العديد من شعراء الجزائر المعاصرين ، فاعلن انه غير مقتنع « بالظروف » التي برر بها الكيلاني اسباب قصر الحديث على خمسة شعراء وتمنى لو ان الكيلاني قد توسع في دراسة عدد اكبر من ادباء الجزائر ، خاصة بالنسبة للاديبين الكبيرين اللذين ذاع صيتهما في العالم العربي ، وفي اوساط الادب في فرنسا ، وهما مالك بن نبي ، وجان عمروش .

ويتابع محمد العامر الرميح ، دراسته ، فيكتب مطولا عن الكاتب التونسي « محمد كرو » من خلال كتابه « حصاد القلم » ويتحدث عن شعره المنثور ، فيثني على قسم منه ثناءا عاطرا ، ويتمنى لو ان صديقه الاستاذ كرو قد احجم عن نشر القسم الاخر من شعره النثري المشار اليه .

ثم اخذ الاستاذ العامر ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فناقش كتابه : « البحوث الادبية » وبعدها اخذ « كولن ولسن » مؤلف كتاب « اللامنتمي » المنقول الى العربية بقلم انيس زكي حسن، فلخصه وراجعه واورط مقطوعات وافية من افكاره وآرائه الفلسفية ، ولم يقف العامر عند هذا الحد ، بل سعى الى تحليل شخصية « اللامنتمي » سعيا مشكورا ، ووجد الكثير من الشبه بين الشاعر العربي « الحطيئة » وبين « لامنتمي كولن ولسن » كما رأى ان يربط بينه وبين لورنس ، وفان جوخ ، وابي العلاء المعري ، وختم دراسته لكولن ولسن ، بالدعوة الى قراءة كتابه قراءة كاملة عميقة لانه في رايه « افضل كتاب صدر خلال السنوات الاخيرة من حيث موضوعه وفكره ومستواه » .

هذا هو مجمل ما انطوى عليه كتاب الاستاذ محمد العامر الرميح يضاف الى ذلك مقالان ، الاول بعنوان « الشهر الابيض » والثاني بعنوان « فلسفة رمضان » وهذان المقالان يصوران الناحية الانسانية والخلقية والعقائدية التي يتحلى بها محمد العامر الرميح اذ يتضح من بين سطور قلمه ، ما تنطوي عليه نفسه من عقيدة ودين ، يزينهما ادب جم وخلق رفيع .

وبعد ، فهذه هي خلاصة ما قرأته في كتاب « قراءات معاصرة » ومن هذه الخلاصة ، يتضح انني حينما قلت بان محمد العامر الرميح، قد اخذ لنفسه في هذا الكتاب ، دربا مستقلا ، فانني كنت اعني ما اقول تماما ، فالكتاب ليس ذا موضوع واحد جامد ، وحين شبهته بالحديقة الغناء والبستان النضير ، فلانه كان فعلا كذلك ، ولان مؤلفه قد اخذ من كل حديقة زهرة ، ومن كل بستان ثمرة ، ثم وفق بين الزهر ، وقارب بين العبير ، حتى جعل من كتابه متعة نفسية ، ذات غذاء فكري وروحي ثمين .

وقد يقول قائل ، ان العامر ، لم يأت بجديد ، فها هي الكتب المدرسية ، التي تذخر صفحاتها بالعديد من تراجم الشعراء والادباء والمفكرين ، وها هي الملخصات التي تنشر هنا وهناك ، عن كتب قيمة او كتاب مرموقين ، فاين الجديد بما صنعه العامر الرميح ؟!

وفي الجواب على هذا نقول : لا ... ان الفرق بعيد جدا بين الكتب المدرسية التي تطرح موضوعاتها ، على مستوى محدد ، يتناسب مع قدرة الطلاب على الفهم والاستيعاب ومع اسنانهم الدراسية ، وبين الكتب الموضوعة على مستوى فكري واجتماعي عال وشامل ، فهذا النوع من الكتب ، يصح ان يكون منارا للثقافة العامة ، يهتدي بهديه الادباء والمتادبون ، ويعتمد على حصيلته كبار الكتاب والمفكرين ، اذ كثيرا ما تغني هذه الطريقة : طريقة قراءة الكتاب الواحد ، ذي الموضوعات الكثيرة ، المدروسة بعمق ، والمطروحة بفن ، عن قراءة كتب عديدة ، قد لا يتوفر للراغب بقراءتها ، ما يلزمه من وقت ، وما يحرص عليه من درس ، ومن هنا نستطيع ان نقول بسهولة : ان

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد العامر الرميح ، قد بذل جهدا مشكورا ، وقدم حصيلة جيدة ، نعتقد انها ستكون باكورة انتاج غزير ، يعود على ساحة الادب والفكر، بالخير الجزيل .

ولا يعني قولنا هذا ، اننا نتبنى كل ما قدمه الاستاذ العامر في كتابه من افكار وآراء ، او نقبل بما اورده دون مناقشة او محاكمة ، لا .. فهناك نواح كثيرة ، نختلف معه فيها اختلافا عميقا ، منها ما يتعلق بالنقد الادبي ، فنحن اميل الى الاقتناع بما يقوله اوسكار وايلد ، لاننا نعتقد ان النفس البشرية ، لا تزال دون المستوى الكمالي الذي تستطيع ان تتجرد فيه عن عواطفها وميولها ، لتكون مثالية الحكم ، مثالية التنفيذ ، وحين تبلغ البشرية ذلك المستوى ، يكون بمقدور الناقد الادبي ، ان يقول رأيه ، المؤيد بقواعد العلم والفن والمعرفة دون ان يخشى ، ظلما يقع عليه ، او سهاما تنوشه من كل صوب !

وما نقوله عن النقد ، نقوله عن الشعر ، فالشعر لا يكون شعرا في رأينا الا اذا كان شعرا عموديا يقوم على القوافي والتفاعيل والاوزان واما ما يسمى ب « الشعر الحديث » او «الشعر الحر » فكلاهما – في رأينا – ليس شعرا ، بل هو كلام منثور ، قد يكون في سبكه وجرسه ومعناه ، افعل واجمل واوقع ، من اجود اي شعر مقفى وموزون ، لكنه مع ذلك ، يظل محتفظا باسمه كنثر ، ولا يمكن ان ينتزع لنفسه اسم « الشعر » ، وليس هذا انتقاصا من قيمة النثر ، او رفعا لشأن الشعر ، اذ لا فضل للشعر على النثر ، ولا للنثر على الشعر ، الا بالجودة ، وصدق الحس ، وسلامة التعبير ، والدخول الى تادية المعاني والاغراض ، على الشكل الذي يقبله العقل ، وترتاح اليه النفس ، ويانس به الشعور .

وتقريرنا لهذه الحقيقة ، ينبع من اقتناعنا ، بان كل اسم له من مسماه نصيب ، فلا يجوز ان نسمي الباب نافذة بحجة انه يسمح بدخول الضوء اكثر !! ولا ان نسمي النافذة بابا ، بحجة انها تحول دون الضجيج ولا تمنع دخول الضوء !!

لا .. الباب باب ، والنافذة نافذة والشعر شعر ، والنثر نثر ، وكل منهما يجب ان يكون له من مسماه نصيب .

ومع مرور الزمان ، وتعاقب السنين ، يكون البقاء للاصلح ، سواء كان شعرا أم نثرا ، والرديء من الكلام المنظوم او الكلام المنثور، لن يكون له مكان او مقام ، سواء سميناه شعرا ، او سميناه نثرا .

في هذه الناحية من كتاب « قراءات معاصرة » نختلف مع مؤلفه الصديق العامر اختلافا واضحا ، اي اذا اخذنا بعض اقواله التي شدد فيها على التجرد من بحور الشعر وتفاعيلها واوزانها وقوافيها ، ولكننا نجدنا متفقين معه كل الاتفاق حين يقول في الصفحة ٢٨ ما يلي بالنص :

« الذي يمهني من الشعر ، هو روحه ، ولا فرق عندي اذا كانت القصيدة الجيدة مكتوبة بالاسلوب القديم اي باسلوب الشعر العروضي ، او مكتوبة بالشكل الجديد للقصيدة ، المهم هو مضمون القصيدة ، وليس شكلها الخارجي ، والمهم ان ينجح الشاعر في بلورة احاسيسه ومشاعره بصدق ، وفي نقلنا الى انجو العام لموضوع قصيدته ، لا ان يضعنا امام كتلة من الكلام الجامد ، لا صوف بعناية، المجرد من روح الشعر ، ومن لغة ومادة الشعر ، ومن الحركة الحية للكلام الشعري » .

هذا ما قاله الاستاذ العامر ، وهو كلام صحيح مئة بالمئة ، بل هذا هو المهم ، وهذا هو المطلوب من الكلام المكتوب المسمى نظما او نثرا ، ويبقى هناك خلاف صغير واساسي ، هو ان قطعة النثر ، سواء كانت جيدة جدا ، او رديئة جدا ، لا نستطيع ان نسميها « قصيدة » فقصائد الشعر ، هي الكلام المقفى الموزون ، وما عدا ذلك ، فهو كلام منثور ، حتى ولو كان من النوع المسمى ب (الشعر الحر) الذي يتنقل بين الاوزان والقوافي ، فيخلط بين هذا وذاك ، دون ان يحترم عدد التفعيلات او يعتمد مبدأ القوافي والتشطير !

ونريد ان نسجل للاستاذ العامر ، صدقه في التعبير عن رأيه ومعتقده ، مع علمه بان دعوته الى تجاوز الشكل التقليدي والحدود العروضية ، في الشعر المعاصر قد تضعه موضع (عدم الرضى) لدى بعض القراء ، الا انه آثر ان يقول رأيه هذا بصراحة في مقدمة الكتاب، تاركا لكل قاريء حق ابداء رأيه بكل حرية وتجرد ، وهذا يؤيد ما قلناه بين سطور هذه الدراسة ، عن النهج الادبي السليم الذي اختطه لنفسه محمد العامر الرميح .

وقد يكون مفيدا ، في هذه الدراسة ، ان نشير الى ان الحرب بين الشعر والنثر ، حرب قديمة ، والصراع بين القديم والجديد ، صراع مزمن ، فحين يفتح الطفل عينيه على الحياة ، يشعر بان حياته جديدة ، فيطالب بالتجديد .. تجديد كل شيء ، لكنه لا يلبث ان يصبح قديما بنظر الجيل الذي يليه ، فيتعرض لهجوم هذا الجيل الذي لا يبعد ان يكون ابنه عضوا فيه ، او واحدا بين المهاجمين ، وهكذا يشرب من نفس الكاس ، التي سقى بها اباه او جيله السابق ... ففي كل دهر ، وكل عصر ، وكل قرن ، يستمر الصراع بين القديم والجديد ، « سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

قبل نحو الف سنة ، كتب بن رشيق القيرواني المتوفي عام ٤٦٣ من الهجرة الشيء الكثير عن الشعر والشعراء ، فقال في مقدمة كتاب « العمدة » :

« مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الابية ، وعز الانفة ، وسلطان القدرة ، وجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون ، ويقلون ويكثرون ، قد بوبوه ابوابا مبهمة : « شعر حديث او شعر حر ، او شعر منثور » ولقبوه القابا متهمة ، وكل واحد قد ضرب منهم في جهة ، وانتحل مذهبا ، هو فيه امام نفسه ، وشاهد دعواه » !!

رحم الله بن رشيق القيرواني .. ان ما قاله قبل نحو الف سنة، لا يزال موضع صراع ، وميدان جدال ، فالزمن يدور ، والتاريخ يعيد نفسه ، ويظل البقاء للاصلح ، سواء كان نثرا او شعرا ، وكما يتغنى الناس على مرور الزمن ، بالجيد من شعر زهير ولبيد والمتنبي والمعري وابي تمام وشوقي وحافظ فانهم يتغنون ايضا بالجيد من كلام قس بن ساعدة ، وعلي بن ابي طالب وواصل بن عطاء والحجاج بن يوسف وبن المعتز وعبد الحميد الكاتب ومحمد بن عبد الملك الزيات والعقاد والرافعي وطه حسين .

لكل جيل حقه في الحياة ، ولكل انسان قديمه وجديده ، وتقليده وتجديده ، ولا بد من شرب الكاس ، فهنيئا لمن كانت كاسه سائغة هينة ، وتعسا لمن كانت كاسه غير ذلك .

نعود الى موضوع الكتاب ، فنصر على ان مؤلفه قد اختط لنفسه دربا مستقلا بين الدروب، ونحا ناحية نبيلة القصد ، شيقة الغاية ، فقدم للمكتبة العربية ، زادا ذا شان ، لا بد من ان يجد حقه من العناية والترحيب ، لدى اصحاب الفكر الرضي ، والفرض النقي ، فاهلا بالصديق الكريم الاستاذ محمد العامر الرميح ، على صعيد التاليف والنشر ، ومرحبا بكتاب « قراءات معاصرة » كنتاج ادبي جيد ، سياخذ مكانه اللائق في المكتبة العربية .

بشير العوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● حوار عبر الابعاد الثلاثة ـ شعر ـ بلند الحيدري ـ تصميم الغلاف والرسوم يحيي الشيخ ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ـ الكتاب رقم ٢٥ في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● نحو تفصيح العامية في الوطن العربي : دراسات مقارنة بين العاميات العربية ـ تأليف عبد العزيز بنعبد الله ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط بالمغرب ـ مطبعة فضالة بالرباط .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تأليف مهدي بديرة ـ الكتاب الاول ـ ٣٢٨ ـ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● قواعد لفظ اللغة الانكليزية ـ تأليف مهدي بديرة ـ ٢٤٨ صفحة ـ منشورات مهدي بديرة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قواعد كتابة اللغة الانكليزية ـ تأليف مهدي بديرة ـ الطبعة الثانية منقحة ومزيدة ـ ١٣٦ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سنابل حزيران ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ٢٠٤ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● اغلال القلب ـ مجموعة قصص ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٧ ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● اغنيات من بلاد الاقزام ـ مجموعة شعرية ـ محمد ياسر شرف ـ الغلاف والرسوم الداخلية للشاعر ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● ٤ مسرحيات عالمية ، فصل واحد ـ لجان كوكتو وبرتولد بريشت والكسندر ديماس الابن وجان آنوي ـ ترجمة يوسف البدري ـ ١٢٨ صفحة ـ دار النجاح للطباعة بالاسكندرية .

● في مهب الريح ـ قصة ـ تأليف الياس قنصل ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بوانس ايريس عاصمة الارجنتين .

● رواد الشعر السكندري في العصر الحديث ـ تأليف عبد العليم القباني ـ ١١٢ صفحة ـ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٨٢ ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

● هكذا عرفتهم ـ تأليف جعفر الخليلي ـ الجزء الثالث ـ ٣٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● هكذا عرفتهم ـ تأليف جعفر الخليلي ـ الجزء الرابع ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● ازاهير ـ مجموعة شعرية ـ محمد بن علي السنوسي ـ ٨٠ صفحة ـ (صدر بالسعودية) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو عمرو الداني الاندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية ـ تأليف الدكتور محسن جمال الدين ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ـ سلسلة من المخطوطات الاندلسية في مكة المكرمة رقم ١ ـ ٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الدر النظيم في خواص القرآن العظيم للوباشي ـ تأليف الدكتور محسن جمال الدين ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ـ سلسلة من المخطوطات الاندلسية في الخزائن العراقية ـ ٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● خمسة ايام في المربد مع الشعر والثورة ـ تأليف عبد المجيد لطفي ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة الاعلام العراقية على طبعه ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● الدين الحق ـ تأليف محمد حسن الحمصي ـ الكتاب الاول من سلسلة « قصص من التاريخ » ـ ١٣٢ صفحة ـ مطبعة دار الكتاب بدمشق .

● المرفأ القديم ـ مجموعة شعرية ـ عبد الصاحب الموسوي ـ تقديم ضياء الدين الخاقاني ـ الغلاف واللوحات الداخلية لمحمد سانم ـ ١٧٦ صفحة ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ببيروت .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تأليف مهدي بديرة ـ الكتاب الثاني ـ ٤٦٤ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● آهات عمري ـ مجموعة شعرية باللغة العامية ـ محمد عبد الغني السيد ـ تحية من عمر الدسوقي ـ تقديم محمد مصطفى الماحي وكلمة لعبد الفتاح مصطفى ـ وكلمة ختام لمحسن محمد حسن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طواحين بيروت ـ رواية ـ تأليف توفيق يوسف عواد ـ ٢٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● السابقون واللاحقون ـ رواية ـ تأليف سميرة المانع ـ صمم الغلاف الفنان المغربي عبد القادر السميحي ـ ١٢٠ صفحة ـ طبع بمساعدة وزارة الاعلام العراقية ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ادب الحياة ـ تأليف كمال جنبلاط ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قراءات معاصرة : دراسات مراجعات نقد ـ تأليف م. ع. الرميح ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الاديب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مختارات الزهاوي من عيون الشعر ـ جمعها وحققها واضاف لها هوامش : عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● ثورة من تحت ـ مسرحية من فصلين ـ تأليف صلاح الدين الحريري ـ مصمم الغلاف ج. آر. ان ـ ٢٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .

● فاين الله ؟ !! ـ مجموعة قصص قصيرة ـ تأليف محمد حسن الحمصي ـ ١٢٨ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ من سلسلة قصص من التاريخ ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

العامودي الناقد

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

منذ اكثر من عشرة اعوام ورسائل الاستاذ العامودي تفد الي متحدثة عن شؤون مختلفة في الادب والثقافة أبدا بها، فيعقب عليها في ايجاز ينطق بالدقة والاخلاص ، وكنت المس لديه سماحة نادرة تنأى به عن الغرض والهوى بل ترتفع به الى النظر الشامل المغتفر لهنات يراها من لوازم البشر ، ودوافع الدم واللحم في دنيا تصطرع بالانانية والاثرة ، والرجل شاعر حساس ، او قل انه بدأ حياته الادبية شاعرا يفيض بهذا اللون الرائع من الوان الادب في قوة واقتدار ، وفي الناس من تكون شاعريتهم زيفا خادعا يختل القارىء بأوزانه وقوافيه ومن يصدرون في سبحاتهم الملهمة عن طبع رقيق يصور أسمى المنازع واصدق الخوالج ، وهؤلاء يكونون شعراء في سلوكهم ومواقفهم وعلائقهم الذاتية بالمجتمع والافراد ، قبل ان يكونوا شعراء بما يسطرون من كلام .

والاستاذ محمد سعيد العامودي شاعر بسلوكه لا محالة ، بل انه بسلوكه الراحم المتسامح ليعد في نفر من الآحاد ، اذكر ان الضيق قد بلغ به مبلغا حادا حين وجد بعض من يرسلون مقالاتهم للنشر بمجلتيه « الحج » و « الرابطة » يسطون على آثار غيرهم في وقاحة ، وكنت أنا وسيلة بعض هؤلاء اليه عن جهل بحقيقة ما يقترفون ، وقد فوجىء الرجل حين وجد مدعيا من هؤلاء يرسل اليه مقالا براسه لكاتب آخر غير خجل من نسبته الى نفسه ؟

فقل لي بربك ماذا تصنع ايها القارىء معي اذا كنت رئيس التحرير ! لقد كنت اتصور فيضا من المؤاخذة يغمرني عن يمين وشمال ، اذ اني لا محالة أحد الشركاء في هذه المأساة حين زكيت سارقا لم يصن كرامتي معه !

ولكن الاستاذ العامودي يكتب الي خطابا رقيقا يقول فيه بعد مقدمة هادئة « ان فلانا أرسل الي مقالا علمت حين رايته انه مقال الاستاذ فلان المنشور من اعوام بمجلة كذا ؟ فكيف يقترف ذلك مع انه خليق ان يأتي بشيء ينسب له لو اتكأ على نفسه وفرغ للبحث عن غيرة واخلاص » ! هذا ما قاله الشاعر الرقيق ابان ثورته الغاضبة ، ولو كان غيره مكانه لنفس عن غيظه بلوم عنيف !

والحق اني بعد هذا الموقف اخذت اسأل نفسي ، ترى لو احترف الاستاذ العامودي النقد ـ وهذه روحه النبيلة ـ ماذا يكون موقفه مع خصوم رايه من المؤلفين ؟ ان الرجل قارىء مسلح بأحدث ثقافات العصر ، وقد قال الاستاذ عبد القدوس الانصاري صادقا « ان العامودي من الادباء القلة الذين لا يتركون أية مناسبة عالمية تمر ، او أية عاصفة تهب في ارجاء الدنيا او اي حدث كبير يقع الا ويجيل فيه فكره ثم يشرع قلمه فاذا به يحبر ويدبج المقالات التاريخية او الادبية ، واذا به يدمج التوجيه الذي يريد توخيه لواطنيه ووطنه في طيات مقاله ادماجا سداه ولحمته اللباقة في الاستعراض ، وكل قارىء لما كتب يفطن بطبيعته الى هذا السر ، والى هذا الهدف ، وهو يصل من ذلك الى مبتغاه باسلوب ليس رمزيا وليس صريحا ، انه أسلوب الكاتب القدير في فنه الذي يراعي الاجواء ويفهم اتجاهات الرياح ، ويعرف كيف يسير سفينة بحثه ويوجهها بين التيارات المتضاربة والجو المغبر المكفهر حتى يصل بها آخر الامر الى ساحل السلامة والنجاح ، وهذه الغاية لا يرقى الى ذروتها الا كل كاتب موهوب ! » .

أجل ، لقد سألت نفسي ترى لو احترف الاستاذ العامودي النقد وهذه روحه النبيلة ، وتلك ثقافته البصيرة ماذا عسى ان يكون موقفه مع خصوم رايه من المؤلفين ؟ ثم سمحت الايام ان اعرف الاجابة الدقيقة عن هذا السؤال حين وقعت بين يدي صفحات نقدية هامة سطرها الاستاذ في محبة وانصاف ، فاوجدت سبيلي الى القول عن منزع عف نتساءل عنه ونفتقده في اكثر ما نرى في حلبات التصاول واللجاج ، واحر بنا ان نشير اليه متطلعين !

لقد كان من قدر الاستاذ ان يراس تحرير مجلتين شهريتين ، وان تتوالى عليه احدث المطبوعات ليتكلم عنها في باب الكتب والمؤلفات ، والناقد من غير طراز الاستاذ

العامودي لا يعيبه ان يجهر بصوته مهما آلم وانتقص ، ولكن العامودي الناقد شاعر في صميم روحه ، وهو مضطر الى ان يرفق بكل صاحب اثر ادبي اذ قدم للناس جهد ما يستطيع ! وقد ارتضى لنفسه ان يسلك مسلك العرض الموجز مكتفيا بالاشارة العابرة حين تنفتح امامه مآخذ لا يحب ان يفصح عن عوارها للناس ، ولقارئه اذ ذاك اذا ارتفع قريبا من مستواه ان يلمس في مطاوي السطور القليلة بعض ما يرم الكاتب المتسامح من معان ! اما اذا كان الانتاج جيدا دسم المادة فالعامودي الناقد يجول في ميدانه شجاعا غير هياب ، وهي شجاعة المحب الكاشف عن اللوامح ، المحلل للدقائق المفصح عن وجهات الخلاف في صراحة وجلاء ! واي كتاب حي دسم ينأى عن اختلاف النظر في بعض قضاياه ، هنا نجد الانصاف المقدر ، والتسديد المعين .

وسنضرب المثل بما سطره الاستاذ عن كتابي « العناصر النفسية في سياسة العرب » للاستاذ شفيق جبري و « العرب تاريخ موجز » للدكتور فيليب حتي ، حيث اقتنع العامودي بتوفيق الباحثين الكبيرين في اكثر ما اتجها اليه من مقال ، فنشر بساط التحليل الكاشف في صفحات مجيدة تشرق بالصدق وتعمق بالنظر وتفوح بالود ، فهو يخص كتاب العناصر النفسية بمقالين رائعين يفيض اولهما في تعداد الجديد مما اهتدى اليه المؤلف مستشهدا ببواده ساطعة مما قال ، في حين يتجه المقال الثاني الى مناقشة هادفة تقوم الكتاب ولا تتحيفه بعد تعداد وجوه من محاسنه ، ولا ادل على طريقة العامودي من ان ننقل عنه بعض نقداته حين عارض الاستاذ جبري في رايه عن جنوح عمر الى الشورى في اختيار خليفته مقارنا بمعاوية حين اختار يزيد وليا لعهده نائيا عن مسلك عمر ! حيث قال العامودي في دقة وتمحيص .

« ونحن نرى ان مثل هذه المقارنة بين عمر وبين معاوية في جنوح عمر الى عدم الاستخلاف وتركه أمر تعيين الخليفة من بعده شورى للمسلمين وذهاب معاوية الى عكس هذا التصرف ، نقول ان هذه المقارنة لا محل لها هنا لان وجه الشبه فيها معدوم ، اذ يوجد فارق كبير ـ وهذا ما نعتقد ان الاستاذ جبري نفسه لا يشك فيه ـ بين العهدين ، عهد عمر وعهد معاوية فليس الفارق هنا فارقا بين سياسة عمر من حيث هي ، وسياسة معاوية من حيث هي ، وانما الصحيح ان نقول ان الفارق بين السياستين منشؤه الفارق بين العصرين ، الفارق بين عصر الراشدين وعصر الامويين .

وقد كان من السهل على المؤلف الحصيف ان يقرب المسافة ، فيدعم في تحبيذ الخلاف بما فعله الخليفة الاول وهنا قد تكون المقارنة اقرب الى الصواب ؟ ولكن ما رايه في ان موقف سيدنا عمر في هذا الصدد كان يختلف كل الاختلاف عن موقف الصديق ايضا وما رايه اذا اوردنا الدليل على ان التصرف الذي تصرفه عمر رضي الله عنه في عدم الاستخلاف انما كان ناشئا عن خبرة نفسية . وليس هو بالغلطة النفسية ، وما رايه اذا كان هذا الدليل من كلام الاستاذ نفسه » .

ثم ينقل الاستاذ العامودي من كلام المؤلف ما يدعم به وجه الحقيقة ليخلص منه الى قوله الرائع :

« لو كان هذا التصرف من عمر غلطة نفسية لكنا رأينا من نتائجه غير ما رأينا من اتفاق كلمة المسلمين حين اعلن عبد الرحمن بن عوف في اليوم الثالث من هذه الايام انتخاب سيدنا عثمان من بين الاقطاب .

فاذا قال قائل هنا عما حدث في عهد عثمان رضي الله عنه مما ادى الى الفتنة الكبرى فلا يمكن ان نقول ان هذا من نتائج الشورى التي أرادها عمر وانما الحق ان نقول ان ما وقع في عهد الخليفة الثالث انما كان نتيجة عوامل اخرى لا علاقة لها البتة بالشورى ، فالنتيجة المتوخاة من الشورى قد حصلت على أتمها بمجرد ان اتفق المسلمون على انتخاب الخليفة الجديد » .

هذه وجهة صائبة جلاها الاستاذ في نقده المفعم بالتقدير ، وله نظائرها الكثيرة فيما يتعرض له بالنظر والتمحيص وحديثه عن مؤلف الاستاذ فيليب حتي يجمل محاسن الكتاب في مزايا كثيرة اذ انه في رايه قد اوفى على الغاية في تدوينه لاهم الاحداث البارزة ذات الاثر في تطور الحياة العربية والحضارة الاسلامية وبخاصة ما كان منها متصلا بالنواحي الاجتماعية والثقافية .. ثم في اسلوبه العلمي والادبي معا وفي روح الانصاف المتجلية في معظم ما يسوقه المؤلف من خلال سرده للحوادث وتحليله للرجال .

وبعد ان اضاء العامودي جوانب هامة من وثبات الكاتب ثنى بنقده في نصفة وتقدير فنقل قوله عن الحسن بن علي انه لم يكن رجل الموقف بعد ابيه اذ كان يميل الى البذخ والترف لا الى الحكم والادارة مكتفيا بهبة سنوية منحها معاوية اياه ، ليعقب عليه بقوله النافذ .

« لم يكن تنازل الحسن عن الخلافة ناجما عما وصفه به المؤلف من الميل الى الترف والبذخ ومعروف انه قد سبق الى مثل هذا القول بعض المستشرقين فمن اين لهم هذا ؟ ان موقف الحسن قد املاه خوفه ان تسفك دماء المسلمين ولا شيء غير ذلك ، فمن المفهوم ان الناس قد بايعوا الحسن بعد مقتل ابيه الامام فالتف حوله الجيش وبايعه اربعون الف او يزيدون على ان يموتوا دونه فيأبى ان يقاتل ، لماذا ؟ لانه رأى ـ وما اصح ما رأى ـ انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى ، فضن بدماء المسلمين ان تسفك وقال في صريح كلامه « كرهت ان اقتلكم على الملك » أفيصح ان يقال بعد هذا ان موقف الحسن بن علي من قضية الخلافة كان باعثه الميل الى البذخ والترف كما قال الاستاذ فيليب حتي متابعا بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغنية الميلاد الجديد

الليلة تأتي بعد الليلة ..
أضواء الليلة تأتي في استحياء ..
تعتصر خريفي ...
تنشطر الاطياف السبعة ..
في اغمـاء ..
في لقيا خوف ...
فاولي منهزما ..
مشطورا ظلي ...
وبحد السيف !

ليلة عرسي قالت أمي ، في صمت :
« الفارس يركب فرسه !
ويغني اغنية اللقيا ..
للمحبوبـة ..
فالليلـة ..
يهب الفارس للموعودة نفسه »
ما كانت تدري اني ..
ساغنـي ..
.. اغنية الموت !!

الليلة تأتي بعد الليلة ..
أضواء الليلة تأتي في استعلاء
تعتصر خريفي ..
تنشطر الاطياف السبعة
والكلمات المتقعات
فاذا بي أبصر ظلي بشرا غيري ..
يبحث عن حب آت .

القاهرة . **حسين علي محمد**

المستشرقين » .

ذلك نقد يصدر عن حب وانصاف ، وكم للعامودي في ذلك من نظائر واشباه .

ان انسانية محمد سعيد العامودي الناقد تتخلل كل سطر يخطه قلمه العف الرصين ، بـل ان هـذه الانسانية الكبيرة تحتم عليه ان يتكلم في موضوعات مقفرة لا تسمح لصاحبها بالانطلاق ، لان ضيقها المادي يمنـع القدم ان تتسلل كما تريد اذ تظل تتردد في شبه دائـرة مقفلة ، وقد لمست ذلك وانا اطالع بحثه المنصف عـن شاعر من شعراء القرن الثالث عشر هـو عبـد الواحد الجوهري الاشرم ! فماذا عسى ان يكون هـذا الشاعر ! انه وليد زمان ومكان لا يسمحان اطلاقـا بنبوغ شاعر ، فالتعليم منحدر ، والثقافة بعيـدة ، والجهـل ضارب ببحرانه في كل واد ! ولكن هـذا النبات الضعيف الهش قد استطاع ان يفلق الصخر لتظهر خضرته على السطح ، والخضرة هي مقدار توفيقه واصابته فـلا جذع ينمو ولا غصن يثمر ! لقد وجد عبد الواحـد نفسه ممتعا بسليقة تعرف الوزن الصحيح من الوزن المختل ، وتقدر علـى محاكاة ما تسمع من الابيات القديمة التي ينحدر اكثرها من عصور الانحطاط ، واستطاع مع هذا الجدب الموحش ان يقول شيئا في الغزل ولو كان صناعيا ، ثم سارت لـه ابيات تتكون منها بعض القصائد ، وانس مـن جمهوره المتواضع من يسمع له ويدون بعض ما ينظم حتى جـرى له ذكر بالشعر ، وهو ذكـر يبهج حين يمضي في الناس دون تحقيق ودراسة !

وكان القدر رحيما بعبد الواحد فاذن للعامودي ان يطالع بعض ما نظم في عصره المتخلف ! والناقد الانسان في العامودي لا يجيز لنفسه ان ينسى ظهور هـذا البريق الخاطف في ليل الجمود ، ليكن بريقا مبتورا لا ينكشف به ظلام ، ولكنه جهد يعبر عن ظاهـرة تتطلب التسجيـل والاعور ملك في دولة العميان كما يقول المثل العامي فلماذا لا يكون عبد الواحد هذا الملك في زمان الجهالة والركاكـة والاسفاف ، انه استطاع ان يقلد في وزن صحيح وحسبه ذلك عند العامودي فلا بد ان يقف عنده وقفـة انسانية توفيه حقه دون تطفيف .

ان اهم ما يحفظ للعامودي مكانه في دنيا الادب هو فهمه الاصيل لرسالة الاديب في الحياة ، فهو يـرى ان صاحب القلم كاتبا او شاعرا او ناقـدا ملتزم بنمط مـن السلوك الانساني الرائع يضعه في صف القيادة الواعيـة للركب انساني ــ فالاديب في رايه ــ يجب ان يكون مثالي المسلك نزيه الغرض نائيا عن جواذب الهبوط والاسفاف ، وهو ما طبقه العامودي على نفسه فتراءى لعارفيه علـى القرب كما تراءى لقارئيه علـى البعـد انسانا ممتاز الشخصية نظيف الخلق طويل الاناة !

اقول ذلك لاني رسمت له صورة في نفسي قبل ان اراه فلما اسعدني الحظ بلقائه رايت المعاني التجريديـة لدي تتجسد في اهاب انسان وديع ، والمثل الادبية تترقرق في حديث ناقد انيس ! وهذا راي لا اقوله وحدي بل اني اطالع الجزء الثاني من « المرصاد » فاجد مؤلفه الاستاذ ابراهيم هاشم الفلالي يقول في اخلاص ص ٢٦ :

النضوج في التفكير والاستقامة في الخلق والوقار في السمت والوضوح في البيان تلك هـي شمائل الاستاذ العامودي ! ثم يمضي الكاتب ليتحدث عـن الرجل في صفحات جياد ادعو القارىء الى مطالعتها ليجـد نمطا بديعا من الادباء يعيد ثقته في الفضيلة والفضلاء .

الفيوم ــ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

حول «دراسة في مصادر الادب»

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

الكتاب تاليف الدكتور طاهر احمد مكي ـ كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، ج١ ، ط١ (دار المعارف بمصر مطابع سجل العرب) مايو ١٩٦٨ (كانه الحلقة الاولى من سلسلة بعنوان : المكتبة الادبية) .

جاء في المقدمة : « ان التراث الثقافي العربي واسع ، والالمام به ومعرفة محتواه احدى المشكلات الكبرى التي تواجه الدارسين ، ناشئة ومكتملين ...

اختارني مجلس جامعة القاهرة مدرسا بقسم الدراسات الادبية بكلية دار العلوم ، فوجدت الفرصة سانحة لتحقيق امل راودني ... فاقترحت على اساتذتي وزملائي في القسم ان تدرس المكتبة العربية في عام واحد محاضرات متكاملة فيما بينها فاستجابوا للاقتراح مشكورين فكان ما يمكن ان اسميه مادة « مصادر الادب » ووقع علي عبء تدريسها ...

لست ازعم لهذه المحاولة الكمال ، فهي كاي عمل رائد لها صعابها ومخاطرها ، ولكني آمل ان اكون قد بدأت بها خطوة ...

ومن هنا كان اهتمامي بتتبع طبعات كل كتاب ، والتعريف بما كان منها جيدا ...

انني سوف اكون سعيدا باي ملاحظة تعين على تقويم هذا العمل ، واصلاح ما قد يكون داخله من نقص او خطا ، او تسمو في البلوغ به حد الكمال ... » .

وقد المت بالكتاب فعنت ملاحظات لا يخلو تسجيلها من فائدة ، وها هي ذي اهمها :

١ ـ لم يعد الحديث عن « مصادر الادب » عملا رائدا . ويمكن ان نذكر ـ على سبيل المثال : « نظرة تاريخية في حركة التاليف عند العرب » للدكتور امجد الطرابلسي وقد صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٤ .

وقد يكون هذا الكتاب احق بكلمة الريادة في المعنى الذي نحن بصدده .

٢ ـ الكتاب ، كتاب الدكتور طاهر احمد مكي ، في دراسة مصادر الادب العربي ، « والتاريخ » الملازم لهذه المصادر ولزمانها ولمؤلفيها هو التاريخ الهجري ومن هنا اصبح لا بد من ذكر هذا التاريخ ولا يغني عنه التاريخ الميلادي منفردا كما يفعل المؤلف احيانا :

أ ـ ص ٧٥ ، اول مصنع للورق في بغداد عام ٧٩٤ م .

ب ـ ص ٧٧ ، انشا الخليفة المامون عام ٨٣٠ م اول معهد للتعليم العالي في الاسلام .

جـ ـ ص ٧٨ ، أسس الوزير السلجوقي نظام الملك « المدرسة النظامية » في بغداد عام ١٠٦٥ م .

د ـ تنسب المستنصرية الى الخليفة المستنصر ، وقد أسسها في بغداد عام ١٢٣٤ م .

هـ ـ ص ٨٠ ، المبارك بن المبارك المتوفي عام ١٢١٥ م .

و ـ ص ٨١ ، وكان الخطيب البغدادي ، المؤرخ المشهور (١٠٠٢ ـ ١٠٧١ م) ...

ز ـ ص ٨٨ ، ويذكر اليعقوبي المؤرخ ان بغداد على ايامه عام ٨٩١ م .

ح ـ ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠ ، ابن عبد ربه ... ولد في قرطبة عام ٨٦٠ م ... مات بالفالج عام ٩٤٠ م ، ...

٣ ـ ص ٣٠ « كتب الاصمعي كثيرا ... وله مجموعة مختارة من الشعر القديم تحمل اسمه « الاصمعيات » ، وقد طبعت اخيرا ، وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة » .

قول المؤلف « اخيرا » غير دقيق ، لان الذي يفهم منه ان الاصمعيات لم تطبع الا اخيرا ، ومعنى اخيرا : في الايام او السنوات الاخيرة ، وهذا غير صحيح ، لان « الاصمعيات » طبعت قبل هذا ، ثم ان الخبر الذي اورده المؤلف يدل القارىء على ان الاصمعيات لم تصدر الا عن دار المعارف وهذا غير صحيح ايضا .

اجل ، لقد طبعت الاصمعيات في ليبسك سنة ١٩٠٢ ... وصدرت عن دار المعارف بتحقيق احمد محمد شاكر ومحمد عبد السلام هارون في طبعتين ، تشير مقدمة الاولى الى سنة ١٩٥٧ ، اما الثانية ففي سنة ١٩٦٤ .

٤ ـ ص ٣١ « حماد الراوية ... كان ... شاعرا ممتازا » .

قال حماد شعرا ، أما انه كان شاعرا ممتازا ففي المسالة اكثر من نظر ، وليس من شأن كتاب يدرس المصادر ان يطلق حكما يمكن ان يعد شخصيا ، والا فقد يكون الاولى ان يعد حماد شاعرا ضعيفا ... واذا كان « حماد الراوية » شاعرا ممتازا فماذا نقول عن بشار او ابي نواس ...

ومن المناسب ان نذكر ان استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير عرض في كتابه « بعث الشعر الجاهلي » لحماد الراوية ص ٩٣ ـ ٩٩ فراى فيه « شويعرا ... » .

٥ ـ ص ٣٤ « ابو عمر الشيباني ... » الصحيح : ابو عمرو ..

٦ ـ ص ٣٤ « ابن الانباري، ابو بكر محمد بن القاسم ت ٢٧١هـ ٨٨٥ م » .

الصحيح انه توفي عام ٣٢٧ (او ٣٢٨) ، اما عام ٢٧١ فهو تاريخ ولادته .

٧ ـ ص ٧٨ « المدرسة النظامية في بغداد عام ١٠٦٥ ... يدرس فيها القرآن والحديث والفقه طبقا للمذهب الشافعي ، وعلم اللغة والادب والجغرافية والتاريخ والمعمار والفلك والرياضيات والكيمياء والموسيقى والجبر ... وعاشت بعد غزوات التتر الاخيرة ، ثم اندمجت في معهد آخر هو المستنصرية » .

بهذه الاحكام حاجة الى التحقيق وكنت أتمنى لو ان المؤلف دل على انه رجع في تقديمها الى المصادر .

٨ ـ ص ٨٠ « الصفدي في كتابه نكت الهميان في نكت العميان ».

كذا ورد بفتح الهاء وسكون الميم ، والصحيح بكسر الهاء ، والكتاب مطبوع سنة ١٩١١ ، ومشكول بكسر الهاء .

٩ ـ ص ٨٠ « وقد اورد صلاح الدين الصفدي في كتابه « نكت الهميان في نكت العميان » رأي ياقوت في استاذه المبارك بن المبارك ، المتوفي عام ١٢١٥ م ، وكان استاذ النحو في مدرسة النظامية ، فقال عنه انه « قليل الحظ من التلاميذ ... فاذا جلس للدرس قطع اكثر اوقاته بالاخبار والحكايات وانشاد الاشعار حتى يسأم الطالب منه وينصرف عنه وهو ضجر ، وينقم عليه ذلك ، رغم انه كان يجيد عددا من اللغات الاجنبية من بينها التركية والفارسية والرومية والحبشية والزنجية ، وكان اذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليه المعنى العربي فهمه اياه بالعجمية » .

أ ـ « وكان استاذ النحو » تعبير حديث .

ب ـ « في مدرسة النظامية » ، في المدرسة النظامية .

جـ ـ لم نذكر تاريخ وفاة المبارك بن المبارك بالميلادي وحده ؟ وهو معروف بالهجري في مصادره (الصفدي ، ياقوت ...) أي عام ٦١٢هـ.

د ـ يدل وضع الدكتور طاهر احمد مكي القول بين اقواس على

انه استقاه من مصدره (نكت الهميان) مباشرة ، ولكن لفة الخبر لا تدل على ذلك ، فقد وردت فيه « اللفات الاجنبية » وهو استعمال حديث ...

هـ ـ رجعنا الى الصفدي في نكت الهميان فرأيناه يقول عن المبارك بن المبارك « تولى تدريس النحو بالنظامية سنين ... قليل الحظ من التلامذة ... وكان يعرف التركي والفارسي والرومي والحبشي والزنجي ... وكان اذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربي فهمه اياه بالعجمية » .

وفي اختلاف الروايتين ما يدل على ان المؤلف لم يرجع الى الصفدي مباشرة ، وعلى ان نص الصفدي هو الاسلم والادق .

و ـ ما لنا وللصفدي اذا كان المصدر الذي نقل عنه الصفدي ـ وهو ياقوت في معجم الادباء ـ موجودا ميسورا .

ولنلاحظ ان الكلمات : « وكان ... اوقاته ... يعرف بالتركي» من رواية الصفدي عن ياقوت ، جاءت لدى ياقوت : « يقطع اكثر وقته ... فكان يحسن بكل لغة من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والارمنية والزنجية » وان « فهمه اياه بالعجمية » لدى الصفدي ، وردت لدى ياقوت : « فهمه اياه بالعجمية على لسانه ».

(ينظر معجم الادباء ط. دار المأمون ١٧ : ٥٩ ـ ٦٠) .

١٠ ـ ص ٨٧ « وقد أورد المستشرق السويسري آدم متز في كتابه ... » صحيح السويسري : الالماني .

١١ ـ ص ٩٢ « ويقص ياقوت ان شيخه مبارك بن المبارك استاذ النحو في مدرسة النظامية لام امين احدى خزائن الكتب ، لانه ألف نسخة من كتاب المعري في نقد القرآن » .

أ ـ قد تدل لفة الخبر على ان المؤلف لم يرجع مباشرة الى ياقوت ...

ب ـ مبارك بن المبارك : المبارك بن المبارك (المعروف بالوجيه)..

جـ ـ أمين : خازن .

د ـ نقد القرآن : نقض القرآن .

هـ ـ ذكر المؤلف الخبر ليستدل به على ان « الكتاب والادباء والمفكرين » كانوا « يتمتعون ، بصفة عامة ، بحرية فكرية غير محدودة» ولكننا لو عدنا الى ياقوت ١٧ : ٦٥ ـ ٦٦ واكملنا قراءة الخبر وروايته وجدنا الدليل ضعيفا ، وربما دل على خلاف ما يذهب اليه الدكتور طاهر احمد مكي .

١٢ ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ « وعندما اقتحم هولاكو مدينة بغداد عام ٦٥٦ ـ ١٢٥٨ ، اباح عاصمة بني العباس اربعين يوما ... فالقيت مئات الالوف من المخطوطات في نهر دجلة ... » .

كنا نود لو ان الاستاذ المؤلف اسند القول الى مصادره ونظر فيه مليا ...

١٣ ـ ص ١٠٠ « وصلتنا دون تعليق على النص » : وصلت الينا ... ومثلها ص ١٦٣ ، ص ٢٢٥ .

١٤ ـ هـ ص ١٠٠ « اعتمدنا The Technique and Approach of Muslim Scholarship» تاليف فرانز روزنتال».

الكتاب منقول الى العربية بترجمة الدكتور انيس فريحة ومراجعة الدكتور وليد عرفات . بيروت ، دار الريحاني ١٩٦١ ـ وعنوانه : مناهج العلماء المسلمين .

١٥ ـ ص ١٣٢ : « دعبل بن علي بن رزين المتوفي ٢٢١ ـ ٨٣٥م» .

الصحيح : المتوفى ٢٤٦ ـ ٨٦٠ .

١٦ ـ ص ١٣٢ : « وبقيت « فحولة الشعراء » للاصمعي مخطوطة» لم تبق فحولة الشعراء مخطوطة فقد طبعت مرتين الاولى في اوربة عام ١٩١١ (وللفائدة نذكر ان الدكتور صلاح الدين المنجد قد اعاد نشر هذه الطبعة في بيروت ١٩٧١) والثانية في القاهرة سنة ١٩٥٣ .

١٧ ـ ص ١٣٢ ـ ٣ « اما نسب ابن سلام فهو ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سلام الجمحي ، مولى قدامة بن مظعون الجمحي ، فهو جمحي بالولاء . ولد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ـ ٧٥٦ م ، وعاش حياته في بغداد ، وتوفي بها عن قريب من تسعين عاما » .

أ ـ صحيح عبيد الله بن سلام : عبيد الله بن سالم .

ب ـ ليس محمد بن سلام مولى قدامة ، وانما المولى احد اجداده ...

جـ ـ « ولد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ... » هذا التاريخ تقريبي لانه لم يذكره لنا أحد ـ في المصادر التي وصلت الينا تاريخا لولادة محمد بن سلام .

د ـ « عاش حياته في بغداد وتوفي بها ... » لم يعش محمد بن سلام « حياته » في بغداد ، وانما عاش السنوات الاخيرة (العشر) وهذا واضح في رواية المؤلف نفسه التي نقلها عن ياقوت عن الحسين بن فهم ان محمد بن سلام قدم عليهم وقد تجاوز الثمانين من عمره ـ وعليهم تعني : عليهم في بغداد .

١٨ ـ ص ١٣٣ « وروى عنه (أي عن ابن سلام علماء عصره احمد بن حنبل) » .

لا صحة لهذا وهو غير متسق زمنان وان ورد في عدد محدود جدا من المصادر . ان الذي روى عن ابن سلام هو عبد الله بن احمد بن حنبل .

١٩ ـ ص ١٣٤ «... وله (اي لمحمد بن سلام) غريب القرآن...» وليس لهذا صحة ، لان غريب القرآن من مؤلفات القاسم بن سلام.

٢٠ ـ ص ١٣٤ « ترى هل ألف ابن سلام كل هذه الكتب ام ان بعضها كان فصولا ...؟ »

... تكسر همزة ان بعد أم .

٢١ ـ ص ١٣٥ « لم يطبع (طبقات الشعراء) في غير مصر من العالم العربي » .

للفائدة نذكر ان الطبعة الاوربية قد أفسدت في بيروت (سنة ١٩٦٨) .

٢٢ ـ ص ١٧٢ « لكن استطراد الجاحظ وترسله اذ اخذ بلب القارىء المستمتع ، فانه في الوقت نفسه ، يجعل مهمة الباحث عسيرة ... » .

يفهم من سياق الكلام ان المقصود بالترسل هنا : الاسترسال ، وارجو الا يكون ذلك هكذا ، لان الترسل صار مصطلحا يعني : الكتابة ...

٢٣ ـ ص ٢٠١ « عبد الصمد بن المعذل » ـ بكسر الذال .

الصحيح أن ابن المعذل ـ بفتح الذال .

٢٤ ـ هـ ٢٠٢ « التنبيهات على اغاليط الرواة » لابي القاسم علي بن حمزة ، مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وهي ناقصة ، وبها خروم، وتوجد تحت رقم ٥٠٢ لغة » .

طبعت هذه المخطوطة نفسها بالقاهرة ـ دار المعارف سنة ١٩٦٧ في الحلقة الحادية والاربعين من سلسلة ذخائرالعرب باسم : « المنقوص والممدود » للفراء و « التنبيهات » لعلي بن حمزة ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي .

٢٥ ـ ص ٢٠٥ « طبع الكامل (للمبرد) لاول مرة في اوربا ... عام ١٨٦٤ ... ثم طبع في الاستانة ، ونشرته المطبعة الخيرية ... ومطبعة التقدم ... وتوالى بعد ذلك طبعه على نحو تجاري ، ثم ظهر في طبعة علمية محققة ، قام على ضبط نصها الاستاذان محمد ابو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاته، ونشرت في مجلدين عام ١٩٥٦ .

وهذه الطبعات ماخوذة كلها عن المخطوطة الوحيدة التي أشرنا اليها من قبل (ص ١٩٠ : المخطوطة الوحيدة التي اعرفها لكتاب « الكامل » توجد في مكتبة دير الاسكوريال ، ويرجع تاريخها الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام ٥١٢ هـ ...) .

أ ـ هناك طبعة قبل طبعة محمد ابو الفضل ابراهيم لا تسمى تجارية، صدر الجزء الاول بتحقيق الدكتور زكي مبارك (مطبعة مصطفى البابي ...) ثم اكملها محقق عالم هو احمد محمد شاكر فاخرج الجزءين الآخرين عام ١٩٣٧ وذيلت هذه الطبعة ـ فيما بعد ـ بـ ١٤ فهرسا مهما . عملها سيد كيلاني (ط١ ، ١٩٥٦) .

مثل هذه الطبعة جديرة بالذكر في تاريخ طبعات الكامل .

ب ـ نلاحظ في الطبعة التي امتدحها المؤلف :

١ ـ ان الاستاذين ضبطا ... الجزئين الاولين .

٢ ـ لم يظهر اسم السيد شحاته على الجزئين : الثالث والرابع.

٣ ـ ومعنى هذا ان الكامل في هذه الطبعة جاء في اربعة اجزاء .

جـ ـ لا يمكن ان تكون هذه الطبعات كلها مأخوذة عن المخطوطة الوحيدة التي يعرفها المؤلف ، وذلك :

١ ـ كانت الطبعة الاوربية على اكثر من مخطوطة على ما ذكر احمد محمد شاكر في مقدمته لطبعة الجزء الثاني : « ... وقد اعتمد هو (اي رايت) على اصول مخطوطة نفيسة ... ثم ان المستشرق ... وجد نسخا اخرى بعد طبع الكامل فنشر مجلدا ثانيا فيه مقارنتها بالنسخ الاولى » .

٢ ـ المطبوعات التجارية وغير التجارية لم تعتمد المخطوطة وانما اعتمدت الاوربية ، او اعتمدت مطبوعة مثلها .

٢٦ ـ ص ٢١٢ : « ابن قتيبة ، ولد في بغداد او الكوفة على خلاف عام ٢١٣ ـ ٨٢٨ لاب ايراني اصله من مرو ... » .

كلمة ايراني حديثة الاستعمال والذي كان يقال : لاب فارسي ..

٢٧ ـ ص ٢١٩ « ندين لابن سلام الجمحي بمعلوماتنا الواردة عن الانتحال في الشعر العربي ... » .

صحيح الانتحال : النحل ـ اذا اردنا الدقة ، اما ابن سلام نفسه فقد سماه الشعر المنتحل الموضوع .

٢٨ ـ ص ٢٤٤ ، ابو الفرج الاصفهاني ... « مقامه عند الوزير المهلبي ، لم يجعل منه شعوبيا ، فبقي على ولائه للعرب » .

أ ـ لم يجعل المقام عند المهلبي المرء شعوبيا ؟ ان هذا لا يكون بأية حال من الاحوال ، وهل صار ابو اسحاق الصابي مثلا شعوبيا ؟

ب ـ ثم ان المهلبي عربي فهو ابو محمد الحسن بن محمد بن هرون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي .

جـ ـ ولم لا يبقى ابو الفرج على ولائه للعرب وهو عربي قرشي.؟

الخلاصة ان راي المؤلف غير وارد ولا سبب يدعو اليه .

٢٧ ـ ص ٢٤٦ ـ « .. جعل .. ابن خلدون (الاغاني) احد اركان الادب الاربعة ... » .

الصحيح ان ابن خلدون لم يجعله كذلك ولم ترد لديه لفظة « اركان » وانما قال : « وسمعت من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن (اي الادب) اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها».

٢٩ ـ ص ٢٥٥ « ... طبع الاغاني ... بمطبعة بولاق في عشرين جزءا ... اضاف اليها المستشرق برونوف الجزء الواحد والعشرين» .

صحيح اسم المستشرق برونو .

٣٠ ـ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ اختصر « القاضي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المعروف بابن واصل الحموي ... (كتاب الاغاني) واسماه « تجريد الاغاني من ذكر المثالب والمثاني » ... ولدينا مخطوطة لهذا الكتاب ... وقد قامت « دار التحرير » بالقاهرة بطبع الكتاب منذ اعوام ثلاثة ، في اجزاء عديدة ، قليلة الصفحات تبيعها رخيصة الثمن ، لكنها لم تكن وفية في العنوان الذي اعطته للكتاب فاسمته الاغاني ... » .

لم يتحدث المؤلف عن تجريد الاغاني المطبوع بالقاهرة قبل هذه الطبعة بتحقيق طه حسين والابياري في ستة اجزاء ١٩٥٥ ـ ١٩٦٣ .

٣١ ـ ص ٢٩٨ ، المصادر : « ... ابن الابار ... الالوسي ، محمود شكري : بلوغ الادب في معرفة احوال العرب ، بغداد ، بلا تاريخ » .

أ ـ صحيح « بلوغ الادب » : بلوغ الارب .

ب ـ ذكر المؤلف انه « بلا تاريخ » . ولم يتهيأ لي الوقوف على طبعة بغداد هذه ولكن الكتاب طبع ـ بعد ذلك ـ في القاهرة مرتين ١٩٢٤ ـ ١٣٤٢ ، ١٩٦٢ . وتنص الطبعة الثانية على ان الطبعة الاولى كانت سنة ١٣١٤ ، وكذلك يذكر مؤلفو معجمات المطبوعات مثل سركيس اليان سركيس وكوركيس عواد .

د ـ قسم المؤلف الكتب التي استقى منها معلوماته الى المصادر والمراجع ، ويقصد بالمصادر الكتب القديمة مثل كتب الجاحظ وحاجي خليفة ... وقد وضع كتاب الالوسي في المصادر ، والمعقول ان يوضع مع المراجع مع مؤلفات لويس شيخو ...

٣٢ ـ ص ٣٠٠ ذكر في المراجع « يوسف سركيس. معجم سركيس، طبعة القاهرة ، ١٩٣١ » .

يفهم من هذا ان اسم المرجع : « معجم سركيس » وهذا غير صحيح ، لان اسمه : « معجم المطبوعات العربية والمعربة » طبعة القاهرة ١٩٢٨ .

بغداد ـ كلية الآداب

علي جواد الطاهر

الانتظار

خرجت قبل الطير للحقول
أحمل بعض الخبز .. والبقول
منتظرا ملاكي المرتقب الوصول ،
أريد أن أطعمه طعامي ،
أريد ان أسمعه كلامي ..
أريد أن أقول

.
.

وعندما ترتفع الشمس ، وتنشف الاوراق،
ويظهر السراب لامعا
كأعين خضلها البكاء ،
كحد سيف
أفترش الظلال تحت الشجر العقيم
مؤاكلا ، منادما كآبتي
وشهوة الموت التي تلون الآفاق

وتفرغ الظلال من زقزقة الطير ..
ووقع النسم العليل
تخترق الحقول ... !!

حلب

صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللغة الخالدة

الفصحى تراث الماضي ومجد الحاضر ، بقيت على الدهر ، وسارت مع الزمن ، بحيث اضحت تجمع بين التليد والطارف ، وتربط الناطقين بها باوثق رباط ، وقل ان تلتقي معها في هذا لغة اخرى .

لي في ظلالك مسرح ومقيل ... روض اغن ومنزل ماهول
ومعاهد نشر الحياة بها الحيا ... فالعيش اخضر والنعيم ظليل
بلد جريت الى المنى في ظله ... سبحا على اللذات وهي شكول
ارد المرابع والمصائف سادرا ... اختال بين ظلالها واجول
فيح اذا نهض القريض لوصفها ... يحلو القريض بوصفها ويطول
امرابعي والعمر فينان الهوى ... ومراد لهوي والصبا معسول
راقت بها كل العلوم مواردا ... تروى بهن بصائر وعقول
ام لنا في المنجبات مهادها ... دعم لمجد بلادها واصول
ام اذا درج الوليد بحجرها ... فالدين يرعى والبيان يعول
لله در شبيبة كفلتهم ... ام لنا في الامهات بتول
اخذت علينا منذ ايام الصبا ... عهد الكريم وعهدها مسؤول
يا ام عهدك في القلوب موثق ... صدق الوفاء بحبله موصول
الدين عهدك والمكارم بيننا ... والعلم والاداب والتنزيل
علمتنا ان الحنيفة ملة ... لا نهجها وعر ولا مجهول
تهدى الى سبل الرشاد اذا هوى ... المفتون بالالحاد والضليل
رفعت منار الحق لا يعيى به ... عقل ولا ينجاب عنه دليل
الا الذين تبوأوا وخم الهوى ... فالنهج اعمى والمناخ وبيل
نزعوا الى دنس الاباحة فانجلى ... للناس ذاك المنزع المرذول
مازوا الجديد من القديم وما دروا ... ان الجديد من القديم سليل
جلبات افك في مهالك فتنة ... هوجاء كيد غواتها تضليل
دعوى وما ضربوا لنا مثلا بها ... يجرى عليه من القياس مثيل
واذا الدعاوى لم يقم بدليلها ... في العقل فهي على السفاه دليل
ان كان ما زعموا قديما ديننا ... فليات منهم بالجديد رسول
او عله لغة السماء ؟ وانها ... القرآن والتوراة والانجيل
او ذلك الادب الذي شهدت له ... في كل شعب بالجمال عدول
زخرت به ام اللغات ولم تزل ... بعلاه تفترع اللغى وتطول
وسيعلمون اذا الحقيقة اعرضت ... ان الضلالة جندها مخذول
وترى الجديد يصيح في حجراتهم ... يا قوم عن تلك المهازل زولوا
ما في القديم معابة ان لم يكن ... فيه عن السنن السوي عدول
وذر الجديد اذا رأيت سبيله ... عوجا عن الحق المبين تميل
لغة الكتاب وديعة الاحقاب مي ... راث الى العقب النجيب يؤول
من لم يحط بقديمها لم يعتقد ... علما بمجد العرب وهو اثيل

الرياض — عبد العزيز الربيعي



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامـر محمد بحيري

* * *

النـار في فلسطين

يمكن ان يعتبر « اليخت الذهبي » هو المنطلق ، لكثير من الموضوعات التي نعالجها في هذا الحصاد ، مما يتصل بتلك الفترة التي صدر فيها .. وان كان لموضوعات اخرى جذور فيما قبله تبدأ مع بداية عهد الاتصال بالشعر ، في اواخر مرحلة الدراسة الابتدائية ، واوائل مرحلة الدراسة الثانوية ..

وموضوع الشعر الوطني من الموضوعات التي تضرب جذورها في اعماق هذا الماضي .. فمن اوائل ما قرأت من الشعر الحديث ، ديوان حافظ ابراهيم رحمه الله .. في طبعته القديمة .. وكله من الشعر الوطني ، الذي يحارب الاحتلال الاجنبي ، ويستنهض همم الشباب الثائر ، ويعالج الموضوعات المتصلة بالحياة الاجتماعية معالجة الثائر على الخرافات ، الداعي الى مواجهة الامور بالعقول الراجحة والبصائر المستنيرة ..

تأثرت بهذا الشعر ، ثم عشت الحياة ذاتها مع الشباب الثائر ، وعبرت عنها بما اشير اليه في حينه .. حتى كان صدور « اليخت الذهبي » الذي اشتمل على قصائد وطنية مختلفة .. منها قصيدة « عودة الحرية » التي قلتها في اسبوع الجامعة ، وهي عبارة عن احتفالات اقيمت بمناسبة عودة الاستاذين الكبيرين احمد لطفي السيد، وطه حسين الى الجامعة بعد غيبة عنها اقتضتها الظروف السياسية وقتئذ .. ومنها قصيدة « عند النصب التذكاري » التي اشار اليها الدكتور زكي مبارك في عرضه البليغ للديوان .. ومنها قصيدة ثالثة بعنوان « الاتحاد الوطني » .. فقد احسست عقب الحوادث الدامية التي وقعت في اواخر عام ١٩٣٥ ، وسقط فيها الشهداء من طلبة الجامعة ، ان السياسة الحزبية تغلب النداء الوطني المجرد عن الاهواء .. فكتبت هذه القصيدة الداعية الى الاتحاد ، مشيرا الى « الجبهة الوطنية » التي تألفت يومئذ من الزعماء على اختلاف مشاربهم ، تحت ضغط من دعوة الشباب لهم الى ضرورة ذلك .. وهذه ابيات منها :

سمو بالعقول أم امتهان ... وشعب غاضب أم مهرجان
ونار اشعلت في كل صدر ... تثير به الحماسة .. أم دخان
حقوق الشعب في قصر الاماني ... عليه من الشبيبة قهرمان
كأن خروجهم بعث رهيب ... يرف على حماسته الجنان
فما لعبوا وداعي الجد يدعو ... وهل يجدي القضية العبثان
ولكن واجهوا موتا شريفا ... لهم معه عناق واحتضان
دعا الشبان فاتحدت شيوخ ... هم من هيكل الوطن الكيان
فكانوا جبهة لا ثلم فيها ... سيعجز ان يفككها الزمان
وفلسفة الشعوب هي اتحاد ... به عند الشدائد يستعان

وقلت في آخرها مخاطبا الشيوخ :

والاستقلال رائدكم جميعا ... تآلفكم عليه هو الضمان
فسيروا نحوه صفا بصف ... لبعضكم على البعض ارتكان
ولا تكلوا الشباب الى الاماني ... فما ذل الشباب ولا استكانوا
ولا يخدعكم وعد جميل ... كأفعى الروض ليس له امان
الا وثب الى العليا اخير ... فقد طال التوثب والمران
الاسبق مع الدنيا لعزة ... فقد طال التأخر والهوان
نريد النصر فعلا لا كلاما ... فما يغني عن الكف اللسان

فهذه صرخة شاب في العشرين او ما فوقها بقليل الى زعماء وكبراء كانت بيدهم مقاليد الامور في ذلك الزمان .. يقول لهم اننا نريد منكم اعمالا لا اقوالا ..

واذا كان هذا كله متصلا بمصر ، فقد كانت القضية دائما هي قضية العرب مجتمعين .. وكانت النار يومئذ مشتعلة في فلسطين بصورة مزعجة .. ولذلك تحول الشباب شيئا فشيئا الى الاهتمام بقضية فلسطين ، باعتبارها قلب العروبة ، وقضيتها هي المحور الذي تدور حوله الاحداث .. واتجه شباب فدائيون الى الجهاد في فلسطين، وعدوا ذلك جهادا مقدسا .. واذكر انني نظمت قصيدة عن « فلسطين الشهيدة » عام ١٩٣٦ .. مطلعها :

فلسطين الشهيدة لا تراعي ... فان الصبر زاد في الدفاع
ولا تقفي لهول النار حيرى ... وان بلغت الى اقصى ارتفاع
تطاء حائط المبكى .. دخانا ... وماد القدس من طول الدفاع
ولن يتراجع الابطال حتى ... يقط السيف اذناب الافاعي

واذكر ان صديقا قرأت عليه هذه القصيدة ، فاشار بأن اضع « اولاد الافاعي » بدلا من « اذناب الافاعي » .. لان السيد المسيح عليه السلام قد خاطب اليهود بذلك في صرخته المدوية !

على اني فقدت هذه القصيدة ، فلم أجد لها اصلا بين اوراق الحصاد .. غير ما علق منها بالذاكرة من هذه الابيات السابقة .. ولكني في العام التالي ١٩٣٧ شاركت في بعض الاحداث الوطنية ، وكان في مقدمتها دائما الاحتجاج على وعد بلفور المشئوم ، في الثاني من نوفمبر .. وقد قبض علي مع زملاء آخرين في هذا الحادث ، فقضيت بضعة ايام في السجن ، كانت نواة لكتابة قصيدة جديدة بعنوان « من وراء القضبان » .. فيها حماسة ، وفيها طرافة .. وهذه ابيات منها:

من اجل عينيك يا مهدي، ويا داري ... القى العقاب..على تحرير افكاري
وفي سبيلك يا شعبي .. مجازفة ... بالروح، او بشرايين الدم الجاري
نفسي فداؤك ذات البذل من وطن ... اذا جزاك ببخل كل خوار
طالت احاديث قربان وتضحية ... وقصر الفعل عن تحقيق معشار
فقمت من ساعتي احمي حمى وطني ... وثرت ادفع عنه وصمة العار
وما بي الخوف، اني واهب جسدي ... لمجد قومي، وان حرقت بالنار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنها :

ومن عجائب دهري محنة عرضت ... لاظلم فيها نصيب الباطن الضارى
وعاصف روع الوادي بزمجرة ... كانه مقبل في وجه اعصار
يسفي الزوابع زرقا كل زوبعة ... كما رد الجن قد القى بأحجار
رمى فلسطين خطب قد ألم بها ... كعاصف جارف بالسيل هدار
فاليوم يحلو مسيل النفس تضحية ... على صقيل رهيف الحد بتار

ومنها :

وقام يجمع مني العزم أهبته ... وما بكفي سلاح غير اوتارى
ذكرت شعبي بمجد قام يطلبه ... وبالشهيد ، وجرح منه فوار
ما كنت أفعل حتى اسرعت شرط ... تحت الظلام ، وحتى طوقت دارى
دخلت سجني لذنب الحق مقترفا ... مع الخلاصة من صحب واخيار
قمرا علينا، واولا انصفوا سجنوا ... شعبا برمته .. ابناء احرار

ثم وصفت اقامتي في السجن مع أولئك الاصحاب ، فقلت :

وليلة من ليالي السيل ، قاذفة ... بالويل ، ما بين ارعاد ، وامطار
قضيتها في ظلام السجن مفتكرا ... وبات صحبي في لهو واسمار
أخال قضبانه من حولهم قفصا ... ضم الرتاج على مأسور أطيار
ويبالون ، بل هم في ضجيجهم ... وحيثما انزلوهم .. جمع ثوار
وهم شباب الحمى في كل نازلة ... بضج من خلف قضبان ، وأسوار

وما زال النفس قويا ، والخيال متدفقا .. فرحت أصور حياة السجن ، واقترح لها العلاج ، واذكر انه ليس هناك ثار بين السجين والحاكم ، فلا بد ان يكون السجن دار رعاية لا دار اعنات :

والسجن مدرسة الاجرام قدجمعت ... حثالة الخلق ، من لص وغدار
أين الرقابة؟ بل أين العلاج..وما ... يحول دون جنايات واوزار
درست في السجن عن قرب مشاكله ... وجئت مضطلعا منه باخبار
ما بين ما ساقه للشر مجتمع ... قاس .. وبين اولى الاحكام من ثار
الغرب ينشىء دون السجن مدرسة ... وكم يزود ناديها باسفار

ورحت في النهاية انحي على قوم من ارباب الاقلام ، يدفعهم حب العاجلة الى نسيان مبادئهم ، والوصول الى اغراضهم بطرق غير شريفة .. مقارنا بينهم وبين الفدائيين .. وكانت كلمة « الفدائي » في ذلك الحين كلمة جديدة ، ورهيبة .. في قاموس السياسة .. فقلت :

وكل ذي قلم .. يبني لشهرته ... برج ادعاء .. ويحميه بانصار
شتان بين فدائي .. وذي قلم ... موارب ، همه ادراك اوطار
ومن تمكن من وصف العلاج .ولم ... يفعل.. فاجرامه عن سبق اصرار

ثم دار العام دورته ، وطالعتنا مرة اخرى بشائر ذلك اليوم المشئوم .. يوم وعد بلفور .. وكلمة « بشائر » هنا ، مستعملة تبعا للاستعمال القرآني ، في قوله تعالى « فبشرهم بعذاب اليم » !. وكان الزعماء والكبراء من العرب قد دعوا الى مؤتمر عام لبحث القضية الفلسطينية ، يعقد بسراي آل لطف الله بالجزيرة .. وهو قصر تاريخي كان يملكه اسماعيل صديق المفتش ، في عهد الخديو الاسبق اسماعيل .. وذهبت لاشهد هذا الحفل الجليل والمؤتمر العربي الكبير، مع فريق من الزملاء اذكر منهم الاستاذين عبد العزيز الشوربجي (نقيب المحامين السابق فيما بعد) ، وحسن وصفي النشار المحامي.. واجلسني النشار الى جانب صديقه الذي ترك كلية الحقوق ، ليلتحق بكلية اركان الحرب ، ولم ادر يومئذ ان هذه الجلسة تاريخية : ولكني لا انسى ما احسسته في شخصية هذا الجار من شهامة ونبل ، وقد راح يحمد مسلكي الذي رآه يجنح الى الجد والهدوء والانصراف عن العبث .. وعلم في جلستنا انني كتبت قصيدة عن قضية فلسطين ، فاخذها مني وقرأ ابياتها الاولى ، ثم هم بتقديمها الى لجنة الاحتفال ، كما دعا الزميل النشار ليقوم بذلك ، ولكني شكرته ، واخبرته انني اعددتها لالقائها في مؤتمر آخر ، هو مؤتمر الطلبة الذي يقام بعد ايام في قاعة الاحتفالات بالجامعة .. وفي هذا المؤتمر الثاني بالجامعة القيت القصيدة ، كما تحدث الزميل الشوربجي .. وسرعان ما جاء امر من وزير الداخلية .. بفصل الطلاب الذين خطبوا في هذا الحفل .. واذا بي اواجه قرارا من وزير الداخلية ، بفصلي من الجامعة ...

اما القصيدة الجديدة ، فكانت همزية .. وقد بنيتها على قافية مستحدثة ، اعدها غير مسبوقة .. ذلك انني بنيتها على الآية الكريمة (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) .. لما وجدته فيها من مطابقة لبحر الكامل تسمح بتضمينها .. وهي قريبة من لزوم ما لا يلزم في قافيتها ، لالتزام اربعة احرف في رويها ، هي الالف والهمزة والهاء والميم .. ومطلعها ، والاشارة الى الشهداء :

في الخلد اسمع- يا كرام- نداءهم ... وارى على شرفاته شهداءهم
فارى بدورهم الوضاء مقطبا ... منها الجبين .. فأي امر ساءهم

ومنها :

ان كنت تجهل ما اثار شجونهم ... فانظر لقوم مزقوا حلفاءهم
يا طالما وعد الحليف رجالهم ... واليوم يمكن منهم اعداءهم

وللتاريخ ، اشرح هذين البيتين .. فالاول يشير الى ما كان يفعله هتلر يومئذ ، من اكتساح الدول الاوربية المجاورة لالمانيا ، مثل النمسا، وتشكوسلوفاكيا .. وغيرها .. بعد ان يعقد معها معاهدات الصداقة وحسن الجوار وعدم الاعتداء .. والثاني يشير الى وعد حكومة الانتداب الانجليزية في فلسطين للعرب بالمحافظة على ديارهم واموالهم ، ثم تمكين اليهود من كل ذلك في النهاية ..

ومن القصيدة ، والضمير للشهداء ايضا :

لما رنوا من فوق رابية السما ... وجدوا صبيحة الاجتماع حزاءهم
في فتية نجب يلبون النـدا ... كم حققوا لذوي الرجاء رجاءهم
صرخت فلسطين الشهيدة صرخة ... ذات السيوف، فمزقت احشاءهم
كم مرة في الشرق يصرخ أهله ... الما ، فتبتلع الرياح نداءهم
لو يسمعون لاعذروا من انذروا ... يا ليتهم قد اسمعوا خصماءهم
ولو انهم سمعوهم لتبينوا ... (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) ..

وتنتهي القصيدة التي بلغت الخمسين بيتا ، بالدعوة الى الوحدة العربية .. وبالتذكير بمأساة فلسطين ، وبحقوق شعب فلسطين المهدرة:

اليوم لطف الله .. مد ظلاله ... فيهم ، ووسع بالرضى اقياءهم
وتذكروا شعبا كازهار الربى ... قد قاربوا برحى القتال فناءهم
يبقوها .. عدلا ، وانسانية ... ويود او يجد الورى رحماءهم
هم يطلبون سماءهم لتظلهم ... أرأيت قوما يحرمون سماءهم

واقيم في التاسع من يناير عام ١٩٣٩ ، بحي جاردن ستي بالقاهرة، احتفال لتكريم زعماء فلسطين ، الذين كانوا منفيين في جزيرة سيشل.. المرحوم احمد حلمي وصحبه .. ودعيت لالقاء قصيدة في هذا الحفل ، الذي شهده الكبراء من الشخصيات العربية .. اذكر منهم من مصر الاستاذ عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وقتئذ ، والدكتور محمود عزمي استاذي في الصحافة .. رحمهما الله .. وكان اول ما طرق ذهني وأنا اكتب هذه القصيدة الربط بين نفي الزعماء الى سيشل ، ونفي الزعيم سعد زغلول وصحبه الى نفس الجزيرة في ثورة مصر عام ١٩١٩ .. وهذه ايضا ابيات من القصيدة :

قد كان لحنك للضحايا دائما ... يا شعر ، فهو اليوم للابطال
وازمرة في الشرق اضحت رمزه ... هي في الرجولة مضرب الامثال
صمدت لاحداث الزمان ونفرت ... للحرب ، يوم تطاحن ونزال
أسد على الغابات بات زئيرها ... لها ، يثير حماسة الاشبال
ليست تبالي بالسهام تنوشها ... حتى تهز جوانب الادغال

ومنها :

سيشيل ، دار المبعدين تعلمي ... من كل جر للعلى ميال
قد ابعدوا زمنا ، فباتت روحهم ... كالنار وهي تدب في الاوصال
صخر الجزيرة والفياض شواهد ... والنار ذات الوقد والاشعال
بالامس كنت لمصر دار تطلع ... وكذاك انت لكل شعب غال
لما مشى متأخروا ابطالنا ... عرفوا مآثر سابق الابطال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل الجهود مدى السنين توحدت والحادثات تجول كل مجال
تدعو الشعوب لوحدة قومية عربية الآلام ، والآمال

ومنها ، وهي لمحة جديرة بالنظر الى هذا الضيف الثقيل ، الذي حل بأرض فلسطين ، ثم ادعاها لنفسه .. او زعم انه سينشر فيها جمال الحضارة .. بينما الجمال الحق هو استقلالها عنه ، وفكاكها من قيده :

شر الامور ، وشر ما لقي الفتى ابعاده عن صحبه ، والآل
يجد السجين لروحه متنفسا لا تسلك الارواح في الاغلال
ثقلت على العرب الكرام ضيافة المستضيف على مدى الاجيال
ولكل دار حرمة وقداسة يجني العريب لها من الاجيال
والقدس اولى بالهدى محرابه في رهبة ، ومهابة ، وجلال
ومشردين عن البلاد ، أراهم اوى الشعوب بوقفة الاطلال
قل للذي تخذ الترحل شرعة لا يلجا ابن الدار للترحال
فالوا : بلى غرباء .. الا انهم يزنون ضعيفهم من الاموال
وسيحملون الى البلاد حضارة عرفوا بها في عالم الاعمال
ويجملون الدار .. قلت : كذبتم ان الجمال .. جمال الاستقلال

ثم دارت الايام دورتها ، وتفاقمت قضية فلسطين .. ونظمت فيها الكثير من الشعر .. نظمت بعضه في مكة المكرمة ، عام ١٩٤٨ ، عندما حلت النكبة .. ونظمت بعضه الآخر على مدى السنوات التالية، وتبعا للاحداث الجارية .. حتى وقفت في ابريل عام ١٩٦٦ ، في مهرجان الشعر السابع بغزة ـ رحمها الله ـ القي قصيدة سينية ، عنوانها « على ابواب فلسطين » .. وقد وقفت امد ناظري الى ما اشار اليه الاستاذ منير الريس ، رئيس بلدية غزة وقتذاك ، من هذه الخضرة الممتدة الى الافق البعيد ، والتي تحدها امامنا اسلاك شائكة ، تمنع المواطن من ان يرى وطنه ، والدموع تتلالأ في محاجره .. ولكني لا ادري حقا ، لماذا نظمت هذه القصيدة سينية ، وتعسفت فيها كثيرا ، محاولا معارضة البحتري في سينيته المشهورة في ايوان كسرى ، وشوقي في سينيته الاندلسية ؟. هل كنت وقتئذ ارثي فلسطين ؟ فلنستمع لابيات من هذه السينية :

حفزتني لصادق القول نفسي وسرى الفكر من شعوري وحسي
واعتراني من بالغ الوجد والاشفاق ما يذهب السرور وينسي

ومنها :

ذرف البحتري دمعا على الايوان .. في غير ما اعتقاد وجنس
واطال الوقوف بالرسم شوقي في بقايا الطلول من عبد شمس
وشغفني للاجئين بقايا في فلسطين ، من خليل وقدس
خرجوا ميتين من كل قصر واقاموا احياء في كل رمس

ومنها :

وحدة العرب بدؤها في فلسطين .. بنور من الجلالة قدسي
كل رسل السماء كانوا من العر ب ، فلم ينسبوا لروم وفرس
وابوهم ، ابو النبيين ابرا هيم ، ذو القرب والولاء الامس
فرع اسحق قد نما روح عيسى انجبته البتول من غير مس
فمضى ينشر المحبة في النا س ، ويشفي اجسادهم دون لمس
ونما النور كله فرع اسما عيل ، في غابر من الارض منسي
النبي العظيم ، يستقبل الوحي ، ويدعو السماء ساعة خلس
يا لها رحلة اضاء لها القد س ، ولاحت ابهاؤه بعد طمس
حين جاء البراق يخطف خطفا مشرقا بالضياء .. والكون ممس
ينشر النور والهدى في فلسطين .. ويجلو الدجى باسطع شمس

واختم القصيدة بأبيات في ختامها ، تطلعت فيها الى العودة .. وتمنيت ان تقع في حياتي ، وان اعود مرة اخرى ، فلا اجد هذه الاسلاك الشائكة ، ولا تلك الحواجز الاستعمارية البغيضة :

يا فلسطين ، أين مني مزار انا من بابه على قاب قوس
حال دوني للغاصبين جدار قد اقاموه من رمال وكلس
فكاني بذلك الصرح ينهار ، على من اقامه دون أس

الحب

احب الحب لا يبغي جزاء
ولا منا عليه ولا شكورا
كحب النجم يرسله ضياء
وحب الزهر يرسله عبيرا

حلب عمر ابو قوس

وكاني بالعائدين حشود تدخل الدار في كتائب حمس
ذاك يوم الرجوع ، وهو قريب ليتني ، ليتني .. أراه بنفسي

بقيت كلمة اخيرة .. حول زميل الجلسة التاريخية ، في مؤتمر فلسطين بسراي آل لطف الله .. عام ١٩٣٨ .. فاني لم اره بعد ذلك، حتى سمعت صوته في المذياع بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، فعرفت فيه ذلك الصوت الذي خاطبني في ود الصديق ، وتقدير الزميل ، وجد المجاهد الصادق .. ولم اقابله بعد ذلك ايضا ، حتى تقدمت في عيد العاشر السادس ، في الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٦٠ ، بقاعة الحفلات بالجامعة ، لاتسلم من يده جائزة الدولة في الشعر .. سميت « جائزة شوقي » .. ومضت الايام حتى كان صباح يوم الاثنين الثامن والعشرين من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٠ .. حين استيقظت مبكرا .. ولا ادري لماذا بدأت عمل ذلك اليوم ، بقراءة شعر قديم .. ولا لماذا كان اول ما سنح لي قصيدة الشاعر ابي البقاء صالح بن شريف الرندي ، التي رثى بها الاندلس .. ومطلعها المعروف :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

على انني من جو هذه القصيدة الحزين ، وجدتني في مساء اليوم نفسه .. افكر في مرثيته هو .. ولما كانت حياته وجهاده موهوبين الى فلسطين وقضيتها .. لذلك وقع التشابه بين القصيدتين .. فقد كان الرندي يرثي خروج العرب من الاندلس ، وكنت ارثي اخراج الفلسطينيين من فلسطين.. والحديث يدور حول جهاده هو ، في مواجهة ذلك الخطر حتى نفسه الاخير .. وهذه ابيات من القصيدة :

مصر التي احترقت، أم تلك عمان؟ ففي القلوب لهول الخطب نيران
وهدمت دوركم ، أم تلك فاجعة حلت بنا ، فهوت للصرح أركان
اذا بكتكم دموع العين جارية فالنيل في خطبنا بالدمع سلان
قل للفدائي .. لا تجزع فثورته صدق بقلبك لا يعروه بهتان
اقدم على الحرب واستلهم مبادئه فانما يتبع الشجعان شجعان
كانت فلسطين اغلى ما يثور له مهما غلت عنده دار واوطان

ومنها :

عرفته في صبى الايام مقتحما اذ نحن في بدوات العمر شبان
وشمته ياسج التاريخ منتصرا ما صده رهب ، او رد اذعان
مفجرا ثورة الابطال يقدمها كما تفجر بالاهوال بركان

ومنها :

بني فلسطين ، هذا يوم نكبتنا كيوم نكبتكم .. فالدهر خوان
انسوا اذا اسطعتم خطبا الم بكم فخطبنا اليوم لا يطويه نسيان

.. وهكذا قضت الايام .. فلم يكن زميل الجلسة التاريخية في مؤتمر فلسطين ، بسراي آل لطف الله بالجزيرة ، عام ١٩٣٨ .. سوى الرئيس جمال عبد الناصر .. رحمه الله .

مصر الجديدة عامر محمد بحيري

سرت وحيدا في شوارع القاهرة ، اجيل النظر في معروضات المحال من الازياء الحديثة . كان الزحام خانقا احسست بانني مغمور وسط هذا السيل الجارف من البشر . حاولت ان احسب الزمن الذي استغرقه ميلاد نصف هذه الكتل البشرية ، اي منذ كم عاما كان عدد السابلة في هذه البقعة التي تحيط بي يبلغ النصف ؟ انها عملية معقدة، ولم احاول ان اخمن على وجه التقريب ، فلست اعرف الكيفية التي تم بها التزاوج والانجاب ، وكم فردا جاء من الاقاليم ، وكم فردا رحل عن القاهرة او عن دنيانا بأسرها . انتابني صداع هائل . هربت من هذه العملية المعقدة واجلت النظر في عذراوين يرتديان « الميني جيب » . كان قوامهما بديعا ، وشعرهما ينسدل على كتفيهما . يبدو انهما شقيقتان . كانتا خارجتين من حفلة السينما الصباحية . سارا في ركب الزحام، وكان من الممكن ان يغيبا عن ناظري لولا تتبعي لهما واقتفائي اثرهما حتى انعطفا الى شارع جانبي ودخلا اول عمارة ، حينذاك تنكبت الطريق الذي سرته ، لكني لم اكن ادري بالضبط الى اين اتجه !

تناهى الى اذني صوت المذيع يقول في نشرة اخبارية :

« لقد عرفنا طريق النصر الحقيقي » .

من صاحب هذا القول ؟. لم استطع تتبع بقية الكلمات ، فقد ابتعد صاحب « الترانزستور » في الاتجاه المضاد . غرقت في التفكير في هذه العبارة . هل حقا عرفنا الطريق الحقيقي للنصر ؟.. اوه ، انه طريق النصر الحقيقي .. هذه أصح .. فالاولى تعني اننا عرفنا الطريق الصحيح ، تعني اننا كنا نسير قبلا في طرق خادعة ، والآن فقط هدانا الله الى الطريق الحقيقي الذي يؤدي في النهاية الى النصر .

يبدو ان العبارة الاولى قريبة من الصواب ، لكنها تشككنا في جدوى ماضينا وتجاربنا ، هي اذن عبارة خاطئة الى حد ما .. فمعنى اننا سائرون الآن في الطريق الحقيقي هو اننا كنا قبلا نسير في طرق مسدودة خادعة . اما العبارة الثانية فهي تقول اننا سائرون في طريق النصر الحقيقي ، اي اننا الآن نخطو الى الامام . فالنصر المرتقب ليس نصرا وهميا وانما هو نصر حقيقي . معنى ذلك اننا كنا قبلا لا ننتصر ، والآن فقط نحقق نصرا ، واذا ما انتصرنا في الماضي فهي انتصارات لا معنى لها ازاء ما نحن سائرين فيه قدما نحو نصر حقيقي .

ايهما افضل ؟. لست ادري

رغبة ميتة

بقلم المهندس حسني سيد لبيب

بالضبط اي العبارتين افضل ، فلكل عبارة ملابساتها . وازاء ما انا فيه من فلسفة عارضة ، الفيت نفسي اتردى في تناقضات افقت منها حين استرعت انتباهي فتاة اطول مني قليلا تسير قدما بخطوات واثقة . احسست بانها حين تنقل احدى ساقيها كأنما تهد جبلا ، او تزلزل الارض من تحتها . انها فتاة جادة ولا شك . حتما هي لا تتفلسف ، وكل الذي يستحوذ تفكيرها هو الهدف الذي تسعى اليه . قد تكون



راجعة من عملها وتحرص على العودة في وقت مبكر ، وقد تكون على موعد .

اصطدمت بشخص ، التفت كي اعتذر له فألفيته يضحك . تذكرت صاحب هذا الوجه ، انه صديقي كمال . احتضنني ، وكان لقائي به مفاجأة لم أكن اتوقعها بعد ان غاب عني اربع سنوات . اكتسى وجهه بسمرة خفيفة .

ـ صرت حبشيا يا كمال .

ـ شمس اسوان هي السبب . لماذا لم تتصل بي ؟. كتبت لك رسالة ، ولم تكتب لي ردها .

ـ لم تصلني !.

لا ادري لماذا كذبت ؟.

رسالته وصلتني ، وما زلت احتفظ بها حتى الآن ضمن الرسائل التي ترد الي ، لكني لم اشأ ان ارد. اذكر اني ذات مرة جلست لاكتب له رسالة ، الا انني احسست بالملل ولم يطاوعني القلم في كتابة عدة سطور ، وخشيت ان يكون قد نسيني . كانت اكذوبة مروعة تلك التي ترديت فيها . جاهدت قليلا حتى اتزن واعود الى طبيعتي . حدثني عن اسوان كثيرا وعن عمله هناك ، وطال بنا الحديث حتى مللت .. لكني تحملت ، وواجهته بابتسامة لم تفارق شفتاي طيلة حديثه الطويل . حاولت ان اكسر حدة هذا الملل فقلت :

ـ أتزوجت ؟.

يبدو اني فاجأته ، الا انه أجاب على التو :

ـ ليس بعد ، وانت .. الم تنجب ؟.

ـ لا ، لاني لم اتزوج !.

فضحك ، ثم استدرجنا الحديث الى الزواج ومشكلاته . يبدو انه لم يضجر ، ولم يستشعر الملل . فهمت من حديثه انه قام باجازة لمدة اسبوعين يعود بعدها الى أسوان .

نظرت الى ساعتي فوجدت ان موعد حفلة السينما قد ازف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسرعت في حديثي معه ، سألني عن وجهتي فقلت :

ـ عائد الى البيت .

ـ انا مشتاق لك ، لم نلتق منذ اربع سنوات . ارجو ان تحضر الليلة ونسترجع ذكريات الماضي .

ـ في السادسة مساء .

ـ حسن . الى اللقاء .

ـ الى اللقاء .

سرنا في اتجاهين متضادين . عرجت على السينما . جذبني الاعلان الملصق على واجهتها . قرات نقدا للفيلم في جريدة الامس . انه فيلم يعالج مشكلة الجنس . اشرت للانسة الى المقعد الثالث من الصف السادس ، انه مقعدي المفضل . قبعت في الظلام وحدي . في البداية، مللت طريقة عرض الفيلم ، الا انني اندمجت في احداثه بعد فترة .

كانت الساعة تقترب من السادسة وقت خروجي من السينما ، وكان الجو رائعا ، والسير في الشارع الصاخب مغريا . تذكرت موعد صديقي كمال . يتحتم علي ان اذهب اليه مباشرة دون ان اعرج على البيت لاستريح . دلفت الى محل « كشري » والتهمت طبقا ، ثم جلست على المقهى المواجه للمحل وتناولت قدحا من الشاي . قمت سريعا بعد ان تجاوز عقربا الساعة السادسة بكثير . مرنت ساقاي على المسير . كانت ساقاي متعبتين ، وأحسست بأنني منهوك القوى . صداع يشبه الصخب احس بضجيجه في رأسي . لم اتحمس للذهاب الى كمال ، سيوجع رأسي بحديث طويل عن حياته في أسوان وما واجهه من صعاب ، والمفارقات التي صادفته وغير ذلك من اشياء كثيرة لا تنتهي . توقفت عند اعلان صغير كان ملصقا على حائط ، يحكي الاعلان قصة شهيد فلسطيني . قرأته باهتمام ، ثم واصلت سيري وانا افكر في فلسطين ...

كم من الرجال يمكن ان يضحوا بأنفسهم لاسترجاع الارض المغتصبة ؟. يتوجب علينا ان نقتل كل اليهود الجاثمين على ارضنا الطاهرة . واذا افترضنا ان كل عربي يمكن ان يقتل خمسة من اليهود قبل ان يستشهد ، فكم شهيدا يمكن ان نضحي بهم ؟. استغرقت في التفكير في العملية الحسابية . لا شك اننا في حاجة الى حوالي ربع مليون شهيد. مضى عامان على النكسة ، فكم شهيدا سقط في غضون العامين المنصرمين؟. وكم عاما يتبقى لنا كي نسترجع ارضنا الطاهرة ؟! لا شك انه



حسني سيد لبيب

سيمضي زمان طويل . ولكني متأكد ان فناء اليهود هو الضمان الاكيد لاسترجاع الارض المغتصبة !. ولكن !... سوف تتدخل امريكا قبل ان نفني اليهود .. اف .. يا لها من مشكلة معقدة !.. اين هو طريق النصر الحقيقي ؟. انني لا اتعرف عليه . حقا هو طريق الفداء والتضحية ، ولكن متى يتحقق النصر العربي ؟.

احسست بأنني أدلف طواعية الى فلسفتي الجوفاء . الساعة تقترب من السابعة ، ولست راغبا في الذهاب الى كمال .. كما انني مللت تلك الهواجس المحيرة التي تصخب في عقلي وتسبب لي صداعا مؤلما . احسست بأنني فتى خيال .

الجو دافىء ، وما أحلى الزواج!. ان الزواج نقطة تحول في حياة كل انسان ، او هو بداية حياة جديدة. تذكرت الفيلم ، واجترت مناظره ... الاقدام تتسابق في المسير ، تعدو وكأنها في سباق مثير . الاضواء تتكاثر على جانبي الشارع ، وفي وسطه ترتفع اعمدة الاضاءة ، تنبعث من مصابيحها اضواء قوية. احسست بان اية فكرة قد تطرأ في ذهن اي انسان ، فانها حتما ستموت هنا .. سيخنقها الضوء ، ويقهرها الصخب . أحسست بأن الناس لا يفكرون كثيرا ، واكاد أحس بآلية تصرفاتهم ، وبأنهم لا يفكرون في شيء ، او هم يندفعون بغرائزهم ورغباتهم . صوت قوي استطعت ان التقطه في وسط ضوضاء المارة ، صوت ينادي باسمي :

ـ حسن ، يا حسن ..

التفت الى صاحب الصوت . وجدت باب عربة مفتوحا ، ويد تشير لي بأن ادخل . كانوا ثلاثة من زملاء الدراسة شئت ان اقطع صلتي بهم بعد تخرجي في الجامعة. دلفت الى داخل العربة ، وسرعان ما تبادلنا احاديث شتى ، ضاع صوتي وسط اصواتهم العالية ، واحاديثهم الشيقة .

ـ امريكا اطلقت سفينة فضاء الى القمر .

قلت هذا محاولا جذب انتباههم الى موضوع ما . لكنهم ضحكوا وتناثرت تعليقاتهم . قلت معقبا :

ـ كم سنة تمضي حتى تستطيع مصر اطلاق سفينة فضاء !.

صاح هشام ، وكان يقود العربة في اختيال وبسرعة جنونية فخيل الي انه رائد فضاء يجوز بنا اجوازه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صوب القمر ، قال :

ـ مصر اطلقت سراح المعتقلين ، فهل فعلت امريكا مثلنا ؟.

ـ لست ادري .

وقال احمد :

ـ اليست عندنا فتيات معتقلات؟!

رد عليه انور :

ـ في امريكا توجد معتقلات ، وفي اغلب بلاد العالم ، ما عدا مصر ..

ـ لم يحصلن على حقوقهن كاملة .

واسترسلوا في تعليقاتهم ونكاتهم . اندمجت معهم ، بدات اطلق النكات، احسست ان الملل الذي كنت اعانيه بدا يتسلل هاربا ، واحسست بحيوية ونشاط كأني استقبل صباح يوم جديد منتعشا بانسامه الرقيقة، سألتهم :

ـ الى اين ؟.

اجاب احمد :

ـ سنأكل في « الاميريكين » ، ثم تبدأ سهرتنا يا جميل .

ـ واعقب انور :

ـ ستكون ليلة رائعة يا ابو علي.

قلت :

ـ سهراتكم كلها جميلة وحلوة .

قال هشام :

ـ لا سيما وان فيها الحلو دائما.

فضحكنا ، ثم قال احمد :

ـ لكن اليوم يوجد حلو من نوع جديد لم تتذوقه بعد .

وفي « الاميريكين » جلسنا لنأكل قطعا من الحلوى ، ثم خرجنا واستقلينا العربة ، لكن تخلف عنا هشام فانتظرناه قليلا ، ولم أشأ ان اسالهم . عاد هشام ومعه امراة جميلة ، ممشوقة القوام ، ذات بشرة بيضاء ناعمة ، وفي بريق عينيها اغراء لا يقاوم . دلفت المراة الى داخل العربة وفي اثرها هشام . جلس هشام في مقعد القيادة وبجانبه المراة الجميلة ، ثم قاد العربة بسرعة جنونية . همست في اذن احمد :

ـ من هذه ؟.

فقال ضاحكا وهو يغمز بعينه اليمنى :

ـ الحلو يا حلو ..

ـ جميلة جدا . كنت اود ان اسهر معكم الليلة ، يا بختكم !.

كان انور ينصت لما اقول ، فقال:

ـ لا بد ان تسهر معنا ، فالليلة لا تعوض .

ـ لكني ...

قاطعني هشام :

ـ لكن ماذا يا ابو علي ؟.

اشعل احمد لفافة دخان للمراة الجميلة . نفثت دخان سيجارتها ثم قالت :

ـ لا بد انه مرتبط بموعد غرامي .

سألني احمد في لهفة :

ـ صحيح يا ابو علي ؟.

ـ أجل ...

أعقب هشام :

ـ هنيئا لك .

قال انور :

ـ كنا نود ان تسهر معنا .

ـ فرصة اخرى .

كنت اهم بالاستئذان ، لكنهم اصروا على توصيلي الى المكان الذي اقصده او الى مكان قريب منه اذا لزم الامر ، حتى يبعدوا عنهم شبهة التطفل . قلت لهم :

ـ سأنزل في ميدان التحرير .

كنت متعجلا في استئذاني ، وكان ميدان التحرير قريبا جدا . ودعت الثلاثة والمراة الجميلة ، ثم وقفت في مكاني جامدا لا الوي على شيء . كنت ارغب في السهر معهم . ان اغراء هذه المراة لا يقاوم ، لكني خشيت ان اتورط في سهرات اخرى ، وانا اعلم جيدا كم تتكلف مثل هذه السهرات ، انها تتكلف اكثر مما يتحمله جيبي .

الساعة تقترب من التاسعة . احسست بأنني تورطت في اكذوبة اخرى حين وافقتهم على اعتقادهم بأني مرتبط بموعد غرامي . فكرت في الاتصال هاتفيا بكمال لاعتذر له ، الا اني خشيت ان اتورط في اكذوبة اخرى . وتصير حياتي سلسلة لا تنتهي من الاكاذيب . ركبت سيارة ركاب قاصدا بيتي ، واحساس طاغ يؤكد لي بأني في حالة تناقض مع نفسي . انا متخاصم مع نفسي . اتمنى لو اهرب منها او اتنصل من أهوائها . لكنها تناصبني العداء وتؤكد لي دائما بانها تفرض وجودها علي وتسبب لي قلقا وحيرة لا مناص منهما .

رقدت على الفراش قليلا منشدا الراحة . لكني سرعان ما نهضت تحت وطأة احساس بالاكتئاب . كنت مهموما . سألتني امي :

ـ أجهز لك العشاء .

ـ تعشيت بالخارج .

لم تعقب . تركتني وحيدا . مرة اخرى عدت افكر في عبارة « الطريق الى النصر الحقيقي » وعبارة « الطريق الحقيقي الى النصر » . ايهما افضل ؟. امسكت القلم وحاولت ان اكتب شيئا . انها قضية جدلية جديرة بأن تناقش ، لكني لم أمارس الكتابة من قبل ، فلماذا اكتب ؟. واذا كتبت فمن يقرأ لي ؟. أهي بداية طريق جديد أنهي السير فيه ؟. لست ادري ، فقط ايقنت بأن هذا الجدل عقيم ، ولم أستشعر اي مدلول فيما افكر فيه . قد أكون اخفقت في الوصول الى مدلول او مغزى ، وقد يرجع ذلك الى الملل الذي يتسرب الى نفسي ويكاد يخنقها .

اعرضت عن الفكرة الملحة . وجالت بخاطري فكرة اصابت هوى في نفسي . يتوجب علي الآن ان اعد الاكاذيب التي تورطت فيها اليوم . اجهدت ذاكرتي كثيرا حتى لا تفلت مني اية اكذوبة . سرعان ما انتابني القلق ، كنت أخشى ان اسهو عن اكذوبة ما او يخطئني التقدير فأحسب الاكذوبة حقيقة ، والحقيقة اكذوبة . كانت المهمة عسيرة . فحتما سيخطئني التقدير ، ولن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غداً ... عيد ميلادك

غدا عيد ميلادك ، يا أبي !
وضعوا ، اليوم ، على صدرك المرمر
.
ولكنها ثقيلة ، الحجارة
ثقيلـة ...
أحسها تضغط عليك ،
على صدرك ،
علـي .
ان صدرك الرحيب ،
الذي وسعني ، بصبره ودفئه وحنانه ،
ووسع أمي وأخي وأختي ،
طوال حياتك ...
كـم اتمنى
لو أستطيع ان انزع الحجارة عنه !

غدا عيد ميلادك ، يا أبي !
أريد ان أحسب أنك لست تحت التراب .
أريد ان أراك ،
ولـو لحظة ،
لاقبلك الف قبلة :
ألثم جبينك الوضاح ،
عينيك الذكيتين ،
يديك الطاهرتين ،
قدميك ،
أمر بشفتي على « شيبتك » الملائكية ،
أستنشق رائحتك ،
أستروح حنانك الابوي ،
أرى بسمتك المستعصية على النسيان ،
وأستشعر بقـوة
وجـودك
الماثل أبدا في اعماق اعماقي .

غـدا ...
عيد ميلادك ، يا أبي !

دمشق — أمل خانجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكون العد مضبوطا . فتحت المذياع لاسمع الانباء . نبأ جديد يعلن عن عملية عبور لقواتنا عبر القناة ، وقتل عدد كبير من جنود العدو . عملية ناجحة تزرع الامل في قلبي . لكنها لم تحقق النصر المنشود . لم تزل ارض سيناء محتلة ، ولم تزل الضفة الغربية تحت نير الاحتلال ، وما تزال مرتفعات الجولان في قبضة ايدي العدو . عملية عبور ناجحة ، لكنها محدودة . متى اذن يتم النصر المنشود ؟. علينا ان نفترض عددا ثابتا من جنود العدو يموت كل يوم، ثم نحسب كم عاما ينقضي حتى يموت اليهود جميعا ؟!. لا شك انه تقدير خرافي ، ولا شك ايضا ان احدا لم يفكر في افنائهم جميعا حتى يتحقق النصر العربي . لكنه فرض افترضه حرصا مني على ان يكون النصر حقيقيا .

لعنة الله على كل كلمة درستها في كلية التجارة . لقد تعلمت كيف اقدر للمشروع تكاليفه ، وكيف اضمن نجاحه الاكيد. طافت بخيالي صورة المراة الجميلة ، لا شك ان الثلاثة يقضون معها وقتا طيبا. هذه المراة شيء مثير حقا ، ولا يمكن للعمليات الحسابية ان تجازف فيه. كنت ارغب في قضاء السهرة معهم ، وكان ما في جيبي يغطي مصاريف هذه الليلة . لماذا اذن حاذرت وفكرت في مصاريف سهرات اخرى مقبلة ؟. ولماذا اخضع كل شيء للعمليات الحسابية ؟. لعنة الله على دراستي ، هي السبب .. لا .. قد اكون انا السبب ، او تكون نفسي . فالثلاثة درسوا مثلي في نفس الكلية ، وتخرجوا في العام الذي تخرجت فيه . لا شك انها مشكلتي وحدي . تذكرت كمال ، الوجه الذي قابلني صدفة وتمسك بي ، واختزن لي حكايات كثيرة وذكريات عديدة ليرويها لي في المساء .

اعترتني رغبة ملحة في ان اكتب الى شخص ما ، اى شخص ، في اي بلد يكون ، مهما تكن بلده نائية . لا ادري ماذا اكتب له بالضبط ، لكنني حتما سأكتب له كلمات صادقة تكون ترجمة حقيقية لما استشعره في نفسي .

القاهرة — حسني سيد لبيب



محمـد العدناني

معجم الاخطـاء الشائعـة

بقلم محمـد العدناني

* * *

لا يخفى على القراء ، لا يخفى عن القراء

ويخطئون من يقول : لا يخفى عن القراء ، ويقولون ان الصواب : لا يخفى على القراء ، اعتمادا على ما جاء في الآية ٥ من سورة آل عمران : « ان الله لا يخفى عليه شيء » ، وفي الآية ٣٨ من سورة ابراهيم : « وما يخفى على الله من شيء » ، وفي الآية ٤٠ من سورة السجدة : « ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا » . (بضم ياء يلحدون وفتح ياء يخفون وكسر الحاء وفتح الفاء) .

وهذا ما يراه التاج واللسان والاساس والصحاح ومختار الصحاح والمصباح ، وزاد الاخير قوله : خفي له : ظهر .

أما قول الشريف الرضي :

وتلفتت عيني ، فمذ خفيت عنها الطلول ، تلفت القلب

فقد عد ابن عصفور باب انابة حرف مكان آخر من الضرائر الشعرية ، واورد لذلك عدة شواهد ، منها قول الشاعر الاموي القحيف العقيلي :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها

اراد : رضيت عنه ، ووجه ذلك انها اذا رضيت عنه ، اقبلت عليه ، ولذلك استعمل (على) بمعنى (عن) .

وقال الكسائي : لما كان (رضيت) ضد (سخطت) ، عدى رضيت ب (على) حملا للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره .

وشبيه بذلك قول دوسر اليربوعي :

اذا ما امرؤ ولى علي بوده وأدبر لم يصدر بادباره ودي

أي : ولى عني . ووجهه أنه اذا ولى عنه بوده ، فقد ضن عليه به وبخل ، فأجرى التولي بالود مجرى الضن والبخل ، او مجرى السخط ، لان توليه عنه بوده لا يكون الا عن سخط عليه .

وليست انابة حرف جر مكان آخر ضرورة شعرية ، اذ جاء في الآية ١٥ من سورة القصص : « ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها»، أي : في حين غفلة . (بفتح المدينة ، وكسر حين) .

وفي الآيتين ١ و٢ من سورة المطففين : « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون » ، أي : من الناس .

وفي الآية ٣ من سورة النجم : « وما ينطق عن الهوى » ، أي : بالهوى (بكسر الطاء) .

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : « بني الاسلام على خمس » ، أي : من خمس مواد .

واستشهد ابن هشام في « مغني اللبيب » بقوله تعالى في الآية ٣٧ من سورة محمد : « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » (بفتح الخاء في الاولى والثانية وتسكين اللام في الاولى وضمها في الثانية) ، أي : على نفسه ، ثم ذكر بيت ذي الاصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ، ولا انت دياني فتخزوني

يريد : أفضلت علي . (لاه ابن عمك : لله ابن عمك . في الاساس والصحاح : (عني) . وفي التاج واللسان : (يوما)) .

وأكد ابن مالك في الفيته ان (عن) تاتي بمعنى (على) ، بقوله : وقد تجي موضع (بعد) و (على) كما (على) موضع (عن) قد جعلا (بفتح عين (موضع) ، وضم الجيم في (جعلا)) .

ومما يورده « النحو الوافي » عن معاني حرف الجر (في) أنه :

١ ــ يفيد الاستعلاء ، نحو : غرد الطائر في الغصن ، أي : على الغصن ، ويصيح الغراب في المئذنة ، أي : عليها .

٢ ــ يكون بمعنى (الى) الغائية ، نحو : دعوت الاحمق للسداد، فرد يده في اذنيه ، ــ أي : الى اذنيه ، كي لا يسمع النصح ــ . ومنها قوله تعالى في الآية ٥١ من سورة الفرقان : « ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا » ، أي : الى كل قرية . (نذيرا بفتح النون) .

٣ ــ يكون بمعنى (من) التبعيضية ــ غالبا ــ ، نحو : اخذت في الاكل قدر ما أشار الطبيب ، أي : من الاكل (بعض الاكل) .

٤ ــ يكون بمعنى (الباء) ، نحو : من لم يكن بصبرا في ضرب المقاتل لم يكن آمنا على حياته ، أي : بضرب المقاتل .

ومما أورده من معاني حرف الجر (على) أنه :

١ ــ يكون بمعنى (الباء) ، نحو : سمعت من الوالد نصحا ، وحقيق عليه ان يقول ما ينفع ، أي : حقيق به ، بمعنى : جدير به .

٢ ــ قد يعني التعليل ، نحو : « اشكر المحسن على احسانه ، وكافئه على صنيعه » ، أي : لاحسانه ، ولصنيعه .

٣ ــ وقد يعني المجاوزة ، نحو : « اذا رضي علي الابرار غضب الاشرار ، أي : رضي عني » .

الى آخر ما هنالك من الامثلة الكثيرة التي يوردها صاحب النحو الوافي عن حروف الجر (راجع المجلد الثاني من صفحة ٤٠١ ــ ٥٠١).

وقد افرد ابن جني لهذا الموضوع بحثا رائعا في الخصائص في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، فقال :

« يقولون ان (الى) تكون بمعنى (مع) ، ويحتجون بقوله تعالى: « من انصاري الى الله ؟ » ويقولون (في) تكون بمعنى (على) ، كقوله تعالى : « ولاصلبنكم (بتضعيف اللام والنون وكسر الاولى وفتح الثانية) في جذوع النخل » ، وغير ذلك . ولسنا ندفع ان يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول انه يكون بمعناه في موضع دون موضع ، على حسب الحال الداعية اليه ، فأما في كل موضع فلا .

« الا ترى انك ، اذا اخذت بظاهر هذا القول ، لزمك ان تقول عليه : « سرت الى زيد » ، وانت تريد (معه) ، وان تقول : (زيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الفرس) ، وانت تريد (عليه) ، و (زيد في عمرو) ، وانت تريد (عليه في العداوة) ، وان تقول : (رويت الحديث بزيد) ، وانت تريد (عنه) ، ونحو ذلك مما يهون ويتفاحش . ولكن نضع في ذلك رسما بعمل فيه :

« اعلم ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان احدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر ، فان العرب قد تتسع ، فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ، ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » . وانت لا تقول : رفثت الى المراة ، وانما تقول : رفثت بها او معها . لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الافضاء ، وكنت تعدي (افضيت) ب (الى) ، جئت بها مع الرفث ايذانا بانه بمعناه » .

ثم قال : « وكذلك قوله : « من انصاري الى الله ؟ » أي : مع الله . وانت لا تقول : سرت الى زيد ، أي : معه . لكنه انما جاء لما كان معناه : من ينضاف في نصرتي الى الله ؟ »

الى ان قال : « ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا ، لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جمع اكثره لجاء كتابا ضخما . وقد عرفت طريقه ، فاذا مر بك شيء منه فتقبله وانس به ، فانه فصل من العربية لطيف حسن ، يدعو الى الانس بها ، والفقاهة فيها » .

وقال ابن السيد البطليوسي في (شرح ادب الكاتب) عند باب دخول بعض الصفات مكان بعض :

« هذا الباب أجازه اكثر الكوفيين ، ومنع منه اكثر البصريين . وفي القولين جميعا نظر ، لان من اجازه دون شرط ، لزمه ان يجيز : سرت الى زيد ، وهو يريد : مع زيد » . ثم مثل بنحو ما مثل به ابن جني ، وقال : « وهذه المسائل لا يجيزها من يجيز ابدال الحروف . ومن منع من ذلك على الاطلاق ، لزمه ان يتعسف في التاويل لكثير مما ورد في هذا الباب ، لان في هذا الباب اشياء كثيرة ، يتعذر تاويلها على غير وجه البدل ، ولا يمكن المنكرين لهذا ان يقولوا ان هذا من ضرورة الشعر ، لان هذا النوع قد كثر وشاع ، ولم يخص الشعر دون الكلام. فاذا لم يصح انكارهم له ، وكان المجيزون له لا يجيزونه في كل موضع ، ثبت بهذا انه موقوف على السماع ، غير جائز القياس عليه ».

ثم نقل البطليوسي كلام ابن جني ، وزاد عليه امثلة ، وشرحها بالتفصيل .

فمن هذا كله نرى ان انابة حرف مكان آخر جائزة في كثير من الاحوال ، لكنها لا تطرد في كل موضع ، ويترك الامر فيها الى السماع لا القياس .

اما الفعل (اخفى) فهنالك شبه اجماع على تعديته ب (عن) و (على) ، فنقول : لا اخفي عنك ، ولا اخفي عليك . وقد جاء في حديث الهجرة : أخف عنا خبرك ، أي : استر الخبر لمن سالك عنا .

نموذجات من حرف القاف

قرأ فلانا السلام

ويقولون : قرأ فلانا السلام ، او : اقرأ فلانا السلام . والصواب : قرأ على فلان السلام ، واقرأ على فلان السلام ، أي : أبلغه اياه .

قال الاصمعي : وتعديته بنفسه خطأ ، فلا يقال : اقراه السلام ، لانه بمعنى : أتل عليه .

وجاء في الاساس : يقال : اقرأ سلامي عليه ، ولا يقال : اقرئه مني السلام .

وحكى ابن القطاع (بتضعيف الطاء) انه يتعدى بنفسه رباعيا ، فيقال : فلان يقرئك السلام (من الفعل : أقرأ) .

وفي اللسان : أقراني فلان : حملني على ان أقرأ عليه .

قرأ عند فلان النحو

ويقولون : قرأ عند فلان النحو . والصواب : قرأ على فلان النحو ، أي : درسه (بتضعيف الراء) النحو .

قرابة الف كتاب

ويقولون : عندي قرابة (بفتح القاف) الف كتاب والصواب : عندي قرابة الف كتاب ، او : قراب (بضم القاف فيهما) الف كتاب ، لان القرابة (بفتح القاف) هي : القربى في الرحم .

وقد جاء في التاج واللسان والصحاح ومتن اللغة : قراب (بكسر القاف) الشيء ، وقرابه (بضم القاف) ، وقرابته (بضم القاف) : ما قارب قدره .

القر والحر

ويخطئون من يقول : الحر والقر (بفتح القاف ، وهو : البرد) . ورغم ان جل المعاجم الموثوق بها لا تذكر سوى القر (بضم القاف) ، فقد ثلث ابن قتيبة القاف (القر) ، بينما اوجب اللحياني في نوادره فتح القاف عندما نستعمل (القر) مع (الحر) لكي تكون القاف مفتوحة كالحاء .

وانا ارى ، بعد الاستئذان من مجامعنا اللغوية :

١ ــ أن نستعمل القر (بضم القاف) دائما ، اذا جاءت هذه الكلمة منفردة ، لان لها معنيين فقط ، هما :

(أ) البرد . (ب) القرار بالمكان .

٢ ــ ان نستعمل القر (بفتح القاف) ، اذا جاءت معها كلمة (الحر) للمشاكلة ، مجاراة للحياني في رأيه .

٣ ــ القر (بفتح القاف) لها معان عديدة جدا ، منها :

أ ــ اليوم البارد .

ب ــ ترديد الكلام في أذن الابكم ، حتى يفهمه .

ج ــ قر الدجاجة : صوتها المتقطع .

د ــ الفروجة (بتضعف الراء المضمومة) .

هـ ــ قر الماء : صبه .

و ــ القرار بالمكان .

ز ــ اليوم الذي يلي عيد النحر (لان الناس يقرون ــ بكسر القاف ــ في منازلهم ، وقيل لانهم يقرون بمنى ــ بكسر الميم وفتح النون ــ) .

ح ــ الهودج .

٤ ــ القر (المكسورة القاف) انفرد ابن قتيبة بذكرها ، وارجح انه اخطأ ، ولذا ارى ان لا نستعملها ابدا .

قرف منه

ويقولون : قرف (بكسر الراء) منه . والصواب : اشمأز منه ، او : تقززت نفسه منه ، لان معنى قرف) بكسر الراء (فلان المرض ، يقرفه (بفتح الراء) قرفا (بفتح القاف والراء) : داناه . وفي الحديث ، وقد سئل عن أرض وبيئة ، قوله : تحولوا ، فان في القرف التلف . اراد مداناة المرض وملابسة الداء .

القرنبيط

ويقولون : لا نحب رائحة القرنبيط المطبوخ . والصواب : القنبيط (بضم فنون مضعفة مفتوحة) . وهذه الكلمة من أصل يوناني .

صيدا ــ لبنان **محمد العدناني**

ارتعاش في ضوء القمر

سميحة التوبة

الرياض ـ السعودية

يا رفيقي .. لست ادري ما يقال
وحروفي لم تزل سرا ببال السحب
كل شيء يبعث اليأس بنفسي والملال
يا رفيقي .. آه لو كنت معي هذا المساء
وأنا أسبح في عرس الضياء
والقمر . لاح في عينيه باقات عبر
وفؤادي واهن فوق الرمال
كل ما حولي سحر مستعر
غير اني أشرب الساعات يأسا وملال
فاذا ما تاه يوما نظري
سابحا عبر النجوم
تصدم الفرحة ـ في عيني ـ هاتيك الغيوم
وهي تدنو من عيون القمر ..
يا صديقي .. واذا يوما مشينا في المساء
نحضن الفرحة .. نستل الضياء
من جناحي طائر طلق الفناء
سوف نلقى بين جنبينا الشقاء
ويموت الطائر السحري في رعش المساء
ـ يا رفيقي .. هذه الازهار تجثو مثلنا
في سكون الليل والنبع سيدري سرنا
ـ لا تبالي .. انه نشوة حب أبدية
انه ليلة سر قمرية
يرقص اللؤلؤ فيه
وتغني زهرة الروض حكايا ليلكية
سوف تأتي الريح .. ويلي يا رفيقي
تسرق الافراح مني والهناء
انها لا بد تأتي ..
سوف تأتي ..
آه .. انا أشقياء
يا رفيقي .. لا تقل هذي ترانيم الزهر
وحفيف النخل في الوادي .. واحلام القمر ..
سوف نمضي ـ يا رفيقي ـ لن نصير
مثلما باحت به عيناك يوما
وردة ، وهو أمير ..
أو شذى يسكر أزهار الحديقه
أو لآلي في الغدير
لن نصير ..
ـ يا رفيقي هذه كل الحقيقه ـ
غير ذرات رمال
آه دعني ...
كل شيء يبعث اليأس بنفسي والملال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو تمام شاعر الغيث

بقلم حمودة زلوم

* * *

يعتبر ابو تمام الطائي ، شاعر الغيث بلا منازع ، ولسنا نمنحه هذه الصفة مجاملة او انسياقا مع المشاركة الوجدانية ، ولكن نتيجة رحلة طويلة شاقة في ديوانه ، وتتبع أخباره ، فهو يكثر من ذكر الغيث ، وما يدور في فلك هذه الكلمة من مرادفات ، وصفات وافعال وتراكيب سواء في مطالع قصائده ام في خلالها ، حتى باب الوصف من ديوانه ، معظم قصائده في (وصف غيمة) او (وصف سحابة) او (وصف المطر) او (وصف غمامة) الخ ...

وسبب اكثاره من ذكر الغيث ، لم يكن وليد الصدف ، ولكن نتيجة مؤثرات عدة ، فمنها البيئة ، والتي لا يستطيع احد اغفالها لما لها في حياة الفنان من عميق الاثر ، فقد قضى معظم حياته جوالا ، فلا يكاد يستقر ، حتى يرحل ، فعاش في الشام ، ومصر ، وسامراء وبغداد والموصل واذربيجان وجرجان وغيرها من الاماكن التي يلعب الماء في حياتها دورا مهما ، وقد ورد حبه للسفر في كثير من اشعاره :

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس اوطاني
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... في الرقمتين وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى لي سكنا ... حتى تشاقه أقصى خراسان

ومنها نفسي ، وهو ما تركه الماء في حياته من اثر عميق ، فمؤرخو الادب ، يذكرون انه ارتحل لمصر ، ولما يبلغ الثانية عشرة ، يسقي الماء ويستقي الادب في مسجد عمرو بن العاص .

وارى كذلك انه كان مغرما بالماء لحد الافراط ، فقد روى احد اصدقائه قائلا : استأذنت عليه ، فدخلت في بيت مصهرج ، قد غسل بالماء ، فوجدته يتقلب يمينا وشمالا فقلت : لقد بلغ بك الحر مبلغا شديدا ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث ساعة ثم قام كأنه اطلق من عقال فقال : الآن اردت ، ثم استمد وكتب شيئا لا اعرفه .

ومن الامور التي عملت على اكثار هذه النغمة في شعره ، ما للغيث من اهمية في الحياة ولتعبيرها اللغوي القوي ، وابو تمام من عيون القوة والجدة في التعبير .

ولعل عجبنا يتلاشى ، وتساؤلاتنا تنتهي اذا علمنا انه كتب كتابه الشهير « ديوان الحماسة » في فصل الشتاء ، حينما اعترضه الثلج في همذان اثناء ذهابه الى عبد الله بن طاهر وقيل في اثناء رجوعه ، فالف كتابه ريثما يذوب الثلج .

قاموسه اللغوي للغيث :

غيث ـ مطر ـ ماء ـ امواه ـ مياه ـ ديمة (المطر الذي ليس فيه برق ولا رعد) ـ ديم ـ عزالى (المطر الخفيف) ـ الرجع (المطر) ـ وبل (المطر الغزير) ـ وكاف (المطر المنهل) ـ ارهام (المطر الخفيف) ـ الرذاذ (المطر الخفيف) ـ السبل ـ قراح ـ زلال ـ هتون (المطر المتتابع) ـ الحيا (المطر) ـ الندى ـ الحسي (ماء قليل في الارض)ـ العهاد (الامطار المتتابعة) ـ متمنجر (الماء الكثير وسط البحر) ـ مزن ـ قطر ـ برد (حب الغمام) ـ اغريض ـ الثلج ـ ضحضاح (الماء القريب القعر) ـ سحابه ـ سحاب ، سحائب ـ الغدق ـ غمامة ـ غمام ـ عارض (السحاب المقبل) ـ صوب (نزول المطر) ـ وطفاء (سحابة مسترخية لكثرة مائها) ـ سارية (سحابة تاتي ليلا)ـ هواميع (سحب سيالة) ـ البارق (سحاب ذو برق) ـ هزيم (صوت الرعد الذي ينبجس معه المطر) ـ برق خلب (الذي ليس فيه مطر) ـ ضحل ـ النقع (ما اجتمع في البئر من ماء) ـ الدأباء (البحر) ـ الغوارب (اعالي الموج) ـ المبشرات (الرياح التي تبشر بالغيث) ـ الوطفاء (سحابة متدلية الهيدب) ـ نهر ـ بحر ـ سيل ـ سيول ـ مذانب (مسايل الماء) ـ غدر ـ حوض ـ عيون آبار ـ قليب ـ ركي (البئر ذات الماء) ـ مناهل ـ ثغب (سيول الماء في الوادي) ـ مراشف ، رشاء دلاء ـ دلو ـ الاكراب (حبال تشد في وسط اعراق الدلو) ـ الارذام (سيور بين آذان الدلو وعراقية) .

منهمر ـ صفو ـ كدر ـ سلسل ـ ظمآن ـ صادي ـ ظماءه ـ الصدى ـ الحران (العطشان) الناهل (للعطشان) ـ بروق ـ رعود ـ ابراق ـ ارعاد ـ هراقة (كثيرة الصب) ـ هواطل ـ سواقي عوافي ـ هتون ـ خضل (مبتل) ـ منهمر ـ سارية ـ مسودة ـ مسبل (منصب) ..

النيل ـ الزاب ـ الفرات ـ زمزم ـ لبرين وملحوب (مكانان يشتهران بكثرة الماء) ـ سماك ومرزم (نجمان ينسب اليهما المطر)ـ.

صب ـ هطل ـ ارويت ـ تبرق ـ ترعد ـ امطرت ـ تصوب ـ يفيض ـ تنبع ـ تروت ـ فاض ـ نبعت ـ يقطر ـ تسيل ـ ترقرق ـ تحدر ـ طمت ـ سالت ـ ينهمر ، اترعت ـ همى يمذق ـ .

ماء الملام ـ ماء الوصال ـ ماء الحياة ـ ماء الحياء ـ قاتل المحل ـ صفحة الماء ـ أديم الماء ـ جلدة الماء ـ ماء الروض ـ آثار الغيوم ـ ماء النصيحة ـ ريق الغيث ـ مياه الندى ـ حسى فؤاده (ماء فؤاده: دم قلبه) ـ ماء بكائي (الدمع) ـ ريق الهدى ـ .

وتكاد تكون اروع مقدمات قصائده ، والتي يظهر فيها تعاطفه مع الغيث ، بوصفه وتفريعه في معانيه ، وابتكاره في الصور وجدة المعاني ، ما قاله في مطلع قصيدة ، يمدح فيها الوزير الاديب محمد بن عبد الملك الزيات ، فقد شبهه بسحابة ماطرة ، نزلت بارض جرجان فانعشت الارض بعد جدبها وابهجت السكان بالخير المنتظر :

ديمة سمحة القياد سكوب ... مستفيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لانعام نعمى ... لسعى نحوها المكان الجديب
لك شؤبوبها وطاب فلو تست ... طيع قامت فعانقتها القلوب
فهي ماء يجري دماء يليه ... وعزالى تنشأ واخرى تذوب
كشف الروض راسه واستسر الـ ... ـمحل فيها كما استسر المريب
فاذا الري بعد محل وجدب ... جان لديها لبرين او ملحوب
أيها الغيث حي أهلا بمغـ ... ـداك وعند السرى وحين تؤوب
لابي جعفر خلائق تحكيهن قد يشبه النجيب النجيب

وانتزعت هذه القصيدة ، اعجاب الاديب الوزير ، فلم يستطع الا ان يقول لابي تمام : يا ابا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك ، وبديع معانيك ، ما يزيد حسنا على بهي الجواهر في اجياد الكواعب وما يذخر لك شيء من جزيل المكافاة الا ويقصر عن شعرك في الموازرة .

وقال يعتذر الى ابراهيم والفضل كاتبي عبد الله بن طاهر من تأخره عنهما بسبب المطر ، وفيها تظهر مقدرته على اختراع الصور النادرة الجميلة :

قولا لابراهيم والفضل الذي ... سكنت مودته جنوب شغافي
منع الزيارة والوصال سحائب ... شم الغوارب جابة الاكتاف
ظلمت بني الحاج الملم وانصفت ... عرض البسيطة أيما انصاف
فاتت بمنفعة الرياض وخيرها ... أهل المنازل السن الوصاف
وعلمت ما يلقى المرور اذا همت ... من ممطر ذفر وطين خفاف
شهدت لها الانواء اجمع انها ... من مزنة لكريمة الاطراف
ما ينقضي منها النتاج ببلدة ... حتى تسر له لقاح كشاف
ان الشتاء على شتامة وجهه ... لهو المفيد طلاقة المصطاف

وانظر الى قوله في الحسن بن وهب فيقول له : انك صفت لي العطاء ، وقد كنت أراه من غيرك كدرا وعسرا ـ ويعبر عن الكدر والعسر بركوب الطحلب للماء ـ ثم يصور نفسه مع ممدوحه في بحبوحة الوادي

وقطع الرياض ، بينما غيره يقف به عند المذنب فلا ينيله الا الوشل :

ابديت لي عن جلدة الماء الذي ... قد كنت اعهده كثير الطحلب
ووردت بي بحبوحة الوادي ولو ... خلفتني لوقفت عند المذنب

وانظر اليه كيف يصور عطايا وهبات ابي سعيد محمد بن يوسف له :

ممطرا بالجاه والمال ما له ... فاك الا مستوهبا او وهوبا
فاذا ما اردت كنت رشاء ... واذا ما اردت كنت قليبا
باسطا بالندى سحائب كف ... بنداها امسى حبيب حبيبا

بل انظر اليه كيف يعبر عن السحب التي يتلألأ البرق في اطرافها، وكيف يثير اعجابنا حين يقول ان مسك الطل يسقى كافور الندى ثم انظر الى جمال تصويره لسقوط المطر بالخيوط التي تنحل في الروض:

ومعرس للغيث تخفق فوقه ... رايات كل دجنة وطفاء
نشرت حدائقه فصرن مآلفا ... لطرائف الانواء والانداء
فسقاه مسك طل كافور الندى ... وانحل فيه خيط كل سماء

وانظر الى هذه الصورة الغريبة للمطر ، الذي يذوب فيه الصحو، والصحو الذي يذوب فيه المطر ، ثم انظر الى النضارة التي توشك ان تجعل الصحو يمطر :

مطر يذوب الصحو منه وبعده ... مطر يكاد من النضارة يمطر

ويسترسل في القصيدة مادحا الخليفة المعتصم :

غيثان فالانواء غيث ظاهر ... لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادهنت به لم الثرى ... خلف السحاب اتاه وهو معذر
من كل زاهرة ترقرق بالندى ... فكانها عين اليك تحدر

وابدى من ذلك وصفه لمصرع الافشين ومدحه المعتصم :

وتحدثوا عن هلكه كحديث من ... بالبدو عن متتابع الامطار
واعلم بانك انما تلقيهم ... في بعض ما حفروا من الآبار

ومما قاله في مدح احمد بن ابي رؤاد :

يا ايها الملك المعروف قبته ... فيها حيا المزن الا انه بشر
فمر باذن فان الجدب ارسلنا ... وفدا اليك وانت الغيث تنتظر
كنا نقول اذا ما الجدب اوجعنا ... صبرا على الجدب حتى يقدم المطر

وقال يمدح الخليفة الواثق :

سيروا بني الحاجات ينجح سعيكم ... غيث سحاب الجود منه هتون
فالحادثات بوبله مصفودة ... والمحل في شؤبوبه مسجون
الفوا امير المؤمنين وجده ... خضل الغمام وظله مسكون
يا ابن الخلائف ان بردك ملؤه ... كرم يذوب المزن منه ولين

وقال يمدح الحسن بن وهب :

ألا ويل الشجي من الخلي ... وبالي الربع من احدى بلي
سنت عبراته الاطلال حتى ... نزحن غروبها نزح الركي
سقى السرطان جزعك والثريا ... ثراك بمسبل خضل روي
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا ... ويا شبعي اذا غضي وريي
فمن جود تدفق فيه سيل ... على مطر ومن جود أتي

وانظر اليه يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف ويشبهه بالغيث :

ارويت ظمآن الصعيد الهامد ... وملأت من جزعيك عين الرائد
ولقد اتيتك صاديا فكرعت لي ... شيم الذ من الزلال البارد

وافخم من ذلك قوله في عبد الله بن طاهر : لو لم تنتشر افعاله في الدهر كله لافسدت معائب الدهر كل شيء حتى الماء الصافي :

فوالله لو لم يلبس الدهر فعله ... لافسدت الماء القراح معائبه
سما للعلى من جانبيها كليهما ... سمو عباب الماء جاشت غواربه

واعجب من ذلك ، حينما يصور الشتاء ببعير صعب القياد ، وقد ركبه الممدوح ، فعاصى عليه في سيره ، فضربه ضربة في اخدعيه فذل واطاع :

فضربت الشتاء في اخدعيه ... ضربة غادرته قودا ركوبا

بل انظر اليه حين يرد على المبدأ القائل (ما ترك الاوائل شيئا للاواخر) :

فلو كان يفنى الشعر افناه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت ... سحائب منه اعقبت بسحائب

ومما قاله في وصف سحابة ممطرة : ان هذه السحابة متراكمة كثيفة ، مجتمعة كما تجتمع الشيعة حول نقيبها ، مطيعة للريح الهابة من الجنوب الى الشمال ، فلما اقتربت للارض تشوقت لمطرها الغزير، لانها عطشى وفي حاجة ماسة له ، ومن ثم فان هذه السحابة ادخلت على القلوب الاطمئنان لثقة تلك القلوب بان تلك الغيمة ستقضي على القحط وتاتي بالخصب :

لم ار غير حمة الدؤوب ... تواصل الادلاج بالتاويب
كالليل او كالذنوب او كالنوب ... منقادة لغادر عربيب
كالشيعة التفت على النقيب ... آخذة بطاعة الجنوب
محاذة للازمة اللؤوب ... محو استلام الركن للذنوب
لما بدت للارض من قريب ... تشوقت لوبلها السكوب
تشوق المريض للطبيب ... وطرب المحب للحبيب
وفرحة الاديب بالاديب ... وخيمت صادقة الشؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب ... وحنت الريح حنين النوب
والشمس ذات حاجب محجوب ... وغربت من غير ما غروب
لذيذة الريق مع الصيب ... كانما تهمي على القلوب

وابدع من ذلك حين يصور المطر ، فمصور الظواهر الطبيعية التي تصحب نزول المطر كالظلمات والبرق والرعد ، فيصورها تصويرا كليا رائعا ينطوي على الحس والحركة فلا يترك اثرا ولا شكلا ولا صوتا :

حماد من نوء له حماد ... من ناجرات الشهر لا الدادي
سارية سمحة القياد ... مسورة مبيضة الايادي
سهارة نوامة بالوادي ... نزالة عند رضى العباد
قد جعلت للمحل بالمرصاد ... سيقت ببرق ضارم الزناد
ثم برعد صخب الارعاد ... يسلقها بالسن حداد
واختلط السواد بالسواد ... اظفرت الثرى عن تعادي
فروت هاماته الصوادي ... لم حملت لمقتر من زاد
هدية من حمد جواد ... ليس بمولود ولا ولاد

بل انظر اليه كيف يأخذ معاني الغيث من افواه الذين لا يقصدون ان يخرجوا ادبا لانفسهم ، فقد جاء في الاغاني (مر ابو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتك امس فاحتجبت عني فقال له (ان السماء اذا احتجبت بالغيم رجي خيرها) قال من روى عنه الاصفهاني (فتبينت في وجه ابي تمام انه قد اخذ المعنى ليضمنه في شعره فما لبث اياما حتى انشد :

ليس الحجاب بمقص عنك لي املا ... ان السماء ترجى حين تحتجب

رغم ذلك فان ابا تمام على حد تعبير دعبل الخزاعي (مات وما استمتع بخاطره ، ولا نزح ركي فكره حتى انقطع رشا عمره) .

الزرقاء ـ الاردن — حمودة زلوم

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زكي مبارك: صفحات مطوية من حياته

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

زكي مبارك اديب كبير ، لـه مكانتـه في الادب العربي الحديث ... امضى حياته في خدمة الادب والفن دارسا ومؤلفا وناقدا وشاعرا .. وترك لنا اكثر من اربعين كتابا بعضها باللغة الفرنسية .. ولو لم يكن قدكتب هذا القدر من المؤلفات القيمة لكفانا منه ، كتابه « الاخلاق عنـد الغزالي » وكتابه « التصوف الاسلامي » وكتابه « النثر الفني » وديوان شعره « الحان الخلود » .

وانه لجحود لزكي مبارك وادبه ان تمر ذكرى وفاته او ميلاده كل عام دون ادنى اشارة من الادباء العرب !

ورايت بمناسبة ذكرى وفاته العشرين في ٢٢ يناير ان انشر على الناس صفحات مطوية من حياة هذا الاديب الكبير .. استقيت معظمها من ابنـه صديقي وزميلي الاستاذ عبد المجيد مبارك .

اسمه في شهادة الميلاد : محمد عبد السلام مبارك ولكن والده اطلق عليه اسم (زكي) لما تكشف له ذكاؤه ، فكان يحلو له ان يناديه (يا ذكي) ، فاصبح هذا هـو الاسم الذي يعرف به .

ولد في « سنتريس » واحبها وكان يفخر بأنه فلاح.

وتأثر زكي مبارك ببيئته الريفية تأثرا كبيرا فكان له طوال حياته الكثير من صفات فلاحنا الطيب القلب ، الصريح ، وعرف بالجراة والاعتداد بالنفس وقـد لازمته هـذه الصفات حتى ودع حياته في ٢٢ يناير ١٩٥٢ ، وكان لا يكل ولا يتعب من العمل يسير نحـو هدفه بأقدام ثابتة ، وعزيمة قوية ، يعتمد على قدراته ولا يتملق احدا .

تلقى دروسه الاولى في (كتاب القريـة) وكانـت نشأته في طفولته تنم عن رجولته وذكائه وعـن مسلكه في مستقبله . فقد حدث ان ضاعت (مطواة) شيخ الكتاب فاتهم الاطفال بسرقتها ووضع ارجلهم في (الفلقة) ورأى (زكي) ان زملاءه الاطفال يضربون بقسوة فأصر علـى الا يستسلم لعصا سيدنا الشيخ ، فلما جـاء دوره قال : « انا يا سيدنا الذي سرق المطـواة وخبأتها في المنزل » فلاطفه الشيخ حتى يذهب ليحضرها ، وانطلق الطفل الى البيت يخبر أباه عن قسوة الشيخ وانـه الصق بنفسه سرقة المطواة حتى يتخلص من العقاب .

وكان زكي مبارك منـذ طفولته لا يحب ان تقيـد حريته والا يقف شيء في طريق مـا يهواه ويميل اليه .

كانت السباحة هوايته المفضلة في صباه .. وكان (شيخ الكتاب) يخشى على اطفال (كتابه) من الغرق ، ولـذا فانه عمد الى ختم كل طفل بخاتمه قبل الانصراف ، فان تلاشى اثر الخاتم عاقبه . ولكـن (زكيا) لا يطيق ان ينقطع عن هوايته فهداه تفكيره الى تقليد الخاتم ، وكـان ينزل الى الماء كل يوم ثم يختم فخذه قبل ان يذهب الـى الكتاب .

كان زكي مبارك ثائرا منذ طفولته فهذه ثورته علـى الاوضاع في مدرسة القرية ، وكان له ثورته ايضا وهـو طالب بالازهر .. لقد مال زكي الى الشعر والادب وخالف تقاليد الازهر ، فنظم في الغزل والتشبيب ، وكان هـذا يتنافى مع وقار الازهري .. لقد كان زكي مبارك الفتـى الازهري ينشد آفاقا ابعد من المتون والشروح والحواشي .. كان يحلم بمجده في عالم الادب والشعـر .. واعجب بالمنفلوطي واخذ يقرأ له ولمحمد السباعي ونسج علـى منوالهما وقد قال في ذلك « .. اما المنفلوطي فكان يجذبني اليه طبيعته السمحة، وقلمه الطيع، وقلبه الزاخر بالعطف والحنان . واما محمد السباعي فكـان يحملني علـى احترامه بصره باللغة العربية وذكاؤه الذي يتمثل في احياء الالفاظ والتعابير » .

ورأى زكي مبارك ان الدراسة بالازهـر لا تشفي غليله وتروي عطشه وترضي ميوله ، فهـو يريد دراسة الآداب العالمية ولم يجد في الازهر في ذاك الوقت ما يمكنه من هذه الدراسة ، فتركه ولجأ الـى الالتحاق بالجامعة المصرية عام ١٩١٣ فقيل له ان شروط الالتحاق بهـا ان يعرف الطالب لغة اجنبية بالاضافة الـى اللغة العربية ، فأكب على دراسة اللغة الفرنسية وتمكن مـن اتقانها في ثلاث سنوات بذل فيها الجهد المضني وكان يسوقه حلمه بدراسة الآداب العالمية الى مواصلة ليله بنهاره .. كـان الشاب زكي مبارك وهو يدرس اللغـة الفرنسية يمني نفسه بالسفر الى الخارج للدراسة بالجامعات الاجنبيـة ليحصل على ارقى المؤهلات ويعود الى وطنه اديبا عظيما.

والتحق زكي بالجامعة المصرية عام ١٩١٦ ودخـل كلية الآداب وترك نظم الشعر وانصرف الى دراسة الادب والفلسفة ، وكان وهو طالب يلقي محاضرات عن « شاعر الحب والجمال عمر بن ابي ربيعة » تحت اشراف الدكتور احمد ضيف .. واندلعت ثورة ١٩١٩ فانطلق زكي مبارك الثائر مع الثوار فاعتقلته السلطات البريطانية ، ونشرت صحيفة الاهرام في ١ ــ ١ ــ ١٩٢٠ ما نصه : « اعتقـل البوليس صباح أمس الاستاذ زكـي مبارك وهـو شيخ معروف بذلاقة اللسان ، والنظم الرشيق ، وكان لـه في كل اجتماع كلمة يلقيها او قصيدة يتلوها » .

وخرج زكي مبارك من المعتقل وعاد الى الجامعـة فنال شهادة الليسانس في العلوم الادبية والفلسفية عـام ١٩٢١ ونال بعدها بثلاث سنوات درجة الدكتوراه وكانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالته « الاخلاق عند الغزالي » .. ثم تطلع الى باريس وقال في ذلك : « اللهم لا تمتني قبل ان ارى بعيني كيف يدرس العلم في الممالك التي اصبح اهلهـا سادة الامم واساتذة الشعوب » ... وسافر الى باريس عام ١٩٢٧ ، وكان يقيم بها اربعة شهور ثم يعود الى القاهرة ليحصل على ما يساعده على الاستمرار في دراسته . اسمعه يروي لنا هذا بنفسه : « كنت اشطر العام شطرين ، اقضي شطره الاول في القاهرة حيث اؤدي عملي ، واجني رزقي . واقضي شطره الثاني في باريس كالطير الغريب ، احادث العلماء ، واستلهم المؤلفين الى ان ينفذ ما ادخرته او يكاد ، ثم صممت على ان انقطع الى الدرس في جامعة باريس حتى انتصر او اموت ... » واخيرا انتصر الشاب المكافح وحقق حلمه فنال الدكتوراه الثانية عام ١٩٣١ وكانت رسالته « النثر الفني في القرن الرابع » وقدمه باللغة الفرنسية .. وكان لكتابه « النثر الفني » دوي كبير ولكن كيف استقبلته وزارة المعارف في ذلك ؟! اسمعه يحدثنا عن هذا : « هل تعرفون كيف استقبلته وزارة المعارف الموقرة ؟!.. اشترت منه (اربعين) نسخة فقط لان مؤلفه ليس له في الحكومة المصرية عم او خال ...! » ونال زكي مبارك الدكتوراه الثالثة وكانت رسالته « التصوف الاسلامي » ..

عمل مدرسا في الجامعة المصرية.. ومفتشا للتعليم، واستاذا في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وبعض المدارس الاجنبية ، واستاذا للادب العربي بجامعة بغداد ..

وحورب زكي مبارك وتكاتف كثيرون على هدمه وذلك لجراته وصراحته واعتزازه بنفسه ... فنقم على الاوضاع عندما رأى ان من هم اقل منه بكثير يحظون بأرقى المناصب وظهرت ثورته في نقده القاسي وفي ثنائه على نفسه وكان يوقع في المجلات الادبية باسم « الدكاترة زكي مبارك » .

هذا هو زكي مبارك من الناحية العامة والآن انتقل الى زكي مبارك في حياته الخاصة وقد استقيتها كلها من نجله ، زميلي وصديقي الاستاذ عبد المجيد مبارك .. واعتقد ان الناحية الخاصة من حياة الاديب والفنان والعالم لا تقل اهمية في دراسة حياة هؤلاء عن الناحية العامة .. وعيب التراجم عندنا انها تخلو من الحياة الخاصة لادبائنا لان البعض يعتقد انه ليس من اللائق ان نخوض هذه النواحي الشخصية او نتعمق فيها .. ويهتم كتاب التراجم في الغرب بالحياة الخاصة للشخصيات العظيمة لانها هي المرآة التي يراه فيها الناس على حقيقته دون ادنى رتوش ، وهي أمر يلذ للمعجبين به ان يعرفوه عنه ليصلوا الى اعماق نفسه .

كان زكي مبارك يؤثر الهدوء على الجلبة ، ولذا فانه خص نفسه بالطابق الثاني من مسكنه حتى يتيح لنفسه الهدوء بعيدا عن ضوضاء اطفاله ، وكان يتصل بافراد اسرته بدق الجرس بطريقة يعرف بها كل فرد من افراد الاسرة انه هو المقصود .

كان يسهر خارج المنزل حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ويعود وينام ساعتين فقط ثم ينهض الساعة الثالثة صباحا ويكتب حتى السابعة صباحا ، وكان وهو يكتب لا يستريح بالجلوس على مكتبه بل كان يجلس فوق (شلتة) على الارض .. وكان يشرب الشاي بعد ان يفرغ من الكتابة لا اثناءها .. ثم يخرج الى عمله.

وكان لا يعود الى بيته مباشرة بعد ان يفرغ من عمله بل كان يعرج على (بار توفيق بميدان عرابي بالقاهرة) وقد اتصلت بالخواجة اليوناني صاحب البار وحدثني كثيرا عن زكي مبارك .. واراني اين كان يجلس .. ويكتب في البار ويجتمع بالمعجبين به هناك ..

وقال لي ابنه انه كان يقضي معظم وقته خارج المنزل في عمله ثم في البار ، وانه كان لا يحب ان يزار في منزله ، بل كانت كل مقابلاته لاصدقائه ومريديه ومعارفه خارج المنزل .

وكان لا يتناول طول اليوم الا وجبة واحدة هي وجبة الغداء ، وكان يتناولها بمنزله مع اسرته في الساعة الثالثة ثم ينام بعدها ساعتين .. وكان يشغل وقته بين السادسة والسابعة مساء بالاتصال بالاصدقاء تليفونيا من منزله ليرتب أمر سهرته ، وغالبا ما كان يمضي هذه السهرة ببار توفيق ليكتب ويتناقش مع من يلتقون به هناك من الثامنة والنصف مساء حتى منتصف الليل او بعده بساعة وكان يلذ له ان يسمع احد المعجبين به يقرأ له اشعاره او يناقشه فيما يظهر له من مقالات في الصحف والمجلات .

كان يحرق خمسين سيجارة في اليوم ، ويقول ابنه انه كان لا يبلع الدخان وقد قال له ان التدخين لا يلذه مطلقا وانه (ليس مزاجا عنده) ، بل كان يحلو له حرق السجاير ، وكان يكتب معظم اشعاره على علب السجاير .

قال لي الاستاذ عبد المجيد (ابنه) : (لو لم يكن والدي اديبا لكان مغنيا) فقد كان صوته جميلا وكثيرا ما كان ينشد اشعاره ويتأثر وهو ينشدها .. وكان يحب الاغاني العاطفية ، ويفضل اغاني ام كلثوم وكان يبكي عندما يسمع لها اغنيتها « فضلت اعيش في قلوب الناس » ، كان الرجل يتغنى بالحب والجمال .. وكان الجمال يستهويه في كل صوره : جمال اللفظ وجمال المراة وجمال الطبيعة . وكان يبدو في كتاباته واشعاره عاشقا لها ... لامه احد اصدقائه بقوله : ما قرات لك كتابا او قصيدة الا رايتك مشغولا بالحب فما هذا الاسراف ؟ قال : لا تؤاخذني ، فانا اريد ان املأ اقطار قلبي بالحب حتى لا يوجد فيه مكان للبغض .

والآن قد تعجب عندما اكشف لك الجانب العاطفي

الحقيقي في حياة زكي مبارك . كان لا يعشق المراة كما هي بل يعشقها كصورة في عقله وقلبه .. ان من يقرا له يظن انه قد عشق كل امراة وقع عليها نظره والحقيقة التي ذكرها عنه ابنه انه كان ينظر الى المراة نظرة تحقير وكان يقول عنها انها مخلوق وضيع ، وقد يرجع هذا الى صدمة غرامية وكان يوصي ابناءه الذكور بعدم الزواج ويقول لهم : « ان الزواج غلطة العمر » وقد يكون مرجع هذا ان الزواج ومسؤولياته الخطيرة كان من المضايقات الكبيرة التي اتعبته ابان سفره الى فرنسا للتحصيل وتحقيق آماله الكبار ، كما ان الزواج ايضا هو الذي اكرهه على العمل كموظف صغير تحت امرة اناس كان يعتبرهم اقل منه بكثير الامر الذي كان يحز في نفسه ويؤلمه ، فقد كان يود ان يكون حرا يعيش لادبه وانتاجه ، ولكن مسؤولياته المادية كرب اسرة ، ليس له مورد مالي منتظم غير ما تدره الوظيفة ، اكرهته على البقاء موظفا في وظائف كان غير راض عن العمل بها لانها لا تليق به .

وكان زكي مبارك رغم تحقيره لانتاج بعض زملائه الادباء الكبار يقرأ للكتاب الناشئين ويمتدح اعمالهم ان كانت تستحق ذلك .. كان كثير الاطلاع يشتري يوميا الصحف والمجلات التي تظهر ، ويقرأ الكتب الفرنسية ، وكان احب الكتاب الفرنسيين اليه « اناتول فرانس » لدرجة انه فكر في تقديم رسالة دكتوراه عنه .. وكان يحب اشعار حافظ وشوقي وناجي ويعجب بأدب ابراهيم المازني وشخصيته .

وكان زكي مبارك أبا عطوفا يحرص على ان يناقش ابناءه فيما يراه صالحا لهم حسب ما تمليه عليه خبرته في الحياة ، وكان يحدثهم كثيرا عن مشاهداته في فرنسا والعراق ... وكان يحب الاستماع الى حديث «بابا شارو» حديث الاطفال ، ويضرب لابنائه الجرس ليفتحوا الراديو عندما يأتي ميعاد هذا الحديث ... ولكن حبه للهدوء كان يحرمه من الاجتماع كثيرا بابنائه ، وقد كان غير مسموح لاحد منهم ان يصعد الى الطابق الذي خصصه لنفسه الا اذا طلبهم .. وكان لا يرد على التليفون عندما يجلس للكتابة .. واحب كتبه اليه كتاب « النثر الفني » وقد حصل به على الدكتوراه الثانية من باريس عام ١٩٣١ .

ويقول عنه ابنه انه كان يمتاز بالوفاء وابراز خصائصه الاعتزاز بالنفس ، لا يعرف المداهنة ولم يكن ذيلا لاحد مطلقا ولذا تقدم عليه الذين يتقنون المداهنة والتملق ، وبقي هو في مكانه ينظر باحتقار الى النفوس الضعيفة ، ولذا فانه مات وهو في الدرجة الثالثة ، وقد كان في امكانه ان يصل الى الوزارة بسهولة لو انه كان هتافا ومداحا لاحد زعماء ذلك الوقت ، او سخر قلمه لحرق البخور لاحد رؤساء الاحزاب .. ولكنه آثر ان يحتفظ بكرامته وعزة نفسه ويعيش لادبه حتى وان مات جوعا ، فبقي حيث هو وحورب في رزقه عدة مرات ولكنه لم يتداع وهاجم كثيرا من الاوضاع الفاسدة فكانت هذه المهاجمة من العوائق التي حالت دون وصوله الى ما يليق به وبأدبه من مكانة ... ومات زكي مبارك الاديب الثائر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو باربعة شهور ، وما كان يسعده شيء اكثر من ان يشهد قيامها لمحق دولة الظلم .

القاهرة — ايليا حليم حنا

حزن الآفاق

غامت الدنيا حينما سمعت غزو جزر الخليج العربي فكانت هذه الكلمات المظلمة

الليل تعثر فانسكبا
واحاط العالم بالظلمه
والبحر تطاول واصطخبا
وتخطى منعطف الغيمه
ورمال البيد غدت كثبا
فاضاعت دربي ومحت رسمه
وأنا وحدي
أبحث عن كهف يؤويني
عن شفة ولهى
تقرأ أشعار العشاق
وتحدث عن حب المجنون

الفجر تبعثر في الافق
وانتحرت أنجمه الحيرى
وانتحبت أطياف الغسق
والقمر الشاحب قد فرا
وبقي الناجون من الغرق
في منعطف الوادي سكرى
عبثا أمشي
عبثا اشتاق الى الدرب
مات النور
وسرى حزن في الآفاق
وخبا قلبي

جامعة الكويت — احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدينة مرسومة امامي على كف عفريت . حركةدائبة ، كراس مغزل مشدود الخيط من قبل امرأة ، نشيطة . سيارات ملونة لا تنفك تسير وتنعطف ، اناس يجرون في الطرقات . كل يجري خلف شيء غامض ، صخب مزمن رافق المدينة مذ وجدت .

لكني .. لا اشاهد من هذا الصخب سوى الحركة العديمة الضجة ، والخرساء ، فكيف يصلني الصوت وانا على هذا العلو الشاهق، ادخن غليوني خلف هذا الزجاج النظيف الذي يشبه نفسي .

كعادتي احب مراقبة الصخب من خلف شيء حيث اكون في مأمن من الصدمات ، ورشاش الطين ... لا احب ان استرق ملاحظتي حارة ، فحرارة الملاحظة ليس منها ، بل مني ، لو كنت ضمن هذا الصخب ، صوتا من اصواته ، وانزعاجا من انزعاجاته ، لابعدني الضيق والتأفف عن لمس الروعة ، الروعة التي تكمن في الحركة ، شيء مثير ان نشاهد آثار الحياة ، وذاك لاننا نكره الموت ، ودلائل الموت التي هي السكون والجمود وعدم الحركة .

لا شك ان احساس الناظر الى روعة البحر ، يختلف عن احساس السابح في مياهه ، وبحثا عن ملوحة البحر الزاخر من الناس والسيارات نزلت الى الارض ، وتجولت في الشارع التقط الاشياء الفنية من الزوايا المهملة ، واعبيء بها ريشتي . واحولها الى لوحات .

وجدت شرطيا صارم النظرات ، (كدركي تركي ايام العثمانيين) كان واقفا تحت مظلته ، وفي فمه صفارة غريبة ، جسمه مختف ضمن لباسه الرسمي ، ورأسه معبأ في قلنسوة كبيرة . سألته :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ اطبق قوانين السير .

ـ النظام ؟

ـ طبعا .

ـ ولكن ما فائدة النظام ؟ ـ دع الامور على طبيعتها .

ـ جنون ما اسمعه الان ، هل نعود الى زمن الفوضى ؟

ـ لا . ولكن النظام قيد هائل من قيود المدنية الحاضرة .

ـ لا مدنية بغير نظام .

ـ تكون الحياة اجمل وامتع هناك في خيمة . صوت الديك والصرصور . والرعد والريح .

ـ اذهب الى هناك من حشرك في المدينة ؟ .

ـ اتحب انت النظام ؟؟

ـ دون شك .

ـ الا تشتم وقوفك هذا ،وتتمنى لو تجلس على كرسي تحتسي كئوس الشاى مضجعا .

ماذا تريد المرأة

بقلم السيدة ضياء قصبجي

ـ كلا ...

ـ الا تضايقك ابواق السيارات المتواصلة ؟ ، والمخالفات المتكررة ؟، الا تتمنى ان تكون في وظيفة اخرى؟

ـ كلا .

ـ هل انت صادق ؟ ، ام تراك لم تعمد الى تحليل ذاتك .

ـ دعني وشأني .. لا تعطلني عن واجبي انا اكره الكلام الفارغ من متسكع خرف .

ـ انا متسكع خرف . يا للطرفة ؟ انفجرت ضاحكا ، وسرت بين



حشود الوجوه العابسة الضجرة اضحك وحدي . اقناعي لم يؤثر فيه ، انه انسان يستحق احترامي، فانا احترم العنيد المتشبث برايه واكره الذي يتقمص كل رأي يعرضه غيره كالبضاعة المموه عنها من اجل البيع . احاول التأثير في الغير ، وانا ضمنيا احبذ من يرمي بآرائي وتأثيري فيه ، ويبقى معدنه ظاهرا لا شائبة فيه .

هذا ما اوصلتني اليه زوجتي ، تلك التي لا استطيع امساكها بفكرة دائمة ، مهما سعيت الى هذا . انها متلونة كالحرباء ، فانا اعيش يوما مع جارتنا (وديعة) المراة المغرورة التافهة التي لا تنفك تعلم ..زوجتي على شراء كل شيء جميل ولكن لا لزوم له . ويوما آخر مع زميلتها في العمل ، تلك التي تتبارى واياها على اقتناء اكبر واحدث مجموعة ثياب . مما يدمر جيبي ويضطرني للدين . ان زوجتي حقا طبقا لآراء ... الغير ، ذلك لانها ليست ذات راي ، شيء قاس ما اعانيه ، شيء دعاني ويدعوني دائما للبحث عن امراة ذات راي حديدي لا يصدأ . هل طبعت المراة على تهلهل الراي ؟ بالطبع كلا ، فانا اعرف امراة . تصر على صحة افكارها الذاتية اصرارها على الخروج الى الشارع بثياب امراة متزنة ذات شخصية قوية .

وباعتباري باحثا عن العجائب .. ومقتنيا للتحف النادرة . سواء أكانت على هيئة انسان يضفي الروعة على وجودي ، ام على شكل (فاز) أزين به صالوني الانيق .

فلقد اقمت مع الانسة (عايدة) علاقة سامية ، استمتع في وقتي معها ، بعنادها واصرارها على ما تكون لديها من قناعة شخصية . تعجبني المراة المفكرة ، واني مغرم بكل بضاعة نادرة في سوق تقويم البشر . قلت للانسة عايدة ونحن في مقهى صيفي شاعري ، ينساب فيه البط على صفحة مياه محصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في بركة :

ـ ماذا يا عايدة ، الا يلومك الناس على علاقتك مع متزوج هو انا . ؟ ضحكت .

ـ هذا يزيدني اصرارا عليها .

ـ رائعة حقا . لو كانت اكثر النساء مثلك لتغير وجه الدنيا ، لو كانت زوجتي .. لم اكمل فأردفت :

ـ ضعف النساء هو الذي بث في القوة .

ـ لو كان في امكاني ان اقلب الدنيا واتزوجك ، قالت :

ـ لكنت رفضت .

ـ ولم يا عايدة ؟

ـ ابتدانا بعلاقة لفظية .

ـ الا تعتقدين بوجود ارتباط بين اللفظ وشيء آخر ؟ .

ـ لا اعتقد .

ـ اخشى ان تتزوجي فأفقدك .

ـ اني اختلف عن النساء .

ـ هذا ما يشدني اليك .

★

ذات مرة مررت في تلك البقعة من الارض التي يطبق فيها القانون رجل صارم .

وجدت الشرطي العنيد نفسه ، كان واقفا ولكنه لا يتحرك ، ولا ينفخ في صفارته ، ولا يعطي الاوامر .. احزنني هذا ، وكانت عيناه مختبئتين تحت نظارتين قاتمتين ، ناديته فلم يجب ، هززته واذا به ينتفض . كان مطبق القانون يغط في النوم ، والمخالفات تجري من امامه . لكن هيكله فقط اجبر البعض على التمسك بالنظام ، كم يختلف الان عنه في الوقت الذي مضى ؟ كنت اجله ، والان احتقره . ايقظته بقسوة .

ـ ماذا ؟ أتنام وتترك الامور في المدينة كشأنها في الغابة ؟

ما ان وقع نظره علي حتى دهش وقال لي بقسوة وغضب :

ـ انت .. ؟ عليك اللعنة . اليست افكارك هي التي اوحت لي بكره عملي ؟ اذهب من هنا .

وقلت في نفسي : اليس هناك انسان لا يتأثر بالثرثرة ؟ لعن الله الثرثرة .

اني اشتري الصمت بكل ما املك . اشتري الصمت ولكن بصمت ودون مساومة . فاصمتوا ايها الناس لتسير الامور في مكانها الطبيعي . اصمتوا ارجوكم ..

★

اجتمعت مع صديقتي عايدة ، ذات الراي والارادة . قلت لها :

ـ الم تتغيري بعد الزواج ؟؟؟ قالت ضاحكة :

ـ زوجي ابكم .

★

في الليل ظلت زوجتي تتحدث وتطلب وتلح ، خلال ساعة كاملة ، وانا صامت اخفض راسي الى اسفل علامة الطاعة ، ولم تنفرج شفتاي بكلمة . احسست بالتمزق ، فانطلقت من البيت .

كنت وحدي في طريق تعصف فيه الرياح ، فتتلاعب بالاشجار بشكل مهين ، تكاد تقتلعها وتلقيها وهي الثابتة ، كانت الريح ايضا تلطم قماش بنطالي بقوة وتصفع ساقي ، ضحكت ، ماذا تريدين ايتها الريح ؟ ضحكت وحدي في الطريق ، وخيل الي انها امراة دون قيم ، ركضت هاربا من الشارع الخالي صفعتني حفنة من تراب على وجهي وعيوني ، تضايقت ، وسألت نفسي ، الى اين انا ذاهب ؟ وفي سبيل اي شيء اتحمل هذه المشقة ؟ كل الذي اعرفه ، اني هربت من ثرثرة زوجتي . فتلقفتني ثرثرة الريح ، ولكن .. اذا هربت من الاثنتين ، فأين اهرب من ثرثرة وجداني ؟ .

حلب — ضياء قصبجي

وندفن الحلم

سقط القناع وغامت الـ ... رؤيا ولم يولد نهار
وغدوت مسكونا بحز ... ن صامت سئم الحوار
لا الوجه منسي ولا ... عيناي هزهما انتظار

وتدفقت باليأس أحـ ... ـلامي وكنت بها قرير
أطوي عليها أضلعي ... لكأنها وعد كبير
ويريق جفناي الرضى ... ويحيلني طفلا صغير

كفي عن التذكار يا ... ليلى فما قيس بعائد
كفى فان رواحه ... باق كأبخرة المعابد
والدرب معدود الخطى ... مهما طغى قلب معاند

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



قسطنطين تيودوري

ماذا يفهم الناس من الحرية ؟

بقلم قسطنطين تيودوري

* * *

ما هي الحرية ؟ عرف بعضهم الحرية بتعاريف مختلفة ، فمنهم من قال انها استقلال الانسان عن أي شيء ، ما عدا القانون الخلقي ، ومنهم من قال انها القدرة على التصرف طبقا لما تحدده الارادة ، ومنهم من قال انها الاحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد قدرة الانسان على تحقيق سعادته ، ومنهم من قال ان الحرية هي الحالة التي يكون فيها الانسان سيد نفسه ، وغيرهم قال ان الحرية هي الاستقلال الذي يملكه الفرد ازاء المجتمع الذي هو جزء منه من حيث ان هذا الاستقلال هو حق من حقوقه .

وقد قرأت مؤخرا تعريفا للحرية يقول انها الاستقلال المطلق والاكتفاء الذاتي ، الا ان هذا التعريف مغلوط ، اذ ليس في مقدور احد ان يستقل استقلالا تاما عن غيره ويكتفي بذاته ، دون ان يعتمد على مساعدة الآخرين له ، فنحن مقيدون في بيئاتنا ومحدودون في مقدرتنا الذاتية ، فلا يستطيع كل واحد منا ان يكون موسيقيا عظيما او عبقريا من العباقرة ، فلسنا اذا احرارا مئة بالمئة لنكون ما نريد ، لان طبائعنا البشرية تقيدنا وظروفنا الخاصة وعوامل وراثتنا تتحكم فينا . لذلك فالانسان ملتزم بالمحيط الذي يمارس فيه حريته ، بمعنى انه يجد نفسه متلبسا به ملتحما واياه ، وهو يشعر بأن المبادىء التي تتكون منها عناصر هذا المحيط تمثل قيودا تحد من العقل الحر في انطلاقه ، ولكن يجب الا ننظر الى هذه المواقف على انها قيود بكل ما في كلمة قيود من معنى ، انما يجب ان نعتبرها اطاعة لقانون داخلي قد الزمنا انفسنا بمراعاته ، لا خضوعا لارادة متسلطة علينا خارجة عنا ، فالانسان المتمدن في البيئة المتمدنة يقيد حرية نفسه في مجال تصرفه مراعاة لغيره وذلك وفقا لقانون الاخلاق كما سابين ذلك فيما بعد .

ولعل أفضل وصف للحرية ـ على ما أعتقد ـ هو ان يشعر المرء بكرامته وما يختلج في صدره من عواطف الشمم والاباء التي تحول بينه وبين الخضوع لرأي يملى عليه ، او عقيدة لا يقرها عقله او يرتاح اليها ضميره ، على ان يحس في الوقت نفسه بما عليه من واجبات نحو المجتمع ، وله ان يجاهر بما شاء من الآراء على ان يحترم حرية الآخرين في ابداء آرائهم .

وقد وصف الفيلسوف الانكليزي جون لوك في اواسط القرن السابع عشر الحرية بقوله: « ولد افراد المجتمع احرارا بحكم الطبيعة، ولهم حقوق طبيعية في حياتهم وحريتهم وابدانهم ، فالله وهبهم هذه الحقوق لانهم خدامه وخلائقه » . وقال عمر بن الخطاب في هذا المعنى : « متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » ؟ وقد اعجبني قول الكاتب الاجتماعي الانكليزي توماس باين في القرن الثامن عشر في الحرية حين قال : « ان الناس مولودون احرارا متساوين وان هدف جميع المجتمعات السياسية انما هو صيانة حقوق الانسان الطبيعية » . فالحرية بناء على ما قاله توماس باين تحقق للمرء حقوقه الطبيعية ، وتتيح له ان يكمل نفسه ويظفر بشخصية موفورة الكرامة، كما ان المساواة تسير جنبا الى جنب مع الحرية ، فهي التي تكسب الانسان حظا من الانصاف يعصم القوي من الاستعلاء ، والغني من التحكم في الفقير ، والقادر من التفوق على العاجز . فالحرية والحالة هذه مؤتلفتان ولا غنى للواحدة عن الاخرى .

صفات الرجل الحر

من صفات الانسان الحر ان يحترم شخصه ويعرف قدر نفسه ، ويتشبث بفكره ومعتقده ، ويثبت في الدفاع عنهما متى هداه العقل المجرد الى صوابهما ، ان لا يسلم بقوة الاكثرية وينزل على حكمها بخنق فكره والتضحية بحريته في سبيل هذه الاكثرية متى كان يؤمن انها على خطأ وانه على صواب . نعم قد يتعرض من أجل ذلك لمختلف التضحيات ، ولكن التضحيات التي بذلها وما زال يبذلها احرار الفكر كانت مبعث الاصلاحات ومصدر الانقلابات التي عادت على البشرية بالخير العميم. وكم لقي الاحرار في سبيل الحرية كل ضروب الاضطهاد ، وكثيرا ما استشهدوا في سبيل الدفاع عنها والابقاء عليها . ولا تنسوا ان سقراط الفيلسوف اليوناني قد وضع حجر الاساس لصرح الفلسفة والحرية ، فاطلق لتلاميذه ورفاقه حرية البحث والجدل والنقاش حبا ببلوغ الحقيقة ، وقد سقاه اعداؤه السم فكان من اول شهداء الفلسفة ومن اعظم شهداء الحرية .

وكان اول من فتح باب الاستشهاد في سبيل الحق والحرية القديس استنفانس الذي عاصر بولس الرسول . واستشهد الكثيرون من المسيحيين في القرن الثالث للمسيحية دفاعا عن الحق والحرية ، واستشهد بعد ذلك الكثيرون من رسل السيد المسيح واتباعه في هذا السبيل ، ومات غيرهم كثيرون شهداء الحق والحرية نذكر على سبيل المثال احرار العرب في تاريخنا الحديث الذين استشهدت اول قافلة منهم في ١٤ آب عام ١٩١٥ ، واستشهدت القافلة الثانية منهم في بيروت في ٦ ايار سنة ١٩١٦ .

ويحضرني الآن ما قاله زعيم الهند غاندي في هذا المعنى : « ينبغي ان توسع ابواب السجون لكي تستقبلنا افواجا ، فطريق السجن والاضطهاد هو طريق الحرية والنصر . ينبغي ان ندخل السجن فرحين كما يدخل العريس غرفة الزفاف ، لان الحرية لا تخطب في المحاكم

● القيت في نادي الموظفين التابع لجمعية الشابات المسيحيات ببيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمدارس والمؤتمرات بل وراء أسوار السجون » .

تعلمون ان المال قوة هائلة من قوى الاغـــراء ، فبالمال تشـــرى الضمائر وتخنق الافواه ويهدر دم الحرية ، وكم من شخص حر عظيم تسمم ضميره فخان فكره وانكر رسالته خاضعا لسلطان المال ، لذلـك يجب ان يترفع صاحب الفكر عن مغريات المال وسلطان المال اذا اراد ان يؤدي رسالته بأمانة ونزاهة اذ لا يستطيع المرء ان يعبد ربين ــ كما قال السيد المسيح ــ الله والمال ، وقال احـد الفلاسفة الفرنسيين : « ليس في مقدور الانسان ان يعبد الحرية وعينه الخبيثة ترمق المال» .

اذا كان المرء متصفا بالحرية استطاع ان يخلق ويبتكر ، استطاع ان يبدع الاعمال الذهنية التي توجد الحضارة وتتمثل فيهـا قيمـة الحياة ، استطاع ان يهيم بارادته نحو الخير الاعظـم ، استطاع ان يقبض على ناصية الحق والحق يحرر صاحبه كما قال السيد المسيح : « تعرفون الحق والحق يحرركم » يوحنا ٨ : ٣٢ ، والحق والحريـة صنوان لا يفترقان ، فالحق يلد الحرية والحرية تدعم الحق ، الحـق يحرر الانسان من الخوف وعذاب الضمير والذات المتمردة التي هـي العبودية .

الحرية والمسؤولية الادبية

وفي طيات الحرية تبرز المسؤولية الادبية ، فالانسان يفعل مـــا يحب ويشتهي ، خصوصا اذا كان ما يفعله شرا ، وقديما قـال فيلسوف المسيحية بولس الرسول : « لان ما اريده من الخير لا اعمله بل ما لا اريده من الشر اياه اعمل » رومية ٧ : ١٩ ، ولكن لا مندوحة للانسان عن ان يحس في نفسه بالراحة والطمانينة على اثـر فعلـه الخير ، وبالاسف والندامة بعد اتيانه الشر ، ومعنى هذا ان المرء يجب الا يفعل كل ما تصبو اليه نفسه ، بل كل ما يجب عليه عمله اي كل ما هو حق وصواب ، وهذا امر يفرض المسؤولية الادبية علينا ، وهذه المسؤولية تفرض الحرية ، اذ من المعلوم انه حيث لا حرية فلا مسؤولية ، وعلى هذا فالانسان مسؤول بقدر ما اتيح له من حرية ، واذا حاول الانسان التهرب من المسؤولية اضحت حياته دون معنى ولا غاية .

حريـة الكلمـة

ان حرية الكلمة هي حرية الكلام والانتقاد وهي ارقى انـواع الحريات لانها ارادة التعبير عن الرأي ، ومظهر الاحترام لكرامة الانسان في اخص ما يميزه عن الحيوان الاعجم ، فحرية التعبير عن الرأي تعد في النظام الديمقراطي اقدس الحريات ، لانها تحمي الحريات الاخرى وتخلـق مجتمعا حرا ، وهذه هي الصحافة حرة في نشر الاخبـار والمقـالات والتعليق عليها كما تشاء ، وهي اهم وسيلة يعرف بها الشعب ما يجري من الامور هنا وهناك ، ثم هي الاداة الاولى لتكوين الرأي العام وتمكينه من ابداء ما يرى من الانتقاد ، وفي الوقت نفسه اذا حاولت حكومة ما اخماد حرية الفكر واسكات صوت الحق ، تصدت لها الصحافة واثارت ضدها الرأي العام .

التسامح والحرية

ما قيمة المبادىء والآراء التـــي يغرسها التعصب في النفس وتفرض بالقوة على الناس ؟ انها تولد روح تمرد وثورة وانتفاض ، وسرعان مـا يلتجىء الاحرار الى وسائل القـــوة والعنف . اذا التعصب يغـــري بالثورة والثورة تفري بسفك الدماء ، امـا التسامح فيقر السلام بـين ابناء الوطن الواحد ، ويحيل المعارك العاطفيـة الدمويـة الى معارك فكرية لا بد ان تخرج منها الحرية فائزة لمصلحة الافراد ومجموع الامة. فالتسامح والحالة هذه دليل الحرية ، لانه دليل على النضوج العقلي، وكلما نضج عقل الفرد ازداد ميلا الى الحرية والتسامح ، وكلمـا نضج عقل الامة ازدادت تبرما بالنظم الاوتقراطية ، ومتى ارتقت تربية الخلق وتسامت تربية العقل اتجه الفرد من تلقاء نفسه نحو الحرية . ولا شك في ان الفرد اذا تعلم وتحرر استل الفكر من غريزته جرثومة التعصب ، اذ لا حرية مع التعصب لعقيدة او جنس ، لا حريـة مـع التعصب العنصري الذي هو اكبر معول يهدم الحرية من اساسها ، والامة القائمة على التعصب العنصري مكتوب لها الانعزال والانكماش على نفسها ثم التشتت فالاندثـار .

الاخلاق والحريـة

الاخلاق في نظر الفيلسوف الالماني كانت (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) الذي بشر بالحرية وخلود النفس وبوجود الله تقوم علـى الحرية ، وفي كتابـه « نقد العقل العملي » يحدد لنا قانون الاخلاق مـن الناحية النظرية ، ثم ينتقل الى الناحية العملية ، لانه كان يرى انه مـن الضروري ان يكون علم الاخلاق قابلا للتطبيق في معاملات البشر وتصرفاتهم المختلفة وان تبحث الافكار المرتبطة بالاذهان بتحقق المثل الاعلى الاخلاقي في غمار حياتنا اليومية . ويقول هذا الفيلسوف ان الشرط الاول الـذي يجب توفره حتى يصبح المثل الاعلى الاخلاقي حقيقة واقعة هـو الحرية . وفي رأيه انه حيث لا تكون حرية لا تكون اخلاق ولا اخلاقية من غـير حريـة .

اساءة استعمال الحرية

اما الحرية المزيفة الكاذبة التي يفهم منها اربابها التغاضي عن المبادىء القيمة والقيم الروحية والنظم الاجتماعية ، فيهـدف ناشرو لوائهـا ــ سواء أكانوا افرادا ام جماعات ــ الـى تضليل العقـول وافساد النفوس ومساواة الحق بالباطل والرذيلة بالفضيلة، وايهام الناس بانهم على حق وصواب ، فهؤلاء يبذلون قصارى جهدهم لاعلان هذه المبادىء الهدامة ، ونشرها بين الورى باسم الحرية ، ولكن سرعان مـا يكشف امرهم وتعلن طويتهم ، فيعرض عنهم كل ذي عقل سليم ، وكل من فيه بقية من مبدأ او ضمير .

ان الحرية هي في منزلة السائل الحيوي المندفع في العروق ، ولكن اذا أسيء استعمالها كانت شرا ونقمة ، فاذا اطلقت من عقالها وتجاوزت حدودها ، ولم يحطها رادع من عرف او تقليد ، كانت الفوضى بعينها ، تسمح للقوي باستباحة حق الضعيف ، وللخبيث بالتلاعب بالنزيـه ، وللجشع بالاستئثار بجهود العامل واتعابه ، وبعبارة اخرى تضحـي عدوانا على حرية الآخرين ، وامتهانا لكرامة المجتمع وحقوقه .

ويخطىء العامة في تفهم معنى الحرية ، فيظن الكثيرون منهم أنهـا حق كل فرد في ان يعمل ما يريد ، وان يمنع الغير من عمل ما يريدون، وهذا افتراء صارخ على الحريـــة ، ويعتبر تصرفهم هـــذا اباحية وديكتاتورية ، لان الحرية لا تعيش ولا تنمو الا في جـــو من النظـــام والفضيلة ، فالحرية لا تقوم باطلاق العنان للشهوات او الميول الفاسدة، ليعمل المرء ما يريد ويهوى ، بل هي القدرة على عمل مـــا هو واجب ومفيد للمجتمع ، وكم هو تعيس البلد الذي يطلق فيه الغوغاء والرعاع العنان باسم الحرية . قال روسو الفيلسوف الفرنسي في هذا المعنى : « من الد اعداء الحرية الفوضى لان فوضوي اليوم هو ديكتاتور الغد». وناجي اللورد بيرون (١٧٨٨ ــ ١٨٢٤) وهو مـــن اشهر الشعـــراء الانكليز ، الحرية بقوله « ايتها الحرية ، أنت الروح السرمدية للعقل الخالي من القيود والنفس الخالية من الشهوات » .

كيف تحقق الحريـة ؟

وكما ان الحرية لا تعيش في جو الرذيلة والفوضى ، فانهـا كذلـك لا تنمو في تربة يغذيها الجهل وتعشعش فيها البدائية ، وكلما تعلـم الفرد وتثقف وعاش في اوساط راقية معقولة، كلما اقترب الى الحرية، ومتى وجدنا انسانا يميل الى الخير وينفر من الشر ، ثم ينعطف الـى الحق والمحبة ، حكمنا انه قد حقق في نفسه الحرية ، لذلك قيـل ان الرجل الفاضل كلما اطلق له عنان الحرية ، كلما طلب منها المزيـد ،

مرفأ الماضي

عد للوراء
واكتب بماء
كل الخطابات التي كتبت اناملها اليك
وأعد قراءتها عليك
ما كان كان
وبقيت وحدك في مدار الصمت مهجور المكان
لا لست انت ، وليس قلبك مصدر الحب المدان
فاليوم أمس ميت بغد يسمره الزمان
ما بعده قدر سينعب في دروب الاقحوان
وعلى طريق ربيعك القاني تثلجت الحروف
ما كان كان، ولست وحدك في الطريق مع الحتوف
فالياس موكبه طويل الدرب صخاب الدفوف
فاذا تركت على الرصيف بمرفأ الماضي تطوف
فغدا طريق الرفض تسلكه المئات .. بل الالوف
ما كان كان . وليس في هذا الزمان
شيء لمثلي او لمثلك
لا مكان

بغداد — صفاء الحيدري

بينما اذا رأينا انسانا يؤثر النفاق والظلم والرياء ، حكمنا انه قد ابتعد عن الحرية بل اضحى مناوئا له ، فالقابلية لاختيار الشر بناء على هذه القاعدة السليمة ليست من الحرية في شيء ، بل من دلائل ضعفها وانحطاطها بل من آفاتها ومعايبها . ان صانع الشر من تلقاء نفسه وتعمد منه ، ينقص حريته بدلا من ان يزيدها ، وكلما تمادى المرء في ارتكاب المساوىء وامعن في اقتراف الرذائل ، قعدت به حريته عن اظهار شخصيته على حقيقتها ، فيصبح في مظهره وتصرفاته كالذليل المستعبد ، وهذا ما يفسر قول الوحي : « من ارتكب الخطيئة فقد صار عبدا لها » .

الحرية في المسيحية والاسلام

دعت المسيحية الى تحرير العبيد والمأسورين ، وعدم التفريق بين المسيحيين وغيرهم ، وبين الخطاة والابرار ، ودعت ايضا الى المساواة بين الغني والفقير ، ومصداقا لهذا القول أعلن بطرس الرسول : « ان الله لا يحابي الوجوه وفي كل أمة من اتقاه وعمل البر فانه يكون مقبولا عنده » ـ اعمال الرسول ١٠ ، ٣٤ و٣٥ ، ومن يقرأ رسائل بولس الرسول ير انعدام التفريق بين الناس والاجناس وان الحرية يجب ان تعطى لكل فرد من افراد البشر .

اما الدين الاسلامي فقد أقر حرية الضمير والعبادة ، وكفلها لاتباع كل دين يحيا في ظل الاسلام ، ومنع الاكراه على اعتناقه ، قال القرآن الكريم : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ـ سورة البقرة عدد ٢٥٥ ، وقال في نفس السورة : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وان الله لا يحب المعتدين » ، وقال القرآن الكريم ايضا : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » سورة آل عمران العدد : ٢٨

أنواع الحرية

وهناك انواع كثيرة من الحرية منها : الحرية الدينية والفكرية ، والحرية الاجتماعية والسياسية ، وحرية النقد ، وحرية النشر ، وحرية البحث والمناقشة ، وحرية تبادل الابحاث العلمية والنتائج التي تسفر عنها مع جماعة العلماء في كل مكان ، كل ذلك انما هو من صور النشاط الفكري الادبي والروحي الذي لا بد منه للانسان الذي يحمل في نفسه مبدأ النمو والتطور والسمو بالنوع ، كما برهن لنا على ذلك التطور . وعلى اساس هذا المبدأ أنشئت نظريات التربية الحديثة ، ومن اغراضها الاساسية نمو الفرد وتطوره .

سيطرة الانسان على طبيعته البشرية

كان ارسطو يعتقد ان معظم الشرور والكوارث اساسها الطبيعة البشرية وان الانسان اقرب الى الوحش منه الى الانسان . وقال ثورنديك وهو من اكبر علماء التربية الامريكيين في القرن العشرين ما يقرب من نفس المعنى : « وثب العقل الشري وثبات واسعة ، وخطا في سبيل التقدم خطوات كبيرة ، ولكن عاطفته وميوله ونزعاته وشهواته لا تزال خشنة جامحة منحطة بهيمية وحشية متاخرة كانها لم تتقدم ابدا » . وفي يقيني ان المجتمع لن يحظى بقسط كاف من حرياته المختلفة والا اذا سيطر افراده على طبيعتهم البشرية الفاسدة اي اذا تغلبوا على ميولهم ونزعاتهم المنحرفة ، وصرعوا شهواتهم البهيمية ، وتحرروا من الاغراض والاهواء .

وقديما قال سنكا الفيلسوف الروماني في هذا المعنى قولا اصاب به كبد الحقيقة : « ما أضل الذين يهوون توسيع نطاق سلطتهم على البحار ، ويخالون ان السعادة باستيلائهم على امصار جديدة ، ويجهلون ان اعظم ولاية هي ولاية الانسان على نفسه » .

وقال هذا الفيلسوف ايضا عن نفسه في هذا الصدد : « انني خلقت لغاية عظمى لا لاكون اسيرا لشهواتي » . والغريب ان العلم لم يستطع حتى الآن تغيير رغبات الانسان وضبط شهواته واخضاعها ، واعتقد ان العلاج لذلك هو تثقيف العقل علميا وروحيا وصقله ومنحه المزيد من الحرية لان العقل انما خلق ليكون قائدا للطبع مقيدا للشهوات .

منافع الحرية العظيمة للانسانية والحضارة

لقد تمتعت البشرية ولا سيما خلال الحقبة الاخيرة من هذا القرن بفوائد عظيمة لا تحصى وذلك بفضل الحرية ، فلولا الحرية ما ظفرنا بشكسبير وغوته وباستور ولستر واديسون وغيرهم ، لولا الحرية ما استطاعت جماهير الناس ان تنعم بالبيوت الصحية واجهزة الراديو والتلفزيون ووسائل الوقاية من الامراض المختلفة ، وما اصبحت العلوم والفنون في متناول الجميع ، لولا الحرية ما وجدت الآلة التي خففت عن كاهل العمال عبء الاعمال الشاقة ، واحالت العالم اليوم الى مسرح رائع لكل انتاج عجيب وابتكار مذهل وخلق بديع ، لولا الحرية لكنا نعيش الآن اذلاء مستعبدين كما كان يعيش اسلافنا في ظل الاستبداد والظلم .

واخيرا لولا الحرية لما تسنى لي الاجتماع بكم والتحدث اليكم والاستئناس بوجودكم ، فشكرا للحرية وشكرا لكم .

قسطنطين تيودوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقنية المسرحية عند عدنان مردم بك

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

قد جرت العادة ان يكون النسق الذي يستوعب التاليف المسرحي ويصرف الحوار فيه هو نسق الفصول التي تقسم الى مشاهد ، بمعنى ان البناء المسرحي يصير الى نسق فصول متسلسلة تتوزع العمل المسرحي والحركة فيه كافة ، على نحو ما نجد ذلك في « مصرع كليوباترة» لاحمد شوقي و « الناصر » لعزيز اباظة و « العباسة » لعدنان مردم بك ، وغيرها ، وهذه المسرحيات الشعرية العربية كلها من اربعة فصول ، كل فصل منها يحوي على عدة مشاهد ، تقل او تكثر حسب الحركة المسرحية نفسها (١) ..

ولكنا نجد في بعض مسرحيات شعرية لهؤلاء الرواد العرب ، الذين امتازوا بأدب مسرحي أصولي ، سلفي في بنائه ، وديباجته ، ان الفصل الواحد يقسم احيانا الى مناظر او اقسام ، يحوي القسم الواحد منها او المنظر على عدة مشاهد (٢) ، كما هي الحال في مسرحية « عنترة » لاحمد شوقي ، او « شهريار » لعزيز اباظة ، او « الملكة زنوبيا » و « الحلاج » لعدنان مردم بك ..

ان البناء المسرحي في « عنترة » لاحمد شوقي يتميز بأنه قسم الى فصول ومناظر ومشاهد ، كما نجد ذلك في الفصل الثاني والفصل الثالث فيها ، واللذين يحوي كل منهما على منظرين ، المنظر الاول في الفصل الثاني يضم مشهدين ، ويضم المنظر الثاني اربعة عشرة مشهدا ، في حين العكس نجده في الفصل الثالث ، بينما الفصل الاول يحوي على اثنين وعشرين مشهدا ، والفصل الرابع يحوي على اربعة عشر (٣) ..

هذا النسق في التأليف المسرحي في « عنترة » يبرره ان المسرحية تضم مشاهد اجتماعية وشعبية وقصصية مختلفة ، مثل الغزو والغارة والمبارزة والتآمر والخدعة استوجبها العمل المسرحي ، وبعض هذه المشاهد لا يزيد على بيت من الشعر او بيتين ، او احيانا عدة مقاطع ..

كذلك الحال في مسرحية « شهريار » لعزيز اباظة التي يصير النسق فيها الى تقسيم الفصل الى اقسام كل قسم بمشاهد ، حيث نلاحظ على الخصوص ان الباعث على مثل هذا التقسيم ليس رصف المشاهد الاجتماعية والشعبية والقصصية ، وانما هو بالاحرى الاخذ بتقنية اللامعقول ، وخاصة في الفصل الرابع والاخير (٤) ، اذ يصير العمل المسرحي الى تحليل نفساني وذهني ، هو في حقيقته رمزي مبسط ، يصور طوية شهريار ، وسريرته ، وايضا صراعه الروحي وايمانه ، اذ يتبدل منظر القصر الى كهف موحش مخيف ، فيه صخور ومسارب ، يحاور شهريار نفسه ولا يجيب عليه الا صوت شهرزاد حتى تظهر امامه عيانا الشخصيات التي كان له معها علاقات ظلم في السابق ...

واذا تأملنا مسرحيات عدنان مردم بك من حيث بناؤها وموضوعاتها وجدناها تلتزم قدر المستطاع نسق الفصول والمشاهد ، والتي تتسلسل فيها الحركة المسرحية ، كما هي الحال في « غادة افاميا » او « العباسة » ، وكلتاهما من اربعة فصول ، قسم كل فصل منها الى عدة مشاهد ، تقل وتكثر حسب العمل المسرحي فيها وحركته ..

في حين هناك مسرحيات له اضطره العمل المسرحي فيها الى تقسيم الفصل الواحد فيها الى قسمين ثم مشاهد في كل قسم ، كما هي الحال في : « الحلاج » والتي يضم كل فصل من الفصول ٢ و٣ و٤ فيها ، قسمين ، يحوي كل قسم منها على عدة مشاهد ، متنوعة في الطول والقصر ..

والشاعر الكبير عدنان مردم بك يتفرد في مسرحه الشعري الاصولي السلفي في بناته وديباجته بتقنية العمل المسرحي الواحد ، الذي يقيمه عادة على صراع واقعي نفسي فردي او اجتماعي عام ..

ان الموضوعات المسرحية الشعرية عند عدنان مردم بك الى الآن موضوعات تاريخية ، هي احداث او لنقل وقائع كبرى ، مثل نكبة البرامكة في « العباسة » ، او استرقاق زنوبيا في « الملكة زنوبيا » ، او هي صراعات اجتماعية وذهنية نفسية مثل صراع الحب والواجب في « غادة افاميا » او الصراع السياسي والاجتماعي في « الحلاج » .

ولكن الذي يدهش في مسرح عدنان مردم بك هو هذه التقنية المسرحية الاصيلة ، التي للعمل المسرحي الواحد (٥) ، بحيث ان الموضوع عنده ، ايا كانت سعته ، وايا كانت مضامينه من الافكار والتجارب يصير الى قصة واحدة ، لنقل ايضا عقدة واحدة ، لها بداية ثم تأزم ثم نهاية .. وانك لتقرأ الفصول المطولة في مسرح عدنان مردم بك ، فتجدها باقسامها ومشاهدها انتظمت في خط واحد ، يستقطب العمل المسرحي بحركته العامة وتحليلاته كافة ، وتعبر عن وجهة نظر المؤلف في الموضوع ..

فمثلا ، في « العباسة » العمل المسرحي منذ اول صفحة فيها الى آخر صفحة هو صراع سياسي تندمج فيه الارادات كل في اتجاهها ، ليصير الى الخاتمة وهي النكبة ، وفي « الحلاج » هو الحذر السياسي الذي يلجأ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى تحريض المأجورين ، ويصير الى خاتمته وهي الشهادة ، وفي غادة « أفاميا » هو الصراع بين الحب والواجب ، والذي يصير الى انتصار الحب ، وفرار الضحية غادة ، وفي « الملكة زنوبيا » هو الهم السياسي والذي يصير الى الفداء ..

العمل المسرحي بذلك كله واحد ، يستقطب كل حركة ، وكل تحليل في المسرحية كافة ، بحيث تجد البناء فيها متكاملا ، رص بعضه الى بعض رصا محكما ، لا نتوء فيه ولا سفسفة ، ويتحاشى الحشو كما يتحاشى الاوصاف الجانبية ..

وفي هذا الخصوص لنذكر ان عندنا امثلة من مسرحيات شعرية سلفية تقوم على تكامل بين الموضوع الرئيسي والاوصاف الجانبية كما في « عنترة » لاحمد شوقي ، على نحو ما مر ذكره ، او في « العباسة أخت الرشيد » لعزيز اباظة والتي تعتمد على مسرحة اخبار الثورات ، او مظاهر الحضارة ومجالس الطرب ..

في حين هناك مسرحيات تعتمد على تساوق موضوعين ، او لنقل عقدتين اساسيتين احداهما رئيسية والاخرى ثانوية ، كما في « علي بك الكبير » لاحمد شوقي ، حيث نجد قصة الانقلاب الذي نفذه محمد ابو الذهب بشيخ البلد علي بك الكبير حين حاول الاستقلال بمصر ، عام ١٨٦٩ ففشل ، ثم حب مراد لآمال ، وهي أخته وتصبح زوجة لعلي بك .. او في مسرحية « الناصر » لعزيز اباظة ، حيث نجد قصة الانقلاب الفاشل على الناصر ، ثم قصة تجسس شفق وموتها ..

ولكن عند عدنان مردم بك نحن نفتقد هذين النوعين من التقنية المسرحية (٦) ، اي اللذين للموضوع المزدوج او الموضوع الذي تسانده الاوصاف الجانبية ، وانما العمل المسرحي الواحد هو محور الحركة المسرحية كافة عنده .. ومن هنا حرصه على انتقاء احداث العمل المسرحي ، وهي على العموم تمثل وجهة نظره ..

يقول عدنان مردم بك في مقدمة « العباسة » بعد ان يعرض مرويات التاريخ ويفندها « ... الصراع كما نرى صراع على الملك كما ذهب اليه ابن خلدون ، واني اخذت بهذه النظرية التاريخية السليمة ، وحاولت ان انصف كلا الطرفين في تصوير ما لهما وما عليهما (٧) .. » كما يقول في مقدمة « الحلاج » « حاولت في مسرحيتي هذه ان انصف الحلاج فيما له وما عليه دون تحيز ، وبينت بها ان سبب قتل الحلاج يرجع الى اسباب سياسية بحتة (٨) .. » .. ومثل هذا التحديد للعمل المسرحي ، والذي هو ابداء وجهة نظر للمؤلف تحديد مشروع ، خاصة انه ذو غاية جمالية فنية ، اذ هو يوفر المتعة المسرحية في تصوير الصراعات وتسلسل الاحداث ، كما انه يسمح بالمناقشة على النطاق الواقعي نفسه ، ابتداء من الوقائع التي تستخدم لهذا الغرض ..

واني في الحقيقة اوافق الشاعر الكبير عدنان مردم بك على هذه التقنية المسرحية ، التي للعمل المسرحي الواحد ، رغم كل المحاذير التي يمكن ان تتعرض لها (٩).

ذلك ان المسرح له فنيته ، وبالتالي له معاييره الادبية ، والتي لا بد من مراعاتها في التأليف المسرحي ؛ لان الادب المسرحي هو ادب هذا الحوار الذي يؤديه الممثلون على خشبة المسرح ، وبالتالي الادب المسرحي ليس الادب الملحمي ، ولا الادب الغنائي ، حتى يسترسل المؤلف فيه في استطرادات ، او اوصاف جانبية ..

ومن هنا كان العمل المسرحي الواحد ادعى الى توفير المتعة المسرحية ، لانه اوعى لمقوماتها ، بحيث هو الناظم للسيرة في تأزمها ، او خاتمتها او الصراع في اندلاعه او منتهاه .. ان ذلك سيمكن المؤلف المسرحي من ان يحمل الى القارىء او السامع مع المتفرج مضامين فكرته ، ومبتغاه من الحوار التمثيلي .. ان العمل المسرحي الواحد باستقطابه كل الحركات على خشبة المسرح ، وكل التحليلات النفسية والانسانية التي يعبر عنها الممثلون هو الذي يحقق هذه الغاية الفنية الادبية..

فاذا كانت المسرحية مستوفاة لعناصرها المسرحية من عقدة ظاهرة التأزم والحل ، او صراع واضح الاتجاه والخاتمة ، ثم ساندتها ديباجة شعرية قوية متينة سليمة التراكيب صحيحة العبارة ، فذلك هو الكمال المرجو المنشود .. وعدنان مردم بك بالفعل من الشعراء المطبوعين

١ ـ راجع (في الشعر المسرحي) لعدنان بن ذريل ، دمشق ، ١٩٧٠ ، دراسات مفصلة عن هذه المسرحيات الشعرية وغيرها ، ص ٢٠ ـ ٣٤ ، وص ٧٧ ـ ٨٤ ، وص ١١١ ـ ١٢٢ .

٢ ـ راجع (فن المسرحية مع تلخيص حديث لكتاب الشعر لارسطاليس) لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٩٦٣ ، الفصل الخامس ، الباب الثاني ، حيث نجد أيضا اصطناع المؤلفين المسرحيين العرب للمقدمات ، والخاتمات المسرحية في تآليفهم او ترجماتهم ..

٣ و٤ ـ راجع (في الشعر المسرحي) السابق الذكر ، ص ٤٣ ـ ٥٥ ، وص ٨٤ ـ ١٠٠ .

٥ ـ بخصوص مسرحيات عدنان مردم بك راجع المصدر السابق الذكر ..

٦ ـ حتى مسرحية الملكة زنوبيا فهي موحدة العمل ، في خط واحد يتصاعد فيه العمل المسرحي الذي يحتم الخاتمة ، وهي الفداء .

٧ ـ صدرت عن دار عويدات ، بيروت عام ١٩٦٨ .

٨ ـ صدرت عن الدار نفسها ، بيروت عام ١٩٧١ .

٩ ـ وكما ان استيفاء العمل المسرحي طاقته التلبيرية هو الغاية المرجوة ، فان أهم هذه المحاذير هو الغفلة عن اشباع القول فيه ، او التغاضي عن الاهم والهام للثانوي الرديف ..

١٠ ـ راجع فن المسرحية السابق الذكر ، وفي الشعر المسرحي ايضا صفحات متفرقة ..

١١ ـ كنا نشرنا في مجلة (الاديب) الغراء العديد من الدراسات عن هذه الطريقة الشعرية المحدثة ، راجع (الاعداد) يونيو ، وسبتمبر ، ونوفمبر ١٩٦٨ ، وفبراير ، وابريل ، ويونيو ١٩٦٩ وغيرها ..

في الفريكة

رنحتني في ذراها الذكر ... يوم عودي (١) في لقاها اخضر
يوم جئنا (٢) والدجى يغمرها ... وهو ليل من سناها مقمر
وأمين تحتفي آثاره ... بالمحبين فتطغى العبر
فهو لو عاد لما زاد على ... نعمة ينعم فيها النظر

ايه يا قبلة (٣) قلب واله ... هاك مني قبلة تستعر
لو قضى البين ببعد دائم ... لانطوى الانس وولى العمر
أي حسن في الروابي باسم ... ورواء كالسنا ينهمر
فهو في الزهر نشيد عابق ... وهو في الماء خرير مسكر
وهو في الاشجار همس منعش ... وهو في الصخر جلال أسمر
كائنات حرس الحسن بها ... وتبناه سكون يزأر
ههنا الصمت يغني وله ... في الصخور الصم فيها مزهر
ههنا المسك تبارى عابقا ... فتحداه وفاز العنبر
ضيعة ما ضاع فيها طرب ... يرقص الروح ، وضاع الكدر
لم أجد قبل سجايا أهلها ... طيبة تشبه طيبا ينشر
أين ، أين الشر في أرجائها ... كيف لا يلمح منه أثر

قد رعاني في حماها صاحب ... بل أخ في لطفه يبتكر
فهو لو أعطاك روحا ودما ... صار عن تقصيره يعتذر
أريحي النفس من نكتته ... يقطر الشهد ، ويهمي السكر
وهو ان حدث يهدي حكمة ... في جلال القصد دوما تأسر
فليدم للروح روحا ولتدم ... ضيعة يهفو اليها العمر

(١) دعاني الاخ الاستاذ البرت الريحاني لقضاء يومي ١٧ و١٨ آب ١٩٧١ في منزله ومنزل شقيقه فيلسوف الفريكة المرحوم امين الريحاني في الفريكة فاستوحيت من هذه الزيارة هذه القصيدة .
(٢) كانت زيارتي الاولى لها ليلا مع سامي الكيالي وجورج ليان ورفائيل بطي رحمه الله الذين كانوا رفاقي في مؤتمر الادباء العرب الاول في بيت مري سنة ١٩٥٤ . (٣) الفريكة (٤) البرت الريحاني .

بغداد — حارث طه الراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحافظين ، حتى في شعرهم العادي ، على سلفية الشعر العمودي ، وديباجته الشعرية العادية او المسرحية ديباجة شفافة فيها متانة وجزالة وبداعة ..

ومن هنا تجد المسرحية عند عدنان مردم بك بناء متكاملا ونضيدا من الاداء المدروس واللفظ الصقيل والمعاني الدقيقة ، تروي قصة واحدة ، ولنقل ايضا تفند فكرة واحدة .. واظن ان هذه الخصيصة التي يتفرد بها عدنان مردم بك وهي تقنية العمل المسرحي الواحد هي سر ابداعه وتفوقه ، وسر الجمال والقوة في ادبه المسرحي.

وحسبنا ان ننوه هنا اتماما لهذه الدراسة ، اننا نفتقد في مسرح عدنان مردم بك الاغنية ، اي القصيدة التي يمكن تلحينها وغناؤها والتي كان يوفرها احمد شوقي ، ثم عزيز اباظة ، في المسرحية الشعرية بفعل تأثرهما (١٠) بفن الاوبريت السورية والمصرية العربية ، كما اننا اليوم نفتقد التضمين الشعري بكل انواعه ، اي تضمين الاقوال والاشعار في حواره التمثيلي ، وهي طريقة (١١) شعرية محدثة ، شاعت وذاعت مؤخرا في الشعر الحديث الحر ، ولم يأخذ بها عدنان مردم بك .. وما ذلك الا ليظل للعمل المسرحي عنده وحدته ونقاوته ، ويظل للمسرحية طاقاتها الفنية الادبية الاصيلة ..

دمشق — عدنان بن ذريل

توفيق ابو الهدى - فبليب صائغ

عبد الهادي كامل - الحكم دروزة

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ - توفيق أبو الهدى

ينتمي المرحوم توفيق ابو الهدى الى عائلة الناجي الفاروقي المعروفة في رملة فلسطين ونواحيها ، ولكنه ولد في مدينة « عكا » عام ١٨٩٥ واكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه ودراسته الثانوية في سلطاني بيروت ، ثم قصد الاستانة والتحق بكلية الحقوق. ولانخراطه في الجندية عام ١٩١٥ ، كضابط احتياطي ، لم يكمل دراسة الحقوق ، وبعد فحصه طبيا احيل على الخدمة الخفيفة ودخل مدرسة اللوازم وتخرج منها برتبة وكيل ضابط وعين كاتبا في الشعبة الخامسة التابعة لوزارة الحربية في الاستانة .

وكان « توفيق » من الاعضاء البارزين في « المنتدى الادبي » الذي اسسه الشبان العرب المقيمون في الاستانة عام ١٩٠٩ ، وبعد ان القت السلطات التركية القبض على رئيسه المرحوم عبد الكريم الخليل اغلقب ابوابه ، وصادرت اوراقه ، واخذت في البحث عن المراسلات التي دارت بين رئيسه واعضائه ، وقد سبق ان اودعها المرحوم الخليل النزل الذي يسكنه المرحوم ابو الهدى ، فاحتفظ بها في حقيبة متهرئة تركها في زاوية مهملة من النزل ، وعندما داهم رجال الامن النزل سالوا ابا الهدى على رجال الامن وبارحوا النزل كالقابض على الريح !

وبعد ان اطمأن ابو الهدى الى ابتعاد الجند عن النزل الذي يقطنه سلم الحقيبة الى جار ارمني له ، فهبط بها ، مع زوجته ، سلم الدار الى قبو في العمارة واضرما النار في الاوراق والمراسلات !

وفي لقاء تم بين ابي الهدى والمرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي ساله هذا عما فعل بالاوراق السرية فطمانه خيرا وافاد بانها كانت طعمة للنار ... فسارع الزهراوي الى تقبيله وقال له « لقد انقذت بحرقها عشرات الشبان من احرار العرب ... ولو لم تفعل هذا لكانوا طعمة لاعواد المشانق ! » .

وقبل سقوط سورية في قبضة الجيش العربي نقل « ابو الهدى » الى كرمنشاه بايران مع الجيش العثماني ثم هرب الى حلب في طريقه الى الاستانة وخلال وجوده فيها سقطت سورية في يد الجيش العربي، وما لبث « ابو الهدى » ان غادر حلب الى لبنان واجتمع في صيدا بزميله في الدراسة والسياسة المرحوم رياض الصلح وقد هيا له عربة نقلته الى الحدود الفلسطينية واستقر في « عكا » .

وفي عام ١٩٢٠ جاء الى دمشق وعين كاتبا في مكتب عميد كلية الحقوق ، وبعد فترة قصيرة عين مميزا للواردات في وزارة المالية بعهد وزيرها المرحوم فارس الخوري ثم رقي مديرا لقسم الواردات فيها .

وفي ٢ - ٣ - ١٩٢١ وصل الامير عبد الله بن الحسين الى مدينة عمان واسس « امارة شرقي الاردن » فقصدها ابو الهدى بالقطار وعين رئيسا لقسم الواردات فرئيسا لقسم المحاسبة بوزارة المالية في عهد وزيرها المرحوم احمد حلمي باشا عبد الباقي ، ثم نقل مديرا عاما لدائرة تسجيل الاراضي فابدى كل كفاءة ونشاط في تصريف الامور .

وفي ١٧ - ١٠ - ١٩٢٩ الف المرحوم حسن خالد ابو الهدى الصيادي (من خان شيخون ، بمحافظة حلب) وزارته الثالثة فدخلها المرحوم توفيق ابو الهدى سكرتيرا عاما ، وبعد ان عهد للمرحوم الشيخ عبد الله سراج بتاليف الوزارة دخلها ابو الهدى سكرتيرا عاما. وباقالة الشيخ سراج من رئاسة الوزراء عهد الى المرحوم ابراهيم هاشم بتشكيل حكومته الاولى في ١٨ - ١٠ - ١٩٣٣ وعين المرحوم توفيق ابو الهدى مديرا للمصرف الزراعي ، ولم يمض وقت طويل حتى اقيل ابو الهدى من خدمة الحكومة بحجة « عدم اللياقة ! » فلزم ابو الهدى منزله ، على ان اعتكافه هذا لم يطل ... فقد عاد باصرار وعناد الى مديرية المصرف الزراعي ... وفي ٢٨ - ٩ - ١٩٣٨ انعم عليه الامير عبد الله بلقب باشا وعهد اليه بتشكيل حكومته الاولى ، وقد حقق في عهدها ما يلي :

١ - مفاوضة الحكومة البريطانية لتعديل الاتفاقية الاردنية - البريطانية ، وفي اوائل شهر شباط من عام ١٩٣٩ مثل الاردن في مؤتمر فلسطين الذي عقد في قصر سان جيمس بلندن بالاشتراك مع الشيخ نجيب علم الدين كبير مفتشي وزارة المعارف الاردنية آنذاك ، وهنا انتهز ابو الهدى وجوده في لندن فشرع في مفاوضة الجانب البريطاني الى ان نجح في تعديل الاتفاقية الاردنية - البريطانية .

٢ - وبعد عودة ابي الهدى الى الاردن قرر المجلس التشريعي الرابع تعديل القانون الاساسي في ٥ - ٨ - ١٩٣٩ وقد نصت المادة العشرون منه على ان يؤلف مجلس الوزراء من رئيس للوزراء ومن خمسة وزراء .

٣ - وتقرر كذلك استبدال اسم « المجلس التنفيذي » باسم « مجلس الوزراء » وبعد ان تم التعديل السابق في القانون الاساسي قدم ابو الهدى استقالة حكومته الاولى في ٦ - ٨ - ١٩٣٩ وشكل حكومته الثانية ، وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والعدلية، وفي ٢٤ - ٩ - ١٩٤٠ قدم ابو الهدى استقالة حكومته الثانية وشكل حكومته الثالثة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية .

وفي ٢٧ - ٧ - ١٩٤١ قدم استقالة حكومته الثالثة فعهد اليه بتشكيل حكومته الرابعة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع .

وفي ١٨ - ٥ - ١٩٤٣ قدم ابو الهدى استقالة حكومته الرابعة فشكل حكومته الخامسة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع ، وقد جاء في منهاج هذه الوزارة « انها ستسعى في سبيل الوحدة العربية وخصوصا تحقيق الوحدة السورية » .

ونتيجة لاستقالة ابي الهدى من رئاسة الحكم في ١٤ - ١٠ - ١٩٤٤ عهد للمرحوم سمير الرفاعي بتشكيل الحكومة وفي ١٨ - ٥ - ١٩٤٥ قدم استقالته وعهد للمرحوم ابراهيم هاشم بتاليف الوزارة فدخلها المرحوم ابو الهدى وزيرا للخارجية . وفي ٢٧ - ٨ - ١٩٤٥ قدم استقالته وعين مديرا للمشروع الانشائي العربي في القدس .

وبعد ان استبدل اسم « امارة شرقي الاردن » باسم « المملكة الاردنية الهاشمية » اعترفت بريطانيا باستقلال الاردن وابرمت معاهدة التحالف بين البلدين ، وفي ١ - ٢ - ١٩٤٧ نشر الدستور الاردني الجديد فقدم المرحوم ابراهيم هاشم استقالة حكومته ، مفسحا المجال امام حكومة جديدة تشرف على انتخابات مجلس النواب وتتسلم زمام السلطة في العهد الجديد فشكل المرحوم سمير الرفاعي حكومته في ٤ - ٢ - ١٩٤٧ .

وفي ٢٧ - ١٢ - ١٩٤٧ قدم المرحوم الرفاعي استقالة حكومته فشكل المرحوم توفيق ابو الهدى حكومته السادسة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ١٧ ـ ١ ـ ١٩٤٨ تخلى ابو الهدى عن وزارة الخارجية وعين المرحوم فوزي الملقي وزيرا لها بالاضافة الى وزارة المواصلات . وفي ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٤٨ تخلى ابو الهدى عن وزارة الدفاع وتولى وزارة الخارجية ومن ابرز منجزات حكومته السادسة :

١ ـ تعديل الاتفاقية الاردنية ـ البريطانية لمصلحة الاردن في ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٨ في لندن .

٢ ـ الاشتراك في معركة فلسطين الى جانب الدول العربية والعمل على انقاذها من براثن الصهيونية والاستعمار .

وفي اول وزارة اردنية شارك فيها الفلسطينيون قررت هذه الوزارة منح جميع الفلسطينيين الجنسية الاردنية « بشكل اجماعي » تمكينا لهم من الاشتراك في الانتخابات النيابية ، وقرر اول مجلس نيابي مشترك توحيد ضفتي الاردن تحت التاج الهاشمي .

وبعد اعلان الوحدة بين الضفتين قدم المرحوم ابو الهدى استقالة حكومته السادسة ، مفسحا المجال امام حكومة جديدة تدخلها عناصر فلسطينية فشكل حكومته السابعة في ٧ ـ ٥ ـ ١٩٤٩ وكان فيها رئيسا للوزراء .

وبعد استشهاد الملك عبد الله بن الحسين في المسجد الاقصى بتاريخ ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٥١ قدم المرحوم سمير الرفاعي استقالة حكومته فشكل المرحوم ابو الهدى حكومته الثامنة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية .

وفي ٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٥٢ قدم ابو الهدى استقالة حكومته التاسعة والف وزارته العاشرة وكان فيها رئيسا للوزاء ووزيرا للخارجية ووزيرا للدفاع بالوكالة .

وفي ٢ ـ ٥ ـ ١٩٥٣ تسلم الملك حسين بن طلال سلطاته الدستورية فقدم ابو الهدى استقالة حكومته العاشرة وعهد للمرحوم فوزي الملقي بتاليف الحكومة . وفي ٢ ـ ٥ ـ ١٩٥٤ قدم المرحوم الملقي استقالة حكومته وكلف المرحوم ابو الهدى بتاليف حكومته الحادية عشرة فكان فيها رئيسا للوزراء . وفي ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ قدم استقالة حكومته هذه والف حكومته الثانية عشرة وكان فيها رئيسا للوزراء .

يشهد الذين زاملوا توفيق ابا الهدى او عملوا معه ، بكفاءاته وحرصه على تادية عمله على احسن وجه ، في المراكز الحساسة التي شغلها وبتصريف الاعمال التي تولى دفتها وحفاظه على هيبة الحكم وشرف الدولة وانجازه كل وعد قطعه ، ووزنه كل كلمة قبل ان يلفظها . للحقيقة والتاريخ يجمع الذين زاملوا هذا الدبلوماسي القدير على انه « رجل دولة » !

وفي مذكرات الملك عبد الله بن الحسين يقول في الصفحة ١٧٨ بالحرف الواحد :

« وقد عهدنا الى توفيق باشا ابو الهدى بتاليف الوزارة عدة مرات ، فظل رئيسا للوزراء طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفي اخطر ادوارها ، وكان موضع الرضا التام عندي لحرصه الشديد على ضمان الاستقرار السعيد لهذه البلاد في تلك الايام المدلهمة الآفاق ! ».

ومن الجدير بالذكر اشتراك المرحوم توفيق ابو الهدى في جميع مشاورات الجامعة العربية الى ان انتهى بروتوكول الاسكندرية ووضع الميثاق القومي الذي على اثره استقال كافة رؤساء الوزارات في الدول العربية الذين اشتركوا فيه .

ومما يؤثر عنه تفاؤله بيوم (الثلاثاء) فكان يقول لاخصائه :

« ولدت يوم الثلاثاء ودخلت المدرسة يوم الثلاثاء واحرزت الشهادة يوم الثلاثاء وشغلت اول وظيفة يوم الثلاثاء وتزوجت يوم الثلاثاء ورزقت وحيدتي « سعاد » يوم الثلاثاء وألفت أول حكومة يوم الثلاثاء ! » .

وكان يتماهل في تشكيل الوزارات الى ان يطل يوم (الثلاثاء) .

وفي ٢ تموز ١٩٥٦ انهى المرحوم توفيق ابو الهدى حياته بنفسه في بيته بعمان ، ودفن في مقبرة عمان الواقعة في اول المصدار ، وقد خسر فيه الاردن والعالم العربي دبلوماسيا المعيا له وزنه وثقله في دنيا السياسة !

٢ ـ فيليب حنا صائغ

ولد « فيليب » في مدينة « يافا » بفلسطين عام ١٩٢١ من اسرة اشتهرت بابنائها الذين عرفوا بالعقول النيرة ، والوطنية الصادقة ، والعروبة الصحيحة ، وتعلم « فيليب » في مدرسة الفرندز الشهيرة برام الله ـ المصيف الفلسطيني الجميل ـ وظل يدرس فيها حتى عام ١٩٣٦ وفي هذا العام الذي سجل فيه عرب فلسطين اطول اضراب وطني شامل عرفه تاريخ العالم واستغرق ١٨٠ يوما ، قصد الجامعة الاميركية ببيروت ودرس فيها الادب الانكليزي وكان من المجلين فيه ، وفاز بدرجة بكالوريوس آداب عام ١٩٤١ وعمره عشرون عاما ، ودعي لتدريس اللغة الانكليزية في معهد الفرير بيافا من عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ ، وعرف بولوعه بالرياضة البدنية ، لا سيما كرة القدم التي برع فيها براعة اهلته لان يصبح احد افراد منتخب فلسطين عام ١٩٤٣ .

اما ولوعه بالسباحة فهو امر عجيب ، اذ لا يزال يسبح صباح كل يوم ، صيفا وشتاء ، مسافة كيلو متر في بحر بيروت ، ويمشي على اليابسة بعد ذلك مسافة ٤ كيلو مترات ، وهذا الجسم الرياضي اوجد فيه روحا رياضية تبدو جلية في خلقه الرضي وتسامحه مع الناس وتبريره الاعذار المقبولة لما يجترحونه من اخطاء .

وفي اهابه جمع النقيضين : الرياضة البدنية والانكباب على المطالعة الادبية والعلمية بنهم عجيب ، يجعلك تشعر ، وانت تتحدث اليه ، كانك تتحدث الى دائرة معارف ناطقة باللغات العربية والانكليزية والفرنسية التي يجيدها اجادة تامة وقد تعلمها في صباه على نفسه ، وهذا يجعل حديثه ماتعا مستطابا !

اما اذا كان الحديث عن فلسطين وعن تعلقه بالوطن المغصوب وعن حق العرب التاريخي والسياسي والمنطقي فيها فانك ترى فيه شعاعا من الشوق قد انبعث من عينيه ، وحرارة جديدة قد انسابت في عباراته حتى لترى كلماتها وكانها قد اصبحت تتحرك هنا وهناك بنشاط عجيب وحيوية غريبة !

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ وشردتهم ايدي سبا عين « فيليب » استاذا للغة الانكليزية في كلية المقاصد الخيرية بصيدا ثم اشرف على تدريسها في معاهد الفرير المارست بصيدا وجونية وجبيل بلبنان من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٤ ، وفي هذا العام استقر في بيروت واصبح مديرا لمركز لونغمان للعالم العربي ولا يزال فيه .

من آثاره القلمية : عالج « فيليب » القصة القصيرة باسلوب سهل ممتنع ، وصنف سلسلة من الكتب المدرسية وقد عرفنا منها مطبوعا :

١ ـ قاتل امه (قصة) طبع عام ١٩٤٦

٢ ـ الدروس الجديدة باللغة الانكليزية للطلاب العرب ـ طبع عام ١٩٤٩

٣ ـ تصريف الافعال الانكليزية ـ طبع عام ١٩٥٠

٤ ـ كتابي في المحادثة ـ طبع عام ١٩٥٢

٥ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الاول) طبع عام ١٩٥٤

٦ ـ الدروس الجديدة في الترجمة ـ طبع عام ١٩٥٥

٧ ـ دروس في الترجمة الجديدة (ثلاثة اجزاء) طبع عام ١٩٥٦

٨ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الثاني) طبع عام ١٩٦١

٩ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الثالث) طبع عام ١٩٦٣

١٠ ـ دروس في الترجمة لطلاب البكالوريا ـ طبع عام ١٩٦٨

نموذج من نثره : « ما اتحدت كلمة الامة العربية يوما الا كان النصر لها على اعدائها ، مهما كان عددهم كبيرا ، وجيوشهم جرارة ، وبطولتهم فائقة . ولم تتفرق كلمة امتنا يوما الا كان النصر لاعدائها عليها . ولا ادري لماذا لا تتحد الحكومات العربية الآن كما اتحدت قلوب شعوبها ؟ وتصب دخل بترولها العظيم في صندوق واحد ، ينفق منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جحفل عربي لهام واحد ، ليعيد فلسطين بزند واحد وعزيمة واحدة ! »

« اللغة مستمدة من البيئة ، لذا تعددت اللغات وتفاوتت في درجات التطور بتعدد البيئات والمجتمعات ، وحتى اللهجات في اللغة الواحدة تتباين بين قطر وآخر . ونظرا لاختلاف البيئة والمجتمع ، كان ما يصح التعبير عنه بالاسلوب المجازي في لغة واحدة لا يصح في لغة ثانية . ففي البلاد الحارة ـ الجزيرة العربية مثلا ـ تهفو قلوب سكانها الى البرد ، لذلك كنت العرب عن السرور بالبرد ، فقالت : أقر الله عينه (جعلها تبرد) ، أي امتعه بالسرور ، ولو ترجم هذا القول حرفيا لسكان البلاد الباردة ، لفهموا منه انه مات ، لان البرد يصيب جسد الانسان عندما تفارقه الروح » .

نموذج من شعره : ان فيليب صائغ شاعر في حركاته وسكناته وانفعالاته ورهافة حسه ، وهو من شعرائنا المقلين ، ولو انصرف الى نظم الشعر لكان له فيه شان . قال في صدر شبابه متغزلا :

رشق الفؤاد بنظرة فتانه ... رشا يغازل صدره رمانه
فهويت بعد تجلدي ، وصرخت من ... عجب أمجد خالقي سبحانه
أيصيدني ريم ، نحيل خصره ... ويقودني للحتف غصن البانه

ثم قال بعد نكبة فلسطين الاولى وهجرته الى لبنان ، وقلبه يتنازعه حبه العذري لفتاة احلامه ، وحبه الجامح لمحبوبته الخالدة فلسطين :

لا تبوحي يوما بمقدار حبي ... جل وجدي عن القياس ، وربي
فهو اسمى من الوجود جميعا ... وهو أقوى من وجد كل محب
كلما جئت ، قال فد ضلوعي ... لك : هاتي خمر الهيام وصبي
جنة الوصل تنتشي الروح فيها ... وجحيم الصدود قبر لقلبي
فتعالي نشرب رحيق هوانا ... ونسر فوق دربنا المستحب
ثم نعلو متن السماء بروحينا ... ونسمو هوى على كل صب
نحن كالشمس لا تبالي أراحت ... فوق شرق تميس أم فوق غرب
نحن في هذه الحياة ملاكا ... صبوة عبدا لها كل درب
ثم طارا مع الرياح وحاما ... حول « يافا » بخافق وبلب
وأريج الازهار طاف علينا ... بكؤوس فيها عبير (1) ابن جنبي

٣ ـ عبد الهادي كامل

ولد « عبد الهادي » في قرية « سباستيا » بمحافظة نابلس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الابتدائية في مسقط راسه ثم تابع دراسته الثانوية في مدينة نابلس وعمل في حكومة الانتداب مفتشا للبوليس وظل في عمله هذا حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين .

وفي النكبة الاولى التي حلت بفلسطين عام ١٩٤٨ انتقل الى دمشق وعمل مديرا لمنطقة دمشق في وكالة غوث اللاجئين ثم مديرا لقسم الشؤون الاجتماعية حيث لا يزال يعمل فيه .

وفي سن مبكرة بدا « عبد الهادي » يقرض الشعر قبل ان يكون ملما باوزانه على حقيقتها واول نتاج أدبي له نشره في جريدة « الاقدام» اليافية عام ١٩٣٠ ثم بدا ينشر نفثات شعره في جريدتي « فلسطين » و « الدفاع » اليافيتين ، وكانت تغلب على شعره عهد ذاك مسحة الغزل ، ثم تطور شعره الى النواحي القومية والوجدانية وكان يذيل منظومه بتوقيع « الهادي المحجوب » وفي عام ١٩٤٢ فاز بالجائزة الاولى في المسابقة الشعرية التي اجراها القسم العربي في محطة الاذاعة البريطانية بلندن وكان موضوع قصيدته الفائزة « الوحدة العربية » وقد قوبل نشرها بالاستحسان والتقدير في الاوساط العربية المتعطشة الى تلك الوحدة ولقوة سبكها وروعة جرسها . وكان المحكمون في تلك المسابقة بشارة الخوري « الاخطل الصغير » من لبنان والشيخ فؤاد الخطيب من الاردن وخليل مردم بك من سورية واثنين من ادباء فلسطين .

ومنذ عام ١٩٤٢ ذاع اسم الشاعر في الاوساط الادبية واخذ ينشر شعره في مجلة « الرسالة » المصرية و « قافلة الزيت » السعودية و « رسالة المعلم » الاردنية و « العربي » الكويتية و « المستمع العربي » التي كانت تصدرها محطة الاذاعة البريطانية بلندن و « المهماز » الحيفاوية و « صوت الشعب » البيتحلمية ، وفي عام ١٩٤٣ فازت قصيدته « صلاح الدين الايوبي » في مسابقة دعت اليها الاذاعة الفلسطينية في بيت المقدس ، كما فازت قصيدته « الام » بجائزة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في دمشق .

وللشاعر ديوان شعر باسم « قلب شاعر » ما زال مخطوطا وهو صديق لمعظم الشعراء الفلسطينيين المخضرمين كالمرحوم ابراهيم طوقان والمرحوم عبد الرحيم محمود والمرحوم علي السرطاوي والشعراء الاحياء « ابي سلمى » ومحمد العدناني وبرهان الدين العبوشي ومحيي الدين الحاج عيسى .

نماذج من شعره : وتقديرا لقصيدته الفائزة « الوحدة العربية » نثبت أبياتها فيما يلي :

أراك يا علم العروبة تخفق ... فوق الديار وانت حر مطلق
وأرى بلاد العرب ضاحكة الربى ... ماء الحياة بارضها يترقرق
وأرى مواطنها موحدة اللوا ... والوحدة الكبرى ترى تتحقق
وأرى الونام على الربوع مخيما ... وأرى بها شمس الحضارة تشرق

أمنية كم رددت اصداءها ... «بغداد» و«البيت العتيق» و«جلق»
و«القدس» و«النيل السعيد» وكل من ... بعروقه دم يعرب يتدفق
ظلت تجيش بصدر أمة يعرب ... ولها حنينا كل قلب يخفق
فتاصلت في كل نفس حرة ... عربية تهوى الوئام وتعشق
فحديثها ملء المدائن والقرى ... وشعاعها في كل افق مشرق
وعبيرها ملء الفضاء ونشره ... عبق بكل محلة يستنشق
نادى بها السلف القديم ورهطهم ... حقبا ، ومطلبها سبيل مغلق
ولكم رأى الساعون في تحقيقها ... عسفا ، فسيقوا للبلاء وشنقوا
خير الشباب مروءة وحمية ... ذهبوا ونالهم العذاب المرهق
والخصم ينكرها على طلابها ... قهرا ويمعن في البلاء ويرهق

انا بنو المجد التليد وذكرنا ... فوق المجرة شامخا لا يلحق
شدنا على الايام خير حضارة ... شماء مثل جلالها لا يخلق
شعت على الايام ضاحكة السنا ... كالشمس في كل المواطن تشرق
ولقد نشرنا العلم خفاق اللوا ... وعنا لامرتنا الحجى والمنطق
دانت لنا الدنيا وكان لواؤنا ... بالنصر في كل المواطن يخفق

فلتجمعنا وحدة عربية ... من بعدها في الدهر لا نتفرق
ولنسع للماضي المجيد بعزمة ... ابدا اليها الوهن لا يتطرق
لنرى بلاد العرب قطرا واحدا ... ونرى نجوم فخاره تتالق

وفي عام ١٩٣٠ اكفهر الجو السياسي في فلسطين وازداد العرب برما وياسا بالزعامة الهزيلة ... وبالزعماء الفاشلين ... والبلاد تسير في طريق الضياع فانشا الشاعر يقول :

قم واسال الزعماء «الصيد» ما فعلوا ... ماذا عسى ان يردوا القول لو سئلوا
لم تحو غير فضول القول جعبتهم ... والقول لا شك فيه الخزي والخجل
قالوا أيا قوم هاتوا الروح مرخصة ... فقدموا الروح ما ضنوا وما بخلوا
قالوا نضحي بفالي النفس نبذلها ... فالحمد لله لا ضحوا ولا بذلوا
أشقوا البلاد وما زالت تسودهم ... ويح الزمان كان الناس قد هبلوا
تدرعوا أضخم الالقاب وانتحلوا ... أجلها أينما حلوا او ارتحلوا
كم صفقت لهم الدنيا بلا خجل ... وهم كذلك لا ذاقوا ولا خجلوا
لله اشكو فلسطينا بأهلها ... زعامة هزلت والناس قد هزلوا

١ ـ (عبير ابن جنبي) معناها (أريج قلبي) .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين شرقا وغربا وفرقتهم ايدي سبا قال الشاعر من قصيدة وطنية :

اليس عارا علينا اننا عرب ... واننا امة اعدادها كثر
ونرتضي ان نرى صهيون ظافرة ... في حربها وجيوش العرب تندحر
ومجدها في ذرى الجوزاء مرتفع ... ومجدنا من ذرى الجوزاء ينحدر
لكن من مزقت اهواؤهم شيعا ... لا ينفعون وان قلوا وان كثروا
سارت جيوشهم للحرب يصحبها ... الى الميادين رعد ما به مطر

٤ ـ الحكم دروزة

ولد « الحكم » في مدينة « نابلس » بفلسطين عام ١٩٣٣ وبعد نشوب الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ نفت السلطات البريطانية والده المرحوم محمد علي دروزه وعمه المؤرخ المناضل الاستاذ عزة دروزه الى دمشق فدخل « الحكم » كلية الفرير بدمشق واكمل فيها دراسته الابتدائية ، وانهى تحصيله الثانوي في كلية الاميركان بدمشق ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ، وعندما بلغ صف الجونيير ـ حيث كان يدرس الاقتصاد والعلوم السياسية ـ فصله المسؤولون في الجامعة الاميركية مع مجموعة من اخوانه الطلاب اثر مظاهرات قاموا بها ضد حلف بغداد عام ١٩٥٥ فقصد القاهرة لمتابعة دراسته في جامعة القاهرة وفي عام ١٩٥٦ حصل على ليسانس في علم الاجتماع ثم استمر في دراسته العليا في نفس الجامعة للحصول على الماجستير فانهى سنتين من السنوات الثلاث المقررة لكن حالت ظروف قاهرة دون انهائه السنة الثالثة فعاد الى دمشق وعين مديرا لمكتب الخليج والجنوب العربي (من ١٩٥٨ ـ ١٩٦١) وتولى رئاسة تحرير صحيفة « صوت الجماهير » الدمشقية عام ١٩٦٣ . وبعد ان اسس مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت عين « الحكم » مساعدا للدكتور انيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث .

من آثاره القلمية : جنح « الحكم » الى العمل السياسي واحب العمل في مناخه وعالج الشؤون العربية بقلم عربي مؤمن بعدالة قضايا امته المشردة ، ومن آثاره المطبوعة :

١ ـ مع القومية العربية ـ طبع عام ١٩٥٧
٢ ـ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ طبع عام ١٩٦٠

نموذج من نثره : « هذه القوة الاستعمارية الفريدة من نوعها ، الصهيونية ، حملت منذ نشوئها المبكر فكرا وعملا نزعة عدوانية عنصرية استعلائية سافرة لازمتها طيلة مراحل عملها وتجسدت كاوضح ما يكون بعد ذلك في الدولة الصهيونية : اسرائيل .

فقد قامت الصهيونية ، منذ نشأتها ، على فكرة اغتصاب فلسطين كاملة وطرد شعبها خارج حدودها . انها لم تقم بقصد ايجاد مكان لليهود المضطهدين يعيشون فيه بامان ، ولا حتى بهدف ايجاد تجمع يهودي في فلسطين ، ولا حتى بقصد اقامة دولة يهودية على جزء من ارض فلسطين . ان الصهيونية التي فهمها البعض في البداية مجرد رد على موجة اضطهاد اليهود ، سرعان ما سارعت الى « توضيح هذا الخطأ » مؤكدة ان الهدف من حركة الهجرة والاستعمار الصهيوني هو جعل فلسطين وطنا قوميا يهوديا يجد تعبيره السياسي في الدولة اليهودية الواحدة . هذا التصميم المبكر على اغتصاب فلسطين واقامة اسرائيل نجده في الكتابات الصهيونية الاولى ، وفي قرار المؤتمر الصهيوني الاول ، وفي رفض اية عروض لاسكان اليهود في غير فلسطين، وهو ما عبر عنه وايزمن كاوضح ما يكون في مؤتمر السلم العالمي بباريس عام ١٩١٩ حين اكد ان نظرة الصهيونية لفلسطين « هي ان تكون يهودية ، تماما بقدر ما هي انجلترا انجليزية » .

وحملت الصهيونية فلسفة عنصرية صريحة بل لقد كانت ، بحكم طبيعة نشأتها ، مسوقة الى جعل العنصرية اساسها الفكري الجوهري. فقد نشأت الصهيونية تدعو الى فكرة الوطن القومي اليهودي في وسط اكثرية يهودية وعالمية تعتبر اليهودية ديانة سماوية روحية لا رابطة سياسية قومية ، وترى ان الحل لاوضاع اليهود هو في نمو حركة التحرر الليبرالية وانتصار دعوة المساواة بشكل عام واندماج اليهود كل في المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي اليه .

وفي غياب مقومات الوحدة اللغوية والتاريخية والجغرافية لليهود كشعب ، لم تجد الصهيونية الا العنصرية اساسا تستند اليه لتبرر فكرة الوطن القومي اليهودي وتتصدى لدعوة الاندماج . ففي مقابل الايمان باليهودية كدين يجب ان تترسخ فكرة اليهودية كعنصر ، وفي مقابل دعوة الاندماج يجب ان يرتفع شعار التكتل العنصري .

فاليهود حافظوا على وجودهم لانهم « استطاعوا ان يحافظوا على غريزتهم العنصرية » كما عبر عن ذلك موسى هيس في كتابه « روما والقدس » العام ١٨٦٢ . واليهود يجمعهم « اصل مشترك نقي » كما اكد ليوبنسكر في كتابه « التحرير الذاتي » العام ١٨٩٢ . والفضل في بقاء اليهود شعبا واحدا وعنصرا متميزا يعود لقوانين الزواج التي كانت تعيق « اكثر مما كانت تساعد على الامتزاج العنصري » كما يرى ثيودور هرتزل في كتابه « الدولة اليهودية » العام ١٨٩٦ .

لقد كانت الدعوة لاندماج يهود العالم في المجتمعات التي يعيشون فيها العدو الاول للصهيونية تماما كما كانت العدو الاول للاسامية . ولهذا فان العنصرية ، في غياب الوحدة القومية الطبيعية ، لم تكن جوهر الفلسفة الصهيونية فحسب بل ووسيلتها الى الوجود ايضا . وانها مفارقة تاريخية تدعو للتامل ان نلاحظ هذا التطابق الغريب بين المفهوم العنصري للصهيونية والمفهوم العنصري للنازية ، وهو تطابق فكري ادى الى استعمال اساليب العمل نفسها التي تجلت في الاضطهاد العنصري الذي مارسته الصهيونية قبل قيام اسرائيل وبعده .

كذلك حملت الصهيونية ، منذ نشأتها ، تلك النزعة الاستعلائية التفوقية التي كانت دوما عبر التاريخ الوليد الطبيعي للفلسفة العنصرية . ان رفض الاندماج اليهودي بالمجتمعات الاخرى لم يكن مجرد نتيجة لاشواق قومية لا واقعية بل كان ايضا ، وربما اساسا ، تجسيدا لتلك النزعة الاستعلائية التفوقية . وقد سخرت الصهيونية اليهودية لتاكيد وترسيخ هذه النزعة مطورة فكرة « الشعب المختار » الى معنى جديد كليا عبر عنه آهادهاعام في معرض حديثه عن التكتل العنصري اليهودي بقوله : « ان امة اسرائيل كامة متفوقة ـ وهي النسخة الحديثة للشعب المختار ـ تستطيع بهذه الطريقة ان تصبح نظاما حقيقيا » ولهذا تبحث الامة اليهودية « عن مكان مستقر تعيش فيه كي تتاح لها ، مرة اخرى ، الفرصة لان تنمي عبقريتها الخاصة .. وتحقق رسالتها كامة متفوقة » .

لكن الحركة الصهيونية ، منذ تشكلها السياسي المنظم في مؤتمر بال وحتى قيام الحرب العالمية الاولى ، لم تكن قد استطاعت ان تحقق اي نجاح يذكر في اي من ميادين البرنامج الاستعماري الذي وضعه ذلك المؤتمر .

فقد كانت اكثرية اليهود الساحقة ما زالت تعارض هذه الدعوة وترى في فكرة التكتل العنصري محاولة ستضعها بالنتيجة في الموضع نفسه الذي تريد ان تدفعها اليه اللاسامية . وكانت حركة الهجرة وانشاء المستعمرات في فلسطين تسير ببطء شديد ولم يتجاوز عدد اليهود في فلسطين حتى الحرب العالمية الاولى ١٪ من يهود العالم . كما اخفقت الصهيونية في الحصول على تاييد اي من الدول الكبرى لفكرة الوطن القومي اليهودي . وبدا ان الصهيونية تسير في طريق مسدود ، الى الجمود والتلاشي .

في هذه الفترة اندلعت الحرب العالمية الاولى التي كان معروفا انها ستشكل الضربة الاخيرة للامبراطورية العثمانية المتداعية ، ووجدت بريطانيا ان الفرصة قد اصبحت مواتية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية القديمة . وهكذا مدت بريطانيا يدها للصهيونية تتشلها ، فلسفة وحركة ، لتبدأ وإياها في اعداد فصول المؤامرة الكبرى .

وظهرت قضية فلسطين الى حيز الوجود دوليا » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

الموت والميلاد

- ١ -

كنت والساعات تغرقني ..
شهيدا .. يؤلمه الكلام ..
يقتله الزمن .. وتلسعه العيون ..
لم يكن فارس اللحظة ..
ان مات .. لم يدر بشر .. لماذا مات ؟! ..

- ٢ -

كنت والقمر المصفح ..
نعاود طعم الموت والحريق ..
نعيق .. جحافل الذباب .. والهوام والسقم ..
في محاولة التنبؤ والايقاع ..
مرة .. نصيخ لليقين ..
ومرة .. للقهر العميق ..
يولد في شرايين الجسد ..
تيارا ماردا عملاق .. يكاد يجاوز الآفاق ..
لا يعرف الموت ولا طعم الحريق ..
كما نصبو دائما أن يكون ..
ماردا عملاق ..

- ٣ -

أحبائي .. ما نفع الظل والاشلاء ..
وحطام السنوات والاعوام ..
واخاديد البكاء .. لا ترعوي ..
تحفر ما لا ينسى .. مما .. لست ادري ..
من فيض البؤس ..
من غمر الاسى ..

- ٤ -

سؤال كالريح تركض ..
فيضرب ركضها .. رأسي وعيني وكلي ..
كيف بوجهين .. ؟! ..
كيف بظلين .. ؟! ..
الظل المرسوم لاصق ..
والظل الآخر آمين ؟!..

- ٥ -

عندما كنت طفلة ..
كانت أمي تضربني .. لاشياء واشياء ..
لست احزن للصفعة ..
أحزن ان اصفع لشيء بال مسحوق ..
فنعاود من جديد ..
طعم الموت والحريق ..
ويغزونا حزن .. مصفر الجبين ..

« ونموت كالشجر .. نموت واقفين .. »

- ٦ -

كفانا .. دخان التبغ يمتص منا الاعصاب ..
وتقسو علينا الكلمات ..
ويلفنا الضباب ..
وتعرفنا زوايا الشوارع ..
وأمهات الحارات .
في صيف الايام وشتاءاتها ..
ندور في الفراغ .. في حلق مشدوه ..
نصلك لحنا نشازا ساهيا ..
نود كلنا ان لا يكون ..
ان نقتل جذعه المافون ..
ان نمحو اليجب واللاياس ..
ان نقتل اليأس ..
ان ننمو .. رغم نقص الملح .. وغيض التراب .
ان نكون ابطالا كسحاب ..
ان نهفو .. ان نعلم .. ان نحب ..
ان نحلم .. ان نكبر .. ان نناضل ..
ان نحيا .. كمارد خالد الاهاب ..
ان لا نكون زيوس .. ولا بعل ..
ان نخطر في كل بال ..
ان لا نكون اسطورة ..
ان لا نكون خيال ..
ان نمزق العالم الوحشي من حول
ومن طول ..
ان ننجب المارد العملاق ..
ان نغدو نحن عمالقة ..
ان نقتل سود لياليا ..
ان نخرج للشمس .. الحي الذي فينا ..

- ٧ -

هكذا قال الصمت ..
في الرؤى الضبابية ..
وبحار اليقين الزعفرانية ..
في المولد والتاريخ ..
هكذا روت لنا شتاءات الايام ..
أصبحت الشموس الوضيئة ..
لا تغفو ولا تنام ..
الصمت الثرثار .. غفا .. ورحلت الآلام ..
خنق الخوف السفينة نفسه ..
وبرزت .. جميع الاشياء الضافية ..
تحت جناح التوقع ..
مدت يدا .. وقالت :
يا شباب .. سلام .. سلام..

طرطوس — هيام محي الدين حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا ، ولكن حظها التعيس ان خلقها الله بنتا ، وشاء لها القدر ان تكون على درجة من الدمامة تجعل طالبي الزواج يهربون منها ، وبذلك فان قطار الزواج سيمر بها دون ان تستطيع حتى النظر اليه .. الله يرحم والدها كان يكره البنات وخلف البنات .. يا ليتها كانت ولدا ...

وتسللت « مديحة » من مكانها وزحفت الى حجرتها بعد ان تناهى اليها حديث امها لاحدى معارفها ... وانكفأت فوق فراشها تبكي في مرارة واسى ..

وهكذا كانت حياتها بكاء في بكاء فلقد شاء لها القدر دون ما ذنب جنته ان تنحرف عنها آية الجمال وتحوطها عزلة قاتمة من القبح .

« فمديحة » فتاة في العشرين من عمرها وحيدة والديها ... في السنة النهائية من دراستها الجامعية .. نحيفة .. سمراء .. شعرها مجعد ، متوسطة الطول .. ضئيلة الحجم .. تضع على عينيها نظارة طبية ترتكز على انف كبير .. منطوية على نفسها الى ابعد حد ، دائمة الوجوم يبدو الاسى في عينيها العميقتين بعد ان لاحظت ان جميع زملائها وزميلاتها يبتعدون عن مصاحبتها ..

لذا فقد آثرت الابتعاد عن كل مجالسهم وحفلاتهم ورحلاتهم التي تقوم الجامعة بتنظيمها من حين لاخر خشية ان يتهامسوا عليها ، او يصيبها من نظراتهم الساخرة ما يضيف الى متاعبها متاعب اخرى ، فكانت تقضي اوقاتها في الفترة القصيرة او الطويلة بين المحاضرة والاخرى في المكتبة متنقلة بين كتبها ومذكراتها علها تخرجها من ذلك الضيق الذي يجثم على صدرها دائما ، فكانت احسن اوقاتها هي التي تمضيها في تلك المكتبة ، وقد ساعدها هذا الانطواء على ان تقرأ كثيرا ، مما جعلها تتفوق على زملائها في الدراسة ..

وكان من حب استطلاعها كانثى محاولتها ان تمسك باحدى المجلات النسائية لتعرف من خلالها اخبار المراة ونشاطها في العالم ... واذا توقفت وشدتها احدى صور ملكات الجمال اخذت تنظر اليها بتأمل شديد حتى تكاد تلتهم تقاطيع جسدها وجمال بشرتها وتمصمص شفتيها في حسرة .. وتحس وقتئذ بأن صورة امها تقتحم عليها صفحات المجلة بصوتها التي كرهته وهي تحدث احدى صديقاتها عنها .. وعن دمامتها .. وخيبة املها في الزواج .. فتقذف بالمجلة بعيدا عنها كأنما لدغها ثعبان .. وتبكي

التحول الكبير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم رستم كيلاني

بحرارة ..

لقد احست « مديحة » بالبغض والكراهية نحو الجميلات ... كل الجميلات القريبات والبعيدات لانهن يتسببن في ايلامها وتنغيص حياتها واقسمت في يوم ما بينها وبين نفسها بأنها لن تعاود شراء المجلات النسائية ..

هكذا قضت او امضت « مديحة » سنوات عمرها .. مبتعدة عن زملائها وزميلاتها، ناقمة على حياتها، انها تحس بأن تصرفات والدتها كقيد يحبس حريتها واصبحت تعمل جاهدة على الابتعاد عنها .. وتتلافى الالتقاء معها في حديث او مجلس .. او مجرد ان يجمع بينهما مكان واحد ..

لقد اضحت كلمات امها سما يسري في جسدها .. لقد كرهت « مديحة » الحياة من اجل امها التي تنكد عليها حياتها ، وتجرح شعورها بشكل مريب .. فكلما رات فتاة جميلة في مثل سنها تظل تؤنبها بطريقة موجعة كأنما « مديحة » هي التي خلقت نفسها وصورتها على هذه الصورة .

لقد اصبحت لا تدري كيف تتخلص من حياتها التي يتخللها اليأس والحرمان ، وذلك الظلام والوحشة التي تعيش فيها لا يستطيع ان يراها او يحس بها غيرها ، حتى اصبح الحزن مظهرا طبيعيا من مظاهر نفسها ، وكانت تشعر بذل الحياة ومرارة مذاقها ..

وكثيرا ما انتابت « مديحة » حالات من اليأس ، فكم من مرة حاولت الانتحار للتخلص من تانيب امها المتواصل فيدخل القدر فتسعف في آخر لحظة ، ورغم هذا لم ترتدع امها حتى اصبحت «مديحة» تشك في امومتها لها ..

حتى جاء ذلك اليوم ... الذي دعيت فيه « مديحة »لحفل زفاف زميلتها « هدى» التي تتمتع بقسط وافر من الجمال ووجدت الزوج المناسب لها في شخص زميل لها في الجامعة ، تعاهدا على الحب الذي رسم لهما هذه النهاية السعيدة ..

وترددت « مديحة » كثيرا في الذهاب الى الحفل شأن كل الحفلات التي تنأى عنها ، وتهرب منها ..

وعندما حاولت الاعتذار لزميلتها العروس متعللة بشتى العلل المختلفة ...اصرت « هدى » على حضورها وعدم قبول اي عذر لها .

وفي المساء وقفت « مديحة »

امام المرآة ترتدي ملابسها تأهبا لذهابها الى الحفل ، وقد اختارت لنفسها ذلك الثوب الذي تبدو فيه اكثر اناقة ، هكذا قالت لها احدى زميلاتها يوم ان ارتدته اول مرة ..

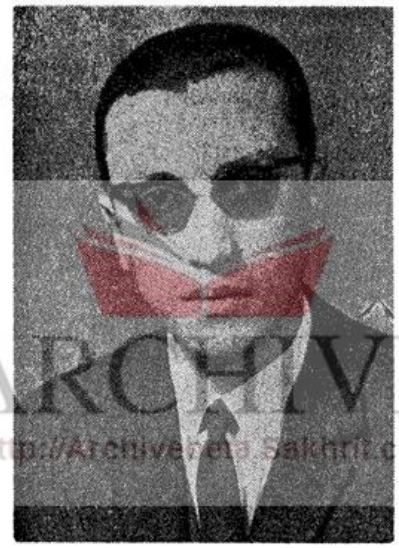
ولما انتهت من اعداد نفسها .. ووضعت على عينيها نظارتها الطبية تسمرت في مكانها بلا حراك ... وهي تنظر في المرآة .. وتجول بنظراتها حول جسدها الضامر الذي تحسسته مليا .. وكأنما صوت امها يخرج من جدران الحجرة وينتشر في الهواء ويمزق السكون وخيل اليها ان صورة امها تتجمع في بؤرة المرآة .. ويتسع فمها ليلتهم معظم المرآة وهي تقول لاحدى صديقاتها :

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا ، ولكن حظها التعيس ان خلقها الله بنتا ، وشاء لها القدر ان تكون على درجة من الدمامة تجعل طالبي الزواج يهربون منها ، وبذلك فان قطار الزواج سيمر بها دون ان تستطيع حتى النظر اليه .. الله يرحم والدها كان يكره البنات وخلف البنات .. لقد كان يناديها باسم « مدحت » ويلبسها البنطلون ظلت منذ صغرها ترتديه حتى دخلت المدرسة الاعدادية .. آه لو كانت ولدا ..

ثم لاحت امام عينيها صورة المشرفة الاجتماعية وهي تتحدث اليها في تفاؤل واستبشار محاولة ان تخرجها من انطوائها ووحدتها بعد ان عرفت سبب عقدتها :

ـ مديحة ... ان الجمال يا عزيزتي ليس كل شيء في الفتاة ... بل هناك الصفات الكثيرة التي تغطي الدمامة .. هي العلم ... والخلق والثقافة والروح الجميلة ما تهيىء لصاحبتها نصيبا في الحياة افضل من نصيب الفتاة الجميلة الجاهلة العاطلة التي لا تخدم مجتمعها بشيء ، وتتظاهر بالعلم وتتكلم بجهل فاضح ، اما انت يا عزيزتي فتمتازين بملاحة اصيلة ... طبيعية ، وديعة بعيدة كل البعد عن الجمال الزائف الصاخب الزائل بمرور الزمن ، متعلمة .. متفوقة وستنالين حظك كاملا ان شاء الله ...

اما اساءة امك لك فربما تكون عن ازمة خاصة بها غشيت حياتها ، وانا اعتقد جازمة انها حينما تتحدث اليك كأنما توجه حديثها الى شبح كان يطفو على مرآة حياتها من الماضي البعيد فتسيء اليك غير



رستم كيلاني

●

قاصدة ذلك ، وان بدا الاصرار عليها في تنفيذ ما توجهه اليك مما يعيبك ، واعتقد حينما تنسلخ امك من هذه الاشباح .. ستعود اليك اكثر رقة واعمق حنانا .

وشعرت « مديحة » بعد هذا الحديث بأنها انتقلت الى حياة اخرى كلها نور وبهجة .

واندفعت امام عينيها من جديد صورة امها وهي تقول كأنما تمحو او تزيل حديث المشرفة بحديثها المعتاد الى صديقتها .

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا .. آه .. لو كانت ولدا ... آه لو كانت ولدا ..

وتكررت في سمع « مديحة » هذه الكلمة في سرعة متلاحقة كأنها المطارق تهوي على جسدها فتسحقه .

وادارت راسها لتبعد عن مخيلتها هذه الصورة ، ولكنها لم تستطع ، كانت تشعر بصدى عميق لهذه الكلمات التي اصمت اذنيها ، واحست بما يشبه الضيق يجثم على صدرها وانفاسها حتى كاد يخنقها ، وكادت تصرخ او تبكي بصوت مرتفع وامتلأت عيناها بالدموع فحجبت عنها الرؤيا في المرآة .. وبدت نظراتها من خلال دموعها كضباب في صباح شتاء معتم ، وظلت تصارع البكاء والنحيب وتكبته في نفسها ، ولكنها لم تستطع ... وانفرطت دموعها رغما عنها ... واستماتت يداها على اذنيها لتحول دون سماع صوت امها الذي يمزق كيانها .

وفي لمحة مثل خطفة البرق تناولت زجاجة العطر الكبيرة الموضوعة على التسريحة وقذفت بها المرآة .. او قذفت بها صورتها .. او صورة امها ..

فأحدثت دويا .. ثم تناثرت على الارض قطعا صغيرة مبعثرة هنا وهناك .. وجريت نحو فراشها ، وارتمت عليه معتمدة براسها فوق ذراعيها ، واعتراها وجوم ، وذهول .. وضيق يحيطها من كل جانب ... وكان نحيبها يمزق القلوب ويصم الآذان ، حتى غابت عن وعيها ...

وما ان فاقت « مديحة » وعاد اليها وعيها بما يدور حولها حتى احست يدا ليست غريبة عنها تمسك بها في حنان بالغ .. كانت تلك اليد هي يد من حملتها وهي رضيعة .. يد امها .. تمسك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نكبة « صفد »

لقد نقل بعض العرب الذين زاروا مدينة صفد بعد نكبة سنة ١٩٦٧ نبأ تهدم معظم بيوت الاحياء العربية فيها ولا سيما حي « الوطاة » وحي « الصواوين » .

وقف الاوائل في الديار ركابهم ... يبكون رسم منازل الاحباب
ووقفت أبكي الدار وهي أسيرة ... في قيد لص كاشر الانياب
نبذته دنياه فانزل حقده ... غدرا بأكرم بقعة ورحاب
يا من يلوم على البكا لو ذقت ما ... ذقناه من كرب ومن أوصاب
ما كنت تعذل من تفيض دموعه ... حزنا على وطن وفقد صحاب

اشهدت مصرع موطني وشبابه ... أبطاله الشهداء ، أسد الغاب
اسمعت عن صفد خراب بيوتها ... أرأيت هول مصابها المنتاب
هذي منازلها الرفيعة أصبحت ... طللا يعج به عواء ذئاب
وخرائبا ياوي الى انقاضها ... رقط الافاعي او جناح غراب
اذ لص ليل شارد يرتاد في ... أنحائها شيئا من الاسلاب
كانت وكان لاهلها فيها المنى ... في طيب أيام وعز جناب
حتى اذا عبس الزمان ترحلوا ... عنها فأمست وهي رزم خراب
يا للمعابد اذ يعيث بها العدى ... تبكي منائرها على المحراب
سكت الاذان ولست تسمع رنة ... تدعو لبر او نوال ثواب
ما للمساجد والكنائس حرمة ... في صدر عات او ضمير مرابي

قل للعدو وقد تفاقم شره ... أخطأت وايم الله كل حساب
هدم البيوت وطمس أي معالم ... ما ذاك يطمس حقنا بتراب
وطن عزيز كل ذرة رملة ... منه تنادينا ليوم اياب
سنعود نبنيه ونعلي شانه ... بزنود أبطال وعزم شباب
قد كنت يا «صفد» الحبيبة قلعة ... صمدت لكيد الحقد والارهاب
بل كنت صرحا للبطولة والندى ... عربية الاحساب والانساب
ان غير الاعداء وجهك فالدجى ... يمحوه صبح من رؤوس حراب
وكتائب كتبت على جبهاتها ... عهدا تخضب من دم بخضاب
لن يستقر بارض يعرب غاصب ... أبدا ولن يحظى بغير سراب

حلب — محي الدين الحاج عيسى

كفها ملاطفة تمازجها قبلاتها ودموعها وتوسلاتها ، وهي تلقي على سمع ابنتها تلك الكلمات في صوت متهدج عميق :

ـ مديحة .. ابنتي حبيبتي لقد اسأت اليك كثيرا بغبائي الذي اوشك ان يضيعك مني .. عودي الي وابعدي عن عينيك تلك الغشاوة التي رانت على قلبك ، ولتزيحي هذا السور الذي اقيم بيني وبينك ودعينا نودع الماضي اللعين ونطوي صفحته الحالكة ... لنبدأ صفحة جديدة من حياتنا وسأبذل كل ما في جهدي لاسعادك حتى اعوضك حرمان الماضي ، عودي الي واغفري لي جهلي وعدم ادراكي للامور .

ولاحت على محيا « مديحة » اشراقة بعد ان لمحت في عيني امها حنانا ، وتذكرت حديث مشرفتها ، واحست به يتردد في اعماقها ثم هتفت في صوت خافت لاهف :

ـ امي .. امي ..

وفي لمح البصر عانقت الام ابنتها وضمتها في حنان الى صدرها ، وراحت « مديحة » هي الاخرى تتشبث بها دون ان تسأل امها عن سبب تحولها العظيم في علاقتها معها بعد ان احست لاول مرة منذ سنين مضت بحنان امها الذي فقدته ، وبحرارة شفتيها على وجنتيها التي طال شوقها اليهما .. وكل منهما لا يريد ان يفلت من بين ذراع الاخر .. كانا يودان عناقا ابديا لا ينتهي ... وتحدرت من مآقيهما عبرات.

القاهرة — رستم كيلاني



الشريف الادريسي

اشهر جغرافيي العرب والاسلام

من سلسلة اعلام العرب رقم (٩٧) ـ تاليف محمد عبد الغني حسن ـ (؟) صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر

اعلام الفكر والعلم ، الذي زخرت بهم الثقافة العربية والاسلامية خلال اربعة عشر قرنا ، ما زالوا ينتظرون التعريف بهم على النحو الذي يرضي الفكر والعلم ، والوجدان جميعا . ومن عرف ما عند امم الارض من جهود جبارة يبذلها ارباب الاقلام لديها لجلاء صور اعلامها ، عرف التقصير الذي مني به العرب في هذا الميدان . ولا ريب في ان احياء ذكر هؤلاء الاعلام ، لا يؤلف جزءا هاما من التراث القومي ليس غير ، وانما هو في الواقع دروس جديدة مفيدة تلقن خارج جدران المعاهد والمدارس، وهو الذي سمي في اصطلاح علماء التربية المحدثين « المدرسة الموازية».

ولقد نهض صديقنا الاستاذ العلامة محمد عبد الغني حسن ، في السنوات الاخيرة ، ببعض هذا العبء ، فاصدر في السنة الماضية كتابا عن جورجي زيدان ، وها هو يصدر اليوم كتابا جديدا عن الشريف الادريسي ، اشهر جغرافيي العرب والاسلام ، تناول فيه مباحث هامة ، منها موجز حياة هذا العلم الجغرافي العظيم ، وصقلية في عهد الادريسي ، وكلمة عن الملك روجر الصقلي الذي الف له الادريسي كتابه « نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق » ، وكيف عرف الملك روجر هذا العبقري ، وتحقيق ميلاد الادريسي ووفاته ، ولمحات عن مدينة سبتة التي ولد فيها ، ومبحثا خاصا عن بعض معاصري الشريف الادريسي ، وآخر عن كتابه « نزهة المشتاق » ، وافرد مبحثا عن مؤلفاته الاخرى ، وتناول خريطة الادريسي ومصوراته الجغرافية بالدرس القيم ، وصنعه لكرة ارضية من الفضة ، وانصف جغرافينا في بحثه « بين الاصالة والنقل » ، واشار الى طريقته في « المعاينة والمشاهدة » ، والى منهجه في وصف البلاد .

ثم رد على النقد الذي تعرض له الادريسي من قبل بعض المستشرقين لتمسكه بالخرافات ، او ببعضها ، في فصل جميل سماه « بين الواقع والاساطير » ، وانتقل بعده الى الادريسي وصاف المدن والبحار ، والى ذكره لرحلة الاخوة المغررين ، الذي يقال انهم اكتشفوا امريكا قبل كولومبوس باربعة قرون ، وعقد فصلا سماه « اوربة والاندلس وافريقية عند الادريسي » ، ولم يفته دراسة « جوانب متعددة من الادريسي » ، و « الادريسي بين التجاهل والانصاف » و «اهتمامات الغربيين بالشريف الادريسي » ، ورأي عبد المتعال الصعيدي في ان الادريسي « من المجددين في الاسلام » ، وختم كتابه بفصلين رائعين هما : « الادريسي في كفة الميزان » و « الادريسي في تقدير الغربيين والعرب » .

هذه هي مباحث الكتاب ، وانت ترى من ثبتها انها بالغة الاهمية ، ولا سيما لعلماء الجغرافيا ، ولتاريخ هذا العلم في القديم والحديث . واشهد انني سهرت ليلتين متعاقبتين مع هذا الكتاب القيم ، فما كنت اشعر الا بازدياد في الرغبة بالمطالعة ، واسفت حينما وصلت الى آخر ورقة فيه .

وما انا بالذي يحمل شيئا جديدا الى القارىء اذا قلت : ان اسلوب علامتنا محمد عبد الغني حسن في هذا الكتاب ، وفي غيره من كتبه التي زين بها جيد المكتبة العربية ، هو السهل الممتنع . فقد عرفه القارىء الذي لم يطلع على كتبه من مباحثه القيمة التي يرسلها الى « الاديب » في كل شهر ، ومن تعليقاته المتعددة ، كما عرفه من شعره الجزل الرقيق ، الذي ينقله عن طبع دافق ، وحس صادق ، وذوق رفيع .

كذلك حسبي ان اكتفي في هذا التعريف بالكتاب ، بالمعاد المكرور من القول ، حين اتحدث عن تحقيق محمد عبد الغني حسن ، في اي موضوع خاصة من مواضيع الكتاب . فانت ترى فيه الى جانب اصالة الراي ، الغنى العريض في المراجع والمصادر ، والمقارنة بينها ، ومعارضتها ، وترجيح بعضها على بعض بالحجة والبرهان ، وابطال ما ثبت بطلانه ، لدى العرب والمستعربين على السواء .

ولست اعجب من ان يقذف علامتنا في كل شهر مثلا بكتاب الى القراء ، فانه على ذلك قدير ، وبه جدير . ولكني اعجب كيف استطاع هذا الشاعر الرقيق ، وهذا الاب الرحيم ، ان يمسك القلم ، وان يفتح الكتاب ، وان يقبل على القرطاس ، وقد فارقه ابناؤه المهندسون الثلاثة الى البرازيل مهاجرين ، فخوى البيت منهم على عروشه ، وبقي فيه وحده مع امهم التي لا تفتأ تنفقد اشياءهم الصغيرة التي تركوها ، وحجرهم التي كانوا ينامون فيها ، فيتفجر قلبها وقلب ابيهم حنانا على هذا الفراق ، ان لم اقل اسى وحسرة . نعم ، ان معجزة محمد عبد الغني حسن ، هو انه قد استطاع ان يكتب ، لا بل استطاع ان يحقق تحقيق العالم الخبير ، وان شئت تحقيق « الخريت » على قول الجغرافيين ، في هذا الجو العاطفي المضطرم .

« الا ذلك تقدير العزيز العليم »

نزيل بيروت
ظافر القاسمي
استاذ العربية في الجامعة اللبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●

رحلة الى القمر

للشاعر عبد الرحمن عياش

الرحلة الى القمر شاقة وعسيرة . كانت في الماضي رجما بالغيب فاصبحت حقيقة واقعة . العلماء صيروا المستحيل ممكنا « فما يستوي الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون » .

وافضل العلم ما ينفع الناس ولا يضرهم . وانه لذو حدين قاطعين : اولهما للخير وثانيهما للشر ... لعلي اخالف الكثيرين : هم يعتبرون ان عملية غزو الفضاء واكتشاف القمر انجاز علمي ضخم ، اشبه بالمعجزة ، وانا ابصر فيها انسان الغابة ، ووزرا يضاف الى اوزار حضارة القرن العشرين المادية الصرف التي تسعى الى بلوغ المرء اقصى درجات الرفاه ، ولكنها تصرفه عن الروح ، وعن كل ما يمت بصلة الى المثل الاعلى ، اذ يحصر اهتمامه بذاته ويعمى عمن سواه ، يمشي في الارض مرحا ، ويطير في الجو مختالا ، فلا يحسب حسابا للجياع والمرضى والبائسين ...

لا يكون انسانا « من يبيت شبعان وجاره جائع » وهيهات ان

يصير الى الكمال بغير ان يؤمن بانه أخ لكل انسان ، أحب أم كره ، والا كان اشبه بحيوان مفترس ، حيث القوي يأكل الضعيف .

مصداق ما اقول : ان آلاف الملايين من الدولارات التي صرفت وتصرف بسخاء لغزو الفضاء واختراع آلات الحرب الجهنمية وسائر انواع الدمار والقنابل السامة وغيرها وغيرها ... ليست بنافعة لبني الانسان عامة ، وانما هي سبيل القوي للفتك بالضعيف ، على اهون حال .

أعجب العجب ان الضعفاء يهللون لبادرات تفوق الاقوياء عليهم ، ابتغاء بسط سلطانهم ، اكثر فاكثر ... وما دروا ان هذه البادرات ان هي الا نذير الشر لهم . ولماذا يتسابق الاقوياء على غزو الفضاء ؟ وهم ان يكون لنجدة الملهوفين والمتضعين ، وانما لكي يزداد الاقوياء عتوا وصلفا وليسرفوا في الكيد ما شاء لهم ان يكيدوا . وتبا للكائدين !

لقد جففت حضارة القرن العشرين بهجة القلب في الصدور لانها سلكت طريق المادة وعزفت عن الروح . وشتان بين المادة والروح ! تلك هاوية الى حضيض الفرقة والتنابذ والكراهية ، وهذه جاعلة بيننا محبة ومودة . أفمن يحب كمن يكره ؟

وكمن يتكلمون من بطونهم ، اسائل نفسي : أي الرحلتين أحب الي ؟ رحلة رواد الفضاء الى القمر ام رحلة عبد الرحمن العياش اليه؟ لا حيلة لي بعد ان عبرت عن رأيي في الاولى ان اغض طرفي عن الثانية..

غني عن التعريف ان القصيدة من الجودة بمكان ، والا لما فازت بالجائزة الثانية ، من بين الف ومائة قصيدة ، قدمت الى محطة الاذاعة البريطانية ... وما لي اسهب في المقدمة ، فحسبي ان اسجل خاطرة الرحلة ، رحلة رائد الفضاء ـ كما رآها الشاعر العياش او بالتحديد كما وصفها ـ .

لقد اهل قصيدته ، اول ما أهلها ، باقتفاء اثر الاقدمين في لغتهم ، فعلق بصره بصهوة الخيل ، ولم يجد من وسيلة لرحلة رائد الفضاء غير ان يستعير له صهوة العلم ، بديلا عن الخيل ، تدليلا على انسجام الشاعر مع منطق العصر ، فلا فارس فيه غير العالم .

فارس فوق صهوة العلم يجري في فضاء والعلم كان جناحا

ما للعالم من امام سوى العقل وكفى به شهيدا ... وكما لم يبرع شاعر بمثل ما برع به امرؤ القيس في وصف الليل ، فان العياش لم تفته شاردة في وصف حركات الرائد وخلجات نفسه ، ومشتهى احلامه وامانيه ، فما يسترشد في مركبة العلم بغير العقل : يصارع الاهوال في العشي والاصباح ، ويتقصى في غزوه ، ما خفي من مجاهل الكون ، عسى ان يبلغ غايته ، فيتربع على ايوانه مثل كسرى ، تحوطه الابراج والانعام ، وقد أتخمته النعمة ... وانه لبا لجد يطوف ، لا مازحا ولا مختالا ، سبيله ان يرى في النجوم حياة ، يقطف لذاتها ويؤوب منها محملا بالكنوز .

وليس الامريكان او الروس خالقي هذه الفكرة ، فقديما كان سليمان يطوي ببساطه الريح طيا . وكان هذا البساط احدى معجزات النبوة فيه . ثم الم يأتكم خبر « ابن فرناس » وقد تفتق ذهنه ان يطير في الجو ، فاخترع طائرة ، ارتقى بها قمة الجبل ، فلما ان ركبها ، هوت به الى اسفل سافلين . فكان اول طيار شهيد في العالمين . ولكنه قضى قرير العين ، دون بلوغ المجد ـ مجد اختراع الطائرة ـ وبذلك كان العرب السباقين الى اختراعها .

وكم كانت لفتة الشاعر الى ابن فرناس ذكية وكريمة ، اذ ذرف عليه دمعة حرى في البيت العشرين :

وممات العظيم خطب جليل غير ان الزمان ياسو الجراحا

وكما ان الزمان ياسو الجراح بالنسيان ، فكذلك كان الشاعر : لقد سلا سليمان وابن فرناس ، وتوجه بعقله وقلبه شطر رائد الفضاء الذي صير المستحيل ممكنا وجعل الحلم حقيقة ، فالقمر الذي كان صعب المنال ، كالعنقاء والخل الوفي ، صعد اليه الصاروخ ، ليهبط رائد الفضاء على سطحه « مستتبا مستانيا » في خطوه ، على احسن



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حال من انشراح الصدر ، فما اتى اليه غازيا وانما جاء سائحا وكاشفا غياهب ما عجزت عنه الدهور والاجيال الغابرة .

اجمل ما في القصيدة ـ بابياتها الخمسين بعد سبعة ـ وصف الصاروخ :

فكان الصاروخ عفريت جن لذعته اللظى فهاج وصاحا
وتلوت احشاؤه وقواه فنزا ينطح المدى والرياحا
قد محا جربه سواد الليالي مستطارا وسود الاصباحا

لكان الشاعر يغمس قلمه بريشة فنان ، اذ يرسم عفريتا مكتويا بالنار ، وقد تمالك قواه وشد على احشائه التي تفجرت من صدره ، ثم انطلق في الزعيق والصياح ، يسابق الرياح ، قائما على وجهه ، يقلب في جربه الليل نهارا والنهار ليلا . تماما كما فعل امرؤ القيس في وصف الليل ، اذ جعله انسانا يتمطى . وما احيلى كلمة « ينطح » ! ولعل الشاعر استعارها من حفلات مبارزة الثيران في اسبانيا ـ فردوس العرب المفقود ـ وما يفوتني ان اهمس في اذنه : ذلك ان الانسان ، وحده ، يكتوي بالنار لانه خلق من طين بينا ان العفريت مخلوق من نار ولا تذعه لظاها .

واعظم بالآلة ـ سبيل المكتشفات والاختراعات ـ تطوع ما في الكون لامر الانسان . يكفي ان يمد يده الى زر الكهرباء ، ليخرج اليه مارد من جان يقول له : « لبيك عبدك بين يديك » :

فاذا رام حاجة في علاه جس من كل آلة مفتاحا

ولا ينسى الشاعر ـ بحكم هوايته للصحافة ومعاناته لها مدة غير قصيرة ـ ان يقدم الينا تحقيقا صحفيا دقيقا مع رائد الفضاء ، مبتدئا بلمحة قصيرة عن تاريخ الرحلة ، منذ اقدم العصور الى يومنا هذا ، حيث شمر رائد الفضاء عن زنده ، مستنيرا بنور العلم لاستكناه اسرار الغيب . وبلا خوف ولا وجل ارتقى الصاروخ ـ عفريت جن ـ ثم استراح على سطح القمر . ولا غضاضة اذا ما كشف عن سره ليجلو حقيقته ، ما به من جمال ـ خلافا لحدس الشعراء والعشاق .

وظل الشاعر يقتفي اثره ، ولم يتطامن عليه الا بعد ان عاد من رحلته ـ سليما كما ذهب ـ تضفره الدنيا باكاليل الغار ، وهو يحمل اليها ، ما استطاع حمله من الصخور الدالة على زيف جمال القمر . وقد نعتها الشاعر بالجواهر لانها غريبة عن اعيننا بالاضافة الى انها « عينات » التربة للدراسة والتحليل .

انطباعاته : وبعد كمال التحقيق ، سجل الشاعر انطباعاته عن الرحلة . وبحرقة ممضة زفر بانفاس حرى ، اشبه بانفاس عنترة ـ الذي طالما رددها بين الطلول بانتظار لقيا عبلة ـ حتى كادت تمحو نقوش المبرد لفرط حرارتها ـ :

عرفوه يا ليتهم جهلوه فمن الظلم ان يصير مباحا

ما أعدل ان يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ! وما الطف الكلمة حين توضع في مظانها . وابدا لم تجد كلمة « ليت » مكانا مناسبا الا في توسطها بين « عرفوه » و « جهلوه » وهل أظلم ممن كان محرما على الجميع ان يصبح مشاعا للجميع ؟ وأية غضاضة اذا ما ركع الشامخ ؟ وهل لقمر العذارى الحسان ان تعفره الاقدام فيكون مرتعا للخيام ومقيلا للوافدين من كل فج وصوب ؟

ويستطرد في صحو الضمير يهتف بنا :

خل تلك السماء فالارض ماوا نا وخل الهموم والاتراحا
فمن الظن ان يصيب ويلقى الـ ـناس في عالم النجوم ارتياحا

فالارض مأوانا ، ولا مأوى لنا غيرها . وأنى لنا الراحة في عالم النجوم فعلام ننقل اليه الهموم والاتراح ؟

وفي مسك الختام ، تحجب الغيوم الكثيفة اطباق السماء ، فيتراءى ضعفنا ، ذلك اننا شموع تحترق لتتراقص حولها الاشباح والاوهام ، فلا نعرف من أمرنا رشدا :

كم بنينا من البقاء زيوفا وهدمنا من الفناء صحاحا
نحن في مسرح الحياة شموع خلف ستر تراقصت اشباحا

وليت الشاعر لم يقف عند هذا الحد ، فلا نجاة لنا بالزهد ـ كما يوحي الينا ـ بل علينا ان نعمل لدنيانا كاننا نعيش ابدا . فما تغني سوداويته عنا شيئا وانما نحن بحاجة الى من يهدينا صراطا مستقيما للحاق بركب الحياة المعاصرة ... من غير اللائق ان يقصر في هذا المجال الرحب الفسيح ، فالشعر ما تنطق به العاطفة ، قبل كل شيء ، وشهرة شاعرنا انه صادق العاطفة ، فهو مخلص في عمله، غيور على ابناء وطنه.

للحقيقة اقول : ان القصيدة لا تخلو من هنات اذكر على سبيل المثال البيت الخامس :

وكان الابراج من طول عهد بركت كالانعام وسنى رزاحا

ولئن كان صحيح الوزن والقافية الا ان الشعراء استنبطوا مخرجا لمستفعلن الثقيلة على السمع فاستبدلوها بمتفعلن ـ كما نهج الشاعر نفسه في اكثر الابيات ـ ذلك ان كلمة « كالانعام » ـ وهي موزونة على مستفعلن لا تروق الاذن . ومثل ذلك كلمة « استقبلت » في البيت الثالث والاربعين :

ورأى من صفاته ما رآه أعصر الكون استقبلت سواحا

وقبل ان اترك للقارىء سبيل الحكم لما قلت آنفا ، فانه لا بد لي من التنويه الى ان القصيدة تمتاز بالجزالة وحسن السبك والبلاغة في التعبير ، بالاضافة الى التزام الشاعر بوحدة الموضوع ، مما لا يجاريه فيه الا القليل ، برهانا على أصالة شاعريته ثم على صدق استقامته ، فما يرضى ـ وهو القاضي الكفء ـ ان « ينط » على حبال متعددة وانما آيته ان يوفي الموضوع حقه ... وكفاه بذلك فخرا !

مصياف ـ سورية **مصطفى الخش**

•

اعيان القرن الثالث عشر

تأليف خليل مردم بك ـ قدم له وعلق حواشيه عدنان مردم بك ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر لجنة التراث العربي ـ الطبعة الاولى ـ عام ١٩٧١ ـ بيروت

خليل مردم بك من اشهر الادباء في القرن الرابع عشر الهجري ، وصاحب مدرسة ادبية كبيرة في بلاد الشام خلال هذا القرن ، وشاعر وناقد في الطليعة من بين ادباء العروبة ، عاش اربعة وستين عاما (١٨٩٥ ـ ١٩٥٩) قضاها كلها في خدمة الادب والمعرفة ، وتولى رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق ست سنوات قبيل وفاته (١٩٥٣ ـ ١٩٥٩) . واختير عضوا في اكثر المجامع العلمية في العالم العربي ، وترك مؤلفات جليلة ، من بينها : شعراء الشام في القرن الثالث ، واعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، وجمهرة المفنين ، والاعرابيات ، وديوان شعر مشهور بديوان خليل مردم بك ، واصدر سلسلة ائمة الادب ، وقد صدر منها اعدادا عن : الجاحظ ـ وابن المقفع ـ وابن العميد ـ والصاحب بن عباد ـ والفرزدق . وحقق الدواوين الشعرية العديدة ، ومن بينها : ديوان ابن عنين ، وعلي بن الجهم ـ وابن حيوس ، وابن الخياط .

ولا يزال رهن الطبع كتاباه : الشعراء الشاميون ، وشعراء الاعراب .

ويعد خليل مردم بك من طبقة الاعلام والاصلاء في الادب العربي الحديث .

وكتاب اليوم « اعيان القرن الثالث عشر » من اجل ما الفه خليل مردم من مؤلفات ، وقد تناول فيه اشهر اعلام القرن الثالث عشر في مختلف البلاد العربية ، وفي شتى جوانب الفكر والاجتماع والسياسة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشمل نحو مائتين وثلاثين علما ، من اشهرها : محمود شهاب الدين الالوسي ، وصالح مجدي بك الشاعر المصري المشهور ، ومحمود صفوت الساعاتي ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الوهابية ، وعبد الله بن حسن الجبرتي ، وعلي الدرويش الشاعر ، والشيخ حسن العطار شيخ الازهر ، وتلميذه الشيخ حسن قويدر ، والشيخ المهدي ، والشيخ الشرقاوي وهما من مشايخ الازهر ، والشيخ البيجوري ، ورفاعة الطهطاوي ، والشيخ ناصيف اليازجي ، ومارون النقاش ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ عليش ، وغيرهم من الشعراء والادباء والعلماء ورجال السياسة في انحاء العالم العربي .

وترجمات الكتاب تمتاز بالايجاز والتركيز والدقة ، وتحديد الملامح الشخصية لكل من ترجم لهم ، او تحدث عنهم .

ويعد الكتاب دائرة معارف عامة عن اعيان القرن الثالث عشر الهجري ، هذا القرن الحافل بكل جديد في الادب والفكر والثقافة في مختلف انحاء البلاد العربية ، بل وفي بعض البلدان الاسلامية .

ويمتاز بوضوح الاسلوب ، واستقامة الفكرة وسلامتها ، وتحديد ملامح الشخصيات التي تناولها تحديدا تاما .

ويحتوي الكتاب على كثير من النماذج الادبية والشعرية الجليلة الطويلة والقصيرة على حد سواء .

وقد صدر نجل المؤلف الكبير الخالد ، الشاعر عدنان مردم بك ، كتاب والده بمقدمة ضافية تحدث فيها عن الكتاب ومؤلفه حديثا طويلا ممتعا .

وهذه احدى ترجمات الكتاب ، وهي ترجمة قصيرة للجبرتي المؤرخ المشهور ..

قال الاستاذ خليل مردم بك في ترجمة هذا العلم المشهور :

« ولد في مصر سنة ١١٦٧ هـ ، واشتغل بطلب العلم في الازهر ، ولما دخل مصر بونابرت طاغية الفرنسيس جعله من كتبة الديوان ..

انقطع الى الكتابة والتاليف في آخر حياته ، وهو صاحب التاريخ المسمى « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ، ذكر فيه حوادث مصر منذ فتوح السلطان سليم الاول لمصر عام ٩٣٢ هـ الى غاية ١٢٣٦ هـ مع تراجم الاعيان المشهورين . وقد ادخل فيه قسما كبيرا من تاريخ آخر ، وصنف فيه وقائع بعثة بونابرت الى مصر ، دعاه « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » ، كتبه عام ١٢١٦ هـ . وقتل احد اولاده في حي شبرا ، فبكاه بكاء مرا افقده البصر ، ولم يلبث ان درج على اثره ، وقيل انه توفي مخنوقا سنة ١٢٣٧ رحمه الله تعالى » ـ ص ١٤٤ .

وبهذا الوضوح والتركيز والايجاز جاءت ترجمات الكتاب كله .

لقد كان لبلاغة اسلوب المؤلف اثر في كتاباته التاريخية في هذا الكتاب .

وصلة التاريخ بالادب ، والادب بالتاريخ ، صلة معروفة ، فالادب للتاريخ ضرورة لازمة لصياغة الحدث التاريخي ، فضلا عن ان التاريخ لاديب او شاعر او ناقد ، يحتاج الى ذوق اديب ، وحس ناقد ، وتصوير شاعر . وقد يجمع المؤلف مواد التاريخ من اشتات كتب الادب ومصادره ، التي تعد موسوعة ، ثقافية عامة تؤرخ لذوق الامة وفكرها وثقافتها ، ولحياة مجتمعها ، تاريخا واضحا .

ولا ينقص المؤلف البراعة في الاسلوب ، ولا القدرة الفنية على التحليل والتصوير ، فهو شيخ كبير من شيوخ الادب في عصره ، وعلم من اعلام البيان في زمنه ، وهو من الجيل الرائد الذي ترك آثاره على كل جانب من جوانب حياتنا الراهنة .

وكم كنا نحتفي منذ صغرنا بادب خليل مردم وكتاباته وتآليفه ، واني لاذكر ان من اوائل الكتب التي احببتها وتاثرت بها في نشاتي الادبية ، كتابيه عن الجاحظ وابن المقفع ، اللذين قرأتهما مرارا ، ثم كتابه عن ابن العميد .

وفي اثناء رئاسته للمجمع العلمي العربي بدمشق ، نهض هذا المجمع برسالته ، واداها خير اداء .

وقد عاش مع المجمع العلمي العربي اكثر من ثلث قرن : عضوا فيه ثم امينا لسره ، ثم رئيسا له ، وشغل منصب وزير التعليم والتربية في سوريا مرات كثيرة ، ثم منصب وزير للخارجية ، وغير ذلك من المناصب الكبرى التي كان لها كل تاثير في ثقافته وشخصيته وفي تجاربه الادبية العميقة .

والكتاب يسد فراغا كبيرا في الدراسات الادبية والتاريخية عن القرن الثالث عشر ، هذا القرن القريب منا ، والشديد الغموض في كل جوانبه لعدم العناية بتدوين مختلف اخباره وآثاره ، ولا تستطيع ان ترجع الى مصادر كثيرة ، في دراسة اعلام هذا القرن ، وقد يكون هذا الكتاب المركز الموجز من ادق ما كتب عن اعلامه ، وامتع كتب الترجمات المؤلفة عن اشهر رجال الفكر والسياسة والاجتماع والادب فيه .

اننا مدينون للاستاذ الكبير عدنان مردم بك بظهور هذا الكتاب ، الذي سوف يكون له اثره في مختلف الدراسات الادبية والثقافية والتاريخية .. والذي يشارك كل اديب ومثقف محققه الفاضل في الاعتزاز به وتقديره ، لانه لا يخص الاب خليل مردم بك ، وانما لانه يخص الاديب والمفكر خليل مردم ، الذي يستمد اليوم من معيشه وثقافته كل كاتب واديب وانسان في مختلف بلاد العروبة .

الرياض — **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

كتب جديدة

١ ـ الليالي

عندما ينقل الشاعر اعمال شاعر آخر ، ولو من اقاصي الارض ، فانه

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

غالبا ما يوفق في تصديه ، ذلك ان احساسات الشاعر لا يستطيع ان يترجمها الا شاعر عانى هذه الاحساسات نفسها ، وتفاعل بها ، فكيف اذا كانت التجربة واحدة والروح والعواطف واحدة .

ورغم ان « الليالي » ـ رائعة الشاعر الفرنسي المشهور الفرد دي موسيه ـ مضى على تأليفها زمان ليس باليسير ، وان كاتبها المتألم الحزين الباكي في حبه لجورج صاند ، لم يعد يصلح لعصر كعصرنا اعتنق كتابه وشعراؤه مذاهب جديدة غير الرومانتيكية ، كالواقعية ، والواقعية الجديدة فان الفرد دي موسيه يبقى له قراؤه . ويبقى له عشاقه ومريدوه الذين لا يستهويهم ادب مثل ادب الشوق والحزن والالم والانكسار . ومن هنا كان اقدام الشاعر الاستاذ وجيه الخوري على ترجمة الليالي قبل عدة سنوات ، ولكنه لم يدفع بالترجمة الى المطبعة حينذاك ، بل طواها في ادراجه المليئة بعشرات القصائد التي تنتظر ان يضمها ديوان ثان بعد ديوانه الاول « عبرات الشباب » الذي صدر عام ١٩٢١ كما طوى كتابه المخطوط « مشاهير حمص » المعد للطبع ، ويقع في اكثر من جزء واحد . وبالحاح من اصدقائه الكثر آثر ان يدفع بكتاب « الليالي » الى المطبعة التي حرمت من آثاره خمسين عاما قضاها في النظم والترجمة والتاليف والتصنيف .

و « الليالي » حكاية حب بين الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه والكاتبة الفرنسية جورج صاند ، لم يطل امدها اكثر من سنة وبعض السنة ، حاول فيها الشاعر ان يصف الالم الذي لقيه من جراء هجر حبيبته له ، وهو لما يبل من مرضه بعد ، متهما اياها بالخيانة التي ارتكبتها دون مبرر ، سوى انها بمجرد نظرة عشقت شخصا آخر غريب الوطن واللغة ، وذهبت لتعيش معه تاركة الفرد دي موسيه يتقلب على فراش المرض في ديار غربته . ولقد علق الكثيرون من الكتاب والشعراء على هذه الحادثة ، فمنهم من اتخذ وجهة الدفاع عن الشاعر ، ومنهم من دافع عن الكاتبة ، حتى ان بعض خصومها اتهمها بانها كانت تنشد الحب الكامل ، بدليل تقلبها في احضان الكثيرين من العشاق ، لانها وجدت في كل واحد منهم نقصا من جهة .

اما هي فقد ادعت بانه هو الذي بدأ بتركها ، لانه لم يعد قادرا على الحياة معها ، بسبب سهره المتواصل ، وانهماكه في الملذات والشراب ، مما افقده صحته وقوته وجعله يسأم الحب .

لقد خاطب موسيه في لياليه هذه ملهمة الشعر التي جعل منها المؤاسية ، والتي كانت في كل احاديثها معه تصف له الحقيقة كما هي فعلا ، لا على ما تصورها هو ، وتدعوه الى النسيان وعدم الاستمرار في الاسى لاي ذنب يؤدي به الى الياس المميت ، وانه ليس من جديد في الحياة ، فمثل هذه الحادثة تتكرر كل يوم ، وعلى المرء ان يتقبل ذلك برحابة صدر . وتجرد عن الانانية والكبرياء التي تنهشه .

ان من يقرأ الليالي يجد فيه من الدقة في التعبير ، والخيال الواسع ، والعبقرية الفريدة ما يرفع هذا الشاعر الى مصاف الشعراء العالميين الخالدين ، ويرى ان « الليالي » قطعة موسيقية من شعر الحياة ستظل القلوب المنكسرة توقعها على قيثارة الاجيال في كل العصور ، وعلى مر الادهار .

٢ ـ الميادين لفرسانها

ديوان شعر للشاعر صابر فلحوط يقع في حوالي مئة صفحة من القطع الوسط ، تبرع بريعه للمجهود الحربي في سورية ، وتولت ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في وزارة الدفاع طبعه وتوزيعه ، وقد اهداه « الى الذين يؤمنون بحرب التحرير الشعبية سبيلا الى النصر ... الى الذين يسقون بدمائهم جذور تاريخنا المطشى ... الى جنود الثورة ، وفدائيي التراب ، وطلائع الفجر .. » . ويختلف هذا الديوان عن سابقيه : « البراكين » « موج البطولة » « نشيد الثوار » « بيدر النجوم » بانه من شعر التفعيلة الحديث ، ويخلو خلوا تاما من أية قصيدة عمودية . ويبدو ان اقامة الشاعر في صوفيا عاصمة بلغاريا ثلاث سنوات ، ملحقا ثقافيا ، حيث نال شهادة الدكتوراه في الآداب ، جعلته يكب على قراءة الشعر البلغاري وسواه ، فتأثر به الى حد بعيد ، بدليل انه ترجم في آخر الديوان ثلاث قصائد : الاولى « المقاومة في فلسطين » للشاعر البولوني « ايفان روسه » والثانية « الجولة القادمة » للشاعر الالباني « جرجس فون » والثالثة « حزيران الاصدقاء » للشاعر اليوغسلافي « خريستو اليف » ، وهي كما نرى تعكس مأساة فلسطين ، ونكبة حزيران لدى شعراء العالم الاصدقاء ، الذين آلمتهم المأساة والنكسة ، فكانت قصائدهم ، وهذه القصائد الثلاث نماذج لها ، صدى للالم الذي تفلفلت شظاياه في افئدتهم ، وقد آثر ان ينقلها الى العربية شعرا موزونا لتنسجم مع باقي قصائد الديوان الموضوعة .

٣ ـ خميلة في صحراء العمر

اما ديوان « خملية في صحراء العمر » للشاعر محمد كناكري ، فلا يشده اي نسب لديوان « الميادين لفرسانها » السابق . ديوان صغير من القطع الوسط يقع في ١٩٩ صفحة . الا ان قصائد الشاعر لم تحتل منها الا ١٢٤ صفحة فقط . قد تسألني والصفحات الخمس والسبعين ماذا ضمت ؟ فأجيبك : مقتطفات مما قاله الكتاب والنقاد ـ ان كان عندنا من نقاد ـ في ديوان الشاعر الثاني « عتابنا غزل» بينهم المعرفة ، وبينهم النكرة ، ومع ذلك فالشاعر يعتذر عن « تكثيف افكار الدراسات النقدية المنشورة » ويقطع على نفسه عهدا « بنشرها كاملة في الطبعة الثانية لديوان « عتابنا غزل » .. اذ ما من شك ان مكانها الطبيعي هنالك » . وهكذا ترى ان الديوان لم تكن غايته ضم قصائد الشاعر الثلاث والعشرين فحسب ، وانما ان يأتي مرآة للديوان السابق وصاحبه . وجدا لو اقتصر هذا الحشد على اسطر متفرقة اثبتها على صفحة الغلاف الاخيرة ، كما اعتاد ان يفعل غيره من الشعراء ، اذن لازاح عن كاهل القارىء هذا العبء الثقيل من الآراء المكتظة . قصائد الديوان غزلية في مجملها ، فيها الحيي الخجول ، وفيها الصريح الجريء ، حافظت على أبحر الخليل لم تشذ واحدة ، وقد اخرجت الديوان دار « غراتيب » بدمشق في حلة لا أبدع ولا احلى تدل على الذوق الرفيع الذي اعتمدته هذه الدار وجعلته شعارا لها .

دمشق — عيسى فتوح

قضايا ومجادلات

مجموعة شعرية

ثريا ملحس

٢٨٠ صفحة حجم كبير — ٦ ل. ل.

دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● كعب بن مالك ، الصحابي الاديب ـ تاليف عبد العزيز الرفاعي ـ مصمم الغلاف حمد كليب الحارثي ـ ١٢٨ صفحة ـ الكتاب رقم ٤ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ (صدر في الرياض) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مع البخلاء : عرض دراسي لكتاب الجاحظ ـ تاليف فاروق سعد ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ مطابع الامان بدرعون لبنان .

● التعاون الاقتصادي العربي في المجال البترولي ـ تاليف الدكتور محمد عبد العزيز عجمية رئيس قسم الاقتصاد وعميد كلية التجارة بجامعة الاسكندرية ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● العمارة العربية الحضرية بالشرق الاوسط ـ تاليف المهندس حسن فتحي ـ ٤٨ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● دور الجامعات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ تاليف الدكتور محمد زكي شافعي استاذ الاقتصاد بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٣٠ صفحة و٦ صفحات باللغة الانجليزية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● الموسوعة الموجزة ـ تاليف حسان بدر الدين الكاتب ـ المجلد ١ ـ الجزء ٢ حرف الباء ـ ٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● الناس والعيب ـ مجموعة قصص ـ تاليف عنتر مخيمر ـ الغلاف بريشة عبد الرحمن نور الدين ـ ٩٨ صفحة ـ مطبعة الشرق عبد النبي بالزقازيق مصر .

● انين القيثار ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ مع تحية شعرية لاحمد رامي ـ صمم الغلاف حسين ابو زيد ـ ٨٨ صفحة ـ مطابع الدجوي بالقاهرة .

● الدوامة ـ قصة ـ تاليف غبريال وهبة ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● العلاقات المشتركة بين الرجل والمراة ـ تاليف سمير عبده ـ ١١٢ صفحة ـ السلسلة الجنسية المصورة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته ـ تاليف الدكتور عدنان الخطيب ـ ١٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● فوزي المعلوف (١٨٩٩ / ١٩٣٠) سيرته ، ادبه ، فنه ـ تاليف صموئيل عبد الشهيد ـ رسالة ماجستير ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات العالم العربي ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● تولستوي فنانا ـ تاليف الدكتورة حياة شرارة ـ ١٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .

● انت لولاي رماد ـ مجموعة شعرية ـ هدى صليبا ـ تقديم عبد اللطيف شرارة وجان كميد ـ صمم الغلاف وخط العناوين مجيد الحايك ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ مطبعة الجمهورية الجديدة ببيروت .

● المعلم علي ـ رواية ـ تاليف عبد الكريم غلاب ـ ٤١٦ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصوت والاصداء ـ مجموعة شعرية ـ محمد رضا آل صادق ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم العراقية على نشره ـ مطبعة الاداب في النجف الاشرف بالعراق .

● في تاسيس النقيض ودراسات وردود ـ تاليف عدنان بن ذريل ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الاجيال (بدمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصلح سيد الاحكام ـ رواية ـ تاليف حسن حمام ـ ٣٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع دار مكتبة الحياة والنشر ببيروت .

● في موكب الايام ـ مجموعة شعرية ـ خليل الليثي ـ تصدير الدكتور عبد الصبور مرزوق ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة الكيلاني بالقاهرة .

● في غيابة الجب ـ مجموعة شعرية ـ محمد بهار ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الاقصى بعمان الاردن ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لبنان ان حكم ـ تاليف سعيد عقل ـ طبعة ثانية ـ ٣٠٨ صفحة ـ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ـ المطبعة البوليسية في جونيه لبنان .

● رندلى ـ مجموعة شعرية ـ سعيد عقل ـ طبعة رابعة ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اجراس الياسمين ـ مجموعة شعرية ـ سعيد عقل ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاسم الاخر لله : كتاب المحبة ـ تاليف جوزيف طوبيا ـ ١١٢ صفحة ـ مطابع الكريم الحديثة في جونية لبنان .

● كيم ايل سونغ عبقرية من الشرق ـ تاليف ابراهيم شماس ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات المؤسسة الصحفية للعلاقات والثقافة ببيروت ـ مطابع الهدف ببيروت .

● كيف نجحوا ـ تاليف ايليا حليم حنا ـ تقديم الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ رسم وتصميم ثريا العجيزي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة ـ مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● ذكرى الشيخ اغا بزرك الطهراني ـ بقلم نخبة من ادباء كربلاء ـ ٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف بالعراق .

● قصائد حب على بوابات العالم السبع ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ الغلاف والرسوم لهاشم سمرجي ـ ١٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٣ من سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● رابعة العدوية ـ مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع الامان بدرعون لبنان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـــين

بقلم عامـر محمد بحيري

* * *

جناية شوقي ...

لشوقي رحمه الله علي فضل كبير ، فقد كان احـد الشعراء الاربعة الذين تاثرت بهم في مطلع حياتي الادبية ، منـذ الثانية عشرة ، وحتى العشرين من عمري ، وهو اوان وفاته عـام ١٩٣٢ .. وكان الثلاثـة الآخرون هم حافظ ابراهيم من المعاصرين ، ثم ابو العـلاء ، والمتنبي ـ على هذا الترتيب ـ من السابقين ..

وامتدت علاقتي به ، وفضله علي بعد ذلك ، على صور شتى .. كان من اهمها تاثري بمسرحياته الشعرية ، التـي ظهرت في الفتـرة الاخيرة من حياته ، وعاصرت اتصالـي الاول بشكسبير ، في اواخـر الدراسة الثانوية ، واوائـل الفتـرة الجامعيـة ، فجمعت بين الفنين ، واستطعت على مدى سنوات العمر الطويلة فيما بعد ، ان اعمـل في بعض روائع شكسبير هذه المحاولة الفنيةالدقيقة ، لنقلها الـى المسرح الشعري العربي الحديث ، الذي كان لشوقي الفضل الاكبر في نشأتـه وازدهاره ..

كما كان من اهم صور هذهالعلاقة ايضا ، وذلك الفضل .. انني حصلت في عام ١٩٦٠ على جائزة شعرية قيمة من الدولة تحمـل اسم « جائزة شوقي » .. انشأتها لجنة الشعر بالقاهرة على عهد الاستـاذ العقاد رحمه الله .. وهي مفارقة ضخمة .. للخصومة الجهيرة التـي ظلت قائمة بين العقاد وشوقي .. وقد حصل على هذه الجائزة فيمـا بعد زميل وصديق هو الشاعر الكبير صالـح جودت .. ثـم حجبت الجائزة لاسباب لا اعلمها .. وان كنت احس الخسارة الادبية الفادحة، في حجب مثل هذه الجائزة التي تستمد قيمتها من اسم صاحبها ، دون سواه من اسباب ..

ازاء هذه العلاقة الوثيقة ، وذلـك الفضل الكبير .. كان مـن المفروض ان اتحدث عن شوقي حديث الاطـراء والاعجاب ، واذكـره بكلمات التقدير والاجلال .. وهذا ما التزم به دون شك ، حين اتحدث عن شعره وفنه ومنزلته .. حتى عندما عرضت اخيرا للخصومة التـي قامت بينه وبين العقاد .. في كتاب معد للطبع بعنوان « بين العقـاد وشوقي » .. فاني لم احد عن جادة الحق .. فحينما جاريت العقاد في وجهة نظره ، لم ابخس شوقي في نفس الوقت قدره ولا مكانته .. وعندما عرض علي يوما في وزارة الثقافة ، كتاب لاحـد المقربين مـن شوقي ، ووجدت فيه صورا من الحياة الخاصة للشاعر الكبير احسست بالمرارة لان يخرج مثل هذا الكتاب عنه اديب يزعم انه وثيق الصلـة به .. فقد اهتزت امامي صورة شوقي الذي اعرفه ، شاعـر القومية العربية والاسلامية ، وداعية الوطنية المصرية ، ورسول الحكمة والاخلاق الفاضلة .. فكتبت تقريرا برفض الكتاب ، حتى تبقـى صورة شوقي ثابتة غير مهتزة امام اعين الشباب ..

على ان « جناية شوقي » .. التي عنيت التحدث عنها في هـذا المقال ، ورأيتها الجانب الاجدر من سواه بالحديث في هذا الحصاد .. شيء آخر .. غير فنه العالي ، ومسرحه الباقي ، وموقفه من معاصريه ، وموقف معاصريه منه .. انها شيء يمتد بعد ذلك ، حتى يؤثـر فيمن جاءوا بعد شوقي ، ورأوا تلك الهالة الكبيرة التي كانت تحيط بـه ، والضجة العالية التي كانت ترتبط بشخصه ، وبشعـره .. وذلـك المهرجان الحافل الذي اقامه ادباء البلاد العربية وشعراؤها عام ١٩٢٧، « لمبايعته » بلقب « امير الشعراء » .. حتى قال فيه حافظ يومئـذ بيته المشهور :

أمير القوافي ، قـد اتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي!

ثم هذا المهرجان الكبير التالي ، الذي اقيم بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، لرثاء شوقي وتأبينه حتى وقف فيـه شاعـر لبنان الكبير ، بشارة الخوري رحمه الله .. يقول :

قف في ربى الخلد، واهتف باسم شاعره فسدرة المنتهى.. ادنى منابره!

وقد شاءت الاقدار ان تعفي حافظ ابراهيم من هـذا الموقف .. فماذا كان عساه يقول في رثاء شوقي ، بعد بيته السابق في مبايعته ؟ اما شوقي نفسه فقد كان يتطلع الى هذا الموقف الذي حرمتـه منـه الاقدار .. وذكره حين رثى حافظا قبل موته هو بشهرين وبضعة ايام.. حيث قال يخاطبه :

قد كنت اوثر ان تقـول رثائـي يا منصف الموتـى مـن الاحياء !

مات شوقي على اية حال .. بعدحياة خصبة ، عريضة .. بلـغ فيها اقصى ما يتمناه شاعر عربي ، ولقب « بأمير الشعراء » .. واكبر ظني في هذه التسمية ـ وهذا رأي لم أره لاحد من قبل ـ ان شوقي كان يطمع في لقب آخر هو « شاعر الامراء » ، اذ كان في حياته اقرب الى الاسرة الحاكمة في مصر يومئذ ، وكان المتحدث في قصائده بلسانها، المشابه في حياته ، ومظهره ، وثرائه لافرادها مـن الامراء .. فحدث برغمه هذا التعديل في اللقب ، الذي جعله اميرا على الشعراء ، ولـم يكن هؤلاء في ذلك الوقت الا فئة مستضعفة ، بالاضافة الى مركـزه الجهير الذي اقترب به من القصر ، في حين كان حافظ ، الثاني لـه في المكانة مباشرة ، والمنافس له على مركز الصدارة في الشعر امدا طويلا، لا يزيد على كونه شاعر « البؤساء » !

على اية حال ، فقد خلا الجو بعد وفاة شوقي .. وتطلع الشعراء من كل جانب يفكرون فيمن يتصدر لشغل هذا المقعد الخالي .. حتـى هؤلاء الذين حاربوا شوقي عليه ، وانكروا ان يكون للشعراء ، المفكرين، الملهمين ، ذوي الشفافية الروحية والوجدانية .. امير ، يتخذ سمت الحاكم المسيطر ، والآمر الناهي .. تطلع هؤلاء وهؤلاء .. الى هـذا المقعد الخالي ، منهم من يحمل المؤهل له ، ومنهـم مـن لا يحمل .. ولست ادري ماذا كان يعتمل في صدور الشباب مـن زملائي في ذلـك الحين .. ولكني لا ابرىء نفسي من تهمة الغرور ، كما ذكرت ذلك من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل ، وهي تهمة قد تكون شرفا في بعض الاحيان ، اذا اثبتت قرائن الاحوال ، صدق الدوافع المؤدية اليها ..

.. واقيم حفل في مسرح حديقة الازبكية في مساء الجمعة السابع والعشرين من ابريل ، عام ١٩٣٤ .. لتكريم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. وتكلم فيه استاذنا الجليل ، الدكتور طه حسين ، مانحا العقاد امارة الشعر .. وكانت مناسبة الحفل هي « النشيد القومي » الذي ألفه العقاد يومئذ .. ومطلعه .. « قد رفعنا العلم ».. والذي يقول صديقي واخي عبد الحميد لطفي (اللواء فيما بعد) ، والذي كان طالبا في الحقوق ، وملازما لندوة العقاد مع زميله المرحوم حمادة الناحل المحامي .. انه اول من طلب الى العقاد ان ينظمه ، وانضم اليه سائر الشباب الحاضرين ، فاستجاب العقاد لهذه الدعوة ، ونظم النشيد ..

تلقاني صديقي عبد الحميد لطفي على درج كلية الآداب ، في صبيحة السبت الثامن والعشرين من ابريل .. فناداني بصوته الجهوري ، الطلق ، المرح .. فقال :

ـ هيا يا معشر الشعراء .. سارعوا الى الاستجابة لنداء عميدكم ، وانضووا تحت لواء امير شعرائكم .. العقاد !

ورأى الصديق على وجهي انكارا لما يقول .. رغم ما يعرفه من تقديري للعقاد منذ ذلك الوقت الباكر ، الذي كانت تنهال عليه فيه سهام المحاربين من كل جانب .. فراح يستطلع سبب انكاري ، حتى علم انني لم اشهد الحفل الذي اقيم الليلة البارحة .. وانني بنيت عدم حضوري على رفضي للفكرة في ذاتها .. فكيف يكون للشعراء امير؟ الم يكف ما جرته امارة شوقي ، التي كانت تشبه الوظيفة الاحتكارية امدا طويلا .. ثم تخلصنا منها .. حتى نعود بانفسنا ـ نحن معاشر الشعراء كما سمانا الزميل ـ فنضع القيد في ايدينا مرة اخرى ؟.

اين « حرية الشاعر » .. التي عبرت عنها يومئذ في قصيدة باكرة قلت في مطلعها :

حرروني كما تحرر شعري ... فلقد ضاق بالتقيد صدري
واتركوني كما اشاء قليلا ... فكفاني اني اعيش لغيري

هذا عن العقاد ، وامارة الشعر !

ولم اكن اريد الخروج عن حدود مصر .. على انه ما دام اللقب مغريا الى هذه الدرجة ، فمن الخير اذا ان تعطى الفرصة فيه لكل بلد عربي على حدة .. وهكذا كان دور لبنان ، هو التالي .. وسمي الشاعر الكبير بشارة الخوري ، رحمه الله ، اميرا للشعراء في لبنان .. وقد ذكرت فيما سبق ، ان معرفتي بالخوري ، وتقديري لشعره كانا مبكرين، يصحبان معرفتي بشوقي نفسه .. وذلك منذ رثائه لسعد زغلول ، الذي حفلته في الخامسة عشرة ، وفيه يقول :

قالوا دهت مصر دهياء، فقلت لهم ... هل غيض النيل، أم هل زلزل الهرم
قالوا أشد وأدهى.. قلت ويحكم ... اذا لقد مات سعد.. وانطوى العلم

وظل اعجابي بالخوري بعد ذلك متصلا .. حتى كانت قصيدته الرائعة في رثاء شوقي .. التي كانت اروع ما قيل في حفلات التأبين الكبيرة التي اقيمت بالقاهرة عقب وفاته ،وشاركت فيها وفود البلاد العربية التي منحته لقب امير الشعراء قبل خمس سنوات .. تلك القصيدة التي يقول فيها بشارة الخوري بيته المشهور :

سألتنيه رثاء ، خذه من كبدي ... لا يؤخذ الشيء الا من مصادره

ولعل استاذنا الكبير عزيز اباظة .. الذي اثرى ميدان الشعر العربي ، بمسرحياته التي اربت على العشر ، والتي اتم فيها ما بدا شوقي في ميدان الشعر المسرحي .. يكون اليوم احق من تطلع الى هذا اللقب .. ولدي على ذلك شاهدان ..

الاول ، قصيدته الرائعة التي القاها اخيرا في لبنان .. في رثاء بشارة الخوري نفسه .. والتي بناها على معارضة قصيدة الخوري السابقة في رثاء شوقي .. وكأنه ـ امد الله في حياته الطيبة المباركة ـ يقول للشاعرين السابقين الباسقين .. « انا شجرة الشعر بعدكما ».. والتي يقول في مطلعها ، متلاعبا بمطلع الخوري ايما تلاعب :

قف في ربى الخلد، واهتف في مقاصره ... بشاعر ملأ الدنيا .. كشاعره،

وهي قصيدة طويلة ، وجميلة .. يعجبني دائما ان اقف منها عند ابيات يصف فيها عزيز زيارته لبشارة الخوري في مرضه ، واستعرافه له (أي تعريفه اياه بنفسه) ، وتحيته لآله وصحبه .. في روعة بيانية محببة .. فيقول :

لم انسه حين افضينا له فمضى ... وللردى رفرفات في مقاصره
والداء محتكم ، والحول منحطم ... واول النزع يحبو صوب آخره
وحوله الله .. يلقى في عقيلته ... من لطفه السمح ، عذرا عن مقادره
تفيض عطفا واشفاقا وخافقها ... يذوب كالكرم في راووق عاصره
في منزل.. لو ضمير الشرق انصفه ... لاعتده الشرق ركنا من شعائره
لم انسه حين افضينا له فمضى ... يعتامنا بكليل الطرف فاتره
وقال من أنت؟ فاستعرفت فاتلقت ... لحاظه ، ثم غامت في محاجره
وقال هل كنت من صحبي؟ فقلت اجل ... كصحبة العشب الظامي لماطره
وراح صحبي، وهم مثلي ذوو نسب ... بفنه .. وبنو موشى سامره
فطارحوه ، وسافوا من جياهره ... فاهتز ينثر عقدا من جواهره
وعاد كالمرح النشوان.. ثم طفت ... عليه وعكة ذاوى الروح حائره
ما رابه الدهر الا زاده عظما ... كالطيب يزداد طيبا في مجامره
ثم افترقنا ، وادري ان نازلة ... ترقى الى عشه الحالي وطائره
ونحذر الموت ، لا نألو له حذرا ... والموت اقرب شيء من محاذره

ولا بد من شرح بعض الكلمات الصعبة ، فعزيز اباظة سيد اللغة .. وقد شرحت قوله الآن .. « استعرفت » .. وهو يتبع ذلك بلفظ « أتلقت » .. بادغام الهمزة في التاء ، واصلها أتلقت ، وظني انها اسهل .. اما قوله « جياهرة » .. فيشرحه ان الجهير والجهيرة من معناهما الجميل الانيق .. وقد سألت يوما صديقي الاستاذ الناقد الدكتور محمد مندور رحمه الله ، عن مسرح اباظة الشعري ، فقال انه يغرب في الفاظه الى درجة لا داعي لها .. وطلبت مثلا ، فقال لي ان « هيهات » في ذاتها كلمة لغوية صعبة على المسرح ، ومع ذلك فلا يقولها عزيز الا بالهمزة .. « ايهات » !

اما الشاهد الثاني ، على تطلع عزيز الى امارة الشعر ، فهو مقال بليغ قرأته في صيف العام الماضي (١٩٧١) ، في الملحق الادبي لصحيفة « الاخبار » بمصر .. ومما يؤسفني كثيرا انني لم احتفظ بذلك العدد الذي حول المقال .. فهذا المقال هام من جوانب متعددة .. كاتبه هو القاص الكبير محمود تيمور ، صاحب الاسلوب الرائع ، وقد افرغ في مقاله من تصويره ، وشعوره الفياض ، ولفته المتنقاة الشيء الكثير .. واما موضوع المقال فهو مقارنة .. « بين شوقي وعزيز » .. وقد مضيت اقرأ هذا المقال ، وانا جد مشغوف بالمقارنة ، وبما وضع الكاتب نفسه فيه من حرج هذه المعادلة الصعبة .. حتى لاذكر انه وصف شوقي بالقماءة .. الى جانب ما هو معروف عن عزيز اباظة من شخصية فارعة الطول ، مشرقة القسمات .. كما قارن بين لكنة شوقي وطلاقة عزيز .. وهو وصف في ذاته قصصي وجميل ، ومن الناحية الواقعية ، يشتمل على كثير من الصحة ، التي لا يمكن انكارها اذا كان في موضع الكاتب مصور فوتغرافي .. اما الاديب الناقد ، فليس من الضروري لكي يرفع جانبا ، ان يخفض الآخر .. وقد ذكرني ذلك بحملة العقاد على شوقي في كتابه « الديوان » .. وودت لو ان تيمورا لم يجنح الى ما ذهب اليه العقاد ، ولست ادري ايهما كان اقسى عليه من صاحبه.. الا ان خلاصة الامر عندي ، هي ان شوقي قمة ، كما ان عزيز اباظة الآن يرتفع الى ذات القمة ، وكذلك كان العقاد ، وكذلك تيمور .. وليس عزيز الذي سقت الآن مثلا من رائع شعره في بشارة ، بالذي يحتاج الى هذا التصوير الفوتغرافي كله ، لاظهار ان منزلته في الشعر تفوق منزلة شوقي ..

ومن الطريف ، بعد ان تحدثت عن هذه القمم التي تطلعت ، وما زالت تتطلع ، الى لقب « امير الشعراء » بعد شوقي .. كمطران الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمي شاعر الاقطار العربية ، بعد ان كان شاعر القطرين فقط .. وكالزهاوي في العراق ، والخوري في لبنان ، والعقاد وعزيز اباظة في مصر .. ان اتحدث عن الجيل التالي من الزملاء ..

لست أشك في ان الصديق الشاعر صالح جودت ، من المتطلعين الى هذا اللقب ، وعندما حصلت على جائزة « شوقي » في الشعر عام ١٩٦٠ ـ وتسلمتها في عيد العلم السادس الذي حصل فيه العقاد على جائزة الدولة التقديرية ـ كان صالح هو المعارض الوحيد لمنحي هذه الجائزة في لجنة الشعر .. ولكن عندما تقدم هو لنيلها عام ١٩٦٤ ، وحصل عليها ، كتب في صحيفة الاهرام انه نال جائزة « امير الشعراء ».

ولست أشك في ان الصديق صلاح عبد الصبور ، وهو من الجيل الصاعد ، بعد الجيلين الهابطين .. يرى الآن انه صاحب حق في اللقب، وليس صاحب تطلع اليه فقط .. فاذا تواضع الصديق بعض التواضع، رأى انه امير على اصحاب الشعر الجديد فقط ، ولكن باعتبار ان ما بقي من الجيلين الهابطين قد اصبح جثثا ، وهامات عدا عليها نائب الدهر .. ولست ادري ان كان شعراء الطليعة الآخرين ، وقد عاد بعضهم اليوم لمهاجمة الشعر « العمودي » ، في شخص الجواهري وغيره من شعراء مهرجان دمشق ، يفعلون ذلك ليثبتوا امارة صلاح عبد الصبور ، أم ان هذه الامارة ذاتها في نظرهم قد عفى عليها الزمن ، الذي لم يصبح بعيدا بعد ، ووجب ان يكون مآلها اليهم من دونه ؟!

اما الصديق الشاعر محمود حسن اسماعيل .. وقد جاء دوره في ختام هذا الحديث عفوا ، فلا أشك في انه تطلع منذ وقت مبكر جدا الى لقب امارة الشعر .. وقد تطلع اليه على الطريقة التي زعمت ان شوقي كان يحسها في دخيلة نفسه، وهي ان يكون « شاعرا للامراء ».. وليس فقط .. « اميرا للشعراء » .. لذلك كان اول ما صنعه بعد تخرجه هو تفصيل الردنجوت .. واذا كان صلاح عبد الصبور قد هاجمني في صحيفة الاهرام ، عام ١٩٦٤ لعضويتي المتواضعة في لجنة الشعر .. فان محمودا قد سعى حثيثا ، منذ زمالتنا القديمة ، هو في دار العلوم وانا في كلية الآداب ، لاثبات سبقه وجهارته ، على تأخري وخمول ذكري بعدة صور مختلفة .. منها غزوته الشهيرة لكلية الآداب في جمهور من الاصفقين عام ١٩٣٦ لرثاء استاذنا المرحوم طه ابراهيم .. استاذ النقد الادبي يومئذ ، مشترطا ان تكون كلمة الشعر لدار العلوم وحدها .. ومنها سعيه اول صلتنا بالاذاعة عام ١٩٣٩ ، لتسجيل نشيدين على شريط واحد ، يذاع فاذا اول نشيد « الدفاع الوطني » له ، ثم يليه نشيد « المنقذات » لي .. هذا النشيد الذي سمعه المرحوم الدكتور زكي مبارك ، فقال لي ان فيه « نفحة شوقية » .. وقد سعيت يومئذ لفصل النشيدين ، لينفرد كل شريط « بشخصيته » فلم يحدث .. كأنما كان يراد القول بان هذا النشيد هو الاول ، وذلك هو الثاني .. ومنها ، ايضا .. ما ذكرني اخيرا الصديق الشاعر عبد الرحمن الخميسي ، عن انه دعاني في اوائل الاربعينات ، (لمبايعة) الصديق محمود حسن اسماعيل بامارة الشعر .. ففضبت ، ورفضت الانصات لما يقول .. فتذكرت ذلك وضحكت ...

على اني لا اريد ان استرسل في هذا الحديث .. فقد بدأته وانا انوي المداعبة لاصدقاء شبابي ، الاعزاء على نفسي ، بعد مرور كل هذه السنين ، وبعد موقفي على هذا البيدر لجمع الحصاد .. ولا احب ان يؤول حديثي لاعز الاصدقاء باكثر من هذا المعنى ..

على ان هذه الغاية التي وصل اليها الحديث ، تذكرني بأوله .. وهو العنوان الذي سميت فيه المقال «جناية شوقي».. وربما رأى آخرون من النقاد وذوي الرأي ان لهذا الحديث وجوها اخرى ، لا تعنيني هنا بطبيعة الحال .. ولكني أؤكد ان شوقي ، بطريقته التي ذكرها العقاد اول الذاكرين ، في كتاب « الديوان » للوصول الى مكانته ، والاحتفاظ بجهارة منزلته ، هي السبب المسؤول عما دفع الشعراء من بعده الى هذا التطلع الى النجم ، والمقعد العالي على جناح النجم !

على انه يبقى اخيرا واجب الانصاف لشوقي .. فهو بشخصه غير مسؤول عن هذه الحوادث الفردية التي وقعت بعد وفاته ، ولا يقدح شيء من ذلك في مكانته الشعرية ، ولا في « استاذيته » التي كنت اذكرها دائما ، ولا انساها ، حتى في معرض الحديث الجاد ، لانصاف العقاد في مهاجمته الدائمة له .. وقد رثيت شوقي يوم وفاته وانا في العشرين ، بالقصيدة النونية (على وزن قصيدته في مهرجان تكريمه) والتي كانت اول ما قيل في شوقي بعد وفاته على الاطلاق .. ومطلعها :

فجع الشرق في امير بيانه ... وعكاظ القرون في سحبانه !

ولكني تعرضت بعد ذلك عدة مرات لرثائه ، وتمجيد ذكراه .. فقلت في مهرجان المجلس الاعلى لتكريم هذه الذكرى عام ١٩٥٨ .. هذه الهمزية العزيزة على نفسي .. ومطلعها :

راحوا الى الخلد افذاذا كما جاءوا ... وهم بما صنعوا للخلد أكفاء

مضمخا بعبير الورد ذكرهم ... كأنه جنة في الخلد فيحاء

ريانة بمطير الوحي ناضره ... تمضي الدهور عليها وهي خضراء

كانوا اعزاء في الدنيا بشعرهم ... وهم ، وان تركوا الدنيا اعزاء

ومنها :

يا ذكريات الصبى عودي معطرة ... والوحي منهمر كالغيث معطاء

وشعر شوقي هو الاستاذ.. يتبعه ... قبلي اساتذة الشعر الاجلاء

صباحه صفحة بالوحي مشرقة ... وليله روضة باللحن غناء

تنقل الروح من ماء الى شجر ... قصيدة من عيون الشعر عصماء

تجري رحيقا، وتجري سلسلا غدقا ... كالصخر منبجسا من اصله الماء

شعر البطولة يدعو المؤمنين بها ... مراده همة في المجد قعساء

ضم الهروبة من قبل الدعاة لها ... ابياته رسل الحق الاشداء

بينا تراه يناجي عز قرطبة ... اذ هذه من روابي الشام ايحاء

يا أيه كان حيا بين اظهرنا ... والعبقريون رغم الموت احياء

اما الخلاف بين العقاد وشوقي ، فعالجته ايضا .. في قصيدة « جمال الورد » .. التي نظمتها بعد الحصول على جائزة شوقي ، وذكرت فيها فضل العقاد ولجنة الشعر خاصة في منحي هذه الجائزة تقديرا لجهود لا اراني استحق عليها شيئا .. ولكني حفظت لكل من القطبين الكبيرين في عالم الشعر والفكر قدره ومكانته .. وذكرت اثر شوقي الخالد في نفسي من قصائده الغراء التي كانت تطالعني بها الصحف في شبابي ، صباحا بعد صباح .. كما اشرت الى العقاد ايضا الذي كان قمة شامخة ، ولذلك لم يكن اجدر منه من يستطيع الوقوف لنقد شوقي ، وهو تلك القمة الشامخة كذلك .. فقلت :

خاصم العقاد شوقي حقبة ... وشريف القدر من نال خصامه

كان شوقي في علاه كوكبا ... بين قصر الفن ، او قصر الاقامه

وهو شيخ عبقري سابق ... في قصيد الشعر او فصل الدرامه

ساحر قد اصبح الجيل به ... ثمل الاحساس من غير مدامه

كل فجر طالعته صحف ... بالطوال الغر حسنا وقسامه

لا يكاد الحمد يكفيه .. ولا ... يبلغ النقد على الشمس مقامه

من سوى العقاد اعلى قدرة ... ان يهز الطود او يرجو حطامه

شامخ في الراي ، يرمي شامخا ... في مدى الوحي ، ويصليه سهامه

يا لها معركة قد اكسبت ... دولة الفكر ضراء وصرامه

في فصول صاغها ذو قلم ... ما جرى في الطرس الا بالكرامه

ليس فيه لفظة نابية ... كيف ينبو من غدا الصدق حسامه

فهكذا كانت معارك الرأي الكبرى ، وهكذا كانت محاولتي المتواضعة للتعبير عنها ، ووصفها ، مجرد التعبير والوصف .. دون ان اقحم نفسي على الجهابذة ، او انحاز الى صف بذاته من صفوف المعالقة .. ورحم الله من عرف لنفسه قدرها ، واعطى كل ذي حق حقه .. اما شوقي ، الذي تحدثت في هذا المقال عما اسميته بجنايته.. فجدير بأن اعود اليه مستانيا ، لمحاولة الكشف عن نواحي فضله ، وريادته .. والله الموفق .

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري



لا تشغلي الهاتف

●

بحقك لا تشغلي هاتفي ... فموعده الآن حلو الوعود
يناجي خيالي بانغامه ... وأحيا بيوم جديد سعيد
فلا تشغلي الوقت ، وقتي له ... يشير فاغدو له ما يريد
ولا تدهشي انه نبض قلبي ... وومض حياتي وسحر الوجود
وقصة عمري تترجم حبي ... وليس سواه قديم جديد
ودنياي تحلو به وحده ... لان هواه هواي الوحيد
اذا مر يوم ولم القه ... ولو بحديث سرى من بعيد
حديث يموج مع الصبح عطرا ... وعطر يفوق شذاه الورود
فقلبي يضيق برحب الوجود ... وأحسب كفي بأسر القيود

بحقك لا تشغلي هاتفي ... فاحرم من نغمات الرنين
ومن صوته في السكون يغني ... فيقطع باللحن صمت السكون
أعيش على الكلمات وأحيا ... بنجواه همسا يثير الشجون
أرى بهواه الحياة جمالا ... وتسبح روحي ببحر الفتون
أعد له في الخيال لقاء ... واحفظه في سواد العيون
وانثر تحت خطاه العبير ... وأنسج بالحب دفء الحنين
واكتب بالوهم قصة عمري ... بها ما مضى وما سيكون
اسامح دنياي مهما قست ... فكل أسى في هواه يهون
خيال يعطر كل حياتي ... وكل له في هواه شئون
أنا في انتظار حديث القلوب ... حديث الجوى والهوى والفنون
فلا تشغلي لي هاتفي انه ... حديث يهدهد دمعي الحزين
أخاف اذا ما اطلت الحديث ... يضيق واخشى عليه الظنون
فيحسب أني شغلت بغير ... هواه الذي صنته في الجفون
ولو أنه واثق ان قلبي ... لغير هوى ملهمي لن يكون

مصر الجديدة — روحية القليني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاغة الكتاب في العصر العباسي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

الكتاب تأليف الدكتور محمد نبيه حجاب (دكتوزاه في الادب العربي بمرتبة الشرف الاولى ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة) . ومن أهم الملاحظات عليه :

١ ـ جاء على الصفحة ٣٢ منه : « ... ومنهم من يؤثر جانب المعنى ... والى هذا الجانب وقف « ابن قتيبة » ... ومن ثم أطلق لسانه في أبيات كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح »

أ ـ مصدر الدكتور محمد نبيه في رواية هذه الابيات الشعر والشعراء و ١١/١ . واول ما يفهمه القارىء من هذه الرواية على الصورة التي أوردها المؤلف أن ابن قتيبة نفسه نص على نسبة هذه الابيات لكثير عزة ، وهو ما لم يقع ، لاننا اذا رجعنا الى « الشعر والشعراء » وجدنا ابن قتيبة يقول : « ... كقول القائل ... » أي انه لم ينسب الابيات الى احد ، ولم يرد ان ينسبها الى احد ، على خلاف ما فعل في الابيات الاخرى التي ذكرها في الباب نفسه فانه نص على أصحابها .

ب ـ ولا بد من ان يكون في الامر سبب علمي ، وقد يكون من هذا السبب العلمي ان هذه الابيات تنسب لعدد من الشعراء ـ منهم او من اشهرهم كثير عزة ـ وليس من المناسب الجزم في النسبة .

وعمل مثل ابن قتيبة علماء آخرون منهم عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة وابن جني في الخصائص ، والقالي في ذيل الامالي وياقوت في معجم الادباء .

أما الشريف المرتضى فقد نسبها في أماليه للمضرب عقبة بن كعب ابن زهير بن أبي سلمى .

وقد وضح ذلك جيدا العلامة أحمد محمد شاكر في تحقيقه للشعر والشعراء وكان المفروض ان يعلمه الدكتور محمد نبيه حجاب وينتفع به لدى « التعبير » لان تحقيق شاكر في « مصادره » .

٢ ـ اذ نص الدكتور محمد نبيه حجاب في المتن على ان الابيات الحائية « ولما قضينا ... » لكثير عزة ، ذكر في الحاشية : « وتروى للمعلوط السعدي » فوقع في خطأ ثان ، لانه لم يرو احد هذه الابيات الى المعلوط السعدي وان الذي اوقعه ، فيما وقع فيه ، الخبر الذي ذكره ابن قتيبة بعد الابيات الحائية اذ قال : « وتحوه قول المعلوط » :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ونسب هذان البيتان في احدى نسخ الشعر والشعراء الى جرير ، وقد أثبت المحقق هذا الخلاف في الحاشية كما نقل الى جواره ما جاء بحاشية تلك النسخة : « .. قال الشريف : وتروى هذه الابيات للمعلوط السعدي » . ووضح العلامة المحقق الامر جيدا وبين ان المعلوط أحق بالبيتين من جرير . ولا بد من أن تكون حاشية هذين البيتين قد اختلطت لدى الدكتور محمد نبيه حجاب مع حاشية الابيات الحائية فكان من ذلك الخطأ في قوله عن الابيات الحائية : « وتروى للمعلوط السعدي » ، وما رواها أحد له كما رأينا .

٣ ـ ص ٣٥ : قال الدكتور محمد نبيه حجاب : « ... الاستاذ الزيات ... يقول : « كان فلوبير امام الصناعة في فرنسا » ثم يشفع ذلك بما ذكره عنه تلميذه جي دي موباسان Gui de Maupassant »

الصحيح : Guy

٤ ـ ص ٧٥ ـ ٧٦ : « وفي سنة ٤٤٧ استولى السلاجقة الاتراك على بغداد » ... انفرد هذا العصر من سواه بظاهرتين متميزتين هما .. « المدارس الرسمية » و « الموسوعات العلمية » . حتى عرف في حقل التربية بعصر المدارس ، وفي حقل اللغة بعصر الموسوعات ... ولا غرو ان سمي بعصر الموسوعات .

أ ـ من : عن .

ب ـ يتحدث الدكتور محمد نبيه حجاب عن هذا العصر وكأن اسمه « بعصر الموسوعات » مصطلح مقرر قديما وحديثا وانه أمر مفروغ منه ، وليس لهذا حظ كبير من الصواب . فمن الذي سمى العصر السلجوقي او العصر العباسي الثالث كله عصر الموسوعات ؟.

لم يسمه القدماء ولم يصطلح عليه المحدثون ، وان كنا نرى فيه مؤلفات موسوعية ، وكثيرا ما تطلق الكلمة على العصر الذي يلي سقوط بغداد ويعرف احيانا « بالفترة المظلمة » اذ يعد فيمن يعد النويري صاحب نهاية الادب والقلقشندي صاحب صبح الاعشى ، وابن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، وابن منظور صاحب لسان العرب ، والزبيدي صاحب تاج العروس ، وابن فضل الله العمري صاحب مالك الابصار في ممالك الامصار ... الخ .

وكان جرجي زيدان من أوائل المؤلفين العرب المحدثين ممن ربط بين الموسوعات والعصور قال ٤ :٢٤١ (من ط ٢) وهو يتحدث عن العصر المغولي : « تكاثرت الموسوعات والكتب الجامعة للموضوعات المتعددة في هذا العصر حتى يصح ان يسمى عصر الموسوعات والمجاميع ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقول زيدان مقبول ، اما قول الدكتور محمد نبيه حجاب فلا .

٥ ــ ص ٧٥ : « اما الموسوعات فتتجلى في هذه المعاجم الضخمة ... نخص بالذكر منها القاموس المحيط للفيروزابادي واسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ومفتاح العلوم ... » .

أ ــ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ... ليست معجمات وليست ضخمة .

ب ــ القاموس المحيط للفيروز ابادي ليس مما ألف في عصر من العصور العباسية ، ومعلوم ان الخلافة العباسية سقطت بسقوط بغداد سنة ٦٥٦ وان الفيروز ابادي ولد سنة ٧٢٩ وتوفي سنة ٨١٧ .

٦ ــ ص ٩٢ : « الجاحظ (١٥٠ ــ ٢٥٠) . »

وليس لنا ان نجزم بأن الجاحظ ولد سنة ١٥٠ ، اما وفاته فكانت سنة ٢٥٥ .

٧ ــ ص ٩٣ : « ولما جاء امام البلغاء عبد القاهر الجرجاني » .

لم يكن الجرجاني امام البلغاء ولكنه يمكن ان يعد امام البلاغيين ، وفرق بين البليغ والبلاغي .

٨ ــ ص ١٠١ ، الف ليلة وليلة « ترجم ... الى معظم لغات العالم ونال عناية المستشرقين في القرن التاسع عشر وبخاصة ديكنز Dekens وتنسون Tennyson الذي نظم فيه قصائده .

أ ــ لم يكن ديكنز وتنسون من المستشرقين .

ب ــ تقول الدكتورة سهير القلماوي في كتابها عن « الف ليلة وليلة » (ط ٣ ــ القاهرة ــ دار المعارف ــ ١٩٦٦ ــ ص ٣٧) : «كذلك اثر الكتاب في ادباء من انجلترا بارزين ، فأثر في الشاعر تنسون Tennyson واثر في دوكوينسي Dequincy .

وكلام الدكتورة منسجم علمي .

٩ ــ ص ١٣٤ : « .. في عصر الجاحظ كان ابن عبد ربه يقلد ابن المقفع » .

توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ ، وولد ابن عبد ربه سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣٢٨ وهذا ما يضعف المعاصرة ان لم ينفها . لقد كان عمر ابن عبد ربه تسع سنوات عندما توفي الجاحظ ، والجاحظ من القرن الثالث ، وابن عبد ربه من القرن الرابع ، .. وليس صعبا ان نجد تعبيرا ادق عما يريد ان يقوله الدكتور محمد نبيه حجاب .

١٠ ــ ص ١٥٥ : « اقتدى بالجاحظ في اسلوبه كثيرون ... كابن قتيبة المتوفى سنة ٢١٦ .. والثعالبي المتوفى سنة ٤٢٥ » .

صحيح هذا ان ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ .. والثعالبي سنة ٤٢٩ .

١١ ــ ص ١٦٠ : « .. يقول ابن الدمينة » :

آان سجعت ورقاء في رونق الضحا على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ، ولم تكن جليدا وابديت الذي تكن تبدي

جاء البيت في ديوان ابن الدمينة (تحقيق احمد راتب النفاخ ــ القاهرة دار العروبة ــ ١٩٥٩ ــ ص ٨٥) هكذا :

آان هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا، وابديتالذي لم تكنتبدي

واذا كان المؤلف قد استشهد ببيتي ابن الدمينة على تعريف السجع لورود كلمة « سجعت » فقد بطل الشاهد بوجود « هتفت » .

١٢ ــ ص ١٧٦ : « ابن العميد ... في رسالته الى ابن بلكا بن ونداد ... »

الصحيح : ابن بلكا ونداد (تنظر اليتيمة ١٦٢/٣ ط ــ التجارية ، وتنظر ط. الصاوي ١٤٥/٣ ــ وهي الطبعة التي رجع اليها مؤلف بلاغة الكتاب) .

١٣ ــ ص ٢٨٤ : « امثال.. ابي عمر بن العلاء.. »

الصحيح : أبي عمرو .

١٤ ــ ص ٢٨٥ : « ذكروا ان الجاحظ ــ في أوائل حياته ــ كان يؤلف الكتب وينسبها الى ابن المقفع او سهل بن هارون ليقبل عليها القراء .. » .

ترى من الذين ذكروا ؟.

الذي أعرفه جيدا ان الجاحظ نفسه قال في رسالة له بعنوان « فصل ما بين العداوة والحسد » ــ والرسالة مطبوعة اكثر من مرة ــ : « وربما ألفت الكتاب .. فاترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب ... ».

واسناد الخبر الى الجاحظ نفسه اولى .

١٥ ــ ص ٣٦٤ : « ترجمت مقامات الحريري الى اللغة العربية ، ترجمها الخريزي في اوائل القرن السابع الهجري ، ونسج على منوالها سالومون ابن ذقبيل .. ».

رجعنا الى دائرة المعارف الاسلامية الى المادة التي كتبها بروكلمان عن المقامات فرأيناه يقول :

In Spain the Jew Rabbi Jehuda ben Shelomo Harizi Who flowrshed at the begining of the x iii th Centurg translated the Makamat of the Hariri in to Hebrew and the Composed 50 Similar modeled on them

ومعنى هذا :

أ ــ ان صحيح الخريزي الواردة في كلام الدكتور محمد نبيه حجاب : حريزي . ولنتذكر ان المستشرقين يضعون نقطة تحت الـ H للدلالة على الحاء العربية .

ب ــ وان الذي نسج على منوال المقامات هو نفسه الذي ترجمها الى العبرية لان سالومون (شلومو) وحريزي شخص واحد وليسا شخصين مختلفين كما في كلام الدكتور محمد نبيه حجاب .

نيسان لا يمطر حبا

●

لـو أنـنـي ألقـاك يـا ... حلمـا تضمخـه الطيـوب
لـو أنـنـي ألقـاك يـو ... مـا قبل ان تفنى الدروب
قبل انحسار الشمس عني ... قبـل ان يأتـي الغـروب
حتـى م يبقـى السور منـ ... ـتصبا وحتـى م الهـروب

الصمت عـات لا صـدى ... والصوت كاب في الحناجر
وأنـا وأنـت رغائـب ... أبـدا تعربـد في الضمائـر
لا جسـر ينبت بيننـا ... أحجـاره همس المشاعـر
أبـدا كلانـا يـا غري ... ب يعيش للوعـد المسافـر

ان يمحي مـن خاطـري ... حلـم كمـا شاء الخيال
نيسـان يمطـر فيه حبـا ... والهـوى عمـر الجمـال
مـاذا سيبقى منـه مـن ... نيسان مـن طيب الغلال
والـدرب يلتهـم الخطـى ... والعمـر مرتعـش الظـلال

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦ ــ ص ٣٦٧ : « المصادر والمراجع » .

ا ــ اختيار المنظوم والمنثور : ابن طيفور . الطبعة الاولى .

الصحيح : ان هذا الكتاب الذي يذكـره الدكتـور محمد نبيه حجاب غير مطبوع .

ب ــ ادب الكاتب : أبو بكـر الصولي . الصحيح : ادب الكتاب .

ج ــ رسائل الحصفكـي . الصحيـح : رسائـل الحصكفي .

د ــ شوقي وحافظ : طـه حسين . الصحيـح : حافظ وشوقي .

هـ ــ يذكر الدكتور محمد نبيـه حجاب في قائمـة « المصادر والمراجع » : تجارب الامـم لابـن مسكويـه . ليدن ١٩١٧ .

والحقيقة :

١ ــ ان ١٩١٧ ليس تاريخ طبـع الكتاب في ليدن ، وانما هو تاريخ الانتهاء من الطبع ، لان طبع الجزء الاول كان سنة ١٩٠٩ ــ وكان الطبع تصويرا .

٢ ــ لا قيمة لذكر هذه الطبعة (المصورة) في قائمة المصادر لان الدكتور محمد نبيه حجاب لـم يرجع اليها ، وانما رجع الى طبعة آمدروز بشركة التمـدن الصناعيـة بالقاهرة اذ صدر منها جـزء يحتوي علـى حـوادث ٢٩٥ ــ ٣٢٩ سنة ١٩١٤ ، وجزء آخـر يحتوي علـى حوادث ٣٢٩ ــ ٣٦٩ سنـة ١٩١٥ ، ولا ادل علـى ان الدكتور محمد نبيه حجاب لم يرجع الى طبعة ليدن مـن انه يحيل ص ٣١٤ ، اذ يتحدث عن ابن العميد ــ يحيل على : تجارب الامم ٢٧٨/٢ ، ومعنى هـذا : الصفحة ٢٧٨ من الجزء الثاني من طبعة القاهرة ، ولو انـه رجع الى مصورة ليدن لاحال على الصفحة ٣٥٣ مـن الجـزء الخامس .

ارجو ان نكون اكثر دقة في اعمالنا اذا اردنا لانفسنا صفة الباحثين .

بغداد ــ كلية الآداب — علي جواد الطاهر

ابن قتيبة في الشعر والشعراء

بقلم سكينة الشهابي

* * *



صادفت في العام الماضي ما وقفت عنده قلقة محتارة حين قرأت كتاب : « عيون الاخبار » لابن قتيبة ووجدت تفرده برواية غريبة مريبة لعيون الخطب العربية ، وزعمت يومها أننا قبل ان نصدر حكما على هذه الرواية الغريبة علينا ان ندرس دراسة دقيقة حياة أولئك الذين نقل عنهم ابن قتيبة ، لانني لم اجد خطبا غريبة فقط ولكنني وجدت أيضا اسماء خاصة انفرد ابن قتيبة بالنقل عنها . وكان السؤال المحير :

ما هي درجة ثقة هؤلاء من جهة ، ولماذا اخذ عنهم ولم يأخذ عن سواهم من جهة ثانية ؟ ولكنني قبل ان اجد الاجوبة المرضية على سؤالي حاولت ان استمر في قراءة مكتبة ابن قتيبة لعلي اضع يدي على اشياء جديدة تعينني في بحثي وتختلف عما لقنه لنا مدرسونا ، بعد قراءة سطحية سريعة لكتاب الشعر والشعراء .

لا أزال اذكر تلك المحاضرات التي علمتنا ان ابن قتيبة جمع في كتابه « الشعر والشعراء » اخبار الشعراء مع مختارات جيدة من اشعارهم ، وكذلك لا ازال اذكر انه وقف في كتابه هذا عند نهاية المائة الثانية الهجرية ولم يتجاوزها الى معاصريه الا اذا كان من يتحدث عنه من المعمرين كما فعل مع (دعبل) فقد نقل اخباره وحدثنا عن سماعه منه ، ومع انه يروي شعرا لدعبل في هجاء ابي تمام والطعن في نسبه فانه لا يترجم لابي تمام وذلك لان أبا تمام يعتبر من شعراء المائة الثالثة ، على الرغم من انه توفي قبل دعبل بما يزيد على العشر سنوات.

كذلك ألفنا ان نتدارس مقدمته النقدية للكتاب لنرى طريقة العرب في النقد وتطور هذا النقد تطورا منهجيا على يديه حيث يعرض علينا اقسام الشعر وعيوب الشعر وأوائل الشعراء مع امثلة كافية تنم على خبرة ودراية وتؤكد لنا شخصية ابن قتيبة الناقد اللغوي والذي لا يكتفي بسرد آراء المتقدمين بل يبين وجهة نظره في كثير من المواضع مفندا آراء مشايخه . وكم كنا نجد لذة ونحن نقرأ الامثلة التي يأتي بها ثم يعمد الى شرحها والتعليق عليها كما في حديثه عن الشعر الذي حسن معناه وقصرت ألفاظه حين جاء بقول النابغة :

خطا طيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد اليك نوازع

وقال معلقا عليه : قال أبو محمد :

رأيت علماء يستجيدون معناه ولست أرى ألفاظه جيادا ولا مبينة لمعناه لانه أراد : « انت في قدرتك على كخطاطيف عقف يمد بها ، وأنا كذلو تمد بتلك الخطاطيف . وعلى أني ايضا لست ارى المعنى جيدا ».

لقد اعتبر مشايخ ابن قتيبة هذا البيت مما قصرت الفاظه وحسن معناه ولكنه يرى انه مما قصر لفظا ومعنى .

اما بالنسبة لما يختاره من شعر الشعراء فقد حفظنا أنه « اختيار عالم بالشعر عارف به فقيه ، فهو يختار فيحسن الاختيار وينقد فيحسن النقد ويجيده ، ويوازن بين الشعراء فيقيم الوزن بالقسط لا يحيد ولا يميل » .

من هذه الآراء التي سلمنا بها طلابا وكانت شبه مفروضة على عقولنا مدرسين يكاد يخيل الينا ان الرجل معصوم من الخطأ بعيد عن الهوى يزن كل شيء بالقسطاس المستقيم . وهذا الذي سلمنا به نحن كاد يسلم به اجدادنا حتى اذا تجرأ احد منهم على نقده سلقوه بالسنة حداد منزهين ابن قتيبة عن كل شبهة ، مبتعدين به عن كل تهمة (١) . وما من شيء يضر الادب كما تضره المغالاة من النقاد سواء كانت هذه المغالاة سلبا او ايجابا .

ومع ايماني بسلامة ذوق ابن قتيبة وصحة احكامه فانني اعتقد اننا لا نستطيع ان نرى وجهه رؤية سليمة الا اذا انطلقنا انطلاقا موضوعيا من كتابه ذاته ومن مختاراته الشعرية ذاتها ، لا لكي نطعن على الرجل كما قد يظن ولكن لنرى طابعه الخاص رؤية حقيقية بعيدة عن الحالات الضبابية .

وهكذا قرأت « الشعر والشعراء » للمرة الثانية محاولة ان اجيب بعد القراءة عن الاسئلة التالية :

ـ ما الاخبار التي اهتم بها الرجل ؟

ـ كيف كانت مواقفه النقدية من شعرائه ؟

ـ هل يمكن ان نعتبر روايته للشعر من افضل الروايات عند المقارنة ؟

ـ هل كان يقف من الشعراء موقف المسجل ، وهل هناك جوانب من حياة الشعراء كان يريد طمسها ؟

والحقيقة انني لم اجد جديدا في عرضه لاخبار الشعراء وحياتهم، فهو ليس بدعا من النقاد العرب القدامى الذين كانوا يحكمون على الشاعر بالبيت او البيتين وينظرون في سبقه الى المعاني واخذه من غيره وما استجيد له او عيب عليه ، وقد لا يكتفي بسرد آراء الآخرين فيبدي رأيه الشخصي مفندا آراء لم تعجبه مثبتا وجهة نظره . ففي اخبار امريء القيس مثلا يورد ما يعاب من اقوال هذا الشاعر ومنه هذا البيت :

أغرك مني ان حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وبعد ان يورد اقوال النقاد يعلق على هذه الاقوال مبينا رأيه الخاص : « وقالوا اذا كان هذا لا يفر فما الذي يفر ؟ انما هذا كاسير قال لآسره : أغرك مني اني في يدك وفي اسارك وانك ملكت سفك دمي . قال أبو محمد : لا ارى هذا عيبا ولا المثل المضروب له شكلا ، لانه لم يرد بقوله حبك قاتلي القتل بعينه وانما أراد بانه قد برح بي فكانه قد قتلني . وهذا كما يقول القائل قتلتني المرأة بدلها وبعينها وقتلني فلان بكلامه ، فاراد : أغرك مني ان حبك قد برح بي وانك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطيعك أي فلا تفتري بهذا فاني أملك نفسي واصبرها عنك وأصرف هواي » .

وفي هذا الشرح دلالة على دقة فهم ابن قتيبة للمعاني وحسن تذوقه للشعر ، فهو لم يبال بآراء النقاد بل اعتمد على عقله وسلامة حسه . ولكن النظرة الموضوعية جعلته لا يقلل من اهمية شروح مشايخه فهو يعرض آراءه وآراء الآخرين عرضا علميا مفصلا يمكن القاريء من معرفة ما يريده وما يريد سواه ليحكم بنفسه على ما يراه صوابا .

وما اكثر ما نصادف مثل هذه الشروح والتعليقات كما نصادف تفسيرات لغوية تحدد معاني الفاظ ترد في الشعر .

وفي روايته للشعر لا نجد تفردا بشكل معين اذ غالبا ما نجد اتفاقا كاملا بينه وبين أجود المصادر ومن النادر ان يورد رواية خاصة تفضل عليها غيرها من الروايات كما في هذين البيتين لقتيبة بن مرداس فقد رواهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء على انهما قيلا في الشاعر حين برىء من كلب أصابه بعد شربه دواء أباله ما يشبه الكلاب والنمل (٢) :

ولولا دواء ابن المحل وطبه هررت اذا ما الناس هر كليبها

واخرج بعد الله أولاد زارع مولعة اكنافها وجنوبها

١ ـ اشارة الى قول الحافظ الذهبي للحاكم حين طعن على ابن قتيبة . فقد قال الحافظ الذهبي : « هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله » .

٢ ـ الشعر والشعراء ص ـ ٣٧١ ـ

وفي كتاب عيون الاخبار تجده ينسب البيتين للشاعر نفسه .. ونحن حين ننظر في معنى البيت الثاني لا نستطيع ان ندرك ما الذي يريده الشاعر ، ونظل محتارين حتى نعود الى كتاب الحيوان فنجد الجاحظ يورد البيت الثاني بهذا الشكل :

واخرج عبد الله اولاد زارع مولعة اكنافها وجنوبها

ويصبح البيتان برواية الجاحظ مفسرين لقصة الشاعر وكيف تم شفاؤه على يد ابن المعل بعد ان بال ما يشبه الكلاب والقطط .

وكان بامكاننا ان نتهم النقلة لولا تكرر البيتين في كتابين من كتب ابن قتيبة . وهناك شيء آخر وهو ان « عيون الاخبار » ينسبهما الى الشاعر بينما « الشعر والشعراء » ينسجهما الى رجل قالهما فيه !

والسؤال الآن : كيف خفي على رجل ناقد مثل ابن قتيبة اضطراب معنى ناتج عن فساد رواية ومن عادته ان يصحح الروايات الفاسدة ؟

وغض النظر عن فساد رواية بيت او نسيان اسم شاعر لا يعد شيئا ، ولكن هناك اخطاء ليس من المعقول ان تخفى على رجل اعتبر في زمانه من اكابر رجال السنة ، فقد قال فيه صاحب التحديث بمناقب اهل الحديث : « وهو احد اعلام الائمة والعلماء الفضلاء .. » ومؤلفاته في الحديث معروفة .

يقول ابن قتيبة في اخبار عمرو بن معد يكرب الزبيدي « واخته ريحانة بنت معد يكرب التي يقول فيها :

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

وكانت تحت الصمة بن الحارث فولدت له دريد بن الصمة وعبد الله » .

هذا ما يقوله ابن قتيبة وياخذه عنه اكثر المحدثين وفيه ما فيه من خطا واضح ! فكيف تكون ريحانة اخت عمرو وتلد دريد بن الصمة فيكون عمرو خال دريد ودريد شهد حنين مع المشركين رجلا طاعنا في السن قد ناهز المائتين لا يستطيع ان يقدم في المعركة ولا يؤخر بينما عاش عمرو في الاسلام فترة طويلة وخاض كثيرا من المعارك وشهد القادسية وله فيها مواقف معروفة . ينقل العلامة احمد محمد شاكر عن الراجكوتي في حواشي اللآلي قوله : « من المحال ان تكون ريحانة اخت عمرو لان دريدا حين قتل هوازن ناهز مائتي سنة ، كما في المعمرين . وقتل عمرو سنة ٢١ هجرية وقد جاوز ١٢٠ سنة كما في الاصابة فليزم ان يكون ابن الاخت اكبر من الخال بنحو مائة سنة !! »

هذه قضية منطقية فطن اليها غير ابن قتيبة فكيف يسهو عنها وهو ممن لا يقتصر عملهم على النقل فقط ، واذا كان احس بما في الخبر من تناقض وغض البصر فلماذا ؟!

وهناك اشياء اخرى تدعو الى الريبة وهي ما يختاره من اخبار الشعراء الذين عرفوا بالمجون والزندقة .

ونستطيع ان نختار في هذا المجال اخبار بشار بن برد الذي لا يسكت كتاب قديم عن اخبار الحادة وزندقته ، وتكاد تجمع الكتب التي تترجم له على ان حادثة قتله ترتبط بمجونه والحاده . اما ابن قتيبة فيتحدث عن موت بشار على الشكل التالي : « وكان بشار هجا المهدي وذكر شغله بالشراب واللهو فامر به فقتل تغريقا في الماء » .

واما انباء زندقته التي ملأت الكتب مع الشواهد الشعرية التي تؤكدها فقد اشار اليها بقوله : « ويرمى بالزندقة وهو مع ذلك يقول : (٣) »

كيف يبكي لمحبس في طلول من سيقضى اليوم حبس طويل
ان في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار مميل

وهذه الابيات تنفي عن الرجل فكرة الالحاد وتجعله زاهدا يخشى حساب يوم القيامة فيصرفه خوفه عن كل ما عداه .

اما مدحه لابليس وتفضيله النار على الطين والشيطان على آدم.. الى آخر ما قال في هذا المجال فلا نجد له ادنى اشارة . والذي يقرأ اخبار بشار في الشعر والشعراء لا يجد مطعنا عليه في خلق او دين وربما ملأت قلبه الشفقة على شاعر كبير لا تعجبه سيرة خليفة متهتك فيهجوه ويكون جزاؤه ان يموت غرقا . ولا ادري كيف يكون المهدي ضالا وبشار راشدا ، وهذا ما لا نجد له مؤيدا الا ابن قتيبة . قال الجاحظ « وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة ويصوب راي ابليس في تقديم النار على الطين . وذكر ذلك في شعره فقال :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

كذلك اتهامه واصل بن عطاء بالالحاد في قصة معروفة . وحتى ذلك الخبر الذي ينقله صاحب الاغاني فيجعل المهدي يندم على قتل بشار لانه وجد في بيته ما يدل على ايمانه بالله ، يؤكد ربط قصة قتله بالالحاد ، ولولا ذلك ما ندم المهدي لانه وجد في بيت الرجل ما يدل على ايمانه بالله .

فلماذا يطرح ابن قتيبة من اخبار بشار ومن مختاراته الشعرية كل ما يشين بشارا ويستبقي ما يبريء ساحته ويدل على قوة شاعريته مع ان ما ننتظره العكس من هذه الدعامة القوية من دعائم الدين والسنة !!

وفي اخبار ابي نواس نجد عند ابن قتيبة ميلا الى تشذيب سيرة الرجل وابعاد الشذوذ عنه ، وان كان لم يسلك السبيل ذاته الذي سلكه مع بشار ولم يعطف عليه كما عطف على صاحبه ؟

هل نستطيع ان نقول ان ابن قتيبة لا يحب ان يخوض في احاديث الفحش وهو فوق ذلك يلتزم جانب الصدق فيما يكتب ، واكثر ما دار من احاديث المجون والعبث ربما كان كاذبا الغاية منه التشهير المغرض من جهة والتسلية من جهة ثانية ، وهو اكبر من ان يتعصب لمذهب على مذهب فيدافع عنه ويحرص على تبرئة اصحابه .

اما ان يكون بعيدا عن احاديث المجون والعبث فهذا ما ينفيه كتاب « الشعر والشعراء » حيث ينقل الكثير من اخبار الشعراء التي قد تفوق اخبار بشار وابي نواس .

واما ان يكون بعيدا عن التعصب لمذهب معين فقد يكون صحيحا وهناك في الشعر والشعراء ما يدلنا على ان الرجل كان يتخذ موقفا معتدلا يناصر فيه ما يراه حقا ، ولعلنا نجد شيئا من قصده واعتداله في قصيدة اوردها للنجاشي الحارثي في معاوية على انها من افضل الشعر :

يا ايها الملك المبدي عداوته روىء لنفسك اي الامر تاتمر
واعلم بان علي الخير من نفر شم العرانين لا يعلوهم بشر
نعم الفتى انت ، الا ان بينكما كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما اخالك الا لست منتهيا حتى يمسك من اظفاره ظفر

فالرجل مقتصد فيما يكتب لا يحب المبالغة ولا يدفعه التعصب الى تفضيل فئة على فئة ، وفوق ذلك انه جريء صريح ، نقول هذا ونحن نقرأ ترجمة الشاعر يحيى بن نوفل اليماني ، هذا الشاعر الذي لم تترجم له المصادر مع ان اشعاره متفرقة في الكتب وانفرد ابن قتيبة بالترجمة له .

ولا نستطيع ان نعلل سبب اعراض الكتب عنه الا بسلاطة لسانه وجراته على الحكام وتشهيره بمفاسدهم . اما ابن قتيبة فقد ترجم له واورد من اشعاره ما يعطينا صورة صادقة عن حياته مما يمكننا معه ان نقول انه ترجم له لانه وجده ليس اقل شاعرية من غيره، ومن حقه ان يحتل مكانة ادبية مناسبة .

هذا ما نقوله ونحن نزعم ان ابن قتيبة مقتصد معتد في احكامه ، بعيد عن التعصب في اقواله يملك الجراة الكافية بأن يقول ما يشاء ولا تاخذه في الحق لومة لائم .

لقد رأيناه ذواقة للشعر حسن الرواية له كما رأيناه يمتلك منهجية رائعة فيما اذا قيس بمعاصريه ، يضاف الى ذلك جراة قوية في

٣ ـ الشعر والشعراء ص ـ ٧٥٧ ـ

تحية البصرة

نظمت بمناسبة انعقاد مؤتمر (المربد) في البصرة الذي اقامته وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧١

يا بنت دجلة والفرات ... حياك تاريخ الهداة
ورعاك وعي المخلصين ... عليك من شبح الشراة
وحنت عليك ضلوعها ... الاحقاب من جور البغاة
وهفت اليك من القعول ... خرائد ومن الدهاة
وتعهدتك سوانح الافكار ... في شتى الهبات
واحتكت الآراء في ... مغناك من كل الجهات
وتزاحمت فيك المواهب ... واستقامت للبداة
لا زلت من الف وحتى الآ ... ن عاطرة الشذاة

مرت عليك الحادثات ... مليئة بالمرجفات
فصمدت للبلوى بما فيها بكل العاصفات
حتى اذا مرت جيوش ... الفاتحين بكل عات
كنت المنار هدى وكنت ... لظى على كل الطغاة

زهت الحضارة في ربوعك ... واستفاقت من سبات
وتعطرت برؤى (ابن سيرين) ... لتلك الحالمات
وتوسمت بالمدلجين ... على هداك خطى الحداة
(الجاحظ) الجبار ملء فم ... الزمان الى الرواة
والعبقري الفذ معجزة ... القرون ابو النحاة
وابن ((الفراهيد)) الذي ... سن العروض الى الشداة
لا زال ربعك بابن (برد) ... شاخصا عطر السمات
يهدي الى السمار نفح ... قريضه والى الرعاة
الرابض الابدي فيها ... رائح ابدا وآت
والجرف في جنباته ... يزهى بتلك الباسقات
وتكاد تلمس بينها ... حلم العذارى الساهمات
من بعد نجوى طال واستحلى ... وآل الى شتات

بغداد ... عبد الكريم الدجيلي

دحض الاحكام ومعرفة بأساليب المجادلة . ولكن يجب الا يغرنا هذا كله ! فليس الرجل معصوما عن الخطا ، كما قد توهمنا ، وليس بعيدا البعد كله عن الهوى وعن كل ما يشين ، والا فبماذا نفسر اهماله هذا الجانب الهام من حياة بشار وتعمد طمسه ؟

لقد تجلت في كتاباته اخطاء واضحة لا يمكن ان يتهم بها النقلة ورأينا سهوه عن بعض المتناقضات في اخبار الشعراء وتعمده طمس جانب ضخم من حياة شاعر معروف وتصفية حياة غيره من الادران .

وفي اعتقادي اننا نستطيع ان نقول : ان ابن قتيبة ركن اساسي من اركان ثقافتنا اللغوية والادبية والدينية ولكنه ليس بعيدا عن الهوى ولا منزها عن الخطا . انه مقتصد الى حد ما ومعتدل ولكن اعتداله لا يتجاوز ظواهر الامور .

واذا كان ذلك كذلك فنحن بحاجة الى ان نعيد النظر في مؤلفاته وان نناقشها مناقشة موضوعية منهجية لعلنا نكشف عن الوجه الاصيل للرجل ونعرفه معرفة حقيقية تفيد الادب وتخدم التراث. وربما استطعنا ان نفسر اشياء كثيرة لم نستطع تفسيرها حتى الآن لاننا كنا ننظر نظرة تقديس الى ابن قتيبة .

دمشق ... سكينة الشهابي

النارجيلة

تاج يشع على السنين ... بثواقب دون الجبين
خرزاته النيران عاصفة ... تهول الناظرين
تجلو ثواقبها الهموم ... ولاعج الداء الدفين
وتثير بالذكرى جوى ... دون الجوانح والجفون
قدحت جوائح نارها ... بالنفس نيران الحنين
فجرت دموع من شجا ... واهتز من شجو حزين
النجم في حلك الدجى ... يذكو ويسطع للعيون
ونجومها لا تأتلي ... وضاءة في كل حين

ضمت من البلور ثوبا ... سال من هيف ولين
شفت طرائق نسجه ... كاشعة الفلق المبين
بلورها من رقة ... همس الوساوس والظنون
والماء في أحضانها ... صخب وطورا مستكين
يتلو أقاصيص الهوى ... ويقصها للسامعين
تلقاه يسهب تارة ... وتراه يوجز من شجون
هو واللظى متجاوران ... معا على كر السنين
ضمتها (نارجيلة) ... ضم اليتم باليمين

خرطومها عبق الشذا ... للطامعين الحالمين
حسب الشقي به الدواء ... البكر للقلب الطعين
فاكب يكرع من سراب ... الوهم مرا كالوزين
ويمجه سحبا كفاشية ... الدجى سوداء جون
رقت حواشيها كوشوشة ... السواجع للغصون
وجرت بأجنحة النسيم ... تشق أسداف السكون
سحب تثير حزازة ... ولواعجا لا ينقضين
وتهيج بالذكرى الدموع ... على كرام راحلين

هي سلوة لليتم ... كانت على الدهر الخؤون
ومنار من ضل الطريق ... من الحيارى التائهين
.
تحلو على حرق المرار ... سمومها للشاربين
بالنار تعذب ريحها ... وتطيب كالماء المعين
ومن العجائب لاتني ... تروي العجائب بالانين
قد أعربت بانينها ... وشفت وجاءت بالمبين

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا الهي .. انها هي .. سميحة .. انت يا سيدتي من فضلك لحظة واحدة .. وتوقفت السيدة الرائعة الجمال التي كانت ممسكة بيد طفلتها ، وتوقفت فجأة ثم التفتت ناحيته واحمر وجهها ثم حاولت ان تسير .. حاولت بكل جهد ان تنتزع قدميها ولكنهما كانتا قد تسمرتا في الارض . لم تستطع حراكا .. شلتها المفاجأة فقد كان ما توقعته ان الصوت صوتهوالصورة صورته والدهشة البالغة المرتسمة على وجهه زادتها انفعالا .. ذكرتها بالايام الماضية .. الايام الجميلة التي مرت بها وهي حبيبة الى قلبه وهو حبيب الى قلبها ..

ماضي بعيد .. لماذا يعود هكذا فجأة وبمنتهى القسوة .. انها زوجة وام لطفلة جميلة .. ماذا يريد هذا الرجل .. ؟ لقد خانها .. انه خائن تذكرت ما حدث .. تذكرت كل شيء واصابتها الرعشة ... كيف يجرؤ على التحدث اليها .. كيف يجرؤ على مخاطبتها .. لماذا يستوقفها في الطريق .. لولا ان الطريق خالية لتطلعت اليها عيون الناس .. ماذا يريد سامي بعد كل ما فعله ..

وحاولت ان تسير ولكنها لم تستطع واقترب سامي منها ثم مد يده لمصافحتها ودون ان تدري امتدت يدها وامسكت بيده وضغط على اصابعها واصابتها قشعريرة هائلة .. انها تكاد يغمى عليها .. انها في حاجة ليده لتسندها ..

واقترب منها ثم امسك بذراعها ومد يده الاخرى وامسك بيد الطفلة الحلوة وامسكت الطفلة بيده واخذت تقفز من حولهما ولدهشة امها سمعتها تناديه بكلمة « بابي » وابتسم لها سامي ثم حملها بين ذراعيه وقبلها قبلة ابوية ولدهشته وجد الدموع تملأ عينيه واندهشت سميحة وسألته :

لماذا تبكي يا سامي وقد كنت السبب ؟ .. لقد تخليت عني .. لماذا تبكي الان وبعد ان انتهى كل شيء .. لقد تزوجت اول انسان طرق بابي .. لماذا قابلتني واين كنت طوال هذه السنين الطويلة .. لماذا تخليت عني .. وبكت سميحة وسكبت الدموع ...

بكت من قلبها وتمزق قلب سامي الما وهمس في اذنها قائلا ليس الان وقت العتاب حتى لا يتنبه الينا الناس .. هيا لنجلس في احد الاماكن وليكن كازينو الشاطىء حتى نستطيع ان نتكلم بهدوء وفي حرية تامة واستطيع ان اقدم شيئا للصغيرة .. كم احببتها .. انها ملاك طاهر بريء .. انها جميلة جدا ... وانحنى على الطفلة وقبلها

اعتراف

بقلم السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتعلقت الطفلة برقبته ثم قبلته ودمعت عينا الام .

ثم سار الثلاثة في طريقهم الى الكازينو ، وتحت احدى المظلات جلس الجميع وطلب سامي مشروبات مثلجة واحضرها الجرسون ثم بدأ الحديث .. سألته بانفعال :

لماذا خنت عهدي ..ولماذا ارسلت الي في يوم اسود رهيب جميع خطاباتي مع صديقتي فتحية .. ؟ كان يوما كئيبا .. لم اعرف سببا لفعلتك فحقدت عليك وتزوجت اول طارق لبابي .. ومرت الايام والشهور وانا تعيسة وعندما اصبح لي طفلة صغيرة نسيت عذابي وبدأت صورتك تنمحي من ذاكرتي او هكذا ظننت حتى التقينا اليوم فلماذا التقينا ؟.

ورد سامي : التقينا لنصفي حسابا قديما ، ولاشرح لك كل شيء لا لسبب الا لاحصل على عفوك وعلى احترامك .. لقد كنت قاسيا ولكن متى عرف السبب بطل العجب .. تعلمين كم كنت احبك ، ومنذ ان التقينا ذلك اللقاءالاسطوري على غير موعد .. فتى من اقصى وجه بحري وفتاة من اسيوط طالبة تهوى المعسكرات والرحلات والفنون والآداب ، وموظف يعمل في اسيوط له محاولات ادبية لم يتحمل العيش في اسيوط فسافر الى القاهرة وبذل من المساعي والجهود الشيء الكثير وتم له ما اراد ثم عاد اليك يزف اليك البشرى فقد وافقت الشركة التي يعمل بها على نقله الى القاهرة .. انه سعيد بهذا الخبر ... سعيد بانه سيستطيع ان يأخذك معه الى القاهرة ... سعيد بانه سيستطيع ان يشق طريقه الادبي في القاهرة من اجل مستقبل افضل ومن اجل حياة اجمل ... وقاطعته سميحة قائلة :

ـ حقا ما تقول .. لقد اسعدني النبأ في اول الامر ثم ما لبث ان غشيني حزن هائل وعميق ..وكيف اضمن انك لن تنساني وان القاهرة وبناتها الفاتنات سيحولن قلبك عني، وتألمت ولكنني استطعت ان اخفي احزاني حتى تشعر بالحرج وحتى لا تنتبه لشكوكي ثم كان ما كان وسافرت وانقطعت اخبارك عني بعد دوام اتصال ثم كانت النهاية القاسية التي اخترتها انت ... واسرع سامي يقول :

ـ لا تتسرعي في اتهامي يا سميحة ... اقسم بحبك انني لم اتهرب منك .. بل واقسم بك انت وبحبك القوي انني كنت ضحية ولم اكن

مخادعا ، فعندما اخبرتك بنقلي كنت سعيدا .. حسبت ان الدنيا كلها ستكون ملك يميني وانه في استطاعتي في بحر سنوات قلائل ان اكون نفسي واهيء لك العيش الجميل الذي طالما حلمت به ... هكذا كان ظني انا ، لو كنت عرفت ان سفري سيكون بلا رجعة وانه سيكون خاتمة المطاف لقبلت العيش في اسيوط ولتزوجنا ولظللنا حتى آخر العمر ولكن الذي حدث كان مخيبا لآمالي ، فطريق الادب غير مفروش بالورود ، فهناك شبه احتكار وهناك عقبات هائلة تحتاج لصبر ايوب وتحتاج لتضحيات جسام ثم في النهاية لا شيء سوى النزر اليسير ، هذا هو سوق الادب اليوم وامس .

وهكذا حاولت ان اجمع شيئا من المال يساعدني على ان اتقدم لاهلك لخطبتك والانتظار حتى يتم جمع المهر ، ولكن المال قليل والظروف قاسية ولم استطع ان افعل شيئا واخفيت عنك كل شيء لم استطع ان اخبرك بالحقيقة حتى لا تتألمي وحتى لا يصيبك اليأس وحتى استمد من روحك قوة ومن عزيمتك ارادة ، ولكن اتت الرياح بما لا تشتهي السفن .. فقد انهالت علي النكبات .. اصابنا القدر بطعنة هائلة يوم غرق اخي ، واخبرتك بالمأساة ولكن لم اخبرك بما جرته علينا من نكبات فقد كانت فالا سيئا ـ فقد أثرت على صحة والدي لضعفه فاستبد به المرض ثم اخذه الموت وتركني وسط الآلام ، ووسط اسرة في حاجة لمساعدتي ، فقد انهك المرض الطويل الذي ابتلى به ابي مواردنا المالية حتى كادت ان ينضب معينها، وكان عليّ واجب كبير نحو اخوتي الذين يتعلمون ووالدتي المريضة ، ثم نحو الديون التي ابتلينا بها ... وهكذا صار ما اكسبه يكاد يكفي هذه المصروفات .. وقاطعته سميحة بتأثر :

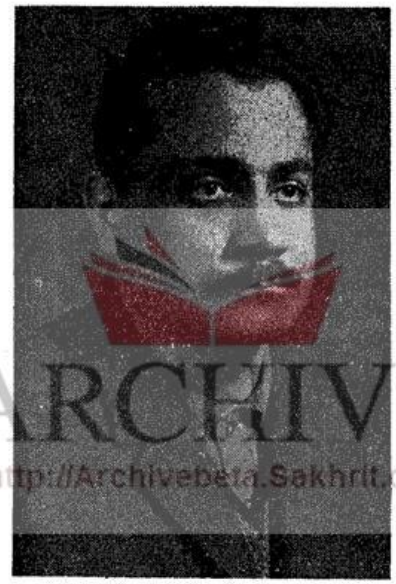
ـ ولماذا لم تخبرني بكل هذا ..؟

ورد سامي بألم قائلا :

ـ وماذا كنت تصنعين انت .. ؟

وقالت سميحة وقد هالها ما سمعت:

ـ لقد كنت قاسيا مع نفسك.. لم تصارحني بشيء ، وعندماصدمت بما ارسلته لي مع فتحية حقدت عليك وكان الانتقام .. كان الزواج دون حب ، ولدهشتي كان حظي عظيما ، كان زوجا مثاليا انسانا بكل معنى الكلمة ، ظل يطغى بشخصيته وحنانه على كل عواطفي حتى انمحت



السيد ابراهيم

●

صورتك من ذاكرتي واصبحت خيالا واصبح الماضي ذكرى لا احاول بعثها الى الوجود حتى كان ذلك اللقاء الغريب وحتى التقيت بك اليوم وكانت مصادفة غريبة لم اكن اتوقعها فقد كنت يائسة من اي مصادفة قد تجمع يوما بيني وبينك ولكن شاءت الاقدار ان نلتقي ... والغريب انني اليوم لم اكن انوي النزول الى البحر .. وابتسم سامي وهو يقول :

ـ هكذا شاءت الاقدار ان نلتقي وان نتحدث وان نعرف لماذا حدث وما حدث وكيف حدث واقسم لك انني تعذبت اكثر من اي انسان وتألمت اكثر من اي انسان ،وانعكس ذلك على قصصي وعلى افكاري حتى بت معروفا بأنني « عاشق الاحزان » من كثرة ما ابكيت ابطال قصصي ومن كثرة ما اغرقتهم في المآسي وفي النهاية اضطررت ان اتخذ ذلك اللقب واصبحت اكتب بذلك الاسم ... وقالت سميحة :

ـ اذن انت عاشق الاحزان .. انظر .. هذه هي آخر قصصك .. غريب امري وامرك .. كنت احس ان هذا الاديب يكتب ويبكي من اجلي فأقبلت على كل انتاجه وعندي مجموعتك كلها منذ ان كتبت قصة « الامل الضائع » وحتى قصتك الاخيرة « الوداع » وسألها سامي : وهل قرات « الوداع » .. وما رايك في نهايتها ..

وردت سميحة وظل ابتسامة يكاد يرتسم على فمها الدقيق : ان النهاية منطقية فماذا تفعل البطلة بعد كل تلك السنين ، بعد الفراق وبعد ان تزوجت ، لو كانت انسانة غير شريفة لرحبت بلقاء حبيبها بعد طول بعاد ولكنك انت يا سامي اخترتها انسانة شريفة تقدس الشرف .. لذلك كان لا مفر من الوداع .. قالتها ثم نظرت اليه لترى تأثير هذه الكلمات على وجهه واحزنها ان رأته يبكي وسألته لماذا تبكي ؟ ... ورد سامي قائلا وهو يحاول ان يتمالك نفسه .. لا شيء انني لا ابكي .. انني متألم من اجل البطل فقد كان موقفه سيئا ولكن في النهاية شعر بانه تحرر من الشعور بالذنب ... تحرر من الخطيئة التي تجثم فوق صدره ... تحرر من الشعور بأنه مخطيء بعد ان اعترف لحبيبته بكل شيء .. لقد كانت كريمة كما تخيل هو دائما .. غفرت له وفهمت كل شيء ... فهل يا ترى اطمع انا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المغترب

●

أمسى رفيق اغترابي ... أنشودة في غاب
قضت عليه الليالي ... بهجر أم وآب
وزوجة وبنين ... وشلة من صحاب
فراح يغزو الاماني ... بعزمه الوثاب
يشق صدر العوادي ... سعيا وراء الرغاب
والحظ يبسم آنا ... وآنة في اكتئاب
فكم طوى من حجار ... وكم طوى من عباب
وكم تجرع كاسا ... مليئة بالصاب
وجابه الموت ألفا ... على دروب الصعاب
لعل يظفر يوما ... من بعد طول الغياب
بالمال .. والمال رهن ... بكف لص مراب
فخاب ظنا وخابت ... آماله بالاياب
حتى انتهى وتوارت ... عيناه خلف الضباب
وكفنته الرزايا ... بحفنة من تراب

أمسى رفيق اغترابي ... انشودة في غاب
من بعد عيش مرير ... مغلف بالعذاب
وكل مأساة هجر ... قصيدة في كتاب

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآخر في عفوك ؟ .. لقد اعترفت لك بكل شيء كما سبق لي الاعتراف بكل شيء في قصتي « الوداع » وكانني كنت اتنبأ بما سيحدث .. فهل اطمع للمرة الثانية في عفوك ؟.

ودون ادنى تردد امسكت يده بيدها الرقيقة ثم ضغطت عليها برفق وقالت :

لقد غفرت لك منذ زمن بعيد ، منذ ان قرات قصة « الوداع » لقد وصلت رسالتك الى اعماقي ، كنت احس انها كتبت لي لكي اقراها ، ولكنني عندما قابلتك اردت ان اختبرك .. اردت ان اسمع نفس الكلام من فمك .. اردت ان اراك تتحدث بانفعال ، اردت ان اغسل احزاني .. اردت ان اشبع وان اختزن صورتك في عقلي وكياني لاننا لن نلتقي فلكل منا قدره وانا زوجة وام وانت لا ترضى ان اتخلى عن رجل وقف بجواري في محنتي ولا ترضى ان تفقد « منى » ابنتي اباها ..

ابتسم سامي ابتسامة حزينة وقال بصوته الرقيق : اقسم لك يا سميحة انني لم افكر في ان اكون سببا في شقائك لانني ومنذ البداية اخترت سعادتك ولا يحق لي ان اسلبك اياها الان .. لقد انزاح الكابوس من على صدري بعد ان اعترفت لك .. اما الان فوداعا يا سميحة .. وداعا لا لقاء بعده .. وداعا يا منى .

ونهض واقفا ثم حمل الطفلة وقبلها قبلة اودعها كل حبه وحنانه ثم وضعها برفق بجوار امها وانتزع ساقيه انتزاعا ثم سار في طريقه لا يلوي على شيء تودعه نظرات حزينة ويبكي من اجله قلب لم يعرف طعم السعادة من يوم ان افترق عنه .

القاهرة — السيد ابراهيم



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

قسس

ويجمعون القس (بفتح القاف وتضعيف السين) على قسس (بضم فضم). والصواب : هم قسوس (بضم القاف) وقساوسة وقسيسون. وقد جاء في الآية (٨٥) من سورة (المائدة) قوله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون .

والقس (بفتح فتضعيف) هو : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وقيل هو الكيس (بفتح الكاف وتضعيف الياء المكسورة) العالم ، وهي هنا سريانية الاصل . والقس والقسيس (بكسر فسين مضعفة مكسورة) بمعنى واحد .

وللقس (بفتح القاف) معان عديدة ، منها ما يأتي :

١ ـ قس ما على العظم يقسه (بضم القاف) قسا : أكل ما عليه من اللحم ، وأخرج مخه .

٢ ـ قس الابل أو الدابة قسا : ساقها .

٣ ـ قس السير قسا : أسرع .

٤ ـ القس : الصقيع .

٥ ـ القس (بفتح القاف وضمها وكسرها) : النميمة .

٦ ـ قس الشيء يقسه (بضم القاف) قسا (بفتح القاف) : تتبعه وتطلبه .

٧ ـ قست الناقة تقس (بضم القاف) قسا (بفتح القاف) : رعت وحدها .

٨ ـ القس : صاحب الابل الذي لا يفارقها .

أما القسس (بضم ففضم) فمن معانيها :

١ ـ العقلاء .

٢ ـ الساقة الحذاق .

٣ ـ الابل التي ترعى وحدها . مفردها : قسوس (بفتح ففضم).

٤ ـ النياق التي تضجر ويسوء خلقها عند الغضب ، مفردها : قسوس (بفتح ففضم) .

٥ ـ النياق التي لا تدر حتى تنتبذ . مفردها : قسوس أيضا .

القشطة

ويسمون الطبقة الرقيقة التي توجد فوق الحليب قشطة (بكسر فسكون) . والصواب : القشدة (بكسر فسكون) ، أو الكشاة (بضم الكاف او فتحها وتسكين الثاء) ، أو الاثر (بكسر فسكون) ، او الخلاصة ، أي : خلاصة الحليب . أما القشطة (بكسر فسكون) فشجر حديث العهد في البلاد العربية ، ويسمونه السفرجل الهندي أيضا ، ولب ثمره يشبه قشدة الحليب .

قصارى القول

ويقولون : قصارى (بضم القاف) القول . والصواب : خلاصة القول، أو : صفوته . أما قصارى فمعناها : الجهد والغاية . فنقول : قصارك (بفتح القاف) ، او قصيراك (بضم ففتح فسكون) ، او قصرك (بفتح فسكون) ، او قصاراك (بضم القاف) ، او قصاراك (بضم القاف) ان تفعل كذا ، أي : جهدك ، وحسبك ، وكفايتك ، وغايتك ، وآخر أمرك، وكل مستطاعك هو ان تفعل كذا .

والقصر (بفتح فسكون) هو : كفك النفس عن الطمع والطموح .

قضب

ويجمعون القضيب ، وهو السيف القطاع ، او السيف اللطيف الدقيق، على قضب (بضم فسكون) . والصواب ان يجمع على قضب (بضم فضم) .

ويسمى الغصن قضيبا ، ويجمع على قضب (بضم فسكون) ، وقضب (بضم فضم) ، وقضبان (بضم فسكون) . اما قضبان (بكسر فسكون) فهي اسم للجمع .

ويقال للسيف القاطع ايضا : قاضب ، وقضاب (بتضعيف الضاد) ، وقضابة (بفتح فتضعيف) ، ومقضب (بكسر فسكون ففتح).

يقتضي لـه

ويقولون : يقتضي لتاليف الكتاب كذا من الوقت . والصواب : يقتضي تاليف الكتاب كذا من الوقت ، أو : يستدعي كذا من الوقت ، او : يستوجب كذا من الوقت .

وللفعل (اقتضى) عدة معان ، منها :

١ ـ اقتضى منه حقه اقتضاء : طلبه منه وأخذه .

٢ ـ اقتضى الامر الوجوب : دل عليه .

٣ ـ اقتضى الدين وغيره : طلبه وقبضه .

ومن المجاز : افعل ما يقتضيه كرمك ، أي : ما يطالبك به كرمك.

تقطب وجهه

ويقولون : ما كاد يراه حتى تقطب (بفتح ففتح فتضعيف) وجهه . والصواب : ما كاد يراه حتى قطب (بفتح الطاء) قطبا (بفتح فسكون) وقطوبا (بضم القاف) ، أو : قطب (بتضعيف الطاء) تقطيبا ويجوز أن نكتفي بقولنا (قطب) دون ان نذكر الوجه بعدها ، ومعنى قطب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(بفتح الطاء) وقطب (بتضعيفها) : زوى (بتضعيف الواو المفتوحة) ما بين عينيه وكلح . ومعنى كلح : أفرط في تعبسه . أما الفعل تقطب (بفتح ففتح فتضعيف) فلم يسمع عن العرب .

ركب القاطرة او ركب القطار

ويقولون : ركب فلان القاطرة البخارية ، أو : ركب فلان القطار . وكلمتا (قاطرة) و (قطار) استعملتا هنا خطأ ، لان (القاطرة) هي التي أطلقها المتأخرون على الآلة البخارية او الكهربائية التي تجر القطار والتي أقرها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في الجدول رقم ١٥٨ .

أما القطار والقطارة من الابل ، فعدد منها ، مشدود بعضه الى بعض على نسق ، الواحد فيه خلف الآخر . وجمعه : قطر وقطرات (بضم الحرفين الاولين فيهما) . وقد شبه الكتاب منذ زمن بعيد العربات التي تسير فوق الخط الحديدي ، على نسق واحد ، بقطار الابل ، ووافق المجمع نفسه على ذلك في جدوله رقم ١٦١ . وأطلق اسم (قطار البضاعة) على قطار الشحن في جدوله رقم ١٦٦ .

وبما ان الانسان يركب جملا واحدا من القطار ، لا القطار كله ، أو يركب عربة واحدة من عربات القطار ، لا العربات كلها ، لذا كان الصواب أن نقول : ركب فلان احدى عربات القطار .

والغرفة الصغيرة التي يحل بها ، يسميها المولدون قمرة (بفتح فسكون) ، ولا ارى ما يمنعنا من استعمالها ، ما دمنا لا نعرف كلمة أخرى تؤدي نفس معناها . وهي معربة عن كلمة (كامبرا) الايطالية . وما على من يأبى استعمال كلمة معربة ، الا ان يسميها : غريفة (بضم ففتح فسكون) .

قطط

ويجمعون قط (بكسر فتضعيف) على قطط (بكسر ففتح) . والصواب : قطاط (بكسر القاف) وقططة (بكسر ففتح) . والانثى : قطة (بكسر فتضعيف) .

وقد أطلق مجمع دمشق اسم القط (بكسر فتضعيف) على كتاب الحساب الشهري براتب الموظف في الدولة ، وهو المعروف ب (البوردرو) . وجمعه قطوط (بضم القاف) ، وأصله الشيء المقطوع عرضا .

ومن معاني القط (بكسر فتضعيف) :

١ ـ الصك بالجائزة .
٢ ـ الصحيفة المكتوبة .
٣ ـ الكتاب ، او كتاب المحاسبة .
٤ ـ الساعة من الليل .

أحمر قانىء

ويخطئون من يقول : أحمر قانىء . ويقولون بأن الصواب هو : أحمر قان ، لان الفعل هو : قنا يقنو قنوا (بفتح فسكون) لون الشيء : كان أحمر قانيا ، وهو أحمر قان ، أي : شديد الحمرة .

وهذا صحيح ، ولكن هنالك فعلا آخر مهموزا ، هو الفعل : قنأ يقنأ قنوءا الشيء : اشتدت حمرته . وفي الحديث الشريف : مررت بأبي بكر ، فاذا لحيته قانئة ، أي : شديدة الحمرة .

لذا يجوز الوجهان : أحمر قان وأحمر قانىء .

قنال السويس

ويقولون : قنال السويس . والصواب : قناة السويس ، وهي القناة العربية الموصلة بين البحرين : الابيض المتوسط والاحمر . اما كلمة (قنال) فهي لاتينية Canalis . وتطلق العامة على القناة اسم (ترعة) ، مع أن الترعة في اللغة هي مفتح الماء الى الحوض ، او الى الارض ، او الى الجدول من النهر ، وهو فوهة الجدول .

قن الدجاج

ويسمون بيت الدجاج قنا (بكسر فتضعيف) او قنا (بضم فتضعيف) . والصواب : خم الدجاج (بضم الخاء وتضعيف الميم). والجمع : خممة (بكسر ففتح) .

أما العبد القن (بكسر فتضعيف) فهو الذي ولد عندك ، ولا يستطيع ان يخرج عنك . قال الاصمعي : القن هو الذي كان أبوه مملوكا لمواليه ، فاذا لم يكن كذلك فهو : عبد مملكة . وفي الاساس : عبد قن (بتنوين الدال والنون) : ملك (بضم فكسر) هو وأبواه .

ومن معاني القن (بضم فتضعيف) :

١ ـ قن القميص : كمه . ويجوز : قنانه (بضم القاف) وقنوانه (بفتح ففتح) .
٢ ـ القن : الجبل الصغير . وجمعه : قنن (بضم ففتح) ، وقنان (بكسر القاف) ، وقنون (بضم القاف) .
٣ ـ قلة (بضم فتضعيف) الجبل .

والقن (بفتح فتضعيف) هو الجبل الصغير أيضا .

قيموا الدار

ويقولون : قيموا (بتضعيف الياء) الدار ، أي : جعلوا لها قيمة معلومة . والصواب : قوموا الدار تقويما ، لان الفعل واوي .

أما كلمة (قيمة) ، فياؤها منقلبة عن واو . وفي الاعلال أن كل واو تقلب ياء اذا كانت ساكنة وكسر ما قبلها .

عقد قيم وكتاب قيم

ويقولون : عقد اللؤلؤ هذا قيم (بفتح فتضعيف الياء المكسورة) . والصواب : نفيس ، أو ذو قيمة عالية ، أو غالي القيمة ، لان القيم في اللغة هو المستقيم . ومنه قوله تعالى : فيها كتب قيمة (سورة البينة ، الآية ٣) ، أي : مستقيمة تبين الحق من الباطل .

وفي الحديث : ذلك الدين القيم ، أي : المستقيم الذي ليس فيه زيغ ولا ميل عن الحق ، وهو من المجاز .

وجاء في الآية الخامسة من سورة البينة : وذلك دين القيمة (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ، أي : دين الملة المستقيمة .

والقيم هو :

١ ـ السيد وسائس الامر .
٢ ـ قيم القوم : هو الذي يقومهم ، ويسوس امرهم .
٣ ـ قيم المرأة : زوجها ، لانه يقوم بأمرها ، وما تحتاج اليه .
٤ ـ أمر قيم : مستقيم (التاج) .
٥ ـ خلق قيم : حسن (التاج) .

ولم يرد في أمهات المعاجم العربية أن كلمة (قيم) تعني (النفيس) . ولو سلمنا مع مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه الوسيط أن معنى القيم هو : ذو القيمة ، لما وجدنا في ذلك أدنى مدح للشيء الذي نقول انه قيم ، لان كل شيء تقريبا ، لا بد ان تكون له قيمة كثيرة او قليلة . لذا وجب ان نقول عن الشيء الثمين : ذو قيمة غالية ، او غالي القيمة ، او نفيس ، او كريم .

القيم على الايتام

ويقولون : فلان هو القيم (بفتح فياء مضعفة مكسورة) على ابناء أخيه الايتام ، والمتصرف في اموالهم على أحسن وجه . والصواب : فلان هو الوصي على ، لان الوصي يحق له ان يحفظ مال الرجل لاولاده ، ويتصرف فيه على وجه نافع ، بينما (القيم) يفوض اليه حفظ ذلك المال ، دون التصرف فيه .

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

عـدوة الملاح

*

شمت ذاتي ظـلا لكـل جريمـة ... فتحاميت هجـس روح ذميمـه
وتفيأت مـن وريـف الامانـي ... ذكريات ، عـن كـل ثدي فطيمه
حسبنا يـا يـراع نعبث بالقلب، ... وحسب الصدى، وحسب العزيمه
مال صاريك بالشراع عـلى المـ ... ـاء ، فودعه، واحترس ان تقيمه
واترك القارب العتيق علـى الشـ ... ـط ، يؤاسي نسف الرياح كلومه
عاتب أنت يا يراع ؟ فمـا الذنـ ... ـب ، اذا أنـزل الزمان همومـه
تجنح الريح للـذرى بالسوافي ، ... فلم السرح لـم يفارق تخومـه
أنـا ، مـن مدمع الفؤاد أساقيك ... دم الهمس اغنيـات رخيمـه
أنا ، ماذا علي ؟ ان اصبح الدهر ... رمادا ولـم أفقـىء نجومـه
أنـا ..؟ عودتك الابـاء فعافوك ... ابـاء ، وجرعـوك سمومـه

جئت قدس الحياة أرفع عالـى ، فطـار شتيمـه
وسكبت الشراب للانفس الظمأى ... فـلابت علـى الرمـال كظيمـه
وحملت الوفـاء يثمـر في الناس ... اخـاء ، فثمـروه نعيمـه
وطلبت الوجـود ظـل نعيـم ... يتفيونـه ، فعافـوا نعيمـه
رقصوا للهيب في موقـد الثـأر ... وداسوا علـى القلوب اليتيمـة
يكرهـون الحيـاة ان هزها الـ ... ـحق .. بلى يكرهونه الحق شيمه
فدمـاء الموتـى وأكبادهـم قصـاع الوليمـه
بدمـوع الايتـام غـذوا المصابيـ ... ـح ، وتاهوا عبر الليالي البهيمـه
واستساغوا الرغيف دون جبـاه ... عرقت دونه وأيـد حطيمـه
روعتهـم أرماسهـم فغذوهـا ... بالتفاني ، على الدروب الاثيمـه
يـا رياح الاموات طـوفي بقتلا ... نـا . فان الحياة أرخص قيمـه
و ... مثلنـا بـأرواح صرعانـا ... ومـدي لهـم سمـاط الجريمه
وابذري الملـح بالجـراح لعـل ... الحس غاف تحت الجراح الاليمه
صرت أخشى عري الحقيقة، والعـ ... ـري كريه على النفوس السقيمه
مزقي الستر واطرحي بردة الليل ... وردي عـن كـل قلب غيومـه
كيف يهوى اليقين من ليس يخشى ... دون شمس اليقين عـار الهزيمه

لويس رزق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فارس الخوري

فارس الخوري الاديب والشاعر

في الذكرى السنوية العاشرة .. لوفاته

بقلم محمد الفرحاني

* * *

مرت بنا .. في الثاني من كانون الثاني ١٩٧٢ .. الذكرى السنوية العاشرة لوفاة علامة العرب الكبير الزعيم السياسي الشهير الاستاذ فارس الخوري الذي كان افتقده العالم العربي في مساء الثاني من كانون الثاني ١٩٦٢ في وقت هو أشد ما يكون حاجة لامثاله ولما يتمتع به من عقل راجح وفكر نير ورأي صائب .. وخبرة واسعة وتجارب لا يحصيها العد ..

ولقد طغى الحديث عن فارس الخوري بأنه عالم حقوقي ، وخطيب مفوه ، وسياسي بارز ، أدى لامته العربية خاصة ، وللانسانية عامة ، أجل الخدمات واثبتها اثرا في التاريخ المعاصر .. وقل من يعرفه شاعرا فحلا يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ..

ولا شك أن الشعر يدخل أحيانا في عداد ملكات الخطابة من حيث هو ابانة وتعبير ، وقد سلس الشعر له قياده نظرا لما تميز به فقيدنا الغالي من سعة اطلاع في اللغة ، وسلاسة الاسلوب في التعبير والاعتدال في المشرب ، والتحقيق في المعلومات ، وهي ميزات تجعل مما ينظمه فارس الخوري شيئا فريدا في بابه وبالغا من الجودة حدا لا بأس به ..

فقد كان فارس الخوري في مطلع هذا القرن .. اي منذ سبعين عاما .. يملأ صحف سورية ومصر ، بمنظوماته وكتاباته ..

وانا هنا .. لا أريد ان اعيد نشر (النماذج) التي اشرت اليها من شعره .. في كتابي « فارس الخوري وايام لا تنسى » الذي اصدرته عنه في بيروت عام ١٩٦٥ .. ولكنني اريد ان اقدم نماذج جديدة .. اوحت بها ذكراه .. وهي بالنسبة الي شخصيا ذكرى لا تنسى .. بالنظر لما كان لي من شرف ملازمته وصداقته الحميمة في المراحل الاخيرة من حياته ..

في الغزل

في عام ١٩١٧ أجبر فارس الخوري على الاستقالة من عضوية البرلمان العثماني (من قبل الوزير العثماني احمد جمال باشا الذي كان يحكم سورية) وأبعد الى استامبول ، فلم تتمكن قرينته السيدة اسماء جبرائيل عيد من مرافقته الى هناك لاسباب صحية وكان يحبها حبا عظيما ويحن اليها كثيرا .. كما كان متألما من ذلك الابعاد الذي لا مبرر له .. وصادف ان مرت عليه بعض المواسم والاعياد فأحس بقسوة الوحدة ومرارتها .. وضاعف من لوعته واشجانه ، استلامه تحريرا مؤثرا من قرينته ، يفيض بالحسرات .. وتروي له فيه ، حلما راته في المنام .. فرد عليها شعرا .. يقول :

لله درك ما أحلى مزاياك	وما اعزك في نفسي وأسماك
لقد تعلمت منك الحب أجمعه	حتى تعلم قلبي كيف يهواك
عندي من الحب آيات مفصلة	ما كنت اعرف معنى الحب لولاك
عندي من الوجد ما لو تعلمين به	لطال ليلك واشتدت بلاياك
أقضي الليالي وحيدا لا يؤانسني	في وحشتي وانفرادي غير نجواك
صبرت صبر الفطاريف الكرام على	دهر تجنى فاشقاني واشقاك
وكنت مبتسما للنائبات وقد	خاب الرجاء وفاضت عبرة الباكي
ما كنت اشكو لغير الله ضائقتي	لعله مستجيب دعوة الشاكي
وكنت أغفر ذنب الدهر مرتضيا	لو كان مني على الضراء ادناك
فلا بأس من طول هذا البعد ما بقيت	عين المحبة ترعاني وترعاك

زعمت انك في الحلم اطلعت على	شيء علمت به مضمون مهواك
قلت اطمئني فلا بأس اذ وضعت	في بارد الماء يوم الحر رجلاك
حفظت عهدك حتى كاد يحرمني	نوم الليالي فاقضيها بذكراك
(دار السعادة) فيها كل سافرة	تفتر عن درر نيطت بأسلاك
تراود المرء بالالحاظ باعثة	آمالها بين اشباك واشراك
يمدها كل طرف ملؤها غزل	رام على القلب فتان وفتاك
تصيد كل غوي في حبائلها	وربما بعض رهبان ونساك
اغمضت باصرتي عن كل غانية	كأنما راقبت عيناي عيناك
وكيف انسى عيونا طالما ذرفت	دمعا لاجلي ، تفرى منه خداك
وكيف انسى فؤادا خافقا حذرا	علي بالوجد ضمته حناياك
بل كيف انسى عهودا بيننا سلفت	لا عشت ان كنت انساها وانساك
كريمة الاصل بالاعراق مترعة	بالنبل حيا الذي بالفضل ربّاك
وما عدا الصبر، نلت الحسن أجمعه	لو كنت أحرزته تمت سجاياك
تجلدي في مرارات الفراق الى	ان يجمع الله لي يوما بلقياك
مني عليك تحيات مطيبة	بالحب ، لولا النوى ، بلغتها فاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلاوة اللقاء بعد طول غياب

وفي حزيران ١٩٢٦ كان فارس الخوري وزيرا للمعارف في حكومة الداماد أحمد نامي حيث دخلها مع زميليه حسني البرازي وزير الداخلية (مد الله في عمره) ولطفي الحفار وزير الاشغال العامة ، كممثلين للوطنيين ، لقاء شروط تعهد لهم الفرنسيون بنفاذها ، واهمها ، انهاء الثورة التي نشبت عام ١٩٢٥ بقيادة سلطان باشا الاطرش (مد الله في حياته) سلميا .. ولكن الفرنسيين خالفوا تعهداتهم ولم يفوا بوعودهم مما ادى الى استقالة هؤلاء الوزراء الوطنيين آنئذ .. فما كان من الفرنسيين الا ان ساقوا الوزراء المستقيلين (الخوري والبرازي والحفار) مع وطنيين آخرين ، في مقدمتهم المغفور له سعد الله الجابري طيب الله ثراه ، في اليوم التالي ، الى الحسكة، اقصى شمال شرقي سورية ، وهناك حاولوا اغتيالهم بحادثة افتعلها الفرنسيون ولم يقدر لها النجاح .. فاضطرهم الامر الى نقلهم ، الى اميون الكورة في لبنان.. ثم وضعوا قيد الاقامة الجبرية في بيروت .. ثم أفرج عنهم وسمح لهم بالعودة الى دمشق في شهر شباط ١٩٢٨ .. وجرى لهم عند محطة البرامكة استقبال شعبي منقطع النظير ، ألقى فيه فارس الخوري القصيدة التالية :

سلام على الفيحاء في غض هابها ... سلام على ارجائها وهضابها
سلام على ما حفها من خمائل ... سلام على معمورها ، وبيابها
سلام على الاشجار تكتنف حولها ... سلام على انجادها وشعابها
سلام على الاشبال ، تزأر دونها ... سلام على أشياخها وشبابها
سلام على أنهارها وجنانها ... سلام مشوق واقف عند بابها
سلام على المغوار فوق جواده ... سلام على الحسناء تحت نقابها
سلام على الفيحاء من بعد فرقة ... براني الذي لاقيته من عذابها

سلام محب ، غالبوه ببعدها ... فاوشك ان ينهار دون غلابها
ولكنه في غير فرقة صحبه ... صبور على مر الحياة وصابها
وقد خاطبته الحادثات بروعها ... فما وجدته عاجزا عن جوابها
يذكره (الخابور) عذب مياهها ... وواسعة البيداء وسع رحابها
اذا انشبت فيه الخطوب لاجلها ... فلا بأس من ظفر الخطوب ونابها
فكل مصاب عن بلادي محبب ... لدينا ، اذا أفضى لدفع مصابها
صبرنا لها صبر الكرام هوادة ... وفي النفس من حمل المغارم ما بها

سلام عليكم ما احب لقاءكم ... لنفس محب طال عهد اغترابها
أحيي بقومي عصبة عربية ... تصاحب نبلا فاخرا باصطحابها
بخلق، يعير الحسن، زهر رياضها ... وخلق ، يعير اللطف ماء سحابها
عبرنا اليكم في الثلوج ولم تكن ... لتطفيء اشواقي وحر التهابها

بني وطني ان البلاد تريدكم ... فسيروا على نهج الهدى في ركابها
تريد من الابناء كل سميذع ... يرد خواطي عزمها لصوابها
من الفتية الغر الذين تبينت ... عزائمهم في بؤسها واكتئابها
أحلتهم أرواد ، غور كهوفها ... وعلتهم الصحراء ماء سرابها
وها قد دنا يوم الموازين عندنا ... وكل يمين قد أتت بكتابها
وما كانت الافعال ذاهبة سدى ... وكل يد مسؤولة عن حسابها
سلام على الاخيار فوق ظهورها ... سلام على الاحرار تحت ترابها

في الترحيب والتكريم

وفي ١٧ حزيران ١٩٢٩ أقام المجمع العلمي العربي بدمشق حفلا تكريميا للشاعرين الكبيرين حافظ ابراهيم وخليل مطران .. القى فيها أحد اعضائه فارس الخوري قصيدة .. قال فيها يصف حافظا :

همام على الستين (حافظ) باسه ... يشد على السبعين وهو قريرها
وليس يضير المرء شيب شعوره ... ولكنما شيب العزوم يضيرها
همام له في النائبات مواقف ... يقصر عنها كهلها وطريرها
وقفت أحييه عن المجمع الذي ... له رتبة فيه ، قليل نظيرها
ومن لي بتحليق ، الى اوج فضله ... وأين لهذا ، همتي وقصورها

ولا يلبث ان يوجه الى حافظ ، خطابه ، بقوله :

دمشق تحيي فيك حرا بشعره ... تغنت وتاهت غيدها وطيورها
وقد طالما اشتاقت لزورة ماجد ... روت شعره ، أبهاؤها وخدورها
فكم من فتى في الشام أنت سميره ... وكم من فتاة انت أنت سميرها
نثرت على العرب الكرام منازعا ... برغم خصوم العرب تنمو بذورها
ألست ترى عند الشبيبة نزوة ... الى المجد والعلياء أنت مثيرها
ألست الذي ان انشد النيل شعره ... تردده انهارنا وخريرها
تلونا على (الخابور) من معجزاته ... فانهش ، والصحراء خف هجيرها
وجدناه في (ارواد) مطلعا على ... دياجير هاتيك الكهوف يُنيرها

ثم يخاطب حافظا .. وخليل مطران .. واحمد شوقي الذي لم يكن بصحبتهما .. فيقول :

فيا شعراء النيل ان قريضكم ... خزانته عند الثآم صدورها
اقمتم لاهل الضاد في مصر دولة ... أريكتها انتم ونحن ثغورها
نقدمكم طوعا ونعرف قدرنا ... وما آفة الاقوام الا غرورها

ولا ينسى ان يذكر اعلاما آخرين من مصر .. كالامام الشيخ محمد عبده .. وسعد زغلول .. وغيرهما .. فيقول :

وفي ذمة الله الامام محمد ... منار الفتاوى الصائبات ونورها
تخطى الى لب القضايا فدلنا ... عليه ، وقد الهت سواه قشورها
وسعد ومحمود وصبري وقاسم ... وامثالهم ممن أجنت قبورها
واحياؤهم رهط التجدد والعلى ... تباهي بطون الارض فيهم ظهورها

ثنائيات

وقال فارس الخوري مرة ، لبعض اصدقائه :

لي نحوكم أبدا شوق يساورني ... في الوطن الداني او في الوطن القاصي
كم وقعة لي على (الخابور) أذكركم ... كما ذكرتكم قدما على العاصي

وكان ذات يوم ، في دارة المغفور له السيد نجيب آغا البرازي في حماة ، الذي كان قطبا كبيرا في (الكتلة الوطنية) بينما كان ابن أخيه السيد حسني البرازي وزيرا للمعارف في حكومة الشيخ تاج الدين الحسني الاولى (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦) وفي حالة انشقاق عن الوطنيين .. فوقف في الجماهير الحموية التي احتشدت لتحيته وقال:

(حماة) بها عز العروبة والندى ... لها في مضامير الجهاد مفاخر
بها من احب الشعب نال كرامة ... وفيها على (العاصي) تدور الدوائر

واشار بيده الى بيت السيد حسني البرازي القريب .. حينما نطق بالشطر الاخير .. ومعلوم ان نهر العاصي يمر في قلب حماة وتقوم عليه النواعير بشكل دوائر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الستين

ستون ، ما أنت يا ستون ؟ انذار ... ان الردى قادم والعيش ادبار
وان تشرين عن كانون حدثنا ... من بعد ما غاب في نيسان أيار
قرأت عنك ، ولا أدري متى قرأت ... عيناي عنك فان الذكر اطوار
ولو تجلى لي المحجوب ما فرحت ... نفسي اذا مد لي في العمر مقدار
انى يكون الذي يأتي الزمان به ... خيرا من الذاهب الماضي فاختار
لولا الاحبة في الدنيا لما بقيت ... لي ليلة من نمير الحب تمتار

ولا النسائم يجلو سحرها سحرا ... بالعطر زهر وبالالحان اطيار
لم تبق الا البواطي وهي خاوية ... الا من الذكر قد غامت به الدار
لم تبق الا سويعات نعد لها ... عد البخيل اذا ما ضاع دينار
اذا صحونا، اذا نمنا، اذا ارتفعت ... اصواتنا أو سرى بالهمس تيار
ما أقصر العمر مهما مد فيه لنا ... كانما الميل بعد المد اشبار
تمضي الثواني ولو قلنا سنحبسها ... لطار بالقيد بل بالسجن اعصار
انى لها وقفة والسير ديدنها ... في رحلة كلها شد وتيار
تمضي سراعا فلا تدري السنون لها ... الا وقد غالها طي واضمار

.

من غيهب القبر والسر المحيط به ... ان كان للقبر بعد الموت اسرار

ماذا تريدين يا ستون ، عاصفة ... من السرور لها طبل ومزمار
والليل قد ناء بالاوزار فادحة ... حتى كان المنى في الليل اوزار
لن تسمعي غير آهات مروعة ... يشدوبها الركب ان حلوا وان ساروا
انا نسينا مع الايام فرحتنا ... لما نات بحديث القلب أوطار
ايام كنا اذا طاف الغرام بنا ... طافت به من ندي اللحن أبكار
ايام كنا اذا ضاق الفضاء بنا ... لم تبق من فعلنا بالليل اقطار
ايام كان الصبا الريان في شغل ... عنا بليلى ومن بالدير قد داروا
لم يبق من كل ما كنا نؤمله ... في الدير بعد الصبا والحب ديار
لم يبق من كل ما كنا نؤمله ... الا رسوم واطلال واطمار
كنا نغالب في الخمسين حيرتنا ... واليوم لم يبق في الستين محتار
فانما هي أوهام نهيم بها ... وانما هي أشجان واشعار

عدن

محمد عبده غانم

وأشاد فارس الخوري بمدينة حمص مرة .. وهي مدينة الرئيس الجليل المغفور له السيد هاشم الاتاسي عطر الله ثراه .. فقال :

في قلب سورية رست بلدة ... يزينها ماض طريف تليد
لها من التاريخ اسمى الذرى ... والخالدان ، الذكر ، وابن الوليد

على أنني ظللت عاتبا على صديقي الكبير المغفور له فارس الخوري ، حيث لم يذكر مدينتي ومسقط راسي (دير الزور) بشيء من شعره برغم تكريمها اياه في حياته وتسميتها شارعا رئيسيا كبيرا باسمه استجابة لاقتراح قدمه عام ١٩٤٧ صديقه ورفيق نضاله الوطني المغفور له محمد نوري الفتيح عليه رحمة الله .. وانباه بذلك .. بحضوري شخصيا .. وبحضور المغفور لهما الامير عادل ارسلان وزكي الخطيب ..

وليرحمهم الله جميعا رحمة واسعة .. بقدر ما أدوا الى بلادهم والى اجيالها من جزيل الخدمات .

محمد الفرحاني

لماذا نتكلم العربية ؟

بقلم سليم الرافعي

★ ★ ★

الادب في راينا قدرة تجارية ـ انسانية .
واذا بدا هذا الراي غريبا، فاننا نزيد على ذلك موضحين:

أ ـ ان الادب هو على التحقيق نتاج اللغة .

ب ـ اللغة نفسها نتاج البيئة من ارض وسماء وبحار وانهار .

معنى هذا ان اللغة حديث الارض ، حديث البيئة ، حديث الطبيعة .

جـ ـ المتحدثون بهذه اللغة هم ابناء البيئة التي انطقتهم بهذه اللغة ، فهم في الحقيقة حديث اللغة . واللغة راسمال الطبيعة ، وراسمال الانسان ، وراسمال الادب ، بطبيعة الحال .

تهب الطبيعة اصواتها للانسان : حروفا وكلمات . فتصبح لغات في افواه الشعوب .

وتهب الطبيعة صورها ، وخيالها ، للانسان . فتصبح آثارا منطوقة او مكتوبة . وهذه الآثار اما ان تكون جديرة بالبقاء واما الا تكون . اذا كانت هذه الآثار غير جديرة بالبقاء ، فانها تزول ـ لعدم الاقبال عليها . فهي في حقيقة الامر سلعة معروضة في السوق ، ومعرضة لاقبال الناس واعراضهم . واذا اقبلوا عليها كانت سلعة رائجة ، تتناولها الايدي ، وترفعها الى المكان اللائق بها .

فالمسألة كلها ليست اكثر من عملية تجارية خاضعة لقانون العرض والطلب .

الصينيون والهنود واليابانيون والافريقيون عامة كانوا حديث لغاتهم . نطقوا بها وكتبوها بعد ذلك . فما الذي حال بينهم وبين رواج تجارتهم هذه ؟

منذ الوف السنين كانت لهاتين القارتين : آسيا وافريقيا ، دول قوية وآداب في الاجتماع والديانة والحياة الخاصة والعامة . ولكن لغاتهم لم تجرؤ على الخروج من اوكارها ، كما خرجت جيوشهم واساطيلهم . فلا يعلم أحد أن للفرس لغة انتشرت في الشرق او في « مقدونية » بعد انتصارهم على اليونان . وانما يعلم الناس ان الجيش الفارسي كان يخرج وحده للقتال ، ثم يعود الى موطنه . لا يترك للناس الا ذكريات الوقائع التي خاضها ، من هزيمة او انتصار .

ولا يعلم احد ان لغة الفراعنة كانت تخرج معهم في حروبهم المتوالية . وانما يعلمون ان جيوشهم كانت تقاتل وحدها . تتلقى الاوامر ، وتنفذها ، ثم تعود الى بلادها . فأين لغة هذه الجيوش ؟ لماذا لم تقاتل غيرها من لغات آسيا وافريقيا ؟ لماذا تركوا آثارهم على الاحجار ، ولم يتركوها على افواه الناس ؟ ما الذي حال بينهم وبين ذلك ـ ولقد كانت بأيديهم الجيوش الضخمة ، والعتاد والسلاح ، واهل العلم والفكر ...

لقد حارب البابليون والاشوريون والحثيون . واكتسحوا رقعة الشرق . وكانت جيوشهم من اقوى جيوش العالم . تحدرت كالعواصف الجبارة تبتلع الدول والشعوب ، فأين ذهبت لغات هذه الامم العظيمة ؟ كيف كانت تتحدث هذه الجيوش ؟

لا شك انها كانت تنتصر بقوة العقل والبدن معا . ولكن لغاتها لم تنتصر كما انتصرت ابدانها . فما السر في ذلك ؟

السر كله في هذه الكلمة : التجارة .

نحن اذن امام العبقرية التجارية ، حين نبحث في العبقرية اللغوية ، اللغة الخالدة هي لغة الاخذ والعطاء ، لغة التعامل . لغة العبادة . لغة الفكر . لغة الشعر . من أجل هذا كانت لغة العرب لغة الخلود ، لانها أصدق في التعامل مع الطبيعة ، ومع الانسان .

كان العرب أخلص الامم للطبيعة . أحبوها ، واطاعوا قوانينها ، وانتظموا اجيالا في الولاء لها . يجوبون صحاراها وفيافيها . ويملئونها غناء وحداء . ويعشقون آفاقها واجرامها السماوية . ويرتشفون ماءها قطرة قطرة ، ويأوون الى واحاتها وجبالها ، فينظرون مشدوهين ، كأنما ينظرون الى جنات الفردوس ، ويأكلون ضبابها وجرادها ، ويلذ لهم قليل ما يأكلون . وينحدرون في بطونها من واد الى واد ، كأنهم سحرة او مردة . ويتنفسون صباها ونسيمها ، ولا يضيقون برياحها الشمالية العاتية . فماذا كانوا يفعلون ؟

لقد باعوا حياتهم . واشتروا اصوات الطبيعة من نسيم وعاصفة . وقبضوا من افواه النوق والجياد والبعران والظباء ثمنا باهظا . هو ثروتهم اللغوية .

نعم . ليس هؤلاء العرب الا كهنة الطبيعة ورهبانها.

فمن العسير ان يجهل هؤلاء الناس سر الخلود .

فالشعر الذي مضغوه في جاهليتهم هو اصدق شعر عرفه الانسان . وعندما ورثناه عنهم ، ورثنا معه جبالهم واوديتهم ، وعشنا فيه صحراءهم وواحتهم ، وحبهم ، وبغضهم ، واجتماعهم ، وتفرقهم .

وعندما قرانا كتابهم المقدس ، ارتبطنا بحقيقتهم المستمدة من الخالق ، وطمحنا الى الفردوس ، والملائكة، والحور العين ، وانهار اللبن والعسل . وعندما آمنا بعقيدتهم ، وجدنا انفسنا الى جانب المسيح بن مريم ، وموسى ، وابراهيم الخليل ، لمسنا معهم ايدي القديسين والاولياء والابرار ، أحببنا الحياة ، والموت ، والبؤس ، والنعيم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرب هم الناس الحقيقيون ـ اذا صح هذا التعبير ، في مجال التفسير . الفرد منهم انسان كامل . او ، أمة انسانية . يعيش قويا ، حرا ، منتصرا ، وما اخبار الجاهلية الا اخبار أمم كثيرة كانت تعيش في شعب واحد . هناك اهل القتال ، هم في الحقيقة هواة الخطر والموت . لا يبالون شيئا ولا يكترثون بشيء . يلقون بأنفسهم في حومة الوغى . يأنفون من الاسر والذل ، ويؤثرون العدم . فهم يمثلون لنا الانسانية التي تطلب البقاء عن طريق الفناء . يحمون الحمى . ويغيرون على الاعداء . ويلعبون كالمردة على ظهور الخيل ، ويقودون الكتيبة . وينتحرون انتحارا ..

هناك اهل الشعر : يناجون الحب . ويؤاخون الجن ، ويقدسون الجمال ، في المراة ، وفي الكرم ، والشجاعة . ويمدحون ويهجون . لا يعنيهم الا ان يعبروا عما تمتلىء به خواطرهم . يمثلون لنا انسانية الجمال والحكمة والمثل الاعلى .

هناك اهل العظمة والقيادة : ملوك وسادة وحكام على عشائرهم وقبائلهم ، يحاربون اعداءهم ، ويوالونهم ، وتراهم ، تارة ، يحقنون الدماء بالسياسة والدهاء . ينتصرون . وينهزمون . يجتمعون ويتفرقون . يمثلون لنا انسانية الدولة ، والحكم ، والملك ، والجبروت .

هناك اهل التجارة والتجوال في الارض ، يخترقون حدود بلادهم ، ويطلبون التعامل مع الغريب . ويلتذون ذلك . ويؤثرونه على كل شيء ، حتى اصبحت قوافلهم مضرب المثل في رحلة الشتاء والصيف . لا يقعدون عن الربح والكسب الحلال . سماسرة ، وتجار ، واصحاب رأسمال ، يعنيهم الوافد الجديد من بضائع الشرق والغرب . يحفظون حقيقة التجارة بالحرية والطرق الآمنة ـ هم ، مع اخوانهم الآخرين ، رواد الادب العربي. فتحوا آذان البشرية لاستقبال لغتهم المطاوعة لكل هاجس . وما اللغة العربية الا حصيلة هذه المجموعة المتناقضة : تجانست ، وتكونت من احتياجات الناس . فهي لو اردنا التحديد : لغة الناس .

عثرنا نحن الشعوب المستعربة على افواه نبضت منها قلوبنا وعقولنا وآمالنا .

السؤال المشكلة : لماذا صرنا عربا ؟

لقد اشترينا العربية فأصبحت لغتنا . لماذا لم نشتر الفارسية او اليونانية ؟

حكمتنا العبقرية الرومانية الفذة ، فلماذا لم نلتحق بها ؟

نسير بين هياكل بعلبك ، فنتساءل : اين لغة تلك الاعمدة ؟

تروعنا عظمة ابي الهول ، والاهرام ، ويروعنا فن تحنيط الموتى ، فنتساءل : بأي لغة يتكلم الاحياء ؟

احتوانا الهلال التركي العثماني، دهورا ، ومحضناه الولاء دهورا ، فلماذا لم نبتلع لغته وفكره وثقافته ؟

ما زلنا نقف حتى الآن امام « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » .

ما زلنا نتفرس في بعر الآرام ، ودارة جلجل ، ونتسارع الى حفظ القرآن الكريم ، والاستشهاد بآياته، وتفسيرها ، والاستمداد منها ، ودراسة بلاغتها ، وفواصلها ، ومواقفها ، ونهايتها .

ما زلنا نؤمن بشبح « العروبة » الواحدة ، المتصلة بتاريخ موسى وعيسى ومحمد .

الجواب على كل ذلك : ان الامة هي التي تحدد نفسها من خلال تجارتها الخفية . فهي تمر بالزمن ، والحرية ، والعبودية ، والنصر ، والهزيمة ، فتختار من كل اولئك سلعة تعبر بها عن حاجتها ، وترمز بها الى ارتباطاتها ، وطموحها ، ومثلها العليا .

نحن نتكلم العربية لاننا حصلنا عليها . ومن صدق الملاحظة في الاجابة هنا ان ننظر الى تقلب الشعوب التي عاشت في مهود الشرق الادنى ـ بين احضان الاديان والفتوح العسكرية الغازية ، والتفاعل الجارف ، بحيث لا يثبت على ظهر هذه المنطقة الا الصحيح الخالص من شوائب الزيف ، القادر على حماية الطبيعة من الطبيعة ، والانسانية من الانسانية .

ونستطيع ان نحاور المستقبل ، ايضا ، فنقول : ان العبرية لن تكون اقوى من التركية ، او الانكليزية ، او الفرنسية ، او الاسبانية . نستطيع ان نضيف الى كل ذلك ، بكل بساطة ،ان منطقتنا التي تترنح الآن بين الشرق والغرب ، لن تبيع نفسها ، ابدا . لانها ـ حتى الآن ـ اشترت العالم كله في سوق العبقرية المزدوجة : الانسانية الالهية .

عبقريتنا جعلت الارض مقدسة ، وجعلت السماء هدفا . ولغتنا العربية التي ما نزال نتكلمها ـ هي لغة العالم المنظور ، ولغة العالم الميتافزيقي . اي انها تتطور، وتتخيل التطور . اي شيء اقوى من ذلك ؟

طرابلس ـ لبنان — سليم الرافعي

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

عام بعد عام

توفيق اليازجي

تنصرم ايها العام ، فكيف أودعك !
وتقبل ، فكيف أستقبلك !
ولا فاصل امامي سوى لمحة وهمية
من تقسيم الناس للزمان !
أتطلع الى الوراء ، فتزدحم الصور وتتكدس ،
وارنو الى الامام ، فتتسابق أشكال غامضة ،
متدافعة متشابكة ، لا تبين حتى تختفي
ولا تختفي حتى يحيكها الخيال !
ماذا في هذا البعد المترامي !
ماذا ... في هذا الخيال
المتكالب على الاشكال الوهمية المتعامية !
اين ستخطو خطواتي ، واين اضع اقدامي
على الطريق الممتدة امامي !
كيف تسير على اضواء نظراتي المتعبة
واحداقي المتماوتة للمحة من مقبل مجهول !
انتفض في اعماقي ، ايها العام المنصرم
انتفاضة القادم المجهول، وانتفاضة الفامض الذي يحيا!
انتفض من كل ما مر ، ومن كل ما سياتي ويقبل !
انتفض ...
فانا أحيا الايام التي تمضي ولا تنقضي ،
وأعيش الايام التي تحيا ولا تموت !
اغرب في نفسي ، ثم اطل من احداقي ،
وخذ مني هدية ((بابا نويل)) ،

●

عكازة تتوكأ عليها في عبور المجهول الممتد ،
وفي اجتياز المسافة المتباعدة !
اغرب في نفسي ، واطل في عيوني
فامامي شهوة المجهول ،
وفي نفسي نهم الغموض !
لا تمض ولا تقبل ، بل ابق كما انت
مسيرا متصلا من الزمان ،
ومشيئة متتابعة من الحياة !
انمضي معا ومعا سنقبل
في لمحة خاطفة من اوهام المقاييس
وعلى الطريق نسير ، تحيط بنا الحياة
وتشدو أنشودة غريبة
تتدحرج متقلقلة على حنجرة الزمان !
لا ... بل لك ما تريد ،

●

فمت كما تشتهي ، ومت كما تشاء
وارجع الي !
ارجع بعد لمحة مائتة في اذهان الناس
ارجع ، وفي قلبك شباب الحياة
وفي عقلك خبرة الايام
واجمع على قدميك الحافيتين
غبار المسير وآثار الطريق !

حلب ـ دار الرائد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلاحقت انفاسها لدن ما اعترض سبيلها الجنود الاسرائيليون ، وراحوا يدفعونها بفوهات مدافعهم الرشاشة الى الطابور الطويل المحتجز تحت وهج الشمس للتفتيش ، وتمتمت وهي تأخذ مكانها في الطابور :

ـ لقد حاصروني .. ولكني لن ادعهم يفتشونني .. والا انكشف امري .. وفي ذلك ما سيحيل بيني وبين تنفيذ مهمتي .. لتتحول غزة كلها الى نقط للتفتيش والمراقبة ، فلن يحيل ذلك بيننا وبين الكفاح من اجل التحرير ..

قالت ذلك بسرعة وحزم .. وعيناها الزائغتان تبحثان لها عن مخرج ... واشتملتها رعدة قوية عندما التصق بها عملاق . واسر في اذنيها بصوت حذر :

ـ نضج الزيتون ..!

وتحسس مدفعه الذي يخفيه تحت طيات ملابسه ، بينما تنفست الفتاة بعمق وهي ترنو الى حقيبة يدها المعلقة في كتفها .. على حين اخذ من في الطابور يزحفون رافعي الايدي ، والحقد الدفين يغلي ويفور في نفوسهم ، وشرر الغضب يتطاير من عيونهم ..!

وظلت الفتاة تترقب الفرصة السانحة للافلات من ذلك الطوق الخطر ، لا خوفا من الموت ولا رهبة منه ، بل حتمية الواجب والكفاح واداء فريضته ، دربا لا بد من السير فيه ، ومن حاد عنه فهو ضال ، مرتد .. ولذا تحس في ذاتها .. وقرارة نفسها الفطرية الا مناص من مواصلة الكفاح ، وان لم يكن فلتضرب ضربتها ، وليكن في ذلك استشهادها ، غير آسفة لعدم بلوغها نهاية الطريق طالما هي بدأته ..

واستطردت قائلة :

ـ هناك من يسلكون الدرب .. ولسوف يبلغون نهايته رافعين الوية النصر الخفاقة عاليا حيثلا يبالون.

وهم يجودون بأرواحهم ..

ومع ان الصمت كان مخيما على من في الطابور الا ان الفزع قد استبد بأولئك الذين يسددون فوهات مدافعهم الى صدور من وقفوا صامتين ، ونبضات قلوبهم تطرق الاسماع في ضجيج مخيف كجحافل جيش هائل يزحف في اصرار عنيد .. والعرق يتصبب غزيرا .. والشمس تلفح الاجساد بحرارتها .. والرياح الساخنة تسفي الرمال وتثير الغبار ، بينما يصيح الضابط الاسرائيلي آمرا ـ من حين لآخر ـ بتوخي الدقة في التفتيش ، حيث انه لطالما يوجد من يحذقون اخفاء السلاح لاستعماله في

فدائية

بقلم محمد حسين عبد المجيد

اللحظة المواتية ..!

واشار الضابط الى جندي شرس ، وهو يذب الذباب الذي يزعجه بطنينه ولدغاته ، ثم قال :

ـ لتكن متيقظا يا ابن ياعيل ..!

فنظر الجندي اليه شزرا ، وقد عنى تجريحه بقوله :

ـ كل اليقظة يا عمي ..!

وانبعثت من الطابور صرخة الم وعجز لكهل تهاوى على الحصى الساخن ، فانقض عليه الجندي وراح يضربه بوحشية الى ان انبثق الدم من فمه ..!



ـ انهض ايها العجوز ، والزم مكانك في الطابور ..!

وضربه ضربة الزمته الصمت ، ثم شهق العجوز شهقة خفق جسده بعدها وسكن سكونا ابديا ..!

ولجت عيون من بالطابور في بحار محمومة من الدمع السخين بينما راحت الفتاة تدير عينيها وترسل الطرف حيث الدور الموصدة الابواب والنوافذ ، فبدت جهمة ، صامتة صمت القبور ، فاستبدت الحيرة بها واخذت تهتف قائلة والدموع تسح من عينيها :

ـ يا ديار قتلها الحنين الى النور ، يا ديار عبثت بها يد الفجور .. الصمت يصرخ بين جنبيك .. والخوف يطل من عينيك ..!!

ـ كفي عن النواح ايتها الحرباء .. وارفعي يديك الى أعلى .. ولا تلوحي بها ..!

فمالت برأسها على صدرها وهي تحس الفجيعة والمها الحاد ، ثم اضافت :

ـ لا باب مفتوح ولا نافذة ... آه .. تاقت الدور الى ضحكة الصغار ..

وارتفع صوتها فجأة ..!

ـ الى الامان ، الى السلام .. الامان جريح ، والسلام ذبيح .

ـ طابور من المعتوهين .. اخرسوا كل من يتفوه بكلمة ايها الجنود .. انه لجو خانق ، بل قاتل ..

وطغى طنين الذباب حتى خاله الصهاينة .. وكأن من في الطابور قد أطلقوه عليهم ليلدغهم ، فراحوا يذبونه بلطمات متشنجة تنم عن توتر اعصابهم والقلق المرهق لانفسهم ..

واصاخت الفتاة السمع لمن خلفها حالما اخذ يحدثها بحذر :

ـ الا ترين ان من الاصوب ان اتقدمك ..؟

ـ لا .. يا رفيقي .. قد يكون وجودي امامك اجدى ، كما اني على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استعداد للتفتيش

والقى الشاب الواقف خلفها نظرة وراءه حيث الافواج التي لا تنقطع ، والجنود الاسرائيليون يتصيدونهم، ثم يقودونهم للتفتيش، بينما خاطبت الفتاة نفسها قائلة :

ـ لقد حان الوقت ، والمنشورات تلك التي الفها على جسدي .. لا أدري ربما لا تصل أصحابها ..

ـ تقدمي أيتها الفتاة ، ولا تقفي كالبلهاء .. مالك تحملقين في هكذا ..

ـ اتخيفك نظراتي ، ومن حولك من يحمونك بالسلاح ..؟

فلكزها جندي ضخم بفوهة مدفعه وصاح غير مبال بما احدثه لها من الم في خاصرتها :

ـ هيا .. ابرزي هويتك للسيد الضابط أيتها ... !

واسكتته لدغة ذبابة طنانة ، فلطمها بقوة آلمته ...!

ـ اين هويتك يا آنسة ..؟

ـ ليس معي هوية .. ومع ذلك فأنا فلسطينية ، ابي فلسطيني وامي فلسطينية .. ابي شهيد مذبحة يافا البشعة .. وامي ..!

وباغتها الضابط بصرخة أشد مما كان ينتظرها ، فاحدث رد فعلها عكس ما كان يتوقع ، فبدا منزعجا، وقد عراه اضطراب تلاحقت له انفاسه .. وقد تهدج صوته لدن ما انبرى قائلا :

ماذا تقصدين .. ؟ أتهددينني .؟ ان لم تكن معك هوية اسرائيلية فانت في نظر القانون مخربة .

وتجمع الجنود وطوقوها بسلاحهم ... وامسكوا بذراعيها وراحوا يتجاذبونها كذئاب شرسة جعلت تنهش فريستها ، الى ان نجحوا في انتزاع الحقيبة منها ، فتركوها تئن بعد ان احدثوا بجسدها رضوضا وكدمات وذراعها الايسر قد بدا مملوخا .. !

وصاح الضابط بعد ان فتح الحقيبة :

ـ آه ... قنبلة !

ثم التفت الى الفدائية وقد اكتسى وجهه بغيظ مكظوم ، بينما اتسم حديثه بروح الود الزائف والهدوء المصطنع الخبيث ، محاولا استدراجها بقوله :

ـ حسنا .. كل ذلك وكأنك لم تحملي شيئا مخالفا للاوامر ، هذا اذا قلت لي من اين حصلت على هذه القنبلة .؟

ـ لم احصل عليها ... بل صنعتها ..

فارسل ضحكة عالية سرعان ما بترها بترا ، اذ احس من صداها كما لو انه يهوى من حالق الى اعماق هوة سحيقة .. امتقع لونه ... وتصبب العرق منه غزيرا ، ثم انبرى قائلا :

ـ كيف صنعتها يا جميلتي ؟

ـ من الحقد الدفين المتفجر في القلوب صنعتها ، من غضب المطرودين من الديار ، من دم الصغار والكبار ، الابرار ، الاحرار ..

ـ هدئي من روعك . ولنكن جادين بعض الشيء .. واعدك بشرفي باطلاق سراحك فوراعترافك ... وليكن في معلومك ان هذا سيكون رحمة ، بل نجاة لحياتك اذا انا لم ارسلك للمحاكمة ، حيث تذوقين ابشع الوان التعذيب على ايدي عتاة لهم اساليبهم في انتزاع الاعترافات انتزاعا . والان الى اي منظمة تنتمين .. ؟ وما هي اسماؤهم ؟ ولا شك انك تحملين صورا لهم ، او على الاقل يمكنك وصفهم لنا ... والى من كنت تنوين تسليم هذه ..؟ لا ريب انك تحملين اشياء سرية ... فكري .. قليلا من العقل تنجين بحياتك ، وتعيشين حياة افضل .

ـ اني تابعة لمن جلبتم لهم البؤس، واغرقتموهم في بحار من التعاسة ، والتشريد ، فاختنقوا .. خنقهم الم الحزن المقيت ..

ـ لا يأخذنك الحماس هكذا .. اخرسي ، ولا ترفعي صوتك .. انه لمن الصعب التفاهم معك ..

والتفت الى الجندي الضخم ، الذي كان قد ناداه بابن ياعيل ، ثم قال :

ـ يبدو انه لافائدة .. !

ـ لقد اصبت ..

ـ لنذهب بها الى حيث تنتزع منها الاجابة ..

ـ ليكن يا ابن من خانت العهد ، وسلمت من حمته ..

ودوى صوت طلقات رصاص اعقبه صرخات استغاثة تنبعث من داخل المبنى الذي اتخذه الصهاينة كنقطة ادارية ، فاندفع احد الجنود وهو يصيح فزعا وقد فتح نيران مدفعه واخذ يعدو بجنون .

ـ لقد لمحت طيفا يمرق الى الداخل منذ قليل ، ظننته في بادىء الامر انه موجة مندفعة من الهواء المغبر ، او شيئا مما يلوح وقت القيلولة ...

واندفعت شرذمة لاقتفاء اثر الطيف الذي اقتحم مكاتب الادارة .

وفي اللحظة التي تصدعت فيها جدران المبنى ، وانهار على من فيه اثر انفجار العبوات الناسفة التي احكم وضعها الفدائي العملاق صاحت الفدائية باعلى صوتها وقد لمحت الطيف يبتعد متخلصا من سحب الدخان والغبار :

ـ انا بلا هوية ، ومع ذلك فأنا فدائية .. فدائية ..

وبسرعة مذهلة اخرجت من صدرها ما كانت تخفيه من قنابل وفجرتها فيمن وقفوا مشدوهين من حولها فتطايرت الاشلاء وارتفع اللهيب ..

ومن خلال وهج القنابل ، ودخانها كانت الفدائية تهتف ، وهي تجود بآخر انفاسها :

ـ انا فدائية .. انا فدائية ..!

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود الحسنية

التوشيح الاندلسي

بقلم محمود الحسنية

* * *

مع حياة البذخ ، والترف ، وازدهار الشعر والادب ، وانتشار نوادي اللهو ، والسمر ، والغناء ، في الاندلس ، ظهرت الموشحات ، وشاع فن التوشيح ، واخذ به الجمهور ، لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وتحرره من قيود الشعر ، وقوالب الاوزان ، وعبودية القافية ، ونسجت العامة من اهل الامصار على منواله ، ونظموا على طريقتهم وبلغتهم الحضرية الوانا ، واشكالا ، اسماطا ، واغصانا ، يكثرون منها ، ومن اعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها ، بيتا واحدا ، ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان ، واوزانها متتاليا ، فيما بعد ، الى آخر القطعة ، واكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على اغصان ، عددها بحسب الاغراض ، والمذاهب ، ينسبون فيها ويمدحون .

قال ابن خلدون في مقدمته :

اول من اوجد هذا التوشيح الغنائي ، بجزيرة الاندلس ، مقدم بن معافى القبري ، من شعراء الامير ، عبد الله بن محمد ، المرواني ، واخذه عنه ، ابن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، وبعدهما عبادة القزاز ، شاعر المعتصم ، بن صمادح ، صاحب المرية ، وقال ابو بكر بن زهر ، كل الوشاحين ، عيال ، على عبادة القزاز ، من قوله:

بدر تم ، شمس ضحى ، غصن نقا ، مسك شم
ما ائم ، ما اوضحا ، ما اورقا ، ما انم
لا جرم ، من لحا ، قد عشقا ، قد حرم

وقيل انه لم يسبق عبادة ، وشاح ، من معاصريه ، الذين كانوا في زمن ملوك الطوائف ، وجاء بعده ، ابن ارفع رأسه ، شاعر المأمون ، بن ذي النون ، صاحب طليطلة . وقال في موشحة ذائعة :

العود قد ترنم ... بابدع تلحين
وسقت المذانب ... رياض البساتين

الى ان يقول في آخرها :

تخطر ولم تسلم ... عساك المامون
مروع الكتائب ... يحيى بن ذي النون

وذكر مشايخ اهل هذا الفن ، ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وقد صنع كل منهم موشحة ، وتانق فيها ، فتقدم الاعمى التطيلي للانشاد ، وافتتح موشحته المشهورة :

ضاحك عن جمان ... سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان ... وحواه صدري
آه مما اجد ... شغني ما اجد
قام بي وقعد ... باطش متئد
كلما قلت قد ... قال لي اين قد

مزق ابن بقي موشحته ، وتبعه الباقون ، وذكر الاعلم البطليوسي ، انه سمع ابن زهر يقول ، ما حسدت قط وشاحا ، على قول ، الا ابن بقي حين قال :

اما ترى احمد ... في مجده العالي لا يلحق
اطلعه المغرب ... فارنا مثله يا مشرق

وكان من الوشاحين المطبوعين ، ابو بكر الابيض ، والحكيم ، ابو بكر ، بن باجه ، صاحب التلاحين المعروفة ، وقال ابن خلدون في مقدمته ، حضر ابن باجه ، مجلس تيفلويت صاحب سرقسطة ، فالقى عليه ، من موشحته ، جرر الثوب ايما جر .

وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر ... لامير العلا ابي بكر

فطرب ابو بكر ، بن تيفلويت وشق ثيابه ، وقال : ما احسن ما بدات ، وما ختمت وحلف الايمان المغلظة ، بان لا يمشي ابن باجه ، الى داره ، الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه . وذكر ابن بسام في ذخيرته ، بان محاولات فن التوشيح ، بدات في الاندلس ، مع نهاية القرن الثالث الهجري ، على يد محمد ، بن محمود ، القبري ، ومقدم ، بن معافى ، القبري ، من شعراء الامير عبد الله ، بن محمد ، المرواني ، وعنهما اخذ ابو عمر احمد ، بن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، واشتهر بعدهم، ابو بكر ، بن عبادة ، بن ماء السماء ، فكان في ذلك العصر ، شيخ الصناعة ، وامام الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا ، قوم هذا الفن ، ونظم عقده ، حتى اصبح وكانه لا يسمع الا منه ولا يؤخذ الا عنه . وهكذا اخذ الموشح يزدهر ويسمو ، في سماء الاندلس ، ابتداء من القرن الرابع الهجري ، نظم فيه شعراء وشاحون ، من طائري الصيت ، كابي بكر ، عبادة ، بن ماء السماء ، وعبادة القزاز وابي بكر، محمد بن عيسى ، اللخمي ، المعروف بابي اللبانة ، وابي جعفر احمد بن هريرة ، المعروف بالاعمى التطيلي المتوفي ٥٢٠ هـ . وابي بكر ، يحيى بن عبد الرحمن ، بن بقي القرطبي المتوفي ٥٤٠ هـ . وابي بكر محمد ، بن باجه الاندلسي السرقسطي ، المتوفي ٥٣٣ هـ . وابي بكر محمد ، بن زهر الاشبيلي ، المتوفي ٥٩٥ هـ . وابراهيم بن سهل ، الاسرائيلي ، شاعر اشبيلية ، المتوفي ٦٤٩ هـ . وابي عبد الله لسان الدين ، بن الخطيب ، شاعر الاندلس ، والمغرب ، وفريد العصر ، المتوفي ٧٧٦ هـ . وتلميذه ابي عبد الله بن زمرك ، الغرناطي ، المتوفي ٧٩٨ هـ .

من موشحات ابن زهر الاشبيلي :

يا للمولة ، من سكره لا يفيق ، يا له حيران
من غير خمر ، يا للكئيب المشوق ، يندب الاوطان
هل تستعاد ايامنا بالخليج ، وليالينا
اذ يستفاد من النسيم لاريح مسك دارينا (1)

١ ــ بلدة من البحرين كانت تستورد المسك من الهند فعرف باسمها

واذ يكاد حسن المكان البهيج ان يحيينا

من موشحات ابراهيم بن سهل الاشبيلي :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس

ومن قوله :

ليل الهوى يقظان ... والحب ترب السهر
والصبر لي خوان ... والنوم من عيني برى

وبلغت موشحات لسان الدين بن الخطيب ، شهرة واسعة ، قال ابن خلدون في مقدمته ، انتهت لابن الخطيب رئاسة هذا الفن ، ومن اجمل ما قال : موشحته التي قالها في الغزل ، وذكر الطبيعة ومدح بها سلطانه الغني بالله ، محمد بن ابي الحجاج ، ملك بني الاحمر ، وعارض موشحة ابراهيم بن سهل ، تمامها وكمالها ٥٢ قفلا :

جادك الغيث اذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما ... في الكرى او خلسة المختلس
اذ يقود الدهر اشتات المنى ... ينقل الخطو على ما ترسم
زمرا بين فرادى وثنا ... مثلما يدعو الحجيج الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا ... فثغور الزهر فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما ... كيف يروى مالك عن انس
فكساه الحسن ثوبا معلما ... ازدهي منه بابهى ملبس

من موشحات ابي عبد الله ، بن زمرك ، كاتب سر الغني بالله ، ملك بني الاحمر ، معارضا « ليل الهوى يقظان » لابراهيم بن سهل الاشبيلي .

نواسم البستان ... تنثر سلك الزهر
والطل في الاغصان ... ينظمه بالجوهر
وراحة الاصباح ... اضاء منها المشرق
تنشرها الارواح ... فلا تزال تخفق
والزهر زهر فاح ... له عيون ترمق

وله ايضا :

بالله يا قامة القضيب ... ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب ... وايد اللحظ بالحور

لم ينظم الاندلسيون كل موشحاتهم للغزل ، ووصف الحبيب والمحب ، وانما كان لهم فيها للتصوف ، فقد قال ابو بكر محمد بن علي ، الطائي ، الحاتمي ، الاندلسي المعروف بابن عربي ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ . موشحاته وهو يطوف ربوع الشرق في التصوف .

وعجز كثير من الشعراء المتاخرين ، عن تقليد توشيح الاولين ، ويحدث مؤرخو تراجم الوشاحين ، والشعراء ، بان ابن سناء الملك ، الشاعر المصري ٥٥٠ ـ ٦٠٨ هـ ، هو اول من ادخل هذا الفن الشعري الى المشرق في كتابه « دار الطراز » ووضع له القواعد ، والخصائص ، والطرق والاوزان ، ولكنه يعترف بان موشحات الاندلسيين ، سبقت في الجودة موشحات المشرقيين .

عرف الموشح في كتابه دار الطراز ، بانه : كلام منظوم ، على وزن مخصوص ، يتالف غالبا من ستة اقفال وخمسة ابيات ، ويقال له التام ، وقليلا من خمسة اقفال ، وخمسة ابيات ويقال له الاقرع ، والاقرع ما ابتدىء فيه بالابيات ، ويتركب القفل من اجزاء ، واخر قفل من الموشح يسمى خرجة ، يذكر فيه غالبا الموصوف ، وقد سمي هذا الفن بالموشح ، لما فيه من ترصيع ، وتزيين ، وتناظر ، وصنعة ، لشبهه ، بوشاح المراة ، المرصع باللؤلؤ . وفي قول ابن بقي :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ... الم الوجد فلبث ادمعي

انه قفل من جزئين :

ايها الناس فؤادي شغف
وهو في بغي الهوى لا ينصف
كم اداريه ودمعي يكف

انه بيت بسيط من ثلاثة اجزاء .

ومن قول ابن سناء الملك :

من لي به يرنو بمقلتي ساحر ، الى العباد
يناى به الحسن فينثني ، نافر ، صعب القياد
وتارة يدنو كما احتسى الطائر ، ماء الثماد

بيت مركب من ثلاث فقر ، وثلاثة اجزاء .

وتبدو اللازمة في قول ابن زمرك :

بالله يا قامة القضيب ... ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب ... وايد اللحظ بالحور

وتقسم الموشحات من حيث اوزان اشعار العرب في الغالب الى قسمين : موزون ، يشبه المخمسات ، يعده الوشاحون مرذولا لا ينظمه الا الضعفاء منهم . وغير موزون ، غرضه الغناء ، وهو الشائع في الموشحات . كما تقسم من حيث التلحين ، الى قسم يستقل التلحين به ، وقسم يحتاج تلحينه ، الى ان يتوكا ، على لفظة ، ليستقيم النغم، لان الجمال الذي يضفي على الموشحات بهاء يكمن في حرية الوزن ، وليس في قيده .

وهذا ما يدل ، بان الاندلسيين انما اخترعوا الموشحات ، من اجل الغناء الذي يناسب الغزل ، ووصف حياة الدعة ، ومجالس الانس ، وكل شيء جميل ، متعمدين اثارة العاطفة ، ودغدغة الخيال الفكري ، في اجواء حالمة ، يخفق فيها الشعر بالموسيقى .

اذ لا يستطيع المرء ان يقرا الموشحات ، دون ان يميل الى التغني بها ، ماخوذا بما تمليه عذوبة الشعر وحاسة الموسيقى ، لان الغناء لا يتطلب عمقا في المعاني ، وصورا تتعب الخيال ، بل رقة في القالب ، وسهولة في التعبير . ومن هذه الميزات احدثت شخصية الاندلس من الشعر الفصيح الموشحات ، ومن العامي ، الازجال، وانتشرت معها موجة الغناء ، وبلغت القمة مع زرياب ، حيث كان يحفظ اكثر من الف انشودة بالحانها يلقيها مع عود زاده وترا خامسا، وبدل دفة مضربه بمنقار نسر .

ومع حياة الدعة والازدهار ، ارتقى فن التوشيح ، وكثر المغنون ، والمغنيات وظهرت الجوقات الغنائية ، وفتن الشعب بهذا اللون الجديد ، فادخله في اعياده ، ومواسمه وحياته اليومية .

وطبيعي بان تحظى الموشحات هذه ، في دنيا العرب ، بقدر كبير ، من اهتمام الباحثين ، والادباء ، فقد نظم على منوالها ، امير الشعراء احمد شوقي ١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ في صقر قريش ، من رائعة تمامها ١٣٢ قفلا :

من لنضو يتنزى الما ... برح الشوق به في الغلس
حن للبان وناجى العلما ... اين شرق الارض من اندلس

وواكب لبنان تجديد وبعث الموشحات الاندلسية ، فاحيت الاذاعة اللبنانية ، التي كانت تعرف منذ نشاتها في عام ١٩٣٨ باسم « راديو الشرق » (٢) تلحين هذا التراث الجميل ، على يد الاستاذ سليم الحلو . من الشعراء اللبنانيين الذين نظموا في هذا اللون : مصباح رمضان ، الذي اصدر موشحاته المصباحية ، في كنيب عام ١٨٧٢ .

منها :

كلما زف الحميا وجلا ... زاده الحسن بهاء وسنا
اغيد اورث قلبي وجلا ... وهو لم يترك لعيني وسنا
عقد الروح باسباب الهوى ... وعهودي في هواه حلها
والكرى من ذروة العين هوى ... من نواه بعد ما قد حلها
وشؤوني من تباريح الجوى ... حكم الوجد عليها ولها
هكذا حبك يا ريم الفلا ... لم ازل فيه سرورا وهنا

٢ ـ اسسها الاستاذ البير اديب وكان مديرها العام من عام ١٩٣٨ حتى ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ حينما اعتقله الفرنسيون .

غنوة بعد الصمت

« الـــى التي قالت : الا تسمعنـــا غنوة بعـد هـذا الصمت الطويل »

كـــم تمنيت ان أغنيـــك غنـــوه ... ولكـــم قلـت للبراع : تفـــوه
ولكـم كنت مـــن سنين أمنـي ... القلب ان تسكب الرياحين شجوه
ان تـــرش الـــدروب بالطـــل ان ... تفرش بالورد حيث تسرين خطوه
والسنون العجاف تاكـل عمري ... وبقايـا النـــدى يجف بقســـوه
ويلف الظـلام كوخي .. ويلقـي ... الصمت بي والسكون في ألف هوه
فـــاذا ليلـــي البهيم .. صراع ... أنـــا والشمعـة التـــي تتـــاوه

وتطلين .. مـــن ثنايـــا غيـــوم ... الامس نجما .. يجر زهوا عتوه
يسكب النور في جفوني فتصحو ... وتلم الشعاع مـــن ألف كـــوه
فأرى الحب والربيع .. ودنيـــا ... من رؤى تستفيق مـــن بعد غفوه
موكبا ملهم الخطى تسبح الانجـم ... في أفقـــه .. فيـزداد صبـــوه
أنـــت أقبلـــت فيـــه فانسكب ... الوحي.. وغنت من التلهف ذروه
فتمنيت لـــو أصـــوغ حنينـــي ... أغنيات .. وحسب قلبي ثـــروه

لا تقولـي الزمـان كـــان غبيـــا ... لا تظنـي لقاءنـــا كـــان هفـــوه
حبنا الحب .. فارتماء الفراشات ... على الزهر ـ مطلقا ـ ليس نزوه
وارتعاشات صدرك الطفـــل والشعر.. تصب الحريق في كل عروه
كل ذا .. ثم تسالين .. ربيعي ... وصباحي ..مذ كان يحمل زهوه

انت فجـرت في عيونـي فجـرا ... وضحى حالـم الضباب ممـــوه
وتمشيت .. فالدروب أمـــان ... والمساء الجميـل ينصب بهـــوه
يـــا صباحي الجميل .. يا ضحكة الحسون.. يا حبة الفؤاد.. وصنوه
انت حرفـــي الانيـــق ينبض ... بالوحي..وانشودةالهوى..انتحلوه

دمشق

محمود محمد كلزي

قلت مذ رمت وصالا الف لا ... فكفـــى حملت جسمي وهنـــا

رشيد نخلة ـ ١٨٧٣ ـ ١٩٣٩

موشحته في نبع الصفا ، تمامها ستة ابيات ، وكل بيت اربعـــة اجـزاء :

يـــا صفا النفس علـــى نبع الصفا ... حسب حظي منـك ذكرى وكفـــا
لا رعى اللـــه علـــى الارض الوفـا ... ان تكـــن تنسـى عهـــودا بيننـــا

انـت احـــلام الليالـي الماضيـات ... ذهبـــي الذكـــر ففي الصفـات
عنبـري التـــرب دهـــري النبـات ... كـــوثري المـــاء دري السنـــا

رشيد ايوب ١٨٧٢ ـ ١٩٤١ ، من موشحه :

هل يعود ، عيش قطعناه ، بتلـك الصرود ... او نجود ، هذي الليالي ، بانتظام العقود
كي نرود ، في سفح صنين مقـر الجـدود ... وديع عقل ١٨٨٢ ـ ١٩٣٣ ، من موشحه :

حنت مهـــا غسان ... وجـدا الـى لبنان
نفديـــه بالغزلان ... في صيفـــه الفتـــان
في روضـه الوضاح ... والبلبـــل الصداح
نادى علـى الارواح ... فـــدى لبنـــان

واذا ما ذكر التوشيح اليوم ، بعد عشرة قرون من نشاته تقريبا ، فانه يوحي لنا بذلك التراث الضخم ، الذي طمست اكثر معالمه ، حيث يذكر بروعة الفن ، والازدهار ، باساطين العلم ، والطب ، بالجزيـــرة الخضراء ، التي حملت مشعل حضارة العالم ، طوال ثمانيـــة قرون ، باولئك الملوك المتنافرين ، الذين كانت على يدهم نكبة الاندلس .

محمود الحسنية

كامل الدجاني - انطوان كنعان

محمود الافغاني - نبيل شعث

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ كامل توفيق الدجاني

ولد « كامل » في يافا بفلسطين سنة ١٨٩٩ وتلقى دروسه الابتدائية في مدارس يافا والاعدادية في مدرسة « الصلاحية » بالقدس وفي سنة ١٩٢٠ قصد مصر طلبا للعلم والتحق بالازهر الشريف وتردد على الجامعة المصرية وفي سنة ١٩٢٣ عاد الى مسقط رأسه وأسس مع رهط من رجال الفضل « دار العلوم الاسلامية » وزاول التعليم فترة من الوقت وسرعان ما هجره للعمل في الحركة الوطنية بعد ان وضح الخطر الصهيوني أمام كل عربي واع .

وليؤدي « كامل » رسالته القومية في صدق واندفاع ولج ميدان الصحافة واصدر مع السيد حسن فهمي الدجاني جريدة وطنية حرة باسم « الجزيرة » وصدر العدد الاول منها بيافا في ٣١ كانون الثاني ١٩٢٤ ونشر في العدد الاول قصيدة وطنية القاها بين يدي المغفور له الملك حسين بن علي اثر قدومه الى عمان عاصمة الاردن ، وقد قوبلت بالتقدير والاعجاب .

واشتهر « كامل » كخطيب مفوه ، وكصاحب قلم مبدع وكشاعر وجداني رقيق واشترك في المؤتمرات الفلسطينية كلها ونشر في جريدة « فلسطين » اليافية عشرات المقالات بتوقيع « ابن فلسطين » .

وفي الثورة التي شب لظاها بفلسطين سنة ١٩٢٩ اعتقل «كامل» واودع سجن عكا كما سجن في يافا اثر نشوب الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ .

واشتهر كعضو بارز في « الحزب العربي الفلسطيني » وكرئيس لفرعه في يافا كما كان رئيسا لمنظمة الفتوة التي أسسها الحزب العربي في فلسطين وعضوا في الهيئة العربية العليا وعضوا في « المشروع الانشائي العربي » الذي أسسه السيد موسى العلمي . وساهم عن هذا الطريق بوقف بيع الكثير من الاراضي بفلسطين لليهود .

وحمله وعيه القومي وبعد نظره الى الدعوة جهارا لمقاطعة السلع اليهودية فنظم حملات المقاطعة وقادها بنفسه ودعا بحرارة واندفاع الى قطع الكهرباء عن المؤسسات والمنازل العربية لان فلسطين تتزود بالكهرباء من مشروع روتمبرغ . وليكون قدوة حسنة للمواطنين العرب قطع التيار الكهربائي عن منزله في يافا مؤثرا الضوء العادي على كهرباء روتمبرغ الصهيوني !

وبعد حلول النكبة الاولى بفلسطين سنة ١٩٤٨ لجا مع افراد اسرته الى مدينة الزرقاء بالاردن لفترة قصيرة ثم انتقل الى بيروت وشرع ينشر بعض منظومه في جريدة « الحياة » وكان الباعث على نظمها الاحداث السياسية التي مر بها العالم العربي .

نماذج من شعره : قرض « كامل » الشعر في سن مبكرة ، واغلب قصائده تفيض بالاشواق القومية والدعوة الى الوحدة العربية والحذر من اعدائها !

ولم يمر بالعالم العربي حادث مروع او حدث يدعو الى الغبطة الا ونظمه « كامل » شعرا قوميا يبعث على الزهو والاعتزاز ! ومن قوله في معركة « الكرامة » التي نشبت بين العرب واسرائيل في غور الكرامة بالاردن :

حي الكرامة واهتف باسم فتيتها ... والرابضين ابـاة في رواسيها
وامسح على الجرح بالتكريم انلهم ... حق الرجولة في تكريم اهليها
ردوا الكرامة عند الروع، راضية ... يوم الكرامة ، اذ نادى منادیها
جاء العدو يسوق النار مضرمة ... ملء الوهاد وملء الجو داويها
فاستقبلوه بنار من صدورهم ... اشد وقدا ، ونار من مواضيها
الدار ، والثار ، والابرار مشرفة ... ملء المسامع والابصار داعيها
الله اكبر! هذا الصوت صوت ابي ... لبيك لبيك ! انـي اليوم صاليها
لمثل هذا أعد النفس من صغر ... فاليوم ابلغ نفسي مـا امـيها
لبيك يا وطني ! لبيك يا شرفي ... انا بنوها ، وانا اليوم نحميها

وانقض كالشهب، لا يرتد عن هدف ... نارا على النار تصليه ويصليها
حتى يرد جموع البغي خاسئة ... ويشفي النفس ثارا من اعاديها
عاد العدو، يجر الخزي مندحرا ... ينوء ظهرا بصرعاه ويبكيهـا
ولى ، وخلى دروع البغي شاهدة ... على البطولات، تشكوها ، وتروبها

هذي الطريق، وقد بانت مسالكها ... من بعد تيه زمانا في فيافيها
يوم الكرامة جلاها ونورها ... فما تضل الهوادي في دياجيها
اقدم على الموت يرتد العدى رهبا ... الخوف يردعها ، والخوف يغريها
من استمات اتقاء الموت، وابتسمت ... له الحياة ، وهابته عواديها

الدار داري، والجنات غرس يدي ... والارض ارضي ، وهذا منبتي فيها
ان تستقروا بها ، لن تنعموا ابدا ... بالظل والروح في جنات واديها
غدا على ربوات القدس موعدنا ... الى المروج ، وفي الشاطي مراسيها

٢ ـ انطون سليم كنعان

تحدر من اسرة كنعان اليافية الاصل وراى نور الحياة في القاهرة وتعلم في مدارسها وحصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة ثم ليسانس الحقوق ، واحرز « الماجستير » في القانون الخاص والقانون العام وأعد اطروحة لنيل الدكتوراه بعنوان « المبررات القانونية لنظرية عرب فلسطين » وتولى تدريس القانون والسياسة والتاريخ الى جانب مهنة المحاماة لدى محكمة النقض والمحكمة الادارية العليا.

وتميز المترجم له منذ فجر شبابه بالدفاع عن القضية الفلسطينية ، وتقديرا من المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة اختاروه مستشارا صحفيا واوفدوه الى المؤتمرات والمحافل الدولية للدفاع عن اظلم قضية عرفها التاريخ ، ووصل صوته الى اسماع البابا الراحل بيوس الثاني عشر حيث قابله في الفاتيكان وتوطدت علاقته بالبابا الحالي بولس السادس وكان يشغل آنذاك وظيفة نائب وزير الخارجية ، وعندما عقد المؤتمر المسكوني في شهر سبتمبر ١٩٦٥ في الفاتيكان رأس الاستاذ كنعان الوفد الفلسطيني وقابل البابا بولس السادس .

وقبل هذا الوفد رأس الوفد الفلسطيني في المؤتمر الاسيوي الافريقي المنعقد في اكرا عام ١٩٦٤ وحاضر في جامعات روما وتورينو وباريس وليون ولوزان وغيرها باللغتين الانكليزية والفرنسية شارحا خفايا واسرار قضية فلسطين ، وكاشفا عن مؤامرات الاستعمار

وربيبته الصهيونية ، ومستصرخا الضمير العالمي لناصرة الحق والحفاظ على طابع فلسطين العربي . ومن جراء خطبه ومحاضراته هاجمته الصحف الضالعة مع اسرائيل والاستعمار .

من آثاره القلمية : يعتبر الاستاذ كنعان من الثقات في تاريخ القضية الفلسطينية وقد كرس لها جهده وخصها بالمؤلفات التالية :

١ ـ المبررات القانونية لنظرية عرب فلسطين . طبع سنة (١٩٤٧)
٢ ـ تدويل الاماكن المقدسة . (١٩٤٩)
٣ ـ التقتيل الجماعي في ارض السلام (١٩٥١)
٤ ـ الصهيونية التقليدية . (١٩٥٥)
٥ ـ فلسطين والقانون . (١٩٥٧)
٦ ـ وثيقة بلفور وشريعة الالتزامات . (١٩٦٤)
٧ ـ تفنيد وتحليل مشروعية الوجود الصهيوني في فلسطين . (١٩٦٥)

نموذج من نثره : « تغذي الدعاية الصهيونية خيال اليهود وغيرهم ممن وقعوا تحت تأثيرها في العالم ، بما كان لليهود في أرض الميعاد من كيان سياسي وقومي وثقافي قبل الفين من السنين . وتهدف نظريتهم هذه ، من وراء هذا الادعاء الذي كاد يستقر في الاذهان كواقعة مسلم بها ، الى ان فلسطين قانونا وجنسا وتاريخا هي وطن اليهود الذي يسعون اليه من شتى بقاع العالم ، اذ لهم الحق في العودة ولهم الحق في امتلاك هذا الوطن ، ولهم الحق في احياء وجوده وكيانه .

وهذا الراي « الرباط التاريخي » الذي طالما شغل صحافة العالم بقيادة هرتزل وكتب مؤرخي الصهيونية ونقاش المفكرين بزعامة مانين ، يكابر في حقائق ثابتة .

ولعل هذه الحقائق الثابتة تقوض ادعاء الصهيونية العالمية من اساسها رغم اشرافها فعلا على معظم وسائل الاخبار والاعلام والصحافة في العالم الحديث ، اذ ليس لليهودية منذ فجر التاريخ المعلوم خصائص ومميزات الشعب الواحد المستقل من الناحية البيولوجية وفي مضمار عالم الوراثة .

يقول البروفسور دالهاوزن استاذ علم الوراثة في اكرون (ولاية اوهايو) : « لعل آخر من يتكلم عن خصائص وراثية مميزة هو هذا الدين الموصوف بالموسوية حيث جمع في بوتقة واحدة شتى الشعوب المعروفة التي كانت تقطن منذ ثلاثة الاف عام في شمال افريقيا وجنوب اوروبا وغرب آسيا . وليست اليهودية بطبيعتها تجمعا عنصريا ، ولكنها بتعاليمها ومجمل افكارها طائفة دينية استولت على ضمائر بني يعقوب ودفعتها دفعا الى تلك المنطقة الآهلة بمختلف الهيئات والاجناس ، فلا محل لاعتبارها سلالة بشرية مستقلة او قائمة بذاتها » .

فهناك يهود المان وفرنسيون وروس وعرب ، كما ان هناك اديانا اخرى كالاسلام والارثوذكسية والكاثوليكية والبوذية . اما ان ذرية الشعب اليهودي هم احفاد من كانوا في فلسطين ثم شردوا منذ الفي سنة ، فهذا ادعاء يفتقر الى الاساس العلمي ، ولا ينسجم مع المنطق السوي بعد ان سافروا واستقروا وتمازجوا وناسبوا امم الارض طرا ، سيما وليس في نظر القانون الدولي « رباط » يربط هذا التجمع البشري كاللغة او العنصر او الهدف او الالام المشتركة او المصلحةالمتحدة كما هو الحال لكل دولة من دول المعمورة . فاللغة العبرية التي يتشدقون بها كرباط يجمع شتات اليهود التائهين ظلت لغة كتبهم الدينية التي يجهلها ٩٩٪ من اليهود ولم يفكر في احيائها اصطناعيا الا مؤخرا بسبب قومي وعنصري في فلسطين ،ومع ذلك فهي مجهولة من اغلبية سكان فلسطين » .

٣ ـ محمود عبد الحميد الافغاني

ولد « محمود » في مدينة يافا بفلسطين سنة ١٩٢٥ وفتح عينيه على والده الحاج عبد الحميد الافغاني العالم بالآثار والمتبحر في الدين والضليع من الادبين الفارسي والتركي ، ومرتجل الشعر بالفارسية ارتجالا مدهشا .

تلقى « محمود » علومه الابتدائية في مدرسة العلوم الاسلامية بيافا وهجرها قبل ان ينهي الصف الابتدائي الرابع ونظم اول قصيدة في التاسعة من عمره وكانت بعنوان « امتي » وقد نشرتها جريدة « فلسطين » اليافية تشجيعا له فأولاه والده الشاعر عناية خاصة اذ يسر له التثقيف على يده وعهد به الى العالمين الشيخين اسماعيل الريماوي وسليم اليعقوبي اللذين ثقفاه ثقافة عربية اسلامية فخرج الى الحياة مسلحا باربع لغات هي : العربية والفارسية والعبرية والانكليزية .

عاصر شاعرنا الحركة القومية وعاش النضال الشعبي في فلسطين فنظم القصائد الوطنية وصور التآمر السكسوني ـ الاسرائيلي على عروبة فلسطين وعبر عن مشاعر قومه ، وكانت قصائده حديث الشباب في فلسطين وشقيقاتها ، ومن اشهرها قبل النكبة الاولى قوله :

شباب البلاد وركن الحمى دعاكم حماكم فلبوا الندا

وتقديرا للشعور القومي الذي اتسم به شعره حفظه الطلاب في المدارس وتناقلته الصحف العربية ولحن من اذاعات العالم العربي واشهرها قصيدة « موطني » ومطلعها :

موطني يا موطني ما اروعك اي فردوس يحاكي اربعك ؟!

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بفلسطين سنة ١٩٤٨ بارح شاعرنا ثغر يافا مع افراد اسرته الى مدينة بيت لحم اولا ومنها الى مدينة السلط بالاردن وطفق يرسل من « صومعة الحيرة » شعرا لاهبا وينشره في الصحف اليومية وبثه من اذاعتي القدس وعمان .

واتسم شعر الافغاني بالحنين الى مدارج صباه والتذكير بها والحض على استردادها ، كما اتسم بمتانة النظم وروعة الاسلوب ورقة العاطفة . ولنستمع اليه في قصيدة « العيد » حيث يقول :

قلبي ينوء بحمله وبدائه وتكاد تصهره لظى برحائه
يصلي .. فيوشك ان يبوح بسره فيصده عنه عظيم حيائه

الى ان يقول :

اذكرتني يا عيد نكبة امتي ومصاب شعب تاه في بيدائه
وبعثت في الذكريات مريرة للموطن الغالي ، الى افيائه

ومنها قوله :

يا عيد، سل كل الورى عن موطني سل موطن الابطال عن شهدائه
انا من بلاد لن تطاطىء رأسها يوما لغير الله في عليائه
انا صابر ، متيقظ ، متوثب مترقب للفجر عند ضيائه
لا بد من فجر وان طال المدى فدع العدو يهيم في خيلائه

نماذج من شعره : لا تطل مناسبة قومية او تثور انتفاضة وطنية الا ويهتبلها « محمود » « شاعر شباب فلسطين » في مناجاة وطنه المغصوبوبث شكاته ، وشرح الظلامات التي نزلت به والتنديد بظالميه والتشهير بالجرائم التي انزلوها باهله .

ومع اطلالة عيدميلاد عيسى بنمريم رسول السلام يقول (الافغاني) مصورا روعة هذه الذكرى ، ومخاطبا صاحبها بما أصاب العرب من وهن وتفسخ :

ما بال دمعك لا ينفك منسكبا وما لروحك تشكو الهم والنصبا
وما لقلبك بالآلام توهنه ؟ وكم تكتم جرحا بالدم اختضبا
كفكف دموعك واحبسها على جلد فلست وحدك فردا تحمل التعبا

كفكف دموعك في ذكرى مباركة في يوم مولد عيسى من سما رتبا
وقم تحدث الى الدنيا وآهلها عن المسيح وعن آياته العجبا
وارو القلوب العطاشى من مآثره فالدهر يصغي.. ففرد فيهما عذبا

ماذا احدث عن عيسى ودعوته واصله قد علا فوق الورى نسبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا أقول بشعري فيه ممتدحا ... والله قد خصه بالفضل منذ حبا
عيسى .. أجل واعلى من مدائحنا ... مهما احاول، لا ، لن أبلغ السحبا

عيسى.. اناجيك في ذكراه من كبد ... دام .. يكتم جرحا فيه مختضبا
تجيش في الصدر آلام تمزقه ... فاكتم الهم فوق الهم .. واللهبا
يا ابن البتول اذا ما ذبت من كمد ... فلا تلمني.. فدمع العين قد نضبا

ايه رسول الهدى، قومي غدوا بددا ... وأربعي للعدى، عيسى، غدت نهبا
وقومي العرب في كيد وفي جدل ... ولا أرى موجبا للخلف ، او سببا
هم يهدمون بايديهم بيوتهم ... فيرقص الخصم من افعالهم طربا
الى متى يا مسيح الله فرقتهم ؟ ... ماذا يقولون للتاريخ ان كتبا

متى أرى العرب قلبا واحدا وأرى ... كل العروبة جسما ان شكا نصبا
متى أرى العرب والآمال واحدة ... وأبصر الخصم ، مذهولا ومضطربا
متى أراك « فلسطيني » محررة ؟ ... واشهد العلم الخفاق منتصبا
متى أعود الى الجنات في وطني ؟ ... متى تطهر ممن عاث واغتصبا
يا رب رحماك وحد شمل امتنا ... ولا تدع صرحنا يا رب منشعبا
يا رب.. وفق بلاد العرب قاطبة ... فالارض والناس ، والدنيا لمن غلبا

تحية يا مسيح الله عاطرة ... يا ابن البتول شذاها جاوز الحقبا
ان لم ابثك شكوى مهجة دميت ... فمن أبث ، وأنف الخطب قد حزبا
عيسى ادع ربك عل الله يرحمنا ... وعله من سبات يوقظ العربا

ومن مؤتمر الجبهة الاسلامية المنعقد في مدينة عمان عاصمة الاردن في ربيع عام ١٩٦٨ وقف شاعر شباب فلسطين وأنشد المؤتمرين :

اخي.. والله، اشعاري ... وفوق قصائدي ، نشري
يضاف لهن ما في الكتب ... من شعر ومن فكر
يضاف لهن من خطبوا ... ومن كتبوا على الدهر
اذا قيسوا باجمعهم ... بمن قبضوا على الجمر
بمن بذلوا، بمن ضحوا ... بارواح ، لهم طهر
فلا والله ما عدلوا ... رصاصة باسل ، حر

بجندي من الجيش ... وفي صادق العهد
بجندي من الاردن ... من أبطاله المرد
من الجند الذين مشوا ... لساح المجد كالاسد
ومن قد لقنوا الاعدا ... ء درس الحر للعبد
بجندي من الجيش ... وما أدراك ما الجندي
أبيعك كل اشعاري ... ومكتبتي وما عندي

بكل النثر والشعر ... وكل منابر الادب
وكل مجامع العلم ... وكل نفائس الكتب
وكل روائع الاعجا ... ز والابداع في الخطب
وكل اصالة الفصحى ... على الايام والحقب
رصاصات يسددها ... لقلب الخصم عن كثب
ابي لست تعرفه ... بلا اسم ، بلا لقب
ابي من بني قومي ... فدائي من العرب

اخي قسما باوطاني ... بكل مقدس غال
اخي.. قسما بتربتها ... اخي .. قسما بابطالي
اخي..قسما بمن جادوا ... بارواح ... واموال
اخي..قسما بمن ذهبوا ... ضحايا غدر انذال
سيرجع شعبنا وطنا ... احالوه لاطلال
سنبقيه ، سنبنيه ... لاجيال ... واجيال
بارض القدس موعدنا ... بارض الموطن الغالي

وفي عيد الهجرة لعام ١٩٦٨ صور « الافغاني » مشاعره بشعر وجداني عذب قال فيه :

لا تعذليه ، ففي احشائه ضرم ... ولا تلومي شجيا هده الالم
حسب الليالي ما اودت بمهجته ... وحسبه من لظاها السهد والسقم
نشوان من قسوة الاقدار يجرحه ... مر النسيم ، اذا مرت به نسم
أودى به الدهر ما أودى! ولا عجب ... فالدهر كالناس لا ترجى له ذمم

يا أخت خلي الفتى، فالبين أذهله ... والهم، والغم ، والايام ، والضرم
فرفهي عنه بعض الهم في كلم ... أو في حديث.. لعل الجرح يلتئم
فحدثيه عن الامجاد ، عن بطل ... هو النبي العظيم الصادق العلم
وحدثيه عن الهادي وهجرته ... الى المدينة، حيث الياس والشمم
يا سيدي يا رسول الله هجرتكم ... من طهر مكة امر خطه القلم
هاجرت لله، ما هاجرت عن وجل ... ولا مخافة من في قلبهم صمم
قد شاء ربك أمرا فامتثلت له ... اذ جاء جبريل يزجي امره لكم
أهبت بالصحب فانصاعوا على مضض ... فكيف يهجر أهل البيت بيتهم
وقلت للصحب ، ان الله يأمرنا ... وأمره الفصل، فهو الفصل والحكم

وافيت يثرب فيمن هاجروا زمرا ... وخلفوا الوطن الغالي وراءهم
كنتم ضعافا جوار البيت في عدد ... نزر ، معزز بالانصار جمعكم
ففي المدينة انصار قساورة ... شم ، يهاب الردى والكفر باسهم
آخيت ما بين جند الله فاتحدت ... كل القلوب ، ولم الله شعثكم
ولم شمل حماة الدين في بلد ... هو المروءات والاقدام والكرم

مكثت في يثرب حينا تحرضهم ... على الجهاد، وهم أهل الجهاد، هم
وقال ربك ، عد للبيت منتصرا ... وطهر البيت ممن منكم نقموا
وعدت للبيت ، بيت الله تنقذه ... من عصبة الشرك ممن في الضلال عموا
وبدد الله شمل الشرك وانتصرت ... رسالة الله .. وانقادت لها الامم

يا سيدي ، يا رسول الله معذرة ... اذا وجمت ، واما خانني الكلم
عاث الطغاة فسادا في مرابعنا ... وحللوا حرمات الله .. وانتقموا
مسراك في القدس كم عاث البغاة به ... كم دنسوه وكم؟ كم دنس الحرم
حتى بكى الدين في محراب مسجده ... مما يلاقي.. وضج السهل والاكم

يا سيدي، يا رسول الله في كبدي ... نار وفي مهجتي النيران تضطرم
لو رحت أشرح عما بت اكتمه ... أو رحت اوضحه زلت بي القدم
فاين ، اين رسول الله اين ترى ... أهل العروبة ؟ اين اليوم بأسهم

٤ ـ الدكتور نبيل شعث

ولد « نبيل » في مدينة « صفد » بفلسطين عام ١٩٣٨ ودرس في مدرستها الابتدائية وبعد حلول النكبة الاولى التي عصفت بفلسطين عام ١٩٤٨ انتقل مع والده المرحوم علي شعث الى الاسكندرية ودخل مدرسة الرمل الثانوية واكمل دراسته الثانوية عام ١٩٥٤ ثم واصل دراسته في جامعة الاسكندرية واحرز منها شهادة بكلوريوس في التجارة ـ بمرتبة الشرف ـ عام ١٩٥٨ وبعدها قصد الولايات المتحدة ونال شهادة الماجستير من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٦١ وكان موضوع الدراسة التي قدمها « دور البنوك في التنمية الاقتصادية للشرق الاوسط العربي » ، وواصل الدراسة للدكتوراه في الاقتصاد الاداري فاحرزها عام ١٩٦٥ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها للجامعة « دور التعليم وتنمية المستويات العليا من الموارد البشرية في التنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة » وتخصص في ادارة الاعمال والاقتصاد وعين مدرسا في جامعة بنسلفانيا (١٩٦١ ـ ١٩٦٥) واستاذا مساعدا في المعهد القومي للادارة العليا بالقاهرة (١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) واختير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتاب

لانك كنت لي حلما شهيا ... يداعب كل آن مقلتيا
لانك كنت لي املا حبيبا ... هجرت وما تركت لدي شيا
وغبت عن الديار بلا وداع ... وقد خلفتني فيها شقيا
كأنك لم تكوني البدر يلقى ... بصدر جوانحي الافق السنيا
ولم أسطع على عينيك فجرا ... يتيه على الكواكب عبقريا
كأني لم اكن في الحب يوما ... أبا الخطاب اذ عشق الثريا
أذوب عليك تحنانا ووجدا ... كما ذاب الضياء بناظريا
فرشت لك الحنان بكل درب ... بساطا كالمودة سندسيا
وعجت على الخميلة اجتنيها ... هوى حلوا وسحرا بابليا
تغار المقلتان هوى وحبا ... اذا قبلت بسام المحيا

ولست معاتبا أبدا لاني ... أراك على العتاب ازددت غيا
فانت وان هجرت شذا لروحي ... وانت على المدى للقلب ريا
فمن عينيك لي تذكار حب ... أنيس آه كم يحنو عليا
يسامرني اذا ما طال ليلي ... ويبتعث الاسى عذبا رضيا
فيا من غبت عن عيني اني ... أراك بكل سانحة لديا

دمشق — خليل خلايلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مديرا لمركز الابحاث وعضوا في مجلس ادارة المعهد القومي للادارة العليا (١٩٦٩) ثم عين استاذا مساعدا بالجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٦٩ .

من آثاره القلمية : وللدكتور نبيل بحوث وكتب منشورة عرفنا منها :

١ ـ الاستراتيجية والادارة العليا : (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٧) .

٢ ـ التدريب الاقتصادي لمديري شركات القطاع العام في الجمهورية العربية المتحدة (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٦) .

٣ ـ التخطيط الاستشاري على مستوى المشروع في الجمهورية العربية المتحدة (نشر في مجلة المدير العربي ١٩٦٨) .

٤ ـ دور التعليم وتنمية الموارد البشرية في التنمية الاقتصادية (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٨) .

٥ ـ الحوافز والاجور وعلاقتها بهيكل العمالة في ج. ع. م (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا، القاهرة ١٩٦٨) .

٦ ـ هيكل الاجور والعمالة في ج. ع. م (نشر في مجلة « الادارة » بالقاهرة ١٩٦٩) .

٧ ـ تنمية القوى العاملة الافريقية ودور المساعدة الفنية الاجنبية (باللغة الانكليزية) (تقرير المؤتمر الخامس للتنمية الادارية في افريقيا) (وهو من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٧) .

نموذج من نثره : « لا بد انك قد قرات عن استراتيجية النفس الطويل او عن الاستراتيجية الفابيانية ، ولعلك قد سمعت عن استراتيجية الردع الحاسم والاستراتيجية الذرية الحديثة . فما هي مقومات هذه الاستراتيجيات وما جدواها للادارة العليا في منظماتنا الاقتصادية المعاصرة ؟ وفي مجتمعنا ؟

ان علماء الاستراتيجية المعاصرين يجدون تشابها كبيرا بين الاستراتيجية التي يمكن ان تستخدمها لردع اسرائيل وبين تلك التي قد تستخدمها لعبور ميدان التحرير بسيارتك او للتاثير على سلوك مرؤسيك او لاقتحام احد اسواق التصدير . ان كان ذلك يبدو امرا غريبا فهو راجع الى التغير الكبير الذي طرا على مفهوم الاستراتيجية في العصر الحديث حتى اصبحت فنا هاما وحيويا لا يمكن لمنظمة متقدمة اهماله او تركه للظروف .

والمصدران العلميان الرئيسيان للاستراتيجية هما :

١ ـ علم الاستراتيجية العسكرية .

٢ ـ نظرية المباريات .

ولذلك فان دراسة مبادىء وافكار كل منهما ضروري لرجل الادارة العليا المهتم بتخطيط استراتيجيات ناجحة لمنظمته .

يرجع الاستخدام الاصلي لكلمة « الاستراتيجية » الى المجال العسكري ، فالكلمة ماخوذة من اللغة اليونانية وتعني حرفيا « فن الجنرال » او « اساليب القائد العسكري » ولكن الاستخدام الحربي نفسه تعرض لتطورات كبيرة على مر العصور ، فالاستراتيجية عند فون كلاوسويتز كبير الكتاب العسكريين في القرن التاسع عشر هي فن استخدام المعارك كوسيلة لتحقيق اهداف الحرب . وبالرغم من ذلك الكاتب الشهير لم يقصر فنون الحرب على المعارك الحاسمة الا ان تلاميذه من بعده وخصوصا الجنرال الالماني لودندورف ركزوا على ذلك المعنى حتى اقترن تعريف الاستراتيجية في وقت من الاوقات بدخول المعارك الفاصلة للقضاء على جيش العدو وتحطيم امكانياته ! » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

اقصر من درب الوحشة

●

عدنان محمد الدرويش

●

يا ليلة تضيء بالالوان
تنــوء بالحمل
تضج فيك الحياة
واهنة كخيوط الوهم
واهنة كالصبح الكاذب
واهنة كحياتي
في ليلك بعض من ذاتي

الليل ، الليلة ، اقصر
اقصر من كل ليالي
وعقارب ساعاتي تركض
تركض كي تنهي ازماني
كي تقتل زمني ومكاني
كي تسجن خلف الجدران
سنة من عمري الفاني :
الليــل الليلــة اقصر :
اقصر من درب الوحشة
الدرب الدرب اللامقفر
... الوحشة لا يففر
ان يخلي الدرب من الوحشة :
من ضجة مجنون ؟
من همس ، من لمس ، من رعشة :
الليل ، الدرب اللامقفر :
يزرع في كبد الايام رياحه
ويدور على حان الدنيا
كي يشهر في وجه الكون سلاحه
يقطع من جسم الدهر سنة
يولده في جوف الليل سنة
ما .. ت .. ء .. اش .. ما ..
من يدري ما الفرق ، وما الفرق بسيط .
.... ، فلترقص عشرات الارجل
ولتركــل ...
ولتصرخ ولتشتم .. ، ولتلعن
في السنــة المنصرمــة
ولتبسم ، ولتهنأ يا عاما يولد
فقطيع الاغنــام يسير
والليــل الليلــة اقصر
اقصر من كــل ليالــي
وعقارب ساعاتي تركض
كي تلقي في جــوف النسيان
سنة من عمر الفتيان ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل اليهود الروحي في بلادنا

بقلم اسمى طوبي

* * *

واود ان اسأل .. كيف يعطى الحق الروحي لشعب ما .؟. وكيف ينفذ ..؟

لنفرض جدلا ان ديانة فرد ما وهبته بلدا آخر فماذا يحدث ..؟

لنقل مثلا ان بوذا زعيم الهند الروحي .. او كنفوشيوس زعيم الصين الروحي وهب احدهما عابديه واتباعه امريكا او انكلترة قائلا لهؤلاء الاتباع « لكم ولنسلكم من بعدكم اعطي هذه الارض » فماذا يكون موقف امريكا او انكلترة من هذه الهبة ..؟ هل تتركان الهند او الصين تزحفان وتستوليان على بلادهما لان بوذا او كونفوشيوس وهبهما اياها ..؟ هل تخضع امريكا وانكلترة ام تقولان انه مجرد هراء وتحاربانه بكل قواهما ..؟ وماذا يكون موقف العالم كله من هذا الغزو.. ايوافق ويبارك ام يبهت وينقض ..؟

قد يقال ان الامر هنا يختلف عنه هناك ذلك لان الله الذي وعد الاسرائيليين بفلسطين هو الهنا جميعا وعلينا ان نطيعه .. ولكنني اقول وبملء فمي .. كلا .

اولا لانه الههم وحدهم .. هم خلقوه وصوروه الها سفاك دماء مجرما مثلهم .. يحارب كل الشعوب لاجلهم .. يذبح الاطفال والشيوخ والمرضى لاجلهم كما سنرى .

ثم انه اله اسرائيل فقط .. وانت اذا ما عدت الى التوراة تجد ان موسى يقول لهم باستمرار هذه الجملة « هكذا قال الرب اله اسرائيل .. وتظل هذه الكلمات تتردد عشرات المرات من داود الى اشعيا الى .. وهي الرب اله اسرائيل » .

رب الجنود .. ثم ان الههم هذا اله حرب .. هو رب الجنود دائما .. ولرب الجنود هذا رئيس جند ايضا .. رئيس جند مسلح .. ويقول يشوع في اصحاح ٥ عدد ١٤ ان الملاك ظهر له ساحبا سيفه وقال يخاطبه « انا رئيس جند الرب » .

واله الحرب هذا لا اجد لشره وصفا .. يفتح يشوع اريحا فيأمر جنده ان يقوموا بمجزرة بعد سقوط اريحا .. وبعد استسلام اهلها .. ان يقوموا بمجزرة ولا افظع يقول لهم في سفر يشوع اصحاح ٦ عدد ٢٢ هذه الكلمات :

« حرموا كل ما في المدينة من رجل وامراة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .

ويسر اله اسرائيل بما فعل نبيه يشوع ويأمره في سفر يشوع عدد ٨ قائلا « افعل بمدينة عاي وملكها كما فعلت باريحا وملكها » .

ويتم هذا في كل مدينة يفتحها الاسرائيليون يومئذ .. يدخلون المدينة ويدورون في شوارعها ويدخلون منازلها يذبحون كل من فيها .. انه اله يأمر بالمجازر او جعلوه هم كما يريدون .. وكما يرضي جبلتهم الشريرة.

كلا انه الههم وحدهم .. اما نحن فالهنا شيء آخر.

الهنا هو الذي علمنا بواسطة مسيحه انه اب لكل الناس .. فيه كل ما في الاب من حنان وعطف ورحمة.. ابانا الذي في السموات .

الهنا هو الذي اوصانا بواسطة نبيه العربي ان نفتتح صلاتنا فنقول « باسم الله الرحمن الرحيم » .. وما اروع الرحيم هذه .

الهنا هو الذي علمنا ان نحب الاطفال لا ان نذبحهم « دعوا الاولاد يأتون الي لانه لمثل هؤلاء ملكوت السموات».

الهنا هو الذي جعلمنا انبل المحاربين .. واشرف وارحم الفاتحين .

الهنا شيء آخر عن الههم .

ولقد يقال بعد ذلك .. وما ذنبهم والتوراة نفسها توحي بهذا فاقول .. وهل التوراة التي بين ايدينا هي النسخة الصحيحة عن التوراة الاصلية ام انهم حوروا وتلاعبوا بتلك الاصلية ما شاؤوا .. ثم وضعوا ما حوروه وما يناسب اهدافهم وشرهم بين ايدي الناس ..؟ وادعوا ان الله امرهم بكذا وكذا ..؟

لقد اجمعت الحفريات اليوم ان هناك اكثر من توراة في العالم .. وان هناك اكثر من نسخة يختلف بعضها عن البعض الآخر وهاك ما وصلنا من هذه المتناقضات حتى الآن .

اولا .. لقد اكتشف مؤخرا في حفريات راس شمرا بسورياتوراة الف عنها ادمون جاكوب كتابا بعنوان « راس شمرا والعهد القديم » . كتب فيه مع ما كتب مثبتا ادعاءات اليهود وتزويرهم قال مع ما قال :

« لم يفعل اليهود القدامى والمحدثون الا تشويه معالم هذا الكشف العلمي وصفاته » .

ثانيا .. بين التوراة التي يحملها الناس اليوم والتوراة السريانية اختلاف في اشياء كثيرة .. ولقد ثبت ان قسطنطين البيزنطي الذي كان اول امبراطور اعتنق النصرانية عام ٣٠٥ بعد المسيح كان اول من طلب اسفار التوراة والانبياء واقدم على اول عملية نقد مقارن عرفها التاريخ وقبله لم يكن للعالم معرفة بعملية التزوير التي اقدم عليها اليهود .. والتي جعلت التوراة السريانية تختلف عن التي بين ايدينا .

ثالثا .. لقد وجدت مؤخرا في وادي الملوك بمصر توراة عمرها ٤ آلاف عام وهي مخطوطات لاسفار متفرقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حصان العودة

أنـا الاوراق يا وطني
اذا البرد ادلهم عليك
أنـا الوصل الذي نسجت
عقاربه دم الساعات
أنـا الرقم الذي طرقت به
يمناك صدر الليل
طـار النـوم
قطارا مغلق الساحات
أنـا التاريخ يا وطني
لماذا يا وجوه القوم فاكهة الصبا تقتل
لماذا الشرق لم يسكن قرى وطني
ويرفو الجـرح
لماذا لا ارى الاكمات تكسوها صبايانا
وعصفورا جديد الوصل
يرى في خطوط الصبح
أطمئن كل من نقشت أصابعه
على الجدران في وطني
أطمئن من بكى طفلا فطاف النهر
وحطابا تابط فاسه خيرا
يرى الاغصان شاخصة
على بوابة الغابـة
وغصب القهـر
أطمئن نقشة الازميل
حصان العودة الحمراء
يصهل في الهواء الطلق

حلب — محمود علي السعيد

اذ لم يكن هنالك طباعة .. وهي اليوم تحت الدراسة .

لقد كتب موسى الاسفار الخمسة الاولى في التوراة وهي تكوين .. خروج .. لاويين .. عدد .. تثنية .. ودرج بعد ذلك كل حاكم او فاتح على كتابة مـا حدث له .. وظلت هذه الاسفار وعددها ٣٧ سفرا وكل سفـر مكون من عشرات الصفحات .. ظلت متفرقة مخطوطة من عهد موسى الى ما قبل ٥٢٥ عامـا فقط حيث اخترعت الطباعة وطبعها الالمانيان يوحنـا غوتنبـرغ وزميلـه بيير شومي .

ولنا بعد ذلك ان نتساءل ـ وبين ايدينا اربع نسخ ثبت في اثنتين منها التغيير والتبديل ولا اقول التزوير ـ لنا ان نتساءل كم لعبت الاهواء والغايات دورها في الجمع والنسخ .. وبين ايدي امة تحول كـل كلمة لصالحها الخاص ..؟ ثم ولماذا يعتمـد الحاخامون انفسهم علـى التلمود اكثر من اعتمادهم على التوراة ..؟

ومع كل ذلك لنعد الى التوراة التي بـين ايدينـا ونقبلها كما هي قائلين « من فمك ادينك يـا اسرائيل » لنعد الى الوعد نفسه .. الى بلادنا التـي وعدهم بهـا الههم اله اسرائيل .. وفي كم شكل ورد الوعد .؟

تقول التوراة في سفر التكوين اصحاح ١٥ عدد ١٨ هذه الكلمات لابراهيم « لنسلك اعطي هذه الارض مـن نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .. اي ان اللـه اعطاهم « من النيل الى الفرات حدودك يا اسرائيل » .. ولكن ما بال هذا الاله غير رايه بعد اصحاحين من التكوين فقال لابراهيم نفسه في اصحاح ١٧ عدد ٨ هـذه الكلمات حرفا بحرف :

« اعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتـك كـل ارض كنعان » .

وارجو ان تلاحظ قارئي الكريم ان النص الاخير لم يقل ارض مصر وقد كانت يومئذ للفراعنة .. ولم يقـل سوريا وقد كانت للاموريين .. ولا العراق وقـد كانت تسمى ما بين النهرين .. بـل قال « اعطيك ارض غربتك ارض كنعان » فقط ..

ترى هل ندم الله على الوعد الاول فحصر العطاء في ارض كنعان ارض غربة ابراهيم . ام ترى الذين كتبـوا الجملة الاولى « من النيل الى الفرات » نسيوا مـا كتب قبلا .. ام انهم تراجعوا لانهم راوا ان المساحة كبيرة وان لا لزوم لها ..؟

والمتناقضات الاخرى ومنها .. تقـول التوراة في سفر التكوين اصحاح ١٥ عدد ٥ ما يأتي « واخرج اللـه ابراهيم الى خارج وقال له انظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت ان تعدها .. هكذا يكون نسلك » .

ونسأل .. اين هو هذا النسل الذي بعـدد نجوم السماء ..؟ وكيف مرت على الوعد آلاف السنين وما زال عددهم ١٤ ـ ١٦ مليون نسمة .. ترى هل اعطي الوعد للصينيين الذين بلغ عددهم ٨٠٠ مليون نسمة ومع ذلـك فهم يعدون .؟

ولقد يقول البعض .. ولكن ابراهيم كان ولده الاول اسماعيل .. ولعل اللـه قصد بنسل ابراهيم اسماعيل ايضا فجاء عدد النجوم هذا .. ولكـن التوراة نفسهـا ترفض الفكرة بتاتا .. انها تقول في سفر التكوين اصحاح ١٧ عدد ٢٠ هذه الكلمات « اسماعيل اباركه واثمره ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك ساره » .

على كل هي تناقضات تضاف الـى تناقضات .. وفلسطين للفلسطينيين اهلها منذ ٤ آلاف عـام وستعود اليهم .

وجولة البطل ساعة

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا الان رجل في مغرب العمر . اذكر ايام شبابي كأنها الامس القريب . اذكرها يوما يوما وليلة ليلة ولاسيما تلك الامسية التي وقع لي فيها ذلك الحادث الغريب .

كنت احبس نفسي في شبه صومعة معظم النهار ، وهزيعا من الليل ، وانكب على مطالعة ديوان شعر او انهمك في محاولة رسم لوحة فنية . وكنت نحيل الجسم ، فارع القامة ، دقيق القسمات اسود الشعر غزيره ، مرهف الحس والوجدان والفكر . وكنت انفر من المجتمعات وافر من صحبة الاصدقاء والوذ بالتأمل في هداة العزلة والصمت والواقع اني كنت اسمع اكثر مما اتكلم ، واساير اكثر مما اعترض . ولا اذكر اني استرسلت يوما في الضحك والقهقهة .

هكذا كنت ... ممن ينطوون على انفسهم ويحزنون بلا علة واضحة ! بل ممن لا يشعرون بوجودهم في الحياة الا حين يستهويهم مشهد من مشاهد الطبيعة فيثير مشاعرهم ويفجر في عيونهم الدموع . تلك كانت شخصيتي بل تلك كانت حياتي ، تسيل في ذلك المجرى الضيق المعتم المتشابه حتى وقع لي ذلك الحادث الذي بدل في عيني وجه الدنيا ، اما كيف وقع ، فهذا ما سارويه بدقة وصدق وانا ما ازال اذكره وارتعش .. لم اكن اذ ذاك قد شعرت بحنان المراة ورقة عواطفها الا من خلال دواوين الشعر التي كنت اعكف على مطالعتها او من خلال الالحان العذبة المشجية التي كانت تتهدى اليّ من الراديو . كنت بعيدا كل البعد عن بنات حواء ، وكنت سعيدا ، ومع ذلك فقد كنت قلقا ومضطربا ، احس ان نفسي تصبو الى شيء اجهله واتمنى ان اظفر به وانا لا اعرف على وجه التحقيق ما هو ..

وفي ذات ليلة رايت في منامي حلما .. حلما تحف به غلائل من ضباب ... هناك في فضاء حديقة مقفرة مهجورة .. والشمس تميل الى الغروب ، هناك حيث فروع الاشجار عارية والاوراق جافة متناثرة والهدوء رهيب يملك فسحة الفضاء ، كأن العالم قد تبدد ولم يبق في الوجود غير هذه الحديقة ، رايت فتاة جالسة على احد المقاعد الخشبية خلف الاغصان . كان شعرها فاحما مسترسلا على جانبي وجهها الناصع البياض وكانت ترف على شفتيها الدقيقتين بسمة طفولة حالمة . كان جمالها حزينا وثوبها اسود حالكا وعلى صدرها وردة بيضاء .

هذا ما حلمت به ، ثم صحوت . صحوت فجاة ماخوذا . ما الذي جعلني احلم بتلك الفتاة ؟ لبثت مدة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني محمد بدوي

طويلة شارد الفكر . ما كانت علة فزعي واضطرابي ؟ لست ادري . تملكتني الحيرة. ترى هل افزعني ما ابصرته في الفتاة من جمال رائع حزين ام ان غموضها هو الذي اخذني ؟ولكن اي غموض واية غرابة في حلم ؟ ومع ذلك فهذا الحلم كان ابرز احلامي وابقاها في مخيلتي ووجداني ! ظل يحيرني اياما . ولما اشتدت حيرتي تركت الامر بلا ايضاح او تعليل !

وفي ليلة اخرى ، ويا للعجب ،



تكرر الحلم .. رايت الفتاة نفسها ، بجمالها الحزين ، وثوبها الاسود ، وبسمة طفولتها الحالمة . رايتها راي العين . كانت باهرة الحسن . خلبت لبي . اسرت قلبي . كانت هي التي ابحث عنها ، هي التي انشدها . احببتها بكل مشاعري . احببتها بكل جزء من كياني . لم اعد ذلك المخلوق المنكمش المنطوي ، المنكب على كتاب تحت ضوء مصباح خافت تتراقص ظلاله على جدران غرفتي . اردت ان يستحيل هذا الحلم حقيقة ، اردت ان ارى تلك الفتاة في الواقع لا في الخيال ، فطفقت ابحث واتجول واغشى الحدائق والمتنزهات ، واتلهف على مواجهة ذلك المجهول الذي استبد بي وتحكم فيّ .

اجل ، كنت احس في قرارة نفسي اني سألقاها .. كنت اتمثلها دائما امامي ، انتزعها من ضباب حلمي ابعثها بارادتي واملي .

وفي ذات غروب ،ونسمة الخريف رطيبة ، غادرت صومعتي ، وعدت اتجول في شوارع المدينة مارا بواجهات المحال الكبرى ، متجولا نحو شاطىء البحر اخرى ، مندفعا بقوة قاهرة لا اعرف سرها الى حديقة نائية بعيدة عن زحمة الناس ، واجتزت الممشى ، وجلست هناك على مقعد منزو ، ثم تضجرت . ولم ادر لماذا لم آخذ معي اي كتاب ، ولكني وجمت بغتة واختلجت . كانت عندئذ مفاجاة العمر . حانت مني التفاتة فرايتها .. هي .. هي بعينها ! ماذا ؟ اهي اسطورة ؟ اهي عودة الى الحلم ام انها واقع ، واقع حي ؟ انها لواقع حي ، وها هي ذي ...

ها هي ذي فتاة احلامي تجلس الان تجاهي . كيف يحدث هذا ؟ لا اصدق بصري . اهي مخلوق من لحم ودم ام هي روح هائمة لا يستشفها احد غيري ؟ حدقت اليها مشدوها . نعم ، هي نفسها بجمالها

سطر في سفر المأساة

تركوهم لوحدهم ، يجلدهم الليل ، ويصرعهم الرصاص ، ويهتك اعراض نسائهم شراذم صهيون .

ديـر ياسـين ، أي جـرح غؤور ... يتلظى بـين الجـراح الدوامـي
صبـغ الارض بالنجيـع فخـر ... الحق خزيـان لاصقا بالرغـام
سوف تبقين، ما دجا الليل، رمزا ... لخيانـات عصبـة أقـزام
مـا اتقوا فيـك للضمير صريخا ... مستثيرا لنخـوة الاقـوام
لا ولا ارهبتهـم لعنـة ... التاريخ ، او هزهم فحيح الاثـام
فعلـوا فيـك مثلمـا يفعـل ... الجـزار بالشاة تلهـا للحمـام
منحـوك الكـلام عذبـا فلمـا ... حزب الامـر ، جمجموا بالكـلام
فعلـة المجـرم العريق استقامت ... فـي هـواه دوافـع الاجـرام
يقتـل الآمـن البـرىء ويمشي ... مطرقـا خلـف نعشه باحتشـام

ديـر ياسين ، مـا الظلام بباق ... انمـا الفجـر منحـر للظـلام
انـه أفقنـا القريـب اندفاقـا ... مـن لهيـب ، ووثبـة الايـام
سوف تهوي الاصنام تحت فؤوس ... هي أمضى مـن باطـل الاصنـام

الكويت — فؤاد الرفاعي

الحزين ، بشعرها الفاحم المتهـدل على جانبي وجههـا الناصع ، بثوبها الاسود ووردتها البيضاء ، وبسمة طفولتها الحالمة المترقرقة علـى وجنتيها الشاحبتين . هل اخاطبها؟ كيف اجرؤ ؟ وثب الدم الى قلبي وترددت ، ومع ذلك كان لا بـد ان اخاطبها . ولكنـي ترددت ايضا فأبصرتها تتأملني بل تمعن النظر فيّ ... فازداد دهشي واحجامي . بيد ان نظراتها شجعتني فاستجمعت قواي ودنوت منها وحاولت ان اتكلم ولكن الاضطراب عقد لساني فرفعت هي اليّ عينيها الحزينتين وغمغمت:

ـ « انت هنا ؟ »

فقلت : « من ؟ »

فقالت : انت ! الست انت ؟

فبهت . واجبت :

ـ « ومن تكونين انت ؟ »

فندت عنها ضحكة ، وقالت :

ـ « الا تعرفني ؟ انا اعرفك ! »

فأحسست قلبي يخفق خفقانـا يزعزع صدري وصرخت :

ـ « هي انت ؟ ! »

فابتسمت وقالت : « نعم انا ! »

فانحنيت عليها ، وبالرغم منـي امسكت بذراعها وقلت :

ـ « انهضي . تعالـي معـي . اتبعيني ! »

فتراخت في مقعدها وتمتمت :

ـ « والى اين ؟ »

فصحت بها :

ـ « الى الفرح والحرية والحياة!»

فأطرقت برأسها وقالت في اسى :

ـ « لا استطيع ان اتحـرك ! لا استطيع ان اقبض على شيء . هذا الهواء يجثم عليّ . يحتويني . انا منه وهو مني ، وليس في مقدوري الا ان اعيش في هذا الهواء الـى الابـد . »

فذهلت ، وشعرت ويدي تطوق ذراعها اني ممسك بموجة اثيرية ، لا حرارة فيها ولا دم ولا لحم مما يمكن ان تلمسه يد انسان .

فأرتدت اليها ابتسامتها الحزينة وقـالت :

ـ « الا اعجبك ؟ كنت تتوقـع شيئا آخر ؟ اليس كذلك ؟ »

وضحكت فجـأة ثـم قهقهت وقالت :

ـ « هكذا انا ، ستظل تحلم بي ، ستظل تقتفي اثري ، ولكنـك لـن تعثر ابدا عليّ الا كما تراني امامك الان . خذني . تزوجني . ألست تريدني ؟ انت مشدود اليّ . لماذا تتقهقر . لماذا ترتعد ؟ ماذا اصابك ؟ انـي احبك ! »

فجحظت عيناي وانخلع قلبي ولم استطع الا ان ارفع كفي واخفـي بهما وجهي الذاهل التائه المذعور ، وانطلق مـن الحديقة المسحورة وصوت الفتاة المشفق الهادر الساخر يتبعني ويردد في مسمعي :

ـ « مجنون ... مجنون ! »

الاسكندرية — حسني محمد بدوي



أثـر القرآن في البلاغة العربية

تأليف الدكتور كامل الخولي ـ٢٥٦ صفحة ـ مطبعة دار الانوار بالقاهرة

كان من المحرجات الشاقة لدي ان أؤلف كتاب « خطـوات التفسير البياني » ثم لا أرجع الى كتاب « اثر القرآن في تطور البلاغة العربية » مع انه يكاد ان يكون المرجع الاول لما أعالج من بحوثه ، ويزيد الحرج شدة حين يعلم القارىء ان مؤلفه الاستاذ الكبير الدكتور كامل الخولي اول من اخذت عنهم دروس البلاغة في كلية اللغة العربية أيام الطلب ، ثم هو الآن رئيس قسم البلاغة والنقد بالكلية ، وانا مدرس بالقسم ؟ فما تعليل هذه الظاهرة ؟ ان الاستاذ الخولي قد اشترك عـن عمد في صدي عن الرجوع الى مؤلفه اذ طالمـا تداولنا الاحاديث والمناقشة في بعض ما يعالجه كتابه دون ان يقول ان له كتابا أصيلا في هذا الباب ، مع اننا نرى الدخلاء من ادعياء التاليف لا يفتئون يصكـون الاسماع بالدعاية لما يصدرون من صفحات تسقـم القارىء وتضنيه ؟ أيكـون التواضع المثالي قد دفع الاستاذ الخولي الى حد يحرم معـه استفادة تلاميذه من ثمرات اجتهاده ، هذه الثمرات الناضجة التـي تتراءى حلوة عذبة على أفنانها المورقات ! ان الامر في لبابه لايرجع الى هـذا التواضع المفرط الذي انتقل الى طبع الكتاب واخراجه فجاءت صفحاته مكتظة بالسطور الكثيرة ذات الحروف الضئيلة ، ولـو أتيح لغيره ان يقدم مثل هذا الكتاب الى الناس ـ على دسامته المفرطة ـ كيفا لاخرجه في ضعف حجمه كما ، ولا استعار له أضخم مذيـاع واقـواه ليبشر الدارسين بما تضمنه من فتوح علمية تستأهل الدعاية وتوجب الاعلان ولكن الاستاذ الخولي يقدم أثره الناضج على استحياء !

لقد نظر المؤلف الى التراث الدائر حول البلاغة القرآنية منذ بدأ التأليف العلمي في أقدم عهوده الى ان انتهى القـرن الخامس مـن الهجرة ، ليكتب ـ في بعض ما يكتب ـ تاريخ البلاغة والنقد في طورهما الزاهر الحفيل ، وقد نعهد كثيرا من دارسي الجامعة يقفون بتأليفهم في مثل هذا المجال عند نهاية القرن الرابع ، ولكـن الاستاذ المؤلف يضم القرن الاخير الى ما سبقه قائلا في تعليل ذلك ص ٢٤٥ .

« ان خلق البلاغة في نهاية القرن الرابع لم يكن قد اكتمل بعد ، وقد رأيناه مكتملا في نهاية القرن الخامس وشاء الله ان تكون ذروة هذا الفن في القرن الخامس ، وقد رأيناه بعد لا يقف فحسب بـل ينتكس ويتخلف ، فكانت هذه الدراسة محدودة بالقرن الخامس ليتيسر لنـا اصطحاب البلاغة من مولدها حتى اكتمالها » .

ومزية الاستاذ الخولي فيما كتبه من بحوث ، انه مؤرخ وعالـم بلاغي معا ، فقد رأينا اكثر الخائضين في مضمار التاريخ البلاغي يعرفون حيوات الرجال ، ولا يهضمون آراءهم العلميـة واصطلاحاتهم الفنية ، واكثرهم يرجع الى كتب التراجم والطبقات اكثر مما يرجع الـى كتب البلاغيين أنفسهم ، وقل ان تجد لديهم مـن يريك نشأة المصطلحـات البلاغية عبر الزمن ، وانتقالها من وضع الى وضع حتى انتهت الـى عصور الانحطاط ، لان ذلك يتطلب دراسة الفن في كتبه الاولى ثـم في حواشيه الاخيرة ، فجاء الاستاذ الخولـي ليرصد في بعض ما يرصد تتابـع المصطلحات البلاغية من امثال البديع والاستعارة والتمثيل والكناية والتخييل في نموها واختلافها علـى ايدي الباحثين ليرى كيف انتقلت من حد الى حد وتبدلت من تعريف الى تعريف ، وصاحب هذا الصنيع يتواضع كثيرا حين يجعل كتابه عن أثر القرآن وحده وكانه أحس في نهايـة حديثه ان المجال لا يزال ذا سعة فوعد بكتاب آخر يتحدث عـن فيوض البلاغة المتلاحقـة الاخرى بعد ان تحدث عن فيض القرآن الكريم .

وفي سبيل البحث عن توالد هذه المصطلحات يلجأ المؤلف الى مثل قوله عن أبي عبيدة ببعض التصرف .

« ولا ندري لم لم ينص ابو عبيدة على الاستعارة في كتاب مجـاز القرآن حين وجودها في النص القرآني وقد كان ابو عمرو بن العلاء ينص عليها ، كما ذكرها ابو عبيدة نفسه في النقائض » .

وهو تساؤل أستطيع ان اقول في التعقيب عليه ، انـي أرجح ان يكون مجاز القرآن قد ألف قبل النقائض فجاء اكتشاف ابي عبيـدة لهذا الاصطلاح بعد فراغه من المجاز ، أما أن يكون استاذه ابو عمـرو قد اهتدى اليه فيما نقل صاحب العمدة في زمنه المتاخر فهذا مما يجب ان نقف لديه متمهلين اذ لا يعقل ان يذيع الاصطلاح على يد أبي عمرو ثم لا ينقله تلاميذه الكثيرون من طبقة ابي عبيدة مرددين ، ولماذا انقطعت نسبة الاستعارة الى ابي عمرو عند قدامى الدارسين من امثال الجاحظ وابن المعتز حتى يجيء ابن رشيق فيشير اليها في زمنه المتاخر ومكانه البعيـد !

على ان الحديث عن أبي عبيدة يجرنا الـى الحديث عـن سبب تأليف المجاز ، فقد نقل الاستاذ الكبير ما رواه معجم الادباء عن مجلس الفضل بن الربيع والسؤال عن معنى قول الله « طلعها كانـه رؤوس الشياطين » ، كما ذكره الدارسون جميعا في التعليل لتأليف المجاز ، وأذكر أنني لم ارتح لهذه الحكاية ، وقد قلت تعليقا عليها في « خطوات التفسير البياني » ما نصه :

« وقد راجت هذه القصة عن سبب تأليف الكتاب لانها معقولـة لا يلوح في سردها الظاهر مكان لنقد ، ولكني اقف منها موقفا آخـر اذ رجعت الى كتاب المجاز فرأيت ان الآية المتحدث عنها « طلعها كانـه رؤوس الشياطين » لم يتعرض ابو عبيدة لتفسيرها في سورة الصافات وبعيد جدا ان يتفرغ الكاتب لتأليف كتاب من جزءين بسبب آية مـن آيات القرآن ثم لا يخصها بالذكر وكانت باعثه الاول عـلى التأليف ، وقد نشر المجاز عن نسخ متعددة ليس بأحداها اشارة واحدة الى الآية حتى يظن ان الخرم قد لحق بعض الكتاب بل ان سورة الصافات قـد اضطردت على نحو ما استن المؤلف دون ان يلحظ الناشر في صفحاتهـا موضعا لنقص ، ومن ناحية أخرى فان أبا عبيدة في مقدمة الكتاب لـم يشر الى الحادثة اطلاقا ، ولو اتفق له منها شيء لسجله في السطـور الاولى من كتابه تبيانا لدافعه وتحديدا لخطته » .

وقد انتقل المؤلف الى القراء فحلل في ايجاز كتابه عـن معانـي القرآن ، ولم يفض افاضته في مجاز أبي عبيدة لان الفراء عالم نحـوي فهو اقرب الى فن سيبويه منه الى فن الجاحظ ، ذلك الامام البياني الكبير الذي شرع وجهة الحديث عن البلاغة على نحو مبسوط فسيح ، وقد وقف الدكتور الخولي لديه وقفات مستانية قدمت نماذج حية من آرائه القرآنية أحسن الكاتب اختيارها من البيان والحيوان والرسائل، وقد يستطيع الكثيرون ان يلموا بآراء الجاحظ في تفسير بعض الآيات ، ولكن تحليل هذه الآراء وقياسها الى غيرها ومتابعة سيرها في جـدول التأليف البلاغي مما تجدر به كفاءة الاستاذ الخولي عن بصر ونفاذ ، اذ انه يحتفل احتفالا جيدا لكل ما يتعرض له من نقاط ، حتى لا يكـاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشغله زمن او عمل عن تقرير حقيقة او جلاء فكرة !

واذكر ان رسائل الدكتوراه التي يناقشها في كلية اللغة العربية كانت ترى بين يديه اثناء المناقشة ، وقد تراكمت تعليقاته في الصحف الخلفية والهوامش الجانبية تراكما يضيف الى الاصل أصلا آخر ، حتى كأنه يكتب الرسالة من جديد ، وقد اشفقت عليه في ذلك فسألته ان يريح نفسه من عناء يأخذ بعقله ووقته معا ، فقال ان خطته في الفحص والتنقيب تطالبه بأكثر مما يفعل ، هذه الخطة التي جعلته يفيض في تحليل مشكل القرآن لابن قتيبة تحليلا علميا يضع النقاط ، ويحدد الجداول ، ويرجع بالنتائج للمقدمات ، وقد تجلى ابن قتيبة في دراسة الاستاذ عملاقا بيانيا رائعا ، وكنت اعتبره في هذا الميدان فردا من الافراد فاذا الرجل بعد توضيح جهوده استاذ البيان الثاني !

واذا الاستاذ الخولي يسلط مجهره الدقيق على كتابه ليجعل منه رأسا في موضوعه الخطير ، هذا الانصاف الجيد لخطيب أهل السنة ، قد اتجه به المؤلف ايضا الى الرماني عالم الاعتزال ، بل الى غيره من ابناء طائفته ممن اوسعوا كتاب الله المعجز تحليلا وتشريحا ، وانه ليقول عنهم وعن غيرهم من علماء الكلام في بعض ما يقول ص ٨٠ :

« ولان هذه الدراسة كانت من العلماء المتكلمين فقد خلطوا بالفن البلاغي حجاجا كلاميا وجدلا عقليا ، ولكن ذلك لم يصل الى حد الطغيان على البحث البياني الادبي فان الباحث يحس ان البحث البلاغي قد افاد من قضية الاعجاز أبلغ الفائدة وعظيم الجدوى وسنرى في هذا القرن كيف انتقلت البلاغة من طور كانت فيه غير محددة ولا مميزة الى طور تميزت فيه الى حد ما واتضحت الفروق بين بعض الاساليب وبرز الجمال البياني وفضل الصورة البيانية بجلاء ووضوح».

ومما يذكر لكتاب « أثر القرآن في البلاغة العربية » بكثير من الحمد والتقدير تحليله البارع لآراء القاضي عبد الجبار البلاغية حيث فر منها كثير من المؤلفين لصلابة منحاها ووعورة الارتقاء الى قممها البواذخ ؟

واشهد القراء انني حين كتبت « خطوات التفسير البياني » قد أجهدني كل الاجهاد ان اتابع عبد الجبار في دقته وغموضه وقياسه ووعورة التوقل في مضايقه المنشعبة ، وحين اردت ان اقدم المثل لتفسير امام معتزلي بليغ ، تركت القاضي الاصولي النظار المتمرس عبد الجبار الهمذاني الى تلميذه الشريف المرتضى صاحب الامالي حيث استطعت ان اسير معه دون استاذه !

واستاذي الخولي وجد من قدرته المكينة ما اعانه على تشريح آراء القاضي عبد الجبار فاوسع ما جاء في المغني عن الاعجاز تحليلا وتنويرا واشار الى نبذ من طريقته الجدلية في الحجاج ، ووضح رأيه في النظم القرآني ، وانه مناط الاعجاز بشروط خاصة نترك الخوض فيها لمن يصمد لها كالاستاذ كامل الخولي عن مقدرة ورسوخ، وحديث عبد الجبار عن قضية النظم مضافا الى ما سبقه من حديث الخطابي مما ينفع لدى دراسة عبد القاهر لان اصول نظريته تضرب بجذورها الى اعماق بعيدة ليس من السهل الهين ان يجازف بالحديث عنها كل من الف في تاريخ البلاغة ! وقد وضح الاستاذ الخولي السن القويم لمن كان ذا بصر واهتداء .

وحديث المؤلف عن عبد القاهر في كتابه كحديثه عنه في محاضرات درسه ، حديث المعجب الفخور ، اذ استطاعت فطنة الجرجاني وألمعيته ان تجذبا الاستاذ الخولي جذب العاشق الولوع ، وهو مع الهيام المتصل بصاحب الدلائل والاسرار ، لا يسمح لنفسه ان يغمض عن نقده متى اتضح وجه الحق فيما قال ، فهو في رأيه ص ١٧٨ .

« الحامل لتبعة المباحث النحوية التي غذت البلاغة فضمير المخاطب وضمير الغائب وضمير المتكلم ، والعلم لاحضار صاحبه بشخصه ، والوصول للمعهود وواو الحال متى تدخل ، وحذف الخبر بعد ان ، وتسويغها الابتداء بالنكرة ، وتقديم المسند للدلالة على انه خبر لا نعت » .



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819 ☎
☎ المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139 ☎

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغير ذلك قد اقحم على البلاغة من النحو اقحاما ، كما اخذ عليه المؤلف تفريق الموضوع الواحد في اماكن متعددة فلا بد للباحث ان يلهث وراءه حتى يجمع المفرق ويضم الاشتات مما ادى الى تضارب كبير بين شارحيه وناقديه ، هذا الى كثير من التكرار مع الاختصار الشحيح في بعض ما يتطلب الفيض والاسهاب ، ولكن ذلك كله لم يمنع الاستاذ ان يقول في نهاية بحثه انه اكمل خلق البلاغة وجعلها كائنا ذا استقلال كما اهتدى الى سر لدىعبد القاهر لم يهتد اليه سواه حين قال ص ٢١٢ .

« ومن عجائب عبد القاهر ان الاقدمين الذين سبقوه والمتاخرين ايضا يربطون توكيد الجملة بحال المخاطب من تردد وانكار فياتي عبد القاهر ويدخل في التوكيد حال المتكلم ايضا وذلك اذا وقع شيء كان يظن انه لا يقع كما في قول مريم « رب اني وضعتها انثى » وقول نوح عليه السلام « رب ان قومي كذبون » وهذا ما لم يلتفت اليه المتقدمون ولا المتاخرون » .

وحديث الاستاذ عن الزمخشري جيد رائع وقد ختم به بحثه عن قدامى البلاغيين ، ولم يفته في تطوافه الفسيح ان يلتفت الى ما لا يرضاه من اقوال المعاصرين حيث جادل بالحجة وظهر بالدليل على افذاذ موهوبين ، وكانت لبعض آراء طه حسين وسيد قطب وامين الخولي واحمد المراغي وعبد الهادي العدل وقفات حكيمة تفسح مجال النظر الصحيح ، وان كتابا قيما يقوم بموضوعه هذا المقام الرائع لجدير ان ياخذ حظه من الذيوع وان يتقبل صاحبه جزيل الشكر الطيب من تلاميذه ومريديه .

الفيوم ـ دار المعلمات محمد رجب البيومي

•

ابو تمام الطائي

حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية

تاليف كوركيس عواد وميخائيل عواد ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الارشاد ببغداد

كما الدرة اليتيمة في مهرجان ابي تمام كان كتاب « ابي تمام حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية » تاليف الاستاذين الجليلين كوركيس وميخائيل ابني عواد ، لم يسبقه شيء ولا لحقه شيء بل لم يقدم للمهرجان سواه فكان حقا درة يتيمة في المهرجان . وبعض اصناف الكروم في بلادنا يحمل في العام غير مرة كذلك تصانيف هذين العالمين الفاضلين ما يمر عام الا وترى لهما طريفا في التصنيف وظريفا في التاليف .

وهما ابدا فرسا رهان يائتلفان حينا ويختلفان احيانا ، لكن غاية الفوز عندهما خدمة العربية وتراثها الخالد .

في التمهيد قال المصنفان الفاضلان : « ان الادباء والعلماء القدامى والمحدثين صنفوا في ما الفه (ابو تمام) وجمعه المصنفات العديدة وتدارس الناس من بعدهم شعر ابي تمام و (اختياراته) . فكان محصول ذلك جملة كبيرة من المصادر والمراجع التي انتهى الينا بعضها وضاع البعض الآخر . هذا الى طائفة واسعة مما كتبه الباحثون المتاخرون والمعاصرون في هذا السبيل . وما وصل اليه علمنا من امر هاتيك المصادر والمراجع ، ادرجناه في هذا الفهرست بعد تنسيقه وترتيبه بالوجه الذي ارتضيناه ، ورأينا انه يسهل معه الرجوع اليه ووضعه بين ايدي الباحثين والدارسين ، ليتخذوا منه دليلا حين تراد الدراسة او تبتغي الكتابة عن ابي تمام وشعره » .

فالكتاب اذن كتاب من كتب الفهارس ، ودليل من ادلة الدراسة والبحث . وقد تضمن من الموضوعات ما يلي :

١ ـ ابو تمام في سطور .
٢ ـ تآليف ابي تمام .
٣ ـ كتب الفت في ابي تمام .
٤ ـ اخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية القديمة .
٥ ـ اخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية الحديثة (ويدخل في ذلك الكتب والمجلات والجرائد) .
٦ ـ ابو تمام في المراجع الاجنبية .

في فصل تآليفه عرضا لديوان ابي تمام ، نسخه الخطية ثم المطبوعة وفي المطبوعة فاتهما ذكر طبعة صدرت عن المطبعة التعاونية اللبنانية في درعون ـ حريصا سنة ١٩٦٨ بشرح وتعليق شاهين عطية ومراجعة الاب بولس الموصلي ناشراها مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ص ٤٣٩ . ثم عرضا لشروح ديوانه المطبوعة والمخطوطة والمفقودة . ثم لتصانيفه الاخرى : الحماسة ، مخطوطة ومطبوعة ، شروح الحماسة ، مخطوطة ومطبوعة والحماسة الصغرى (الوحشيات) مخطوطة ومطبوعة . وذكرا كتاب « اختيار الشعراء الفحول » ومنه نسخة خطية فريدة في (مشهد) بايران وهمزيات ابي تمام التي نشرها عبد السلام محمد هارون . ونقائض جرير والاخطل التي نشرها الاب انطوان صالحاني .

وذكرا كذلك اربعة من مصنفاته المفقودة هي : مختار اشعار القبائل ، والاختيارات من شعر الشعراء ، واختيار المقطعات ، والاختيار من اشعار المحدثين .

ثم عرضا في فصل مستقل للكتب التي الفت في ابي تمام ص ٢٢ـ ٣٠ وهو فصل جيد ، وقد فاتهما فيه ذكر كتاب « الامثال » لابن ابي الاصبع المصري ، الذي استقصى في فصل منه امثال ابي تمام في شعره فوجدها تسعين نصفا وثلاثمائة واربعة وخمسين بيتا (انظر تحرير التحبير ص ٢١٩) .

ثم لاخباره وشعره في المراجع العربية القديمة ص ٣١ ـ ٦٤ فاخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية الحديثة ص ٦٥ ـ ٩٤ .

وعلى الرغم من الجهد الضخم المبذول في هذين الفصلين الاخيرين ، الا انني وجدت انهما قد ادرجا الكثير من المراجع التي ورد فيها ذكر ابي تمام عرضا فهي ليست كتابا الف فيه ولا فصلا من كتاب ولا مقالة وهي بالاختصار ليست من مصادر دراسته بالمعنى العلمي ، وعلى سبيل المثال : ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي للاستاذ هاشم الطعان ومحاضرات في شعر علي محمود طه للسيدة نازك الملائكة وشعر ابي سعد المخزومي للدكتور رزوق فرج رزوق وديوان العباس بن مرداس للدكتور يحي الجبوري وسواها كثير كلها ليست من مراجع دراسة ابي تمام ابدا . فمجرد ذكر ابي تمام عرضا او استطرادا او الاستشهاد ببعض شعره لا يبيح اعتبار الكتاب مرجعا لدراسته ، ولو اخذنا بهذا المقياس لامكنني المجيء بمئات المصادر الاخرى ولاختلط الامر اختلاطا كبيرا . فلا بد اذن من غربلة هذه المصادر وتحكيم مقياس علمي ثابت فيها .

وهناك تساؤل آخر يثيره اثبات قصيدة « ذكرى حبيب » وهي قصيدة لصديقنا الدكتور زكي المحاسني عن ابي تمام نشرتها مجلة « المجلة » القاهرية في اكتوبر ١٩٦٠ . والسؤال هل ان القصائد التي تكتب في ذكرى ابي تمام يصح اعتبارها من مراجع دراسته ؟؟ ارجح ان اثبات هذه القصيدة يشكل خروجا على الخطة التي استنها المصنفان الفاضلان . لان القصيدة ليست كتابا ولا فصلا من كتاب ولا مقالة واذا ما قبلنا هذا المبدأ وجارينا الباحثين الكريمين امكننا استدراك عشرات القصائد عليهما مما نظم في ابي تمام ومنه على سبيل المثال :

١ ـ رائعة شيخ شعراء الشام الاستاذ شفيق جبري وعنوانها « ابو تمام » والتي يقول فيها :

هذا التجدد لا رطانة اعجم يهذي ويدلف في الظلام الاسود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغة كان نسيجها من بابل ولدت وليت نسيجها لم يولد
ليس الكلام اذا صفا ينبوعه شروى كسلام ملفز ومعقد
واذا العروبة ند عنك بيانها فسد الفؤاد مع البيان المفسد

٢ ـ وقصيدة الدكتور سيف الدين الكيلاني وعنوانها « احياء ذكرى ابي تمام » ومطلعها :

المرء في قيد الفناء مصفد والعبقري على الزمان مخلد

٣ ـ وقصيدة الشاعر الاصيل عدنان مردم وعنوانها « الشاعر الصناع » واولها :

يبلى الشباب على الزمان وينفد وشباب شعرك خالد يتجدد

وهي من عيون الشعر العربي الحديث .

٤ ـ وقصيدة شاعر لبنان المجلي امين نخلة وعنوانها « في ذكرى حبيب » والتي منها :

ان يكن غنى ابو تمامكم فاسألوا عن شدوه لبنانا
نحن في الفصحى رعينا ذمما وشرعنا دونها سمر القنا
ان طيبا جاءنا من عندكم قد تلقاه شذا من عندنا

٥ ـ وقصيدة الشاعر صلاح عبد الصبور وعنوانها « في مهرجان ابي تمام » واولها :

خافقي نحوها استطير فلبى وثب الشوق بالجناحين وثبا

٦ ـ وقصيدة الشاعر العوضي الوكيل وعنوانها « ابو تمام » :

مقلة حيرى وروح مستطار ايها القلب لقد شط المزار

٧ ـ وقصيدة الشاعر الفحل المرحوم علي احمد باكثير وعنوانها « ذكرى حبيب » واولها :

طف بالخمائل من ربى جاسم وانشق شذا ريحانها الفاغم

وكل هذه القصائد القيت في مهرجان الشعر الثاني المنعقد بدمشق في ايلول عام ١٩٦٠ ثم نشرت في كتاب المهرجان المطبوع بالقاهرة في ١٩٦١ ـ مطبعة فن الطباعة .

ومما فات المصنفان الفاضلان ذكره البحوث التالية :

١ ـ حكمة ابي تمام ـ بحث للدكتور محمد خلف الله احمد .
٢ ـ حياة ابي تمام ـ بحث للدكتور احمد هيكل .
٣ ـ عصر ابي تمام ـ بحث للدكتور عزة النص .
٤ ـ فن ابي تمام ـ بحث للدكتور عبد الكريم اليافي .

والبحث الاخير اعيد نشره في مجلة « الثقافة » السورية التي يصدرها الصديق مدحت عكاش . وهذه البحوث الاربعة من اقيم البحوث وقد نشرت كلها في كتاب المهرجان المشار اليه .

ومما يستدرك ايضا على فصل ابي تمام في المراجع الحديثة المقالات التالية :

١ ـ هل كان ابو تمام يونانيا ـ للدكتور صفاء خلوصي . مجلة « المعرفة » العراقية الجزء الخامس الصادر في ١ اذار ١٩٦١ .

٢ ـ مدى رجحان الاصل اليوناني لابي تمام ـ بين نسب الدم ونسب الثقافة للدكتور صفاء خلوصي . مجلة « المعرفة » ج ١٧ الصادر في ١٥ ايلول ١٩٦١ .

٣ ـ تعقيبات . هل كان ابو تمام يونانيا ؟ لمحسن هلال السرحان مجلة « المعرفة » ج ١١ و١٢ الصادر في ١ حزيران ١٩٦١ .

٤ ـ تعقيبات . هل كان ابو تمام يونانيا ؟ محسن هلال السرحان مجلة « المعرفة » ج ١٣ ـ ١٥ حزيران ١٩٦١ .

٥ ـ مقالة ـ التجديد في شعر ابي تمام ـ لمحمد حسن عواد ـ مجلة « المجلة » المصرية العدد ٤٦ ص ٧٠ .

ومن امتع الفصول الفصل القيم الذي عقده الدكتور عبد الكريم اليافي لابي تمام من ص ١٠٤ ـ ١١٩ في كتابه القيم الممتع ـ « دراسات فنية في الادب العربي » .

ان كل ما ذكرته ليس الا محاولة لاستكمال عمل فهرسي ضخم نهد به باحثان جليلان . ثم ان ما قلته لا يضيف الا بمقدار ما تضيف السحابة للبحر والهامش للسفر . مع اعمق المودة .

بغداد — هلال ناجي

سيرة شكري حنا شماس

تاليف ادفيك جريديني شيبوب ـ تقديم خليل رامز سركيس ـ ١٩٠ صفحة ـ مطابع الخال ببيروت

ان ادفيك شيبوب الاديبة التي هب قلمها مفموسا بندى احساسها لكتابة سيرة رجل كبير بكل ما للكبر من معان وابعاد والوان ، خرجت من هذا المؤلف ، بستانية مظفرة ، وقد استطاعت ان تزرع في حدائق السجلات والسير ، دوحة جبارة وارفة ، برزت في الفصل الاول غرسة تبشر بنمو مستمر ، وارتفعت في الفصل الاخير جذعا ضخما واغصانا طويلة مورقة تتحدى الحر والقر على السواء .

ولعل اقوى عنصر من عناصر نجاح الكتاب هو في نظري ، حب ادفيك للحقيقة الصافية ، هذه الحقيقة التي تتنفسها كالهواء فتروح تسري في دمائها ، متوهجة في افكارها ، ملتصقة على لسانها ، وادفيك حين امسكت القلم لتخط الكلمة الاولى في سيرة شكري حنا شماس ، انما امسكت بالصدق والحقيقة لايمانها واحساسها بانه متى خلت كتب السيرة من هذا الضوء الواضح المشع ، اصبحت كثوب بلا جسد او اطار بلا صورة . وان ما سجلته عن صراع شكري شماس مع الحياة المهاجمة القاسية ، لهي صفحات ضوئية انسانية حرية بان يسترشد بها كل رجل وامرأة وشاب وفتاة ، فيضعونها امامهم كالشمعة المتقدة وسط ظلام مشكلاتهم وحياتهم ، امام مفارق الحاضر والمستقبل وكل ما هو شائك ومهزوز .

ان صاحب السيرة ، انسان ذاق العذاب على انواعه واحجامه والوانه ، فقد عصر الموت الفاشم قلبه الطفل حين اغتال اخاه « سعيد » ، ولوى قلبه الشاب حين اختطف شقيقه « جودت » وهو لم يصح بعد من صدمة رحيل والده الى العالم الآخر ، وفوق كل هذا مضغ الفقر والجوع بقسى صورهما اثناء الحرب العالمية الاولى ، فتعلم كيف يتسلل في الظلمات بحثا عن لقمة الخبز الثمينة . ومن القهر المقلص للنفس والجسد تعلم ايضا كيف يكبر ويرتفع او بالاحرى كيف يعجن من طحين العذاب نفسا صلبة رقيقة لعبت في مستقبل العمر دورا عظيما شمل الانسان والمجتمع والوطن ، ولو لم يكن شكري انسانا قبل ان يكون مسؤولا كبيرا لما قدر ان ينجح وينتصر خاصة وان معاركه مع الحياة كانت تدور على سلم ضيق شديد المزالق ، قريب المخاطر ، قاسي الدعسة ، واهي الدرجات .

لم يرث شكري عن ابيه اموالا او اطيانا او قصورا شاهقة ، ولكنه ورث اصالة وادبا ومعتدا كريما ، وحين انتهت الحرب مخلفة الفقر واليتم في بيت الشماس واحس شكري انه بات عماد البيت وسنده الوحيد وهو بعد في ميعة الشباب وطراوة العود ، لم ينحن للفواجع المحيطة به . بل قد منها ارادة فولاذية ، وشرع صدره الفتي للحياة بكل ما اوتي من عقل واحساس بالطموح . ومما لا شك فيه ان قوة المراة الصابرة التي ارضعته الحليب حتى بعد ان تكاملت اسنانه واضراسه ، كانت تزيده قوة وعزيمة ، بل انها كانت في كل مراحل حياته الضوء الدائم الاشعاع المواكب لخطواته وافكاره ومشاعره : هذه الام احبت ابنها حبا صحيحا عميقا ، فلم تدلعه ولم تشده الى ذيل ثوبها ، لعلمها بان حب الام للابن هو بمثابة بناء رجل متكامل وعملية البناء هذه تحتاج الى عاطفة شجاعة وعقل حكيم .. « تنهداته المخفوقة لكم تناهت الى سمعها في اغوار الليل ... فصحت من عز النوم وانفطر قلبها عليه ، انما لم تبرح مكانها صامدة ، لا تدمع ولا تفلت من صدرها آهة » ..

عبرة ضوئية كبيرة من عبر الكتاب ، يجدر بالامهات تلقفها والسير على منوالها ، لان اما كهذه جوهرة بين الامهات، لم تكتف بان تلد ، بل جعلت ممن ولدتهم رجالا كبارا بمستوى كبر الامومة ورسالتها المقدسة. ولكم قاسى الشاب بينه وبين نفسه ، حين كان يرى اخته تحيكان ثيابا للناس على نور القنديل ليستطيع هو اتمام دراسته الثانوية . من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنا كان احترام شكري للانثى القوية الحقيقية ، المتمثلة في امه واختيه، فلم تتردد في حياته اصداء قصص نسائية ومغامرات ، كما يحصل لدى سواه من الشبان العاديين اللامبالين .. ولما اختار شريكة حياته ، كانت مثالا رابعا للمرأة الاصيلة الواعية الذهبية الاخلاق .

دخل شكري الجامعة الاميركية وتعلم تحت اقسى الظروف واكثرها تحديا للارادة والطموح ، ورغم هذا تخرج منها نجما متألقا يشار اليه بالبنان . كان نجاحه المميز يقضي بأن يتابع دراسته الهندسية في الخارج ، وكانت هذه رغبته الكبرى لولا تشوقه الاكبر لان يريح امه واختيه من تحصيل المال ، فاندفع يدخل سلك الوظيفة في كل من السودان والعراق ، ويعمل استاذا بكل ما اوتي من براعة ومعرفة واخلاص ، لكنه لم ينس حلمه الذهبي لنيل شهادة الهندسة ، فحقق هذا الحلم عن طريق المراسلة مع جامعة لندن وتخرج مهندسا متفوقا وراح ينتظر الفرص وفي اعماقه رفض محتقر للوظيفة ذات القيود الحاكمة المستبدة .

وقرر ان يخوض غمار العمل الحر فعاد الى سوريا يفتتح مطعما وينفذ اعمالا هندسية مختلفة اتمها بنجاح تام ، مما حفزه الى التوغل في بحر العمل ، فاسس عام ١٩٤١ «شركة المقاولات والتجارة» بالاشتراك مع اميل البستاني وعبد الله خوري رحمهما الله . والشركة لا تزال حتى هذا التاريخ مفخرة من مفاخر المؤسسات الوطنية الكبرى . وازدهار هذه الشركة لم يكن بالامر السهل ، فكثيرا ما واجهت النكسات والمخاطر ، ولكن الارادة الجبارة كانت دائما اكبر من النكسات والاخطار وكانت وراء امتداد الشركة عبر الاراضي والبحار ووراء فتح الفرص امام مئات من المهندسين والاف العمال .

كان شكري في بدء العمل ، يذهب الى « الورشات » راكبا على دراجة « وبطقمه » الكاكي الرخيص ، وكان كلما اصيبت الشركة بهزة ما ، يضحك بحيوية ويهتف بمرح : « وشو عليه ؟ البسكليت بعدها موجودة » .. لم يؤمن هذا الرجل الا بالبناء والعلو والصعود الى القمم . انه لحد اليوم لا يعتبر القمة التي وصل اليها نهاية لعمل او طموح .. انه لا يزال يصارع التنين .. فمع دوام الحياة يدوم الصراع وما لذة العيش بلا مسؤولية او صراع ؟ واخيرا ان ادفيك شيبوب الاديبة الصادقة الرهيفة الحس والقلم ، لم تكتب سيرة شكري شماس الا لان حياتها شابهت حياة صاحب السيرة الى حد بعيد .. فهي مثله صارعت وانتصرت . وهي مثله صنعت من القهر المقلص للنفس والجسد ، ادوات بناء عجيبة ، تعمل من اجل الانسان ، بالتالي من اجل الوطن والمجتمع .

نورا نويهض حلواني

●

رابعة العدوية

مسرحية شعرية ـ لعدنان مردم بك ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ كانون الثاني ١٩٧٢

اهدى الي الاستاذ الشاعر عدنان مردم بك مسرحيته الشعرية « رابعة العدوية » ، المؤلفة من اربعة فصول ، فقرأتها متمهلا من أولها الى آخرها ، ومعيدا بعض ابياتها غير مرة ، ومترنما ببعضها الآخر لما فيه من ايقاع موسيقي بحتري . وقد لفتت انتباهي فيها الامور الآتية :

١ ـ كتابته مقدمة المسرحية بنفسه دون ان يعهد الى واحد من اصدقائه الادباء الكثر بتقديمها ، لانه اقدر من غيره على توجيه انظار القراء الى السبيل الذي انتهجه حين نظم تلك المسرحية ، وصاحب الدار ادرى بالذي فيها .

٢ ـ تشابيهه الطبيعية الكثيرة ، وسيطرته القوية على اللغة ، والتسلسل المنطقي في سرد الحوادث .

٣ ـ كون مسرحيته قصة واحدة متماسكة تحملنا على مواصلة القراءة حتى النهاية .

٤ ـ حسن انتقائه قصة عدوية التقية الورعة ، لتقتدي بها فتياتنا اللواتي جرف الفجور عددا كبيرا منهن الى الهاوية ، في عصرنا الماجن الذي خططت له الصهيونية منذ مدة طويلة ، ونجحت في نشر مجونها في العالم كله نجاحا عظيما .

٥ ـ اجادته الدفاع عن الفضيلة ، وحسن شرحه لفلسفة الحياة خيرها وشرها ، ودعوته الى غفران ذنوب الآخرين ، وشعاره : (لعل له عذرا وانت تلوم) ، كقوله بلسان رابعة :

انـي لابكي قاتلي ... من رحمة بدموع صدري

٦ ـ استطاعته ان يظهر لنا ان قلبه يعمره الايمان ، تدل على ذلك ابياته التي نظمها بلسان رابعة مناجية الله عز وجل :

أخذ الورى بجلال هذا ... الكون افلاكا وأرضا
فجروا حيارى ينهبون ... الارض في الظلماء ركضا
عثروا، وظلوا العاثرين ... ولم يشاؤوا العمر نهضا
لكن حبك ذاد في الظلماء ... عن جفني غمضا
مولاي! لم يخفق لغيرك ... خافقي نبضا فنبضا

٧ ـ احسانه بشرح بعض الكلمات الصعبة ، ولا أدري سبب اهماله شرح كلمة (نحيزة) ومعناها (طبيعة) ، ويا ليته قال :

طبيعة الشر كانت ... موروثة وأصيله

بدلا من : (نحيزة الشر) التي كررها بعد صفحتين . وأهمل ايضا شرح كلمات أخرى يجهل معانيها معظم القراء مثل : صوى ، غرب السم ، دعج ، اواصر ، شعف ، الخصاصة ، فغم ، تبغم .

٨ ـ تكراره كلمة (عور) كثيرا ، وهي مما تشمئز منه المسامع .

٩ ـ اهماله وصف (رابعة) بعد عتقها ، كما وصفها وهي مسترقة لنرى تحليله لنفسيتها التي أحلتها تلك المكانة السامية في القلوب .

١٠ ـ الابيات التي يتحدث في الواحد منها اكثر من شخص واحد قليلة جدا .

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١ ـ وجود أخطاء مطبعية مثل : (رضت) بدلا من (رضيت) ، و (زاد عن جفني) بدلا من (ذاد عن جفني) .

وهنالك هفوات بسيطة كان في وسعه اجتنابها ، مثل :

أقبلت أنـذرك المصير قواضبا تفـري ورمحا

ولو قال : (مهندا يفري) لكـان أحسن ، لان الرمـح مفرد ، يستحسن ان يعطف على مفرد .

وتنعي الرذيلة ، صوابها : تنعى (بالالف المقصورة) .

ودخيلة عن الورى ، صوابها : في الورى ، او على الورى .

وقولـه :

حسب الشريعة ما اكتوت بالامس مـن نـار الرماح

والصواب : اكتوت به من نار الرماح ، ولو قال :

حسب الشريعة مـا كواها أمس مـن نـار الرمـاح

لصح البيت معنى ومبنى .

وقوله : لو كنت املك امر هذا القطر لم يعجزني قطر .

فالوزن مختل في العجز ، ولو قال : لا يعجز قطر او : ما اعجز ، لاستقام الوزن .

وقوله : ينهي ويأمر . صوابه : ينهى (بالالف المقصورة) .

وقولـه :

ما الامر بالنـذر اليسير ولـم يكـن نـذرا يسيرا

والصواب : (بالنزر ، نزرا) ، والنزر هو القليل التافه .

وقولـه :

وأراك في الـق الضحى دون الربـى يرفض رفضا

والصواب : ارفضاضا ، لان الضاد في يرفض مضعفة .

وقوله في القصيدة نفسها : في الظلماء ركضا ، ثم قوله بعد خمسة أبيات : في الروض ركضا وهـذا مـن عيوب القافية ، ويسميـه العروضيون (ايطاء) ، والخليل الفراهيدي وتلاميذه ، ومنهم سيبويه، لم يسمحوا بتكرار القافية بلفظها ومعناها . ولكن بعض المتاخرين يرون انه اذا كان بين القافيتين سبعة أبيات فليس بايطاء ، وانا منهم .

وقوله : فلم تطق جفناي غمضا . والصواب : فلـم يطق ، لان الجفن مذكر .

وقولـه :

لا الجار يوما بالمصان لديكمـا ، عـن آكـل

والصواب : بالمصون ، لان الفعل هو : صان ، لا أصان .

وقولـه :

أبصرت بالكبد الجريحة مـا خفى عـن ناظري

والصواب : ما اختفى عن ناظري ، لان الفعل هو : خفي (بالياء ، لا بالالف المقصورة) .

هذه الهفوات البسيطة تجعلني أنصح الشاعـر الملهم الاستـاذ عدنان مردم بك باعادة النظر في مسرحيته ، واعادة سبك بعض أبياتها ، لتصبح كتحفة من المرمر ، من حيث دقة النقش ، مع ان قـوة العبارة ظاهرة في المسرحية ، ولكنه ـ بقليل من التنقيح ـ يستطيع أن يزيـل عنها بعض الكلف ، الذي لم يشن وجوده جمال البدر .

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

●

الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين

تاليف صاحب كمر ـ تقديم الدكتور داود سلوم ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد ١٩٧١

الشعر لغة مواقف انسانية منظومة وفيها معاناة اصالة ووجود متطور .. والشاعر العراقي يوسف عز الدين يقف رائدا مبدعا في هذا المجال عبر مجموعات شعرية اربع ، حيث يواصل هذه الريادة بقصائد تقليدية (كلاسيكية) رافضا من خلالها المفاهيم الجديدة عـن الشعر الحديث ونماذجه ، متعلقا بوحدة القصيدة الفنائية وبنيانها ـ الوزن والقافية ـ وسهولة اللفظ وجزالة اللغة ، متخليا عن الغموض والتعقيـد الحاضر الذي لا يدل معظمه على الاصالة والتجديد .

وقد عالج الدكتور عبد الله درويش « المضمون والاطار في شعـر يوسف عز الدين » في كتاب له صدر بهذا العنـوان . ويأتي كتـاب الاستاذ صاحب كمر يحمل ابعاده النقدية وجدية الدراسة ومتابعـة التطلع الى مستقبل الشعر ورؤاه لدى يوسف عز الدين ، الا ان الناقد يقع في تفسيرات ذاتية وحمله ابعادا مثقلة لقصائد لا تحتمل هذا الثقل والتبرير في الالتزام والتجديد كأن يفسر عددا من ابيات الغزل بمظاهر وطنية ملتزمة ومواقف قومية :

غـدا الاقي حبيبـي واشتكـي اوصابـي
واشرح الشوق شعـرا يهينمـان عذابـي
فـلا تلمني اذا مـا بـاح الغرام بمابـي
قد ضاع عمري هباء وضاع حلـو الشباب
يا نور طابت حياتي بعـد السنين الكوابي

ويقول صاحب كمر : « وكانـي بالشاعر يقـول : لا تقسوا ، لا تظلموا .. وينطلق مغنيا بعد لهاث جـاد » ثـم يورد المؤلف الابيات التي اوردتها ..

ويقول ايضا :

« ذلك شعر الشاعر ، تنجلي فيه الحيرة وتتوارد خواطره ورؤاه مبثوثة هنا وهناك ... » ويقرن شاعرية اراجـون ـ صاحب قصائـد « الزا وعيون الزا » التي ترجمها السياب ثم ترجمت بطبعة حديثـة ومطولة مؤخرا ـ بقصائد يوسف عز الدين كونها « تمثل صورا عديدة في نموذج واحد ، وان شعر اراجون لم يكن يعني فردا مـن الافراد ، حتى الزا رفيقة عمره كانت صورة اخرى لوطنه » وما صح عن اراجون لا يصح اطلاقه على قصيدة للشاعر عندما يقول :

لا تلومي شهريارا في الهوى لم يجد في حبه مـن ناصر
وارفقي في شاعـر تؤلمـه ذكريات ما مشت في خاطـر
قتلت انغامـه غـادره وامانت امنيـات الشاعـر

ويشير الدكتور داود سلوم في تقديمه الكتاب الى خصائص شعـر يوسف عز الدين :

« سهلة ويسر بالنظر الى الشكل ، تقليدي في بحوره في الغالب ، مجدد في قوافيه ، لغته انيقة وفيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوي المتماسك .

مضامينه تتراوح بين الشعر الذاتي والشعـر السياسي وغلب في شعره الذاتي الغزل على التامل العميق او الفلسفـة الحزينـة او المتفائلة فالشاعر ، شاعر حب حسي مادي » .

وبصدد التعقيب على اراء المؤلف يقول : « ماذا نفعل بالشعـر الغزلي الصريح الذي تخصص باسماء نساء واضحات المعالم او اللواتي تركن وراءهن عطرهن وخصلهن في القصيدة ... امـا الالتزام فهـو انعكاس للجيل والزمن والعصر .. »

ويأتي المؤلف بنماذج من الشعر الشعبي لظفر النواب وشاكـر السماوي ليؤكد على وجهة نظر سلبية وغير واردة اصلا للمقارنة .

ان كتاب صاحب كمر لا يشكل علامة جديدة في دراساته النقدية السابقة ، حيث غلبته السرعة والانشائية في التقييم النقدي ، غير انـه يبقى متابعة موضوعية مخلصة للحركة الشعرية ودراستها والتعريف بها واغناء وجودها بالتعريف الجاد ، الذي نتوسم فيه الاصالة والجهد الاكبر والاشمل ..

الموصل **حسب الله يحيى**



عيسى الناعوري

لماذا نحن شعب لا يقرأ

بقلم عيسى الناعوري

* * *

من الضروري ان نعترف ـ بمرارة وخجل ـ بأن امتنا العربية من المحيط الى الخليج ، بملايينها التي يقال انها اصبحت الان مئة وعشرين ـ اللهم زد وبارك ! ... ـ هي امة لا تقرأ ، بل هي امة لا تحب ان تقرأ ، ومن مظاهر اميتها انها كثيرا ما تعتقد ان الكثيرين من معتوهيها انما فقدوا عقولهم بسبب القراءة !... « صار مجنون من كثر العلم ! » .

ولسنا نحب ان نقيس او نقارن ، لان القياسة والمقارنة ، حتى مع شعوب اصغر منا بكثير ، واقل منا مرارا بما قدموه للحضارة الانسانية في تاريخهم ، سيقودانا اليوم الى مزيد من المرارة والخجل .

واحصائية بسيطة مرتجلة ، ابعد ما تكون عن الدقة والتحديد ، تستطيع ان تقول لنا بكل صراحة ان من بين الملايين المئة والعشرين التي تتألف منها امتنا العربية ما لا يقل عن : خمسة ملايين من حملة الشهادات الجامعية والموشكين على حملها .

وخمسة عشر مليونا من حملة الشهادة الثانوية العامة او ما يعادلها . ومثل هذا العدد او اكثر من طلبة المدارس وطالباتها في المرحلة الثانوية والمرحلة الاعدادية.

هذا حد ادنى واعتباطي جدا لمن كان من المفروض ان يقرأوا ، وان يكونوا مثقفين . انه رقم ضخم يقارب اربعين مليونا من المواطنين ، اي ما يماثل عدد سكان بلدين او ثلاثة بلدان من بلدان اوروبا الوسطى ؛ مثلا ، كالمجر ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وغيرها .

ولكنني اسوق مثلا واحدا مما عرفته بنفسي في بلد صغير جدا ، هو المجر ، لا يزيد سكانه على عشرة ملايين ، لكي أبين الفوارق المخجلة بين أميتنا وثقافتهم .

في اتحاد الكتاب المجريين في بودابست ، وكذلك في نادي القلم الدولي هناك ، التقيت بعدد من الادباء والشعراء ، وسألتهم وسألوني ، فشعرت بانني اغور في باطن الارض خجلا ، وبأنهم يحلقون فوق الغيوم ، فالطبعة الواحدة عندهم من الكتاب تتراوح بين خمسين الف نسخة ومئة وخمسين الفا ، ولا تمكث طويلا في الاسواق (اسواق المجر وحدها ، وهي صغيرة ومحدودة الرقعة الجغرافية) . ثم تتكرر الطبعات وتتلاحق حتى تبلغ النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد في مدى محدود من السنين مئات الالوف ، او تتجاوز المليون .

والكتاب عندنا ... هل أتحدث عنه ، ام اتوقف خجلا ؟!

لا بأس ، سأتحدث ، فالخجل لا قيمة له عندنا ، وهو لن يدفعنا الى ان نغير ما بنا من امية ورضى بالجهل ، مع الاسف !...

انا ممن تمرسوا بالكتابة طويلا : قرابة اربعين عاما في هذا الحقل ، وناشروا كتبي العديدون موزعون في الاردن ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، وتونس ، ومالطة ، وايطاليا (ولادع ايطاليا ، لا اتحدث عنها الان خشية من فضيحة تصيب منشوراتي في البلاد العربية عند المقارنة !..) اما الصحف التي كتبت فيها فتنتشر من عمان الى المغرب ، او من الخليج الى المحيط دون تحديد ، ثم تقطع المحيط الى اميركا الشمالية والجنوبية ، لم تبق مجلة ادبية عربية او استشراقية تعتب علي : وترجم العديد من شعري واقاصيصي الى لغات غربية متعددة . وبلغ عدد مؤلفاتي ومترجماتي المطبوعة حتى الان ثلاثة وعشرين كتابا ، ومثلها او اكثر ينتظر النشر .

فانا اذن كاتب ومؤلف معروف ـ لحسن حظي او لسوئه ـ في كل بلد عربي ، ولدى كل مستعرب في كل بلد غربي ، ولدى كل صحيفة وكل كاتب في ديار الهجرة والاغتراب . ومع ذلك ؟!

١ ـ لم تزد طبعة اي كتاب من كتبي على ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسخة (لجميع البلدان العربية ذات الملايين المئة والعشرين) .

٢ ـ لم ينفد اي كتاب من كتبي في اقل من ١٠ـ١٥ سنة ، رغم توزيعه في كل الاقطار العربية وقلة عدد النسخ المطبوعة .

٣ ـ كان من اسوأ تجارب عمري الادبي ان كثيرين ممن اهديت اليهم نسخا من مؤلفاتي ومترجماتي لم يحاولوا ان يقرأوها ـ وهذا بعض من كره القراءة حتى عند اربابها !...

٤ ـ لم اجرؤ قط ـ ولا يجرؤ اي ناشر ـ على اعادة طبع كتاب مما نفد من كتبي ، لانه اذا احتاجت الطبعة الاولى الى اكثر من عشر سنوات لنفادها ـ او

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفاد قسم منها ـ فالطبعة الثانية تحتاج الى دهر لنفادها . يستثنى من هذا كتابي « ادب المهجر » الذي اعيد طبعه مرتين (عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٧) ، وكتابي « ايليا ابو ماضي » الذي اعيد طبعه بعد وفاة ابي ماضي مع زيادات عليه اكبر من حجمه الاصلي ، وسبب اعادة الطبع هو اغتنام الفرصة ... لان وفاة الشاعر ستجعل هناك اناسا يحبون معرفة شيء عنه !...

٥ ـ القسم الاكبر من كتبي وزع هدايا ، وما يزال الباقي منه يوزع ، لان الشارين مفقودون .

٦ ـ من كل مكان في الاردن وفي الاقطار العربية اتلقى العديد من الرسائل تطلب ان « اهدي مؤلفاتي الى المكتبة الفلانية ، او الجمعية العلانية ، او النادي الفلاني ـ » ولكن يندر جدا جدا ان اتلقى رسالة مشفوعة بمبلغ من المال تطلب بعض مؤلفاتي .

٧ ـ لم يحدث قط ان صديقا لي اشترى نسخة من كتاب لي وجاء يطلب ان اوقع له عليها ، فالعادة لدى كل من يعرف كاتبا ، ويعلم انه صدر له كتاب ، ان يلقاه في الشارع ، او يحضر لزيارته ليقول له : « اين حصتي من الكتاب » ؟! وحين ينال حصته ـ ضريبة المعرفة طبعا ـ يزيد قائلا : « حط لك عليها كلمة اهداء ! » ... ومثل هذا لا يحدث في الغرب على الاطلاق ، لانه من قلة الذوق التي لا قلة ذوق بعدها . ويتفضل حضرة الصديق فيحمل النسخة ليصمدها على رف من بيته للزينة ، وكفى الله المؤمنين القتال ... والقراءة طبعا !...

وليست حالتي هذه غريبة عن حالات الادباء الاخرين ، فكلنا في الهم شرق !

على ان اسوأ ما يمكن ان يتصوره العقل من احتقار الاديب لنفسه ولادبه ـ وهذا من نتيجة معرفته لعدم وجود القراء وعدم رواج الكتب ـ هو ان يجعل الاديب من نفسه مؤلفا ، وناشرا ، ومخرجا ، ومنتجا ، واخيرا موزعا ، فيحمل جرابا تحت ابطه ، او حقيبة في يده يملأهما بالنسخ ، ويدور على الدوائر ، والوزارات ، والمكاتب والشركات ، وعلى الافراد ليروّج بضاعته . ويزيد في الاحتقار وقلة القيمة ان يثقل على اصدقائه فيعطي كلا منهم عددا من النسخ لكي يبيعها له . فاذا ما رضي صديقه بذلك فهو لا يفعله الا بعد الف مسبة يرددها في داخله سخطا على هذا التكليف الثقيل الدم . وكثيرا ما يضطر هذا الصديق المغلوب على امره الى دفع ثمن جميع النسخ من جيبه الخاص ، لان نفسه لا تطاوعه على ان يشتغل بدوره سمسارا وبائع كتب متجولا !..

هذه صورة من وضع الاديب والكاتب العربي عامة ، الا من عصم ربك فجعل له منصبا عاليا ، ونفوذا كبيرا وعملا صحفيا يساعده على رواج كتبه ، او عرف كيف تستغل الظروف وكان بارعا في صيد المناسبات ...

اما اسباب ذلك كله فعديدة ، تبدأ من البيت ، وتنتهي في المجتمع ، وتمر بينهما على المعلم والمدرسة . ولكنني سأقتصر في حديثي على المدرسة وحدها . واود ان اوضح هذا الآن ، مركزا كل التركيز على دور وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية برمتها قبل كل شيء ، لانني اعتبرها المسؤولة الاولى عن « امية » الشعوب العربية .

١ ـ البيت العربي : يندر جدا ان ينشأ الطفل العربي فيجد في بيت ابويه كتابا ، او يجد احدا من اسرته يقرأ كتابا ، او يدخل حتى مجلة ادبية او علمية او فكرية الى بيته . وفي مثل هذا البيت الامي لا بد ان يكون اول انطباع في نفس الطفل ان الامية هي الاصل وهي الخير كله ، وان الكتاب والمجلة ليس في دخولهما الى البيت غير الضرر . ومن هنا يبدأ كره الطفل الاول والاساسي في الذهاب الى المدرسة ، لان في المدرسة كتبا ، ومعلمين يقسرونه على ان يقرأها . وهذا ليس في بيت والديه ، ولو كان الكتاب شيئا حسنا لكان له وجود في بيته اولا !...

٢ ـ المجتمع العربي : قبل ان اقول كلمة في هذا اود ان اشير الى برنامج كان قدمه منذ بضعة اسابيع التلفزيون الاردني ، فكان فضيحة ، اذ اثبت ان المجتمع الاردني ـ وفيه المحامي ، ومعلمة المدرسة ، وخريج الجامعة ، والطالب الجامعي ، والشيخ ، والعامل ، والتاجر ، والموظف ـ لا يقرأون كتابا ، ولا يعرفون اسم كاتب واحد ـ على الاخص في الاردن ـ ولا يخصصون قرشا واحدا في الشهر لشراء كتاب . وقد اشرك المخرج في برنامجه بائع الكتب والناشر والمطبعة كذلك . وليست الفضيحة مقتصرة على الاردن وحده ، فلو حمل مخرج البرنامج مذياعه ووقف على ناصية اي شارع في القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد واي بلد عربي اخر ، واجرى الاستفتاء عينه الذي اجراه في شوارع عمان ، لخرج بالنتيجة عينها ، فالمجتمع العربي واحد كله من حيث الامية : امية الاميين والمتعلمين على السواء ـ ولا يقاس على الندرة التي تشتري الكتب وتحب القراءة ! ـ

وما هو المجتمع ؟

المجتمع ليس سوى البيت مكررا ، فاذا كان البيت ـ كما قدمنا ـ اميا ، ومشجعا على الامية ، كان المجتمع هو ذلك البيت عينه مكررا مئات المرات او الوفها او ملايينها . البيت هو الصورة الصغيرة ، والمجتمع هو اللوحة المكبرة مرارا متعددة ، زيادة في الفضيحة وابراز العيوب !

واذا كان البيت بيئة للامية ، وكان المجتمع صورة الامية الكبرى ، فاين نلتمس العلاج اذا ؟

لم يبق غير المدرسة : والمدرسة تستقبل الولد من البيت ، لكي تعود بعد ساعات فتقذفه من جديد الى البيت والى المجتمع . فماذا تنتظر منها ان تعمل في هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السويعات التي تستقبله فيها ؟ ثم ما هي اساليبها ووسائلها لكي تجعل منه انسانا جديدا غير ابن البيت الامي والمجتمع الامي ؟!

هنا سأخرج عن حيز المدرسة المحدود الضيق لاتحدث عن وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية ـ لا استثني مطلقا ، فكلنا ، كما اسلفت ، في الهم شرق ـ . ولن يغرني او يدير راسي ما لهذه الوزارات من قوانين وانظمة وتعليمات ، وما تضعه من اسس واهداف ، وما تتبجح به من النظريات التربوية الحديثة والقديمة ، ومن البيداغوجيا والاساليب ، وما الى ذلك مما لا نهاية له ، كما لا يخدعني في شيء مئات الدورات التدريبية قبل الخدمة ، وفي اثناء الخدمة، وبعد الخدمة، وكل وسائل التأهيل والاعداد . فانا من فوق هذه كلها ، وقبل هذه كلها انظر الى النتائج . واتساءل : هل في برامج وزارات التربية والتعليم في العالم العربي ان تخرج « المتعلم القارىء » ؟!

رسالة وزارات التربية هي هنا ، فاذا اخفقت في هذا اخفقت في كل شيء !

فما هي النتائج التي نلمسها من كل اعمال وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية ؟

انه لمن المؤسف ان اضطر الى القسوة في ما سأقوله في هذا الصدد ، لانني ـ رغم القسوة ـ لن اقول غير الحقيقة ، والحقيقة مرة وقاسية في اكثر الاحيان . وما سأقوله سأجمله اجمالا في نقاط قد لا يكون فيها ترتيب ولكن فيها كل الحقيقة :

١ ـ وزارات التربية والتعليم في جميع البلاد العربية ، دون استثناء ، ليست وسائل علم ولا ثقافة ولا معرفة ، بل هي وسائل « فك امية » .

٢ ـ غاية هذه الوزارات في مدارسها هي مجرد « تبصيم » الطلاب كتبا معينة ، في سنين معينة ، للحصول على شهادة معينة اسمها « الاعدادية العامة » او « الثانوية العامة » ، ولكن دون ثقافة ودون فكر ودون معرفة ، وأهم من ذلك ، دون حب للكتاب . وكل اساليبنا ، وكل جهود معلمينا ، مكرسة لغاية التبصيم هذه فحسب للحصول على شهادة فك الامية (الاعدادية او الثانوية) .

٣ ـ ان الارهاق المتواصل في تبصيم الطالب كتب المدرسة المتعددة المتنوعة على مدى مراحل الدراسة المختلفة ، لا يسمح للمعلم اولا ، ولا للطالب ثانيا ، بزيادة ثقافتهما عن طريق المطالعة الخارجية ، ومعرفة ما تكتبه الاقلام وتنتجه المطابع ، ولا معرفة اصحاب هذه الاقلام وهذا الانتاج الفكري المتنوع .

٤ ـ اذا اردنا الدليل الاكيد على هذا في مدارسنا فأمامنا مكتبات المدارس نفسها ، وامامنا عدد من يقرأون فيها ، وعدد الكتب التي تمتد اليها الايدي ـ ايدي المعلمين والطلبة على السواء ـ طوال العام المدرسي ، بل طوال العهد المدرسي كله . علما بأن كل مكتبة يضاف اليها كل عام عدد لا بأس به من الكتب المشتراة او المهداة ، وكذلك من المجلات .

٥ ـ وزارة التربية والتعليم في الاردن ـ ومعذرة اذا قلت الحقيقة وانا موظف فيها ـ أعجوبة الاعاجيب في قتلها للقلم الاردني وللاديب الاردني ، بالنظام العجيب الذي يكاد يقول للكاتب الاردني بصريح العبارة : « انت لست منا ولسنا منك » ! وسيكون من اعظم اعمال وزير التربية والتعليم ـ اي وزير تربية يقدم على هذه الخطوة ـ ان يمزق هذا النظام بيده .

٦ ـ الخلاصة : اذا كانت غاية المدرسة تخريج « المتعلم القارىء » ـ وقد شبعنا من خرافة « تخريج المواطن الصالح ! » ، فلا مواطن صالح اذا كان اميا ! ـ فوزارات التربية والتعليم العربية كلها مخفقة في هذا كل الاخفاق ، لانها لا تخرج غير حامل « شهادة فك الامية » . ثم يخرج هذا « المفكوك الامية » ليغلق الكتاب بعد ذلك الى الابد ، لان كتب المدرسة ، واساليب المدرسة وارهاق البصم والتبصيم المتواصل مدى اثني عشر عاما او اكثر ، قد كرهت اليه كل كتاب ، ولان معلم المدرسة قد كره اليه كل فكر ، كما ان المعلم نفسه ـ في هذا المدى الطويل ـ قد كره الطالب والكتاب والمعرفة معا .

٧ ـ حتى الطالب الذي يمضي بعدئذ الى الجامعة، غالبا ما لا يغير من امره شيئا ، لانه يظل يبصم ـ في الغالب ـ حتى يحصل على شهادة اعلى في « فك الامية»، فاذا حصل عليها رمى بآخر كتاب في يده الى الجحيم ، وتنفس الصعداء من شر البصم والارهاق .

وما اكثر ما تكون شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراة شهادات « فك امية » كبيرة فقط ، يعلقها صاحبها بفخر على احد حيطان منزله ليقول للناس في زهو الطاووس :

« اميتي انفكت نهائيا ، ولست بعدها في حاجة الى العلم ! »

هذه الخطيئة الكبرى في كوننا شعب لا يقرأ بدأت في المدرسة وانتهت في المدرسة . ووزارات التربية والتعليم العربية مسؤولة عنها اولا واخرا ، قبل البيت الامي والمجتمع الامي .

ثم نتحدث اليوم ـ كلنا نتحدث مع الاسف ـ عن التكنولوجيا : « اسرائيل هزمتنا بالتكنولوجيا ! يجب ان نسير حياتنا على التكنولوجيا !... »

وما هي التكنولوجيا التي تتحدث عنها كل الببغاوات في دنيا العرب اليوم ؟ اهي معرفة استعمال الدبابة والمدفع والطائرة والصاروخ ؟! هذه ليست التكنولوجيا !

التكنولوجيا فكر يخلق ، ويصمم ، ويصنع ، ويسير . التكنولوجيا فكر قبل ان تكون آلة ، لان الآلة بنت الفكر . وكيف تدرك التكنولوجيا امة لا تقرأ كتابا ؟!

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

بين حفني وحافظ

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لم يكن الاستاذ الامام محمد عبده استاذ الازهريين وحدهم ، فقد كان أرباب البيان في عصره من فرسان الشعر والنثر يؤمون ندوته ، ويتلقون عنه دروس التفسير في الرواق العباسي ، وكان من بين هؤلاء حافظ ابراهيم وحفني ناصف . أما حافظ فأشهر من ان نشير اليه بقول ، واما حفني ناصف فأحد أئمة العلم والادب في مفتتح هذا القرن ، تعلم في الازهر ودار العلوم ، وتنوعت ثقافته فكان من قضاة المحاكم الكبرى في مصر ومن أساتذة الادب واساطين المفتشين بوزارة المعارف ثم استاذا بالجامعة المصرية حيث تخرج على يده اكثر المجيدين في البحث والتأليف ، وقد اشترك مع حافظ في خفة الروح وحلاوة الفكاهة وذيوع النادرة ، وحين انتقل الاستاذ الامام الى جوار ربه اقيمت له حفلة تأبينية كبرى بمصر ، ألقى فيها حفني مرثيته التي مطلعها :

لم لا تجيب وقد دعيت مرارا ... يكفي سكوتك اربعين نهارا

وقد ابتداها ابتداء مسرحيا ، حيث نادى يا محمد ست مرات قبل ان ينشد قصيدته فلفت الاذهان لفتا مثيرا ثم بدأ بقوله لم لا تجيب .

وقد سلك حفني في مرثيته مسلك العاقل المتزن الذي لم تشغله الكارثة عن متابعة ادوار الامام في الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي ، فأخذ يسردها في سهولة قديرة ، وكانت روح الجد تسيطر على نظمه فلم يجنح الى ما عهد في شعره من الجناس والتورية والطباق بل غمره الموضوع الحي بانفعاله الواضح فارتفع عن مستوى هذه النكات ، واخذ يتحدث في اتئاد عن حاجة المسلمين للامام الفقيد اذ يناضل عن شريعة الاسلام مناضلة العاقل المكين فيصون الدين من شبه الاعداء ويذب عن آي الكتاب مدافعا هجمات المتخرصين ومفسرا فرائد الآيات بعذب البيان ورائع التأويل ، ثم يعمد الى الخرافات والبدع فيبين بعدها عن روح الاسلام ويدعو العلماء الى العمل تحت راية الحق مناصرين متآزرين ، وملتفتين الى طبيعة العصر وضرورة الالمام بتياراته السياسية وآرائه العلمية وثقافاته الوافدة من بلاد التقدم مجادلا بالتي هي أحسن ، وناهجا في التعبير البياني نهج أئمة الادب في ازهى العصور حتى أعاد للعربية مجدها وللاسلوب البياني روعته وتأثيره ونفاذه ، هذا الى مسعاه في الخير لاعانة أهل المسغبة وقضاء حاجات السائلين ، والتمسك بأخلاق الاسلام وما يدعو اليه من صدق ووفاء وأمانة واخلاص ، ساعيا في الاصلاح الديني مسعى الغيور على تحقيقه مرشدا الى وجوه الاصلاح ومنافذه ... كل ذلك قد جاء به الشاعر في براعة نادرة اذ كان في مرثاته القوية مؤرخا وشاعرا في آن واحد ، حتى لتعجب له كيف اختصر جهود الامام في ابيات روائع يصلح كل بيت منها ان يكون عنوانا لباب يكتب في مؤلف خاص بتاريخ محمد عبده ، واليك بعض ما قاله في رثاء المصلح العظيم :

من ذا يناضل عن شريعة أحمد ... ويذود عن أكفانها الاخطارا
ويصون دين الله عن شبه العدا ... ويرد غارة من به يتمارى
ويجيء في تفسيره بعجائب ... ويذيع من مكنونه الاسرارا
ويطهر الاسلام مما شابه ... ويزيل عن غدرانه الاكدارا
ويذكر العلماء آلا يغمضوا ... عما اقتضاه زمانهم ابصارا
ويجادل الاشرار بالحسنى فلا ... ينفك حتى يصبحوا أخيارا
ويجدد العربية الاولى وقد ... صارت بغفلة أهلها آثارا
ويعيد للانشاء سابق مجده ... ويشيد في أنهاره انهارا
ويرد اعواد المنابر جذلة ... لا تحسد العيدان والاوتارا
ويحث أهل المال ان يتوسطوا ... في البذل لا سرفا ولا اقتارا
يقضي حوائج سائليه فلا يرى ... في نفسه سأما ولا استكبارا
ويظل بالاصلاح مغري كلما ... وجد السبيل الى صلاح سارا
حتى كان عليه عهدا للعلا ... ان يصلح الاخلاق والافكارا
ان كان فينا مرشد يقوى على ... ذا العبء اوسعنا له الاعذارا
أولى فأولى ان تفيض نفوسنا ... هلما ونسعى للمنون بدارا
لا خير بعد محمد في العيش ان ... كانت نفوس الخالفين صغارا

اما حافظ ابراهيم فكانت مرثيته اقوى ما قيل في الامام لان عاطفته الذاتية نحو أستاذه كانت من الانفعال والتوقد بحيث جعلته يرثي بدموعه وزفراته قبل ان يرثي بمعانيه واوزانه وقد قال فيما قال :

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجا ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى ان تطول حياتي

لقد جهلوا قدر الامام فأودعوا ... تجاليده في موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لانزلوا ... بخير بقاع الارض خير رفات
تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك في الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد مضى ... ولانت قناة الدين للغمرات
زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه ... وبنت ولما نجتن الثمرات

وكما قال حفني ناصف :

ان كان فينا مرشد يقوى على ... ذا العبء اوسعنا له الاعذارا

فان حافظ قد فصل في القضية ، وجهر بأن الشرق قد أقفر من مصلح يسد فراغ الامام فصاح متحسرا :

مددنا الى الاعلام بعدك راحنا ... فردت الى اعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا ... فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك في ذات الآله وانكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات
لقد كنت فيهم كوكبا ذا غياهب ... ومعرفة في انفس النكرات

والقصيدة جذوة مشبوبة اوقدها حزن حافظ على استاذه ، فقد روى معاشروه أنه كان ينظمها وهو يبكي من حرقة الالم ، وشجاها المؤثر يمنع ما له الاستاذ محمود مصطفى في كتاب « الكلمات » من ان حافظا أعدها قبل الوفاة بأمد اذ توقع موت الامام في مرض ميئوس من شفائه ، ولعمري لقد ظلم الناقد شاعر النيل ، فمثل قوله يصدق على مرثية تقال في راحل ثري استرضاء لاولاده وزلفى لديهم بما قال ، فناظمها يبذل الجهد مفتعلا شتى المعاني كي يلفق ابياتا وراء أبيات ، أما مرثية حافظ للامام فصرخة رنانة ارتفعت من سويداء قلب جريح لترن في سمع الزمان أشجى الرنين ، وقد توهجت عاطفة حافظ في كل بيت من أبيات المرثية اذ تحدث عن جهاد الامام في التوفيق بين الدين والعلم والعقل (فأطلعت نورا من ثلاث جهات) وأشار الى مواقفه الرائعة من امثال هانوتو والمتهجمين على الاسلام حيث أورد حججهم مورد التفنيد والبطلان ، فكم ليلة جافى فيها الكرى ونبه صادق العزم ليرصد للمفترين شباة يراع ساحر النفثات .. ثم يغلب الشاعر حزنه فيهتف صارخا :

فيا سنة مرت بأعواد نعشه ... لانت علينا أشام السنوات
حطمت لنا سيفا وعطلت منبرا ... وأذويت روضا ناضر الزهرات
وأطفأت نبراسا واشعلت انفسا ... على جمرات الحزن منطويات
رأى في لياليك المنجم ما رأى ... فانذرنا بالويل والعثرات
ونباه علم النجوم بحادث ... تبيت له الارواح مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ... ورب ضعيف نافذ الرميات
فاودى به ختلا فمال الى الثرى ... ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازي الشهب باللمح بينها ... عن النير الهاوي الى الفلوات
مشى نعشه يختال عجبا بربه ... ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله ... وتدفعه الانفاس محترقات

وهي قصيدة تداولها الرواة بمصر حتى طبقت الآفاق ، وكان من المصادفات العجيبة ان الذين قاموا بتأبين الاستاذ الامام جاءوا في الالقاء على هذا النسق ، اذ ابتدأ الحفل الشيخ أحمد أبو خطوة وتلاه حسن عاصم باشا ومن بعده حسن عبد الرازق باشا فقاسم امين بك فحفني ناصف فحافظ ابراهيم ، وقد مات الاربعة الاولون واحدا واحدا على حسب ترتيبهم يوم التأبين .

وجاءت النوبة على حفني بك فكتب الى حافظ يقول :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة ... نعدد آثار الامام وننتدب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ... ممات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم ... وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم ... وعما قليل نجم محياي يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وان أمت ... فما أنت الا خائفا تترقب
فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف ... ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض بحجج الهيجاء أعزل آمنا ... فان المنايا عنك تنأى وتهرب

وكانت ملاحظة جذبت انتباه حافظ جذبا قويا مع ما تخللها من الفكاهة الطريفة ، اذ ظهرت خفة روح حفني في دعوته صاحبه الى الوقوع تحت القطار والنوم تحت الجدار المخرب في منازل الاوقاف ، وخوض المنايا في الحرب دون سلاح فانه لن يجد الموت حتى يسبقه حفني اليه ، فاذا حقت عليه الكلمة فما هو الا خائف يترقب . وقد أقيمت حفلة تكريمية لحفني في بعض مناسبات الترقية الوظيفية بالوزارة ، تحدث فيها العلية من الادباء والشعراء وجاء دور حافظ فقال يمازح صديقه :

اخشى عليك المنايا ... حتى كأنك مسي
اذا شكوت صداعا ... أطلت تمهيد جفني
وان عراك هزال ... هيأت لحدي وقطني
وان دعوت لحمى ... يوما فاياك أعني
عمري بعمرك رهن ... فعش اعش الف قرن

وهو بذلك يشير الى المصادفة العجيبة التي عناها حفني في أبياته السابقة ولم ينس شاعر النيل ان يمازح حفني بذكر فقره المدقع أيام كان طالبا بالازهر يقرأ الحواشي والشروح ، ويطالع الشمني وابن جني ، ويأكل العيش والمش مع زميله محمد سلطان ، ويتساءل عن مثقال حبة من لحم او سمن فلا يجد ...

لم ينس حافظ ذلك حين قال :

ولا أقول لحفني ... ما قيل قد ما لمن
لا تنس عيشا تولى ... ما بين شرح ومتن
ولى شبابك فيه ... ما بين مد وغن
وذقت من « جاء زيد » ... ومن شروح « الشمنى »
ومن حواشي الحواشي ... على متون ابن جنى
أيام سلطان يلهو ... بمشه ويغنى
يبيت يقصع ما لم ... أسمه أو أكنى
أيام يدعوك حفنى ... من الحياة أجرنى
من لي بدرهم لحم ... عليه حبة سمن

ثم يموت حفني ، فيتحقق حافظ قرب الكارثة ، ويرى نذر الموت تلاحقه ، ويبدأ برثاء صديقه وكأنه يرثي نفسه هو حين يقول :

آذنت شمس حياتي بمغيب ... ودنا المنهل يا نفسي فطيبي
قد مضى حفني وهذا يومنا ... يتدانى فاستثيبي وأنيبي
قد وقفنا ستة نبكي على ... عالم المشرق في يوم عصيب
وقف الخمسة قبلي فمضوا ... هكذا قبلي واني عن قريب
وردوا الحوض تباعا فقضوا ... باتفاق في مناياهم عجيب
هدات نيران حزني هدأة ... وانطوى جفني فعادت للشبوب

ذاك ما كان من امر هذه المصادفة بين الشاعرين ، تلك التي خلدها الادب ، وتناقلها الناس فكانت مثار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى هـاتفـة

ايغيب صوتك في المـدى النائـي ... مثل الصدى ، ويموت اصغائـي
واعـــود ابحـث عـن تموجـه ... في مسمعي ، في كـل اجزائـــي
ولمحت طيفـــك في مراقصـــه ... نشوان ، يمـرح خلف اغفائـــي

.

لا تحجبـي اصداءهـا ، ودعـي ... في مسمعـــي رعشات اصـــداء
هاتـــي خيالـــك ، غير قابعـة ... هذي الطيوف لمقلـــة الرائـــي
مـا زلت اسأل عنـــده اذني ... عن فتنتي الكبـرى ، واغوائـي
وتـركت عنـد رفيفـه مقلـي ... لا تستريـح ، وكـل اغرائـي

يـا مقلتي .. ولـــي وراءكمـا ... سببان : الهامـــي وايحائـي
سبحت وراء السلـك اخيلتـي ... ومشت صباباتـي واهوائـي
فكـــان كـل مشاعري لهـــب ... عبر « الشريط » سرى بانشائي
يا سلك ، يا مجرى الهوى نعست ... في مستدقـك عـــين انبائـــي
ما زلت موصول الهوى بدمـــي ... رغـم القطيعـة مـــن احبائـي
بينـــي وبـين احبتـي سـدف ، لكـــن ذات اضـواء
غنيت عبـــرك كـــل عاطفـــة ... رعافـة الرغبـــات معطـــآء
يـدري « شريطك » أي ملهمـة ... توحـي اليـــه ، واي حسنـاء
سـل عـن اغانيـه ولوعتـــه ... قلبـا تحـرك بـين احشائـي

طرطوس ـ سورية ... احمد علي حسن

الذكرى ، وحافظ ممن يقدرون حفني ، ويؤثرون مودته في وفاء واخلاص ، وقد كان شريكه في سرائـه وضرائـه يهنئه اذا أصاب الخير ، ويواسيه اذا ألمت بـه الكوارث ، وحين ماتت باحثة البادية كريمة حفنـــي ناصف وهـي زعيمة النهضة النسائية في أيامها وفارسة الشعر والنثر بين الفحول من الكاتبين كانت مرثية حافظ لها ثناء عليها وعلى والدها المفجوع وقـد جمع بينهما اذ ذكـــر فضل الوالد على الناشئين وفضل (ملك) على الناشئات ، وقد تحدث عن نثر حفني ونثرها مفصلا مواقف ملك الرائعـة في الحياة الاجتماعية والابية بمصر . وقد أسال الدمـوع حين صور فجيعة الوالد في كريمته تصويرا مشجيا اذ كان:

كالفرع هزتـه العواصف ... فانثنـى ثـم انكســر
ثمـلا ترنحه الهمـوم ... اذا تحامـــل أو خطـر
قـد زعزعتـه يد القضا ... ء وزلزلتـه يـــد القـدر
انا لم اذق فقـد البنين ... ولا البنـات على الكبـر
لكننـي لمـا رايت فؤا ... ده وقـــد انفطـــر
ورايته قـد كـاد يحـر ... ق زائريـه اذا زفـــر
ورايتـه انـى خطـا ... خطـوا تخبـل او عثـر
ادركت معنـى الحـزن ... حزن الوالدين فمـا أمـر
صبرا أبـا ملـك فـان ... الباقيـات لمـن صبـر

وهو شعر حي يحمل لوعة الشجي ويصور مـرارة الحزن في هدوء نبرة وسماحة تعبير ، وفي المجـال متسع لبقية من الحديث عن حفني وحافظ فالى حين قريب .

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الشعر والمسرح

كان عود الثقاب الذي اتقد بين جوانحي ، وهو ينير لي طريقا جديدة للشعر العربي ، ليس لي بها عهد من قبل .. عندما حمل الي والدي رحمه الله . عددا من صحيفة « السياسة الاسبوعية » في شهر ابريل عام ١٩٢٧ .. وقد لمس بدء اهتمامي بالشعر : فجاءني بهذا العدد الخاص ، الذي احتوى على القصائد والكلمات التي القيت او كتبت بمناسبة مبايعة احمد شوقي بامارة الشعر ، في القاهرة ، في ذلك الحين .. قائلا لي : اقرأ !

كان العدد في جملته هدية ادبية قيمة ، لشاب متعطش لهذا اللون من الغذاء الروحي في اول نشأته الادبية .. الا ان عود الثقاب الذي اشعل النار الخالدة بين جوانحي كان يتمثل في سطور قليلة من مقال تضمنه العدد ، يشير الى ان شوقي كان قد بدأ في شبابه ينظم الشعر المسرحي ، ثم اهمله فترة .. وقد عاد اخيرا الى هذا الفن الجليل ، فراح يكتب مسرحية شعرية .. بعنوان « مصرع كليوباترة » .. واورد كاتب المقال ـ وقد نسيت من هو ـ مقطوعة صغيرة من هذه المسرحية ، على لسان انطونيو ، بعد ان هزم في حربه مع اكتافيوس عند مشارف الاسكندرية .. وهو يقول لتابعه اوروس ، في ضعف ويأس وتخاذل :

أوروس اني جهدت سيرا ومسني الضر والكـلال
فمل بنا نسترح قليـلا من قبل ان يدهم الرجال

وظللت فترة بعد ذلك اترقب ظهور « مصرع كليوباتـرة » حتى طبعت في العام التالي ، ووزعت وزارة المعارف نسخا منها على طلاب السنة الرابعة الثانوية ، فقرأتها ، وفي العام التالي ظهرت « مجنـون ليلى » .. معجزة شوقي في ذلك الوقت ، فحفظتها ايضا .. وتتبعت ظهور مسرحيات شوقي بعد ذلك كلها .. ولي مع كل منها حديث منفرد يأتي في حينه ، من هذا الحديث ، بتوفيق الله ..

وقد ذكرت فيما سبق ان صلتي بشكسبير وقعت في ذلك الوقت نفسه ، فقرأت « الاقتراب من شكسبير » لشارلس وماري لام ، في السنة الرابعة ، ثم درست « العاصفة » في السنة الخامسة .. فحدث هذا التوافق بين شاعري المسرح الكبيرين ، شكسبير وشوقي .. وتم التفاعل ، وجرت المحاكاة لهما من اول وهلة .. كنت ادرس « الثورة الفرنسية » في ذلك الوقت ، وكان لها اثر كبير على نفسي ، فرحت انظم مسرحية شعرية بعنوان « ماري انطوانيت » .. لولا ان بعض زملائي حذرني من المضي في كتابتها ، لانها كانت تدعو الى محاربة النظام القائم ، مما كان محرما في ذلك الوقت أي تحريم ..

واستمرت معي محاولة الكتابة الشعرية للمسرح .. وانقسمت منذ اللحظة الاولى الى قسمين متميزين .. احدهما تقليد شوقي بما رحت ابتكره من موضوعات للكتابة الشعرية المسرحية .. والآخر ترجمة شكسبير مباشرة الى الشعر العربي ، بنفس الطريقة التي كتب بها شوقي ، ورحت اتابعه عليها ..

وسوف ارجيء حديث شكسبير ، وصحبتي له الى حين ..

اما تأليف المسرحية الشعرية المباشرة .. فاقف منه عند معالم مميزة .. الاول مسرحية نظمتها عام ١٩٣٦ ، ابان حياتي الجامعية ، وتأثري بموضوع اختلاط الجنسين ، ودخول الفتاة الى معترك هذه الحياة العلمية بصورة بارزة ، ولاول مرة .. وتشتمل على وصف للعلاقات العاطفية بين الشباب من الجنسين ، كما افدت فيها ببعض الحوادث السياسية التي جرت في ذلك الحين .. فهي مسرحية عصرية تماما في وقتها ..

والثاني ، في عام ١٩٤٠ ، عندما اصبحت موظفا في وزارة المعارف ، وسكرتيرا للمراقب العام للنشاط المدرسي ، حيث التقيت للمرة الاولى بالاستاذ الكبير زكي طليمات ، مفتش التمثيل بالمراقبة وقتئذ .. وقد افدت ايما افادة من هذا الاستاذ والصديق ، وهو الذي دفعني للمحاولة الاولى في التأليف المسرحي الجاد ، شعرا بطبيعة الحال ، واقترح علي موضوعا بارزا في البطولات الاسلامية ، هو شخصية خالد بن الوليد .. فرحت اقرأ المراجع في الطبري وغيره ، حتى كونت اول كتابة مسرحية كتبت عن هذا القائد الخالد في العربية في ذلك الحين..

ولكن قبل ان تصل هذه المحاولة الى المسرح ، كان الشاعر الكبير عزيز اباظة ، قد غزا المسرح الشعري عام ١٩٤٣ بمسرحيته الاولى « قيس ولبنى » .. وراح يحتل في جهارة ذلك المكان الذي اخلاه شوقي قبل احد عشر عاما .. على انني مضيت في محاولتي ، واغراني هذا الاتجاه الاسلامي الجديد ، فكتبت مسرحية اخرى بعنوان « الامين والمأمون » .. وقد اخترته بنفسي موضوع الخلاف التاريخي الكبير بين الاخوين ، وعالجته بطريقة مبتكرة اولا ، يمكن ان تعتبر من اوائل المحاولات نحو تأصيل الشعر الجديد .. وقد كنت في ذلك الوقت اناقش مع صديقي المرحوم علي احمد باكثير موضوع هذا الشعر الجديد ، وكيف يمكن ان توضع قواعده ، وكان اكبر همي ان يتمكن الشعر العربي من استيعاب المسرحية والملحمة بصورة فعالة ، متأثرا ومستفيدا مما كنت اقرؤه بكثرة وعمق من الملاحم والمسرحيات في كلية الآداب ، وفي قسم اللغة الانجليزية بصفة خاصة ..

وهكذا قمت بالمحاولة الثالثة ، وهي كتابة « الامين والمأمون » في اواخر عام ١٩٤١ ، وقدمتها في مباراة للتأليف المسرحي ، ما لبثت ان الغتها وزارة الشؤون الاجتماعية ، بعد وقوع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهور ، وتغير نظام الحكم .. فتسلمت نسخة المسرحية ، ورحت اراجع نفسي ، حتى كتبتها مرة اخرى بالشعر التقليدي ، كسابقتها ، وقدمتها بصورتها الجديدة لمسابقة التأليف المسرحي في وزارة المعارف عام ١٩٥٧ ، فنالت الجائزة ..

اما المحاولة الرابعة التي اقف عندها ، في هذا الحديث ، فتقع

بعد ذلك في اوائل الستينات ، عندما نشرت محاولة القصة الوطنية التي كتبها الرئيس جمال عبد الناصر ، رحمه الله ، في شبابه ، بعنوان « في سبيل الحرية » .. ووصف فيها هزيمة الانجليز امام المصريين في رشيد عام ١٨٠٧ .. وقد قام قصصيون باكمال هذه المحاولة نثرا فنالوا جوائز على محاولاتهم .. ولكني آثرت الاستمرار في الطريق التي سلكتها من قبل ، وهي طريق المسرحية الشعرية ، فكتبت مسرحية « في سبيل الحرية » بذات الشخصيات المذكورة في العمل الاصل ، مع التصرف الذي يقتضيه التاليف المسرحي ، في خمسة فصول كاملة ..

هذه هذه المعالم الاربعة البارزة ، التي اردت الوقوف عندها ، في هذا الحصاد ، لادل على طريقي في تاليف المسرحية الشعرية .. وهي تغني بالاشارة عن محاولات غيرها .. وارى لذلك من الخير ان اقف عند كل منها وقفة توضيحية قصيرة ..

سميت المسرحية الاولى ، عام ١٩٣٦ عدة اسماء .. فهي «سماء» باسم بطلة القصة .. وهي « اختلاط الجنسين » مرة اخرى .. وقد قدمتها في ذلك الحين الى مباراة التاليف المسرحي ، التي اعلنت منها الفرقة القومية ، يومئذ باسم « صديق الشعب » .. وسجلت في المباراة تحت رقم ١١٣ .. وكانت هذه التسمية الاخيرة تبعا لما ضمنه المسرحية من اشارة لبعض الاحداث السياسية التي مرت بالبلاد يومئذ .. ثم ردت الفرقة المسرحيات لاصحابها . وحدثني في ذلك استاذي الكبير احمد امين رحمه الله ، وهو يومئذ عضو لجنة القراءة في الفرقة ، فشجعني على المضي في هذه المحاولة ، التي مدحها كثيرا امام زملائي .. وتمنى لي ان تكون فاتحة اعمال كبيرة على الطريق ، حتى اخجل تواضعي .. رحمه الله رحمة واسعة ..

تقع المسرحية في خمسة فصول ، ولكنها لا تزيد في ابياتها عن ستمائة بيت الا قليلا .. واذا اردنا ان نساير فصولها ومناظرها ، لنتابع حوادثها بصورة سهلة ميسرة .. فاننا سنجد في الفصل الاول مجموعة من الشباب المثقف ، فتيانا وفتيات ، يجتمعون في صالون زميلتهم سماء .. يتحدثون ، وقد راحت الفتاة المثقفة تقدمهم الى والدها .. فتقول :

دعني اقدم نخبة يا والدي ... لمقامك الاسنى من الاصحاب
من اكرم الاسر العريقة محتدا ... ونوابغ الفتيان والاتراب

فيقول الوالد مرحبا :

اهلا بصحب سماء ، بل برفاقها ... بل بالشباب الناهض الوثاب
اني سمعت الخير ثم رأيتكم ... فرأيت ما يدعو الى الاعجاب

ثم يستمر متبسطا معهم في الحديث .. قائلا :

اني أرى بالعين بونا شاسعا ... في الفكر بين شبابكم وشبابي
هذا اختلاط لم يتح في عصرنا ... من طالبات العلم والطلاب

.

ويلتقط الشاب المرح مراد الخيط .. وعندئذ يجري الحديث منطلقا :

.

الوالد لابنته ضاحكا :

مراد ظريف ، لطيف الدعاب

سماء : نعم يا أبي ، انه هكذا

الوالد :

بني استمع لحديث الشيوخ ... فعند الشيوخ حديث الحجى
لهم من تجاربهم في الحياة ... دروس يطول عليها المدى

ويستمر الحديث حول مائدة الشاي .. وتقع احاديث جانبية .. يظهر منها ان شفيقا يحب سماء ، ولكنه ذلك الحب العذري .. اما سمير فينافسه في حبها ، ويخطبها .. واما سماء فرغم مبادلتها الهوى لشفيق ، الا انها حين تخطب لسمير ، فانها تقع في هذا المازق ، وهو الموازنة بين الواقع المادي ، والخيال المجرد ..

سماء (لسمير) :

اتحسب انني ساخون عهدي ... واغدر بالمحبة يا سمير
اذا لم تدر ان الحب عهد ... يهون امامه الامر الخطير
وكم من غادر في الناس يمشي ... له عقل وليس له ضمير

سمير :

بل وازني بين الهدى والضلال ... حقيقة العيش ، ومحض الخيال
ووازني بين هوى زائف ... وبين سعد وهناء ومال
وانني بعد غد عائد ... فانتظريني

سماء : قد طلبت المحال ..

وفي الفصل الثاني نجد حديثا لطيفا ، بين بعض هؤلاء الزملاء ، وقد تواعدوا على اللقاء مع زميلاتهم .. تحت الظلال الباسقة في حديقة الاورمان بالجيزة .. حيث يصف عزيز ظاهرة الحب ، التي جعلت الشبان يظهرون امام زميلاتهم في اجمل مظهر واحسن هيئة ..

وظاهرة قد فشت في الشباب ... هي الحب ، والحب روح الحياه
وكم من قلوب كصلد الصخور ... سرى الحب فيها كوحي المياه
وكم هذبت رجلا مرة ... وكم من فتى .. صقلته فتاه

ويقاطعه زميله مراد ملاحظا عليه :

لعلك تهوى اذا يا عزيز ... فان حديثك شعر الهوى

فيجيبه عزيز ليقول في جوابه :

وريحانة الحب يسقونها ... بماء العواطف منذ الصبى
فما ذنب قلب .. رقيق الحواشي ... اذا لهب الحب فيه سرى
نعيش لآمالنا في الحياة ... وليس لنا عن هوانا غنى

ثم يجري بينهما الحديث :

عزيز :

وانت قل يا مراد ... الست تهوى نبيله

مراد :

وانت تهوى فتاة ... ذكية ، وجميله

مراد :

تدعى كريمة ...

عزيز :

مهاذا ؟

مراد :

هل اقترفت جريمه

قد قلت ان عزيزا ... غدا يحب كريمه

عزيز :

بل من كريمة دعنا

مراد :

تركتها يا صديقى

فاسمع حديث سماء ... وحبها لشفيق

عزيز :

سماء تهوى شفيقا ؟

مراد :

به تجن جنونا

مفتونة نلك بالشا ... عر الغريب فتونا
لكنه في انصراف ... عن حبها لا يبالى
ما اضيع الشعر ان لم ... يجب نداء الجمال

ويقبل بستاني ، ينصح الشابين اللذين ينفقان وقتهما الثمين في الحديقة سدى ، ويلقي عليهما موعظة .. يقول فيها :

يا صاحبي الجالسين بمعزل ... ما تفعلان هنا ، وما تجدان
هذا الكتاب تركتماه جانبا ... وعمدتما للفكر ، والهذيان
لو تسمعان لناصح لم تنفقا ... زمن اكتساب العلم في بستان
قد ضمني الكتاب في عهد الصبى ... وحفظتها سورا من القرآن
ادركت من زمني وعهد طفولتي ... عصر الامام وشيخه الافغاني
وشهدت احداثا تمر كثيرة ... في طيهن مواعظ الانسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لـو لـم أمل للهو وهو بليـة لاسير في غيـي مـع الفتيـان
لرأيتماني اليـوم رب عمامـة سحر العقول بحكمـة وبيـان
ان الشباب مـن الحياة لفرصة ليست تعوض آخـر الازمـان

ويظهر شفيق ، ولكنه لا يتحول عـن غيـه ، ولا يستمع لنصح ناصحيه .. ثم يخرج مع عزيز .. اما مراد ، فيتمنى ان يتحقق امله في ان يجمع بين قلبين هما قلب سماء وقلب شفيق ..

رب وفقنـي وحقـق املـي انمـا النصـر بتحقيق الامـل
لسـت الا مخلصا في سعيـه اتراني ابلـغ الامـر الجلـل
أيجيء الحب عـن سعي الفتى أم تظن الحب مسحور السبـل
ليت شعري ان قلبـي راحـم كـل قلب بلظى الحب اشتعـل
انـني جربت ايـام الهـوى واحتملت الهجر فيمـا احتمل
وسمـاء غـرة مسكينـة شفهـا الحب واودى وقتـل

.

الوالد اذا يرفض ، والفتاة المثقفة لا تستطيع ان تختار لنفسهـا الزميل القريب الى قلبها .. وهكذا تقع الواقعة في حديث بين مـراد ونبيلـة ..

نبيلـة :

مراد ، انـك تسعى بهمـة لا تصـدق
ولا اظـن مساعيـك كلهـا ستحقـق

مـراد :

كيف ؟

نبيلـة :

لقـد كانـت سمـا ء في ضحى الامس معـي
كانت تشيـر دائمـا بخاتـم في الاصبـع

مـراد :

من ذلك الخاطب ؟ من ذاك المحـب المدعـى

نبيلـة :

تاللـه مـا عرفتـه

مـراد :

وهـل سمـاء قابلـه

نبيلـة :

خاتمهـا يـدلنـا علـى وقـوع النازلـه

مـراد :

لعلهـا تريـد بالخـاتـم .. ان تشاغلـه

نعم ، ففي الحق ان سماء كانت تريد ان تشغل صاحبها شفيقـا بأمر هذا الخاتم ، ولكنه حين رآه في اصبعها انصرف عنها مغضبا ، بل نصحها الا تفكر في حبهما مرة اخرى ..

سماء نصيحـة لاخ وفـي وان نصيحـة الاخ لا تـرد
فؤادي ليس فيه مـن مكان لحبك ، فهو مثل الصخر صلد
وقد وفقت انت الى خطيب وهـذا الخاتـم الذهبي عهـد
فلا تضني فؤادك دون جدوى فاني صادق ، والقول جـد

ولكنها لا تكاد تنصرف آسفة ، حتـى يعاوده الشعور بالخطأ ، الذي ارتكبه في حقها .. ويلوم نفسه على ما فعل ، ويتمنى لو انـه حدثها حديثا رقيقا لا يغضبها .. وهكذا يسير في طريق الحب ..

الآن كنت ظلومـا مـع الفتاة جهـولا
قتلتهـا بجفـاء الحـديـث .. الا قليـلا
مـا ضر لـو كان هجري القبيح هجـرا جميلا
ولـم أكـن عندمـا سلمت سمـاء .. بخيـلا
صدقتها الحب لمـا شكت الـي طويـلا
اني سمعت حديثا عنهـا كريمـا نبيـلا
ولا أظـن هـواهـا علـي عبئـا ثقيـلا
وانهـا لفتـاة سمت وعـزت مثيلا
انـي ركبت عظيما مـن الخطـاء وبيـلا

الحب .. بـاب الزواج السعيد .. جيلا ، فجيلا
والحب سـر الاماني يحقـق المستحيـلا
لقـد أحسن فؤادي ذاك الشعور الدخيـلا
وقـد سلكت أخيرا الـى الغـرام سبيلا

وتشتد به الحال ، فيبحث عن الوسيلة الموصلة له الى من يحب.. يسأل البستاني ، صاحبه الواعظ ، عن وسيلة تشفيه من دائه :

أتعرف الحب أيها الرجل ؟ تعال قل لي .. فانني وجـل
أيعتري فجـاة كمـا فجـات بروق ليـل سحابها هطـل

ويصف له الشيخ وصفة عجيبة ، فيرشده الى ضاربي الرمـل والودع والدجالين والمشعوذين ..

البستاني :

اذهب لشيخ الشيوخ منفردا يظلـه بالمقطـم الجبـل
تمضي اليه النساء سائلـة فعنـده عقمهـن والحبـل
ويذهب العاشقون اجمعهم

شفيق :

وما الذي يصنع العجوز؟ وما يا شيخ مهلا ، فذلك الدجـل
ذا هو راء ؟ وما هـي الحيل

البستاني :

تقدم اسم التي تحب لـه وأمهـا ..

شفيق :

كيف يُعمـل العمل

البستاني :

يشد حبل الغرام في عقـد وثيقة ، فالقلـوب تتصل

وتمضي الاحداث في طريقها التي رسمتها الاقدار ، فيخفق شفيق ومراد في حبهما ، ويجتمعان معا ليتمنى كل منهما الاماني .. ويتذرعان بالصبر ، ليصل كل الى غرضه ، كما هـي طبيعـة الشعب يومئذ في مصر .. « فالصبر عن شعب الكنانة يؤثر » .. اما شفيق فيخشى ان تفلت الفرصة ، فيعرض امر زواجه على أبيـه ، ويخالفه الوالـد ، ويختصمان ، لبعد المسافة بين تفكير جيلين ..

رجل من الجيل القديم ، فمالـه والحب ؟ كيف يسيغه او يشعر

ولا يبقى امام الصاحبين سوى الاستعانة بالسحر والساحرات ، يجد مراد ذلك ، وينكره عليه شفيق اشد الانكار ..

مـراد :

فهـل أنت مصغ ؟

شفيق :

نعـم يـا مـراد تعود الـى السحر والشبشبـه
مـراد ، اتسمـع للجاهلـين وانـت مـن العلـم في مرتبـه
نهـارك تنفقـه فـي الدروس وليلـك تقضيـه في المكتبـه
ومـا زلت معتقـدا في الحجـاب تطيـل الجلـوس على المصطبـه
وتغضب ذات الـرضى ان اردت وترضـي بافعالـك للغضبـه
فوالله بينـك يـا صاحبـي وبـين العجائـز كـل الشبـه

مـراد :

شفيق ، انكر تلـك العلـوم ؟

شفيق :

نعـم ، ويساور نفسي القلـق

مـراد :

اذا سوف ادعوك كـي تطمئـن لأي الكتاب الذي قـد صـدق
فللسحـر كالطب اصـل قديـم وفـن علـى فضلـه متفـق
وبالجـن قـد يستعين العبـاد بأمـر الآلـه الذي قـد خلـق
فعـد للكتاب تجـد مـا أقـول فـان الكتـاب بهـذا نطـق
ففي « سورة الجن» .. منه الكثير وفي « قـل اعـوذ برب الفلـق »

وعلى هذه الوتيرة يمضي الحديث ، ونجـد شفيقـا في الفصل الاخير ، يعمد الى وسائل من هذا النوع ، دون جدوى .. كما نجد له مواقف عاطفية ، عنيفة احيانا .. لعل اشدها عنفا ، هو موقفه منفـرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيد الشباب

يا لعيد الشباب في عنفوانه والجمال النضير في ريعانه
قسمات تفيض بالبشر قد غنى لها العندليب في مهرجانه
وخدود ندية قبل الورد بها الجلنار في نيسانه
وشفاه قد لفها الشفق الزاهي بافق المغيب في ارجوانه
ان رأتنا تفتر عن الق الفجر وقد شق جيبه عن جمانه
وقدود في مرطها يمرح الغصن ويختال في شذى رمانه
وخطى خامرت بدجلة اسحاق (١) فأمست تشدو على عيدانه
بالخفيف الثقيل بالرمل المنساب بالراقصات من الحانه
تتهادى بين الرصافة والجسر وتغري الرشيد في طيلسانه

يا لعهد الشباب، كم قد نعمنا بالهوى،والشباب في اطروانه
بالليالي الطوال تبدو قصارا
في حديث الهوى اذا ارتحل الواشي وان حل، في شذى كتمانه
بالليالي القصار تبدو طوالا بالدجى المستبد في ارسانه
تزحف النيرات فيه وئيدا من غميصائه (٢) الى دبرانه
في انتظار الحبيب قد اخلف الوعد وفي الخوف من لظى هجرانه

يا لعمر الشباب ، لو عمر الورد لغزنا بالخلد بين جنانه
ولما بات في الرؤى ذكريات طائفات في الليل حول حسانه
او اماني في الحشا راعشات تتلوى بنا على بركانه
او اهازيج شاعر في القوافي يتقوى بها على سلوانه
ويصد الفؤاد عن جنة الشوق وعن ليلها وعن اشجانه

١ ـ اسحاق الموصلي عميد الطرب ببغداد على عهد الرشيد .
٢ ـ الشعرى الغميصاء وهي نجم معروف وكذلك الدبران .

عدن — محمد عبده غانم

متذكرا ، في موضع اللقاء القديم بحديقة الاورمان .. وبيته الفريد الذي يقول فيه :

اقبل منها مكان اللقاء وان لم انل غير خد الفضا..

هذا جانب واحد من جوانب الحديث عن هذه المسرحية الباكرة ، هو الجانب العاطفي .. الذي يمثل صورة الشباب في انجامعة ، اول عهده باختلاط الجنسين ، كما يعالج جوانب الحياة المختلفة لهذا الشباب داخل الجامعة وخارجها .. وقد مضى الزمن اليوم ، وتغيرت الاحوال ، واصبح ما كان جديدا بالامس ، وهو معدود في اخبار الماضي .. وتتابعت ثورات الشباب في مصر ، وفي العالم العربي ، وفي العالم كله .. ومع ذلك فعندما رجعت الى اصل هذه المسرحية ، بين حضاد الاوراق القديمة ، احسست ـ وانا اعيد قراءتها ـ انني اقع على شيء عزيز ، والتقي بصديق كريم .. وقد نظرت الى ما فيها من استعداد مبكر فعلا كما تفضل الاستاذ احمد امين رحمه الله فبشر به .. ولكن لم ياخذني الغرور ، وما كان ليأخذني طوال حياتي الادبية شيء من ذلك .. لولا انني ابحث عن الحق وحده ، واتمنى اليوم ان أسجله قبل الفوات .. وفي هذا الصدد ، احس حقا ، ان شيئا واحدا كان ينقص هذا الشاب ، الواقف بمفرده على ساحل بحر خضم ، متلاطم الامواج ، متكاثف الظلمات .. هو اليد المخلصة ، التي تمتد اليه .. كريمة ، صادقة ، معاونة ، مرشدة ..

فلندع هذه المحاولة البادئة بذكرياتها ، ولننتقل الى ما جد بعدها من محاولات .. لنرى ما صنع هذا الشاب الواقف بمفرده ، المتهيب للدخول في غمار الناس ..

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

ـ اتشكين من شيء يا نجاة ؟
ـ لا ابـدا ...
ـ امارات وجهك تتوجع يا ابنتي .
ـ لا يا امي .. كل ما في الامر انني متعبة ، مرهقة .

ابتسمت الام وتذكرت نفسها ، عندما كان يأتيهـا المخاض ، كيف كانت تتحمل آلامـه ، وترفض ان تنبيء احدا به ، حتى يصبح قويا ، فيهزم صمتها ، ويتغلب على قـوة احتمالها .

تمتمت الام :

ـ الله يحرسك يا ابنتي ويبعد البنات عنك .

شعرت بوخزة حادة في صدرها ، وتساءلت :

ـ ماذا لـو انجبت ابنتهـا البنت الثالثة ؟

صرخت كل جوارحها :

ـ بعيد الشر ... بعيد الشر .

نظرت الى ابنتها بطرف خفي ، فرأت وجهها الابيض ، وقد استحال الـى وردة جوريـة ، وعينيهـا الخضراوين وقـد ازداد بريقهما ، وبدت نظراتها المتألمة ، المتوجعة ، كثيرة الجمال ، شديدة الفتنة . ثم نظرت الى بطن ابنتها المنتفخ بحنان وامل ، ورأت قلبها يدعو :

ـ « يا رب تبعث لي صبي » انك كريم ، وعلى كل شيء قدير .

خرجت من الغرفة تتشاغل باي شيء . رأت الغسيل ما زال معلقا على الحبال . ذهبت الـى الشرفة فجمعته ، ووضعته علـى السرير ، واخذت تطويـه وتملسه بمهـارة وقدرة فائقتين ، ولكن حواسها كلها مستنفرة ، مستيقظة ، تريـد ان تسمع شيئـا . بلـغ اذنيهـا همس انين وتوجع خافت . تركت بقيـة الغسيل ودخلت على ابنتها ، فرأتها تمشي ببطء واعياء وتعض شفتيها ، والعرق يتصبب من جبينها ، ثـم رأتها تقف باعياء ، وقـد ضغطت بيديها على طرفي المقعد بشدة . لم تنتظر الام لحظـة واحدة ، بـل اسرعت للاتصال بـزوج ابنتها ، وطلبت منه الحضور فورا . وشعرت ببعض الراحة ، واحست بمزيج من عواطف شتى تجتاح قلبها ، الالـم لآلام ابنتها ، والفرحة والامل بـأن تنجب ولدا ، والخوف .. وهنـا رأت نفسها تستعيذ :

ـ اعوذ بالله .. ربنا فنـا شر البنات ، وابعدهن عنا يـا عزيـز يا قهار .

★

في الطريق اختلست النظر الـى زوج ابنتها ، وهو يجلس وراء مقود السيارة ، فبدا لها رائعـا بعينيه السوداوين الجميلتين القلقتين . كان بين الفينة والاخـرى يلتفت الـى زوجه ، وينظر اليها بحب يهدهـد آلامها ، وحنان يخـدر اوجاعها .

المصيبة الثالثة

بقلم سلمى لحام العطري

وابنتها صامتة ، آلامهـا تتكلـم بتقلصات وجهها .

احست بسحابة من الدمع تعلو عينيها . قالت لزوج ابنتها :

ـ ان شاء الله هذه المرة تأتي لك « بالصبي » .

ـ هذا شيء لا يهمنـي كثيرا . سلامة نجاة عندي هي الاهم .

ـ اعرف ذلك تماما .

ولكن ابنتها تريد غلاما ، فهـي تحب زوجها وتريد ابنا يحمل اسمه ، ويكون عونا لـه وشوكة في عيـون اعدائه . وهو ايضا يريد ابنا ، وان كان لا يصرح بذلك جهرا ، ولكنهـا تعلم ما يجول في بواطـن الرجال ، وتعلم ان الزوج « لا يضحك سنه الا برؤية الصبي » . والولد يأتي ومعه الحمد والابتسام ، اما البنت فيـا حسرة ، تأتـي فيصاب جميـع الحضور بالخرس والعبـوس ، واذا ما استطاعوا ان يتغلبوا على صمتهم ، دارت السنتهم بعبارات المجاملـة ، التي لها صقيع الثلج . آه لو انجبت ابنتها صبيا ، انها حتما ستزغرد ، وقد نذرت مولدا للشيخ محيـي الدين ، وخروفـا للسيدة زينب ، وثوبا وغطاء للصلاة « لام علي » فقد قرأت لهـا الفنجان وبشرتها بـأن ابنتها سترزق بغلام يكيد الاعـداء ، ويفرح الاحباب . لو تحقق هـذا الحلم فستكـون ولا ريب اسعـد انسانة على الاطلاق ، ولن تـري الصبي لاحد خوفا عليه مـن اعين الحساد ، وخاصة اذا كان في مثـل جمال امه ، وجاذبية ابيه . وستعلق له مصحفا كريما ، اشترته واعدته من اجل هذه المناسبة ، وستتخلص ابنتها المسكينة مـن سلاطة لسان حماتها ، واهل زوجها . مسكينـة ابنتها على هـذا الحظ المنكـود . صحيح ان زوجها يحبهـا ويدللها ، ولكن اهلـه « كعش الزنابـير » . وعندما رزقت ابنتها بالمولودة الثانية التفتت اليها « حماتها » ، قالت لهـا بشماتة وقسوة :

ـ ابنتك لا تأتي لنا الا بالبنات ..

آه ما اسخفها .. وهـل تأتـي بالبنات من عندها ؟ هذا شيء ليس باليـد .

ـ امراة عمي .. امراة عمي ..

وشعرت بيـد تهـز كتفيها . انتبهت ، واحست بالخجل عندمـا رأت زوج ابنتها ينظر اليها بشيء من الضيق ويقول بتأفف :

ـ لقد وصلنا الـى المستشفى وانت سارحة ..



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمتمت ، وكأنها تداري خجلها وارتباكها :

ـ الله يجبر خاطرك بصبي .

لمعت عيناه بفرحة ، وزغردت شفتاه ببسمة .. نعم انها تعلم حقيقة الرجال .. لقد كان زوجها يرحمه الله عندما يرزق بغلام تكاد الدنيا لا تسع فرحته . كان لا يبرح المنزل ويستقبل وفود الاهل المهنئة بنفسه ، ويري الطفل للجميع باعتزاز يشوبه التفاخر ، وينفق عن سعة وعن طيب خاطر . اما اذا انجبت له بنتا ، فكانت الخيبة ترتسم في عينيه بشكل تقطيبة تدخل الحزن والرعب الى قلبها ، فتشعر بالخجل والالم ، وكأنها جاءت امرا مخزيا جالبا للعار . احست بالخوف يطرق قلبها بعنف ورددت برعب :

ـ الله يبعد البنت عنك يا نجاة .

صراخ ابنتها يتسلل من غرفة الولادة فيبعث في نفسها موجات من القلق والخوف . انها تعرف آلام الولادة . وعجبت كيف تتمخض الحياة الجديدة عن آلام واوجاع ، وتساءلت : الا يمكن ان تطل حياة جديدة بدون الم ؟

زوج ابنتها يزرع الغرفة جيئة وذهابا ، وقد شحب وجهه ، وبين الفينة والاخرى ينظر الى ساعة معصمه ، ويتنهد بألم ، كلما علا صوت زوجته بالصراخ .

صرخة حادة مدوية شقت جدران غرفة الولادة ، وانتشرت لتدب القلق والالم في قلب الام والزوج ، تبعتها صرخة ثانية ، ثم صراخ لحياة جديدة .

هرعت الى غرفة الولادة ، غير مبالية بتعاليم الطبيب وتحذيره من عدم الدخول الى غرفة الولادة .

بحثت عن الطفل فوجدت الممرضة تغسله ، ووقع بصرها على الشيء الذي تستطيع ان تتبين به هوية المولود . جمدت في مكانها ، واصابها ذهول غريب ، واحست بشمس الامل تغرب عن قلبها ، فأظلمت نفسها ولم تعد تبصر شيئا .

ـ ويحك ايتها البلهاء هل نسيت ابنتك ؟؟

سألت نفسها هذا السؤال ، ثم التفتت الى ابنتها ، فراتها شاحبة ، قد انهكها التعب وخيبة الامل ورأسها يميل على كتفها بانكسار ويأس .

احست بسحب الدمع تعلو مقلتيها . يجب ان تقول شيئا ، يجب ان تواسي ابنتها وتخفف عنها .

ولكن لسانها التصق بحلقها ، ولم يعد بأمكانها ان تحركه . اقتربت من ابنتها .. شدت شفتيها فانفرجتا على ما يشبه الابتسام . وبصعوبة بالغة جمجمت ببضع كلمات ، وقالت بعد لأي :

ـ الحمد لله على سلامتك .

لم تتكلم الابنة ، بل ابتسمت بسخرية ، ثم اجهشت بالبكاء .

الطبيب عبثا يحاول ان يخفف عنها ويريها محاسن الصغيرة ، وهي لا ترى شيئا ولا تسمع شيئا .

نقلت من غرفة الولادة واستقرت في احدى غرف المستشفى . دخل صهرها فتأملت وجهه ، وهو يرغم البسمة على ان تعلو شفتيه ، ويرسم الفرحة بصعوبة بالغة على محياه . قبل زوجته وهنأها بالسلامة ثم اخذ الصغيرة ، وبدأ يعدد محاسنها بمرح مصطنع .

تأملته وهي تحدث نفسها :

ـ آه يا صهري ... انك والحق ممثل ماهر ولكن .. لا بأس اكمل دورك ، فلعلك تخفف عن هذه المسكينة بعض مصابها . انه ينظر الى الساعة ويعتذر بلباقة :

ـ ان لديه موعدا هاما . آه لو انجبت له طفلا لترك مواعيد الدنيا كلها وجلس قرب زوجته .

حسنا ، كان الله في عونك لقد اصبحت ابا لثلاث بنات .. على كل حال انت خير من زوجي « رحمة الله عليه » . اذكر انه هددني بالطلاق عندما انجبت له طفلتين متتابعتين ، اذا ما جئته بالثالثة وكانني آتي بالبنات من عندي .

قطع عليها حديثها مع نفسها سؤال ابنتها :

ـ ارأيت حظي السيء .. ماذا افعل ؟ وماذا ستقول امه وشقيقته؟

ـ وماذا تقولان ، هل هذا شيء باليد ؟ ما انت الا ارض تنبت ما يزرع فيها ...

ـ ابعد كل هذا العذاب تأتي بنت ؟

ـ هناك من يتمنى قلامة ظفرها. المرأة التي تنجب البنت تنجب الصبي .

ـ ومتى انجب الصبي « نملأ البيت حرم حتى يأتي عمر » . انني لشقية تعيسة .

ادارت الام وجهها ، وهي تغالب دمعها وتحدث نفسها :

ـ لا داعي للتحدث عن شقائك فانا اعرفه وقد عانيته قبلك ، كانت كلمات حماي وبناتها كالسياط والسكاكين تقطع اوصالي . ولكن ماذا اقول لك ، وانا اكثر منك شقاء وتعاسة ؟

بكاء الطفلة يعلو . الام تتوسل لابنتها :

ـ ارفعيها يا نجاة وتمعني بحسنها وجمالها ..

ـ يحملها عفريت لا اريدها .

ـ آه وما ذنب المسكينة ؟ هل جاءت بأرادتها ؟

ـ وما ذنبي انا حتى ارزأ بثلاث مصائب ؟

الممرضة تدخل بلباسها الابيض ، كملاك هبط من السماء لتسوه . اخذت تهدهد الصغيرة ، وتنقل بصرها بين وجهها ووجه امها وقالت :

ـ انها جميلة لعلها تشبهك .

لم تتكلم ، بل ظلت صامتة ، تكتم غيظها وانفعالها . قالت امها للممرضة ، تحاول ان تفتح حديثا للتخفيف من حزن ابنتها :

ـ ظننت يا ابنتي ان الدنيا تقدمت ، وان الحياة تطورت ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على مشارف اليوم الاخير

وحين تكف جميع الشفاه ... وتغرق في صمتها الكائنات
وتنبت في كل قفر عيون ... وفي كل عين تلوح رفاة
وتقذف كل الدروب جماج ... م ضاق بها رحب كل فلاة
فلا الوعد يستقطب الناظرين ... ولا الحلم يمنح دفء الحياة

ويزحف فوق البطاح ضياء ... وينجاب غيم ويناى سحاب
ويزهر بين الجماجم وعد ... ويلمع في الافق ومض سراب
وترعش ، بعد ، جفون البرايا ... وتمتد أيد طواها اليباب
وتعمر كل الدروب خطى ... براها الرضى او نضاها العذاب

فيا ذلك اليوم يوم الرجوع ... تمنيت أنك لا بد آت
تمنيت انك بين الضلوع ... مقيم وانك كالشك عات

دمشق — سلافة العامري

وباتت البنت مثل الصبي .

تنهدت الممرضة ، وادركت جلية الامر :

ـ الدنيا تطورت ، ولكن عقول البعض ما زالت جامدة . لو سألنا انفسنا لماذا نقيم الافراح ، عندما نرزق بالصبي ، والمآتم اذا ما رزقت احدانا ببنت لخجلنا من سخفنا .

ـ « قولي » لها ذلك يا بنتي ، لم يعد الان اي فارق بين الصبي والبنت ، كلاهما يتعلم ويعمل ويكسب ، والبنات اكثر عطفا على ذويهن واكثر برا بهم .

قاطعتها ابنتها بحدة :

ـ شبعت حنانا وعطفا .. لقد اصبح عندي ثلاث بنات .. هل تسمعين ؟

الصغيرة تعود الى البكاء بشدة . الممرضة تضحك معلقة :

ـ انها تحتج . يا للطفلة المسكينة ، ما ذنبها حتى تستقبل بالدموع واللعنات ؟

حملتها وقربتها من الام قائلة :

ـ تأملي محاسنها ..

ـ ابعديها عني والا خنقتها ..

وضعت الممرضة الصغيرة في سرير بجانب الام ، ثم قالت لها بهدوء :

ـ اسمعي يا سيدتي . عندما انجبتني والدتي ، وكنت الابنة السادسة ، كادت ان تكون هدية امي من ابي ورقة الطلاق ، لولا تدخل الاهل . والان هل تصدقين انه يحبني اكثر من اخي الوحيد ويفضلني عليه . وعندما تذكره والدتي بحزنه وغضبه ساعة قدومي الى الدنيا يتمتم بأسف وخجل :

ـ لقد كنت احمق . « الانسان لا يعرف الخير بوجه مين » .

صدقت الام على قولها :

ـ « اي والله صحيح يا ابنتي » .. لنا جارة لها اربعة شبان تزوجوا وتركوها وحيدة وهم لا يأتون لزيارتها الا كالاغراب .

مسكينة انها تبكي ليل نار « قلبها محروق على بنت » .

خرجت الممرضة تتبعها الام ، وكأنها تريد ان تتم بقية الحديث ، او لعلها شعرت بحاجة الى ان تخفف مما يدور في خلدها .

الصغيرة تبكي ويعلو نكاؤها ، فلا تلتفت الام اليها ، بل تصرخ بغيظ :

ـ اذهبي الى الجحيم ايتها المتطفلة .

بكاء الصغيرة يعلو اكثر فأكثر .

التفتت الام نحو صغيرتها اخيرا ورفعتها بعصبية ، وهي تقول :

ـ « لعنة الله على البنات ما افجرهن » . وضعتها بين ذراعيها . وتأملتها لاول مرة .

ـ حقا انها جميلة ، ولكن ماذا لو كانت صبيا ؟؟

فتحت الصغيرة عينيها نصف فتحة ، ثم اغمضتهما ، وعادت الى البكاء ، فمرت بيدها على الرأس الصغير ، ذي الشعر الحريري وامعنت النظر في الوجه الوردي الجميل . احست بشيء يجري في عروقها .. شيء جعلها تضم الصغيرة الى صدرها بحنان ، ووجدت نفسها تردد :

ـ « الانسان لا يعرف الخير بوجه من » ...

دمشق — سلمى لحام العطري



هـلال ناجـي

هلال ناجي من خلال دواوينه

بقلم محمد صالح الجابري

* * *

بين « ساق على الدانوب » اول ما قرأت للشاعر المعروف هلال ناجي وبين « مرفأ الذكريات » آخر ما ظهر لـه مـن الاشعار تنفتح آفاق شاسعة لا مفر للباحث من ان يقف عندها كـي يتلمس نبض هـذه الشاعرية بوعي ويستبطن ما يمور فيها من كوامن اذ بدون ذلك الخيط لا يتيسر تصيد مجال الرؤيا وتحديد زواياها . وبغير تكوين فكرة عـن هذه الآفاق يبقى البحث في حاجة الى الاضواء والى التحديد . فالافق الذي كان مدار تجربة « ساق على الدانوب » لم يكن متفردا بصحـوه ولا كان طابع التلائم يسوده . هناك في ساق علـى الدانوب الواقعية والرومانسية بدتا متشابكتين في زحام وصراع وتجربة الشكل ظهرت في عنف الاستئثار باهتمام أوفر من الشاعر وما ان تأتي « اغنية حزن الى كركوك » ف « الفجر آت يا عراق » حتى يأخذ مدار التجربة في الصفاء والتلائم وتشف حدقة الشاعر وتصبح تلك الآفاق ملكا له ، لوجدان لم يختلج في هذه الفترة بغير المرارة والحنين ابدا لوطن وابناء كان المنفى والغربة بعض من دونهما ومن ثم يخلص تشابك الواقعية والرومانسية وتنصهران ، تذوب الكلمة في الاخرى واللفظة في غيرها بلا نبوة ولا نشاز والشكل هو الاخر يكسب له فرصة الخلاص مما كان يشغل الافكـار والمعاني من بعض قيود القافية . في كلتا الثورتين الاجتماعية والشعرية نجد هلالا يحطم القيد باعنف ما يحطمه شاعر ثائر . اقولها ايضا وهذه المرة بشيء من التجني على ديوان « ساق على الدانوب » بـان حصيلة الثورة فيه كانت مفرطة الحماسة وحس الشاعر فيهـا بـلا تخوم ، الشباب والشعور بالضيم وهما وقوداها لـم يلتقيا بعد بالتجربـة الاجتماعية خصوصا في القصائد الاولى ذلك الالتقاء المركز . ولكن انى لاي منا ان لا يصيخ لاغاني اطفال كركوك واصدائهم وهي تتردد بـين حيطان المنازل . انه عالم الشاعر في الديوان الثاني وانهـا النقلـة الجديدة وفاتحة العهد « في بلدتي » :

ابصرت بالصغار ينشدون
هيهات ان تكـون
بلدتنا الحلوة العيون
عاصمة الذئـاب
موزعي الخراب

ذلك ان اصوات اخرى بدأت تصرخ على الطريق :

كركوك لا كان العراق اذا انطفت حرق الجـراح وقهقه الجـلاد

لقد وجد الشاعر ثورته اذن بداية من هذا ، من وجوه المصلوبين واشلائهم ، لامس النار وغاص في اللهب وكمد الحرق والجراح ، لينطلق وهو يشق من جديد بحنجرة ارحب مـن مدى الصحارى طريقـا في الاشواك وعند اسوار القلاع والسجون كانت عين اخرى تفتح لها جفنا على بغداد وتزيد الى المقل المسهدة على رمضاء الانتظار مقلة جديدة ، مقلة شاعر والشعراء في بغداد حلم الرافدين :

الفجر آت يـا عراق وان يطل ليـل بدجلـه
ما زلت اغمض مقلـة وامـد في الظلمات مقله
تجتاب استار الدجـى وتظـل ترتقب الاهلـه
حاشا لشعبنـا يأبـى المذلـه فشعبنـا يأبـى المذلـه
لكنهـا الاقـدار تـز خر فجر يوم مـا اجله
فاحمل سلاحك لا تقل طمس الطغاة هدير دجله

وتصل من الشاعر في يوم العيد الى اخيه بطاقة :

كصلاة مـن عبير
مثل رشات العطور
مثلما النجمة في الظلمة تومي وتنير
مثل رف من سنونو جاء من خلف بحور
هذه الاحرف في الشوق صلاة من عبير
وهي في العيد بطاقة
تنحـرق
تشوق ..
للقاء الاهل والاطفال ـ اواه ـ وتقلق
يـا اخي
هذه الاحرف لو تدري اشتياق للقاء
وهي نبع من صفاء
وهي دفقـات محبـة
فاذا ما لمحت عيناك حرفا لا يبين
فتاكـد
ان دمعـه
لحروف الشوق اصباها الحنين
فاستحمت في عبير الحرف وانداحت كموجة
يا اخي ان يسال الاطفال عني
قل لهم : اني مسافر
سأعـود
عندما يأتي الربيع
موعدي والزهر والاكمام والعطر الوديع
فاذا مـر الربيع
وعلى الافق ضباب ودخان
وتخلفت هنـاك !
وقرأت القلق المشبوب حبـا
في العيون الحلوة السود الحبيبة
قل لهم : اني مسافر
سأعـود
عندما يأتي الشتاء
فيطيب السمر

زادنا النار وحب الكستناء
وحشايا ثمر البلوط في الليل الطويل
واحاديث الصفار المتعة
عن اقاصيص (ابي زيد الهلالي) يا اخي
واذا ما حل عيد
وانا محض خيال في البعيد
قل لهم : اني ارتحلت
لالم
انجم الليل واسهم
في انبثاق الفجر في ارض العروبة
ارض بغداد السليبة
واذا طال غيابي وارتحالي
وعلى اوجه اطفالي الصغار
لاح يتم
رسمته اعين لم تعرف الذلة يوما
لا تدع ادمعهم تلثم تربا
فالدموع الغاليات ..
هي كالانجم مثواها السماء
ارشف الادمع عني بشفاهك
فهي بعض الامنيات
في اغترابي
ثم قبل .. قبل الاطفال عني يا اخي

ولست ادري . هل عاد الشاعر لبغداده بالربيع . ام عاد الربيع معه ؟ ان كليهما كان مشوقا للحظة ، وكليهما كان معنى . واكثر منهما الارض التي جلت عديد السنوات ، بالخصب ، وبموكب الفادين . ولكنك وانت تقرأ هذه الاشعار ، تظل تجوس قلبا غاضبا اظلته واحة من الايمان ، تنفيها الكلمات بضرام ، لم تتركها وقد ازهرت ، واخضلت . ذلك هو هلال ناجي الذي بدأ الشعر ثائرا وما اظن ان تنتهي له ثورة ، فهو من هذا الجيل الثاكل المفجوع :

هذا اللواء اليعربي تظل تحمله البقايا
فاحمل سلاحك لا تقل ضج الطريق من الضحايا

والمتقصي لما في دواوينه الثلاثة الاولى يشترف آفاق انفتاح الشاعر على عالم رهيب يحس بان شيئا ما كان يقع في بغداد في طفولة الشاعر وحتى كهولته :

رداء من الظلماء طال به العمر وطاقت به الاكباد واستوحش الصبر

هذا الشيء هو الذي حمل الشاعر على ان يقول :

وحلفت بالغادين ان اذر الهوى والفاتنات الباعثات رغابا

ويحل يوم الثار فتنجو بغداد من القبضة ، وتنسحب المشانق وتنهد الاسوار .

الدواوين الثلاثة سجلت كل ذلك حتى النهاية ، واكبت المعركة وتابعتها وكانت كتابا كيدا حفظ اروع البطولات واصلدها .

ولكن . هل بانتهائها تقلص وجه الشاعر ؟ هل انتهت الرسالة ومات الشعر على حدود النغم العاصف .

وبالتالي ماذا بقي في لهات هلال ان يقل لنا من خلال « مرفا الذكريات » ديوان الطواف والترحال ، ديوانه الرابع والاخير . لسبب ما كان هذا الشاعر حتى ايام الثورة جواب موانيء لا تكاد تقرأ له من فينا حتى يطالعك بقصيد آخر من استردام او اي بلد تنخيل ، يكتب في قلب الجليد وفي سطعة الشمس كما يستطيع على اللجج ان يخط قصائده سواء بسواء وهو في قطار ميونيخ ومن حوله العجائز يثرثرنه بقايا الايام .

ومرفا الذكريات هو بعض هذه الاشعار التي كتبها الشاعر في المهاجر والاسفار ، لقاءات وامسيات واكف لدنة ، وعيون زرق من باخرة الى اخرى ومن قطار الى غيره :

وقلوع تجيء خلف قلوع في اقتران الطبيعة الخلاب

حتى اذا اقتحم محطات وثغورا جديدة كان لا يني يهتف هتافه الدائم اجابة على سؤال يراه يتردد في عيون الاغراب :

انا من موطن قناديله الشهب باجفانه يلوذ الغروب
يلثم البحر كفه في خشوع والثريا على ثراه تذوب
وعلى ثغره نهير لحون صاغها في كرومنا عندليب
مشرق الجود من سهول بلادي وباحضانها يقر الغريب

وتلتفت احداهن وهي قادمة من فنزويلا الى القامة المديدة السمراء وهي تستعيد وجه الصحارى والبحار النائية على شفتي شاعر صادي :

انا ما ابصرت من قبلك نجما عربيا
يتعالى كالثريا
وبين ما تجيء به شفتان وشفتان :
ومضينا نزرع الافق نجوما
وغيوما
وكما ينبثق الفجر بثغر من كراز
همست (انجن) في صوت منغم
غنني لحنا من الشرق جميلا
غنني لحنا ، فغنيت قليلا
لحن فيروز وقد جاء القمر
(بيته خلف التلال المرمرية
رشرش المرجان في كل ثنية)
ثم ابحرت بعينيها طويلا ...

وسرعان ما يتهاطل الظلام والجليد ، ويرن اعوال باخرة ضلت في متاه البحر فتحاول حلوة اخرى ان تفر فرقا من هول لقاء صاخب في مرفا جليدي . ولكن الشاعر الصحراوي يربت على كتفيها ويبتسم مطمئنا :

اقول للحلوة في همسة
وعينها في الغيم مذعورة
الشمس في جيبي فلا تقلقي
الشمس في جيبي
ساطلق الشمس من القمقم
ان شئت في الفجر
او شئت في منتصف الليل
فالشمس في عبي
والشمس شرقية ؟
في غير ما مرة
حجبتها عن لندن الساحرة
اذا خلفت حسناء ميعادي
فلتحذري يا برعم النروج
نسيان ميعادي ؟

اترون ماذا يصنع هذا الشاعر في بلاد الناس ؟ يسرق منا شمسنا يخبئها كالكمك في جيبه ليطعمها صبيات لندن مرة وبنات النروج مرة اخرى .. ويصيرها في السموات الغائمة خلف البحار نهارات مضيئة . انه الصائد الذي عرف الطعم فترك كل واحدة تلهج عند المذاق :

ليتني ليتني عرفتك قبلا في ليال من الفراغ خوابي
منذ شهر وفي عيونك برق شاعري يدق في الليل بابي

ثم ترفع عينا لتقول في تدله :

يا حبيبي وذات نصف كلام في شفاهي ونصفه في الجواب

الشاعر لا يشبع له نهم ما دامت الشمس في جيبه عملته التي يصرفها كما يشاء وما دامت ابواب الموانيء والمرافيء مشرعة :

ايتها الحلوة
فلتطعميني موعدا اخضرا
مثل جبال النروج الحلوة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مخضرة رائعة الجلوة
او فابعثي من عينك الحالة
قلما شماليا ليطويني
يحضنني كالموج يحويني
مرساي فيه ثغرك الاحمر
وربما مرساي ياقوته
.
ياقوتة حلوة ؟
فتبسم الحلوة
في شبه تفريدة
ويستحيل الحلم انشودة ؟

ان الكثيرين سيتوهمون ان الشاعر انما تنصل من آفاقه الماضية وفر عامدا من المعترك وانجرف مع التيار الآخر تاركا خلفه بغداد والدواوين الثلاثة الاولى التي كتبها من قبل لاطلالة فجرها تنام في صمت الواحة وتتوسد اغياء النخيل تصنع قدرها وايامها وحدها . سيقولون ان المرافيء شغلت هلال عن احب الناس الى قلبه عن الاهل والاخلاء واضاعت الشاعر في فتور الجليد وسماء لندن الكابية الدكناء . ليسمع هؤلاء هذا النشيد :

يا شقيقي
انا في لندن اشتاق اليك
وانين خافت من قلب امي
يقرع السمع ويدمي
يذر الايام سوداء حزينة
ويحيل الفجر ليلا نابغيا
مبضع الجراح يقتات عليها
ويظن الداء في الجسم المسجى
او تعلم
انه الداء المكتم
في حنايا قلبها الضاوي الحزين
من جراحات السنين
من حنين كله شوق اليك
ايها الراحل من دون وداع
انها محض التياع
لخيال منك للطيف المرجى
يا ربيعا شق عن بغداد اكفان الشتاء
ومضى دون وداع

الى كل مكان . الى المقاهي والمرافيء وانى سار كان نشيده هذا، الاغنية التي لا تبرح لسانه ولا تفارق صدرا مكلوما . حتى وهو في ساعة رائقة مع حلوة :

تسائلني حلوة عن بلادي
ومن اين جئت .. وفيم الدموع ؟
قصصت لها كيف عاث الظلام
باعطاف بغدادنا الحالمة
ففي كل دار نواح وماتم
وثار ومغرم
حكيت لها حلم الشاطئين
بفارسنا المقبل الظافر
بمن يبذر الحب بعد الصقيع
ويحيي الشجر
ويزجي المطر
لبغدادنا الظامئة
حكيت لها عن حكاياتنا
وعن فارس مثل عمر الزهور
ولطف القمر
تالق في ليلنا المعتكر
وكيف مضيت بقلب شجاع
تسد القلاع
على ظهر دبابة زاحفه
وانك غبت بدون وداع
شقيقي : وحين رنوت اليها
رايت الدموع
تساقط من اعين كالبحار
كما النجم يهبط في اللاقرار
بغير انتظار
بغير انتظار

وهو حتى مع قادمة من قلب الجليد من آيس‌لنده يقول :

ايها القادم من قلب الجليد
او تدري
انني احببت في عينيك غابات النخيل
انني عانقت في عينيك نجمين اضاءا
خلقا الفجر ببغداد وضاعا
كل نجم منهما عين شقيقي
يا رفيقي

أن المرفأ الذي اودعه هلال ناجي كل ذكرياته . واعطاه كل هذا الشعر هو مرفأ الجراح والتذكار حيث تثوى صورة شقيقه وجدي . وهو مرفأ الحنين الى بغداد ذلك الطيف الذي لم يغادر قصيدة من قصائده . الترحال عند هلال ما كان فرارا ولا هجرة ولا هربا مما ينتظره من اتعاب البناء انه شيء عميق كمحبة الوطن العربي .

بغداد — محمد صالح الجابري

انظري

انظري ، لم تبق الا نظرة
تحتمي ، ان أشرقت ، بالحذر
وأطيلي نظرة منعشة
تبعث الهول بصرف
قنعت نفسي بطرف مفصح
لم يجد الا بأبهى الدرر
قال لي طرفك ما أعهده
في التي كانت ضياء البصر
قرة العينين يا حاضره
وهي كالطيف كأن لم تحضر
نشتهي الوصل ، ولكن دونه
لذعة النار ، ووخز الابر
فرض اليأس علينا غربة
لم تنل من وجدنا المبتعر

بغداد — حارث طه الراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربيع وريقتها

●

رف الربيع بجنحيه على داري ... معشوشب الحقل رفافا بازهار
بيضاء ناعمة رقت ملامحها ... ولاح فيها شعاع واري النار
وشّى ذوائبها من لسنه وبدا ... فوق الجبين كاكليل من الغار
تجمّع الزهر عنقودا يتيه به ... فرع وتحمله اعناق اشجار
والورد زركشه كف النسيم له ... حضن يهدهده من خلف استار
هذي ملثّمة حمراء خائفة ... خجلى تباعد من لحظ ونظار
من اصغر هائم يروي بهمهمة ... لحن الغرام لها اشواق ثرثار
والهمس مشتعل في السر يولعه ... ارهاف اذن واحداقات سمار
وياسمين رنا يختال متكئا ... يحكي البدور اذا أسرت بأسحار
تهفو النسائم من شوق لتحضنه ... ولهى وتلثمه في جيده العاري
وللغصون اذا وافت صبا نغم ... عذب يوقع في رقصات اطيار
ورد وزهر ، فراشات مرفرفة ... في ألف لون حبتها الف انوار
تواثب الطل يعطيها مراشفه
والشمس فوق الربيع الطلق راتعة ... دفء تناثر من اضلاع عشتار
حتى اذا الريح وشّت جانبيه قذى ... هبت تغسّله احداق امطار

يا للربيع أتاني في وريقتها ... سحرا يضوع على دربي واوكاري
منضرا كورود الفجر انجمه ... مخضوضل العطر بواحا لاسراري
نيروز جاء من الآفاق اغنية ... والوقت بعد غريب عنه آذاري
وبين احرفها والصوت يغمرني ... والهمس يسكرني آهات مزمار
لاحت بمكمنها حسناء فاتنة ... ترنو اليّ بعينيها كانذار
قالت : اراك مع الآلام منسجما ... فهل انست الى الآلام والنار
نسيتني وتركت البعد يوجعني ... ورحت تهزج في دنيا واشعار
فهل وجدت بآهات الهوى ... بين تسيار وتسيار
وتختفي في رداء الحرف فاتنتي ... دلا وتتركني اشباح محتار

يا لفتة الحسن مالي والعذاب يد ... لكن مخالبه هبت كاعصار
لفّت جناحي وشدتني لساحته ... وخلفتني لآلامي واقداري
ان كنت آنسه انت التي خلقت ... امواجه ورمت بي شطر هدار
غارت علي من الآلام تكلؤني ... أكان حظي ان اجزى كسنمار
لهفا فؤادي بعيد الدار نازحها ... حتى الهموم تراها خدن منهار
يارفة الحسن رحماك الغريب انا ، ... انا العذاب من الانات اوتاري

دمشق — عبد القادر القصاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فؤاد الرفاعي

على احمرار الشفق انتهوا...

اضاع اسلافنا فردوسهم في المغرب ، فهل نضيعه نحن في المشرق ؟ لعبت العصبيات القبلية بهم دورها الخطير فمزقتهم ، فهل تحطمنا عصبياتنا الاقليمية اليوم وعنعناتنا الفارغة ؟ ..

بقلم فؤاد الرفاعي

* * *

كلا .. هم لم يناموا بدء الامر على حرير ، بل عجنوا بعزمهم الصخور حتى ذلت لهم رقاب العصور . وكما كانت قصة الفتح العربي لشبه الجزيرة الاندلسية من اروع قصص التاريخ البشري ، كانت نهاية الدولة العربية في الاندلس من اشجى واخطر ما سجله تاريخ العرب خلال مسيراتهم التاريخية في دروب الكفاح . وفي رايي ان قراءة التاريخ ليست ، بل هي لا ينبغي ان تكون ، للمتعة والتسلية وتتبع الحوادث لارتشاف عناصر القصص الرافدة للاخيلة التي تهوى الطيران آفاق الضباب ... وانما هي القراءة الواعية المدركة المستانية التي تربط ما بين النتائج والمقدمات لتحليل المواقف التي تؤدي الى انفجار الاحداث الكبار او تشارك في صنعها . فتلك الاحداث الكبار لا تنجم من الارض من تلقاء نفسها ولا تنزل من السماء نزولا ، وانما هي في طبائع الاشياء ، وليدة ظروف سبقتها فجعلت حدوثها شيئا حتميا في منطق ارتباط المقدمات بالنتائج عند استخلاص الآثار التي ترتبت او تترتب على تلكم الاحداث .

والحق ، ان قصة الفتح العربي للاندلس انما ينبغي ان يقراها الجيل الحاضر على تدبر وانـاة وعمق ، وان يغوص في غمراتها المثيرة ليستخرج منها ابرز العبر التي توسع آفاق الرؤية ، وتعمق مسارب الوعي ؛ وتفتح العيون والقلوب والاذهان على حقيقة من ابرز حقائق التاريخ بداهة ووضوحا ، وهي ان المحافظة على الكيان القومي لا يمكن ان يكون فقط بالقول المصفوف والكلم المرصوف ، ولا بالشعارات المنصوصة والخطب المرصوصة .. بل بالكفاح الدائب الواعي المستمر المخطط له ، الذي يستهدف قبل كل شيء تمتين روابط المجتمع من الداخل ، بحيث يقوى على مواجهة الاحداث بما يجب أن تواجه به من قوة متماسكة لا تفلها المفاجاءات ولا تقوى على تحطيمها القوى المضادة .

وما كان لي ان اعرض لتاريخ الفتح العربي في الاندلس وانهيار الدولة العربية فيها لو لم يكن هناك تشابه ـ من بعض الزوايا ـ بين ما نواجه اليوم من خطر اجتياح صهيوني استعماري شرس لكياننا القومي ، وما واجهه اسلافنا منذ خمسة قرون في تلك الجنة الشجراء من احداث مدمرة ما انفكت تنمو امامهم وتكبر وتتعقد حتى خرج الامر حيالها من ايديهم ، وحتى انتهت الى طردهم من ذلك الفردوس المفقود ، ثم الى التنكيل بمن بقي منهم تنكيلا تطأطيء الاخلاق خجلا امام وقائعه المخيفة ومنكراته المفظعة .

ترى ، ألم يحدث أن اعاد التاريخ نفسه وكررت الاحداث ذواتها ؟ ألم تتشابه ظروف لاحقة بظروف سابقة فاذا النتيجة هي نفسها والمآل ؟ بلى ، لقد اعاد التاريخ نفسه كثيرا سواء في شرق او في غرب ، وتكررت ظروف وملابسات متماثلة في تاريخ الامم بعينها فادت الى فنائها وانقراضها .

وانما تكون العبرة في وعي الشعوب لتلك الظروف والملابسات ، وتحليلها ، والاحساس العميق بها ، ورفضها ومقاومتها ، ولا سيما اذا كانت هي امتدادا تاريخيا لوجود امة واحدة وشعب واحد ، .. والا فلا فائدة من قراءة التاريخ ، لانها انما تغدو ـ حين لا تستخلص العبرة منها ـ لونا من ممارسة الترف الحائل وضربا من تزجية الوقت بما لا يفيد .

لقد اقام العرب في شبه الجزيرة الاندلسية مدنية رفيعة العماد ، اعطت شعوب الغرب دفقا سخيا من الاشعاع الفكري والتقدم الحضاري ، وطاولت الزمن على مدى ثمانية قرون بفكرها وآدابها ، وبعمرانها وشموخها ، مما لم يستطع حتى اكثر المؤرخين الغربيين تعصبا لغربيتهم الا ان يقروا به في فلتات هاربة من حقدهم وتعصبهم ، وهي فلتات تعكس لنا ـ بالاضافة الى ما دونته الروايات العربية ـ صورا زاهية ولوحات رائعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للذي كان عليه القوم في ذلك الفردوس المفقود من ترف ونعمى ، ومن عزة ومنعة ، ولا سيما على عهد الخلفاء الامويين ، بدأ بالداخل عبد الرحمن وانتهاء بالناصر سميه ، ثم امتدادا مترنحا الى من أتوا بعدهما من الامراء والقادة والوزراء الذين استطاعوا ـ بعزمهم وجهادهم ـ ان يؤجلوا نهاية السقوط اكبر قدر مستطاع من الحقب والفترات، كالذي كان من ملوك بني الاحمر اصحاب غرناطة، الذين ثبتوا على معاناة قاسية يقاومون النهاية الفاجعة زهاء مئتين وخمسين عاما ، كان عدوهم خلالها ما يفتأ يكيل لهم الضربات القواصم ، فيقابلونها بمثلها او بأشد منها مضاء وتحديا .

وليس يهمنا هنا ، في هذا المقال السريع ، ان نتعقب وقائع الفتح وان نسير مع الفاتحين منذ اجتاحوا المغرب الاقصى حتى جازوا بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء . ولكن الذي يهمنا هو ان نلمس ما كان في نفوس القوم من آثار محرقة حين ضاع منهم ذلك الفردوس ، وان نستخلص العبرة منها ، ثم ان نقف على عوامل النكبة العربية واسبابها في شبه الجزيرة الاندلسية على امتداد ثمانمئة عام ، ما كان لها ان تنقضي لتصبح صحفا هاجعة في بطون التراث او لوحات معلقة في متاحف التاريخ لولا تقاعس النفوس عن رد الخطر المحدق حين كان ينبغي للنفوس ان لا تتقاعس ولا تلين .

فأما تلك الآثار المحرقة ، فتصورها لنا تلك الزفرات العميقة التي يصعدها أسى مسعر وشوق مضطرم وندم ممزق وحنين يقطع نياط القلوب . وقد ورد بعضها على السنة عدد من شعراء الفردوس ممن ادركوا النكبة او آل بهم امرها وحتمياتها الى التشتت والضياع في دوامة الاحداث التي ترتبت على ذلك الحدث العربي الاليم .

قال احدهم فيما يشبه زفير الاسى من جحيم حس مفجوع :

سلام على اهل الوداد وعهدهم ... اذ الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ... ففاضت لروعات الفراق عيون

وقال آخر وقد جعل من الحرف روعا ومن الكلمة دمعا :

يا زمان الهوى عليك السلام ... وعلى السلو عنك حرام
اي عيش قطعته فيك لو دام ... وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلما والعيش فيك خيال ... وسريعا ما تنقضي الاحلام
لهف نفسي على ليال تقضت ... سلبتني برودها الايام
فطمتني الاقدار عنها وليدا ... وشديد على الوليد الفطام
لا تلمني على البكاء عليها ... من بكى شجوه فليس يلام

اما قاضي القضاة ، الشمس بن خلكان ، فيخاطب الديار المغتصبة بهذا الشجو المعتصر للقلب وهذا التذكر المفجر للحنين ، ويتمنى لو عادت ايام تلك الديار حتى في خداع الاحلام ، قال :

يا ديار الاحباب ما زالت الاعين ... من ترب ساحتيك مذالة
وتمشي النسيم وهو عليل ... في مغانيك ساحبا اذياله
اين عيش مضى لنا فيك ... ما اسرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير ... والتداني غصونه ميالة
ولنا فيك طيب اوقات انس ... ليتنا في المنام نلقى مثاله

وتأتي زفرة الخطيب الحصفكي لتكشف ظلال الصورة وتزيد من تجهم خطوطها وتعتيم الوانها وهو يتصور ضياع الراحلين وحرقات المتفارقين :

ساروا واكبادنا جرحى واعيننا ... قرحى وانفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا ... لكن ظواهرنا تشكو من الفرق
كانهم فوق اكوار المطي وقد ... سارت مقطرة في حالك الفسق
دراريء الزهر في الابراج زاهرة ... تسير هائمة في غير ما نسق
يا موحشي الدار مذبانوا كما انست ... بقربهم لا خلت من صيب غدق
ان غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا ... وان حضرتم، حملناكم على الحدق

هذه قطرات ضئيلة قليلة من بحر زاخر صخاب حفظته لنا الكتب عن تفجع القوم وتمزقهم وضياعهم ، ثم عن عرضهم آخر بضاعة لهم في سوق الشماتة التي نصبها لهم اعداؤهم فوق الرؤوس ، وهي بضاعة البكاء الذي لا يملك العاجز المقهور الفاقد لكل امل الا ان يفزع اليه ليخفف به عن نفسه الم البلوى وحرقات العذاب ، برغم انها لا تغني عنه من واقعه المهين شيئا ..

لقد تساءلت قبل قليل حين قلت : ترى الم يحدث ان اعاد التاريخ نفسه عبر القرون وكررت الاحداث ذواتها ؟ انه تساؤل أقصد اليه قصدا ، واريد من كل مواطن عربي في كل بقعة من ديار العرب أن يطرحه على نفسه وهو يطالع تاريخ الفردوس المفقود ، او أي تاريخ آخر لامم الارض التي انقرضت وبادت ، وان يجيب عنه جوابا مستقرا من التتبع الواعي لاحداث التاريخ وتقلبات الايام . ولا ريب في ان مقارنة ما حدث في الاندلس قبل خمسة قرون خلت بالذي حدث ويحدث الآن في شرقنا العربي من هجمة صهيونية استعمارية ضارية باغية ، انما هي مقارنة مع الفارق برغم تشابه الظروف من بعض الوجوه . فنكبة الاندلس ، وان اعتبرت في ذلك الحين ، والى الآن ، كارثة قومية ودينية مفظعة ، فانها كانت ـ من وجهة نظر التاريخ ـ نراجعا يكاد يكون طبيعيا لفاتحين مجتاحين لم يدفعوا الاخطار المتجمعة حولهم ، ولم يقطعوا دابرها من الاساس ، الى ان نمت ، وغلظت ، واستفحل امرها ، وواجهت القوم بما كانوا عن دفعه عاجزين .

اما الخطر المحدق بنا اليوم ، فيستهدف اقتلاع جذورنا من وطن نحن اهله من آلاف السنين ، وهذا ما ينبغي ان نضعه نصب اعيننا آناء الليل واطراف النهار، وان نعمل بوعي على درئه والقضاء عليه ، بشيبنا وشبابنا، بنسائنا واطفالنا وكل ما تملك ايدينا وتصل اليه قدراتنا، لكيلا يصيبنا ما اصاب عرب الاندلس من كوارث تقشعر لها الابدان ويعجز عن وصف دقائقها وشناعاتها افصح الوان البيان .

ولا يقولن قائل ان اسرائيل اعجز من ان تبسط اغتصابها المجرم على ارضنا العربية ونحن اكثر من مئة مليون عربي ، معللا ذلك بضآلتها الى جانب كثرتنا . ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنا القول يحمل في داخله اخطر تغافل منا عن تحليل الظروف الموضوعية التي تحيط بنا ثم عن التصدي لتلك الظروف واحباطها ، وهو يهدف بالتالي الى تهوين الخطر والمضاءلة من آثاره ونتائجه ، وهذا بالضبط ما تريد اسرائيل ان يسقط فيه المواطن العربي ، لينام متغافلا عن الخطر ، ثم لا يستيقظ الا وقد خرج الامر من يده ، فلا يملك بعد ذلك غير التفجع والدموع ، كما فعلت جموع اسلافنا التي طردت من الارض الاندلسية برؤوس الحراب .

ولئن كنا نسمع اليوم باستعدادات طيبة تقوم هنا وهناك في الاقطار العربية لمواجهة الخطر ودرئه ، او كان يهزنا جديد من اعمال الفداء الجريح .. التي تقوم بها ابناء شعبنا في فلسطين او على مشارف الارض السليب ، فان ذلك لا يعد كافيا الكفاية كلها . ذلك لان الصهيونية ليست ـ بقوتها البشرية وحدها ـ هي التي تستهدف استصفاء كياننا كما وضح حتى الآن . فهناك الى جانبها ـ وقد فرغنا من ادراك ذلك وتحسسه حتى العظم .. ـ استعمار شره متحفز ، استطاعت الصهيونية ان تجنده وتستخدمه ضدنا فيما تشاء من اغراض ، وهذا ما يجب ان نحسب له الحساب الذي يضارعه خطرا واثرا ووشيك نتائج ..

ان علينا ان نضع في الكفة المقابلة للصهيونية والاستعمار من الميزان ثقلا من قوانا الذاتية قبل كل شيء ، بحيث تصبح كفتنا هي الراجحة ، فتعلم الصهيونية ويعلم حلفاؤها ان العرب لا تؤكل لحومهم بمثل السهولة التي يتصورون .. ان وضع قوانا الذاتية في كفة عشنا اخطاره ومنزلقاته وما نزال نعيشها ، قد كان كافيا الميزان ، يعني ان نقتنع بداهة بأن التفكك المخزي الذي حتى الآن ، بل هو قد اربى على طاقة الصبر والانتظار وعن كل ما يدعو اليه تسامح او تساهل او تغافل .. ومن هذا التفكك المريع المخزي هزيمتنا الحزيرانية الاخيرة التي ينبغي ان تكون قد فتحت عيوننا جميعا على انواقع بكل اخطاره في مشرق وفي مغرب ، وطوردت منها آثار التغافل والتواكل والقعود ..

ولئن كان لاجدادنا في الاندلس بعض العذر في صنع النكبة التي واجهوها منذ خمسة قرون ، فان العذر انما يجوز لهم مع اقصى درجات التسامح حين نقارن بين ظرف وظرف وبين عصر وعصر . اما نحن فلا عذر لنا البتة في صنع مقدمات نكبتنا الحاضرة التي لا ريب في انها ستستكمل جميع عواملها ومسبباتها اذا نحن ظللنا على هذا التمزق المريع الذي نشهده في صفوف امتنا الواحدة . ان الزمن لا ينتظرنا حتى نفرغ من تحليل اسباب تمزقنا ، وان النكبة لا تتوقف ـ لاجل خاطرنا .. ـ عند منعطف من الطريق المفتوح حتى نقوم بعملية تقييم شامل لامكاناتنا وقوانا . فالاحداث تكر والايام تمر ، وما يمكننا تداركه اليوم قد يكون تداركه في غد مستحيلا ، ولن ينجو من النار ولا من العار كبير او صغير .. وانما هو حريق تاريخي عارم وعار قومي طام ، يتناول الوطن الكبير المهدد من أقصاه الى اقصاه .

ولعلني احسن صنعا ان اعرض في ختام مقالي هذا للوحة حزينة من نهاية كياننا في الاندلس ، رغم انها لوحة يكاد يعرفها الجميع ، فان في عرضي لها تأكيدا لمعنى النكبة التي واجهها اجدادنا ونواجه اليوم نحن نكبة اكبر منها ترويعا . ففي عام ٨٩٨ للهجرة ، اي بعد ثمانية قرون من عام الفتح ، هاجم الاسبانيون غرناطة ، وحاصروها ، فثبتت قليلا ، ثم انهارت وشيكا حين نفدت أقوات اهلها واكتسحهم اليأس والمرض والخوف ، فلم يجد ابو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الاحمر بدا من الركوع والتسليم للغالبين .

قالوا ، وحين سلم مفاتيح قصر الحمراء ، وخرج منه مع اهله ذليلا بائسا الى منفاه ، مشى في الطريق مطرق الراس منسحق الاحساس ، حتى اذا انعطفت به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه في غمرة الشفق بقبابها وابراجها وبواسق اشجارها ، تلفت اليها ، وارسل عليها نظرة وداع اخيرة ، ثم بكى . وكانت امه عائشة تسير الى جانبه ، فبادرته بقولها :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال ..

وهكذا اقفر الربع ، وصوح الروض ، وخرس الطير ، وتبدلت الارض ، وغام منعطف التاريخ :

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطرف وسنان

فهل نعتبر ؟.. هل نعتبر ؟.. ام ان القول الكثير المرسل قد افقدنا الاحساس بالخطر الداهم والمصير الخطير ؟

الكويت — **فؤاد الرفاعي**

امل

دنت العودة يا يوم المنى
فافتحي الاذرع يا ارض لنا
سيلين الصخر من فرحته
ويموج السهل ترحيبا بنا
ورفيق العمر ذاك الازرق الباكي
سيشدو للصبايا حولنا

وقفة في ذلك المعبد في
ذروته .. في المنحنى
وقفة لا تنسي ذل الامس
عار الامس .. غني يا دنى

الرابية ـ لبنان — **اسمى طوبي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

نموذجات من حرف الكاف

ملأ الكاس الفارغة

ويخطئون من يقول : ملأ الكاس الفارغة . ويقولون ان الصواب : ملأ القدح الفارغ ، او الزجاجة الفارغة ، او الاناء الفارغ ، لان ابن الاعرابي قال : لا تسمى الكاس كاسا الا وفيها الشراب . ونقلت جل المعاجم رأيه هذا ، واضاف التاج قائلا : الكاس الاناء يشرب فيه ، او ما دام الشراب فيه .

وقال أبو حاتم والاصمعي وابن عباد : الكاس الشراب بعينه .

وقال ابن سيده : الكاس : الخمر نفسها اسم لها .

واكتفى الصحاح والمصباح والوسيط بايراد قول ابن الاعرابي .

وحاكى متن اللغة والمحيط ومحيط المحيط التاج في قوله .

ونستفيد من هذا الاختلاف بين آراء أئمة اللغة عندنا ، لنجيز استعمال كلمة (الكاس) في حالي فراغها او امتلائها بالشراب .

وحبذا لو تضافرت جهود مجامعنا كلها لوضع معجم دقيق مفصل، لا غموض فيه ، ولا تردد في تعيين ما تدل عليه كلماته .

والكاس مؤنثة ، وقد ذكرت ست مرات في آي الذكر الحكيم . (راجع الآيتين ٤٥ و٤٦ من سورة الصافات) .

كاتو (جاتو)

ويقولون : أكل قطعة كاتو . والصواب : أكل فرنية (بضم فسكون فكسر فتضعيف) . وفي التاج واللسان : الفرنية هي الخبزة المستديرة العظيمة ، التي تروى لبنا وسمنا وسكرا . وقد اطلقها مجمع دمشق ، في الجدول رقم ٦٤ ، على الكعك المسمى بالبسكويت . ووافق عليها مجمع القاهرة في معجمه (الوسيط) وقال انها كلمة مولدة ، وجمعها فرني (بضم فسكون) .

كبده عناء

ويقولون : كبده (بتضعيف الباء) عناء شديدا . والصواب : حمله (بتضعيف الميم) عناء شديدا ، او : جشمه (بتضعيف الشين) عناء شديدا .

وفي المعاجم : من المجاز قولنا : كبدت (بتضعيف الباء) الشمس، او النجم السماء ، أي : صارا في كبدها ، او كبيدائها ، او كبيداتها ، أي : في وسطها .

تكبد نصبا

ويقولون : تكبد في سفره نصبا عظيما . والصواب : كابد في سفره نصبا عظيما ، أي : وجد مشقة وعذابا .

ويقال : كابد الرجل الليل : اذا ركب هوله وصعوبته .

وكابد الامر كبادا ومكابدة : قاساه .

أما الفعل تكبد (بفتح فتضعيف) ، فمن معانيه :

١ ــ تكبد الفلاة : اذا قصد وسطها ومعظمها (مجاز) .

٢ ــ تكبدت الامر : قصدته .

٣ ــ تكبدت الشمس السماء : صارت في كبدها ، أي : وسطها (مجاز) .

٤ ــ تكبد اللبن وغيره من الشراب : غلظ وخثر ، وصار كانه كبد يترجرج .

كتب وثياب الرجل

ويقولون : احضرنا كتب وثياب الرجل . والصواب : احضرنا كتبِ الرجل وثيابه ، لانه لا يجوز هنا ان نضيف اسمين الى مضاف اليه واحد .

ولا يجوز أن نحذف المضاف اليه الاول ، الا اذا دل عليه المضاف اليه الثاني المذكور . كقولنا : انفقت ربع وخمس راتبي . أي : انفقت ربع راتبي وخمس راتبي . فقد حذف هنا المضاف اليه الاول بعد ان تحقق الشرط المطلوب ، وهو وجود اسم معطوف (خمس) ، وهذا المعطوف عامل في لفظ آخر هو (راتبي) ، وهو مشابه للمحذوف في صيغته ومعناه ، فاستغنينا بالمذكور عن المحذوف ، أي : ان المضاف اليه الثاني دل على الاول المحذوف .

ويقول الفراء : اذا كان الاسمان المضافان متصاحبين في الاستعمال الكلامي الكثير كاليد والرجل ، وقبل وبعد ، اضيفا معا للمضاف اليه المذكور . نحو : كسرت يد ورجل اللص . ونمت قبل وبعد الظهر . ولكن اضافة الاسم الاول الى المضاف اليه واضافة الاسم الثاني الى ضمير المضاف اليه الاول ادق وابلغ . وانصح ان نقول : كسرت يد اللص ورجله ، ونمت قبل الظهر وبعده .

الكتف الايسر

ويقولون : الكتف الايسر . والصواب : الكِتف (بفتح فكسر) ، أو الكتف (بكسر فسكون) ، او الكَتف (بفتح فسكون) اليسرى . والكتف مؤنثة .

وللانسان والحيوان كتفان ، وليست مفردة كما يعتقد بعضهم ، لان وراء كل منكب كتفا . وجمعها : كتفة (بكسر فتح) واكتاف . وجاء كتوف (بضم الكاف) في قول كعب بن مالك الانصاري :

يا لهف نفسي اذ تولوا غدوة ... بالنعش فوق عواتق وكتوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كراهيـــة

ويخطئون من يقول : كراهية (بكسر الهاء وتضعيف الياء) ، ويقولـون بان الصواب هو : كراهية (بتخفيف الياء) كما نص على ذلك اللسان والاساس والصحاح . ولكن التاج ومتن اللغة يجيزان تخفيف اليـاء كالمعاجم الاخرى ، وينفردان بالقول بان تشديد الياء جائز أيضا .

وفعله هو كره يكره كرها ، وكرها (بفتح الكاف وضمها وتسكين الراء فيهما) ، وكراهة (بفتح الكاف) ، ومكرهة (بفتح فسكون ففتح) ، ومكرهة (بفتح فسكون فضم) ، ومكرها (بفتـح فسكون ففتـح) ، وكراهية (بتخفيف الياء) ، وكراهية (بتضعيف الياء) .

الكراويـــة

ويقولون : الكراوية . والصواب : الكرويا (بفتح ففتح فسكـون) ، او : الكروياء ، وهي من الابزار والافاويه المعروفة ، معربة قديما مـن اليونانية . وأجاز اللسان أن تاتي على وزن زكريا (كرويا) .

اكربـه الغـم

ويقولون : أكربه الغم ، أي : اشتد عليه . والصواب : كربه (بفتـح الراء) (الغم) يكربه (بضم الراء) كربا (بفتح فسكون) ، فالامـر كارب والرجل مكروب وكريب (بفتح فكسر) . والاسم : الكربة (بضم فسكون) .

ومن معاني (أكرب) لازما :

١ ـ أكرب الاناء : أوشك أن يمتلىء .

٢ ـ أكرب الامر : كاد يقع .

٣ ـ أكرب : أسرع (مجاز) .

ومن معانيه متعديـا :

١ ـ أكرب السقاء : ملاه .

٢ ـ أكرب الدلو : شد عليها الكرب (بفتح ففتح) ، وهو حبـل صغير يصل الرشاء (حبل الدلو الطويل) بالخشبـة المعترضة علـى الدلو ، لكي لا ينقطع الحبل من المكان الذي يلامسه الماء .

وجمع الكرب (بفتح ففتح) : اكراب .

اكتـرث بـــه

ويقولون : اكترث به ، أي : بالى به . وهو لا يكترث بهـذا الامر ، أي : لا يعبأ به . والصواب : اكترث له ، لانه يتعدى بالـلام وليس بالباء كما يرى التاج والاساس والمحيط ومتن اللغة واقـرب المـوارد والمعجم الوسيط ومد القاموس والمصباح ولا يتعدى بالباء .

ويعتقد صاحب التاج ان الامر التبس على اسماعيل بـن حمـاد الجوهري ، صاحب « الصحاح » ، عندما شرح (اكترث لـه) بقوله : بالى به . فنقل حرف الجر (الباء) من الفعل (بالى) الى الفعـل (اكترث) .

وجاء ابن منظور صاحب « لسان العرب » ، بعد نحو قرنين ونصف قرن ، وأخذ عن « الصحاح » ، دون ان يتفطن للخطأ الذي اقترفـه الجوهري ، فعثر مثله .

ولكن الاديب الباحث الاستاذ احمد عبد الغفور عطار ، عندمـا حقق الصحاح ونشره في ثوبه القشيب عام ١٣٧٦ هـ. و١٩٥٦م . فطن للخطأ فتحاشاه واكتفى بتعدية الفعل (اكترث) باللام .

ولا يستعمل الفعل (اكترث) الا في النفي ، وشذ استعمالـه في الاثبـات .

الكراسـة

ويسمون الجزء من الكتاب كراسة (بفتـح فتضعيف) . والصواب : هو كراسة او كراس (بضم فتضعيف فيهما) . والجمـع : كراديس للكلمتين كلتيهما . ويجوز ان نجمع كراسة على كراسات أيضا . وزاد المختار على هذه الجموع الثلاثة : كراريس (بفتح الكاف وكسر الراء).

كـرس

ويقولون : كرس (بفتح فتضعيف) نفسه لخدمـة الناس . والصواب : وقف نفسه لخدمة الناس ، او : على خدمتهم ، لان (كرس) هنـا ، كلمة دخيلة على العربية (يونانية) .

اما في العربية ، فان الفعل (كرس) يعني :

١ ـ كرس الاشياء : ضم بعضها الى بعض .

٢ ـ كرس البنـاء : أسسه .

٣ ـ كرس اللآلىء والخرز : نظمهـا في خيوط ، فهـي مكرسة (بضم ففتح فراء مضعفة مفتوحة) .

الكـرش

ويقولون : امتلأ كرش (بفتح فسكون) الجمل . والصواب : امتـلأت كرش (بكسر فسكون) الجمل ، أو كرشه (بفتح فكسر) .

والكرش هي من كل مجتر بمنزلة المعـدة للانسان . وتستعمـل للانسان مجازا . وهي مؤنثة ، وجمعها : أكراش وكروش .

وتعني الكرش أيضا :

١ ـ كرش الانسان : بطانته وموضع سره .

٢ ـ ثوب اكراش : من برود اليمن .

٣ ـ الكرش : ما ارتفع من الارض وأشرف .

٤ ـ الكرش : الثـوب .

٥ ـ كرش الرجل : عياله وصغار ولده (مجاز) .

٦ ـ الجماعة من الناس (مجاز) .

٧ ـ الكرش من القوم : معظمهم (مجاز) .

٨ ـ الكرش من كل شيء : مجتمعه (مجاز) .

٩ ـ وعاء الطيب (مجاز) .

ويقال نثرت المرأة كرشها لزوجها ، أي : كثر ولدها منه (مجاز).

الكـركـدن

ويطلقون على وحيد القرن اسم الكركدن (بفتح فسكون ففتـح ففتح فتضعيف) . والصواب : الكركدن (بنقل التضعيف من النون الـى الدال) . وهو حيوان عظيم الجثة ، من ذوات الحوافر ، قصير القوائم ، له قرن واحد فوق أنفه .

ويسمى أيضا الكركند (بفتح فسكون ففتح فسكون) .

وقد ذكر المتنبي الكركدن ، بتشديد النون بدلا مـن الدال ، في احدى قصائده ، التي هجا بها كافورا ، ومطلعها :

الا كـل ماشيـة الخيزلى فـدى كـل ماشية الهيذبى

وقد جاء فيها :

وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبـين الرقى

وقد قال الشيخ ناصيف اليازجي شارح ديوان المتنبي ، وتـلاه عبد الرحمن البرقوقي في شرحه للديـوان نفسه ، بان تشديد نـون الكركدن عامية ، وان الصواب هو تشديد الدال وحدها اعتمادا على ما جاء في القاموس . ووافق على رأي القاموس التاج واللسان ومتـن اللغة واقرب الموارد .

وأرجح ان المتنبي شدد النون محافظة على الوزن ، وهي عنـده ضرورة شعرية .

صيدا ـ لبنان محمد العدناني

سامحه الله نجيب محفوظ فقد اودعني مقابر « الشهيد» وانا اتحفز للمقاومة . حرمني من المقاومة وانتزع مني « سناء » وجعل « نبوية » تتزوج من « عليش » قهرا ورغما عني دون ذنب اللهم لانني كنت سجينا ، وكنت اعتقد انها ما زالت على الوفاء والحب تنتظرني مع « سناء » .. الوجه الصبوح الذي يبسط الوجوه الحزينة والكئيبه ، ويشبع غلة القلوب الظامئة . وبالرغم من انه جعل « نورة » المرأ الوحيد الذي بقي ، والذي القيت فيه المراسي آخر الامر ، فقد كنت ظامئا ـ وما زلت ـ الى وجهك يا « سناء » ، يا قطعة من النهار في عز الظهر .

وهانذا اقوم من جديد في رحاب الله الطاهرة اطلب سماحا وغفرانا لولاي نجيب محفوظ ، فقد ترفق بي في احلك اللحظات واسودها . ساعة انكرني اقرب الناس الي وتولوا عني : انكرتني « نبوية » فوجدت « نورة » ، واحتقرني « عليش » و « المخبر » فوجدت « رؤوف علوان » ، وعندما خذلني « رؤوف » اعطاني المعلم « طرزان » غدارة تساوي الدنيا اجمعين .. وفي احضانك يا نورة يحترق العالم ومن فيه . الا سناء ووجهها الابيض الصبوح الذي يشبه النهار واللبن الحليب .

ادعو دائما ان يسامحك الله يا استاذ . لان الشلة قد اجتمع اغلبها هنا .. آه لو كنت معهم ـ معنا ـ ابقاك الله واطال عمرك ـ لرأيت رؤوف ـ رؤوف فقط ـ تكفيك رؤيته دون الآخرين انه هنا معي دائما لا يفارقني ولا افارقه ، لا يبرح مكانه ابدا ، وانا ايضا يعز بحكم ما كان بيننا ان افارقه .. دائما يجلس منكس الراس .. بينما الشيخ الجنيدي يتهدج صوته بالذكر وتقطر لحيته عرقا يتصبب كحبات البللور الصافية، وكل ما فيه ابيض، وصوته النقي الصافي يهزج باستمرار .. الله اكبر ، الله اكبر ، يا رحمان رحماك.. والمريدون حوله يتحلقون، ونقمة الحب الخالص تتردد على لسان المنشد :

واحسرتي ، ضاع الزمان ولم افز
منكم اهيل مودتي بلقاء
ومتى يؤمل راحة من عمره ..
يومان يوم قلى ويوم تنائى .

آه .. لو رايتهم يا استاذ ، وقد تغير الحال ، والناس غير الناس ، لو رايتهم وهم عرايا بلا اردية ، والكل منشغل في الرحاب الطاهر ، ينتظر ساعة الحساب ؟ اما حين نلتقي بالشيخ الجنيدي ونحكي ونتسامر بحديث أهل الآخرة .. فالكل في الخشوع سواء ! ويبدو انك يا استاذ منكسا طوال الوقت .. نحن لا ننام هنا .. لان الليل والنهار عندكم فقط ، اما عندنا فالزمان موصول . وكلنا في انتظار . حين اذكر رؤوف بأيام التلمذة ينهرني واحس انه يكرهني من كل اعماقه :

ـ ألست يا رؤوف اول من جراني ؟

ـ نعم . ولكن قلت : أسرق بقدر!

ـ يا رؤوف نحن في الرحاب الطاهر فلا تكذب . ألم تقل لي بالحرف « يجب ان تسرق » .

ـ قلت ولكن نجيب محفوظ جعلك بطلا في السرقة والقتل والاغتصاب !

ـ لقد بدأت والبادىء اظلم .. فتحت الطريق لكل شيء ولم تغلقه الا بعد فوات الاوان .

ـ نحن الآن في الهم شرق .

ـ لا شرق اليوم ولا غرب !

وتهتز النظرات داخل جفونه فيقفلها بعصبية ويتأفف :

ـ تأدب يا سعيد .. فاليوم امر لا خمر .

ـ لقد عشت ايامك خمرا فاشرب اليوم امرا .

جعلني اضحك .. اضحك ملء شدقي . كنت عطوفا ورقيقا رغم جهنميتك يا رؤوف . اعطيتني ورقة بعشرة جنيهات حين لفظني السجن. ولكني اردت ان انتقم منك وطمعت في ان اسرقك جميعا بيد انك اكتشفت خطتي ثم رحمتني واطلقتني .. كريه انت وحبيب في آن معا يا رؤوف .

ـ اسمع يا رؤوف ماذا كتبت عني حرب الايام الستة ؟

ـ كتبت كثيرا .

ـ ماذا كتبت ؟ ألم تذكرني حينئذ ؟ لقد كنت اجيد التصويب. ولو استعملت غدارتي لقتلت عشرين يهوديا وحدي ، وعدت بلا خوف.. الا من : الخوف من « المخبر » و « عليش » !

ـ تأدب يا سعيد . نحن في حضرة

سعيد مهران
في العالم الآخر

بقلم حلمي محمد القاعود

لم تعلم ان رؤوف قد شرف بيننا .! اذا لم تكن تعلم فهانذا اقول لك .. بالرغم من انك تقرأ الجرائد قبلي .. دائما قبل ان تذهب الى مكتبك في الصباح . ربما لم ينشروا له نعيا فذهب بلا ضجة او مقال .. بالمناسبة كانت « نورة » تأتي بالجرائد في عز الازمة وهذا فضل منك ومنة .. رؤوف يا استاذ قد تغير .. تغير بعنف .. انه يجلس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخلود الابدي .

ـ اظنك كنت تهلل يـــوم دخلت قواتنا سيناء . وكنت تمني نفسك بكتابة اول رسالـــة صحفية مـن هناك ؟

اليس كذلـــك ؟ اعرف طموحك يا رؤوف .. كنت طموحا ونابها في حكاية الصحافة . مـن يومها وانت طموح . اني اعرفك جيدا و ..

يقاطعني رؤوف والضجر يغطي وجهه :

ـ دعنا من الدنيا .. نحـن الآن في الآخرة . لا تثقل علي ، فانـــي اكاد لا ادري !

ـ لماذا يا رؤوف ؟ هـل اغضبك كلامي ؟ لا تزعل .. لن اتكلم ..

ويبصق على الارض . ارض غـير الارض . وبصاق غير البصاق . ولا يلبث رؤوف ان ينكس رأسه .

ـ ماذا فعلت يـــا سيدي يـوم الهزيمة . اكنت تذكرني حقا ؟

ـ استحلفك بالحضرة الآلهية ان تصمت يا سعيد فاني مثقل .

ـ لماذا انت مثقل . المثقل ينظـر الى الارض دائما والخفيف ينظر الى السماء ابدا ويبدو انك وقت الهزيمة كنت تنظر الى اسفل .

اعرف انه يكره هـــذا الحديث دائما ، وان كان يحاول التقرب من الشيخ الجنيـــدي ، ويندمـج في حلقات الذكر والانشاد :

وكفى غراما ان ابيت متيما
شوقي امامي والقضاء ورائي .

وها هو صوت الشيخ يتـردد في صدى مهيب ! الله اكبر .. اللـــه حي .. رحماك يا رحمان .. والمدى طلق فسيح ، والناس عرايـا بـــلا اردية ..

احبك يا رؤوف رغم ما كان . رغم انني لم ادافع عن نفسي . لم اتمكن من المقاومة : كنت اريد قتلك لانـك قتلتني بلا رصاص . ولكني احبـك يا رؤوف . احب فيك خفة الظـل وقوة الشخصية وانسجامك مـــع الواقع حولـــك . توزع الابتسامة فتزرع الثقـــة في النفوس . وتقطب فتؤكد مدى جديتك وايمانك بمـــا تعالج من مشكلات . حتى بعـد ان لفظني السجـن اوحيت الـي انـك الرجل الهام المؤثر في حياتي . كـم احبك يا رؤوف . ولكـــن .. حين يعربد الحاضر فاني اكرهـك بكـل عنف وقسوة . ثـــم لا تنبث هـذه الكراهية ان تـــذوب حين اذكـر الماضي ! علمتني القراءة والكتابـــة وتلك احدى فضائلك التي لا تنسى . قرأت الجرائد في عز الازمة بفضلك ؛ وقرأت المقالات التي كانت تكتب عني واولها مقالاتك التـــي كنت الخيط القوي فيها .. هو الخيط الـــذي ادى الى موتي كمدا بـــلا مقاومة ! اف .. لكم اتمنى العودة الى الوراء فاكتب عنك مثلمـــا كتبت عني .. ولكن هيهات .. فالمـــوت جـدار لا يخترقـــه الرصاص ولا يهـــزه الديناميت .

بلغت قمـــة الشهـرة بقـــوة شخصيتك . وتعرفت يا رؤوف على كبار الناس في البلد فكنت مرموقـا يشار اليك بالبنـــان .. العامـــة والخاصة والصغار والكبار والسوقة والقادة ينتظرون مقالاتك الشهيرة ، تفوقت على كثير مـــن انـدادك .. والناس تروي ما تكتب كأنـه سيرة عنترة بن ذي يزن او الزناتي خليفة . اجل يا رؤوف : احبـك واكرهـك ولكن ..؟

ـ لم تقل لي ماذا كتبت بعـــد الهزيمة ؟

ـ لم اكتب شيئا يا سعيد .

ـ يقال انك اصبت بشلل !

ـ وهأنذا بعـــد الشلل اتشرف بصحبتك من جديد .

ـ مرحى .. مرحى .. ما احلى الصحبة ، وما احسن الصاحب .

وانطفأ وجهه بغتة .

ـ لا تسخر يا سعيد .. كفى ..

ـ انا ؟ انا اسخر منك ؟ معـــاذ الله ! ولكني سعيد بصحبتك .

ـ لك الحرية ان تسعد او تشقى . اما انا فدعني .

ـ كيف ادعـــك وانت المعلـم في الدنيا ، والرفيق في الآخرة ؟

وبان القهر في عينيه واضحا ..

ـ تأدب يـــا سعيد .. انت في الرحاب الطاهر . رحاب الخلـــود الطاهر ..

ـ بل في رحاب الطهر الخالد .

تبسم سعيد .. اول نسمـــة .. يا للحظ .. نطق :

ـ لا فرق فالمسألة بسيطـة .. وضحك .. دائما تضحكني يا سعيد في اشد ساعات القهر .

ـ لا فهر الآن بل عدل . ام انـك ما زلت متأثرا بالاسلوب الصحفي ؟

غمغم رؤوف :

ـ قهر . عدل . صحافة لا شيء يعنيني الآن . هأنذا معلق كريشة في مهب الريح انتظر يوم الفصل .

ـ ربما تكون من اصحاب اليمين يا سعيد فتطلب من الله ان اكـون سميرك ونجيـــك . اضحكـك واسامرك . وتخرج علبة السجائـر الكبيرة وتقول : تفضل يـا سعيد ، خذ واحدة .

ضحك رؤوف رغما عنه :

ـ انسيت انه لا توقد هنا سجائر ولا مصابيح . بل هي النار والنور . نار جهنم وحدها . اما نـور الجنة فشيء آخر لا يشتعل بالكبريت .

دائما تذكرني يا رؤوف بما انسى . ذكي انت . وتجمع الـى الذكـاء الاناقة . تعرف دائمـــا كيف تربط « الكرافتة » ربطـة تضارع ابنـاء اوربة المتحضرين . ياقـــة قميصك منشاة . لون الحذاء والشراب يتفق مع لون البدلة . قطعة فنية انت . منظرك رائع وانت ترفع يـــدك في الصباح ملوحـــا بالتحية لموظفـــي الاستعلامات . بيـــد أننـــا هنـا متساويان يا رؤوف .. عرايـا .. تكرهني ولكني احبك واكرهك فـي آن واحد .

ـ ليس هنـــا كراهية وحـــب يا سعيد .

اوريكا

اشتاقها حتى اذا جئتها ... أملأ منها العين أنكرتها
أنكر أن تجمعها نظرة ... وهي التي في الغيب أكبرتها
ملء خيالي حسنها المشتهى ... وصورة عليا تصورتها
تغيب عني كلما جئتها ... وان أغب عنها تبينتها
فحارت الروح بها واشتكت ... فعدت بالجسم فعللتها

أتيتها أمس وفي خلوة ... طلبتها - جهدي - فأخليتها
حتى اذا استلقت على ساعدي ... ولج بي اليأس ففبلتها
لمحت في ناظرها عابرا ... طيف الهوى النائي فقربتها
ورحت شوقا أجتلي حسنه ... كنجمة زهراء أمسكتها
قالت وظنت أنه حسنها ... فطوقت خصري وطوقتها
كيف ترى قلت أرى طلعة ... غراء يا ليلى تعشقتها
رأيت في عينيك يا منيتي ... تلك التي في الغيب أحببتها
مرت كلمح البرق في غفلة ... منك ولما عدت ضيعتها

حلب — عمر أبو قوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- لا يا رؤوف .. فأنت تكره جهنم .. أليس كذلك ؟ وتحب الجنة . أليس كذلك ايضا ؟ ام ان لك رأيا آخر ..

الحب والكراهية .. تذكرني بسناء . وجهك الصبوح الذي يشبه الحليب . اما انت يا « نبوية » يا خائنة تزوجت « عليش » وغدرت بي فاني افوض امري الى الله . حين تموتين سوف نتقابل . وقبل ان ادخل جهنما سوف اقف واطلب الكلمة . اطلب حقي . اقول لربي : دمرتني نبوية يا رب ولم تبق لي شيئا . كسرت هيبتي . سوف تطلبين عفوا . والعفو يقابله عفو آخر .. اعف يا سعيد يعف عنك . من يدري قد ادخل الجنة نظير موتي كمدا . قد اتبرأ من دخول جهنم نظير غدرها . من يدري . قد اعتق من الجحيم نظير ما فعله رؤوف . ولكن .. من يدري ؟

- هل رأيت سناء يا رؤوف قبل ان تشرف بيننا ؟

- من ادراني يا سعيد . بموتك انتهى كل شيء .. اصبحت وما خلفت في خبر كان .. كيف لي ان اتعرف الى سناء بعد ان رمت قتلي واهداري ؟

- دعنا من حديث القتل والاهدار . اعتقد انها الآن اصبحت عروسا يطلبها الشبان ؟

- اظن ذلك .

- وهل يخطبونها من « عليش » ام من « نبوية » ؟

- ليست مشكلة .. من اي احد .. انهم يريدونها هي .

- سوف يسألون عن أبيها من هو ؟ وماذا كان ؟ اظنهم يعرفون حكايتي بفضلك يا رؤوف ؟

كتبت عني كثيرا فأصبحوا يعرفونها جيدا .

- لا تزعج نفسك كثيرا .. سوف تتزوج وتلد ويكبر ابناؤها ويتزوجون ايضا ..

- ويذهبون الى الجبهة ويحاربون اسرائيل ..

- اعتقد انهم لن يروا شيئا من ذلك .

- لماذا ؟

- لان الحرب تكون قد انتهت .

- لو لم تقتلني يا رؤوف .. لكنت ساهمت في الجهاد . واستخدمت مهارتي . الا تعترف بخبرتي في التصويب ؟

- نعم .. انت سيد الهدافين .

- كنت قناصا ماهرا .

- البركة في شباب البلد ، فهم يتعلمون المهارة من جديد .

- ومن سيكتب اول رسالة صحفية من هناك ؟

نكأته الذكرى .. اكفهر وجهه وحاول ان يبتسم .. خانته المحاولة ، وطفق الحزن مروعا .

- اسكت يا سعيد . ودعنا من هذا .

- تكره الحديث عن الصحافة وتطلب مني ان اسكت : الى هذا الحد كرهت المهنة ؟

- ارجوك - دعنا من هذا .

- كنت تؤمن او تقول : ان لا شيء صعب على الاطلاق .

- استحلفك بسناء ان تسكت .

اسكت . نعم اسكت . وسوف اسكت .. ويكفيني ان الشيخ الجنيدي ما زال صوته الريان يتهدج وصوته المنشد يتردد في جنبات الآخرة ..

يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني اليك ولو انصفت لم تلم .

والذاكرون في صفاء يسبحون . ومناجاة الله زادهم الخالد . الله حي .. اغثنا ادركنا يا منى عيني ولست ادري الى متى اظل اضحكك واضايقك يا رؤوف . الا ان الشيخ الجنيدي سوف يكون ملاذي وملجئي حين يضيق العالم في عيني وتزايل الحيوية جسدي .. شوقي ما زال يتأجج يا « سناء » . اما انتم يا اساطين الغدر : نبوية ، عليش ، المخبر .. فأحكم بيني وبينكم رب العباد . واطلب الغفران لي ولكم ، وليسامحك الله يا نجيب محفوظ مرة ثانية .

الاسكندرية — حلمي محمد القاعود



فتحي الابياري

القصة العربية الحديثة

بقلم فتحي الابياري

* * *

لماذا لم تصل القصة العربية الحديثة بعد الى المستوى العالمي بحيث تقف على قدم المساواة مع القصص العالمية الخالدة ؟ وهل وصلت القصة الحديثة بمستواها الحالي الى المستوى العالمي ؟ وهل كانت اللغة العربية حائلا دون انتشار الفن القصصي العربي في انحاء العالم ؟ ولماذا لم يتحرر الفنان العربي من الاغلال التي تكبل انطلاقه في عالم اللاوعي اثناء عملية الخلق الفني ، ما هي تلك الاغلال ؟ وهل استطاع القصاص العربي ان يعبر عن واقعنا في اعمال قصصية كبرى ؟ واذا لم يكن قد استطاع ذلك ، فلماذا ... وما هي الاسباب ؟

اسئلة كثيرة ، ومتضاربة تبحث عن جوانب بعد ان سرت في المحيط الادبي موجة عارمة مسرحية جرفت معها عدد كبير من كتاب القصة القلائل . مما جعل بعض النقاد ينادون بأن هناك ازمة في القصة . وكان من الاجدر على كتاب القصة ان يستمروا في محاولاتهم الابتكارية لدعم كيان الفن القصصي العربي ، حتى يصل الى المستوى المنشود من الجودة والاصالة .

والذي يقرأ اعمال القصصيين الغربيين الكبار أمثال همنجواي ، وشتاينبك وبيرل بك ، وجوركي ، وتشيخوف ، وسارتر والبير كامي ، وديكنز ولورنس داريل اخيرا ، سواء في القصص الاصلي او النص المترجم باللغة العربية ، يجد فارقا كبيرا بين تلك الاعمال الادبية الخالدة ، وبين تلك المحاولات التي يقوم بها بعض كبار قصاصينا الان . فما السر في هذا ، وهل هذا يدل على اننا حتى هذه اللحظة لم نصل الى المستوى العالمي في هذا الفن الذي مارسناه بما يقرب من نصف قرن تقريبا .

ان الدارس المتخصص في الفن القصصي يرى انه منذ ان الف الدكتور هيكل قصته « زينب » ، وما تبعها من قصص ، ونهضة قصصية باقلام محمود تيمور والحكيم والمازني ونجيب محفوظ والسباعي وثروت اباظة وعبد الحليم عبد الله ويوسف ادريس . ان تلك الاعمال القصصية لم تصور في اغلبها الواقع المصري الصميم . ولهذا كانت بعيدة كل البعد عن انفسنا ولم يجد فيها الغرب شيئا جديدا يجذبه اليها ، لانها كانت خالية من اهم صفة من صفاتها وهي روح الشرق .

اما تلك الاعمال القصصية التي عبرت بوضوح وصدق فني عن حياتنا الساذجة ، البسيطة ، او التي صورت ذلك الصراع العنيف بين ابناء هذا الشعب وبين الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت تحيطهم ، هذه الاعمال القليلة للحكيم وتيمور ومحفوظ وادريس وغيرهم من الكتاب ، ترجمت الى بعض اللغات ، ووجدت التقدير في الاوساط الادبية هناك .

اذن ، فلدينا بعض البذور الصالحة ، لكي تكون قصتنا العربية من القصص العالمية ، فلماذا لم تقف على قدم المساواة مع قصص خالدة مثل وداعا للسلاح ، ستشرق الشمس ثانية ، اللؤلؤة ، رجال وفيران ، الارض الطيبة ، الام . واعمال جوركي وتشيخوف وغيرهما من الكتاب الروس ، وقصة مدينتين ، ودافيد كوبرفيلد ، ورباعيات الاسكندرية ، وهناك المئات من القصص التي تهز النفس البشرية في اي مكان في العالم ، أعود فاكرر السؤال مرة ثانية .. لماذا اذن لا توجد عندنا امثال هذه القصص ؟!

يرى فريق من الكتاب والنقاد اننا لم نصل الى هذا المستوى لان لغتنا العربية لا يتحدث بها عدد كبير مثلما يتحدث عدد كبير من ملايين البشر باللغات الانجليزية او الفرنسية مثلا . وبعضهم يرى اننا ما زلنا في مرحلة الطفولة بالنسبة للفن القصصي بالمفهوم الحديث لفن القصة . وآخرون يرون انه حتى ولو كتبنا اعمالنا بلغات اجنبية ، فان الناشرين الاجانب لا يفسحون المجال للكتاب العربي بسبب التعصب في اغلب الاحيان . وان القصة العربية الحديثة تكاد تتفوق على القصة الغربية الحديثة الآن ...

وهذه الآراء المتضاربة أيضا تدل على اننا ينبغي ان نوجه اهتمامنا الى هذا الفن الخالد ، فمثلا نلاحظ ان الذين يكتبون القصة في هذه الايام اغلبهم من الصحفيين،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين يتخذون اسلوب القصة في رواج مجلاتهم . ولذلك يطالعون القارىء العربي بانتاج قصص هزيل ، والسبب في ذلك السرعة المذهلة التي ينتجون فيها قصصهم ، وعدم تمكن كثير منهم من اللغة العربية ، والاسلوب الفني والحبكة القصصية الاصيلة . واذا بسيل من القصص والمجموعات القصصية الغير ناضجة تغمر الاسواق الادبية ، تصاحبها موجة عارمة من الدعاية والكتابات من اقلام الاصدقاء ، اما اقلام النقاد ، فقد اتجهت الى الميدان المسرحي ، واصبح ميدان النقد القصصي خاليا الا من بعض الاقلام الهادفة ، ولكنها لا تجد لها مكانا تحت شمس الفكر . وهذا يؤدي بطبيعة الحال الى تدهور الفن القصصي ، وبالتالي يجعلنا دائما متخلفين لنأخذ مكانا في المحيط الادبي العالمي .

وسبب آخر هو اننا عندما نقتبس بعض الاساليب الجديدة في البناء الفني للقصة من الادب الغربي ، نقتبسه ظاهريا فقط دون تعمق او اضافة شيء جديد من ذاتيتنا . كأن نقتبس مثلا تصميما رائعا « لفستان » اعد خصيصا لجسم معين وشكل معين ، فاذا بنا نضعه على جسد ضخم لا يتناسب او ضئيل لا يتناسب مع التصميم . فاذا المنظر الاخير يثير فينا السخرية والتهكم . لان عنصر التناسق قد انعدم نهائيا .

ففي قصة « الرجل الذي فقد ظله » لفتحي غانم مثلا ، اعجب الكاتب بالاسلوب الجديد الذي انتهجه الكاتب الانجليزي لورنس داريل في « رباعية الاسكندرية » جوستين ، بالثازار ، مانتوليف ، كليا وهي القصة الضخمة التي احدثت دويا في المحيط الادبي العالمي ، والقصصي خاصة . لقد اعجب الكاتب العربي بالاسلوب الجديد « لدرايل » وهو تصوير الشخصيات من عدة زوايا مختلفة . فكانت لكل شخصية من شخصيات القصة الرئيسية عدة ابعاد ، بل جعل القارىء نفسه يضع بعدا خامسا او رابعا للشخصية . فاتخذ الكاتب العربي هذا الاسلوب ووضع لنا رباعيته التي صور فيها شخصيات « مبروكة . سامية محمد ناجي . يوسف » . ولكن العمق في التحليل ، ودراسة الشخصية الانسانية في اعماقها . وتحليل الاحداث والمواقف بدقة . كما راينا في رباعية « داريل » . لم يوفق الكاتب العربي الى مثل هذا في روايته . وشغلته القشور والاحداث العادية البسيطة عن التعمق والتحليل . وتساءل .. ما الجديد الذي سيفاجأ به القارىء الغربي عندما نترجم له هذه القصة .. اذا كانت الطريقة الجديدة في تصوير الشخصيات قد اعجبته ، فلا شك انه سيهرع الى الاصل . وهو اروع واعظم . واذن فما هي الروعة التي ستشد انتباهه في القصة العربية ؟

ان محمود تيمور مثلا ، قد استطاع ان يتفهم « التكنيك » الفني للقصة على مذهبه الحديث . فدرسه بعمق . ثم اخرج لنا اقصوصة او قصة عربية اصيلة من واقعنا الملموس والشخصيات التي نصادفها ونقابلها في حياتنا بتقاليدها وعاداتها . ثم تبلور كل هذا في العمل الكبير الذي اخرجه لنا نجيب محفوظ في ثلاثيته المشهورة : وفي بعض الاعمال القصصية .

ولكي تكون لدينا قصة عربية ذات مستوى عالمي ، ينبغي على القصاص ان يغوص في الاعماق السحيقة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ليصوره ويحلله ، ويضفي عليه من ذاتيته . ثم يصور كل هذا في صدق . فالصدق الفني يكاد يكون معدوما في كثير من الاعمال القصصية التي تغمر الاسواق الادبية عندنا . هذا الصدق الفني هو الذي يجعلنا نعيش مع شخصيات « الام » لبيرل بك . او « كينو » في اللؤلؤ لشتاتينو . او « دافيد » لشارلز ديكنز . او جوستين ، وميليا ، وبالثازار ، « وكليا » في رباعيات الاسكندرية .

هذا الصدق الفني الذي يجب توافره في القصاص العربي هو السبب المباشر في عدم مواكبة الاديب للواقع الجديد في مجتمعنا . لان بعض الادباء لم يكونوا في الماضي صادقين مع انفسهم . فجاء ادبهم صورا مهزوزة . غير واضحة المعالم ورأينا شخصياتهم مسطحة . مريضة . سلبية . لا نماء فيها ولا اثراء .

وربما يرجع هذا الى ان القصاص العربي كانت نفسيته مكبلة بعدة اغلال وقيود اجتماعية ، و سياسية او بيئية . وعندما تحرر من تلك القيود ، لم يعتد على تلك الحرية الجديدة . فهو في مرحلة جديدة تحتاج الى تغيير جذري داخل نفسيته ، وهذا يحتاج الى وقت ليس بالقصير .

وهناك ملاحظة استرعت انتباهي ، بالنسبة للقصاصين العالميين ، وهي ان لكل منهم فلسفة معينة بالنسبة للانسان والحياة والمجتمع . وربما يرجع خلود اعمالهم القصصية ، وعالميتها الى هذا السبب . فجوركي مثلا كان يرى انه يجب ان يحترم الانسان لا ان يكون موضع الشفقة . فالشفقة اهانة . وقد وصل به الحد الى الايمان بالانسان كشيء مطلق . وقد برزت هذه الفلسفة في كثير من اعماله ـ وهمنجواي ، كان يرى ان الانسان قد خلق ليكون مصارعا في كل خطوة يخطوها . فهو مصارع لقوى طبيعية وقوى بشرية . واذا ما انتهى عنصر الصراع فقد الانسان قيمته . وربما كان هذا هو السبب في انتحاره . لانه راى عدم جدوى الصراع مع المرض الذي اصيب به طالما كانت النهاية الاخيرة هي الموت . فآثر ان يخرج من الصراع منتصرا ، بأن يصرع نفسه قبل ان يفتك به المرض .

وشتاينبك كان يبحث عن حقيقة الانسان في اللؤلؤة ، و « فيفازاباتا » وفي كثير من اعماله الاخرى الخالدة . اما « البير كامي » فكان يرى في التمرد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحر الغريق او بحر جدة

قيلت امام البحر الاحمر

من ذكريات مدرس بمعهد المعلمين في جدة ـ المملكة العربية السعودية

سجا . وأطرق حينا ... يجتر دهرا دفينا
يحكي اذا هو أصغى ... فهل سمعت مبينا
قضى على الشك لما ... رأى السكوت يقينا
مثوى الثعابين ماذا ... خبرت منها فنونا
أمواجك الحمر غاصت ... تبغي الملاذ الامينا
غرقت يا بحر فيها ... فهل رجعت جنينا
وانت اكبر شيء ... يرى رهيبا رصينا

صمت العظيم جلال ... يحرك الصامتينا
أبقى وأرسخ حكما ... لقاهر ان يلينا
رأيت شطك يغفو ... والليل يكسو عرينا
ملك ينام قريرا ... ويستفيق مصونا
يزجي الاساطيل جندا ... له . ويجري السفينا
ويطعم الناس طرا ... لحما طريا سمينا
وهل يكون عظيم ... الا لجود قرينا

غرقت في جبروت ... لا مستذلا حزينا
وكيف يغرق قلب ... يفيض حبا ودينا
لا مستقرا وديعا ... ولا حقودا ظنينا
يا للغريق بهيجا ... حلوا ، أبيا ، مكينا
يبني الحياة ويهدي ... بصمته الحائرينا

طرابلس ـ لبنان — سليم الرافعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانطلاق غاية الانسان الذي كبل بالقيود منذ مولده . وحتى الموت . لذلك كانت الحياة بالنسبة اليه عبثا واي عبث . وسارتر كانت فلسفته الوجودية الواضحة غزوا في الفكر المعاصر العالمي ، ثم استغل الاسلوب القصصي في نشر فلسفته عن طريق الاعمال الفنية . واعتقد ان لكل قصاص عالمي ، فلسفة معينة ، تعتبر الاساس الذي يشيد عليه بنيانه الفني الشامخ .

واذا بحثنا عن فلسفة القصاص العربي الخاصة ، فاننا لن نعثر على فلسفة واضحة تميزنا . وتميز الانتاج القصصي الذي نطالعه . وربما يرجع هذا الى اننا قبل الثورة ، كنا نعيش بفضل الضغط الاستعماري بلا شخصية واضحة ، او فلسفة معينة تحدد طريقنا . اما الآن فنحن في سبيل تكوين فلسفة جديدة وأومن ايمانا كاملا بأن الايام القريبة التالية ستخلق لنا القصاص العربي ، بعد ان تتكون له الفلسفة الخاصة بحياتنا ومجتمعنا وبالانسان الجديد ... الذي يغزو الفضاء .

القاهرة — فتحي الابياري

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

يوسف حنا - خليل طوطح

فؤاد شطاره - علي شعث

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ يوسف حنـا

في اعقاب القرن التاسع عشر ولد « يوسف » حنا في طنطا بمصر من ابوين سوريين ولتتم الرسالة على احسن وجه ، ولربح الفكر قلما من اخصب الاقلام درج « يوسف » في بيت مناوح للبيت الذي يقطنه مصطفى صادق الرافعي صاحب « اعجاز القرآن » . وبحكم الجوار اولا والعرق السوري ثانيا تفاعلت اسرتا « الرافعي » و « حنا » في المشاعر والتقاليد والعادات ، واقبلتا على هضم ما في الدارين من كتب ومجلات وموسوعات !

وشب الفتى « يوسف » عن الطوق ، ولزم الفقيه الشيخ محمد المالكي الابياري ومصطفى صادق الرافعي وتاسى خطاهما ووجد في دارة اهله وفي دارة آل الرافعي رفوفا مزدانة بكتب في اللغة والفقه والادب فاقبل على هضمها وعرض ما تعذر عليه فهمه على الشيخ الابياري والاستاذ الرافعي فكانا يسهلان صعبه ويشرحان غوامضه .

ووقف « يوسف » على روائع الادبين القديم والحديث وألم باسرار البلاغة وهام بالمدائح النبوية وبالاناشيد والاذكار التي تتلى في حلقات الذكر .

وبعد ان وضعت الحرب العالمية اوزارها واستقام عود « يوسف » كانت الامبراطورية العثمانية متداعية الاركان وكان الانكليز يدخلون فلسطين بحق الفتح وهم يتطلعون الى شبان يحسنون العربية والانكليزية فكان « يوسف » في عداد من وقع عليهم الاختيار .

وفي عام ١٩١٧ بارح مصر الى فلسطين ودخلها مع (حكومة اراضي العدو المحتلة) وعلى رأسها الجنرالان بولز وستورس . ووفقا للتقسيمات الادارية عين « يوسف » رئيس كتاب في دائرة حاكم غزة ، وبحكم الوظيفة تنقل بين بير السبع وغزة ويافا . وفي شهر اذار ١٩٢٩ اقبل على الادب ونعت من غزة باول مقالة الى جريدة « السياسة الاسبوعية » دفاعا عن المدرسة الحديثة .

وفي اول زورة قام بها للقاهرة احتفى به الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير « السياسة الاسبوعية » ومحرروها وحضه مؤلف « حياة محمد » على الاستقالة من عمله الحكومي ، اذ دلل في اول مقال نشرته « السياسة الاسبوعية » على انه اديب اصيل وشجعه هيكل على السير في درب الصحافة ليستعين بها على الادب ، فاستجاب « يوسف» لنداء منشىء « السياسة الاسبوعية » وسلخ عامي ١٩٣٠ و ١٩٣١ في القاهرة وكتب في « السياسة الاسبوعية (١) » و « اليوم (٢) » و « الضياء (٣) » و « المقتطف (٤) » واقبل على ترجمة طرائف برتراند رسل وكان ينشرها في « المقتطف » . وابرز مقالاته « الاستهتار » .

وفي عام ١٩٣٢ عاد « يوسف » الى فلسطين ليكون اليد الطولى للاستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة « فلسطين » اليافية وظل يعمل في تحريرها لغاية عام ١٩٤٨ وجرى قلمه بفصول ادبية رائعة كان ينشرها على صفحات « فلسطين » ودارت بين المغفور له الملك عبد الله بن الحسين وبين « يوسف » أبحاث وردود في الادب العربي كانت « فلسطين » مسرحها .

تميز « يوسف حنا » باسلوب عربي مشرق ، قل هو السحر الحلال ، ويزيده وهجا وتألقا وقوفه على الادب الانكليزي وتأثره ، منذ حداثة سنه ، باعلام الادب الفرنسي امثال « بيير » صاحب « الكوخ الهندي » وباعلام الادب الانكليزي امثل « هـ. ويلز » و « برتراند رسل » .

وزاد في وعيه ونورانية عقله تعاليم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد المالكي الابياري ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم من اخوان هذا الطراز العالي .

وزاد اسلوبه اشراقا وديباجته تألقا واستهلاله براعة اقباله على القرآن الكريم بصوره البيانية المشرقة . واثرت فيه طبيعة الحياة الريفية بطنطا واحاديث الشيخ الظواهري شيخ الجامع الاحمدي بطنطا.

نموذج من شعره : كانت تربط « يوسف حنا » بالمغفور له الدكتور حسين فخري الخالدي صلات موطدة على الوداد والالفة . وبعد ان انتقل الدكتور الخالدي الى الرفيق الاعلى رثاه « يوسف » بقصيدة غمسها بذوب قلبه ودونك ابياتها :

وفيت للحق ما أوفى على الطلب	ففال بالموت ماتاه على الرحب
عابوك انك لم تذهب مذاهبهم	ماذا على الشهب ان جادت عن الدرب
يغنيك نلت الذي أملت من أجل	هذا الكتاب فسجل آية الحقب

أثارك الشوق فاسترخصت فديتها	يا باذل النفس حاذر باذل الذهب
لما تعاليت ما استهوتك منزلة	واذ تجردت لم تسكن على أرب
فارقت دنياك لا مال ولا نشب	مآثر المرء كل المال والنشب
«حسين» ! مثواك بين الخالدين هنا	وانت في الله بين الخيرة النجب

وفي عام ١٩٦١ فجع « يوسف » بوفاة شقيقته « وهيبة » في طنطا فآله فقدها ورثاها بابيات تنضح أسى ولوعة :

طويت ومن ذا يدفع الموت طاويا	حنانيك..هل خلفت في مصر باكيا
أهبت بماء النيل اذ جف مدمعي	ففاض وكان العهد بالنهر جاريا
أأختاه هذا بعض ما جلب النوى	تناكرني النيل الحبيب مجافيا
أتاك الردى بعد الثمانين خاشعا	يقول : كفى أديت قسطك وافيا
أحقا جهدت الموت عشرا لتتقي	فما نلت مأمولا ولا شمت آسيا
الى الله أشكو حسبي الله مشتكى	نفى الموت بعد النازحين التشاكيا

وفي السابع والعشرين من شهر ايلول ١٩٦٤ نشر « يوسف » في العدد الصادر بهذا التاريخ من جريدة « الدفاع » المقدسية مقالا افتتاحيا بعنوان : « في السبعين » على طريقة طه حسين في كتابه « الايام » . ولقد اثرنا اثباته كنموذج لنثر هذا الاديب الاصيل :

« في مثل هذا اليوم (٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٦٤) من سبعين عاما مضت

١ ـ جريدة اسبوعية صدرت في القاهرة عام ١٩٢٦ وصاحب امتيازها حزب الاحرار الدستوريين ورئيس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل باشا .

٢ ـ جريدة يومية صدرت في القاهرة عام ١٩٣٠ وصاحب امتيازها توفيق دياب .

٣ ـ جريدة يومية صدرت في القاهرة عام ١٩٤٠ وصاحب امتيازها الدكتور محمود عزمي .

٤ ـ مجلة شهرية صدرت في بيروت اولا عام ١٨٧٦ وصاحبا امتيازها الدكتور يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧) والدكتور فارس نمر (١٨٥٦ ـ ١٩٥١) وفي عام ١٨٨٤ انتقلا بها الى القاهرة وفي عام ١٩٥٢ احتجبت عن الصدور .

كانت سيدة تقية ، نقية ، منقطعة في بيت من بيوت الله ، تتهجد ، وتتعبد ، فما راعها الا ان تفاجأ بالشدة والاوجاع ، تأخذها في عنف وقوة ، الا انها تماسكت ، وهرولت مسرعة ، لعلها ان تعود الى المنزل قبل ان تتعسر ... في الطريق ، ولكن القدر خانها فيما تطلعت اليه من أمل ، ووضعت مولودها في الشارع ... وكان الطريق الذي تفتحت عليه عينا الطفل ، اول ما تفتحتا على دنيا الناس ، وهو يستشرف عليها ، ساعة خروجه من دنيا الاحشاء ، هو طريق مسجد السيد البدوي .

واحتفظ الطفل في نفسه ، بحرمة خاصة للمسجد المذكور ، زادتها الايام وثاقة وصدق شعور .. وكان لمصطفى صادق الرافعي نصيب وافر في توثيق تلك الصلة . كان مصطفى اذا اصطحب معه صبيا ، في بعض جولاته في المدينة ، ومرا بضريح السيد ، وقف مصطفى خاشعا وقرأ الفاتحة ثم مسح على وجهه وصدره بيده ، واستأنف السير ، والتفت الى الصبي يقول : « في هذا المسجد تلقى الشيخ الامام محمد عبده دروسه في مطلع حياته ، وأنا لا تفوتني قراءة الفاتحة كلما مررت بالمسجد الاحمدي ، حرصا مني على احترام ذكرى الشيخ الامام » .

وكان صبينا قد بلغ الحادية عشرة من عمره ، حين انتقل الاستاذ الامام الى الرفيق الاعلى ، الا انه كان يعي تمام الوعي مبلغ ما أثار احتجاب الشيخ من لوعة في القلوب . وكانت لحياة الشيخ وفضائله اثر في نفوس الجيل ، لا يتطاول اليه سوى اثر الشيخ جمال الدين الافغاني ، واستاذ الجيل احمد لطفي السيد . وبعد وفاة الشيخ محمد عبده بعام وقعت مأساة « دنشواي » التي تعمد فيها الانكليز البطش بالمصريين واذلالهم ولكن مصر لم تستذل ، واضطرت بريطانيا ان تقيل اللورد كرومر عام ١٩٠٧ ، أي بعد عام واحد من تاريخ مأساة دنشواي، وكان صبينا قد بلغ الثالثة عشرة من عمره . وقد كانت تلك المأساة نقطة تحول في صلات مصر بالانكليز ، تماما كما كانت مأساة فلسطين نقطة تحول في صلات العرب ـ كل العرب ـ بهم . فلقد ثار الجيل الجديد في مصر ، بعد جريمة دنشواي ، على الفكرة التي كانت تدعو الى وجوب الانصراف اولا الى صلاح الشؤون الداخلية في مصر ، وبخاصة نشر التعليم ، ومن ثم يتفرغ المصريون لطرد الانكليز . اما الدعوة الجديدة فكانت تنادي بانه لا صلاح يرجى في الشؤون الداخلية في مصر ما ظل فيها انكليزي واحد . وكان يستشهد المصريون على ذلك بـ « دانلوب » الذي تولى شؤون التعليم في مصر سنوات طويلة ، فتعمد ان يقتصر التعليم فيها على القسم الابتدائي اذا تيسر ... وحصر التعليم الثانوي في بضعة مدارس في القاهرة والاسكندرية ، ومدرسة واحدة في شبين الكوم . وكان الصبي في السادسة عشرة من عمره ، حين اصطدم بـ « دانلوب » ذاك واضطر ان يغادر مصر الى جامعة بيروت الامريكية ، حيث قضى بضعة ايام ، ثم اصطدم باستاذ انكليزي آخر هناك اسمه « ليتل » فعاد الى مصر حيث قاده حسن الطالع الى لقاء استاذه وصانعه الشيخ محمد المالكي الكبير .

وفي طريقه الى بيروت مرت الباخرة بيافا ، فشاهدها الصبي من بعيد لبعيد ، وكان كل ما يعرفه عنها انها ذكرت في احدى رسائل بولس الرسول ، وان نابوليون ارتكب فيها الكثير من الكبائر ، وانه ذبح الجنود الذين دافعوا عنها حين دخلها فاتحا . اما فلسطين فشيء كان يجهله ولا يذكر ان اسمها قد مرت به عيناه ، وهو يقرأ ، وما اكثر ما اعتاد ان يقرأ منذ عهد طفولته !

وفي يوم من أيام طفولته تلك ، دخل الصبي غرفة أخيه جورج ، الذي احتضنه بعد وفاة ابيه وهو رضيع ، فاسترعى نظره كتاب مجلد بجلد أسود جميل ، وقد كتب عليه بحروف بارزة « القرآن الكريم » فسأل أخاه : « ما عسى ان يكون هذا الكتاب ؟ » فأجابه جورج « انه هدية من اخينا مصطفى » ثم استطرد فقال : « ولو قدر لك ان تدرس هذا الكتاب دراسة صحيحة وتتفهم اعجازه البياني ، فلعلك ان تملك، في مستقبل أيامك ، الاداة اللازمة لان تصطنع من الاساليب البيانية ، ما عسى ان يسلكك في زمرة الاعلام البيانيين الذين يتزعمهم في هذا العصر مصطفى » .

وانصرف الصبي وهو يفكر في هذا الكتاب الواحد الذي عسى ان ينشيء من المرء العادي اديبا مرموق المكانة . وعلى بالغ ما يقدر الصبي من أثر جورج ومصطفى في توجيهه الادبي ، فلقد كان لاستاذه وصانعه الشيخ محمد المالكي الانباري الفضل في تدريسه القرآن الكريم وهدايته الى اسرار الاعجاز فيه . كان الشيخ يملك من حطام الدنيا عشرين فدانا يتجمل بريعها على العيش ، أما ما كان يستحق له من اجر طوال حياته التدريسية ، على جلال شأنها ، فلقد كان يعف عن تناوله ، ويوصي المعاهد التي يعمل فيها ، بان تنفقه على فقراء التلامذة . وكانت صوفية الشيخ الابياري من مادة صوفية الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وهي تعني في حقيقتها الكبرى الترفع عن الدنايا ، لا احتقار الحياة او الانقطاع عنها . كان الشيخ حين تولى تدريس الصبي قد جاوز الستين من العمر ، الا انه كان بالغ التانق في ملبسه وفي تصرفاته وفي كل ما من شأنه ان يظهره امام الناس بمظهر الانسان الكامل ، الذي يعطيك من جلال مظهره ، صورة عن جلال مخبره ، وكان تلامذة الشيخ يجدون في دروسه ومحاضراته عن القرآن الكريم ، كل ما عسى ان يقرب هذا الكتاب المعجز الى افهامهم ، كما كانوا يجدون في حياة الشيخ المثل الاسمى لحياة الرجل الكامل ، فأحبوه أشد الحب ، وتقيدوا بمناهجه في الحياة ما وسعهم ذلك .

وما اكثر ما كان يتحدث الشيخ الى تلامذته عن جمال الدين الافغاني وعن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكلاهما من مشاهير رجال التاريخ ، وعن رجل آخر مغمور ، لشد ما كان يتانق الشيخ في حديثه عنه ، كلما ذكره ، وما اكثر ما كان يذكره ، وكان هذا الرجل المغمور هو الشيخ حسين والي ، وكان المالكي يقول لتلامذته « حسين والي » ذاك ، هو رئيس لجنة الاوقاف ـ في العصر الذي لم تكن فيه للاوقاف وزارة ـ وفي احدى جلسات تلك اللجنة برئاسة الشيخ حسين، فاجأ افندينا عباس حلمي ، اللجنة بزيارته ، فامتعض الشيخ وقال لافندينا : « ما مقامك بيننا ؟ » فاجابه افندينا : « لي طلب استبدال أرض من أراضي الدائرة السنية ، بأرض من أراضي الاوقاف ! » فقال له الشيخ ، في وقار الرجل المؤمن : « اترانا هنا أمناء على أراضي الدائرة السنية ، أم على الاوقاف الاسلامية وهي : اموال لله في أيدينا ؟ » .

وكان تلامذة الشيخ المالكي يتتبعون الشيخ حسين والي في روحاته وفي غدواته ، من بعيد لبعيد ، معجبين به ، مقدرين مناهجه السليمة في الحياة .

وتصادف ان زار افندينا مدينة طنطا ، في تلك الايام ، فاستقبله تلامذة المدارس بالهتافات الرسمية المعهودة ، وشذ عنهم تلامذة الشيخ المالكي فلقد هتفوا بحياة : الخديوي الدستوري ... ولم تفت الفمزة ملاحظة أفندينا ، فأمر بان يقضي الهاتفون ليلتهم تلك في الكراكون !

ولم يقتصر النفوذ الادبي في توجيه الصبي ، في مستهل حياته على بيئة مسجد سيدنا الحسين وشيوخه ، ففي الحق انه قد كان (لدراويش) السيد نفوذهم ، هم الاخرون ، على خياله ، وكان أحب اولئك (الدراويش) الى قلبه وآثرهم عنده عمي الشيخ « طلبة » . كان الشيخ فارع الطول ، عريض الالواح ، تائه النظرات ، أجش الصوت ، حاضر النكتة ، متوددا الى القلوب ، وكان يقضي نهاره قضاء عامة الناس ، فاذا آذنت الشمس بالمغيب ، انقطع الى «الترب» أي المقابر القديمة ، وكانت تقوم على تل عال ، ليقضي الليل في ذلك المكان الموحش ، الذي كانت تالفه ـ كما اعتاد ان يتوهم الصبيان من المعجبين بالشيخ طلبة ـ الارواح والعفاريت طوال ساعات الليل . وكان الشيخ اذا سئل عن الحكمة في انقطاعه في ذلك المكان المسكون ... أجاب : للتجلي ! وكان الشيخ « طلبة » مرجعا لتفسير ما يستعصي

على الصبيان فهمه .

وفي ذلك العهد الذي كانت بيئة سيدنا السيد تتجه بالصبي هذا الاتجاه الادبي ، العاطفي الجميل ، ساهمت كبرى شقيقاته في تنمية اتجاهه ذاك ، فلقد شرعت تقرأ له في تلك السن المبكرة روائع ائمة الادب الرومانتيكي باللغة الفرنسية ، وهو كان شائقا شيوعا طاغيا في بلاد العرب ، في ذلك العهد البعيد . وكان أحب اولئك الائمة الفرنسيين الى قلب الصبي هو « برناردين دي سان بيير » وكانت شقيقته تهز نفسه هزا عنيفا ، وهي تقرأ له روائع « برناردين » وبخاصة « الكوخ الهندي » . وهو يرد ولعه بالطبيعة الى عهد طفولته الذي تفتح فيه ذهنه على تلك الآداب التي كانت تدعو الى تمجيد الطبيعة ، والبساطة في العيش . وبلغ من اعجاب الصبي بتلك الفنون الادبية انه اخذ يدرس اللغة الفرنسية ، ولكن سرعان ما زهد فيها وفي الادب الرومانتيكي حين التحق بكلية سانت ماري في القاهرة ليتقن اللغة الانجليزية التي قادته الى التعلق باعلام الادب البياني ، وكان أشدهم اثرا على ذهنه : جوزيف اديسون ، وصموئيل جونسون . ولكنه لم يكد يتجاوز العشرين حتى تعلق بالنقاد الاجتماعيين ، اولئك الذين هدموا ، وبنوا ، في ثورة من الفكر بعيدين عن العنف ، وهذا الانحراف الاخير الى الآداب الاجتماعية نقل الصبي من دنيا الخيال العذب ، وتمجيد الطبيعة ، الى عالم الحياة في حقائقها المريرة ، وفي مسؤوليات الفرد نحو المجموع . وكان اثر « هـ. ج. ويلز » و « جورج برنارد شو » حاسما في هذا الاتجاه الجديد . وما كان يمكن للصبي ان تتيسر له مثل هذه الطفرة ، في اتجاهه الفكري لولا ما قرأ من قبل من آثار تولستوي ودوستويفسكي وغيرهما من اعلام الادب الروسي . ولما توفي تولستوي في عام ١٩١٠ ارتدى صبينا ربطة عنق سوداء حدادا عليه .

وفي عهد دراسته في كلية سانت ماري ، استدعته في احدى الامسيات مديرة الكلية الاميركانية للبنات في غمرة وقالت له : ساتخذ منك الليلة فارسا ... حارسا ... لترافقني مع احدى طالبات الكلية في عودتنا اليها . وفي الطريق من شارع قصر النيل ، الى « غمرة » علم الفتى من الفتاة التي يرافقها ، مع معلمتها الى الكلية ، ان اسمها « نعيمة » ثم لقد علمه القدر ، من بعد ان هذه الفتاة هي التي حسمت في تقرير مصيره ، ومنذ النظرة الاولى ، ما حسمت فيه فلسطين ، ومنذ مر بيافا مروره العابر في طريقه الى بيروت . وبعد ثلاث سنوات من تاريخ أول مقابلة بينهما جاءت الفتاة لتودع الصبي قبل زواجها . وعلى شاطىء النيل الجميل تقابلا مقابلتهما الاخيرة ، وعلى مشهد من النهر الخالد تعاهدا على ألا يحول حائل دون ان يجري حبهما جريانه الدائم ، كالنيل لا ينقطع له جريان في جفاف او فيضان . وكان الصبي حين ودعها وودع معها ملاعب طفولته وصباه ، ميمما شطر فلسطين ، على وشك ان يتم الثالثة والعشرين من عمره ، وكانت الحرب الكبرى الاولى تجتاز احرج مراحلها ، ولكن لم يكن بد مما ليس منه بد ... وقد لقي الصبي في فلسطين خلال خمسين عاما من حياته فيها ، الوطن الغالي الذي احبه حب مصر الغالية » .

٢ ــ الدكتور خليل طوطح

ولد في « رام الله » بفلسطين عام ١٨٨٧ وتلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه ودروسه الثانوية في مدرسة برمانا الانكليزية بلبنان وبعد ان نال شهادتها قصد الولايات المتحدة وتخرج من « جامعة هارفرد » واكتسب الجنسية الاميركية .

وفي الحرب العالمية الاولى انخرط في الجيش الاميركي ، وعاد الى فلسطين بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، وفلسطين يومئذ بحاجة ماسة الى هذا الطراز الناضج المبصر من المربين فتولى ادارة « دار المعلمين » في بيت المقدس .

وبعد انفكاكه عن العمل في « دار المعلمين » رجع الى الولايات المتحدة ونال « الدكتوراه » في العلوم والتربية وكانت الاطروحة التي قدمها بعنوان : « التربية عند العرب » .

وفي عام ١٩٢٦ عاد الى فلسطين وتولى ادارة « مدرسة الفرندز » برام الله وظل يعمل فيها شوطا واحدا حتى سنة ١٩٤٤ .

وقد كان المرحوم طوطح علما من اعلام التربية والتعليم بفلسطين ، مؤمنا أشد الايمان برسالة التربية الصحيحة ، مجاهدا في ثبات وعنف لادائها ، شديد التمسك بالنظام والمحافظة على المواعيد والروح الرياضية وجميع مقومات الشخصية المتكاملة ، لانه كان يعتقد ويعيش اعتقاده بان التربية السليمة المتناولة جميع نواحي الشخصية هي الاساس المتين لتكوين أمة تجاري الزمن .

وكان يؤمن كذلك بشرف مهنة التعليم وينفخ في تلاميذه ، وخاصة بدار المعلمين بالقدس روح الاعتداد بهذه المهنة وتقدير العاملين فيها .

وفي اواخر الحرب العالمية الثانية ، عاد الى الولايات المتحدة وانبرى في بسط حقائق القضية الفلسطينية لدى المراجع الرسمية الاميركية والشعب الاميركي ، باساليب هي خير ما يمكن الاستعانة به في اميركا .

وفي الوقت نفسه انكفأ على الدعاية اليهودية الصهيونية يمزقها وينتف ريشها ، وابدع في هذا المضمار اولا لانه هو من أجدر ارباب الكفاءات العلمية باتقان هذا العمل ، وهو ضليع من الانكليز الاعلين كعبا فيها من الاميركان ، وثانيا لانه خبير بفنون الالاعيب الاسرائيلية ، فكانت محاضراته مفحمة لهم ، كاشفة عن حيلهم !

وبعد ان تخلى الدكتور فيليب حتي عن ادارة « معهد الشؤون العربية الاميركي » في نيويورك تولاها الدكتور طوطح وقام باعبائه خير قيام . وفي المناسبات الصارخة كثرت مذكراته المحكمة الى « ترومان » ومجلس الشيوخ .

وانهارت فلسطين عام ١٩٤٨ وهو في الولايات المتحدة فشد الرحال الى الاردن والبلاد العربية عام ١٩٥٢ ليدرس عن كثب ظروف النكبة وملابساتها واسباب فشل الجيوش العربية ، وليتصل بالحكومات العربية بغية تنظيم العمل الدعائي في الولايات المتحدة . وما لبث ان عاد الى الولايات المتحدة ليجد كفاحه في وجه الصهيونية ، وقد اتسعت خبراته وبرزت نشاطاته في هذا العمل الدقيق ، فما كان له في الدنيا بعد ذلك الا نحو ثلاثة اعوام حتى وافاه اجله عام ١٩٥٥ وهو كافر بالدول الاستعمارية وبالديموقراطية المزعومة ، وقد صور مشاعره وآلامه في كتابه الصريح « ديناميت في الشرق الاوسط » .

من آثاره القلمية :

١ ــ تاريخ القدس ودليلها ــ وضعه بالاشتراك مع المرحوم بولس شحادة صاحب جريدة « مرآة الشرق » المقدسية .

٢ ــ تاريخ فلسطين وجغرافيتها (وضعه بالاشتراك مع المرحوم عمر الصالح البرغوثي) .

٣ ــ التربية عند العرب :
The Contribution of the Arabs to Education

٤ ــ ديناميت في الشرق الاوسط :
Dynamite In the middle East

وقد صدرت ترجمة هذا الكتاب عن « دار العلم للملايين » ببيروت في جزءين في سلسلة « كتب طائرة » .

٥ ــ تطور فلسطين الحديث : دراسة قيمة نشرت في عدد خاص من المجلة التي تصدرها الاكاديمية الاميركية لدراسات العلوم السياسية والاجتماعية .

٦ ــ فلسطين تروي قصة التوراة :
Palestine Tells the Story of the Bible

نموذج من نثره : « في هذه الايام التي يتحفز فيها العرب للنهوض والاستقلال يجدر بهم ان يضاعفوا اهتمامهم بشؤون التربية لا سيما تربية العامة . فمن اهم الضروريات اليوم للعرب تربية عامتهم وتثقيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخلاق الفلاحين والقرويين وعدم الاكتفاء بفتح المدارس في المدن مثل القاهرة والاسكندرية ودمشق وبيروت والقدس وبغداد . وعلى التربية ان تعم كل فرد من افراد الامة ذكورا واناثا فتكون كالخمير الذي يخمر كل ذرة من الدقيق . يتحتم علينا ايضا ان نجعل تربيتنا كالهرم المؤسس على قاعدة متسعة واساس متين وذلك بتعليم كل العامة وتشييد المدارس الثانوية والفنية والعالية على اساس ثابت من التعليم الابتدائي . العرب اليوم احوج الى التعليم الابتدائي منهم الى التعليم الثانوي والعالي لانهم اذا اهملوا المدارس الابتدائية وتركوا الاكثرية الساحقة من الامة في جهلة عمياء وعلموا الفئة القليلة من الخاصة قلبوا الهرم ، راسا على عقب وعرضوا كيانهم القومي للتزعزع » .

٣ ـ الدكتور فؤاد عيسى شطارة

ولد في رام الله بفلسطين عام ١٨٩٢ وتلقى علومه الاولية في مدرسة صهيون الانكليزية بالقدس وعلومه الثانوية في « كلية الشبان » (الكلية الانكليزية فيما بعد) ببيت المقدس وكان استاذه بالعربية المرحوم المعلم نخلة زريق .

وانتسب « فؤاد » الى الجامعة الاميركية ببيروت وامضى في كلية الطب مدة سنتين ، وفي اوائل الحرب الكبرى (١٩١٤) القى خطبة حماسية فسرها المسؤولون الاتراك تفسيرا سيئا ... فحاولوا القبض عليه غير انه هرب الى يافا ومنها سافر بحرا الى الولايات المتحدة ، وانهى دراسته الطبية في جامعة كولومبيا وتميز بكونه في طليعة الجراحين العالميين ، الامر الذي أهله لان يكون « عضوا في الجمعية الجراحية الاميركية » .

والمشهور عن هذه الجمعية الجراحية انها لا تقبل في عضويتها الا كل جراح تمت على يده مئة عملية جراحية تكللت بالنجاح . وكان ، رحمه الله ، الشرقي الوحيد في هذه الجمعية . والجدير بالذكر اشتراكه مع الجراح الاميركي الشهير « جورج رايتر » بالتدريس في « كلية لونغ ايلاند » ببروكلين وفي مستشفى « الاطباء المتمرنين » وتتناول سلسلة دروسه اربعة عشر فرعا من فروع الجراحة ، وكان اول درس القاه بتاريخ ١٤ كانون الاول ١٩٢٥ . وبالاضافة الى شهرة الدكتور شطارة كجراح نابغ فهو حجة في « مرض الدوالي » .

في الحقل القومي : والى جانب نبوغه في الطب وبراعته بالجراحة كان يعنى عناية خاصة بالشؤون السياسية العربية ، ففي عام ١٩١٦ تأسست في نيويورك « الجمعية التهذيبية السورية » وقد أخذت على عاتقها تقديم مساعدات مادية لتعليم المتفوقين المحرومين من أصل عربي، كما نظمت محاضرات ومناظرات في شتى المواضيع ، وقد لاقت اقبالا من الشطر المغترب في الولايات المتحدة ، وعلى الخصوص القاطنين منهم في نيويورك وبوسطن .

وكان في عداد الاعضاء المؤسسين لهذه الجمعية : الدكتور فيليب حتي والياس جورج عوده والدكتور سنيم الخازن (٢) وبطرس شحاده والدكتور فؤاد عيسى شطاره والدكتور أمين خير الله وسواهم .

وفي عام ١٩٢٣ تأسست « جمعية النهضة الفلسطينية » برئاسة الدكتور شطاره وتعتبر اول جمعية سياسية عربية في الولايات المتحدة هدفها الدفاع عن فلسطين (٣) العربية وشرح ظلامتها .

وفي عام ١٩٣٦ تأسست « الجامعة العربية » في نيويورك فأهل الحماس المنقطع النظير الدكتور شطاره لرئاسة هذه الجمعية التي ضمت شخصيات عربية اشتهرت بالغيرة على القضايا العربية .

وظل الدكتور شطاره يشغل رئاستها حتى انفرط عقدها في اعقاب عام ١٩٣٩ ، ويعزى النجاح الكبير الذي أصابته هذه الجمعية للدكتور شطاره الذي عمل كثيرا ، وضحى كثيرا في سبيل الغاية التي تأسست « الجامعة » من أجلها .

وخلال وجود « الجامعة العربية » قيد النشاط قدر لها ان تعقد مؤتمرين عربيين الاول في مدينة « ديترويت » عام ١٩٣٨ ومن الذين حضروه : المرحوم فخري البارودي وفؤاد مفرج وفخري الشيخ الراوي.

وعقد المؤتمر الثاني في مدينة « فلنت » عام ١٩٣٩ ، وفي أواخر عهدها زار الولايات المتحدة محمد جميل بيهم واميل الغوري وجمعا تبرعات سخية لمنكوبي الثورة الفلسطينية . وفي كل ثورة شب لظاها بفلسطين كان الدكتور شطاره يغذيها بما يجمع من تبرعات ويدافع عن عدالة القضية الفلسطينية بالمحاضرات والمناظرات .

« كانت (٤) له الكلمة العليا في الاوساط العربية ، يوجه الجوالي العربية بالخطابة والتاليف ويدعمها بنفوذه الكبير لدى المراجع الاميركية » .

وتميز هذا العربي الكبير بانه كاتب بارع وخطيب مفوه بالعربية والانكليزية ، وفي أوائل عام ١٩٤٢ فجع العرب بهذه الشخصية الفذة وفقدوا علما رفع الاسم العربي عاليا وادى للقضايا العربية اجل الخدمات في أوسع المجالات !

٤ ـ علي رشيد شعث

ولد « علي » في مدينة « غزة » بفلسطين عام ١٩٠٨ وفي مطلع الحرب العالمية الاولى نزح مع أفراد أسرته الى « بيت المقدس » وتلقى دروسه في مدارسها حتى احرز شهادة « المترك » الفلسطيني ولم يتمشه المسؤولون عن التعليم الى خارج فلسطين لصغر سنه بل عينوه مدرسا في ثانوية صفد وأرسلوه بعثة الى الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٢٦ ، وخلال سني دراسته الجامعية تحمل مسؤولية تعليمه وقام بالتزاماته نحو عائلته التي اصطحبها الى بيروت .

وفي عام ١٩٢٩ انهى دراسته الجامعية وعاد الى فلسطين يحمل بكلوريوس في العلوم وعين استاذا للرياضيات في ثانوية عكا ولقي تقديرا ممن زاملوه وعملوا معه في قطاع التعليم ثم عين مديرا لثانوية صفد فمديرا لثانوية الخليل حتى عام ١٩٤٢ حيث نقل مديرا للعامرية في يافا .

وفي الاربعينات من القرن العشرين تحسس الواعون من شباب فلسطين الداء الذي انتاب البلاد من الانتداب الى الصهيونية ، وأتاحت الظروف القاسية للمخلصين من ابناء فلسطين القيام بدورهم الطليعي ازاء المحن التي يبلوها الوطن المغصوب ، فقام « علي » مع نفر من اخوانه المثقفين بما يحتمه الواجب القومي .

وكانت الاضطرابات تسود فلسطين منذ وطأتها اقدام المستعمر ، وكانت الاضرابات متصلة الحلقات ، وكان اشدها الاضراب العام الذي قام به العرب عام ١٩٣٦ واستمر ستة شهور احتجاجا على اغراق فلسطين بافواج المهاجرين اليهود ، ومن الطبيعي أن يشارك الطلاب

١ ـ آل شطاره برام الله فخذ من اسرة طوطح التي تعود بعصبيتها العشائرية الى « حمولة الشراقي » برام الله .

٢ ـ نقل الى العربية بامانة رواية « آيفانهو » لولتر سكوت ونظم بالانكليزية قصائد رائعة نشرتها مجلة « العالم السوري » .

٣ ـ في خريف عام ١٩٣٠ بارح فلسطين الى المهجر وفد عربي قوامه الامير عادل أرسلان وعيسى بندك من قبل « لجنة منكوبي فلسطين » وكان يرئسها سماحة الحاج أمين الحسيني لاستنداء أكف المغتربين ، فلقي في اوساطهم كل حفاوة واريحية ، وكان يشرف على سير التبرعات اعضاء « الجمعية السورية الفلسطينية » ونفر من أهل النخوة امثال المرحوم الدكتور فؤاد شطاره والمرحوم حبيب ابراهيم كاتبه وصالح حنضل وعبد الله الجودة وغيرهم .

٤ ـ أدبنا وادباؤنا ص : ٣٠٦ : جورج صيدح .

العرب في هذه الاضرابات والاحتجاجات دفاعا عن « غدهم » المجهول ، وكان طلاب « العامرية » الثانوية التي يديرها « علي » اول المضربين ، وقد حرضوا اخوانهم الطلاب على ان يحذوا حذوهم ، وهنا ثارت ثائرة السيد « فرل » مدير معارف فلسطين البريطاني فأمر بفرض الغرامات على المعلمين والطلاب معا لكن « عليا » رفض الانصياع لهذه الاوامر ... وأصر « فرل » على رأيه ، الامر الذي حدا بـ « علي » لتقديم استقالته من الخدمة في معارف فلسطين لكن « فرل » رفض قبولها فتقدم « علي » بطلب الى اللجنة الطبية العليا بالقدس ، فاشارت هذه باحالته على التقاعد (مع انه لم يكن بعد قد بلغ الاربعين من عمره) بعد ان سلخ في قطاع التعليم ثمانية عشر عاما وقد كسب خلالها مودة وتقدير من زاملوه وتلقوا العلم على يديه .

وفي عام ١٩٤٦ عمل « علي » في البنك العربي بالقدس وبعد فترة عين مديرا لفرع الاسكندرية الذي انشىء حديثا ، وفي تلك الايام لم يكن سكان الاسكندرية يعرفون شيئا اسمه « المصارف العربية » بل كانوا يعرفون « المصارف الاجنبية » ويؤمنون بها ايمانا عميقا لانها كانت من اختصاص الفرنسي والانكليزي والايطالي .

وليحطم « علي » هذه « الاسطورة » عمل جاهدا في سبيل جذب « الاسكندراني » الى « مصرف عربي » وسهر سهرا متواصلا حتى بلغ « البنك العربي » القمة في سمعته وامانته واقبلت كبريات الشركات على التعامل معه ، فخطا خطوات واسعة واصاب نجاحا كبيرا .

وفي الاسكندرية تفاعل « علي » في الحياة الاجتماعية ، ورغم مشاغله لم ينس مهنة التعليم فكان على اتصال دائم باساتذة الجامعات ورجال العلم وانتخب عضوا في كثير من الجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية ، والى هذه الظاهرة اشارت جريدة « القاهرة » في عددها رقم ٥١٣ وتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٥ بقولها :

« علي شعث مدير البنك العربي في الاسكندرية ورئيس « نادي فلسطين » فيها قضى ١٨ سنة في مهنة التعليم بمدارس فلسطين ومعاهدها المختلفة ، وقد كان مديرا للمعهد التجاري الحكومي في فلسطين وله كتب علمية ما زالت الى اليوم تدرس في فلسطين والاردن وعين عام ١٩٤٦ مديرا للبنك العربي عند انشائه في الاسكندرية واندمج في الحياة الاجتماعية وعرف في جميع اوساطها حتى صار كواحد من ابنائها وهو عضو في كثير من الجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية بالمدينة .

يعتبره الفلسطينيون بالاسكندرية أبا لهم ، يرجعون اليه اذا أعوزتهم الحاجة وهو الذي يرعى شؤون الطلبة الفلسطينيين ويتفاهم مع المسؤولين في شتى شؤونهم ، وقد أسس « نادي فلسطين » في الاسكندرية ١٩٥٣ وانتخب رئيسا له حتى عام ١٩٥٦ ، يؤمن بحقوق المرأة وقد ساهم في منح سيدات النادي حق انتخاب اعضاء اللجان المختلفة ، وهوايته المفضلة هي الموسيقى والمطالعة والتحدث عن ظلامة عرب فلسطين ، وهنا اذكر حادثين جريا له في الاسكندرية :

ـ بعد وقوع النكبة الاولى في فلسطين تدفقت جموع اللاجئين العرب على الاسكندرية بحرا فكان « علي » يستقبلهم ليل نهار على الميناء ويؤمن اقامتهم وحاجاتهم ويخفف عنهم منغصات الهجرة ولوعة الاغتراب حتى أطلق عليه الكثيرون لقب « قنصل فلسطين » .

ـ ونتيجة للنكبة الفلسطينية التي عصفت بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ انقطعت موارد الكثيرين من الطلاب الفلسطينيين الذين يدرسون في جامعات الجمهورية العربية المتحدة وليوفر لهم لقمة العيش وطلب العلم كان يتصل بالمسؤولين المصريين الذين تجاوبوا معه في هذا السبيل وعلى رأسهم وزير المعارف الاسبق الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا الذي كان يعجب من « علي » كيف يترك عمله في البنك العربي من أجل انجاز شؤون طلابية ، وذات يوم سأله : « لماذا انت مهتم بهذه الشؤون وانت رجل مال ؟ » فرد « علي » عليه بقوله : « ان هؤلاء الطلاب هم ابنائي وقد صرفت في مهنة التعليم ١٨ سنة » فرد السنهوري بقوله : « الان افهم مشاعرك واخلاصك ! » .

وفي عام ١٩٥٧ ترك « علي » عمله في البنك العربي في الاسكندرية وعين مديرا عاما لبنك الرياض في السعودية وامضى فيه ثمانية اعوام وفي عام ١٩٦٤ عاد الى الاسكندرية مريضا بالقلب ، ورغم قسوة هذا الداء ظل وفيا لوطنه المغصوب ... فكان يحاضر ويتحدث عن مأساة العرب في الفردوس المفقود !

وفي الحرب التي نشبت بين اسرائيل والعرب عام ١٩٦٧ كان « علي » متفائلا بانتصار امته وعودته الى « الارض الطيبة » واذ به يصدم بالانكسار الذي مني به العرب في الخامس من حزيران ... فلم يقو قلبه الضعيف على تحمل هذه الصدمة فقضى نحبه في الثالث من شهر سبتمبر ١٩٦٧ وفي اليوم التالي دفن في مقبرة المنارة بالاسكندرية تاركا وراءه سمعة عطرة في الحقل القومي .

من آثاره القلمية : صنف « علي » طائفة من الكتب العلمية المدرسية لا تزال تدرس في بعض مدارس الاردن ومنها :

١ ـ سلسلة أصول الحساب الحديث (بالاشتراك مع آخرين) صدر عام ١٩٤٥

٢ ـ من طرائف العلماء ـ صدر عام ١٩٤٥

٣ ـ سلسلة اصول الهندسة الحديثة (بالاشتراك مع آخرين) صدر عام ١٩٤٦

٤ ـ من البنسلين الى القنبلة الذرية ـ صدر عام ١٩٤٦

٥ ـ المدير العربي والخطر الاسرائيلي ـ صدر عام ١٩٦٦

٦ ـ اتجاهات جديدة في صراعنا مع اسرائيل ـ صدر عام ١٩٦٩

ومن مؤلفاته التي حال الموت دون انجازها ودفعها للمطبعة :

أ ـ كتاب ضخم هو عبارة عن عدة كتب في اقتصاد اسرائيل .

ب ـ مجلد بعنوان « الاعتمادات المستندية » .

بالاضافة الى محاضرات علمية وتجارية وفلسطينية كان يلقيها في الندوات والجمعيات .

نموذج من نثره : « أفاق العالم العربي منذ الخامس من يونيه سنة ١٩٦٧ على نكسة خطيرة هزته من الاعماق ، وفتحت عيون ابنائه وقلوبهم على حقيقة الخطر الذي نكبوا به منذ الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ وليس عارا ان تهزم الامم ، فتاريخ أعظمها واقواها شوكة مليء بالهزائم ولكن العار كل العار ان تقتل هذه الهزائم روح الكفاح فينا ، وتميت في نفوسنا العزم والتصميم على الوثوب ثانية عمالقة ، مرفوعي الهامات ، امضى عزيمة واشد ايمانا بالنصر مما كنا عليه قبل النكسة.

لقد أرخ عمر بن الخطاب لتاريخنا بيوم هزيمة ، هو يوم الهجرة، على كثرة ما احتشد في تاريخ الاسلام من أيام النصر ، ذلك ان « عمرا » اعتبر نكسة الهجرة نقطة تحول في تاريخ المسلمين والعرب ، وبدء انتصاراتهم العظيمة التي دكت صروح فارس والروم ، ونشرت ، في اقل من مئة عام ، راياتهم خفاقة في العالم كله من اواسط الصين حتى مياه الاطلنطي .

فلنمض اذن في كفاحنا اشداء ، عامري الايمان بالنصر النهائي ، لا نبالي بتكتل قوى الشر في وجوهنا ، ثابتين كالطود لا نترك لليأس الطاغي سبيلا الى نفوسنا ، فليست نكستنا الحالية بالقاصمة ، وما هي الا محنة عادية من المحن التي يستنهض الله بها ما استكان من عزائم الامم ... ولنسر في طريق واضح المعالم ، معتمدين الحقائق الصريحة ، ولو كانت مرة قاسية ، سبيلنا الوحيد للعمل من أجل الحفاظ على كياننا » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ويبقى الحب

الى القنديل الابيض .. الذي يضيء في قلبي

حبيبتي !
اكتب والدموع في عيني
تنبع من عينيك
واحرفي تجهش بالبكاء
في يديك
وحبنا المهدور حائر
يدور كاللقيط في الشوارع العمياء
ويلعن الرجال والنساء
يود لو تنفجر الجبال بالدخان
يندفع البركان
ويحرق الاخضر واليابس والبنيان
لكننا .. وحبنا لا يعلم الحقيقة
نبكي على ضياعه .. دقيقة دقيقة !
قاسية ايامنا
جامحة احلامنا
لكننا نبقى على الطريق
نحلم بالحياة يا حبيبتي
نحلم بالشروق

- ٢ -

حبيبتي
لاننا الضحية
للعالم المجنون
و العوائد الغبية
لاننا بالحب لا نعرف
ما يفرضه البشر
من القيود السود
والمشانق السوداء للأحباب
خلّي دماءنا
تظل في الدروب
شواهدا .. لضائع القلوب
ومشعلا ..
وجنة ..
وموعدا ..

- ٣ -

حبيبتي !
ان يسألوا عني فلا تجيبي
وانتفضي في وجههم
أعرفه ..!
لكنه ما كان لي حبيبي !
ان يسألوا عني فلا تجيبي
وان مررت عنك لا تلتفتي
كانني أمر عن غريب !
لكنني المح في عينيك
ما احس في عيني من لهيب !
يمتد ما بيني .. وما بينك
جسر الحب والطيوب
حبيبتي انت على طول المدى
فهل ترى اسمع عبر جسرنا الممدود :
يا حبيبتي ؟ !!

- ٤ -

حبيبتي !
يجرنا الزمان يا حبيبتي
يشدنا .. يبعدنا
عن موكب الهوى
ويسدل الستار دون حبنا
وليلة تمر اثر ليلة !
لكن في قلبي يا حبيبتي
النهار سرمدي
قنديل حبك الاخضر ابدي !

عمان - الاردن

مأمون جرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ماما ! جوربي في حاجة الى رفو . ـ ماما ! اشعر بالم في رأسي . ـ ماما اشتري لي طابة . ـ ماما ! زاهر ضربني . ـ ماما ! اعطني قرشا » .

اولاد كثيرون . عشرة . وقد افنت امهم كوثر بعض شبابها وصحتها ونشاطها في تربيتهم واجابة طلباتهم . ان مرجع الاولاد الوحيد هو امهم . هي وحدها تلزم المنزل . اما زوجها فهمي فهو يقضي نهاره في حانوته حيث يبيع الملابس الداخلية . وعند المساء يغلق حانوته ويعود الى منزله . وهناك تعدد له كوثر مطالب الاولاد .

عقد زواج كوثر وهي في العشرين من عمرها . وكانت في ذلك الحين رشيقة القوام جذابة ملامح الوجه مشرقة العينين حلوة الصوت . اما الان فهي ممتلئة الجسم قد ارتخت اسباب بشرة وجهها قليلا ، وقد تجعدت صفحة وجهها بعض الشيء بعد ان هبت عليها رياح التعب السموم . غير انها ما تزال تتمتع بالشيء الكثير من الانوثة . في صوتها نفحة مغرية ، وفي مشيتها موسيقى خفية مطربة ، وفي عينيها شباب خبيء . وكل ما تفتقر اليه لتعود الى ما كانت عليه في اول شبابها هو الراحة والعناية بجسمها ووجهها . وكلما همت بتغيير مجرى حياتها شغلها الاولاد عن هدفها وجروها الى عالمهم بالحاحهم وعويلهم .

ما اجمل تلك الصورة الكبيرة المعلقة على جدار غرفة النوم ! لقد التقطت حينما كانت هي وزوجها يقضيان شهر العسل في لبنان . لباس العرس المخرم الجميل ينسجم مع رقة جسم كوثر وشبابها وحلاوة الامل المدخرة في وجهها . بدت في تلك الصورة كزنبقة كبيرة تضم بيدها زنابق صغارا .

وقد ظهر فهمي بجانبها لاصقا بها من الجهة اليمنى بجسمه الممتلىء بالحيوية كانه اختطفها من الزمن اختطافا اذ نمت ابتسامة الظفر الخفيفة المنتشرة على وجهه على اغتباطه بالغنيمة التي فاز بها .

كان فهمي في اول عهده بالزواج موقنا ان الزواج دنيا من الحب . ان التفير الذي طرأ على حياته هو الذي غرس ذلك اليقين في قلبه . كان عزبا وحيدا لم تؤنس شبابه فتاة ولم تحقق اماني قلبه حبيبة . وقد شعر في شهر العسل ان جميع مطالب نفسه حققت . اما اليوم فانه يشعر انه اصبح زوجا وابا لا حبيبا فحسب ، وانه باشرافه على افراد اسرته والسعي لهم اضحى شبيها برئيس دائرة حكومية مسؤول عن الموظفين الذين يعملون تحت ادارته .

المنزل عامر بالاولاد ، نابض بحركاتهم ، حي بصخبهم وضحكهم ولعبهم . انه دنيا صغيره استقل فهمي بادارتها .

(المنزل موحش خرب لان ظل الطمانينة اختفى من انحائه ، فلا راحة ولا لذة ولا بهجة ولا هناء) .

الحانوت الذي يعمل فيه فهمي عامر بالوان الملابس الداخلية . والعملاء كثيرون والربح وافر . فهمي تاجر موفق بلا ريب .

(الحانوت منهار الاساس لان عددا كبيرا من النساء وبينهن الحسان الفاتنات يترددن اليه . انهن يسرحن انظارهن في البضائع التي تعرض عليهن ليشترينها بينما يسرح فهمي نظره باعجاب في آيات جمال وجوهن وعيونهن ،ويستمع في طرب الى لحن حديثهن).

ما اكثر صواحب كوثر ! انهن كثيرات التردد الى منزلها . يزرنها دائما . ولكن كوثر لاحظت منذ اسبوع ان بين اولئك الصواحب منافسات . انهن ينافسنها في حب زوجها وفي كسب قلبه والاستئثار به . يبتسمن لها ويسايرنها ويتحببن اليها ، ولكن قلوبهن تنطوي على شيء اخر ، على المنافسة والانانية .

ـ حبيبتي كوثر ! ماذا جرى لك ؟ كل

غيرة زوجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

شيء فيك قد تغير . الا تنظرين الى وجهك في المرآة ؟ لقد كنت منذ ثلاث سنوات شابة جذابة . وانت الان عجوز كامي .

(لقد لعبت دور الزوجة وقضي الامر ، فما عليك الان الا ان تلزمي بيت ابيك . انني اصغر منك سنا . امتاز عليك بنحافة جسمي واشراقة وجهي . انك بيضاء كالشمعة ولكنك مجردة من حرارة الشباب كالشمعة التي لا شعلة لها) .

قالت الفتاة ذلك وهي تتمايل غنجا مطلقة الحرية لثغرها الصغير المورد ليضحك ويقهقه كما يشاء تحت سماء مظلمة مؤلفة من شعرها الاسود الغزير المخيم على وجهها .

فقالت لها كوثر في ابتسام خفيف ورزانة وثقة :



ـ وان يكن ؟ لقد تزوجت ورزقت عشرة اولاد . وماذا تنتظرين بعد ولادة هذا العدد الكبير من الاولاد ؟ انني لا اغذي اولادي بالطعام فحسب بل بدمي وماء شبابي ورونق صحتي ايضا . عناية وكد وسهر . سوف تقدرين عملي كام بعد ان تتزوجي وترزقي اولادا مثلي .

(كل هذا الاشراق الذي يبدو على وجهك الصبيح يزول ، وهذه الضحكات والقهقهات الحلوة تتلاشى ، وتلك الحيوية المتدفقة من لسانك ويديك وراسك تنطفيء).

اخذت الفتاة تحدق الى شعر كوثر ، وتقترب منها شيئا فشيئا . وكوثر تنظر اليها مستغربة لا تعرف لذلك سببا ثم قالت لها :

ـ ماذا بك ؟ لماذا تنظرين الي هكذا ؟

فابتسمت الفتاة ابتسامة جافة ، وقالت زاوية ما بين عينيها :

ـ لقد شبت يا كوثر . على راسك ثلاث شعرات بيض . له ! له !

(اما زوجك فهو ما زال شابا بمظهره وبعاطفته) .

فقالت كوثر في هدوء وبلا اكتراث :

ـ ليس في ذلك غرابة ، فانا الان في الخامسة والثلاثين من عمري ، غير انني اتمتع بصحة جيدة .

(ما اوقحك ، وما اثقل دمك !)

فقالت الفتاة في جد ورزانة :

ـ ولكن الصحة الجيدة ليست كل شيء في المرأة . ان الصحة ضرورية للرجل . اما المرأة فلا غنى لها عن الجمال مضافا الى الصحة الجيدة .

(الحق انك امرأة مغفلة غبية) .

ثم صمتت برهة ، وبعد ذلك قالت رافعة حاجبيها :

ـ عجب ! ان زوجك يبدو شابا كانه اصغر منك سنا .

(انه يصلح لي زوجا . من الخسارة ان يظل زوجا لك) .

فقطبت كوثر ، ثم قالت في استنكار :

ـ مهما يكن من شيء فان زوجي يحبني ويؤثرني على كل النساء .

(ما دخولك فيما بيننا يا حيوانة ؟)

ثم نهضت الفتاة لئلا يتطور موقفها من صديقتها فينشأ بينهما خلاف ، وقالت بعد ان اطلقت تنهدة عميقة طويلة :

وفقكما الله يا عزيزتي ! استودعك الله !

(انك لا تدرين ايتها المسكينة ان زوجك مفتون بي ويتمنى ان يتخذني زوجة له) .

ثم خرجت وكوثر تحدق في ظهرها بسخط وغيظ .

(اصوات من الداخل : اخرجي يا كلبة . هل تريدين ان تختطفي زوجي مني ؟ انك ان فعلت ذلك قتلتك . اؤكد لك ذلك . اياك ان تزوريني مرة ثانية) .

(منظر من الداخل : تركل كوثر الفتاة بقدمها فتوقعها على درجات مدخل الدار) .

وفي ذات يوم دخلت على كوثر صديقتها الوفية ابتهاج الفاتنة . وقد تعودت صديقتها ان تأخذ معها حريتها في الحديث بلا كلفة ، وان تكاشفها بما يجول في ذهنها دون حيطة . ولكنها في هذه المرة امضت في الحديث عن زوج كوثر في جرأة جعلت هذه تفكر في الامر تفكيرا جديا .

قالت ابتهاج وهي تفتح عينيها الدعجاوين الواسعتين :

ـ لقد كنت اظن ان زوجك جامد ثقيل الظل حتى حادثته في حانوته منذ اسبوع ، فتبين لي انه خفيف الروح حلو النكتة . انني اهنئك به يا عزيزتي ، واصارحك بانني اصبح امرأة سعيدة اذا تزوجته ـ اذا تزوجت رجلا مثله .

(ليت في امكاني ان آخذه منك واتزوجه !)

ثم قهقهت في بساطة ومرح ومداعبة. ولكن كوثر لم تأخذ كلام صديقتها في بساطة ، فقد ذكرها كلامها ذلك الحديث الذي جرى بينها وبين تلك الفتاة الجريئة التي ادعت لها ان شبابها ولى وان جمالها تبخر . لذا شكت في هدف صديقتها ابتهاج . ايقنت انها ليست انبل خلقا من تلك الفتاة . ان ذلك لم يكن من خصالها من قبل : ان تخدع وتغدر . وكوثر تخشى ابتهاج لانها ذات جمال ساحر . انها مغرية بدلالها العجيب وجرأتها التي توقع ارزن الرجال في حبائل اغرائها ، فان في عينيها الدعجاوين الواسعتين التماعا يدل على ان صاحبته خالية البال من مشاغل الحياة وانها لهذا السبب تتفنن ارضاء حبيبها .

قالت كوثر لصديقتها في جمود يلفت النظر

ـ أالى هذا الحد اعجبك زوجي ؟

(وانت ايضا يا ابتهاج ؟ اياك ان تمكري صفو صداقتنا . ان هذا لم اتوقعه من صديقة وفية مثلك) .

فارتسمت ابتسامة خفيفة على عيني ابتهاج الواسعتين ، وقالت بصوت منخفض :

ـ هل صدقت ما قلته لك يا حبيبتي ؟ ان زوجك كاخ لي .

(لا بد من اتخاذه زوجا لي سواء اقاومت ام لم تقاومي) .

★

واذن فلا بد من تغيير مجرى حياتها . ينبغي لكوثر ان تخفف من وزنها وتنحف خصرها وتعيد الابتسامة المشرقة الى ثغرها الذابل قليلا وخديها المتغضين بعض الشيء . في امكانها ذلك اذا استعملت قوة ارادتها .

ان خوفها من ان يقع زوجها في حبائل اغرء صاحباتها ، وما تدخره من غرام به ـ جعلاها تفكر في تغيير مجرى حياتها ، وقد ايقنت بانها لا بد ان تنجح في النهاية . صارت تكثر من تناول الخضروات واللحم الاحمر وتقلل من تناول الخبز ، وجعلت تقوم بتمارين رياضية في صباح كل يوم .

وكانت في اثناء ذلك تراقب زوجها مراقبة شديدة . وكانت من قبل تنشرح صدرا كلما قدم اليها زوجها هدية ثمينة من ذهب او ماس . اما الان فانها لا تقبل الهدايا من زوجها الا اذا كانت اقمشة رائعة الالوان والرسوم لكي تفصلها ثيابا لها فتجدد حبه لها كلما ارتدتها ووقع نظره عليها .

بدات تفهم زوجها ذلك حينما جاءها ذات مساء وفي يده علبة صغيرة . قال لها :



عبد الحميد الانشاصي

●

ـ حبيبتي كوثر ! احزري ما جئتك به في هذه العلبة .

ـ عقد ؟

ـ كلا .

ـ اساور ؟

ـ كلا .

ـ واذن فهو قرطان .

ـ لقد حزرت . اجل انهما قرطان جميلان قرطان من ماس .

فجلست على حضنه ، وكان ساعتئذ جالسا على كنبة . وقالت وهي تداعب ذقنه في ابتسام جذاب :

ـ اشكرك ياحبيبي ! لا شك ان هديتك قيمة . ولكني اوثر على هذين القرطين قطعة من القماش افصلها ثوبا لي .

ففتح فهمي العلبة ، واخرج منها القرطين ثم قال

ـ انظري ما اجمل هذين القرطين . انهما يساويان مئات من قطع الاقمشة . اقمشة ! ان الاقمشة رخيصة ، فكيف تؤثرينها على هذين القرطين ؟

ولكن القرطين وان كانا من الماس لا يبرزان محاسن جسمها . لقد خف وزن جسمها الان فاستردت رشاقته السابقة . ولا يظهر تلك الرشاقة الا الفساتين الانيقة المحكمة التفصيل . ان الجسم الجميل يفوز بثلاثة ارباع الجمال الذي تمتاز به المرأة . اما جمال الوجه فلا يدخر الا ربع جمالها . واذن فما الفائدة التي ترجى من القرطين الماسيين ؟ تناولت القرطين من زوجها في تؤدة وهي تشكره بنظرتها وابتسامتها وقالت :

ـ لا شك انهما قرطان ممتازان . ما اروع هديتك يا حبيبي ! ولكن لا تنس في المرة القادمة ان تهدي الي قطعا جميلة من الاقمشة .

(وبعد ذلك اعرف كيف ادلكك واشفك عن غيري من الحسان) .

فعبث بشعر رأسها في حب واعجاب وقال .

ـ كما تشاءين يا حياتي .

(انك تبدين الان جميلة فاتنة . ولست ادري لذلك سببا . ان قوامك رشيق وعينيك ساحرتان . كل شيء فيك بغير . عجيب كيف تمت هذه المعجزة ؟ لقد عدت فاتنة كما كنت في اول عهدنا بالزواج) .

وراح يقبل ثغرها وخديها وعنقها في شره. فشعرت كوثر بديمة من الغبطة والسعادة تهطل على قلبها الظامىء في هدوء حتى تفجر منه سيل من الحب والطمانينة فجرى في عروقها الراقصة مغذيا بالحب والطمانينة كل عضو من جسمها . فترعرعت ذراعاها ، ونهد صدرها ، وتفتح ثغرها وعيناها ، ولمع وجهها واسنانها .

قالت وهي تشير باصبعها الى الصورة الكبيرة التي التقطت لهما وهما في شهر العسل :

ـ انظر الى صورتنا المعلقة على الجدار . الا تذكر تلك الايام يا حبيبي ؟ ايام شهر العسل التي قضيناها في لبنان ؟ كنت في ذلك الحين صغيرة السن . كنت عروسا ـ فتاة فجة . اما الان فانا زوجة ـ امرأة ناضجة . لم اكن في ذلك الحين افهمك على حقيقتك . اما الان فقد تغلغلت في تلافيف نفسك وقلبك فادركت ما كان خافيا علي .

(انت الان لي ـ لي وحدي ـ ان اجمل الفتيات تعجز عن ان تختطفك مني) .

وبعد هنيهة طوقت عنقه بيديها في شوق واغراء وقالت :

رفيق الطريق

رفيق الطريق وقيت العثار ... بمسراك مجد السرى والرجاء
تسير فلا الشوك يثني خطاك ... ولا الموحشات وعصف الشتاء
ولا ما يهز جنان الهزبر ... يسر بأذنيه همس الفناء
وأشباح كاسرة ترتوي ... نواجذها بنزيف الدماء
وان يدا من وراء الغيوم ... تزيح عن الدرب نجم السماء
وعزمك وسط الظلام الكسيح ... وأهواله شعلة من ضياء

تجد وتعلم ان الطريق ... أمامك ترغي بآفاتها
وتمضي وتعرف ان الرمال ... يطايرها نفخ حياتها
وان الدمى تنثر القهقهات ... اذا ما ذكرت بحاناتها
وان الكهوف التي في الصدور ... تفح بما في غراراتها
رفيقاك صمت يمط الشفاه ... يذري الصعاب وويلاتها
وأشلاء ماضين قد بعثرت ... تنير الطريق بهالاتها

جامعة بغداد — باقر سماكة

وقالت
ـ الا تحن الى يوم عرسنا ؟
(انني احن اليه كثيرا) .
فتأمل الصورة ، وبعد قليل اجاب :
ـ محال ان انسى يوم عرسنا .
فنهضت كوثر ووجهها يفيض ابتساما ثم قالت :
ـ ساعود الان عروسا كما كنت .
وفتحت خزانتها ، ثم تناولت ثوب العرس ولبسته . ووقفت امام زوجها قائلة في مرح مزقزق :
ـ كيف تجدني الان ؟ الا ابدو عروسا كما كنت ؟
ـ تماما . انك تبدين فاتنة في ثوب العرس .
ثم جلست بجانبه والقت يدها على يده في غبطة وقالت :
ـ ها قد تزوجنا مرة ثانية .
فاستغرق فهمي في الضحك ، وضمها الى صدره

وفي الايام التالية كانت كوثر ترتدي ملابس محكمة التفصيل جذابة الالوان والنسيج وتعرض نفسها على زوجها في اعجاب منها بنفسها ومنه بها .
ومع ذلك فقد اخذت تراقب زوجها وتفتش جيوبه لترى هل يحتفظ برسائل وصور عشيقاته ، ولكنها لم تعثر على شيء من ذلك وانما عثرت على تذكرة من تذاكر السينما .
قالت له ذات يوم :
ـ اراك شديد الولوع بالافلام السينمائية .
(اخشى ان تكون لك في دور السينما عشيقات ينتظرنك) .
ففكر فهمي قليلا ثم قال :
ـ ما الذي جعل هذا الفكر يتطرق الى ذهنك ؟
(هل انت تراقبينني يا كوثر ؟) .
فابتسمت ثم اجابت بنفمة منخفضة خجلة:
ـ لقد وجدت في جيبك تذكرة سينمائية .
ـ آ ! انني اتردد الى دور السينما من حين الى اخر .
(لقد اصطدتني الان يا خبيثة) .
ـ وحيدا ؟ تذهب وحدك ؟
(كيف تنساني ؟ هل هناك فتاة تشغلك عني ؟)
ـ في بعض الاحيان اشعر بسأم فأبرده بمشاهدة فيلم سينمائي .
(يا لك من زوجة بارعة . انك تحققين معي) .
ـ لماذا لا تأخذني معك ؟ هل هناك فتاة تشغلك عني ؟
(طبعا لا ، لانني عثرت على تذكرة واحدة لا تذكرتين) .
ـ فتاة ؟! هل هذا معقول ؟ انني اعلم انك مشغولة دائما بالاولاد والعناية بهم .
وهذا ما يضطرني الى مشاهدة الفيلم السينمائي وحدي .
ـ كيف تجد متعة في مشاهدة الافلام دون ان اكون بجانبك اشاركك في النظر اليها ؟ ان هذا من عادات الاعزاب لا من عادات المتزوجين . من الان فصاعدا نذهب الى دور السينما معا . ينبغي لنا ان نشترك في كل شيء : في تناول الطعام ، وفي الحديث ، وفي مداعبة الاولاد ، وفي مشاهدة الافلام السينمائية . ان ذهبت الى دور السينما وحدك بعد الان نفرت منك واستعدت عنك . الست شريكتك في حياتك ؟
وبعد ذلك الحديث الذي جرى بين الزوجين صار فهمي يستصحب زوجته كلما ذهب الى احدى دور السينما لمشاهدة فيلم فيها . وكان المارة يلقون نظرة اعجاب لرشاقة قوامها وجمال ثوبها . وقد ايقن الناس ان الزوجين متفقان يحب كلاهما الاخر .
وقد استمرت كوثر على ممارسة التمارين الرياضية والطريقة الغذائية وارتداء عدد كبير من الفساتين المختلفة لتجدد جمالها وفتنتها في كل فستان ترتديه فتجدد بذلك حب زوجها لها . وبذلك تغلبت على الفتيات اللواتي يحمن حول فهمي . وقد شعر فهمي ان في زوجته غنية عن كل ما تملكه الحسان من جاذبية وجمال .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



معروف الرصافي شاعر العرب الكبير

تأليف قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٣٩٤ صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة

شغل الناس بالرصافي في مماته كما شغلوا به في حياته ، وتبارى الادباء في الحديث عنه وابراز معالم حياته وشعره . وكتبت عنه مئات المقالات والفت عشرات الكتب ، وما يزال هذا الشاعر الكبير بحاجة الى دراسات جديدة تظهر جوانبه المختلفة وتلقي ضوءا عليها .

ومن الكتب الجديدة التي صدرت عنه كتاب « معروف الرصافي شاعر العرب الكبير ـ حياته وشعره » وقد قام به ثلاثة كتاب ، اما الاول فهو المحامي الاديب قاسم الخطاط الذي شغف حبا بالرصافي منذ ان كان يسعى بين الاحياء وحينما فارق دنيا الفناء سنة ١٩٤٥ وضع كتابا عن حياته غير ان الرقابة الآخذة برقاب الاحرار منعته من طبعه واذاعته بين الناس وضاعت فصوله المخطوطة ، وفقد مؤلفه في خضم الصراع مع الحياة معلوماته الكثيرة التي جمعها من شفاه المتصلين بالرصافي ورجال الفكر واعلامه في تلك الايام . ومرت الاعوام وصدرت دراسات عن الشاعر الخالد ، غير ان الفكرة القديمة والشوق المقيم والرغبة الصادقة ظلت تراود الاستاذ الخطاط وتحرك كوامن نفسه حتى اجتمع في القاهرة بمن يكنون لادب الرصافي حبا عظيما ويرون في شعره كنزا ثمينا ينبغي ان لا يكون نهبا للاهواء وميدانا يجول فيه المتسابقون الى صعود الموجة العالية ، وكان ما اراد وحقق ما سعى اليه قبل اكثر من عشرين عاما .

تحدث الخطاط في القسم الاول من الكتاب عن « حياة الرصافي » وطاف في احداث عصره وعرض ما كان فيه من تيارات اجتماعية وسياسية وثقافية مستعينا بالمصادر الاصيلة والمراجع الموثوقة ، ودوّن حياة الشاعر في خضم هذه الاحداث واوضح صُلتها بما كان يجري من امور . وقد التزم في تدوين هذه السيرة بمنهج السرد التاريخي القصصي متابعا خطواتها منذ ولادته حتى وفاته ، لاعتقاده ان هذه الطريقة في التدوين ترسم صورة واضحة لشخصيته . وهذه طريقة لا غبار عليها لان فيها رصدا للمراحل المختلفة وتصويرا دقيقا للاحداث غير انها قد لا تجعل الكلام على سيرة الشاعر رخوا في كل حين . وقد ظهر ذلك جليا في بعض القضايا كالحديث عن « مجون الرصافي »الذي جاء قبل هجرته الى الفلوجة سنة ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ، ومعنى ذلك ان المجون يمثل فترة معينة في حياته وليس له امتداد في الماضي ، اي كانه مرحلة من مراحل حياته ، فهو كاحدى الوظائف التي تقلدها الشاعر او الاعمال التي قام بها ، وليس الامر كذلك بل مرّ الرصافي بسورتها في فترات من حياته ولم تكن مرحلة مميزة ، وقد اشار الكاتب الى ان هذه النزعة مما كان يتناقله الناس ولعلها كانت في مقدمة الاسباب التي ابعدته عن المناصب الكبيرة في الدولة ، الى جانب ما كانوا يتناقلونه عن كفره والحاده ، ولذلك لم يجرؤ صديقه المرحوم عبد المحسن السعدون على ضمه الى وزارته التي الفها مع ما كان يكنه له من حب وتقدير .

ولو ان الاستاذ الخطاط نسق مادة بحثه وصنفها في موضوعات لاتى بحثه مشدود الخطى متصل الحلقات من غير ان يهدم ذلك الاتساق حديث عابر ، ولو انه اعاد النظر في بعض الاحكام لجرد كتابه من بعض الهفوات التي كان مردها الى بعد كتب الرصافي المخطوطة عن يديه . ومن تلك الامور موقف الشاعر من اعدام بعض رجالات العرب في سورية وموقفه من انقلاب بكر صدقي ، وموقفه من الانكليز ، وبقاؤه حرا طليقا بعد اخماد ثورة ١٩٤١ .ولست هنا في مجال التعليق على هذه القضايا لاسباب ، ولكنني احيل الى كتابي « الرصافي ـ آراؤه اللغوية والنقدية » الذي اوضحت فيه هذه الجوانب نقلا عن كتب الرصافي المخطوطة ورسائله المحفوظة .

ومن ذلك ان الاستاذ الخطاط ذكر بعض كتب الرصافي في مؤلفاته المخطوطة وهي مما طبع مثل :

١ ـ « الادب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه » الذي طبع في بغداد مرتين باشراف الاستاذ عبد الحميد الرشودي وتقديم الاستاذ كمال ابراهيم والمرحوم مصطفى جواد . وكانت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٦ والثانية سنة ١٩٦٩ .

٢ ـ الرسالة العراقية التي ذكر فصولا منها الاستاذ مصطفى علي في كتابه « الرصافي ـ صلتي به ـ وصيته ومؤلفاته » المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ونشر فصولا منها الاستاذ سعيد البدري في كتابه « آراء الرصافي في السياسة والدين والاجتماع » المطبوع في بغداد سنة ١٩٥١ . وظلت بعض فصولها الاخرى طي الكتمان لانه ليس من اليسير نشرها في هذه الايام ، وستبقى سجينة الى ما شاء الله .

٣ ـ آراء ابي العلاء المعري الذي طبع في بغداد سنة ١٩٥٥ باشراف الاستاذ الرشودي .

٤ ـ الالة والاداة الذي نشرت مقدمته في جريدة الامل بعنوان « جمودنا في اللغة » وفي مجلة الحرية بعنوان « اللغة العربية ـ رأي جديد في الاشتقاق والتعريب » .

٥ ـ دفع المراق في كلام اهل العراق الذي نشرت بعض فصوله في مجلة « لغة العرب » وفي جريدة « حبزبوز » .

٦ ـ الشخصية المحمدية الذي نشر الاستاذ البدري فصولا منه ، وظل معظمه بعيدا عن النشر .

يضاف الى ذلك ان للرصافي بحثا نشره في جريدته الامل بعنوان « نظرة اجمالية في حياة المتنبي » وطبع في بغداد سنة ١٩٥٩ .

وليس في هذه الاشارات ما يقلل من جهد الاستاذ الخطاط فقد كان عظيما لانه سعى الى اظهار الحقيقة وكشف بعض جوانب حياة الرصافي والقى ضوءا ساطعا عليها ، ويكفيه انه قال كلمته من غير ان يخشى احدا واصدر حكمه من غير ان يلتزم بالاحكام السابقة . وعزاؤه في ذلك قول الرصافي :

وجردت شعري من ثياب ريائه ... فلم اكسه الا معانيه الغرا
فجاء مضيئا ليفه كنهاره ... وان كان بعض القوم يحسبه كفرا

واضاف معلومات جديدة قد لا نجدها في كتاب ، من ذلك ما حدثه به استاذه الشيخ محمد جلال العباسي عن حث الرصافي الناس على التمسك بمبادىء حزب الاتحاد والترقي الذي انقلب عليه بعد ان عرف ما يبيته اصحابه للعرب والمسلمين . ومنها ما رواه له احد اصدقائه من النقباء المرحوم عبد المحسن السعدون بالرصافي في بيته والاطلاع على حاله مما كان سببا في ادخاله عضوا في مجلس النواب ليضمن له مورد رزق يعينه على العيش . وان كنت لا ارى ذلك لان الرصافي دخل مجلس النواب اول مرة في اواخر سنة ١٩٣٠ منتخبا عن لواء العمارة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه الاخبار وغيرها قد تذهب بذهاب رواتها ، ولو ان الاستاذ الخطاط تمسك بمثل هذه الروايات واثبتها لكان خير عظيم لانها اكثر اهمية من المدون في الصحف او المحبر في الكتب . ولعله يطلع علينا بدراسة جديدة تتخذ الرواية اساسا ومنهجا في الكلام على الرصافي .

واما الكاتب الثاني فهو الاديب الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي الذي كانت له جولات رائعة في ميدان الادب والنقد . وقد تحدث عن « شعر الرصافي » ناظرا اليه بنظرة جيله انصافا له وامانة للادب ، ومر بفنونه المختلفة وتكلم على ما فيها من ابداع او تقليد . وكان موفقا الى حد كبير وان لم تظهر موهبته النقدية وعارضته الفنية التي عرفها النقاد في كتبه ودراساته الاخرى . وكنت اود ان يغير عنوان هذا القسم « اغراض شعر الرصافي » لان الحديث فيه ليس عن جوانب شعره المختلفة وانما كان عن اغراضه ، ويمكن ان يرسم هذا القسم مع القسم الثالث من الكتاب صورة واضحة لشعر الرصافي .

واما الكاتب الثالث فهو الاديب المعروف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الذي عرفه القراء بدراساته وكتبه الكثيرة . وقد تحدث عن « التجديد عند الرصافي » حديثا مسهبا ، ولكن البحث تعوزه الدقة والتبويب ، ويحتاج الى الابتعاد عن الآراء المعادة ، والانطلاق الى آفاق ارحب . وفي هذا القسم كثير من الاحكام التي ينبغي ان يعاد النظر فيها من ذلك تاثر الرصافي بجبران والريحاني من المهجريين وشكري والمازني والعقاد من المجددين .

هذه نظرة عابرة في القسمين الاخيرين ولم اقف عندهما طويلا لانهما يفضيان الى مسارب متشعبة وآراء مختلفة قد لا اتفق فيها مع الكاتبين الفاضلين لان الحديث عن شعر الرصافي ذو شجون .

وهناك ملاحظة عامة تتصل بالمصادر والمراجع ، فقد جاء في بعضها تكرار ودخلها الاضطراب ، وكانت « مقالات الرصافي » قليلة ولو تهيات الاسباب للمؤلفين لاحصوا له اكثر من ذلك ، ولكن غياب الصحف القديمة عنهم اوقعتهم دون بلوغ الغاية . ومهما يكن من امر فقد كان الاساتذة الادباء موفقين كل التوفيق في كثير مما قاموا به ، ولا تفض من كتابهم الثمين ملاحظات عابرة اريد بها التقييم لا التقويم .

جامعة الكويت — احمد مطلوب

●

ديوان ابن رشيق

جمع وتحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن ياغي ـ (؟) صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة (؟)

ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، شاعر ، ناقد واديب كبير ولد في المسيلة (بالمغرب) سنة ٣٩٠ هـ وقيل في المحمدية رحل الى القيروان سنة ٤٠٦ هـ ونال شهرة ثم غادرها الى المهدية في تونس بعد سنة ٤٤٩ هـ . وفي حدود عام ٤٥٤ هـ غادر المهدية الى (مازر) في صقلية حيث توفي سنة ٤٦٣ هـ على القول الراجح .

اسهم ابن رشيق في فنون ادبية متنوعة فله في النقد كتابان مطبوعان هما « العمدة في صناعة الشعر ونقده » و « قراضة الذهب » وله كتاب ثالث في السرقات الشعرية لم يصلنا هو « كشف المساوىء » وله في السيرة الادبية والتراجم كتابان مهمان هما :

« انموذج الزمان في شعراء القيروان » و « الروضة المؤشية في شعراء المهدية » وقد فقدا ، غير ان من الاول نقول مهمة اثبتها بعض مؤرخي الادب وابرزهم ابن فضل الله العمري في مخطوطته الكبرى « مسالك الابصار » ويعكف على جمعها وتبويبها صديقنا الاديب



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التونسي ابو القاسم محمد كرو تمهيدا لنشرها في كتاب .

وله ايضا مساهمة في كتب التاريخ بكتابه المفقود « ميزان العمل في تاريخ الدول » وله ايضا كتاب آخر من كتب التاريخ هو « تاريخ القيروان » وهو مفقود في زمننا هذا . وله في اللغة كتاب « الشذوذ في اللغة » وهو مفقود . وله في الفقه نشاط محمود بشرحه لموطأ مالك ، ولم يصلنا . وله رسائل عدة تمثل مساجلات ادبية قامت بينه وبين ابن شرف منها : رسالة ساجور الكلب ، ورسالة قطع الانفاس ، ورسالة نجح الطلب ، ورسالة رفع الاشكال ودفع المحال ، وكتاب فسخ الملح ونسخ اللمح ، والرسالة المنقوضة ونقض الرسالة الشعوذية والقصيدة الدعية ولم يصلنا من هذه الرسائل شيء .

ويظل بعد هذا الحديث عن ديوانه ، فقد ذكره ابن خلكان في الوفيات غير ان الديوان المذكور ضاع فيما ضاع من تراث السلف . فنهد لجمعه اولا الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ونشره في كتيب سماه « التنف من شعر ابن رشيق وابن شرف » جمع فيه اربعمائة وستة وتسعين بيتا .

ثم قام الدكتور عبد الرحمن ياغي ، بجمع شعر ابن رشيق فاجتمع له من مختلف المصادر والخطان سبعمائة وثلاثة واربعين بيتا نشرها في ديوان صدر عن دار الثقافة في بيروت بعد ان وطأ لها بمقدمة ترجم فيها للشاعر وعرف بمصنفاته باختصار ، وقد رتب شعره وفقا للقوافي ترتيبا هجائيا ، واثبت مصادر ومراجع كل قصيدة او قطعة مشيرا الى اختلاف الروايات في بعض الاحايين ، وقد بلغت مصادره (٤٦) مصدرا ما بين مخطوط ومطبوع . ولعل ابرز المخطوطات التي رجع اليها : تذكرة الصفدي وترتيب المدارك للقاضي عياض ، والجزء من شعر الشيخ ابي الحسن الصقلي وفصوص الفصول لابن سناء الملك ، ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري . وليس من شك ان الرجوع لمثل هذه المخطوطات القيمة يمثل اصالة النزعة العلمية التي تحلى بها جامع الديوان وروح التقصي والتتبع عنده .

وقد رايت ان استدرك على الديوان بعض ما ظفرت به من شعر ابن رشيق في المراجع مما لم يضمه الديوان المطبوع استكمالا لهذا العمل العلمي القيم فمن ذلك .

قال :

يا رب ليل بته ... مثل مبيت النابغه
ولم يساورني سوى ... عقرب صدغ لادغه
وقد بدا البدر المنير ... والثريا بازغه
كانه ترس لجين ... حول درع سابغه

وقال :

وجرى شعاع البدر فيه فانثنى ... كاللازورد المذهب الانثناء

وقال :

وليل بعيد الجانبين سهرته ... مع النجم حتى مقلتي ليس تطبق
وقد جنحت فيه الثريا كانها ... على عاتق الجوزاء فرط معانق

وقال :

خليلي هل اعطيتما اللحظ حقه ... من البركة الحسناء شكلا ومنظرا
اذا باشرت اولى النسيم حسبتها ... من الرنج المفروك ثوبا منشرا
كان شباكا القيت في متونها ... فابقت مثالا فوقها قد تسطرا
ويتركها مر القبول كما انثنت ... معاطف ثوبي راقص قد تكسرا

وقال :

لدينا بركة كالبدر حسنا ... وليس يصيبها كالبدر نقص
كان الريح تأتيها بريا ... حبيب قد تباعد منه شخص
فيطربها الى ان يعتريها ... من الاطراب تصفيق ورقص

وقال :

والماء ساج مستكين هيبة ... لعز دين الله ذي الآلاء
ذوب من البلور عاد لوقته ... في هيئة الياقوتة الزرقاء
يحكي المبارد بالمتون وتارة ... كبطون حيات على رمضاء

وقال ابن رشيق يصف طلع النخيل :

وكم بيضاء مسكي قناها ... من الاغريض حسناء الجميع
هتكت حجابها عنها فابدت ... لسان البحر في يبس الضريع
او العضد الطرية حين ابقت ... بها اثارها حلق الدروع

وقال :

نظرت من البستان احسن منظرا ... وقد حجب الاغصان شمس المشارق
الى دوح كمثري يلوح كانه ... قناديل تبر محكمات العلائق
وسافرة عن اوجه من سفرجل ... يحيل على معنى من الحسن فائق
حكت سرر الغادات منها اسافل ... وتحكي اعاليها نهود العواتق (١)

وقد فات المحقق الفاضل وهو يعدد مصنفات الشاعر الاشارة الى كتاب مهم من كتبه اسمه « تزييف نقد قدامه » ذكره ابن ابي الاصبع المصري (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) في تحرير التحبير في الصفحة ٨٨ وفي الصفحة ٢١٢ وتحامل عليه فقال : « ولو رأى ضياء الدين رحمه الله ـ ويقصد ابن الاثير ـ كتابه الذي سماه تزييف النقد يرد به على قدامه رأى كتابا يحلف الحالف صادقا انه ما تكلم فيه بحرف واحد الا وهو مطبق الجفون ليس له وقت افاقة البتة » . وقال عنه ابن ابي الاصبع في موضع اخر : « فاني رأيت ابن رشيق القيرواني قد ذهب ايضا الى تغليطه في كتاب كان ستره اولى به من اظهاره ، فانه ينادي عليه بجهله » (٢) .

ويلاحظ ايضا ان الدكتور عبد الرحمن ياغي وان بذل جهدا مشكورا في تخريج شعر الديوان ، الا انه كان يكتفي احيانا بذكر مصادر محدودة ولا يهمه ذكر اختلاف الروايات دائما وهو شيء لاثباته قيمة كبرى في النهج العلمي للتحقيق . وساضرب على ذلك بعض الامثلة مما يوضح الفكرة ويدعمها بالدليل العلمي . من ذلك مثلا :

١ ـ وردت القطعة رقم (٢٨) في الديوان بالرواية التالية :

فقل لصروف الدهر ضري او انفعي ... فاني من مثوى بعيد على قرب
هو المرء اما جاره فهو آمن ... واما العدى والمال منه ففي رعب
متى يدعه الداعي لدفع ملمة ... تجاوبه منصور اليدين على الخطب

والنص المتقدم منقول عن مخطوطة للخريدة في الجامعة المصرية ولكن نص خريدة القصر ـ الجزء الثاني ص ١٢٢ تحقيق الدكتور عمر دسوقي وعلي عبد العظيم جاء كالآتي :

فقل لصروف الدهر ضرى او انفعي ... فاني من مثوى العز على قرب
هو المرء اما جاره فهو ارض ... واما العدا والمال منه ففي رعب
متى يدعه الراجي لدفع ملمة ... يجاوبه منصور اليدين على الخطب

ومن المعلوم ان النسخة الام التي رجعا اليها محفوظة بدار الكتب المصرية وهي مصورة عن النسخة الباريسية ، فالرجوع اليها كان في متناول الدكتور ياغي وبالتالي كان اثبات هذه الاختلافات في الروايات امرا ضروريا .

ومن ذلك مثلا ، البيتان الواردان تحت رقم (١٥٧) في الديوان وروايتهما فيه :

اصح واقوى ما سمعناه في الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الامير تميم

وقد رجع في تخريجهما الى المصادر التالية : المعاهد ، والمطرب ، والوفيات . وهذا في راينا تخريج ناقص ، اذ البيتان موجودان في المراجع التالية ايضا : الطراز ليحي بن حمزة اليمني ١٤٧/٣ وفي الايضاح للخطيب القزويني ٢٢/٦ وفي نهاية الارب ١٥٨/٧ وهما ايضا في تحرير التحبير ص ٣٦٦ برواية اخرى هذا نصها :

١ ـ ورد البيتان الاول والثاني في الديوان ص ١١٨ (جمع الدكتور ياغي) وروايتهما فيه . نظرت الى .. به زوج رمان يلوح كانه ..

٢ ـ انظر مقدمة المحقق الدكتور حفني شرف لتحرير التحبير ص ٥٢ وقد احال في العبارة المنقولة على مصدر سماه « الخواطر السوانح في اسرار الفواتح » لابن ابي الاصبع ايضا .

اصح واقوى ما رويناه في الندى عن البحر عن جود الامير تميم واثبات مثل هذا الاختلاف في الرواية امر ضروري في التحقيق العلمي .

وبعد ، فقد التزم الدكتور ياغي ترتيب اشعار الديوان على احرف الهجاء بالنسبة لقوافيها ، وهو منهج حسن ولكنه كان يقحم احيانا ابياتا في غير مواضعها . كما صنع في البيت المرقم (١٢٥) وهو:

كل الى اجل والدهر ذو دول والحرص مخيبة والرزق مقسوم

اذ اقحمه بين القاف والكاف وحقه ان يوضع في روي الميم وفوق كل ذي علم عليم .

بغداد **هلال ناجي**

•

بروق ورعود

ديوان شعر ـ شكر الله الجر ـ تقديم غنطوس الرامي ـ (؟) صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة (؟)

عبقرية الكلمة هبة من الله لا يمنحها الا من كان جديرا بحمايتها والمحافظة عليها من امثال الفنان الشاعر ، والاديب الناقد شكر الله الجر الذي كثر الناهلون من رحيق ادبه وفنه ، وقد حلى جيد الادب بكثير من روائعه الشعرية كالروافد ، وزنابق الفجر ، واغاني الليل ، ودرر القصصية والنقدية ، كالشبح الابيض ، وجزر الخطيئة ، والمنقار الاحمر ، واسمعنا فيها الحب الحانا ، والحنين انغاما ، وصب لنا كؤوس الفن اشكالا والوانا ، وهو اليوم يتوج هام الشعر بدرة ثمينة هي ديوانه الجديد « بروق ورعود » ، وفيه نسمع صراخ الغربة ، واغاني الغياب ، وحنين الذكريات في ومضات شعرية ، ورعود حماسية ، يغنيها لوطنه وقومه ، في موكب مائج من مواكب ابولو ، فلا نلبث حين نتجول بين صفوفه ان نحلق مع الشاعر في سماء الفن والالهام .

وربما كان في تسمية الديوان « بروق ورعود » ما يدل على ما اعتلجت به نفس الشاعر من ذكريات عاصفة عبر عنها في قصيدته التي القاها على ادباء لبنان الذين كرموه بعد عودته من البرازيل عام ١٩٦٤ فقال :

صور من الماضي البعيد تجد في المشتاق وجدا
وعواصف هوجاء تندوي في خريف العمر رعدا
جيش من التذكار كيف ادرت وجهي لي تصدى

ولا يظن احد ان هذه البروق والرعود نذير شتاء قارس ، فوراءها كما يقول الشاعر في همسته الى ادباء امته (ربيع مخضوض زاهر) ، ولكنه اذ يقف (على منبر الربيع) يسائل ملك الورود الذي كسا الارض أسنى البرود ، سؤال اللهيف :

أتعيد من كرم يداك الي ما فقدت يدي
فيعود لي بعد الخريف ربيع أمسي في غدي

اتراه اذا قد بدأ يحس بالخريف يهيمن على رياض عمره حتى راح يوشح قصائده بغلالة من التشاؤم نستشفها من البيتين اللذين يقدم بهما ديوانه قائلا :

هاك أفلاذ مهجتي يا صديقي تتجلى في وجنة الشعر خالا
لست تدري أأدمع في قوافي على الطرس أم دم يتلالا

أم تراه يستوفز احساسه الحزين حين عصفت به الذكريات فوقف يناجي نهر قريته في قصيدته « اغنية النهر » متذكرا ملاعب صباه في ظلال حوره ، وعلى صخور ضفتيه ، فيتشاءم وينشد :

غنني يا نهر ما غنيت لي عهد الطفولة
وازلها غصصا عن جانب القلب ثقيلة
أصبحت يا نهر أيامي مع الدنيا قليلة

قد يكون هذا أو ذاك هو الدافع الحقيقي للتشاؤم عنده ، ولكننا نلمح بروقا من الامل ، وراء هذه السحب الرقيقة ، تلوح في سماء شكر الله يتحدى بها الخريف ، مستعيضا عن شباب العمر بشباب الروح في حواره اللطيف « قالت وقلت » :

قالت الام الهوى ولى شبابك لا زهر ولا ثمر
فقلتما هم ان شمس الصباغربت اذ طالما من شباب الروح لي قمر

فالشباب عنده شباب الروح لا الزمن ، ولكل من زبيع العمر وصيفه وخريفه وشتائه طعم خاص ، وحسن فريد ، وللكهولة في رايه حلاوة لا تضارعها حلاوة الشباب ، بشرط واحد :

شرط الكهولة ان يبقي الشبابلها بعض البهاء فتستجليه انظار
كم في الكهولة حسن لا يضارعه حسن الشباب وفيه النور والنار

والحياة عنده شاشة تتوالى عليها مشاهد المرء في ادواره المختلفة، لهذا لا يبالي ما سيأتي به خريف الحياة وشتاؤها :

لا ابالي وقد تناثر من عمري شباب مخضوض نضر
لا ابالي اذا الليالي استبدت بفؤاد صفاؤه كدر
لا ابالي اذا تحطم في كفي اناء في قعره قمر
كل ما في الوجود مما تراه العين في شرعة النهى صور
شاشة هذه الحياة عليها تتوالى مشاهد شرر
نحن فيها الممثلون لادوار عظام

واي خريف هذا ، والروح الوثابة المفعمة بالحيوية والنشاط تدفع شاعرنا لاطلاق بروقه ورعوده التي تفوق في جمالها وحلاوتها ازاهير ربيعه ، وفواكه صيفه ؟

لقد ظل الجر يذكر وطنه ، ويحن اليه في غربته ، ويتحرق شوقا للقائه ، حتى حنت عليه الاقدار ، فحققت أحلامه بالعودة ، فراح يسمعنا مناجاته لوطنه اناشيد وترانيم في هيكل الحب والجمال :

انا منك يا لبنان يا وطن الجمال نهى ولب
انا من حروف الحب فيك لنقطة في الباء تحبو
انا من كؤوس المجد في كفيك كاس تشرئب

ويرد على من زعم انه استطاب الحياة بعيدا عن بلاده في « اغنية الغياب » التي يحن فيها حنينا عاطفيا رهيفا :

من قال لا اشتاقها شوق الفراشة للزهور
شوق العيون الى ضياء البدر في ليل مطير

الى ان يقول :

ان الحياة بدونها الم واشواق وسهد
ولواعج هي في خضم مدامعي جزر ومد
سيظل من ذكرى هواها لي مع الانغام عهد
في شهقة الناي التهافات وفي الاوتار وجد

وتتجلى رعوده القاصفة في تلك الصرخات التي يتوجه بها الى ابناء امته ليحضهم على الاخذ بأسباب المنعة والقوة حتى يقهروا أعداءهم :

ام لم يقم جيش وراء صداحكم ضوضاؤه
جيش له يوم الكفاح فنونه ودهاؤه
وقلاعه وحصونه وسلاحه ومضاؤه
هيهات يشفع للضعيف نبوغه وذكاؤه
وجلال ماضيه وما حفلت به انباؤه

ولا ينفك الاستاذ شكر الله ينحي باللائمة على ابناء وطنه ، ويقرعهم تقريعا شديدا ، عسى ان يتخلصوا من السلبية والضعف والمداجاة فيقول :

حتام نشهد بالعينين مصرعنا كانما الامر فينا ليس يعنينا
ابناء قومي كفى ضعفا ومسكنة كفى على الضيم تطفيفا وتهوينا
يكاد واحدنا يخشى الجهار بما في نفسه فنداجي من يداجينا

ويطلقها رعودا صاخبة في قصيدته الاخيرة متوجها بها الى وطنه معاتبا ومعنفا ، وفي قلبه مرارة وغصة :

أتكون للشذاذ دنيانا مراحا ثم مغدا
أتكون للدخلاء مرتزقا ومنتجعا ووردا
أتكون للقطاء من أي الدروب حمى وعضدا
أتكون للمتآمرين عليك انعاما ورفدا
وفتاك منهو من جذوعك في الصميم ابا وجدا
متلفع بالليل لا خد يقبل منه خدا
في حين تغمر شمس عطفك من تمرد واستبدا

وبعد ، فان ديوان « بروق ورعود » لجدير بدراسة اعمق واشمل، وليس ما ذكرته هنا سوى لمحات خاطفة ، وخواطر سريعة ، أحببت ان ازجيها تحية اعجاب واكبار للشاعر الملهم ، والفنان العبقري الكبير ، وليسمح لي ان اقول بلسانه :

حسب الاديب بأن التاج منخلع والسيف منحطم الا يراعته
عرش الاديب بعرش الشمس منعقد فلا تزعزع كف الدهر منعته

بل لن يطوح بعرشه الفني خريف ولا شتاء ، وانما سيظل انتاجه نابضا بالحياة ، فواحا بالعطور والطيوب ، لان وراءه ربيعا مخضوضرا زاهرا يرقص بأجنحة الهوى والشباب .

جامعة دمشق **عزيزة مريدن**

•

الصحافة في الحجاز

تاليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الامانة ببيروت

الصحافة في الحجاز (١٣٢٦ هـ ـ ١٣٦٠ هـ : ١٩٠٨ ـ ١٩٤١ م) كتاب شامخ حقا ، للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس بكلية الآداب بجامعة الرياض يتناول حركة الصحافة وتاريخها وتطورها في الحجاز في ثلث قرن من الزمان ، في فترة كانت حافلة بشتى التطورات، وكانت حاسمة في تاريخ نهضة هذه البلاد وتقدمها .

وقد صدر المؤلف عن منهج علمي اصيل ، وامانة في البحث لا حد لها ، مع الاستقصاء والشمول ، والرجوع الى المصادر المنوعة ما امكن الباحث ذلك ، لذلك خرج الكتاب ذا طابع مستقل في البحث والدراسة ، وذا صبغة علمية مركزة . ويحتوي الكتاب على دراسة ونصوص واسعة لنشأة الصحافة وحركتها في هذه البلاد ، في فترة تمتد من اواخر العهد التركي الى الحرب العالمية الثانية .

ومادة الكتاب العلمية مفخرة حقا للكتاب السعودي المعاصر اليوم، وهي تمثل جهدا علميا كبيرا يبذله الجامعيون والمفكرون في هذه البلاد، من اجل ازدهار الحركة العلمية والبحث الاكاديمي ، ومن أجل وجود الكتاب المقروء في هذه البلاد باقلام ابنائها وصفوة المثقفين فيها . وقد اعطى الدكتور الشامخ لبحثه كل ما يجب ان يعطيه له من بذل وجهد واهتمام وتركيز ومراجعة واطلاع ، مما نحمده له ، ونقدره من أجله .

يتضمن الكتاب ابوابا ثلاثة :

الاول عن تاريخ الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني (١٣٢٦ ـ ١٣٣٤ هـ : ١٩٠٨ ـ ١٩١٦) حيث كانت السيادة لتركيا آنئذ على هذه البلاد . وتناول هذا الباب في فصله الاول دراسة لنشأة الصحافة في الحجاز ، وللصحف الحجازية في هذه الفترة ، من امثال جريدة « حجاز » التي كانت تصدر عن مطبعة الولاية منذ ظهورها عام ١٩٠٨ ، وجريدة « شمس الحقيقة » التي صدرت عام ١٩٠٩ ذات طابع تركي ، وكانت تنطق بلسان جمعية الاتحاد والترقي ، وجريدة « الاصلاح الحجازي » و « صفا الحجاز » و « الرقيب » و « المدينة المنورة » وكانت هاتان الصحيفتان تصدران من المدينة المنورة . ويتحدث المؤلف عن حركة انشاء المطابع التي ظهرت عام ١٩٠٩ ، وكان من ثمراتها المطبعة الماجدية وغيرها .

ويتناول الفصل الثاني من هذا الباب نصوصا صحفية من صحف ذلك العهد .

والثاني عن تاريخ الصحافة في العهد الهاشمي (١٩١٦ ـ ١٩٢٥) ، ويتحدث المؤلف في الفصل الاول عن « القبلة » التي كان يرأس تحريرها محب الدين الخطيب ، و « الحجاز » و « الفلاح » و « بريد الحجاز » وهي كلها من صحف ذلك العهد . ويتناول في الفصل الثاني نصوصا مختلفة من صحف تلك الفترة .

والثالث من تاريخ الصحافة في اوائل العهد السعودي (من ١٣٤٣ ـ ١٣٦٠ هـ : ١٩٢٤ ـ ١٩٤١) ويدرس فيه المؤلف في الفصل الاول منه تاريخ الصحافة والصحف في هذه الحقبة : كصحيفة « ام القرى » الرسمية الاسبوعية وصحيفة « صوت الحجاز » (١٣٥٠ ـ ١٣٥٩ هـ : ١٩٣٢ ـ ١٩٤١) التي تعد من ابرز المعالم في تاريخ الادب الحديث في المملكة العربية السعودية ، وقد توقفت نحو خمس سنوات لظروف الحرب (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) ، ثم صدرت باسم « البلاد السعودية » ، واخيرا باسم « البلاد » ، وكصحيفة « المدينة المنورة » وكمجلة « الاصلاح » ومجلة « النداء الاسلامي » ومجلة « المنهل » التي اصدرها الاديب السعودي الكبير عبد القدوس الانصاري في المدينة عام ١٣٥٥ هـ : ١٩٣٧ م ، ولا تزال توالي الصدور حتى اليوم ، معتزة بكفاحها الادبي والصحفي خلال خمس وثلاثين سنة .

ويذيل المؤلف الدكتور الشامخ كتابه بفهارس متعددة للمصادر والاعلام والمطابع والمؤسسات الصحفية ولمحتويات الكتاب ، ويا حبذا لو ذيله بفهرس لكتاب ولمقالات صحف هذه الحقبة من حقب تاريخ الصحافة في هذه البلاد .

ويقول الدكتور الشامخ في مقدمة كتابه في تواضع العلماء والباحثين :

« حاولت في الصفحات التالية ان ادرس صحافة الحجاز ، دراسة تاريخية ، وان اشير الى ما قامت به من دور في خدمة الحركة الفكرية والادبية ، منذ عام ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٠٨ م ، حتى عام ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م » .

والعناية هنا بدراسة صحافة وصحف الحجاز في هذه الحقبة الحافلة ، لان الحركة الصحفية فيه كانت اسبق الحركات الصحفية في

قضايا ومجامر

مجموعة شعرية

ثريا ملحس

٢٨٠ صفحة حجم كبير ٦ ل. ل.

دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

ارض الجزيرة العربية من جانب ، وكانت مقدمة لحركة الصحافة في انحاء المملكة كلها في العهد السعودي من جانب آخر ، وهي هذه الحركة التي نراها ونتمثلها امامنا اليوم .

ان كتاب « الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ ـ ١٩٤١ دراسة ونصوص» بمادته العلمية المركزة الخصبة ، وبأناقة اخراجه ، ليعد من اجمل الكتب التي يجب ان نعتز بها اعتزاز المقدرين لجهود العلماء والكتاب من اجل العلم والبحث . واتمنى ان اراه في كل بيت لنطمئن على ارتفاع مستوى الثقافة في الامة ، وعلى ان جمهور المثقفين ارتفع عن مستوى تأثير المجلات المصورة التي تلاحق الجنس وتغري الناس بقراءتها من أجله .

وقد يكون الكتاب مقدمة لتفكير جدي في قيام كلية الآداب بجامعة الرياض وبجامعة الملك عبد العزيز ، وكلية اللغة العربية في الرياض بدراسة مادة الصحافة ضمن برامجها .

ومن التدقيق ان هذا الكتاب قد صدر ، وصدر معه كتاب « موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية » بقلم محمد ناصر بن عباس ، وصدرت معهما دراسات صحفية علمية مركزة ، كهذه الدراسة التي كتبها العلامة الكبير عبد القدوس الانصاري عن مجلة « الحج » ، وتنشر تباعا في مجلة « التضامن الاسلامي » .

تحياتنا للدكتور الشامخ ولكتابه .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

شلحة ناي

ديوان شعر ـ علي الزيبق ـ تقديم سعيد عقل ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت

هذا هو الديوان الثالث لشاعر حلب علي الزيبق ، فقد أصدر قبله ديوان « سامبا » (حلب ١٩٥٢) ، وديوان « النبعة اليتيمة » (حلب ١٩٥٩) .

وقعت في هذا الديوان على نفس موسيقي جديد لم أحس به في ديوانه « النبعة اليتيمة » . انها موسيقى حية عذبة ، تبلورت ، واتخذت انغاما حلوة طابعا لها ، بعدما كانت فيما سبق ضربات اوتار ناعمة فحسب ! واكاد اقول صادقا انني فوجئت بهذا الديوان المشتمل على الغزل وحده . وليس غريبا ان يصدر شاعر ديوانا خصه بالغزل ، ولكنني ما توقعت يوما ، ان هذا الانسان الهادىء الطبع ، الصامت ، قد أمضته تجارب وتجارب ، ونحتت قوافيه همسات الحب وخفقات الفؤاد . واذ عدت الى نفسي أراجع ما اعرفه عن علي الزيبق ادركت ما لرهافة حسه من عمق ، واندفاع ، وشفافية ، فمشاعره كما اعلم اجنحة فراشات مذهبة . كنت اتصور انه عانى من الحب ما يعانيه كل رجل في بدء حياته ، فاذا به يحملنا على ظهر الغمام ، ويطربنا بهذه الانغام التي تحمل تحت اجنحتها بقايا السم ممض ، وذكريات نامت في صدر الشاعر لتستيقظ خيالا معطرا بنكهة خاصة .. ان قصته مع المرأة طويلة ، وتجربته عميقة ، فاذا به يجدها كاذبة ، كاذبة ابدا :

نقلت لي الاخبار من وردة لوردة في الشفة الغضة
شردتني ما بين ، ما بين ضفيرتين ، يا حلوتي
كذابة أنت ، وما من غد أجمل تنقلين في الخطوة

لقد احسست عند قراءة القطع والقصائد الشعرية انها قيلت في لحظة شعورية واحدة ، او هي متناسبة التوافق . فالموضوع هو المرأة ، والنداء هو نداء العطش والالم والحرمان ، وهو عطش روحي يلبس ثوبا ماديا . وكما قال سعيد عقل في مقدمته « بعض من هذا الديوان ستخبئه صبية تحت وسادتها ، وستبكي جاهشة لان حبيبها لم يعرف ان يبثها مثل هذا البث » . فمنذ فاتحة الديوان ، وهي بعنوان « غيرة » ، نحس بهذا المد العاطفي المبثوث ، والذي لبس ثوبا من الشكل والمادة .

وتتوالى بعدها قصائد ومقطوعات نسجها الشوق والعذاب ، وعزفتها البراءة ، وكاننا ننتقل كفراشة عاشقة من زهرة الى زهرة ، فيقول في « أمان » :

أواه من خمارة الظن ... أواه من العري الذي يبهر ..
عمقني الحزن ، فمن معزف الحزن خموري كلها تعصر

وينظر الشاعر الى المرأة فيجدها جمالية مطلقة ، وحلما ابيا ، وقاربا يبحر به عبر احلامه :

أنت خمري ، لطالما لونت دربي بأسرار روحها المشبوب
أنت يا أنت ! قاربي كلما ابحرت في الفجر بين زهر وطيب

لقد عذبت المرأة الشاعر ما شاء لها ان تعذبه ، بل تمادت ، فتلذذت بتعذيبه . ولكن الشاعر لم يشأ ان يفصح لنا عن السبب الحقيقي ، أهو زيف المرأة أم كذبها ! أهو غيرته النرجسية أم حرمانه المطلق ، وجوعه وعطشه .! انه يعترف بشقائه :

ولو تدرين ما بي من شقاء
وما بي من شقاء يا هنائي !

ويقول في مقطوعته « ما بيننا » :

عذبتني ، عذبت هذا الهوى فما الذي تبغين يا وحشية

ولعل مصدر ألم الشاعر وعذابه هذا الاهمال الذي لقيه من المرأة التي لا تعيره لفتة او بسمة او تعطيه لحظة سحرية . لقد أحب بصدق ، أحب ببراءة تامة ، وخيالية مغرقة :

كم غزلت يداي أغنية
لعلني ألبسها الاغنية !
فما أعرتني ، ولا لفتة
لا بسمة ، لا لحظة سحرية

أهي عقدة شائكة يعاني منها الشاعر ، هي ظاهرة الاهمال ، أم أن الشاعر لم يفهم نفس المرأة ولم يسبر غورها فيكتشف مفاتيح كنوزها ؟ ومهما يكن من حال الشاعر فقد قدم لنا تجربة ومعاناة خاصة في اطار غنائي ، مفصحا عن المرأة التي لا ترعى عهدا ، ولا تحفظ ودا ، ولا تحترم حبا :

ولقد كنت تكذبين ، وها اني تعلمت ان اصير كذوبا
مرحبا .. جاء دورك الآن، فامضي احملي ، مثلما حملت ، الصليبا
ستزين الحياة صحراء ملح وتقولين قد اضعت القلوبا

ولعلنا نجد في ديوانه ريحا تشاؤمية هي استمرار لما في ديوانيه السابقين ، فهل وصل الشاعر حد اليأس من المرأة ؟ لا . انه يجد لذة خفية في عذابه ، ولكنه لا ينكر عمق المه وبؤسه .

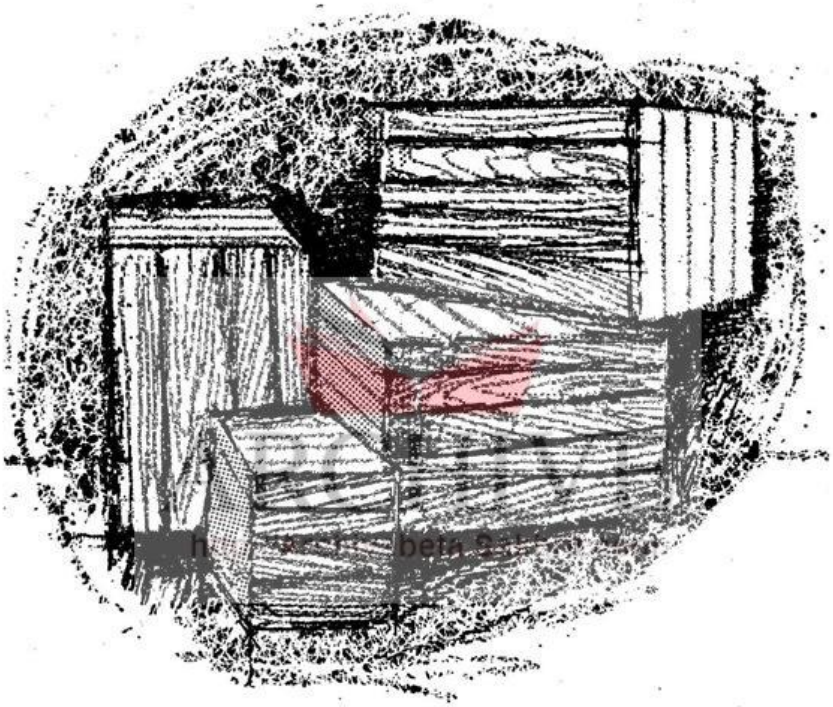
وقد ناخذ على الشاعر انغماسه في مادية مطلقة ، ولكن الصورة الجمالية واللون الموسيقي العذب قرب هذه المادية الى حافة خيالية ، فجاءت الصور على عادة الشاعر ، مجنحة ، لا تخلو من الابداع :

اواه يا حبيبتي ! اواه من شفة اذا قبلتها اتحدر

بقي ان اشير الى موسيقى اللفظة الواحدة . ان الايقاع الداخلي او الميلودية والانسجام التام بين المعنى والصورة هو ما اجده سمة جديدة متغلبة في « شلحة ناي » ، فالريح الغنائية هي نسيج داخلي يمتزج بنفس الشاعر وقدرته وعطائه . ولا يعني هذا ان الديوان خلا من النثرية والجملة المسطحة المبتورة ، الا ان هذا لا يعنينا من نظرة جديدة واسعة على شعر هذا الشاعر لنعطيه حقه ، ونأخذ حقنا كقراء أولا .

حلب **جهاد الكاتب**

ليست هناك قائمة انتظار لمشحوناتكم بطائراتنا



حين تعهدون الينا بمشحوناتكم نبادر الى نقلها بأول طائرة وبالكفاءة والعناية اللتين اشتهرت بهما شركتنا.
ان أسطول طائراتنا يقوم بأكثر من ١٥٢ رحلة كل اسبوع من بيروت الى ٣٤ مدينة في أوروبا وافريقيا والشرق الاوسط، وهو يؤمن اكبر عدد من الرحلات بدون توقف. وهذا يفسر السبب في أن كل ما يشحن بطائراتنا يصل بسرعة أكبر.
نحن ندرى بكيفية الاعتناء بمشحوناتكم.

MEA

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية



وحيد الدين بهاء الدين

جعفر الخليلي وامشاج من ارائه وافكاره

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

قلما تجتمع صفات متمايزة في فرد معين ولو اديبا مثلما اجتمعت في شخصية جعفر الخليلي .. فالخليلي احد رواد القصة العراقية وصاحب صحيفة « الهاتف » التي كان لها اسهامها الملموس في ذيوع المضمونات الفكرية المعاصرة وتخريج عدد غير ضئيل من الادباء والشعراء . وهو واضع مشروع العتبات المقدسة .. تبنى فكرتها بادىء بدء وشارك في كتابة بعض فصولها وعني عناية فائقة باخراجها الى الميدان في ثلاثة عشر جزءا ، بينما البقية تاتي .

الى جانب هذا كله يعد الخليلي كاتبا اجتماعيا طالما عالج في احاديثه الصحفية والاذاعية .. بُ اقاصيصه ويومياته شتى مظاهر الحياة وقضايا المجتمع الحساسة كالتقاليد والعنعنات .. الاساطير والمأثورات الشعبية . من هنا يقول : انك تستطيع ان تتابع حركة المارة على الجسر الماشين المحتذين منهم والحافين ، الراكبين والراجلين ، الساكرين بغفلة الزمان والذين اجتازوا امتحان الايام المثقلين بالهم والغم وما حملوه على رؤوسهم وعلى ظهورهم او ما القوا به على كواهل غيرهم . كل هذا هو الذي يبعث للكاتب الفكرة ويثير في نفسه الاهتمام بموضوع معين وهذه هي وحدها التي يتخذ منها الاديب مواد ادبه ويؤلف منها عناصر مواضيعه .

ثم انه فنان بارع التصوير في سرد ذكرياته وانطباعاته الخاصة عن الذين عرفهم على مختلف مستوياتهم وربطها بنسيج شفاف باصالة ذاتيته وواقعيته . انه ايضا باحث ومؤلف .. ناقد ومنرجم من طراز مرموق افاد الخزانة العربية المعاصرة باعمال متسمة بالشمولية والموضوعية منها (التمور العراقية نفحات من خمائل الادب الفارسي ... كنت معهم في السجن .. ما أخذه الشعر العربي من الفارسية والشعر الفارسي من العربية) وما اليه .

يحار المرء ازاء هذا الزخم ذي الروافد وهو القاعدة الثقافية العريضة لجعفر الخليلي ، واي جانب هو الاجدر بالتناول والتقييم والادعى الى التحليل العلمي والتفسير الوجداني ولاسيما اذاشاء ان يطل على زاوية غير مطروقة ولا مسبوقة .. ومن الاجحاف ان اتهم ذاتي بالاستغراق اذا ما قلت : ان هذا كله قد اطبق على فكري واشغل حيزه شعورا حتى اذا استقررت على شيء يمكن ان يمثل نقطة البداية بالنسبة الي خلتني ابدأ من حيث لا ادري .. ؟

رحت ادور في حلقة مفرغة .. مع ذلك فانا محاول ان ابدأ من حيث ادري ... والبداية ، اكبر الظن مرهونة بنهايتها واثر هذه النهاية سلبا وايجابا ..

حضارة البشر ، وليدة امتزاج الخيال بالواقع .. تنافر المثل الروحية والمادية .. صراع القيم الثابتة والطارئة .. تجاذب القديم والجديد .. تقدم العلوم وتطبيقاتها بدرجات هائلة مذهلة .. وما دامت كذلك فان موقف الانسان وبالاخص غير الاعتيادي كالخليلي مثلا يستمد من صميم الحالة الحضارية الماثلة وتحولاتها ويتقرر في ضوء علاماتها الفارقة على امتداد الدرب الطويل . الا ما اصدق الخليلي حين يقول : « يحتاج الانسان الى عمرين ليجرب الدنيا باحدهما ويفيد من تلك التجربة بالثاني » .

بمعنى ان جعفر الخليلي الذي عركته الحياة بتجاربها المضنية وشحنه الزمان بطاقات على التفتيش والتحوط لم تكن مهمته ، وهو الخارج من المعترك الصاخب بكبرياء وحصافة ، الا التاثر بردود الافعال المعاكسة في نفسه ، والانصياع لاصدائها ونتائجها ثم الافصاح عنها باداته وطريقته المعول عليهما في تحقيق رسالة الادب والفن . فقد قال : « ليس كل من يستعرض شيئا يستنتج شيئا وليس كل من يفكر في امر قادرا على استكناه الامر والقدرة على الاحاطة ونفوذ النظرة هي اول عدة الاديب حين يريد اختيار الموضوع » ..

من هنا كانت اراؤه وافكاره .. امثاله وكلماته .. مؤلفاته واثاره .. وتسليط الضوء الكاشف على امشاج من هاتيك الاراء والافكار هو ما يعنيني ..

ان المرأة يستحيل ان تساوي الرجل في الحقوق والواجبات ، وان زعمت ذلك بدعوى تطور الحياة الانسانية وحتمية التاريخ وبحجة ان ما حققته من انتصار في بعض الميادين التي خاضتها عبر نضالاتها يؤهلها المطالبة بما تريد ناهيك بالتمتع بما يتمتع به الرجل من امتيازات .. ولكن هيهات ...!؟ فالمرأة مخلوق بينه وبين الرجل من الفروق التشريعية والنفسية ما يدعو الى التأمل العميق ، بينما المطالبة بالمساواة ضرب من الوهم والهذيان ... جعفر الخليلي نصير المرأة في حدود .. يعبرها كل ما بوسعه ، حتى ينفي عنها الخبث ويرجعه الى خبث الرجل معكوسا على وجهها .. الا انه يخالف اولئك الذين يدعون الى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء ويناقشهم بمنطق موضوعي اساسه الخبرة والكشف لا لشيء الا لمخالفته ناموس الطبيعة وواقع الخليقة . يقول معلقا على مقال روكس بن زائد العزيزي وعنوانه « الله والمرأة » :

« ولكننا لسنا معه مع كل اسف في ما ذهب اليه من دعوة التساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق تساويا كاملا في كل امر من الامور الكبيرة والصغيرة ذلك لان الرجل مخلوق اخر له تكوينه الخاص وطبيعته الخاصة ومزاجه الخاص واذا اختلف التكوين والطبيعة والمزاج اختلفت نتائج الاعمال وبنسبة اختلاف النتائج تختلف الحقوق وتختلف الانصباء » . ثم يقول : « ليس الرجل هو الذي فرق بين مؤهلاته ومؤهلات المرأة ذلك لان عالم الحيوان الصامت مليء بمئات الشواهد على ان للديك عملا وواجبات غير عمل الدجاجة وواجباتها وان للخروف بين قطيع الغنم مكانا غير مكان النعجة فيه فكان من جراء ذلك ان يختلف نصيب هذه الحيوانات وتختلف حقوقها في دنياها بنسبة اختلاف هذه المؤهلات التي خص بها الذكر من الحيوان والانثى منه . وباختصار: اننا نعتقد ان حقوق المرأة غير حقوق الرجل ما دامت المؤهلات مختلفة وان الحق عندنا هو ان يأخذ كل من الرجل والمرأة من الحياة كل شيء تهيأ له بدون اقل زيادة او نقصان وبدون تدخل من اي جانب في شؤون الجانب الثاني » .. علاوة على هذا يقول الخليلي قولا

طريفا : « ان المرأة لو كانت متساوية في حقوقها الطبيعيه مع الرجل لبدء النداء باسمها مرة وباسم الرجل اخرى ولقامت هي بالوظائف التي يقوم بها الرجل نحوها من مثل هذه التكريمات ».

اذا كان الشيء بالشيء يذكر فان الخليلي لم يحجم عن الاكتراث لقضية المرأة بما هي حرية به . عندما حمل حافظ جميل شعرا (1) على المرأة تلك الحملة الشعواء المعروفة انبرى له المعارضون المستهجنون من كل صوب وحدب يردون عليه ويبارون قصيدته منتصرين للمرأة المظلومة في نظرهم . ولئن كان عبدالقادر رشيد الناصري هو الشاعر العراقي الوحيد الذي عزز رأي حافظ جميل وانضم الى جانبه مؤيدا فان الخليلي وقف موقفا وسطا بين حافظ والمعارضين له ، عملا بالحكمة القائلة :

توسط تزد شانافي الكف خمسة واطول ما في الكف وسطى الانامل

حيث يسوق كلامه : « والخليلي الذي عرف بنصرته للمرأة ليختلف مع المحتجين اختلافا كبيرا فيما ذهبوا اليه لانه لا يرى في القصيدة الا مجرد خاطرة ادبية طالما قرانا امثالها في الماضي والحاضر وطالما جرت مساجلات ومعارضات ادبية تناولت فيها المرأة الرجل والرجل المرأة باعنف ما يتناول العدو عدوه في صورته الادبية ومبناه الشعري اما الحقيقة فلم يكن الرجل ولم تكن المرأة قد قالا ما قالاه الا بدافع ادبي لا يزيد على هياج الخواطر الادبية البحتة » ويختم كلامه : « ان حافظ جميل ـ كما نعرف نحن ـ يعرف كل ذلك ويعرف ان المرأة نصيفة الرجل المكملة للانسان والفرق هو ان حافظ جميل شاعر بارع وان المحتجين لا يميزون مع الاسف ما يقال باسم الشعر وما يقال باسم المنطق ».

ثم ان الخليلي حلل مشكلة حب معقدة على صفحات «الهاتف» واشرك المكلومين والمكوين بلهيب الخب بابداء ارائهم فيها حرصا على بعض المثل الاجتماعية الرفيعة ومما قاله : « هذا مجمل ما اسمعنيه الرجل وقد غبت في عالم لا يحسد من التفكير في مثل هذا الحب الموزون الذي قل نظيره والذي لم يتناوله الادب بالتصوير الا قليلا لانطوائه في صدرصاحبه ولكتمانه حتى عن المحبوب ... »

للمزايا البيئية والدينية والتاريخية التي تنفرد بها مدينة النجف دون سائر مدن الدنيا وما لهذه المزايا من تاثير كبير في نفوس قاطنيها وطبعها بطوابع ذاتية قد لا نجدها عند غيرهم ، وفي واقعهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي فقد خصها الخليلي باحدى روائعه وعنوانها « البلد الذي يعتاض الشعر عن السينما والملاهي » وبها يقول : « والنجف لا تعرف الملاهي ولا تعرف السينما ولكنها تعرف الادب وقد اتخذت منه منذ القديم سلوة ولهوا تعتاضه عن السينما والملاهي فهو الوسيلة الوحيدة التي تلجأ اليه النجف في الاعراس لتؤلف منه فلما (كوميديا) وهو الوسيلة الوحيدة التي تلجأ اليه في المراثي والنكبات لتؤلف منه فلما (تراجيديا) وهو بعد ذلك يدخل في ثنايا العلوم وطيات الفنون لينظمها قصائد الغيات ومئويات لجميع العلوم حتى الفلسفة منها .. » .

هكذا ابرز الخليلي النجف في اطار لوحة فنية واقعية تحقق الامتاع النفس وتثير روح الاطلالة كما سبق ان اثارت النجف نفسها رغبة المتعطشين الى معانقة التراث الخالد فيها وارتياد موارد العلوم والفنون فاستدرجتهم الى نشدانها وتجشم وعثاء الطريق اليها .

ثمة موضوع اقام له الخليلي الوزن الخليق به فرسمه بريشته المطواعة محددا ابعاده واثاره في حياة المجتمع العراقي ذلك هو الجمود والتقليد اللذان يرافقان واقعنا ويتخللان تصرفاتنا ويخمدان جذوة الانبعاث فينا ، ومتخذا هذه الظاهرة اساسا للتدرج الى الحياة العامة في شمولها واهوائها . اسمعه يقول :

« اما اننا جامدون فهذا ما يشك فيه الا المكابرون والمغرورون وقد قام لنا في كل مشهد وكل ناحية دليل والف دليل على اننا ابعد ما نكون عن الابتكار في كل وسيلة من وسائل الحياة وكل سبب من اسباب المعيشة وحتى الفن والادب لم يستطع ان يخفي الجمود وهو الصورة الصادقة للحياة وكل ميزة الفن انه ينقل الصورة في اطار جذاب جميل ساحر واية صورة يمكن ان تخلو من هذا الجمود ؟ اهي صورة البناء وقد ثبت ان البناء في تخطيطه الحديث لم يتعد حدود التقليد الاعمى وهؤلاء هم ـ الا ما قل منهم ـ المهندسون الذين يضعون التصميم ويفضلون ان يفهموا ان تصميما كهذا لا يمكن ان يوضع لبناء يقام في وسط هذه درجته من الحرارة وهذا موضعه من مطلع الشمس ومغربها وهذه نشاة اهله من حيث محافظتهم على تقاليدهم او التزامهم بنحو معين من اساليب الحياة وانما كل ما يعمل هذا المهندس هو ان ينقل خريطة كان قد رآها او رأى ما يشبهها مخطوطا في تصميمات الابنية الغربية الحديثة فجمد عليها دون ان يلتفت لملاءمتها او عدم ملاءمتها لهذا المحيط ولهذه الحياة ».

ويستطرد الخليلي : « ان الطبيب لا يستطيع ان يمد يده بالاسعاف الى جريح او مصاب في قضية مشوبة بالشك في وقوع اعتداء او جريمة ما لم يحضر المحقق من الشرطة وكم ذهبت بسبب انتظار المحقق نفوس كان بالامكان التغلب عليها في صد نزيف او اجراء عملية سريعة او غير ذلك من وسائل الاسعاف . فكل واقعة اعتداء بسبب حروق او غرق او سقوط او اية جريمة لا ينبغي ان ينتظر لها السلامة اذا كانت في حالة الخطر واذا كان المعتدى عليه بعيدا عن الشرطة وعن المحققين ، ذلك لان القانون الجامد يحتم على الطبيب ان لا يمد يده بالاسعاف قبل اجراء التحقيق ؟! وينسى هذا القانون انه قد اناط بالطبيب المحافظة على اغلى ما في الحياة وهي النفوس فكيف يجمد القانون ويجبن في ان ينيط بالتحقيق في مثل هذه الحالات الخطرة ويوصيه باجراء اللازم من المعالجة والاسعاف السريع .. »

للخليلي نفثات ادبية ولمحات فكرية في ذروة الروعة والعمق والمنطق، يمكن ان يرتكز على جانب منها الكيان الحضاري للانسان العربي المعاصر. ما انتجه عبر نصف قرن تقطر لواقع معاش وحصيلة لمعاينة ناقدة .. نافذة في آفاق الحياة والوجود ، وعصيرة لمعاناة موصولة العطاء والتدفق.

من الموضوعات التي يتناولها الخليلي بالتعليل والتفسير ادب اغنياء الحرب او مستحدثي النعمة كما كان يسمى . انه يقول : «عرف نوع جديد من الادب في اثناء قيام الحرب الاخيرة في الشرق العربي يجدر ان يسمى بادب اغنياء الحرب ذلك لان الذين اثروا بسبب الحرب في هذه الاقطار التي صارت ممرا ومعبرا للجيوش واسواقا متصلة الحركة صاروا في الكثرة بحيث لا تعدم المدينة الصغيرة وجود مئات منهم فكيف بالمدن الكبيرة والعواصم ، وكان لا بد لهؤلاء ان يتغيروا ويتبدلوا حسب مقتضيات طبائعهم وامزجتهم من جراء هذه الثورة الطائلة التي لم يكونوا يحلمون بها فنشا من ذلك التغيير والتبديل مزاج جديد دس انفه بين الامزجة الادبية الاخرى فكان لونا جديدا من الوان الادب .. »

لقد درس الخليلي التكوين التاريخي لهذا اللون الجديد من الادب واظهر صلته الوثيقة بطبائع البشر وبحالاتهم الراهنة وما يكتنفه من عناصر الفكاهة والشذوذ مضمنا اياه ببعض الحكايات والاحاديث التي ان دعت الى الاشفاق ، والرثاء طورا اثارت الدهشة والذهول طورا اخر .. لذا يقول : « ولقد كان هذا اللون او شبيه هذا اللون موجودا في الادب العربي من قبل وهو ما كان يرمز الى مستحدثي النعمة ويحوم حولهم ويتناول احوالهم ولكنه من القلة بحيث لا يصلح ان يكون ادبا مستقلا اما وقد كثر عدد اغنياء الحرب وكثر تماسكهم بالناس وكثر الادباء الذين تناولوهم بالشعر والنثر ووضع الفكاهات فقد صار ادبا مستقلا .. »

عندي ان ادب اغنياء الحرب يعكس ظاهرة اجتماعية تصلح ان تكون مادة ادبية قائمة برأسها . فالذاتية البشرية لا يسقط عنها القناع الا في النادر وبحوافز غير متوقعة ، لان ادبا كهذا يصور اناسا ابطرتهم نعمة تداعت اليهم من حيث لا ينتظرون وفي غفلة من الزمن فشرعوا

(1) ص ٦٢ انظر كتابي « من الادب العربي المعاصر » المطبوع في سنة ١٩٦٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتناسون ماضيهم ويتنكرون لمثلهم السابقة ولا يحسون بما يحيطهم كما لو كانت الاشياء قد فقدت وجودها ، ناهيك بتعاظمهم وتعاليهم على الاخرين . لقد قال الخليلي بالحرف الواحد : « وقد تعددت الصور الادبية لاغنياء الحرب واصبحت ذات الوان تثير الرغبة للتطلع اليها وتمليها والتفكه بها وصار لاغنياء الحرب او (مستحدثي النعمة) ادب خاص سد فراغا كبيرا في عالم الادب بعد انكان مقتصرا على صورة واحدة وبعض الصور الباهتة من النقد والهجاء الذي ورد عرضا في دواوين الشعراء او (الكشاكيل) باسم مستحدثي النعمة ..»

ولاهمية هذا الادب الطريف دعا الخليلي الى جمعه وتنسيق مواده تصويرا لخبرة حياتية وترويضا للفكر ، وترطيبا للمزاج .

ما تفتا المطارحات تتواصل والخلافات تنشا بشان وظيفة الادب وغايته . هل الادب للادب او الادب للحياة ؟ في الوقت الذي يتغابى هذا او ذاك عن ان الادب دو خاصية انسانية لا تزال بموازين الزمان والمكان ولا تثمن بقيم نقدية جاهزة مسبقا . من اجل هذا يرى الخليلي ان ليس ثمة داع لتضارب الاراء والافكار في قضية ينبغي انتبذل الطاقات في غيرها من القضايا الفكرية ، تلك التي تتجدد على مدار الايام وتتفاعل مع كل التيارات والاتجاهات السائدة .. فالادب اما ان يكون ادبا بالمعنى الصحيح واما لا يكون . وكذلك الحال في الفن .. معناه قطعا : ادب او لا ادب ... هذا نفسه ينسف بالضرورة خرافة الادب النسائي والادب الرجالي ، ويرفض حذلقة دعاة الشعر الحر وتفضيلهم اياه باسم التحرر والتجدد على الشعر العمودي : وريثالحضارة العربيةالعريقة

والخليلي يقول : « فالحقيقة التي لا تقبل الجدل هي انه ليس هناك شيء اسمه ادب دون انيحكي الحياة ويعكسها ويصورها للذهن تصويرا صادقا بجميع ما فيها من حقائق واوهام واخيلة . فما هو معنى الادب للادب اذا كانت غاية الادب كغاية المصور وكغاية المهندس وكغاية الموسيقار ؟ اننا نفهم للان ان هنالك مهندسا يضع تصميما لبناء من الابنية ثم تكون غايته من ذلك هي وضع التصميم لمجرد التصميم ؟ مع انالعمل للبناء لم يرد به الا ان يقام جسر مثلا يربط بين جانبين متباعدين وانتشيد دار تضمن لساكنيها حاجاتهم وغاياتهم من السكنى وغير ذلك من خصائص التصميم والبناء فما هو المقصود من الادبللادب لكي يؤمن بذلك جمع ويكفر به آخرون !!؟ »

ثم هناك ادب الذكريات ، اولاه الخليلي الاهتمام الرائع . ينبغي الا ينسى او يتناسى عنه الفنان او المفكر بدعوى ارتباطه بالماضي وملابساته .. والماضي لا شان لنا به ..!!! ذلك خطا وخطر ... فان الماضي يقيم لبنات المستقبل .

اما الخطر فهو القضاء باصرار على تراث صيانته اجدر واحجى ، لكونه عنوان العبقرية والوجود الدائم للاجيال القابلة والنبع الزخار للتاريخ والمعرفة الانسانية .. باخلاص يتكلم الخليلي : « ولا حاجة بعد ذلك الى اقامة الدليل على قيمة (ادب الذكريات) في حياة الانسان الحاضر لان مثل هذا الادب بتصويره وعرضه للحياة الماضية يصقل الادب المعاصر ويجعل الذهن اكثر قابلية لهضم الافكار كما يجعلالنفس اكثر مرونة واستعدادا لاستخلاص افيد التجارب وانفعها ، خصوصا اذا جاء هذا الادب (ادب الذكريات) مرآة صادقة لا تشوبها شائبة من شوائب الخيال والاكاذيب التي كثيرا ما يعج بها التاريخ حتى ليسجل من الحبة قبة ..».

ومعضلة ادبية حساسة ..! ان الاديب في الشرق العربي يحتضن الفقر والعوز طوال عمره بقدر ما يلاقي الاديب في الغرب كل انواع التكريم والاعزاز من امته ومن دولته ، الا اذا كانالاديب العربي نهازا يجيد لغة التدجيل ويتقن صنعة التقلب والتلون كالحرباء . كل ذلك يجعل من الصعوبة اتخاذ الادب حرفة يتعاطاها كل اديب او مفكر او شاعر لكسب رزقه الحلال ، وبلوغ المقصد وتحقيق الامنية . وكم يهون ذلك اذا رعت الدولة في الشرق العربي جميع الادباء والشعراء والفنانين على غرار ما تفعله الدول الناهضة واوسعت لهم واخذت بناصرهم لانهم الهداة الى الحرية والمثل وبناة الصرح الحضاري للامة . من هنا يقول الخليلي : « ولست اقصد بحرفة الادب سلب مزية الادبالفنية واعتباره مهنة يستطيع كل انسان ان يتعاطاها كما يتعاطى سائر المهن والحرف المتعارفة وانما اريد ان اقول هل ان الفن الادبي يصلحان يكون حرفة يسخرها الانسان لمعيشته ويتخذ منها وسيلة لتقويم حياته كما يفعل بسائر الفنون الاخرى ؟ والرد على ذلك سيكون ايجابيا في الممالك الغربية وفي البلدان التي نالت نصيبا كافيا اما في الممالك الشرقية والمملكة العراقية سيكون الرد سلبيا وسيكون قاطعا بالنفي.. »

لئن كان للخليلي اراء بناءة في متنوع شؤون الادب والفكر (ركود الادب في العراق ، ادب الشذوذ ، سوء حظ الاديب ، كيف تصاغ النصيحة ، سمو المعنى من سمو الذات ، لكي تكون صحافيا) وما اليه، فان رأيه في (الادب الرمزي) اوضح من ان يحتاج الى دليل لحملته عليه وتنديده به . فقد قال : « ان كل رمز وكل كناية وكل اشارة لا تساعد على فهم المعاني وعلى تصور الغاية كهذه الرموز التي اصبحت تسود نظم طائفة كبيرة من شعراء الشباب يجب اعتبارها امورا لا يقرها الادب الذي يرمي الى الحق والجمال ومن الحق والجمال ان يوضع الشيء في محله فلا يستعار للماء ما لا ينسجم مع الماء وطبيعته ولاللنار ما يخرج على صفة النار وجوهره كما يفعل الان الكثيرون ..

المعروف ان الادب الرمزي شاع منذ اجيال موغلة في تاريخ الادب حين ساء الحكم وساد الطغيان السياسي ، واستأثر الجبابرة بالسلطان دون غيرهم من عباد الله بحق او بغيره ، فحاربوا مضمونات الحياة الجديدة التي يفرضها التطور والثروة على القديم وعرقلوا سير الفكر نحو الخلق والتفتح على الوجود الانساني كله واضطهدوا الحرية الفردية والابداع الذاتي ودعاتهما خدمة لمصالحهم وحفاظا على عروشهم وامتيازاتهم .

والاديب او الشاعر العصري ربما ينجح مضطرا الى ظاهرة الرمز والايماء بسبب من ذلك كله وحين يجد ان تصوير الحقائق والحوادث والتعبير عنها بامانة وصدق لا يجر عليه الا المهالك والمغارم وحين يرى انه باب من العسير عليه التنفيس عما يساوره الا بالالتجاء الى مثل هذا الاسلوب الرمزي . اما ان ياتي الكلام المسطور معمى لا تفك رموزه.. مبهما لا تحل طلاسمه للتوصل الى غاياته البارزة والمستترة فذاكمرفوض او في حكم المرفوض . وعندي ان الموضوع الرمزي ـ كما قلت في مقدمة كتابي « خواطر هائمة » : ينبغي ان يجمع فيه صاحبه بين الوضوح والغموض في اطار من الجمال الفني المنشود لكيلا يستغلق بعد اعمال الفكر استنباط معانيه ويتعذر ادراك مراميه بحيث تعجز دونهما الافهام .. » .

اما الادب السياسي فقد تطرق الخليلي من خلاله الى مشكلات مجتمعه ووطنه على صفحات (هاتفه) سنين طوالا . لقد ثبت ان له قدرة على تشخيص الداء ووصف الدواء وتعرية الراقصين على الحبال في جميع الاحوال باسم الوطنية والسارقين قوت الشعب بدعوىالاصلاح الاقتصادي والاجتماعي والساحقين كرامته بحجة المصلحة العامة الا انه تخلى عن السياسة لاربابها بعد ان الفى نفسه غير قادر على تادية مهمة عسيرة كهذه وفي مثل هذه البلاد ـ بلاد العجائب كما نعتها حافظ جميل ـ وبعد ان وجد ان ما يضطلع به عبث لا خير فيه ، مؤثرا الادب باختيار ، وهو سلاح لا يقل خطرا واثرا في مجرى الحياة وفي الظروف الموضوعية عن السياسة ذاتها . لذا يقول في موضوعه (ايهما تختار السياسة ام الادب): « وقد وزن الهاتف ـ يريد الخليلي نفسه ـ مؤهلاته وحسب حسابه فرأى انه اذا لم يكن مخفقا في معالجته السياسة فهو مخفق في هذا اليوم وفي هذا الظرف على الاقل ولم يبق له الا باب واحد هو باب الادب اما الاخرون واما الذين يجدون في نفوسهم القابلية على ارتياد ميدان السياسة والتغلب على الصعاب وتقديم خدمة افضل واجدى واوسع مما يقدمه الادب فان الواجب ليفرض على هؤلاء المضي الى الابد في معالجة السياسة ... » .

بغداد ـ الاعظمية

وحيد الدين بهاء الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شجرة الصنوبر

على الدوح طاف نسيم السحر.. وكـــان السؤال فكنت الخبـــر
يفتش عـــن عـــدن بين الغياض ومن وجد العين عـــاف الاثـــر
تثبت في الارض ظـــل الجنـــان ولولا جـــذورك فيهـــا اندثـــر
بأهدابك الخضر او مـــا النعيم ورف يغامـــز هـــدب البصـــر
قباب الزمـــرد فـــوق ربـــاك هجرنا اليهـــا سقـــوف الحجـــر

تعالت خدورك فـــوق الريـــاح وفيهـــا تهـــاوت خيـــام الشجـــر
حملـــت العبـــير بأحقـــاقـــه وفي الصدف الصلب صنت الدرر
تعاليت بالحسن عـــن ان ينـــال وغاليـــت في كنـــزك المدخـــر
فلا السوس يقرب منك الفصون ولا الدود يقرب منـــك الثمـــر
وعرقك ، أيـــن وجدت ، العفاف على الطود او كنت في المنحـــدر
ومجمر طهـــرك شمس النهـــار وشمعة خـــدرك ضـــوء القمـــر

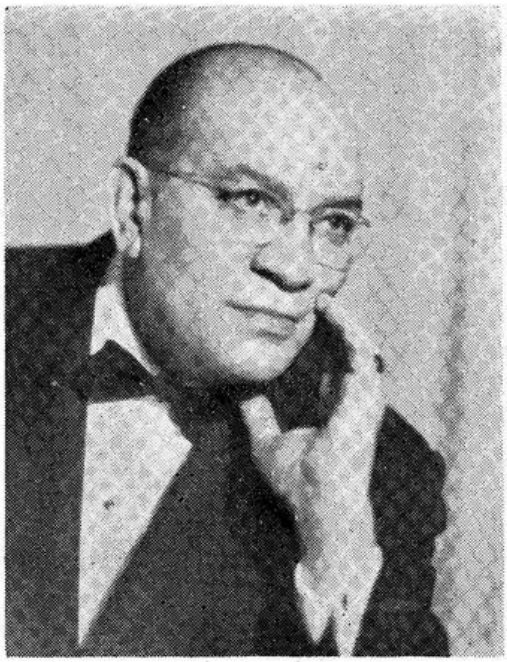
فيـــا مريم الـــدوح لا زلت فيـــه على اسمك تتلـــى صلاة المطـــر
أبيت مع الريح خلـــع العـــذار وفي الروض طافت تفض العـــذر

فدتك عواهـــر روض تغـــذي من النتن اوراقهـــا والزهـــر
نمت في الفساد بأيدي الريـــاح تميل القدود وتـــذري الشعـــر
وأنـــت علـــي عفـــة تحملـــين ولـــم تـــك تحمل لـــولا القـــذر
صلبت على الدهر مكسر عـــود وللـــه قلبـــك لمـــا انكســـر

يواقيتك الحمـــر مـــن فضهن رأى اللؤلؤ الرطب منها انتشـــر
لبست الزمـــان فلـــم تخلعيـــه ولم تشتك فيـــه حـــرا وقـــر
وكيف تمسك كـــف الخـــريف وهـــا أنت في حلـــة مـــن ابـــر
طهـــرت فطهـــر منـــك المكـــان وحان الاوان وطـــاب السمـــر
وشعـــري اذا اوحش الاصدقـــاء مكانـــي كـــان الصديـــق الابـــر
تعهـــده منـــك طيب الجـــواء بصقل الـــرواء وصبـــغ الصور
فجازاك منـــه بعقـــد ثمـــين أنيـــق النظـــام كريـــم الحجـــر

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد زكي ابو شادي

ابو شادي ... مظلوما

بقلم سالم علوان الجلبي

★ ★ ★

كانت آخر رسالة وردت منه مؤرخة في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وكنت بانتظار رده على اجابتي عليها بين يوم واخر . واذا بي اسمع انه قد ارتحل الى دارته الاخيرة في ١٢ ابريل سنة ١٩٥٥ ... خواطر عديدة جالت في الفكر لحظة سماعي ان ابا شادي قد ودع الفانية .

ابو شادي مهاجراً

ولكنه مات مظلوما ، وهذا ما يحز في النفس ويزيد من ايلامها ، أجل مات مظلوما . فقد مات منفيا في غير الوطن الذي اذاب حشاشته في حبه وفي سبيل تقدمه واسعاد ابنائه ... في امريكا مات !!

قد يقال : انه هاجر ، وبمحض اختياره ، وهذا حق . ولكن لماذا هاجر وترك مصر موطنه الحبيب الى نفسه ، العزيز عليها ؟ ايهاجر احمد زكي ابو شادي معدما ، ليبقى في مصر بعض من بقي مرفها منعما ؟!

كان يعمل جاهدا لتحرير مصر ولتقدمها وازدهارها . في سبيل ذلك ينظم القصائد ، وينشر الشعر ، ويصدر المجلات ، ويكتب في الصحف ، ويدرس الطلاب ليحرر عقولهم ويطلعهم ما استطاع على آفاق العالم الرحاب ليأخذوا بالافضل من كل صوب . من اجل وطنه يفعل كل هذا وفي سبيله . ولكن ، جزاء ذلك ، ضويق وطورد ولاقى من الصعاب ، في كل درب سلك ، ما ينوء به الكاهل حملا .

يقول الدكتور خفاجي : « .. كان طول حياته ثائرا على الاقطاع والظلم الاقتصادي والفساد السياسي والدكتاتورية ... واضطهد بسبب ذلك اضطهادا لا مثيل له ... كان ينبذ بمباذل الملك فاروق والملك ما زال في الحكم عاش يشكو الفقر والغربة والالم » (١) يناوىء المستعمر ، ويعادي الملك ، ... ثم هو شاعر حر يدعو الى التجديد ... اتراه مع كل هذا يمكن ان يبقى في مصر حتى اذا اراد !؟

سيان اذن نفي ام هاجر . فقد ابتعد عن موطنه مكرها مظلوما على كل حال . استمع اليه في قصيدته المعنونة « منبري » (٢) التي نظمها في الرابع عشر من ابريل عام ١٩٥٤ بمناسبة مرور ثماني سنوات على هجرته من ، مصر العزيزة ، كما يقول :

منبري عالي وليس بارض يستحل الطاغوت فيها الدمار
ايه نفسي ! اليوم ذكرى نزوحي عن رباها ، وعن بوار وعار
خنقتني او حاولت ثم باهت باذاتي تلك النفوس الصغار
ما ابالي الا باسداء رأيي وانتشار له واي انتشار
قيدوني وحاصروني وآذوني ، فاقسمت ان افك الحصار
مثل صقر مكبل هشم القيد ودوى بصيحة ، ثم طار

انني شاعر (الكنانة) في البعد وفي القرب ، كيف كان الجوار
ما ثماني السنين الا ثوان من حياتي ومن وجودي المعار
اينما كنت صيحتي صيحة (النيل) وزأري زئيره المستثار
الى ان يجار صارخا :

لم ازل بالوفاء والعمل الحي كاني في (مصر) احمي الذمار
بينما الجاحدون فيها سكارى او حيارى ، وينشدون الفخار
مبدئي لن يحول ما بقي الحب وحبي (لمصر) حي يثار
وحياتي جميعها في كفاح آية لا ينال منها الفيار
ايها الناعقون حولي استريحوا هزم الليل اذ اطل النهار

أتراه اذن هاجر راغبا وباختياره ، ام هو قد نفي وعلى غير اختيار ؟ لان اصحاب تلك النفوس الصغار خنقوه وباهوا باذاته ، وقيدوه واوثقوا قياده . ولكن هذا الصقر المكبل هشم القيد ، ودوى بصيحة ... ثم طار .

ومع ذلك فهو شاعر الكنانة اينما كان ، وان صيحته هي صيحة النيل ، وهو ، كما كان ، سيظل وفيا لمصر يحمي ذمارها بالعمل الحي الدائب ثابتا على المبدأ في حبه لها ، واهبا حياته كلها مكافحا في سبيلها ، وان يقي فيها اولئك الناعقون ذوو النفوس الصغيرة الجاحدون لحق الوطن المطعون في اخلاصهم له ، يحيون في بحبوحة ورفاه من العيش فيه . حتى وان ظلوا على نعيقهم حوله . ورحم الله الزهاوي اذ يقول :

ولست ابالي ما به يشتمونني وان كان في قلبي طلعة عقرب

يقول ابو شادي في اسباب هجرته الى امريكا : « ... ولكن سرعان ما تعرضت من جديد لعرقلة الرجعيين وكيد الناقمين ، وتعقيب النيابة والبوليس ، وللمظاهرات المطالبة بطردي من عملي الحكومي ، وكان بين من يدبرون هذه المظاهرات من احسنت بهم الظن يوما ورفعتهم ـ غفلة مني ـ على كتفي . وهددت في رزقي ورزق اسرتي فصمدت ، ثم حوربت بقطع جميع مواردي تقريبا ، فلم اقدر على الاستمرار في اعمالي لانعدام الوسائل المادية » .

ويواصل تصوير شعوره بالاضطهاد في وطنه حتى في جامعة الاسكندرية ، وكيف حاول تصحيح ما لحقه فيها من غبن ، فقابل وزير المعارف « السنهوري » حينذاك ، وكتب اليه والى غيره من ولاة الامور ، ولكنه لم يلق اي انصاف (٣) .

١ ـ رائد الشعر الحديث : خفاجي محمد عبد المنعم جا وجـ٢ : ص ٥ و ٦ .

٢ ـ ديوان « ايزيس » المخطوط : ابو شادي الدكتور احمد زكي .

٣ ـ رائد الشعر الحديث السابق ص ٩٨ و ٩٩ .

مـع العقاد

وكان ، اذ كان في مصر ، متعبا مكدودا محاربا حتى في مجالي الادب ومع الادباء . فقد دخل او ادخل مكرها في معارك اشتد اوارها وعلا غبارها، وكان يخرج منتصرا حينا ، وكـان يخرج منهزما حينا آخر . وقـد جر جرا الى معارك كثيرة ، وما كان هذا الرجل بطبعه من اكلة لحوم البشر، ولكنه كان من حملة القلوب الخيرة الرحيمة المحبـة للخير والاخـاء والجمال . جر الى معارك كثيرة وادخل ساحـة الحرب فاستعد لهـا وحارب وتمرس في القتال من ثم ، ولا بد مما ليس منه بد .

ومن تلك المعارك معركته المعروفة مع الاستاذ العقاد ، فارس المعارك ومشعل نارها . وما اشرت الى هـذه المعركة بالـذات الا لسببين . اولهما ، ان للعقاد في التهجم على خصومه لسانا حادا . في الحق وفي الباطل ، واسلوب سباب قد يشينه وقد يصل به في كثير من الاحيـان الى ما يؤاخذ عليه ـ وقد ذكرت هذا باكثر تفصيلا في مقالي المعنـون « غبار العقاد في معاركه الادبية » (٤) وابنت مدى تدني اسلوبه وحدته الشائنة في التهجم برده القذيع على الدكتور مصطفى جـواد ـ . (٥) ولا ادري كيف فات الاستاذ العقاد ، ان الـرد يكتسب الاقناع بقـوة الحجة لا بعنف اللهجة ، فالساكت ـ اتقاء بذاءة الرد ـ ليس بالضرورة ان يكون مقتنعا . وثانيهما ، وهذا هو الاهم ، ان هذه المعركة بالذات قد اثرت في ابي شادي تاثيرا عميقا وحزت في نفسه حزا مؤلما للاتهـام الباطل بان مجلة « ابولو » كانت تمول من الملك فؤاد من اجل مناوأة العقاد والنيل منه ، وانها لم تنشأ الا لهذا الغرض . فانبرى ثائرا لرد التهمة بقوله : « نتحدى اي مخلوق يدعي ما يدعيه العقاد من اننـا نعمل بايعاز من اي سلطة او بمكافاة من اي سلطة لمناوأته المزعومة كما اوهم احد اذنابه في كتاباته ، وكما ذكر العقاد نفسه تكرارا في مجالسه ايهاما بعظمته وطعنا في شرفنا بهذا السلاح الخسيس بينمـا شرفنـا الوطني وشرفنا الشخصي كلاهما اسمى من ان ينال منه اي انسان على الاطلاق فضلا عن العقاد واذنابه » (٦) ... وكان المتنبي كـان يعنيـه حين قال :

وهكذا كنت في اهلي وفي وطنـي ... ان النفيس غريب حيثمـا كانـا
محسد الفضل مكذوب على اثري ... القى الكمى ويلقاني اذا خانـا

مع محمد عبد الغني حسن

ويناله الحيف مرة اخرى من مواطن اديب آخر وشاعر معروف كذلـك هو الاستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه « الشعر العربي المهجري » اذ اكتفى بالكتابة عن شعر ابي شادي في المهجر بما جاء في ديوان قديم لم يكن فيه الا القليل من شعره المهجري الحديث . وكان عليه ، لـو الانصاف اراد ، ان يرجع الى ابي شادي نفسه قبل اصدار كتابه ليكون عن شعره فكرة كاملة ، ويورد له من النماذج ما يصلح لان يكون تلـك الفكرة الصحيحة عنه لدى قارىء الكتاب . وفي هـذا يقول المرحـوم ابو شادي في رسالة خاصة مؤرخة في ٢٢ فبرايـر ١٩٥٥ مـا نصه : « ... ولذلك لم يوفق الاستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه (الشعر العربي المهجري) في الاكتفاء بديوان قديم مطبوع لي نصفه فقط من شعري المهجري ، بدل اللجوء الي او الى بعض مريدي العارفين للحصول على امثلة من شعري المهجري الحديث الذي يضم عشرات القصائد المنوعـة الموضوعات والاساليب ... » .

رفضه نشر دواوينه المخطوطة

وهذا اجحاف من نوع آخر يلحق به وهو في مهجره ، اذ ان جميع آثاره المهجرية المتعددة التي تجمعت خلال عقد مـن السنين وبينها اربعـة دواوين اخرى بعد ديوانه الاخير « من السماء » الصادر في نهاية عـام ١٩٤٩ عن نيويورك ما تزال مع الاسف ، كما يقـول في رسالته ، (٧) « مخطوطة لان ثمن نشرها الذي لم اقبله هو تشويهها بحذف ما فيها من شعر حر ثائر . فكانها بهذه الحالة في حكم المفقودة وان ذاعت من قبل وكان لها اثرها الطيب ـ وعلى الاخص في البيئة المصرية قبل الثورة ـ وفيها نماذج صالحة منها ... » .

فانت ترى اذن ، انه لو قبل بحذف ما فيها مـن شعر حر ثائر ، كما قد يمكن ان يقبل به غيره ، وساوم على وطنيته ، لطبعت هـذه الدواوين الاربعة وقبض ثمنها . ولكنه قبل بخسارته مع شدة حاجته لهذا الثمن ، عن طيب خاطر ، من اجل ان يبقـى محتفظا بكرامتـه الوطنية وبشعره الحر الثائر على حريته وثوريته . (٨)

والناعوري ايضـا

ويشن عليه الاستاذ عيسى الناعوري هجوما صارخا ، ولما يمض علـى وفاته اقل من عام واحد فقد نشرت له مجلة « الاديب » البيروتية (٩) تحت عنوان « على هامش كتاب رائد الشعر الحديث » مقالا جاء فيـه قوله : « ... وحين كنت اصدر « القلم الجديد » كان ابـو شادي يغمرني بفيض من قصائده الجديدة ، واحاديثه الادبية ، ومسرحياتـه القصيرة . فكتبت اليه مرة اصارحه بانني لن انشر له شيئا من الشعر، لانني لا ارى في شعره من الجمال والقوة ما يسمح بنشره ، ولكننـي ساختار للنشر من مقالاته الادبية . وعلى الرغم من الحاحه علي في ثلاث رسائل متتالية ان انشر حديثا له بعنوان « شعر السخرية » يتضمن قصيدة من شعره يسخر بها بطريقة رمزية مـن الملك المخلوع فاروق ، الا انني صارحته بان القصيدة لم تكن تستحق النشر ... والذيـن رافقوا « القلم الجديد » يذكرون انه لم ينشر فيهـا شيء من شعـر ابي شادي ولو للتمثيل » .

ويمضي الناعوري في مقالته تلك ليقذف ابا شادي باقسى انواع التجني فيسهب في شرح مدى تحامل ابي شادي على ابي ماضي بغـير حق ، وكيف كان يتعمد محاولة النيل منه كانسان وكشاعر فيقـول : « ... لقد كان عبد المسيح حداد وايليا ابو ماضي صديقين منذ حقب طويلة، من قبل ان يتزاملا في الرابطة القلمية ولم يكن بينهما ما يسوء.. ولكن الغريب ان النار لم تلبث ان اشتعلت بين الصديقين القديمـين بغير ان يكون هناك مبرر حقيقي لهذا الاشتعال ، وما تزال هذه النـار مشتعلة الى اليوم ... كيف اشتعلت هـذه النار ؟ وكيف اخـتدمت فجاة وعلى غير انتظار بَعد الصداقة الطويلة الامد ؟ وهل كان ابو شادي سببا صريحا مباشرا في اشعالها ، اما كانت يده تعمل من وراء ستـار لينتقم لنفسه من اهمال ابي ماضي له ؟ ثم يتخلص الاستاذ الناعوري من كل ذلك في تساؤله الملغم بقوله « ولكن أكان ابو شادي في النهايـة مرتاح الضمير الى هذه النتيجة ؟ لقد كنت اتمنى لو سئل في ذلك قبل موته ... » .

٤ ـ جريدة البلد البغدادية : لصاحبها الاستاذ عبد القادر البراك العدد (٩٥١) في ٢١ تموز ١٩٦٧ .

٥ ـ مجلة الرسالة القاهرية : الاستاذ احمد حسن الزيات العدد (٥٦٧) في ١٥ مايو ١٩٤٤ .

٦ ـ مجلة ابولو عدد اكتوبر سنة ١٩٣٤ .

٧ ـ رسالة خاصة مؤرخة في ٢٧ يناير ١٩٥٥ .

٨ ـ اما ديوانه الاخير « من السماء » المطبوع في نيويورك ديسمبر سنة ١٩٤٩ والذي سافوم بدراسة تحليلية له على نسخة اهداها الي ، في قابل ان وفقني الله الى ذلك . فقـد علمت بكل اسف من معتمـد مكتبة المثنى في البصرة انه لم يصل قط الى اية مكتبة للبيع في اسواق العراق في حينه !! ولا توجد نسخة منه حتى في المكتبة المركزية العامـة في البصرة ، علما بانها تحوي (٣٧) الف كتاب حسب احصاء سنـة ١٩٦٩ .

٩ ـ في عددها الصادر في يناير ١٩٥٦ .

سامي الكيالي

الى روح الفقيد الادب سامي الكيالي

احمد علي حسن

●

سقط اليراع فمن لـه يـا سامي ... ان همـت الاقـلام بالاقـلام
ونعى البيان العبقري شمائـلا ... للعبقريـة فيـك والالهـام
هدهدته ، وعذرتـه لمـا بكـا ... ثقـة النبوغ وحجة الافهـام
خليت نوادي أنسـه ، وتعطلت ... في الخاص من ادب النهى والعام

يا حامل القلـم الرفيع منـارة ... للفكـر للتاريـخ للاعـلام
قلم وضيء الحرف، لم يكسل ولم ... ترسم عليـه اشارة استفهـام
ويشاء ان ذكـر الجهـاد لمثلـه ... في العالـم العربـي والاسلامـي
جليت بين صور الحقائق فامحت ... سدف الدجى وغياهب الاوهـام
ولقد تألـق وجههـا وتهللت ... مثل الوقـار بوجهـك البسام
ولـك البيان كأنـه قطع الضحى ... منثـورة بعبـارة وكـلام
لا ابن العميد ولا ابو بحر بهـا ... يأتي ، ولا ابن اخي الحجى سلام
واذا طرحـت البحث او ناقشته ... هزم الوضوح وساوس الابهـام
وخذ الحديث عن (الحديث) فانها (١) ... بالامس كانت منبـر الاقـلام
اطعمتها من نسغ قلبـك فارتوت ... من مقلتيك ضيا ، وانت الظامي

وكنت قد رددت على كل هذا في حينه بمجلة « الاديب » البيروتية الغراء نفسها (١٠) .

كلمات منصفة

ويطيب لي في نهاية المطاف ان اقتطف باقة من الزهور التي فاح عبيرها بكلمة حق في انصاف الدكتور ابي شادي ... من ذلك ما جاء في مقدمة كتاب « رائد الشعر الحديث » قوله مؤلفه (١١) :

« ... نعم مات الفن الحر ، والشعر الاصيل ، وغربت العبقرية الموهوبة ، ومات ابو شادي وقد كان ملء الدنيا ، ملء السمع والبصر، وان كان لم يمت . انه حي في ضمير مصر والعروبة ، خالد في تاريخنا الفكري والادبي ، على مر الزمان والاجيال » .

وما جاء في مقدمة كتاب « ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث » لمؤلفه الدكتور كمال نشأة (١٢) قوله : « ولعل مما اسعدني حقا علمي انني بهذا الحديث ارفع الغبن عن شاعر يكاد ينكره جيله كله وانني اؤدي واجبا وجدته لزاما علي بعد ان تبين لي ـ بعد دراسة ست سنوات لابي شادي وشعره ـ الدور القيادي الذي قام به شاعرنا في حركة التجديد » .

وما انهى به الدكتور علي الراعي مقاله المعنون بـ « احمد زكي ابو شادي وقصته الشعرية عبده بك » (١٣) حيث قال : « ان ابو شادي مجهول تماما من الاجيال الجديدة ، ومعاصروه وتلامذته مقصرون في حقه تقصيرا غير مفهوم . واني لاتمنى لو تنبه واحد منهم الى هـذا التقصير فقدم لنا دراسة وافية للرجل ، ولاعماله الكثيرة التي اغنى بها ادبنـا المعاصر من اكثر من سبيل » .

واخيرا ، هذه بعض النماذج جمعتها من هناك ومن هنا على سبيل التمثيل ، لا الحصر ، لادلل بها على ما نال هذا الشاعر الطيب القلب من عسف وجور حتى من اقرب المقربين اليه !! فهي باقة من زهـور وحزمة من اشواك تعرض لها الفقيد الراحل في حياته وبعـد مماته ، عرضتها الآن في ذكراه الـ ١٧ تحية لذلك الروح الطاهر في مستقـره الابـدي .

البصرة ـ العراق — سالم علوان الجلبي

١٠ ـ بعددها الصادر في مارس ١٩٥٦ .
١١ ـ سبقت الاشارة اليه .
١٢ ـ وليت شعري لم يصر الدكتور « نشأت » على كتابة اسمه بهذه التاء التركية ؟!
١٣ ـ مجلة الهلال القاهرية عدد ابريل ١٩٧٠ .

وصرفت أيـــام الشباب لاجلهـا ... أتراك ذقـــت حـلاوة الايـــام
سبعون عمرك ، هـــذه اعوامها ... لم تمض مثـــل بقيـــة الاعـــوام
حفلت من الادب اللباب برائـــع ... ومـــن البيان العبقري بســـام
ووضعت للاجيال كـل غنية (٢) ... بالبينـات سخيـة منعـام
فيها الذخائر والكنوز ، ورفرف ... خضر ، ودفء محبـــة وسـلام
طلعت بها الاخلاق ، وهي رفيعة ... وكذاك اخـلاق النجوم سوامـي
وبعثت للتاريخ قومـك فارتضى ... خير الشعوب واصلح الاقوام (٣)
سير مـــن الماضي البعيد كأنمـا ... هي في يراعك رحلـــة استجمام
كشفت من التاريخ كـــل مخبـأ ... ومن الحوادث كـــل ذات لثـام
فلمحت تاريـــخ العصور كأنـه ... يمشي بركـب الفاتحين امامـي

يا منصف الادب القديم، وقد شكا ... عبث الطفولة في الحديث النامي
رفق الضحى، بعض الحداة تنكبوا ... درب السلامة في الدجى المترامي
يتطلع الادب الرفيـــع لمعشـــر ... بان ، وليـس لمعشـــر هـــدام
ولكاتب تلـــج النجـوم بحرفه ... شعلا ، اذا امتدت يـــد الاظلام
يعطيك مـــن صور البيان عرائسا ... ودت تجيء بهـا يـــدا رسـام
اما البلاغة ، فهـــي عندك ثورة ... للحرف ، هادفـــة لخير مـرام
وحلفت بالفصحى، ومن حفلوا بها ... ستذود عـــن امجادها وتحامي
حملت نضار المجد مـن اكواخه ... وعلا العـــلا بمضارب وخيـام
ادبـا وتاريخا وحسن شمائـل ... عربيـــة الانســاب والارحـــام

يا مانح الشهباء مـــا في قلبـه ... من كل عاطفة ، وكـــل غـرام
لا هانت الشهباء ، فهـي مدينـة ... عنيت الرجال لسيفها الصمصام
بلد الرجال الخالدين ، سلوا بها ... كأب المحسد ، او ابـــي تمـام
عرفت مـــن الاحرار كـل متوج ... بالمجـد ، مطعان بهـــا مطعـام

عفوا أبا احسان ، ما نقل الاسى ... من جانحي ، سوى صدى آلامي
الذكريات تمـوج مـلء محاجري ... فاذا انطلقن فانهـــن دوامـــي
طرطوس تذكر والشواطىء ملتقى ... حـــر المقاصـد رائـد الاحـلام
وعرضت لي بحث الكتاب لساحل ... هو كالقلادة حـول جيـد الشام
وكتبت لي وحفظت ذاك بخاطري ... ووددت لـــو يجدي بـه المامي
هذي رسائلك الاخيرة في يـــدي ... عهدي لهـــا ورعايتي وذمامـي
ولقـد نفحت قصائدي بمفولـة ... مثـــل الربيـع ندية الانسام
ففـــدت لاشعاري احب قـلادة ... ولصدر ديواني اعـــز وســـام
فانزل على شعري بأكرم منـزل ... واقم مـــن الذكرى بخير مقـام
وانا الوفي وكـل شيء في دمـي ... للحب ، فهو سلافتي وحدامـي
فاعذر اذا جف القريض على فمي ... في الحادثات ، وخاننـي الهامـي

١ ـ اشارة الى مجلة الحديث التي كان يصدرها الفقيد الراحل .

٢ ـ اشارة الى مؤلفات الفقيد .

٣ ـ اشارة الى كتابه الاخير (الادب والقومية في سورية) .

طرطوس ـ سورية — احمد علي حسن



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

المسرح الاسلامي

خطوت فيما بين التجربتين الاولى والثانية ، في المسرح الشعري ، عبر محاولتين صغيرتين ، تتمثل كل منهما في مسرحية ذات فصل واحد .. وقد مثلت اولاهما على مسرح كلية الحقوق بجامعة القاهرة . وكان الزميلان المرحومان عبدالحميد حلاوة ، وحمادة الناحل المحاميان ، يشتركان في الحفل السنوي الاخير للكلية بمناسبة تخرجهما في ذلك العام ، فطلبا الي كتابة مسرحية شعرية ، يشتركان في تمثيلها مع زملاء اخرين .. فاجبتهما الى طلبهما بكتابة « رسالة العدل ».. من فصل واحد ، وكان الجانب الفكاهي فيها هو ذكر عدد من اساتذة كليةالحقوق، مصحوبة اسماؤهم باوصاف تتفق وما عرف عن شخصياتهم من شدة، او لين ، او وطنية ، او روح جامعية ، ونحو ذلك ..

اما المحاولة الثانية ، فكانت بمناسبة « يوم الجامعة الخيري»الذي اقيم بقاعة الحفلات الكبرى ، بالجامعة ، وقد كتبت بهذه المناسبة ايضا مسرحية شعرية ذات فصل واحد بعنوان « الجيل الجديد ».. وجعلت شخصياتها رمزية .. كالمجتمع ، ومصر .. والشاب الذي يمثل الجيل الجديد ، والشيخ الذي يمثل الجيل السابق ، مقدما لولده من تجاربه، ونصائحه ما يعينه على السير.. ولما كان شبح الحربالعالمية الثانية ، قد بدأ يظهر في الافق ، فقد ظهرت في هذه المسرحية دعوة الى نشر الوعي الحربي ، ومثلت «مصر» احدى الزميلات الطالبات ، كما القى فريق من الزميلات الاخريات نشيدا مناسبا ، سمي « نشيد المنقذات ».. لم يلبث ان نقل الى محطة الاذاعة ، ولحنه يومئذ الملحن المعروف محمد البكار ، واذيع على الهواء ..

وفي اوائل عام ١٩٤٠ .. كنت قد عينت بوزارة المعارف والحقت بمراقبة النشاط المدرسي ، سكرتيرا لمراقبها العام الاستاذ محمد فهيم رحمه الله .. وكان نشاط المراقبة يشمل التمثيل والموسيقى وغيرهما من الوان نشاط الطلاب .. وفي هذه المراقبة التقيت بالاستاذ الكبير زكي طليمات ، الذي كان مفتشا للتمثيل ، وكان مكتبي الى جانب مكتبه، فافدت من زمالته وجواره الشيء الكثير .. وعرفت انه يتابع بعض نشاطي ، وقرأ مترجمات لي عن شكسبير نشرت في بعض المجلات ، وهو من محبي شكسبير ، المتتبعين لكل ما يكتب عنه ، او يترجم من مسرحياته .. وفي معرض الحديث عن نشاطنا المقبل، حدثني زكي طليمات عن المسرح الاسلامي ، واننا بحاجة الى الكتابة الجادة ، التي تعالج الشخصيات الاسلامية التاريخية ، واقترح على مسرحية عن « خالد بن الوليد » .. فكان ذلك اول مرة تدخل فيها هذه الشخصيةالاسلامية البارزة ، مجال التاليف المسرحي ، فيما اعلم .. وسرعان ما لبيت الدعوة التي صادفت هوى حقيقيا في نفسي .. ورحت اقرأ المراجع ، والعجيب انني لم اجد في ذلك الوقت من المراجع سوى بعض الكتيبات التي عنيت بشخصية القائد البطل .. اما القراءة الحقيقية فكانت في تاريخ الطبري .. وهكذا بدأت قراءة التاريخ الاسلامي في هذه الفترة، مقدرا انني سوف اصطدم بعقبات لا يستهان بها .. وانا ارتاد هذه الطريق لاول مرة ، وغير مسبوق فيها باحد .. وكانت بعض توجيهات زكي طليمات مفيدة لي .. قال لي ان خالدا كان بطلا حربيا ، لم ينهزم في معركة واحدة . حتى معركة احد ، التي هزم فيها المسلمون ، ولقي فيها النبي عليه الصلاة والسلام ، من الشدة ما لم يلقه في غزوة سواها .. كان خالد فيها يومئذ ، على خيل المشركين ... وهو الذي دار بالربوة ، التي اخلاها رماة المسلمين ، مخالفين في ذلك امر الرسول، فاوقع فيهم الهزيمة ، وحول ميزان المعركة لصالح المشركين ، بعد ان كان في الصباح لصالح المسلمين ! اية فكرة ! اية قوة خارقة اذا تتمثل في شخصية هذا البطل ، الذي شاء الله ان يعز به الاسلام بعد ذلك ! وقلت لزكي طليمات ، انالمسرحية ستخلو من العنصر النسائيالحقيقي، وهو عنصر هام .. فقال لي .. يمكنك ان تجعل شخصية موضوعة من شخصيتك تلعب الدور الذي تريده ..مقترحا ان تكون تلك الشخصية النسائية اختا لقائد الروم ، في اليرموك ، يقع خالد في حبها ، مثلا... اية فكرة جريئة !

على انني ما كدت اسيرفي العمل ، حتى اصطدمت بالعقبة الحقيقية التي لا تزال حتى اليوم مانعا من معالجة هذه الفترة الاسلامية الاولى ، معالجة مسرحية متحررة من جميع القيود..فكيف يمكن للمؤلف المسرحي ان يمس الشخصيات الصحابية الجليلة اي مساس ، بله اظهارهما على المسرح ، يتقمصها اشخاص الممثلين ، ويتحدثون بحديثها !؟

وقد وفقت منذ ذلك الحين ، والحمد لله ، الى الحل الذي لا حل سواه ، لهذه المشكلة المستعصية ، اذا كان المقصود من عرض الاحداث الاسلامية ، والشخصيات الاسلامية الكبرى ، هو التقدير الكامل الواعي، للاسلام ذاته ، ورجاله الذينحولوا مجرى التاريخ ، ودعوا صادقين الى الحرية ، والاخاء ، والمساواة ، والعدل الاجتماعي ، والكرامة الانسانية.

قلت عن ذلك في مقدمة الطبعة الصادرة في يناير عام ١٩٤٥ .. ما يلي :

« ولقد جعلت شخصية خالدبن الوليد لتمثيلها على المسرح،ولكني عندما عرضت للشخصيات الاخرى المعاصرة ، وجدتني بازاء مسالة شائكة لا بد ان يقابلها من يعالج هذه الحقبة من التاريخ، ليخرج منها مسرحية .. تلك هي وجوب الاحتفاظ لهذه الشخصيات الصحابية الجليلة ، بما هي اهل له من الفضل والوقار . فما من شك ان هناك شخصيات لا يجب ظهورها على المسرح اطلاقا .. توقيرا لها واجلالا .. وعندما نظمت هذه الرواية على صورتها الاولى عام ١٩٤٠ ، عقب نظرة عابرة في الطبري، وجدت كلاما جليلا لعمر ، ومواقف نبيلة لابي بكر ، فنظمت ذلك . الا انني عندما اعدت كتابة الرواية بعد ذلك بعام ، انفت ان يظهر ابو بكر وعمر على المسرح او ان يمثلا للناس .. وقد كان من جراء

ذلك ان استفاد الفن المسرحي نفسه ، فان شخصيتي هذين الخليفتين العظيمتين قد ظهرتا في الرواية اوضح ظهور ، وخصوصا شخصية عمر، بعد حذفهما والاستعاضة عن ظهورهما بالاشارة المناسبة . وان حوادث الرواية لتقترب اشد الاقتراب حتى تقف بالناظر على باب مسجد الرسول، صلوات الله عليه ، بالمدينة ، وابو بكر وعمر في داخله يحققان ما كان من قضية خالد واتهامه بمقتل مالك بن نويرة ، ولكن الحوادث لا تتعدى باب المسجد ، فلا يكاد يحس المتفرج الا رهبة ناشئة عن اقترابه من مكان الخليفة العظيم ، تعظم باقترابه منه ، ولا تزول بمشاهدته اياه في صورة الممثل ! »

ومسرحية « خالد بن الوليد » في ذاتها ، عمل مسرحي جاد ، له فضل السبق والاجادة .. واني لانظر اليها الان نظر الناقد الذي بلغ الستين ، الى عمل شاب دون السابعة والعشرين .. يقدم على تجربة مسرحية متكاملة ، فاذا به يخرجها على هذه الصورة الرائعة حقا ، التي تقف بها الى جانب مسرحيات شوقي ، ان لم تتفوق على بعضها من مثل « قمبيز » ، و « عنترة ».. ثم تكاد تقف الى جانب مسرحيات اباظة ، لولا استاذية هذا الشاعر العظيم، الذي حمل اللواء بعد شوقي يرفعه عاليا بمسرحياته الاولى الجهيرة « قيس ولبنى ».. ثم « العباسة» تليها « الناصر » و « شجرة الدر ».. الى اخر هذا العقد من الدرر الغوالي .. على ان ذلك الشاب كان يؤمن ايضا برسالته ، فاخرج مسرحية « خالد بن الوليد » مطبوعة ، بعد ان تعذر عليه ان يراها تخرج له على المسرح ، ثم سار في طريقه في محاولة جديدة عن المسرح الاسلامي ايضا .. هي قصة الاخوين « الامين والمأمون ».. ولكن هذه التجربة الثانية ، التي احتشد لها ، اقتضت منه ان يدخل في غمار التجديد الشعري ، سابقا فيه ايضا .. قبل ان يظهر الاخوة، او الابناء من اصحاب الشعر الجديد ، كما يسمونه اليوم !

قلت في آخر مقدمة طبعة « خالدبن الوليد » الوحيدة الصادرة في يناير ١٩٤٥ ما يلي :

« ولقد بقي لدي حديث طويل عن لغة المسرح ، وعن طريقة نظم المسرحية ـ وقد اختلف المؤلفون في ذلك اختلافا كبيرا ـ وعن غير ذلك من المسائل المتصلة بهذا الموضوع . ولكني اكتفي بهذا القدر الان ، وليكن موعدي في ذلك المقدمة من رواية « الامين والمأمون » .. التي نظمتها على طريقة غير هذه الطريقة ، والله المستعان ».

ما هي تلك الطريقة الجديدة ، التي تختلف عن هذه الطريقة ؟

ان نظم مسرحية « الامين والمأمون » لم يتاخر كثيرا عن نظم مسرحية « خالد بن الوليد » .. فبينما نظمت « خالد بن الوليد » عام ١٩٤٠ .. وتمت عام ١٩٤١ ، فان « الامين والمأمون » بدا نظمها عام ١٩٤١ مباشرة ، بفكرة اظهار هذه الطريقة الجديدة ، التي تحمل فنا مسرحيا متقدما عن فن شوقي ، ومقارنا الى فن شكسبير وغيره من الشعراء العالميين.. باصطناع بحر واحد ، من بحور الشعر البسيطة، (اي المشتملة على تفعيلة واحدة مكررة) تتكرر تفعيلته خمس مرات . ويتسع فيها مجال القول تماما ، حتى يخفى ذلك الاثر الرتيب ، الذي يحدثه الشعر احيانا ، ويدنو به ن لغة المسرح الطبيعية ليجعله اقرب الى الواقعية والنثر ، منه الى الخطابية والشعر .. يا لها من محاولة !

فعندما اعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية ، عن مباراة جديدة للتاليف المسرحي ، غايتها اخر فبراير ١٩٤٢ ، يحتفظ لها بالسرية ، وتقدم باسماء مستعارة ، وتمنح فيها جوائز سخية .. كنت اجد في اكمال مسرحية « الامين والمأمون » على طريقة الشعر الجديد .. وعندما نبهني والدي رحمه الله ، الى ان مسرحية « خالد بن الوليد » منتهية ، ومكتوبة على الآلة الكاتبة فعلا ، ولا يقتضي تقديمها اي مجهود ، وهي مسرحية قوية ، ومن المؤكد ان تنجح .. كنت في ذلك الوقت قد نسيتها تماما ، ولم يبق امامي سوى هذه المحاولة التجديدية، الاولى من نوعها .. ولعلي كنت في ذلك في سباق مع الزمن ومع الزميل علي احمد باكثير رحمه الله .. فقد كان في عام ١٩٤١ نفسه يكتب مسرحية « اخناتون ونفرتيتي » الفرعونية .. بطريقته الجديدة ..

وقد زارني رحمه الله في مكتبي في تلك الايام ـ بعد زمالتنا في كلية الآداب وتخرجنا معا قبل سنوات ـ فاهداني مسرحية « اخناتون ونفرتيتي » .. وعليها الاهداء الكريم بتاريخ ٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٢ .. وتحدثنا في هذه الجلسة عن مدى ما وصل اليه كل منا في تجديده للشعر المسرحي .. وكما كان يشرح لي عمله في مسرحيته هذه ، كنت اشرح له عملي في مسرحية « الامين والمأمون » التي كنت قد قدمتها فعلا للمباراة المذكورة ، وسجلت بها تحت رقم ٢٢٨ ـ ٩ ت (٦) .. وباسم مستعار مكون من كلمتين كما هو الشرط، وهما « سهم مصرد».. على ان المتنبي ، رحمه الله .. يقول « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » .. وهكذا جرت الرياح يومئذ بما قال .. فكان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .. سببا في تغيير الوزارة التي انشات المباراة، وبما ان الحزبية السياسية كانت قائمة .. لذلك وجب ان تلغى المباراة الخاصة بالتاليف المسرحي ، ما دامت الوزارة التي اعلنت عنها قد ذهبت ، وما دامت تلك الوزارة ـ وهو الاهم ـ تختلف عن الوزارة الجديدة القائمة من حيث العقيدة والمبدأ .. وهكذا توجهت لوزارة الشؤون الاجتماعية ، فكشفت عن حقيقة الاسم المستعار ، وتسلمت المسرحية الخطية .. التي ظلت عندي بعد ذلك ، وما زلت اراجعها ، حتى بدا لي ان هناك وجوها كثيرة للضعف في هذه الطريقة المستحدثة.. وان طريقة شوقي ، وعزيز اباظة بعده ، اقرب الى المسرح الشعري كما افهمه ، وان كنت قد اختلفت معهما بعد ذلك في بعض التفاصيل ، وبخاصة عند ترجمة اعمال متكاملة من شكسبير .. .

وفي عام ١٩٥٧ تقدمت لمسابقة للتاليف المسرحي ايضا ، اعلنت عنها الادارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، وكان يرأس لجانها العميد الجليل الدكتور طه حسين ، فقدمت مسرحية « الامين والمأمون » منظومة على طريقة « خالد بن الوليد » من قبل .. وفي هذه المرة ، تمت اجراءات المباراة ، على خير وجه ، ونالت المسرحية جائزة التاليف المسرحي ..

والى هنا يمكن ان نضرب بعض الامثلة .. من هذين العملين الكبيرين ، الرائدين ، على طريق المسرح الاسلامي ..

من اهم المواقف في مسرحية « خالد بن الوليد » .. وفاة الخليفة ابي بكر ، وتولية عمر .. وبينه وبين خالد خصومة قديمة ، جعلته يامر بعزله عن قيادة الجيش ، وهو على معركة اليرموك يحارب الروم ، وتولية ابي عبيدة مكانه ..

« يدخن ابن زنيم رسول عمر ، الى ارض المعركة ، برسالة الخليفة ، فيجري الحديث ..

الجندي الاول : من ؟

الجندي الثاني : بريد من المدينة آت .

الجندي الاول : ليت شعري ماذا وراء البريد ؟

ابن زنيم : السلام السلام ..

الجنديان : ابن زنيم ؟

ابن زنيم : هو من تشهدان

الاول : هل من جديد ؟

الثاني : كيف حال المدينة اليوم ؟

ابن زنيم : خير .

الاول : وابو بكر ؟

ابن زنيم : في العلى والسعود !

(لنفسه) ماله ويحه بذاك ؟

الاول : سمعنا عنه ، قل لي أليس بالمورود ؟

ابن زنيم : لا !

الثاني : وكيف الاخبار والدار ؟

ابن زنيم : امدد تم بجيش على الطريق مديد
أبشروا ان نصركم لقريب ليس في حاجة الى جهود

من على الجند ؟ لي اليه حديث

الثاني : قائد الجند خالد بن الوليد

الاول : انه في القتال فاخلص اليه

ابن زنيم : ها هو الليث مقبلا من بعيد »

ويطلع ابن زنيم خالدا على الخبر ، بموت ابي بكر ، وتولية عمر .. ويخبره انه يحمل منه رسالة الى القائد .. وكان اليوم لقيادة خالد ، فيرى الا يفض الخطاب ، حتى تنتهي المعركة ..

خالد :

أحسنت يا هذا فقف هات الكتاب المستطر
اني اخافت اذا انا اظهرته ان ينتشر
ولقد يكون حوى من الانباء ما يرضي عمر
والحرب دائرة الرحى والنار مضرمة السعر
الحق عندك يا رسو ل ، فلا تذع هذا الخبر
هات الكتاب وما هوى ومن العيون خذ الحذر
سيكون طي كنانتي حتى يتم لنا الظفر

ويلقى خالد أبا عبيدة ، فيخبره بما عول عليه .. فيوافقه على رأيه ، ويستصوبه :

خالد :

اسمع الي أبا عبيدة .. ليس وقت للجدل
هذا كتاب من امير المؤمنين لنا وصل
ولقد خشيت افضه والحرب مضرمة الشعل
فرأيتمن حسن الصوا ب ، ومن مجانبة الخطل
ان نجمع القواد من بعد الفراغ من العمل
فنفضه فيهم فنقرأه عليهم في مهل
ارأيت اني قد اصبت ؟

أبو عبيدة أميرنا حسنا فعل
احفظه حتى ننتهي ولسوف اخفي ما حصل

ومن مسرحية « الامين والمأمون » ، ناخذ المنظر الاخير ، من الفصل الاخير .. والحسن بن سهل ، والد بوران ، عروس المأمون ، يهدي قواده ، فينثر فيهم رقاعا ، كل من اخذ رقعة وجد فيها اسم ضيعة ، تصبح ملكا له .. وابرهيم بن المهدي ، بعد خلاف وشقاق ، يشهد العرس ، وقد رضي المأمون عن عمه ، وعن سائر أهله ، واقاربه ..

نعرض المنظر اولا من مسرحية ١٩٤٢ ، بطريقة الشعر الجديد :

الحسن بن سهل :

أيها القواد ، قد تم لبوران هناء ، وسرور
ابنتي ، ذات العلى والمجد ، قد زفت لمولاها الامير
فعطائي اليوم لا يعدله عند ذوي البذل عطاء
لا تباري الريح ما اعطى من الفضل .. فاين الكرماء
هذي مني رقاع .. كتبت فيهن اسماء الضياع
كل من ادرك منها رقعة كانت له ضيعتها .. هيا ، الرقاع

ادركوا ... « ينثر الرقاع فيتخاطفها القواد »

القائد الاول : دونك ، هذي ضيعتي !
القائد الثاني : شرقي بغداد !
القائد الثالث : السواد !
القائد الرابع : نزلة البحرين !
القائد الخامس : والموصل حظي !
القائد الاول : انت في اقصى البلاد !
الحسن : اذهبوا ، فامتلكوها ..
المأمون : يا ابن سهل ، عجب امر الرقاع..

نثرت امك درا .. ونثرت اليوم في القوم الضياع !

ابن المهدي :

مثله من يهب الانجم والاقمار ، بل يعطى الشموس

المأمون :

عم .. شكرا لزمان جمع الاهل ، ووافى بالعروس
قد تلاقينا على صفو وحب ، بعد كيد وخصام
ورضينا بقضاء الله حظا .. فنعمنا بالسلام
سر بنا يا عم .. هيا .. فلئن كان من الصفو مزيد
فسنحظى بك في الاسمار.. هذي صحبة العهد السعيد

ويخرجون .. ويسدل ستار الختام »

وهذا هو نفس المنظر ، من مسرحية ١٩٥٧ :

الحسن بن سهل :

الي الآن قوادي اليسا فلم ار فيكم الا ابيا
بذلتم للخلافةما استطعتم وقدمتم لها البذل السخيا
فها انا ليلةالافراح اسخى يدا ، واشد سيبا اريحيا
فبوران ابنتيبلغت مناها امير القصر، والملك السنيا
واني ان كتبت لكم رقاعا باسماء الضياع ، فما عليا
سانشرها فمن وقعتاليه يعود بملك ضيعته رضيا

« ينثر الرقاع فيتخاطفها القواد .. »

القائد الاول :

اني ملكت ضيعة بالموصل وانت ؟

القائد الثاني : بالبصرة

القائد الثالث : لا بغية لي

من هذه الرقاع غير موئل ما بين روض وارف وجدول
مضوع النسم بطيب الصندل بالورد والنسرين والقرنفل

القائد الثاني : وانت ؟

القائد الثالث :

في مرو بعيد المنزل وانت ؟

القائد الرابع : بالبحرين لما انقل

دون الخليج ، في النسيم المقبل من الجنوب تارة والشمال

القواد :

حمدا وشكرا للكريم المفضل حمدا وشكرا للوزير الامثل

الحسن :

اذهبوا فامتلكوها واسعدوا

المأمون : يا ابن سهل ، عجب امر الرقاع

نثرت امك درا خالصا ونثرتاليوم فيالقوم الضياع..

ابن المهدي :

مثله من وهبت راحته غرر الاقمار ، بل حر الشموس

المأمون :

عم شكرا لزمان صالح جمع الاهل ، ووافى بالعروس
قد تلاقينا على صرف الهوى والتصافي ، بعد كيد وخصام
ورضينا بقضاء عادل فنعمنا بوداد ، وسلام
سر بنا يا عم ، هيا سر بنا فلئن كان من الصفو مزيد
فسنحظى بك في اسمارنا صحبة الامتاع ، والعهد السعيد

« يخرجون ، ويسدل ستار الختام » ..

هذان مثلان ، بل مسرحيتان ، على طريق المسرح الاسلامي .. بل المسرح الشعري .. وقد امتدت المحاولة بعد ذلك ، فنظمت بعض مسرحيات مماثلة عن وقائع من تاريخ مصر الحديث .. ذكرت منها في المقال السابق ، مسرحية « في سبيل الحرية » .. التي كانت اكمالا للقصة الوطنية التي كتبها في شبابه الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله ، واكملها عدد من كتاب القصة ، ورأيت ان اكملها شعرا . فنظمتها مسرحية شعرية في خمسة فصول ، وذلك في عام ١٩٦٥ ..

ولا ينتهي موضوع الشعر والمسرح ، او المسرح الاسلامي عند هذا الحد ، فهناك موضوعات كثيرة تتصل بهذا الحديث ، منها مسرحيات عزيز اباظة ، ومقارنتها بمسرحيات شوقي ، وموقفي من ذلك .. ومنها معارضة العقاد لمسرحيات شوقي ، وبخاصة قمبيز ، ورأيي في ذلك .. ومنها محاولات على طريق الشعر الجديد ، وعلى طريقته ، ظهرت بعد ذلك ، احدثت في الفن ما احدثت ، وتركت من الاثر ما تركت ، ولا بد ان يكون فيها للناقد رأيه ايضا .. على انني اكتفي الان بما ذكرت . محاولا العودة على عجل الى ما كدت انساه ، مما عرضت له في بدء هذا الحديث الطويل ، فالحصاد كثير .. كالفيث المنهمر ، لا يقل اوله غزارة عن آخره ..

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دون الرصيف

اعتاد الشاعر ان ينتظر اطفاله حين خروجهم من المدرسة على رصيف الطريق ، وقد اوحى له الانتظار هذه القصيدة :

أجري ونار الشوق في صدري ... تفري وتبري حيثما أجري
وجد يعربد صاخبا ضجرا ... كالبحر في مد وفي جزر
ما كان أعذبه وأوجعه ... بل ليس دون الحب من مر
والحب لا يحلو بغير شجا ... كحرافة الشهباء في الثغر

كم وقفة لي قمت مرتقبا ... فيها تبني بمقلة النسر
أعشو وأشواقي لواعجها ... بمخالب في أضلعي تفري
واصيخ استرق الصدى قلقا ... بمسامعي واغص بالصبر
أجد الدقائق حين أرقبهم ... دون الرصيف تطول كالدهر
ويظل قلبي من وساوسه ... حيران من حذر ومن ذعر
قلب توازعه الشجا فنزا ... وكأنه الناقوس في صدري

وتخالني لما بسطت يدا ... للقائهم ، نشوان من شكر
أفتر من عطف ومرحمة ... وأهش كالمغمور من بشر
ويكاد قلبي حين أبصرهم ... يتعثرون ، وراءهم يجري
يتواثبون وحالهم أبدا ... حال الفراش اذا عدت تسري
أرأيت أسراب الفراش اذا ... هزجت مع الانسام للفجر
وتسربلت بغلائل عجب ... ومطارف زادت على البحر
أرأيتها في الافق ضاربة ... في شاسع يمتد كالبحر
آفاقها سحرية فغمت ... بنوافح الانداء والعطر
وتظل تجري غير وانية ... في كل منعطف على العمر

أطفالنا في كل منعرج ... شبه الفراش بحافتي نهر
دنياهم كانت تشع سنا ... آفاقها وتفيض بالتبر
لا ليلهم بالشك منعقد ... أطباقه ويجيش عن مكر
ونهارهم طهر صحائفه ... وأديمه يخضل من طهر
يتدافعون وليس عن حسد ... يتدافعون ، وليس من شر
كانوا الملائك في وداعتهم ... وضميرهم أنقى من القطر
لم تلتهب كبد لهم بلظى ... للحقد في علن وفي سر
طهرت سريرتهم فما أرقت ... عين لهم من لوثة الوزر
وخلت عن الاطماع أضلعهم ... فقلوبهم كثواقب زهر

اني على ما رحت من شجن ... دون الرصيف أضم من صدري
يحلو العذاب ولا أضيق به ... في حبهم ، ويلذ لي فقري

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انهم لم يموتوا..

بقلم غبريال وهبه

جلس الصبي الطويل القامة على ضفة النهر شارد اللب زائغ البصر وهو يأكل كسرة مجففة من الخبز يغمسها في الملح .. ثم راح يصفر انغاما خرجت من فمه كأنها همسات انين وعويل مكتوم .. وغمرت قسوة الشياطين رقة الفلك وتأوه صدر الفضاء .. وارتمى ضوء الشمس على الارض يرف ويلمع فاذا به ظلام قلوب قدت من الصخر . وتدحرج ذوب النور في الطرقات .. وانحدر في اروقة العدم . فزعت الطيور من اوكارها على اصوات الانفجارات .. وحلقت حوله صائحة نائحة ... وارتعدت الدموع .. وتقصفت الاغصان وتهاوت واحدا اثر الاخر مزقا شوهاء هشة تدوسها الاقدام العارية في يوم عاصف كئيب وسط الرذاذ المتناثر من المياه المقدسة وازيز الرصاص الذي يطلقه الاعداء .. والفحيح الملتاث يجوب الشاطئين في جنون .. وصرخات النساء والاطفال تتكفن في صرخات الريح .. والالحان الحزينة تعالت في سيمفونية رهيبة تنفث في الجو كآبة وحزنا والما .. سيمفونية الموت .

كان يجلس فوق ربوة عالية ، في أسماله البالية التي تبدي عن كتفيه كما تبدي عن ظهره وصدره .. ثم نظر امامه فرأى جماعات مزدحمة تتصايح ويدعوبعضها بعضا ويهرولون مسرعين .. يجتازون النهر فوق الجسر المحطم .. صوب الضفة الشرقية وطلقات الرصاص المحمومة في اثرهم تجندل الشيوخ والنساء والاطفال .

كانت في يده قطعة من الطين .. فطفق يشكلها على هيئة العصا السحرية التي طالما رأى «الحاوي» في القرية يفعل بها المعجزات .. انه سيوقف بها رصاص الاعداء ... ويحول جنودهم الى تماثيل من الحجارة قبل ان يمسوه بسوء .. انهم يصرخون ويصيحون مثل الطيور .

ـ ايتها الطيور ..انكن صديقاتي.

هكذا كان يعتقد وهو يرفع رأسه الى السماء فيرى الطيور فوقه ترف وتلمع في ضوء الشمس . ان الحشائش تصفر .. والبياض الزغبي يتطفل على الكروم ويتشبث بها في جنون كما تتشبث الحرباوات المصوصة بلحاء الشجر .

كان يحلو له في الصيف ان يجلس على شاطىء النهر يلهو بالطين ويشكله في يده . وفي اوائل يونيو من عام ١٩٦٧ وجد نفسه قد صنع اثرا لعجوز شمطاء ذات ثغر محطم في وجه مربد كئيب .. بلهاء ليس لها حظ من عقل ولا نصيب من صواب .. انها مجنونة .. مجنونة ...

شوهاء .. عوراء .. عجفاء .. كان يحبها لانها من تشكيل يديه .

وفي الشتاء ولت الطيور .. وها هوذا يسير على شاطىء النهر وهو يرتجف من الزمهرير فينفخ في اصابعه المثلجة وقد غمره شعور بان يد الرياح ذات انامل مثال ماهر ، وان جسمه قد خلق من الطين .. ولكنه لا يعلم اي شكل سينحت منه الشتاء .

ويجيء الربيع .. فيملأ الحياة ترنما وهديلا ..

قصة

رفع الصبي عينيه فرأى القرية تطل عليه ، وتناديه ..ان الحشائش التي نسجت منها الطبيعة بساطا سندسيا اخضر قد اصفرت وجفت كما جفت العيون والكلمات .. انها افاعي تتدثر بجلود صفراء تجوس خلال الديار تنفث سمومها وينبعث من عيونها دخان مختلط باللهب وتنشر حولها ظلال الرعب والموت .. وتهز الهدوء هزا عنيفا ... فتنسف البيوت وتهشم المتاع ... ولكن الرياح لن تلبث ان تزمجر بدورها وتذروها هشيما بعد حين .

انفرجت شفتاه عن آهة حرى .. وانبعث صوته محدثا نفسه ..

ـ انني اشعر بالوحدة في عالم موحش ..

وتعلق بصره باللافتات التي ملأت الشوارع .. فؤوس تهشم خوذات تلمع فوقها النجمة المسدسة ... ومانشيتات الصحف ، لقد تحرك الاخطبوط ذو الثلاثة اذرع .. وانفجرت الحرب .

الطيور تصرخ في السماء .

ـ انهن صديقاتي ..

وتلمع اشعة خاطفة تحسر العيون وتخسى .. ثم تنطفىء وتموت ... وان صدر الفضاء انينا فتت كبد السماء وشق قلب الارض من سعير النيران الحارقة .. ونظر الى الافق البعيد .. الى البلاد المغتصبة حيث كان الحب يرفرف بجناحيه ... واهازيج السلام تطرب لها النفوس .. ثم سار في طريق طويل مطأطىء الرأس حتى رأى المياه المقدسة تلثم الشاطىء الغربي في رفق وحنان .

ـ لي اصدقائي في كل مكان .

ونظر فراعه ان الحدءات تنقض على صغار الطير وتخطفها بمخالبها المدببة وتمزق لحومها بمناقيرها الحادة المقوسة في وحشية وعنف .

ـ أهذه صديقاتي ؟

وهز رأسه اسفا .. وسار الى المدينة المقدسة .. وهناك وقف وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد اطربه سماع اصوات المؤذنين تجلجل من فوق مآذنها ، والاجراس تصلصل من فوق ابراج كنائسها ..

ثم ارتج الفضاء كله بدقات رهيبة افلتت من طوفان الزمن .. فرفضت اذناه وقعها وصداها ..

ـ لا .. لن ندعهم يسوقونه .. مرة اخرى !

وحطمته الذكريات الدامية التي كان يجترها عند الشاطىء ..

تناول الصبي جريدة في يده .. وتطلع الى الصفحة الاخيرة وقرأ قصة « عندما اعود الى يافا » ثم تنقل ببصره بين السطور .. اليهودي التائه .. ثم العناوين الحمراء المكتوبة بالدماء ... قتال بالسلاح الابيض في القدس ..معارك ضارية في سيناء، المدفعية السورية تدك معاقل العدو ، واخذ يحملق مذهولا في خرائب البلدة ، والبيوت التي دمرتها القنابل ، والبوم الذي ينعق فوقها ، والموت الذي نشر جناحيه في كل مكان .

وارخى اجفانه في قلبه وحدق فيه باحثا عن حقيقة الغدر والخيانة ..

ـ انه صديقي .

واخذ يشكل قلبه بأصابعه .. ولكنه لم يستطع ان يرى بعينيه الا اكاذيب الاستعمار وتواطؤه مع اسرائيل .

ان العناوين تتراقص امامه وتموج وتنثني مع صفحات الجريدة التي تحركها لفحات الهواء فتشبه الافاعي والحيات .. او كأنها الجوارح في حركة انقضاضها على صغار الطير فيسيل الدم .. ولا تبقى الا العظام المعروقة ، وتفوح رائحة عفنة تجتاح كل شيء .

ـ هذه سمائي !

ونظر وراءه الى شاطىء النهر .

ولكن هاهي ذي اصابعه تقلب صفحات الجريدة .. فعرف مزيدا من اخبار الغدر ، وصورة السفينة « ليبرتي » .. تتجسس . ما افظع الجرائم التي ترتكب باسمك ايتها الحرية .. والموتى يوسدون الارض بلا اكفان .. ! ويقفون مستندين الى مدافع وبنادق الاكاذيب . وامضها الما نظرات الذعر الرهيبة في الوجوه المشوهة ، واللحوم المتفحمة ، والاجساد الضامرة المنكمشةاليابسة بعد ان فرقت بين اجفان النهر فانهل من عينيه دم غزير غير منقطع ، وانثالت الهمهمات من افواه من تبقى من الاحياء .

ها هوذا يرى طفولته ترقد فوق الارض الصفراء ..

لقد راقب البياض الزغبي يخنق العنب .



غبريال وهبه

●

وجاءت العاصفة الهوجاء .. كانت ثقيلة تهرأ عظامه .. تكاد تخمد انفاسه ، وتحجب عنه الرؤية .. وتحامل على نفسه ومضى ضد الريح العاتية في استماتة وجنون وهو يتعثر وحده في الطريق .. وصدى الاصوات وقطرات الهلع وهمسات الالم تكتنفه من كل جانب ..الزوابع والاعاصير .. العاصفة .. الشتاء .. الصيف .. وشرد بذهنه في تأمل وتفكير .. تذكر بيارات البرتقال .. واعياد الربيع . ما زال يرن في اذنه صوت الحاج ابراهيم يخاطب شقيقه بصوت متحشرج « اوصيك خيرا بابنتي » ثم لفظ انفاسه الاخيرة وهو يقاتل عصابات الهاجناه .. ولكن عصابة الارجون زفاي ليومي لم تمهل عم الفتاة كثيرا فقد جروه ذات صباح الى خارج الدار .. وافرغوا رصاص رشاشاتهم في صدره .. فأطرق حزينا والدموع تنحدر من عينيه .. ومد يده يحتضن كفي الشهيدين.. ثم نظر في عيونهما الرانية في سكون فرأى بحيرة ملتهبة تحطم جيوش الظلام فأحيت في قلبه وجيبا مات .. واسرف يجفف عينيه .

كانت الفتاة الرائعة الحسن ذات القد الممشوق .. ستزف بعذريتها البريئة الى ابن عمها عروسا تسكب الطهارة في قلبه .. ولكن ذئاب الغاب اختطفوها منه .. وتخلف خيط رفيع من الدم الاحمر القاني .. فأصبحت الغضبة غضبتين ، غضبة للارض .. وغضبة للعرض ، واذا به يرى قلوبا حبيبة تشوي وجوه العدا .. فقلوبهم حديد ونارهم لظى .. جاؤوا ليغمدوا حرابهم في جوف التنين ليخلصوا فتياتنا من احضانه .. ان اقدامهم ثقيلة تدق الارض حوله في صوت منتظم رتيب وكادت تصل الى تل ابيب لولا تذبذب ذيول العملاء جيئة وذهابا من جانب الى جانب .. لا يعرف استقرارا .

وهكذا راحت الصور ، وسط ضباب الزمن ، تغدو وتروح في مخيلته ..

جلس الصبي الطويل القامة فوق الربوة المرتفعة ومعه قطعة الطين يضغط عليها بأصابعه وينحتها بأظافره ..

لقد توقع هذا .. فهو ليس صبيا عاديا .. انه يجمع من دنيا محترقة اعقاب سجائر الاحداث والصور الدامية .. امي فاقد الامل ..ومع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك فقد نسج في خياله قصة على شاطىء النهر .. كان شبحا يسير في ثورة مكظومة .

وبعين مرخاة الهدب فوق علامة استفهام صاح :

ـ انا من انا ؟ ! .. انا من اكون ؟

ثم صرخ ..

ـ ولكنني ذلك الصبي .. انني ذلك الصبي .. !

ورددت الطيور صدى كلماته في غير اقتناع ..

ـ ولكن انا ابن آدم .. قابيله وهابيله .. انا البشرية .. في قلب الظلام .. وظلام القلب .

ثم عاود الصياح قائلا :

ـ ولكن انا لم اعد انا !! .. فانا الانسانية .. من خلال حمامات الدم وينابيع البكاء والنواح ، انا وحدي اقف سدا امام فيضان الاكاذيب .. ولا انحني لرياح الحقد حتى لا افسح لها الطريق .. انهش في ذاكرة الزمن .. انفس عن نفسي بقصصي .. انا الصبي على شاطىء النهر .. وقد سرت طويلا ، حافيا في طرق وعرة فوق الشوك والصخور .. فأدميت قدمي . وصمت الحب .. يا دهر ليتني اخلف ابعادك وانجز المأمول من وعدك .. وهأنذا اسير .. وسأظل سائرا ..

وسمع رجع الصدى .. انه صوته يعاود الحديث معه ثانيا ..

ـ انا لم اكن في وقت من الاوقات على شاطىء النهر .. ولم اعشق البتة عجوزا شوهاء ..

كان يحمل في اثناء هذا الحلم المزعج الكريه .. شيئا آخر في يديه .. واصابعه تشكله وفق ارادته .

اقترب دوي الطلقات .. وفجأة ثقبت اذنيه اصوات الزلزال ... واحس بكل جسمه اسياخا محماة تكوي صدره وتمزق ضلوعه ، ولفح الحريق انفاسه .. وقتل من امامه نسمات الهواء .. واذا بصيحة تجتاح الجموع :

ـ قنابل النابالم !

وارتفعت آلاف الصرخات من حناجر النساء والاطفال .. واقدام عارية .. واخرى تحوطها احذية قديمة مخروقة ممزقة .. تلهث اعياء من الجري .. والدماء تجري مذعورة في العروق بحثا عن مخبأ يحميها من الاتون المخيف الذي اتى على الاخضر واليابس .. وانطلقت اجراس عربات الاسعاف ، ووقعها يدق الاذان .

تنفست الجموع الهادرة ابشع رائحة مصاعدة من رجع حلوق تجار الدم ، ومرابيي الاسواق ، ومنتهكي الحرمات ..

واهتزت الارجاء بصوت مدو كقصف الرعود :

ـ الصهاينة .. الصهاينة ..

ارتجف الفضاء بأنين المحترقين .. وعلا الضجيج .. من كل مكان .. من الغبراء الى كواكب السماء .. كان الصوت يقول :

ـ الصهيونية والاستعمار ..

فعاودته احزانه القديمة .. وامتلأت نفسه هموما تشفق الاطواد منها .. واشجانا يضيق بها الفضاء .. فأخفى رأسه بين يديه ، ليحجب شقاءه هازئا من التماثيل الحجرية.

انه الان يرى الاحجار وقد انهارت رمالا كادت تبتلعه ..

وصرخت الطيور .. فقال :

ـ انهن صديقاتي ..

ومرت سحابة شاحبة في الافق بددتها الاشعة المتوهجة فماتت في صمت .

وظل في مكانه واجما ساهما ينظر كالمحب الواله الى قلبه . وراقب العضلات الحمراء تنقبض وتنبسط على مر السنين والاعوام دون كلل او ملل . رأى عيون الاجيال ترنو اليه في رفق وحنان دافقين ... وشاهد الرجال في غدوهم ورواحهم .. يضحكون هانئين تحت كرم وارف ظليل .. وفي حقول الزيتون والبرتقال التي لم تضن يوما اشجارها بالزهور تعبق نغم الحياة .. والامل يملأ الصدور ، والنسيم يهمس للشاطىء ويبثه لواعج حبه ، والغصون ترقص على نغمات الحمائم وتصفيق الجداول . ورأى الاطفال الصغار يمرحون في القرية المضيئة بشمس يونيو .

ـ هذه الصورة في قلبي .

ان الصبي الطويل القامة الذي جلس يصفر على ضفة النهر انخرط في بكاء مرير عندما طافت الرؤيا بقلبه .. لقد شاهد عالما ملتويا .. يهرفون بالاكاذيب ، ويخفون الحقائق .. فاذا اناامله تشكل من طين الخيال المراة المجنونة .. العوراء .

وصفر الصبي الطويل القامة والتقط قطعة الطين .

وفجأة اصابته رصاصة .. وسال الدم .. وانسابت قطراته .

ـ ما ابشع الم ..

وقطب وجهه الما عندما احتبس الصوت في حلقه .. واكلت الكلمات نفسها فوق شفتيه ، فرنا بعينيه في صمت الى الشمطاء .. الشوهاء الذي زادته بشاعة وقبحا وتشويها قطرات دمه .. واذا بشبح ابتسامة باهتة ترتسم على وجهه المتقلص .. فها هي ذي اصابعه تتكلم ..

وحمل اليه النسيم موسيقى عذبة رائعة نابعة من القلب .. تخلب اسماع من سقطوا في معركة الحرية .. لا .. ! لا .. انهم لن يموتوا ابدا .. ولن يستطيعوا ان يموتوا .. سوف يسيرون في يوم بديع .. الى صوت القبلة المنتصر ، فانبسطت اساريره .. ولم تعد الاسياخ المحماة تكوي صدر الصبي وتمزق ضلوعه .. وخمدت السنة اللهب . وسكن الهواء .. وتجمعت ثلاثة اصابع في يد حانية وتقدمت تجس كفه ورفعته في باطنها .. فاختلج بدنه .. وعانقت الاصابع الثلاثة فجوات اصابع يد الصبي في غفوته .. وما زالت ساهرة لا يغمض لها جفن حتى ترى الظلام مسفوحا على باب الفجر .

مصر

غبريال وهبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البدر في سماء مقبرة

★

أنر ظلمة الاجداث ان كنت تقدر ... فما غيرها ليل يهاب ويحذر
أنرها تكن بدرا نهيم بحبه ... والا فما جدوى لنورك تذكر
أنرها تخفف سطوة الموت في الورى ... فنسكت من آهاتنا حين يزأر
تطل عليها من علوك ساهما ... وفي وجهك الكابي شحوب معبر
أترثي لها أن أجهشت لبناتها ... وحل بواديها البلاء المقدر
ضياؤك صوال على كل حندس ... فكيف بميدان الردى يتقهقر
يحاذر ان يدنو فيقبر في الثرى ... وللحسن هول فادح حين يقبر
له العذر ان يرتد لهفان مجفلا ... فكم من ضريح قد هوى فيه نير
حكيت نحور الغيد بشرا وفتنة ... وها هي ذي تحت الثرى تتبعثر
لها ألق زاه كنورك ساطع ... يشع فيسبي ناظريه ويبهر
فلما دنا منها الحمام هوى بها ... الى حيث تنشق القلوب وتفطر
سناك سناها فالذي غال سحرها ... يغولك فهو القاهر المتجبر
أنرها تقدم للملايين منه ... تيسر شيئا بعض ما يتعسر
ضياؤك ان يات البساتين رائع ... كان كنوزا منه في الروض تنثر
يفيض على الازهار سحرا فتفتدى ... عرائس في افوافها تتبختر
وينسج للاغصان ابهى غلالة ... من النور تسبي العين أيان تنظر
كان سيولا من ضياء تساقطت ... غيوثا بها الافنان تروى فتثمر
يروقك مرأى الروض في رونق الضحى ... كما راق مرأى الروض والليل مقمر
هو النور فوق الزهر لا حسن مثله ... كما هو فوق النهر يسبي ويسحر
هو النور في ومض العيون ملاحة ... وفي أوجه الغادات بدع مصور
وفي بسمات الفاتنات
أثار ضرام الشوق في كل مهجة ... فاضحت به أحشاؤنا تتسعر
هو النور في كل الاماكن رائع ... ولكن لدى الاجداث زيف مزور
ألا ليت من يهوى الحسان وضيئة ... يخف لدى الاجداث ليلا فيبصر
يرى قيمة الضوء الاصيلة في حمى ... يعاف به الضوء الاصيل وينكر
فيانف من غر الثنايا وومضها ... ويزور عن لمح العيون وينفر
ويعلم ألا ضوء الا ودونه ... وان خدع الدنيا حمام مظفر
ويعرف ان النور في الروض زائل ... اذا عصفت بالروض نكباء صرصر
وأن ائتلاق الضوء في النهر خدعة ... كما لاح في الصحراء آل مغرر
أنر ظلمة الاجداث يا بدر نسترح ... فتلك التي نلتاع منها ونضجر
اذا ما تذكرنا الدجى في لحودنا ... ونحن بصفو هانىء نتكدر
أنرها والا فابتعد عن سمائها ... فتلقى قياد المستكين وتعذر

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي



انور الجندي

مراجعة عامة لانتاج انور الجندي

بقلم محمد محمود رضوان

* * *

اكتب هذا المقال المتواضع عن الاستاذ انور الجندي بمثابة تحية لهذا الكاتب الموسوعي والمفكر الكبير الذي يعمل في صمت بعيدا عن الاضواء الخلابة والضجيج الزائف . وسوف استعرض في صورة سريعة وموجزة بعض معالم ادب انور الجندي وتطور فكره منذ عام ١٩٣٨ .

فقد ولد كاتبنا في ٣٠ ديسمبر عام ١٩١٦ ببلدة ديروط من اعمال (اسيوط) وقد تطلع منذ طفولته المبكرة لمطالعة آثار اعلام الادب والفكر من القدماء امثال ابن خلدون ومن المحدثين امثال الرافعي والمنفلوط وهيكل والمازني وزكي مبارك واحزابهم .

وتحت سماء ديروط الصافية قرأ عشرات المؤلفات في شتى فروع الفكر والثقافة وكتب الكثيرمن الخواطر والشذرات دون ان يتاح لها فرصة النشر حتى ظهر له أول مقال عن شاعر النيل حافظ ابراهيم في مجلة « ابوللو » في يونية عام ١٩٣٢ ، ثم اخذ يكتب في الصحف الاقليمية التي كانت تصدر في اسيوط والمنيا والقاهرة ، وكانت القاهرة هي حلم الكاتب الشاب وامله في تلك الحقبة من عمره حيث الصحافة ودور النشر والثقافة والفكر والفن .

وقد ظل دائب القراءة والمطالعة والبحث والانتاج فنشر سنة١٩٣٢ في صحيفة « الانذار » مجموعة مقالات في النقد تحت عنوان « معول في الادب » تمثلت فيها روح الناقد الجريء العنيف الذي يبحث عن الجديد في الادب والثقافة والفكر .

ومن « ديروط » اخذ المترجم له يراسل ادباء مصر ومفكريها فارسل الى عبدالقادر حمزة واحمد حسن الزيات وزكي مبارك وابراهيم المصري والدكتور محمد حسين هيكل باثاره الادبية وانتاجه الفكري وهم في ذلك الوقت ائمة الفكر والادب في مصر .

ولم يلتفت كبار الادباء الى انتاج الكاتب الشاب ورسائله فيما عدا اديب واحد هو الدكتور زكي مبارك الذي ارسل اليه خطابا حارا يحثه فيه على القراءة والمطالعة والكتابة واوصاه بالصبر الجميل وكان هذا هو المنار الاوحد في ظلام حياة الريف ومن ثم فقد احب زكي مبارك وعاش معه في كتاباته وبعد ان توفي زكي مبارك اوفى انور الجندي له بدراسة خصته .

صدر اول مؤلف للاستاذ انور الجندي في سن مبكرة (ابريل عام ١٩٣٨)بعنوان « عرائس البكارى » وهو يتجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد ضم الكتاب مجموعة مقالات في الادب والنقد والوان الثقافة المختلفة تشكل في مجموعها عصارة رؤيا المؤلف واتجاه فكره في تلك السن المبكرة .

وبدأ النقاد يلتفتون الى هذا الكاتب الشاب الجريء الذي تحدث في صراحة وصدق وموضوعية وجرأة من خلال هذا الكتاب الصغير فكتبت عنه صحف منها « المصور » و « الصباح » كلمات ثناء واعجاب وتشجيع وظل انور الجندي يكافح كفاحا مريرا وشاقا في سبيل تحقيق الذات منذ عام ١٩٤٦ وهو العام الذي وصل فيه القاهرة حيث بدات تطلعاته الى الاسلاميات فانتج عددا من المؤلفات تتسم بالموضوعية والنزاهة والصدق فاخرج لنا كتاب « قضايا الاقطار الاسلامية » عام ١٩٤٧ وكتاب «شمائل الرسول » عام ١٩٤٨ وخلال تلك المرحلة برز دور انور الجندي الكاتب الوطني المجاهد الذي كافح وناضل من خلال عنفوان الاحتلال الانجليزي والاستبداد الرجعي في مصر قبيل ثورة ١٩٥٢ حيث حمل على الاستعمار والحزبية وشارك في مقاومة الاحتلال الانجليزي بسنان القلم فاخرج كتابه الجريء « اخرجوا من بلادنا » في اربعة اجزاء عام ١٩٤٦ فاثار ضجة كبرى واحدث اثارا بعيدة المدى ، كما اشتمل عليه من اراء حرة وافكار ثورية تدعو الى النضال ضد الاحتلال البغيض ، وقد اثار هذا الكتاب الجريء ثائرة السلطات المحتلة فقدم المؤلف بسببه الى المحاكمة فاقضى به عام ١٩٤٩ وراء القضبان .

ومنذ عام ١٩٥٠ تطور كاتبنا من جديد حيث برز الجانب الادبي وضوحا في انتاجه من خلال مقالاته وابحاثه في جريدة « الزمان » و « الاهرام » وفي مجلتي « الرسالة » و « الثقافة ».

فاذا اردنا ان نحدد السمة الغالبة على انتاج المترجم له في هذه الفترة قلنا انه يحرص في كتاباته على الرصانة والاصالة وتجاوز ما يسمى بأدب الساندويتش او الادب الخفيف رغم انه اكثر رواجا واكثر ربحا ، معليا من شان القيم على المغانم المادية فسيتمسك بالالوان الجادة وينهج الى الكتابة الموضوعية الدسمة ويصور لنا القيم التي يحرص عليها في كتاباته فيقول :

« لن اعق فطرتي ، ولن اندفع مع غير طبيعتي ، مهما يكن ، من فقدان بضعة جنيهات ثمنا لهذه الالوان التي يطلبها الناس ولا تستجيب لهانفسي ان لي طابعي ومفاهيمي وموضوعاتي ، واهدافي ، ولن اتخلى عنهـا ».

وهكذا يبدو لنا منذ بدأ حياته الفكرية مولعا بالادب الرفيع والفكر الحر العالي مرتبطا بالقيم والمثل العليا التي رسمها لنفسه ، حريصا على الاعتزاز بأدبه ونفسه في ميدان الادب والثقافة فلا يندفع في ركب كبار الصحفيين متابعا بل يحرص على متابعة المناهج الرصينة والفكر الحي وقد تحدث عن هذا المعنى حوالي عام ١٩٥٥ فقال : «ولست ارى من نفسي انني استطيع ان اكون تابعا لاحد ، لقد كرهت هذا في ميدان الادب ونفرت من ان اسير في ركب فلان او فلان من الادباء الكبار ، فهل ارتد مرة اخرى لاسير في ركب الصحفيين الكبار ؟ لا انني لن اذل وساظل قويا بالله وبالحق وساجعل قلمي وحده ، وسيلتي الى احراز مكاني الحق » .

هذا المبدأ الذي يمثل شخصية كاتبنا وطبيعته ظل مستمسكا به حتى اليوم لا يحيد عنه ولايتحول وتلك صورة ترسم لنا بوضوح

وصدق مدى اعتزاز المترجم له بشخصيته وادبه منذ بداية حياتـه الادبية حتى وصوله الى ذروة الشهرة والتبريز كواحد من مفكـري العرب المعاصرين الذين نعتز بهم وبآثارهم النفيسة .

ويمكن النظر الى حياة المترجم له وانتاجه من خلال جوانب ثـلاث دوائر تحرك فيها قلمه خلال ثلاثين عاما هي :

(١) مؤرخ الادب (٢) المفكر الغربـي (٣) الباحث الاسلامـي

وسأبرز دوره من خلال كل جانب واثره الكبير في صياغة فكرنـا العربي وثقافتنا المعاصرة مما يتسم بالعمق والاصالة والجودة .

مؤرخ الادب :

استطاع ان يرسم صورة دقيقة وعميقة ومنصفة لمعالم ادبنا العربـي المعاصر من خلال موسوعته الضخمة التي بلغت اكثر من خمسة آلاف صفحة وقد اخرج لنا تلك الموسوعة في صورة متكاملة دقيقة بحيـث نستطيع ان نحدد معالم الادب العربي المعاصر من خلالها وتشتمل علـى الفنون التالية وهي عشرة مؤلفات :

النثر ، والشعر ، والصحافة ، والقصة ، والصحافة السياسيـة وتطور الصحافة العربية في مصر واللغة العربية والترجمة وأدب المرأة وأدب المقاومة والمعارك الادبية وتتسم الموسوعة بانها اول عمل ادبـي متكامل اجرى دراسة الادب العربي في العصر الحديث من خلال الامـة العربية كلها بعد ان كانت دراسات الادب تقوم على الاقليمية وقـد امتدت الفترة الزمنية للموسوعة من عام ١٨٧١ تقريبا وهـو نهاية عصر اسماعيل وبروز حركة جمال الدين الافغاني الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، كما شملت العالم العربي كله من المغرب الى العراق .

وقد رسم من خلال الموسوعة صورة دقيقة وافية لتطورالفكروالادب في العصر الحديث وأرخ الحياة الادبية والثقافية من خلال اثار الكتـاب وانتاجهم ، كما ابرز التيارات الفكريةالمعاصرة بشتى الوانها واتجاهاتها.

ونستطيع ان نطلق هنا على كاتبنا بحق لقب « جبرتي العصر الحديث » لانه يعد اول كاتب ارخ لنا معالم ادبنا العربي المعاصر بهذه الصورة من العمق والاجادة والدقة والشمول .

المفكر العربي :

في عام ١٩٦٠ وسع الباحث ابعاد دراسته فلم تعد قاصرة على الادب العربي المعاصر والصحافة العربية ، واوغل في مجال اوسع افقا وارحب، ذلك هو مجال الفكر العربي المعاصر في لقائه مع الفكر الغربي بشقيـه ومن هنا اصبحت دراساته تضم الاجتماع والدين والفلسفة والحضارة والتراث ، وقد بدأ عمله هذا في ظل التحديات التي اخذت تواجه الامة العربية من خلال خطر الغزو الثقافي والتغريب والشعوبية ، وقد بدأ عمله في هذا المجال بكتاب « الفكر العربي المعاصر في المعركة التغريب والتبعية الثقافية » ثم توالت دراساته في هذا المجال وجاء على قمتها كتابه الذي ربما وضع في المستقبل موضع المسح الشامل للفكرالاسلامي مقدما باسلوب عصري صالح لان يشكل (نظرية عربية اسلامية عصرية) وهو « القيم الاساسية للفكر الاسلامي والثقافة العربية » وقدتنـاول فيه خمس عشرة قيمة من قيم هذا الفكر مقارنة بالفكر الغربي في مجال اللغة والحضارة والدين والتربية والاخلاق والسياسة والادب والاقتصاد والاجتماع والنفس وغيرها .

وقد خرج المؤلف من هذه الدراسة بمنهج فلسفي واضح قوامه ان الفكر الاسلامي يقوم على الوسطية والتكامل والحركة وان الثقافـة العربية وليد اصيل للفكر الاسلامي ومن خلال دراسة المؤلف لتاريخ الاسلام قدم منهجا جديدا مخالفا لمختلف المناهج التي قدمهـا مؤرخـو الاسلام فقد اعاد تقسيم العصور الاسلامية على نحو جديد واعتبر تاريخ الاسلام كله وحدة متكاملة .

ومن خلال عدد من الدراسات والمؤلفات نرى موقف مفكرنا واضحا صريحا صادقا فنرى موقفه من التيارات الفكرية المتطرفة وموقفـه الحاسم من عدة قضايا خطيرة في فكرنا العربي المعاصر مثل قضية اللغة الفصحى واللهجة العامية والدعوات الاقليمية والشعوبية والاندفـاع الاحمق وراء التقليد الزائف والاتجاهات المادية والالحادية والمخزية ومن خلال تلك الكتابات نرى رفضه الحاسم لكل ما يسيء الى تراثنا وتاريخنا وأمتنا وقيمنا .

ونرى هذا المفكر في صورة الاعتدال المتزن الذي يناقش ويحلل بعمق وهدوء حتى يستخلص النتيجة في النهاية بطريقة موضوعيـة متعمقة متزنة ، ومفكرنا الكبير من اشد مفكرينا العرب اعتزازا بالتراث والقومية والاصالة ويرى ان الفكر العربي المعاصر في عصر التحرر مـن الاستعمار والتجمع للوحدة قد بدأ يصحح مفاهيمه ، ويكشـف روح التقريب والشعوبية ويشجبها ، وهو يحاول ان يشق طريقـه حثيثا ، بعيدا عن اخطار التعصب والجمود من ناحية والتحلل والالحاد منناحية اخرى ملتزما بمقومات فكره الاساسية امتزاج الروح والمادة والعقـل والقلب .

ويقول عن مستقبل الفكر العربي : « وفكرنا العربي بسبيلالتقدم خطوة اخرى ، هذه هي خطوة العطاء وتقديم عصارة فكره للانسانيـة التي تتطلع الى ضياء جديد ، سيكون مصدره بحق هذا العالمالاوسط المتمثل في الشرق العربي الاسلامي ، هذا الفكر الانساني الاوسط .»

الباحث الاسلامي :

يعد الاستاذ انور الجندي مـن مدرسة الفكر العربي الاسلامي تلـك المدرسة الوسطية التي تحارب الجمود والتعصب والتطرف والـتي تتمسك بالقيم الاساسية في الفكر العربي الاسلامي .

وكاتبنا حريص في ابحاثه الاسلامية ودراساته على الموضوعيـة والصدق والناي عن التعصب او التطرف او الجمود ، وقد اخرج لنـا عدة مؤلفات قيمة في هذا المجال من الممكن انتعطينا صورة صادقة لروح الباحث وفلسفته وفكره . وتلك المؤلفات هي كما يلي :

« الاسلام وحركة التاريخ ، العالم الاسلامي والاستعمارالسياسي والاجتماعي والثقافي، والقيم الاساسية للفكر الاسلامي والثقافة العربية، وجوهر الاسلام ، والاسلام في غزوة جديدة للفكر الانساني ، اصـول الثقافة العربية ، وقضايا العصر في ضوء الاسلام » الى اخر تلـك المؤلفات الدسمة النفيسة التي تتسم بالموضوعية والمنهجية والصـدق. وفي تلك المؤلفات حارب الباحث التيارات المادية والالحادية الـوافدة بمنهج موضوعي جاد واظهر لنا مدى زيفها وضحالتها واثارها المدمرة .

واستخرج لنا من التراث العربي الاسلامي صورا نقية من صور البعث مؤمنا بان الانسانية في حاجة الى غذاء روحي وفكري يرد عنها ذلك الظلام الذي فرضته الحضارة المادية المسلحة باسلحة العلم والفكر لتحطم وتدمر وتستعمر .

واستطيع هنا ان اقول ان باحثنا يتسم في كل ما يكتب من ابحاث ودراسات بالموضوعية والصدق والتجرد والنزاهة والبعد عن المغالاة او التعسف .

ولا ننسى قبل ان نختم هذا البحث الاشارة الى جانب هام وهو « ادب التراجم » فقد اخرج لنا المترجم له الكثير من المؤلفات في هذا المجال ، ومن ذلك كتابة « الاعلام الالف »، و « مفـكرون وادباء » و « تراجم الاعلام المعاصرين » ، و « اعلام واصحاب اقلام ».

كما اخرج لنا تراجمة مفردة عن : الزهاوي والمراغي وعبدالعزيز الجاويش واحمد زكي وزكي مبارك ومحمد فريد وجدي .

ويحرص باحثنا الكبير في تلك التراجم على رسم صورة نفسيـة وتحليلية لهؤلاء المفكرين والادباء مستمدة من حياتهم وبيئتهم والعوامل التي اثرت في أدبهم ولونت فنهم ، وتعد تلك الدراسات في ادبالتراجم والسير بمثابة تمهيد لدراسة الادب العربي نفسه والفكر العربيالاسلامي في مختلف مذاهبه ومدارسه ونزعات التجديد في الادب والعوامل المختلفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداعا بلا حزن

●

عرفتك مخدوعا . فقلت : رقيقة ... كنسمة صبح ، او كهمسة جدول
وقلت : طروب ينزل الحب قلبها ... باجمل روض عند اكرم منزل
وابصرت في عينيك دنيا عجيبة ... تكشف عن شوق غوي مدلل
وعن نظر للغيب يقبس نوره ... ويعرف من اسراره كل معضل
وقلت ستدري من انا سوف نلتقي ... بروحين في روح على الحب مقبل
ونبني لنا عشا ونغرس وردة ... على شاطىء الحب الوفي المدلل
ونحكي لها عن ذكريات من الهوى ... ونشوة قلب في الخلود مؤمل
فلما تراخى العمر وانكشف الذي ... يغطيك من سدل لئيم مضلل
وجدتك في عيني اطلال جثة ... لقى في تراب قاحل النفس موحل
أتلك التي كانت ترانيم ... وفرحة اشواقي ونجوى تأملي
فوا أسفاه للنهاية انها ... لؤلمة للشاعر المتأمل

وما كنت ادري انها عرفت غدي ... بقلب هواء مغلق الحس مقفل
وأن الليالي عاقبتني بحبها ... فنؤت بعبء منه لم اتحمل
وداعا لايام تولت مرنة ... بصوت اسى في روحها متغلغل
وداعا لعهد مات من قبل موته ... لامر رأته حكمة لم تعلل
واقسم .. ما قلبي عليك بآسف ... ولا جازع من بينك المتعجل
وما كنت لي نداً .. ولا كنت بالذي ... يراك سوى أكذوبة لم تجمل
فما ارتفعت من اجل بعدك صرختي ... ولا بات يغلي من فراقك مرجلي
وداعا بلا دمع .. وداعا بلا اسى ... وداعا بلا حزن من البين مشعل
وداعا به نطوي الذي كان وانقضى ... بغير عتاب او بغير تعلل
فما انت عندي بالبكاء جديرة ... ولا انت عندي بالرجاء المفضل
لقد هنت .. حتى ما أحس بحاجة ... الى الحزن، او شوق الى اليأس مثقل

القاهرة — عبد العليم عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي اثرت في تكوينه وتطويره حتى تكامل بناؤه على هذه الصورة .

منهج الباحث :

يتبع المترجم له منهجا متكاملا يعتمد فيه على « النقد الداخلي » أي التحرر من آراء النقاد والادباء والباحثين والمؤرخين مع الاعتماد على الدراسة الموضوعية التي تقوم على اسس ونصوص وقضايا .

وبهذا المنهج الموضوعي المتكامل استطاع باحثنا ان يرسم صورة دقيقة لمعالم ادبنا العربي المعاصر .

ولا شك ان السمة التي ينفرد بها منهجه هي الصدق كما ان ابحاثه تتميز بالموضوعية والتجرد والاصالة .

ولكي نلقي ضوءا كاشفا على المترجم له نستطيع ان نقول انه قدم لنا حتى الان موسوعات ثلاث :

(١) موسوعة معالم الادب العربي المعاصر (٢) الموسوعة العربية الاسلامية (٣) موسوعة تراجم الاعلام .

وانه في مجموع ما قدم لا يقل انتاجه عن عشرة الاف صفحة كتبها خلال بضعة عشرين عاما .

القاهرة — محمد محمود رضوان



عيسى الناعوري

الشاعر العربي عيسى الناعوري

بقلم الكاتب الايطالي ريكاردو كاروتشي

Riccardo Carucci

* * *

ظهر هذا المقال في مجلة « المعرض الادبي » الادبية الاسبوعية ـ وهي كبرى المجلات الادبية في ايطاليا ـ في عددها الصادر بتاريخ ٥ آذار ١٩٧٢ ، السنة ٤٨ ـ العدد ١٠ ، بقلم الكاتب الايطالي ريكاردو كاروتشي ، وكان هذا الكاتب قد زار الاديب الاردني الاستاذ الناعوري في منزله في عمان ، واجرى معه مقابلة ادبية طويلة ، واطلع على مكتبته الايطالية ، واعماله في حقل الدراسات الايطالية والترجمة . وقد رأينا ان ننشر ترجمة هذا المقال النفيس باللغة العربية ، لانه يدل على مدى ما يتمتع به صديقنا الناعوري من تقدير في الاوساط الادبية والثقافية في ايطاليا . (الاديب) .

★★★

كما ان الثقافة العربية غير معروفة كثيرا في ايطاليا ، الا لدى الاوساط الايطالية المختصة ، كذلك كانت الثقافة الايطالية ، للاسف الشديد ، نادرة الانتشار في العالم العربي . ولعل هذا اكثر ما ينطبق على الجزء الشرقي من العالم العربي ، الواقع في القارة الاسيوية ، حيث يمكننا القول ان الحضور الايطالي المباشر كان وجود بعض رجال الدين ، وكانت له نتائج مباشرة من حيث التعريف باللغة الايطالية ، الا انه لم يترك فيما عدا ذلك آثارا باقية . وكان من نتيجة ذلك ان المثقف الذي لا يملك الاداة لقراءة الايطالية ، يجد نفسه في معزل عن تراثنا الادبي ، الا اذا قرأ بعض ما ترجم منه باللغة الانكليزية او بالفرنسية ، وكذلك باللغة العربية طبعا ، ولكن هذا نادر بشكل لا يصدق .

لهذا كان من دواعي الاهتمام والغبطة لقاء رجل كعيسى الناعوري ، الشاعر والاديب هو نفسه بلغته العربية ، والذي من منزله في عمان يتتبع بشغف وعناية الادب والثقافة الايطاليين ، فيعمل جاهدا على تعريف العرب الآخرين بهما . وهذا عمل يواجه مصاعب عديدة، والى جانب ما فيه من رضى نفسي يقدم ايضا كثيرا من عوامل الخيبة والفشل ، نتيجة لجدار اللامبالاة الاساسية الذي يمكن ان نقول انه قائم لدى الايطاليين القليلي الاهتمام بالتعريف بثقافتهم ، ولدى العرب القليلي الشوق الى معرفتها . ونرجو ان يكون في الاتفاقات الثقافيةالتي عقدت حديثا مع بعض هذه البلدان العربية ما يبعث على شيء من الامل في المستقبل .

ولد الناعوري عام ١٩١٨ غير بعيد عن عمان ، وقد درس في المعهد البطريركي في القدس . وهو الان موظف كبير في وزارة التربية والتعليم في بلده ، ولكنه قبل كل شيء كاتب عربي ، ومؤلف له دواوين شعرية ، ومجموعات اقاصيص وروايات ، ومؤلفات نثرية ، وقد ترجم من قصائده واقاصيصه الى الانجليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والايطالية ، والروسية ، والمجرية .

ان الادب الاردني ما يزال حديث العهد ، وترجع بواكيره الى نحو خمسين عاما فقط حين اسس الامير عبد الله امارته التي كانت حتى ذلك الحين بلادا صحراوية ، اغلب سكانها من البدو . وعلى الرغم من حداثة الادب الاردني فقد لقي تقديرا واسعا في العالم العربي . ومن المع الاسماء فيه اسم الشاعرة فدوى طوقان . وهي ، وكذلك الناعوري ، يقوم انتاجهما الادبي على قاعدتين : الادب الشخصي الوجداني ، والادبالذي يستوحي مادته من النتائج المأساوية للقضية الفلسطينية.

وليس عسيرا على الناعوري ان يقدم لنا كشفا بالاعمال الادبية الايطالية التي يمكن الاطلاع عليها باللغة العربية : فدانتي نال التكريم الذي يستحقه ، بثلاث ترجمات عربية للكوميديا الالهية ، احداها هي تلخيص اكثر منها ترجمة كاملة ، والترجمتان الاخريان قيمتان حتى بتجاوزهما عن بعض المقاطع الخاصة . اما بتراركا وبوكاتشيو فمجهولان تماما ، ولا بد من الوصول الى ماكيافيللي الذي نال كتابه « الامير » ترجمتين عربيتين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا شيء عن اريوستو ، او تاسو ، او ليوباردي . وبدلا من ذلك هناك مانتزوني في روايته « العروسان ». وهناك ايضا سلفيو بيلليكو ، في كتابه « سجوني » المترجم الى العربية ، وكتاب « القلب » لادموندو دي اميتش ، وقد ترجمت كذلك اشياء من بيراندللو ،وكل روايات مورافيا ورواية « فونتمارا » لسيلونيه ، و « صحراء التتر » لدينو بوتساني . والقسم الاكبر من الاعمال الادبية الايطالية المترجمة ، ومنها روايات بوتساني ومورافيا وغيرهما ، ترجمت عن الانجليزية او الفرنسية ، دون استئذان المؤلفين طبعا . اما رواية « فونتمارا » فقد نالت نجاحا مفاجئا اذ ترجمت الى العربية مرتين : الاولى في الاردن وصاحبها الناعوري نفسه ، والثانية في مصر .

ان ترجمة « فونتمارا » تمثل حتى الان اهم نتائج نشاط الناعوري في حقل الايطاليات . ويقول الشاعر ان ترجمتها كانت عملا سهلا جدا ، وقد ترجمها على الآلة الكاتبة مباشرة .

وقد ترجم عيسى الناعوري الى العربية كذلك مجموعة اقاصيص ايطالية ونشرها في كتاب بعنوان « اطفال وعجائز » ، ولديه الان كثير من المخطوطات وترجمات اخرى ذات اهمية ولكنها لم تجد ناشرا بعد . واهم هذه الترجمات رواية « الفهد » ، وقد اتفق اخيرا مع احدى دور النشر اللبنانية لنشرها (١) . ولديه ايضا مجموعة قصائد مترجمة لعدد من الشعراء الايطاليين المعاصرين ، ومجموعة ثانية من الاقاصيص المترجمة . وليست اقل من هذه اهمية المقالات والاحاديث والدراسات التي يعقدها الناعوري دون ملل على الثقافة الايطالية ، سواء في الصحف والمجلات والاذاعة في بلدان عربية مختلفة . وقد كان هذا وسيلة لتعريف العديد من الشعراء العرب بامثال كوازيمود ، واونغاريتي ، وفيتوريني ، وبراتوليني ، وايلزامورانته ، وماريا بيللونشي ، وفاليري وغيرهم ، وكان كذلك وسيلة لاطلاع القراء عن طريق هذه المقالات والدراسات على نماذج من ادبهم ترجمها الناعوري عامدا . وبين مؤلفات الناعوري رواية استوحاها من رحلة ليلية قام بها من صقلية الى نابولي ، نشرت متسلسلة في احدى مجلات بيروت (٢) .

والناعوري يضع انتاجه الغزير في اطار ادبي زاخر بالحيوية ، حتى ما كان منه يهم منطقته وحدها على الاغلب . وادباء الاردن لا يتوقعون ان ينال انتاجهم ما نالته روائع الشعراء العرب القدامى ، من الشاعر الجاهلي الشنفرى (فرنسوا فيللون الصحراء) الى المتنبي والمعري . والشعر العربي المعاصر ، الذي يجمع في الغالب بين تقليد التراث العربي القديم والتأثير بالنماذج الاوروبية الحديثة ، تسيطر عليه كما يقول فرانشسكو غبريلي « غنائية لفظية مبهمة ، يتمثل فيها الغنى والمرونة بشكل عجيب » .

وليس من السهل ان يتجنب مثل هذا المحذور الشعراء والشاعرات من امثال عبد الرحيم محمود ،الذي توفي في حرب عام ١٩٤٨ ، وابو سلمى ، وابراهيم طوقان الذي توفي عام ١٩٤١ ، وشقيقته فدوى طوقان التي تقدم ذكرها ، ومحمود الحوت ، ومصطفى وهبي التل ، وحسني فريز ، وثريا ملحس ، وعيسى الناعوري نفسه، وغيرهم . صحيح ان المضمون في هذه الحالة يكون مدعوما بالحس القومي والسياسي ، ولكن تبقى الخشية من ان يضيع الصفاء الوجداني بمقدار ما يكسب الشاعر من الحرارة او الشغف الاجتماعيين .

الا اننا لا نعدم الوانا من الحدس الجميل والعاطفي، كما تشهد بذلك همسات الناعوري الوجدانية التالية ـ وقد ترجمها هو نفسه الى اللغة الايطالية :

على خديك يا حلوه
تنام قريرة الغفوه
فراشات بالوان الربيع
وخفة الغنوه

وفي احيان اخرى تكون قيمة الشعر الاساسية في الفاعلية الفخمة والجميلة معا للغة العربية ،وتبقى للابيات المترجمة اهميتها الخاصة لسهولتها المدهشة :

مع الشمس يا حلوتي تشرقين
ونحوي باسمة تهرعين
بالقبلة الحلوة الدافئة
بقلبي عطر الربي تسكبين

واحيانا اخرى كذلك يتدفق الاحساس الداخلي العفوي والاصيل دون تزاويق :

خذ من عيوني ضياك ومن حياتي بقاك
واسعد بعمر طويل فداك روحي فداك

ولقد اصيب الناعوري منذ مدة باضطرابات قلبية. وكان يعالج في مستشفيات عمان . وعلى الرغم من ان المرض يفرض قليه قيودا معينة فانه لا يمنع نشاطه الادبي تماما ، وها هو يرسم ببراعة عجيبة لمسات غير مألوفة للاشياء الاكثر بساطة ، فيصف المرضة التي تقوم على العناية به في قصيدة له بانها « السر اللطيف الملهم » وفي الوقت نفسه يتابع باستمرار مسيرة الثقافة الايطالية .

روما — ريكاردو كاروتشي

(١) ستظهر في منشورات عويدات .
(٢) عنوان الرواية « ليلة في القطار » وقد نشرت متسلسلة في مجلة « السياحة » اللبنانية .

مـن اجـل لبنـان

كتبت هذه الكلمات عند الاعتداء عـلى جنوب لبنـــان فـــي اواخـــر شبـاط ١٩٧٢

ـ ١ ـ

قد عبر التتار من هنا
عاصفة هوجـاء
تذرو الحضارات وما جاد به الآباء
دماؤهم زرق وفي عيونهم نداء
للمـوت والفنـاء
فكان ما كان من الخراب
وعاد هولاكو وفي عيونه دهاء
والحقد في الدمـاء
فكان ما كان من الضياع
وانتفض المارد من اغفاءه الردى
يبحث عن هوية في القدس في سيناء
وفي ربى سورية الشماء
في الارز في سهوله الفساح
والقمم البيضاء

ـ ٢ ـ

تلك المنى لم تحببها منى
ونسمة عاطرة الانداء
تلك المنى كانت هي الفداء
والموت من أجل غد
يورق فيه الحب والرجاء
وترجع الضفاف والجولان والصحراء
مشرقـة الجبـين
يـرن في الارجاء
ناقوسهـا
وتلمس المآذن السماء
مزهوة بعودة الربيع
والحـب والسلام

ـ ٣ ـ

من أجل لبنان وما ينبض في الدماء
سنحمل السلاح
ونرغم العدى
تلك فلسطين ومن معاقل الاباء
ينطلق الشعب فيا سماء
طلي ففي نجومك الوضاء
ألف سنى يشع في الصباح
ويبعث الحياة والامل
تلك فلسطين لظى خلدها الكفاح
والموت من أجل غد
مـا اروع الفـدا
واعظـم الفـداء

ـ ٤ ـ

تلك فلسطين فيا مواكب الحياة
طوفي على سيناء
والهضبة الشماء
والضفة العذراء
وقبلي القدس وضمي مهبط المسيح
ورددي في السهل والجبل
كنا ولـم نـزل
لا نرهب العـدى

ـ ٥ ـ

تلك فلسطين وما في الافق من مدى
آمالنا تخضل بارتواء
من أجل لبنان وما ينبض في الدماء
عشرين عاما كلها فداء
سنحمل السلاح
ونطـرد العدى

جامعة الكويت
احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموصل مدينة التجربة

بقلم الاب يوسف سعيد

★ ★ ★



ولدت ؟ في قرية متهالكة على سفح جبل ، اترك ذلك عبر هذه الاحساسات التي تصارعني يوميا . اعرف انني للمرة الاولى ادخل مدينة الموصل ، وقد بانت لي كنيويورك ، مدهوشا بصاعقة غريبة ، وكنت اردد ، آه ما اجمل الموصل ، ولكن غصات والدتي ، كانت عميقة جدا ، بفقد والدي ، وهو في بدايات عصر شبابه ، واذكر انني قد تأخرت عن الدراسة ، وسبقني ابناء عمري في صفوف اعلى من صفي . في مدرسة ابتدائية ، تدعى « مدرسة التهذيب » .

وان نسيت لن انس ، ما كانت امي تقصه علي ، في الليالي الحالكات ان المدرسة ما هي الا (بيت للفلقة) تمارس فيه ، لذا فعندما دخلت المدرسة للمرة الاولى ، كنت ارتعش كالقصبة المرضوضة . ولكنني فوجئت ، بان المدرسة يشرف على ادارتها معلمات ، فقلت في سري انهن اخف وطأة من قساوة المعلمين ، وكانت المدرسة تموج بضوضاء عارم ، من قبل الطلاب ، مستخفين من عدم انضباطية المعلمات ، وخفة قسوتهن .

وبقيت ، في فناء المدرسة ، بعد ان سجلتني المديرة ، في اضبارات المدرسة ، وقالوا لها ، انه فقير ، ويتيم ، فعليك ان تهتمي به ، وفعلا . فقد اغدقت علي المديرة عطفا لست بناسيه مدى ايامي ، اذ كانت تشتري لي ، من حسابها الخاص كل ما احتاج اليه من دفاتر واقلام وكتب . تحية عرفان جميل الى الانسة « فكتوريا نجايا » القاطنة اليوم بغداد . والعام كان ١٩٤٠ ، وكنت في الصف الاول ، واكبر الطلاب عمرا ، نجلس في غرفة محشورة بالكراسي الصغيرة الخشنة ، وتجاور كنيسة القلعة في محلة « حوش الخان » وكنت احس ان الكنيسة اشبه بهدير البحر ، تنفح فينا رهبة ، مرعبة ، وكنت اقتطع يوميا طريقا طويلا ، اذ اجرت لنا امي غرفة صغيرة في محلة خزرج ، يجاور المدرسة الخزرجية ، والحي تغمره في الشتاء سيول الامطار ، والصيان ، والروائح الكريهة .

وتمر الايام والقراءة الخلدونية التهمها التهاما . فاذا تعلمت حرفا جديدا احاول ايجاده في رقاع الاطباء والمحامين ، واصحاب المحلات الكائنة في شارع نينوى ، وهو الشارع الرئيسي في المدينة . ولا زال .. وتفوقت في القراءة العربية ، فكنت اقرأ بصوت جهوري أخاذ . وبلهجة خطابية جيدة ، وبالرغم من تفوقي كنت فاشلا في درس الحساب ، ولا زلت .

يومذاك ، كانت « الكشافة » كنظام فرضي ، فكنت ارتديها كباقي الطلاب ، والذي يفوز بالاولية ، تضع المدرسة على كتفه الايمن اربعة اشرطة سوداء ، دلالة على تفوقه ، وكنت قد حزتها ، وكنت افخر بها ، وامشي الهوينا في شارع نينوى ، لكن المدرسة ، كانت بالنسبة الي هي البعبع المخيف ، اذ تدخل المدرسة ، وبيدها عصا . ولكم كنت اتمنى ان لا تكون في الحياة مدرسة بهذه الشاكلة ، بل مدرسة حرة ، لا قيد ، فيها ، ولا نظام اشبه بنظام العسكريين ، وبقيت اخاف الصف ،حتى بعد تخرجي . على ان المدرسة سجن اختياري !

وفي السنة الثانية ، العطلة قد بدأت اقترحت امراة ثرية على والدتي ، ان اكون خادما عندها ، وحياء وافقت والدتي ، واذكر انها قالت لها ، ماذا ستفيده المدرسة ، وانخرطت في خدمة البيت ، خجولا ، صامتا ، وكثيرا ما كانت تنسى ان تضع المراة في قدحي ملعقة صغيرة من السكر ، فاشربه مكرها ، دون ان اقول انك نسيت ذلك ! وما يقدم من فطور قليل ، كان غير كاف بالنسبة الي ، ولما فتحت المدرسة ابوابها ، قالت لي امي ، اهرب ، والتحق بمدرستك ، وفعلا هربت من جحيم يبدو لي قيده اغلظ بكثير من قيد المدرسة ، وداومت على المدرسة ، بذات التفوق ، ولكن مادة الحساب اعاقتني عن الفوز بالاولوية ، اذ حزت على الدرجة الثانية .

كانت الحرب العالمية الثانية في عنف اوجها ، وكنت اصيخ الى الناس يتحدثون ، عن مهارة هتلر ، وقوة الالمان ، وان العالم مقدم على دمار حتمي ، وان فشل هتلر يعني ان الابادة ستسبق فشله ، وكنت اخاف هذه الاخبار ، ولكن عبث الطفولة كان ينسيني ، ما يجري في العالم يومذاك ، واذكر انه في السنة الثالثة ، قررت ان اتوقف ، لاساعد امي كأجير في صنعة ما ، ولكنني كنت في اعماقي احن الى الدراسة والمدرسة ، على الرغم من كرهي لها ، وذات يوم ، بينما كنت واقفا في الشارع رأيت رفيقا لي يركض ، فقلت له ، ما بك ، قال آه ... ان المديرة ارسلتني لابحث عنك ، فتدعوك الى المدرسة لمقابلتها ، فرافقته ، وقالت لي حرام عليك ،وعلى ذكائك ان تترك المدرسة ، وانت طالب عاقل ، ورصين ، قلت لها ، لا مال عندي ، قالت ، ساتمم كل ما تحتاجه، وفعلا اغدقت علي بسخاء تلك المديرة الفاضلة التي لست بناسيها مدى ايامي .

ولكن اوار الحرب ، كان يزداد ويتضاعف يوميا ، حتى توسط بعض الناس المرموقين ، على ايفادي مع اخي الى دير مار متى ، وهو دير يرجع تأسيسه الى مطلع

القرن الرابع الميلادي ، ويقع في الشمال الشرقي من مدينة الموصل ، لكم كانت سعادتي بذلك ، هنـاك ، سأسمع تغريد البلابل ، وزقزقة العصافير ، اراقب الشمس في غروبها واتفتح كبرعم الزهرة على شروقها ، اسرح بصري في سهول الموصل الحلوة ، حيث حضارة الارض وجمالها ، قبل حضارة نينوى ، ودعت المديرة ، بدموع ثرة ، واذكر انها قالت لي ، لست بنادمة ، لان هناك في الدير مدرسة لاهوتية صغيرة .

وبقدر روعة جمال الدير ، كان النظام فيه خشنا قاسيا ، مخيفا ، مرعبا ، النظافة معدومة ، والمدرسة يشرف عليها جماعة من رهبان سذج . ولكن هناك مكتبة عصرية ، فيها مؤلفات حديثة ، ومجلات قبطية مصرية ، وبعض من اعداد الهلال ، والمقتطف ، والكشاف ، فكنت التهمها التهاما ، ولكنني لم اكن اعي ، ما اقرأ ، باستيعاب تام ، لكنني وجدت هناك كتاب مجمع البحرين لناصيف اليازجي ، حفظت اكثر ابياته . وقرأت مؤلفات سريانية لمؤلفين كبار ، لكن مدى ادراكي كان غير تام . ومع جمال الطبيعة ، والقسوة في الدير ، والنظام الخشن ، عشت اياما رائعة احيانا ، وبائسة جدا .

وفي صيف ١٩٤٥ ، تقرر ان انخرط في الكلية اللاهوتية الافرامية بالموصل ، وقد انتقلت حديثا من زحلة الى الموصل ، ومديرها يومذاك الاديب الاب الربان بولس بهنام ، وهو اديب وشاعر ، قضى بدايات زهرة شبابه في لبنان ، وتعرف على جمهرة ادبائه ، واغترف من ينابيع الادب المهجري ، لاسيما جبران ونعيمة . وكان يرتبط بصداقة متينة مع صاحب « الاديب » الاستاذ الشاعر البير اديب . فنشر له مقالات جد ضافية في مجلته ، و « الاديب » يوم ذاك ، وجه لبنان الادبي غير منازع . فبدأت تصل الموصل ، فكنت التهمها التهاما ، واسوح فيها كالهيمان ، ناهيك عن المكتبة اللاهوتية ، وفيها من مؤلفات العرب المعاصرين ، ما يدهش ، ثم جاءت اعداد الهلال فكانت خير زوادة ليَ .

من الموصل ، بدأت اتحسس مدى ما تتطور الحركة الادبية ، عند ادباء الحدباء وشعرائها ، فكنت اطالع كل ما يقع بين يدي ، ويومذاك كان يلمع اسم ذو النون ايوب القاص الموصلي ، والشاعر ذو النون شهاب ، وشاذل طاقة ، ويوسف قصير وغيرهم ، واذا انحدرت الى شارع النجفي وهو شارع المكتبات ، اشتريت بمال قليل اقتره على نفسي ، بعض المجلات اللبنانية والمصرية والسورية .

وبدأت اكتب ، وكان بكر قصائدي النثرية قد نشرت في جريدة موصلية بتوقيع غير توقيعي ، ومقدمة بمقدمة صاحب الجريدة ، على انها بكر البراعم الادبية في الموصل ، لكم كانت غبطتي بتلك القصيدة ، وهي مهداة لي زيادة ، ونشرت عدة مقالات وقصائد لي ، نشرت في مجلة الدنيا السورية ، ايضا بتوقيع مستعار او باسم فتى دجلة .

ولست بناس ، مدى غياب مؤلفات جبران يومذاك عن الاسواق . وكانت من النوادر ، وان نسيت لا انسى يوم سألت صاحب مكتبة هل عندك من مؤلفات جبران قال لي ، عندي كتاب « يسوع ابن الانسان » وقال لي ان ثمنه ثلاثة ارباع الدينار ، فهرعت الى البيت الى خطواتي ، واخذت من امي المحتاجة دينارا واشتريت الكتاب .

ان الرغبة الملحة في اعماقي كانت تتحقق في سعادتي الكبرى ، ان التقيَ مع اديب او شاعر ، ولكن من اين يتحقق اللقاء ، وانا ارتدي مسوحي السوداء . واعيش في عزلة تامة عن العالم . واذا في يوم ما التقي مع شاعر موصلي يدعى احمد محمد المختار ، كدت ان التهمه باشواقي اللاهبة ، وتعرفت بعدئذ على الشاعر يوسف امين قصير . وذات يوم كنت اسأل رفاقي ، هل لي ان ارى ذو النون شهاب .

وبينما كنت اذرع شارع نينوى ، التفت صديقي ليقول لي ، انه يمشي على الرصيف المقابل .

فقلت له من . قال ذو النون شهاب ، وتأملته مليئا ، وكان يمشي بخطوات وئيدة .

ثم اصدر مديرنا الاب الربان بولس بهنام مجلة ادبية تاريخية باسم « المشرق » ساهمت مساهمة فعالة في تطوير ادب الاربعينات . اذ كان ينقل لقاح الاسلوب الجبراني اللبناني الى اوساطنا المحافظة .

حقا ، ان مدينة الموصل ، كانت مدينة التجربة العذبة .

السويد **الاب يوسف سعيد**

جبوب

اذا حكت الجيوب فلا امير
يجوز له الكلام ولا خطير
وليس لعالم عقل مسير
هي العقل المدبر والمسير
يعززها صغير الناس لكن
يحقر زهو دنياها الكبير
جيوب : يومها يوم عسير
بها الاكفان ادرى والقبور

سان باولو ـ البرازيل **نقولا معلوف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصامتون ابداً

بقلم رياض نصور



في زاوية صغيرة من زوايا الشارع الضاج بالناس. وفي آخر زقاق ضيق من الازقة المتفرعة من الشارع الكبير كان يجلس كل يوم . كان صامتا ، ضعيفا ، يمد يده الرقيقة باصابعها الغليظة ضاما شفتيه المطبقتين تحت شارب كث ... من يراه يظنه اعمى لانطباق عينيه اثر مرض قديم . يتهافت الذباب على عينيه شبه المغمضتين ، وبكسل يرفع يده الغليظة ليطرد الذباب المتشبث بطعامه الدسم .

وبالقرب منه اكوام من القمامة يحملها الصبية من البيوت المكتظة بالسكان ، على جانبي الزقاق . وهو والمقامة والذباب سيان ملقى على حافة الطريق . احيانا يلقون بالقمامة من الطوابق العليا فيتلقاها الرجل الصامت .. يتحرك قليلا ويمد يده الى راسه رافعا الخرقة المبللة الممتلئة ببقايا المطبخ.. ينفض عنها الاوساخ التي تحمل رائحة نفاذة مزعجة ثم يلقي بها بعيدا ... وينفض ثيابه ايضا متنقلا الى الجهة المقابلة .

هذا الصنم المتحرك لا يتكلم ابدا ، بل يده الممدودة دائما هي التي تتكلم ... احيانا يضع بها المارة قروشا ضئيلة ينقلها الرجل الى جيب سرواله ثم يعود الى مدها من جديد . لا تنفرج شفته عن كلمة شكر او امتنان ولا عن ادعية وطلبات كما يفعل الشحاذون . كثير من الناس ظنوه اخرس لا يستطيع الكلام، وآخرون ظنوه اعمى. وبداعي الشفقة كان بعض السكان المجاورين يحملون له فضلات الطعام ... ولا ينسى « محمود » ان يحضر معه علبة من الصفيح يضع بها ما يجود عليه به الخيرون من فضلات طعامهم ولا بأس ان يمزجها بعضها ببعض حتى ولو كانت غير متشابهة ولا متجانسة .

في المساء كان يحمل علبة الصفيح وما يجبيه من نقود قليلة .. يمر على المخبز فيشتري خبزا بدراهمه وهو ماض ببطء نحو البيت .

بضعة اطفال صغار كبيرهم في العاشرة . بنون وبنات شبه عراة ، يستقبلون محمودا بالضجيج والصراخ ، يتعلقون برقبته ، يدورون حوله ، يختطفون علبة الصفيح وارغفة الخبز ويسرعون الى الغرفة المظلمة الرطبة في زاوية مهملة من بناية قديمة ، شيدت منذ زمان بعيد ... فلم يبق منها الا هذا الهيكل المتداعي ، وتلك الغرفة الرطبة المظلمة التي جعلت مأوى لمحمود وعائلته بايجار بخس تقيهم لسع البرد وعصف الريح .

وعلى حصير بالية تتربع امراة بدينة تلقم طفلا صغيرا جاحظ العينين ثديها الكبير المترهل . وهذه المراة هي زوجة محمود وهي عكسه تماما لسانها لا يكف عن الشتم والصراخ والعويل . انها تتكلم وتتكلم باستمرار ولا تصمت الا لتزدرد لقمات من الطعام الذي احضره « محمود » ... وعندما تحس انها لم تشبع وان صغارها قد اتوا على معظم الارغفة التي احضرها الزوج تنهال عليه بالضرب ولا يكفها ضرب اليدين فتستعمل القبقاب في ضرب الرجل الصامت . ولا تهدأ الا عندما تأوي الى الفراش وفراشهم لفائف واغطية قديمة ممزقة يلتفون ببعضها ويتدثرون بالبعض الاخر . عندئذ فقط يحس « محمود » بالراحة والسعادة فيضم زوجته اليه لينعم بالدفء والحرارة والهدوء ..

« محمود » لا يكلم احدا سوى صديقه الحميم المجنون ياسين . و « ياسين » كما يقولون كان مثقفا وابن عائلة . اصيب بالجنون اثر مرض عضال وانطوى على نفسه فترة من الزمن بعد خروجه من احدى المصحات العقلية بعد استنفاد دراهمه . خرج بعدها على الناس يقطع شوارع المدينة شارعا شارعا يجود عليه بالدراهم بعض من عرفوا ماضيه . لا يؤذي انسانا ولا يطلب صدقة .. لكنه عندما يمر من امام محمود يسلم عليه ويتكلم الصنم فيتحدث مع ياسين . ويلم يده المدودة ، يثرثران ويضحكان ... ويقدم ياسين لصديقه محمود لفافة واحيانا قدحا من الشاي من البائع المتجول فيشربان الشاي ويدخنان ويتناجيان ولا يهم من يدفع ثمن الشاي . الدفع لمن يحمل دراهم في جيبه اكثر من الاخر .. واحيانا كان ياسين يعطي لصديقه بعض ما ناله من نقود خلال تجواله في ارجاء المدينة ... كانت الصداقة بينهما تزداد يوما عن يوم ... وكثيرا ما كانا يمضيان معا في الايام المشمسة في طريقهما الى الحديقة العامة حيث يجلسان على المرج الاخضر .. الى ان يتذكر « محمود » ضربات قبقاب زوجته فيلم شعث سرواله ويسرع عائدا الى زاويته ووراءه يركض ياسين ضاحكا مؤشرا بيديه ، قائما بحركات مسرحية مختلفة ... وسرعان ما يفترقان ليجتمعا في اليوم الثاني . يتبادلان احاديث جديدة وهموما جديدة .

وفجأة انقطع « محمود » عن مقامه في الزقاق . وبقيت اكوام القمامة متراصة يطن فوقها الذباب ... وظل ساكنو البيوت العالية يلقون بقمامتهم فوق رؤوس المارة .

وبعد ايام كان نعش صغير يرتفع على الاكف ووراءه بضع صبية حفاة شبه عراة وياسين المجنون يصفق يدا بيد . يبكي احيانا ، ويضحك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقيد سامي الكبالي

أي رزء كـــوى الفؤاد بنـــاره ... واسال الدمـــوع فـي اغـواره
عجز الشعر يـــوم نعيك حتـى ... خلت أنـي حرمت مـــن اسراره
كيف أرثيـــك واليراع غريـــق ... بدموعي والصبر رهن احتضاره

أطفـأ الموت بسمة هـــي أبهـى ... من ربيع الشهباء يـــوم ازدهاره
مبسم لا اخالـــه يعـرف الحز ... ن ، لفرط ابتهاجـــه وافتراره

.

النـــدي الوقـور يهتـــز انسا ... حين يصغي اليـــه في اسمـاره
ينعـش النفس بالدعابـة يهمـي ... غيثها العذب مـــن سماء وقاره

قد مضى صاحب «الحديث»(1) وابقى ... الطويـل البقـــاء مـن آثـــاره
سوف تروى «الحديث» عنه حديثا ... ستهيـم الاجيـال في أخبـــاره
أدب دبـــت الفضـارة فيـــه ... فهـــو صنو الربيـع في ازهاره
عربـي النجـار حبكـا وروحـا ... مفـــرد في سمـوه وابتكـــاره
كـل سطـر بـــه يغني بلحـن ... أيـــن منـه داود في مزمـــاره

يـا صديقـا حلاوة الـــود تدنيـ ... ـــه لقلبي والقلب بعض ديـاره
كيف أنسـى محبـــة واخـاء ... حجبا العمر عـــن لظـى اكداره
وطـــر كـــان للفؤاد فولـــى ... يا لقلب قـــد ذاب في اوطـاره

١ ـ اشارة الى مجلته الادبية الشهيرة : « الحديث »

بغـداد — حارث طه الراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخرى والنعش مسرع مسرع الـى حفرة صغيرة ينهال فوقها التراب . ويعود الركب الصامت الحزين ... لتستقبله المرأة الوالهة بالصـراخ والعويل .

ويمضي ياسين المجنون تاركـا الربع الخالي من صديقه القـديـم متخبطا في ازقة المدينة ... ولكنـه لا يلبث ان يعود الى زاوية محمـود في طرف الزقاق المتفرع من الشارع الكبير . مادا يده بصمت والـــى جانبه علبة صفيح كبيرة .

وعندما ادلهم المساء غادر الزاوية مارا الى المخبز ليشتري ارغفة من الخبز ... ويمضي بصمت ايضـا الى بيت « محمود » هناك يضـــع ارغفة الخبز وعلبة الصفيح علـــى حافة المنزل تاركا اطفال « محمود » يضجون حولها ويعود راكضا ... آتيا بحركات تمثيلية جديدة ، تضحك العابرين ... بصمت يأتي ، وبصمت يذهب والناس في ذهاب واياب . كل الى عمله يمضي ... لم ينظر انسان الى « ياسين » المجنون الا وضـج بالضحك . لحركاته الهستيرية وهو يمضي في الشارع المكتظ بالنـاس للجلوس في زاويته المعتادة مادا يده بصمت ...

اللاذقية — رياض نصور



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

الكستناء أو ابو فروة

ويقولون : شجرالكستناء او شجر ابي فروة . والصواب : شجر القسطل ، أو شجر الشاهبلوط . وقدذكر الامير مصطفى الشهابي ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، في كتابه « أخطاء شائعة في الفاظ العلوم الزراعية والنباتية »، ان القسطل هوالاسم القديم الصحيح لهذا الشجر ، وكذلك الشاهبلوط . وهو الكستنة في الشام، وأبو فروة في مصر . وثمرته المعروفة هي القسطلة .

والقسطل من اليونانية ، والشاهبلوط من الفارسية ، والكستنة من اللاتينية .

وبما أن هذه الكلمات الثلاث ليست عربية الاصل، وبما انها دخيلة على اللغة العربية ، فانني لا ارى بأسا باستعمالها ، واستعمال ابي فروة ، او مجاراة «متن اللغة » ، الذي بوشر بطبعه في بيروت عام ١٩٥٨، (قبل خمس سنوات من طبع كتاب الامير مصطفى الشهابي) فنقول : الكستنى (بالالف المقصورة) والكستناء (بالممدودة).

الفتى الكسول

ويقولون : الفتى الكسول . والصواب : الفتى الكسل (بفتح فكسر)، او الكسلان . والجمع : كسالى (بفتح الكاف وبالالف المقصورة) ، وكسالى (بضم الكاف وبالالف المقصورة)، وكسالي (بفتح الكاف وبالياء) ، وكسلى (بفتح فسكون ففتح) . والفتاة كسول (بفتح فضم) وكسلة (بفتح فكسر) ، وكسلى (بفتح فسكون ففتح) ، وكسلانة ، ومكسال (بكسر فسكون).

وتنعت العرب الفتاة احيانا بكلمة كسول ومكسال ، وتعني بذلك: الفتاة المنعمة ، التي لا تكاد تبرح من مجلسها ، وهو مدح لها مثل : نؤوم الضحى .

كفء الكفء

ويجمعون كفء (بضم فسكون فهمز) على اكفياء . والصواب : اكفاء (بفتح فسكون). وهذا كفاء (بكسر الكاف) هذا ، وكفاته (بكسر فسكون) ، وكفئيه (بفتح فكسر) ، وكفؤه (بضم فسكون) ، وكفؤه (بضم فضم) ، وكفؤه (بفتح فسكون) أي : مثله .

وقد أخطأ الشاعر ا. ط. حين جاء بها بمعنى الكافي والكفي (بفتح فكسر فتضعيف) حين قال :

ما كان كفؤا عفيف النفس كافلها ولا ابيا حمي النفس راعيها

كافة الناس الكافة قاطبة

ويخطئون من يقول : جاء كافة الناس ، واطلع عليها الكافة ، ويقولون: ان الصواب هو : جاء الناس كافة ، واطلعوا عليها كافة ، بنصب (كافة) على الحال ، معتمدين في ذلك على اقوال ائمة العربية،فالنووي أورد بحثه في كتابه « تهذيب الاسماء واللغات » ، وعاب على الفقهاء وغيرهم استعماله معرفا بـ (أل) أو الاضافة . وأشار اليه الهروي في الغريبين ، وبسط الحريري القول في ذلك كتابه « درة الغواص » وبالغ في النكير على من اخرجه عن الحالية .

وقال التاج : يقال : جاء الناس كافة ، أي كلهم ، ولا يقال جاءت الكافة ، لانه لا يدخلها (أل)، ووهم الجوهري ، ولا تضاف. وقد وردت (كافة) خمس مرات في القرآن الكريم ، غير مضافة وغير محلاة بـ (أل) . وقداستشهد التاج واللسان بقوله تعالى في الاية ٣٧ من سورة التوبة : وقاتلوا المشركين كافة (بنصب كافة وتضعيف الفاء فيها).

ولكن التاج واللسان كليهما ، عندما شرحا مادة (ندى) ، قالا : كما ذهبت اليه الكافة . وذكر اللسان ان الكافة هي : الجماعة من الناس .

غير أن الصبان سجل في الجند الثاني ، في باب الحال ، عند الكلام على الاية ٢٨ من سورة سبا : وما ارسلناك ـ الا كافة ـ للناس. أي : وما ارسلناك الا للناس كافة ، سجل الصبان استعمال (كافة) مجرورة ومضافة في كلام عمر بن الخطاب ، الذي نصه :

« قد جعلت لآل بني كاكلة على كافة المسلمين لكل عام مائتي مثقال ذهبا ابريزا ».

وأجاز الشهاب في شرح الدرة ان نقول : «جاءت الكافة » ، وأطال الشرح في ذلك في كتابه (شرح الشفاء) ، ونقله عن عمر وعلي رضي الله عنهما ، واقرهما الصحابة .

وعلى هامش القاموس المحيط (الجلد الثالث ، مادة كف) نص منقول عن شرح القاموس يجيز استعمال كلمة (كافة) مقرونة ب (أل) ، او مضافة ، ويقول بان رفض هذين الاستعمالين لا مسوغ له . وقال ايضا : ما رفضوه رده الشهاب في شرح الدرة ، وان كان ذلك قليلا .

فمن هذا كله نرى ان نصب (كافة) على الحال قوي وبليغ ، وان اضافتها وتحليتها بـ (أل) جائزة .

اما تثنية (كافة) وجمعها ، فقد اتفقوا على ان ذلك غير جائز ، فلا يقال : قاتلوهم كافات ، ولا كافين .

واما تخفيف الفاء (عدم تشديدها) في قول الشاعر الصحابي عبدالله بن رواحة الانصاري :

فسرنا اليهم كافة في رحالهم جميعا علينا البيض لا نتخشع

فضرورة شعرية للمحافظة على الوزن .

اما (قاطبة) ، التي يوجب النحاة واكثر اللغويين ان تنصب

على الحال ، مثل (كافة) ، فقد استعملها الجاحظ غير حال ، في رسالته التي موضوعها : « تفضيل النطق على الصمت » ، فقال : وان حجته قد لزمت جميع الانام ، ودحضت حجته قاطبة أهل الاديان.

وتردد الادباء في محاكاة الجاحظ امام البلغاء ، ولكن هذا التردد، قد أزاله ما جاء في كتاب الامالي ، للامام اللغوي الكبير ابي علي القالي ، اذ قال في الصفحة ١٧٠ من المجلد الاول (طبعة المطبعة الاميرية بالقاهرة) ، ما نصه :

« قال يعقوب بن السكيت : يقال : قطب يقطب قطوبا ، وهو قاطب ... اذا جمع ما بين عينيه ، واسم ذلك الموضع : «المقطب» ومنه قيل : الناس قاطبة ، أي : الناس جميع » .

فالقالي هنا استعمل كلمة (قاطبة) خبرا .

وهذا يرينا ان كلمة « قاطبة » ليست ملازمة للحال مثل كلمة « كافة » وان كانت ملازمتها كلتيهما للحال ابلغ ، وأكثر شيوعا .

جمع كفيف

ويجمعون كفيف (بفتح فكسر) على اكفياء ومكافيف . والصواب : اكفاء (بفتح فكسر فتضعيف) ، لانه جمع لصفة على وزن (فعيل) مضاعفة ، مثل : عزيز اعزاء ، ذليل اذلاء . والكفيف هو : الاعمى .

اما مكافيف فجمع : مكفوف ، ومعناه : الاعمى . واما الاكفياء فجمع : الكفي (بفتح فكسر فتضعيف) ، ومعناه : الكافي . وكل جمع لصفة على وزن (فعيل) ، معتلة اللام تجمع على (افعلاء) ، مثل ، نبي : أنبياء . صفي : أصفياء .

تعاهدت الدولتان كلتاهما

ويقولون : تعاهدت الدولتان كلتاهما . والصواب : تعاهدت الدولتان، اذ يجب حذف (كلتاهما) ، لان الغاية من التوكيد بكلا وكلتا ، وهي اثبات الحكم للاثنين المؤكدين معا ، ولان فعل المعاهدة لايقع الا من دولتين فاكثر . ولا حاجة بنا الى توكيد ذلك ، لان السامع لا يعتقد، ولا يتوهم ان المعاهدة يمكن ان تحصل من احدى الدولتين دون الاخرى.

الكل والبعض

ويخطئون من يقول (الكل والبعض) ، محليا اياهما بالالف واللام ، بناء على :

(١) رأي سيبويه الذي يقول : لا يصح ادخال (ال) ، التي للتعريف ، على كل وبعض .

(٢) جاء في العباب : قال ابو حاتم : « قلت للاصمعي : في كتاب ابن المقفع : العلم كثير ، ولكن اخذ البعض اولى من ترك الكل ، فانكره أشد الانكار ، وقال : الالف واللام لا تدخلان في بعض وكل ، لانهما معرفة بغير الف ولام .»

وقد أيد الاصمعي في رأيه نحاة كثيرون .

(٣) جاء في الاية ٨٧ من سورة النمل ، وكل أتوه داخرين ، وفي الاية ٣٣ من سورة الانبياء ، والاية ٤٠ من سورة يس : كل في فلك يسبحون ،

وفي الاية ١١٦ من سورة البقرة : كل له قانتون .

وجاءت (كل) في آيات اخرى دون تعريف .

(٤) لم ترد (كل وبعض) محلاتين بـ (ال) في قصائد القدماء.

(٥) جميع معاصري ابن درستويه من النحاة خالفوه ، لانه جوز ادخال (ال) عليهما .

ولكن كثيرين اجازوا ذلك :

(١) فالفارسي الذي له انصار من قدامى النحاة واللغويين ، قال بان ادخال (ال) عليهما جائز .

(٢) اجاز الخضري ذلك في الجلد الثاني ، أول باب « البدل ».

(٣) قال الجوهري : كل وبعض معرفتان ، ولم يجيء عن العرب بالالف واللام ، وهو جائز ، لان فيهما معنى الاضافة ، أضفت او لم تضف . وأخذ برأي الجوهري كثير من النحاة واللغويين .

(٤) نقل التاج رأي الجوهري ووافق عليه ، وان كان قد ذكر رأي من خالفوه .

(٥) أيد اللسان رأي الجوهري دون ان يذكر آراء من خالفوه .

(٦) جارى متن اللغة الصحاح والتاج واللسان في كل ما ذكروه.

(٧) أيد عباس حسن ، في الصفحة ٧١ من المجلد الثالث من موسوعته « النحو الوافي » ، رأي الفارسي مجيزا تحلية كل وبعض بـ (ال) ، وتجريدهما منها .

نموذجات من حرف اللام

لعب على العود

ويخطئون من يقول : لعب فلان على العود ألحان عبدالوهاب . ويقولون ان الصواب : عزف فلان على العود ألحان عبدالوهاب ، ظانين انها ترجمة حرفية عن اللغة الانكليزية ، التي يستعمل ابناؤها الفعل : (لعب) بالالة الموسيقية بدلا من الفعل (عزف) .

فالافعال لعب وعزف واوقع هنا صحيحة . وقدجاء في اللسان : العزف هو اللعب بالمعازف . والمعزف (بكسر فسكون ففتح) هو : العود ، او الطنبور ، او الدف ، او ماشابهها . وعلينا ان نقول : لعب بالعود لا لعب على العود.

لغوي

ويسمون العالم باللغة لغوي (بفتح اللام) . والصواب : لغوي (بضمها) ، لان معنى (لغوي ، بفتح اللام) : كثير اللغو، اي: ثرثار.

استلفت الانظار

ويقولون : استلفت ببلاغته الانظار . والصواب : لفتت بلاغته الانظار، لانني لم اجد الفعل (استلفت) في المعاجم .

ملافاة الامر

ويقولون : يجب ملافاة هذا الامر . والصواب : يجب تلافي هذا الامر ، اي : تداركه واصلاحه . وليس في المعاجم (لافى) ، وفيها تلافى الامر .

لقاء أجر او مقابل أجر

ويقولون : اشتغل فلان لقاء أجر ، أو : مقابل (بضم الميم وكسر الباء) أجر . والصواب : اشتغل بأجر .

لقبوه منقذ العرب

ويقولون : لقبوه منقذ العرب . والصواب : لقبوه بمنقذ العرب ، لان المفعول الثاني للفعل (لقب) يجب ان يعدى بالباء كما يرى التاج واللسان والاساس والصحاح والمصباح والمحيط .

لمحة عن حياته

ويقولون : هذه لمحة عن حياته . والصواب : لمحة (بفتح فسكون) الى حياته ، لاننا نقول : لمح الشيء ، والمحه ، والتمحه ، ولمح الى الشيء ، أي : أبصره بنظر خفيف أو اختلس النظر . والاسم اللمحة (بفتح فسكون) ، وهي النظرة بالعجلة .

لما يجيء تميم

ويقولون : سأجيء لما يجيء (بضم الهمزة) تميم . والصواب: حينما أو عندما يجيء تميم ، لان لما (بفتح فتضعيف) اذا دخلت على الفعل المضارع ، جزمته نافية معنى الفعل بعدها . اما (لما) الظرفية ، فلا يأتي الفعل بعدها الا ماضيا . نحو : لما جاء تميم كنت غائبا .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

عـودة المـاضي

في لحظة مـن لحظات الهوى ... والنفس في فردوس احلامهـا
تهتز أشجانـا وتهفـو جوى ... علـى لياليهـا وايامهـا
تلـوذ الماضي بهـا وانـزوى ... في صور الذكرى (وافلامها)
ماض برغمي قد مضى وانطوى ... بلحـن ايامـي وانغامهـا

لاح لعينـي وفـي ناظـري ... ظـلال ايـام براهـا الضنى
وفي سماء الفكر مـن خاطري ... أضواء حـب قرمزي السنـا
أحيا بـه في عالـم ساحر ... وردية احلامـه والمنـى
صبابـة مـن حلـم عابـر ... رنـا كلمح البرق ثـم انثنـى

أقبل رفافـا رفيف الشعـاع ... علـى ثغور الزهر فوق الربى
منطلقـا في مـرح واندفـاع ... ونشوة مـن (كهرباء) الصبا
تنساب من عينيه رغم القناع ... اشعـة لماحـة كالظبـى
مست هوى قلب كريم الطباع ... فاشعلت مـن حبـه مـا خبا

وصفق القلب وهب الشعـور ... واطربـت نفسي اغاريدهـا
وشاع في روحي عبير الزهـور ... تهفـو برياهـا أماليدهـا
مياسة يشدو عليهـا السرور ... في غنـوة ينساب ترديدهـا
روح مصفـاة ونفس غيـور ... للحب نشواهـا وتغريدهـا

قلت وقد جاز الـي الظلـم ... ريان من خمر الصبا والجمال
يثير عـن قلبي غبـار الهـرم ... وينتضي سيفـا جفاه الصقال
أنـى تخطيت الـي القـدم ... وكيف لـم ترقب خطاك الليال
قال وفي فيـه رنين النغم ... في خطوة الفكـر ووثب الخيال

ويحك ماذا انت منـي تريـد ... وما الذي اجراك في خاطـري
وكيف تستدني شبابي البعيد ... من قبضة التاريخ يـا آسرى
دعني بحبيك القديم الجديـد ... اعيش في الماضي وفي الحاضـر
اني بآلامي وهمـي سعيـد ... احيا حيـاة الطير والشاعـر

هيجت قلبا لـج في كبـره ... جفـا الهوى والنفس تشتاقه
صد وملء الكف مـن بـدره ... مـا يستثير القلب اشراقـه
مال وقد مالت علـى صدره ... اغصانـه خضـرا واوراقـه
اذا هفا يوما الـى زهـره ... أبـت معانيـه واخلاقـه

رنـا وحيانـي وفي لفظـه ... ضراعة ولهـى وعتب رقيـق
ترقرقت كالسحر في لحظـه ... في نغم حلـو وجرس رقيـق
في ذمـة الدهر وفي حفظـه ... اطياف اوقـات لماض سحيق
من حظنا فيه ومـن حظـه ... شقاوة العاني ونعمـى الطليق

انـي لاستنشي أريـج المنى ... فلا تجاوز بـي حدود الذكـر
حسبي وحسب القلب مما اجتنى ... مـا انداح مـن آماله وانتشر
حلاوة مـرت كلمـح السنا ... وفترة أمست واضحت خبـر
وليس في قلبي على ما أقتنى ... من رائعات الحسن غير النظر

جازان ـ السعودية ... محمد علي السنوسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصام عاشور - انس الباس مدوره

رشاد بيبي - فائز علي الغول

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور عصام عاشور

ولد « عصام » في مدينة يافا بفلسطين عام ١٩٢٥ وانهى دراسته الابتدائية في كلية الفرير بيافا ودراسته الثانوية في مدرسة المطران بالقدس عام ١٩٤١ ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وحصل على بكلوريوس في التجارة عام ١٩٤٤ ،واصل دراسته فيها حتى نال شهادة ماجستير في الاقتصاد عام ١٩٤٦ ، وكانت الرسالة التي قدمها للجامعة « نظام المرابحة في لبنان وسوريه وفلسطين » وعاد الى يافا وعمل في القطاع المالي بالبلدية وزاول اعمالا حرة .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ عين استاذا في كلية التجارة والاقتصاد ببغداد ثم نقل استاذا للتجارة والاقتصاد في جامعة بغداد ، وبعد فترة حصل منها على اجازة قضاها في مدينة لاهاي بهولندا ودرّس في معهد العلوم الاجتماعية اقتصاديات الشرق الاوسط ودرس الاقتصاد في الكلية الهولندية للاقتصاد في روتردام وحصل منها على الدكتوراه عام ١٩٥٧ ، وموضوع الاطروحة التي قدمها « التقلب في الانتاج الزراعي والدورة الاقتصادية في الولايات المتحدة » وعاد الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا للتجارة والاقتصاد وعين رئيسا لدائرة التجارة (١٩٦٠ ـ ١٩٦٢) وفي صيف عام ١٩٦٢ قصد الكويت كخبير اقتصادي في وزارة المالية لدولة الكويت.

وفي عام ١٩٦٣ عين مديرا عاما لشركة الصناعات الوطنية الكويتية وبعد عام رجع الى بيروت ليرئس دائرة التجارة في الجامعة الاميركية، وفي عام ١٩٦٧ عاد الى الكويت كخبير اقتصادي لصندوق التنمية العربي الكويتي وفي عام ١٩٦٨ عين استاذا للتجارة والاقتصاد في الجامعة الاميركية ببيروت .

من آثاره القلمية : عالج الدكتور عاشور موضوعات تجارية اقتصادية ونشر مقالات قيمة في مجلتي « الابحاث » البيروتية و « العربي » الكويتية وصدرت له الكتب التالية :

١ ـ النقد والائتمان في البلاد العربية . طبع عام ١٩٦١ .

٢ ـ الدخل والتنمية الاقتصادية في البلاد العربية . طبع عام ١٩٦٢ .

٣ ـ فصل عن العمل والعمال في الاردن : نشر في كتاب « الاردن» بالاشتراك مع شارل عيساوي استاذ الاقتصاد في جامعة كولومبيا .

نموذج من نشره « ان السوق الاوروبية المشتركة هي التعبير الاقتصادي عن حركة الوحدة الاوروبية التي تهدف الى جمع شمل دول اوربا في دولة واحدة . لقد نادى بالوحدة الاوروبية اشخاص عديدون في السابق ، ولكن دعوتهم هذه لم تلق تأييدا كبيرا ، فالخلافات والمشاحنات بين دول اوربا تلك التي كثيرا ما ادت الى حروب ضارية بينها ، وكذلك اختلاف اللغات والتقاليد والقوميات ، والصعوبات الفنية التي تنشأ عن دمج عدة نظم اقتصادية متقدمة ، كل هذا حال دون ان تأخذ الدعوة الى الوحدة الاوروبية شكلا جديا . ولذلك فان التأييد المتزايد الذي اخذت تلقاه هذه الدعوة بعد الحرب العالمية الثانية ، يشكل تطورا كبيرا في العقلية الاوروبية وفي نظرتها الى الامور ، أملته التغييرات الاساسية التي حصلت في العالم في الحقل السياسي والاقتصادي والفني والعسكري . ان هذه التغيرات يتفاعل بعضها مع بعض بحيث يصعب فصل تاثير كل منها عن الاخر فصلا دقيقا .

لقد اظهرت هذه التغيرات انه لا يمكن لاوروبا ان تتحمل استمرار الحروب بينها ، وانه لا مجال هنالك للدول الصغيرة تعيش فيه منفردة ، خصوصا بعد ظهور جبارين كبيرين في العالم ، يملك كل منهما طاقة انتاجية كبيرة ، ويتمتع بقوة عسكرية هائلة . وقد جعلت التطورات الفنية ، الوحدات الانتاجية الصغيرة غير قادره على منافسة الوحدات الكبيرة . كذلك فان الابحاث الفنية في بعض الحقول العلمية التي لها اثر مباشر على الحياة الاقتصادية وعلى الناحية العسكرية ، تتطلب مجهودا يفوق المجهود الذي يمكن لدولة صغيرة ان تقدمه .

يضاف الى ما تقدم ، ان اضمحلال الاستعمار افقد دول اوربا ، كبيرة وصغيرة ، الكثير من مستعمراتها التي كانت تعتمد عليها كسوق طبيعي لمنتجاتها . وكذلك فان تسلم قسم كبير من الشعوب المستعمرة مقاليد امورها ، وظهور الدول الافريقية والاسيوية بقوة في المعترك الدولي ، اضعف المركز النسبي لبلدان اوروبا في المحيط الدولي .

ان هذه التغيرات اشعرت بلدان اوروبا الغربية ان مشاكلها الاساسية متشابهة الى حد كبير وان مصيرها واحد . كما انها اشعرت بصورة خاصة الدول الصغيرة منها بأن اندماجها في وحدات اكبر هو الضمان الوحيد لها ضد الاتجاهات الدولية غير المؤاتيه بالنسبة اليها . ولذلك فقد تميزت الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية بالتعاون الوثيق بين هذه البلدان في ميادين شتى ، منها الحقل الاقتصادي . فأسست هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ عام ١٩٤٥ ما يعرف بالبنلوكس الذي يهدف الى تعزيز العلاقات الاقتصادية بينها تعزيزا كبيرا . كذلك احدث عام ١٩٤٨ مكتب التعاون الاقتصادي الاوروبي بقصد الاشراف على توزيع مساعدات الولايات المتحدة الاميركية لبلدان اوروبا الغربية بموجب مشروع مارشال . ولكن ما لبث هذا المكتب ان اصبح عنصرا فعالا في التعاون الاقتصادي الاوروبي الغربي عن طريق الدراسات الاقتصادية التي يقوم بها والخدمات الاخرى التي يؤديها لاعضائه . ثم اسس اتحاد المدفوعات الاوروبية بغية تسهيل مشاكل تحويل العملات بين البلدان الاوروبية .

كما احدث مجتمع الصلب والفحم الذي انشأ سوقا مشتركة لهاتين المادتين الاساسيتين ضمن البلدان الستة التي الفت فيما بعد السوق الاوروبية المشتركة ، فكانت هذه السوق نواة السوق المشتركة ونقطة الانطلاق نحو تحقيقه .

فما هي السوق الاوروبية المشتركة ؟ وما هي متضمناتها ؟

ان السوق المشتركة هي ، بصورة عامة ، منطقة يجري ضمنها تبادل البضائع والخدمات المنتجة في داخلها بحرية ، وتفرض فيها حواجز جمركية موحدة على البضائع المستوردة من الخارج . وتتضمن اتفاقية السوق الاوروبية ، بصورة خاصة ، الامور التالية :

اولا ـ ازالة الرسوم الجمركية والقيود الاخرى على التجارة بين بلدان السوق تدريجيا خلال فترة تتراوح بين ١٢ و ١٥ سنة .

ثانيا ـ اقامة حواجز جمركية موحدة على البضائع المستوردة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخارج حسب اسس عامة هي جزء من الاتفاق .

ثالثا ـ حرية تنقل رؤوس الاموال والعمال ضمن اقسام السوق .

رابعا ـ وضع سياسات مشتركة فيما يتعلق بالزراعة والمواصلات وتنقل العمال وغيرها من القطاعات الهامة في الجهاز الاقتصادي .

خامسا ـ احداث مؤسسات مشتركة للتنمية الاقتصادية .

سادسا ـ اشراك مستعمرات البلدان الاعضاء في السوق ، مبدئيا لمدة خمس سنوات على اساس تجريبي .

ان تحقيق هذه الامور يؤدي الى خلق سوق واحدة تتالف مما يزيد على ١٦٠ مليون نسمة تتمتع فيها الصناعات بمزايا شبيهة بالتي ادت الى ازدهار الولايات المتحدة . فما هي هذه المزايا ؟ وما هو مركز هذه المجموعة من البلدان في الاقتصاد العالمي بصورة عامة وبالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة وروسيا بصورة خاصة ؟

من اهم مزايا السوق الاوروبية المشتركة انها تؤدي الى تقسيم افضل للعمل ضمن منطقة السوق ، فيختص كل جزء من السوق بانتاج تلك البضائع والخدمات التي يتفوق فيها نسبيا على غيره من الاجزاء ، فيزداد بذلك الناتج الاهلي ويرتفع الدخل القومي . وكذلك فان رفع الحواجز الجمركية وغيرها من القيود على التجارة يؤدي الى توسيع السوق فيمكن الصناعات ، التي كانت سوقها محدودة في السابق بسبب القيود المفروضة على التجارة ، من ان تفيد اقتصاديات الانتاج على مقياس واسع ، فتزيد القدرة الانتاجية وتنخفض تكاليف الانتاج ، وتعزز مقدرة هذه الصناعات على المنافسة في الاسواق الخارجية ، يضاف الى ذلك ان حرية التجارة داخل السوق تدخل عامل منافسة بين الصناعات ، وهذا يزيد من كفاءتها بصورة عامة » .

٢ ـ القس الياس مرموره

في « ناصرة » الجليل المفلوبة على امرها .. ولد الياس مرموره عام ١٨٨٧ وتلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه ، ويمم بيت المقدس وانتسب لـ « مدرسة صهيون » الانكليزية ونال شهادتها الثانوية ، لكن صغر سنه حال دون التحاقه بكلية الشبان (الكلية الانكليزية فيما بعد) فعاد معلما في « مدرسة صهيون » . وبعد عام اتيح له الانتساب لـ « كلية الشبان » فتلقى العربية من استاذ الجيل المعلم نخله زريق ونال شهادتها عام ١٩٠٢ وعين معلما في «مدرسة صهيون » .

وفي عام ١٩٠٨ اختار الخدمة الدينية فرسم شماسا اولا فقسيسا ثانيا وعين راعيا للطائفة الانجيلية العربية في رام الله ومنها نقل الى نابلس وخدم طائفته مدة خمسة عشر عاما وكان على اتصال دائم برجالات العلم والادب والدين فيها واشتهر بتضلعه من اللغة العربية وخطبه المرتجلة وشعره الموفق الرقيق في دنيا القريض .

وخلال الحرب العالمية الاولى اذاقته السلطات التركية صنوفا من العذاب والاعتقال ونفته مع افراد اسرته الى « ادرنه » بتركيا . وبعد ان سكنت نامة تلك الحرب الضروس عاد الى نابلس راعيا للطائفة الانجيلية العربية وظل هناك لعام ١٩٢٥ .

وفي الفترة الطويلة التي عاشها في نابلس اتصل بكهان السامريين وتعلم لغتهم ونقل توراتهم الى العربية ووضع كتابا عن هذه الطائفة طبعه عام ١٩٣٤ وفيه تناول تاريخ السامريين واصولهم ومنشأهم واعيادهم ومقدساتهم وجاء بلمحة عن توراتهم وعن تاريخ شكيم «نابلس» والسامرة « سبسطية » وآثار كليهما .

وفي عام ١٩٢٥ نقل راعيا للطائفة في رام الله وظل يرعى شؤونها لغاية عام ١٩٢٩ ويدعو المسؤولين من رجال الدين الى الحرص على اللغة العربية والاقبال على علومها وآدابها وفرضها (مادة) على طلاب اللاهوت في تقديمهم الامتحانات .

وفي عام ١٩٢٦ اسس مجلة « الاخبار الكنسية »في القدس وصدر العدد الاول منها في عام ١٩٢٦ وظل يصدرها ويحررها مدة ١٤ عاما بلا انقطاع .

وفي عام ١٩٢٩ نقل راعيا للطائفة في بيت المقدس ولواء القدس وفي عام ١٩٣٤ انتخب بالاجماع رئيسا للمجمع الوطني الكنسي في فلسطين والاردن وظل في رئاسته الى ان احيل على التقاعد عام ١٩٤٤ لمرض اصابه .

تميز الفقيد مرموره باعتزازه الدائم بلغة الضاد ومقاومته الحركة الصهيونية ودعوته قومه لشجب الوطن القومي ، وما لاحت له فرصة الا اهتبلها لشرح ظلامة الامة التي تحدر منها وتصميمها على مقارعة الاستعمار الغشوم خالق الصهيونية والعامل على تهويد فلسطين .

وفي عام ١٩٣٧ مثل الكنيسة الانجيلية الوطنية في احتفالات انشاء مطرانية القدس الانجليكانية في لندن فطلب منه سماحة الحاج محمد امين الحسيني ان يطلع رجال الدين البريطانيين على القضية الفلسطينية من الزاوية العربية فانتهز الفرصة وعرض القضية عرضا موفقا ودعا في عظاته الى انصاف العرب ودفع عوادي السياسة الهوجاء عن فلسطين.

وقام القس مرموره برحلة الى « ادنبره » ليمثل الكنيسة العربية الانجيلية في مؤتمر الايمان والعمل ودعا الى الكف عن مناصرة الصهيونية وربطته بالعلامة تمبل رئيس اساقفة كنتر بري صداقة وطيدة الاركان ، وحمله بمنطقه السليم وبرهانيه الدامغة على قبول وجهة النظر العربية والدفاع عن القضية الفلسطينية .

وفي العاشر من ايار ١٩٤٧ توفي هذا الراعي العربي المنافح عن بلاده ، والمؤمن بعدالة قضيتها ودفن في مقبرة صهيون في بيت المقدس.

من آثاره القلمية : نشر الفقيد عشرات المقالات والعظات ، ونظم القصائد والمعلقات ، لكن آل مصيرها الى الصهيونية الباغية يوم اغتصبت الرباش والدور ، والبيارات والقصور ، وطردت العربي من مدارج طفولته . ومن الكتب التي خلفها الفقيد :

(١) السامريون : وهو كتاب طبع على مطابع دار الايتام الاسلامية بالقدس ١٩٣٤ .

(٢) توراة الطائفة السامرية بالكتابة العربية (فقدت مخطوطة هذه الترجمة العربية من بيت الفقيد في القدس بعد ان اغتصب العلج الصهيوني المدن والقرى العربية بفلسطين) .

نموذج من شعره : نظم القس الياس مرموره عشرات القصائد لكنها فقدت مع آثاره القلمية ورياش منزله ، ولم يبق من شعره سوى قصيدة واحدة نظمها في تحية « الناصرة » مسقط رأسه وعثرنا عليها في كتاب « تاريخ الناصرة » لمؤلفه القس اسعد منصور ودونك ابياتها :

تراءت لنا من يزرعيل مدينة ... تزاحم سحب الجو في طلب المجد
تلوح كوشي في مطارف غادة ... او الوشم فيزند او الشام في الخد
وقد ركبت متن الجبال واشرفت ... على مرجها واليم والغور والنجد
مليكة حسن فوق عرش تربعت ... محاسنها تبدو على القرب والبعد
تشير الى « تابور » طورا وتارة ... الى الكرمل اللاهي عن الجزر والمد
وترنو الى «حرمون»(١) تلهو بشيبه ... و جلبوع (٢)مشغوف بها فاقدالرشد
و مصعر (٣)قد ذاب التياعا وحرقة ... فلم يلق الا صارم الهجر والصد
ويبدو وميض من اعالي قصورها ... كاشراق نجم الصبح او مرهف الحد
لقد شرفت ذكرا باشرف سيد ... بمن ذكره يربو على الطيب والند
ومن فضله شمس ومن طيب اسمه ... بافواهنا احلى من القطر والشهد
هو السيد الاعلى يسوع بن مريم ... مآثره جلت عن الحصر والعد
نلوذ به في كل خطب ونرتجي ... شفاعته يوم القيامة والحشد
فكن حافظا مولاي قريتك التي ... نشأت بها يا صادق الود والعهد
مجيرا لها من كل خطب وناصرا ... على عاديات الدهر والشر والضد

١ ـ حرمون : جبل الشيخ المشهور بثلجه الدائم ، ٢ و ٣ ـ جبلان يخترقهما القطار من حيفا شرقا .

٣ ـ رشاد بيبي

ولد « رشاد » في يافا بفلسطين عام ١٩١٣ واتم دراستيه الابتدائية والثانوية ، وفي عام ١٩٣٤ انهى تعليمه الجامعي في الجامعة الاميركية بالقاهرة وزاول التعليم في « المدرسة الاسلامية » بيافا لمؤسسها احمد الكيالي ثم عمل في بلدية يافا مساعدا لكاتب المدينة وفي عام ١٩٣٨ عين استاذا للادب العربي في « كلية بير زيت » وسرعان ما طلق التدريس واقبل على الصحافة حيث عين رئيسا لتحرير جريدة « الصراط المستقيم » اليافية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) .

واقبل على مجالات الاذاعة والنشر والتلفزيون فعمل فيها مدة ٢٤ عاما امضى معظمها في « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » وشغل الوظائف التالية :

١ ـ رئيس قسم الاحاديث .

٢ ـ مراقب برامج ومدرب مذيعين .

٣ ـ مندوبا للاذاعة المذكورة في لبنان ورئيس تحرير مجلتها « الشرق الادنى » حتى تاريخ احتجابها عام ١٩٥٦ .

وانضم الى جهاز مكتب هيئة الاذاعة البريطانية في بيروت اذ عين المساعد العربي ، وظل يعمل فيه من ١٩٥٧ لغاية ١٩٥٩ ، وفي هذا العام عين خبيرا اذاعيا ورئيسا لقسم الانتاج في الاذاعة الاردنية وامضى في عمله هذا قرابة عام ، وما لبث ان عاد الى بيروت وعين مديرا للبرامج العربية في شركة التلفزيون اللبنانية ، بالاضافة الى انه كان مسؤولا عن مراقبة اللغة العربية وضبط الحركات لترجمة الافلام في « مؤسسة الشرق الاوسط للترجمة والنشر » في بيروت .

وفي عام ١٩٦٤ عين « رشاد » مديرا لمؤسسة الاعمال التلفزيونية ببيروت (دبلجة) الافلام الى اللغة العربية ، كما اخرج طائفة من البرامج لدور الاذاعة في لندن وعمان والكويت ، وكتب كثيرا من الاحاديث الاذاعية والمقالات الاجتماعية والادبية ، كما زار مجموعة من اقاليم الخليج العربي ونشر عنها مقالات في مجلة « الشرق الادنى » .

نموذج من شعره : قرض « رشاد » الشعر في سن مبكرة ، ومن بواكير شعره قوله :

اقضي الليالي ساهر ... ارعى النجوم الزواهر
استنطق الصمت الرهيـ ... ـب وظلمة تذكي المشاعر
ما ان يوافي الشعر حتى ... يسدل الليل الستائر
والكون يشمله السكون ... كانه دنيا مقابر
فيجيش صدري بالقصيد ... وانه طلسم ساحر
واقول حدث يا ظلام ... فانني واعي وذاكر
واتل الحقيقة كلها ... من عهد آدم لا تغاير
فلئن عييت عن الكلا ... م ففيك هدي للبصائر
الروح عطشى فاروها ... والقلب مثل الطرف حائر

ورغم هول النكبة التي عصفت بفلسطين فشردت اهلها ، وهودت جبلها وساحلها ، ظل « رشاد » يذكر وطنه المغصوب و « يافا » الحبيبة على قلب كل عربي :

انا لا البس في العيـ ... ـد جديدا ... اين عيدي
اين اهلي ورفاقي ... اين اصحاب البنود
اين « يافا » يا حبيبي ... اين انديه الاسود
أفعيد ورفاقي ... بين ميت وشريد

نموذج من نثره « زعموا ان اميرا ارسل في الناس مناديا ينادي ان من آنس في نفسه القدرة على ان يكون وزيرا للامير فليتقدم ، واجتمع عند الحاكم خلق كثير ، وراح الامير يستعرضهم واحدا واحدا ، حتى اذا ما انتهى من العرض اقترب منه شيخ جليل له سمت ووقار وقال له :

« ايها الامير !

اني لم احضر مجلسك هذا طمعا في رتبة وال او وزير ، ولكنني نظرت فرأيت ان وزير الامير يجب ان يتحلى بخلال منها : ان يكون حرا لا يعرف الذل الى نفسه سبيلا ، وان يكون قويا في الحق لا يتملق حاكما ولا يظلم مخلوقا ، ثم ان يكرس نفسه للناس داعيا الى العدل والحرية والمساواة ، فانظر ايها الامير اذا رأيت ان هذه هي صفات الوزير المطلوب ، فعليك بفلان فانه طبق مطلبك ، فابعث اليه واستوزره ايها الامير ! »

بعث الامير في طلب (فلان) ولما وافاه قال له :

« كيف ترى الحياة ؟ »

قال الرجل :

« ايها السيد الامير ! نظرت الى هذه الدنيا ، فوجدت ان غايتها هي الموت ، وان الجبن والذل والخنوع لاتؤخر اجلا اذا دنا ، وان الاقدام والحرية والطموح لا تقدم موتا اذا نأى ، فاخترت ان اعيش شجاعا حرا طموحا ، وفي ظني ان اغلب الناس يستطيعون ان يكونوا كذلك » !

قال الامير : « وكيف ؟ »

قال الرجل : « ان يقدس الفرد حرية الفرد ، لا فرق في ذلك بين سيد ومسود ، او حاكم ومحكوم ، وعند ذلك ينتفي الذل ويموت الخنوع ! »

٤ ـ فائز علي الغول

ولد « فائز » في قرية «سلوان » احدى ضواحي بيت المقدس عام ١٩١٥ في اسرة محدودة الموارد شأن القرويين بوجه عام وبخاصة اذا كانت اراضيهم جرداء غير صالحة للزراعة .

وبعد ان انهى « فائز » دراسته الثانوية في « كلية روضة المعارف » بالقدس عام ١٩٣١ سنحت له فرصة التوظف براتب مغر ولكن والده اصر على ان يتم دراسته فقصد القاهرة عام ١٩٣١ وفي « الازهر » جد « فائز » واجتهد وامضى فيه سنة دراسية نال خلالها شهادة الاهلية العلمية للغرباء ، والاولية النظامية للمصريين ، وما لبث ان تحول الى دار العلوم العليا ، وتخرج فيها بعد اربع سنوات ، وعاد الى القدس وزاول التعليم في المدارس الخاصة وفي عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ التحق بمعارف فلسطين وعين مدرسا في المدرسة الاميرية بحيفا ثم في الكلية الرشيدية بالقدس من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٨ واشترك في الدفاع عن القدس مع اشقائه ومواطنيه ، ولما اعلنت الهدنة عام ١٩٤٨ سافر الى العراق وعمل مدرسا في ثانوية بعقوبة ـ حاضرة لواء ديالة ـ مدة خمس سنوات وفي عام ١٩٥٣ عاد الى الاردن وعمل في دار المعلمين مدرسا ومديرا ثم نقل مديرا للتربية والتعليم في محافظة نابلس ومديرا للتعليم في وزارة التربية ومستشارا ثقافيا في السفارة الاردنية في « انقره » بتركيا وفي مطلع نيسان ١٩٧١ احيل على التقاعد (١) .

اشتهر « فائز » باخلاصه للتعليم حتى اعتبر كل خدمة امضاها في قطاع التعليم عملية تعليمية ، وله في التعليم اراء صائبة ، ومن آرائه في هذا المضمار ان التلميذ في نظره هو مادة التعليم وانفس شيء في العملية التربوية ، وان كل من يعمل في جهاز التربية والتعليم هو في خدمة هذا المخلوق النامي الذي هو امل الامة ومناط رجائها .

والمعلم في نظر « فائز » هو الشخص الثاني في الاهمية بعد التلميذ ، لذا كان يدافع عنه ويأخذ بيده ويحاول تحسين اوضاعه ورفع منزلته الاجتماعية واعلاء روحه المعنوية والاحتفاظ بها في مستوى كريم ، كما اخلص « فائز » لوطنه وتفانى في خدمة امته عن طريق العمل المثمر البناء .

من آثاره القلمية : امضى « فائز » سنوات طوالا في الكتابة والنشر وترك للطالب والمعلم كتبا معظمها لفائدة الطرفين . ودونك

(١) وتوفي في شهر فبراير ١٩٧٢ (الاديب)

اسماء الكتب التي نشرها :

١ ـ العروض السهل (ج ١) بالاشتراك مع الدكتور اسحق موسى الحسيني طبع عام ١٩٤٥ .

٢ ـ العروض السهل (ج ٢) بالاشتراك مع الدكتور اسحق موسى الحسيني طبع عام ١٩٤٧ .

٣ ـ الوافي في تاريخ الادب (في ثلاثة اجزاء) بالاشتراك مع الاستاذين علي حسن عوده وعبد الرحمن الكيالي طبع عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ .

٤ ـ النصوص الادبية (في خمسة اجزاء) بالاشتراك مع سماحة الشيخ ابراهيم القطان والاساتذة علي حسن عوده وعيسى عطاالله وحكمة لباده والدكتور سيف الدين زيد الكيلاني ، طبع عام ١٩٥٤ .

٥ ـ القواعد الوافية (في اربعة اجزاء) بالاشتراك مع سماحة الشيخ ابراهيم القطان والاساتذة علي حسن عوده وعيسى عطا الله طبع عام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ .

٦ ـ الاساس في التربية الوطنية . بالاشتراك مع الاستاذين ذوقان الهنداوي وموسى الفول طبع عام ١٩٥٥ .

٧ ـ فن التلخيص . طبع عام ١٩٥٦ .

٨ ـ الثقافة المكتبية . بالاشتراك مع الدكتور كايد عبد الحق طبع عام ١٩٦٤ .

٩ ـ الدنيا حكايات (ظهر منها ثلاثة كتب ، وهي قصص شعبية باسلوب عربي متين) . طبع عام ١٩٦٥ .

١٠ ـ من اساطير بلادي طبع عام ١٩٦٦ .

١١ ـ من سواليف السلف ـ طبع عام ١٩٦٦ .

١٢ ـ اللغة العربية (في ثلاثة اجزاء للصفوف الاعدادية) بالاشتراك مع الاساتذة راضي عبد الهادي ، وهيب البيطار ، محمود سيف الدين الايراني ، عبد الجبار الفقيه . طبع عام ١٩٦٨ .

١٣ ـ القراءة المصورة (كتاب معه دليله لمرحلة ما قبل القراءة) بالاشتراك مع الاساتذة امين فارس ملحس ، تيسير البسطامي ، ياسين بصيله ، فهيم جبور . طبع عام ١٩٦٦ .

١٤ ـ اللغة العربية في جزئين للصفين الخامس والسادس الابتدائيين ، بالاشتراك مع الاساتذة وهيب البيطار ، عبد الجبار الفقيه ، تيسير البسطامي . طبع عام ١٩٦٨ .

١٥ ـ الجديد المعدل (وهو تعديل للكتب الاربعة التي وضعها المربي المرحوم خليل السكاكيني) بالاشتراك مع الاساتذة امين فارس ملحس ، تيسير البسطامي ، ياسين بصيله ، فهيم جبور طبع عام ١٩٦٩ .

نموذج من نثره : تاثر « فائز » عقليا وفكريا باطلاعه الواسع على الثقافة الاسلامية وتمكنه من اللغة العربية ووقوفه على آداب الامم الاخرى ، ويمتاز اسلوبه بموضوعية التفكير وايثار الطريقة البرهانية والمحاكمة العقلية . ودونك نموذج من نثره :

« رجع الحاج رجب الى بيته في المساء ، فتوضا وصلى المغرب ، ثم هيات له زوجته السفرة ، فجلسوا حولها ، فلما استقرت الاسرة سأل الحاج رجب : اين ابراهيم ؟ قالت الزوجة : هو في الجناح الثاني مع اصدقائه ، وهم يمرحون كعادتهم ، فاظهر الحاج رجب امتعاضا وضجرا وتبرما ، ثم هز راسه وقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، الله يهديه ويعفو عنه !

كان الحاج رجب تاجرا معروفا بالامانة والصدق في المعاملة ، مستقيم الطريقة ، كثير النصيحة للناس ، وقد عرك الدنيا وحلب الدهر اشطره ، وخبر الناس ، وعرف خفاياهم وخباياهم ، وكان ابراهيم ابنه الوحيد ، لم يرزق غيره من الذكور ، وان كان له عدد من البنات . وقد انفق ابوه مبالغ ضخمة على تربيته وتعليمه ولكنه كان ميالا للكسل ، مطمئنا الى ثروة ابيه الطائلة ، فكان يجمع لداته من الشباب ، فيسمرون ويمرحون ، وينفق عليهم الكثير ، وكثر ما عاتبه ابوه في ذلك ، ورجا ان يرعوي ويكف عما هو فيه ، ولكنه كان كما يقول العامة : اذن من طين ، واخرى من عجين ، وكان ابوه يجيب طلباته ، ويحسن له التوسط والاعتدال .

وبقي الحاج رجب ساهرا تلك الليلة حتى انصرف جميع رفقاء ابراهيم ، فدعاه ابوه اليه ، وانشا يخاطبه على هؤلاء الخلطاء ، ويحبب اليه الانصراف عنهم وقال له : اسمع يا ابراهيم ، ان ما يسرك من محبة هؤلاء ورغبتهم فيك وهم باطل ، وسراب خادع ، وانما رغبتهم في مالك ، ومحبتهم لما تنفق عليهم . ولو علموا انك قليل المال ،وانك لا ترث مني لانفضوا من حولك ، ولانكروك ، وتنكروا لصداقتك .

قال ابراهيم : انك تظلم اصدقائي يا ابي ، وتصمهم بما هو ارفع منه . قال ابوه : اصدقاؤك .. أهؤلاء الاربعون اصدقاؤك ؟

قال ابراهيم : نعم ، وكلهم صديق حميم !

قال ابوه : تالله انك لفي ضلالك القويم ، انت يابني لاتفهم الصديق ، الصديق شخص آخر هو انت ، يفرح اذا فرحت ، ويحزن اذا حزنت ، ويحس تماما بمثل ما تحس ، ولا يرغب في حياته بدونك .

قال ابراهيم : اتستكثر علي اربعين او خمسين صديقا ، ولك انت مئات الاصدقاء ؟

قال ابوه : من اوحى لك بهذه الافكار ؟ ومن زعم لك ان لي مئات الاصدقاء ؟ انا في هذه الخمسين سنة التي عشتها لم اظفر الا بربع صديق ، ونصف صديق ، وصديق واحد !

قال ابراهيم : كيف يكون ربع صديق ، ونصف صديق ؟

قال ابوه : اعلم يا بني ان الصداقة الحقة تظهر عند الحاجة ، وفي الشدائد والمحن . وبقدر مواساتهم وتضحيتهم تكون صداقتهم . واني اسال الله ان لا يمتحنني لتعرف صديقي . فهز ابراهيم راسه هز من لا يؤمن بشيء مما قيل .

مضى على هذا الحديث ثلاثة اشهر ، وابراهيم عنى عادته مع اخوانه في سهراته ومجالسه وتبذله . وفي ليلة ذات رياح واندية ، وابراهيم مع رفقائه في بيته يلهون ويسمرون اذ فتح الباب قبيل الفجر ، وانسل منه الحاج رجب فانتبه ابراهيم ، فوجد اباه قادما من الخارج . فقال : حسبتك نائما يا ابي . فقال الحاج رجب : أعندك احد ؟

قال : نعم ... بعض اصدقائي !

قال ابوه : اصرفهم .

وارتاع ابراهيم لمنظر ابيه ، ففد رأى ثيابه ملوثة بالدم ، ويديه ملطختين بالدم كذلك ، وفي يده سكين عليها آثار الدماء ، فذهب الى رفاقه فصرفهم ، ورجع الى ابيه ، فوجده قد غسل يديه ، واخفى ثيابه ، ولبس غيرها .

فقال ابوه : انس ما رأيت ، فما اعتقد ان احدا رآني غيرك ، ولا تنبس ببنت شفة ! وذهب كل منهما الى فراشه .

واستيقظ ابراهيم مع طلوع الشمس على قرع الباب ، فهب ليفتح الباب فارتاع حين رأى الشرطة ومعهم القصاصون وكلاب الاثر ، فقال لهم : ما خطبكم ؟

قالوا : معنا امر بتفتيش هذا البيت ، ودخلوا وفتشوا تفتيشا دقيقا فعثروا على الثياب الملوثة والسكين الملطخة بالدماء ، ونبحت الكلاب على الحاج رجب فوضعوا القيد في يديه ، واقتادوه بتهمة القتل .

واصدر صاحب الشرطة امره بان يطاف به في المدينة ليشهر به ، وينادى عليه بان هذا جزاء من يرتكب جريمة القتل ، وكانت هذه عادتهم حين يقررون تنفيذ عقوبة الاعدام على جريمة قتل .

واركب الحاج رجب حمارا ، وانشاوا يطوفون به شوارع المدينة، وفي مقدمة الموكب صاحب الشرطة ، والناس يشاهدون ويعجبون ، ويعلقون كثيرا من التعليقات كل بحسب رأيه ، ومشى ابنه ابراهيم بجانبه يائسا حزينا باكيا ، فقال له ابوه : لا تبك يا بني ، فسوف يظهر الله الحق ، واقسم لك اني لم ارتكب ما يغضب الله . وعجب ابراهيم من قول ابيه . لو انه قال هذا الكلام في المحكمة فربما كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرثية المحاسني

الـــى روح الفقيد الغالي الدكتـــور زكـي المحاسني

هـــم علـــى هـــم وقلب دام ... ومدامـع مشبوبـــة بضـــرام
في يوم موتك أي صرح قـد هوى ... فهوت عليـه صريعـة أحلامـــي
لمـــا أتاني النعـي أذهلني الاسى ... وغرقت في دنيـــا مـــن الاظـلام
ولثمت طيفـك فاعترتني رعـدة ... وطغى مـــن الاعماق فيض هيامي
يا من رعى شعري وزكـى غرسه ... وسمـا بـــه لعوالـم الالهـــام
أكذا الحيـاة تمر مـــر سحابة ... او مثـــل رؤيا حالـم بمنـــام
خلفتني وحدي يحطمني النـوى ... وتميـــت روحـي ثـورة الالام
فاذا بقلبـي وهـو نبـع توهـج ... يمسي بفقد رؤاك محض ركـــام
ايـــه ، أخـــي وحكمة الايـام ... ان تنتهـــي آمالنـــا لحطـــام
أن لا تـدوم هنـــاءة ومـــودة ... لمتيمـين تعـاهـــدا بســـلام
يـــا راحلا عنـــي واني ههنـا ... أقتات مـــن شوقي ومن أوهامي
أبكيك بالدمـع الهتـون وخافق ... حران مـــن هـــول المصيبة دام
أ « زكي » يـا لحنا على قيثارتي ... فـــذا يضـوع بأروع الانغـــام
مـــا زال طيفك وهـو خير تعلـة ... لبراعتـي عونـا علـى أيـامـي
ويظل ذكرك في الحياة على المدى ... يوري الشجا ويثير لـي الهامـي

بغـداد

عبد الخالق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

له عذره ، اما ان يقسم له ـ بعد الذي رآه في تلك الليلة ـ فهو الذي لم يستطع له فهما ، ولم يجد له تفسيرا . ودخل الموكب سوق التجار ، وفي اول الشارع خرج رجل من كبار التجار من حانوتـه وقال لصاحب الشرطة : اني ادفع نصف مالي فداء لهذا الرجل ، ان رأى سيدي ان يرضي ذوي المقتول بعشرين دية دفعتها فقال صاحب الشرطة لا اعوّد الناس على هذه العادة ، والنفس بالنفس .. فدخل الرجل حانوته وهو يبكي بحرقة والم .

قال الحاج رجب لابنه : هذا ربع الصديق يا بني ، فـايـن اصدقاؤك انت ؟ لا ارى احدا منهم وقف معك في محنتك ، وفي هـذا اليوم يظهر الاصدقاء . وكان ابراهيم لا يكاد يسمع شيئا من حزنه .

ودخل الموكب شارعا آخر فخرج تاجر من حانوته ، فجاء الى صاحب الشرطة وقال له : يا سيدي ان ثروتي تقدر بمائة الف دينار ، ابذلها جميعها في ارضاء اهل القتيل ليصلحوا ويصفحوا ويعفوا عـن قتل هذا الرجل . فرفض صاحب الشرطة ذلك وقال : انني انا ولي المقتـول ، واخشى ان قبلت عرضك هذا ان يظن الناس اني اغالي من اجل الكسب والرشوة ، ولن اسمح بان يظن الناس في هذا الظن .

والتفت الحاج رجب الى ابنه ابراهيم وهو يمشي بجواره فقال له : هذا نصف الصديق ، ولعل الله يجعل لي من هذا الامر فرجـا ، فاني والله بريء ، وتحير ابراهيم من قسم ابيه . وبعد قليل دخل الموكب شارعا ثالثا ، فخرج جزار على صوت المنادي ، فقال : مـن الذي يساق الى القتل ؟ فقيل له الحاج رجب ، فتقدم من صاحـب الشرطة وقال : لماذا يساق هذا الى القتل يا سيدي ؟ فاجاب صاحب الشرطة : هو على النعش خلف الموكب . فتقدم الجزار فرأى جسما قد فصل عنه راسه .. فقال لصاحب الشرطة : الان حصحص الحـق . انكم تسوقون رجلا الى الموت من غير ذنب . انا الذي قتلت القتيل ، وان الحاج رجب بريء ، وذهل ابراهيم ، وتذكر قسم ابيه ، وسر ان لا يقتل ابوه .

وقال الحاج رجب لابنه ابراهيم : هذا هو الصديق ولكنه بريء . وتقدم الجزار لينزل الحاج رجب عن الحمار ويركب مكانه ، ولكـن الحاج رجب رفض وقال : لا اقبل من هذا السيد التضحية ، فانا اعلم انه بريء . وطال بينهما الاخذ والرد والجدل والنقاش ، وتجمـع الناس حتى ما بقي احد في المدينة الا حضر ليشهد هذا الموقف النبيل بين صديقين !

وهنا وقف صاحب الشرطة خطيبا في الناس وقال . يسرنـي ان اخبركم ان القتيل الذي على النعش هو المجرم فلان الذي نشر الذعر بينكم واعتدى عليكم بنهب اموالكم وهتك حرماتكم وحرق مزروعاتكم ، كما يسرني ان اخبركم ببراءة صديقي الحاج رجب من تهمة القتل ، وان الدماء التي كانت على ثيابه هي دم خروف لـي ذبحه في بيتي . اما تعرف كلاب الاثر عليه فلانه ترك منديله عندي عمدا ، وقد رضي ان يمثل هذا الدور ليثبت ان الصداقة الحقيقية موجودة وان عنصر الخير في الناس لا ينعدم ، وقد رأيتم باعينكم هذه المحبة الصافية والتضحية الهائلة التي اقدم عليها هذا الجار ذو الخلق النبيـــل والسجايا العظيمة .

حياه الله واكثر من امثاله ، ووفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

كأن شيئا مثقلا بالهموم ، هبط في نفسي مفجأة .. تطلعت الى خاتمي ، اقيد هو ؟ اسجن خانق .؟ ما هذا الذي يختاره المرء لنفسه ؟ ما هو هذا الزواج ؟ انني اخشاه خاصة وخطيبي ، انسان احس معه بنزيف الساعات ، واشعر معه بانتزاع الدقيقة ، يا للهول ماذا جرى ؟ لماذا كرهت الظروف التي جعلتني له ، وجعلته لي ؟ لماذا خوت الحياة من ملذاتها ؟ وفرغت الامال من جعبتها ؟ واظلمت الشمس .. وخبا ضوء القمر ؟ .

كنت لا احب خطيبي ولا اكرهه ، فلماذا كرهته الان ؟ الانه لم يحملني الى اللامتوقع .. ولم يحطم قواقعي ولم يشدني الى عالم السحر الخلاق ؟

ان خطيبي انسان عادي ، لا يعرف غير ما اعرفه ، ولا يقول اكثر مما اقول ، ولا يفعل ما بامكاني ان افعله ، كرهته ، فالمرأة تبحث عن رجل يعتصر معنوياتها اعتصارا ، رجل يضع على رأسها وشاح الاحلام الوردية ، ويطير بها على حصان جامح ، هاربا واياها من كل ما يسمى (زمن مستعمل) .. رجل تحبه ، فيحولها الحب الى شعلة ، من نار متوهجة .

اتى مساء لزيارتي ، وجدته مقيتا اكثر من اية مرة يزورني بها .. جلست قربه لحظات ، احتضن يدي بكفه الخالي من الاحساس ، وكأنه مفصول عنه ، انتزعت يدي بقوة ، ورمقته بنظرة قاسية .

استغرب . قلت له دون مقدمات:

ـ هذا الخاتم البراق ، لم يضع نفسي في اطار الجنة ..

هكذا ؟ بعد سبعة شهور من الحب ؟ .

ـ انت احببتني ، انا لم اخدعك .

ـ كنت تفرحين لوجودي .. ؟

ـ فرحتي بصديق يمزق شحوب وحدتي .

ـ كنت ترتدين لي اجمل اثوابك ، وتخرجين معي بنزهات ؟

ـ انطلاقي من عالمي النفسي المضطرب ، القلق ، الباحث عن المعجزات .

ـ كنت تقولين لي ، انك تميلين الي . ؟

ـ تعلقي بالحياة نفسها .

ـ كنت اذن مستغلة ، جاحدة .. دنيئة .

ـ كنت اكثر مما وصفت ، لكني لم اخدعك في اي يوم ، وهأنذا اقول لك ، اني كرهتك ، ولم اكن اكرهك قبل اليوم .

ـ فجأة .. دب الكره في نبضك البطيء ، البارد .؟؟

ـ فجأة ..

ثمرة مشمش لونها الشمس

بقلم السيدة ضياء قصبجي

ـ هل من سبب ؟

ـ فيما اذا كان لكل نتيجة سبب .. يكون ، اني لم اجد معك اكثر مما بامكاني ان اوجده بنفسي .

ـ اوهام .. انا املأ حياتك ، كما تملأ ذرات الماء كأسها .

ـ ابدا ..

ـ انا اشغل فراغك ، كما تشغل المرأة اسياخها بخيوط الصوف .

ـ مطلقا .. لا تتوهم .

ـ غدا ستبكين .. ستذري الليالي دموعك على مفارق الطرقات ، ستسحق امنياتك جلافة الحياة سيدوس الناس قلبك المتعفن ، ستضيعين ، ولن اهتم بشأنك حينئذ .

ـ كلا .. لن يحصل هذا . سأبحث عن غيرك يملؤني ، وينتشلني من كل الوجود ، الى اللاوجود .

ـ اللاوجود هو الموت .

ـ لن اموت .

ـ ستموتين .

ـ كلا .

ـ الحياة نفسها ستلفظك .. كما يلفظ الفم نواة ثمرة .

ـ دعني .. لا داعي لتحطيمي .

ـ خذي خاتمك ، انا اعرف انك انسانة ، عقدتها الحياة ، وانا لست بائع خيوط ، لافك تلك العقد .

ـ قلت لك . دعني .

ـ سيتركك جسمي ، لكن كلماتي هذه لن تفارقك .

ـ سأسحقها ..

ـ سخيفة .

ـ لم لا تبقى شهما؟ هل الصدمة تظهر الحقيقة ، ام تراها تحطم الحقيقة . ؟

ـ الحقيقة اني مضطرب .. الجو يخنقني .. ربما سأتنفس في الخارج .

قذف خاتمي .. وذهب .. احسست بضربة حجر .

غاب جسمه .. بقيت كلماته .. كرهته عندما كان يحبني .. واحببته بعد ان لفظني . هل انا معقدة ؟ اين عقدي لافتتها ؟ اني لا اراها .. اين خطيبي ، ليفكها . ؟

انه غاب في اللاشيء .. وانا .. غبت في الذهول ، والتشرد النفسي.

انطويت على نفسي .. لم اغادر بيتي ابدا خلال شهر كامل .. كنت انظر للمرآة ، فأشاهد شحوبي وقلقي ، اخيرا عرفت اني بحاجة الى شيء لا اعرفه ، ربما هو الرجل ؟ ان نفسي (كالنفاخة) منتفخة وليس في داخلها الا الهواء .

كيف سأمضي بقية عمري ؟ لجأت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لزمت بابك ربي

*

سألت نفسي الى اين الرحيل غدا ... يا نفس ان حان عن ذي الدار ترحالي
هل تبلغ الروح بعد الناي راحتها ... من الضنى ويفك الهجر اغلالي
ويسعد الله حالي بالاياب الى ... مغنى الهداية القي فيه اسمالي
سئمت في الناس عيشا قد أضعت به ... أطايب العمر بين القيل والقال
فما هنالك من يرثي لذي شجن ... او من يجير ذوي التأساء أمثالي
كلا ولا من يقيني الخطب ان ذهبت ... سود الليالي بأحلامي وآمالي
وليس ثمة من يحنو على ادب ... اودعته الشهد من معسول اقوالي
هي الحياة اذا ما رحت اسبرها ... أطلت فيها عن الداريـن تساكي
فلا التكهن محظور عليه اذا ... ما بدل العيش من حال الى حال
فكلما ازددت بحثا عن غوامضها ... يزداد فيها لدى التنقيب بلبالي
وها انا في دجى قد راح يغمرني ... فيه الشقاء بشك شل اوصالي
فاين أمضي ومن جراء ما فعلت ... بنا الليالي طمى همي واعلالي
ولم يعد من ايابي للحمى امل ... مذ اكثر الدهر بالاعوام اثقالي
في غربة لا ارى منذا يقاسمني ... فيها التعلة اما ازداد تعلالي
لزمت بابك ربي استجيرك كي ... تفك من ربقة الاوزار اغلالي
اوغلت في الاثم اين الدرب اسلكه ... الى النجاة اذا ما طال ايغالي
نزلت في بلدة هيهات القى بها ... من آل يعرب من يصغي لاعوالي
نصحتهم ان يثوبوا عن جهالتهم ... يوما فما سمع الغاوون اقوالي
ناء عن الدار ابكي الدار فارقها ... خير الاشاوس من صحب ومن آل
ورحت أندب سوء العيش في بلد ... أصفت فيه هناء العمر والبال

الارجنتين — فائق جبور

الى الكتب ، فهي الوحيدة التي تملأ النفاخة ، فلا تفرغ وتتجعد أن ثقبت من قبل عدو . الكتب كالنار، تنضج الروح . دفنت فيها فراغي واوهامي ، وكرهي ، فوق نار الكتب نضجت نفسي ، واصبحت كثمرة مشمش لوحتها شمس الصيف ، فاحمر خدها . رفضت ان اندس في فم رجل يمضغني ، ثم يبصق النواة .. يمتص حلوى . ثم يبصق النواة .

انا انسانة ... ولست ثمرة مشمش لوحتها شمس الصيف .

مرت الاعوام .. وانا معلقة على شجرة الاقدار والاختيار .

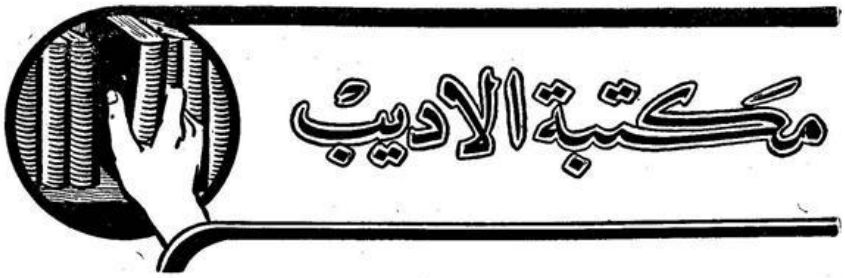
لم تمتد يد لتقطفني ، وتمتص حلوى ، بعد ان رفضت الأيدي الممتدة .

مرات عديدة وكثيرة ، لوحتني شمس الصيف ، ثم رحلت .. وتركتني للبرد والاعصار .

هأنذا .. ارى شمس الخريف المخيفة ، تدنو مني ، واحس بقوتي تتلاشى . ربما ، اذا لم تقطفني يد رائعة ، سأسقط فوق الصخور . لان تماسكي .. ضاع في ثواني الزمن الراحل .

حلب — ضياء قصبجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



معجم القـاب الشعراء

تأليف الدكتور سامي مكي ـ ٣٢٤ صفحة ـ مطبعة (؟)

الولع باللقب قديم عند العرب ، منحوه لرجالهم وخيولهم وسلاحهم . وكان لشعرائهم من ذلك النصيب الاوفر والقسط الاوفى .

ان هذه الظاهرة دفعت عددا من قدامى المصنفين الى وضع عـدد من المصنفات في محاولة حصر واستقصاء تلـك الالقاب . فمن المصنفين الذين افردوا لها كتبا : ابن السائب الكلبي وعلي بـن محمد المدائني والحسن بن عثمان الزيادي وابو سعيـد السكري ومحمد بـن خلف المرزبان ومجد الدين النشابي ومحمد بن حبيب . وقد ضاعت كل هذه الكتب فيما ضاع من تراث السلف باستثناء كتاب « القاب الشعراء » لمحمد بن حبيب المتوفي سنة ٢٤٥ هـ ، والذي حققه ونشره الاستـاذ عبد السلام هارون .

اضافة لذلك خصص كل من الثعالبي في كتابه « لطائف المعارف » وابن رشيق في « العمدة » والسيوطي في « المزهـر » فصولا لالقـاب الشعراء في كتبهم المطبوعة المذكورة .

وفي الجزء الاول من « معجم الادباء » وعد ياقوت ان يفرد في آخر كل حرف فصلا يثبت فيه من اشتهر بلقبه من الادباء على ذلك الحرف دون ان يورد اخبارا له . وقصده من ذلك ان يرشد على اسم صاحب اللقب واسم ابيه كاملا ليبحث عنه القارىء في موضعه ولكننا لا نجـد فيما بين ايدينا من معجم الادباء شيئا من ذلك .

وهذه الالقاب متنوعة الاسباب بعضها لقب بهـا اصحابها لبيت شعر قيل فيهم مثل : جهنام ودحمان وثابت قطنـة . وبعضها نطـق اصحابها بالفاظ في شعرهم صارت لهم شهرة يلبسونها والقابا يدعـون بها فلا ينكرونها كالنابغة وجران العود والجواب والمنادي .

وبعضها لقبوا به بسبب عاهة او عيب جسدي كالاعشى والاعمـى والاحوص والاعلم . وبعضها بسبب صفة خلقية كالاشعث والعتاهية . وبعضها اشتق من حرفة الشاعر كالخباز البلدي والجزار السرقسطي. وبعضها لقب استهانة واستخفاف مثـل : ذو النفس الرديئـة وزب الذباب واللص . وبعضها لقب تفخيم وتعظيم كشيـخ الشرف وفخـر الترك وتاج الملوك . وبعضها كان وليد حادثة وثمرة قصة مثـل سؤر الذئاب وموسى شهوات .

تلك هي اسباب الالقاب وما صنف فيها .

ولقد ظلت المكتبة العربية الحديثة في حاجة الى كتاب يضم شمل القاب الشعراء ويجمع شتيتها عبر القرون ، حتى طلـع علينا الباحث الجليل الدكتور سامي مكي العاني مؤخرا بـ « معجم القاب الشعراء » فسد ثغرة ملحوظة ووصل طريفا بتليد ووضع بين ايدي قراء العربيـة معجما جديرا بكل ثناء وتقدير عدة صفحاته ٢٧٤ صفحة اعقبها بفهارس عدتها خمسون صفحة اخرى . وقد ذيل كل ترجمة بمظانها تذييلا علميا يسر له الباحث والقارىء معا ، مرتبا الالقاب على حروف الهجاء ذاكرا اسم الشاعر وعصره وسبب التلقيب ووقف في عمله حتى نهاية الدولة العباسية ، فالكتاب ثمرة جهد طويل وصبـر ومعاناة مديدين وثمرة الغوص في عشرات مـن امهات كتب التراث بلغت عدتهـا (١٣٧) مرجعا ومصدرا . وشأن اي عمل معجمـي ضخم فان باب الاستدراك عليه يظل مفتوحا، لسعة البحث وترامي آفاقه . ومع اعجابـي العميق بهذا الصنيع العلمي الدقيق ، فقـد رأيت ان اضيف اليه بعض ما سها الباحث الكريم عنه فلم يثبته آملا ان اضيف بذلـك زهرة الى حقل من زهور .

فمما يستدرك مما لم يذكره المصنف الفاضل :

١ ـ اللص : هو احمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن سليمان بن سيد الكناني ، شاعر من اشبيلية توفي سنة ٥٧٨ هـ . اختلف فـي سبب تلقيبه باللص . قيل لقبه بذلك الوشاح الكبير الابيض لسرقتـه اشعار الناس ففلب عليه . ذكر ذلك المراكشي في الذيل والتكملـة ص ٣١٧ وصفوان في زاد المسافر ص ٥٢ والمقري في النفح ٥ ـ ٣٢٢ . ولابن دحية في المطرب رأي اخر قال : لقب باللص لدماثته وسكونـه وتصرفه خفية في جميع شؤونه . وفي المن بالامامة لابن صاحب الصلاة انه لقب باللص لتغزله بابي الحسين بن فندلة ايام الفتوة بقوله :

خلبت قلبـي بطرف ابا الحسين خلـوب
فلـم اسمـى بلص وانـت لص القلـوب

وهذا وهم من ابن صاحب الصلاة لان البيتين يـدلان علـى ان الشاعر كان يلقب باللص قبل قوله لهما .

٢ ـ الرفاء : ابو علي حسن بن عبد الرحمن الكناني من اهـل مرسيه ، شاعر حلو النادرة ، اشتق لقبه من حرفته ، توفي ببلـده سنة ٦٣٣ هـ .

انظر ترجمته في المقتضب ١٥٨ والتكملة ت ٥٢ .

٣ ـ ابن الطراوة : ابو الحسين سليمان بـن محمد السبائي ، شاعر من اهل مالقة ، كان امام العربية في عصره في الاندلس . توفي سنة ٥٢٨ هـ . انظر ترجمته في المقتضب ص ١١ والتكملة ت ١٩٧٩ وبغية الوعاة ص ٢٦٣ ونفح الطيب ٦ ـ ٦٥ والمغرب ٢ ـ ٢٠٨ .

٤ ـ الرفاء الرصافي : ابو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافي، من رصافة بلنسية في الاندلس . كان شاعر عصره . اقتصر على التعيش من صناعته وبها لقب . وتوفي بمالقة سنة ٥٧٢ هـ . انظر ترجمته في المقتضب ص ٥٦ والمغرب ٢ ـ ٣٤٢ والمعجب ٢١٧ والتكملـة ت ٧٧٢ والرايات ٨٤ وشذرات الذهب ٤ ـ ٢٤١ ونفح الطيب ٥ ـ ١١ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٥٨ ، ١٥٦ .

٥ ـ ابن شطربة : ابو جعفر احمد بن عبد الرحمن ، مـن شعراء قرطبة في القرن السابع الهجري ، مات شابا . انظر ترجمته في المغرب ١ ـ ١٣٩ والمقتضب ٩٥ .

٦ ـ مرج الكحل : هو محمد بن ادريس بن علي بن ابراهيم يكني ابا عبد الله اندلسي توفي سنة ٦٣٤ هـ . كان شاعـرا مبدعا ولـه ديوان شعر . انظر ترجمته في التكملة ت ١٠٠٥ وزاد المسافر ص ٢٧ .

٧ ـ عبدون : ابو محمد عبد الله بن يحي الحضرمي . من اهـل دانية توفي ببلنسية سنة ٥٧٨ هـ . من شعره قوله :

سارحل عن دار نبت بي ولم يغم بها احد بي حين اقعدني الدهـر
ففي الناس صحب ان جفاني صاحب وفي الارض قطر حافل ان نبا قطر
الم تر ان المـاء بالجـري ازرق وبالمكث في مستنقع المـاء مصفر
ورحلة اهل الفضل عن اهل بلدة شهيد بنقص فيهـم ولهـا خسر
وشر بلاد الله ما لـم يكن بهـا معين على ان يستقر بهـا الحـر

٨ ـ البراق : ابو القاسم محمد بن علي الهمداني . شاعر مـن اهل وادي آش في الاندلس . توفي سنة ٥٩٦ هـ .

انظر الرايات ص ٦٢ والمقتضب ٨٠ .

٩ ـ ابن الفرس : ابو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجي . شاعر غرناطي توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر رايات المبرزين ص ٥٤ وبغية الملتمس ت ١٠٥٠ والمقتضب ص ٨١ .

١٠ ـ ابن المرخي : ابو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز اللخمي كاتب شاعر من اشبيلية . توفي سنة ٦١٥ هـ . انظر ترجمه في المقتضب ص ١٢٥ والتكملة ت ٩٤٤ .

١١ ـ الاعلم : ابو اسحاق ابراهيم بن قاسم البطليوسي ، تصدر للاقراء في اشبيلية ومات بها وله شعر . انظر ترجمته في « اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي » لابن سعيد ص ١٥٧ .

١٢ ـ جسر بلبيس : هو ابو المحامد القرطبي . من شعراء المائة السابعة نزح الى مصر ومات في القاهرة سنة ٦٤٣ هـ . كان هجاء وعمر طويلا لقب بجسر بلبيس لانه اقام فيها زمانا يكرى كل من جاء من الشام او من سافر اليها . ولقب ايضا بابي بغل . ترجم له ابن سعيد في القدح المعلي ص ٢١٢ .

١٣ ـ الشاعر : هو ابو الوليد يونس بن عيسى المرسي الاندلسي له شعر في زاد المسافر ص ٣٥ وموشحات في جيش التوشيح . غلب عليه لقب الشاعر .

١٤ ـ الشريف الاصم : شاعر اندلسي ، عرف بلقبه . له مختارات شعرية في زاد المسافر ص ٨٤ .

١٥ ـ الزوالي : ابو اسحق ابراهيم بن علي بن ابراهيم الخولاني شاعر من اهل اسطبه من اعمال قرطبة . توفي بمراكش سنة ٦١٦ هـ . انظر ترجمته في التكملة ط. بيل . ابن شنب ص ٢٠٢ . والمراكشي في المعجب ص ١٩٨ و ٢٣٧ .

١٦ ـ الجزار : هو ابو بكر يحي السرقسطي . عاش في ايام بني هود بالاندلس . كان جزارا يبيع اللحم فلحقه اللقب . انظر ترجمته في : جيش التوشيح ٢٥٩ ـ ٢٦١ وزاد المسافر ص ٩٨ والمغرب ٢ ـ ٤٤٤ ونفح الطيب ٥ ـ ١٣٥ و ٢٨٥ و ٢٩٢ والرايات ص ٨٩ والتكملة ٢ ـ ٤٩٣ .

١٧ ـ ابن اللبانة : هو ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني من شعراء القرن الخامس الهجري في الاندلس . توفي في ميورقة سنة ٥٠٧ هـ . انظر ترجمته في جيش التوشيح ٢٤١ ـ ٢٤٣ والمغرب ٢ ـ ٤٠٩ والمطرب ٢٠ و ١٧٨ والوافي بالوفيات ٤ ـ ٢٩٧ وفوات الوفيات ٢ ـ ٥١٤ وقلائد العقيان ٢٨٢ ، وشذرات الذهب ٤ ـ ٢٠ والتكملة ١ ـ ٤١٠ والمعجب ١٤٢ ـ ١٦١ والحلل السندسية ٣ ـ ٣٠٢ ـ ٣١٧ وبغية الملتمس ٩٩ ونفح الطيب في مواضع متعددة .

١٨ ـ الكميت : محمد بن الحسن البطليوسي . شاعر اندلسي من شعراء عماد الدولة ابي جعفر بن المستعين بالله ابي ايوب بن هود بسرقسطة . له ترجمة في جيش التوشيح ص ٢٤٦ وبغية الملتمس ٤٣٧ والجذوة ٣١٤ والمغرب ١ ـ ٣٧٠ ونفح الطيب ٥ ـ ٥ والتكملة ١ ـ ٣٤٨ .

١٩ ـ الابيض : هو ابو بكر محمد بن احمد بن محمد الانصاري الاشبيلي من فحول شعراء الاندلس ووشاحيه . توفي نحو عام ٥٣٠ هـ. انظر ترجمته في جيش التوشيح ٢٣٤ ـ ٢٤٠ والمغرب ٢ ـ ١٢٧ والمطرب ص ٧٦ وزاد المسافر ٦٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٤١ ونفح الطيب في مواضع متعددة .

٢٠ ـ ابن كسرى : ابو علي حسن بن علي الانصاري . شاعر اندلسي من مالقة توفي سنة ٦٠٤ هـ . له ترجمة في المقتضب ص ٩١ والتكملة ت ٤٨ .

٢١ ـ ابن ابي البقاء : ابو عبد الله محمد بن سليمان الانصاري شاعر بلنسي توفي سنة ٦١٠ هـ. له ترجمة في التكملة ت ٩١٨ والمقتضب ص ١١٢ .

٢٢ ـ المتلمس : ابو ايوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، شاعر اندلسي عاش في القرن الرابع الهجري له ترجمة وشعر في المراجع



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التالية الجذوة ٢,٦ وبغية الملتمس رقم الترجمة ٧٦٢ والبديع ١٤ والنفح طبعة ليدن ٢ ـ ١٩٨ .

٢٣ ـ الرشاش : ابو عثمان سعيد بن الفرج . شاعر اندلسي ، ضرب به المثل في الفصاحة فقيل : افصح من الرشاش . له شعر في كتاب التشبيهات للكتاني وانظر ترجمته في المغرب ١ ـ ١١٤ ، وطبقات الزبيدي ٢٨٤ وبغية الوعاة ٢٥٦ .

٢٤ ـ ابن ننة : (بنونين الاولى مكسورة والثانية مشددة مفتوحة) ابو بكر محمد بن ابي بكر بن فرج بن سليمان من اهل جيان . شاعر اندلسي . له ترجمة في المقتضب من تحفة القادم لابن الابار ، باختيار البلفيقي ص ٦٧ .

٢٥ ـ ابن الجنان : ابو بكر محمد بن عبد الغني الفهري . شاعر اندلسي من اهل جيان سكن مدينة فاس . له ترجمة في المقتضب ص ٧٠ .

٢٦ ـ درود : اسمه عبد الله بن سليمان . شاعر ونحوي . ذكره ابن الفرج في كتاب الحدائق والحميدي في الجذوة ٢٤٣ والضبي في بغية الملتمس رقم ٩٢٤ .

٢٧ ـ المنادي : هو اسماعيل بن اسحاق . شاعر اندلسي . له ذكر في اليتيمة ٢ ـ ٥٩ والجذوة ١٥٢ والبغية ٥٤٠ . وقيل سمي المنادي باول قصيدة قالها ومطلعها :

قف بالطلول الدارسات فناد اين الظباء السالبات فؤادي ؟

وهو من شعراء عهد الامير عبد الله .

٢٨ ـ ابن غتال : ابو الحكم جعفر بن يحي الداني ، شاعر اندلسي وغتال وصفر لاسم الهر بالاسبانية . انظر ترجمته في المقتضب. ص ١٨ والمعجم للصدفي ت ٦٠ .

٢٩ ـ التطيلي الاصغر : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد التطيلي الضرير نشا بقرطبة وسكن اشبيلية ، لقب بالاصغر تمييزا له عن ابي العباس التطيلي الاعمى . انظر ترجمته في المقتضب ص ٢٧ ونكت الهميان ص ٩٠ .

٣٠ ـ الفيشوم : هو الشاعر ابن حجاج الاشبيلي . اندلسي ذكره واورد شيئا من شعره ابو بحر صفوان بن ادريس التجيبي في كتابه ـ زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ـ ص ٦٠ ـ ٦١ .

٣١ ـ الغزال (بتشديد الزاء) : هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن غالب الحميري شاعر اندلسي ، يعرف بالحمامي ايضا .

توفي في مرسية سنة ٦٣١ هـ . ذكره ابن الابار في تحفة القادم . انظر المقتضب ص ١٥٣ .

٣٢ ـ المصحفي : جعفر بن عثمان ابو الحسن الوزير الحاجب . له شعر كثير وكان الوزير الناظر في الامور قبل المنصور لبي عامر محمد بن ابي عامر ، ثم نكب ومات . له ترجمة في بغية الملتمس ص ٢٤٠ برقم ٦١٤ .

٣٣ ـ عبود الاديب : اسمه عبد الله بن يعقوب ، شاعر اندلسي ذكره الضبي في بغية الملتمس ص٤٣٥ ، والحميد في الجذوة ص ٢٤٧ كان مدرسا للادب في ايام الحكم المستنصر .

٣٤ ـ المشعل : اسمه عبد الوهاب الازدي ، من شعره في الثريا والمريخ والمشتري :

كانها راحة اشارت لاخذ تفاحة وكاس

(انظر غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) لعلي بن ظافر الازدي ص ٣٧ ونثار الازهار لابن منظور ص ١١٣ ط ١٢٩٨ هـ .

٣٥ ـ الاعمى التطيلي : لقب بعاهته ، واسمه احمد بن عبد الله بن هريرة . شاعر اندلسي شهير توفي سنة ٥٢٥ هـ . انظر ترجمته في القلائد ونكت الهميان والمغرب والنفح وبدائع البدائة وجيش التوشيح.

٣٦ ـ تاج الملوك : ابو سعيد بوري بن ايوب بن شاذي اخو السلطان صلاح الدين ، له ديوان شعر توفي سنة ٥٧٩ هـ . انظر ترجمته في الخريدة مقدمة قسم الشام ، وله ترجمة ايضا في وفيات الاعيان ج١ ص ٢٦١ .

٣٧ ـ العكربل : ترجم له العماد في الخريدة بين شعراء عسقلان كان هجاء وعمر طويلا . من شعره :

كانما النرجس لما بدا لناظري في ساحة المازحين
زبرجد قد جعلوا فوقه اقداح تبر في صواني لجين

(انظر غرائب التنبيهات ص ٧٨) .

٣٨ ـ نحيس : هو ابن الحسن المعلم من شعراء الموصل في القرن السادس الهجري ترجم له العماد في الخريدة قسم الشام ج٢ ص ٣٩٦ .

٣٩ ـ التاج البلطي : ابو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور من ادباء الموصل وشعرائها في القرن السادس الهجري . ترجم له العماد في الخريدة قسم الشام ج٢ ص ٣٨٥ .

٤٠ ـ الفرنوق : شاعر طارىء على تهامه ، ضاع اسمه لغلبة اللقب عليه ، وهو من شعراء الخريدة ج٢ ص ٢٥٤ وله شعر فيها .

٤١ ـ أله ماله : اي (ذو النفس الرديئة) بالاسبانية . وهو محمد بن ابراهيم بن سليمان ، شاعر اندلسي . ذكره احمد بن الفرج الجياني في كتابه : « الحدائق » وله ترجمة في بغية الملتمس للضبي ص ٤٥ ورقم الترجمة ٤٥ .

٤٢ ـ غلام الفصيح شاعر اديب اندلسي ، قال مصنف بغية الملتمس (ادعى انه عبيد الله بن المهدي محمد بن عبد الجبار ولم يصح وانما كان فيما قيل غلال الفصيح ولكنه اوهم جماعة) . ثم ذكر له شعرا ولم يذكر اسمه لغلبة اللقب عليه .

٤٣ ـ النسناس : شاعر فقيه ، له شعر في الخريدة قسم مصر ج٢ ص ٥٨ وترجم له ابن سعيد في المغرب ولم يزد على ما ذكره العماد في الخريدة .

٤٤ ـ ابو جنيش : يوسف بن هارون الرمادي الكندي شاعر الاندلس الشهير . ذكر ابن بشكوال في كتابه « الصلة » انه كان يلقب بابي جنيش (بالاسبانية) ، فنقل الى الرمادي . توفي سنة ٤٠٣ هـ .

٤٥ ـ ابو دلامة : هو زند بن الجون الاسدي . وابو دلامة لقب في صيغة الكنية .

٤٦ ـ نشو الملك بن المنجم : شاعر غلب عليه لقبه . اورد له ابن ظافر الازدي شعرا في التنبيهات ص ١٣ .

٤٧ ـ المستهام : شاعر غلب عليه لقبه . ذكره الازدي في التنبيهات ص ١١٩ واورد له البيتين التاليين :

قوموا الى التوت سراعا وانشطوا فانه على الاذى مسلط
كانه اذ لاح في اطباقه خماهن بعندم منقط

٤٨ ـ فخر الترك : شاعر غلب عليه لقبه ، واسمه (ايدمر) مولى وزير الجزيرة ، من شعره في المرقصات والمطربات ص ٥٥ :

شكى رمدا جفن الاصيل الى الدجى فكحله ميل الظلام باثمد

وله ديوان مطبوع .

٤٩ ـ ابن قادوس : شاعر مصري اسمه محمود بن اسماعيل بن حميد الفهري وكنيته ابو الفتح اصله من دمياط . له ذكر في الرسالة المصرية لامية بن ابي الصلت . وله ترجمة في الخريدة : قسم شعراء مصر ج١ ص ٢٢٦ وفي حسن المحاضرة للسيوطي ١ ـ ٢٢٤ .

٥٠ ـ الاخنش : شاعر مغربي الاصل وهو الشريف ابو الحسن علي بن محمد . له شعر وترجمة في الخريدة : قسم شعراء مصر ج١ ص ٢٣٨ .

٥١ ـ ابن الصياد : شاعر مصري ، اسمه هبة الله بن بدر وكنيته ابو القاسم ولقب بالمفيد ايضا كان هجاء مشهورا وهو من شعراء ابن رزيك . وله ترجمة في الخريدة : قسم مصر ج١ ص ٢٤٢ .

٥٢ ـ ابن قيصر : هو ابن الحسن علي بن محمد بن عيسى الازدي ـ شاعر مصري ترجم له العماد في خريدته ـ قسم مصر ج١ ص ٢٤٥ . وله ترجمة جيدة في معجم السلفي (نسخة دار الكتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصرية ـ الورقة ١٩٣) .

٥٣ ـ المهذب : هو ابو محمد الحسن بن علي بن الزبير ـ شاعر مصري معروف . ترجم له العماد في الخريدة ج١ ص ٢٠٤ توفي سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته في الوفيات ١ ـ ٧٥ والفوات ١ ـ ١٢٤ والطالع السعيد للادفوي ص ١٠٠ والنكت العصرية ص ٣٥ وحسن المحاضرة ١ ـ ٣٢٤ ومعجم الادباء ٩ ـ ٤٧ .

٥٤ ـ القاضي الجليس : ابو المعالي عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب الاغلبي السعدي التميمي . شاعر مصري ترجم له العماد في الخريدة قسم مصر ج١ ص ١٨٩ ، كان من اشهر شعراء عصره وتوفي سنة ٥٦١ هـ وانظر ترجمته في فوات الوفيات ١ ـ ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ ـ ٢٩٢ وحسن المحاضرة ١ ـ ٣٢٤ .

٥٥ ـ القاضي الفاضل : ابو علي عبد الرحيم بن ابي المجد علي بن الحسن البيساني ـ اشهر كتاب مصر في العصور الوسطى توفي سنة ٥٩٦ هـ . انظر ترجمته في الخريدة قسم مصر ج١ ص ٣٥ والوشي المرقوم في حلى المنظوم لابن الاثير ص ٩ وطبقات الشافعية للسبكي ٤ ـ ٢٥٣ ووفيات الاعيان (طبعة ديسلان) ١ ـ ٣٩٧ وشذرات الذهب ٤ ـ ٣٢٥ .

٥٦ ـ القاضي المؤتمن : ابن كاسيبويه الكاتب ـ شاعر مصري ترجم له العماد في الخريدة ـ قسم مصر ج١ ص ٥٤٤ ، وابن ميسر ص ٥٩ وابن سعيد في المغرب .

٥٧ ـ ابن قلاقس : ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن علي بن الازهري شاعر اسكندري توفي سنة ٥٦٧ هـ . له ديوان مطبوع . انظر ترجمته في معجم الادباء ١٩ ـ ٢٢٦ وابن خلكان ٢ ـ ٢٣١ وشذرات الذهب ٤ ـ ٢٢٤ وحسن المحاضرة ١ ـ ٣٢٤ والخريدة ـ قسم مصر ج١ ص ١٤٥ .

٥٨ ـ ابو الغارات : طلائع بن رزيك ، شاعر مصري كان وزيرا معروفا ايام الخليفتين الفائز والعاضد . قتل سنة ٥٥٦ هـ وقد كرس عمارة اليمني كتابه النكت العصرية عليه وعلى حياته وامجاده . لقب بابي الغارات لكثرة غاراته على الصليبيين في فلسطين . انظر ترجمته في ابن خلكان ١ ـ ٣٣٧ وانظر الخريدة قسم مصر ج١ ص ١٧٣ .

٥٩ ـ الوافق المعري : من شعراء المائة الخامسة له في المرقص

انظر الى منظر يسبيك مخبره ... بحسنه في البرايا يضرب المثل
نار تلوح من النارنج في شجر ... لا النار تخبو ولا الاغصان تشتعل

(انظر المرقصات والمطربات لابن سعيد ص ٤٦) .

٦٠ ابن الرفا : ابو محمد عبد الله بن عتيق شاعر مصري من شعراء الخريدة ج٢ ص ٢٢٩ ترجم له ابن سعيد في المغرب .

٦١ ـ ابن الرقيق : عبد المحسن الاسكندري ، شاعر مصري من شعراء الخريدة ج٢ ص ٢٢٣ ، كان هجاء .

٦٢ ـ ست النعم : هي ام علي تقية ابنة غيث بن علي السلمي مولدها صور وهي من اهل الاسكندرية ، اديبة وشاعرة مصرية من شواعر الخريدة ، توفيت سنة ٥٩٩ هـ .

انظر ترجمتها في معجم السلفي الورقة ١٧ والتجريد لابن حجر الورقة ٩٧ والوفيات لابن خلكان والخريدة ٢ ـ ٢٢١ .

٦٣ ـ ابن مكنسة : ابو طاهر اسماعيل بن محمد . شاعر مصري اسكندراني من شعراء الخريدة توفي سنة ٥١٠ هـ .

انظر ترجمته في الفوات ١ ـ ٢١ والتجريد الورقة ٨٤ ومعجم السلفي الاوراق ١٩٨ و٢٧٩ و٢٩٠ و٤٢٦ والخريدة ٢ ـ ٢٠٣ والرسالة المصرية لابن ابي الصلت .

٦٤ ـ دنقلة : احمد بن بلال . شاعر مصري من شعراء الخريدة ٢ ـ ١٥٧ كان كتبيا . انظر ترجمته في المغرب لابن سعيد .

٦٥ ـ النظام المصري : هو هبرائيل بن ناصر بن المثنى السلمي . شاعر مصري من شعراء الخريدة . صلب وصودر سنة ٥٧٢ هـ .

انظر ترجمته في الخريدة ٢ـ ١٤٠ والمغرب والتجريد الورقة ٩٩ .

٦٦ ـ الجهجهان : شاعر مصري من شعراء الخريدة ٢ ـ ١٣٢ وترجم له ابن سعيد في المغرب .

٦٧ ـ شلعلع : هو ابو الفضل جعفر بن المفضل القرشي من شعراء الخريدة ٢ ـ ١٢٤ وترجم له الصفدي في الوافي المجلد ٣ الورقة ٢٢٥ وابن سعيد في المغرب ، وله اخبار في بدائع البدائة .

٦٨ ـ الاديب : هو القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن محمد ابن النضر شاعر مصري من شعراء الخريدة ٢ ـ ٩٠ .

٦٩ ـ الوضيع : يحي بن علي الكتبي . شاعر مصري من شعراء الخريدة . انظر ترجمته في الخريدة ٢ ـ ٥٦ وتجريد الوافي لابن حجر الورقة ٢٥٩ والمغرب .

٧٠ ـ ابن كاتب اسلم : هو ابو الحسن علي بن سعيد ، شاعر مصري من شعراء الخريدة توفي سنة ٥١٨ هـ .

٧١ ـ ابن الكيزاني : ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت الانصاري عرف بابن الكيزاني نسبة الى عمل الكوز . توفي سنة ٥٦١ هـ وهو من ابرز شعراء الصوفية في مصر كان فقيها واعظا .

له ترجمة في الخريدة ـ قسم مصر ٢ ـ ١٨ والنجوم الزاهرة ٥ ـ ٣٦٧ والوافي بالوفيات ٢ ـ ٣٤٧ والمحمدون من الشعراء للقفطي والمغرب .

٧٢ ـ ابو الفضة : هو بكير بن عبد الله بن سلمة بن الاثاعل ، الشاعر . قاله ابن الكلبي . (انظر : المرصع لابن الاثير ص ٣٨٣) .

٧٣ ـ ذو الرياستين : وهو حنين بن لأي بن عصم ـ شاعر فارس ذكره ابن ماكولا (انظر المرصع ص ٣٨١) .

٧٤ ـ ابو رمح : وهو عمير بن مالك بن حنظب . شاعر رثى الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ قاله ابن الكلبي (انظر المرصع ص ٣٨٠) .

٧٥ ـ ذو الخرق اليربوعي : احد بني صبير بن يربوع ، شاعر جاهلي انشد ابا اليقظان :

فملنا باحناء السروج ولم تثب ... كريهتنا ثم الظنون الكواذب

انظر المرصع ص ٣٧٩ .

٧٦ ـ ذو الخرق بن سريج بن بان بن دارم ، شاعر جاهلي . ذكره ابن حبيب في تسمية شعر القبائل (انظر المرصع ٣٧٩) .

٧٧ ـ ذو الدحداح الحارثي : شاعر وهو القائل :

قطعنا حزم اسهم واستدارت ... برملة ...

وثمة ملحوظتان جانبيتان :

اولاهما : ذكر في المعجم ص ٢٠ ـ الاصم ، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ـ شاعر عباسي ، والصواب انه شاعر اندلسي رحل الى المشرق سنة ٣٠٤ هـ وتوفي سنة ٣٣٥ هـ وهو من شعراء ايام عبد الرحمن الناصر (انظر طبقات الزبيدي ٣٣١ وابن الفرضي ٢ ـ ٣٠٤ والجذوة ٢٧٥ وبغية الملتمس ١٠٣٢) .

ثانيتهما : جاء في المعجم تحت عنوان (شميم) « علي بن الحسن الحلبي » والصواب : الحلي نسبة الى الحلة لا حلب . واظنها من اغاليط الطباعة .

واضيف ان للمذكور ترجمة جيدة في الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد ص ٥ ـ ١١ .

ثم ان معجم « القاب الشعراء » قد سد فراغا ملحوظا في المكتبة العربية .

بغداد — هلال ناجي

كتـــاب الامثـــال

لابي فيـــد مؤرج السدوسي

حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور رمضان عبـــد التواب ـ ١٣٠ صفحة ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة

استدعى انتشار المخطوطات العربية في خزائن المعمورة ، واحتجان كثير من المكتبات لروائعها ان تنهيأ لها جلة جادة اخذت على عاتقها مهمـــة الكشف عما في تراثنا من فوائد ، واسفارنا من متع . فطفقت تزيل عنها غبار السنين ، وصدأ الايام لتظهرها بحلل قشيبة ، محققـــة مفهرسة كي يستفيد منها اولو الاختصاص ، ومحبو الاستقصاء وعشاق التتبع. يدفعها الحرص على الموروث الخالد ، الحافل بصنوف علوم العربية ، الزاخر بما يغني المرء ويثريه لغة ، وادبا ، وعلما . ولا غـرو في ذلـك فقد ادرك هؤلاء المنصرفون للتحقيق ، المحبون للبحث ، الدائبون فـــي الغوص لاستجلاء المبهم ، واستكناه المخبوء عما في تلك الاسفار مـــن المعارف الواسعة التي تعد ركيزة مهمة من ركائـــز النهضة العربية في ميدان التحقيق ، والتصنيف . ولعله ما من مستقص لاسماء اولئك ، ومستقريء لنتاجاتهم من لم يتابع من كثب ما يصدره الدكتور رمضان عبد التواب الاستاذ المساعد للدراسات اللغوية في جامعـــة عين شمس بالقاهرة من مصنفات نفيسة ، وتحقيقات مفيدة . فهو اديب مجتهـــد ومحقق مهابذ ، وباحث ثبت . يشهد له « لحن العوام » لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي و « البلاغة » لابـي العباس المبـرد و « التذكير والتانيث في اللغة مع تحقيق رسالة ابـي موسى الحامض في المذكر والمؤنث » و « الامثال العربية القديمة » للمستشرق رودلف زلهايـم و « كتاب البئر » لابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي و « كتـــاب الامثال » لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي ثم كتاب « القوافي ومـــا اشتقت القابها منه » لابي العباس المبـــرد وكتب أخـــر صدرت ، وتصدر .

في بداية كتاب الامثال مقدمة تمهيدية عن اهمية الامثال وضرائـــر دراستها واستقصائها ثم حديث عـــن « المؤرج السدوسي » تضمن كنيته ، ولقبه ، واسمه وشيئا عن حياته ، وتنقلاته . ثـــم استقصاء لتاريخ وفاته حيث رجح سنة « ١٩٥ هـ » مخالفا الروايات الاخريات.

وفي الصفحة العاشرة استقرار علمي لاسماء اساتيذه وهم :

(١) ابو خالد الكلابي . (٢) الخليل بن احمد الفراهيدي . (٣) ابو الخنساء . (٤) ابو الدقيش . (٥) ابو زيد الانصاري . (٦) سعيد بن سماك بن حرب .(٧) شعبة بن الحجاج . (٨) ابـو عمرو بن العلاء . (٩) قرة بن خالد . (١٠) مكوزة « العلاء بن بكر». (١١) ابو لغامة العدوي . (١٢) هارون بـــن موسى النحـــوي . (١٣) ابو هشام .

ولم ينس ان يتتبع من نجم من تلاميذه ذاكرا سبعة هم :

(١) احمد بن محمد بن ابي محمد اليزيدي . (٢) احمد والد ابي الهيثم خالد بن احمد البخاري . (٣) علي بن الحسن الدهلي . (٤) علي بـــن داود الصفدي . (٥) محمد بـــن سلام الجمحي . (٦) محمد بن المبجل . (٧) النضر بن شميل .

وقد تطرق الى علم الرجل ، واراء العلماء فيه كمـــا المع الـــى شاعريته معززا ذلك بالسائر له من الشعر . تلاه تقص نافع لتصانيفه وهـــي :

(١) الامثال . (٢) انساب شيبان . (٣) الانواء . (٤) جماهير القبائل . (٥) حذف نسب قريش . (٦) غريب القـــران . (٧) المعاني . (٨) معاني القران .

ولم يرد المحقق الجليل تقديم الكتاب دون الاعراب عـــن اهميته وطبيعة محتواه فاستوفى ذلك بما يقرب مـــن ثلاث صفحات . وقـــد احسن الدكتور عبد التواب حين عني بوصف مخطوطة الكتـــاب عارضا نموذجات منها . يبادهك بعد هذا « المتـــن » حيث استغرق تسعـــا واربعين صفحة مضيفا اليه ما وجده في المراجع مما لم يذكر فيه حيث تتضح امامك معالم محقق فاضل ملم بقواعد التحقيق ، عالم بأصولـــه ومسالكه ، ثقة يعضد الشرح بالرجوع الى اكثر مـــن مظنة ، والهامش بما يزيده توثيقا ، والغامض بما يجلوه . غير قانع بذكـــر مصدر أو مصدرين في التخريج مما يدل على سعة اطلاع ، وتثبت . اعقبه مسرد بالفهارس الفنية وهي :

(١) فهرس الآيات القرآنية . (٢) فهرس الاحاديث النبوية . (٣) فهرس الامثال واقوال العرب . (٤) فهرس اللغة . (٥) فهرس القوافي . (٦) فهرس الاعلام . (٧) فهرس القبائل . (٨) فهرس الاماكن . (٩) فهرس المصادر حيث استعان ثمانية وخمسين ومائـــة منهـــا .

وبعد ... فان المعنيين بالامثال لتسعدهم اضافة هذا الكتاب الى مكتباتهم لانها كما ذكر الاستاذ رمضان « مـــرآة تنعكس عليهـــا عادات الشعوب ، وسلوكها ، واخلاقها ، وتقاليدها . وهي معين لا ينضب لمـــن يريد دراسة المجتمع او اللغة او العادات الشعبية » .

بغـــداد **نبيل ابراهيم العطية**

في النظرية النقدية

تاليف محمود البستاني ـ ١٦٨ صفحـــة ـ منشورات وزارة الاعـــلام العراقية مديرية الثقافة العامة ـ مطابع الجمهورية ببغداد

« في النظرية النقدية » كتاب يتسم بقيمته الادبية وهـــو مـــن تاليف الاستاذ محمود البستاني الذي عرفته الاوساط الادبية شاعرا رقيـــق الحس ، واديبا ينحو منحى عصره مستفيدا من تراث ماضيه لانه الحقل المعطاء الذي له جذوره العريقة المتـــدة في ارض خصبة .. فاسلوبه عربي الديباجة ، حلو التعبير سمح اللغة .

يتناول المؤلف الفاضل في كتابه هذا اربعة عشر موضوعا نقديا ، ويكاد القارىء ان يلمس ارتباط المواضيع بعضها ببعض حتى لكانهـــا تشكل حلقات متصلة بدءا من موضوعه « النقد بين الدراسة والتاريخ » وانتهاءا بموضوعه الاخير « النقد والقيمة النهائية » ..

والكتاب محاولة جادة لطرح المفاهيم التي تتعلق بالنقد النظـــري ودراسة موضوعية مسهبة لتبسيطها واعطاء كـــل مفهوم سمته الخاصة به . والحق ان الكتاب جديد من نوعه ، لندرة الكتب النقديـــة التي يسعى فيها مؤلفوها الى رسم منهج واضح الملامح للنظرية النقدية ..

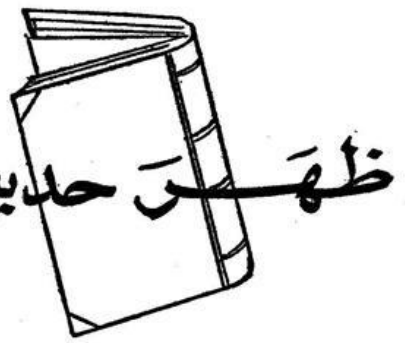
.. في مقالته عن « النقد بين الدراسة والتاريخ » يقف البستاني على تفسير الاجناس الادبية ويخلص الـــى ان الدراسة الادبية تعنـــى بالاثر الادبي من حيث ماهيته وعناصره ، امـــا تاريـــخ الادب فيعنى بالنصوص الادبية بازاء مسارها التاريخي .

وفي بحثه عن « النقد بين الاستقلال والتبعية » يستشهد بمقولتين لكل من (هاولز) و (غوته) ويستطرد في تعليقه على هاتين المقولتين.. ولكن مناقشته ـ كما يبدو لي ـ لم تتسم بمعيار كشفي فهـــو يتناول بحثه تناولا اكاديميا دون ان يأتي بجديد .

ولكننا نجده في مواضيعه الاخرى التـــي تلت موضوعيه السابقين واعني بها « النقد والابداع ، والنقد بين المعيار والوصف ، والنقد بين التاثرية والموضوعية ، والنقد والمقارنة ... الخ » ينطلق بروح علميـــة ونظرة صائبة وبيان جميل فهو يستعرض المفاهيم النقديـــة ويناقش الآراء التي تدور حولها وينتهي الى نتائج طيبة ، تدل علـــى اصالته الفكرية والابداعية .

اما في حديثه عن « النقد وتحقيق النص » فانه يدلي برأيه عـــن مهمة الناقد وموقفه من النصوص التي يتناولها فيقول « ان الناقـــد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● صاحبة الجلالة الصحافة ـ تأليف عدنان الملوحي ـ تقديم المحامي نزار سعيد ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة دار الحياة بدمشق ـ مطابع مؤسسة دار الحياة بدمشق .

● الاصول الادبية في صبح الاعشى ـ تأليف الدكتور مصطفى الشكعة الاستاذ بجامعتي عين شمس وبيروت العربية ـ ١٨٨ صفحة و١٢ صفحة باللغة الانجليزية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان ببيروت .

● نسبية اثار الطعن في الحكم الجنائي في التشريعين المصري واللبناني ـ تأليف الدكتور عمر السعيد رمضان استاذ القانون الجنائي المساعد بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٨٨ صفحة و٨ صفحة باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان ببيروت .

● حق الدولة في العقاب : نشأته واقتضاؤه وانقضاؤه ـ تأليف الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصيفي استاذ القانون الجزائي بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية ـ ٣٠٨ صفحة و٨ صفحة باللغة الايطالية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان ببيروت .

● بنات الهديل ـ مجموعة شعر باللغة العامية ـ راجي عشقوتي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ مطبعة صادر ببيروت .

● سيرة شكري حنا شماس : حياة صراع وانتصار ـ تأليف ادفيك جريديني شيبوب ـ تقديم خليل رامز سركيس ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع الخال ببيروت .

● ابو تمام الطائي : حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية ـ تأليف كوركيس عواد وميخائيل عواد ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● القبا والشيخاني : دراسة في التراث الموسيقي الشعبي ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ تقديم محمد كامل القدسي ـ ٩٢ صفحة ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● عبد السلام العجيلي : دراسة نفسية في الوصف القصصي والروائي ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ طبعة ثانية ـ ١٢٠ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من ملامح وادي الفرات في القديم والحديث ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بسورية ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ (صدر في دير الزور بسورية) (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المسافر والدليل ـ جولة مع ديوان المسافر للدكتور رزوق فرج رزوق ـ تأليف سالم علوان الجلبي ـ ٥٨ صفحة ـ دار الطباعة الحديثة بالبصرة العراق .

● اعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ـ تأليف خليل مردم بك ـ قدم له وحقق حواشيه عدنان مردم بك ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات لجنة التراث العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو محمد البطال ـ تأليف يحيى محمود ساعاتي ـ تقديم عبد العزيز الرفاعي ـ ٤٨ صفحة ـ الكتاب رقم ٥ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالملز بالرياض السعودية .

● مؤلفات محمد تيمور ـ تقديم محمود تيمور ـ الجزء الاول ـ وميض الروح ـ الطبعة الثانية ـ ٤١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المكتبة العربية ـ منشورات وزارة الثقافة المصرية ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين ـ تأليف صاحب كمر ـ تقديم الدكتور داود سلوم ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد .

● وعلى الدنيا السلام .. ـ رواية ـ تأليف ذو النون ايوب ـ صمم الغلاف مصطفى الحلاج ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حكايات جدتي ـ تأليف ناجية ثامر ـ تصوير ايفون واشنكو ـ ٤٤ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة التونسية للتوزيع بتونس ـ طبع بمصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع بتونس .

● نبوءة في زمن الاحجار ـ مجموعة شعرية ـ نبيل احمد ـ تقديم بلند الحيدري ـ ١٤٤ صفحة ـ مطابع المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ببيروت .

● ٧ اشهر في الاتحاد السوفياتي : مذكرات موفد حكومي سوداني تأليف الدكتور ياسين صادق ـ ٦٤ صفحة ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

عبر تناوله نصا تاريخيا لا مناص له من التأكد من صحة النسبة لكاتبه» ثم يريد له ان يكون ذا منهجية ومعيار سليمين كما يريد له ان يكون موضوعيا جادا بحيث « تكون الجدية لديه طريقا بنحو يمنح الاشياء بعدها الحقيقي » ، وهذا الرأي مما لا شك فيه هو الخط الذي يسير فيه الناقد الناجح بنظرة دقيقة ورأي ثاقب .

كما انه تطرق الى دراسة « النقد والسيرة » و « النقد والسيكلوجيا » و « النقد والايدلوجيا » وبحث كلا من هذه المواضيع على حدة ، وناقش ما ورد فيها من آراء ... ولا ادري ما الذي حدا بالاستاذ البستاني الى ذلك وما منعه من دراستها جميعا تحت عنوان واحد . افلا يرى معي ان السيرة انعكاس عن السيكلوجيا والايدلوجيا، كما ان السيكلوجيا ذاتها ترتبط بالايدلوجيا ارتباطا وثيقا .. فسيرة اديب ما وسيكلوجيته رافدان يستقيان من منبع واحد وهو اتجاهه الفكري او (الايدلوجي) كما يسميه المؤلف .

ومهما يكن من امر فلعل للاخ السيد البستاني رأيا فيما كتب وذهب اليه ، ربما يتفق معه كثير من الناقدين وربما يختلفون عنه . غير اني لا انكر ان الكتاب بما ضم من مواضيع نقدية جهد مشكور وثمرة طيبة في النقد النظري آمل ان تؤتي اكلها كل حين باذن ربها .. وليس ما ذكرته من ايراد سوى رأي متواضع في هذا المضمار .. « ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه »

وتحية تقدير واعجاب للاخ البستاني بنتاجه البكر وشكرا على هديته الكريمة ...

النجف ـ العراق — محمد رضا آل صادق

البنك العربي (المحدود)

انشئ سنة ١٩٣٠

اطّرادٌ في النموّ، ودعمٌ متزايدٌ للاقتصاد العربي،
وموجودات تبلغ مليارًا ونصف المليار من الليرات اللبنانية

البنك العربي المحدود

الميزانية العامة كما هي في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

الموجودات	١٩٧١ دينار اردني	١٩٧٠ دينار اردني
نقد في الصندوق والبنوك	٧٩،٧٤٣،١٥٢	٧٣،٠١٨،٦٦٤
سندات مالية (حكومية وغيرها)	٩،٨٩٤،٤١٤	٥،٨٨٤،٩٢٤
استثمارات (بما فيها مؤسسات تابعة)	٢،٠٤٩،٢١٨	١،٨٣٠،٩٣٧
أوراق مخصومة	٥،١٥٠،٢٧١	٥،٣٦٥،٥٥٤
حسابات مدينة	٣٨،٣٥٢،٨٨٣	٣٧،٥٠٤،٣٦٢
عقارات (بعد الاستهلاك)	١،٢٢٣،٨٨٦	١،١٨٤،٢٦٩
أثاث (بعد الاستهلاك)	٤٦٩،٣٨٠	٤٥٩،٣٤٨
موجودات اخرى	٤،٧٧٨،٨١٢	٥،٢١٩،٧٤٤
تعهدات العملاء: مقابل كفالات واعتمادات وكمبيالات مقبولة (له مقابل)	٢٩،١٥٩،٦٩٦	٢٠،٣١٨،٠٠١
مجموع الموجودات	١٧٠،٨٢١،٧١٢	١٥٠،٧٨٥،٨٠٣

المطلوبات	١٩٧١ دينار اردني	١٩٧٠ دينار اردني
ودائع وحسابات اخرى	١٢٥،٥٠١،١١٩	١١٤،٨٧٩،٩١١
رأس المال المدفوع كاملاً: ٥٥٠،٠٠٠ سهم (القيمة الاسمية للسهم الواحد ١٠ دنانير)	٥،٥٠٠،٠٠٠	٥،٥٠٠،٠٠٠
الاحتياطي الاجباري	٢،٧٧٠،٠٠٠	٢،٦١٠،٠٠٠
الاحتياطي الاختياري	١،٠٠٤،٣٩٧	٧٤١،٢٠٥
الاحتياطي الخاص (للديون المشكوك فيها)	٦،٠٠٠،٠٠٠	٥،٨٥٠،٠٠٠
صافي الارباح للتوزيع	٨٨٦،٥٠٠	٨٨٦،٦٨٦
كفالات واعتمادات وكمبيالات مقبولة (له مقابل)	٢٩،١٥٩،٦٩٦	٢٠،٣١٨،٠٠١
مجموع المطلوبات	١٧٠،٨٢١،٧١٢	١٥٠،٧٨٥،٨٠٣

الدينار الاردني يساوي ٨٧٥ قرشاً لبنانياً تقريباً

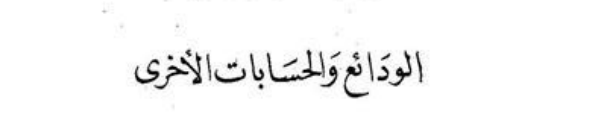
البنك العربي (في الخارج) المحدود

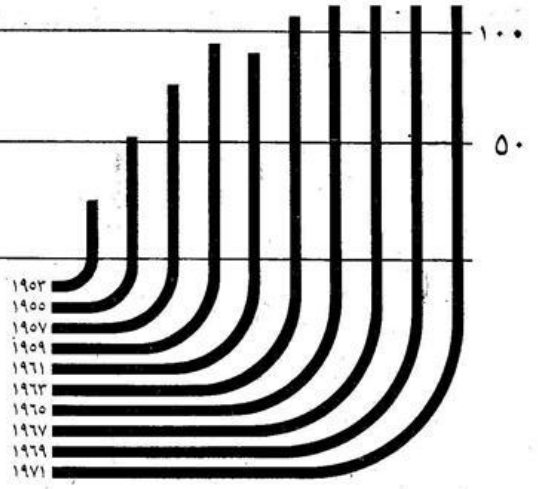
الميزانية كما هي في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

الموجودات	١٩٧١ فرنك سويسري	١٩٧٠ فرنك سويسري
النقد في الصندوق ولدى البنوك	٤٧٣،٥٨٣،٩٣١	٤٤١،٢٤٨،٨١٣
كمبيالات مخصومة	٦،٦٤٨،٧٦٨	٤،٩١٠،٠٧٤
حسابات مدينة للعملاء	٣٩،٧٢٤،١٧٢	٣٢،٤٩١،٢٤٢
سلفيات مقابل رهن	—	٩٠٠،٠٠٠
سندات حكومية	١٦،٧٤٢،٣٦٢	٥،٩٠٢،٧٦٢
موجودات أخرى	١،٠٠٢،٣٢٨	١،٢٦٩،٥٦٧
مجموع الموجودات	٥٣٧،٧٠١،٥٦١	٤٨٦،٧٢٢،٤٥٨
تعهدات العملاء مقابل كفالات واعتمادات (له مقابل)	٦،٥٦٦،١٦١	٩،٢٠٢،٧٢١

المطلوبات	١٩٧١ فرنك سويسري	١٩٧٠ فرنك سويسري
الودائع	٤٩٥،٣٥٤،١٠٧	٤٤٧،٣٨٠،٦٧٨
مطلوبات أخرى	٢،٧١٧،٢١٥	٢،٣١٦،١٦٠
رأس المال والاحتياطيات		
رأس المال (المدفوع كاملاً)	٢٦،٤٠٠،٠٠٠	٢٦،٤٠٠،٠٠٠
الاحتياطي القانوني	٣،٥٠٠،٠٠٠	٣،٢٥٠،٠٠٠
الاحتياطي الخاص	٩،٠٠٠،٠٠٠	٧،٠٠٠،٠٠٠
ارباح مدورة	٧٣٠،٢٣٩	٣٧٥،٦٢٠
مجموع المطلوبات	٥٣٧،٧٠١،٥٦١	٤٨٦،٧٢٢،٤٥٨
كفالات واعتمادات (له مقابل)	٦،٥٦٦،١٦١	٩،٢٠٢،٧٢١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



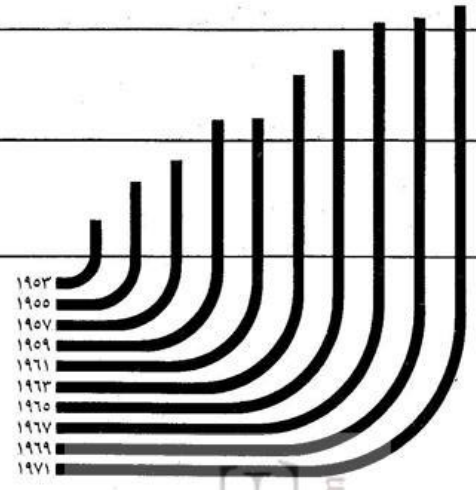


الموجودات والودائع :

زادت موجودات البنك العربي المحدود من **١٣٢٠** الى **١٥٠٠ مليون ليرة لبنانية** أي بنسبة **١٣ ٪** ، كما سجلت الودائع رقماً قياسياً جديداً حيث انها زادت بنسبة **٩٪** فبلغت **١٠٩٨ مليون ليرة** بعد ان كانت **١٠٠٥ ملايين ليرة** .

السيولة :

من سياسة البنك العربي ان يحافظ على نسبة عالية من السيولة (نسبة النقد والارصدة بالبنوك الى الودائع) . فقد بلغ معدل هذه النسبة **٦٣ ٪** في نهاية عام ١٩٧١ . ولو اخذنا بالاعتبار السندات الحكومية والاسهم التي تعتبر اموالاً سائلة لارتفعت نسبة السيولة الى نحو **٧٠ ٪** .

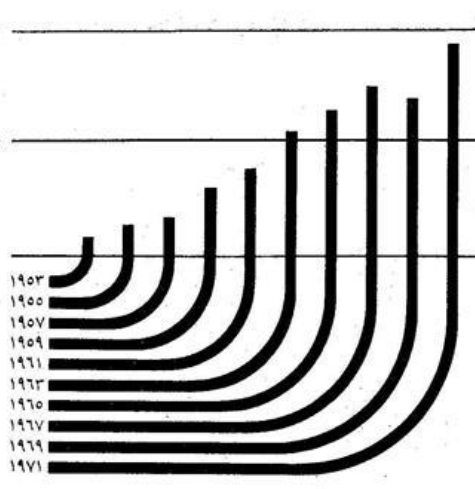


الايرادات والأرباح :

بلغ مجموع الايرادات لعام ١٩٧١ ما يعادل ٨٠ مليون **ليرة لبنانية** . كما بلغ الربح الصافي نحو ١٣٫٦ مليون ليرة لبنانية خصص منه للاحتياطيات المختلفة نحو **٦** ملايين ليرة لبنانية ووزع على المساهمين ٧٫٥ **مليون ليرة لبنانية** (بمعدل ١٦ ٪ من القيمة الاسمية للسهم) .

في لبنان أرقام قياسية جديدة :

استمر البنك العربي في نشاطه ونموه محتفظاً بمنزلته الاولى ومركزه المرموق . فقد قاربت ودائعه في لبنان الخمسمائة مليون ليرة لبنانية بالرغم من المنافسة الشديدة .



فروع جديدة :

باشر فرعان جديدان اعمالهما في صنعاء والحديدة (الجمهورية العربية اليمنية) في اوائل عام ١٩٧٢ . وسيفتتح قريباً فرعان آخران احدهما في عجمان والآخر في رأس الخيمة (بالاضافة الى الفرع الذي يعمل فيها منذ مدة) .

البنك العربي (في الخارج) - سويسرا :

زادت موجودات البنك العربي (في الخارج) على **٥٠٠ مليون فرنك سويسري** (زيادة ١٠٫٤ ٪ عن السنة السابقة) وبلغ رصيد أرباحه الصافية ما يقرب من **٣ ملايين فرنك** خصص منها **٢٫٢٥ مليون فرنك** للاحتياطيات ودوّر الباقي لعام ١٩٧٢ .

فروع البنك العربي المحدود

المملكة الاردنية الهاشمية : عمان - شارع الحطة (عمان) - جبل اللويبدة (عمان) - الزرقاء - إربد - العقبة - الشونة الجنوبية* - السلط - الكرك - جرش* - المفرق - رام الله* - طولكرم* - جنين*

فلسطين : غزة*

الجمهورية اللبنانية : بيروت - رأس بيروت - طرابلس - باب التبانة (طرابلس) - بحمدون

المملكة العربية السعودية : جدة - الرياض - الدمام - الخبر - مكة المكرمة - القطيف

قطر : الدوحة

البحرين : المنامة

الشارقة : الشارقة

دبي : الديرة - دبي

أبو ظبي : العين - أبو ظبي

رأس الخيمة : رأس الخيمة

الجمهورية العربية اليمنية : الحديدة - صنعاء*

الجمهورية التونسية : تونس

المملكة المغربية : الدار البيضاء - الرباط

* فرع مقر موقت

فروع في طور التأسيس

عجمان : عجمان

رأس الخيمة : فرع ثان

مؤسسات تابعة

البنك العربي (نيجيريا) المحدود

نيجيريا : لاغوس - كانو - أبابا

البنك العربي (ش.م.م.)

المانيا الغربية : فرانكفورت - مينز

البنك العربي (في الخارج) المحدود

سويسرا : زوريخ - جنيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجلس الإدارة

الرئيس

السيد عبد الحميد شومان

نائب الرئيس

السيد عبد المجيد شومان

الأعضاء

السيد سليمان طنوس — السيد كمال رشيد جبر

السيد محمد ياسين التلهوني — السيد خالد شومان

السيد أمين شاهين — السيد عبد الوهاب شيخ
ممثل وزارة المالية والاقتصاد الوطني (المملكة العربية السعودية)

السيد محمود محمد بيضون — السيد بدر خالد البدر

الكوستير

السيد راتب دروزة

ارقام الهاتف – بيروت ٢٥٠٢٤٠ / ١٠ خطوط ٩/٢٥١١٥١ خطوط



محمود تيمـور

محمود تيمور .. في ضميرنا الادبي

بقلم الدكتور سيد حامـد النساج

* * *

تعودنا في كثير من الاحيان ، ان يكتب اديب شاب عن زميل له شاب او ان يحاضر ناقد متمرس في موضوع يتصل بعالم كبير او أديب له من الانتاج الفني ما يحتاج الى اكثر من محاضر ، في اكثر من جانب مـن جوانب أدبه وفنه وفكره وحياته .

بمعنى ان الاقربين سنا ومرحلة حياة وقطاع عمر ، وربما طبقـة وثقافة وقرابة لون من الوان الفنون ، هـم احق الناس ـ في الاغلب الاعم ـ بالحديث عن رفاقهم في الطريق ، او اقرانهم في الفن ، و اصدقائهم في الحياة او النضال او المكايدة والمعاناة .

وقلما الفنا ناقدا شابا يتحدث ويكتب بحب واجلال وشغف عـن اديب تجاوز الخامسة والسبعين بثلاثة اعوام . وليس ذلك فقط ، بل ان الفارق الكبير في السن ، تستتبعه مجموعة اخرى من الفوارق التي لا تقل عنه قوة ووضوحا وتأثيرا وفاعلية .

فثمة فارق مادي ، واخر طبقي ، وثالث عقائدي ، ورابع فكري ، وكلها قادرة على ان تحدث فعلها في زيادة حدة الانفعال لا الاتصال ، وفي تعميق الخلاف لا الائتلاف ، وفي توسيع هوة الافتراق لا الاتفاق ، ممـا يوصد الباب امام أي أمل للالتقاء .

ومعروف ان محمود تيمـور نشأ في أسرة اكثـر مـا فيها الثـروة المادية ، والكتب الادبية واللغوية والفنية والعلمية والدينية ، الـى جانب النفوذ والجاه والسلطة ، وهي عوامل ساعدت علـى ان توضع هذه الاسرة في قمة البنيان الطبقي والسلم الاجتماعي .

ولا يخفى ان اباه العلامة المحقق احمد تيمور ، وعمته الشاعـرة عائشة التيمورية ، وأخاه الاديب القصصي المسرحي محمد تيمور . وقد وجد أديبنا الكبير داخل نطاق أسرته الرعاية الفنيـة ، والتوجيـه المعنوي ، والتقدير الذي يعزيه عن اعراض البيئة عن انتاجه ، كمـا وجد الثراء المادي يعوضه عن انتظار الكسب المادي من أدبه .

بينما ترعرعت في احضان الفقر : يهددني حينا بانقطاع النفقات الدراسية ، ويشاغلني حينا بالتوقف التام عن الدراسة ، ويداعبنـي حينا اخر بوفاة والدي وأنا بعد لـم استكمل دراستي الثانويـة ويكافئني اخيرا بأشقاء صغار ، وشقيقات صغيرات في حاجة الى والي، وانا بعد لم أتجاوز العشرين .

انها بيئة اظهر ما فيها الالم المستمر ، والبؤس المتصل ، والشقاء العظيم ، واكثر ما يشغلها التفكير الدائم ، والبحث الشاق عـن قوت الغد ، وكيفية العثور على لقمة العيش .

وجعلتني هذه الحياة استشعر حقيقـة المأساة التـي تعيشها الطبقات الفقيرة والمطحونة في أي مجتمع . وكان طبيعيا ان تقود تلـك الظروف خطاي الى الاطلاع على كل مـا يتصل بالفكر الذي يؤمـن بضرورة البحث عن حل جذري يستهدف اتاحة الحيـاة الكريمـة ، والعدالة الاجتماعية ، والمساواة الاقتصادية بين العاملين . والـذي يستشرف لغد امثل يعيشه الناس جميعا على المستوى العالمي بـلا صراع ودونما تناقض او تطاحن .

كما حول ظلام البؤس عينـي عـن قراءة الادب الذي يمجد البورجوازية ، ويصف حياتها ، ويصور قيمتهـا ، ويجسد سلوكها ويحتفي بتقاليدها ويطالب باحتذائهـا ومحاكاتهـا . وانعطفت نفسي بالوعي الى الادب الواقعي الذي يرتبط بالمجتمع وقضاياه ومشكلاتـه وآلامه . والذي يؤدي وظيفة عضوية حيوية ، بحيث يساعـد على ان تسير الحياة الاجتماعية وفق مبادىء العدل والحـق والخير والشرف والانسانية ومكافحة شرور الاستبداد والفاقة والخبث واللارحمة .

واتخذت حماستي للادب الواقعي شكلا عدائيا للادب الرومانسي الصادر عن كتاب بورجوازيين ، يعيشون حيـاة تختلف عـن حيـاة الجماهير ، ويفكرون تفكيرا خاصا ، ويتطلعون تطلعات معينة ، يسعون بالوعي او باللاوعي نحو تحقيقها ، تضيق آفاق الرؤية امامهم ، نتيجة تأملهم الذاتي المقترن بفوضى التفكير المنفصل عـن حركـة الواقع ، ولدورانهم في محيط الفردية التي تتحول الى تمركز حول « الذات » و « الانـا » ..!

وفي دراستنا الادبية بالمرحلة الثانوية قدمت لنا قصة من قصص اديبنا الكبير محمود تيمور ، كنموذج للقصة القصيرة المكتملة ، التـي تتوفر فيها الاسس البنائية ، والخصائص الفنية . ووجدتني أسارع بتحليل القصة ، ونقدها ، واستبطان مضمونها ، علـى اساس انهـا صادرة عن كاتب ارستقراطي ، ينتمي الى الطبقة البورجوازية التـي اتردد الف مرة ومرة قبيل أن اقبل على قراءة عمل من اعمالها .

وتصادف اني في مساء ذلك اليوم عثرت عـلى احدى المجلات ، وكانت تنشر تحقيقا صحفيا مع كاتبنا ، تناول ثروته على الخصوص ، وطريقة زواجه الارستقراطي ، ونمط حياته ، واسلوب معيشته ، منذ كان شابا . وطالعت صوره وافراد اسرته واحفاده ، كما عرفت مـن التحقيق عنوانه . ولعل اوضح ما اثارني واستفزني ان التحقيق كلـه كان يدور حول تأكيد فكرة « الاديب » الواسع الثراء !

فلم انتظر حتى يجيء الصباح ، وانما خططت له رسالة نقدية ـ اعترف ان بها كثيرا من القسوة ـ تناولت تلـك القصة بالتحليل ، وأبديت رأيي بطبيعة الحال ، ثم ختمت الرسالة بتساؤل عن مـدى واقعية القصة ، وصدق الكاتب في تصوير الحدث ومعالجـة الموضوع ومعايشة الشخصية .

والحق اني فوجئت اذ تلقيت ـ وانا في اعماق قريتي البعيدة عن العاصمة ـ بعد ايام قلائل رده المهذب الذي يبدي فيه احترامه لرأيي وتقديره لوجهة نظري . وان اختتمه بنصيحة مؤداها الا اجعل الادب

● هذه المحاضرة كتبها الاستاذ الناقد الاديب الدكتور سيد حامـد النساج المنتدب استاذا لكرسي الادب العربي في جامعة « وهران » في الجزائر ، وقد القى المحاضرة في مدينة « فاس » بالمغرب في ١٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٢ وأعاد القاءها بعد ذلك في مدينة « تطوان » .

شغلي الشاغل ، وان ابتعد عن التفكير في جعله مهنة أتعيش منها .

لكني لم التفت لهذا النصح ، ولم اكتف بتلك القصة ، وانما رحت افتش في مكتبة المدرسة عن مجموعات قصصية ، او روايات طويلة له . واذكر اني صادفت آنذاك « كل عام وانتم بخير » و « الشيخ عطا الله » و « مكتوب على الجبين » و « احسان لله » و « فرعون الصغير » و « قلب غانية » . وعكفت على التهام هذه المجموعات ، متأملا قصصها ، متفهما احداثها ، متعرفا الى شخوصها ، ثم معايشا الموضوعات التي تدور حولها .

وادهشني للوهلة الاولى اني لم اشعر ان الكاتب يريد من قصصه ارضاء فضول طبقته ، بالتعبير عن اهوائها واغراضها ، عن طريق تقديم صورة لحياتها اللاهية العابثة التي تحياها ، او لحياة اكثر لهوا وفجورا وعبثا تتمنى ان تعيشها . فلم يكن حريصا على ان تحمل قصصه في اعطافها كل الملامح والصفات والقيم التي تعتنقها الطبقة البورجوازية ، ارضاء لها من جانب ، وتلهية للجمهرة القارئة من ابناء قوى الشعب حتى لا يفكروا في قضاياهم الاساسية ومشكلات حياتهم اليومية من جانب اخر ، ثم استدرارا لاموال الجمهرة القارئة من جانب ثالث ...

وبدا لي كاتبا لم يهلك متسمما بثناء البورجوازية عليه ، لانه لم يهدر مواهبه في كتابة قصص هينة هدفها ايقاظ الغرائز الحسية لاصحاب الدخول الثابتة الذين يقرأونها عقب وجباتهم الدسمة .

ومنذ ذلك الحين عزمت على الاتجاه الجاد نحو دراسة القصة القصيرة ، مستهدفا معرفة الدور الذي تلعبه في تصوير المجتمع وحاجاته وقيمه . واضعا في اعتباري ان المجتمع متغير متطور متحرك ، وهو في حركته وتغيره وصيرورته ، في حاجة الى الفن الذي يحتضن ادق جزئيات حياة الفرد داخل المجتمع ، ويبرز الواقع كحقيقة متحركة ومتطورة ، ويكون نتاج فاعلية الانسان ، وردود الفعل التي تنعكس في وجدانه .

وتبين لي ان القصة القصيرة هي الفن الذي يعطينا الواقع في نسيجه الدقيق ، وفي تعقد اللحظة الزمنية ، وفي تفتيتها في وقت واحد . الى جانب انها نوع من الكتابة الفنية الذي يثابر بالاحداث اليومية في المجتمع ، اذ تلتقط لحظة من اللحظات العابرة في حياتنا وتعمقها ، ثم تسير بها في مجرى واحد ينتهي باستكشاف معانيها والقاء الضوء على مغزاها . وان الاحداث الاجتماعية والاقتصادية والانسانية والفكرية تجد في هذا الفن خير صدى ، بما له من مرونة وطواعية وقدرة على مسايرة المجتمع في تطوره ونموه وفي حركته المتصلة المستمرة الصاعدة .

ومن ثم كان بعض الانعطاف نحو الاديب الذي بلغ مرحلة التخصص في القصة القصيرة ، حتى امتاز بها ، وقصر مباحثه عليها ، وتفرد فيها ، خاصة وان اختياره هو الاخر لفن القصة القصيرة لم يات عبثا او انقيادا لمدرسة فنية او اتجاه معين ، بل كان انجذابه اليها عن وعي بها ، وتفهم لرسالتها ، واستجابة نفسية عميقة .

بل انا نجده يتحدث عن القصة القصيرة حديث العاشق لها ، المغرم بهواها ، الذي يكن لها في قلبه كل حبه واحترامه ، ويشبهها بالحب الاول الذي تمكن من قلبه فلم يدع له فرصة لحب سواها ، يقول :

« لكن موقفي من القصة القصيرة كان كما يقول الشاعر :

أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

واظنني ما زلت على هواي للقصة القصيرة مصداقا لقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول (١)

وعلى هذا النحو التقينا على حب هذا الفن الجديد في ادبنا العربي . والاشتراك في حب الفن خير مذيب للفوارق ، وأيسر طريق للتعاطف ، واقرب وسيلة للاندماج ، لانه لا تشوبه شائبة من مصلحة ، ولا يعكر صفوه شيء من حقد وكراهية .

وكنت ارأسله بين حين وحين . واشهد انه لم يتخلف مرة واحدة في الرد علي ، واذا ما حال القصور المادي بيني وبين شراء المجموعات القصصية الخاصة به ، لم يتوان لحظة عن ان يمدني بما احتاجه من كتبه ومؤلفاته .

وصاحب اهتمامي بالقصة القصيرة صراعي من اجل البقاء ومواصلة الدراسة ، والانفاق على افراد الاسرة في آن معا .. وظللت أصارع في سبيل لقمة العيش جنبا الى جنب مع حرصي الشديد على ان اكون طالبا متفرغا بالجامعة وقد ساعدني على ذلك تفوق في الدراسة الثانوية ، هيأ لي الالتحاق بالجامعة وفضلا عن مجانية التعليم بالنسبة للمتفوقين علميا ، هناك مكافأة مادية شهرية تمنح لهم تكريما لامتيازهم ، فاعتبرتها والاسرة راتبا شهريا تعيش في حدوده ولا تتخطاه.

وشغلني جوع العقل الطامح في العلم ، وخواء المعدة الراغبة في كسرة خبز ، عن الكتابة لتيمور بعض الوقت . لكني كنت اتابع كتاباته وقصصه ومؤلفاته التي كانت تصدر تباعا ، بمثل ما كان يتذكرني بين لحظة واخرى ، فيهدي الي كتابا من كتبه ! وما ان بلغت الليسانس حتى طلب الينا ان يقدم كل منا بحثا في الادب العربي الحديث ، فاذا بي اختار « القصة القصيرة في ادب محمود تيمور » موضوعا لبحثي الذي حصلت به على تقدير « ممتاز » !

وتخرجت في الجامعة وانا بعد لم التق بتيمور وجها لوجه ، ولم اختلف اليه او اجلس معه . وكنت اخشى ذلك تماما . اذ لم اكن أتصور ما الذي يحدث عند لقاء ايجابي أتوقعه منذ اثنتي عشرة سنة . وكنت حتى ذلك الحين ، لا املك امكانيات تؤهلني للحكم على تيمور لان محيط بحثي الصغير تناول نماذج من قصصه في المرحلة الاخيرة من تطوره الفني ، بعد قبوله عضوا بالمجمع اللغوي عام الف وتسعمائة وخمسين . وكنت كلما سالت نفسي بيني وبين نفسي : هل عرفت تيمورا ؟ وجدتني أبادر بالاجابة صادقا مخلصا صريحا : لا !

فتيمور كاتب متعدد الجوانب ، ، يحتاج الى دراسات ودراسات، ويستلزم رسالة مفردة تدرس أدبه ، وفنون هذا الادب عنده ، والمناخ الفكري والثقافي الذي عاش فيه ، واسهامه العظيم في تطور الادب العربي الحديث ، ان في القصة القصيرة ، او في الرواية ، او في ادب المسرح ، او في ادب الرحلات ، او في الدراسات الادبية واللغوية التي عرف بها !

ويبدو ان كلمة « لا » لم تجيء فقط متفقة مع واقع تيمور الادبي وغزارة انتاجه ، وانما كانت ملائمة لمرحلة من حياتي شهدت زيادة فضولي ، وتاصل حب الاستطلاع لدي ، وعمق وعيي بالمجتمع ، وتشبث بالادب الذي يصور كفاحه لنيل حريته ورفع مستواه وتبصيره بمواطن القوة ومواضع الضعف ، وتمهيد السبيل الى تطوره ودفعه الى الامام في طريق التقدم الانساني .

كذلك فان الاجابة بـ « لا » و « الف لا » حتمتها طبيعة المرحلة التي كان مجتمعنا يمر بها ، حين شهد في عام ١٩٦١ بداية مرحلة جديدة كل الجدة ، تناولت بالتغيير كثيرا من الدعائم والركائز التي كان يستند اليها ، ونقلته من محيط الثورة السياسية ذات الاهداف المحددة والمركزة ، الى عالم الثورة الاجتماعية والاقتصادية التي لا يقف تأثيرها عند حد معين ، وانما يمتد فيشمل العلاقات التي تسود ، والقيم الاخلاقية والاجتماعية ، والنظم ، والقوانين الدستورية، والمؤسسات الانتاجية ، واساليب ممارسة الحياة ، والثقافة ، والفكر، والبناء الطبقي ، والتنظيم السياسي ، بمعنى ان دور الثورة الاجتماعية كان قد بدأ بالفعل بعد تراجع الاستعمار وهزيمة الحصار

١ ـ « ظلال مضيئة » ـ محمود تيمور ـ مكتبة النهضة المصرية ط١ ١٩٦٣ ص ١٧٣ ـ ص ١٧٤ .

الاقتصادي ، اذ انفسح المجال امام معركة العدالة الاجتماعية .

وكان هذا الواقع الجديد يحتاج فيما يحتاج الى الكاتب الذي يحس بانه مسؤول امام مجتمعه . وانه امامه ، يقوده ويرشده ويوجهه وينشد صلاحه وخيره ، ويستنهض سواد الناس ويبصرهم بحقوقهم .

واغراني الوضع الاجتماعي الجديد بتتبعه والكتابة عنه ، كما شدني تيمور الذي لم اشف غليلي بعد منه باستكمال التعرف اليه واصدار كلمة فيه . بمثل ما استهوتني بقوة القصة القصيرة فن العصر وقلبه الخفاق ونبضه الحق المتدفق . وكانت الغلبة لها ولتيمور ، من حيث ان العلاقة بينهما علاقة تلازم ووجوب . فانتهيت الى تقرير دراسة تجمع بين الرفيقين . وكاني أردت بذلك ان اضرب عصفورين بحجر واحد .

ورأيت ان اتتبع الخطوات الفنية التي مر بها فن القصة القصيرة منذ نشأته حتى استوائه ونضجه عند محمود تيمور ، على ان اتقدم بهذه الدراسة لنيل درجة علمية جامعية بعد الانتهاء منها .

واصبح لا بد مما ليس منه بد . فلم يعد ثمة مجال للانتظار . وغدا السعي نحو الالتقاء به امرا تحتمه الضرورة العلمية ، وتفرضه طبيعة البحث ، ولم لا وهو « رفيق القصة القصيرة ، استهوته في بواكير صباحا فسايرها ، ومارس تجاربها ، وتذوق حلوها ومرها واحس ضعفها وقوتها ، وكابد معها ما لقيت في طريقها من محن ، وما وقعت فيه من اخطاء ، وما تهدف اليه من اغراض » . (٢)

ورغم ذلك فاني بقيت لفترة اخشى من المفاجأة ، واحسب لها الف حساب ، واطرد صورتها من خيالي . وظللت على هذه تصطرع في اعماقي عوامل شتى : بعضها نفسي ، واغلبها فكري ، واقلها اجتماعي ، واعظمها طبقي حاد .

وفي الخامس عشر من شهر ديسمبر ١٩٦٢ يوم الاحتفال بعيد العلم ، كنت اقف ضمن طابق طويل من المتخرجين في الجامعة ، نحضر تكريم الدولة للعلم والعلماء ، والادب والادباء ، والفن والفنانين ، ابتداء من اصغر تلميذ في المرحلة الاعدادية ، وانتهاء بابرز الكتاب واشهر الاعلام في كل فرع من فروع المعرفة الانسانية . واذا بي ارى تيمورا وهو يمنح وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ، تقديرا لدوره في تطور الادب الحديث ، وفن القصة منه بصفة خاصة . وهكذا التقينا دون ان يشعر احدنا بالاخر . في لحظة تجمع بين الجيل الرائد ، والجيل الجديد الصاعد ، بين الذين عاشوا واقعا مفروضا بالقوة ، وبين هؤلاء الذين يتفون تغيير واقعهم .

وكان كل شيء في القاعة يؤكد ذوبان الفوارق الطبقية والمادية والاجتماعية فالاضواء تسلط على الجميع بلا استثناء ، لانهم متفوقون ونابغون وممتازون ، في كل ميدان تخصصه . تحطمت كل السدود المنيعة ، والحواجز الصلبة ، والحيطان العالية ، التي تفصل الانسان عن اخيه الانسان ، والتي تفتت انسانية البشر ..

هذا هو محمود تيمور ، وها أنذا . هو من اجل ريادته في الادب ، وانا بسبب تخصصي وتفوقي في الادب الذي اشار علي بالابتعاد عنه ، وعدم الاقتراب منه . ولا شك ان هذه اللحظة التي احتفلت بلقائنا الروحي ، خففت من حدة القلق والتردد والخوف والتوتر الذي انتابني .

وعندئذ عقدت العزم على اقتحام عالمه بشكل او باخر . فكتبت له رسالة اهنئه فيها ، واذكره بنفسي ، واطلب تحديد موعد للقاء ، بعد ان عينت له السبب الكامل من وراء رغبتي تلك . وكعادته دائما وافاني برده العاجل ، مستجيبا مرحبا .

وفي طريقي اليه ، قطعت المسافة من القرية الى العاصمة مفكرا فيما يمكن ان يقال او يثار في جلستنا ، متوقعا لها ان تطول وتطول ، لما توهمته من خلاف في الرأي ، وتباين في المذهب ، وتناقض في العقيدة ، وما شابه ذلك ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، لان الجلسة لم تطل ، وكان همزة الوصل بيننا ذلك البحث الذي حملته معي واهديته اياه ، فتقبله شاكرا جهدي .

ولست ادري ما سر الدافع الذي جعلني ـ وانا جالس معه ـ استشعر لاول وهلة تشابها معينا بين تيمور وبين اديب روسيا تولستوي . الذي نبت في احضان قصر ريفي كبير كان والده يملكه في ضيعة « ياسنايا بوليانا » باقليم « تولا » في روسيا . وهو الاخر ينتسب الى أسرة من الاسرات الروسية عريقة الحسب والجاه ، يرجع اصلها الى القرن السادس عشر . وتبادر الى ذهني حلم تولستوي في ثورة من الداخل ، مؤسسة على الضمير الذي لا يتزعزع . ناتجة عن تخلي الاثرياء عن ثرواتهم ، والمتبطلين عن بطالتهم طوعا واختيارا ، واعادة تقسيم العمل توا على المعنى الحقيقي الطبيعي الذي جعله الله: الا يجور احد على عمل آخر ، وان يكون لكل مثل ما لغيره من الحاجات .

انها ثورة نفوس لا ثورة ايدي ، تمكن كل انسان من ان يعيش من عمل يديه فقط . وهذا يفسر لنا كيف انه تنازل عن لقبه وضيعته الواسعة التي ورث فيها ثلاثة آلاف فدان ، وثلاثمائة من الفلاحين ، فوزع عليهم الارض ، وعكف على تعليمهم . يأكل مما يأكلون ، ويرتدي من الثياب ما يرتدون ، ويرتق حذاءه بيده . فقد شغل بأعمال الخير ، والتزم البساطة المتزايدة في عيشته وحياته .

وكاني وانا اتامل صفحة وجه تيمور ، واتابع كلماته القلائل ، واضبط تعبيراته واراقب انفعالاته الهادئة ، كنت اقرأ قصة اشهر ادباء روسيا في عصر القيصر وابعدهم تأثيرا في نفوس الملايين من الناس ، فكلا من تولستوي وتيمور يتميز بنقاء الفكر ، واعتدال المذهب ، والاعتكاف ، والهدوء ، والبعد عن الاشتراك في الحركات السياسية العنيفة ، وكلاهما اقرب انتماء الى الحب والتعاطف واشدهم نفورا من الشغب والضوضاء والجلبة والمقاومة العنيفة للنظام الاجتماعي .. غير اني سرعان ما طردت هذه الخواطر مؤثرا عدم التسرع في الحكم . فبقدر ما هنالك من دلائل الانسجام في الطباع والميول والرغائب وحب الخير والانسانية ، هناك غير قليل من التوافق في العقيدة والمبدأ والايمان والسلوك .

ثم دار بيننا حديث قصير حول موضوعات متعددة ، ليس من بينها ابدا ما كنت انوي الاستفسار عنه . وربما اكون قد آثرت معرفة كل ما يتصل بأدبه وفكره من تحليلي لانتاجه ، فهو الاقدر على كشف الملامح ، وابراز العلائم والتفاصيل ، وتوضيح ادق الخوالج والتعابير . وقد احسست ان شخصية تيمور كانسان وفنان اقدر على الحديث عن نفسها في الفن قبل أي شيء آخر ، ففضلت التزام هذا الطريق وحده للانتهاء منه اما الى قبوله رائدا واستاذا وصديقا عزيزا مفضلا ، واما الى رفضه كاتبا وفنانا مهما بلغ شاوه وعلا صيته .

وتشهد السنوات الثلاث التي اعقبت ذلك اللقاء اننا لم نلتق الا لماما وفي منتدى عام ، وربما لا تتعدى المرات التي رأى فيها كل منا الاخر عدد اصابع اليد الواحدة ، فقد اجتمعنا مرة في نادي القصة ، واخرى بادارة المجلات بوزارة الثقافة ، وثالثة في المجلس الاعلى للفنون والاداب ، ورابعة في نقابة الصحفيين ، وخامسة في لقاء ثقافي كانت تعقده وزارة الثقافة بين الادباء الكبار والجمهور ، وكان تيمور هو موضوع الحلقة .

اما ما عدا ذلك فاني احببت اعمال اديبنا التي كان ينشرها في الصحف والمجلات منذ بداية عهده بالكتابة الادبية ، والفت مؤلفاته التي بلغت السبعين : منها خمسة وعشرون مجموعة قصصية ، وعشر روايات ، وست عشرة مسرحية ، واربعة في ادب الرحلات ، ومثلها تتضمن خواطره ، واحدى عشرة دراسة ادبية ولغوية وهو انتاج يدل

٢ ـ « دراسات في القصة والمسرح » ـ محمود تيمور ـ مكتبة الآداب ١٩٤٥ ص ١٢١ .

دلالة واضحة على ان تيمورا كتب القصة قصيرة ، ومطولة ، وكتبها للقراءة وللمسرح . واستلهم في كتابتها روح العصر مرة ، واحداث التاريخ مرة ، وطوف بالمدينة احيانا ، وبالريف احيانا ، وبالبادية اخرى . ومشى في دروب الواقع خطوات ، وحلق في آفاق الخيال شاوا بعد شاو . واستجاب لهواتف شتى من مسرات واحزان ، وخلا من سرائر النفوس ما استطاع ان يجلو . وعالج من مشكلات الحياة ما تيسر له ان يعالج .

ويلاحظ الدارس لتيمور انه كان في بداية حياته الفنية يعمل جهد استطاعته على رسم صورة امينة للحقيقة التي كان يراها . فنقل شخوصه عن الواقع نقلا ، والتزم الدقة في هذا النقل ، وحاول ان تكون موضوعاته من العالم الذي يعيش فيه ويتاثر به . ولم تسيطر عليه فكرة معينة آنذاك نحو تصوير الخير فقط ليتمثل به الناس ويحتذوه ، او تجسيد الشر وحده ليبتعد عن ارتكابه الخلق ويحتقروه، ولكنه حاول تصوير الحقيقة الموجودة .

جنبا الى جنب عاش في قصصه افراد الريف الفقراء ، وابناء الطبقات الشعبية التي تعيش في الاحياء الوطنية من المدينة ، وشخصيات من البيئة الارستقراطية بما كانت تتمتع به من ثروات وقيم هابطة في كثير من الاحيان . وينوع تيمور في وصفه لشخوص البيئات الشعبية والريفية ، فيقدم شخصيات سوية ، واخرى شاذة في سلوكها غريبة في تصرفاتها ، كما يكشف عن شخصيات تكمن في اعماقها بعض القيم ، ليوضح انها وان كانت تعيش في بيئة تسيطر عليها ملابسات اقتصادية ضيقة ، الا انها تتشبث باهداب مثل عليا وقيم اجتماعية يندر وجودها في البيئة الارستقراطية .

ونراه في تصويره للطبقة الارستقراطية في المدينة يركز على عيوب تلك الطبقة ، ويظهر امراضها ، ويجسد مساوئها . ففيها توجد مجالس اللهو ، وينتشر الوباء والتزلف ، ويتوفر المتحذلقون والمتعاظمون والمغرمون بفضح عيوب الناس وخفاياهم ، فيكون ذلك ذريعة لستر عيوبهم هم . وغير هذا كثير مما أجاد وصفه وتصويره اجادة بالغة لم تكن متوفرة لغيره ممن لم يندمج في مثل طبقته اندماجا كليا .

وعندما يتناول تيمور هذه الطبقة الثرية ماديا ، المسيطرة اداريا وسياسيا ، المستعلية اجتماعيا ، انما يبغي من وراء ذلك تبيان التباين الفاضح بينها وبين غيرها من الطبقات الشعبية الفقيرة ، واستكناه عدم التوافق الاجتماعي الذي ساد العلاقات الاجتماعية . وربما غلف تقديمه لشخوص هذه الطبقة الارستقراطية نوع من عدم الاشفاق عليها ، والكراهية لها ولما تتمسك به من عادات وتقاليد . وتقديمه لشخصية « سلامة افندي » في قصة « هي الحياة » (٣) خير شاهد على ما نقول.

ويدل اختياره لنوعية الشخوص على موقفه من هذه الطبقة . ذلك ان معظم الشخوص التي ينتخبها مصابون بداء العظمة القاتلة لا مشتهى لهم في الحياة غير الزينة والملبس . يتعلقون بأوهام تافهة ، ويضيعون وقتهم عبثا ، ولا قيمة لهم في دفع المجتمع وتطوره والنهوض به ، كما يريد تيمور ان يقول . و « شفيع بك » في قصة «المفغل» (٤) نموذج قوي لذلك .

وثمة ظاهرة تجد تيمورا يتميز بها دون غيره من الكتاب الرواد في هذا الفن . تبدو من تناوله للشخوص الشواذ الذين ينتمون الى طبقات دنيا ، ويرتكبون آثاما وجرائم ، فهو انما يعالجهم معالجة العطوف عليهم ، الشفوق على ما طرأ على حياتهم وافعالهم من ظروف خارجة عن ارادتهم ، فجعلتهم يسلكون سبلا غير مشروعة . وغالبا ما يقول في هذا الصدد : « لا اقسو على ضعيف مال به الحظ ، ولا اماليء قويا دانت له الغلبة ، ولعلي كنت اجنح الى لون من المواساة للضعف البشري كما اجنح الى التهوين والازدراء بالتطاول والعنف والخيلاء » (٥) .

وتقوده هذه المرحلة من حياته الفنية الى مرحلة اخرى يتجه فيها نحو النفس البشرية اذ يكثر من القصص التي تدور حول الصراع النفسي الباطني ، والتي تتصل بالانسان من حيث هو انسان تصطرع في داخله غرائز متعددة ودوافع كثيرة ينجم عنها السلوك الاجتماعي . وكانما ادرك الفارق الكبير بين الكاتب الذي يرضي نزعة في نفسه ، ويشبع زهوه ، ويتملق وطنيته ، ويغالي في الاعتزاز بالصبغة المحلية ، وبين ذلك الذي يجعل النفس البشرية موضوعا : يحللها ، ويسبر اغوارها ، كي يصور ادق خلجاتها ، ويرد ما يجيش في عقل الانسان وصدره من عواطف وخواطر وانفعالات الى اسبابه وبواعثه الحقيقية . وادى به هذا الى ان يهجر الاحتفال بالمظهر الخارجي ، وتحديد الملامح والقسمات الظاهرة . واصبحت القصة القصيرة عنده وكانها لوحة نفسية زاخرة بصراع العواطف ومتباين الاحاسيس والانفعالات . وغدت قصصه تعالج المشكلات النفسية للافراد ، وتدور حول الغرائز ومدى استحكامها في تصرفات الافراد وسلوكهم وانفعالاتهم، كغريزة حب التملك ، وحب الاستطلاع ، وحب البقاء والسيطرة والمقاتلة ، الى غير ذلك من الاستعدادات الفطرية النفسية ، والدوافع السيكلوجية التي تدفع الفرد الى ادراك اشياء من نوع معين ، والشعور ازاءها بانفعال خاص عند ادراكها . ويتجلى هذا التطور في قصص : (المحكوم عليه بالاعدام ـ أبو عرب ـ الرجل المريض ـ حسن افا ـ نجية ابنة الشيخ ـ جريمة حب ـ الى الجنة) وغيرها وغيرها .

وتجاوز الامر حدود الابداع الى مطالبة الكتاب بالكشف عن اللاشعور وملابساته وما يعتمل فيه . يقول في ذلك : « وان كاتبا يقتصر على العقل الواعي ، فيما يزاوله من عمله الفني ، لهو كاتب يقنع بقشور الظواهر ، ويكتفي بالمعالم الطافية ، فلا يخرج من ذلك الا بصورة زائفة ، وسراب كاذب ، لا يغنيه عن حقيقة الحياة شيئا . فاما ان استطاع الكاتب ان يتخطى اسوار العقل الواعي ، فانه يجد في يده المصباح السحري ، ينير له طريقه ، فتنكشف له الشخصيات سافرة غير متنكرة ، وتتجلى له الدوافع التي تحرك تلك الشخصيات ، وتريدها على مختلف انواع السلوك » (٦) .

ولئن كان تيمور ينمو نحو التحليل النفسي ، فانه ظل محتفظا باصالته في حرصه على ان يكون التحليل من خلال الاحداث والتصرفات التي يرصدها ثم يوحي في خفة وسرعة بدلالتها النفسية العميقة التي قد تضرب في الفرويدية او غيرها من مذاهب التحليل النفسي ، ولكنه لا يتفلسف ولا يبالغ ولا يعمي الدلالة الموحية بأية اصطلاحات فلسفية او سفسطة تحليلية . وبمعنى آخر فانه يتعمق حقائق الاشياء دون ان يظهر تعمقه للقراء ، ودون ان يقول للقارىء بسفور : « انظر الا ترى معي اني قد بحثت فاحسنت البحث ، واستقصيت فاحسنت الاستقصاء » .

ولعل النجاح الذي حققه تيمور في هذا الاتجاه هو الذي يفسر لنا تمسكه به حتى الان ، ايمانا منه بأن السبيل الى العالمية لن يتحقق للكاتب الا اذا جعل الانسانية شغله الشاغل . يؤكد ذلك في كتابه « القصة في الادب العربي » الذي صدر مؤخرا ، حيث يقول : « فالمفكر العالمي ، في ادبه القصصي مثلا ، هو الذي يخاطب الانسان حيث كان ، يتلمس اعمق مشاعره ، ويستجيب لاخفى هواتفه ، هو الذي يستطيع ان يتصيد ما بين اوصال البشرية جمعاء ، حول الحياة في مجالاتها الفساح ، من عاطفة مشتركة ، ويسجل ما في قلبها من

٣ ـ انظر القصة في مجموعة (الشيخ جمعة) ١٩٢٥ ـ ص ٩٨

٤ ـ انظر صحيفة (الفجر) العدد ٣٦ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٢٥ ـ ص ٣

٥ ـ مجلة (الآداب) العدد ٩ ـ سبتمبر ١٩٦٠ ـ ص ١١ ـ ١٢

٦ ـ « دراسات في القصة والمسرح » ـ محمود تيمور ١٩٤٥ ص ١٢٨

خفوق موحد ، ويؤدي ذلك اداء شائقا جذابا فيه امتاع » (٧) .

وقصارى القول ان تيمورا التزم الجانب الانساني في قصصه القصار ، واصبح يضع في اعتباره الاول ان الانسانية هي اهم قيمة فنية لا بد من توافرها في العمل القصصي حتى يكتمل نضجه واستواؤه، وليغدو عالميا يقرؤه الناس في كل مكان ، ويتذوقونه على اختلاف ميولهم ومشاربهم واجناسهم . كما انه طفق يساير المجتمع بقصصه ، ويشاكل حضارته ، ويواكب ثقافته ، ويترجم في صدق ويسر عن عواطف أمته . وهكذا استطاعت القصة على يديه ان تشق طريقها الى القلوب والافكار والاذواق ، وان تتخطى كل العقبات من التباين اللغوي ، والتحالف المذهبي ، ومن تعدد القوميات والجنسيات !!

وما ان وصلت عند هذا الحد في بحثي مقارنا بين ما انتهت اليه القصة عند تيمور ، وبين ما صارت اليه عند الذين سبقوه ، حتى تاكد لي ان اجماع النقاد على انه مؤسس فن القصة القصيرة في الادب العربي الحديث ، هو الحق بعينه .. انهم لم يختلفوا قط على ابوة محمود تيمور لهذا الفن في ادبنا ، ولا على استاذيته فيه .. واجمعوا على انه وحده يعد مدرسة متكاملة . على مائدته عاش اكثر كتابها يقرأون له ، ويعيشون مع شخوصه ، وتبهرهم طريقته في المعالجة والوصف ، والسرد ، والحوار ، واختيار الموضوعات .

غير اني ادركت بعد كل ما توصلت اليه ان تيمورا في كل احاديثه الصحفية والاذاعية يعلن انه لم يبلغ بعد في هذا الفن حد الكمال اذ الكمال لله وحده ، وعلى الرغم من اعتراف النقاد جميعا بمكانته فانه يرد على من يسأله : ما رأيك في نفسك ؟! قائلا : « تلميذ تستطيع ان تنكر عليه في ادب القصة العبقرية والنبوغ . ولكنك تهضمه حقه ان انكرت عليه الاجتهاد ، فهو دائب المراثة ، دائب التحصيل ، دائب التفكير فيما ينقله الى الامام مرحلة بعد مرحلة . وهو مطمئن الى سلامة خطاه بيد انه غير قانع بما قطع من شوط » (٨) .

معنى هذا انه يصر على مداومة الانتاج ، ويجتهد في الخلق ، ويداب على القراءة والبحث والتنقيب ، وهو ما يضطر الباحث الى الانتظار طويلا طويلا حتى يصرح هو بانه اصبح قانعا بما قطع من شوط .. ولما وجدت ان المسألة بهذا الشكل ستطول امام هذا الاديب الانسان المتواضع الذي يعتبر نفسه تلميذا لا يملك الا اجابة واحدة يصد بها كل سائل له : « كيف اصبحت قصصيا » ، فيقول : « وهل أصبحت قصصيا حقا ؟! »

واذا بي باللاوعي هذه المرة انهي رسالتي خفية ، واتقدم بها الى الجامعة سرا حتى لا يبلغه الخبر فيعلن مزيدا من تواضعه الذي قد يعطل المناقشة او يؤجلها او يلغيها . واقر الان واعترف اعترافا صادقا اني اخفيت عنه كل ما يتصل بنتائجي في البحث . ثم تمت المناقشة ، وبعدها بثلاثة اعوام طالع تيمور مع غيره من القراء رأيي فيه عندما صدرت الرسالة في كتاب مطبوع . ومنذها والاتصال الفكري والادبي بيننا لا ينقطع ، والرسائل تنفل الى كل منا مشاعر الاخر واحاسيسه ، وتضبط خطواته ، وتعلن عن اخباره . وبعدها ايضا لم اكتب عنه كلمة واحدة ، ولم اذع بشأنه حديثا . وكأني اعطي لنفسي فترة من الراحة ، اواصل بعدها تتبع انتاجه ، ودراسة بقية جوانبه، والوان الادب الاخرى التي اسهم فيها .

ومع ذلك فان هذه الفترة التي توطدت فيها صداقتنا ، اثبتت لي ان القصة القصيرة ليست وحدها هي التي عملت وساعدت على التقريب بيننا . وانه لا يسعني بعد هذا الشوط الطويل الذي قطعته معه اديبا وفنانا ومفكرا وانسانا ، الا ان اعلن عن اكتشافي للامح اتفاق ، تلمستها بوضوح وجلاء .

فمحمود تيمور يوافقني على ان الفن لا يولد من لا شيء . ويؤمن بالعلاقة الوثيقة التي تربط الادب بالمجتمع والبيئة والحياة . ويذهب الى ضرورة ان يستجيب الفنان المخلص لفنه لما يحيط به من مختلف البواعث والمؤثرات ، حتى يصدق تعبيره عن البيئة والمجتمع .. فيقول: « الفن الاصيل هو غرس البيئة ونبت الحياة ، اعني انه وليد المجتمع، قلبه الخفاق ، روحه الوامضة ، احساسه المتوهج ، انتفاضته الشاعرة ، فيه تتجمع اخفى الخوالج لهذا المجتمع ، بما يحويه من آمال وآلام . وان فنا يتكامل فيه الاخلاص والصدق والقدرة ، لهو فن يجد فيه المجتمع احسن ما يبغيه من غذاء وشفاء .. » (٩)

ولعل هذا هو الذي يبرز لنا كيف انه لم يحصر نفسه في طبقة بذاتها ، ولم يخلق لنفسه حصونا بقيمها ضد الحياة ، لانه لم يعتبر الفن متاعا وفيرة لفريق من الناس دون فريق . ولم يفصل بينه وبين الحياة ، وانما احس بكل ما في حياة الغير من الم وأمل وسعادة وشقاء وشارك حياة الاخرين بوجدانه ، ولنفعل بحياتهم ، وادرك روح الاشياء، وامتزج بها فامتزجت به ،وفكر خلالها ففكرت خلاله . انه لا يمتص تجربته الذاتية فقط كما يمتص الطفل قطعة الحلوى ، لان الناس عادة لا يرضون عن فنان يوزع عليهم قطع الحلوى بدلا من قطع التجربة الانسانية التي تنتفض بالحياة والفن معا ...

ومحمود تيمور يصرح للنقاد حين اختلفوا في شأن الادب : هل يكون هادفا او غير هادف ، موجها او غير موجه ، مجندا او غير مجند، ملتزما او غير ملتزم ، بقوله ، « .. ما احسب كاتبا فنانا في مقدوره ان يغفل الاحداث التي يعج بها زمنه ، فان هذه الاحداث تهز كيانه ، وتتغلغل في صميم بيئته ، وان الكاتب ليستهين بأمانة القلم في يده اذا هو لم يستمع لمختلف الهتافات والمناجيات التي تضطرم في مجتمعه ، واذا هو لم يلتقطها ويبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه ما يجعلها مددا للفكر الجديد . وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله ان هو صمت اذنه دون انبعاث قوي في مجتمع يعيش بين ظهرانيه ؟.. ما اهون ان يكون الاديب ممدودا من اهل عصره بتاريخ ميلاده ، لا بما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ ... » (١٠)

ثم ينتهي في هذه القضية الى تاكيد الدور الذي لا بد ان يلعبه كل اديب في مجتمعه ، والى اعلاء شأن الرسالة التي يجب عليه ان يؤديها بايمان وثبات ، فقد وكلت اليه مهمة عليه القيام بها .. « فليؤمن الاديب بحيوية مهمته ، وليعتقد وثاقة الصلة بين هذه المهمة وبين المجتمع الذي يحتويه ، وليقتبس من جذوة هذا الايمان نورا يضيء له طريق الاستجابة للروح الاجتماعي في حاضره الجياش ، وليضمن بذلك لادبه الاصالة والمثالية والخلود .. » (١١) .

انه لا يرى كغيره من ابناء الطبقة البورجوازية ان الفن نشأ للتسلية ، وقضاء الوقت ، والترويح ، لذا فانا لا نظفر في قصصه بموضوعات الحب الذي لا سبيل الى تصديق ما يحاك حوله . وابطاله ليسوا فنانين والهين متيمين ، وبطلاته لسن فتيات ناعمات بورجوازيات يعشن في اوهام وخيالات تملأ عليهن فراغهن ، واشخاص ليسوا عاشقين يحلمون اثناء النهار احلاما اغنى وأروح من تلك التي يحلمها غيرهم اثناء الليل ...

وتيمور يؤمن بالعمل ، ويرى فيه نوعا من العبادة او الصلاة التي عندما يؤديها المرء يحس بانه يؤدي ما كتبه الله عليه ، وكأن يد الاله تدفع به ، وتبارك جهده ، وتحفه بالرعاية والرضوان . ولا اخفي اني

٧ ـ « القصة في الادب العربي وبحوث اخرى » محمود تيمور ـ المطبعة النموذجية ١٩٧١ ص ١٠

٨ ـ « ظلال مضيئة » محمود تيمور الطبعة الاولى ١٩٦٣ ص ١٠٩

٩ ـ « دراسات في القصة والمسرح « محمود تيمور ١٩٤٥ ص١٥٧

١٠ ـ « الادب الهادف » محمود تيمور ـ المطبعة النموذجية ١٩٥٩ ص ٦٥

١١ ـ « الادب الهادف » ص ١٨٣

بالعمل وحده ، لا بالثروة ، او النسب ، او الجاه ، وصلت الى ما كنت أتمنى ، وكان بالنسبة لامثالي من الفقراء حلما بعيد المنال . وليس غريبا كذلك ان يكون العمل هو مقياس القيمة الاجتماعية عند تيمور الذي آثر العمل المستمر دون اعتبار لثروة والده ، ولم يقعده المرض عن العمل المتصل . وفي اعتقادي ان العمل هو المفتاح الوحيد للتقدم . وانه ليس مجرد مصدر للرزق ، ولكنه رسالة انسانية واجتماعية ، والانسان العامل في ظل هذا المفهوم هو جوهر المجتمع وهدفه . فكل انواع العمل ضرورية واساسية للانتاج القومي . وقد يكون العمل عن طريق التفكير ، او عن طريق المهارة المهنية او القدرة على التنظيم ، كما يمكن ان يكون عملا يدويا . وهي كلها اعمال محترمة لانها تبني حياة المجتمع .

ويتساءل تيمور : « كيف يجبن عن الحياة من يعتقد ان له فيها عملا يضطلع به ، وان له فيها ثمرة يرتقب ان يحين قطافها يوما بعد يوم ؟! لا غرو ان يرفع العمل من معنوية الانسان وان يحبب اليه العيش ، وان يدفعه في سبيله الى المجالدة والصراع ، فتقوى فيه روح المغامرة ، ويمضي به الطماح الى بعيد الآفاق ... لقد غدا العمل عندي لونا من العبادة ، فانا اعتقده واعتده من شعائر الدين .. ما اشبه العمل بالصلاة ، فما الصلاة الا تامل في صميم الوجود ، وترفع عن توافه الدنيا وصغائر النفس . وما العمل الا استغراق في اعماق الحقائق ، وعزوف عن التفاهة والفراغ » (١٢) .

ولا ننسى ان اديبنا يؤمن بما نؤمن به من وحدة الفكر العربي المستندة الى مدد من الرأي والفكر ، المستجيبة لهواتف الوجدان ، المستهدفة المثل الاعلى للحياة في تضامن وتعاون وسلام . والذي لا شك فيه ان هذه الوحدة الفكرية كانت سموا بالانسانية الى مستوى العالمية الارفع ، فقد كانت عاملا من عوامل التجمع والتكتل والتقارب، وعنصرا من عناصر التفاهم والتفاهد ، وسبيلا الى أخوة في الروح . فاذا كانت هذه الوحدة في الماضي واجبة فهي في الحاضر اوجب واذا كانت ميسورة في عصورها السوالف فهي في عصرنا الراهن أيسر .

ويرتبط ايمانه بوحدة الفكر العربي وعالميته ، بما اصطلحنا على تسميته بالدعوة الى احياء الحضارة العربية المتكاملة احياء منهجيا دراسيا في كل منحى من مناحيها ، وفي كل لون من الوانها ، او في كل فن من فنونها . فما علينا الا ان نفقه فلسفتها واسرارها احسن الفقه واتمه ، حتى يكون ذلك التكامل الحضاري العربي بالامس زادا للعروبة في اليوم وفي الغد ، منه يتكون جانب كبير من مقوماتها العقلية والروحية معا ..

وفي ذلك يصرح تيمور بدعوته الى احياء الحضارة العربية بأسلوب عصري وعقلية متطورة وطريقة منهجية عميقة : « نحن اذ ندرس اوضاع الحضارة العربية حق الدرس ، واذ نتفهمها حق التفهم ، بعقليتنا العصرية ، وفي ضوء ما جد من اوضاع حضارة اليوم ، فاننا بذلك نستطيع ان ننتزع لحياتنا الراهنة ، وكياننا الجديد ، اوضاعا فيها من خصائصنا العريقة ، وفيها من روحنا الاصيلة ، وفيها ما توارثناه في دمائنا من منازع واستجابات واصول ، ودعوتنا الى احياء الحضارة العربية انما هي دعوة الى تعريب الفكر العصري ، او تعصير الفكر العربي ، فلا نستعير من الحضارة الاجنبية اوضاعها كما هي في بيئتها، ولا ما يقابلها في حياتنا الخاصة ، وبيئتنا المحلية . وما يجوز لنا ان كانت هذه العهود عهود غفلة وتخلف ... ولكننا نلتمس تلك الحضارة من ينابيعها الصافية في عهودها المزدهرة ، اذ كانت امثلة رفيعة للرقي العلمي والادبي والعقلي ، بها تقدم ركب العمران ، وتألق وجه التاريخ ... » (١٣) هذا هو مفهومه لاحياء حضارتنا !

ويبقى اخيرا انها السادة الافاضل ان تعرفوا ان كلا منا يشكو من داء وعلة ألمت به فتمكنت واستحكمت واختارت من الجسم مواضع حساسة . والمرض ـ لعنة الله عليه ـ لا يفرق بين غني وفقير، بين الذي يملك وسيلة علاجه ، والذي لا يعرف له اسما ولا يملك درهما . انه لا يذيب الفوارق بين الناس ولكنه يحطمها ولا يعترف بها. لا يعرف صبيا او عجوزا او طفلا . لا يفهم في الادب ، ولا تشغله السياسة ، ولا يدين بمذهب اللهم الا الفناء ... اخشاه وارهبه واعجز عن مقاومته . كما يضعه تيمور في مقدمة الامور التي اثرت وما زالت تؤثر في مجرى حياته .

فقد تألبت عليه الامراض منذ الطفولة ، وحالت بينه وبين مواصلة دراسته الجامعية .. وانا لا يبرحني الروماتيزم اللعين ، الذي يستبد بي استبدادا عظيما ، والذي لا اخضع لقوة سواه ، اذ يشل حركتي ، ويفتت اعصابي ان ابقى لي اعصابا ، ويحطم نفسيتي ، ويظلم الدنيا في عيني ، حين يلزمني الفراش شهورا طوال ، اجدني وانا لا املك القدرة على قراءة الصحيفة . فضلا عن عدم الحركة او التلفت او الجلوس او النوم . فالعمود الفقري لا تسرى فيه الحياة الا بالابر التي تخترق غضاريفه ، والساق لا تتحرك الا من عند الله ... واذا ما خفت حدته في الصيف ، يستودعني الى حين كالضيف الثقيل الذي ندعو الله ان يعجل رحيله ، ليأتي ضيف اخر أثقل دما واعبس وجها.. يأتي الصيف ، فاتنفس الصعداء ، لتفد امراض الكلي متتابعة يقود بعضها بعضا ، ويفضي بعضها الى بعض ..

واذكر اني تلقيت وانا بالمستشفى في شتاء العام الماضي رسالة من تيمور يبدؤها بقوله : « ... لا بأس عليك ايها الصديق الحبيب، دعاء اتوجه به قبل كلمة التحية ، فقد ازعجني ازعاجا شديدا ما الم بك من هذا الروماتيزم الثقيل لفظا ومعنى ، ولعلك قد برئت منه براءة نفسك من كل شائبة . وانت حين تصف اثر المرض في نفسك دائما تصف ذلك لخبير به ، ولا يعرف الشوق . او الشوك ـ الا من يكابده، سلمت وسلمت وكنت على الدوام سالما ... » (١٤) .

وربما لا يعرف تيمور حتى هذه اللحظة انني لا يحلو لي وانا مريض الا ان اقرأ قوله عن المرض : « منذ الصغر والعلل تتردد علي حتى الفتها الان ، واصبحت غير غريبة عني » منذ سنين طويلة وانا في رقابة الطب في مأكلي ومشربي ، وفي نومي ويقظتي . سن لي هذا الجبار قوانين لا استطيع الخروج عليها . فانا اعيش من مرضي في قفص ، انظر الى الاصحاء من الناس يستمتعون بكامل حريتهم ، فاغبطهم وتنالني حسرة اليمة ... ومع ضعف صحتي ، وما نالني من مرض اجد نفسي ما زلت حيا أرزق ، فاعجب لذلك واقول : « لسه لك عمر ! »

نعم يا تيمور ، لسه لنا عمر ، فما زالت فيه بقايا وبقايا !

جامعة وهران ـ الجزائر — سيد حامد النساج

نقيس حضارتنا تلك بحياتنا التي كنا نحياها في العهود القريبة ، اذ

١٢ ـ « القصة في الادب العربي ـ وبحوث اخرى » ـ محمود تيمور ـ مكتبة الاداب ١٩٧١ ص ١٠٥ ـ ١٠٧

١٣ ـ « القصة في الادب العربي وبحوث اخرى » محمود تيمور ـ مكتبة الاداب ١٩٧١ ص ٥٢ ـ ٥١

١٤ ـ الرسالة بتاريخ ١١ ـ ٥ ـ ١٩٧١

تساهموا في نشر الثقافة

الأديب

اشتركوا في مجلة

لا أين أنت



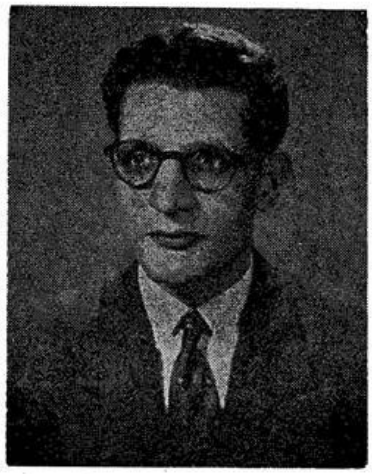
لا أيـــن انـــت ولا متـــى ... تدنـــو فيسعدنـا اللقـــاء
أنـــا مـا عشقتـك للتنعـم ... بـــل علقتـــك للشقـــاء
انـــي أحبـــك للتـوجـــع ... والتفجـــــع والبكـــاء
للشـــوق والسقـم المبـرح ... والتعلـــل بـــالشفـــاء
لـــك في خيالـي صـــورة ... عصمـــاء كاملـــة الـــرواء
القـرب يمســـخ شكلهـــا ... والبعـد يكسبهـــا جـــلاء
فابخـــل ودعنـــي للخيـال ... فمنـه لا منـــك السخـاء
دعنـــي أراك كمـــا اشـاء ... فلسـت أنـت كمـــا أشـاء
أحببـت حبـــي ان يعيـش ... فحطتـــه لـــك بالجفـــاء
أفسحـت فيمـــا بيننـا ... لتطـول أجنحـة الرجـاء
جـوع القلـوب بـه الحيـاة ... لهـا وفـي الشبـع الفنـاء

يـا بـدر ان تعطـف علـــي ... فقـد جنيـت علـى عـــلاك
أنـــا لا أحبـك فـي فنائـي ... بـل أحبـك فـــي سمـاك
أهـواك مـن خلـل الغصون ... تـــرود باصرتـــي سنـــاك
وأسـد نافذتـــي بوجهـــك ... حـين يغمرنـي ضيـــاك
أخشى علـــى قلبـــي ، اذا ... أروى صـداه مـــن الهـلاك
والعـين ان تغـرق بسيلـك ... بعـــد ذلـــك لا تـــراك
يـــا ورد ان يسهـل جنـاك ... علـى يـدي نبـذت جنـاك
الحب تحييـــه شـذاتـــك ... بـــي ويخنقـه شـــذاك

انـي أحبـــك في سياجـــك ... لا أحبـــك فـــي الانـــاء
شفتي تخـط لـــك الثنـــا ... مـن وخـز شوكك بالدمـاء
والحسـن يقبـــح محسنـا ... عنـدي ويحسـن ان أسـاء
أصبـو الـى الفجـر الجميل ... ينـام فـــي كهـف المسـاء
ويشوقني وجـــه الربيـــع ... يطـل مـــن سجف الشتـاء
انـــي ظفـــرت بلذتـــي ... فـي ظـل سيدها : الابـــاء
ولثمـت وجـــه سعادتـــي ... في حضن والدهـا : العنـاء
أشقـى الانـام هـو الـذي ... يبغـي الحيـــاة بـلا شقـاء

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد رجب البيومي

بين الرماني والخولي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

بيني وبين الرماني حب صامت ، فانا اريد ان اذيع بعض ما يترجم عن اعجابي بـه ، ولكن لا استطيع حيث شاء القدر ان يكون كأبي اسحق النظام ، وابي سليمان المنطقي ممن فقدت آثارهم العلمية الجليلة وبقيت نقول منها في اسفار الاشياع تدل على فضلهم الجهير . وتعظم الحسرة اشد الحسرة على ما فقد وضاع ، واصحاب الرسائل الجامعية يحسنون الى انفسهم حيث يخصون امثال هؤلاء بالدراسة والتحليل ، ليضيفوا الجديد حقا بما يكتبون !

فرجل كالرماني كان علما في النحو يضارع زميله المعاصر ابا علي الفارسي ، ويشاركه مواهبه وانتاجه ويترك في مجال التأليف النحوي نظير ما يترك ، وكان راسا من رؤوس الاعتزال يقف مع زميله المعاصر القاضي عبد الجبار في مستوى واحد ويخوض كما يخوض مسائل الكلام ودقائق التفسير ، ويترك في مضمار التأليف مثل ما يترك ، وكان فارسا من فرسان البلاغة الذين اصلوا كثيرا من قواعدها فيما تحدثوا به عن اوجه الاعجاز !

هذا الرجل المتشعب المعارف المتنوع الثقافة يحتاج في كل فرع من فروع تأليفه المثمر الى دارس يكشف عن آرائه متتبعا ما ينقل عنه فيما وليه من الاسفار كأن ينهض دارس نحوي الى تتبع افكاره النحوية منذ نشأت المدرسة النحوية في بغداد حاملة تراث مدرستي البصرة والكوفة لتبني على ضوئه مذهبا جديدا يأخذ ويمنع ويبني ويهدم ، وقد كان ابن السراج زعيم هذه المدرسة وكان ابرز تلاميذه ابو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني ! فان رايت للفارسي في النحو ذكرا ضخما دون صاحبه ، فاعلم ان صلات ابي علي الاجتماعية بحكام العصر من امثال عضد الدولة في بغداد وسيف الدولة في حلب قد لفتت الانظار اليه فكتبت اسفاره على مدى متسع لتحتل خزائن الكتب في دور اهل الفضل ، وبقيت اسفار الرماني محصورة في ايد قليلة تحول دون سيرورة الدوي وازدهار الصيت !

ومن حسن حظ الفارسي ان رزق تلميذا ممتازا كابن جني يذيع علمه في كل مجلس ويدون آراءه في كل مؤلف ، فكان منه مكان رشيد رضا من محمد عبده في عصرنا الحديث ، ولقد كان للرماني تلاميذه الفضلاء ولكنهم قلدوه في الانزواء والتحفظ فلم يبلغوا بآرائه وكتبه بعض ما بلغ تلاميذ ابي علي وليت شعري ابن ابو الحسن الدقاق تلميذ الرماني على كبير فضله من ابن جنى تلميذ ابي علي ؟

وقد يظن ظان ان صعوبة المنحى في التأليف لدى الرماني قد باعد بينه وبين جمهرة الدارسين فقد نقل ياقوت ان ابا علي الفارسي كان يقول ان كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء وان كان ما نقوله فليس معه منه شيء ! وهو قول يدل على تنافس المعاصرة اكثر مما يدل على الواقع ، لان كتاب الايضاح لابي علي يدل على انه كان ينحو المنحى المنطقي في دقة تأليفه كما كان ينحو الرماني سواء بسواء !

وقد احسن الزمن خين ابقى رسالة الرماني في اعجاز القرآن لتدل على منحاه التأليفي ، وهي رسالة واضحة لا تحوج الى فك رموز او تحطيم اغلال ، واذا كان هذا نمط الرماني في البلاغة فلا بد ان يكون مماثلا لنمطه في النحو ، فالرجل هنا هو الرجل هناك ! لقد كان من المعقول ان ينقل عن صاحب الايضاح فهو ما نحار في تعليله ! ونتلمس له الاسباب في قلق مريب !

هذا عن الرجل في مجال النحو ! اما عن الحقل البلاغي ، فقد كنت اجد آراءه تنتقل في اسفار تابعيه من المؤلفين لتترجم عن فضله ، وفي هؤلاء من يخصه بالذكر ومن يغمض عن اسمه منتحلا اكثر ما قال ! وكان عجبا من العجب ان يكون الرماني قليل الشهرة في عالم البلاغة بالنسبة لشهرته في عالم النحو والاعتزال ثم يكون له هذا الصدى المجلجل في كتب الشريف الرضي وابي هلال والقاضي الجرجاني وعبد القاهر وابن سنان وابن رشيق وابن الاثير ، وغيرهم ممن لا اعلم ، وكم تطلعت مشوقا الى ان ينهض عالم بلاغي فيتتبع آراء الرماني فيما ولى زمانه من التأليف ، ليقيم من هذه السطور المبعثرة في

مئات الصفحات هيكلا يحدد مكان الرجل في ميدان البلاغة على وجه التقريب ! وهو مأرب طمحت الى تحقيقه ذات يوم فأحضرت امثال الوساطة والموازنة واسرار البلاغة والصناعتين واسرار الفصاحة والعمدة والمثل السائر وغيرها لابدأ التنقيب ثم تعاظمني الامر اذ كانت هذه الكتب في متناول اليد منا ولكن ما انشده فوق الطوق فمزارها قريب بالخيف ، ولكن دون ذلك اهوال كما قال أبو العلاء .

ثم وقع في يدي كتاب « صور من تطور البيان العربي » لاستاذي الكبير كامل الخولي رئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغه العربية ، فوقفت بازائه على مجهود علمي بعيد الاثر في تاريخ التطور البلاغي اذ تتبع القواعد البلاغية منذ نشاتها الى اوائل القرن الثامن الهجري ليرصد بأمانة دقيقة جهود الباحثين على توالي العصور فيرسم مناحي التأثر والتأثير رسما صادقا يؤيده النص الصريح والشاهد المطابق ، وهو جهد فذ لا يتسنى لغير دراكه بحاثة صبور قرأ وتأمل واستبطن ثم قارن وناقش واستنتج ، وكان ما تحدث به عن الرماني شافيا لحاجة نفسي منه فقد حقق في سهولة ويسر ما صعب على كاهلي الهش ان ينهض به ، ولم يكن الرماني لدى الاستاذ غير واحد من عشرات البلاغيين الذين خصهم بالحديث ، ولكن صداه قد جلجل في سمعي رنان الدوي اذ كان جبل التوباد الذي بدا لعيني بعد طول انتظار فهششت له وهش الي على نحو ما قال القائل :

واجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني

والحق ان الاستاذ الخولي قد حقق الحلقة المفقودة في المضمار البلاغي اذ درس كتب المتأخرين والمتقدمين معا دراسة مستوعبة نافذة فهو يدرك اغوار الجاحظ وابن قتيبة وثعلب والمبرد وابن المعتز وقدامة وابي هلال والرماني والجرجاني والآمدي وعبد القاهر وابن سنان وابن الاثير كما يسبر اغوار الرازي والسكاكي والقزويني وعضد الدين والسيد الجرجاني والسعد التفتازاني والقوني والعصام والسبكي والمغربي ، فيقف عند مواضع القوة لدى اولئك ومواطن الضعف لدى هؤلاء وقوف المتمرس المحلل البصير ، وقد عهدنا في الدارسين من يعكف على كتب فريق دون فريق ، فهو اما مع فريق الجاحظ او مع فريق السكاكي ، واذا انحى باللائمة على الفريق المتأخر فعن جهل بما قال ! ولكن الدكتور الخولي يكاد يكون وحده الممثل للحلقة المفقودة في المضمار البلاغي ، واذا انتهى فيما انتهى اليه الى نقد طريقة الاعاجم في المتون البلاغية وما يتبعها من الشروح والحواشي والتقديرات فهو نقد الخبير بالسقطات ، الممارس للمماحكات والمغالطات ، ولن يكشف الدواء غير من يعلم تباريح الداء ، وقد افصح عن مرماه حين قال في خاتمة المطاف ص ٢٦٠ :

« وقد حرصت على ان يكون القارىء على بينة من نهج من تعرضت لهم ممن اسهموا في حياة البيان العربي وخصائص كل منهم فلم اعرض الفكرة بعيدة عن مأخذها من اسلوبه ومثله وشواهده وطريقة عرضه لفكرته . بل قدمت بين يدي كل فكرة لكل امام مأخذها من عرضه ومنهجه ومثله حتى تتميز خصائص كل من تعرضت لابراز فكرتهم البيانية واثرها المحسن او المسيء في حياة هذا الفن ، ولهذه الدراسة غاية تهدف اليها وهي عرض مناهج الدارسين لهذا الفن في الحقبة ما بين القرن الثاني والثامن ، ولا يعدم منهج منها نوع حسن ، فقد راينا عناية ابي الحسن الرماني بالاثر النفسي للصورة البيانية والموازنة بينها وبين الصورة الحقيقية للاسلوب حتى جعل القارىء يدرك ما لهذه الصورة من مزية وفضل .

كما راينا تحليلا ادبيا للاسلوب يكشف عن مواطن الجمال فيه عند الامام عبد القاهر ، يجعل القارىء يدرك ما بين مباحث البلاغة والجمال من وشائج وصلات، ورأينا ضبطا وتحديدا لمفاهيم الاساليب المختلفة عند السكاكي والخطيب والقزويني تعين القارىء على الضبط والتحديد والتمييز بين الصور المختلفة » .

وقد خرجت من دراسة هذا الكتاب الجيد بأمر ذي بال ، هو ارتفاع الحواجز المصطنعة الآن بين البلاغة والنقد اذ دل الكتاب في تتبعه الاستقرائي على ان البلاغة لا تكاد تتعدى النقد في شيء ، فكتب القاضي الجرجاني والآمدي وابن رشيق وابن الاثير تحفل بالقواعد البلاغية وقد ساعدت على تطورها وتحديدها بحيث لا تفرق بينها في ذلك وبين كتب عبد القاهر وابن سنان والعلوي ، فدعوى الفصل بين النقد والبلاغة الآن دعوى لا تنهض على دليل ، وقد ذكر الاستاذ كامل الخولي ص ١٤ فروقا هينة بين البلاغة والنقد خلص منها الى ان النقد والبلاغة عاشا مختلطين اختلاطا تقتضيه وحدة الموضوع ، تلك التي جعلت الحاجز بين البلاغة والنقد سترا دقيقا . وقد يعجب الاستاذ الكبير حين أقول انه لا حاجز بالمرة ولا ستر ايضا !

فالنقد يقوم على الاسس البلاغية ، وهو منها مكان الثمرة من الشجرة ! ومن الذي لا ينسب التفاح مثلا الى شجرته المسماة باسمه ! ويبحث له عن اسم آخر ! ان مصدر ما يطنطن به من يفصلون البلاغة عن النقد هو عجزهم عن الحاق البحوث الوافدة من الغرب حول المقالة والقصة والمسرحية والقصيدة ذات الوحدة والتجربة بأخواتها من البحوث البلاغية الدائرة حول الفصاحة والتشبيه والمجاز ؟ وذلك يمكن بايجاد ابواب جديدة تلحق بالفصول القديمة حين تنقى وتجرد مما لا حاجة اليه الآن على ان يندرج الجميع في علم البلاغة كما تندرج أبحاث الذرة والفضاء وغيرهما من البحوث المستحدثة في سلسلة مباحث الطبيعة فتكون حلقات جديدة مضافة الى

نظائرها القديمات ! وفيم الخلاف وكلها تدور حول الاسلوب !

لقد بعدنا عن الرماني بعض الشيء ولكننا نبادر بالعودة اليه ، لنرى المؤلف الفاضل قد رزق التوفيق كل التوفيق في توضيح جهده البلاغي الكبير حين تحدث عنه في ثلاثة فصول من كتابه ، تبدأ بفصل التشبيه ، ومع ان كتاب الرماني يدور حول الاعجاز القرآني فان الدكتور الخولي يذكر ان قارئه يحسب انه بصدد كتاب في البلاغة لا في قضية الاعجاز لانه يعرف التشبيه ويقسمه ويتحدث عن اثر الاداة في التشبيه جاعلا المدار عليها في الفرق بين التشبيه والاستعارة ، وهو اول من قرر ذلك ، حتى تصدى القاضي الجرجاني لمناقشته مقررا ان الاستعارة لا توجد عند فقد اداة فقط بل فيما اكتفى فيه بالاسم المستعار عن الاصل ! وهو تحديد دقيق قد التزم به جمهرة البلاغيين ، ولا يمكن في رأيي ان يعترض به على الرماني ، لان السالف لا يخضع لاصطلاح الخالف وحسبه ان بدأ بخط الطريق لتاليه فاذا رأى تابعه بعض ما يتجه اليه التصويب ، فتلك سنة البحث المتناسل عبر الاحقاب !

على ان الاستعارة قد ظلت مختلطة بالتشبيه لدى بعض الكاتبين الى ما بعد الرماني بقرون عدة فالعسكري يجعل من باب الاستعارة قول الله تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وقوله « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » مع اجتماع الطرفين فيهما ، وابن رشيق يجعل من الاستعارة قول ابي تمام « والله مفتاح باب المعقل الاشب » وينص ابن الاثير على ان ابن سنان الخفاجي قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمرة اداته حين جعل قول امرىء القيس « فقلت له لما تمطى بصلبه» من التشبيه ، والشهاب الخفاجي يخلط بين امثلة التشبيه المؤكد والاستعارة حين جعل البيت المشهور « فأمطرت لؤلؤا » من قبيل التشبيه ! أفلا يسع الرماني في زمنه المتقدم ما وسع هؤلاء !

اما الاغراض التي يساق لها التشبيه فقد وضح الدكتور الخولي ان أبا هلال قد غصب كل ما قاله الرماني تعريفا وتفريعا وتمثيلا دون ان يشير اليه ، كما جاء ابن ابي الاصبع العدواني فصنع صنيع ابي هلال اذ سطا على جميع اقوال الرماني سطوا لا يخلو من اجتراء وقد قال الدكتور الخولي بصدد ذلك متعجبا « وهي بعينها اقسام الرماني ومثله ، ولم يشر ابن ابي الاصبع الى الرماني قائلها ، وكثير غير ابي هلال وابن ابي الاصبع ينقلون عنه باطالة او اختصار مع اغفال اسمه احيانا وذكره في القليل » . فاذا تركنا التشبيه الى الاستعارة فاننا نجد الدكتور الخولي يخص الرماني بباب جيد يوضح سموقه الفكري ثم يضعه في ميزانه الراجح حين يقول عنه ص ١٥٥ :

« فالرماني يضع يدك على ما في الصورة البيانية من فضل وقوة وتأثير بالموازنة بينها وبين الصورة الحقيقية ، ويستطيع الدارس لاثر الرماني ان يقرر انه في دراسته القرآنية جاوز بالصورة البيانية مرحلة صباها ، ولم يقف عند بيان المعنى الحقيقي والمجازي والعلاقة بينهما بل يعرض الحقيقة بجنب الاستعارة ليبين مدى اثر الاستعارة في النفس ومبلغ اثارتها للحس فتجعل الوجدان ينتقل بالصورة البيانية بعد ان ابدى جمالها المكنون » .

ثم يستعرض جميع من تأثروا به في مجال الاستعارة فيما وليه من العصور ، فيضع يده على اقتباسات امثال ابي هلال وابن رشيق وابن سنان ويحيى بن حمزة صاحب الطراز ! فاذا جاء الحديث عن الشريف الرضي صاحب مجاز القرآن والمجازات النبوية تعرض المؤلف لموازنة سريعة بين الرماني والشريف فذكر ان سليل البيت النبوي اغزر بيانا وافصح لسانا وابلغ في التعبير عن معاني القرآن بعبارة ادبية يبدو فيها ذوق الاديب وحس البليغ ودقة الشاعر ، كما ينص على ان التشبيه عند الشريف هو بعينه التشبيه عند الرماني ، وينقل آيات بيانية من كتاب الله مثل «سنفرغ لكم ايها الثقلان» مما تعرض له الرجلان ، ليقول ان الشريف يزيد في عرض الاحتمالات المختلفة ويوضح الاستعارة على كل احتمال ، وذلك حق ، ولكن استاذنا الكبير يترك شيئا هاما لا ينص عليه ، وهو تأثر الشريف بالرماني ، واخاله حين ذكر ص (١٧٨) ان الرجلين متعاصران قد جوز احتمال عدم التأثر ، ولكني ارجح هذا التأثر ترجيحا يقوى بالدليل لان الشريف كان في العاشرة من عمره عام ٣٦٩هـ والرماني وقتئذ شيخ جهير المكانة فوق السبعين ! وهو قرين استاذ استاذه ابي علي الفارسي شيخ ابن جنى استاذ الشريف! فاذا اتفقت الخلاصة البيانية للشرحين فقد احتذى الشريف شيخنا الكبير .

وفي باب البديع تحدث الدكتور الخولي عن الجناس ليعرض اسماء من تأثروا به من الكاتبين وهم هم تلاميذه المتأثرون به في مجال الاستعارة والتشبيه مع قوة بسط ودقة تمثيل ! وكأني بالرماني بعد ان تتبع الدكتور جهده البلاغي قد بعث علما جهيرا في ميدان لم يشتهر به ! اذ انه عند اصحاب الطبقات نحوي معتزلي مفسر ! وقد سكتوا عن انتمائه لمباحث البيان كما سكتوا من بعده عن عبد القاهر حين اخذوا يصفونه بالنحوي ! مع ان البيان مجال سبقه الآن لدى الباحثين! واذا كان عبد القاهر الجرجاني قد اخذ حظه الفسيح من بحث الدارسين افينهض من خلف هؤلاء من يخلد الرماني برسالة علمية جامعية . وقد فتح له استاذنا الدكتور الخولي نوافذ واسعة تشرق بالضوء فأقال من عثرات وأمن من اعتساف !

لقد تحدثت عن الرماني في مرآة استاذنا الخولي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى صديق شيبوب

●

لا تسالوني عن هموم الطريق ... يكفي اذا احصيت فقد الصديق
أكاد لولا ثرثرات المدى ... يغتالني الوهم فلا استفيق
أكل ما حولي رؤى تمحي ... تنهار ، تذري ، في مدار سحيق
أواه من هذا السراب الذي ... يلفني ، من زيف هذا البريق

أواه من ليل ، على فجره ... القت جبال الصمت أثقالها
قد أخرست صوتي به ، فجوة ... تستوعب الدنيا وآمالها
تجمد الظل علم أصله ... ببابها ، واغتال من غالها
يا ضيعة الانسان في حفرة ... تمحو عن الاسماء أفعالها

« صديق » ما الانسان ؟ ما سره ... ما حكمة الشيخ ، وجهل الغرير
هل عند هذا الليل ، ما عندنا ... من لهفة نحو اجتلاء المصير
أبعد أن ألقاك حلو السنا ... سمح البيان العذب، عف الضمير
ألقاك ذكرى ، في عباب الاسى ... تنساب ، تمضي، في سؤال مرير

« شيبوب » لا لقيا ولا موعد ... الامس قد ولى وجف الغد
وانفض سوق ، كان في دربنا ... مظلة يأوي لها المجهد
قد أكمل الموت أحاديثنا ... بقصة ، كل لها يولد
سر اراد الله ، لولا الردى ... ما كان من يخشى ، ومن يعبد

الاسكندرية ... عبد العليم القباني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو عالم واحد بين اعلام البلاغيين الذين تابعهم المؤلف متابعة واعية في كتابه الرائع « صور من تطور البيان العربي » فسد فراغا كبيرا نشط الناشطون لملئه فتوقفت بهم الركائب العليلة ، حتى نهض السباق فاحرز الرهان .

لقد كان ابو حيان التوحيدي في كتاب « المقابسات» لا يصف الرماني الا بالشيخ الصالح ! وهو شيخ صالح حقا يدل ما نقله ياقوت في ترجمته بالجزء الرابع عشر من معجمه على تواضع نفسه ، وصفاء خلقه ، وطول تحمله، وبعد اناته ، وقد مضت عشرة قرون حتى نهض شيخ صالح في القرن الرابع عشر من الهجرة ليسلط الاضواء عليه في محبة وانصاف ! فكان من توفيق القدر ان يرعى المثيل حق المثيل ، وشبيه الشيء منجذب اليه كما قال شاعر العربية الكبير .

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

رحلت وحدها بلا اضواء
كبرياء يقتات من كبرياء
فقدت حبها ولكن ارادت
ان يظل الصفاء للاوفياء

قاسم مظهر

رحلت بكبريائها ..

بقلم رستم كيلاني

ما ذهبت في اي وقت ما الا ورأيتها جالسة دائما في هذا المكان الذي يطل على تلك البحيرة ، التي يسبح فيها البط والبجع المختلف الالوان والاحجام في كل جانب ، وتحيطها الاشجار العالية المورقة الغناء كالام تحتضن طفلها في رقة وحنان ، والصخور الاصطناعية التي تتساقط على جدرها المياه في انسياب كخيوط من فضة لتتجمع في مياهها كالشرايين داخل جسم الانسان ، كانت تجلس وحيدة على المنضدة الاولى بجانب المدخل الرئيسي لمشرب « جزيرة الشاي » ، تحتسي الشاي من الفنجان في تؤدة وهوادة، وتمتد انامله فتأخذ قطعة من الخبز الموضوع في الاناء الواسع وتلقى بها تجاه البط العائم ، فيجري نحوها مبتهجا صائحا صيحات عالية يسابق كل منها الآخر ليحظى بنصيبه ..

وتعود ثانيا الى احتساء الشاي، ثم تعاود القاء الخبز الى البط قطعة تلو القطعة ..

وكأن هذا المكان قد اعد لتلك الانسانة خصيصا ، ومما أكد لي هذا بالفعل انه في يوم ما .. ذهبت الى هناك مبكرا فلم اجدها كالعادة، ووجدت مكانها خاليا .. وعندما هممت بالجلوس لاحقني (الجرسون) مناديا :

ـ آسف يا سيدي هذه المنضدة (محجوزة) ..

والقيت بنظرة على المنضدة فوجدت لافتة مكتوب عليها ما يثبت صدق قول (الجرسون) فالتفت اليه معتذرا ..

وعندما هممت بالجلوس على المنضدة المجاورة ، جاءني (الجرسون) متسائلا :

ـ ماذا تحب ان احضره لك ؟

وقبل ان انطق ، دخلت صاحبة المنضدة من المدخل بخطوات ثابتة قصيرة ، فاستأذن (الجرسون) وجرى نحوها ، وسار خلفها حتى جلست على الكرسي وحمل بيده اللافتة ..

واستطعت عن قرب ان اتبين انها جميلة ، بل كانت اليوم اكثر جمالا ..

وعاد (الجرسون) يسألني عما اريد .. فطلبت فنجانا من القهوة.

وعندما عاد (الجرسون) ووضع كل من الطلبين على منضدتها ومنضدتي .. سمعت صياح البط، فنظرت الى البحيرة فوجدت ذلك الطير الرقيق يجري سابحا نحوها ، وكأنه على موعد معها ، يصيح وكأنه يناديها طالبا منها طعامه اليومي ..

وجلست افكر في امر هذه الحسناء ..

كانت اكثر المناضد مشغولة بالرواد ، وتناهت الى سمعي صوت موسيقى هادئة جعلتني أسرح مع الطير واحوم بخيالي حول هذه البحيرة ، وتمنيت ان يكون فيها قارب يحملني واياها ، ويطوف بنا حولها ، أداعب باناملي خصلات شعرها الاسود الفاحم ، وبيدي الاخرى تداعب هذا البط ..

حلم جميل ، فلقد كنت اليوم اكثر خيالا ..

وعدت الى واقعي اتأمل هذه الحسناء كعادتي ، اراقبها وهي لا تشعر ، واستبدت بي فكرة التعرف عليها ، ولكن السبيل للتعرف عليها بدا لي شاقا وغير ميسور ..

دخل من المدخل رجل ، انيق الهندام ، طويل القامة ، عريض الكتفين ، وشمل بنظراته المنقطعة كلها كأنه يبحث عن مكان خال ..

والتفتت اليه تلك الانسانة الرقيقة وهي ممسكة بيدها فنجانها وحملقت فيه ثم ادارت رأسها بسرعة ناحية البحيرة ، فاهتزت يدها وسقط منها الفنجان المملوء بالشاي على فستانها، وعلى حقيبتها الموضوعة امامها على المنضدة ، وقامت فزعة ..

في تلك اللحظة كان هذا الشخص قد غادر المكان ، ويبدو انه لم يلاحظ ما حدث ..

وانتفضت من جلستي بسرعة ، واقتربت منها ابغي مساعدتها ، فأخرجت منديلي واعطيته لها ، فبللته بالماء ، واخذت تمسح به آثار الشاي العالقة بالفستان ، حتى جاء (الجرسون) وحمل الاشياء الموضوعة على المنضدة ، والمفرش المبلل ..

ودعوتها للجلوس مغني على منضدتي فلم تمانع .. وجلسنا وجها لوجه ولم اكن اتصور انني سأحظى بالجلوس معها بهذه السرعة ..

وظلت مقطبة الجبين ، وشعرت بأنها تحمل في صدرها هما ، وودت ان اعرف سرها ، وسر انزعاجها عندما لمحت ذلك الانسان ، وسرعان ما هممت أقول وعيناي شاخصتان الى وجهها الشاحب :

ـ هل من الممكن ان تشربي معي كوبا من عصير الليمون ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتطلقت أساريرها ولاحت على ثغرها بسمة ، واومأت بالايجاب ، فطلبت من (الجرسون) كوبين من عصير الليمون ..

وعادت تحول وجهها ناحية البحيرة في شرود ، كنت اتابعها بنظراتي حتى امتعت عيني بمرآها دون ان تحس ، وقد استولى علينا صمت ثقيل وجمود حتى جاء (الجرسون) حاملا ما طلبناه ، وبدأنا نحتسي من الكوبين على مهل ، وفي خجل محبب قالت بصوت هادىء النبرات :

ـ آسفة لما حدث .. كما اني اشكر لك هذا الصنيع ..

فقاطعتها قائلا :

ـ ابدا هذا واجب علي اديته ..

ـ ولكن منديلك تعلق به الكثير من بقع الشاي ..

فقلت متلطفا ووجهي عالق بوجهها :

ـ لا تفكري في هذا ، امر المنديل سهل ، ولكن كيف حالك الآن ..

وزمت شفتيها ولم تنبس بقول ، واخفت وجهها في كفيها ، واحتوانا الصمت من جديد ..

وعلى حين بغتة قامت من جلستهاحاملة حقيبتها، واستأذنت، فقمت ، ومددت لها يدي فتصافحنا ، وانصرفت دون ان اعرف عنها اي شيء .. وتابعتها وهي تسير بخطوات وئيدة هينة ، وظللت في مكاني مشدودها ..

وفي صباح اليوم التالي هرعت الى « جزيرة الشاي » ، وانتظرتها طويلا ، ولكنها لم تحضر ، وظللت على هذه الحال اسبوعين اتردد يوميا آملا لقاءها ، ثم شغلتني الحياة بمشاكلها فلم اعد اذهب الى هناك ..

وبعد فترة انقطاع ذهبت الى « جزيرة الشاي » لاحتساء فنجان من القهوة ، وعندما دخلت المشرب، اتجهت ناحية المنضدة الاولى ، وبعد ان جلست تذكرت ان هذه المنضدة كانت محجوزة دائما ، ودهشت اذ لم أجد عليها تلك اللافتة المعهودة..

وسنح لخاطري على الفور طيف تلك الحسناء التي قضيت معها لحظات قصيرة امتعت عيني بمحياها ..

وجاءني (الجرسون) متسائلا :

ـ ماذا تريد ان احضر لك ..

ـ فنجان من القهوة ..

وانصرف .. وجلست دقائق ابحث عنها بين الجالسين فلم اجدها ، حتى جاء (الجرسون) ، وبينما هو يصب القهوة سألته :

ـ الا تذكر عندما اردت مرة الجلوس على تلك المنضدة لاحقتني انت ونبهتني بانها محجوزة ..

فلاذ بالصمت يفكر ، ثم قال :

ـ آسف يا سيدي انا لا اذكر هذه المحادثة بالذات مع سيادتك ، ولكنني اعرف ان هذه المنضدة كانت دائما محجوزة ..

ـ ما علينا .. اذن لماذا لم تحجز هذه المنضدة كالعادة اليوم ..

ـ لان السيدة التي كانت تجلس عليها دائما سافرت ..

وصمت ، فقلت مدهوشا :

ـ سافرت .. الى اين ؟

فاجابني على الفور :

ـ لا اعلم يا سيدي .. آخر مرة عندما كانت هناك منذ اسبوع احضرت معها مظروفا مغلقا تركته معي ، وقالت اعط هذا لمن يسأل عني ..

وصمت ، واخرج من جيبه مظروفا اعطاه لي قائلا :

ـ لم يسألني عنها احد حتى الآن الا انت ، وعلى ذلك فانت الشخص الوحيد الذي سأل عنها فتفضل ..

وحملت في يدي المظروف ، وقلت له :

ـ الا تعرف سبب سر وحدتها وجلوسها هنا في هذا المكان بالذات دائما ..

ـ كانت دائما تجلس مع انسان، يتجاذبان الحديث كل يوم في هذا المكان ، يحتسيان الشاي ويرميان للبط الخبز ، ولقد عاصرت اجمل قصة حب لهما ، ثم لاحظت منذ الشهور الاخيرة انها اصبحت وحيدة في جلستها لا انيس لها سوى رمي الخبز للبط والنظر الى البحيرة ، ولم يحضر ذلك الانسان ..

وفي يوم سألتها عنه ، فعلمت منها انه تزوج من صديقة حميمة لها ، ويعيشان الآن في الاسكندرية، وظلت هي تحمل له الحب الذي يفوق الوصف في قلبها ، وداومت الحضور حنينا لهذا المكان ، فقد كانت تتلمس من جلستها هذه النبضات من هذه الطبيعة التي تركت في نفسها ذكريات جميلة ..

وامسك عن الكلام لحظة ، ثم تابع قوله :

ـ كما لا انسى ان اقول بأنني سألتها يوم جاءت واعطتني المظروف المغلق قبل سفرها عن موعد حضورها ، فكان جوابها انها لن تعود الى هنا مرة ثانية ، فسألتها عن السبب ، فعلمت منها انها لمحت حبيبها ذات يوم هنا ، ولم يرها ، فخشيت أن يتردد على المكان فيلتقي بها فتعود علاقتهما من جديد ، وبذلك تكون قد حطمت اسرة ، ستحطم بذلك حياته ، وحياة صديقتها ، لذا فهي ارادت ذلك رغما عنها وسافرت ، وابتعدت مضحية براحتها ..

وصمت ، فهممت :

ـ ما انبل مشاعرها ، اذن افهم من حديثك انها سوف لا تعود الى هنا مرة ثانية ..

فأجابني مبتسما وهو يهز رأسه:

ـ اظن ذلك ..

وشكرته ، فانصرف الى عمله ..

وخلوت الى نفسي ، وعدت الى المظروف افتحه في تشوق ، واذ افاجأ بمنديلي الابيض الذي اعطيته اياها ، ونسيته معها عندما وقع من يدها فنجان الشاي ؛ فقد كان نظيفا .. مكويا .. تفوح منه رائحة طيبة زكية ..

القاهرة **رستم كيلاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيزيف والصخرة الجديدة

•

محمود محمد كنزي

•

دمشـــق

شراعك ابحر في اللانهاية .. ولى وراح ..
واطفأ نور شموعك ضوء الصباح ..
واطبقت جفني ..
تحمل اهدابها ذكريات شحوبه ..
وحفنة وهم ..
وقبض ريـــاح ..
ووليت يرزح بالعبء كاهلك الموهن ..
وفوق جبينك خيبه ..
وشعرك اشعل شيبه ..
ولوحت لي بالوداع وكفك ترتجف ..
ومـــت ..
ثلاثون اسلمتها للتراب ..
واطفات شمعاتها .. شمعة .. شمعة
دون ايـــة رهبه ..
ودون التياع ..
واقبل من خلف آفاق هذي الدنى
فارس كالشراع ..
على مفرقيه غبار السفر ..
وانفاسه لهب من سعر ..
ويومض فوق الجبين شهاب ..
وتحمل عيناه الف شعاع ..
ويحمل لي الف صخره ..
لاحملها من جديد ..
كسيزيف يصعد جلجلة المقبره ..
وتقصم ظهره ..
وتسقط اوراقنا .. كالخريف ..
على كفة الازمن المشمخره ..
وساعاتنا تافهات
وكل الحياة فراغ وحسره ..
ويُفرز اظفاره في العيون ..
فيطفىء فيها ضياء الحياه ..
ونحمل آلامنا كالخطاه ..
وتصفعنا لعنة العهر فوق الجبين ..
ونحمل صخرة عار جديد ..
ونحمل آلام عمر بديد ..
ونمضي بهـا تائهين !! ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الخيـال الرمـزي

كان ديوان « اليخت الذهبي » يشتمل على أبواب ستة هي : الجامعيات ، والخيـال الرمزي ، والطبيعـة ، والحب ، والموت ، والاجتماعيات .. على هذا الترتيب .. وقد سبق ان ذكرت ان باب « الخيال الرمزي » كـان اولى بالتقديم عليها جميعا ، لانـه يمثل في الواقع روح التجديد التي شاعت في الديوان بصفة عامة ، ولان اولى قصائده كانت تحمل عنوان « اليخت الذهبي » .. الذي سمى به الديوان .. وعندما لقيت الاستاذ الكبير العقاد، لاول مرة بمنزله عام ١٩٣٦ ، لاهدائه اياه ، كان مما حدثني فيه السبب في اختيار اسم الديوان ، واقر ان يكون باسم احدى قصائده ، وان تكون هـذه القصيدة تمثل بموضوعها ، تلك الروح العامة ، التي كانت الدافع الى نظمه اولا ، ثم الـى نشره اخيرا .. وهـي روح التجديد !

وحدثني العقاد ايضا عن قصيدة اخـرى ، وقف عندها وقفة ظاهرة ، تدل على اهتمامه بها .. وقد عدها من الشعر الجديد ، الاصيل ، الخالص .. فهي قصيدة مصرية في موضوعها ، متصلة بالادب الشعبي المصري .. ولما سألني عن المصدر الذي استقيتها منه ، قلت انني لا اعرف لها مصدرا غير ما سمعته في الطفولة ، وتعلـق بذاكرتي لا يبرحها ، من احاديث جدتي .. فلما كنت في العشرين ، ادرس في الجامعة ، واقـرأ الشعر الاجنبـي بلغات مختلفة ، الى جانب العربية ، ورأيت كم كان ذلك الشعر خصبا بالموضوعات ، المتصلة بالخيال ، والفكر ، واساطير الشعوب .. رحت ابحث في ادبنا الشعبي ، عن الاساطير المشابهة ، فوجدت القصة التي ضمنتها يومئذ هذه القصيدة ..

والقصيدة تروي قصة الجنية ، التي انطلقت مـن الفرن ، في الصباح الباكر ، ونساء القرية امـام نـاره ينضجن الخبز .. ويتبين لي الآن ان ذاكرتي لم تستحضر القصة كاملة ، او صحيحة ، كما سمعتها مـن جدتي رحمها الله .. ولكن هذا لم يضر بشيء فنية القصيدة ، ولم يقصر في عرض موضوعها في اسلوب شائق ، جذاب ، جديد ..

هي قصيدة « الريفية والجن الابيض » ... وهذه هي كما وردت في الديوان :

في ليلة من ليالي الصيف مقمرة ... تكسو الحقول بثوب النور في السحر
تنبهت غـادة ريفيـة فمضـت ... تظنه الفجر .. لا نورا من القمر

مضت بجلبابها القاني ، وجرتها ... تريـد تملؤها من ترعـة مـاء
فلم تزل بين خضر النبت سائرة ... ترنو الى كتلة في الافـق بيضاء

وحينمـا سلكت منهـا بمقربـة ... مرت على سامر للجن مجتمـع
من كل صافية ، ببيضاء صافية ... مشنوقة تلطم الخدين في جـزع

فاقبلت نحوها جنيـة ، فدنت ... منها تقول : ايا محمرة الثـوب
قولي لجارتك النمراء ، صاحبها ... بعيدر مات.. يا روحي ويا قلبي

فاجفلت غـادة الاكواخ جازعـة ... وقد رأت ان ذاك الليل ما ذهبا
واسرعت بين ضاحي الزرع راجعة ... تقول مما دهاها الليل : واعجبـا

وعندما غاب قرص البدر منحدرا ... وقهقه الفجر.. اذ يغشى البساتينا
قامت الى الفرن تذكيـه وجارتها ... لتنضجا فيه خبـزا بات ممجونا

وبينما هي صوب الفرن جالسة ... تحكي لجارتها ما شاهدت سحرا
اذا بهـا تبصر الجنيـة انطلقت ... من داخل الفرن لطما تلبس الشررا

فما رأتها فتـاة الريف طائـرة ... الا وماتت ممات الخوف والفزع
ولم تطـل بعدها ايام جارتهـا ... وتلك عاقبـة الاوهام والجـزع

والنمراء ، وبعيدر.. من اسماء الجن ..

وقد ألمعت الآن ان ذاكرتي في العشرين، لم تستوعب القصة صحيحة كما سمعتها من جدتي ، في السادسة او السابعة على اكثر تقدير .. وان كان هذا لـم يؤثر في القصيدة ، الا انني قرأت الرواية الصحيحة بعـد ذلـك بسنوات .. عندما اصدر استاذنـا العميـد الجليل ، الدكتور طه حسين ، قصته المصرية « شجرة البؤس »..في عام ١٩٥٤ .. وروى فيهـا القصة ذاتهـا ، في صورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جذابة ، مستوفاة .. اجد وانا في مقام النقد الذاتي ، ان اذكرها الى جانب القصيدة .. وهذه هي منقولة عن « شجرة البؤس » للدكتور طه حسين (ص ١٤٠ ـ ١٤١):

« قال خالد : وما قصة ام رضوان هذه ؟ قال سليم : كان النساء يتجاذبن احاديث الجن واحاديث الجنيات خاصة حين يظهرن اذا تقدم الليل يرقصن في ضوء القمر . فقالت ام رضوان : لقد رايت في قريتنا امرا عجبا ، رايته بنفسي فلا استطيع ان اكذبه ، ولو حدثني به احد غيري لرفضته كل الرفض . قال النسوة: وماذا رأيت يا ام رضوان ؟ قالت : اني اخاف ان اقص عليكن ما رايت . قال النسوة : بل قصيه علينا ، والحن في ذلك وفي نفوسهن ثقة بان ام رضوان لم ترشينا ، ولكنه الشوق الى القصص ، والرغبة في الشعور بالخوف وهذه اللذة الغريبة التي يجدنها في اثارة الفزع في نفوسهن ..

قالت ام رضوان : كنت اخبز في قريتنا لجارة لنا ذات مساء كما اخبز الآن ، وكانت صاحبة الدار ام عثمان جالسة معي بين اتراب لها وجارات ، وكنا نتحدث كما نتحدث الآن ، واذا امراة من اهل القرية تدخل علينا متفزعة متفجعة ، فاذا سألناها عما بها زعمت لنا انها خرجت مع صاحباتها من آخر الليل يملأن جرارهن ، وانهن لعائدات يغنين في صوت خافت يستأنسن بالغناء من وحشة الليل ، واذا هن يسمعن اصواتا لا يكون يتبينها ، فيصغين ويمددن ابصارهن فيرين نساء يلطمن وجوههن وهن يتغنين بمثل ما تتغنى به الناديات ، فيقلن :

يا ساريات في السحر ... يسعين في ضوء القمر
اذا بدا الصبح الاغر ... فقلن يا نشر الزهر
ان ابا يحيي عمر ... اصابه سهم القدر
فهو صريع محتضر ... هل لك فيه من وطر

قالت ام رضوان : ولم تكد هذه المراة تتم حديثها حتى راينا ام عثمان قد ثارت مولولة ، فنفضت شعرها ، ومزقت ثيابها ، وجعلت تلطم وجهها ، وتضرب صدرها ، ونحن نحاول ان نردها الى الهدوء ونسألها عن امرها ، ولكنها بعد حين تثوب الى نفسها قليلا وتقول لنا في صوت يقطعه الشهيق : انا نشر الزهر .. وعمر ابو يحى هو اخي ! اقرأن تحيتي على زوجي واستوصين بعثمان خيرا ، فلا بد ان ارى اخي قبل ان يموت ، وما اراني ادركه ، ولعلي اعود اليكن والى زوجي وابني اذا انقضت اعوام العزاء ، فالعزاء لا يكون في الايام ولا في الاشهر وانما يكون في الاعوام الطوال . قالت ام رضوان : وكدنا نظن بصاحبتنا الجنون ، ولكن ما راعنا الا ان رايناها تقذف نفسها في التنور ، فلا نرى لها اثرا ولا نسمع لها حسا . كانت جنية تمثلت لابي عثمان امراة فتزوجها وولدت له ابنه عثمان ، ثم جاءها النبأ ان اخاها يحتضر فأسرعت للقائه قبل ان يموت ، وسلكت اليه اقرب الطرق وهو التنور حين يكون ملتهبا .. والجنيات يألفن التنور ، ولذلك لا ينبغي ان يحمى التنور دون ان يذكر اسم الله عند اشعال النار ، فان ذلك يطرد منه الشياطين ، ويؤذن المسلمات بأنه سيحمى فيخرجن منه قبل ان يدركهن شيء من النار ... » اهـ .

وقصيدة « الريفية والجن الابيض » .. التي تروى هذه القصة شعرا ، هي احدى قصائد الباب الخاص بالخيال الرمزي .. وهو يشتمل على قصائد اخرى مشابهة .. مثل قصيدة « اشعة من الباب الفضي » ، التي تروي قصة شاعر خيالي ، صعد الى بلاد القمر ، وتحدث الى غانياته ، ثم مات ودفن في ذلك القبر الذي تحيط به الانوار من كل جانب .. وهي القصيدة التي اشرت اليها في مقال سابق .. وما احسب الا ان موضوعها يتصل بهذا الخيال العنيف ، الذي يثير الفزع، وهو يعالج من الموضوعات ما هو غير مألوف ..

وقصيدة اخرى في هذا الباب ، كان فيها غموض كثير ، عنوانها « وحي المرآة في المساء المقمر » .. القمر دائما .. ولكن المرآة في هذه المرة تعكس نوره في الليل ، فتثير في النفس هواجس واحاسيس ومعاني واخيلة ، لا حد لها ، ولا نهاية لما تثيره من فزع ورعب ، او غموض وابهام .. تقول القصيدة :

نظرت الى المرآة والليل مقمر ... يشيع على مصفر وجهي شعاعها
فعدت كأني عابد في كنيسة ... من النور والبلور تخفي التماعها

محتها دموع الساهمين ، وصفرت ... حواشيها احزانهم في صلاتهم
فلما استحالت صفرة في وجوههم ... اضاءت بنور من مشاكي دموعهم

لقد قشعرت جلدي واجرت مدامعي ... وطارت بلبي .. نظرة في السجنجل
اريد يحاكي البدر وجهي ، وانما ... ارى فيه بدرا ميتا لم يغسل

كأني في وجه تقنع ميتا ... فتى تترى في البلاد مغير
مضى يتخفى في جدار ملاطه ... من التبر مصقول اللجين منير

لقد اوحت المرآة للنفس رهبة ... منورة .. لكنها مشعل الموت
تثور بلا نار ، وتخبو بلا هوا ... وترنو بلا عين ، وتبكي بلا صوت

فاي جدار انت في اي معبد ... وهل انت بدر كان قطعا من البدر
وان كنت لا هذا ولا ذاك فاذكري ... أيبلى فتى ميت برؤياك في القبر

هل رأيت ؟.. المرآة تشيع الصفرة على الوجه .. العابد في الكنيسة .. لماذا ..؟ لمعان النور والبلور .. السهوم والدمع .. الحزن في الصلاة .. الجلد يقشعر ، والدموع تنهمر ، والخوف يذهب باللب .. السجنجل ، اللفظة القديمة التي استعملها امرؤ القيس في معلقته .. البدر الميت الذي لم يغسل .. الوجه المقنع الميت يشبه وجه الفتى التتري المغير .. ماذا جاء هنا بالتتار ؟ لعلها الصفرة .. انه يتخفى في جدار من التبر ، ولا يسير في وضوح ظاهرا للعيان .. هل المرآة قطعة من البدر ؟.

هل يبتلي الميت في قبره برؤية هـذا الشيء المفـزع .. الذي يملأ قلبه برعب يزيد عما هو فيه ؟!

هذا هو مضمون القصيدة ، وهو كثير يملأ شرحه صفحات وصفحات ، رغم ان القطعة لا تزيـد على اثنـي عشر بيتا .. مقسمة الى ستة اصماد .. ولكـن لا شك ان في هذه القصيدة شيئا ، بل اشياء ، يريد صاحبها ان يقولها .. ما هي ؟ ماذا يفهم منها القارىء ؟ وهل يستوي جميع القراء في هذا الفهم ، ام ان كلا منهم سينفرد بفهم خاص لها ؟..

هنا اذكر مقالا نشرته مجلة « ابولو » في عدد يونيه ١٩٣٣ (نفس العدد الذي نشرت لي فيه ترجمة المنظر الخامس من الفصل الخامس من مكبث لشكسبير شعرا) اما كاتب المقال فهـو الشاعر الكبير والاديب الرائـد عبد الرحمن شكري ثالث الثالوث العظيم الذي دخـل الادب الحديث من اوسع ابوابه ، العقاد والمازني وشكري .. اما المقال فهو في باب النقد الادبي مـن المجلـة ، وعنوانه ، « نقد الطريقة الرمزية وشرح اثرها في اساليب الشعر ومعانيه » ..

يبدأ عبد الرحمن شكري مقاله بجملة مركزة تغني عن جميعه يقول فيها :

« مذهب الرمزيين كما اعتقد يشمل امـورا منهـا احلال المشبه به مكان المشبه ، وحذف المشبه في كثير من المواضع . ومنها ادخال تشبيه في تشبيه واستعارة في استعارة وخيال في خيال . وثالثها الاسترسال في وصف الهواجس النفسية من غير تمهيـد او شرح ، ويرمزون لهذه الهواجس باشياء تذكرهم بها . ورابعها انهم قـد يشبهونه بثالث ، والثالث برابع الخ .. ثم يحذفون كـل يشبهونه بثالث ، والثالث برابع الخ .. ثم يحذفون كـل هذه الاشياء ما عدا المشبه به الرابع فانهم يبقون لفظـه كي يكون رمزا للمشبه الاول .. ولا شك ان هذا المذهب يتطلب ذكاء وانتباها وثقافة من الشاعر والقارىء ، ولكن اصحابه قد نسوا قول بنـدار الشاعر الاغريقي القديم ـ على ما اذكر ـ وقـد اراد ان ينصح شعراء عصره : « ابذروا البذر باليد لا بالزمبيل » .. يعنـي ان الزارع اذا رمى بذرا كثيرا في مكان واحد فان النبات الذي ينبت قد يقتل بعضه بعضا ، وكذلك الشاعر اذا ادخل الصور الشعرية بعضهـا في بعض في جملـة واحـدة افسد بعضها بعضا .. » اهـ ..

والمقال طويل يبلغ قريبا مـن تسع صفحات مـن المجلة .. ويدل على سعة اطلاع كاتبه واحاطته بالموضوع من كل جانب ، ولكنـه يوضح في الوقت نفسه ان الكاتب ينقد هذه الطريقة ولا يوافق عليها .. ولذلك فهو يقول في آخر مقاله :

« اما نصيحتنا فهي ان نصون الثقافة من اساليب وطرق الرمزيين التي يستخدمها المثقفون وغـير المثقفين منهم ، فلا نضع كلمة او عبارة مكان اخـرى كي تكـون رمزا لها ، ولا ان ندمج الصور الفنية بعضها في بعض في جملة او بيت واحد متكثرين بذلك من الاخيلة والاستعارات والتشبيهات ، ومتعجلين في ايجاد وجه شبه بين شيئين على طريقة الرمزيين ... » الخ ..

كان عبـد الرحمن شكـري اذا يعـارض طريقـة الرمزيين ، التي تمثل في الواقع طريقة المجددين في ذلـك الوقت ، وقد ضرب لها امثلـة في مقاله ، ولكنه كـان مهذبا في عرض موضوعه تهذيبا تقتضيه مكانته الادبيـة الرفيعة .. ولذلك عرض مـا يـراه اصحاب الطريقـة الرمزية محاسن لها ، وما يراه هو عكس ذلك .. لم يكن من قبيل المصادفة ان تضع مجلة « ابولو » عقب مقالـه مباشرة ، مقالا لاحد شعراء الشباب يومئذ ، يتحدث عن « عناصر جمال الفكرة في الاسلوب » .. ويشرح « جمال الابهام الرمزي » . بأمثلة من الشعر القديم ، والحديث .. يبدأ فيها بالحديث عن بيت لابي شادي مـن قصيدة « اللهيب المقدس » .. يقول فيه :

قد رشفنا منى الحيـاة بثغـر وارتوينا مـن اللهيب المقدس !

فيقول صاحب المقال ، وهو الشاعر الزميل محمد الهمشري رحمه الله :

« ان العقل الراجح ليعجز عـن ترجمـة اللهيب المقدس .. وان الخيال ليقف حائرا مشدوها امام تفسير هاتين اللفظتين . وان كان يجد فيهما العقل والخيـال الفة ، قد تصل في بعض الاحيان الـى حدود المعرفـة القوية ، وآصرة الصداقة والخلطة . لكـن هذه المعرفة والصداقة مبهمة .. مبهمة لانها انتقلت من المجال الكامن الى اللاشعور قبل ان تنضج في حيـز الشعور المطلـق القوي .. » .. وبعد ان يتحدث الهمشري كذلك عـن تعبير « السكون المشمس » .. عند طاغور ، يضرب امثلة من الشعر العربي ، عند جميل بثينة ، ومجنون ليلى .. وكل ذلك في نظري لا يخرج عن كونه ردا على مقال « نقد الطريقة الرمزية » .. في اسلوب من المجلة مهذب ايضا ..

وقد كتبت في عام ١٩٣٤ مقـالا في ذات الموضوع ، لا اجد اصله تحت يدي الآن في هذا الحصاد .. ولكنـي ارسلته لصحيفة « الاهرام » فنشر في صفحتها الادبية ، اذكر انـنـي دافعت فيـه عـن الطريقة الرمزيـة .. واستشهدت بابيات لشعراء محدثين منهم ابـو شادي ، والهمشري .. ولما كان المشرف عـلى الصفحة الادبية في الاهرام يومئذ ، متطرفا في الدفاع عـن العقاد ، وكانت المعركة قائمة على اشدها بـين العقاد وخصومه ، فقـد تسبب ذلك في تأخير نشر المقال بعض الوقت ، لشبهة اني ادافع عن فريق ضد فريق .. وما كنت اقصد الا عرض الفكرة التي اردت عرضها .. اذ انني لـم اكن في حياتي كلها الا صادرا عن ذات نفسي ، مدافعا عما اراه صوابـا من الرأي ، بعيدا عن الخصومات الحزبية المختلفـة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصداء الذكرى

كثيرا مررنا بهذا الطريق ... ورنت على الدرب اصداؤنا
مرارا تمنيت الا نفيق ... والا تمر الثواني بنا
وان يحتوينا الفراغ الرقيق ... ونسبح في لحظات الهنا
أنام بصدرك لا استفيق ... ونحكي لايكتنا سرنا
وانت تلملم شعري الطليق ... وتمنحه قبلة كالسنا
نطير ونغزو الخيال الانيق ... ونسمع بالروح مالحنا
انا الآن اخطو بغير رفيقي ... أحن لدقات خطواتنا
يضم فؤادي بقايا الحريق ... بروم الحياة بقلب المنى
يلوح لي في السواد بريق ... ترى أمل في الليالي دنا

القاهرة — فاطمة عبد المقصود يوسف

ولذلك ذهبت الى الجريدة ، وناقشت محرر الصفحة الادبية ، وهو اديب وشاعر معروف . فلما عرف وجهة نظري اقر المقال .. فنشر في صدر الصفحة ..

ثم كان عام ١٩٤٠ .. وكنت موظفا في ديوان وزاره المعارف ، وجاءت العطلة الصيفية للمدارس .. وحضر الى ديوان الوزارة الاستاذ عبد الرحمن شكري ، وكان ناظرا لمدرسة بور سعيد الثانوية ، لانجاز بعض الاعمال المتصلة بمدرسته في الديوان .. وحين علم بوجودي ، بعث الي فاستقبلني استقبالا كريما ، ما زال اثره في نفسي ، دليلا على تواضع صاحب هذه الشخصية الادبية الكبيرة ، التي ترك عليها النقاد من كتاباتهم عن خصومته مع العقاد ، ظلا من الغموض والابهام .. فان عبد الرحمن شكري كما رأيته في هذه المقابلة الفريدة ، انسان ، كريم ، نبيل ، طيب .. وقد ذكرني بالمقال الذي مر عليه ست سنوات ، وناقشني فيه ، وقال انه قرأ لي كثيرا .. وقال لي بعد ذلك « سوف تكون شاعرا كبيرا » . وهذا تفضل كبير منه في المقابلة الوحيدة التي اتيحت لي معه ، وكان هو الداعي اليها ، والحريص على ما قاله فيها .. رحمه الله ..

الخيال الرمزي اذا هو الغموض .. وهو دعوى كل جيل يحاول التجديد في الشعر ، بحجة ان ما سبقه اصبح مفهوما اكثر من اللازم ، ومن ثم اصبح متداولا ، ممجوجا .. او على حد تعبير الشاعر الجاهلي القديم نفسه ..

ما اراانا نقول الا معادا ... او معادا من لفظنا مكرورا ..

ولكل جيل على ذلك الحق في ان يحس شيئا من الغضاضة في اعادة ما قاله السابقون وتكراره .. ولكن الخطأ ينشأ من المغالاة في الشعور بهذه الغضاضة ، وتحويلها الى عداوة .. ثم الاستغناء كلية عن هذا القديم المكرور ، بأي جديد يحل محله ، حتى ولو كان ذلك الجديد في نظرنا ، هو الغريب عن لغتنا ووطننا وذوقنا ، وهو القديم في نفس الوقت المكرور عند اهله من الاجانب ، الذين يبيعون لنا منه سلعة نافقة ، ليبلغوا منا هدفين عظيمين ، الاول ابعادنا عن قوميتنا وعروبتنا التي هي اصل حضارتنا وقوام نفوسنا .. والثاني تتبيعنا لهم دون ما شعور منا ، حتى نصبح ذيلا لهم ، لا في العلم والصناعة وحدهما ، ولكن في مذهب الفكر وانطلاق اللسان ايضا ..

على ان الخيال الرمزي في ديوان « اليخت الذهبي » لم يبلغ الى شيء من تلك المغالاة .. وانما كان محاولات طبيعية صادقة ، كانت هي في نظري السمة الغالبة على هذا الديوان .. وليس من القليل في هذا الشأن ان استطيع جمع عدة قصائد من هذا الضرب ، لاصنع منها بابا مستقلا من ابوابه ..

ولست اريد ان اعرض لقصائد اخرى من هذا الباب ، بعد ان عرضت قصيدتي « اليخت الذهبي » .. « واشعة من الباب الفضي » .. من قبل ، ثم عرضت هنا قصيدتي « الريفية والجن الابيض » ، و « وحي المرآة في المساء المقمر » .. على ان هناك قصيدة خامسة طالما اشرت اليها من قبل ، دون ان اعرض لها كاملة ، وقد وجدتها بين قصائد هذا الباب .. وهي قصيدة « حرية الشاعر » .. فوددت ان اعرض لها ايضا .. الا انني فضلت ان أؤجل الحديث عنها الى فرصة اخرى .. لان موضوعها هو « حرية الرأي » .. وانا اريد للحديث عن حرية الرأي ان يكون مستقلا بمقال خاص ..

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري



الدكتور زكي المحاسني

اخي زكي المحاسني

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *

ايه يا اخي زكي ...

ما تزال رسالتي الاخيرة اليك بدون رد ، وقد عجبت من طول الانتظار ، انت الذي عودتني على ان تبعث بردودك الي سراعا ... وعلى عجل !...

ما اكثر رسائلك الي وانت مريض ، مع ذلك فما كنت تتشكى ولا تبعث بأنة ولا آهة ، حتى خيل الي ان ما ينسب اليك من مرض وعكة عابرة بولغ فيها ، الى ان جاءني النعي ، فرجعت من توي الى رسائلك واشعارك وكتبك انشرها بين يدي ، وبعضها لا يزال طري المداد ، ومما زاد في طراوة مدادها هذه الدموع الحرى التي ذرفتها من اجل صديق عزيز راحل ، وان كان الدمع لا يليق بالرجال ، ولكن من اجل من جمع المحاسن يا « محاسني » عندي الف عذر وعذر !

اتذكر يوم بعثت باساطيرك الي وانا نزيل مدينة ليدز ؟

لقد قرأتها معجبا مباركا لك عبقريتك ، ولم اتمالك نفسي من نظم قصيدة في اطرائها والثناء عليها وعليك ... وقد قلت يومها :

عقل العي مقولي مقولي اليوم خانني !

وما يصدق علي بالامس يصدق علي اليوم مضاعفا، فانا عيي مشدوه ، لا احير بيانا ولا استطيع كلاما ، وان ما اقوله هذيان محموم وهذرمة من اضاع الرشد ، فوقع الصاعقة علي اهون من نبأ نعيك وخبر مفارقتك دنيانا ، وان كانت دنيا لا يأسف على فراقها انسان .

لقد وعدتني بكتابة مقدمة للجزء الجديد من « الفسر » انت يا من لم تخلف وعدا ولم تنكث عهدا ، انت يا من شاطرتني الاعجاب بالمتنبي وراويته ، فاين مني وعدك ومرتقب عهدك ؟

لا ، يا اخي زكي ، لا ، ما هكذا يكون الرحيل ولا الوداع ... فقد تركت رسالة بلا رد ، وكتابا بلا مقدمة، وقلبا بلا نجوى ، فالى اين اين الرحيل على عجل ، يا ابا ذكوان ؟

اتصدق ان ساعي البريد ناولني الرسالة التي تحمل نبأ نعيك وانا احقق الابيات التالية لصديقك وصفيك المتنبي :

نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا
أين الاكاسرة الجبابرة الاولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى ، فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا ، كان لم يعلموا ان الكلام لهم جلال مطلق
فالموت آت ، والنفوس نفائس والمستغر بما لديه الاحمق

حتى اذا ما فرغت من البيت الاخير واثبته بروايتيه المتباينتين بين من يقول : « المستغر » وبين من يقول : « المستعز » ، فضضت الكتاب ، ويا شؤم ما قرأت ... فايقنت ان المتنبي سبق صاحب الكتاب في ابلاغ نعيك الي ... بأبلغ لفظ واروع عبارة :

نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا !

اجل لقد كان المتنبي بين نعاتك ورثاتك فقد جمعتنا الدنيا بالمحاسني واقرانه ولداته الطيبين ، وها نحن اولاء بدانا نتفرق واحدا تلو واحد ، فيا تعس الحياة التي لا تبقي على صفي او صديق .

لقد كان اسما على مسمى ، وقلما تصف الاسماء مسمياتها بمثل هذه الدقة والبراعة . كان جملة محاسن، ومجموعة رجال في رجل واحد ، لذلك لا اصدق انه مات ، فقد يموت فيه شخص او شخصان وتبقى جملة شخوص . ربما مات زكي المحاسني الهيكل الفاني ، ولكني لا اصدق ان الشخوص الاخرى الكامنة فيه قضت نحبها جميعا .

قولوا ايها النعاة شيئا آخر غير هذا ، فاني لا اصدق موت زكي المحاسني الباحث والاديب والكاتب والشاعر ... فان هؤلاء احياء لا يموتون .

واسمحوا لي ان اكذب النعي فان رسائله لا تزال طرية المداد امامي وها هي ذه بخطه وقلمه ، بعواطفه المخلصة الصادقة ابدا .

لقد اجتمعت لدي من رسائله طائفة اعتز بها . لقد كتب الي حتى ابان مرضه . كل ذلك لكيلا اشعر بوحشة الاغتراب ، وليس ذلك فحسب بل كان يشفع رسائله بمؤلفاته .. بمقالاته .. بكتبه وقصائده ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا ما اشد ظلام الدنيا بدون المحاسني ، بل مـــا اعظم الكارثة على دنيا الادب والاديب .

دعوني انبذ فكرة التصديق بموته، لانني لا استطيع ان اتصور مجلة « الاديب » خلوا مـــن اسمه الحلو ذي الجرس الرائع والحروف المتلألئة .

كان زكيا ، وكان جملة محاسن ... اقولها حقـا وصدقا ، ويقولها معي اصدقاؤه ، وهم كثر في كل بلـد من ارجاء الدنيا العربية .

اعتقد انه مات بهيكله الفاني كما مـــات جهابـذة العلماء من قبل : مات والقلم في أنامله ، والافكـار الحلوة تداعب ذهنه الوقاد ، والكلمات الذهبية تنساب حلـوة الحرس على لسانه الذرب .

كان اكثر من شاعر ، وكان اكثر من اديب . كـان عالما وفقيها في اللغة ، واذكر انني بعثت اليـه ببيت مغلق من شواهد ابن جني يوم كنت في مدينة ليدز ، بعيدا عن المصادر والمظان ، فبعث الي بتعليق يـــدل علـى المعية وذكاء وسعة اطلاع ، ويسرني ان اقول ان هـذا التعليق وتعليقات اخرى اعتز بها ستظهر في الجزء المقبل مـــن « الفسر » .

ولا تزال كلماته في احدى رسائله ترن في اذني :

« ساكتب لك دواما لتشعـــر بالالفة وتنفي عنـك شعور الاغتراب ، وفي رسالتي الثانية اخبار مـن قلبـي وحبي ، وشعري في ذلك مـــن بعد الخمسين ، وكـان صاحبكم الزهاوي يقول : (واقوى غرام المـرء في حـين يهرم !) »

وفي موضع آخر يقول :

« طربت جدا وهزتني ابياتك الجميلة المكينة التـي تنم على انك شاعر بالطبع ، وحبـــذا متابعتك في الشعر بنشر خطرات طيبات يواتيك بها الالهام الصافي .

وقد وقفت معجبا عند قولك « ان ابن جني ربمـا كان مخترعا لاحدى العبارات او الالفاظ او الاخبار » ثم يسرد حديثا رواه ابو عثمان الجاحظ عـــن رجل يسمى المكي كان مخترعا للاخبار بشكل بارع عجيب .

ومن خير ما وضعه رحمه الله ثلاثة كتب : علـم اللسان العربي ، والفقه اللغوي المقارن ، وتاريخ المعاجم والموسوعات العربية ، ولمحات مـن الموسوعات الغربية ، وهي محاضرات القاها في كلية الآداب وكليـــة التربيـة بالجامعة اللبنانية ، قبل ان يقعـــده المرض عـن متابعة التدريس قبل وفاته بعام ونيف .

ولقد كتب في بعض رسائله متحدثا عـن ابي الفتح وكان ، طيب الله بالرحمة ثراه ، شديد الاعجاب به :

« انه من اكبر التشريف لي ان اكتب مقدمة لـــه تليق بالانس والجن » غير انه مضى للقاء ربـه (وعجلت اليك ربي لترضى) ، قبل ان تتحقق هذه الامنية ، على انه مع ذلك كتب تقريظا للجزء الاول لبعض دور الاذاعـة ارجو ان اوفق في الحصول عليـه ، فاوشح بـــه بعض اجزاء الكتاب المقبلة .

ولا مزيـة في ان المحاسني كـــان دائـــرة معارف وموسوعة لغوية ادبية علمية دون بعضها وضاع الكثير مع الاسف اذ مات في اوج نضجه ولما يوفق الى تدوين كل ما كان يملأ ذهنه الواسع الجبار .

ولقد تألمت كثيرا عندما كتب الي في اخريات ايامـه مشيرا الى احدى رسائلي :

« قراتها بالمنظار اليدوي ، اذ ان نظـــري ضعف لتناول الكورتيزون ضد الروماتزم » .

ووقفت لحظة اذ تذكرت المأسوف عليـــه الدكتور مصطفى جواد وكيف ان الكورتيزون الذي تناوله لمعالجة الروماتزم دمر قلبه ، فكتبت اليه ان يقلل من تناوله ان استطاع الى ذلك سبيلا .

ولكن سبق السيف العذل ، فقـــد مضى زيـــن المجالس والمحافل وصالات التدريس ، سيـد القرطاس والمنصة ، ووالله لو شاء ــ كما قال ابـو العتاهية ــ ان يجعل كلامه كله شعرا لفعل ، فقد كان القريض يواتيـه عن طبع سليم وسليقة وصيلة .

سأتخيل صورته في كـــل صفحة مـــن صفحات « الاديب » ، واتوهم رسائله في ثنايـــا الرسائل التـي تردني كـل يـوم ، بل اسمع صوته مجلجلا مـن بعيـد من صالات الجامعة اللبنانية ، وجامعة دمشق !..

انه اكثر من اديب ، واكثر من شاعر ، واكثر مـن استـــاذ ...

انه رمز ... اجل ! لقد كان زكي المحاسني رمـزا مباركا من رموز الحرف العربي الاليق .

لنـــدن — صفاء خلوصي

ايها البلبل

نظم جميل صدقي الزهاوي ، هذه الرباعيـة باللغة الفارسية ، وقـد ترجمها لـي احـد الاصدقاء ، فنظمتها على الصورة الاتيـة :

أنـــا ذاك الهـزار يبكـي التياعـا
أبـــدا مـن فـراق ورد الجنـان
أنـا أشكـو حينـا صـدود الريـا
حين وحينا من شوكها ذي السنان
ليس في النوح بيننا مـــن فـروق
يـا هـــزار الرياض في ذا الزمـان
أنت تبكي وجـدا علـى خـــد ورد
وبكائـــي علـى خـدود الحسـان

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصـــــداء

خاصمني ، فتلقى مزيدا من الحب !
جديدا من ثمار الحب !
خاصمني وغمغم ،
اغمض عينيك عن رؤيتي
فرسمي ملتصق باجفانك
وانت لا ترى سواي !
خاصمني واسترح على كرسيك
اغرق في صمتك المثير ،
افتح الكتاب وابتدىء من الصفحة الاولى
فالحروف تتحرك ، تقفز وتطير ...
تلتصق صورا على النوافذ والجدران
ورسمي يتربع عليها كلها !
خاصمني وذرذر كلمات اللوم
اقتلع وجهي الراسي على اهدابك
اطلق نوافير اللهب من صدرك
فالرتابـة تميت الحب
تخنق انتفاضاته ،
والخصام يؤجج الركود !
ويفجر وروده
خاصمني ، اخترع ان تخاصمني
علمني ان احبك اكثر !
هذه النيران المندلعة في غابة صدرك
هذا الفوران المتراقص على شفتيك ،
تجلو الزنابق في عيني
فينساب شذاها
حتى الهياكل المهجورة .

ما اروعك ثائرا عنيفا
تصفع وجـه الشتاء
وتمـلا جراري كوثرا
صراخك يرجني ، يقتلع اشواكي
يغرسني على اصابعك خشوعا وسكينة ،
فتتكور في نفسي ازهار البنفسج
عيناي تصافحان عينيك ...
وتسهر على لياليا كل النهارات !
يدك المتوهجة ، تحمل الشعل الخالدة
تصهرني باللهب المختلج
فتندى في انسيابها عروق الرخام
وترتاح شذى على جبيني .
خاصمني ، فبعد كل خصام
اراك اجمل ! أحسك اقوى ...
اخترع ان تخاصمني
امسح عيني بعطور جديده
علمني ان احبك اكثر .!

اديـل الخشـن
الشويفات ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فاضل السباعي

رسائل من علي الناصر

بقلم فاضل السباعي

* * *

عامان تقضيا على وفاة الشاعر علي الناصر (١٨٩٠ ـ ١٩٧٠) ... وانا ، كلما جلست الى ديوانه « اثنان في واحد » ، اتسمع صوته وهو يلقي علي اجمل مقطوعاته الشعرية ، فاذا عدت الى رسائله عندي، احسست روحه تتجلى في كل سطر ، في كل كلمة ، في كل نبضة حرف .

ان عندي من رسائله سبع عشرة رسالة ، هي ما تلقيت منه على مدى ثلاثة اعوام ونيف ، منذ غادرت حلب مقيما في دمشق العام ١٩٦٦ . ولئن اتسمت هذه المجموعة من الرسائل ، بالعفوية والحميمية ، لهي كذلك تعبر عن عالم علي الناصر الخاص : فكره ، وفنه ، وعواطفه ، وصبواته ، واطواره النفسية ، وهمومه العامة والذاتية ، همومه انسانا ، وصديقا ، وطبيبا ، وشاعرا ، بل وناشرا ايضا .

ولاعترف بأني راجعت النفس طويلا ، قبل ان صح عزمي على تقديمها الى « الاديب » ، المجلة التي رعت الناصر الشاعر عندما رحبت على الدوام بما كنت اوافيها من نتاج هذا المجدد المتميز بفنه وشخصه . فاما ما حملني على التردد في نشرها ، فهو ان المرسل قد اغدق فيها ثناء على المرسل اليه ما كان ليستحق الا بعضه القليل . وفي الحق ، لم يكن الثناء الا نتيجة طبيعية لما ساد بيننا من وطيد العلاقة : فقد دابت على مراسلته ، وهو في عزلته التي يسميها ، آنا : « سجني الرهيب » (الرسالة السادسة) ، ويحس ، آنا آخر ، وهو في هذه العزلة ، انه « يمشي مسرعا الى القبر » (الرسالة الثانية) فضلا عن اني ندبت نفسي لمهمة هي ارسال مقطوعاته الشعرية الى بعض المجلات لنشرها ، وهو الذي عزف على الدوام بعزوفه عن تقديم نتاجه الى النشر (وليرجع من يشاء الى مقالي « الشاعر علي الناصر » ، « الاديب » ، يوليو ـ تموز ١٩٧١) .

اقول : راجعت نفسي طويلا ، حتى لقد هممت بأن آتي حذفا على كل عبارة ثناء وردت في الرسائل ، لولا ان الدكتور عبد السلام العجيلي ، ثم الاستاذ سعد صائب ـ وهما صديقا الراحل العزيز وصديقاي ـ لم يؤيداني في ما انتويت ، بل لقد حرضاني تحريضا على ان انشر الرسائل كما هي ، فليس لي ان « اغير » فيها (والحذف تغيير) ، واما ما ورد فيها من رأي للناصر في ، فانما ذاك رأيه هو ... فغلبني الكريمان على امري .

وهانذا اقدم الرسائل الى القراء كاملة ، الا ما يجري عليه قلم استاذنا البير اديب ، وذلك شأنه .

على انه يهمني ان ابين اني عمدت الى تذييلها بهوامش توضح ما رأيت انه يحتاج الى توضيح . كما اني اغفلت ، احيانا ولاسباب غير خافية ، اثبات اسماء بعض الاشخاص ، رامزا لهم بحروف ابجدية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ١ ـ

حلب ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٦٦

عزيزي فاضل

ان ذهابك من حلب قد احدث عندي فراغا لا يمكن ملؤه، فقد كنت صلة الوصل بيني وبين العالم . فانني الآن اعيش كما تعيش اي حشرة على وجه الارض ، وقد جف معين الشعر ولم يبق ما يثيرني ، كما ان « ج » (١) هي في بيروت الآن ، ولا ادري متى تعود .

خبرني مفصلا عن احوالك ، ولا تتماهل بالكتابة الي ، فأنا حريص ان اطمئن عليك من كل ناحية . وارجو ان تكون بلغت ما تصبو اليه في دمشق من الوجهة الفنية .

أرجوك ان تسعى للاتصال بالسيد « ك. ف. » ، وتأخذ منه نسخة « قصة ايام » ، فلا ترى فائدة من بقائها في حوزته ، لانه على ما يظهر قوال غير فعال (٢) .

١ ـ « ج » ، هي صديقة كانت تسلي وحدته في اعوامه الاخيرة ، وقد طالما حدثني عنها حديث امتنان .

٢ ـ كان قد سلم لهذا الصديق المقيم في دمشق ، نسخة من

احترامي لكل من يسأل عني، واشواقي لك عظيمة، واتمنى للعائلة الكريمة كل هناء . (علي الناصر)

- ٢ -

حلب ١٦ - ٧ - ١٩٦٦

عزيزي فاضل !

انك في عدم جوابك على كتابي الذي ارسلته اليك من مدة غير وجيزة شوشت فكري ، ولا اعرف احدا هنا يمكنه اعلامي عن احوالك . فأرجو ان يكون صمتك ناشئا عن الكسل او اهمال صديقك الدكتور (٣) .

ما عدت اجسر ان اطلب منك استرداد «قصة ايام» من « ك. ف. » ، لانني ما عدت مهتما الا بك .

انني كنت مشغولا بمطالعة كتاب امراض الجلد الانكليزي الذي طلبته اخيرا ، وهو من اهم ما اخرجه الغرب في هذا الموضوع . ولقد اتممته . وبالرغم من الارهاق الذي اصابني ، وفقداني صحتي ، ما كنت آسفا ، بسبب الفائدة الجلى التي حصلت عليها منه .

اما الآن فأرجو الا يتخلى عني الشعر (.....) ، لا سيما في هذه الايام العصيبة التي اجتازها وانا أمشي مسرعا الى القبر .

البارحة أتاني هذا البيت :

تملا النفس عتوة حسرات حين تكبو اشواقها من كلال

وفي الختام ، احتراماتي لمن يتذكرني عندكم . ودم لاخيك الكبير : (علي الناصر)

- ٣ -

حلب ٣ - ١ - ١٩٦٧

ولدي العزيز فاضل !

ان رسالتك الرقيقة قد بخرت كل عتب متراكم عندي . انك حقا لبق حتى بأعذارك . ان ودك الاكيد وحبك الصادق قد آنسا وحدتي وخففا من ضجري ومن ألم الصلب اللعين الذي لا يريد ان يتركني وشأني (٤) . فأشكرك كما شكرت صديقا قديما ما تركني لحظة لوحدي لا في السراء ولا في الضراء ، بالابيات التالية :

صديق يلبيني وما من مرة ويرأم احزاني ويقصر ايامي
ويغمض جفنا افقد الليل امنه ويضمد بالمعروف مقدوري الدامي
ومما يزيد النفس ذلا شكاية تند فيدمى كبريائي لايلامي

١٩ - ١٢ - ١٩٦٦

ان هذه الايام كرمت علي - غير مشكورة - بكثير من المقطوعات الشعرية التي نازعتني نفسي مرارا الى تمزيقها ، لا سيما حين أفكر بتبييضها ونقلها وأنا ما أنا عليه من كراهية التصحيح والتسجيل . وبعد فقد جمعتها ووضعتها كما هي . يا فاضل أين أنت ؟ ان القدر حرمني حتى منك ومن عونك وابعدك الى دمشق .

لم تذكر لي شيئا عن رواياتك وعن أعمالك الادبية.

بلغ تحياتي الى الدكتورة زاهدة (٥) . وتقبل مني أصدق التمنيات واحر الاشواق .

حاشية : ضاقت روحي من متابعة الكتابة ، المعذرة . (الدكتور علي الناصر)

- ٤ -

حلب في ١٢ - ٩ - ١٩٦٧

فاضلي العزيز

ليس لي الا الشكر على اخلاصك وصدق مودتك لي . ان الوفاء هبة لا تعطى الا للذين صفت نفوسهم وسمت ، وهؤلاء المصطفون يمنحون الحياة بالرغم عن جدبها نفحة عطرة تحبب النفوس اليها ، وانت يا صديقي الصغير سنا والكبير قدرا منهم (٦) .

سأسعى جهدي بالرغم عن تدهور صحتي وكثرة همومي ، ان ازورك في دمشق ، لان في نفسي حاجة ملحاحة لرؤيتك . وارجو ان تكون هذه الزيارة قريبة (٧)

خبرني عن احوالك ، ولا تقطع مراسلتك مهما كانت الظروف .

ودم لمن يعزك ك « وائل » (٨) ، ايها الوفي الكريم . (الدكتور علي الناصر)

لا بأس من ان اطلعك على ابيات كتبتها في تاريخ ١٧ - ٨ - ١٩٦٧ لتلمس حقيقة ما أنا فيه :

بدا الوهم يلفظ انفاسه وغيب في القلب عرس الشفق
افقت وما زلت اهذي سدى كاني من غفلتي لم افق
رأيت جبين المنون البليد بكهفين ما زينا بالحدق
يكشر والهزء في وجهه (.)

- ٥ -

حلب الاحد ١١ - ٢ - ١٩٦٨

صديقي وولدي العزيز !

استلمت رسالتك (٩) ، وقرأت ما كتب بشأنك في مجلة « الاديب » . ومع اني اكره هذا الجدل العقيم والذي هو سوءة من سوءات مجتمعنا الاناني الجاهل والمدعي ، الا انني لا اكره ان تكون موضوع هذا الجدل .

وانت تعلم يا صديقي القصصي ، انني مغرم بالنقد الهادف الذي يثير الحق والخير والحركة في مجتمعنا العربي ، مع اشمئزازي من « البهلوانيات » والجعجعة ، وقد أوشكت ان انهار عصبيا من هذه السخافات التي يضاع فيها الوقت ، ونحن احوج ما نكون الى البناء

ديوانه المخطوط « قصة ايام » ، املا في ان يعرضها على من يعرف من الناشرين . ثم بدا انه لم يوفق في نشرها .

٣ - الحق لقد شغلت ، في هذه الفترة ما بين تاريخي الرسالتين، بالبحث الدائب عن بيت في دمشق استاجره ، وانه لمطلب عسير !

٤ - كنت قد كتبت اليه ، في ٢٠ - ٧ - ١٩٦٦ ، جوابا على رسالته الثانية . ثم ساد بيننا صمت طويل ، حتى كتبت اليه ، في ٢٥ - ١٢ - ١٩٦٦ ، اقول معتذرا : « ... قعدت اليوم في غرفتي في منزلي ، بعد تانيب ضمير استمر سبعة أشهر ، من اواخر ايار ١٩٦٦ وحتى اواخر كانون الاول هذا : مؤداه اني قصرت في الكتابة اليك وفي ارسال اشعارك الى النشر ... وانا الذي ادرك مدى السعادة التي تخلفها في نفسك رؤيتك شعرك الرائع منشورا » .

والصدق في البناء ، والى الجهد المخلص في سبيل الله والوطن والعروبة .

صدق انني ما عدت اتحمل المذياع ، لئلا ارهق بضجيج الاعجاب الكاذب والهتاف العريض والتصفيق الاحمق ، الذي ان دل على شيء فانه لا يدل الا على الانحطاط والتفاهة في عصر يقدس العقل في عمقه العلمي وطموحه الذي لا يحد . ولذا أرجوك الا تضيع وقتك بالاخذ والرد ، وان تمشي قدما الى غايتك المنشودة .

(.) (١٠)

(الدكتور علي الناصر)

- ٦ -

حلب ٤ - ٣ - ١٩٦٨

صديقي وولدي الوفي فاضل !

أخذت رسالتك ، وشكرتك من صميم قلبي لتنبيهي الى الغلطة النحوية ، وقد صححتها كما ترى (١١) . اما تغير القافية في المقطوعة الثانية فهو سهو اثناء نقلها ، فالكلمة هي « اوهامي » وليست « الحادي » (١٢) .

كما أني لا ادري كيف اعبر لك عن امتناني لاهتمامك بي ولهذا الجهد النبيل في سبيل نشر مقطوعاتي . وها أنا ارسل البعض من الجديد منها :

القطعة الاولى عنوانها « اوروبوروس » ، هي رمز للابدية ، عبارة عن ثعبان على شكل دائرة رأسه يأكل ذنبه ، (.)

اما المقطوعة الثانية ، وسبب كتابتها هو اننا كنا في سهرة رائعة وكانت احدى السيدات المشهورة بجمالها ودلالها تجلس صدفة امامي ، (.)

وكنت في الظاهر غارقا في ذهول امام هذا المنظر ، فما كان من صديق يجلس جنبي الا ان نبهني « لقلة ادبي » :

كيف اسعى ان اغمض العين عما ... شاقها ؟... تلك خطة لا تطاق
لو رأت عينك الكليلة آنا ... ما اراه ، لشب فيها احتراق
آن من خدعة الجمال ووهمي ... ان تجلى خيالي الخلاق

والمقطوعة الثالثة هي استعراض سينمائي Retrograde (أي باتجاه معكوس) لعيون دلهتني في الماضي :

سهوت ، فمرت امام الخيال ... عيون تباهي بأسرارها
حدائق من مبدعات الجمال ... ترف وتزهو بنوارها
تعيد غوايات ماض سحيق ... وتملأ روحي بأنوارها
فاهلا بسمار ليلي الطويل ... تسلي الوحيد باخبارها

واما الرابعة ، فاني اخشى ان تكون فاتحة حب جديد ، وارجو باخلاص الا احمل قلبي فوق طاقته :

من ابدع الالوان أسطورة ... في العين والثغر وموج الشعر
من اودع الاسرار فيها ، ومن ... أوحى لقلبي حظه المنتظر
ها قد بدا ليلي يحث الخطى ... فما أحيلاه ابتسام السحر
وما أحيلى الروح تزهو كما ... يزهو الربيع الغض غب المطر
حق زكاة الحسن ، حق لمن ... أغناه بالوهم السخي واصطبر

عزيزي فاضل : ان روحي بدأت تزهق من كتابة هذه الرسالة المطولة ، ولا شك أنك لاحظت اضطراب الخط والشطب فيها ، ولكني لست آسفا ، فقد تخفف من تكاليف حياتك وتوحي اليك بأننا نسمر سوية في سجني الرهيب .

شوقي وامتناني اليك ، والى لقاء عاجل .

(الدكتور علي الناصر)

٥ - الدكتورة زاهدة حميد باشا ، هي اليوم « مديرة التخطيط » في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، الوزارة التي كنت اعمل فيها . وهي شقيقة صديقه الحميم السيد حميد باشا من وجهاء حلب . وتحمل السيدة زاهدة شهادة دكتوراه فلسفة في العلوم الاجتماعية من الجامعة الامريكية في واشنطن ، العام ١٩٥١ .

٦ - الباعث على شكره هنا ، اني كتبت اليه ، في ٣ - ٨ - ١٩٦٧ ، اعلمه ان مقطوعات شعرية له ، مما وجهت الى المجلات ، قد نشرت بعضها مجلة « الثقافة » الدمشقية ، في احد اعدادها الصادرة في حزيران ١٩٦٧ ، بعنوان « اشعار لهم » ، وان « الاديب » نشرت له مقطوعة « لا جدوى » في عدد سبتمبر - ايلول ١٩٦٧ .

٧ - عبر ، اكثر من مرة ، عن رغبته في القيام بهذه الزيارة . ولكنه لم يفعل .

٨ - « وائل » هو ابنه البكر (من مواليد حلب ١٩٣٤) ، وله غيره ابنته « تيماء » التي سبق ان نشرت لها « الاديب » مقطوعات نثرية في اوائل الستينات .

٩ - كنت قد كتبت اليه ، في ٦ - ١ - ١٩٦٨ ، اعلمه ان « الاديب » قد نشرت له « جذوة » ، في عدد نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٦٧ ، و « دمعة » ، في عدد يناير - كانون الثاني ١٩٦٨ . ولكنه ، هنا ، يشير الى رسالتي التي تلتها ، المؤرخة في ٨ - ٢ - ١٩٦٨ والتي اعلمه فيها ان مقطوعته « في حمى القبر » - وهي احدى عديد من المقطوعات الشعرية التي استحصلت عليها منه في زيارتي الاولى لحلب اواخر العام ١٩٦٧ بعد غياب دام عاما ونصف العام - قد تم نشرها في عدد فبراير - شباط ١٩٦٨ من « الاديب » ، كما لفت نظره ، في هذه الرسالة ، الى كلمات قد نشرت في ذلك العدد من « الاديب » تدافع عني في مواجهة هجوم غير عاقل كتبته ، في العدد الاسبق ، من تدعى « لمياء بحصلي » ، التي تبين لي ، بعدئذ ، ان وراء هذا الاسم المنحول كاتبا عابثا !

١٠ - كنت قد نشرت في مجلة « المعرفة » الدمشقية ، عدد حزيران - يونيو ١٩٧١ ، بمناسبة مرور عام على مصرع الشاعر ، مقالا عنوانه « الشاعر علي الناصر » ، ضمنته هذه المقطوعة النثرية : « صورة » .

١١ - كان مما املى علي ، في زيارتي له في حلب، مقطوعة مطلعها . لا (يأتني) الوعي الا حين يصرعني (.)

فرددتها اليه ، وقد ذيلتها بقولي : « الصواب (لا يأتيني) وعندها ينكسر البيت » . فاعادها الي بعد ان صححها : « لا افقه الوعي الا ... » .

١٢ - كانت القافية ، في هذه المقطوعة الثانية ، « ميمية » . ولكن بدا اني كتبت سهوا آخر كلمة في البيت الاخير ، في اثناء الاملاء: « الحادي » بدلا عن « اوهامي » .

١٣ - قصرت ، طوال تسعة اشهر ، فلم اخط اليه كلمة ، أو انشر من اشعاره شيئا !

١٤ - انه يعني ديوانه الذي سماه اخيرا : « اثنان في واحد » .

١٥ - لقد كان حدسه صادقا بأن هذا آخر اثر له . ولكن المنية لم توافه لضعف في بدنه .

حنين

حنيني اليه ، لمقلة زائر
حنيني اليه ، ولما يغادر
لصوت يثير الحياة بصدري
حنيني ، فديت مثيرا وثائر
لصدر يضج بخفقات كبر
واخير ما ضمنته السرائر
لعطر يضمخ دنيا فؤاد
لضوء ينير السبيل لحائر
لطير تعالى فويق الغمائم ، حط بقربي فامسيت طائر
كبير كبير حنيني لزائر
فكيف الهي حين يغادر

اميرة الحوماني

- ٧ -

حلب ١٢ - ١١ - ١٩٦٨

فاضلي العزيز

ان شوقي لك ولسماع نجاحاتك لعظيم (١٣) .

وبعد ، فانك سمعت بأمر نشر منتخبات شعرية مني ولوحات سريالية من « عدنان ميسر » التي سيتم طبعها في آخر هذا الشهر تقريبا (١٤) . وانني لآمل ان تكون ذات اثر بالاوساط الادبية العربية والاجنبية على السواء . واظن يا عزيزي سيكون هذا آخر اثر لي ، لان صحتي ليست على ما يرام روحيا وجسديا (١٥) . (.) اخشى على ذاكرتي ان تضعف ، وانت تعلم درجة مسؤوليتي الطبية والادبية .

١٦ - اسميت هذه المقطوعة « وبح السنين » ، ووجهتها الى « الاديب » في ١٤ - ١١ - ١٩٦٨ ونشرت في عدد مايو - ايار ١٩٦٩ مهداة الى « الشاعر الكبير الصديق امين نخلة » .

١٧ - مجلة « المجلة » القاهرية ، عدد نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٦٨ .

١٨ - « أ. ن. » هو كهل متأدب ، كان يتردد على الشاعر . والحق انه هو الذي وثق التعارف بيني وبينه منذ اواخر العام ١٩٦٤ وقد كتب ، في مجلة « الضاد » الحلبية ، العدد المزدوج ٩ و ١٠ ايلول وتشرين الاول ١٩٦٨ كلمة عني لم ترق لي ، فوجدتني « اشكو » امري الى الناصر ، في رسالتي المؤرخة في ١٤ - ١١ - ١٩٦٨ ، وختمتها برجائي ان يقرأ على « أ. ن. » ما اوردت في رسالتي عنه .

١٩ - واضح ان فعل « قدمت » ، هنا ، يعني : « كتبت تقديما » وليس « قدمت هدية » . وما اعلمه انه كان لدى الناصر اشعار له مترجمة الى الانكليزية واخرى الى الفرنسية .

وها انا مرسل لك آخر مقطوعة تعبر لك عن حالتي النفسية ، ارجو ان ترسلها الى مجلة « الاديب » ، مهداة الى الشاعر الكبير الصديق امين نخلة ، واظن انها تؤلمه لان الشيخوخة مؤلمة ومهينة ، والسلام .

حتى التوافه امست في نذالتها تبدي التحدي، وما كانت تحداني
وبح السنين ، وليست ذات معرفة بما تجاهد في تقويض اركاني
اشد ظهري وامشي حاملا ثقلي آبى الخضوع، وآبى ذل خسراني
امشي، فاسمع نعيي اينما اتجهت اشواق نفسي، كان الكل ينعاني(١٦)

٨ - ١١ - ١٩٦٨ (بلا توقيع)

- ٨ -

حلب ١٨ - ١١ - ١٩٦٨

فاضلي الحبيب

انني اشكرك من صميم قلبي على صدق عاطفتك وعميق ودك نحوي .

وقد قرأت اقصوصتك « يقظة بعد سبات طويل » (١٧) ، فهي وان كانت تعبر عن حلم مزعج تعبيرا لبقا ، كما هو معروف عندي عن لباقتك في قص الاقاصيص ، الا انني لا احبذ ان تضيع وقتك في مثل هذه الاشياء الزائلة التي عمرها اقصر من عمر الورد .

ان تسجيل الاحلام « موضة » قديمة، وقد سجلت حلمين منها منذ ما يقرب من خمس وثلاثين سنة تقريبا لغرابتهما . اما اعطاءها قيمة اكبر مما تستحق فهو خطأ . وارجو بصدق الا تتأثر برأيي هذا . خض يا صديقي الصغير معمعان الحياة بشوق صادق وايمان ، وستجد ما يجبرك على تسجيل اقاصيص منها رائعة وعميقة ومفيدة .

ساقرأ رسالتك على « أ. ن. » متى زارني (١٨) ، وسنقدم لك انا وعدنان نسخة من الديوان حين صدوره، مع تقديرنا وودنا وادعيتنا لنجاحك ، والسلام .

(علي الناصر)

حاشية : قدمت لي احدى الآنسات مجموعة من الشعر الانكليزي (١٩) بالكلمة التالية :

اللهم امنحه الصحة والعافية ...
اللهم أعطه الخير والابتسامة القلبية ...
اللهم أعط الدكتور علي الناصر الامل الذي تملأ به النفوس الكبيرة ...
ولك الشكر يا ربي لانك تسمع دعائي .

١٥ - ١١ - ١٩٦٨

واعترف لك ان هذه الصلاة الخالصة الصافية كدمعة الام ، كانت لي بلسما للجراح التي تنزف وتنزف بأنياب اخواتها بنات حواء ، وهي كفارة عن آثامهن التي يأتينها ولا يدرين . وقد تركتني هذه الكلمة آسف على كتابة الابيات التي ارسلتها اليك . وها انا اصلي لها من اعماق بؤسي ، (.) لاختي صلاتي : « ولك الشكر يا ربي لانك تسمع دعائي » .

دمشق

فاضل السباعي

قطرات من المطر بللت شعرها وجبينها ، فمدت اصابعها النحيفة، ومسحت بالماء وجهها كله ومرت على شفتيها الجافتين بلسانها .. النار في كل مكان .. في الجو والهواء ، وبالاخص في قلبها .. انها شعلة ملتهبة ، تتأجج وتتقد ، ويرتفع شواظها ...

تشعر لو انها انفجرت فستدمر كل ما حولها تدميرا ، ولكنها لا تنفجر .. النار مشبوبة في حنايا ضلوعها ، والسنتها مخيفة حمراء .. والقيظ شديد قاس .. وهي هنا تنتظر .. ولكن لماذا تنتظر ؟ ومن تنتظر ؟..

قطرات من المطر سقطت برهة من الزمن ثم كفت ، ويا ليتها لم تكف، حتى تخف وطأة القيظ وتتنفس الارض ، وتتنشق رئات الخلائق نسيما بليلا ينعشها ويحييها .

ولكن قطرات المطر التي تخفف من حدة الجو لا تخفف من حدة النار الآكلة في احشائها شيئا .. ليتها تستطيع ان تفتح منفذا في جسمها حتى تنساب بعض القطرات وتطفيء السنة النار المتوهجة ... ولكن اين القدرة لها على ذلك ؟ جسم مغلق يتقد فيه اللهب كأتون مغطى بالطين من كل جهة حتى لا تتفتح فيه اي مسام للتنفس ...

خروف داخل الاتون يطهى ويتحمر .. قلبها ذلك الخروف ، ولكن الخروف لا يحس ولا يشعر ، اما قلبها فهو حي يستنجد ويصرخ .. كل عرق فيه وكل خلجة تنتفض .. انها تنتظر .. وكل دقيقة لها حساب في مقياس الزمن ...

كل دقيقة تقربها من الموعد الذي حددته مع فائز حتى تبت في موضوع مستقبلها معه بصفة نهائية ...

كانا يدرسان في معهد واحد ، يسبقها بعامين في الدراسة ، ويكبرها باربع سنوات . اتفقت معه في الكثير من الآراء ونشأ بينهما ميل قوي استحال الى حب جارف .

لقد تخرج هذه السنة وانهى دراسته ، ومنذ عامين يخرجان معا منفردين ويتقابلان في بعض المنتزهات ، ويراجعان دروسهما في المكتبات ، وكانا لا يفترقان عن بعضهما الا في النادر . وتأكد لجميع معارفهما انهما خطيبان متحابان ، ولكنها هي بقيت حائرة ، لانه لم يفاتحها قط في موضوع الزواج ...

انه يحبها ، هذا لا شك فيه ، وعبر لها عن ميله العظيم اليها عدة مرات ، ولكنه لم يطرق قط موضوع الزواج . واليوم بعد ان مضى على تخرجه عام واصبح

كما يريد هو!

بقلم ناجية ثامر

يعمل استاذا في الجامعة ، لم يعد هناك بينهما اي مانع .. فلماذا لم يتقدم لحد الآن الى طلب يدها ؟..

هل يريد استبقاءها كزميلة وصديقة مقربة ليس الا ؟..

هل رأى فيها صفات لا تؤهلها لتكون زوجته ؟ ولكنه يمدح دائما خصالها ، ولا يرعوي عن القول بأن مثلها في النساء نادر ...

جمال وثقافة ، وتواضع واخلاق كريمة ، ومؤهلات ربة بيت ممتازة .. اذن ماذا ؟..

هل كل هذه الصفات لا تكفي ليتقدم ويطلب يدها ، ويطفيء النار المتأججة في فؤادها ؟ منذ عام كامل بعد تخرجه ظلت تنتظر ان ينطق هذه العبارة : هل تقبلين يا عائدة ان تكوني زوجتي ؟. .

مضى العام الاول بمثابة تعارف تم بينهما ، نما فيه الميل وتشعب فروعه . ثم انقضى عامان آخران ازدادت العلاقة بينهما تمتنا ، وظهر التفاهم والتلاؤم بينهما واضحا جليا ، ثم حاز على الاجازة بتفوق ، وها هو العام الرابع يوشك ان ينقضي ...

مضى ٣٥٠ يوما ، ما يقارب العام ، وفي كل يوم حين يتقابلان تنتظر بلهفة ان يفاتحها في امر الزواج .. وينقضي الموعد ، ويوصلها الى قرب باب المنزل ، ثم يودعها بعد ان يضرب معها موعدا للقاء جديد ... وتمضي ليلها وهي مؤرقة الجفن تلقي على نفسها عدة اسئلة ولا من مجيب .. وتعزم على وضع حد للعذاب الذي تقاسيه بمبادرته بالسؤال عما يفكر فيه في ما يخص مستقبلهما . خير لها ان تكون البادئة من ان تبقى في هذا الالم المضني ... اذا كان لا يفكر في الزواج ، فمن الخير فصم علاقتهما، لان حبها العظيم آخذ في النمو مع الايام ، وفي نشر فروعه في كل خلية في جسمها ... كان جمرة صغيرة ، واضحى اتونا ملتهبا .. واذا بقيت الحال كما هي ، فلا شك ان النار ستأكلها اكلا ...

هل تقبلين ان تكوني زوجتي ؟ جملة واحدة مكونة من خمس كلمات فقط ، تهمد نار الاتون وتحيلها بردا وسلاما ...

ان الطقس شديد الحرارة يصبح ربيعا مزهرا ، والسنة النار تمسي ورودا تفوح بعبير يملأ الجو سحرا وفتونا ...

ايتها القطرات الهابطة من السماء ، لم لا تتحولين الى احرف ناطقة تفتح امامي ابواب الامل والرجاء ؟ لم تبقين هكذا صماء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خرساء ، ولا تمسين من جسمي الا بشرتي الخارجيـــة ؟.. جوارحي تهتف ، عيناي تتحدثان ، شفتـاي ترتعدان في انتظار هـــذه الجملـة الخالدة ، ولكنه هـو لا يشعر ... ام تراه يشعر ، ولكنـــه يتظاهـر بالتغافل والتغاضي وعدم المبالاة ؟.. الا يدرك ان المـــرأة التـي تحب لا تكتفي بعاطفـــة الحب وحدهـا ، وتطمح لان تمتن هـــذه الرابطـة بوثيقه رسمية .. هذه الوثيقة التي لا تؤثر اي تأثير عـــلى العواطف ، فكم من اناس مرتبطين بالوثائـق ، وهم يعيشون تحت سقف واحـــد غرباء ، لا يتفاهمون في اي شيء من الاشياء ...

ومنهم من يتبادلون المقت والكره الشديد ، ولا يقدرون علـى الفراق بسبب هذه الوثيقة التـــي تصبح عبئا ثقيلا لا يحتمل في نظرهم . انها تعرف كل هذا واكثـر .. وبالرغم من كل ذلك فهي تتوق وتطمح الـى هذه الوثيقة بكـل جوارحها ، وان تكن بدون ايـــة قيمـــة بالنسبة للعواطف البشرية ...

المرأة مقيدة في نظر المجتمع مهما تحررت ، وهذه الوثيقة تسمح لهـا بجهر حبها للرجل الـــذي اختارته بدون خشية ولا وجل ، وبدونهـــا تكون علاقتهـــا مدنسة في نظـــر الشريعة ، ومكانتها محتقرة لـــدى المجتمع ، مهمـــا وصلت في علومها وثقافتها الى اسمى مركز ...

انها تريد ان تكون امرأة محفوظة الكرامة ، والضمان مكفـــول بينها وبين من احبته ووهبته قلبهـــا ، لا الضمان المعنوي الـــذي توفره ، العاطفة الصادقة ، بـــل كذلـــك الضمان المادي .. تلك الوثيقة التي هي لا شيء في نظـر القلب والحب الصحيح ، والتي هي كـل شيء في نظر اهلها : والناس ونظرها هـــي ايضا ...

هل يريد فائز ان يبقيا هكـذا زميلين متآلفين في الظاهر ، وحبيبين متفاهمين متواديـــن في الخفـاء ، ويخشى ان همـــا اثبتـا علاقتهما بالزواج ليعيشا تحت سقف واحد، وتقاسما جميـــع شؤون الحيـاة كبيرها وصغيرها عظيمها وحقيرهـا كالازواج العاديين ، ان يتزعزع ذلك التفاهم الرائع الـــذي يسود سمـاء حياتهما ، وان يتعكر ذلك الصفـاء البديع الذي يرتشفان من معينه كل يوم ، ويعتريهما الفتـور والملـل ، وتؤثر على حبهما متطلبات الحيـاة المادية التافهة ؟؟

في مقدوره هـو ان يعيش هانئـا مرتاحا متمتعا بما تسبغه عليه مـن عطف وحب كبيرين كلما هفا الـى لقائها ، ولكنها هي لـم تعد تكتفـي بذلك الحب ـ المخفي ـ والعاطفـة المحجبـه ، والمقابـلات السريـة ليتبادلا كأس الغرام المترع جـــوى وهياما ... بل تتوق الـــى تلـك الوثيقة ، حتى تعيش معـه ليـــلا نهارا ، مـــن غير جـزع ولا خشية وتجاهر بحبها له حتى للحيـــوان ، وهذا لن يتيسر لها الا بالوثيقة .. وثيقة الزواج التي يتحصل عليهـــا اقل الناس بدون عياء ولا نصب .. اما هي ؟.. تنسى الوثيقة في بعض الاحيان ، حين تتقابل معه ، وحين تكون بجانبه مسلمة له كل ما لديها من سحر انثوي .. ولكنها لا تكـاد تفيق من نشوتها ، حتـــى تتبـــه وساوسها ، وتصبح كلهـــا كتلـة كهربائية مرتعشة ، في انتظار تلـك الجملة الرائعة ، التـــي تحيرهـــا وتستفزها وتثير همومها وافكارها..

عزمت اليـــوم ان تعرض نفسها للزواج ، وان يكـن هـــذا يخالف العرف .. كان عليه هو ان يبدأ من زمن بعيد .. كان عليه ان لا يبتعـد عن ذلك الطريق السوي الذي يتبعه الناس جميعا ، ولكنه هو حاد عنه، واجبرها على اتباعه ليسيرا في طريق منعزل منفردين ...

اما هي .. فلم تعـد ترضى ان يبقى ـ فائـز ـ مخالفا غـيره .. تريد منه ان يكون كالناس ..

تريد ان تضع يدها في يده ليتبعا نفس الطريق ...

اليوم ستضع حدا لكل هذا .. واذا لم يشأ ان يفهـــم ، فستدعه وحده مهما تكن التكاليف ، ومهمـا أصابها من الم وكرب شديد ...

لا .. لا يمكن ان يبقيا هكذا ، في طريق مقفر بعيد ، عليه ان ينصاع، وان يبدل وجهـــة سيره ، ليمشي بجانبها في طريق الناس اجمعين ...

قفز قلبها بين ضلوعها بعنف .. ها هو ـ فائز ـ بقامتـه المديـدة ، وابتسامته الحلـــوة ، يهبط مـن سيارته ، ويسرع الخطى اليها .. انه لم يتأخر عن الموعد .. هي التي تسبقه دائما ببضع دقائق ..

وحين ركبت بجانبه في السيارة ، وطوقها بذراعيه بعد ان رمى نظـرة ليتأكد من خلو الشارع ، ويطبق.. علمت انها لن تكون البادئة ابدا .. وستبقى دائما في انتظار تلك الجملة، ولن يمكنها ان تفارقه ... وان لـم يقلها البتة .. انها له ، كما يريد هو .. وليس كما تريد هي ...

انها لـــه ، وطوع ارادتـــه .. فلتتعذب ساعات طويلة في سبيـــل اويقات قصيرة تقضيها معـــه ... دقائق لـذة ترضى ان تدفع فيهـا غالي الثمن ، وان يكن هـــذا الثمن من كرامتها وكبريائها ومـــن كـل خلية من خلايـــا جسمها وعقلها اللذين اصبحا ملكه ...

ناجية ثامر
باردو ـ تونس

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهمـوا في نشـر الثقافـة

امـــــــي

اسمى طوبـي

الرابية ـ لبنـان

في اعالي التـل
في الصمت المهيب
يرقد القلب الذي
اعطـى واعطـى
ثـم اغفـى
ذلك القلب الحبيب

في اعالي التـل
صعـدت اليـك
وغبـار الـدرب
غطـى قدمـي
اثقلتني حادثات الدهر
يـا امـي
اهاضت جانحي
فحملت الدمـع والالام
القيهـا لديـك

في اعالي التل لا احمل وردا
كنقائـك
قد زرعت العشب كي
يخضر صيفا وشتاء
كعطائـك

خفت ان انسى ادوس الترب
يـا امـاه في ذاك المصلى
شئت ان يهتف بي العشب
اذا انسيت
قف .. واخلع حذاءك
وانحـن ..
قد قدس الترب هنا
قدسه اعظم حب

في اعالي التل يا اماه
اجثـو
نافثا آلام قلبي
فاهيبي بي .. انا
يـا حب ايامي
ويـا بهجة حبي
ها هنا .. ما فرق الموت
سوى اجسادنا
والروح تهدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

لما يصل الى الان

ويقولون : لما يصل (بتسكين اللام) فلان الى الان . والصواب : لما يصل (بتسكين اللام) فلان بعد (بفتح فسكون فضم) ، او : لما يصل فلان . قال المنيجي شاعر « اليتيمة » :

فكانها وسنى اذا نظرت أو مدنف لما يفق بعد

فيجب حذف (الى الان) ، لان منفي (لما) مستمر النفي الى الحال ، كقول الشاعر :

فان اك مأكولا ، فكن انت آكلي والا فادركني ولما امزق

يريد الشاعر انه لم يمزق في الماضي ، ولا في الزمن الحالي .

ويقولون ايضا : لما يرجع فلان ، ثم رجع الان . وهذا خطأ، لان معنى هذه الجملة ، ان فلانا لم يرجع في الماضي ولا في الحال ، ثم رجع الان . وهذا تناقض ظاهر . والصواب : لم يرجع فلان ، ثم رجع الان ، لان (لما) تنفي المعنى في الزمن الماضي ، وفي الزمن الحاضر ايضا .

نموذجات من حرف الميم

ماء صافية

ويقولون : هذه الماء صافية . والصواب : هذه المياه صافية ، او هذا الماء صاف ، لان (الماء) مذكر ، او : هذه الامواه صافية ، لان همزة الماء منقلبة عن هاء .

اما تصغير الماء فهو : مويه (بضم ففتح فسكون)

واضاف المصباح جمعا ثالثا ، هو : امواء (بالهمز على لفظ الواحد) .

مائة

ويصرون على كتابة (مائة) بالالف بعد الميم المكسورة للتفريق بينها وبين (منه) ، وذلك قبل ان يأمر الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر العدواني بنقط الحروف العربية ، قبل توزيع القرآن الكريم على الامصار .

وعندما ظهرت مدرستا الكوفيين والبصريين الى الوجود ، أصر البصريون على ابقاء الف (مائة) ، بينما رأى الكوفيون حذفها . وحجتهم في ذلك سهولة التفريق بين (مئة) و (منه) ، بعد ان وضع ابو الاسود الدؤلي الضوابط (الحركات والشكل) للحروف العربية ، وبعد ان نقطها نصر ويحيى .

وانا ارى رأي الكوفيين للاسباب الآتية :

اولا ـ ظهور جميع المخطوطات والمطبوعات منقوطة ، وهذا هو رأي الكوفيين ذاته .

ثانيا ـ سمح ل (فئة) و (فيه) ان تبقيا على حالهما قبل الدؤلي ونصر ويحيى وبعدهم . فلماذا يمكن ان نخطىء في قراءة (مئة) قبل التنقيط ، ولا يمكن ان نخطىء في قراءة (فئة) ؟

ثالثا ـ انا لا احب الشذوذ في اللغة ، ما دامت هنالك قاعدة تحول بين الكلمة وشذوذها عن القاعدة .

رابعا ـ ليس في اللغة العربية كلها آلف قبلها حرف صحيح مكسور ، لاستحالة النطق بالالف بعد كسرة .

خامسا ـ يسمح بعضهم بكتابة (خمسمئة) مثلا ، دون الف فلماذا لا نكتب ال (مئة) دائما دون الف ، سواء أكانت مفردة او مضافا اليها .

سادسا : يجمعون (١٠٠) على مئين ومئات ، فلماذا اتفقوا جميعا على كتابة هاتين الكلمتين دون الف زائدة بعد الميم المكسورة ؟

سابعا ـ أجاز المجمع اللغوي القاهري كتابة كلمة (مئة) ومركباتها، بغير الالف التي زادها القدماء بعد الميم في كتاباتهم ، وظلت مزيدة حتى يومنا هذا . وكذلك أجاز فصل الاعداد (ثلاثة وتسعة وما بينهما) عن (مئة) ، مراعيا في هذا نوعا من التيسير الاملائي (راجع العدد الذي اصدره المجمع) ، بعنوان : « البحوث والمحاضرات » ، مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين (من سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) .

هذه الاسباب السبعة ـ الوجيهة حسب ظني ـ تظهر لنا ان المنطق يفرض علينا ان نجرد ال (مائة) من الالف ، ابعادا للشذوذ عن قواعد الاملاء ، واختصارا لوقت الكاتب ، ونزولا عند حكم العقل .

اما الادباء الذين يتشبثون بكتابة ال (مائة) بالالف ، لانها كتبت بها في القرآن الكريم ، فانني الفت انظارهم الى الحجج الآتية .

أ ـ كتب زيد بن ثابت نسخة واحدة من القرآن الكريم على صحف ، اودعت عند ابي بكر ، ثم عمر ، ثم حفصة بنت عمر وزوج النبي ، في عهد عثمان ، الذي امر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، بنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ، ففعلوا ، وكانت الحروف دون نقط ، ودون حركات وشكل .

وقد عذرنا أولئك الكتاب على كتابتهم (مائة) بالالف ، لكي يفرقوا بينها وبين (منه) . وعندما نقطت الحروف ، وضبطت بالشكل والحركات ، بعد فترة طويلة من الزمن ، ابقي رسم حروف القرآن وكلماته كما كانت عليه دون مبرر ديني او لغوي لذلك .

ب ـ اوحيت آيات القرآن الكريم الى قلب النبي العظيم ملفوظة

غير مكتوبة .

ج ـ كان النبي أميا ، ولم يكتبه بخطه ، لكي نحافظ على رسم كلماته اجلالا له .

د ـ لم يكن أصحاب رسول الله الاربعة ، الذين كتبوا القرآن في خلافة عثمان ، معصومين عن الخطأ في الاملاء ، فالعصمة لله وحده .

فبعد هذه الحجج الاربع الدامغة ، انصح بحذف الالف من العدد (مئة) ، وبفصل الاعداد من ثلاثة الى تسعة عن المئة .

المـــاس

ويخطئون من يقول : الماس ، ويقولون : ان الصواب هو (الالماس) ،

١ ـ لانه قبل ادخال (أل) التعريف عليه ، كان الماسا ، وليس ماسا . وهو معرب (اذماس) اليونانية ، وعند تعريبه قلبت الـذال لامـا .

٢ ـ لان ابن الاثير قال : أظن الهمزة واللام فيه اصليتين ، مثلهما في الياس .

٣ ـ لان الشيخ نصرا الهوريني قال في حاشية القاموس المحيط : الالف واللام في كلمة (ألماس) من بنية الكلمة كالية (بفتح فسكون) .

٤ ـ لان « المعجم الوسيط » وضع هذه الكلمة في (ألم) ، وقال: الالمـاس .

٥ ـ لان صاحب « متن اللغة » يضع هذه الكلمة في (الـم) وفي (ماس) ، ويقول : ولا يقال (الماس) بقطع الهمزة ، فالالف واللام فيه اصليتان ، ونزع الالف واللام منه من تعارف العامة .

والذي افهمه انا من قول صاحب « متن اللغة » : (ولا يقـال ـ الماس ـ بقطع الهمزة ـ ، ان الالف واللام فيـه ليستا اصليتين ، وقد فات صاحبنا ان الهمزة في (ال) التعريف هي همـزة وصل ، وليست همزة قطع .

اما صاحب « شفاء الغليل » ، فيقول عن (ماس) : انه بتمامه كلمة غير عربية ، ولم يرد في كلام العربية القديم ، وعربيته : سامور.

ويقول عنه « متن اللغة » : « السامور او الشامـور : حجـر الالماس معرب » . ويضع اللسان هذه الكلمة في (مأس) ، والتـاج يضعها في (ماس) ، ولا يضعها كلاهما في (ألم) .

وعندما يشرح اللسان كلمة (مأس) يقـول : (الماس) حجـر معروف ، ولم يقل (الالماس) ، ولكنه يورد بعد ذلك قول ابن الاثير الذي يظن ان الالف واللام فيه اصليتان . وحين يشرح صاحب اللسان نفسه كلمة شمور (بفتح فتضعيف) ، يقول : وأراه (الالماس) ولـم يقل (الماس) .

أما التاج فعندما يشرح كلمة (ماس) يقـول : (الماس) حجـر متقوم (أي ذو قيمة) ، ولم يقل (الالماس) ، ثـم يقول : ولا تقـل (ألماس) أي بقطع الهمزة ، فانه من لحن العامة . ثم يورد قول ابـن الاثير . ويقول التاج بعد ذلك في شرح كلمة شمور (كتنور) : لم اسمع فيه شيئا اعتمده ، وأراه (الماس) ولم يقل (الالماس) .

ان هذا التباين في آراء عمالقة المعاجم يجيز لنا ان نقول : هذا الماس ممتاز ، او : هذا الالماس ممتاز . وبذلك ننجو مـن البلبلة ، ونزيح عنا واحدا من الشكوك الكثيرة ، التي تحملها الينا معاجمنا في ثنايا سطورها .

تمائـل المريض للشفاء

ويقولون : تمائل المريض للشفاء . والصواب : تمائـل المريض ، او : تمائل من مرضه ، لان معنى الفعل (تمائل) : قارب البـرء ، وصار أشبه بالصحيح . والبرء هو : الشفاء نفسه .

امتثـل للامـر

ويقولون : امتثل للامر . والصواب : امتثل الامر (بفتح الراء) ، أي : احتذى حذوه ، وسلك طريقته . ومن معاني الفعل (امتثل) :

١ ـ امتثل القوم (بفتح الميم) : ضربهم مثلا .
٢ ـ امتثل أمره : أطاعه .
٣ ـ امتثله غرضا : نصبه هدفا للسهام .
٤ ـ امتثل منه : اقتص .
٥ ـ امتثله : تصوره .

الامثـال العربيـة

المثل هو : جملة مقتطعة من القول ، او مرسلة بذاتها ، تنقل عمـن وردت فيه الى مشابهه . وقد اجمع أئمة اللغة على وجوب ضرب الامثال كما تفوه بها الذين قالوها اول مرة . فاذا أخطـأ أحدهم في قاعـدة نحوية ، علينا ان نخطىء مثله ، فنضرب المثل المشهور : مكره أخـاك لا بطل . برفع (أخاك) بالالف ، مع ان الاسماء الخمسة لا ترفـع الا بالواو ، اذا كانت غير مضافة الى ياء المتكلم .

وانا اقترح ان لا نتقيد بما تفوه به ذلك البدوي الامي ، ونقول : « مكره أخوك لا بطل » .

وقد أراد قائل هذا المثل ان المخاطب محمول على ذلك ، وان ليس في طبعه شجاعة . ويضرب هذا المثل لمن يحمل على ما ليس من شأنه.

وهنالك مثل آخر ، هو :

في الصيف ضيعت (بكسر التاء) اللبن .

ويرويه آخرون : الصيف (بفتح الفاء) ضيعت (بكسر التـاء) اللبـن .

ويحتمون علينا نصب كلمة (الصيف) ، وتحريك التاء في (ضيعت) بالكسر في جميع الاحوال ، سواء أخاطبنا المذكر ، ام المؤنث ، ام الجمع، ام المثنى ، لان عمرو بن عدس الامي ، قالها لمطلقته ، ففرض علينا ان نقول لجيش عرمرم من الرجال ، دهمهم العدو ليلا ، فهزمهم :

الصيف (بفتح الفاء) ضيعت (بكسر التاء) اللبن .

وانا ارى ان نقول لافراد الجيش المنهزم :

في الصيف ضيعتم اللبن .

وقس على هذين المثلين بقية الامثال التي اخطأ قائلوها عندمـا تفوهوا بها .

وهذا المثل يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه . واصلـه ان دختنوس بنت لقيط كانت زوجا لعمرو بن عدس ، وكان شيخـا هما . فابغضته فطلقها ، وتزوجها فتى جميل . وعندما اجدبت احدى السنين ، بعثت دختنوس الى عمرو تطلب منه حلوبة ، فقال المثل :

الصيف ضيعت اللبن .

ملاحظة : حكى ابن الانباري في الزاهر عن الفراء : الصيف ضيعت (بفتح التاء) اللبن . ولم يحكه بفتح التاء سواه .

المـــد

ويقولون : اشترى مدا (بكسر فتضعيف) مـن القمح . والصواب : اشترى مدا (بضم فتضعيف) من القمح .

والمد مكيال معروف . جمعه : أمداد ، ومدد (بكسر ففتـح) ، ومداد (بكسر الميم) ، ومددة (بكسر ففتح) ، ومدد (بضم ففتح)

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

ابراهيم هاشم - ليفون ملكيان

اسعد الشقيري - هشام شرابي

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ــ ابراهيم هاشم

ولد « ابراهيم » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٨٨٦ وبعد ان اتم دراسته الاعدادية سافر الى الاستانة عام ١٩٠٤ ودخل كلية الحقوق بجامعة استانبول وامضى فيها اربع سنوات واشتهر بين اقرانه بالذكاء وتوقد الخاطر ، ونال الشهادة بامتياز . واول وظيفة شغلها مدعي عام بيروت ومنها نقل مدعيا عاما ليافا ، وربطت بينه وبين رجالات هذا الثغر صداقات وطيدة لما اشتهر به من دماثة خلق ونزاهة ومعاملة الناس باللين والحسنى .

وفي سنة ١٩١٥ اخذ من سلك القضاء كضابط احتياطي والتحق بالخدمة العسكرية في دمشق ، وعرف بانتمائه الى جمعية « العربية (١) الفتاة » التي كانت تهيء للثورة العربية ضد الاتراك ، وكان اغلب اعضاء « العربية الفتاة » يعملون للقيام باعمال معينة ، فهيأوا للضابط ابراهيم هاشم الهرب من دمشق للالتحاق بأحد المراكز تواريا عن السلطة التركية ، فقصد جبل الدروز مع رفيقه المرحوم توفيق البساط فكتبت له النجاة بعد هربه الى نابلس وظل مختبئا فيها الى ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، اما رفيقه البساط فقد القي القبض عليه واعدم مع الشهداء العرب الذين اعدمهم السفاح عام ١٩١٥ .

وبعد زوال الحكم التركي من سوريا الطبيعية دخل الامير فيصل بن الحسين دمشق وأسس فيها حكما عربيا فجاء « ابراهيم » الى دمشق ودخل في خدمة الحكومة العربية الفتية رئيسا لمحكمة الجنايات واستاذا للعلوم الجزائية في كلية الحقوق بالجامعة السورية .

ونتيجة لمعركة ميسلون التي نشبت بين الجيش العربي والجيش الفرنسي ، خرج اغلب الزعماء العرب من دمشق ، وظل « ابراهيم » فترة من الوقت يزاول عمله القضائي فيها .

وبعد ان قدم المرحوم مظهر رسلان استقالته من حكومة الشرق العربي ، استدعي المرحوم علي رضا الركابي وعهد اليه بتاليف حكومة جديدة ، وفي ١٠ ــ ٣ ــ ١٩٢٢ فرغ من تاليفها واستدعى من دمشق صديقيه ابراهيم هاشم والشيخ سعيد الكرمي ، العاملين معه في « العربية الفتاة » وعين الاول مستشارا للعدلية (وزيرا بلغة اليوم) وعضوا في مجلس المستشارين ، وعين الثاني قاضيا للقضاة وعضوا في مجلس المستشارين .

وفي شتاء ١٩٢٣ قدم الركابي استقالته فعهد الى مظهر رسلان بتاليف الحكومة ، فدخلها « ابراهيم » مستشارا قضائيا .

وفي الخامس من ايلول ١٩٢٣ عهد الى المرحوم حسن خالد ابي الهدى الصيادي بتاليف حكومة جديدة تخلف حكومة مظهر رسلان فعين ابراهيم هاشم ناظرا للعدلية .

وفي الثالث من ايار ١٩٢٤ عهد الى المرحوم علي رضا الركابي بتاليف حكومة تخلف حكومة حسن خالد فاختير ابراهيم هاشم ناظرا للعدلية .

وفي اعقاب سنة ١٩٢٦ ظهرت في عمان عاصمة الاردن جمعية ارهابية باسم « الكف الاسود » ووزعت نشرات سياسية تحرض على القيام بالثورة ووجهت رسائل شخصية لنفر من رجال الدولة ، تنطوي على التهديد والوعيد ، فالفت حكومة ابي الهدى لجنة للتحقيق برئاسة المرحوم ابراهيم هاشم ، فحقق مع المتهمين والموقوفين ، وقرر اخلاء سبيل كل منهم .

وفي السابع عشر من تشرين الاول ١٩٢٩ اعاد حسن خالد ابو الهدى تشكيل الحكومة وعين ابراهيم هاشم وزيرا للعدلية وقاضيا للقضاة .

وفي الثامن عشر من تشرين الاول ١٩٣٣ اقيل الشيخ عبد الله سراج من رئاسة الوزراء وعهد الى ابراهيم هاشم بتاليف الحكومة الجديدة فاختار لنفسه رئاسة الوزراء ووزارة العدلية ووظيفة قاضي القضاة .

وفي صيف عام ١٩٣٤ عهد الى المرحوم هاشم بتمثيل امير البلاد في تعديل المعاهدة الاردنية ــ البريطانية المبرمة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ، وقد تم التوقيع على هذا التعديل في ٢٢ ــ ٦ ــ ١٩٣٥ .

وفي عهد حكمه كوزير للعدلية شجع على اصدار «المجلة القضائية»، وقد صدر العدد الاول منها في تشرين الثاني ١٩٣٥ ونشر فيها مقالات قضائية تتسم بالعمق والموضوعية .

وخلال اعتزاله الحكم زاول المحاماة في عمان العاصمة الاردنية وكان لاستشاراته وآرائه قيمتها في المحافل القضائية .

وفي الثامن عشر من ايار ١٩٤٥ خلف المرحوم ابراهيم هاشم المرحوم سمير الرفاعي في الحكم ، والف وزارته الثانية وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع .

وتقديرا لموقف الولاء الذي وقفه الاردن اميرا وحكومة في الحرب العالمية الثانية من بريطانيا والمجهود الحربي ، قدمت الحكومة الاردنية مذكرة للحكومة البريطانية طلبت فيها الدخول في مفاوضات لاعلان استقلال الاردن .

وعلى ضوء هذه المذكرة الاردنية دعت الحكومة البريطانية الامير عبد الله بن الحسين ورئيس وزرائه المرحوم ابراهيم هاشم لزيارة لندن . وفي السادس عشر من كانون الثاني ١٩٤٦ ابلغ اللورد غورت ــ المندوب السامي لفلسطين عهد ذاك ــ الامير عبد الله تصريح بيفن وزير خارجية بريطانيا ، الذي ادلى في اجتماع هيئة الامم المتحدة المنعقد في لندن وفحواه : « اعتراف الحكومة البريطانية بتطور شرقي الاردن تطورا جعلها اهلا للاستقلال التام ورفع الانتداب عنها ، وان حكومة جلالته ستتخذ الخطوات السريعة للاعتراف بشرقي الاردن دولة مستقلة ذات سيادة » .

وفي العشرين من شباط ١٩٤٦ قام الامير عبد الله مصحوبا برئيس وزرائه ابراهيم هاشم ، بزيارة لندن زيارة رسمية واجريا مع المسؤولين البريطانيين مفاوضات اسفرت عن :

أ ــ الغاء الانتداب البريطاني عن شرقي الاردن والاعتراف

١ ــ اعظم الجمعيات العربية السرية التي نشأت بعد اعلان الدستور ، أسسها في باريس ثلاثة من الطلاب العرب الذين قصدوها بعدما اتموا دروسهم في الاستانة وهم : الدكتور احمد قدري وعوني عبد الهادي ورستم حيدر ثم انضم اليهم رفيق التميمي ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي وجميل مردم بك . وقد اكتفوا باطلاق اسم « الفتاة » عليها في اول الامر لئلا يلفتوا النظر وارادوا ان تكون للعرب بمثابة « جمعية الاتحاد والترقي » للترك .

باستقلالها .

ب ـ عقد معاهدة صداقة وتحالف بين الحكومتين .

وقد وقع على هذه الاتفاقية (٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٦) ابراهيم هاشم عن شرقي الاردن ، وارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية وآرثر كريتش جونز الوكيل البرلماني لوزير المستعمرات عن بريطانيا .

وبعد عودة الامير عبد الله وابراهيم هاشم رئيس الوزراء من لندن الى عمان قرر المجلس التشريعي الاردني (في ٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٦) ما يلي :

اولا ـ اعلان البلاد الاردنية دولة مستقلة استقلالا تاما وذات حكومة ملكية وراثية نيابية .

ثانيا ـ البيعة بالملك لسيد البلاد ومؤسس كيانها وريث النهضة العربية عبد الله بن الحسين بوصفه ملكا دستوريا على رأس الدولة الاردنية بلقب « حضرة صاحب الجلالة : ملك المملكة الاردنية الهاشمية » .

ثالثا ـ اقرار تعديل القانون الاساسي الاردني على هذا الاساس طبقا لما هو مثبت في لائحة (قانون تعديل القانون الاساسي) الملحقة بهذا القرار .

رابعا ـ رفع هذا القرار الى سيد البلاد عملا باحكام القانون الاساسي ليوشح بالارادة السنية .

ونتيجة للتعديلات التي طرأت على الحياة السياسية في الاردن من : ابرام المعاهدة الاردنية البريطانية الى وضع دستور جديد ، قدم المرحوم ابراهيم هاشم استقالة حكومته في ٤ ـ ٢ ـ ١٩٤٧ وعهد الملك عبد الله بن الحسين للمرحوم سمير الرفاعي بتاليف حكومة جديدة .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) عين الملك عبد الله المرحوم ابراهيم هاشم حاكما عسكريا عاما في الضفة الغربية . وسرعان ما ترك عمله العسكري هذا واشرف مع نفر من زملائه على توحيد القوانين والانظمة المعمول بها في ضفتي الاردن ، فانجز المهمة الصعبة على احسن وجه .

وعقب استقالة المرحوم هزاع المجالي من رئاسة الوزراء عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم ابراهيم هاشم بتاليف وزارة انتقالية مهمتها اجراء انتخابات نيابية جديدة ، وفي ٢١ كانون الاول ١٩٥٥ فرغ من تاليف الوزارة وكان فيها رئيسا للوزراء .

وعندما عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم سمير الرفاعي بتاليف الوزارة فرغ من تاليفها في ٩ ـ ١ ـ ١٩٥٦ ودخلها المرحوم ابراهيم هاشم نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للدولة .

وبعد استقالة السيد سعيد المفتي عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم ابراهيم هاشم بتاليف وزارة جديدة . وفي ١ ـ ٧ ـ ١٩٥٦ أتم تشكيلها وكان فيها رئيسا للوزراء .

وعلى اثر استقالة المرحوم الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الوزراء ووزير الدفاع في ٢٤ ـ ٤ ـ ١٩٥٧ عهد الملك حسين الى المرحوم ابراهيم هاشم بتاليف الوزارة فالفها وكان فيها رئيسها للوزراء ووزيرا للعدلية .

ونتيجة للاتفاق الذي تم بين الاسرة المالكة الهاشمية في العراق والاسرة المالكة الهاشمية في الاردن على قيام اتحاد عربي بين القطرين الشقيقين ، الف المسؤولون العراقيون والاردنيون لجنتين للدخول في المباحثات ، وكان المرحوم ابراهيم هاشم احد المفاوضين الاردنيين . وفي ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٥٨ تم التوقيع على ميثاق الاتحاد وفي ٢٢ ايار عين المرحوم ابراهيم هاشم عضوا في مجلس الاتحاد العربي .

ومع اطلالة الاول من تموز ١٩٥٨ تالفت وزارة حكومة الاتحاد العربي برئاسة نوري السعيد ، وعين ابراهيم هاشم نائبا لرئيس الوزراء والمرحوم سليمان طوقان وزيرا للدفاع والسيد خلوصي الخيري وزير دولة للشؤون الخارجية .

وفي العاشر من تموز ١٩٥٨ قصد الوزراء الاردنيون الثلاثة بغداد، مصحوبين بفنيين عسكريين ومدنيين ، لتنفيذ بنود ميثاق الاتحاد العربي ، كتوحيد الشؤون الخارجية والجيشين ، ونزلوا في فندق بغداد .

وفي صباح ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ كان الوزراء الاردنيون يتاهبون للتوجه الى مطار بغداد لوداع الملك فيصل الثاني في طريقه الى تركيا واذ بالثورة تجتاح بغداد والقذائف تدك قصر الرحاب فغدا قاعا صفصفا ، وغدت الاسرة المالكة طعما لتلك الثورة المفاجئة .

وعلى حين غرة دخل الفندق نفر من رجال الجيش وحملوا الوزراء الاردنيين الثلاثة على الركوب في سيارتين انسابتا بهم الى دار الاذاعة ، وبعد خمس عشرة دقيقة من وصولهم الى الاذاعة اخرجوا منها ووضعوا في ناقلات للجنود مع عشرين شخصا آخرين ودرجت بهم الى وزارة الدفاع ببغداد والمظاهرات على قدم وساق في شوارع المدينة ، وامام رتاج وزارة الدفاع هاجم المتظاهرون الركاب واجهزوا على المرحوم ابراهيم هاشم والمرحوم سليمان طوقان ، ولم يعثر على جثتيهما ، وكتب الله النجاة للسيد خلوصي الخيري .

بعد هذا التفصيل يقتضينا الانصاف وقول الحق ان ننوه بكفاءات ابراهيم هاشم كرجل دولة من طراز عال ، وكبان من بناة هذا البلد وكفقيه ضليع من القوانين والانظمة .

والذين زاملوا ابراهيم هاشم في الحكم وعملوا معه في قطاعي القضاء والمحاماة يفاخرون به كسياسي محنك وكمسؤول واسع الصدر، بعيد النظر ، وكقانوني اشتهر بوعيه وسعة علمه واطلاعه .

وحسب ابراهيم هاشم ، وهو في دار الحق ، نظافة يده وسمعته العطرة في المراكز الحساسة التي شغلها في العهد العثماني والفيصلي والاردني ، فكان انسانا شريفا وسياسيا لبقا ، وفقيها ضليعا ومحاميا لامعا .

وحسبه ، بعد هذا كله ، المؤلفات القانونية التي خلفها تراثا بين ايدي القضاة والمحامين وطلاب الحقوق ومنها :

(١) الحقوق الجزائية ـ طبع سنة ١٩٢٠

(٢) القواعد الاساسية لاصول المحاكمات الجزائية ـ طبع سنة ١٩٢٢

(٣) شرح قانون الجزاء (في اربعة اجزاء) وقد طبعت على التوالي : الاول : سنة ١٩٢٤ ، الثاني والثالث : سنة ١٩٢٥ ، الرابع: سنة ١٩٢٦

(٤) شرح قانون حكام الصلح الموقت .

نموذج من نثره : « القانون هو ما تامر به السلطة التشريعية وتنهي عنه ، وينشر القانون وفقا للاصول ليعلم الناس به ، ويشترط في وضعه ان لا يكون مخلا بحقوق البشر الطبيعية ولا بالمصلحة العامة، وعلى ذلك يشترط في القانون :

١ ـ ان يكون صادرا عن مقام له بالصلاحية في وضع القوانين وعليه فالاوامر والنواهي التي تصدر عن غير هذا المقام لا تكون بمنزلة القانون .

وفي الجملة لا يلزم أحد بالعمل بها . اما المقام الذي له الصلاحية في وضع القوانين فيختلف باختلاف انظمة البلاد . ففي الحكومات الدستورية يرجع هذا الحق الى السلطات التشريعية وفي الحكومات المطلقة يرجع الى حاكم البلاد ومن يساعده من المجالس واللجان .

٢ ـ ان ينشر وفقا لاصوله ليكون العمل به واجبا ، لان العدل يقضي بان لا يؤاخذ احد بعدم اطاعته لاوامر القانون ونواهيه الا اذا علم بها . او في الاقل اذا اعتبر القانون انه صار معلوما عند الجميع ، وعليه فلو ادعى احد الناس بعد نشر القانون واعلانه بانه لم يكن عالما بوجوده فلا يعذر لان سماع الدعوى بعدم العلم بالقانون يستلزم قبول اثبات العلم به وذلك متعذر ويدعو لتعطيل العمل به ولذلك فقد اعتبر نشر القانون قرينة قاطعة على علم الناس باحكامه والنشر يكون بواسطة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصحف الرسمية او غيرها من الصحف المحلية وعن طريق الاعلانات او بالقراءة للعامة وهو تابع للاصول المقررة للنشر بمقتضى انظمة البلاد .

٣ ـ ان لا يخرج في موضوعه عن الامر والنهي كالاحكام القانونية القاضية بمنع حمل السلاح فانها موضوعة للنهي عن عمل شيء والاحكام القانونية القاضية بوضع مصباح ليلا على الاخاديد ومجاري المياه المحفورة في ممرات الناس والمتروكة بلا غطاء فانها موضوعة للامر بعمل شيء .

٤ ـ ان لا يكون مخلا بحقوق البشر الطبيعية ، لان غرض الناس من تاليف الهيئات الاجتماعية هو المحافظة على حقوقهم الطبيعية ، فكل قانون خالف هذا الغرض لا يكون العمل به واجبا في نظرهم ويكون من حقهم مقاومته بالقوة ـ والحقوق الطبيعية هي كحق الانسان في الحرية والمساواة والدفاع عن النفس والعرض وتدارك اسباب المعيشة واختيار الحرفة التي يراها ملائمة له .

٥ ـ ان لا يكون مخلا بالمصلحة العامة وقد يطلق على المصلحة الفائدة الاجتماعية والمنفعة المشتركة وهي عبارة عما تحتاج اليه الهيئة الاجتماعية في استبقاء كيانها بسيطرة على الجميع فهذه الهيئة لا ينتظر منها ان تضع قوانين تضر بمصالحها الحيوية ويكون من شانها تفكيك عرى الروابط الاجتماعية وتقليص الثروة العمومية » .

٢ ـ الدكتور ليفون ملكيان

ولد « ليفون » في مدينة القدس عام ١٩١٧ وانهى دراستيه الابتدائية والثانوية في مدرسة المطران بالقدس عام ١٩٣٥ وعمل في جمعية الشبان المسيحية بالقدس (١٩٣٦ ـ ١٩٤٥) ، وفي خريف عام ١٩٤٥ قصد الولايات المتحدة والتحق بكلية جورج وليامس ونال بكلوريوس في الاجتماع وعلم النفس عام ١٩٤٨ ودخل جامعة كولومبيا ونال شهادة ماجستير في علم النفس عام ١٩٤٩ ثم عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا لعلم النفس وفي عام ١٩٥٣ رجع الى الولايات المتحدة ودرس في جامعة كولومبيا وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٥ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « بعض التغيرات المرتبطة بالتسلطية في مجموعتي حضارتين » ، وفي خريف عام ١٩٥٥ عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت وعين استاذا لعلم النفس ومستشارا لمشاكل الطلاب نفسيا . وفي عام ١٩٦٠ عاد الى الولايات المتحدة وعين استاذا زائرا في جامعة برنستون وقام ببحوث علمية .

وفي عام ١٩٦٧ زار المملكة العربية السعودية كاستاذ زائر في كلية المعادن والبترول في الظهران ، ثم عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا لعلم النفس .

من آثاره القلمية : اغلب ما نشره الدكتور ملكيان مقالات في علمي النفس والاجتماع ، ومن مقالاته التي وقفنا عليها في هذا المجال :

١ ـ التباعد الاجتماعي والتغير الحضاري في الشرق الاوسط .
٢ ـ التباعد الاجتماعي : دراسة علاقات البشر .
٣ ـ المواقف الاجتماعية للطلاب الجامعيين في الشرق الاوسط .
٤ ـ تعميم المواقف العرقية للطلاب في الشرق العربي .
٥ ـ المقياس الكلفورني للرأي العام في المجتمع التقليدي .
٦ ـ السلوك الجنسي للطلاب العرب في الشرق الاوسط .

نموذج من نثره : « على الرغم من اننا نعيش في عالم سريع التطور ، فقلما نجد العناية متجهة الى دراسة النتائج النفسية التي يسفر عنها التغير الاجتماعي . وسواء اكان تغيير ما ، هدفا بذاته لتخطيط معين ، ام نتيجة لاحقة له غير مقصودة ، فالتغيير خليق في الحالين ، ان يتبدى في حياة الافراد وفي علاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر .

وقد تجلت قيمة هذا الموضوع ، وما له من شان خطير ، في عدد من « مجلة القضايا الاجتماعية » صدر سنة ١٩٦١ وخصص لدراسته. ففي مقدمة هذا العدد ناشد آدلسون العلماء ان يوسعوا نطاق البحث في هذا الميدان ، وحثهم على بذل مجهوداتهم ، بصرف النظر عن قلة ما بين ايديهم من الطرائق والنماذج الدراسية الصائبة التي لا يتطرق اليها الخطأ . وقد كان بين المقترحات التي حرص على ذكرها ، تكرار الدراسات النفسية السابقة التي تعنى بتفهم الشخصية والمواقف النفسية التي تتخذها الجماعات ، والتوسل بما تسفر عنه من المعلومات ، والاستعانة بدراسات التغير الطارىء على فترة طويلة من الزمان . ومع ان هذه الطرائق ليست مثالية ، فانها خليقة ان تعطينا فكرة ما ، عن المواقف النفسية ونواحي الشخصية ، التي تكون عرضة للتغير ، وهذا بدوره يسدي يدا الى تطوير النماذج الدراسية وتحسين اساليب البحث حتى تصير ادنى الى الدقة .

وقد وضعت هذا المقال ، مجاراة لما اقترحه آدلسون ، وهو تقرير عن احدى دراستين اعدتهما بعد مرور عشر سنوات ، وذلك في منطقة من الارض حصل فيها تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة .

اما المنطقة التي شملتها هذه الدراسة ، فهي الشرق الاوسط العربي ، في الفترة بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ والفترة بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ، واما المواقف النفسية التي كانت موضوعها فهي : البعد الاجتماعي ، كما يقاس بطريقة بوغاردس .

وقد تولى هذه الدراسة ، الدكتور اي. تري بروثرو ، احد اساتذة علم النفس في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكاتب هذا المقال ، واجرياها معا في ١٩٥٢ على الطلاب العرب في الجامعة الاميركية في بيروت ، ثم توليت تكرارها سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ في الجامعة نفسها ، وعلى طوائف من الطلاب العرب ، لا يختلفون في مواطنهم ولغتهم ـ العربية ـ وسائر اوصافهم بوجه عام ، عن الفئة الاولى . وفي الصفحات التالية نتائج دراسة « البعد الاجتماعي » هذه .

٢ ـ ينبسط اصطلاح « الشرق الاوسط » في هذه الدراسة على البلاد العربية فيه ، وهي تشمل الاردن ، وسوريا ، والعراق ، والعربية السعودية ، ولبنان ، ومصر « الجمهورية العربية المتحدة » وامارات الخليج ، اي البلاد التي وفد منها طلاب الجامعة الذين شملتهم هذه الدراسة .

وقد شهد الشرق الاوسط ، خلال الفترة بين الدراستين (١٩٥٢ ـ ١٩٦٢) تغييرات عميقة انبثقت منها ضروب جديدة من الاشكال والقوالب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولما كان المجتمع لم يبلغ بعد مرحلة الاستقرار ، فان هذه الاشكال لا بد ان تمضي في طريق التغير ، وللمرء ان يقرر ان نهج الحياة في هذه البلاد قد تغير ، وان « المجتمع التقليدي في طريقه الى الزوال » وان المجتمع الجديد لا يزال في طريق التكوين ، ولكنه يشتمل ، فيما يتراءى للزعماء و « الاحزاب السياسية » واهل الفكر والثقافة ، على ناحية من نواحي الوحدة بين البلاد العربية ، والانتفاع الكامل بالموارد الاقتصادية في المنطقة ، انتفاعا يعود بالخير في اوساط الناس ولا يقتصر على المميزين منهم ، اي ان يصير مجتمعا ديموقراطيا ، وامة حديثة قوية تلعب دورا كبيرا في العالم . ويبدو ان تحقيق هدف عظيم كهذا الهدف ليس بالامر الميسر .

واما الدول الكبيرة التي تكثر مصالحها المنوعة في المنطقة ، فخليقة ان لا تقف موقف المتفرج عما يدور فيه . واذن فوضع يتصف بهذه الاوصاف ، هو وضع يغلب ان تنتابه ازمات متوالية وتوتر مستمر ، ونحن نرى ان هذه الاحوال ستحدث تغييرا في مواقف الناس وسلوكهم. فالهدف في هذه الدراسة ان نفحص طبيعة هذا التغيير في ناحية محدودة من مواقف الناس الشخصية والاجتماعية » .

٣ ـ الشيخ أسعد الشقيري

ولد الشيخ اسعد في مدينة عكا بفلسطين عام ١٨٦٠ واقبل على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدرستها الابتدائية معولا على عصاميته وطموحه في دراساته الخاصة ، وحوالي عام ١٨٧٥ يمم مصر ودخل رواق الشوام بالازهر الشريف ، وواظب على حلقة السيد جمال الدين الافغاني وعلى حلقة الشيخ محمد عبده .

وبعد ان انهى دروسه في الازهر الشريف عاد الى عكا والتحق بالقضاء الشرعي وكان قاضي المحكمة الشرعية في شفا عمرو . وفي عام ١٩٠٤ عين الشيخ اسعد مستنطقا (قاضي تحقيق) في اللاذقية ، ومن طريف ما ذكره الاستاذ يوسف الحكيم في الجزء الاول من ذكرياته « سورية والعهد العثماني » بعنوان « براعة الشقيري » القصة التالية :

« من لطيف ما يذكر عن وجود شاعرين فحلين في اللاذقية ، احدهما شاكر شقير الاستاذ في المدرسة الارتذكسية ، والآخر اسعد خليل داغر في المدرسة الاميركية ، انه وقع في عهدهما خصام بين اسرتين وجيهتين من اجل غادة بارعة الجمال رفيعة التهذيب كثر خاطبوها . فانتصر احد الشاعرين لاحد الخاطبين والآخر لغيره ، وتهاجيا نثرا وشعرا تهاجيا مريرا ادى الى اقامة كل منهما دعوى القدح بحق الاخر . وبقيت الدعوى الموحدة زمنا رهن التحقيق ، وقد تبدل قضاته دون ان يبتوا فيها ، الى ان عين العلامة الشيخ اسعد الشقيري ـ وكان اسمه آنئذ اسعد شقير ـ قاضيا للتحقيق في اللاذقية ، وقد عرف بحدة الذكاء وحسن الادارة والاخلاص لواجبات الوظيفة ، فاستدعى اليه الشاعرين المتخاصمين وقال لهما :

« اني اخوكما في الشعر والادب وجامع لاسميكما فان اصلحت بينكما ، وهذا هو الموافق لمنزلة الادباء والشعراء ، ذهبتما بسلام واطمئنان ، والا احتجزتكما رهن التحقيق وهذا الذي يأسف له كل اديب » . وانتهى الامر بنزولهما عند ارادته ، فتعانقا واسقط كل منهما دعواه وعادا صديقين متحابين ، شاكرين للقاضي العاقل اللطيف جميل سعيه وحسن تدبيره » .

وفي عام ١٩٠٥ رحل الى الاستانة في عهد السلطان عبد الحميد وهناك تعرف على الشيخ ابي الهدى الصيادي (١) واخذ يتردد على زاويته ، وعن طريقه اصبح امينا من امناء مكتبة السلطان عبد الحميد ، وبعد فترة عين رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية في مدينة ادنه وهناك تزوج سيدة تركية انجبت له الدكتور انور وعفوا وعبد العفو الشقيري ، واخذ يتردد على الاستانة وفيها تزوج سيدة تركية انجبت له الاستاذ احمد الشقيري الخطيب المفوه والسياسي الشهير . (٢)

ونتيجة لنشاطه السياسي ولصلته بزعماء الاصلاح امثال السيد عبد الحميد الزهراوي اوجس السلطان عبد الحميد وزبانيته خيفة منه فامروا باعتقاله وابعدوه الى قلعة تبنين (في منطقة صور بلبنان الجنوبي) وفيها ولد نجله الاستاذ احمد الشقيري .

وبعد اعلان الدستور العثماني (١٩٠٨) افرج عنه فعاد بعائلته الى عكا ورشح نفسه لمجلس المبعوثان العثماني ، وبعد ان خاض معركة الانتخاب كان النجاح حليفه فاصبح ممثل عكا في المجلس المذكور . وفي استانبول كانت صلاته برجال (حزب الاتحاد والترقي) امثال احمد جمال وانور وطلعت فانضم اليهم واصبح من اركان هذا الحزب .

وبعد اعلان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) عين الشيخ اسعد مفتيا للجيش العثماني وكان مركزه استانبول واصبح من اقرب المقربين للقائد العسكري احمد جمال .

ولما انسحب الجيش التركي من المعركة انسحب احمد جمال وهرب الى روسيا فقتله فدائي ارمني هناك ولجا الشيخ اسعد الى مدينة ادنه واقام بضعة شهور لدى اهل زوجته ، ولما هدأت الامور السياسية امتطى باخرة من ادنه الى حيفا وما ان وطأت قدماه ارض الميناء حتى بادرت السلطات البريطانية الى اعتقاله بحكم صلاته الودية مع المسؤولين الاتراك وجاءت به الى معتقل ابي قير (من ضواحي مدينة الاسكندرية) وبقي فيه اربعة عشر شهرا ، وفي عام ١٩٢١ عاد الى عكا وبقي بضعة شهور يثبت وجوده لدى الحاكم العسكري البريطاني الى ان جاء الحكم المدني فاعاد اليه المسؤولون حريته وطفق يعمل في الحركة الوطنية وكان من قادة المعارضة وامضى بقية حياته في الوعظ والارشاد والكتابة في الصحف العربية .

وحوالي عام ١٩٣٦ أملى مذكراته على شقيقه المرحوم قاسم الشقيري ، وبعد وفاة الشيخ اسعد تسلمها نجله الاستاذ احمد الشقيري ليعيد النظر فيها ، ويضيف اليها ما تحسن اضافته ، لكن انصراف الاستاذ احمد الى العمل السياسي حال دون تنقيح مذكرات والده ، فظلت بين اوراقه الى ان دخل اليهود عكا عام ١٩٤٨ فنهبوا مكتبته وكانت هذه المذكرات في عداد ما نهبوه .

وفي يوم من ايام شهر شباط من عام ١٩٤٠ توفي الشيخ اسعد ودفن في مقبرة الشيخ مبارك بمدينة عكا .

نموذج من نثره : « تجلت قدرة الله تعالى بالابداع وهو ايجاد شيء بدون مادة ، وبالخلق وهو ايجاد شيء على شيء آخر ، وبالتمييز بين الاشياء وهو تخصيص كل جنس ونوع بخاصة لا توجد في غيره . واقتضت حكمته سبحانه تولد بني آدم باشكال اربعة :

(١) تولد آدم على تراب (٢) وحواء من ضلع آدم (٣) وسائر الناس من ماء مهين بين ذكر وانثى (٤) وكلمة الله وروح منه سيدنا عيسى من امه بدون مادة . وقد حارت العقول وضلت الافكار وحق لها ذلك في حكمة ايجاد الخلق والباعث له . ولما هم الباحثون بفتح هذا الباب المغلق هلك ثلاثة من ارباب النظر الاول من قال ان الوجود صدر على سبيل الاتفاق مصادفة بتأثير الطبيعة وهو يعلم انها قوة مبنية في الاشياء ، لا وجود لها في الحس والمشاهدة بل هي خالية من الشعور ، واين هي من هذا البناء المحكم والصنع المتقن . والثاني من قال ان الخلق من لوازم الوجود زان الحاجة ماسة اليه وهو يعلم ان الباري تعالى له الغنى المطلق ولو كان محتاجا لشيء لم يكن الها والثالث من قال ان الضرورة دعت لذلك الايجاد ، وهو يعلم ان المضطر مقهور والقاهر له فوقه ، واذا تقرر هذا فالحكمة الربانية مخزونة في خزانة الحديث القدسي الموحى به من رب العالمين وهو قوله جل جلاله : « كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » ومن لوازم المعرفة آراء العبادة طبعا ، فهذه المحبة الالهية البارزة في هذا الحديث سرت في جميع المخلوقين فلا يوجد احد الا وهو محب ومغرم بالحياة والزوجة والولد والمال والمسكن والاثاث والرياش وحب الظهور وسائر المغريات . وهكذا يهتم في حب ما يلايمه من المطالب التي تتجدد وتتوالى عليه الى ما لا نهاية له . وما يقع في هذا الوجود من المنافرة والبغضاء فانما هو لعارض عدم الملائمة والمجانسة ، وكل واحد طباعه مفطور فيه على حب مطالبه وكماله فسبحان من جمع في المخلوق حب شيء وبغض آخر . ولا يجوز ان يفهم من هذا ان الله تقدس وتعالى تحيط العقول والافكار بكنه ذاته علما . فانها لا تصل الى ذلك بوجه من الوجوه ، وغاية ما تصل اليه ان تعلم يقينا بوجوده بلا كيف ولا تشبيه ولا تحديد ، مستندة الى مظاهره وآثاره الباهرة . فمن المعلوم بداهة ان البناء لا يقوم بدون بان ، والصنعة لا توجد بدون صانع ، والعقول معقولة عن العلم بكنه تلك الذات المقدسة ، فليس لها الا العجز والحيرة . ويحسن هنا ايراد

مكانة رأيتها في بعض المجامع وخلاصتها ان رجلين من اهل الذكاء والفطنة قال احدهما للاخر : « الك رب ؟ » قال : « نعم ! » قال : قال : « هل رأيته ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل سمعت حديثه وكلامه ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل ذقته ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل شممت له رائحة ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل لمسته ؟ » قال: « لا ! » قال : « فكيف تقول ان لك ربا ؟ » فانتبه واجابه : « الك عقل ؟ » قال : « نعم » قال : « هل رأيته ؟ » قال : « لا » قال : « هل سمعت حديثه وكلامه ؟ » قال : « لا » قال : « هل ذقته ؟ » قال : « لا » قال : « هل شممت له رائحة ؟ » قال « لا » قال : « فكيف تقول ان لك عقلا ؟ » فبهت الرجل ولم يحر جوابا . واذا كان الانسان لا يعلم كنه عقله فكيف يعلم خالق العقل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ولا بأس بذكر حديث جرى بين جماعة من اهل العلم كانوا محيطين باستاذ كبير عظيم الشان فقال له احدهم « لماذا لا يستجيب الله دعاءنا في رفع ما نزل بنا مع تضرعنا والحاحنا في العابد ؟ » فتبسم الاستاذ وقال : « لان كل واحد تخيل في ذهنه الها بكيفية ذهنية نشأت عن عقيدة تلقاها من مربيه او معلميه فرسخت في ذهنه صورة معنوية . وهذه الصورة اله مجعول اوجده في خياله ولذلك لا يسمعه اذا دعاه ولا يقدر على كشف ضره . فلو لاحظ في وقت عبادته ان الخالق سبحانه وتعالى اقدس واجل مما قام في ذهنه وعبده بشعور ملازم له في كل حركة ولفظ حال عبادته من بدايتها الى نهايتها لاستجاب له . ولكن في الوقت الذي يريده المدعو لا في الزمن الذي يطلبه المخلوق . وارى اننا قصرنا في عبادة ربنا واعرضنا عنها وحصرنا اوقاتنا كلها بطلب المعيشة والتجارة والصنعة والسياسة، مستغنين عن العبادة ، معتمدين على حولنا وطولنا ، فاقتضت ارادته ان يؤدبنا بضروب من البلايا والمصائب ، لنرجع اليه ونتوب اليه توبة نصوحا » .

٤ ـ الدكتور هشام شرابي

ولد « هشام » في مدينة يافا بفلسطين عام ١٩٢٧ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة الفرندز برام الله ودراسته الثانوية في الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٤٣ وواصل دراسته الجامعية فيها ونال منها شهادة بكلوريوس آداب عام ١٩٤٧ وقصد الولايات المتحدة في نفس العام والتحق بجامعة شيكاغو واحرز شهادة ماجستير عام ١٩٤٨ وكان موضوع الدراسة التي قدمها « نظرية القيم » . وفي عام ١٩٤٩ بارح بيروت الى الولايات المتحدة ودخل جامعة شيكاغو وحصل منها على الدكتوراه عام ١٩٥٣ وموضوع الاطروحة التي اعدها « العلاقات الحضارية بين الاسلام والمسيحية في القرن الحادي عشر » والتحق بجامعة جورج تاون كاستاذ للتاريخ الاوربي الحديث وسياسة العالم العربي الحديث .

وفي عام ١٩٧٠ جاء الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا زائرا لمادة « القضايا السياسية والاجتماعية في العالم العربي الحديث » وفي عام ١٩٧١ عاد الى كرسيه في جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة .

من آثاره القلمية : نشر « هشام » مقالات في مجلة « العروة الوثقى » التي كانت تصدرها جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة الاميركية ببيروت وفي جريدة « النهضة » البيروتية وفي « ميدل ايست جورنال » و « كرنت هستوري » و « موسلم وورد » . ومن آثاره المطبوعة :

١ ـ السياسة والحكم في الشرق الاوسط ـ طبع عام ١٩٦٢
٢ ـ القومية والثورة في العالم العربي ـ طبع عام ١٩٦٦
٣ ـ المقاومة الفلسطينية في وجه اسرائيل واميركا ـ طبع عام ١٩٦٩
٤ ـ الفدائيون الفلسطينيون ـ طبع عام ١٩٧٠
٥ ـ المثقفون العرب والغرب ـ طبع عام ١٩٧٠
٦ ـ المقاومة الفلسطينية في وجه اميركا واسرائيل ـ طبع عام ١٩٧٠
٧ ـ الفدائيون الفلسطينيون : صدقهم وفاعليتهم ـ طبع عام ١٩٧٠ (باشراف مؤسسة الدراسات الفلسطينية) في بيروت .

نموذج من نثره : « ان اسرائيل مثل الولايات المتحدة تبني استراتيجيتها على مبدأ الاستعداد التام ، على اساس نظرية القوة الكاملة . وهي سياسة قائمة على الاعتقاد ان المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها ، وان ما يحول بين العدو وبين تحقيق هذا المطمح هو ادراكه مناعتها التي لا تقهر من جهة ، وادراكه ضعفه وتعرضه لخطرها من جهة ثانية ، ومن هنا كان هم هذه السياسة الاول هو تعيين النفقات اللازمة للاحتفاظ بالتفوق العسكري (المناعة ، وبتقدير صحيح لمدى وعي العدو لهذا التفوق وردة فعله عليه .

فعلى اسرائيل ان تتبع سياسة « عدوانية » ليس فقط لاعتبارات استراتيجية (وضعها الاقليمي ، طول خطوط حدودها ، قلة عدد سكانها ، الخ) ، بل لانها ايضا في جذورها قامت على اساس حركة استعمارية . فهي تتصرف استنادا الى معرفتها انها في نظر خصومها ليست « دولة » بل « مغتصبة » اي قوة دائمة على ارض محتلة . لذلك استندت علاقتها مع خصومها الى القوة دون سواها ، وهي علاقة مجردة من اية اسباب شرعية تسمح بالمساومة على اساس الند للند . فالتسوية لمصلحة اسرائيل في نظرها ينبغي ان تحقق عن طريق القوة وهي ترى ان خصمها يجب ان لا يكون له الا موقف واحد في المساومة هو موقف المغلوب ، وهذا يعني الاقرار بواقع الحال . وبالنظر الى ما ينجم عن ذلك من غياب الشرعية الملزمة ، فعلى الخصم ان يظل خاضعا لتهديد مستمر فعال ، وهذا يتطلب بالضرورة اتخاذ وضع هجومي ليس فقط في الحرب بل في السلم ايضا . وهكذا تصبح ديبلوماسية « التفوق » شرطا لكل مسعى غير عسكري . فما هي اهداف هذه الديباوماسية ؟ انها بكل بساطة ابقاء الخصم بصورة مستمرة في وضع المتلقي ، فيكون بصورة دائمة متلهفا لان يتقبل ما يقدم له ، ولكنه دائما يكون غير قادر على تقرير ثمن ما يتقبله ، وهذا هو البديل عن الشرعية التي تنظم العلاقات بين الغالب والمغلوب ! وعلى هذا ، فمن خصائص الديبلوماسية الصهيونية في هذه المرحلة ان لا تعمل على حل النزاع بل على اطالته ، اذ ان حل النزاع ، منطقيا، يتطلب التنازل واعادة مكاسب حصلت عليها بالقوة . وهذا لا يحد من اتجاه الاستراتيجية الاسرائيلية التوسعية فقط ، بل ايضا يقوض الاسس التي اقيمت عليها . فالاسلوب الاول الذي تنتهجه الديبلوماسية الصهيونية هو ايجاد الظروف والاحوال التي توقف النزاع موقتا ، ولكنها لا تسمح بدخول اي عنصر جذري جديد الى الوضع الراهن . فبعدم الالتزام وخلق المسافة الفاصلة ومنع الاحتكاك او توجيهه ، يتم قيام وضع راهن على اساس امر واقع نشأ بالقوة ، ثم تخلق احوالا ملائمة للتوازن ينبثق منها مع مرور الزمن شعور جماعي ومنفعي متبادل بين الطرفين ، وتقيم الفائدة التي يجنيها المغلوب ، بالضرورة ، على اساس اقتصادي . فاي ربح ، مهما كان الربح ضئيلا ، يعتبره المغلوب منحة وحافزا للقبول .

سببت التحركات من الجانب العربي باتجاه التسوية (منذ بروتوكول جنيف في ١٩٤٩ حتى الان) حرجا فائقا لاسرائيل وكانت دوما موضع رفضها القاطع ، فموقف بورقيبة التوفيقي لم يؤد الى ارتياح تل ابيب بل سبب قلقا عميقا في اوساط الزعامة الاسرائيلية. ذلك ان اعتماد موقف التسوية من جانب اسرائيل يستدعي تحولات جذرية في تفكيرها الديبلوماسي ـ العسكري والانتقال من موقع الهجوم الى استراتيجية التوفيق والتسوية ، وهنا يصح القول ان اسرائيل تحتاج الى نحو خمسين سنة من الاحتكاك والتوتر حتى تستطيع بناء قاعدتها الاقتصادية واشادة مؤسسات قوية ومستقرة يكون بمقدورها

مـا انـت ؟

●

ترى هل تساءلت ما أنت ؟ كيف ... تسلـل روحك يومـا لجلـدي
وكيف غـدوت نشيـدي ، ولاح ... شراعك في الافق نـدا لوعـدي
وكيف منحت لقلبـي الحيـاة ... واخمدت بـين الجوانح حقـدي
وكيف غـدوت ضميري ، وكيف ... حطمت برغـم رحيلك قيـدي

أتعرف يـا أنت مـا أنت عنـدي ... أراك اختصرت جميـع البرايـا
واني أنـا قـد نفـذت اليهـم ... لانك تكمـن بـين الحنايـا
تسربلني بسكـون اليقـين ... وتنضو عن القلب ثقـل الخطايا
وتغمرنـي بالنقـاء وتسكـ ... ـب دفءا يذيب صقيع العشايـا

أنـا مـا تساءلت مـاذا تكون ... عرفتـك لغـزا طـواه المسـاء
حببتك .. يكفـي بأنـي حببت ... أقمت .. رحلت .. لدي سواء

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توفير شروط من التوازن ذات الطابع الدائم . وهكذا نجد انه من زاوية النظر الاسرائيلية السائدة ، فان الوصول بالنزاع الى نهايته يتعذر قبل وصول تكتيك الحرب المتمادية الى اقصى حدودها حيث تصبح عندها غير ذي جدوى . وهذا الهدف لا يمكن بلوغه قبل التوصل الى مركز سيطرة .

ان هذه الاستراتيجية الديبلوماسية ـ العسكرية تعطي الاولوية لسياسة التوسع الاقليمي ، والتوسع هو نتاج سياسة القوة ، غير انه ايضا رد فعل لـ « محيط مستسلم » ، وفي ذلك يقول آرثر كوستلر « صهيوني سابق » : « ان المحيط المستسلم هو بمثابة فراغ وحافز مستمر على زيادة التوسع » ولكن بعد تجاوز نقطة معينة يصبح التوسع مضرا باسرائيل .

فما هي اقصى حدود التوسع الاسرائيلي ؟ ان تقريره نهائيا يتوقف ، بالدرجة الاولى ، على نتيجة النزاع الديبلوماسي ـ ـ العسكري ، غير ان التخطيط العام للتوسع الاقليمي للدولة اليهودية دلل عليه ناطقون كثيرون باسمها منذ ١٩١٩ . ومن احدث البيانات في هذا الصدد، ذلك الذي ادلى به رئيس وزراء اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ (كما رواه رولو) حيث قال : « نحن لسنا على استعداد لان نتخلى عن قيراط واحد من اراضينا ، فعلى المفاوضات ان تبدأ من الاعتراف بالحالة الراهنة للاراضي المحتلة . كانت فلسطين قد قسمت اثنـاء الحرب العالمية الاولى بمقتضى اتفاقية سايكس ـ بيكو ، ثـم قسمت مرة ثانية بخلق تشرشل للاردن ، وجـرى تقسيمها للمـرة الثالثة في ١٩٤٧ ، ونحن لن نوافق على تقطيع رابع لاوصالها .. لم يبق اكثر من ٢٠ الف كيلو متر من فلسطين القديمة ، واننا نأمل ان يتمكن يهـود الاجيال القليلة المقبلة من الهجرة مـن روسيا واوروبا والولايـات المتحدة » .

فقناة السويس في مصر ، ونهر الليطاني في لبنـان ، وجبـل الدروز في سورية ، وحدود الاردن الشرقية ، هـي حدود « اسرائيل الكبرى » المقبولة لدى الرأي العام الاسرائيلي من غاهال الـى الجناح الصهيوني في الحزب الشيوعي .

والهدف الذي تأمل اسرائيل تحقيقه هو ان تحيط ذاتها بسلسلة من الدول الضعيفة الثانوية ـ دولـة مارونية ، ودولة درزيـة و « دولة فلسطينية » ودولة كردية ـ في المساحة الممتدة من الخليج العربي الى البحر المتوسط ، وان ترفع بالقوة علم « نجمـة داود » فوق المنطقة بأسرها . ومن المبادىء الاساسية للاستراتيجية المتشددة التي هي الاساس القائم عليه تفكير اسرائيـل السياسي والعسكري ضرورة خوض حرب دفاعية دائما خارج حدود اسرائيل وعـدم السماح باختراق تلك الحدود على الاطلاق . من هنـا ان حرب العصابـات والحرب الشعبية للتحرر ما داما غير خاضعين لهذا المبـدأ ، فهمـا يمثلان تهديدا يتطلب استراتيجية من نوع اخر ، وعلى هذا فان الحرب الدفاعية هي بالضرورة وقائية » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

مع ارتفاع الطائرة في الاجواء الفسيحة شعرت بسعادة لا حدود لها فتنهدت بعمق ولثوان حسبتها دهورا ، ثم التفتت فجأة كمن تذكر شيئا وصوبت نظراتها نحو الممر الضيق للطائرة ، توقفت عن التأمل لان زوجها عاد يتدحرج بجسمه المكور وقد انشرح صدره وبانت اساريره منفرجة ، لملمت نفسها واستعدت متحفزة ، ثم ترددت كثيرا قبل ان تهدأ وتدفن مشاعرها في اعماق ضياعها ، وتطلعت اليه من زاويتها الخاصة فرأته كعادته مبروم الجسم مؤدبا ، يتعرق من يديه ويقف امامها مرتبكا كبعض الكلاب المهذبة ، وتساءل بغيظ عن معنى التصاقه بها عن مشقة هذا الامتزاج الغريب بينهما . وبشيء من السخرية تعترف بان هذا الاحمق الذي يتهيأ للجلوس امامها ما هو الا عريس الغفلة او ما يسمونه عادة بزوج القسمة والنصيب .

فستانها الذي ترتديه وردي وله ياقة واسعة كالبحيرة ، ومن حول عنقها يتدلى عقد ابيض وطويل يتناسب مع لون الحذاء والحقيبة . جسمها طويل ومتناسق يسنده عنق متطاول ولطيف . ومن بطني اذنيها تتحاور بانسجام حبتي فيروز شديدتي الكبرياء . قرصت اذنيها وهي تتجنب احراج وجوده ، لقد سئمت الجدال والحوار الباطني وتمنت لو تعيش مع انسان اخر يبهجها فتنطلق على سجيتها كالنسمة المزهرة . لقد حاولت كثيرا وفي حالة يأس ان توجد بعض الحيوية المشتركة بينهما ، لكن ضيق صدرها وحبها للحياة كانا بمثابة زمارة الاستياء في لفتاتها الحائرة ، فتنفر منه ومن القيود وتنكمش على نفسها كالحيوان البري ، وتبدأ من ثم في نسج اطار لولبي حولها ، يقيها سماجة الحياة المتجسدة في صورته وحركاته .

واكن غالبا ما يكون انكماشها مريرا فتقلبه الى تعليقات ساخرة تهدىء نوعا من ثورتها . وبحركة لا شعورية وعن غير قصد ترفع ياقتها الواسعة وتنظر الى عبها الاسمر ، الى الممر المقفل في صدرها وترنو الى ما تحت ، حيث تستقر نظراتها بكآبة عارمة . لقد اجابب العيون النهمة المتسائلة بانها تحب الاطفال ، وعندما كانت تشتم رائحة الخبث والشفقة في اعينهم تدعي بانها لا ترحب بهم الان حفاظا على رشاقتها .

حقا انها لا تريدهم منه ، كما انهم مصدر شغب بالنسبة اليه ، ومن يعلق على ذلك فهي بدورها لا ترى مبررا لوجودهم . لقد قامت بتربية اخوتها حتى بات لا ينقصها شيء في

محاولة هروب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم رجاء ابو غزالة

هذا المجال ، حتى التفكير في تربية مزيد منهم ولو كانوا اطفالها يثير الهلع في قلبها . الا ان هذا الهلع يختفي اذا ما وجد فارس احلامها. وتلوي عنقها برقة حالمة ، ويتورد خداها كصبية مراهقة ثم تتنفس الصعداء . ولكن سرعان ما تجعل كالغزالة التائهة ويرتطم وجودها الهلامي بسماكة وجوده الحيواني فترتجف ، وتشم رائحة جسمه المعطر تنفذ الى خياشيمها كرائحة فروة حيوان يحتك بطنه بالارض



ويتعرق .

مررت اصابعها المتناسقة فوق جبينها عدة مرات ثم التفتت اليه هاتفة :

« اني لا ارى احدا في الطائرة » .

« ومن يسافر في مثل هذه الظروف » تنحنح وهو يعدل جلسته .

لقد استراح بعد دخوله الحمام ولو رأيته قبل ذلك بدقائق .. لقد بدا ككرة من المطاط تكاد تنفجر .

« ماذا تعني ... الحرب هيه هزت كتفيها ثم تأملت السماء وطبقة الغيوم المندوفة في الفضاء ، فتمنت لو تحوم فوق بطانية الريش . انه شعور ساذج من الراحة . ثم اكملت بشهية واقتناع « الحرب صحة وضرورة » .

قهقه بامتعاض ولم يتكلم .

« هل تعلم » رفعت حاجبيها بسخرية « لقد بدأت اسأم الحياة » .

في المقاعد الخلفية ، رأت رؤوسا منخفضة وصفحات الجرائد تهتز فاطمأنت بان حديثهما لن يتطاول الى الخلف . ولكنه امرها بالصمت، فكشرت عن انيابها الجميلة واشرأب انفها الدقيق بحساسية مرهفة ، اما عينيها الواسعتين فتذبذبت ، ثم تسمرت فوق صلعته البيضاوية ونفرت باستياء طفولي .

ولم تتساءل هذه المرة كيف باستطاعة هذه الكرة من اللحم والشحم ان تحشر نفسها في المعطف والسروال لانها غالبا ما تشهده وهو في معركة ابدية من الشد والرفس ، وكثيرا ما يشتد به اليأس والحنق وهو يراقب نظراتها الباردة المتتابعة فيدخل الى الحمام ويقفل عليه ، ولا يلبث حتى يخرج وقد انحشر كل دمه في خديه المتورمتين ... ويا له من منظر مثير للاستهزاء فتضحك وتغلب عليها حالة شيطانية فتغرق نفسها والهواء من حولها بسخرية لا تطاق ، ولطالما حللت زواجها منه والظروف المؤسفة المحزنة التي

ربطت مصيرها بمصيره . وعندما تغضب من حالتها تمعن في اذية نفسها ، فتحتك به كمن يحتك بضبع ، فيقشعر بدنها وتحس بلذة غريبة وممتعة بان حالتها ميؤوس منها ، وبأنها تعيش في بيت الضبع وتنام في سريره .

من قال بأنها تخاف منه ، فالفقر الذي عانته طفولتها علمها الوقاحة، افهمها معنى الحياة قبل اوانها ، فعرفت اشياء كثيرة كالفضائح ، واسرار الجيران ونقل الكلام والعناية بصغار العصافير من اخوتها . لقد استيقظت وغفت على رائحة التبغ التي كانت تعبق في بيتهم الصغير الوضيع في احد الازقة ... تعرفت ايضا على وجوه كثيرة ممسوخة ، معذبة ، تدين وتدان كالعملة الفضية تتقاذفها الايدي القذرة المتصلبة ، لقد تنسمت قدرها في عيون الشباب النهمة ، تلك العيون لم ترحم براءة لفتاتها وانطلاقة شخصيتها الجريئة .

لقد كان للقيل والقال ولا زال وزنه في مجتمعها المتواري، المتخلف، وكان لسياط الثرثرة اثر بعيد في رفع مستوى الحقير او تحطيم عفة بيت مستور بسيط الحال .

كما باستطاعةمجموعة من الوجوه الجوفاء المزمومة بالكراهية ، الجالسة عند المقهى ان تحدثك بثقة وخبرة عن مشية الفتاة وعن مدى طهارتها .

انها تذكر كل هذه الوجوه لانها مطبوعة في مؤخرة ذاكرتها .. فغالبا ما تهب كالسياط ، فتلجمها بعناد وتنطلق بعيدة كالعصفور الهزاز في عينيها غمزة رائعة وفي انفها عروق تنبض بالحياة والحرية معا .

راته يخرج من جيب معطفه علكة ويفرغ في فمه حبتين ثم يعطيها الباقي ، ووجدت الفرصة مناسبة لتلوك بعض ما عندها ، فشكرته في سرها ، ومددت قدميها براحة عميقة ، وتمنت في تلك اللحظة لو يموت لان الشاب الذي يجلس في المقعد امامها ، يقرأ ويلتفت ، ثم يقوم ويقعد ، ويشعل السجائر وكأنه طفل يتلهى بعيدان الكبريت ، فسرت ووجدت منفذا رائعا على البحر .

حدقت في راس الشاب الغريب والتفتت الى راس زوجها ، واخذت تتسلى في تعريب مزايا كل واحد منهما على حدة .. وكانت تقهقه بين الفينة والاخرى في سرها وترسم اشارات في الهواء . اما الزوج فقد بدا يفقد صوابه وبانت الغيرة واضحة في عينيه الواسعتين المتدليتين كعيني كلب الصيد، واخذ يصدر من فمه قرقعة عالية ، ودفع بالعلكة بعصبية الى اسنانه الامامية زاما شفتيه الغليظتين ، وبدأ عملية قضم اطراف العلكة وهو ساهم وقد ظهرت عيناه من اثر شعاع الشمس المنعكس عليهما كعيني أرنب هادىء يقضم جزرة .

ويقوم الشاب الجالس في المقعد الامامي ليعدل اتجاه انبوب الهواء بعيدا عنه فيسلطه عفوا باتجاه الزوج .. فيعتبر الاخير بأن حركته اهانة مقصودة وموجهة ضده لاغاظته فتتغير معالم وجهه للتو ، ويندفع الدم الى وجهه ويدفع العلكة بدوره الى فكيه ليقوما مقام المطبعة في طحن مشاعره يمينا ويسارا . فهو بصحيح العبارة يشعر بأن في صدره « وابور كاز » وهناك ايد ناعمة تحقنه على الطريقة القديمة لحواء ...

ويا لها من قطعة معروقة ، ذئبة نارية ، سيعرف كيف يمرغ انفها في التراب كما سبق ومرغت انفه في الوحل ، فهو رغم حنقه واشتعاله يذكر جيدا يوم زواجه منها ، اجل يذكر وجهها وهي تبكي في الغرفة في مصيف « شتورة » وعندما سألها بصوت ناعم ، عم تبكي وردته اليانعة ، اشمأزت وبصقت في وجهه ، فمسح رذاذها المعطر وتعلق بحبال الصبر . لقد حسبها خائفة منه !!! كفى كفى .. يا له من مأفون ، غرير ، عريس الغفلة لقد صدق حدسه عندما جاءته عمته متباكية . ما رأيك لو تتزوجها يا ابني ، من احق الناس بها غيرك ، كفى كفى ، لقد كان زواجه منها مجرد ستر للحقيقة المرة ، عض على اصابعه وهو في غفلة من الذكرى .

اهتزت في مقعدها كاللعبة وهي تنظر اليه من زاوية جفونها المسبلة وتمد رجلها اليسرى الى الامام .. انها تنزلق بجسمها الى اسفل ، وتمعن بالحذر « وماذا لو رآها » .

كانت تبحر النظر في الفراغ الازرق امامها وكأنها في غيبوبة من اللذة المبهمة البكماء . فهي تريد ان يراها وهي تغازل الشاب الغريب لتذله .

وتترك السماء وهيبتها لتحول انتباهها الى وجه المضيفة الجميل وهو يشرق ويضيء ، فتشعر بحسد خفيف يعوم فوق ذاتها ، كما يعوم الزيت في بئر عميقة . هناك ثمة شيء مفقود يترك فراغا في جوفها ، يفتت احاسيسها ، فتضيع في مجاهلها وتذوب ، تختفي فيها بلا تحفظ .

وتعود بها الذكرى الى الوراء عندما كانت تبكي وراء الباب لان الضبع يشدها بذراعيه السميكتين، فهو يريدها وبسرعة لكي ينقضي امر ما ، ويعلن على الجميع بانها عذراء وزوجة مصونة .. ولانها ليست كذلك بكت لا خوفا بل قهرا من هذه الاسرار الاجتماعية المحبوكة حولها كخيوط عنكبوت مارد لا عيون له ، يلمسها ويدب فوق صدرها بخفة وثقل الحياة ، وتئن في جلستها ، تموء كالقطة الجالسة بجوار موقد كبير وتنظر اليه بوجل ...

انه يعلك بلا نهاية . ها هي تشعر

بالتعب فتتسلل الى عينيه المفتوحتين بتفاهة ، وتتمطى ، ثم تتجاذب اطراف الحديث مع عبها السحيق اللامتناهي ...

وتتمايل الطائرة فينطلق صوت الكابتن بهدوء وحزم منبها الى ربط الاحزمة جيدا لان هناك طائرة اسرائيلية تحاول ملاحقتهم . وتهب وقد وضعت يديها على اطراف المقعد في تحفز ، وينظر اليها وقد اصفر لونه . ومن المقاعد الخلفية علت همهمة ، اما الشاب فقد التفت اليها وتأملها طويلا ، وهي بدورها تأملته وضحكت ، فابتسم وادار لها ظهره بدفء ، فاعجبت بوسامته وشعرت بفرح عظيم . اما الزوج فلم ير لانه كان مشغولا ، يضرب اخماسا بأسداس ولكنه التفت اليها فجأة وقال « لقد كان من الخطأ ان نطير في مثل هذه الظروف » .

« هيه ، وماذا في ذلك ، اننا لم نمت بعد » ولكنها ما لبثت ان هتفت :

« هل تعلم بأن السماء هي اجمل بقعة لتبادل الحب » .

ويأمرها بالصمت لانها وقحة ، قليلة الادب فتبرم فمها غير عابئة .

ويحدق في شكلها العام ويسرح في تصوراته لها وهي في الغرفة ، يغلفها شبه حياء وشبه تمنع وهو يحاول ضمها اليه ، فلم يكن يفهم حينذاك سر تمنعها . انها حلاله ، اليس كذلك ؟ زوجته على سنة الله ورسوله ، لهذا كان يجمع كامل قوته وبعض شجاعته وينقض عليها . لكنها كانت تثور وتتحفز فيرتد مذعورا لا شك بأنها تخاف من منظره ، ويستعد مرة اخرى ويقترب منها بهدوء « ما بالها تنوح كالقطة الشرسة ، تشد الغطاء على نفسها كالبلهاء » ويقف وسط الغرفة ليتفقد هندامه ويمشط شنبه ثم يتناول زجاجة عطر « سوار دي باري » ويدلقها على صلعته ماسحا يديه بصدره ، مفكرا . ما زالت القصة على ما هي ، لم يطرأ عليها التغيير ، زمجر مقهورا وهي تعترف بفعلتها الفظيعة مع شاب مجهول ، اعتدى عليها .

لم يطردها كما توقعت ، بل احتفظ بها كالجوهرة الثمينة ، و هكذا اوحى اليها ، المهم انه لم يطلقها لستر صلة القرابة ، ربما ايضا حفاظا على سمعته كتاجر مرموق . ما يؤلمه انها لم تشعر بالامتنان . انها ناكرة للجميل ، وقحة لا تخافه ولو اعلن سرها على الملأ .

وهي تعلم بأنه يحبها ومتعلق بها كسلة التين ، مغرم بها الى ابعد الحدود ، ولكنها لا تدري ما هو سبب تعلقه بها هذا .. فبامكانه نبذها ، ولكن يبدو بانه عنيد ولسبب ما لا يريد الانفصال عنها . لقد طلبت منه ان يتركها بسلام ، فرفض ، رفض بقوة وكان دوما يتودد اليها كالطفل ثم يجفو وينعزل عنها فلا تكترث له ...

انها تشعر ببساطة بانه لا يشبع فصولها ، فهو لم يكن في يوم ما حلمها ، او المثل الاعلى للرجل بالنسبة لها . انه مجرد كومة من اللحم والاعصاب تطفو في محيط حياتها كسمك الجيلي ، تطفو وتعوم من التيار بلا هدف . انه لا يحوز على مشاعرها ، لا ينيرها ، لذلك فهي تعبد الاثارة والشغب وتبحث عنهما كالفأرة ، لوحدها وبأنانية وكبرياء صارخ لا يدانيهما شيء .

ومن قلب الصمت تسمع ضجيجا في داخلها وفي خارجها . لقد عادت الطائرة الى الاهتزاز ولكن بقوة وبعنف لم تشعر معهما بوضعها الحقيقي . ارتجفت اعصاب جفنيها وتوترت ثم ضاقت وكأنها تنظر في ظلام دامس ، وادركت بأن الطائرة تهوي والرصاص يلاحقها كوابل المطر ، انها مجرد لحظات ولكن اللحظات تمتد الى دقائق ، الى هزات اشبه بالهزات الارضية المخيفة ، ورات زوجها منبطحا على الارض تحت قدميها وهو يرتجف بهلع وهي معلقة من وسطها فوق المقعد الامامي المجاور لمقعد الشاب ، ولم تدرك في بادىء الامر لماذا لم يلتفت اليها الشاب ، لقد بدا لها شراعا خفيفا يرتج فوق صخب الامواج بلا اكتراث حتى انها هفت اليه بشوق وجمال طير الماء . وبثقل ينبع من اعماق تعبها حركت يدها اليسرى باتجاهه فسقط رأسه الى الامام وظل هكذا لفترة طويلة .

انتفضت بقوة من موضعها المتدلي ووقفت بصعوبة على قدميها ، ولكنها صرخت بحدة عندما سمعت صرير صوت زوجها آتيا اليها من قاع حذائها . مم يخاف هذا البالون المضحك ؟ تمركزت فوقه بشدة كي لا تقع ، وبدهشة عميقة رأت خيطا من الدماء يسيل من جانب رأس الشاب فأدركت شيئا مرعبا لم يستوعبه وعيها قبل لحظات فأخذت تصرخ في كل اتجاه ووسط كل هذا الضجيج وبأعلى صوتها وبحرية كاملة . ووجدت بان الصراخ يريحها ويصم اذنيها عن الواقع الاليم ، والمستقبل الميت ، ووجدت بهذا الصراخ منفذا واسعا لتنفيس ما كبتته طوال حياتها من شذوذ واعوجاج . ورأت في رأس زوجها مسرحا فسيحا لالعابها البهلوانية فأخذت تقفز فوقه وتتسلى في تعذيبه وصراخه يعلو على صوت المعركة . لقد حاول الافلات من براثنها ولكن وضعه والارتجاجات المستمرة كانت تفشل محاولاته .

واخيرا ومن خلف الصمت الذي بدا يجد طريقه الى جو الطائرة بعد هروب الطائرة المغيرة بدا الطيار يرتفع رويدا ليحلق من جديد بعدما تظاهر بمهارة بأنه يهوي الى الموت . ووجدت نفسها ترتمي في مقعدها منهكة وزوجها يتحامل على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حنـــين

★

رحماك يـــا ظمـآن في صدري ... كـــم ذا تغالبني علـى امـري
يـــا قلـــب دار الحب نائيـة ... مـاذا تفيـد سفاسف السحـر
تبكـــي ولكـــن دونمـا امـل ... وتثور لكـن ليس مـــن يـدري
حملتني مـــا لا يطـاق فهـــل ... خففت عـن صدري وعن ظهري
الشـــوق داء لا دواء لـــه ... ـ مهما تشاكينا ـ سوى الصبر
شبنا ومـر الشهـــد في فمنـا ... هل بعد هـــذا الليل من فجـر

لم يبق مـــن عهـد السعادة ما ... يغوي ومن ريـــاه مـا يغـري
بعنـــا باوهام الغنـــى وطنـا ... حصبـاؤه اغلـى مـن التبـــر
عبثـا نقول لقـــد نعـود غـدا ... شط الحمـى الا عـــن الفكـر
يـــا صاحبي متنـــا بغربتنـا ... ما الفـرق بين المـوت والهجـر
ليت الشراع اضـــاع دفتـــه ... يوم النوى ، والريح لـــم تجـر
ضعنـــا وضيعنـا هويتنـــا ... يا قلب شكوانـا الـى الشعـر

بوانس ايريس ـ الارجنتين ... زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسه ويقوم مترددا .

رفعت يدها الى خدها الساخن ، فلمست نبعا صغيرا مـــن الدماء ، وكاللبوة الحائرة بدأ القلـق يلمـع في حدقتيها الواسعتين الـى اقصى حدود . ثم اخذت الافكار تتثاقل في رأسها وتنحسر كالذبابة الطنانـة . انها تفكر الان وذهنها يصفو كتـلال مـن الرمال الصحراوية ، ولا تلبث ان ترى كرة الشحم تأخذ لها مكانـا وشكلا منطقيا الى جانبها ، وتسمع ببلاهة صوت الطيار مـــن خلـف المذياع يهتف مطمئنـــا ، في صوته بحة وشفافية رائعة . انه يهنيء من سلم ويأسف على مـن فاتته فرصة الحياة .

وتأتي المضيفة وهي تحبو علـــى ركبتيها وقد تعفر جمالها ، واخذت تتفقد الركـــاب بصوت هستـيري حاد ، وبمد لهـــا الزوج اصبعـه المقطوع وهو يصيح بهلع ، وقـــد علت صدغيه كدمات بلون النيل . . اما هي فقد كانت تجلس محنيـــة الرأس تحـدق في عبهـا الاسمـــر السحيق ، وتتطـــاول بنظراتهـــا الساهمة الى بطنها المكور ، الحامل بآلاف الديدان الوهمية . ومـــن الفجوة القائمة بين المقعدين الاماميين كانت تداعب يدها يد الشاب الميت، في شبه محاولة يائسة .

جدة ـ السعودية ... رجاء ابو غزالة

مكتبة الاديب



من وحي فلسطين ـ في غمرة النكبة

شعر كامل الدجاني ـ ٦٠ صفحة ـ طبع بيروت

اذا كانت قيمة الشعر بما يثير في النفس من عاطفة وما يبعث في الكيان من هزة ، وبما يبث في العقل من هدف ومثل ، فان لشعر الاستاذ الكبير كامل الدجاني في مجموعته « في غمرة النكبة » هذه القيمة الفنية العالية .

ولست أسمي المجموعة ديوانا لانها تقع في ستين صفحة من القطع المتوسط ، ولكنها كذلك اذ تجمع نماذج من شعر الاستاذ الدجاني ما بين سنتي ١٩٢١ و١٩٧٢ . واذا كانت هذه المجموعة الموجزة لا تستطيع ان تصور فترة طولها خمسون سنة ، فان النماذج المختارة قد مثلت مراحل النضال الفلسطيني ضد الهجمة الصهيونية الاستعمارية طوال هذه الفترة .

ان هدف الاستاذ الدجاني من اصدار مجموعته ، كما يعرب هو عنه في مقدمته الموجزة الانيقة ، ان « اعبر عن الفلسطيني كما أحسه، وكما اراه » . وهو يفرغ هذا التعبير في ابواب ثلاثة : ١ ـ في الغمرة ، ٢ ـ الوحدة ، ٣ ـ بوادر النكبة ولا ريب ان في تنظيم قصائد المجموعة ، وعددها ست وعشرون ، من التفنن الادبي ما يحمل القارىء على البدء من البداية والسير مع المجموعة في تتابع قصائدها الى النهاية ، على الرغم من ان ترتيب القصائد جاء معكوسا في الغالب ، فالاحدث نظما ورد قبلا .

ولعل من المفيد هنا ، وجناية الصهيونية والاستعمار على فلسطين والعالم العربي ما نعلم ، ان نعرف القارىء الكريم الى الاستاذ كامل الدجاني ، بالاشارة الى ترجمة حياته الواردة في عدد مارس ١٩٧٢ من « الاديب » للمرحوم البدوي الملثم . ونحن قد عرفنا الاستاذ الدجاني رجلا من سراة يافا وفي المقدمة من اوساطها الاجتماعية والسياسية وزعيما من زعماء فلسطين واولى العلم فيها والادب . وقد وفرت سعة الرزق له يومئذ الانصراف للقضية الفلسطينية والانفاق عليها من ماله وجهده . اما الان فهو نزيل بيروت منذ النكبة الاولى ، وقد ذهبت عنه السعة وتحول كل شيء الى ما يعبر عنه بقوله من قصيدة « لاجئون » :

الناس يأوون الى دورهم ... يلفهم من ظلها مد
ونحن لا دار ولا ظلة ، ... يأوي الينا الحر والبرد
الناس يغدون لارزاقهم ... ونحن لا يؤذن أن نغدو
نبيت لا ندري أيأتي غد ... بالرزق ام لا رزق من بعد

والاستاذ الشاعر الكبير لا يصور في هذه القصيدة نفسه وحسب، وانما يصور سائر اللاجئين الذين هم عنده « رهن اعتقال ، سوى ان لم يكن سجن ولا قيد » . ومع ذلك فان هذا التصوير المروع لاوضاع اللاجئين لا يغفل عن حق اللاجئين في وطنهم وعن انهم اذا طالبوا بهذا الحق فازوا ، ولذلك يكتمل للصورة المعنى الفني الملتزم ، بالقول :

يا ايها الشعب تجلد ، ولا ... تهن ، لانت الصابر الجلد
الى روابيك اتجه كلما ... يحلو لك الليل ويربد
هنالك الموعد والملتقى ... والدار والافياء والورد
(بدر الواو)

وقد نظمت هذه القصيدة في مطلع سنة ١٩٥٠ ، اي بعد النكبة باقل من سنتين .

وبعض الناس يتحدث ، كما يعلم القارىء، عن « خيانة » الفلسطينيين او تقصيرهم ، وبعضهم يتبجح بـ « العلم » بان الامة العربية فاشلة بطبعها وان لا امل فيها ، وغيرهم يقول بمثل هذا القول القاصر ، جاهلا او متجاهلا ان النظرة الموضوعية العلمية تضع الفلسطينيين والعرب على سواء مع غيرهم من شعوب العالم ، ان لم تضعهم في سوية اعلى بسبب من سوابقهم الحضارية وتراثهم العريق . اما الاستاذ الدجاني فمزود بهذه النظرة العلمية ، بل يضيف اليها ان المشكلة في الهزيمة للان هي الضعف السياسي العام في وقت كان الفلسطينيون قادرين ، لو خلّوا وشانهم ، على دفع الغزوة الصهيونية في مبدئها . ولكن القيادة العربية آنئذ غررت بهم وحالت دون تمكينهم من الدفاع عن انفسهم . الاستاذ الدجاني ضليع من هذه النظرة ، ولذلك يقول :

يا وطنا ضاع ولم نحمه ... غزاه لا كفؤ ولا ند
يا وطنا لم نوفه حقه ... عفوك ! انا فاتنا الرشد
نمنا على وعد بني قومنا ... لشد ما خدرنا الوعد
لكان ابقى لو فنينا على ... ثراك اذ جد بنا الجد

ويعلم شاعرنا السياسي ، خلاف ما يدعيه دعاة البطل والهزيمة ، يعلم ان للباطل جولة ، وان الحق لا يضيع ووراءه مطالب ، ولذلك يستطرد في قصيدته « عهد » فيقول

لنغسلن العار عن جبهة ... بيضاء قد لوثها الكيد
لنستعيدنك يا موطنا ... تطل من افيائه الخلد

والاستاذ الشاعر يؤمن بالشعب ويؤمن بحقه في وطنه ، ويعلم ان النكبات تجارب تكسب الشعب خبرة ومضاء وقوة ، وان تقهقره خطوة يقدمه مع النضال خطوات ، ولذلك يقول للشعب الفلسطيني في قصيدة عنوانها « ١٩٤٨ » :

لقد قست الخطوب عليك جدا ... وفي الغمرات يمتحن النجار
وقد صهرتك منا النار صهرا ... وفي حر اللظا يصفو النضار
تماسك في العواصف ما اكفهرت ... لك العقبى وللبغي الدمار
تماسك ثم كر فليس الا ... صراع واقتحام وانتصار

وعلى هذا النسق الاخاذ تمضي قصائد المجموعة ومقطوعاتها في اجزائها الثلاثة . ومع ان الاخيرة هي الاقدم ، فان الاستاذ الشاعر قد اصاب في ترتيبه هذا ازاء اهتمام القارىء .

هذا وفي النهاية الفت النظر خاصة الى قصيدة « دوحتي » ، فهي تمثل معنى « الوطنية » لدى الاستاذ الشاعر . انه معنى واقعي نفاذ يذكر بالمعاني الرحبانية الفيروزية التي تستقر في اعماق النفس استقرارا رسيسا لا يزول . المعنى البسيط الذي اغفلناه حين حببنا اوطاننا الى ابنائنا فلم ننجح النجاح كله ، لاننا كلمناهم بلغة العواطف والشعارات والانشاء اللفوي . اما الاستاذ الدجاني فيتكلم بلغة الارض والبيت والقباب التي بنى ، والجنان التي غرس ، والعيون التي فجر بيديه ، والحياة التي انشأ بجده وعمله . انه يقول ، وكانه يتذكر « بياراته » في يافا :

في روضي الخصب الندي ... غرست دوحي بيدي
ربيتها كريمة ... كما ادبي ولدي
غذوتها عصارة الرو ... وذوب الجسد
أغدو لها بالامل الحالم في كل غد
مستبشرا بالبرعم الرطب ... وبالغصن الندي
حتى استوت باسقة ... في حلل الزمرد
في جدة دائمة البشر ... وظل سرمدي
يصدح في اجوائها ... كل شجي غرد

ثم يقول :

يا بنت احلامي وكدحي ... في طويل الأمد
لا بد من عود الى ... الظل الظليل الفرد
لا اترك الدوحة نهبا ... للعدو اللدد

وهكذا تطل مجموعة الدجاني الشعرية معرضا فنيا جميل التنسيق رائع القسمات جديد الاثر . ان كل قصيدة فيها لوحة ، وكل لوحة تستدعي التأمل والمعاودة . والاداة قوية كما ترى والالوان منسجمة والايحاء ايجابي عميق . ولعل المدارس الفلسطينية والعربية تضع هذه المجموعة ومثلها تحت يد كل طالب في المرحلة الثانوية وما بعدها . انها مجموعة جيب يتزود منها القارىء في غدوه ورواحه . ومع ان دار النشر مغفلة الذكر فان الواضح ان المجموعة قد صدرت في بيروت اواخر سنة ١٩٧١ .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري

●

عباس العقاد ناقدا

تاليف عبد الحي دياب ـ ٨٧٣ صفحة ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة

هذا الكتاب له اهمية بالغة باعتباره اول الرسائل الجامعية في دراسة العقاد : نقده واثره ، وواحدا من اهم الكتب الكثيرة التي تناولت سيرة العقاد وتراثه .

ولقد نال به مؤلفه درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها « فرع النقد الادبي والبلاغة » بتقدير ممتاز من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في يوليو سنة ١٩٦٤ . والجدير بالذكر ان المؤلف نال بعد ذلك درجة الدكتوراه عن كتابه الثاني « عباس العقاد شاعرا » .

ومن المهم والمفيد قبل ان نتناول هذا الكتاب بالعرض والتحليل ان نشير ـ بايجاز ـ الى حياة العقاد ، حتى تكون ماثلة امامنا ونحن نتعرف على الجانب النقدي في شخصيته .

ولد في اسوان يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨٨٩ لابوين شديدين في التدين، وتلقى تعليمه في الكتاب ، ولكنه لم يلبث ان تمرد على نظام معلمي الكتاتيب ، فنفر من معلمه ومن الكتاب ، ولم يرجع اليهما مرة ثانية . ثم تلقى العديد من الدروس العلمية والادبية على يد استاذه « احمد الجداوي » القاضي الشرعي ، وهو واحد من الذين حضروا مع الشيخ محمد عبده دروس الثائر جمال الدين الافغاني . وقد راح يطلع على ودائع « دولاب المنظرة » في بيته ، وكان يحتوي على صحف ومجلات يومية واسبوعية وشهرية ، ويرى العقاد ان هذا الدولاب كان السر في دفعه الى صناعة القلم ، فيقول : « ربما كانت سهولة الكتابة عندي نتيجة مستفادة من سهولة القراءة ، ولم اكن قارئا الا لانني ساكون كاتبا يوما من الايام متى تيسرت الاداة » .

وكان العقاد منذ نعومة اظفاره ميالا الى الانفراد والتأمل ، وقد راوده امل الاشتغال بصناعة القلم والصحافة ، فترك الدراسة وهجر الوظيفة الحكومية ، وعمل بصحيفة « الدستور » مع فريد وجدي . وكان مختصا بباب الاحاديث مع كبار الساسة والادباء ، مما اتاح له فرصة التعرف على كثيرين من كتاب عصره ، وفي مقدمتهم : عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وميخائيل نعيمة .

ولقد شارك في الحركة الوطنية المصرية منذ اوائل هذا القرن ، فخاض بقلمه الكثير من المعارك في ميداني : الادب والسياسة ، فكلما



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتهت معركة استانف اخرى ، وقد دخل السجن ، وقضى فيه تسعة اشهر بتهمة العيب في الذات الملكية ، وخرج منه وهو اكثر قوة ووطنيه، واخذ يشق طريقه برغم كل الظروف التي احاطت به ، فقد كان فقيرا ، ولم ينل من الشهادات الا الابتدائية ، ومع هذا قفز الى الصفوف الامامية بين ادباء وكتاب عصره ، وظل يواصل العطاء ، حتى اختاره الله الى جواره في ١٢ مارس ١٩٦٤ عن ٧٥ عاما وقد ترك تراثا ادبيا ضخما يزيد عن ٨٠ كتابا في النقد والشعر والرواية والفلسفة والتاريخ والحضارة .

ولعل الجانب النقدي في شخصية العقاد يعتبر من الجوانب الهامة فيها ، ذلك انه يمكن ان يعد مدخلا لبقية الجوانب الاخرى ، وبالتالي فقد اختار المؤلف هذا الجانب وجعله موضوعا لكتابه القيم الذي ينقسم الى ثلاثة ابواب تبرز الجانب النقدي عند العقاد ، فالباب الاول يتناول: « ميراثنا في النقد وموقف العقاد منه » ، بينما يعالج الباب الثاني : « اتجاهات التجديد في النقد عند العقاد » ، اما الباب الثالث فيختص « بآثار واتجاهات التجديد في النقد عند العقاد » .

ويرى المؤلف ان الميراث النقدي قبل العقاد اتجه في اتجاهين :

الاتجاه الاول : ما حدث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان بعثا ويقظة فقط ، لانه رجع بالنقد الادبي الى عصور ازدهار العربية في نقدها وادبها في القرن الرابع الهجري وما تلاه .

والاتجاه الثاني : ما تلا هذا البعث وتلك اليقظة من حركة التجديد في النقد الادبي ، فالمدارس لها يرى ان روحا قومية سرت في البلاد وتمثلت في الشعور بالقومية ، وكان من نتيجتها قيام الثورة العرابية ، حيث ظهرت بشائر هذه النهضة الادبية مع طلائع الثورة . وفي ذلك يقول العقاد في كتابه : « شعراء مصر وبيئاتهم » : « ظهرت نهضة شعرية انتشلت الشعر من التقليد الضعيف ، او التقليد للتقليد ، الى الابتكار الناشيء عن شعور القومية » .

ولقد استطاع العقاد ان يتصدر حركة التجديد في الادب والنقد العربيين ، فحدد معالم ثورة مدرسة الديوان ، فنادى بضرورة ادخال روح الاستقلال في الادب ، ودعا الى الصدق في التعبير ، وارسى قيم هذه المدرسة على اسس علمية ، وربما نتساءل ما هي اهداف مدرسة الديوان ؟.. ويحدثنا العقاد عن اهدافها فيقول : « واوجز ما نصف به عملنا ـ ان افلحنا فيه ـ انه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، واقرب ما نميز به مذهبنا انه مذهب انساني مصري عربي » .

والحق ، ان العقاد يعد امام مدرسة الديوان مع صاحبيه : المازني وشكري ، فقد كان من اوائل النقاد العرب الذين حددوا اتجاهات التجديد في نقدنا الحديث ، وكان صاحب نظريات في الشعر والنقد ، ولا جدال ان طبيعة العصر كانت مهيأة ـ آنذاك ـ لظهور هذه النظريات في ميدان النقد ، ويقول المؤلف : « ان نظريات العقاد كانت باعثا على التحرر من الجمود الذي كان يسود في ميدان الادب والنقد في تلك الحقبة من تاريخ ادبنا ونقدنا ، ولا سيما ان العقاد لم يأخذ الاشياء بظاهرها السطحي البراق ، وانما كان يتعمقها حتى يصل من دراسته الى جوهرها الصميم » .

ان النقد عند العقاد كان يقوم على الفلسفة الجمالية التي كانت تتمثل في النظريات الكلية كالجمال والعاطفة والذوق ، وقد وضحت وحدة شخصية العقاد من وراء مبادئه ونظرياته ، ويرى المؤلف ان ذلك الوضوح يتمثل فيما يلي :

ـ استفادة العقاد في نقده من العلوم الانسانية التي تدرس نشاط الانسان بوصفه انسانا ومن هنا استطاع ان يفلسف النقد الادبي للكشف عن قيم انسانية من القيم التي تشغل الفكر الانساني في سبيل معرفة مصائره في هذه الحياة ، ليهتدي الادباء الى اداء رسالتهم الانسانية .

ـ اعتداد العقاد بشخصيته مما كان له اكبر الاثر في دعوته الى الاصالة والصدق، وبذلك قضى على شعر التكسب والتزلف، ودعا الى استقلال الشاعر في التعبير عن نفسه ، وان يكون تعبيره موافقا لمزاجه وطبعه ، لا تكلف فيه ولا اختلاق .

كان العقاد في نقده ينظر الى العمل الادبي نظرة كلية بوصفه وحدة كاملة ، اذ انه لا ينظر الى جزئيات العمل الادبي على اساس جمالها في ذاتها ، ولكن لما يتطلبه موقعها من جملة العمل الادبي ، عن طريق ادراك العلاقات بين اجزاء العمل الادبي .

وفي ختام هذه الدراسة السريعة ينبغي ان نوضح الحقائق التالية من خلال عرضنا للجانب النقدي في شخصية العقاد .

أ ـ ان العقاد كان صاحب فلسفة متكاملة الجوانب في النقد الادبي، وهذه الفلسفة وافية الابعاد ، حيث تربط الادب بذات الكاتب ، كما تربط الادب بنزعة انسانية عميقة ، وبفلسفة فنية اعمق .

ب ـ ان العقاد كان اول ناقد عربي دعم نقدنا على اساس نظري وعملي سليم يتمثل في النظريات الجمالية العامة والاسس والمبادىء التي استخدمها في مجال التطبيق .

جـ ـ ان العقاد خطا في تاريخ النقد العربي خطوات سبق بها الجامعات العربية حين دعا اليها ، بل ان العقاد سبق بها اقرانه الجامعيين في جيله وعصره .

وبعد ، فان هذا الكتاب القيم لجدير بدراسة اشمل واعمق ، وليس ما ذكرناه هنا سوى لمحات سريعة ، ولعلها تكون تحية وفاء للعقاد في ذكراه الثامنة التي مرت منذ فترة غير طويلة دون ان نحتفل بها بما يليق بمنزلة هذا الكاتب الكبير .

مصر الجديدة — عبد الرحمن طاهر شلش

●

الرصافي .. آراؤه اللغوية والنقدية

تاليف الدكتور احمد مطلوب ـ ٥٢٦ صفحة ـ معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة

ظفر معروف عبد الغني الرصافي بمنزلة عالية في قلوب محبيه وعشاق ادبه فهو الوطني الحر الذي صور واقع العراق خير تصوير في قصائده وكتاباته وكان يتحسس بالام شعبه ويعبر عما يدور في خلدهم من امال فقد كان على معرفة تامة بما يقاسيه الشعب العراقي من مرارة الحكم الفاسد ومساوئه لانه انبثق من بين صفوف الجماهير وكان جريئا غاية الجرأة في مجابهة الظلم والطغيان حيث قارع السلطان عبد الحميد العثماني بقصائد عصماء كان لها شان يذكر . كما انه كان منددا بالحكم الانكليزي الجائر فوقف منه موقف المناضل الغيور وصب جام غضبه على حقيقة ذلك الحكم وما ينطوي عليه من دسائس وما يضمه من مثالب وعبر بصدق عن قضايا الانسان وعانى في سبيل صراحته المتناهية الاضطهاد والتشريد ولم تصرفه الاجراءات التعسفية عن اداء رسالته الوطنية وانما واصل كفاحه وجهاده المقدس في سبيل تحقيق اماني شعبه ومطامحه حيث كان وثيق الصلة بذلك الشعب الذي نذر نفسه لخدمته وراح يتغنى المواطنون بشعره الوطني وقصائده الاجتماعية التي سارت مسرى الامثال .

ولعل من ابرز صفاته انه كان صلب العقيدة قوي العاطفة نقي الضمير وكان شعره مرآة انعكست عليه تطلعات شعبه المكافح الى الاستقلال والحرية وشعره يشف عن شعور راق وخيال خصب وذوق سليم وعاطفة مشبوبة فضلا عما يمتاز به من جمال اللفة ولطافة الاسلوب وصفاء الديباجة .

والرصافي بعد كل هذا مثار حركة فكرية دائبة جعلت الباحثين ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتصدوا الى تناول جوانب كثيرة من تلك الحركة التي كان يقودها بكل اخلاص وصدق فكتبوا الكثير من المقالات والبحوث والدراسات التي القت الضوء على حياته وادبه .

والدكتور احمد مطلوب ممن أسهم في الكتابة عن هذا الشاعر العراقي الكبير وتتبع آثاره الادبية وعني عناية فائقة بشعره وتناول دراساته اللغوية والنقدية الحديثة فدرسها دراسة وافية .

وقد القى هذه الدراسات كمحاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة ثم جمعها في كتاب اطلق عليه اسم « الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية » يتضمن خمسة ابواب هي : حياته ، آثاره ، آراؤه اللغوية ، آراؤه النقدية ، مقالاته اللغوية والادبية

وقد قسم هذه الابواب الى فصول عديدة وختم الكتاب بالفهارس وهي اثار الرصافي ، المصادر والمراجع ، الموضوعات ، الاعلام . وقد اتيح لي ان اطالع الكتاب فاجد فيه متعة ادبية ومادة غزيرة كما انني لمست الجهد الضخم الذي بذله المؤلف في اخراج هذا السفر القيم . وكانت الفصول التي تتناول اراء الرصافي في اللغة هي الفصول البكر التي دلت دلالة اكيدة على ان المؤلف ذا باع طويل في هذه الناحية فقد كشف بما لا يرقى اليه النقد .

ان الرصافي كان الى جانب شاعريته الفذة لغويا بارعا يعرف تمام المعرفة دقائق اللغة العربية واشتقاقاتها واستعمال الفاظها في مكانها الملائم . كما ان الرصافي كان ياخذ باستعمال الكلمات الشعبية الشائعة في شعره وفي كتاباته النثرية لكي يستطيع افهام سواد الناس بمضمون افكاره وآرائه .

وقد رأيت الدكتور احمد مطلوب في كتابه هذا اديبا متمكنا من بحثه فقد اوتي نصيبا وافرا من الثقافة الواسعة والمعرفة العميقة .

كربلاء ـ العراق — **سلمان هادي الطعمة**

•

ادباء الجيل الغاضب

تأليف الدكتور محمود السمرة ـ ٢٤٨ صفحة ـ منشورات مكتبة عمان ـ لم يذكر اسم المطبعة

لا يزال الدكتور محمود السمرة يخرج علينا بين حين واخر ، بكتاب ما ان نسمع به ـ نحن طلابه ـ حتى نبادر الى شرائه منتظرين ان نعرف اشياء جديدة عن الادب العالمي ، ولكن فالنا يخيب ، عندما نجد اننا قد قرانا الكتاب مفرقا من قبل في المجلات الشهرية التي يواصل المؤلف نشر مقالاته فيها .

وقد اعتاد المؤلف ان يجمع مقالاته في كتب مثل « مقالات في النقد الادبي » و « غربيون في بلادنا » وهذا الكتاب « ادباء الجيل الغاضب » ولكن قراءتنا السابقة لمواد الكتاب مفرقة من قبل لا تصرفنا عن اعادة قراءتها مجمعة في كتاب مرة اخرى ، ولعل السبب في ذلك ـ علاوة على طرافة الموضوعات ـ هو اسلوب المؤلف الذي يجمع بين الوضوح والدقة والاناقة في وقت واحد . ولن يحس الانسان بطرافة اسلوب هذا المؤلف الا اذا سمعه باذنه وهو يتحدث وجلس امامه وهو يحاضر.

وقد تتلمذت عليه ـ شخصيا ـ اربع سنوات ، كنت خلالها انتظر محاضرته دائما بمزيد من الشوق لاجلس امامه مباشرة في اول صف من المقاعد ، لكي لا تفوتني منه عبارة او كلمة او اشارة .

وكنا لا نزال نترسم اسلوبه من خلال ارشاداته لنا ، يحضنا احيانا على قراءة المازني ، ويمنعنا احيانا اخرى من استعمال التعبيرات القديمة من مثل « زاد الطين بلة » .. وسواها ، داعيا ايانا الى وجوب الابتكار دوما .. ولذلك لا تراه يستعمل في كتاباته تعبيرات قديمة الا في اضيق الحدود .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده الان ، هو مجموعة مقالات عن الادب الغربي ، كان قد نشرها في مجلتي « افكار » الاردنية و «العربي» الكويتية ، خلال السنوات الماضية .

والمحور الذي يدور عليه الكتاب هو التعريف بتلك الحركة الادبية التي نشأت في الغرب بعد الحرب الثانية ولا تزال حتى الان ، وهي حركة (الادب الغاضب) الثائر على ما اصطلح عليه المجتمع في اغلب النواحي .

ويبدأ المؤلف كتابه بالفصل الذي كان قد كتبه في مجلة « افكار » عن « ازمة الانسان في الادب المعاصر » ، لكي يقسم ادباء هذا القرن في الغرب الى ثلاثة اجيال ، اختلفت نظرتها الى الانسان فالجيل الاول شغله موضوع الموت ، والجيل الثاني شغله البحث عن قيم ، والجيل الثالث ثار على التقاليد والمقدسات .

ويردف المؤلف هذا الفصل عن مسرح اللامعقول كخطوة ثانية لبيان بعض نواحي الثورة على تقاليد الادب والمجتمع .

وبعد ذلك يملأ باقي الكتاب (من ص ٢٧ الى اخره) بترجمات لادباء الجيل الغاضب المعروفين وتحليلات لمؤلفاتهم ، من امثال : جون اوزبورن وجنتر جراس وجاك كرواك ... الخ ، وترجمات اخرى لادباء من الجيل الثاني ، امثال : جريهام جرين ووليم فوكنر وجون شتاينبك .. وغيرهم .

ويفرد فصلا لسومرست موم الذي لم ينطبق عليه تقسيم الاجيال الثلاثة ، وفصلا اخر عن اديبين غاضبين على مجتمعهما في القرن التاسع عشر ، هما : جوجول الروسي ، وجيته الالماني ، وكانه بذلك يقول ان ادباء الجيل الغاضب لم ياتوا بجديد ، فقد سبقهم الى الغضب بعض ادباء القرن الماضي .

ولكن المؤلف لم يتحدث عن ادباء الجيل الاول ، جيل : جيمس جويس وفرجينيا وولف وتوماس مان والسبب في ذلك انه لم يكن قد كتب عنهم في مقالاته الشهرية في المجلات ، (والكتاب في حقيقته جمع حرفي لمقالات سابقة) ، وهذا ليس ضعفا فقد كتب فصلين رائعين عن توماس مان في كتابه « مقالات في النقد الادبي » وهو لا شك قادر كذلك على الكتابة عن جويس وبروست وفرجينيا وولف وغيرهم من ادباء الجيل الاول في هذا القرن ، ولعله يفعل ذلك في القريب ، مواصلة منه في تثقيف طلابه وقرائه ، وتعريفهم بالادب الاجنبي في الغرب .

واخيرا ، تحية من قارىء الى مؤلف ، ومن طالب الى استاذ عمله تنشئة الاجيال وتهذيب العقول .

عمان ـ الاردن — **حسين صباح**

قضايا وحوار

مجموعة شعرية

ثريا ملحس

٢٨٠ صفحة حجم كبير — ٦ ل. ل.

دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



● العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية ـ تأليف جعفر الخليلي ـ ٥٢ صفحة ـ منشورات جمعية الرابطة الادبية بمناسبة مهرجان النجف الشعري الاول ـ مطبعة الاداب بالنجف العراق .

● الليالي ـ للشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه ـ تعريب الشاعر وجيه وهبة الخوري ـ مصمم الغلاف خالد علي سعد ـ ٨٨ صفحة ـ مطبعة العلم (؟) ـ (صدر في دمشق) .

● الحياة العلمية في الشام في القرنين الاول والثاني للهجرة ـ رسالة ماجستير ـ تأليف خليل داود الزرو ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● معروف الرصافي شاعر العرب الكبير : حياته وشعره ـ تأليف قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٣٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام المصرية ـ سلسلة المكتبة العربية ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● الصهيونية بين تاريخين ـ القسم الاول للسفير عبد الله النجار والقسم الثاني للدكتور كمال الحاج ـ ٣٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ام عمارة السحابية الباسلة ـ تأليف عبد العزيز الرفاعي ـ ٨٠ صفحة ـ الكتاب ٦ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة الملز (الرياض) .

● اللذة الهاربة ـ مجموعة شعرية ـ اسكندر غانم ـ الغلاف لرشيد وهبي ـ ١٤٤ صفحة ـ صدر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سآخذ بثاري ـ تأليف البارونة اورکزي ـ ترجمة غبريال وهبة ـ الغلاف لاسماعيل دياب ـ ٢٧٢ صفحة ـ سلسلة روايات عالمية ـ منشورات المؤسسة العامة للتأليف والنشر ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

● الام الزمن المتهم ـ مجموعة شعرية ـ فيصل السعد ـ الغلاف واللوحات الداخلية لنصر الدين طاهر ـ العناوين بريشة محمود الحايك ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات جمعية المعلمين الكويتية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حبي الكبير ـ مجموعة شعرية ـ اسمى طوبي ـ الغلاف لاسماعيل شموط ـ ١٢٤ صفحة ـ توزيع دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسة في البيروقراطية السورية ـ تأليف سمير عبده ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الافكار ـ منشورات دار دمشق بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النحلة تسبح الله : بلغة العلم ولسان الواقع ـ تأليف محمد حسن الحمصي ـ ٢١٢ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نور ونار ـ ديوان شعر ـ زكي قنصل ـ طبعة جديدة مزيدة ومصححة ـ تقديم فؤاد الشايب ـ ٢٦٠ صفحة ـ صدر في بونس ايريس الارجنتين .

● الموسوعة الموجزة ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ المجلد الاول ـ جزء ٣ ـ حرف ت ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● ظواهرية الوجود الجدلي : دراسة وجودية في النقيض ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● قصص من المنصورة ـ تأليف شوقي وافي وعماد الدين عيسى وعبد العزيز الشناوي وسمير بسيوني ـ تقديم علي شلش ـ ١٠٦ صفحة ـ شركة بسيم للطباعة بالمنصورة .

● حب بلا حدود ـ قصة ـ تأليف عبد العزيز الشناوي ـ تقديم محمد عبد الحليم عبد الله ـ ١٨٨ صفحة ـ منشورات اصدقاء الكتاب ـ المطبعة الاهلية ومكتبتها بالسنبلاوين بمصر .

● بروق ورعود ـ مجموعة شعرية ـ شكر الله الجر ـ تقديم غنطوس الرامي ـ ١٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● همزات شيطان ـ رباعيات شعرية ـ رفيق فاخوري ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الفجر الحديثة بحمص .

● السجن ـ رواية ـ تأليف نبيل سليمان ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الفارابي ببيروت ـ مطابع الامل بيروت .

● الام ـ حكايات وقصص ـ تأليف فتحي الابياري ـ مصمم الغلاف حسين بيطار ـ ١٤٤ صفحة ـ مع عدة صور ـ سلسلة كتاب اليوم ـ منشورات مؤسسة اخبار اليوم (القاهرة) ـ مطابع الاخبار (القاهرة).

● ساهر يرعى النجوم ـ مجموعة شعرية ـ احمد دوغان ـ الغلاف لمنذر شرابة ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات مكتبة الثقافة بحلب ـ مطبعة الضاد بحلب .

● خليل السكاكيني : المربي الاديب الانسان ـ تأليف حموده زلوم ـ ١٣٦ صفحة ـ المطبعة الفنية التجارية في عمان الاردن .

● الخليل بن احمد الفراهيدي : حياته وآثاره في المراجع العربية والاجنبية ـ تأليف كوركيس عواد وميخائيل عواد ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر بمناسبة انعقاد مهرجان المربد الشعري الثاني والاحتفال بذكرى الخليل بن احمد الفراهيدي في البصرة من ١ ـ ٥ نيسان ١٩٧٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● شروق الاسلام ـ مجموعة قصص تاريخية ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ٢٣٠ صفحة ـ منشورات دار الشعب بالقاهرة ـ مطبعة الشعب بالقاهرة .

● العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثارية ـ تأليف الدكتور احمد سوسة ـ ٥٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الكتب الحديثة رقم ٤٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد.

● شعر الدعوة الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ـ جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه وصنع فهارسه عبد الله بن حامد الحامد ـ باشراف الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا ـ بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال درجة الامتياز ـ موسوعة ادب الدعوة الاسلامية رقم ١ ـ منشورات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية كلية اللغة العربية بالرياض ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ضجة في الزقاق ـ رواية ـ تأليف غانم الدباغ ـ لوحة الغلاف لعبد الحميد الحيالي ـ ١٩٦ صفحة حجم كبير ـ ساعدت نقابة المعلمين على طبعه ـ مطبعة الاديب البغدادية ببغداد .

● الاتجاه الشخصاني عند خليل رامز سركيس في كتاب جعيتا ـ تأليف اميل مخلوف دكتور في الفلسفة من جامعة كمبردج ـ ٤٨ صفحة منها ٢٨ باللغة العربية ـ والباقي باللغتين الفرنسية والانجليزية ـ منشورات الندوة اللبنانية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد مهدي البصير

الدكتور البصير والدراسات الادبية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

لم تكن قبل دراسات الدكتور البصير دراسة ادبية في العراق .. (١)

كان هناك مجموعة اخبار تروى وتسرد ، ومجموعة اشعار ورسائل تتوالى ... قال فلان وروى فلان ، جاء في تاريخ الطبري وذكر ابن خلكان ... ويعاد الخبر الواحد اكثر من مرة ، ويعاد النص الواحد اكثر من مرة : والقديم على قدمه ... دون تعليق او مناقشة ، ودون ان يصهر المجموع ليصب في قالب واحد فيه شخصية الكاتب وذهنه وذوقه ...

وهنا .. هنا يطلع الدكتور البصير لاول مرة في تاريخ الدراسة الادبية متخذا من الحقيقة رائده فيما يورد ويصدر ، منطلقا من النص اذ ينطلق ، جاعلا من البحث صبرا ، وتأملا اكثر من الصبر ، وجمعا ، وصهرا وتذويبا للقديم والجديد اكثر من الجمع ... وفكرا وذوقا .. وعناية بالعرض دون ان يطغى الذوق على الحقيقة ، ودون ان يجور العرض على الغرض .

الذوق ضرورة ملحة . فكيف تعالج مادة تقوم اول ما تقوم على الذوق كالشعر والخطابة والكتابة ... والقرآن ... دون ان تكون صاحب ذوق . لقد عالج اخرون الادب قبلك ـ وبعدك ـ ولكنهم اذ فقدوا عنصر الذوق لم يكونوا من الدراسة في شيء : سمهم جماعين ان شئت وسمهم خباطين ان شئت .. وسمهم مؤرخين في احسن الاحوال .

ومنطلق الدارس الذواقة جوهر الادب ، وجوهر الادب النصوص الانشائية : الشعر اذا كان الموضوع شعرا وشاعرا ، والخطابة اذا كان خطابة وخطيبا ، والرسائل اذا كان ترسلا ومترسلا .

وطبيعي ان ينطلق الدارس من هذه النقطة ، فلو لم يكن الشعر لما كان الشاعر ، ولو لم يكن الشعر جيدا لما كان أهلا للجهد المبذول ...

ويقف الدكتور البصير ازاء النص طويلا ، متأملا ، متبحرا ، متآلفا ... مستنبطا منه ما يوحي به. وقاعدته في ذلك : لنسأل النص اولا ثم ننظر في الاخبار والروايات ... واحكام الآخرين قديما وحديثا ، لانه لا قيمة لاي من هذه الاشياء بمعزل عن النص نفسه وعما يقوله النص نفسه .

ان النص يعرب بنفسه عن نفسه بأمور كثيرة وكبيرة ... وينطق بأشياء اخرى مهمة وخطيرة عن صاحبه حينا وعن عصره حينا وعن الاخبار المحيطة به ـ سلبا وايجابا ـ حينا آخر .

يقرأ الديوان ، ويستعيد قراءته ... ويتأمل ما بين القراءتين ، ويستعيد على وجه اخص خير ما في الديوان واجدره بالبقاء ، ليعين مكانه من الكل ، وليستوفي التعليق المناسب عليه في اهميته وجدته ، وصلته بما قاله الشاعر وما قاله الآخرون .

وليست القراءة عابرة ... كما انها ليست الاولى ، فلم يأت البصير الى الشعر والخطابة والكتابة ونهج البلاغة والقرآن من درجة الصفر ، وانما جاء وقد قرأ كثيرا وحفظ كثيرا . واننا اذ نسميها قراءة اولى فانما نعني انها القراءة التي يقوم بها قصدا وهو يتوجه الى ان يكتب دراسة عن هذا الشاعر او هذا الخطيب او هذا الكاتب ..

واذ يقرأ النصوص يتوثق من الصورة التي وردت عليها لان اكثر آثارنا لم يحقق تحقيقا علميا ، وما حقق منه لم يسلم من الهفوات ، ولذلك تراه يسعى بما لديه من حصيلة ذهنية نادرة الى تقويم النص اذا رآه متعثرا ورأى ان معناه لا يتسق ومبناه كما فعل مع البحتري ومهيار ـ على سبيل المثال ـ ونجح في ذلك نجاحا باهرا.

واذ يعتمد الذوق في كثير من ذلك فلانه لا يعتمد ذوقا بدائيا فطريا وانما يعتمد الذوق الذي صقله عالم ضخم من البيئة الادبية والحفظ والمناقشة ، وتعاون في ذلك الجديد مع القديم والغرب مع الشرق .

واذا كان الدارس صاحب ذوق كان وقوفه لدى

١ ـ نشرت مجلة الاديب (ابريل ١٩٦٨) للكاتب نفسه مقالا بعنوان : مؤلفات البصير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النص عميقا وكانت دراسته من ضروب النقد الادبي وليست جمودا ، وكانت عنايته بما هو جيد وعال ، اما الرديء فلا خير فيه وقد تكفي اشارة عابرة اليه ـ والتاريخ في كل ذلك وسيلة لا غاية .

أجل ... اذا اردنا ان ندرس الشعر فلنبدأ بالشعر ...

ثم لننظر في التاريخ ، وفي الاخبار والاحكام الصادرة ...

وكما ينقد البصير بالذوق المصقول ... ينقد بالعقل المصقول : انه يمكن ان يجمع من المادة ما يجمعه الآخرون ، ثم يتأمل هذا المجموع الذي لديه ، فيبعد ما تناقض منه وما لا يقبله المنطق التاريخي او المنطق السليم ، ويبعد السخيف وما لا حاجة به اليه ، ولا غنى له فيه ، فالخبر ليس خبرا الا بمقدار صحته ومقدار صلته بموضوع الدراسة ، والقول ليس قولا ما لم يدرس مجددا ، فان وافق الحقيقة فهو ، والا اهمل او رفض او نوقش او فند ، وليس هناك قائل معصوم قديما كان او حديثا ...

يبعد ويناقش ، ويناقش ويبعد ... فاذا بقي لديه اللباب وصفوة الصفوة اعاد التأمل غير آبه بما يستغرق التأمل من وقت ، واطال التأمل ليتصل كل جزء بتمامه واصلا الخبر بالنص وواصلا النص بالخبر . وهكذا ... حتى اذا اجتمع الموضوع كلا في نفسه واطمأن الى ان هذا الذي لديه جدير بالكتابة والنشر وان فيه من الجدة ما يضيف الى المعرفة شيئا ... كتب .. والا فالصمت ـ لديه ـ اولى . وهو يتجنب التكرار ولا يرى داعيا الى اعادة ما درسه الآخرون وانتهوا منه ... ويضيق بالثرثرة ضيقه بجمود اهل الحواشي .. ولا يرى موجبا الى تسجيل كل ما علم من شارد الموضوع وارده .

يطمئن ، فيملي ما اجتمع في نفسه وكون كلا متحدا في تسلسل منطقي مستعينا على حياة الشاعر بشعره ، ومستعينا بشعره على حياته ، فاسحا مجالا لكلمة ناصعة عن اخلاقه ومعتقده ، خاتما البحث بقول حازم جازم كما كان قد افتتحه ... عارضا المجموع في لغة سليمة تتصف بالاقتصاد والتدبير .

واذ ينتهي البحث لا ينتهي ... لانه لا يسرع به الى المطبعة كمن يطلب مجدا عاجلا ، فلا بد من تأمل آخر ، ولم العجلة ؟ وها هو ذا يدرس المادة نفسها للطلبة التي اعدها لهم في دار المعلمين العالية ، سنة وسنتين واكثر مشذبا خلال ذلك ما قد يبدو غير منسجم او غير مقبول .

وقد مرت سنون غير قصيرة وهو يقدم هذه المادة امالي في الدفاتر او فصولا منشورة في مجلة او احاديث في الاذاعة احيانا .

واذا كان البصير قد عاد من فرنسا عام ١٩٣٨ واصدر « بعث الشعر الجاهلي » في العام التالي له ، فلا يعني ذلك انه درس الشعر الجاهلي في عام ، لانه عرف الشعر الجاهلي قبل ذلك بسنين . ولا سيما يوم كان مدرسا في جامعة آل البيت وكاتبا في مجلتي المرشد والمعرض .. وقد اتضحت له منذ ذلك الحين امور في صفاته ومزايا اعلامه ، وصح له رأي في مسألة «الانتحال» حتى هم ان يجعله موضوعا لرسالة الدكتوراه لو وجد المستشرق الذي يفهمه ـ لنتذكر انه منذ عام ١٩٢٩ كانت له مخطوطة كتاب بعنوان « الادب العربي قبل الاسلام ».

ثم كان له منذ ذلك الوقت مفهومه عن «فن الشعر» في الاصلية ووحدة الموضوع والقافية المنوعة ..

وزادته عشر سنوات ـ بينها الدراسة في فرنسا ـ تأملا في الموضوع وبيانا بالاهم فيه وثقة بتقرير ما استقر عليه .

واذ صدر « بعث الشعر الجاهلي » في حجم صغير فلأن المؤلف لا يقول كل ما يعرف ، ولان التأليف حقيقة وليس معلومات محتطبة من هنا وهناك .

وسكت البصير ... ولم يسكت ...

سكت لمن ينظر من الخارج ولا يرى له كتابا جديدا .

ولم يسكت لانه لم ينقطع عن البحث على النهج الذي ارتضاه لنفسه غير آبه بما يقال ، وغير مفكر بشهرة عاجلة ... لقد كتب عن الشعر الجاهلي وامامه عصور اخرى ... الاسلامي ، الاموي ، العباسي ... الخ .

وكان وهو يسير على نهجه متأملا متأنيا ... ان سمعناه عن طريق الاذاعة يتحدث عن شعراء عراقيين .. ثم جمعت هذه الاحاديث فصدرت عام ١٩٤٦ بعنوان « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » ... وقد سار فيه على منهجه في البدء بالنص وتأمله ومناقشة الاخبار والاحتفاظ بالقيم منها وبالقيم من النص ...

ولعل قائلا يقول ان الدكتور البصير لم يكن في « نهضة العراق الادبية » على الشدة التي ينتظرها من عرف منهجه ، والقول وارد ، الا ان الدكتور البصير كان ـ وهو يعد العدة ـ يحس بما يحس به من يسعى لانصاف مظلوم وينوه بمغمور ويخبر عن حقيقة ضائعة ، فكان بمثابة الداعي الى الخير اكثر منه الدارس المتشدد . وقد تم له ذلك ، فقد فتح الباب واسعا فاعترف بالنهضة قوم ، ودخل الباب آخرون افادوا من البصير رأيا ومادة ... علما انه في تناوله الرحيم لم يجانب ما يراه حقا ولم يرتكب الباطل الذي قد يسمح به داعية لنفسه .

ولا يبعد ان يعود البصير ـ بعد ان ادى الغاية الاولى ـ الى الادباء انفسهم فيتناولهم في وجه جديد من وجوه الحساب .

وقال قائل : ان الكتاب صغير ، ودافعه في ذلك جهله منهج البصير في الاكتفاء بالاحسن والانفع والادل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلمه بمناهج اخرى ليست مناهج بما تقوم عليه من كثرة في الجمع كأن المسألة مسألة جمع .

واعقبت « نهضة العراق الادبية » ثلاثة كتب في ثلاثة اعوام متلاحقة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ : عصر القرآن ، الموشح في الاندلس والمشرق ، في الادب العباسي ... فكيف كان ذلك ؟ ولا يبعد من ينظر الى الامر من الخارج ان يرمي مؤلفا من هذا النوع بالسرعة.. ولكنه اذ يفعل ذلك يدل على جهل .. لانه لم يقف على الكتب نفسها ويرى ما فيها من صبر وعمق ، ولانه نظر الى سنوات الطبع ولم ينظر الى عشر سنوات سابقة في البحث والتنقيح والتأليف ... ولم يدر بخلد هذا المعترض ان مؤلفا عربيا في العصر الحديث يظل مقيما على مخطوطاته هذه المدة بانتظار فرصة الطبع المناسبة ، ولما حانت ، كان ما كان .

للدراسة الادبية لدى الدكتور البصير منهج ، وهو منهج صعب ... لا ينفرج الزمن « الطويل » فيه الا عن صفحات محدودة ... ولكن هذه الصفحات تعدل كتبا مجلدة ... وللنمهج من المحاسن الكثير الكثير ... وربما رأى بعضهم فيه جفافا او تجزئة او منطقا صارما ... ولكن هذه ـ حتى في حالة صحتها ـ ليست بذات بال الى جوار المحاسن ، ثم انها ـ لو يدري ـ جزء من المنهج، فقد ارتضى صاحبها من المنهج ما يرى نفسه الاقدر على النهوض به في مواجهة الحقيقة وانه اخذ الآخرين بالصعوبة التي يأخذ بها نفسه اذ يقول او يفعل معتمدا مزاجا خاصا وتجربة طويلة ...

من صميم مزاج البصير السعي الى الحقيقة وعدم التصديق من دون مناقشة ، واحترام النفس واحترام الآخرين والترفع عن المكسب الرخيص والشهرة الزائفة.

ويلي هذا المزاج وجزء منه ضيقه بدراسات للاخرين، في مقدمتها دراسات لعدد من الاساتذة والمؤلفين المصريين ، يؤلمه ما فيها من ثرثرة ، ومن تسرع ، ومن مجانبة للحقيقة ، ومن اعلان الرأي دون التفكير بنتائجه ... ومن ... ومن ... ، وبين هذه الآراء ما يبعث صاحب الضمير الى التفكير الجدي في مناقشته والرد عليه واحلال الحق محله ... من امثال ان الشعر الجاهلي جله او كله منتحل ، وان ابا تمام ليس من طي، وان ابن المقفع مؤسس النثر العربي ، وان الكتابة بدأت بعبد الحميد الكاتب ... يضاف الى ذلك ضيقه اذ يرى نسيان من حقه ان يذكر واهمال من حقه ان يرعى ... ومن هنا كانت عنايته بابن المعتز والشريف الرضي ومهيار ... ونهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر .. والعامة الذين في مصاف الخاصة وتاريخ ما اهمله التاريخ ـ ويبلغ الضيق بما يراه باطلا درجة شديدة حتى ليخاله القارىء متطرفا او مغاليا في هجومه او دفاعه .

ولكن اين كان مزاج البصير واين كان ضيقه بما في الدراسات المعاصرة من باطل قبل الدراسة في فرنسا ؟ كانا موجودين ، وكان يحاول ان يعرب عنهما في مقالة هنا ومقالة هناك ، في جامعة آل البيت مرة وفي مجلة المرشد او المعرض مرة ... ولكن ليس لذلك قيمة لو وقف البصير عنده او انه كان كل ما للبصير ، بل ان البصير نفسه لا يكاد يذكره اليوم بخير او بشر ، ولولا ضرورة ملحة لما أشار الى مخطوطة كتابه « الادب العربي قبل الاسلام » او الى مفهومه التجديدي في الفن الشعري ..

ان الدراسة الحقيقية التي اجتمعت لها العناصر التي تجعل منها دراسة حديثة وتجعل صاحبها اول مزاول لها في العراق ... تهيأت له واكتملت موادها لدن دراسته في فرنسا ، اذ قصدها طالب علم فتعلم الفرنسية ودخل كلية الآداب واستمع وناقش وألم بمنهج البحث وتهيأ له ان يدرس على استاذ هو من هو في منهج البحث ... هو المسيو جوردا : استمع اليه وعمل البحث تحت اشرافه ثم اختار واياه « شعر كورني الغنائي » موضوعا لرسالته في الدكتوراه ... كتب الرسالة للمرة الاولى وقدمها لاستاذه فلم يرضها فكان على الطالب ان يعيد تأليفها وفقا للملاحظات الاستاذ المشرف ... وقدمها للمرة الثانية فعلق عليها بما يدعو الطالب الى ان يصحح من منهجه فيها ... واقتضاه ذلك ان يدرس الموضوع مجددا على خطة جديدة حتى اذا انتهى كان الاستاذ المشرف قد وجد ما يريد وكان ان استقام للطالب منهج البحث نظريا وعمليا .

فاذا أضفت الى ذلك ما تقدم من كتب تاريخ الادب الفرنسي وعلى راسها كتاب لانسون من فنون البحث .. اضفت عاملا آخر في تكوين المنهج ... وعلمت مدى ما سينتفع به عندما يؤلف غدا في موضوعات من الادب العربي ...

وفي هذا بعض معنى ان تسمع الدكتور البصير يقول : لقد خلقتني فرنسا خلقا جديدا . ولولا فرنسا لم يكن « عصر القرآن » ولا « في الادب العباسي » ولا ... ولا ...

فقد عاد البصير مجهزا بمنهج عام للدراسة الادبية، وكان هذا المنهج قائده وهو يدرس الادب العربي . وبعد محاضراته في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية .

وهكذا كان الدكتور البصير رائدا للدراسة الادبية في العراق ... واكثر من رائد ، لانه خدم بدراساته اجيالا، ولان الاهتمام بهذه الدراسات سيزداد يوما بعد يوم ، وانها ستحتل من المستقبل اكثر مما احتلته في الحاضر.

اي استاذي الجليل ...

هي تحية يرفعها اليكم احد تلاميذكم الكثر اصالة عن نفسه ونيابة عن الاوفياء منهم وغير الاوفياء ...

تحية وانتم تتوسطون العام الخامس والسبعين وتصدرون الطبعة الثالثة من كتابكم القيم « في الادب العباسي » .

بغداد ـ كلية الآداب **علي جواد الطاهر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ربيع موحش

يضحك لي الزهر وابكي له ... لهفي لهذا العابر المسرع
لو كان يدري سوء ما ينتهي ... اليه ، لم ينبت ولم يمرع
يا زهر ما هذي دموع الضحى ... على وريقاتك بل ادمعي
رام مباكاتي ، وانى له ... دموعي الحرى ليبكي معي
يا خادع الباكي بشبه البكا ... يا بارد الاجفان يا مدعي
يا كاذب الدمع ألا تستحي ؟ ... يا فجر لو كنتك لم اطلع
يا فاضحا في ضوئه ذاته ... لعلت لكن لست بالملعي
يا خادع العشاق يا ابن الدجى ... أبوك لم يكذب ولم يخدع
صرح بالسهد ولو نمته ... صارحني في حلمه المفجع

مثلك يا زهر شبابي زها ... في غفلة الغصن عن الزعزع
منور الاحلام يزهو بها
فلم يفق الا واحلامه ... منثورة الاشلاء في بلقع
كفى أسى اني في وحشة ... من الربيع المؤنس الممتع
كانني لم أخل يوما به ... على بساط منه او منبع
كانني لم أرخ حبل الهوى ... فيه ولم اتبع ولم اتبع
تقطعت صلات قلبي به ... فما لقلبي فيه من مطمع
لم يبق عندي للمنى زهرة ... ترنو مع الازهار للمطلع
أحس اني صرت في غربة ... يا نفس من اين اتيت ؟ ارجعي

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد عبد الغني حسن

محمد عبد الغني حسن وملامح جيل

بقلم محمد احمد العزب

* * *

« محمد عبد الغني حسن » واحد من الجيل الواهب في حياتنا الفكرية والفنية ، ذلك الجيل الذي طالع الحياة في مطالع هذا القرن ، ثم تفتح وعيه الفكري والفني على تمزقات فادحة بلا حدود عانى من دوارها العالم العربي وما يزال يعاني من دوارها حتى الان !!! ربما كانت المرحلة الفاجعة التي تفتح فيها وعي اولئك الرجال من جيل « محمد عبد الغني حسن » بضغوطها الباهظة ، واوقارها الهائلة ، هي التي اهبت فيهم ملكات الخلق وطاقات الابداع وعناصر المقاومة لكل الكساد الروحي والعقلي الذي كان يمكن له ان يشل فيهم كل ارادات العطاء عبر ازمان اليباب !!! وربما كانت حركة التاريخ - تصويبا وتصعيدا - هي التي تخلق مثل هذه الظاهرة ، فحين يتحيف الجدب مناطق الاخضرار في مرحلة من مراحل الزمن تحت ضغوط حتمية « فعل » من الافعال ، ينهض « رد الفعل » ليصحح من مسار الحركة التاريخية فيزرع الخصب والاخضرار في قلب هذه المرحلة ليتيح « للجدل » التاريخي ان يخلق مداره ، ويمارس حركة وجوده في قلب الوجود .

« محمد عبد الغني حسن » من هذا المنطلق ، واحد من جيل رائع بلا محاولة للتزيد او المجاملة او الاندفاع ، ولقد نحس صوابية هذه المقولة النقدية التاريخية جميعا حين نحدق في ابداع هذا الجيل من الرجال على مستوى الكيف والكم من جهة ، وعلى مستوى الفن والفكر من جهة اخرى ، وعلى مستوى الطموح والفعل من جهة ثالثة ، ان الكم - وهو هائل في ابداعهم - لا يتحيف من قضية الكيف ، ولم يستطع الفن ان يعفى في ابداعهم على الفكر ، ولم يستطع الفكر ان يعفى في ابداعهم على الفن ، وكذلك نستطيع ان نزعم ان طموح هذا الجيل لم يكن ليحيل امكانية الفعل فيه الى مجرد احلام ضبابية ، ولم يكن الفعل ليحيل طموح هذا الجيل الى قناعة ضامرة تستلقي في زاوية من زوايا الانجاز الحقيقي وهو كثير كثير .

لا ارسل القول هنا هكذا جزافا وعلى عواهنه ، وانما استطيع ان ارصد في هذا الصدد من مؤلفات محمد عبد الغني حسن ، عشرات تتشعب في كل اتجاه ، فله في مجال الدراسات الادبية والنقد : الشعر العربي في المهجر - ومعرض الادب والتاريخ الاسلامي - ومن امثال العرب - والخطب والمواعظ - والتراجم والسير - والفلاح في الادب العربي - وفن الترجمة في الادب العربي - ودراسات في الادب والتاريخ - وبين السطور .

وله في مجال الشعر : من وراء الافق - ومن نبع الحياة - ومن وحي النبوة - وماض من العمر - وديوانه المخطوط .. سائر على الدرب .

وله في مجال الترجمة عن الانجليزية : كتاب المراة والدولة في فجر الاسلام - ومون فليت .

وله في مجال السير والتراجم : حياة مي - وعبد الله فكري حياته وعصره - واحمد فارس الشدياق - والمقري صاحب نفح الطيب - ومي اديبة الشرق والعروبة - وابن الرومي - وتراجم عربية - وبطل السند - وموسى بن نصير - وابو مسلم الخراساني - وحسن العطار - وابن سعيد المغربي - والشريف الادريسي - والشريف الرضي - وجورجي زيدان .

وله في مجال تحقيق التراث : تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي - وحلبة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسي - والشيخ محمد عياد الطنطاوي للمستشرق كراتشكوفسكي وترجمة السيدة كلثوم عودة .

وله في مجال التاريخ : صراع العرب خلال العصور - وعلم التاريخ عند العرب - والمعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب - وتيجان تهاوت - وغرائب من الرحلات - وملامح من المجتمع العربي .

وله في مجال الدراسات الاسلامية : الاسلام بين الانصاف والجحود - والقرآن بين الحقيقة والمجاز .

وله في مجال الكتابة للناشئة والاطفال : فاسكودي جاما - وولتر رالي - والكابتن كوك - والكابتن سكوت - ومنجو بارك - وبيري .

وله في مجموعة « نساء شهيرات » : خديجة بنت خويلد - وآمنة بنت وهب - وشجرة الدر - والزباء .

وله في مجموعة « ايام العرب » : يوم ذي قار - ويوم اليرموك - ويوم القادسية - ويوم الملتان - ويوم بابليون - ويوم الاندلس .

ربما لا اكون مغاليا اذن حين اقرر الان ان محمد عبد الغني حسن واحد من جيل رائع اعطى في الفن والفكر وما يزال اعطاؤه موصولا ونرجو ان يتواصل بلا انقطاع ... ان الناقد الذي يتصدى لمثل هذا النمط المبدع في حياتنا الادبية يوشك ان يصاب بالاحباط اذا هو حاول - من خلال دراسة قافزة سريعة كهذه التي اتصدى لها الان - ان يعطي تقييما حقيقيا لكل هذا الانجاز الابداعي والنقدي .. ان دراسة اكاديمية متخصصة هي وحدها التي يمكن ان تستقطب كل هذه الابعاد ، وان تؤصل لمفهوم نقدي ينبع من شرايين المسارات الفكرية والفنية على امتداد هذا الابداع كيفيا وكميا .. وان تقدر هذا الجهد الباذخ الذي لا يستطيع ان يقدره الا من كابد الابداع والبحث ، وعرف كيف الحرف يكون عذابا لمبدعه حتى حافة الشهادة ...

ان دراسة قافزة سريعة كهذه التي اتصدى لها الان لا تطمح الى اكثر من ان تمارس حركة « انتخاب » فاعلة فربما استطاعت من خلالها ان تؤمن الى ملامح الفن والفنان .. ان الانتخاب الفاعل الذي اعنيه لا ينهض على المغامرة النقدية المسطحة ، وانما ينهض على الجدس النقدي الذي يناى بطبيعة تكوينه عن التسطيح .. ان الحدس النقدي

هنا يفامر ـ غير مسطح لشيء على الاطلاق ـ بتحديد منطلقين يمكن من خلالهما ان نتحدث عن محمد عبد الغني حسن واثقا من قضيته ان هذين المنطلقين يشكلان بالضرورة فكر الرجل مصبات وروافد على السواء ... واعني بهذين المنطلقين : « حواره مع التراجم .. تنظيرا .. وتطبيقا »'.. ان جهود الكاتب في مجال التراجم الادبية من ابكار ما بذل على الصعيد العربي في هذا الصدد ـ تنظيرا وتطبيقا كما اسلفت ـ ان كتابه عن « التراجم والسير » يشكل المنحى التنظيري في هذه القضية ، أي البحث عن عناصر الحلول النظرية في هذا المجال ، وان ابداعاته الهائلة فيما قبل وفيما بعد جميعا تشكل المنحى التطبيقي في هذه القضية ، أي البحث عن صيغة اكثر صميمية ومعاصرة في التراجم الادبية التي تحتل من الفكر العالمي اليوم مكان البروز !! انني ازعم هنا ان المدخل الوحيد القاصد الى عالم محمد عبد الغني حسن هو هذا المدخل : « حواره مع التراجم تنظيرا وتطبيقا » فاذا صادف هذا الحدس النقدي صوابه كان من الممكن ان نقبض على ملامح الحركة الابداعية في « كل » مؤلفات هذا الكاتب الرائع من خلال هذا « البعض » المستقطب بالفعل للامح الكل الكبير .

ولكن جانبا من جوانب ابداع الرجل يظل في حاجة الى دراسة خاصة بما هو غير قابل اساسا للانضواء تحت راية هذا الحدس النقدي الذي يعكس ملامح الحركة الابداعية في فكره وعطائه .. هذا الجانب بالتحديد هو ابداعه « الفني » من خلال عطائه الشعري ، ان قيمة الانجاز الشعري في ابداع عبد الغني حسن تبقى في النهاية واحدا من هموم الناقد بما لها وما عليها جميعا ، ولكنها بالتأكيد غير قابلة للانضواء هنا تحت راية هذا الحدس النقدي الذي يعكس ملامح الحركة الابداعية في فكر كاتبنا الاصيل .

لتكن الان رحلتنا مع « التراجم والسير » كتاب محمد عبد الغني حسن الطامح منذ البدء الى تاسيس نظرية في هذا الصدد ، ثم مع « تراجم عربية » كتابه الطامح الى خلق صيغة حضارية ومعاصرة تؤسس للتطبيق الراشد على ما ارسى من نظرية في هذا المجال ... ولست استطيع ان ازعم ان الكاتب في محاولته الجادة والماهدة على مستوى التنظير والتطبيق مما قد قال الكلمة الاخيرة ، فان ديمومة الخلق والابداع منطق رافض لفرضية الكمال المطلق في عمل فني او عمل فكري مهما كانت عظمة هذا العمل او عظمة فنانه على السواء . حسب الكاتب هنا انه قد ارتاد مجاهل وافترع بكارات وعبد الطريق لاجيال لاحقة تأتي من ورائه ، ربما لتواصل التنويع على ايقاعه الضخم ، وربما لتضيف الى حركة ابداعه حركة ابداع ، وربما لتأخذ من مساره منطلقا الى مسار اخر ... ولكن كل ذلك لا يطعن في قضية انه منذ البدء قابض على راية الفتح ، مقتحم لاسوار الجليد .

في كتاب « التراجم والسير » نلتقي بالمنهجية في سوائها الرائع ، ففي الفصل الاول يتحدث الكاتب عن « التراجم ونشأتها » مركزا على عناصر الجدل التاريخي في هذا الصدد ، فنواجه حديثه عن « التراجم بين القديم والحديث » « والتراجم بين العلم والفن » « ونشأة التراجم في الادب العربي والداعي اليها » « والتراجم الذاتية » .. واذا كنت قد اشرت الى ان الكاتب ركز في حديثه عن التراجم ونشأتها على عناصر الجدل التاريخي فان هذه الاشارة تعني كل معاني حروفها تماما ، ان الكاتب يحدد منذ البدء ماذا يعني بكلمة « الترجمة » ثم تتوفر الدراسة الى منابت الترجمة بمستوياتها الادبية والتاريخية حتى لتؤكد ان « الترجمة للاشخاص قديمة قدم الانسان نفسه » وربما نختلف مع الكاتب هنا بعض الشيء زاعمين ان اطلاق الحكم في هذا المجال على هذا النحو ليس دائما فيما يخيل الي على مستوى التوثيق في حركة فكرية هادفة الى تاصيل منهج علمي غير قابل بطبيعته لحماسة التعبير ... ان الترجمة للاشخاص قديمة .. اجل .. ولكنها لا يمكن ان تكون (قديمة قدم الانسان نفسه) لان كل اشكال التعبير ـ حتى الشكل البدائي منها ـ لم يتح للانسان الا بعد مروره من مضايق ازمان بلا حدود واستوائه في نهاية الامر على اعراف مرحلة اتيح له فيها ان يتلمس طريقه الى حركة التعبير او وجدان الذاكرة ...

واحسب ان الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن لا يختلف معنا حول هذه المقولة التاريخية وقد عرفناه اكثر من منصف في كل المجالات . ثم تمضي الدراسة الجادة الرائعة بعد ذلك الى استعراض الوان من التراجم في عصورها الباكرة هنا وهناك ، مصوبة اغلاطها البادهة ، ومرشدة خطواتها المأمولة ، ومؤسسة من خلال ذلك كله منهجا لما ينبغي ان تكون عليه التراجم في عصر لاغط بروافد الثقافات .

ان محمد عبد الغني حسن من خلال تحركه الفكري في كتابه عن « التراجم والسير » يقتنص من خلال « الجدل التاريخي » ضالته ، فهو في الفصل الاول ـ كما في كل الفصول ـ يبدأ باحتواء عنصر الزمن متفرسا في ملامح الماضي والحاضر والمستقبل جميعا ، رافضا ان يعتسف الطريق الى شيء ، او ان يقفز على اسوار شيء .. وفي هذا المنهج التاريخي الاستقرائي القائم على عنصر الجدل تكمن القيمة الحقيقية لمثل هذه الدراسة الهادفة الى تاصيل نظرية ، او قل الهادفة الى التمهيد لخلق نظرية شاملة في هذا المجال .

ان الفصل الثاني يستقطب « السير » وهو يستهله ـ تماما كما فعل في الفصل الاول نشدانا لتاصيل منهج علمي ـ بتحديد مفهوم « السيرة » ونشوئها ، وتطورها ، واستحالتها عبر العصور .. وحتى لا ينفرط المجال من يديه يحدد السيرة النبوية والسيرة الشعرية مثالا تطبيقيا على الاصل النظري الذي ارتضاه .. ومرة اخرى يبرز عنصر « الجدل » في مسار الحركة الفكرية للكاتب في غير التواء . فكما يلوح الجدل في مطاوي الحركة التاريخية التي يرصدها ويستوعب ابعادها الشعثاء ، يلوح هذا الجدل في استقطاب عنصري التعبير ـ نثريا وشعريا ـ انه ربما بدافع غير عمدي يتوقل الى جبال التعبير الشعري حين يفرغ من البوح في مجال التعبير النثري ، لان حس « الجدل » كما قلت هو ابرز عناصر الحركة في مساره المفكر ومساره الفنان. ونستطيع بقليل من التأمل الفاهم ان نقف على اصالة هذا الحدس حين نستعرض بقية فصول هذا الكتاب .

فالفصل الثالث يتحدث عن « انواع كتب التراجم » من تراجم عامة جامعة .. الى تراجم حسب العصور .. الى تراجم لسنة سنة.. الى تراجم في كتب التاريخ العام .. الى تراجم في كتب الخطط والاثار .. الى كتب الطبقات في التراجم .. ويقيني ان الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن في كل هذه الحركة التاريخية المستوعبة لم يكن حاطب ليل ، ولم يكن كذلك مجرد مؤرخ راصد لمسار قضية من القضايا هكذا في عرى كامل عن محاولة الاستنباط والقبض على جوهر المقولات .

ان يقظة جارفة بجلال ما يتصدى له توشك ان تؤرق احداقه بالاجفاف ، انه من خلال استقطاب الحركة التاريخية لمسار القضية ـ الموضوع يؤسس قيما نقدية رائعة بلا حدود ، او قل يلم شتات قيم نقدية رائعة بلا حدود ، كان يمكن ان تظل اشلاء ممزقة في بطون الكتب وحواشيها على السواء .

ولنأخذ لذلك مثلا حديثه عن « طبقات الشعراء » من هذا الفصل الثالث في كتابه عن « التراجم والسير » لنؤكد على قضية ان هذا الكاتب الى جوار تنظيره الرائع للتراجم في ادبنا العربي تنبه في حساسية فنية شديدة الايقاع الى قيم نقدية هائلة الحجوم والاعماق ، فجمع شتاتها الممزق ، واصل لها في هدوء !. لقد تحدث عن طبقات ابن سلام وكيف انها كانت « ردا او تصحيحا لوضع المؤرخ محمد بن اسحاق وموقفه من الشعر العربي ، فقد اتهم هذا الراوية المؤرخ الكبير بانه ممن افسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه على علمه بالسير ، وقد قبل الناس منه هذه الاشعار المضعفة ، وكان هو يعتذر من ذلك بقوله : لا علم لي بالشعر ، وقد لامه ابن سلام قائلا : أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن اداه منذ آلاف

السنين ؟ » . ويؤلف ابن سلام طبقاته حتى لا يكون جهل بتاريخ الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، ولقد حفزه الشك الى مزيد من التوثيق والتأصيل .

وينتقل المؤلف الى ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » (الذي يحتوي كتابه على تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله) .

ومن ابن قتيبة الى الامام ابي عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفي سنة ٣٨٤ هـ الذي ترجم للشعراء بحسب جماعات الاسماء ، فهؤلاء جماعة من المسمين باسم « عمرو » الى جماعة مسمين باسم « عمارة » الى جماعة اخرى مسمين باسم « موسى » وهكذا .. وهكذا ..

وحين ينتقل المؤلف بالحديث عن الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » يلاحظ « ان هذا الكتاب صورة صادقة حية لتطور الشعر العربي في القرن الرابع ، وللابواب الكثيرة التي طرقها ، وللشعراء الذين كانوا في ذلك العصر يملأون الدنيا مدحا وهجاء وغناء ووصفا ومعاتبات تصور لنا روح المرح والدعابة ، ولم يرتب الثعالبي كتابه حسب الاسماء ولكنه رتبه حسب الاقاليم الاسلامية العربية ، فهناك قسم لشعراء آل حمدان والشام ومصر والمغرب .. وهناك قسم لشعراء العراق .. وثالث لشعراء فارس وجرجان واصفهان وطبرستان .. ورابع لشعراء خراسان وما وراء النهر » .

ويتابع الكاتب رحلته فيقف مع كتاب الاغاني .. هذا الذي لم يضعه صاحبه اساسا ليكون كتاب ترجمة للشعراء وانما وضعه ليكون مناطا جامعا للاصوات المغنية بالشعر ، الا ان استطراد مؤلفه جعل منه موسوعة للشعر والادب جميعا .

ثم يقف الاستاذ محمد عبد الغني حسن عند الباخرزي صاحب « دمية القصر » والوراق الخطيري صاحب « زينة الدهر » والعماد الاصبهاني صاحب « خريدة القصر وجريدة اهل العصر » اولئك الذين اتموا كتاب « اليتيمة » للثعالبي ، وبلغوا بتراجم الشعراء فيه الى القرن السادس الهجري ... وفي القرن السابع كتب ملك من ملوك بني ايوب كتابا في « طبقات الشعراء » .

ويرصد الكاتب نشوء النزعة الاقليمية في تراجم الشعراء في مؤلف ابن سعيد المغربي « القدح المعلى في المحلى » الذي ترجم فيه لشعراء الاندلس في النصف الاول من القرن السابع الهجري ... ثم يختتم المؤلف حديثه في هذا الصدد برصد عودة النزعة الاسلامية العامة في مؤلف ابن معصوم الحسيني « سلافة العصر في محاسن اعيان العصر » الذي ترجم فيه لشعراء القرن الحادي عشر الهجري ، في الشام . ومصر . واهل الحرمين . واليمن . والعراق . والبحرين . والعجم . والمغرب .

لست ـ فيما يخيل الي ـ بحاجة الى تاكيد اننا من خلال هذه السطور قد أفدنا ربما استيعابا كاملا لتطور المنحى النقدي في تراجم علمائنا لاجيال الشعراء العرب عبر كل العصور .. فغير عفوي ان يركز الكاتب هنا على طبيعة كل هذه التراجم ، لقد كان بوسعه ان يرصدها ثم لا شيء .. ولكن تركيزه الغاهم على المنظور النقدي الذي يمكن اقتناصه من خلال مسيرة الترجمة ومنحاها الابداعي يعطي بالدرجة الاولى ان حس التأصيل والتقعيد في هذه الدراسة اسبق وآكد من حس التاريخ بلا جدال .. اننا من هنا نستطيع ان نفهم لماذا كانت التراجم المنحنية على رصد ملامح البيئة والعصر مثلا مغايرة للتراجم المنحنية على رصد ملامح الفنائية في شعرنا العربي ..

ان المتجه النقدي من خلال هذه التراجم وتلك مغاير ومختلف بما هو خاضع في النهاية لضروب من الاساسيات الفكرية والبيئية والمرحلية. وهكذ تقدم هذه الدراسة الجادة الواعية للدارس المعاصر ارضية مليئة بالكنوز يستطيع اذا هو حاول الاستفادة منها ان يثري ابداعه بمزيد من العطاء ... وهذا ما قصدته حين قلت ان هذا الكاتب الرائع ـ محمد عبد الغني حسن ـ يستقطب الى جوار حسه بالجدل التاريخي حس احتواء تكامل البناء النقدي . ولعلي لم أجاوز تخوم الواقع في هذا السبيل .

ويأتي الفصل الرابع من كتاب « التراجم والسير » ـ اخر فصول الكتاب ـ تنويعا على لحن القرار اذا شئنا ان نقول .. ففيه نقرأ عن تراجم النساء ـ والتراجم بين الطول والايجاز ـ والتراجم بين الانصاف والتحامل ـ والتحقيق في كتب التراجم ـ والعناية بتواريخ الميلاد والوفاة ـ ومصادر الترجمة ـ وترتيب الاعلام المترجمة ـ وضبط الاعلام . وتحقيق الانساب ـ وتلخيص كتب التراجم وتذييلها ـ والمعاصرة واثرها في كتابة التراجم ... والمؤلف في كل اولئك ماض على طريقة عارف لخطواته .. انفتاح بلا حدود على حركة الجدل التاريخي، واقتناص الملامح البارزة في هذه الحركة مما يمكن ان يشكل ملامح منهج او ملامح نظرية ، واذا اتيح لك ان تختلف معه في مواطن من هذا العمل فانك مع هذا الاختلاف لا تفقد احترامك للرجل ، ولا تفقد حس تقديرك لانجازه الفكري الماتع الموهوب .

الى هنا .. نكون قد اجرينا حوارنا مع الجانب التنظيري في ابداع محمد عبد الغني حسن لننفلت منه الى حوارنا الاخر مع الجانب التطبيقي في حركة هذا الابداع .. واذا كنا قد اخترنا كتابه « تراجم عربية » مرتكزا لهذا الحوار الاخر فليس لانه اروع كتبه في هذا المجال، ولكن لانه بالفعل ـ بما هو قافز وموجز ـ يمكن ان يكون تطبيقا عمليا رائعا ـ في اطار مقال ـ لكل القيم النقدية التي ارساها في عمله التنظيري من خلال كتابه « التراجم والسير » .

ان « تراجم عربية » يترجم لسبعة عشر كاتبا وفيلسوفا واديبا ، تراجم يمكن ان نسميها كما قلت « قافزة » الى حد كبير .. فالمؤلف هنا يستعرض جوانب من حياة الشخصية المترجمة ، وجوانب من الخطوب التي تقلبت فيها ، والاحداث التي تعاورت حياتها الضاجة بالتناقضات ، ثم هو يركز على الجانب الفني والادبي في حيوات اولئك الادباء بما هم اساسا شخوص فنيون متميزون بهذه الهوية الفنية عن اغمار البشر الاخرين الضاربين في فدافد الوجود . مثلا .. حين يتصدى الكاتب للترجمة لواحد من شخوصه وهو « اسماعيل ادهم » يبدأ ترجمته بعتابية رقيقة عاطفة موجهة الى ادبائنا ونقادنا المعاصرين ، اولئك الذين حاصروا حياة صاحبه وفكره جميعا بالتجريح والهاترة ، صارفين جهودهم الهائلة عن القيمة الحقيقية الكامنة في ابداعه ومنادح فكره مهما اختلف على نوعية ومستوى هذه القيمة ، ثم يلوح اشفاق بلا حدود يبوح به الكاتب حيال قضية اتهام صاحبه المترجم له في علمه وعقيدته ، داعيا فيما يشبه الرجاء الى دراسة موضوعية هادفة لبواعث القلق التي اجتاحت فكر وعقيدة فنانه الراحل . ان هذه الدراسة اجدى من كل الهاترات ... وتمضي ترجمة الكاتب لصاحبه المفترى عليه في طريقها القاصد لتناقش المصطلح اللغوي للمترجم له ، واصراره في مطالع حياته على اصطحاب المفردة الاجنبية بديلا عن المفردة العربية، ثم عدوله اخر الامر عن ذلك تماما .. معللا ذلك كله بامكانية امتلاك صاحبه بعد رحلة المعاناة كتابة وقراءة لقدرة التعبير من خلال المصطلح العربي الرائق الشفاف ..

ثم تخلص الترجمة الى دراسة فنية واعية فتلاحظ ان « اسماعيل ادهم » يمتاز في نتاجه كله بشخصية الاسلوب ـ وتكرار بعض التراكيب التي يبدو انها فتنته ـ وايراد حشود من الالفاظ والمصطلحات العلمية في سياقاته الادبية ـ والتحقيق العلمي في كل ما كتب ـ واتباعه مناهج علماء الاستشراق في التناول والبحث ـ واهتمامه الواصب بالمصادر والمراجع وذكرها في الهوامش ـ وانتفاعه الشجاع بما كان ينشر في الدوريات المعاصرة له دون عقد تشل فيه ارادة الانتفاع ... وهكذا تتكامل الترجمة لواحد من شباب هذا الجيل غير هادبة من قدر المواجهة على اي من مستوياتها الهائلة ، وان كان اهتمام الكاتب هنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا تونس الخضراء

يـــا تونس الخضراء يـــا غاليه ... يـــا ملتقى شوقـي واحلاميـه
يـــا قبس المجـــد واشعاعـه ... ودرة للبحـــر والباديـــه
جددت لـــي احلى زمان الصبا ... بروحـك الفنانـــة الشاديـه
تراقص الـــزهـر بطيب الشذا ... وغـــرد البلبـــل والساقيـه
مـا زلت فـي المغرب مجلـــوة ... في شاطـىء (الابيض) كالغانيـه
لبست ثوبـــا بنثـــار العـــلا ... مطـــرز الفتنـــة والحاشيـه
أتيـت مـن بغـداد في لهفـــة ... وكنت أمـــا بـــرة راعيـه
وجدت فيـــك الشعر في رقـة ... اخـــاذة الاوزان والقافيـــه
وروعـــة (المألـــوف) رفافـة ... منسابة فـــي نغمـــة حانيـه
وطـوف المجـــد بقرطاجـــة ... والقيـروان البلـــدة الغاليـه
مـر بهـــا طـــارق مستنصرا ... وعقبـة ابـن الحـرة الساميـه
فـان نـات بغـــداد عني فمـا ... أنت ســوى بغـدادي الثانيـــه

تونس — يوسف عز الدين

بالجانب الفني بمعزل عن حياة صاحبه قـــد تحيف مـــن موضوعية الترجمة الى حد ، بما ضيئل ، لان وعي الكاتب كان دائما يعود بـــه الى اسقاطات رائعة من جانب الفن على جانب الذات ، وهـــو صميم عمل الترجمة الذكية اللمسات .

ونلتقي في الكتاب « تراجم عربية » بدراسة اخرى عـن « شوقي وحافظ بين الكتب » . واذا كنت قد قلت « بدراسة » ولـــم اقـــل « بترجمة » فانني فيما اعتقد اعني تماما ما اقول ، وعلى الرغم من ان هذه الدراسة هي من اطول فصول الكتاب واروعها جميعا ، فـــان حس الترجمة فيها ضئيل ضئيل ، لانها توشك ان تكون « ترجمة للتراجم » التي صدرت عن شوقي وحافظ ـ وهو ما يوحي بها عنوانها ـ مـــن جهة ، واستدراكا واعيا على هذه التراجم بايراد ما قصرت عنه مـــن جهة اخرى ، وهذا في حد ذاته يعد كسبا رائعا تعتز به التراجم وان لم يكن جاريا على سننها وطريق سيرها المألوف .

يلاحظ الاستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن في دراسته اهمـــال مترجمي شوقي لرواياته النثرية الثلاث « عذراء الهند » الصادرة فـــي ١٨٩٧ ـ « ولادياس » التي نشرتها مجلة الموسوعات مستقلة في ١٨٩٩ ـ « وورقة الآس » التي طبعت في مطبعة الشعب واصدرتها دار «مسامرات الشعب » لخليل صادق وليس عليها تاريخ طبعها ... والكاتب هنـــا لا يكتفي برصد هذا الاستدراك الصميي ثم لا شيء ، ولكنه يقف عنـد كل من هذه الروايات الثلاث وقفة دارس وناقد معا ، مثـــلا عندمـا يتصدى للحديث عن رواية « لادياس » يبدأ بتلخيص مقنع لاحـــداث الرواية ، ثم ينهض بعملية اسقاط كل الاقنعة عن وجوه هذا العمـل الفني ووجوه شخوصه الحقيقيين. ثم لا يغفل مناقشة شوقي «تاريخيا» على هون تماما ، مدركا حرمة عجز الآخر الراحل عن مداومة الحوار ، ثم تأخذ المناقشة وجهها الحقيقي حين يركز الكاتب على الملامح الفنية في أسلوب الرواية مركزا على التعريض بقيمة الشعر القليل الـــذي يتخلل السياق في هذا العمل ...

ونستطيع نحن هنا ان نجري مع المناقشة مناقشة اخرى منصفة فيما يخيل الي ، فلقد ركز الاستاذ محمد عبد الغني حسن على الملامح القشرية للعمل من ثورة على السجع الى تعريض بالشعر الـــى رصد ملامح الاسلوب ، ولكنه اغفل تماما جانب القضية الصميمي في هـــذا الصدد ، قضية « البناء الفني » في الرواية ، وهي فجوة مـــا تزال فاغرة بلا قرار .

وحتى لا تتراحب المساحات هنا ، فنحن نستطيع ان نقول ان مـــا كتب عن حافظ لا يعدو ان يكون صورة موجزة ـ حتى موجزة ـ ممـــا كتب عن شوقي ، وان كنا نلاحظ ان قيمة نقدية هائلة بالفعل يجب ان نسقطها على شعر حافظ ربما توحي بها دراسة الاستاذ الكبير محمـد عبد الغني حسن وان كانت لم تقلها هكذا على وجه التاكيد .. هـــذه القيمة النقدية الهائلة فيما ازعم هي ان شعر حافظ ابراهيم لا يرقى الى مستوى الروعة والابداع بالفعل الا حين يخوض في شبح « الهجاء الاجتماعي » ولو ان الكاتب ركز على هذه الزاوية لكان قـــد اعطانـا بالفعل اكثر من الكثير الذي اعطانا عبر سطوره الحاشدة الكنوز ، ولكن عذره هنا .. هو انه يتحدث عن حافظ ـ ربما ـ مـــن خلال حلولـه « بين الكتب » وهذا المنحى الذي تشوفت ان يركز عليـــه مما قـــد اخطأته هذه الكتب جميعا او اخطأت قيمة التركيز عليه .

ـ وبعد .. فان محمد عبد الغنـــي حسن بعالميه : الفنـــي .. والفكري .. يشكل ظاهرة هي من ملامح جيله والحق يقال ، ولكنـــه ـ تفردا ـ اعطى هذه الظاهرة الى جانب الكم كيفها الماتع ، وفـــوق مستوى الرصد مستوياتها الخالقة ، ووراء مطارح الامل في الغصـــل امكانياتها اللامحدودة على الفعل ، وعلى الفعل الحقيقي العظيم ... واذا كنت قد (حاولت) ان اختلف معه في شيء .. فليغفر لي .. ان القلم الذي انتضيه دائم الجموح .

القاهرة — محمد احمد العزب

سامي الكيالي

القيت في حفل تأبين الفقيد الكبير الذي اقيم في دار الكتب الوطنية بحلب

عبد الرحيم الحصني

●

سقيت الحاني الدمع الذي انسكبا ... وجئت اقصد ـ لما أينعت ـ حلبا
لعل باقة الهام تقدمها ... روح المحب توفي بعض ما وجبا
يا هل درى الاخوة الغادون أي فتى ... من بعدهم ساهر الافلاك والشهبا
تعود الجود من دهر أضر به ... وما اشتكى عنتا منه ولا وصبا
يكاد من فرط ما هم الزمان به ... لا يعرف العمر الا عاتيا وثبا

مالي أنا أبدا ما رمت مغنمة ... الا وحظي عما أشتهيه كبا
كأن سيرة أيامي التي سلفت ... وقف على من روى المأساة او كتبا
تود روحي حبا لو يكون لها ... كفيرها . متعا او ذكريات صبا
خصائص بذوي الاقلام خالدة ... لا يألف السعد قلبا صاحب الادبا
هم يحملون هموم الناس واجمة ... ولا يملون مما همهم جلبا
كانهم خلقوا كيلا يروا أحدا ... سواهم يحمل الآلام والتعبا

عفو الجلاد اذا أسهبت عن شجني ... فلست أملك في اخماده سببا
لي دون غيري قلب لا يهون ولو ... رغبته بجميل الصبر ما رغبا
حسبي من الهم أني كلما اندملت ... مني الجراح . أعاد الحزن ما ذهبا
مد وجزر . فيا لله كيف مضت ... هذي الحياة . ولما أبلغ الاربا
أين الرفاق وأين الصحب واشجني ... لم يبق لي الموت الا الحزن والصبا
ما ان خبا في (حماة) (البدر) مرتحلا ... الا وفي (حمص) نبراس (النظير) (١) خبا
واليوم جئت بباقي الدمع اسكبه ... لمجد من كان للركب الابي أبا

(سامي) الى من تركت الحرف مكتئبا ... والنثر مضطربا . والشعر منتحبا
أوحدتني يا أبا المختار في وطن ... ولدت فيه ، وفيه عشت مغتربا
كنت العزاء لمن نادالك معتصما ... والاريحي لمن وافاك محتسبا
حملت من خلق الانسان أغزرها ... حمدا وأوفرها مجدا ومنتسبا
اذا أتاك جزيل الهم كنت له ... في زحمة الهم والجلى أبا حدبا
يظل مكتئبا حتى اذا لمست ... يمناه يمناك حاد الهم واجتنبا

أبا البراعة كم قطرتها حكما ... ونبع الهامك المعطاء ما نضبا
كأن لمسك مرصود على قلم ... لا يهبط الوحي الا كلما اصطحبا
للحمد ما كتبا ، والمجد ما طلبا ... والوجد ما سكبا ، والخلد ما وهبا
يعطي ويعطي سلافا صافيا وندى ... مؤرجا وبيانا مترفا عجبا
يا للعباقرة الافذاذ كيف مضوا ... وكيف نيسانهم عن ارضهم غربا
عار على الموت أن يرموا ومن دمهم ... أنارت الامم الازمان والحقبا

(سامي) وماذا وراء الموت ما شهدت ... عيناك من عالم الخلد الذي احتجبا

عودتنا جلوة الافصاح حين نرى ... مادق عن فهمنا يوما وما صعبا
حدث عن الحور والولدان واحك لنا ... في أي قصر منيف يسكن الأدبا
قل لي أما رحبت في الخلد حين رأت ... شيخ المعرة وابن القارح النجبا

شهباء عمدت شعري بالجراح وما ... أزال بين يديك القاصر التعبا
بالامس زرتك مزهوا على دعة ... واليوم جئت أصب الدمع مختضبا
مالت بشاشة (سامي) عنك وانكفأت ... مواسم الحرف والعهد الذي خلبا
سلي البيان هل اهتزت جوانحه ... يوما لافجع من يوم الرحيل نبا

يا سامي الرأي والعرفان ما عرفت ... دنيا البلاغة أوفي من حماك ابا
أما ترى القوم اذ غامت بصائرهم ... وأنكروا اللغة العصماء والكتبا
وحاربوا قيما ما زال وارفها ... في دوحة الخلد روضا زاهيا خصبا
يا ضيعة العرب ضاعت كل غالية ... على يديهم سرابا خادعا وهبا
أيعلم الصبية الاغرار أنهم ... ما حاربوا الضاد الا حاربوا العربا
ليس الاسير الذي ينساق مرتضيا ... مثل الاسير الذي يقتاد مغتصبا

شهباء . ماذا اقول اليوم عن حزني ، ... وألف متقد في اضلعي اصطخبا
جف المداد وناء الخطب واتادت ... خطى القصيد وكنت الصادح الطربا
لله نفس لغير الود ما اتسعت ... وقلب صب لغير الحب ما رحبا
ماذا يريد الاسى من مهجة حملت ... من المتاعب ما ادمى وما عطبا

روید لومك يا شهباء واغتفري ... ذنبي اذا لم أكن وافيت مقتضبا
أنا الذي ارقص التنيا واسكرها ... شعرا ، ولكن جيش الحزن قد غلبا
أنى تلفت لا ألقى سوى محن ... صحب تغيب ، وارض اصبحت سلبا
والعرب من هجمة الاعصار ما اتعظوا ... ولم يزل جمعهم في دارهم عصبا
كان (دايان) لم يهتك محارمها ... ولم يمزق على اقداسها الحجبا

شهباء دنست الاوغاد تربتنا ... ونحن لما نزل نستنفر الخطبا
رصاصنا الشعر . والاقوال عدتنا ... وكيف نسلم ان لم نحمل القضبا
قلنا كثيرا ولم نفعل ولو صدقت ... اقوالنا لصفعنا الغدر والنوبا

شهباء هذي شجون كنت احبسها ... طي الضلوع ولكن الفؤاد ابى
يد المقادير يا شهباء ما تركت ... للنفس حلما ، ولا للعقل مرتقبا
شهباء حسبي من الاقوال اوجزها ... ورب لمح خفي انجز الطلبا
ما جئت بالشعر محزونا لاسكبه ... الا على اخوتي عطرا وبوح صبا

سامي لمجدك ما قطرت من كبدي ... وأنت أعلم بالقلب الذي انتحبا
أيذهب الموت ما خلفت من قيم ... وفوق كل بيان هديك انتصبا
وهبت للخلد خلدا لا يحول ولو ... جنت به عاصفات الدهر ما عزبا
فانعم بنوم على الآباد مزدهر ... وطمئن الطرف والآماق والهدبا
ما مات من آثر الذكر الجميل وما ... أراد غير بقاء الحمد مكتسبا

١ ـ اشارة الى المرحومين الشاعر بدر الدين الحامد والاديب نظير زيتون .

حمص — عبد الرحيم الحصني

كلما استبد بي الضجر في المدينة اهرع الى صديق لي يقيم في الجبل، واجد في السويعات التي اقضيها في ضيافته متعة وراحة .. ومن هواياته المحببة الى نفسه جمع الآثار المتصلة بالانسان الفطري ، فهو يعتقد ان المنطقة التي يقيم فيها كانت موطنا لذلك الانسان، ويستند في اعتقاده هذا الى ان علماء الآثار قد اكتشفوا في مغارة قريبة من بلدته هيكل صبي في الثامنة من عمره ، عاش منذ ثلاثين الف سنة قبل الميلاد .

وقد حول الصديق زاوية من بيته الى متحف اثري ، وقسمها الى قسمين ، احدهما لانسان العصر الحجري ، والثاني لانسان ما قبل التاريخ .. وعرض فيهما كل ما عثر عليه في الجبال والوديان والمغائر المجاورة من ادوات صوانية ، منها شفرات ذات حدين ، وادوات للكشط ، وحجارة مدببة الرؤوس، واخرى جارحة ، وفؤوس من مختلف الاشكال والاحجام ، واسماك ، وقواقع ، وسلاحف ، وبزاق بري وبحري ، كلها متحجرة .. وحين سألته كيف وصلت الاسماك المتحجرة الى المرتفعات الجبلية ، تردد في الجواب قليلا ثم قال : من يدري ربما كان البحر يغمر هذه المنطقة في الازمان الغابرة، او لعل الدوامات الاعصارية كانت ترفع مياه البحر اليها في شكل عمودي لولبي ، وتحط بها فوق الهضاب والجبال ، بما تحمله من اسماك وبزاق وقواقع .

وقال مفسرا كيفية استعمال الفؤوس الصوانية ان الانسان الفطري كان يثبتها الى عظم ساعد حيوان ضخم او الى ساقه ، ويشدها بالياف النباتات التي تنمو في الوديان ، وعرض علي فأسا من النوع الذي كان يستعمله سكان الكهوف ، وطلب مني ان اضرب به حجرا ، ففعلت ، وشطرته الى شطرين بضربة واحدة .

وصديقي الجبلي ، اضافة الى انه من المعجبين بالانسان الفطري ، ومن المقدرين لذكائه الخارق ، فهو في الوقت ذاته صياد وشاعر ، وفي ذلك تباين جلي ، اذ كيف يتغزل المرء بالعصفور ويتخذه مادة لارق اشعاره ، ثم يجيز لنفسه قتله وشويه واكله ؟..

وتزين البيت المضيف مجموعات من رؤوس الوعول ، والذئاب ، والثعالب، وبعض الطيور الجارحة، والعصافير المحنطة ، فكلها تدل على ان اهل هذا البيت يمارسون الصيد ابا عن جد .

وكنت ذات يوم في ضيافة صديقي الجبلي ، فدعاني لمرافقته في رحلة صيد ، وحملني بندقية وقال : سنرى مقدرتك في الرماية ، فنطلق

من وحي الصيد

بقلم نجاتي صدقي

النار معا على طير يحلق في الجو ، فاما ان تصيبه انت واما ان اصيبه انا ..

قلت : وكيف يتبين لنا ذلك ؟..

قال : من الجهة التي يصاب بها الطير بالنسبة للجهة التي اطلق كل منا النار عليه ..

وانطلقنا الى التلال ، وطفنا في سفوح الجبال والوديان ، وبعد ساعتين من الكر والفر طلبنا الراحة عند غدير من المياه العذبة ، تظللنا اشجار الصنوبر الكثيفة ، فعن لي في هذا الجو الاخاذ ان استدرج صديقي الى حديث استجلي فيه



ما اجهله من هواية الصيد ومتاعبها ونوادرها ، مبديا الحذر الشديد مما يصدر عنه من كلام ينطوي على المبالغة والتهويل ، وهما صفتان ملازمتان للصيادين .

قال : نحن يا عزيزي اسرة نتوارث فيها هواية الصيد جيلا بعد جيل ، وقد اقتفيت اثر والدي في هذه الهواية منذ كنت حدثا يافعا ، وكان يردعني عنها خشية ان اصاب باذى ، او ان تؤثر في سير واجباتي المدرسية .. اما والدتي فكانت تغض الطرف عن خروجي الى الصيد ، حين يكون والدي غائبا عن المدينة ، بل كان يحلو لها ان تراني متشبها بالرجال من الصيادين ، وفي لباس الصيد وعدته ، كأن اضع على راسي قبعة ذات حافة هلالية، وارتدي سترة جلدية طويلة في جوانبها شراريب ، وسروالا ضيقا ، واحتذي حذاء يبلغ الركبة ، واطوق وسطي بحزام اكتظت فيه القذائف ، تتدلى من جانبه الايسر خطافات لتعليق الطيور ، واعلق على كتفي كيسا فيه الزاد والذخيرة ، واتمنطق بـ (جفت) صيد اطول من قامتي بعشرة سنتيمترات.. منظر مدهش يبعث الرهبة في القلوب .

وحدث ان كنت اتسلق صخرة عالية فتوكأت على الجفت ، واذ بقذيفة تنطلق على قيد شعرة من راسي ، فاقتنعت ان والدي على حق ، وان الوقت لم يحن بعد لممارستي هذه الرياضة المحفوفة بالمخاطر ، فاهملت الصيد بعد ذلك الحادث طوال سني دراستي ، ثم عاد حنيني اليه بعد وفاة والدي ، فكنت احمل بندقية عزيزة علي ، لانها من صنع والدي ، وقد قلت فيها :

ما اجملها ، ما اكملها ، وما تبلى يد عاملها ..
بارودتي اللي بغمرها وبروح ،
كل يوم عالصيد غدويي ..
ما اجملها .. هو شاغلها ،
وقديش قبلي حاملها ..
ولما بحملها .. قلبي اللي كله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جروح ..

بيرفرف وبيطير غنيي ..
شو بدي اولها .. شو بسألها..
وبدموع عيني ببلها ..
هيدي اعز واتمن من الروح ..
من حيثها تذكار بيي ..

وهكذا عاد الي الشوق للصيد ، الذي استحوذ على مشاعري منذ صغري ، فانغمست به ، واصبح هو والشعر وتقفي اثار الانسان الفطري متعتي الكبرى في هذه الدنيا .

واخرج صديقي علبة الدخان من جيبه ، ولف سيجارة منها ، ثم مسح حافة ورقة السيجارة بلسانه واحكم اغلاقها وقال : للصيد يا عزيزي لذة تفوق كل وصف .. انظر الى تلك الاكمة النائية الغائمة في الابعاد ، فما هو الوقت الذي تحتاجه للوصول الى قمتها سيرا على قدميك ؟..

قلت : ثلاث ساعات على وجه التقريب ..

قال : افترض ان شخصا له مكانة في قلبك يقيم على تلك الاكمة وذهبت اليه زائرا ، وسيرا على قدميك ، فهل تقدم على زيارته مرة ثانية بعد اسبوع ؟..

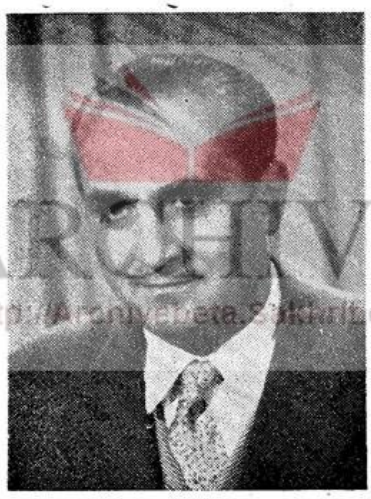
قلت : كلا ..

قال : اما انا فاهبط الى الوادي في اثر الطرائد ، ثم اتعقبها الى تلك الاكمة غير مرة في اليوم الواحد .. فتصور مدى تعلقي بالصيد، ومقدار المتعة التي اجدها في تعقب الطرائد طوال اشهر السنة .

والصيد هنا لا ينقطع ، وفي كل موسم نوع من الطير .. فالفر يظهر في شهر شباط ويظل حتى اواخر تشرين الاول .. ودجاج الحقل واليمام البري في نيسان وايار .. وطير الحجل في هذا الموسم ايضا ، ويشاطرنا في صيده الواوي المعروف بابي زهرة .

ولمحت في تلك اللحظة عصفورا في الجو فامسكت البندقية لاصطاده بها فمنعني الصديق قائلا : ليس كل الطيور مباح صيدها واكلها .. فالممنوع منها : الدخنة ، والصفراوية ، وابو الحن ، والبلبل، والبسبوسة ، والنعار، والبرشور، والخطاف، وام صفيدة، والزريقة ، والحسيني، والسنونو، والدعويقة، والحسون ، والضاروب ، والشحرور ، واللقلاق ، والباز ، وجميع انواع البوم .

وافيدك يا صديقي وانت الصياد المبتدىء ، ان ليست كل المناطق مباحة للصيد ، فالقانون يمنع الصيد داخل المدن والقرى ، او بجوار المخافر ، وعلى مقربة من اسلاك البرق والهاتف ، او على قارعة الطريق ، ويطلب منا الا نحدث اضرارا بالكروم والبساتين



نجاتي صدقي

والجنائن والمزروعات مهما كانت انواعها .

ومن المفروض في الصياد ان ينتبه الى المكان الذي يقف فيه زميله ، او الى المارة وراء الاشجار، او الى المزارع المختفي وراء زرعه.

وعليك ان تعرف شيئا عن كلب الصيد زيادة في معلوماتك ، انه يقوم بمهام خطيرة ، فهو يكون عادة شديد الانتباه ، قوي الحساسية ، فاذا طارد ارنبا او طيرا فيدفعه الى حيث يقف صاحبه ، واذا احس بوجود طير خلف الدغل وشم رائحته، وتر ذنبه في خط افقي .. واذا رأى افعى وتر ذنبه في خط عمودي !..

وبعد ان استنفدنا الحديث عن الصيد انتقلنا الى الملح والنوادر التي لها علاقة بهذه الهواية ، فقلت للصديق : اذا اطلق صياد قذيفة على طير ولم يسقطه فماذا يقول ؟.

قال : يقول « نتفت ريشه » ..

قلت : واذا اصابه ولم يعثر عليه فماذا يقول ؟..

قال : اذا خيل له انه اصابه ولم يعثر عليه يقول ان كلبه يعاني الزكام ..

قلت : وماذا تذكر من مبالغات الصيادين ؟..

قال : اطلق صياد ذات مرة قذيفة على خمسة حساسين فاصاب اربعة منها دفعة واحدة ، وحين ارتفع الحسون الخامس في الجو عالجه بقذيفة ثانية فسقط فوق رفاقه ..

قلت : وهل من نادرة حصلت لك بالذات ؟..

فعاد الى الذاكرة قليلا ثم قال مبتسما : تعود هذه النادرة الى ايام الطيش والغرور ، فقد رجعت من الصيد ذات يوم معلقا في الخطاف رزمة من العصافير ، ولم اشأ تسليمها الى امي ، وآثرت تسليمها الى جدتي المسنة ، فتلمستها بيديها وقربتها من أنفها وعينيها وقالت : « ك تقبرني يا ستي .. من عوايدك تجيب الصيد بدمه وريشه ، وكيف شكل جايبه هالمرة هيك .. مش ناقصه غير ملح وبهار ؟... » .

وعندنا من رحلتنا بصيد حقيقي .. وقت ان كانت الشمس تودع النهار بلونيها الاصفر والبرتقالي ، وترسل اشعاعات متقطعة من بين فرجات الجبال والوديان ، وتغرق شيئا فشيئا في لجج من الضباب الكثيف .

نجاتي صدقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

•

لننشىء جيلا يقرأ

كثر الحديث عندنا في الاردن حول المطالعة ، وتشعب هذا الحديث ، وتناوله المتحدثون في اكثر من مجال ، وكان ذلك كله في ظل الحديث عن الكتاب والكاتب .

وخلال ما سمعته وقرأته بين نقد ومقترحات وحلول ، وبين عرض للكثير من وجهات النظر ، لم اجد من يلتفت بتركيز واهتمام الى الجانب المهم في هذه القضية ، الذي يعتبر بداية المنطلق الى النهاية التي ننشدها ، ونحن نستهدف تحقيق الغاية المثلى من المطالعة . كما يعتبر حجر الاساس في بناء جيل المستقبل الذي نعده ليسهم بقسط وافر في شتى مجالات المعرفة والاطلاع . واقصد بذلك اطفالنا الاعزاء ، الذين وصفهم شاعرنا القديم بقوله :

وانما ابناؤنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

فماذا اعددنا لهذا الرهط العزيز على قلوبنا في هذا المجال ، ما دام لا يعدله في اهميته غيره ؟!

هل اعددنا لهم المكتبات التي يجدون فيها الجدوى بكل معناها حين يجدون الكتاب المشوق المغري ، الذي يرغبهم في المطالعة ، لكي تصبح هذه المطالعة ـ فيما بعد ـ عادة اصيلة ورغبة ملازمة ، لا ينفكون يلتمسون تحقيقها حين يتقدم بهم العمر ؟

ربما قال قائل : ان في مكتبة المدرسة ، وان في المكتبة المتنقلة (١) ، نواة صالحة لذلك ، ويبقى ان تتوافر الامكانات المادية للتوسع في ذلك وتحقيق فائدته . وهذا صحيح .

ولكن الذي نطمح اليه هو ان نهيىء لهم المطالعة المجدية حقا ـ كما قلت ـ على ان تكون هذه الجدوى شاملة وافية بكل معناها ، وانه لن يتحقق ذلك الا اذا اسهمت به الجهات المعنية بالامر كلها ودونما استثناء ، وبشرط ان يكون هذا الاسهام فعالا وذا اثر ملموس .

وهذه الجهات المعنية التي اقصدها ـ الى جانب المدرسة ـ انما هي البيت والمجتمع ، ومتى شعر كل أب وام ان من واجبهما الاسمى ، الذي لا يعلو عليه واجب سواه ، اعداد كافة الاسباب لاغراء ابنائهما بالمطالعة ، وبذلك ينميان في نفوسهم شعور الاهتمام بالكتاب والعناية به والتقدير له . على ان يعقدا معهم الحوار المؤنس حول موضوع هذا الكتاب ، وما تضمنه محتواه.

ومتى شعر المجتمع كذلك ان من واجبه اعداد جانب مهم في كل مكتبة عامة ، مما تنشئه البلديات في المدن ، ليكون وقفا على الاطفال ، شريطة ان يشرف عليه مختص متفرغ ، او مختصة متفرغة ، وذلك في حدود الامكانات التي يمكن توافرها .

اننا اذا فعلنا ذلك .. نكون قد تداركنا التفريط في هذا الجانب المهم من جوانب حياتنا ، وتنبهنا الى انشاء الجيل الجديد على النهج الاقوم ، لنجد فيه عند مستقبل الايام الجيل الصالح ، الذي يسير بامتنا نحو الهدف المنشود ، في ركب العالم المتحضر . فهل نفعل ذلك يا ترى ؟!

هل تحدث المعجزة ؟

حين نستعرض ما مر بنا من احداث ونحن نستقبل العام الجديد عند مطلع كل سنة ، نجد امتنا العربية الماجدة ، ما تزال تقف في الموضع الذي كان نقفه منذ ما يداني ربع قرن من الزمان . واذا نحن ابناؤها الصيد ما نبرح حيث جزانا المستعمرون ومزقوا صفوفنا ، وجعلوا من شعبنا الواحد شعوبا عدة ، ثم القوا بين هذه الشعوب من العداوة والبغضاء ، ما جعلها متخاصمة متناثرة ، ويبلغ بينها ذلك الى الحد الذي تغلق فيه احداها الحدود في

١ ـ المكتبة المتنقلة : مشروع جديد عندنا في الاردن ، تتولاه وزارة التربية ، وقد اعدت له سيارات كبيرة تنقل الكتاب الى القرية النائية لتجعله في يد الطالب الذي لا يجد سبيلا اليه هناك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه الاخرى، ثم تمنع مواطنيها من اجتياز هذه الحدود، وبسبب هذه الفرقة التي ارادها المستعمرون ، وتمزيق هذا الشعب الى شعوب ، ضاع منا نصف فلسطين ، ثم ضاعت فلسطين كاملة ، ومعها اجزاء كبيرة من مصر وسوريا .

ووقف العرب في اقطارهم البعيدة .. وقفوا لا يحركون غير السنتهم بالكلام ، وربما ايضا بالتهديد والوعيد ، وكلاهما لا يغير الحقيقة ، ولا يبدل من الواقع شيئا . وكان شأنهم في ذلك ، يماثل شأنهم يوم ضياع (لواء الاسكندرونة) ، بكل ما فيه من ثروات الطبيعة السخية ، وبكل ما فيه من مدن وقرى عامرة مزدهرة ، وبكل ما فيه من مواطن التاريخ ، ومشاهد البطولة ، التي سجلها ابناؤه العرب خلال احداث الزمان .

بل كان شأنهم في ذلك يماثل شأنهم يوم ضياع (اقليم الاهواز) في العراق ، الواقع الى جوار البصرة ، بكل ما فيه من ثروات الطبيعة ايضا ، وما يكمن في ارضه من كميات النفط الهائلة ، وما فيه من شعب عربي باسل ، طالما كانت لابنائه المواقف المشهودة خلال مراحل التاريخ ، وطالما اسهموا في جهاد العرب الطويل خلال ايامهم السابقة واللاحقة !

والى جانب كل ذلك ، وبسبب هذه الفرقة اياها . تنمر العدو في ارضنا ، وثبت له فيها قواعد واركانا ، مستهينا بكل ما نوجهه اليه من تهديد ووعيد ، حين علم ان التهديد لا يعني من الحقيقة شيئا ، اذ لم يتحول هذا التهديد خلال السنين الطويلات الى عمل .. واقصد عملا ذا جدوى !

وليت الامر وقف عند هذا الحد .. فلقد اطمع بنا ما نحن فيه من هوان الفرقة والتمزيق ، والدعوة الملحة الى تحرير كل شبر مغتصب من ارض العرب .. وما اكثر هذه الاشبار التي استحالت اخيرا الى اميال مغتصبة ، في فلسطين ، وفي سيناء ، وفي الجولان ، وفي الاسكندرونة ، وفي الاهواز ، واخيرا : في الجزر الثلاثة في خليج البصرة !

يقولون في حكم الغابرين : ان الاسد ملك الوحوش لا يزأر بصوته المفزع الا وهو منقض على فريسته ليمزقها اربا ، بينما تكثر الثعالب وبنات آوى من الصياح ، وهي لا تعني بذلك الصياح شيئا !

ورحم الله اجدادنا ، يوم كانوا في عزة الاقوياء ، وكان لا يرضيهم الا ان يكونوا آسادا في الحروب ، اذا حملوا السلاح لا يضعونه الا مع النصر ، لانهم كانوا يأخذون عدوهم على حين غرة ، وحسبك انهم هم الذين قالوا : الحرب خدعة ، والنصر لمن سبق !

ترى هل ينقضي عامنا الذي نحن فيه مثل تلك الاعوام التي انطوت ، دون ان نهتدي الى طريق العزة والمنعة ، حين نجمع صفوفنا ، ونوحد كلمتنا ونعيد شعبنا الممزق الى شعب واحد قوي يقول فيفعل ؟! ترى هل يحدث ذلك ؟ ام تحدث المعجزة ونهتدي الى الطريق؟!

كلمة .. ومدلول !

سألني صاحبي :
هل تقرأ شيئا في هذه الايام ؟
فقلت وانا اعجب لسؤاله :
انني اقرأ دائما ، وليس في هذه الايام فقط . وذلك لانني عرفت ان العلم بالتعلم ، وما دام المرء يقرأ فهو يتعلم جديدا من كل ما يقرأه ، كائنا ما يكون هذا الذي يقرأه ، ولكن لماذا تسأل مثل هذا السؤال ؟

فقال : لانني اعلم ان الكثيرين من المتعلمين لا يقرأون ، وكأني بهم قد توهموا انهم بلغوا نهاية المطاف من المعرفة ، فهم من اجل ذلك ينصرفون عن القراءة في كل انواعها ..

فقلت : لعل من كان هذا حاله اجتهد في حدود وأي اطمأن اليه ، ورضي به ، وهو قد اخطأ الاجتهاد فيما اعتقد !

فقال : وماذا تعني بالاجتهاد ؟

قلت : التخمين والتقدير والافتراض ، وهو باب واسع لا حدود له ، يدخل منه الداخلون وكل له وجهته التي ينحو بها نحوا يخالف به من عداه .

قال : ما دام الاجتهاد يدور حول رأي يراه صاحبه ، فهو اذن لم يجاوز به حدود المنطق ، والمنطق ـ كما تعلم ـ امر لا يختلف عنده اثنان من الناس ..

قلت : ولكنك كثيرا ما تجد الاجتهاد يتعدد حول رأي بعينه ، وكل واحد من المجتهدين لا يجاوز حدود المنطق فيما اجتهد به ، ومع ذلك تجدهم مخلصين فيما ذهبوا اليه من آراء .

قال : وهل معنى ذلك ، ان ما يقوله كاتب من الكتاب ، عرضة لان يرفضه الكثيرون ممن عداه ، ثم عرضة لان يقفوا حيال ما فيه من وجوه الصواب والرأي السديد ، مواقف النقد والتفنيد والاعتراض ؟!

قلت : هو ذاك .. ولكن هذا لا ينقص قدر ما يكتبه الكاتبون ، وحسب الواحد منهم ان يقول كلمته ، ليعبر بها عما في نفسه . وحين يكون لها من يؤيدها ومن يعارضها ، دل ذلك على انها كلمة ذات اثر ، ويكفيه منها ان تبلغ هذا المدى ..

فقال صاحبي وهو ينصرف : صدقت .. انه ليكفيه منها ذلك حقا ..

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تساؤل ؟

●

أيا غصنها المياس هل انت ناضر ... كعهدي فقد تاقت اليك النواظر
وهل عبق الريحان منك على الورى ... فهب نسيم منه في الكون عاطر
وهل رنحت عطفيك حين تأودا ... رشاقة دل فنها منك ساحر
لقد اقلقت رمانتيك فرفرفت ... عليك قلوب في حماك طوائر
يصورك الشوك الملح لمقلتي ... فيهتز وجدان وتهفو مشاعر
أراك أجل ! اني أراك مع النوى ... كأن لم يغب منك الرفيق المجاور
أرى ثوبك الوردي يومض نسجه ... كأن لمحت منه النجوم الزواهر
وقد ترتدي أحلى العذارى مثيله ... فيخبو بها لكن نورك باهر
تنقل خطوا في الطريق فيكتسي ... ربيعا به تزهو الغصون النواضر
أتابع خطوي خلف خطوك عامدا ... لابصر ما نضرت اذ انت سائر
وألقى مهب العطر منك كأنما ... يزيد القوى فالباس في الدم فائر
قوام حكى ايقاعه صدحه المنى ... ففي كل خطو منه لحن مبادر
لئن أشرقت في العين منه حديقة ... لقد صدحت في الخطو منه مزاهر
يلوع قلوب الناظرين اختياله ... فتصرخ بالآه الصدور الزوافر
فيا ليته مما يباع فيقتنى ... وهيهات لو يشرى لاخفاه تاجر
تناسق والوجه الجميل ليشهدا ... بأن الذي صاغ المحاسن شاعر
لمن خصلة رفت على الوجه فانحنى ... على الورد غصن في يد الريح حائر
يهز فؤاد المستهام رفيفها ... فيشبهها اذ رف مما يساور
تميس على العينين دلا فهل درت ... بما تومض العينان والظل عابر
لدى مقلة سجواء يوحي صفاؤها ... هدوءا الى الاعصاب وهي ثوائر
بحيرة احلام تسير بذي الهوى ... الى مرفأ ما ان أتاه مسافر
اذا نظرت اعياك تفسير ما عنت ... فتزخر موجا في حجاك الخواطر
أتسخر والاشجان شتى يشبها ... بنفسك فتان من اللحظ سافر
أتشفق اذ ترنو بعين رحيمة ... وكم ترحم الصب المعذب ناظر
أتحقر ؟ قل ما شئت غير هذه ... فيا ذلة المحقور والحسن حاقر
هواجس يخفى الرأي في دفعاتها ... كما قد ضللت النهج والليل غامر
فيا غلة الظمآن نبعك دافق ... وماؤك من اعلى السحائب هامر
تطوف بك الاحلام في ضجعة الكرى ... غديرا بمرآه تدق البشائر
متى ينقع الصادي لديك غليله ... فيروى وقد فحت عليه الهواجر
لقد صبرت اشواقه وهو عاقل ... فان جن حرمانا فما هو صابر

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الشعر الايطالي

ساندرا جينونه في ثلاث قصائد

Sandra Cenone

ورفائيلي تشيكونه في ديوانه الجديد

Raffaele Ceccone

ترجمة عيسى الناعوري

•

القصائد الثلاث التالية اهدتها الي الصديقة الشاعرة الايطالية ساندرا جينونه وانا على فراش المرض في المستشفى العسكري في عمان، مشفوعة برسالة رقيقة تقول فيها : « كم هو حبيب الى نفسي ان اتحدث اليك ، وان اكون في رفقتك قليلا ، ولكن بطريقة غير مألوفة ، وذلك بأن اتلو عليك بعض الافكار التي قد تبعث فيك حوافز جديدة للامل والحياة ».

ولقد كان جميلا جدا من الصديقة الشاعرة ان تكون رفقتها لي ـ من بعيد ـ ابان المرض، بهذه الطريقة الشعرية الحلوة اللطيفة . وتقديرا مني لعاطفتها الجميلة اترجم قصائدها الثلاث ليشترك معي في الاستمتاع بها قراء « الاديب » العزيزة .

يقظة

ما اكثر الصمت ، وما اكثر الهدوء !
وكل شيء يبدو كصحراء تتوجني .
الا الزمن بخطوه الثقيل
فانه يثقل على رأسي كالكابوس .
في ذلك الشعاع الرفيع المتلاشي
الذي يصل بمثل لون قوس قزح الى هذا القبر
يضطجع عقلي معلقا ، ويهيم
في مملكة اللاشيء الفسيحة الابدية .
لكانما انا ضائعة لا اجد نفسي
في هذا الضباب الرقيق المنفرد ، وامضي
فاعبر كالالة المتحركة بحر المجهول .
آه ! لم تعد توجد تلك الشرارة الحبيبة
التي كانت حافزا لحرارة الشباب !
آه ! كل شيء هو الان صقيع حول قلبي
المتجمد في هذا الجمود .
وانا نفسي لم أعد سوى ظل مفمود
بين اشجار الكستناء الصامتة ،
يتارجح بحركة متشابهة دائما
ثم يتلاشى في مهاو مظلمة .
أانا شبح أم قزم ،
أم انا انسان ضائع ولكنه يسير
باحثا عن الطريق الاكثر قربا ؟

نشور

فرحة تموج في الدروب
ومداعبات هادئة من الريح ،
ورعشات بطيئة ومتشابهة
في قلق الصباح الجديد .
هلم انهض من الضباب الشتائي
فلقد بعثت الحياة الدفينة
تلفها نشوة لعوب
وتجعل قلبها يخفق
ويموجها في خضرة الحقول اللامتناهية .

على موجة من المرتفعات التي تبهرها الفتنة
ينبعث الامل القديم من جديد
وتولد الحياة مرة اخرى ، والحلم
يعود الى جنونه الابدي

ان في الهواء لحرارة
وحنينا لاهثا
من الف شيء وشيء .
انظر الى الشمس البعيدة
وارفع عينيك الرماديتين
عن هذه الانسانية
وافتح قلبك ، واضحك :
ان ثمة ضحكة ترتفع
من الطبيعة باسرها
وتهز شقاء الحياة
هزا ابديا عميقا

طبيعة

رصاص السماء وقلق السر الغامض
في القلوب البدائية للاشياء
وحنين صامت واسترخاء .
وتموج خفيف في القمم المنهوكة
قمم اشجار الحور الصامتة ، على نسيم
المداعبات والتنهدات الحالم العليل .
وفي الهواء نسمة انتظار خفيفة
تمر ، وتحمل اليك اصداء من
خفقات اجنحة بعيدة وتخيلات جميلة .

اما الشاعر الايطالي رفائيلي تشيكوني **Raffaele Ceccone** فقد بعث الي بمجموعته الشعرية الجديدة (حياة سارقة **Una vita Ladra**) الانيقة جدا : باخراجها، وورقها، وغلافها الجلدي السميك، وطباعتها الجميلة . وقد اهداها الى: (عيسى الناعوري ، صديق ايطاليا والشعر الايطالي).

وهذه المجموعة تحتوي على ٤٦ قصيدة : قصيدتان منها ، هما الاخيرتان ، من القصائد الطوال ، والاخيرة منهما بعنوان « حياة سارقة »، وهي التي خلع الشاعر عنوانها على المجموعة برمتها .

من هذه المجموعة اقدم الى القارىء العربي المجموعة التالية ، وفي طليعتها تلك التي يحمل الديوان كله عنوانها :

حياة سارقة

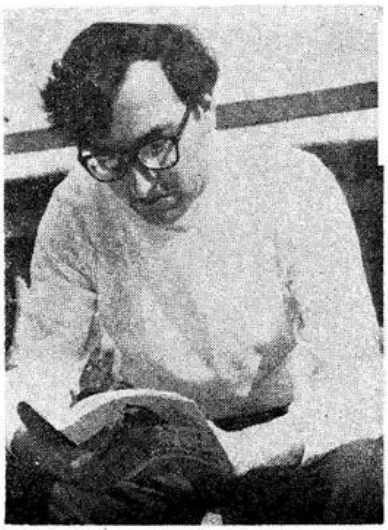
اليوم بين الجذوع المقطوعة
وجدتني مثل الاخرين
أدوس الفصون
غير مبال بالنفايات واعقاب السجائر .
لقد سلبوا مني حضورك
وطوق ذراعيك الحبيب
وطيران العصافير ، والصباح
المجدول من رؤى صافية .
لقد سلبوا مني الشمس
والمشاهد الطبيعية
ليردوني الى سهرات الاشباح
في صحبة الرغائب الموجة
والنهب ، والمخاوف ، وهجمات السعال
من اجل لعبة يحرسها
الذكاء المر وهو حبيس داخل اسواره .
في كونكارنو مع ارتفاع المد
وفي ليلة طليطلة القصيرة
وفي سماء سانت ميشيل



الشاعرة ساندرا جينونه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي اصبح منتجعا لعطلات اخر الاسبوع
جرجرت برامج شديدة التقييد
واحذية مغبرة وصورا شمسية منهوكة
مترقبا في الغالب ان يبزغ مرة
يوم سعيد كامل
ابقى فيه غير ملموس ، كما يحدث
في معجزة الواجهات الزجاجية في شارتر .
لقد سلبوني ازهار ايلول
وخـــداع الحس
.
الذي تنسى فيه الحياة .
تحت ملوحة جلدي
اكتشفت متاهاتي في دمي
وفي كل مكان من حولي رأيت النوايا
والفراشات غير المستقرة ، والموانىء الورقية.
لماذا لا تسالين تلك الغمامة
عن السبب في عبورها ؟
لعلها ستحدثك عني بذكريات
حكاياتي الهشة .
ولكنها لن تعرف كيف تقول لك لماذا
اكتب على الماء حكايا ضياعي
ولا لماذا تحولت سماء افكاري
الى قبة هوائية .
اعطوني الان
في هذيان مفاجيء ،
غير ان واحدة منهن فقط
سافتح لها ابواب منزلي .
وأود ان تكون لها عينان جريئتان
للنقل والرقة .
أود ان تكون لها يدان بيضاوان كالفجر
فيهما من التعزية ما في ليلة سلام .
لماذا لا ينطفيء ابدا ، بل ينمو ،
هذا الحب الذي يتولد منك
ويتمجد في اشكال انثوية
مفعمة بالجمال والدم ؟
ولماذا يجذبني شباب الجسد بقوة مع السنين
بمثل القوة التي يردني بها
وفي اللحظة عينها التي اكتشفت فيها
في عيني الناقدتين غضونا ودموعا متحجرة ؟
لقد سلبوني هبة نسيان نفسي
.
في وجهك المزهر في الظلال
كثمرة من لحم لا تجس .
سلبوني ضحكة الظفر
وبدلوها بألم يظل مستمرا
حتى حين اشد نفسي الى جانبك
وديعا مستسلما الى اغرائك .
وتتسلق كالبومة
لتلصص علينا من خلف القضبان .
وفي الانتظار نلعب الورق معا
تحايلا على الحب .
غير ان الحب في داخلي يضيع عند غيرك
بين رشاشات من البحر عالية جدا
او في أصداء لواعج عميقة
تمزقها قلة الامل .
لقد سلبوني
والخطوة الثابتة .
سلبوني الكمكات الاكثر استدارة
والاشد نعومة
ليتركوا لي زوايا مسننة
منثورة في كل مكان من الصخور العارية .
اولا ترين انت أيضا الاسماك الميتة
على طول الشاطىء الخائن
ما بين شباك صيادين منحنين
وعاكفين على تصليح الشباك الجاحدة ؟
يقولون انه ينبغي الهرب
من هذا البلد المنعزل .
ينبغي الصعود الى القمر
بصواريخ ضخمة مشتعلة
واكتشاف افواه براكين ضخمة
واخطار جديدة
ونشر حيوات جديدة
ازاء اطارات مفرطة الحساسية .
ومع ذلك ابقى هنا ثابتا كالمرساة
في تحطم سفينة تذكار قصير
لاهدي اليك كلمات
سيسلمها الزمن الى مدى مجهول .
أنا بالنسبة الى نفسي الجذع والنبتة
وبالنسبة اليكم هذه الشهادة الوحيدة .
ولست اعرف حقيقة اخرى اثبت من ذلك
غير هذا الصوت
الذي ، على الرغم من انه هالك ، فهو دليل نفسه
في حقل من اشجار الرتم المحطمة .



الشاعر رفائيلي تشكونه

لقد سلبوني الاغاني الاكثر حبورا
ودقات الدف الصارخة الساحرة .
سلبوني الافراح الاكثر سهولة
والوعود الاكثر خداعا
والطرق التي كانت تبدو للعيون
حرة دائما .
لقد سلبوني اشياء كثيرة
ولكن لم يسلبوني جنوني المتواضع هذا
المصنوع من الاضواء والقلق معا
يجرها مسرعا احد الكواكب .

الى ابي

يـا ابـي ،
لقد كنت من جذع قوى
حين بقي شتاؤك الاشد نحولا
من دون غصون
جمجمتك لامعة
وجلدك متغضن
الا ان عينك ما تزال صافية
وفيها كنت اقرأ خيبتك
يوما بعد يوم .
ان ما علمتك اياه السنون
علمنيه وجهك .
يـا والدي الاعرج
المريض على المقعد المنخفض
لقد كنت احدثك في أتفه الامور
وكنت تفهمني من دون اصغاء
انني لاتساءل : ماذا عسانا نصير
من دون هذا المجرى المظلم
ومن دون هذا التفاهم الاخير
الذي قدسه لنا الاباء والبنون ؟
انني لاذكر يـدك
كانهـا المخلب
ومع ذلك كانت لها معي مداعبات
لا انساهـا .
يا ابي ، لقد كانت شيخوختك الجسر
الذي وحد بيننا بقوة قبل الرحيل

جزء مني

اكان اذن جزءا مني
هذا الاب الذي غاب
في الوقت عينه الذي كانت تمر فيه على الدرب
بائعات ازهار يحملن سلالا ملأى بالزهر ؟
الوان ملتهبة جدا وحية جدا
بحيث تكاد تصيب بسوء
ازهـار قويـة
ازهار ساحرة حقـا
ازهار غامضة السخرية .
وكنت اسير على شريط من شمس
والظل الان اقل بكثير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ان يخفي دموعي الانسانية
القليلة المحرقة
لقد كان دائما يتاخر يوم الالم
والان وقد اتى
لو نظر الناس الى وجهي
لبدا كما كان في الامس

غروب

لقد تحدثت هذا المساء مع غروبي
فسالته :
« ماذا سيكون من بعدك ؟ »
فابتسم لي بفمه العريض
دون ان يجيب
مبتلعا في حريقه
خداعات لم يتم شفاؤها بعد .

في الصمت

تدفئني بالشمس
كصخرة نيسان
عندما يداعب الهواء
منافذ الكرى .
لقد فتحوا باب الرخاء
ومن حناجر البشر الجافة
تخرج اغاني الاسطوانات .
ولكنني في الصمت اجد من جديد
ما كان قد ضاع
في الف جدول
وفي اختبائي عند اقدام الجدران
كالمتسولين
اسمع معزف اشجار الصنوبر والزيتون .

لو كنت املك

لو كنت املك الضحكة فقط
لكنت ما ازال ثمرة خضراء
لو كنت املك الالم فقط
لكنت حيوانا سعيدا
ولكن لو كنت املك الدموع فحسب
لكنت انسانا كامل الانسانية

انا موجود

لست ارى بيوتا ، بل ارى البحر وحده
يستريح في نفسه
تمر سفينة بزينتها الكبيرة
ولكنها بعيدة .
انني موجود اليوم الساعة الحادية عشرة
في هذا الوادي .
كانها ولدت هنا .

حنين

●

يحن قلبي أيان كنت	الى بلاد فيها ولدت
الى ربوع نشات فيها	ومع رفاق الصبا لعبت
كي ينطوي الجسم في ثراها	ان حان يوم السرى ومت
انضم تربا الى جدود	قد سبقوني وقد لحقت
ان كنت حيا عنهم بعدت	حسبي ميتا منهم قربت
فعاش لبنان جنة أرض	جملها الارز والازدرخت
وعاش لبنان مسقط رأسي	اليه أهفو ما العمر عشت

غرنفيل ـ امريكا — نعمة حاج

من سيحرس ؟

جفونك ترتعش شبه مغلقة
وانت تحدقين في ذؤابات الجبال .
ومن الغابات يترامى الينا
عبير حكايات منسية
من ذا الذي سيحرس حديقتنا
الحمراء من الحب والتوليب القرمزي ؟

اجراس

اجراس البندقية ليلا
لها اصوات حوار انساني
وحين اصغي اليها لا ادري ماذا اريد :
أن احيا أم اموت !
هناك اعمى طعين يعرض على القمر
جبين كروبه وآلامه .
اجراس البندقية هذا المساء
ترفع دقات هادئة
مع المد والجزر اللذين يكيدان
لجمال راح يغرق في الاعماق .

تسقط الاوراق

لي شفتان ، ولكن دائما
للصمت على الاكثر .
ان الحياة تمتد في مسكنة
نحو النقطة القصوى .
والذكاء ـ الذي يزداد رسوخا كل يوم ـ
يجعلنا ننغلق في انفسنا
وتسقط الاوراق ليس في الحقول فحسب .

قنوات

ايتها القنوات المهجورة
الواشية بخطاي الليلية
في الهواء الرطب الذي يلف
ضميرا مهشما .
الان يستريح الناس في شبعهم
بعد العشاء المالوف ،
لقد ابتلعوا اخطاءهم واخطاء الاخرين
وتعاساتهم واحزانهم .
مسيرة ظفر في الليل
اعزف فيها نايا من فضة .
ولكن ها انا اتوقف على الشاطىء
عند قنوات يقظى ،
في مظهر مرير
كامير محروم من الميراث

فلنزرع

فلنزرع على الارض زهرة
جرحا في الدم
ورحلة متواصلة كل هنيهة
هنالك من يمر مرورا سريعا
كانه المثل .
عيناك الزيتونيتان
تبقيان ما بين شجيرات وبذور

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهـاء الدين

سامي الكيالي ذلك الاديب المعاصر

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

صوت مدو من اصوات الادب العربي المعاصر ، طالما تناهت الى مصدره الابصار والبصائر ، لقوته وجدته .. اصالته وترامي عبـر حـدود ثقافتنا العريقة المستديمة ثراء وعطاء ..

وهل كان لهذا الصوت الا صداه .. ؟!

اميز ما في حياة سامي الكيالي الفكريـة انـه بدأها كاتبا يدبـج الخواطر والمقطوعات ثم مراسلا لبعض مـن صحف القاهرة وبيروت ودمشق .. كانت مقالاته عن الثورة السورية في عام ١٩٢٨ تنشر علـى الصفحة الاولى من جريدة « السياسة المصرية » .

وما يزال ..

اذا به ، وفي قرارته يستشعر ان هناك فراغا فظيعا بات التردد في سده خيانة ذاتية ، ويستشرف امادا بعيدة لا ندحة عن ارتيادهـا دليلا على معنى وجوده وتعبيرا عن طموحه .

حتى كانت ولادة مجلته « الحديث » ...

لا مغالاة في ان « الحديث » حـدث ضخم في تاريخ الصحافـة المعاصر ، لانه يمثل مرحلة وان شئت فقل مدرسة من مدارس البعث والتجدد في الادب والفكر .. قائمة برأسها .. خليقة بان توضع عنهـا رسائل وكتب على مستوى جامعي وعلى غرار مـا وضع عـن صحف « الاهرام » و « البلاغ » و « البلاد » .. فقد خطت خطوة غير مألوفة في الصحافة الادبية ودعت الى الاصلاح وحرية التفكير والتعبير ومنهجية البحث تطبيقا وهدفا في وقت كانت فيه معظم اقطار الشرق العربـي تغط في رقاد من التخلف والانكماش الناشئين عن اوزار الاستعمار ..

وصدور « الحديث » في اواخر العشرينات كان بداية انفتاح على عالم متغير يتطور سراعا وعلى تياراته الصاخبة ، ونقطة تحول نحـو المذاهب التجددية في مضمار التحرر السياسي والفكـري وفي مجالات الاصلاح الديني والاجتماعي والتعاطف معهـا والاستجابة لبواعثهـا الخفية والظاهرة معا . حدد الكيالي رسالة « الحديث » : « الحديث مرآة الادب الحي . لا يتقيد ببلـد ولا يتعصب لاحد ويرحب كـل الترحيب بكل اديب وبكل مفكر . ينزع هذه النزعة الجديدة التـي تخطو بنا الى الامام » . كذلك قال في كتابه « الادب والقومية فـي سورية » : « استطاع الحديث خلال هذه الفتـرة الطويلة ١٩٢٧ ـ ١٩٥٨ ان يتابع سير الحركة الادبية والنزعات الجديدة في الادب وهـو مرجع وثيق لكثيرين من الباحثين في الدراسات الادبية » .

من هنا تألب المتزمتون في حملات من الطعون والتطاول على الكيالي وعلى الكتاب الاحرار ، هؤلاء الذين جعلـوا يشدون ازره ويغـذون (حديثه) وفي طليعتهم الدكتور طه حسين لقيامه بنشر دراسة موسعة عن علاقة الدين بالعلم ونضالهما عبر العصور المترادفة .

انما ثار هؤلاء الرجعيون على موقف الكيالي الايجابـي الجريء لانتصاره للقيم الجديدة ووفائه للنزعات الحرة حتى انتهوا الى مطالبة الحكومة القائمة يومذاك ـ اذ رفعوا عريضة اليها طولها متران وعرضها متر ـ باغلاق مجلته وعزله عن وظيفته واحالته الـى المحكمة تمهيـدا لاعدامه ..

بيد ان الكيالي وقف ازاء هذه الموجة العارمة من السخط والتهم الباطلة ثابت الجنان ، غير ناكص علـى عقيبه . ومضى « الحديث » يشق طريقه ويصدر اثنين وثلاثين عاما وهو ينسخ ظلمات مثريا الفكـر العربي واضعا لبنات الحرية والابداع في هيكـل الادب حاملا لـواء السفارة بين المستشرقين والمستعربين .. الادبـاء والشعـراء الـى ان توقف عن الصدور في مطلع عام ١٩٥٩ . وبهذا يقول الدكتور عمـر دقاق : « وحققت المجلة قدرا كبيرا من التفاعل بـين ادباء ذلـك الجيل » ..

الكيالي شخصية ادبية على نطاق واسع ...

تناصرت على تكوينه اسباب . بعضها يتصل بما جبل عليه ، كما يعود بعضها الى تجاربه الحية المعاشة ، بينا البعض الاخر يحمل على مفارقات اكتنفت افاق حياته من حيث لا يدري .

لقد طرق اكثر الانواع الادبية .. من شعر منثور واقصوصة الى مقالة ونقد .. الى دراسة وتحقيق .

من هنا توزعت مواهبه وتضاءلت ابداعاته ...

فنان اصيل هو الكيالي حين يسكن الـى هواجسه وسوانحـه ليصورها كما يشاء ويعبر عنها باسلوبه الحركي الرائق وهـو مطمئن اليه بكل عقله وقلبه . لعل منشأ هذا حساسيته المفرطـة وتوتـره الفكري البائن على مدى حياته الادبية الخصيبة .

ثم انه في مقالاته واحاديثه يأبى انحباس ما في صدره ورأسه .. فتنطلق ذاته على طبيعتها لترود الافاق والاقاصي تارة وتختصر المتاهات والمجاهل تارة اخرى وتنعم بما يحلو لها تارة ثالثة ، كذلك تتداعـى افكاره وتنثال خطراته ويتوغل خياله في جواء لا حد لها . لانـه يعرف كيف يصوغ عباراته والفاظه ويطوعها لقلمه السيال ، حتى يجري فيها دم الحياة والتجدد والاثارة .. ان الكيالي في مقالاتـه واحاديثـه نابغة .. عظيم .

انظر اليه ماذا يقول :

وتشرق الشمس ثم تغيب لتعود مع الفجر اشد شروقا وابهـى سناء واكثر لمعانا وسطوعا .

وتتناثر اوراق الخريف لتعود مع يقظة الربيع زهورا عبقة زاهية الالوان جنية الثمار ..

وتنطفىء النجوم ثم تعاود بصيصها ولمعانها في الليالي المحلولكـة الظلام .

وتمر الايام والشهور وتتعاقب السنون وتطوي معها الاحداث ثـم تتعاود دورانها مع الافلاك وكانها في بدايتها الازلية ..

الا الانسان ـ هذا الآدمي ـ فلا يكاد يلفه العدم في لا نهاياتـه الجون حتى تطول غيبته ويطول فراقه .. اي فراق .. ولا يـدري الا الله متى يكون البعث والنشور .. اي متى يكون اللقاء .. ومتـى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتم التلاقي .

اي بني

تالله لا تنفك لي شبحا ... يمضي الزمان وانت لي شجن
ما اصبحت دنياي لي وطنا ... بل حيث دارك عندي الوطن

ويقول في مقطوعته « جمال وذكاء » :

جمال ارستقراطي نبيل
ونفس علوية الاشعاع
وذكاء حاد يقدح كالشرر
وعقل يلتمع بالمعرفة والنور
وجسد كالبلور
وابتسامة مشرقة كخمائل الزهر
ووجه ضاحك يفيض باجمل معاني الحب والوجد ـ هذه الصفات تجسدت كلها فيك .. انت ايتها الرشيقة الفاتنة ..

بوحي من اهمية دراسة التاريخ في بناء الحياة على اساس من بث روح اليقظة والاقدام في الناشئة لاستدراجها الى التفكير الموضوعي والنقد الذاتي نحا الكيالي في مؤلفاته « سيف الدولة الحمداني » و « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره » و « السهروردي » و « نظرات في النقد والتاريخ والادب » و « صراع في سبيل القومية العربية » منحى تاريخيا .

انه يرى ـ كما يخيل لنا ـ من الصعب على الانسان العربي القلق بعد ان تداخلت دونه معالم الطريق من جراء التعقيدات الالية البحتة ان يتقبل الامور على علاتها كما لو كانت بديهيات مألوفه لديه بل ينبغي له ضمانة لمصيره ان يستخلص العبر من بطون الماضي ويستنطق البطولات من صفحات التاريخ القديم مستمدا منها العون على المواجهة وعلى دفع عجلة الحياة الى الامام بكلتا يديه مستثمرا امكاناته والا فان غول الاقدار كفيل بابتلاعه .. معناه ان الكيالي لا يبغي الانفصال عن الماضي والتنكر لعظمته لمجرد تواريه مأسوفا او غير مأسوف عليه واندثاره بين طيات الابدية الى غير رجعة ..

بل يؤكد على هذا الماضي وضرورة استيحائه لانه لا يصح ان تعيش الامة ، اية امة ، بمعزل عن ماضيها القريب او البعيد ، فجذوره واغلة في اعماق وجودنا ، عاملة على اظهارنا حضاريا وانسانيا ولانه من ثم يرهص بصرح الحاضر المائل وهو الذي يخطو بنا وئيدا الى سدة المستقبل . ها هو ذا يقول : « وان اعجب فعجبي من اولئك الهدامين الذين يدعون لهدم كل صلة لنا بميراثنا القديم وهي لوثة الشعر بين الحاقدين الذين يزينون لشبابنا الطري العود باساليب مغرية . هذا الاتجاه الموجو السقيم الذي يرمي الى التشكيك بجلال ماضينا والكفر بخصائصنا واذابة شخصيتنا العربية التي عاشت طوال الظروف في حفاظها على اصالتها المتميزة رغم الفوائل التي غالتها والاهوال والنكبات التي عصفت بها .. » .

انما معالجة القضايا التاريخية من اعسر المسائل التي يتصدى لها الباحثون لانها الى تطلبها دقة في سرد الاحداث والحقائق التي يجب ان تدعم بادلة ووثائق تفرض عمقا في الرؤيا ونزاهة في الحكم .

والكيالي في بعض ابحاثه ـ كما يرى النقاد والمتتبعون ـ يميل به الهوى كما لو كان متعصبا .. والتعصب عند الدكتور احمد امين ـ غيرة عمياء . فان القلب ـ وان كان محبا مخلصا ـ هو الذي يتكلم، بينما المفروض ان يتكلم العقل لوضعه كل شيء في موضعه الطبيعي ابتغاء وجه الحق والنصفة ..

يعترف الكيالي ضمنا بهذا كله في مقدمة كتابه « امين الريحاني»: « واذا قاد الحب المؤرخ الى سيرة ما الا يكون عاطفة المحبة هي التي تفسر الكاتب ان يجانف الحقيقة احيانا وان يغمض عينيه عن نقد النقاد وقد يتخذ براعته لطي المآخذ والزلات وقلب السيئات حسنات».

ويعزز هذا الاعتراف المستعرب اسماعيل احمد ادهم حين قدم لكتاب « سيف الدولة .. » بقوله : « غير ان هذا الموقف يميل به بعض الميل الى جانب سيف الدولة وهو في هذا مدفوع بفكرته ان يتناول حياة سيف الدولة ببحث وما دام سيف الدولة موضوع البحث وركنه فالشاعر العربي الفذ يمر في اطار من حياته الامير الحمداني يستمد منها لعبقريته وسائل الظهور . وهذا الميل يظهر في كلام الكيالي » .

اثنى الدكتور طه حسين على الكيالي في المقدمة التي كتبها لكتابه « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره » في الوقت الذي عد الدكتور مصطفى جواد هذا الكتاب « من الكتب التدليسية البعيدة عن البحث العلمي المجرد من العواطف الزائفة » واستطرد قائلا : « والكتاب غير خال من الفائدة الادبية الا ان اسم (الفكر الاسلامي) كان اولى به من اسمه الحالي وذكر : أن مؤلفه وقد كان صديقا لي بالمراسلة عمد الى كتاب (معالم القربة في احكام الحسبة) لابن الاخوة فاخذ منه ما اخذ وعده ثقافة عربية مع انها اسلامية تمثل عهد المماليك الاتراك بمصر والشام . ومن المعلوم ان الحسبة هي من امور القضاء والقضاء اسلامي بحت فكيف تنسب فضائل الاسلام ومساعي الرسول الاعظم الى العرب وحدهم في عصر لم يكن لهم فيه من الحكم شيء (1) » .

اما ابو القاسم محمد كرو فقد ذكر في كتابه « ابن خلدون والعرب » : « ويبدو ان معلومات الاستاذ الكيالي التاريخية بعيدة عن الواقع وحقائقه الثابتة » كما ذكر في موضع اخر : « الكيالي يريد بمثل هذه المعلومات المشوهة والمغالط العجيبة ان يقيم الحجة على من هو في التاريخ حجة .. » .

ثم يقول عبد القادر القادري عن الكيالي في مجلة « دعوة الحق » المغربية (2) ، بعد ان رآه حائدا عن جادة البحث الصحيح والحقيقة التاريخية الواقعة بشأن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في مقال نشره بالعدد ١٥٢ لعام ١٩٧١ بمجلة « العربي » الكويتية ـ يقول عنه بالحرف الواحد : « فمتى يكف كتاب المشرق العربي وخصوصا العرب المسيحيين عن اتهام السلطان عبد الحميد الثاني بما هو بريء منه ونرجو ان تكون حملة الكاتب سامي الكيالي في مجلة العربي على هذا السلطان المسلم ـ الذي يعتبر في نظر شكيب ارسلان داهية من اعظم دهاة العصر الحديث وسياسي في منتهى الحصافة ـ اخر حملات كتاب العرب المسيحيين .. » .

لا غرابة في أن يعد عبد القادر القادري (الكيالي) من الكتاب المسيحيين لانه لا يعرفه ويجهل شانه .. ولكن الغرابة في ان يتاثر الكيالي وكثيرون غيره بما يذيعونه بالدعاية الماسونية الخبيثة التي صورت السلطان عبد الحميد الثاني على غير حقيقته والبت عليه الاعداء والخصوم حتى افلحت في اسقاطه وخلعه لا لشيء سوى انه ابى اباء ان يساوم على ارض فلسطين المقدسة .

نخال ان قدرا اكبر من المتعة الروحية والعقلية يمكن ان يتحقق للانسان عند مطالعته « ادب الرحلات » لتمايزه بعناصر الصدق والتلقائية والخلق .

اذا استجلى ادب الرحلات الحياة بكل اضوائها واصدائها واذا عرى المجتمع بكل تناقضاته ومفارقاته فانه ينتشل العقلية من الضحالة والانغلاق ويحرر الطبيعة البشرية من التزمت والقناعة .

والكيالي هذا الذي بهرته انوار الحضارة واجتذبه سحر الاطلالة على هذه الدنيا واسكرته خمرة البحث عن الطارف والتالد .. المخبوء والغريب كان حظه من الرحلات والسفرات كبيرا ..

زار بلدانا عديدة .. خالط اممًا شتى .. اندمج في اشياء كثيرة.

فقد شاهد الاقطار العربية والاسلامية واوربا واميركا والربوع الاندلسية . وكانت آخرها رحلة الحج الطواف في بيت الله الحرام .. من رحلاته قفل بكتب تعد صورة صادقة له بأبعادها واعماقها .. الوانها وظلالها ، وتقف في صف واحد مع بدائع كتب الرحلات في الخزانة العربية المعاصرة ، وهي « شهر في اوربا » و « خواطر عربي في اميركا » و « في الربوع الاندلسية » اضافة الى عشرات المقالات

واللمحات المنشورة بالصحف وببعض كتبه المطبوعة .

الملاحظ ان ادب الرحلات عند الكيالي لا يعدو ان يكون استجابة طبيعية للانفعال والمشاركة وعملية فنية في تخليد الذكريات الاصيلة .. الرائعة في سجل الحياة . وهذا النوع من الادب من غير شك حري بالتدوين والتنويه ، فقد يسهم في تعميق المعنى الانساني الذي ترمز اليه هذه الذكريات والانطباعات ، ويعكس التراث الحضاري لشعب من الشعوب وفي حالة من حالات التاريخ .

ويعنينا بصورة خاصة كتابه « في الربوع الاندلسية ، لانه في الواقع لوحة مشرقة .. حية لحضارة عربية اسلامية قامت على انقاضها حضارة العالم الجديد في ما بعد بالرغم من ارهاصاتها واشعاعاتها الماثلة للعيان الى اليوم . وقد صدق الكيالي قولا وكله تحسر وتأسف: « هنا كانت تقوم مدينة الزهراء ، ورأيتني في ارض خلاء واخذت اتساءل اين جامعها الذي فرشت ارضه بالرخام الخمري . اين منبره البديع الزخرف ومقصورته العجيبة الصنعة .. ؟! حتى الاطلال قد اندثرت وقد عدت اندب الماضي واتساءل : اين الزهراء .. اين قصرها العجيب . اين جامعها وحدائقها وقصورها . لم يبق من كل ذلك غير ارض تعصف في ساحتها الرياح .. وا أسفاه .. ؟! »

تستأثر بكتب الكيالي الثلاثة هاته ابعاد فنية هي الحديث على الفطرة والرشاقة في الاسلوب التصويري الى جانب القدرة على الايحاء والسهولة في الانتقال من مشهد الى غيره .. مثلا يقول : « وكان القطار يسير بسرعة البرق في طريقه بين الادغال والاحراج . وبدت الارض تتراءى لنا بحقولها ومزارعها وجبالها كانها قطعة من سيبيريا . بعد فترة لم تطل من سير القطار عاد الجو لينكشف من جديد وقد اطلت الشمس باستحياء فزادت المنظر جمالا وروعة . لا شيء اجمل من منظر الحقول المغطاة بالثلوج اذا كنت في غرفتك الدافئة تتامل بعض هذه الالوان من ايام الشتاء . اشعر وانا في القطار وقد تمددت على هذه الارائك المريحة في جو دافيء وجميل ـ اشعر وكانني في بيتي ... ان للشتاء جماله ولا سيما اذا استطعت ان تنفصل عن محيطك الى محيط لا تعرف عن طبيعته شيئا .. هذه اشجار باسقة ذات اغصان قوية قد صمدت سنوات وسنوات ثم عصفت بها الرياح فارتمت الى الارض لتؤلف منظرا سينمائيا جميلا لمن يريد ان يشاهد قوة الرياح حتى تعصف وتزمجر وتقتلع كل ما يقف في طريقها » ...

لم يؤثر عن الكيالي انه قصاص الا ان له نصيبا لا باس به في مزاولة الاقصوصة .. عمد اليها اشباعا لرغباته الطارئة وتصويرا ما جال بخاطره من افكار واخيلة .

فاقاصيصه انعكاسات لقطاعات من الحياة وابراز لشرائح اجتماعية وتحليل لمشكلات فردية ذات اهواء ، ما فتئت تزافق المجتمع في مسيرته .

ان كتابه « سيف الدولة الحمداني » ولو كان عملا تاريخيا فان فيه من السرد القصصي ما يجعلك تحس كانك في اجواء القصة لا في رحاب التاريخ ، وان صار من المسلمات ان بين التاريخ والقصة علاقة عضوية .

ثم هناك اقاصيص للكيالي في بعض اعداد مجلته « الحديث » وفي كتابه « المراة .. ذلك اللغز الابدي » منها « عائشة » و « قصة امراة » و « قصة في رسائل » وما اليها ..

الى جانب هذا كله فله مجموعة اقاصيص عنوانها « انواء واضواء » ، قال عنها محمود تيمور : « اول ما يأخذك في تلك المجموعة انها حافلة بيقظة الحياة تلمح فيها وميض التوثب والغلاب ، فيها انتفاض على الجمود ونزعة الى تحطيم الاغلال وتطلع الى افاق حرية وانطلاق » ..

معناه : ان ما تنطوي عليه هاتيك الاقاصيص من المعنى ، وما تهدف اليه من المغزى رائعان وانسانيان معا .

ولكن ... ؟! اذا كان لا بد من تقييم هذه الاقاصيص فنقول : انها يعوزها القالب القصصي الصحيح ، وبه تتجلى الحبكة الفنية والاصالة في تحريك الشخوص وسير الاحداث . من هنا يمكن عدها لوحات او قصصا (مقالية) اكثر من اي شيء اخر .

ولا يصح ان اضرب صفحا عن حقيقة تهم تأريخ الادب ، هي ان المستعرب اسماعيل احمد ادهم كان ترجم رواية « بنت يزيد » للكاتب التركي رفيق خالد ونشرها مسلسلة على صفحات « الحديث » في اواخر الثلاثينات ولم يبق منها الا الفصل الاخير لانتحاره المفاجيء غرقا بالبحر .

وما كان من الكيالي الا النهوض في منتصف الخمسينات باكمال النقص ، خدمة للادب المعاصر ووفاء لذكرى صديقه الراحل ثم الاقدام على اصدار الرواية المترجمة كاملة تحت اسمه في سلسلة « اقرا » ، وكان من الاجدر حرصا على كرامة العلم اصدارها تحت اسميهما .

دراسة شخصيات الفكر والادب والاصلاح تلك التي لها خطرها واثرها في تحرير الاذهان والنفوس وتمهيد السبيل لكل الافاق والمنطلقات كان للكيالي معها موقف ايجابي ..

ولولا اضماره محبة عميقة لحملة المشاعل المتوهجة هؤلاء لما درسهم كما اراد ولما اعارهم كل عنايته باذلا من وكده ووقته الشيء الكثير كما لو كانت امانة باهظة مقدسة في عنقه . يقول الكيالي « لا انكر ان نزعة الحب هي التي دفعتني ان اكتب عن هذه الشخصيات .. اريد نزعة الاجلال والاكبار لكثير من بطولاتهم ونزعاتهم واتجاهاتهم الحرة التي حررت الفكر واطلقت العقل » .

لقد وضع تواليف مستقلة عن « طه حسين » و « ولي الدين يكن» و « امين الريحاني » و « الجاحظ » و « ابي العلاء » وكتب في عشرات من الادباء والمفكرين .. الشعراء والفنانين في دراساته المستفيضة وفي مجموعاته المقالية وفي صوره القلمية منها كتابه « الراحلون » ...

فاعجابه بالدكتور طه حسين وقد استحال صداقة وطيدة دامت اربعين عاما ، حمله على ان يفرد عنه كتابا صدر في جزءين من سلسلة « اقرا » على تباعد الايام ..

حوى الكتاب انطباعات الكيالي وذكرياته عن عميد الادب العربي وتحليلا لمراحل حياته واهم ارائه ونظراته في ما يتصل بحياتنا العقلية وقيمنا الجديدة المتفاعلة ثم تفسيرا مكثفا لمعاركه السياسية والنقدية والفكرية .

ولكن الدكتور احمد الجلبي مؤلف كتاب « كيف تكتب بحثا او رسالة » يقول : « والمطلع يرى ان سامي الكيالي يمدح الدكتور طه حسين في كل سطر ويدافع عنه في كل فقرة ويملأ صفحات كتابه ثناء واعجابا بالمفكر الحر والكاتب العظيم دون ان يخط سطرا واحدا ينقده به او يخالف فيه اراءه . فهذا كتاب وما كان من الممكن ان يكون رسالة ... » .

معنى هذا : ان الكتاب ليس من الكتب العلمية الملتزمة اسس البحث المجرد ..

اما كتبه « ولي الدين يكن » و « النفس الانسانية في ادب الجاحظ » و « امين الريحاني » فقد طبق في تاليفها الطريقة الجامعية الكلاسيكية بالنسبة الى الاول ، والطريقة الجامعية المتطورة او المتعاصرة بالنسبة الى الكتابين الاخيرين من حيث العرض والموازنة والنقد الداخلي والخارجي الى جانب التوطئة بالاحوال العامة التي عايشتها الشخصية المدروسة ناهيك بتاثير التيارات الصاخبة في مجراها ..

على ان اعطاء فكرة صحيحة وتجسيد حقيقة واقعة عن هذي الشخصيات من خلال تقييم اثارها وتحليل افكارها والوقوف عند ما استخلفوه من اثار هو ما ركز عليه الكيالي ، وكان في ذلك كله على مستوى من التوفيق مشهود .. باتت معه كتبه مراجع في الخزانة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا حلوتي

يا حلوتي هل تعلمين ... أني أحبك من سنين
وبأنني صرف الهوى ... متوسل .. أتصدقين
دقات قلبي من هواك ... لك.. نشيدها.. أفتسمعين
فكأن دقات الفؤ ... اد .. رسائل الحب الامين
وكأنها يا حلوتي ... نبضات أعصاب الحنين
وكأنني من نارها ... يا حلوتي .. في الهالكين
فصلي عشيقا مدنفا ... قد بات متصل الانين
فاذا فعلت فربما ... أحييت أشقى العاشقين
لا الصبر ينفعه ولا ... ينفك مما تصنعين
وترفقي .. ان الهوى ... ان ترفقي .. أفترفقين

الناظور ـ المغرب — القمري الحسين

العربية . ومصداقا لما نريد جاء في مقدمة « النفس الانسانية في ادب الجاحظ » « فنحن حين نرجع الى ما تركه (العقل العربي) من تراث ذهني اصيل نقف مزهوين ومعجبين ويقف غيرنا ولا سيما المنصفون من شتى الامم ـ يقفون مبهورين .. دهشين بل حائرين من حيوية هذا العقل الذي استطاع في فترات متفاوتة الزمن ان يخلق ويبدع في شتى ميادين الحياة والفكر وان تظل اثار عبقريته حية جديدة ذات الوان وتزاويق لا تمحوها الايام مهما تقادم عليها الزمن » .

غير منكور ان الكيالي طويل الباع والذراع في الابحاث الادبية الاخذة بتحليل الظروف الموضوعية والمفهومات السائدة المؤثرة فيها والمتأثرة بها ، وفي دراسة البناة الهداة من الشخصيات .

تمثلت هذه الظاهرة على نحو اوضح في كتبه « الادب العربي المعاصر في سوريا » و « والادب والقومية في سورية » و « الحركة الادبية في حلب » ..

لا جرم ان هذه الكتب ذات دلالة ...

حيث تفصح عن طاقة الكيالي الغزيرة في عالم البحث ، وعن ايمانه بالقومية العربية ، وعن نظرته النافذة في طيات الغد ، هذا الذي يدعونا باصرار ـ حتى يتحقق وجوده ـ الى العلم والعمل .. السير والانطلاق .. ايثار الحرية لا التبعية .

على ان كتابا ك « الادب العربي المعاصر في سورية » يؤرخ لمئة عام ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠ من كل الوجهات ليس بالعمل الهين . قال عنه الدكتور طه حسين : « هذا كتاب اقل ما يمكن ان اقول فيه انه رائع كل الروعة ، ممتع احسن الامتاع » .

الى جانب هذا الرأي رأيان آخران ولكنهما مختلفان ..

لئن ذكر شفيق جبري « لقد اعطى الاستاذ سامي الكيالي اكثر رجاله ما يستحقون فلم يبخسهم اشياءهم .. » .. فان الدكتور زكي المحاسني خاطب الكيالي بالحرف الواحد : « يا اخي الفاضل انت تصنع (كتالوغا) لا كتابا او سجلا ادبيا .. » .

مهما يكن من شيء فان الكتاب في الوقت الذي ينم على المشقة التي عاناها الكيالي في جمع مواده المشتتة فانه يشير الى البراعة الفائقة في تنسيق تلك المواد وعرضها باسلوب شائق وتدرج منطقي .

اما كتابه « الادب والقومية في سورية » فتعبير غير مباشر عن الميراث الحضاري الذي آمن به الكيالي ودعوة الى الحفاظ عليه من غدرات الغادر . أليس هو يكشف رسالة العربي للاجيال القابلة ..؟

ولكن مضمون الكتاب اشمل من عنوانه في الدلالة

فالادب والقومية هو احدى الدعامتين اللتين ارتكز عليهما الكيالي في بحثه الموسع المتشعب ، وفيه ارخ للادب السوري منذ بدء النهضة وترجم لرواده الحاملين الوية التجدد والتشوف ثم انعطف الى قضية القومية العربية محللا مضموناتها ومنطلقاتها والمراحل التي مرت بها .

تتقدم هذا كله دراسة تاريخية .. جغرافية مفصلة عن سوريا عبر العصور وتتضمن التعريج على الاحوال السياسية والاجتماعية والثقافية وعلى العوامل التي قوضت الامبراطورية العثمانية وساعدت على ظهور تباشير الوعي العربي .

لا نعتقد ان هناك كتابا تناول الحركة الادبية بحلب كما تناوله كتاب الكيالي . فانه من الشمول والاستيعاب في شيء .. درس تاريخ حلب وخصائصها البيئية والثقافية والصناعية منذ مطلع القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . ثم طفق يتدرج ويتوسع في البحث، فطرق الادب في هذه المدينة في تطوره وتجدده كما درس شخصياته التي تمكنت من ان تلعب ادوارها في المضامير المتاحة لها كجبرائيل الدلال وعبد الرحمان الكواكبي وابي الهدى الصيادي .

علاوة على ذلك عالج الكيالي الادب الحلبي في صراعه بين القديم والجديد ومبلغ قدرته على التفاعل بالتيارات المعاصرة ثم ظهور اقطابه الذين عرفوا كمجددين او محافظين ..

وجنح الكيالي في اخريات عمره الى التراثيات فاولاها بعض عنايته لاحيائها توطيدا لجهود زملائه الباحثين المحققين ومساهمة منه .. وقد صدر له كتاب ـ وهو اخر ما اخرجه « مخطوطات حلب » ، لم يتسن لنا الاطلاع عليه بعد .

١ ـ انظر كتابنا (مصطفى جواد) : فيلسوف اللغة العربية : ص ١٤٠ ـ ١٤١

٢ ـ انظر العدد ٩ السنة ١٤ تشرين الثاني ١٩٧١

الاعظمية ـ بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

مشهد من مسرحية مصرع غرناطة

موسى بن ابي غسان الى نعيم بن رضوان ومحمد بن زائدة :

(القوط) في سعة العباب — تقاطروا دون الحمى
عصفوا بمسنون الحديد — على المعاقل والربى
واستوقدوا الاسياف — فاتقدت صفائحها لظى
تجد الفتى يرد الوغى — وكأنه ليث الشرى
يسعى الى غمر الردى — ليصيب مجدا او غنى
ويرى المنايا للعلى — سببا لمن رام العلى
وبنو أبي كانوا النعام — عن الحقيقة في عمى

نعيم بن رضوان :

ماذا تشير وهل هناك — على المصيبة من رجاء
أين الدواء وما لداء — الروح يرجى من دواء

موسى :

ان صح في النفس اليقين — فكل صعب يسهل
والنصر من ثمر الارادة — وحدها لو نعقل
تسمو المواهب قدر ما — تسمو النفوس ، وتكمل
درب الحقيقة دوننا — فعلام لا نتعجل
والحق في حد الظبا — صرح أشم ومعقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يلتفت الى نعيم مكملا قوله :

ان الذي في داره — يغزى يهان ويخذل
أبغي رجالا لاتهاب — من المنون وتجفل
اني أريد سواعدا — بناءة لا تكسل
وضمائرا بلظى العزيمة — كالشواقب تشعل
خل الشيوخ فليس عبء — السن امرا يحمل
ان الشباب غد يشع — بشاقب لا يأفل

ينظر موسى الى محمد ونعيم ويقول بصوت متهدج :

نظم العدو صفوفه — صفا وجاء موحدا
والعرب في ليل العمى — يتخبطون بلا هدى
يتناحرون وكيدهم — ما بينهم بلغ المدى
يتشاحنون ، وكلهم — غرض المنون ، على سدى
وكأنهم في بغيهم — كانوا على الوطن العدى

دمشق — عدنان مردم بك

عيناه شعلتان من اللهفة والترقب فها هي ذي اللحظة الحاسمة قد قربت وما هي الا دقائق حتى يقابل الرجل وجها لوجه .

كانت السيارة جميلة كأنها لم تركب بعد ، نظيفة كعروس ، وكانت عجلاتها ذات الزنانير العريضة رابضة على ارض الشارع في شيء من الذل لم تعتمد عليه ، فقد لفظت احداها ما في جوفها من هواء فأفسدت الوقفة المختالة الشبيهة بوقفة مهر .

انتظر ايها الوغد حتى يخرج اليك قل له : المسامير .. المسامير. وقص عليه القصة من أولها .

وغرق وجهه في لمعة صفيح السيارة .

كان حمل مسمارا مدبب الراس، وسار به الى منتصف الطريق . الوقت غروب ، والشمس تأكل نفسها بشهية ، والناس قلة في هذا الشارع الجانبي . انحنى ، وهو يذكر ذلك جيدا الان ، ووضع المسمار على الاسفلت ، وراح يتأمل ظله الباهت وخيل اليه انه يسمع جرس المدرسة القديم ، واصوات التلاميذ الصغار وهم يتلعثمون : ماما . بابا . وبدا المسمار القزم كحرف الف اجاد تلميذ في كتابته على السبورة ، وتطلع يمنة ويسرة فلم يجد من يعبأ به .

ابتسم ابتسامة شاحبة كأنها اشعة الشمس المحتضرة ، وتسلل عائدا الى الرصيف كأنه لم يفعل شيئا .

كان جائعا . بعد قليل ستأكل حتى وان كنت لا تملك قرشا واحدا ستأكل ايها الوغد . عليك ان تنجز عملك .

مد يده الى جيبه واحصى المسامير . واحد . اثنان . ثلاثة . اربعة .. واخرج اكثرها طولا وسنار به الى سيارة جميلة كأنها لم تركب بعد ، نظيفة كعروس ، فوضع المسمار على احدى عجلاتها ذات الزنانير البيضاء ودقه بحجر ، ثم ولى هاربا ، جارا وراءه ظلا من الاسف المكبوت .

كانت قدماه تقودانه في شوارع يعرفها حق المعرفة . وكان حزينا هذا الغروب . أيها الوغد ، ايها الوغد .. فيم المكابرة ؟ انت دون مهنة وستظل جائعا الى الابد . مهنتك هذه لا تشبه مهنة اخرى في العالم كله . لماذا لم تصبح طبيبا كما تمنت أمك لتعالجها من الروماتيزم المزمن المعشش في ساقيها ؟ لماذا لم ترث عن أبيك مهنته ، تحمل على ظهرك الصناديق الحديدية وتمضي من مكان الى مكان ؟ لماذا جرفتك وانت على مقعد الدراسة في الابتدائية لوثة للولع بالسيارات ؟



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عادل ابو شنب

لماذا أصبحت رجلا يبحث عن لقمته وهو في السابعة ؟

في المساء والحادثة ماثلة في عينيه كأنها وقعت قبل دقيقة واحدة استقبله ابو حاتم بتقطيبته . سلم وجلس .

قال الرجل الضخم المتلئة بطنه بالماء والغازات :

ـ حتى الساعة لم يمر بدكاني دولاب مثقوب .

قال له :

ـ .. مع انني وزعت المسامير كما ينبغي .

قال الرجل الضخم وهو يزفر :

ـ لو انك وزعتها كما ينبغي لنالني اليوم دولاب او اثنان على الاقل .

قال :

ـ ما من سيارة .. ما من شارع .. حتى السيارة الجميلة ذات العجلات البيضاء دققت مسمارا في ...

وقاطعه ابو حاتم مستنكرا بصوت بدا كأنه صفير قطار شحن :

ـ خسرتني ثمن المسامير . انا اعطيك ويستفيد الاخرون ..

وقال له في نزق :

ـ وما ذنبي انا ؟

وكأنما ايقظ هذا التساؤل حنق الرجل الضخم ، فاذا به يصيح كالمجنون :

ـ ما ذنبك ؟ اتركني وامض . انت لا تصلح لهذا العمل .

واستكان فلم يقل كلمة واحدة . كان قد الف تذمر الرجل البدين لكنه فوجيء هذه المرة باللهجة الحاسمة التي خاطبه بها . يستحيل عليه اذا ان يطلب قرشا أو رغيفا ، ليتك لم ترفض العمل في الدكان يومئذ . استسهلت ايها الوغد حمل المسامير الملعونة والطواف بها على الشوارع والسيارات .

اعتقدت انها اقل المهن جهدا ، فاذا بكتفيك تنوءان وقلبك لا يقوى.

وحمل جسده ومضى . لم يكن في جعبته سوى حزنه ، وشيء من الندم على العجلة التي اغرز فيها مسمارا بضربة حجر . كان يحب هذه السيارة ، ويحلم ، اذا ما وضع رأسه على مخدة في الليل ، بأنها سيارته ، يقودها كما يفعل ابطال السينما ، وها قد ثقب الحلم بنفسه وبمسمار من مساميره ، وعاش كابوسا مزعجا بعد ذلك . المسامير تملأ الشوارع . تنبت على الاسفلت كأنها سنابل قمح . السيارات تمضي في سرعات

جنونية . يكاد ان يسمع صوت هشيم السنابل . يكاد ان يرى القامات الشابة ، وهي تتقصف وتهرس العجلات تجري دون مبالاة كجيش اقدام يغزو حقلا متخما بالرزق .

اغتم اكثر واكثر وقتئذ . شعر ان قلبه يهتز في صدره ، يختلج كموتور سيارة مريضة . لتمت مسامير العالم لتعش عجلات السيارات ، لتمتلىء كرش ابي حاتم بالماء والغازات .. والحنق ، حتى وان جاع لن يحمل بعد الساعة مسمارا واحدا . انك لست مجرما ايها الوغد ، لست مجرما وقلبك ما يزال يبتسم .

واحتلت العتمة الشوارع ، ونال التعب منه ، ولم يجد مكانا يذهب اليه الا دكان ابي هادي المسلاتي القريبة .

كان المسلاتي يعمل ، بصعوبة ، في عجلة مثقوبة ، وكان لشهيقه وزفيره صوت مسموع . وتمنى ان ينتبه اليه فيساعده ، لكنه اكمل العمل كله وحده ، وهو واقف يتطلع نحوه في مودة مصطنعة بدت وكأنها استغاثة خامدة .

ورآه فجأة فهش له بحذر :

ـ تعال . خذ . اشتر لي رغيفا وبيضتين . لم اتغد بعد .

وركض على شفتيه . اشترى وعاد وأكل المسلاتي دون ان يقول له كلمة واحدة بعدئذ . كان ينظر فحسب اليه حينا ، والى العجلة المثقوبة حينا آخر . وكان لاضراسه وهي تهرس الخبز والبيض المخلوط بالفلفل صوت صاخب ، خيل اليه انه يشبه صوت حجر الطاحون .

أيها الوغد . ايها الوغد الخجل لماذا لم تقل له انك جوعان ؟ لماذا لا تقول : اريد ان آكل . اريد ان اعمل . بنظرات متحجرة ادرت معه حديثا لا يفهمه ايها الوغد .. قل .. قل ..

ودبت فيه الشجاعة اذ ادار المسلاتي ظهره وانحنى على العجلة:

ـ اريد ان اعمل ..

قال المسلاتي :

ـ لا استطيع ان استأجر احدا . انا لا اربح في اليوم الكثير . ننتظر الرزق من ثقوب العجلات وهي تضن به علينا يوما بعد يوم .

قال :

ـ ارجوك . اريد ان اعمل لآكل ..

ـ قال المسلاتي :

ـ جوعان ؟ خذ ..

ومد يده ببضعة فرنكات ، جعلها قرب عينيه وراح يغمغم :

ـ اعرفك . لو كنت تملك صبرا لعملت في دكان ابي حاتم .

قال في توسل :

ـ لو انك تعرف كيف يعاملني ..

قال المسلاتي :

ـ اعرف . أعرف . بصراحة انا لا اريدك في دكاني . خذ وانصرف .

ولم يأخذ شيئا . شعر انه مهان مدان . ولعدة ثوان .. لم يدر في ذهنه اي حديث . تصور ، فحسب ، ان عناقيد المسامير الملعونة تتدلى من اشجار عالية .. كأنها ثمار يانعة ، لا تقطف بسهولة . وهم بأن يعترف للمسلاتي بكل شيء ، واية مهمة كان يؤديها لابي حاتم ، الا انه لم يفعل . لقد كانت عيناه تدمعان وصوته بعيدا جدا عن حنجرته .

وفي الطريق راح يوزع احزانه على اعضاء جسده . شعر ، مرة ، انه لا يرى جيدا ، وشعر مرة ، انه ممعود ، واحس بالغثيان ، وبأنه مصاب كأمه بالروماتيزم ، لكنه كان متفتح الذهن ، يقلب افكاره على نار متقدة في رأسه . لو انك تعلمت ايها الوغد ، لو انك تعلمت لطردت الفقر لكنت الآن شيئا آخر ، معلما مرموقا في اضعف الايمان . لو انك التحقت بمهنة .. لكنت الآن واحدا من اربابها . لو كنت غنيا .. انت الان مسمار صدىء لا يقدر على الغوص في قطعة خشب . المكان الوحيد الذي يستطيع المسمار ان يخترقه هو قلبك .

ونهض الحزن الى راسه ليتقلب كاللحم المشوي ، على النار المتقدة هناك ، واحس بالمرارة ، وبانه لن يستطيع ان ينام او يشبع ، او يشعر بشيء من الطمأنينة ان لم يمض الى السيارة الجميلة التي اغرز المسمار في عجلتها ذات الزنار الابيض ، فيقف امامها ، وينتظر صاحبها ليقول له كل شيء أي شيء .

كان الليل قد استراح في المدينة وكانت عيناه اللهفتان .. النجمتين الوحيدتين في ذلك الشارع ، وكانت السيارة الكسيحة ، امامه ، تؤجج النار التي تتبختر في عروقه . وما هي الالحظات حتى جاء رجل ، فأخرج مفتاح السيارة من جيبه .

وبرز اليه .

كانت الشجاعة مزدهرة على راس لسانه .

ـ لا تتعب نفسك . لن تسير . العجلة مثقوبة بمسمار .

وبهت الرجل ، كان سمينا اصلع الراس ، له عينان صغيرتان مستديرتان كأنهما عينا بومة وزمجر .

ـ ماذا تقول ؟

رد بهدوء :

ـ العجلة مثقوبة بمسمار .

وصرخ الرجل وهو يهرع الى العجلة :

ـ وكيف حدث ذلك ؟ من انت ؟

وقال في هدوء مرسوم :

ـ سأشرح لك كل شيء .

كان كل ما يشعر به ان لسانه يتحرك . صحيح ان النار المتقدة في ذهنه قد بدأت تبرد ، لكنه كان في شبه اغماءة . الكلمات وحدها ذات حيوية ، وعينا البومة المدربتان على النظر في نقمة .. تحدقان اليه في ذعر وعدم تصديق . ماذا يهمه الان ؟ حسبه ان ابا حاتم اصبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سماح

ارفعي الظن عن الخل الامين ... وارحميني من تباريح الحنين
لم أزل كالعهد في دنيا الهوى ... غير ان الشك يودي باليقين
وقديما قال قوم سبقوا : ... جوهر الود وان صح ظنين
قسما ما الحب الا ما أرى ... من خدين يتفانى في خدين
لو بنى أهل الهوى هيكلهم ... فأنا فيهم امام العاشقين

ارفعي ما بيننا من حجب ... وانثري البسمات كالدر الثمين
واقبلي كالشمس في رأد الضحى ... وهي تسبى في الاصيل الناظرين
ليس لي من مطمع فيك سوى ... صفحك الغالي عن القلب الامين
وسماح القلب في عيد الندى ... كضياء البدر يهدي التائهين
فاذا الدنيا سنا في ناظري ... واذا انعمها عز مكين

لا ترومي غير حبي مؤنسا ... انما حبي شراع للسفين
انه يحوى افانين الهوى ... لا تردي صدق قلب لا يمين
لا تضني فالنوى اسقمني ... وحنيني فوق ما قد تحسبين
ان أكن صرت اماما في الهوى ... فأنا في الهجر أشقى المتقين

القاهرة — احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاريا ليس امامه وحده فحسب ، وانما امام الاخرين ، امام واحد منهم ، والبقية تأتي .

امسك الرجل البومة بقميصه المتسخ :

ـ وتعترف بوقاحة . لن اتركك سأسوقك الى السجن .

وشعر باللطمة فورا . هاك ما فعلته يداك ايها الوغد لم تتوقع نتيجة كهذه . زرعت نبتة في قلب غير ملائم ، لا يستطيع ان يفهمك . اعماك حقدك .

وسار به الرجل . كان يمسكه بيده مسكة شرطي مدرب . لم يكن خائفا او حانقا عليه . لكنه كان يشعر بان هذا الاصلع المتألق .. من عالم اخر يجهله من قبل . لشد ما يكره الان السيارة التي كان أحبها وحلم بها . ولا يدري لماذا تجسدت صورة ابي حاتم امام عينيه ، من بين مئات الصور التي تتالى تجسدها اثناء مشيته مع الرجل . بدا وجه ابي حاتم ، هذه اللحظة ، اليفا ، وكرشه الكبيرة الملأى بالماء والغازات .. مستودعا لطيبة مغمورة ، بركام من القسوة ذات الزبد ، والكلمات الضخمة التي تتبدد في الهواء ساعة انفلاتها من بين اسنانه الصفراء التي أكلها القلح والدخان المليء بالنيكوتين .

لم يقل كلمة واحدة كان الرجل وحده يزمجر كامرأة حامل توشك ان تضع :

ـ كلكم على هذه الشاكلة ارذال منحطون .

وارتفع دم الغضب الى عينيه . ارذال . منحطون . اوغاد ايضا . ليقل هذا الاصلع ما يقوله . ان مسكته هذه ومشيته وزمجرته ووعيده .. قد وضعت بينهما الحاجز الذي حاول لمرة يتيمة ان يحطمه .

على حين غرة ، شد يده من يد الرجل بحركة متوقعة فأصبح حرا . وتحركت ساقاه في قوة وعصبية لم يعهدهما فيه من قبل . انه الان كعصفور معافى من مرض ، يطير عائدا الى عشه القديم . انج بنفسك ، وامض بسرعة الى دكان أبي حاتم . قد تراه متجهما ، قد يسبك ، قد يعطيك وقد لا يعطيك ، لكنك ستشعر بطمأنينة وخدر العائد الى بيته ، لا تقل له شيئا . ابتسم واطلب المسامير فقط .. المسامير فقط ايها الوغد .

دمشق — عادل ابو شنب



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

حول معجم الاخطاء الشائعة

مهداة الى الناقد المجهول

بقلم محمد العدناني

* * *

بعدما نشرت مقدمة « معجم الاخطاء الشائعة » في عدد أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، راح احد الادباء المجهولين ، يرسل الهاتف تلو الآخر الى رئيس دائرة المعاجم التابعة لمكتبة لبنان ، منتقداً استعمالي :

١ ــ الفعل (صمد) في العبارة الآتية : « وهيهات ان يستطيع خصوم العرب النيل من ضادنا ، التي صمدت في وجه عواصف القرون الوسطى وعصر الانحطاط » .

٢ ــ وقولي : « لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر » . قائلا (الناقد) ان الصواب هو : « سواء أطال الطريق ام قصر » .

٣ ــ ومخطئا قولي : « اشكر للقراء التشجيع الذي لقيته منهم في شتى اقطار العالم العربي ، من محيطه الى خليجه » . قائلا ان (شتى) يجب ان لا تستعمل مضافة .

انني اشكر للاستاذ الناقد غيرته على اللغة العربية ، واتاحته لي الفرصة للبحث في هذه المواد الثلاث ، وفي رأي ابن جني السديد في حروف الجر واستعمالها ، وضمها الى « معجم الاخطاء الشائعة » . واعتب على الاستاذ ، لانه لم تكن لــه الجراة ليكشف اللثام عن هويته ، التي شاء ان يقبع بها وراء ستار حديدي ، ولانه بسلك طريقا من الهمز واللمز لا يحسد عليها ، بدلا من ان يرفع اللثام عن نفسه ، وينزل الى ساحة النقد ، مزودا بسلاح الادب والجراة والخلق الرفيع ، وقائلا :

أنا ابن جلا ، ونقاد البرايا متى اكشف لثامي تعرفوني

لم أشأ الرد فورا على الناقد المجهول ، لئلا يظن انني ارمي من وراء ذلك الى اقناع السيدين الفاضلين خليل وجورج الصائغ ، صاحبي مكتبة لبنان ، بصواب رأيي وخطأ الناقد . واخرت الاديب المجهول الى ان وقعت عقد النشر ، وبوشر بطبع المعجم .

والى الناقد المجهول ، وأخي في العروبة ، الذي كنت اود ان ينتقدني على صفحات « مجلة الاديب » الغراء ، مذيلا نقده باسمه الحقيقي ، اقول :

١ ــ قد تستند الى القرآن الكريم ، وتقول انه استعمل الفعل (ثبت) مع مشتقاته ثماني عشرة مرة ، ولم يستعمل الفعل (صمد) مرة واحدة .

٢ ــ والى قول ابن السكيت في باب « القصد والاعتماد » من كتابه (الالفاظ) : صمد له : قصد له .

٣ ــ ثم قول الصحاح : صمده يصمده صمدا : قصده .

٤ ــ فقول المحكم ، ٥ ــ فمفردات الراغب ، ٦ ــ فمقامات الحرير ، ٧ ــ فاساس الزمخشري ، ٨ ــ فمغرب المطرزي ، ٩ ــ فقاموس الفيروزأبادي ، ١٠ ــ فمحيط المحيط ، ١١ ــ فمد القاموس، ١٢ ــ فمتن اللغة . وجميعها تذكر اما (صمده) ، او (صمد له) ، او (صمد اليه) ، او تذكر بعضها ، او كلها ، وتقول ان معناها هو: قصده ، او قصد له ، او وقف ازاءه .

١٣ ــ ثم جاء الدكتور مصطفى جواد ، فذكر في الجزء الاول من كتابه « قل ولا تقل » ان استعمال (صمد له) بمعنى : ثبت ، هو خطأ ، وان الصواب هو : ثبت له ، وان مصدر (صمد) هو الصمد (بفتح فسكون) ، لا الصمود ، وايد رايه بالبراهين الآتية :

أ ــ ان صمد (بفتح ففتح) هو فعل تحرك وسير ومشي الى امام ، ولا يجوز اطلاق فعل من افعال الحركة ، ولا اسم من اسمائها على السكون والوقوف واللبث .

ب ــ قال مختار الصحاح : « الصمد (بفتح ففتح) : السيد ، لانه يصمد (بضم فسكون) اليه في الحوائج ، اي : يقصد ، يقال : صمده يصمده ، أي : قصده » .

ج ــ استشهد بقول ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة) : « الصاد والميم والدال اصلان : احدهما القصد ، والآخر الصلابة في الشيء » .

د ــ قال الزمخشري في كتابه (الفائق) ، في قصة بدر ، عن معاذ بن عمرو الجموح انه قال : « نظرت الى ابي جهل في مثل الحرجة (الشجر الملتف) ، فصمدت له ، حتى اذا امكنتني منه غرة، حملت عليه » . قال الزمخشري : « الصمد : القصد » .

هـ ــ استشهد بحديث المقداد : « ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلى الى عود او عمود الا جعله على حاجبه الايمن ، او الايسر ، ولا يصمد له صمدا ، أي : لا يقابله مستويا مستقيما ، بل كان يميل عنه » . في الكتاب : يميل منه .

و ــ استشهد بما جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري : « وبعث الى علي بالفتح والسبي ، ثم صمد لبنات كسرى ، فنزلن على امان » .

ز ــ استشهد بقول الصحابي حنظلة الكاتب لعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) : « اشخص الى الرها ، اصمد له حتى ينقضي هذا الامر » .

ح ــ استشهد بعبارة جاءت في كتاب صفين ايضا : « وصمم ابن بديل على قتل معاوية ، وجعل يطلب موقفه ، ويصمد نحوه ، حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتهى الى عبد الله بن عامر واقفا » .

ط ـ ثم استشهد الدكتور مصطفى جواد بجمل قالها البلاذري في حصار مسلم بن عقبة المدينة المنورة ، ومعقل بن قيس الرياحي في كتاب بعث به الى الامام علي (رضي الله عنه) ، وزياد بن خصفة في كتاب بعث به الى الامام ايضا ، وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص يحث على القتال ، واستشهد بامر مروان لحبيش بن دلجة القيني ، وقول المبرد في الكامل عن ابي بكر حين انتضى السيف ، وصمد نحو احدهم، وقول الطبري عن عمرو بن العاص حين صمد الى الارطبون ، وقول الواقدي في اخبار بدر ، حين صمد الامام علي (رضي الله عنه) لعبد الله بن المنذر بن ابي رفاعة ، وبما جاء في كتاب عبد الحميد الكاتب الى بعض قادة مروان ، آخر الخلفاء الامويين : « متوكلا على الله فيما صمدت له ، واثقا بنصره ... ثم اصمد لعدوك المتسمي بالاسلام » .

ولا انكر ان جل هذه الشواهد تدل على ان الصمد هو القصد لا الثبات .

ولكن :

١ ـ نحن نستشهد بصحة الكلمات التي وردت في القرآن الكريم، ولكننا لا نستطيع انكار وجود كلمة في اللغة العربية ، وجدت في احد المعاجم ، او بعضها ، او كلها ، اذا لم تذكر في القرآن الكريم ، لانه ليس معجما مفروضا عليه ان يورد في آياته كل كلمة في لغة الضاد .

٢ ـ ان الفعل (صمد) ، الذي قال احد عشر مصدرا لغويا محترما ان معناه (قصد) ، والذي استعمله ثلاثة عشر عربيا قديما (بينهم الصحابي والاديب والمؤلف) بمعنى (قصد) ، لا يعني ان غيرهم لم يستعمله بمعنى (ثبت) .

٣ ـ كون الفعل (صمد) فعل حركة ، وعدم جواز استعماله فعلا للسكون ، ينقضه ما يأتي :

أ ـ قول ابن فارس نفسه ، الذي استشهد به الدكتور مصطفى جواد ، لانه يقول ان الاصل الثاني للصاد والميم والدال هو الصلابة في الشيء . واين الحركة من الصلابة ؟ وهل تعني الصلابة غير الثبات ؟

ب ـ اذا كان الصمد (بفتح ففتح) هو السيد الذي يقصد في الحاجات ، فكيف نجده اذا كان متحركا ؟ وهل للمتحرك مكان خاص به ، يثبت فيه ؟

ج ـ ان ما قاله الزمخشري في (الفائق) ، قال ابن الاثير بعده في (النهاية) ما يناقضه (في حديث معاذ بن الجموح في قتل ابي جهل : « فصمدت له حتى امكنتني منه غرة » . اي : ثبت له ، وقصدته ، وانتظرت غفلته) .

د ـ يدل حديث المقداد على ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثابت في مكانه ، لا يمكنه الانتقال منه ، لانه كان يصلي . والصلاة تفرض على المصلي البقاء في مكان واحد لا يريمه .

٤ ـ استشهد اللسان بتفسير ابن الاثير ، دون ابداء اي شك في صحته .

٥ ـ جاء في اللسان ايضا : « وفي حديث علي : فصمدا صمدا ، حتى يتجلى لكم عمود الحق » .

٦ ـ ثم قال اللسان: «اصمد (بفتح فسكون ففتح ففتح) اليه الامر (بفتح الراء) اسنده » . والمفروض في المسند اليه ان يكون ثابتا .

٧ ـ قال ابن الاعرابي : « الصماد سداد القارورة » . وسداد القارورة فائدته في ثباته مكانه ، لانه اذا زحزح عنه اصبح بلا فائدة .

٨ ـ وقال ابو عمرو : « الصمد (بفتح الميم) من الرجال : الذي لا يعطش ولا يجوع في الحرب » . وفي هذا نوع من انواع الصبر والثبات على العطش والجوع .

٩ ـ استشهد التاج بتفسير ابن الاثير ، دون ان يبدي اي شك في صحته ، وهو الذي عودنا ان لا يحجم عن ذكر اي شيء شك فيه .

١٠ ـ ويقول التاج : « الصمد (بفتح فسكون) : المكان المرتفع الغليظ من الارض ، لا يبلغ ان يكون جبلا » . وهذا ثابت مكانه طبعا.

١١ ـ والصمدة او الصمدة (بفتح الصاد وضمها وتسكين الميم). صخرة راسية في الارض . من يحركها ؟

١٢ ـ والصماد : ما يلفه الانسان على رأسه من خرقة ، او منديل ، او ثوب (دون العمامة) . والصماد لا يظل مكانه الا اذا ثبت على الرأس .

١٣ ـ والصمود (بفتح الصاد) : اسم صنم كان لعاد . ونحن اذا اردنا ان نصف انسانا بالجمود وعدم الحركة ، قلنا : وقف كالصنم .

١٤ ـ الناقة المصماد : الباقية على القر والجدب . وهل تعني كلمة (باقية) هنا الا (ثابتة) .

١٥ ـ وقال الصاغاني : « المصمد (بتضعيف الميم وفتحها) : هو الشيء الصلب الذي ليس فيه خور » . وهل نجد الصلابة في الثبات أم في الحركة ؟

١٦ ـ قال دوزي في المجلد الاول من « مستدرك المعاجم » : « الصمودية : الصلابة . صامد : ثابت صلب » . فاذا كان الصامد هو الثابت ، فلا بد ان يكون اسم الفاعل (الصامد) قد أتى من الفعل (صمد) ، الذي لم تذكره جل المعاجم ، كما اتى اسم الفاعل (الثابت) من الفعل (ثبت) .

١٧ ـ قال المعجم الوسيط الذي اصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة : « صمد يصمد صمدا (بفتح فسكون) وصمودا (بضم الصاد) : ثبت واستمر » . ومنه قول الامام علي : « صمدا صمدا حتى يتجلى لكم عمود الحق » : ثباتا ثباتا .

هذه البراهين الكثيرة ، وبينها ما جاء في اللسان والتاج الخالدين ، تجعلنا نؤيد :

أ ـ استعمال (صمد) بمعنى (قصد) .

ب ـ واستعمال (صمد) بمعنى (ثبت) .

ج ـ والاكتفاء باستعمال المصدر صمد (بفتح فسكون) ، الى ان تصدر الطبعة المزيدة المنقحة من « المعجم الوسيط » ، في نهاية هذا العام ، ثم ظهور الاجزاء الاخرى من « المعجم الكبير » ، الذي يصدره مجمع القاهرة ايضا ، لان « المعجم الوسيط » هو المعجم الوحيد ، الذي ذكر المصدر (صمود) .

اما تخطئة الناقد المحترم قولي : « لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر » . وقوله ان الصواب هو : « سواء أطال الطريق ام قصر » . فانني ارد عليه بما يأتي :

ربما استند الناقد الفاضل الى قوله تعالى في الآية ١٩٣ من سورة الاعراف : « سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون » ، والى ورود (سواء) متلوة ب (الهمزة) و (ام) ست مرات اخرى في القرآن الكريم .

ولكن :

١ ـ جاء في « النحو الوافي » : « يصح في الاسلوب المشتمل على (أم) المتصلة الاستغناء عن الهمزة بنوعيها (همزة التسوية وهمزة التعيين) ، ان علم امرها ، ولم يوقع حذفها في لبس . فمثال حذف همزة التسوية : « سواء على الشريف راقبه الناس أم لم يراقبوه ، فلن يرتكب اثما ، ولن يقع في محظور » .

٢ ـ اما مثال حذف همزة التعيين ، فقول الشاعر عمر بن ابي ربيعة :

بدا لي منها معصم حين جمرت وكف خضيب زينت ببنان
فوالله ما أدري ، وان كنت داريا بسبع رميت الجمر ، أم بثمان

يريد : أبسبع أم بثمان . (التجمير : رمي الحصى ، وهو من مناسك الحج) .

٣ ـ يقول ابن مالك (في الفيته) في حذف الهمزة :

ذكرى

أواه من جمر الجوى أواه
ما كان خاصمني الكرى لولاه
جفنان ما طعما منامـا .. الهوى
أذكى اوارهما السهى .. والآه
عيناك عالقتان في نجم السما
تسترجعان النجم في مسراه
يا ليل .. والاصفاد قدت من دمي
جرحا تنز على الرياح دماه
شفتان ضارعتان .. ما أعتى الهوى
جف التوسل .. وانطوت شفتاه
اني لابصرها خيالا شاردا
ألقي تبتمه .. ولا القاه
ما ان تمر بي الصبابة مرة
الا ويعقب كأسها شكواه
ويلي على حب يكاد يزفني
من فوق نعش ناحب .. ويلاه
الحب .. أين الحب في طيف قضى
ومضى .. وخلف للحشى أصداه
يا دعد ، ملء دمي وملء فمي هوى
يجتاحني .. وتهزني ذكراه

سعد البواردي

وربما اسقطت الهمزة ان كان خفا المعنى بحذفها أمن ببناء الفعلين (اسقط) و (أمن) للمجهول . (اسقطت : حذفت) . يريد : قد تحذف الهمزة بشرط ان لا يؤدي حذفها لخفاء المعنى ، والوقوع في اللبس .

٤ ـ تحذف الهمزة اذا كانت (أم) ، التي تأتي بعدها ، منقطعة تفيد الاضراب ، مثل (بل) . كقوله تعالى في الآيتين ٢ و٣ من سورة السجدة : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه » . وقد جاء في تفسير الجلالين : « تنزيل القرآن لا شك فيه من رب العالمين ، بل يقولون افتراه محمد » .

٥ ـ قال الاخطل التغلبي :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ؟

أي : أكذبتك عينك ؟

٦ ـ قال ساعدة بن جؤية :

يا ليتشعري، ولا منجى من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم؟

وفي رواية اخرى : الا منجى ، وعليه تكون (أم) متصلة لا منقطعة .

لذا يحق لنا ان نقول :

أ ـ لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، طال الطريق ام قصر .

ب ـ لا بد لنا من الوصول الى نهاية الشوط ، سواء أطال الطريق ام قصر .

وانا اوثر ان نستعمل اولى الجملتين ، لانها اكثر اختصارا ، ولا يوقع حذف الهمزة فيها في لبس .

اما جواز اضافة (شتى) ، فالى الناقد المجهول رأيي :

ربما اعتمد الاستاذ الملثم على :

١ ـ قوله تعالى في الآية ٥٣ من سورة طه : » وانزل من السماء ماء ، فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى » . وقد جاء في تفسير الجلالين : « شتى : جمع شتيت ، من شت الامر : تفرق » .

وفي الآية ١٤ من سوة الحشر : « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .

وفي الآية ٤ من سورة الليل : « ان سعيكم لشتى » أي : مختلف .

٢ ـ وعلى الحديث : « يهلكون مهلكا واحدا ، ويصدرون مصادر شتى » . أي : متفرقة . وعلى حديث اخر عن الانبياء : « وامهاتهم شتى » . أي : دينهم واحد ، وشرائعهم مختلفة . وقيل : أراد اختلاف ازمانهم .

٣ ـ وعلى المعاجم ، ومنها الصحاح الذي قال : « قوم شتى ، واشياء شتى » . وقد شرحها التاج ، فقال : « قوم شتى : متفرقون. قيل انه جمع شتيت كمرضى ومريض ، وقيل مفرد » .

ولكن :

أ ـ ورود كلمة (شتى) في القرآن الكريم والحديث الشريف غير مضافة ، لا يعني انها لا تأتي مضافة ، او انها يجب ان لا تأتي مضافة، لانهما ليسا معجمين ، ولا كتابي نحو ليستوعبا كل كلمات اللغة العربية وقواعدها .

ب ـ لم يفرض ائمة النحو علينا ان نعرب (شتى) حالا دائما ، وغير مضافة ، كما فعلوا ب (كافة) ، ومع ذلك استعمل عمر بن الخطاب (كافة) مضافة ، بقوله : « على كافة المسلمين » ، ووافقه على ذلك امام البيان علي بن ابي طالب ، رضي الله عنهما .

ج ـ لم يذكر أي معجم ، ولا أي كتاب نحوي ان (شتى) يجب ان لا تضاف . ولو كان ذلك غير جائز لذكره بعضهم ، او جلهم ، ان لم يذكروه جميعا .

د ـ لا تستعمل المعاجم وكتب النحو جميع الجموع في اللغة العربية ، او الكلمات المفردة ، وهي في حالة الاضافة .

هـ ـ لا انكر ان ورود (شتى) في اللغة العربية غير مضافة كثير، ولكن هذا لا يحول دون استعمالها مضافة .

و ـ الشاعر الجاهلي المضري الفحل تابط شرا (ثابت بن جابر)، الذي قتل سنة ٨٠ قبل الهجرة ، والذي افتتح الضبي مفضلياته بقصيدة له ، مطلعها :

يا عيد مالك من شوق وايراق ومر طيف على الاهوال طراق

جاء في قصيدة له ، مدح بها ابن عمه ، بقوله :

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى ، شتى النوى والمسالك

اراد : مختلف النوى .

ز ـ وقال معاوية : « في الحيس (طعام من تمر) طيبات ، جمعن من شتى » . أي : من شتى الاماكن .

ح ـ يقول كثير من المعاجم ان كلمة (شتى) هي جمع شتيت ، مثل مريض ومرضى . فلماذا يجوز لنا ان نقول : هم مرضى العقول ، ولا يجوز لنا ان نقول : هم شتى الاهواء ؟

هذه الادلة تجيز لنا ان نقول : (١) اهواؤهم شتى . (٢) هم شتى الاهواء .

اما حروف الجر واستعمالها ، فانني ارجو الناقد الفاضل ان يقرأ ما كتبته عن رأي ابن جني والبطليوسي في تلك الحروف في عدد شباط (فبراير) ١٩٧٢ من هذه المجلة الرائدة .

وفي الختام اهدي الى الناقد الحيي حبي وشكري وصفحي عما بدر منه ، لان بين قلبي والحقد عداوة حمراء ، راجيا ان يسفر عن نفسه .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شقيقي

المرحوم عبد الفتاح عامر بحيري (اكتوبر ١٩٠٤ مارس ١٩٧٢) كان
رحمه الله اديبا وشاعرا وعازفا ماهرا على العود

أصديق أنت أم غير صديق ... أيها الناعي الذي ينعي شقيقي
او تدري أي زهر ناضر ... قطف الموت على غصن وريق
او تدري أي نفس حرة ... قد سقاها الخلد من أي رحيق
او تدري أي شمس قد مضى ... قرنها الزاهي الى غير شروق
اظلمت من بعدها دنيا الهدى ... والاخاء السمح، والود الوثيق
وترآءى الغيب عن آخرة ... فجرها بالتبر لماح البريق
انما الدنيا طريق للردى ... فانتبه.. انك في اخرى الطريق

يا لقلبي من مصاب فاجع ... لذعه كالسم يسري في عروقي
أنا في الستين من عمري ، فما ... أصبح الواهي لحمل بمطيق
لا فؤادي يحمل الحزن ، ولا ... جسدي يقوى على لذع الحريق
هو صنوي وشقيقي في الصبى ... كيف يزكو الروض من غير الشقيق
فرقت ايامنا ما بيننا ... تنزع الدر من العقد النسيق
أين في الخرطوم منى نشأة ... وهو في المسجد والدرس رفيقي
زاخر النيلين عند الملتقى ... دون ما نضمر من ود عميق
وهو من علمني الشعر.. ومن ... كان فيه عمدتي.. كابن رشيق
ولقد حملني اثقاله ... ومضى يسبح في لحن رقيق
تاركا للعود في اجوائه ... نغم العطر ببستان عبيق
حاضر النكتة لا يمنعها ... ضاحك السن، على هم وضيق

ما أخي الا أب .. فارقته ... لم اجد منه سوى القلب الشفيق
وطني صادق علمني ... طلب العدل ، وايثار الحقوق
أنا في مصر على بعد اللقا ... وهو في السودان أهلي، وفريقي
والخطابات توالى بيننا ... بالشعور الحي، واللفظ الانيق
كنت أشكو لاعج الحزن له ... من سواه اليوم للحزن الدفوق
لا يجف اليوم دمعي ابدا ... مزج الخافق دمعي بالعقيق

يا شقيقي ، انت في الحق أنا ... وأنا أنت .. بتعبير دقيق
وأنا الميت .. لولا شبح ... صارع الموج ضعيفا كالغريق
في رضى الله وفي رحمته ... خلق من طيب الاصل عريق
واخاء كلما عاودني ... هب نسم من حمى البيت العتيق
كنت في الجيزة ادنى موضعا ... من محب، صادق الود، مشوق
غير ان الدهر قد حطمنا ... وبرى القيد يد الحر الطليق
ورمى قلبك سهم نافذ ... ليس قلبي منه دهرا بمفيق
رن قبل الفجر حولي هاتف ... حاملا صوتك من واد سحيق
قال لي : دنياك لهو ، فانتبه ... بات نبض القلب معدود الخفوق
وحياة المرء ان حققتها ... لعبة ، بين زفير وشهيق

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كامل الشناوي جوانب من حياته وفكره

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

عرفت (الشناوي) في شعره ونثره واعجبت به وواظبت على قراءته وجمع ما كان يكتبه من يوميات تحدث فيها كثيرا عن نفسه ... كل ما كتبه الشناوي جميل وعميق، فقد صور خلجات نفسه بعبارة نابضة تحس فيها بانفاسه الحارة ، كلماته حية لها نبض وروح ، تتحرك وتنطق ، وتسمعك اعمق اعماق قلبه وفكره . كانت الكلمة زاده في الحياة ، وصديقه الوفي ، يلجأ اليها اذا غدر به صديق ، او اعرض عنه حبيب ، او حيره وجوده .

كان الشناوي انسانا حي الوجدان ، وفنانا مفتوح العين والحس والضمير ، لذا نجد في كل ما كتبه مادة انسانية وفنية ... عاش حياته بطريقته الخاصة واسلوبه الخاص ، وعبر عنها بصدق وعمق ، عبر عن فرحه وحزنه وآلامه وتأملاته وحيرته . عبر عن كل شيء بصدق وامانة ونقل لنا ما في اعماق قلبه وفكره صراحة لا تلميحا .

كانت كلماته قوية موحية ، يعيش فيها القارىء بروحه وحسه وتستحوذ على كل تفكيره ومشاعره ، وقد حدثنا الشناوي عن سر قوة الكلمة وتأثيرها في قوله : « ليس هذا السر في البناء اللفظي النابض بالموسيقى ورشاقة التعبير ، فالكلمة النابضة الرشيقة تبهرنا بجمالها ولكنها لا تؤثر فينا ، اما الكلمة المؤثرة فهي تلك التي تنبع من متكلم يستطيع ان يحولها الى حقائق مقررة .. ان الكلمة المؤثرة هي (شيك) قيمته الحقيقية ليست في ضخامة الرقم او صحة الامضاء ، وانما القيمة في الرصيد الذي يملكه صاحب الشيك » .

كان الشناوي انسانا وفنانا وهذا هو سر قوة كلماته وتأثيرها ... عاش الشناوي ليعبر عن حياته بالكلمة التي تنبض وتنطق وتؤثر وكان رصيده الصداقة ومحبة الناس ... كان يحب الناس ، كل الناس ، وكان في عشرته لهم يدرسهم ويجعل منهم مادة لكتاباته .. قال في ذلك : « انا لا اجلس مع الناس لاقتل وقتي ، وانما اجلس معهم لاخلق النبض في حياتي ، والطريقة التي ادير بها الحديث في مجالسنا ، تشحذ خواطري ، وتساعد افكاري على تدريب عضلاتها . وفي كثير من الاحيان اترك بيتي او مكتبي بعد عمل دائم يستمر حتى منتصف الليل واذهب الى حيث اجتمع بناس استريح لهم ، او اضيق بهم ، فالراحة والضيق يثيران شوقي الى الكتابة ، وانا لا اعرف كيف اكتب دون ان احس لذعة الشوق وحرارته » .

كان الشناوي يعبر تعبيرا صادقا عن نفسه وكان لا يخط كلمة لا تعبر تعبيرا نابضا عن حسه وفكره ... كتب قبل وفاته بقليل بعنوان « الكلمة ... اصبحت مشكلتي » قال : « طال حنيني الى التعبير عن مشاعري وافكاري بالكلمة ، فمنذ اصابني المرض في اواخر العام الماضي ، وانا اشعر بعجزي عن تسجيل انفعالاتي بالالفاظ والحروف .. كم من خاطر يختلج في نفسي فأحاول ان اجعل له وجودا بأن اعبر عنه فاذا تعبيري ناقص او غامض. وقد افهم التعبير برغم نقصه وغموضه، ولكن الصعوبة ليست في ان يفهم الكاتب ما يكتب ، وانما الصعوبة في ان يفهم القراء ما يعنيه الكاتب لكي يعيشوا معه احاسيسه وخواطره فمن غير هذه المشاركة العاطفية والفكرية بين الكاتب والقارىء تصبح الكتابة صوتا بلا صدى » .

كان الشناوي يكتب بسرعة ، وفي اي مكان ، وكانت الجلبة او الضوضاء لا تقطع حبل تفكيره، او تعوقه عن التفكير . وقد قال الاستاذ انيس منصور يصف خطه : « كانت سرعته تجعل الحروف لا تبعد كثيرا عن السطر.. ولذلك جاءت حروف الالف واللام وغيرها من الحروف الراسية ، كلها مكسورة الرأس حانية الظهر حتى لا تبعد يده عن السطر وحتى لا تستغرق وقتا طويلا في العلو والانخفاض » .

وسر هذا ان الشناوي لم يكن يجهد نفسه وتفكيره بل كان يغرف من نبع قلبه وفكره ، من نبع يفيض بالاحاسيس والافكار والتجربة ، كان القلم دلوه يلقي به في النبع الغني المتدفق فيملأ الورق دون جهد .. وكان يكتب بين الناس ولا يجعله هذا يتعثر في كتابة ما يريد . فهو لم يكن يعد نفسه للكتابة بل كان يكتب ما يلح على فكره وقلبه .

ولد الشناوي في قرية « نوسا البحر » مركز « أجا » في شهر ديسمبر عام ١٩٠٨ وكان والده قاضيا شرعيا ، اراد له ان يلتحق بالازهر ليتفقه في الدين ثم يلتحق بمدرسة القضاء الشرعي ، والتحق الشناوي بالازهر ، ولكنه خلع الجبة والقفطان وارتدى الملابس العادية واتجه اتجاها آخر غير الاتجاه الذي كان يريده له والده ... وعمد الى التثقيف الذاتي بالقراءة والاحتكاك بالاوساط الادبية والفنية . ويحدثنا عن ذلك في يومية من (يومياته) بعنوان « الانسان الفنان ... الذي فتح لي الطريق » يقول : « عرفته في سنة ١٩٣٠ ، كنت شابا صغيرا ، وكانت الاحداث السياسية الداخلية قد اقصتني عن الدراسة واتجهت الى دار الكتب اشبع فيها نهمي في مطالعة كتب الادب ، والتاريخ ، ودواوين الشعر ، وعلم المنطق وآراء الفلاسفة . كنت اقضي في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دار الكتب اربع ساعات اقرأ وانقل واحفظ عن ظهر قلب ... وبغتة احسست اني اصبحت كاتبا وشاعرا.. وكنت اتهيب التردد على الصحف لنشر ما خيل لي اذ ذاك انه جدير بالنشر ! فقد كان الخجل احد عيوبي الجميلة .. واخترت من بين الاصدقاء عشرة والفنا جمعية للادب والتمثيل .. وكنا نلتقي في قهوة الفن بشارع عماد الدين بعد ظهر كل خميس ، وفي هذا المقهى رأينا بأعيننا يوسف وهبي ، ونجيب الريحاني ، وبشارة واكيم ، وزكي طليمات ، وروزا اليوسف ، وعباس العقاد ، وابراهيم المازني ، ومحمد التابعي .. وهذا الانسان الفنان المفكر ... وجلسنا معه ذات يوم ، سألناه : هل انت فلان ؟ نعم .. ومن انتم ؟ نحن اعضاء جمعية الادب والتمثيل . فضحك وقال : اريد ان اسألكم ماذا تعلمتم ؟ واخذ كل واحد منا يعدد له الكتب التي قرأها ويعرض عليه محاولاته في تأليف قصة او مسرحية ، ولم اجرؤ على ان اقدم له شيئا ، ولكنه سألني : وانت ماذا تكتب ؟ وحاولت ان اتهرب من عرض شيء عليه فقلت انا ممثل !! وضحك زملائي .. وقالوا جميعا انني لست ممثلا وانما انا شاعر ... فقلت أنا امثل دور الشاعر ! فقال : هذه الاجابة تدل على انك موهوب فعلا ، وشجعني قوله على ان انشد له احدى قصائدي بنبرة خافتة وصوت مضطرب فأعجبته وطلب مني ان اكتبها واخذها ، وطواها في جيبه وبعد ايام وجدتها منشورة في « البلاغ الاسبوعي » وكان المفكر الفنان مشرفا على هذا الملحق الادبي الذي يصدر كل يوم جمعة ، ولم استطع ان انتظر الى يوم الخميس القادم حتى اراه في المقهى واشكره ، فذهبت اليه في مكتبه بجريدة البلاغ مساء الاثنين وعندما رآني ابتسم وقال : انت فين ، شوقي بك جاء هنا وسأل عنك ، لقد اعجبته القصيدة » .

كان الانسان الفنان ... الذي فتح للشناوي الطريق هو الاستاذ ابراهيم المصري الذي مكن الشناوي من مقابلة الكاتب الكبير عبد القادر حمزة ، ثم مكنه من الالتقاء بأمير الشعراء أحمد شوقي ... ويتابع الشناوي حديثه عن (ابراهيم المصري) فيقول « ترددت على الاستاذ الكاتب المفكر الفنان في مجلسه بالمقهى ، وكان المجلس ندوة ثقافية ، وكان الادباء الناشئون يلتفون حول استاذهم فيسألونه بسذاجة ويجيبهم بعمق ، وقد هداني الى قراءة بعض الكتب التي تهتم بفن الادب ، والكتب التي تعالج الموضوعات النفسية والفلسفية » .

ويحدثنا الشناوي عن اشتغاله بالصحافة فيقول : « لم اتعلم الصحافة في معهد من المعاهد المخصصة للدراسات الصحفية ولكني تعلمتها في مدرسة التجربة وما زلت حتى الآن تلميذا صغيرا فيها ... ولقد دخلتها عام ١٩٣٥ وكنت في السابعة والعشرين من عمري ، وكان لي ولع شديد بقراءة كتب الادب ، ودواوين الشعر ، وكانت ذاكرتي تعي الكثير من الشعر القديم والشعر الحديث وخيل الي ان هذه المعلومات تكفي لكي تجعل مني اديبا ، وشاعرا ، وكاتبا ، وصحفيا ايضا ! كنت من شباب الوفد ، وكانت جريدة « كوكب الشرق » احدى الصحف الوفدية ، فذهبت اليها ، وقابلت صاحبها المرحوم الاستاذ حافظ عوض بك ، وقدمت اليه ابياتا من الشعر ضد صدقي باشا واعجب حافظ عوض بالابيات ونشرها في مكان بارز .. وعدت اليه بعد ايام ومعي ابيات اخرى فأرسلها امامي الى المطبعة ، وشجعني بعبارات رقيقة وسألني عن صناعتي فقلت اني لا اصنع شيئا .

فقال : هل عندك مؤهلات دراسية ؟

قلت : لا ..

قال : لماذا لم تفكر في الاشتغال بالصحافة ؟

قلت : فكرت ولكني لم اعرف كيف احقق افكاري!

فقال : هل عندك مانع من الاشتغال في كوكب الشرق ؟

قلت : هذه امنية .

فقال : هل تريد ان تشتغل محررا تكتب مقالات او مخبرا صحفيا ؟ قلت اشتغل محررا .

فقال : اذهب الى الغرفة المقابلة واختر لك مكتبا فيها ، ثم تعال لنتفق على المرتب .

وعدت اليه فسألني : كم يكفيك ؟

عشرة جنيهات تكفي ! فقال : اتفقنا » .

وبدربه صاحب جريدة « كوكب الشرق » على كل الاعمال الصحفية فيعمل مصححا ، ثم يعلمه كيف يتصيد الاخبار من مصادرها وهو يعمل مصححا . وفي احد الايام دعاه حافظ بك الى مكتبه وكلفه ان يكتب كلمة ينتقد فيها تصرفا لوزير المعارف محمد حلمي عيسى ، وقد اعجبته الكلمة ونشرها في الصفحة الاولى ، وطلب من الشناوي ان يترك التصحيح قائلا له : « ستكون منذ اليوم محررا للصفحة الادبية على ان تراجع المقالات التي تصل الينا من الخارج وتكتب تعليقات صغيرة » .

وهكذا اتيحت الفرصة لكامل الشناوي ان يظهر في عالم الصحافة وكانت هذه الفرصة هي التي اظهرته .

ويتحدث الشناوي عن الصحافيين الكبار الذين عمل معهم امثال : محمود عزمي ، وجبرائيل تقلا ، وانطون الجميل ، وكيف افادوه بخبراتهم وتجاربهم ثم يقول « ليس هؤلاء وحدهم الذين علموني الصحافة فان اساتذة مدرستي ، مدرسة التجربة مئات ومئات ، بعضهم اكبر مني سنا ، وبعضهم اصغر مني سنا ، ولم اتعلم من الناس فقط ولكني تعلمت من الناس والاشياء ، تعلمت من كل ما شاهدته وما قرأته وما سمعته » .

عاش كامل الشناوي حياته بطريقته الخاصة واسلوبه الخاص ... احب الناس ، احبهم بخيرهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشرهم ، وفهم حقيقة الانسان فتعلم التسامح مع كل انسان ، قال في احدى يومياته « لا تظلنم الناس ، ان بينهم من يغلب عليه الخير فيمنحك الحب والود والغفران ، وبينهم من يغلب عليه الشر فهو يحقد عليك لكل سبب ، وبدون سبب . اذا كان ضعيفا ولم تعطف عليه كما يريد حقد عليك ... واذا عطفت عليه كما يشاء واكثر مما يشاء حقد عليك لانك قوي وهو ضعيف ، وقد علمتني التجارب ان اكون دائما مع المظلوم ، والذكي ، وصاحب الموهبة ، يستوي في ذلك من تنطوي روحه على الخبث ومن تنطوي روحه على الطيبة .. ولكي اتفادى اذى الجانحين الى الشر فقد تعودت ان اكتم عنهم ما اقدمه لهم من خير حتى لا يتعقبوني بحقدهم » .

كان الشناوي صديقا مخلصا مضحيا ، طيب القلب كطفل ... هكذا قال عنه كل اصدقائه وهذا ما يمكن ان يلمسه كل من يقرأ يومياته .. أحب الاصدقاء حبا عظيما ، وارتبط بهم ارتباطا وثيقا ، وقد يكون هذا للوحدة التي كان يعيش فيها بلا زوجة او ولد . قال مرة يعرف الفرق بين الصداقة والحب « الحب حاد ، والصداقة عميقة » وسئل : ايهما اقرب اليك صديقك ام أخوك ؟ قال : لقد اجاب عن هذا السؤال عربي عاش في عصور الجاهلية قال : انما أحب أخي اذا كان صديقي » .

كان عظيم النفس ، طيب القلب ، لا يحقد ولا يحمل ضغينة لمن يخونه او يغدر به . سئل « ما رأيك في فلان ؟ قال : صديق أحبه ويحبني » . فأدير امامه شريط مسجل سمع فيه صوت صديقه وكان يتكلم عنه بكلمات لها اظافر وانياب . فسئل « ما رأيك ؟ هل اقتنعت بانك لم تكن على صواب حين منحت صديقك هذا ثقة عمياء ؟ قال : سامحه الله ! »

كان لا يحقد ولكنه كان يتعذب كثيرا وطويلا عندما يغدر به انسان قريب الى نفسه وقلبه ، كتب مرة يقول: « صديق عمري مهندس وشاعر ورسام . اعداؤه يعترفون بمواهبه ، ولكنهم يتهمونه بالغدر وخيانة الاصدقاء والتآمر على الناس ، حتى نفسه ، حتى مهنته وهوايته وموهبته ! واصدقاؤه يتهمونه بالوفاء والصراحة وحب الخير ... واحصيت اعداءه فاذا هم مئات ، واحصيت اصدقاءه فلم اجد له صديقا سواي. حاول ان ينهشني وانا انحني عليه اضمد جراحه .. ولم أتالم ، ولكن اشفقت عليه من مواجهة اعدائه ! كيف ادفع عنه اذاهم وانيابه مغروسة في عنقي ؟ رفقا بأنيابك يا صديقي ... فلن تقتلني .. انني اعيش بالحب ، وانت تعيش بالكراهية ، والحب انتصار .. والكراهية خذلان سأبتعد عنك .. ولكن لن احقد عليك ... اعداؤك فقط هم الذين سأحقد عليهم ، فقد كانوا اذكياء وكنت انا الغبي ! يا صديق عمري.. لقد اخذت صداقتي والقيت بها في البحر فلماذا لم تأخذ معها عمري ! لن ابتعد عنك وحدك ، سأبتعد عنك وعن اعدائك حتى اوفر من وقتي كل يوم ساعة كنت دائما اقضيها في الدفاع عنك ... ولم اكن كاذبا في دفاعي ، ولكني كنت صادقا ، وكل ما حدث انك خدعتني بكذبك واني خدعت نفسي بصدقي ! »

كان الشناوي محبا لم يعرف الكراهية ، كان محبا للناس جميعا وكان يرى ان الانسان في حياته في حاجة الى كل انسان حتى ولو كان هذا الانسان تافها احمق . اسمعه يقول « ان الناس هم الاردية التي نلبسها في الحياة .. فيهم الملابس الداخلية ، وبينهم المعطف الذي ندفىء به الجسد ، وبينهم ربطة العنق التي تزين الصدر ، وبينهم الحذاء الذي يحمي القدمين من الحفاء ... »

كان الشناوي يحب الناس ويحب ان يكونوا معه في سهراته ... كان يسهر طول الليل وبعض النهار وينام معظم النهار ... وكان هذا هو السبب في ان كثيرا من اصدقائه لم يستطيعوا مجاراته ومن هنا كانت شكواه من وحدته وعزلته او انصراف الاصدقاء عنه . يحكي لنا الاستاذ محمد التابعي ان الشناوي تقدم لخطبة احدى قريبات (التابعي) ولم يوافق (التابعي) على هذا الزواج وعندما التقى التابعي بالشناوي في رأس البر .. احس التابعي ان الشناوي يريد ان يقول شيئا ولكنه يحس بالحرج فقال له الاستاذ التابعي : « تريد ان تسألني لماذا عارضت في زواجك من فلانة ؟ » قال : نعم ، قال التابعي « انت يا كامل مولع بالسهر طول الليل .. تقوم الليل كله .. وتنام النهار كله .. فماذا تفعل زوجتك الشابة طول الليل ... » وصمت الشناوي طويلا ثم قال : « اصبت ... الحق معك » .

وقال عنه صديقه الاستاذ انيس منصور « ان مشكلة كامل الشناوي ان حياته مرهقة له ، ومرهقة جدا لغيره .. وانه لا يستطيع ان يكون بمفرده .. وحتى عند النوم فانه لا ينام الا اذا صحا كل من في بيته .. او كل من في القاهرة .. ينام عندما تصحو الشمس » .

وقال عنه الاستاذ محمد التابعي : « كان ـ رحمه الله ـ يحب الحياة وينهل منها ملء راحتيه .. وبعض ما ينهله كان سما زعافا .. كان يتناول في اليوم الواحد ثلاثين او اربعين قدحا من القهوة .. وكان مريضا بالسكر والباوليتا » .

وقال الاستاذ انيس منصور : « لم يكن الشناوي بالرجل المنظم في حياته ، في طعامه او شرابه ، ولم يكن بالرجل المنظم في قراءاته او كتاباته ،او نومه او صحوه .. كان يرى ان الدنيا لا تساوي شيئا وكان يحرص بنظام دقيق على تحطيم هذه الحياة ... لقد كان كامل الشناوي جسيما ، وكانت امراضه وهمومه جسيمة

ايضا » .

وقال عنه التابعي : « كامل الشناوي انسان انتحر حبا بالحياة ! »

وقال انيس منصور « كانت حياة الشناوي مجموعة افكار وشلة اصدقاء وحفنة امراض » .

كان الشناوي على صلة بكل اديب وكل كاتب وفنان ومطرب ومطربة وممثل وممثلة وسياسي ، ولكل هؤلاء حكايات ونوادر معه .

كان الشناوي شاعرا فنانا ... بالاضافة الى كونه انسانا .. كان فنانا مبدعا .. كان في كل ما يكتب ينقلنا الى ذروة الحياة ، نحب ونتألم ، ونفكر ونسمو ، وننفعل بالخير والحق والحرية والجمال .. كان فنانا صادقا ، والفنان الصادق كما عبر عنه الشناوي هو الذي يستطيع ان يقول كلمته بلا تمزق ، وكثيرا ما قال مع جبران خليل جبران « قل كلمتك وامش » واخيرا قال الشناوي : « الفنان الذي يشق طريقه الى الخلود هو الذي يعرف كيف يقول كلمته ولا يتمزق ولا يمشي ولكنه يظل صامدا لها » .

عاش كامل الشناوي حائرا ... اعياه لغز الحياة ؟ كتب يقول « في احيان كثيرة يخطر لي ان حياتنا ليست الا وهما .. وان ما فيها من كائنات حية وحركة وامتداد زمني ، وابعاد ومسافات ، ما هو الا هواجس او كابوس او اضغاث احلام .. وهذا الخاطر يسيطر على نفسي كلما اصابني مرض او فقدت صديقا ميتا او حيا ، وحياتي مشحونة دائما بنوبات المرض . وعدد الاصدقاء الذين فقدتهم موتى ، اقل من عدد الاصدقاء الذين افقدهم وهم احياء » .

كان يؤلمه التفكير في الموت ...

ويقول في هذا :

أي معنى للورد
يولد في الروض صباحا
وينتهي في المساء ؟!

قال المرحوم جليل البنداري : سألته مرة ، ما هي الابيات التي تختارها لتصحبك في رحلتك الى الآخرة . قال : هذا البيت للعباس بن الاحنف :

استغفر الله ذنبا من محبتهم فانها حسناتي يوم القاه

ويسأله البنداري عن ذنوبه ، فيقول : ان لي اخطاء وليس لي ذنوب .

ويسأله البنداري : ما هو الخطأ الذي يتردى فيه الانسان وما هو الذنب ؟

الخطأ ينعكس اثره على نفسك ، والذنب ينعكس اثره على غيرك ... فاذا اهملت صحتك فهذا خطأ ... واذا سرقت ادوية الناس فهذا ذنب .. وانا - في حياتي - لم اسرق الادوية ، ولكني اهملت صحتي .

ويسأله البنداري : هل تتهيب من لقاء الله ؟

فقال : زمان - وانا في شبابي - لم يكن عندي التجربة ولا الممارسة لاعظم ما خلقه الله واتاح لنا ان نعيشه وهو الحياة . زمان لم يكن عندي الايمان عن تفكير وشعور ، كان الايمان شعورا فقط وقد اصبحت بحمد الله جديرا بأن القى ربي في كل لحظة ، فانا اؤمن به بفهم وافهمه بايمان ... من واجب الناس ان يقرأوا الحياة ويمارسوها بكل ما فيها ، عليهم ان يواجهوا فتنتها ، ومن استطاع مقاومة الفتنة فهو الذي يستحق ان يبعثه الله .

كان الشناوي حائرا اعياه سر الحياة وكان دائم التفكير في ما يعانيه الناس من آلام وشقاء ، لذا كان يبدو متشائما .. وينفي عن نفسه التشاؤم فيقول في مقدمة ديوانه « لا تكذبي » : لا تتهمني بالتشاؤم لان بعض الفاظي حزينة ، وبعض تعبيراتي مقطبة الجبين ، فما دام الموت يتعقب حياتنا ، وما دمنا لا نعرف من نحن ، فان المجانين وحدهم هم الذين يضحكون للحياة ويسمون ذلك تفاؤلا ، لست متشائما ، ولست مجنونا ولكني احاول ان اكون صادقا مع ما اشعر به وما افكر فيه ، وانا في شعري التزم بانسانيتي وخلجات نفسي وقد حاولت في شعري ان اغني وابكي وارقص بصدق وموسيقى .. ولا اعرف هل نجحت محاولتي او فشلت .. كل ما اعرفه اني كنت صادقا في غنائي وبكائي ورقصي .

كان الرجل قوي الاحساس ، دائم التفكير ، كثير التأمل ، صادقا في التعبير عن نفسه ، لا يخفي شيئا ، عبر عن كل ما يدور برؤوسنا ، ونخبئه في اعماقنا ... وكان يعيش حياته كفنان يرصد جميع احساساته ، ولكن مسحة من التشاؤم كانت تغلف تفكيره ، اسمعه يستقبل يوم مولده :

عدت يا يوم مولدي
عدت يأيها الشقي
الصبا ضاع من يدي
وغزا الشيب مفرقي
ليت - يا يوم مولدي
كنت يوما بلا غد
انا عمر بلا شباب
وحياة بلا ربيع
اشتري الحب بالعذاب
اشتريه فمن يبيع

واسمع ما عبر به اخيرا عن حياته :

« ما اشبه طريق حياتي ببيت نصفه مفروش ، والنصف الآخر خال من الاثاث .. اتلفت ورائي فأجد الايام تغطي طريقي ، وانظر امامي فأرى الطريق عاريا الا من يوم أراه ويوم لا أكاد اراه !

يا شقوتي من طريقي ... يثير خوفي كلما تقدمت خطوة ، ولا استطيع ان ارجع الى الوراء فهذا محال ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورحلت الشمس

وحين يعود ذات ضحى ... ويبحر عبره التذكار
سيبصر حوله قفرا ... فلا دور ولا أحجار
ويخطف سمعه صوت ... وما في الارض من ديار
ولا سفن على الشطآ ... ن قد حلت ولا أسفار

اذا ما عاد ذات ضحى ... وغطت دربه الامطار
وطأطأ باحثا في الار ... ض حينئذ عن الآثار
سيدرك ان موعده ... غدا خبر من الاخبار
وان الشمس قد رحلت ... وأن الدار غير الدار

اذا ما عدت يا حبي ... تذكر حكمة الاقدار
فلن يأسى لنا زمن ... ولن ينسك او ينهار
ستشرق مرة اخرى ... وتورق بعدنا أشجار

دمشق — سلافة العامري

هل اقف مكاني واتجمد حتى لا اصل الى العراء الذي ينتشر كالظلال القاتمة ؟ ان الوقوف والتجمد كلاهما موت ، وانا لا اخاف الموت ، ولكني لا اسعى اليه .

واذا ما ارسلت بصري امامي احسست الوحشة والكآبة ، وشعرت بأني فريسة لخيانات تنبع من اعماقي ، وليس هذا الشعور وهما ، فقد خانني عمري ... سرق شبابي واختلس قواي . خانني ذكائي فظننت الابيض اسود ، والاسود ابيض ! خانتني ذاكرتي فنسيت من انا ، وتوهمت اني ما ازال قادرا على ان اجدد صباي بانفعال عاطفي جديد .. وفي لحظة تبين لي اني لا اجدد صباي ولكني اجدد شيخوختي ! فأفقت من غفلتي ، واخذت حذري من خيانات العمر والذكاء والذاكرة .. ولم يسعني الا ان ارضخ للحقيقة واهرب من انفعالي الجديد » .

مات الشناوي ولم يترك كتابا يحمل اسمه غير ديوان شعر « لا تكذبي » وقد قال في احدى يومياته عن سبب احجامه عن جمع ما كتبه في كتب : « انا اتهيب تأليف كتاب يحمل اسمي . واني لاعرف ناسا يبهجهم ان تصدر لهم دور النشر كل يوم كتابا او قصة ، او ديوان شعر ، فما سر تهيبي مما يبهج هؤلاء الناس ؟ انا أومن بأن الحياة نمو وحركة ، وكل يوم انمو بالقراءة ، واتحرك بدراستي المباشرة للناس ، فحياتي متطورة وهذا التطور يغير نظرتي الى الاشياء ، فيثير شكوكا في آرائي او يدعم هذه الآراء . وكم من فكرة خطرت لي ، فلم اجرؤ على اذاعتها واكتفيت بتسجيلها في دفتر ادفنه بين كتبي المتناثرة في جميع غرف البيت حتى لقد صار بيتي اشبه بمقابر الصدفات . واحيانا تمتد يدي الى دفتر من هذه الدفاتر فأقرأ فيه سطورا تعجبني ، واقرأ سطورا اخرى لا تعجبني ثم اتركها كما هي ، فمن يدري لعلها تعجب غيري فيذيعها بعدما اصبح في ذمة التاريخ » .

لقد اصبح الشناوي في ذمة التاريخ وانا لنرجو ان ينشر كل ما كتبه على محبي فنه .. وما لم ينشر من انتاج الشناوي كثير ، عدده لنا في احدى يومياته ، قبل موته قال : « ظللت طيلة اليوم اراجع اوراقا لم انشرها بعد ، فوجدت قصصا قصيرة ، وقصة طويلة بدأتها في عام ١٩٥٠ ، عثرت على بضع قصائد تحتاج الى اعادة النظر فيها ، وعدة بحوث عن حياة المتنبي ، وابي حيان التوحيدي ، وسخرية ابي العلاء .. واخذت اقلب في المجموعات التي تضم ما نشرته لي الصحف خلال خمسة وعشرين عاما ، واذا هي تكفي من حيث كثرتها لاصدار عدة كتب تتناول عشرات الموضوعات » .

هذه بعض جوانب من فكر وحياة الشاعر الاديب الفنان كامل الشناوي .. الانسان الذي احب الناس من كل قلبه ، والذي كان يحب ويفكر بقلبه والذي عاش الحياة بكل ما فيها .. وكانت كلماته تعبر دواما عن تلك الحياة التي عاشها .. كانت كلماته كحياته ترقص وتغني وتذرف الدمع .

القاهرة — ايليا حليم حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جلست خلف منضدتي . وبحثت عن قلمي الضائع بين اوراقي الكثيرة.. أف من نفسي . لم لا اضع قلمي الذهبي في مكان معين أمد اليه يدي فآخذه دون بحث؟ الحقيقة اني احب الفوضى ، والا لما بلغت الخامسة والثلاثين دون ان أركن الى امرأة أجعلها زوجة لي ، ولكن من هي تلك التي تصلح ان تصبح زوجتي؟

باعدت بين الاوراق ، وتطلعت الى صور الفتيات الموضوعة تحت زجاج المنضدة الشفاف ، صورة لكل فتاة احببتها في ربيع الحب ، وما ان يأتي الخريف حتى تصفر اوراق الشجر .

لم تكن الصور موضوعة بشكل مرتب ، لكن لكل صورة جمال من نوع معين .

عثرت على قلمي ، فتحت الدفتر السميك ، وابتدأت اخط مذكراتي .

الجمعة ٢٥-٦-١٩٧١

كانت الساعة العاشرة صباحا ، وكنت ما ازال نائما عندما قرع الجرس بقوة وبرنين طال حتى حسبته ساعة ، لعنت قارع الجرس في سري ، وتكهنت ، انها لا شك جارتي ، العانس الثقيلة التي تحبني واكرهها ، اتت لتعرض علي خدماتها ، انها لاتعرف شعوري نحوها ، لاني اطلب منها احيانا ان تطبخ لي ، فأعود في الثانية ، لاجد ما طلبت طازجا ، استلذ بالطعام ، لكني اشعر في قرارة نفسي بانها ضئيلة لا تستحق مني ادنى التفاتة ، لست حقيرا في شعوري ، انها هي السبب ، هل يشتري الحب بالخدمات؟ اريد امرأة جميلة ، اخدمها كالملكة ، واطيعها كالاسير ، أوه كم أحب الجمال ؛ جمال الوجه والفكر ، اثنان احبهما ولكن اين تلك التي تجمع الاثنين فأتزوجها ؟ وأدللها ؟ لن اسمح ليديها الناعمتين بمس شيء يفسد رقتهما ، انها فقط للنظر والحديث والقبل .

فتحت الباب ، كانت جارتي بالذات « عدوية » سلمت عليها باقتضاب ، وقلت لها :

ـ نعم ..

ـ البارحة في الساعة السادسة مساء ، زارتك فتاة اسمها جيداء..

ـ لكن هل كنت انت خارجة حتى وجدتها على الباب ؟ قالت بدلع سخيف :

ـ سمعت قرع الجرس، ففتحت لاجد من يطرق بابك ، واخبرك بعدئذ .

ـ شكرا . هل تريدين شيئا آخر ؟

ـ بل انا التي اخدمك يا استاذ..

انا والذبابة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم السيدة ضياء قصيجي

قلت حانقا مغتاظا :

ـ نعم . لدي عدة قمصان متسخة ، هل بامكانك الاعتناء بها؟

ـ أخدمك بعيني ..

ـ اذن خذي .

جلبت لها قمصاني المتسخة ، فاحتضنتها بفرح وهرولت الى بيتها كأنها تقبض على كنز .

يا لها من غبية ؟ كيف تفكر بانسان مثلي ؟ يتزوج انسانة مثلها؟

لم اكمل كتابة مذكراتي حتى ابتدأت ذبابة تحوم حول وجهي وعيني ، طردتها بيدي للمرة الاولى والثانية والثالثة ، لكنها ما لبثت أن عادت ، ثرت وتساءلت ، هل تثيرني هذه الذبابة ايضا ؟ أف من هذا الحيوان اللعين ؟ الذي خلق لازعاج الانسان واخراجه عن طوره؟ تركت القلم ، وكانت ما تزال تحط على ارنبة انفي بدغدغة مثيرة ، ثم تطير لتقف على رموش عيني ، ثم تقف بين شفتي . صدر عني صراخ اعقبته صفعة على خدي وانا احاول قتلها ، لكنها طارت، قررت ان اترك الغرفة واذهب الى المطبخ لاصنع لنفسي فنجال قهوة ، لعل الذبابة تضيعني واضيعها ، كما يضيع كثير من المحبين ، فأعود الى قلمي، لدي عدة مشاريع ، سأكتب مقالا الى جريدة عنوانه « خطوات الادب مع كل عصر ».

تخلصت منها وهيأت فنجالي الخاص الذي لا يشرب احد فيه قهوته سواي ، تساءلت ضمنا ، ترى لو انه لي زوجة تهيء لي مثل هذا الفنجال من القهوة ، هل اكون سعيدا اكثر ؟ لم لا. اتزوج امرأة ناضجة تهيء لي ما احب من اجواء، وتكون دافعا لي لتحقيق الامنيات؟ فانا حتى الان اكتب في مجالات ضيقة ، ولم تعط حروف اسمي ذاك الرنين والطنين ، هل اسعى للشهرة كما فعل غيري وغيري ؟نعم ولم لا ؟ ألست انسانا ، ولي رغبات لا استطيع بعد الحد منهااوتخطيطها؟

متى تموت رغبات النفس المتقدة؟ انها لا تموت .

اذن متى تطفأ ؟ سأعمل على اطفائها او امراضها .

عدت حاملا فنجالي بيدي، جلست مكاني، واشعلت لفافة ، اوه يا للذة؟ رشفت رشفة اولى واذا بالذبابة قد عادت الي كحبيبة تعود الى حبيبها بعد غياب ، وضعت الفنجال على المنضدة ... ورحت اراقبها ، واذا بها تحط على حافة الفنجال وتستنشق رائحة البن المعطر بحب



الهال ، هذه الحقيرة وقفت مكان شفاهي ، طردتها ، حلقت فوقه ثم حطت عليه من جديد .

يخيل الي ان هذه الذبابة جنية، الم تكن جدتي تحكي لي عن جنيات يتخذن صور حيوانات ويظهرن بها؟ كانت تقول : اذا كانت القطة سوداء كلها ، كأنها تخرج من جرة الحبر الاسود ... وظهرت في الليل ، فانها جنية . من يدري ؟ ربما تأخذ ايضا شكل ذبابة ، انها تضايقني عمدا وبتفكير وتصميم ، لكن .حتى عندما كنت صغيرا لم اشاهد جنية مزعجة مثل هذه ، وكنت اريد ان أتعرف على صنف الجن، وعندما كبرت القيت بهذه الخزعبلات ، لكن هذه الذبابة المنحطة تريد ان تزعزع ايماني ، وتغير رأيي .

انها ما تزال تحرك قوائمها ، وترشف من فنجال قهوتي ، انها اذن الوحيدة التي شاركتني هذا.. فكم انا سعيد ومحظوظ ؟

جلست ادرس الامر ، واحلل الحادث بعمق ، لا . ليست الذبابة هي السبب فيما اعاني بل الوحدة، الوحدة قاتلة في بعض الاحيان،ولقد مللتها ، وازحت الذبابة بظل يدي فطارت ، ودارت عدة حلقات حول وجهي ، ثم وقفت على حاجبي، ازحتها من جديد وانا اقول في نفسي ... ان اي انسان مهما كان ذكيا بارعا في ايذاء مشاعري ، لا يصل الى ما وصلت اليه هذه الذبابة .

حملت فنجالي ، واحتسيت قهوتي وانا أسير من هنا لهناك، علها تنساني وتضيعني ، ان المرأة المحبة تنسى ، الم تنس « رولا » المجيء الى موعدنا ؟ عدت الى مكاني فعادت الى فنجالي تشاركني كحبيبة مدللة غالية وصل بيني وبينها الانسجام والحب الى درجة ان نشرب معا قهوتنا بفنجال واحد وكأننا انسان واحد (انا والذبابة) .

لطمتها بقوة ، فاندلعت القهوة من الفنجان ، وهوى على الارض حطاما ، بينما نفذت ذرات القهوة الى ما تحت الزجاج الشفاف ، وافسدت صور حبيباتي ، فاسودت وجوههن ، رحت اتبعها من مكان الى مكان ، واقفز ، واصفق بكفي لاسحقها بينهما ، لكنها تهرب وتضحك ، فقدت فنجال قهوتي الذي احتفظت به سبع سنوات ، وكان بالنسبة لي كالانسان العزيز، لا احيا دونه . بلونه البرتقالي ولا يفارقني حتى في سفري وتجوالي .

غادرت الغرفة ، وقررت ان اغادر البيت ، وكأن الذبابة تطردني



السيدة ضياء قصبجي

●

من بيتي كزوجة شريرة . وفيما انا ارتدي ثيابي قلت : ان الذبابة ليست اكثر من اداة تحرك شجوني الكامنة ، ولا تخلق شيئا من عدم. هذه الحشرة الدنيئة ، تضرب على اوتار احاسيسي ، فتهيؤها لعقابي ما معنى ان احب فتاة ، ثم اهجرها؟ ألست انسانا ذا ضمير ؟ وهل انكر بعض الليالي المؤرقة بعد ، ان ودعت بعض فتياتي ؟ وسهرت مع الندم .؟

لسوف أصبح غير ما انا .. سأبحث عن زوجة تشاركني الحياة ، وتفني الوحدة . ما بها جيداء ؟ انها فتاة جميلة ، مثقفة ، وتبادلني الحب، وهي كذلك مرحة، سترحب بي ، وسأكون سعيدا معها .

انتهيت من ارتداء ملابسي . وعدت الى الغرفة احمل قلمي الذهبي في جيب معطفي واوثقه به فيظهر اعلاه ، اني لا اكون مرتاحا دون قلمي ، وكأنه لساني ، لاحت مني التفاتة الى الجدار ، فوجدت الذبابة المجرمة ، حملت الشبشب بيدي وضربت مكانها ، لكنها بسرعة خاطفة اعتلت ، صعدت الكرسي ، وضربتها مرة ومرتين ، لكنها ارتفعت الى اعلى ، ولم اعد ابلغها.

لعنة الله على الذباب . ان الله حكيم ، لكني لا افهم الحكمة من وراء خلق الذباب ؟ لعل الله تعالى يريد ان يظهر ضعف الانسان ، امام اضعف واحط مخلوقاته .

وبينما انا في محاولة قتل لا يعاقبني عليها القانون ، قرع الجرس ، وجدت فيه منقذا ، ولمست فيه جمالا وروعة ، هرعت الى الآتي اريد ان اقبله على انقاذه من موقفي .

كم نقع وتحملنا الايادي .. وكم تحملنا الايادي فنقع ؟.

فتحت الباب ، واذا بعدوية تتمايل وتقول لي :

ـ لقد سمعتك تخبط على الجدار ، انك تطلبني أليس كذلك يا استاذ ؟

تنفست ، وقلت لها بهدوء ، وانا اسحبها من يدها .

ـ تعالي ، تعالي اجلسي هنا قربي ، أنت افضل من الذبابة على كل حال .

حلب ضياء قصبجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليل .. ودقات الساعة

محمود محمد كلزي

دمشـــق

الليل يهوم .. عند الابواب ..
وتنام الانجم في الافق ..
وعلى المصباح .. فراشات ..
تلطم وجه الالق ..
وسكون يأكل من قلقي ..
وبقايا صور من يومي الراحل دون اياب ..
تحتل زوايا الغرفة .. والفسق ..

الساعة تزحف .. في بطء ..
كعقارب .. تزحف في بطء ..
تتسلق جبهتي التعبى .. المرتاحة للضوء ..
وعيوني تسبح في اللاشيء ..
كشراع .. يخبط في عرض البحر بلا ملاح ..
يدفعه النوء .. الى نوء ..

دقات الساعة .. في اذني .. في قلبي .. في اضلاعي .
كمطارق .. تسحقني .. تسحق عظمي واهابي .
وتمزق اعصابي ..
وتمر وجوه شاحبة .. عابسة .. دون وضوح ..
ويمزقها صوت الريح ..

الظلمة تجثم عند الباب ..
ونبـاح كلاب ..
لا شيء .. سوى دقات الساعة يخنق نبضي ..
ياكـل بعضي ..
وظلال سوداء .. ترفرف فوق جدار الغرفة ..
تافهة ايامي ..
وحياتي المقتولة أتفه ..
لا شيء .. بلا حب يحيا قلبي ..
هل يحيا القلب .. بلا حب ؟!.

يا فاتنتي .. يا من تمرق من دربي !..
نظرتك الحلوة .. قنديلي في الليل ..
عيناك شراع .. يبحر بي .. في بحر الويل ..
وتدق الساعة .. دقات تبلغ عشرا ..
ساعات ماتت من عمري .. عشرا .. عشرا ..
ولت في ادراج الريح .. بلا ذكرى ..
هل يحيا القلب بلا حب .. وبلا ذكرى ؟!..

الساعة غرتني .. تأكل ايامي ..
كجراد .. حط على حقل الزرع النامي ..
تزحف .. تزحف .. في بطء ..
وعيوني تسبح .. في اللاشيء ..
كشراع يضرب في عرض البحر بلا ملاح ..
يدفعه النوء .. الى نوء !! ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فن الرواية عند عبد الحليم عبد الله

بقلم عبد الرحمن شلش

* * *

في ٣٠ يونيو ١٩٧٠ توفي الروائي والقاص المصري الكبير محمد عبد الحليم عبد الله عن ٥٧ عاما .

وفي الذكرى الثانية لرحيله نقدم هذه الدراسة تحية وفاء لذكراه الخالدة .

★

يعتبر الروائي والقاص المصري الكبير محمد عبد الحليم عبد الله (١٩١٣ ــ ١٩٧٠) واحدا من اشهر الروائيين المصريين الذين اثروا المكتبة العربية بانتاجهم الروائي .

فعلى امتداد ربع قرن مضى كتب محمد عبد الحليم عبد الله اثنتي عشرة رواية ، عدا رواية اخرى لم تتم صدرت له اخيرا ، بالاضافة الى انتاجه في القصة القصيرة الذي بلغ تسع مجموعات قصصية .

وفي هذه الدراسة نتناول انتاجه الروائي بالعرض والتحليل والتقييم ، حتى يمكن ان نلقي الضوء على اعماله الروائية ، وهي بالترتيب :

لقيطة (١٩٤٦) ــ بعد الغروب (١٩٤٩) ــ شجرة اللبلاب (١٩٥٠) ــ الوشاح الابيض (١٩٥١) ــ شمس الخريف (١٩٥٢) ــ غصن الزيتون (١٩٥٥) ــ من اجل ولدي (١٩٥٧) ــ سكون العاصفة (١٩٦٠) ــ الجنة العذراء (١٩٦٣) ــ البيت الصامت (١٩٦٦) ــ الباحث عن الحقيقة (١٩٦٦) ــ للزمن بقية (١٩٦٩) ــ قصة لم تتم (١٩٧٠) .

والواقع ، ان محمد عبد الحليم عبد الله ينتمي الى الجيل التالي لجيل الرواد الاوائل لكتاب الرواية المصرية، ولكنه لم يلق حقه من التقدير والتكريم ، ذلك لانه عانى اشد المعاناة طوال حياته الادبية من التجاهل في بعض الاحيان ، ومن الاتهامات والهجوم غير الموضوعي في احيان اخرى ، ورغم هذا لم يكف اديبنا الراحل عن الابداع الفني لحظة واحدة ، حتى وافته المنية .

وما أشد حاجتنا الى مداومة البحث والدراسة والنقد الموضوعي لانتاج ادبائنا المعاصرين والراحلين ، لكي نستطيع تقييم اعمالهم تقييما امينا من خلال القاء مزيد من الضوء على اتجاهاتهم الفكرية ، وتتبع تطورهم الفني .

وبين رواية « لقيطة » التي بدأ بها الكاتب حياته الادبية ، وروايته « قصة لم تتم » التي كتبها وتوفي ولم يتمها ، وصدرت بعد وفاته ، تتفتح الكثير من الآفاق امام الباحث في اعماله ، فالملاحظ ان معظم رواياته يغلب عليها الطابع الرومانسي ، وتدور حوادثها بين مجتمع الريف والمدينة ، باستثناء رواية « الباحث عن الحقيقة » فهي رواية تاريخية بطلها « سلمان الفارسي » الصحابي الجليل الذي يعد اول فارسي اعتنق الاسلام .

ان السمة الغالبة على انتاجه كانت تتمثل في العلاقات العاطفية ، بينما كانت الاهتمامات الاخرى التي تبديها شخصياته نحو المشاكل الانسانية تبدو في المرتبة الثانية ، فالحب كان موضوعه الروائي المحبب ، وقد تعددت نظرته الى موضوع الحب بمختلف معانيه وصوره السامية ، ففي رواياته الاولى عالج موضوع الحب من خلال العلاقة التي تربط بين الحبيب وحبيبته ، والام وابنها ، والاب واولاده ، حتى تطورت معالجته في رواية « الباحث عن الحقيقة » الى حب الحقيقة ، ثم في روايته قبل الاخيرة « للزمن بقية » الى حب المجتمع والاهتمام بمشاكله ولا سيما مشكلة الحرية ، وفي آخر اعماله « قصة لم تتم » ربط بين الحب والموت ممن خلال مشكلة الحرب .

ولا شك ان الموضوع الروائي عنده قد تطور تطورا كبيرا خلال انتاجه الروائي كله ، حيث عالج قضايا اجتماعية وفكرية مقدما لنا انواعا متباينة من العلاقات الانسانية السائدة بين البشر .

وكان محور الحركة الروائية عنده يقوم على الاخطاء والغفران والمسؤولية ، فالاخطاء كثيرة ، ولكنها تفتح الباب لمسألة الصفح والغفران ، وبالتالي فان مسألة الغفران تفتح الباب بدورها امام المسؤولية ، فشخصياته معظمها يدرك ما يقع عليها من مسؤولية وما يترتب على ذلك من نتائج اخلاقية واجتماعية .

واغلب الشخصيات المحورية في رواياته تنتمي الى الفئات الفقيرة والكادحة المكافحة من اجل الحياة والبقاء في ظل ظروف معيشية كريمة ، وينحصر الصراع عنده بين الانسان والارض ، ويتطور ويتمتد ليشمل الصراع اساسا بين الانسان والانسان ، وفي هذا الصراع نلاحظ ان الخير دائما يتغلب على الشر ، كما نلاحظ ان كثيرا من شخصياته يعاني من القهر ، وتنعكس معاناتها في محاولات من اجل قهر الاخرين ، الا ان الطيبة والسماحة والخير، وهي سمات هذه الشخصيات ، تجعل الشخصيات ترفع الشعار القائل : نعيش وندع الآخرين يعيشون .

وعندما نحاول التعرف على صورة المرأة في رواياته، نجد انه قدمها في صورة ايجابية ، وليست سلبية ، اذ اعطاها في كثير من شخصياته النسائية قدرا من حرية التفكير والسلوك ، وهذه الامور نجدها شائعة الآن ، لكنها لم تكن شائعة في الزمن الذي جرت فيه احداث رواياته الاولى ، فهناك فتيات مجتهدات يفرضن احترام الغير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نـــورا

وأبيـت أنسـج مـن خيـوط الفجـر شالا للجبـين
والعقـد أنظمـه لجيـدك مـــن زهـور الياسمـين
والنجـم أسال عـن رؤا ك.. وأي حلـــم تحلمـين
وقصائـد الغـزل الرقيقـة فـــي شفـاه العاشقين
رويتهـا أشواق قلبي .. واختلاجـــات الشجـــون
كيمـا تزغـرد فـي الشفاه فيشرق العمـر السجين
يـا زهرة عشق الفـؤاد عبيرهـا .. عشق الفتـون
انـي أسير فـي هواك .. متيـــم .. جـــم الحنين
انـي أسير فـي هواك .. متيـــم .. جـــم الحنين

شبين القناطر ـ مصر — رفعت محمد سلام

لهن بفضل طهارتهن مثل « ليلى » الفتاة اليتيمة في رواية « لقيطة » ، ومثل « اميرة » الفتاة الفتـــاة الحازمة بي رواية « بعد الغروب » ومثـــل « سميرة » الشجاعة في رواية « من اجل ولدي » ،.وهناك الارامل اللاتي جاهدن لتربية اولادهن ، فكن قاسيات بعض الشيء ، لكنهن كن جديرات بالاعجاب ، مثل « ام مختار » في رواية « شمس الخريف » ومثل « والدة فؤاد » في رواية « مـن اجـل ولدي » ، ففي صور المراة كام وصديقة وحبيبة وعشيقة، استطاع الكاتب ان يقدم اكثر من رواية تصور لنـا قصة الحب الذي يربط بـــين الام واولادها ، وبين الحبيبـة وحبيبها .

ولعل الريف في رواياته كان مجـالا فسيحا خصه باهتمام كبير وبالغ ، فقد صور اهلـــه تصويرا دقيقـا واميناً ، ولعل مولده ونشأته في الريف قد افادته كثيرا ، فالقارىء لرواياته يمكنه في سهولـة ويسر ان يستنشق رائحة الريف من خلال سطوره : خضرته وترابه ، سحره وجماله ، هدوئه وسكونه ، بهجته وروعته ، طيبة اهله وسذاجتهم ، عراقتهم واصالتهم .

ومن خلال احداث رواياته نحس انـــه يعبر عـن مجتمع في دور الانتقال ، فمعظم شخصياته تتحرك مـن القرية الى المدينة ، يملأ قلبهـــا الحنين والشوق الـى الريف دائما ، بينما تجذبها مغريات المدينـة ومباهجها ، وهذه النظرة الصائبة من المؤلف تتفـــق تماما والواقع التاريخي التي مرت به البلاد ، وقد عبر عنها في كثير من رواياته .

ولا غرو ، ان قلنا ان محمد عبد الحليم عبد اللـه هو واحد من روائيينا القلائل الذيـــن تناولوا مجتمـع القرية والمدينة معا دون الاقتصار على اي منهما .

وكما كان المضمون متطورا عند الكاتب مـن خـلال تطور موضوعاته وشخصياته ، كذلك كان الشكل متطورا في رواياته ، فالشكل الفني في معظم ، بل كـل رواياته ، يتميز بوجه عام في محاولة التأرجح بين الزمنين : الماضي والحاضر ، والتأرجح بين العاملين : الداخلي والخارجي. وقد تطور الاسلوب الروائي عنده ، وقد اهتم بالاسلـوب منذ بدأ يكتب روايته الاولى « لقيطة » ، حتى لقد حسبه ذلك عليه بعض النقاد ، بدلا من ان يحسب لـــه ، ولكن الكاتب كان يرى ان الاسلوب كالموسيقى التـي يجب ان تصحب الرقص او عرض الفيلم السينمائي ، فالرقص بلا موسيقى حركات نصف حية ، كما ان العمل الفني بـــلا اسلوب يشبه الرقص بلا موسيقى .

والحق ، ان محمد عبد الحليم عبد الله كان يكتب بلغة عربية فصحى انيقة وبسيطة وسهلة ولم يكن يتنازل عن الفصحى ولا يتسامح في استخدام العامية ، ومن اهم ما يميز اسلوبه كثرة التشبيهات والحكم ، واحيانا كان الوعظ يتسلل في صورة تأملات صائبة ممـا يجعلنا نحس بحضور الكاتب نفسه ، ولكنه في رواياته الاخيرة لم يعد يتدخل بالشرح والتعليق ، وابتعد عن الوعظ كما نلمح في رواياته الاولى ، والى جانب ذلك ، ازداد اسلوبه قـوة وجمالا ، واصبح يتميز بالشاعرية والشفافيـة ، الامـر الذي يؤكد تطور الحركة الروائية لـــدى الكاتب مـــن ناحيتي : الشكل والمضمون .

وفي ختام هذه الدراسة نستطيع القول بأن محمـد عبد الحليم عبد الله هو ـ بحق ـ شاعر الرواية المصرية الذي يفيض اسلوبه : رقة وعذوبة وشاعرية .

مصر الجديدة — عبد الرحمن شلش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شخصيات من الادب المعاصر

تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الضاد بحلب ـ مطبعة الضاد ١٩٧١

صديقنا عبد الله يوركي حلاق مدير مجلة الضاد ورئيس تحريرها يكفينا في مقدمته لهذا الكتاب القيم مؤونة التعريف بالمؤلف ، اذ يقول:

« الحق ان الاستاذ وحيد الدين كاتب بارع ، له في مضامير الادب جولات موفقة ، ومواقف مشرفة ، وآثار غنية بالشعور الصادق ، والانسجام المطمئن ، والجدة المشعة بالصياغة الانيقة ، والفكر النير » .. ثم يقول : « فهو احد حماة الفصحى ، يذود عنها بكل ما اوتيه من قوة وحمية واخلاص » .

ثم يقول عبد الله يوركي عنه : « تاثر بنخبة ممتازة من الرواد العرب ، والمفكرين الغربيين من امثال طه حسين ومحمود تيمور ، والرصافي ، وميخائيل نعيمة ، وروسو ، وارنست همنجواي ، فكتب القصة والمقالة والدراسات الادبية المطولة ، واتجه في كتاباته نحو التحليل النفسي ، والمذهب الفني ، والامانة المثلى في العرض والوصف وتصوير النزعات البشرية .. » .

ووحيد الدين حقا ـ بكتبه ودراساته وبحوثه ومقالاته ـ اصبح غنيا عن التعريف ، قريبا الى قلوب المثقفين والادباء عامة .

اختار المؤلف عشر شخصيات تحدث في كتابه عنها ، وهي شخصيات تستحق الوقوف عليها ، والدراسة لها ، لا لشهرتها فحسب ، بل لما تمثله من خصائص فكرية وتجديدية وثقافية اصيلة :

وهذه الشخصيات هي :

١ ـ جورج صيدح الشاعر المهجري الكبير ، وصاحب ديواني « نبضات » ، و « حكاية مغترب » ثم ديوان « النوافل » ايضا وكتابه الحافل في دراسة الادب المهجري معلمة من معالم الدراسات الادبية الرفيعة .

٢ ـ حسين فوزي سندباد عصري وداعية حضارة .

٣ ـ شفيق معلوف وعبقريته .

٤ ـ وديع فلسطين سفير الادب المعاصر .

٥ ـ محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام .

٦ ـ هلال ناجي اديبا ومحققا .

٧ ـ محمود ابو الوفا الشاعر المفكر .

٨ ـ ناجي جواد كاتبا انسانيا .

٩ ـ ابراهيم محمد نجا الرومانسي الواقعي .

١٠ ـ حسين مجيب المصري باحثا وشاعرا

وهي شخصيات طريفة ، تستحق الوقوف عليها ، ودراسة ادبها وفكرها ، وتحليل مختلف آثارها . وحسنا فعل المؤلف حين اختار هذه الشخصيات موضوعا لكتابه .

حين تحدث المؤلف عن صيدح عني خاصة بجانب اصالته الشعرية ، وبتجربته الشعرية ، وشعر صيدح كما يرى المؤلف يمتاز بالتعادلية بين التجربة الشعورية والقيم التعبيرية ، وهذه التعادلية هي في رأيه الارهاص الذي ترتكز عليه الاصالة الفنية ، ويتحدث عن صيدح ومعركته مع الحياة ، وعن طوابع شعره الثلاثة : طابع الوصف والكشف ، وطابع الحنين والشوق، وطابع القومية والوطنية .

وصيدح حقا جدير بكل احتفاء ، هذا المكافح الجليل ابن السبعين الذي جاب البلاد شرقا وغربا من اجل الحياة ، وهذا العربي الحر الذي اعتز بالعروبة وبمجدها اعتزاز المفكر والوطني ، واتخذ من ذلك تراثه وفكره ومضامينه في الشعر ، وهذا الشاعر والاديب والناقد الجهير الصوت ، الرفيع المنزلة في ادبنا المعاصر .. هو مفخرة من مفاخرنا ودرة متالقة في ادبنا المعاصر ، وفي الشعر العربي المهجري معا .. وقد درست فيما درست في كتابي « قصة الادب المهجري » بجزئيه نماذج صيدح مع نماذج كبار الشعراء المهجريين دراسة تحليل ونقد ، وحين عاد من المهجر ضيفا على وطنه لبنان ، قال قصيدته المشهورة :

حسدوني وضيف لبنان يحسد ... أنا منه في واحة بعد فدقد
أتملى وما ارتويت بماء ... وأسارى وما اهتديت بفرقد
كان ذنبي ، وليس ذنب بلادي ... ان تخيلت غير ما الآن اشهد
أطلقوني يا اهل لبنان اني ... بالايادي التي اصطنعتم مقيد
ارجعوني الى غياهب امسي ... رب ليل صفا وفجر تلبد
لست ادري : منارکم غاب عني ... أم قداعى أم أنني صرت أرمد

وفي دراسة المؤلف عن « وديع فلسطين سفير الادب المعاصر » يقول : « وديع فلسطين جوهرة ادبية من عيار فريد خاص ، لاصالتها الواغلة في اغوار كيانه ، عملت متابعة التطورات الحضارية في الشرق والغرب ، ومواكبة التيارات الفكرية والمذهبية ، ومجالسة اعلام الادب والثقافة ، عملت على تكشيف هذه الاصالة ، وتمكينها من ابراز ابعادها وآثارها ، منعكسة مجلوة على انتاجه في ضروب المعرفة الانسانية » .

ثم يدرس المؤلف جوانب اربعة في شخصية « وديع فلسطين سفير الادب المعاصر » :

الجانب الاول تبنيه « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ، ويفيض المؤلف في شرح جملة من هذه القضايا التي درسها وديع فلسطين في كتابه المشهور « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ، ويقول وحيد الدين: لا يعترف ـ وديع ـ على وجه الاطلاق بالمدارس الادبية ، التي اصطنعها النقاد ومؤرخو الادب ، لان مثل هذا التقسيم قائم على الوهم والافتراض ، بينما الادب بفطرته انساني يتابى على تقسيمات ومواضعات مصطنعة ... وقد رأينا العلامة محمد بهجت الاثري مثقفا في هذه النظرة النقدية الصائبة مع وديع ، وذلك في بحث له عنوانه : « عبقرية الفكر وشموله يحدوان الى خط نهج واحد » .

والجانب الثاني هو عمله الصحفي ، وهو جانب طويل ممتد في حياة وديع فلسطين حقا .

والجانب الثالث هو مقدرته على الترجمة الى العربية ترجمة دقيقة بليغة متميزة .

والجانب الاخير هو « وديع سفير الادب المعاصر » . وهو جانب خصب حي مثير .

ولا شك ان وديع فلسطين جدير بالدراسة لخصوبة ادبه وعمق فكره وانسانية منزعه ، وهو حقا حسنة من حسنات الادب المعاصر .

وينتقل المؤلف الى محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام ، فيتحدث عن سر هذا اللقب ومعناه منذ اطلق عليه عام ١٩٢٧ ويتحدث عن التيار الوجداني في شعره ، وعن شعره في الطبيعة ، وعن طابع السلاسة والسهولة الذين يتميز بهما شعره ، وعن طابع التفاؤل في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعره ، وعن شعره وملاحمه في التاريخ الاسلامي ، والتيار الاسلامي في شعره ، ويعرض نماذج فنية رفيعة من شعره عرضا جميلا عميقا ، مما تتميز به دراسته عنه .

ثم يعرض المؤلف لهلال ناجي اديبا ومحققا ، ولجوانب مختلفة عن حياته وشعره .. وهلال ناجي من الاصلاء في الادب شعره ونثره . ونماذج شعره ترشد الى شاعرية اصيلة محلقة او مبدعة على حد سواء .. يقول المؤلف عن هلال ناجي ما نصه :

« يمثل هلال ناجي الوجه المشرق للادب العراقي المعاصر . انه شخصية ادبية خصبة ، ذات ابعاد وجوانب ، فرضت نفسها على واقعنا الادبي ، محتلة مكانها بين صفوف المجددين ، باسهامها في ارساء ركائز الادب المتحرر ، وتخليص الحرف الاخضر من الارهاب والانعزال والتدجيل » .

ويتحدث وحيد الدين عن رحلات هلال ناجي ، ومواقفه في مجال الحرية السياسية ، وعن الجانب القومي والجانب العربي في حياته وشخصيته وادبه .

ويتحدث عن مؤلفاته الخصبة المتميزة ، من مثل : الزهاوي وديوانه المفقود ، واثر النكبة في شعر فلسطين ، وصفحات من حياة الرصافي وادبه ، وشعراء معاصرون الذي الفه بالاشتراك مع ناقد من كبار نقادنا المعاصرين في عالمنا العربي ، وهو مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، ثم كتابه « القومية والاشتراكية في شعر الرصافي » . وهلال ناجي ثري القلم والفكر معا حقا ، فهو بكتبه ودراساته ومناهجه في الدراسة الادبية يحتل منزلة رفيعة في ادبنا المعاصر ، ويمثل تيارا جديدا متدفقا يتصل بالعصر وبالتراث ، وبالثقافة الجديدة وثقافة اسلافنا الاولين الاصيلة معا ..

ثم يتكلم وحيد الدين عن الادب السياسي عند هلال ناجي ، وعن منزلة هلال ناجي بين سدنة التراث العربي ومحققي هذا التراث وشراحه ، وعن دفاعه عنه حين يقول : « ان هذا التراث هو ماضينا الحضاري والفكري كأمة ، والامة كالشجرة ، يمثل التراث فيها الجذور ، ولا يمكن لشجرة ان تقوم وان تضرب في الارض ثم ان تؤتي رعيها بغير جذور ، كما لا يقام بناء على رمل » .

ويتحدث المؤلف عن هلال ناجي القصصي ، ولم يتسع المجال امام المؤلف ليتحدث عن هلال ناجي الشاعر ، الشاعر الاصيل الجليل عاطفة وتجربة ، صياغة وفكرا ، شكلا ومضمونا .

وهلال ناجي حري بأن يدرس من كل جوانبه ، وفي كتاب « اللمحات المضيئة » درس لفيف من النقاد شاعريته ، وفي كتاب « هلال ناجي اديبا » درس بعض اعلام الادب جوانب مختلفة من ادبه.

وهلال ناجي الانسان بجانب ذلك هو الرافد الاول لتيار ادبه وشعره وشاعريته .

اما محمود ابو الوفا الشاعر المفكر حقا فهو قمة من قمم الشعر العربي المعاصر ، ومفخرة من مفاخره ، والمؤلف يدرسه من الناحية الفكرية ، ومن حيث واقعيته المثالية دراسة عميقة .

ويعرض المؤلف لمسحة تميز بها شعر ابي الوفا ، وهي الالم والسخط في شعره ، او احساسه العميق بالمرارة كما يقول وحيدالدين الذي يصف شاعرنا بالمعيل ، وهو لم ينجب الا قصائده وحدها ، والعبقرية دائما عقيم .

ثم يتحدث المؤلف عن التيار الوجداني في شعر ابي الوفا حديثا جميلا . وابو الوفا جدير حقا من الادباء والنقاد بالدراسة ، هذا الشاعر الاصيل الذي له تجديده وله منازعه الفكرية العميقة ، وله موسيقاه الاصيلة ، والذي اشترك في حركة الشعر المعاصر منذ شوقي الى اليوم .

وينتقل المؤلف الى شاعر اصيل اخر فقدناه في ربيع الحياة ، وفي شباب رحلة العمر ، وهو الشاعر ابراهيم محمد نجا، في صيف عام ١٩٦٩ لقبني الشاعر نجا واهداني ثلاثة دواوين جديدة من شعره



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعة طباعة انيقة في لبنان ، وبعد ايام بلغني وفاته في المستشفى اثر مرض شديد عاوده ، فخسرنا بوفاته شاعرا غنائيا وجدانيا رفيعا، وانسانا رقيقا مهذب الحاشية وديع الجانب رزين الشخصية ، عاش حياته كفاحا وعملا وتحصيلا .

يقول المؤلف أن « شعر الشاعر نجا تجسيد حي لحياته وذاتيته، فيه بساطة الاداء ، وعمق المعنى ، وصفاء الوجدان » ، هذا الشاعر الذي يقول في لحن جميل مؤثر :

انا المحروم لكني اغذي بالجمال دمي
ظمئت ولم اجد ماء فهام الى السراب فمي
وغنيت الجمال فلم أجد الا صدى نغمي
ففني اليأس في قلبي على قيثارة الالم

وينقل المؤلف عن « محمد فريد ابو حديد » انه كان يضع الشاعر نجا في مصاف الشعراء العالميين .

ثم يدرس المؤلف التيار الرومانسي في شعر نجا من جميع جوانبه وتجاربه ، في الحب والطبيعة ، وحتى في الوصف والاسطورة والطابع الرمزي ذي المسحة الفلسفية ، ويذكر اثر مدرسة « ابولو » ومدرسة المهجر في شعره وبخاصة شعر ايليا ابي ماضي .

وبعد فكتاب « شخصيات من الادب المعاصر » من الكتب العميقة التي تدل على ذوق اصيل ، ودراسة عميقة ، وبحث طويل .

وهو من الكتب التي يصح ان نقف عندها ، ونتأمل فيها ، ونأخذ منها المثال الحي للدراسة الادبية العالية ، التي تصدر عن ذوق وشخصية وذاتية وفكر اصيل .

الرياض — محمد عبد المنعم خفاجي

•

دراسات وتراجم عراقية

تاليف عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

اسعدني الحظ بلقيا الاديبين الالمعيين عبد الرزاق الهلالي من بغداد وعبد القادر عياش من دير الزور حين زارا جبلة ونزلا ضيفين كريمين عندي يوما واحدا ما كان اهناه واطيبه لولا قصره وسرعة مضيه . وقد اهدى الي الاستاذ الهلالي كتابه النفيس « دراسات وتراجم عراقية » والاستاذ العياش كتابيه القيمين « المانيا الديموقراطية » و « ملامح من وادي الفرات » واني اقدم الان كلمتي عن الكتاب الاول .

حقا ان كتاب الاستاذ الهلالي ممتاز جدا بموضوعاته وتحقيقاته واسلوبه الرشيق ومناقشته الرصينة ويتضمن دراسات كافية وافية عن شعراء وعلماء طاب ذكرهم وطار صيتهم وهم الاساتذة محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وجميل صدقي الزهاوي ومحمد القزويني وانستاس ماري الكرملي ويتضمن ايضا بحوثا جديرة بالاهتمام والمطالعة هي : حول اشتراكية الزهاوي : و : وقفة مع كتاب « الزهاوي » تاليف الدكتور ماهر حسن فهمي ووقفة مع كتاب « فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث » تاليف الدكتور يوسف عز الدين . وتبلغ هذه الدراسات ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير طبعت بمطبعة دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٧٢ ومن منشورات مكتبة النهضة في بغداد .

بعد هذا الاجمال لا ارى بدا من التفصيل بعض الشيء عن تلك الدراسات الجيدة المفيدة .

بدأ الاستاذ الهلالي دراسته الاولى عن الاديب العالم الشاعر محمد رضا الشبيبي المولود عام ١٨٨٨ في النجف الاشرف والمتوفي عام ١٩٦٦ وقد ذكر انه من اسرة عريقة تنتمي الى قبيلة عربية لها مجدها في التاريخ وهي قبيلة بني اسد وروى كيف مضى جده الشيخ محمد بن شبيب الى النجف ورحل عنها بعد ان استكمل علمه فيها الى مدينة الشطرة ومنها الى مدينة السلام وفيها ولد ابنه جواد الاديب العالم والد النابغة محمد رضا الذي درس علوم اللغة العربية وآدابها والمنطق والفقه واصوله على مشاهير علماء النجف في تلك الاثناء فتوفق وتفوق وطفق ينظم الاشعار البارعة ويدبج المقالات الماتعة وينشرها في الصحف والمجلات العراقية والسورية والمصرية فاشتهر بأدبه وعلمه وفضله ثم خاض المعارك السياسية والوطنية في عهد الاتراك منذ نشوب الحرب العظمى وثابر على خوضها في الثورة العربية والاحتلال الانكليزي والعهد الفيصلي بحماسة واخلاص خدمة للعروبة والقومية العربية وقد تسنم وزارة المعارف خمس مرات وانتخب نائبا وعضوا في مجلس الاعيان كما انه انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي في القاهرة ورئيسا للمجمع اللغوي في بغداد حتى وفاته .

وقد ضم الكتاب قليلا من اشعاره الوطنية والحكمية والاجتماعية لانه شاعر مقل ولكنه مجيد كل الاجادة وقد سرد المؤلف للشاعر ثلاثة ابيات من قصيدته الرائعة وهي :

فتنة الناس وقينا الفتنا باطل الحمد ومكذوب الثنا
أنني ذاك العراقي الذي ذكر الشام وناجى اليمنا
انني اعتد نجدا جنتي وأرى جنة عدني عدنا

وليته نشر اكثر ابياتها لانها اجمل قصائد الشاعر بل انها من اجمل القصائد في العصر الحديث .

ثم انتقل المؤلف الى دراسة الشيخ محمد باقر الشبيبي المولود عام ١٨٨٩ والمتوفي عام ١٩٦٠ فهو اصغر من أخيه محمد رضا بسنة وتوفي قبله بست سنوات ونشا في النجف كنشاة اخيه وكان من الافذاذ في الادب والعلم والشعر يشار اليه بالبنان وله مواقف وطنية وقومية عظيمة ومشرفة .

وقد عرض الاستاذ الهلالي كثيرا من شعره العذب الصافي وكان كريما في ذلك ومن شعره الذي عرضه له قوله في قصيدته الموجهة الى « المستر كراين » حين جاء العراق لدراسة حالته السياسية :

يا عصبة الامم التي قد اوكلت امر العراق الى الذي يستعبد
ما كان عهدك وهو عهد جائر الا لنفعة الذين تعهدوا
الطائرات تروع شعبا آمنا والدارعات تخيفه وتهدد
أحكومة والاستشارة ربها وحكومة فيها المشار يعبد
المستشار هو الذي شرب الطلى فعلام يا هذا الوزير تعربد

وقصيدة بعنوان : تحية المتنبي : هذا مطلعها :

حق على الكوفة تسبق الطلب وتستعيد بالمساعي ما ذهب

وقصيدة في رثاء شوقي بعنوان : القمر يغيب ، وهذا مطلعها :

عجيب ان يغيبك التراب ودونك ايها القمر السحاب
أأحمد شبهوك بشكسبير ولو عكسوا لقلت اذن أصابوا
فانت وان أتيت لنا اخيرا لشعرك فيه آيات عجاب

وقصيدة في لبنان بعنوان : يا موحي الشعر ، وهذا مطلعها :

من العراق واهليه تحيات رسالة عبرت عنها المسافات
هذي اخوة بغداد تناشدكم الا تضيع بلبنان الاخوات
أقسمت اني مسرور بأودية وأجبل نمت فيها المسرات

وروى له بيتا من قصيدة فقدت بالنص الآتي :

الابناء هذا الشرق تعسا لشرقكم اما فيكم الا ابنة خائنة غمر

وهو مختل الوزن والمعنى وظاهر ان فيه خطأ طباعيا ولعل الصواب هو :

أأبناء هذا الشرق تعسا لشرقكم اما فيكم الا ابن خائنة غمر

ثم تحول الاستاذ الهلالي الى موضوع « الزهاوي والاشتراكية » وناقش الاستاذ رفائيل بطي بما ذكره عن اشتراكية الزهاوي في خطابه عام ١٩٢٣ بالحفلة التي اقيمت للفيلسوف الشاعر وكانت المناقشة

قائمة على ان الزهاوي لم يكن في ذلك الحين على معرفة تامة من الاشتراكية .

ثم ختم الاستاذ الهلالي كلمته بقول الزهاوي :

ما كل اقوالي بنات عقيدتي اني لفي شعري اجد وامزح

ثم انتقل الى دراسة السيد محمد الحسيني القزويني الاديب الالمعي والعالم الجهبذي وكنيته ابو المعز وقد ذكر انه ولد في الحلة عام ١٨٤٥ وبعد ختمه القرآن واطلاعه على مبادىء العلوم مضى الى النجف الاشرف فتلقى فيها علم البلاغة والمنطق والاصول ورجع الى الحلة ثم عاد ثانية الى النجف واكمل تحصيله فيها وحضر دروس والده وتدريس العلامة الايرواني فاجازاه بالاجتهاد وصار مجتهدا وهو في مطلع العقد الرابع من عمره مما يدل على عبقريته وبعد وفاة ابيه واخيه الكبير اصبح رئيس اسرة القزويني ومرجعا للناس وقد حضر اليه وفد من الحلة ورغبوا اليه ان يعود الى الحلة فاستجاب لرغبتهم وحل فيها ملاذا للمراجعين وموئلا للعلم والفضل وكان خفيف الروح ظريف اللسان ظريف النكتة حاضر البديهة قال يداعب شيخا متصابيا تزوج صبية لم يستطع الدخول بها في الليلة الاولى :

هنئاني فاليوم يوم التهاني بفتى فر عند وقع الطعان

وقال مجيبا الشاعر الرصافي على قصيدة مدحه بها :

بدر الرصافة لو تقدم عصره اثنى عليه لفضله كرخيها

ويقصد بالكرخي معروفا الكرخي احد اعلام الزهاد المتصوفين .

وقد الف السيد القزويني بعض الكتب الادبية والعلمية وتوفي عام ١٩١٦ .

وانتقل الاستاذ الهلالي بعد ذلك الى دراسة العلامة اللغوي النحرير الاب انستاس ماري الكرملي المولود عام ١٨٦٦ في بغداد والمتوفي عام ١٩٤٧ ويمت بمحتده الى قبيلة بني مراد العربية واسم ابيه ميكائيل ماريني وقد سمى ابنه حين ولادته (بطرس) ثم اشتهر بعد ان صار كاهنا بالاب انستاس ماري الكرملي وقد تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الآباء الكرمليين و « الاتفاق الكاثوليكي » في بغداد وبدت عليه مخايل النجابة والنبوغ وهو في مدرسة الآباء الكرمليين ولمعت براعته في اللغة العربية فاختاره مدير المدرسة مدرسا للغة العربية فيها وهو في سن السادسة عشرة . وذهب الى بيروت وهو ابن عشرين سنة لتدريس اللغة العربية في المدرسة اليسوعية وتعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ثم رحل الى ايطاليا وفرنسا فتلقى العلوم الفلسفية واللاهوتية والفقهية واتم تحصيله في « مونبلييه » ووسم كاهنا وقد زار الاندلس في عودته الى بغداد عام ١٨٩٤ .

وبعد وصوله عهدت اليه المدرسة الكرملية بتعليم اللغتين العربية والفرنسية مع القيام بواجب الوعظ والارشاد في الكنيسة وبعد اربع سنوات ترك التعليم وانصرف للوعظ والتاليف وتحبير المقالات اللغوية والعلمية والتاريخية ونشرها في المقتطف والهلال والزهور والمشرق والمقتبس والمباحث والمنهل وغيرها بتواقيع مستعارة في بادىء الامر ثم وقع باسمه الصريح وقد خدم اللغة العربية بكل جهده وطاقته وكافح في سبيلها وصد من يناوئها ورد على من يخطىء بهما ومن رأيه فيها قوله :

« ان اللغة العربية اسمى اللغات وانها مفتاح اللغات جميعا لانها قادرة على تصوير كل ما يدور في الفكر البشري وفي الطبيعة الانسانية وانها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذي لا يوجد في لغة سواها وان القصور في ابنائها الذين اترفوا ولا يريدون ان يتجشموا في سبيل لغتهم اي جهد » .

ولاجل الدفاع عنها وردع خصومها انشأ مجلة « لغة العرب » عام ١٩١١ وقد خدمت الفصحى خدمات جلى واعلت شانها واشادت بمجد ابنائها فغضب عليه الاتراك ونفوه الى الاناضول عام ١٩١٤ وبعد انتهاء الحرب العظمى ورجوعه الى وطنه اصدر المجلة مرة ثانية عام ١٩٢٦ فعادت الى سالف عهدها الزاهر ونضالها عن لغة الضاد حتى اضطر لاغلاقها عام ١٩٣٢ لقلة الناصرين والمؤازرين وخسارته المادية بالانفاق عليها .

وقد انتخب عضوا في مجمع المشرقيات الالماني وعضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق وعضوا في المجمع اللغوي المصري وكان عضوا مؤسسا للمجمع اللغوي العراقي عام ١٩٢٧ واختير ايضا عضوا في لجنة التاليف والترجمة والنشر العراقية عام ١٩٤٥ وقد اقام له العراق حكومة وشعبا يوبيلا ذهبيا عام ١٩٢٨ بمناسبة مرور خمسين عاما على خدمته اللغة العربية و (اليوبيل) كلمة يونانية تعربها العيد وكان الشاعر الزهاوي رئيس الاحتفال قد انشد فيها قصيدة جيدة منها البيت الآتي :

ترهب يرعى العلم خمسين حجة فاكبر به من عالم مترهب

وكان الاب انستاس يقول : « اذا تصدى احد لمناظرتي فلا يلبث هذا المناظر ان يدركه الموت » .

ويستشهد على ذلك بوفاة الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ عبد الله البستاني والاب لويس شيخو عقب مناظرته .

ثم عقد المؤلف دراسة ادبية حول « مدحت باشا » بطل الدستور وابي الاحرار وقد ارتقى في العهد العثماني الى ارفع المراتب والمناصب حتى صار « صدرا اعظم » اي رئيس وزراء وكان محبا للحرية والعدل والمساواة وقد تولى قبل ذلك رئاسة مجلس الشورى فادخل تحسينا كبيرا على القوانين وحارب الظلم والاستبداد فاستاء منه السلطان عبد الحميد والصدر الاعظم امين عالي باشا . وليدرأ عنه انتقامهما طلب نقله واليا الى العراق فاجيب الى طلبه فحسن فيه الاحوال وحكم بالحق والانصاف فاحبه العراقيون ومدحه الادباء والعلماء وكان يتقن اللغة العربية وروى له هناك اشعار عربية منها البيتان الآتيان :

فلا والقنا والمرهفات البواتر فلا ترة ابقيت لي عند واتر

أيذهب خصم في دم لي مضيع ولست اذيق الخصم طعم البواتر

وفي قافيتيهما لزوم ما لا يلزم لانه التزم فيهما التاء والراء وقد شطرهما وخمسهما الشاعر حيدر الحلي كما ان مدحت باشا شارك الشاعر علي ظاهر الحلي المطيري بابيات غزلية جميلة صدورها له واعجازها للمطيري وهذا هو المطلع قال الباشا :

ورب خود من الافرنج سافرة عن وجهها وعليه ثوب انوار

فقال المطيري مجيزا :

ومضيا هكذا في ستة ابيات . وقد بقي واليا على العراق اربع سنوات وزهاء شهر وقد ولد مدحت باشا عام ١٨٢٢ وتوفي عام ١٨٨٢ خنقا في الطائف بأمر السلطان بعد ان نفاه اليها لانه لم يصدع بأمره ويساعده على جوره حين كان صدرا اعظم .

ثم انتقل الاستاذ الهلالي الى تصويب بعض ما جاء في كتاب الزهاوي تاليف الدكتور ماهر حسن فهمي فناقشه مناقشة دقيقة وانتقده في كثير من المسائل وكان مصيبا الا في نقطتين لم اوافقه عليهما. النقطة الاولى : تخطيئه للدكتور ماهر في تاكيده ان اول شعر قاله الزهاوي هو هذان البيتان :

ناشدت شيخا قد تقو س ما تفتش في التراب

فاجاب يا ولدي لقد ضيعت ايام الشباب

محتجا بقول الزهاوي : (واذكر ان شاعريتي بدأت وانا ابن ١٥ سنة ومن اوائل شعري) :

اما آن ان نابى على الوطن العارا فنركب اخطارا ونقضي اوطارا

ان الزهاوي لم يقل ان هذه القصيدة هي اول شعره بل قال انها من اوائل شعره مما يدل على انه نظم شعرا قبلها . كما ان احتجاج الاستاذ الهلالي بقصيدة الزهاوي التي نظمها وهو ابن ١٥ او ١٦ سنة في مدح الوالي تقي الدين باشا كما ذكر الاستاذ الغراوي اذ قال

(وهي اول قصيدة له) ـ ومعلوم ان القصيدة غير البيتين ـ وظاهر ان القصيدة التي ذكرها الزهاوي هي اسبق من القصيدة التي نوه بها الاستاذ الفراوي والمعهود في كل شاعر ان ينظم اولا البيتين او الثلاثة والمقطوعات حتى يصل الى نظم القصيدة ولم يجزم الدكتور بان البيتين المذكورين هما اول ما قال الزهاوي من الشعر وهذا نص قوله :

« ومن اوائل المقطوعات التي قالها مترجمة عن الفارسية بل لعلها من اول ما قال من شعر على الاطلاق » الخ فقوله : لعلها : تنفي الجزم . والراجح كما هو شائع ان ذينك البيتين هما اول شعره .

والنقطة الثانية : هي ان الدكتور ماهر لم يقل ان الزهاوي اجتمع بعبد البهاء ليبرهن الاستاذ الهلالي بالادلة التاريخية ان الشاعر لم يكن مولودا حين حضر عبد البهاء الى بغداد وانما اشار الى انه كان يستمع الى المناقشة في حركة البهائية وهذا امر معقول ومقبول .

وقد صحح الاستاذ الهلالي ما جاء من اوهام في كتاب الدكتور يوسف عز الدين « فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث » وكان تصحيحه حليفا للصواب وقد ولد الاستاذ المدرس عام ١٨٦٩ وشغل منصب رئيس الامناء في البلاط الملكي وتنحى عنه بعد ان غضب عليه الانكليز وقد توفي عام ١٩٤٤ وكان اديبا كبيرا وكاتبا باللغتين التركية والعربية واستاذا جامعيا وقد هاجم الدكتور يوسف عز الدين في كتابه المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ودافع عنه الاستاذ الهلالي دفاعا مجيدا صادقا .

وختم دراسته بملحق « حول الزهاوي والاشتراكية » وهو عبارة عن تعليق للاستاذ جليل عطية على ما كتبه الاستاذ الهلالي وتقريظ له.

هذا ما عن لي ان اكتبه عن دراسات الاستاذ الهلالي تلخيصا وتمحيصا وله الشكر الجزيل والفضل الكبير على ما متعني في كتابه من فائدة ومعرفة واطلاع وعلى زيارته اللطيفة الجميلة راجيا ان تتكرر .

جبلة ـ سورية رشاد علي أديب

•

عندما تحب المرأة

مجموعة قصصية ـ تاليف حلمي مراد ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٢ ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة

الاستاذ حلمي مراد من ادبائنا النوابغ الذين اسهموا بجهد متصل في تطور الادب والفكر في مصر والشرق العربي . فقد انشأ مجلة « كتابي» واصدرها اعواما طويلة ، وزود قراءها بالشاتق ألطريف من مقالاته وبحوثه ، وبالمميز المختار من ملخصات الكتب الاجنبية ، وبالرائع الخالد من عيون الادب العالمي ، افرد لها سلسلة مستقلة من « مطبوعات كتابي » ، ونقلها الى العربية هو نفسه او عهد بنقلها الى صفوة من المترجمين ، فأثار للادباء العرب طريق الفن العالي ، واسدى الى الحركة الادبية في بلادنا اجل الخدمات .

على ان للاستاذ حلمي مراد شخصيته الذاتية ، تتجلى في ولعه بالفن القصصي ، وفي اسلوبه وطريقته في معالجة هذا الفن .

وهو بالطبع والمزاج قصصي اصيل ، مرهف النظرة ، دقيق الملاحظة ، مشبوب الخيال ، ينزع الى اللون العاطفي الذي يصور مشاعر القلب ، ومنازع الحس ، وخلجات النفس والوجدان .

ونحن في مجموعته القصصية الاخيرة « عندما تحب المرأة » ، نلمس هذا اللون المحبب اليه ، ينبض بشعر العاطفة والروح ، ويتقد حركة وحرارة وحياة .

ففي قصة « ايها الربيع ترفق » ، نستشعر ذلك الاسى الناعم لعاطفة بكر كتوم ظلت تخفيها بطلة القصة « ليلى » عن حبيبها الطبيب الشاب . فدفعه كتمانها وعدم تبصره بقوة العاطفة التي تضطرم في كيانها ، الى التحول عنها والاسترسال في هوى صديقتها « عايدة » التي تعرف اليها عن طريق ليلى . فاحست ليلى ان انطواءها وتكتمها كانا شرا عليها ، وان صديقتها قد سلبت منها حبيبها . فاسودت في وجهها الدنيا ودب في نفسها اليأس فانتحرت . فانخلع قلب الطبيب الشاب ولم يستطع ان ينعم بالسعادة قرب عايدة وبينهما جثة ليلى المنكودة التاعسة .

فهذه القصة رغم رقتها وما يشيع فيها من جو عاطفي حالم ، قد عبرت ابلغ تعبير عن سطوة المشاعر العنيفة اذ تعصف بالقلوب الغضة. فتختم على البصر والبصيرة ، وتجرد الانسان من قدرته على تحقيق آماله وتذليل ما يعترض تلك الآمال من صعاب . فضعف الارادة هو الذي اودى بليلى ، والدعوة الى القوة والارادة هو هدف القصة ، وهو الصرخة المنبعثة من بين سطورها ، تستنهض عزائمنا وتهزنا من الاعماق.

واما قصة « الرد خالص » فتدور حول فتى وفتاة ، اوجس كلاهما من الزواج بالآخر لان كلاهما كان يخفي حقيقة مكانته الاجتماعية عن الاخر ، ويلقي في روعه انه من ذوي الجاه والثراء . ثم ينكشف الستار اخيرا عن مكانتهما الاجتماعية المتواضعة ، ويتغلب الحب ، وينهار ذلك الحائط الوهمي الذي صنعاه كلاهما مدفوعين باغراء المال والجاه ، والتعلق بالمظاهر والافتتان بها .

فالقصة درس اخلاقي يحفزنا الى الصدق والصراحة ، ويعلمنا كيف نعتز بحقيقتنا وبما فينا من مشاعر ونوازع طيبة وسامية ، لا بما تتطلع اليه اهواؤنا من زيوف الحياة واباطيلها .

فالحب هنا يقهر في النهاية سلطان المال ، بل يصبح هو نفسه ثروة ، فيكسو وجه الدنيا في نظر المحبين الصادقين طبقة من ذهب .

واما قصة « رجل له ماض » ، فترتفع بنا الى مستوى التحليل النفسي . وهي في الحق وثيقة حية ، تكشف عما يمكن ان تحدثه في نفوسنا مفاسد الماضي ، تلك المفاسد التي تظل تلاحقنا في قسوة ، وتطاردنا في عناد ، وتحول بيننا وبين الحياة المستقرة الخصبة يوم ان نفكر في الزواج ونطمع في الاخلاص لامرأة واحدة .

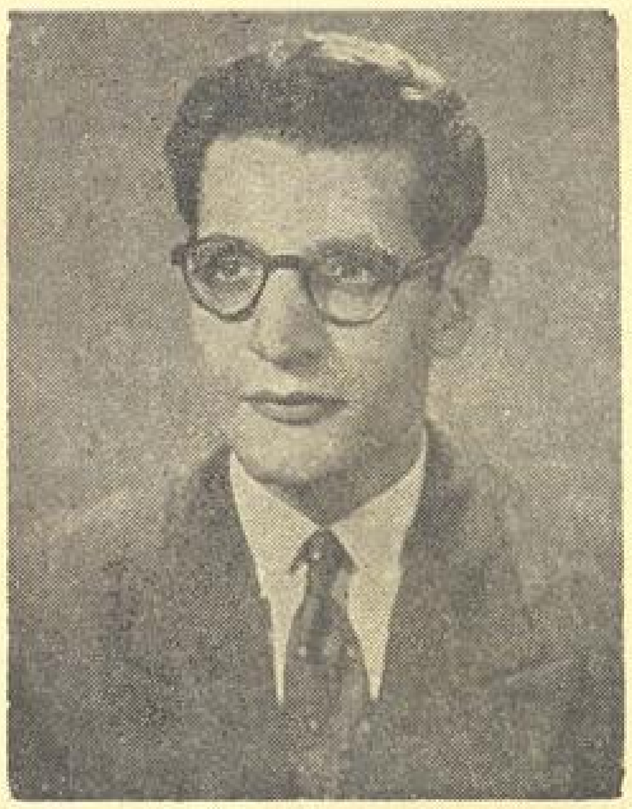
فبطل القصة عاش حياة زاهرة بالوان العبث والاستمتاع . فباتت كل امرأة في نظره شبيهة باولئك النسوة الخليعات المتبذلات المتلونات التي عرفهن في مطلع شبابه . فلما اقدم على الزواج خيل اليه ان امرأته على غرارهن . فراح يشك فيها هي البريئة ويسرف في الغيرة عليها ويعذبها . فاستحالت الحياة بينهما الى جحيم . فطلقها ، واقترن باخرى . فعذبها وتكررت المأساة . فطلقها ايضا واعتزم الا يتزوج . ولكنه احس ان حاجته الى المرأة كحاجته الى الخبز . فتعلق بفتاة صغيرة شبه طفلة واحبها حبا خالصا . بيد انه اشفق عليها من نفسه ومن ماضيه الذي يطارده ومن يقينه بانه لو اقترن بها فلا بد ان يعذبها كما عذب زوجتيه الاولى والثانية . فلم يجد سبيلا الا ضبط النفس ، وكبح العاطفة ، والتراجع والفرار .

وعندي ان هذه القصة هي من اجمل واكمل ما في المجموعة ، تمتاز بالتحليل البارع ، والوصف الدقيق ، وتصوير شتى الانفعالات التي تساور انسانا مكبلا بماضيه الملوث ، ومستبصرا به تماما ، وعاجزا مع ذلك عن الفكاك منه .

ونجد في سائر قصص المجموعة ذلك الاسلوب السلس الرقيق ، وتلك اللمسات الواعية الذكية ، تقترن فيها النعومة بالدقة في التحليل والبراعة في العرض والاداء .

فالمجموعة ولا ريب ذخيرة ، ذخيرة شائقة من الفن القصصي العاطفي الرفيع .

القاهرة ابراهيم المصري



محمد رجب البيومي

من حديث احمد محرم

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حامل القلم مصلح ذو رسالة ، فهو يحمل المشعل ليقود الركب حين تدلهم الحنادس ، وتشتد الحيرة ، ومنهجه منهج الصالحين ، يدعو الى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن ، تلك هي رسالة صاحب القلم ان كان ذا نفس شريفة ترسل بوارقها اللامعة لتضيء الكون ، فاذا تنكب سبيل الحق ، فلن يكون الاديب المثالي مهما سود الصحف ، وحبر الاوراق.

وقد ابتلي الناس بمن استجابوا لنزواتهم الشخصية من الكتاب والشعراء فصدروا في ادبهم المريض عن انانية مسرفة تتجه الى التسلق الفضولي دون تقدير لرسالة القلم في احقاق الحق ، وازهاق الباطل ومن هؤلاء من واتتهم الشهرة الزائفة ، والجاه العريض فظنوا انهم بلغوا القمة عن جدارة صائبة واصالة عريقة ، ولكنهم يخدعون انفسهم بهذا الظن الكاذب ، لان من وراء الستار عيونا تنظر ورؤوسا تفكر واحكاما تدفع الجائرين وتمجد المعتدلين ، وسبيلنا الآن ان نتحدث عن شاعر حفظ امانة القلم، فصان مروءته وصار وجيها في الدنيا والآخرة، وهو شاعر الاسلام في ديار العروبة احمد محرم نضر الله ثراه .

لقد كتب الاستاذ محمد كرد علي بعض مذكراته الادبية بمجلة « الثقافة » عام ١٩٤٠ ، فذكر احمد محرم بين من عرفهم من ادباء مصر اللامعين في مقال تاريخي شائق ، وكان الشاعر الكبير لا يزال على قيد الحياة فعقب على مقال الاستاذ محمد كرد علي بمقال لاحق فصل فيه كيف تم اللقاء الاول بينه وبين الاستاذ كرد علي رحمهما الله فسرد من الذكريات ما يفيد في مجال القدوة الصالحة والاسوة الحسنة ، وسنوجز ما يشير الى ذلك لنبين كيف يحرص الاديب الحر على نزاهة النفس وراحة الضمير !

كانت بمصر لاوائل هذا القرن جريدة تسمى « الرائد المصري » تهتم بالشؤون السياسية والادبية معا ، وكان احمد محرم بين من يخصونها بشعره ونثره ، حتى اشتهرت به واشتهر بها حقبة من الزمن ، وكان لا يزال فتى يافعا يقبع في دمنهور دون ان تأخذ عينيه اضواء العاصمة الكبرى ، ثم واتته الفرصة اذ جاءته رسالة صاحب الرائد المصري تدعوه الى العمل بالجريدة محررا دائما يقيم بالقاهرة ويتناول الراتب المجزيء ، فعرض الامر على أبيه فرآها فرصة سانحة لتألق مجده ، وانتشار ادبه ، وهيأ له كل سبيل لسرعة التنفيذ موصيا اياه بالكياسة والحيطة ليأخذ مكانه اللامع بين شعراء العصر وكتابه ، ويطرح عنه خمول الريف .

خف الشاعر الى القاهرة ، واتجه الى ادارة الجريدة ، فشاهد الاستاذ محمد كرد علي اول ما شاهد فتعارفا وتصافحا ، وعلم ان الكاتب السوري هو المحرر الوحيد بالمجلة ، واخذ من لحن الحديث ما يدل على ان الاستاذ كرد علي غير حائز لرضى صاحب الجريدة ، ويخشى ان يبحث عن سواه فلا يجد ما ينفق ، فأسرها محرم في نفسه ، وفكر وقدر .

ثم توجه الى مقابلة صاحب الجريدة فعانقه في حرارة ، واخبره انه اختاره ليكون صاحب الراي في اعداد مواد الجريدة ، وعليه ان يكتب افتتاحياتها ، ثم اوصاه بكتمان الامر عن الاستاذ كرد علي أذ انه يمهد لاستبعاده، وانتقل الحديث سريعا الى الموضوع الاول الذي ستصدر به افتتاحية العدد القادم ، فقال صاحب الجريدة لمحرم :

ان فلانا ـ يعني بعض الكبار ـ تعرض لغضب الانجليز ، واودع السجن لاسباب اخذت عليه وسيقدم قريبا للمحاكمة ، وبيني وبينه عداء شخصي كما ان بعض الجهات المسؤولة يسرها ، ان تسهم الجريدة في التنديد على السجين واشاعة ما يدينه كيلا يفاجأ الرأي العام بقسوة الحكم عليه ، وعليك الآن ان تجعل المقال الافتتاحي القادم تشهيرا بالرجل وتنديدا به .

فقال محرم دهشا : ولكني اعتقد ان الرجل الكبير بريء ، وان من الظلم الفادح ان نجاري ذوي الاغراض المريضة دون ان نرعى امانة القلم !

فابتسم صاحب الجريدة ابتسامة ماكرة ثم قال في كياسة : انت صغير يا بني ، وستعرف ان المحرر بأي

جريدة لا يصدر عن رايه فيما يعتقد في الناس ، ولكنه موظف يأخذ راتبه من صاحب المجلة ، واول واجب عليه ان يضع قلمه خلف توجيهه ، فقم الآن واكتب مقالك الافتتاحي ، لاقراه في الغد .

فبادره الشاب النزيه بقوله يا سيدي ليس صاحب القلم سلعة في يد أحد ، وما جئت اليك الا لاكتب آرائي الخاصة في جريدتك كما كنت افعل حين أراسل الصحيفة من دمنهور ، فاما اذا رفضت ذلك فلن أبيع كرامتي ، ثم اسرع بالاستئذان فطاف بالاستاذ محمد كرد علي ليقولها له صريحة سافرة : لن يحل مكانك احد يا صديقي .

رجع الشاب الى منهور ، فراسل الصحف الكبرى متفضلا بأدبه وشعره ، وصار له دوي رنان في وادي النيل ، وكان مدير الاقليم لهذا العهد البعيد ، يقرأ شعره موقعا باسمه وعنوان مدينته ثم يتساءل عنه متعجبا كيف لا يخف الشاعر اليه ليمدحه مع المادحين ، اليس يقيم في دمنهور ، فلم لا يسارع الى تهنئة مدير دمنهور في كل مناسبة تحين كما يفعل كثير من ابناء الاقليم .

وجاء الرسول الى محرم حاملا رغبة المدير الكبير في مديحه اياه ، فنظر محرم دهشا ، وسأل رسول المدير ؟ وماذا صنع صاحبك حتى اكيل له المديح ثم عقب على ذلك فقال اذا كان يريد ان يمدح لانه المدير فحسب ، فليعلم اني وحدي بدمنهور امدح الاعمال لا الرجال ، فليقم بما يستحق المديح من الجلائل وعلي ان اشيد .

وكان درسا ثانيا القاه شاب ناشيء على مسؤول خطير بعد درسه الاول مع صاحب « الرائد المصري » منذ اسابيع .

هذه ناحية تشير الى خلق الشاعر العظيم ، ولسنا الآن في مجال الحديث عن ادبه اذ سبق لي ان تناولت بعض قصائده بحديث ما اظنه يوفيه حقه وان تكرر وتتابع (١) ، ولكني أسود هذه الاوراق لاشير الى غبن فادح وقع على الشاعر المسكين حين تعرض للحديث عنه من اخلصوا النية وجدوا في البحث فاهتدوا الى خير كثير ، ولكنهم صدقوا بعض ما قيل عنه من ترهات فدونوها دون تمحيص ، واليك مثالا مما نعنيه .

لقد احسن الدكتور محمد ابراهيم الجيوشي بين اختار احمد محرم موضوعا لنيل درجة الماجستير من معهد الدراسات العربية بالقاهرة فوفق في اختياره كل التوفيق وبذل من الجهد والدأب ما يذكر له بالسبق والجلد ! ولكنه تورط في بعض ما كنا نود ان تسلم منه رسالته ، اذ ظن ان كل مواطني محرم في دمنهور من اصلاء وادعياء يصلحون مصدرا لدراسة حياته ، فشد الرحال الى بلدة الشاعر ليجمع عن المخلصين والمغرضين ما يقولون ثم ليعتقد ان جميع ما يسمع مما لا يتطرق اليه الشك ، فأخرج رسالته وبها من الشوك ما يحتاج الى استئصال اذ استمع الباحث الفاضل الى زجال شعبي يهجو الشاعر الكبير بكلام سمج ينحدر الى حضيض وبيء حين اخذ يشتم محرم بأخبث ما يقال ! حتى جعله خنزيرا ! فراى من الامانة ان ينقل هذا القول المسف في رسالته نقلا جانبه الذوق والحساسية ، ولم يكن البحث العلمي في حاجة اليه حتى يقال انه مما لا معدى عنه ! وزاد فنقل عن هذا الزجال من الاسباب والعلل ما لا يسلم امام النقد النزيه .

لقد كان محرم عدوا مبينا لانصار العامية من متعاطي الادب الشعبي ، لانه وهو الشاعر الجزل الاصيل يرى الفصحى اوثق رباط بين ابناء الامة العربية، ويعلم ان دعاة الاستعمار من ذوي الاهواء يدعون الى الآداب الاقليمية ليوهنوا رباط الفصحى الوثيق عن غرض خبيث ، لذلك كتب الشاعر مقالاته الناقدة « عن الادب الساقط » متهكما بالزجل العامي وله وجهة نظره المعقولة في رايه ، ولسنا الآن في مجال تفنيدها او تأييدها ، وقد اخذ باللوم احمد شوقي واسماعيل صبري حين تعاطيا الزجل الشعبي في بعض ما نظما من الابيات .

فالقضية اذن قضية فكرية تدور حول مسألة واضحة في رايه لا تقبل التأويل ، وطبيعي ان ينكر محرم كل ما يقوله زجالو مصر الكبار والصغار معا ـ ولكل وجهة هو موليها ـ فاذا نظم احد الناشئة في دمنهور موطن الشاعر بعض الازجال فلن تلقى اي ترحيب من محرم داعية الفصحى وصاحب القول الجزل ، والشعر الرصين ، فهي عنده من الادب الساقط لا محالة ! هذا رايه الصادق يعلنه في غير مواربة او تحفظ ، وان ضاقت به صدور والتهبت له اكباد !.

ولكن هذا الزجال الناشيء يرى نفسه ندا لمحرم ، فيظن انه يعنيه فيما يتهم به الادب الشعبي ، ويتلمس بعض الاسباب لتقوية هذا الظن المضحك فيزعم ان محرما تضايق منه لان الشاعر الكبير كان يحب فتاة يعرفها الزجال ويؤثرها بانشاده ! فهاجم الادب الشعبي في شخصه ، ورد عليه الزجال هاجيا شاتما ! ويصدق الاستاذ صاحب الرسالة العلمية جميع ما يسمع فيروى القصة كما قالها الند المزعوم ثم يشفعها بهجاء الزجال مع انحداره المسف ، وتلك عثرة لا تقال .

من الجائز ان يكون الشاعر الكبير قد احب حبا عفيفا شريفا دفع اليه دون تفكير ! وليس في الحب العفيف معابة ، واذا ظهرت نوافح هذا الحب فيما سجل الشاعر من قول ، فصاحب الرسالة العلمية مضطرا الى ان يشير الى ذلك في نطاقه المعقول ، اما ان يعتقد ان البحث العلمي في حاجة الى استقراء كلام المغرضين ، ثم

١ ـ لي بحوث شتى عن احمد محرم يرى بعضها القارىء في الجزءين الاول والثالث من كتابي « نظرات ادبية » .

بغـداد

●

بغـداد يا أملي وحبي يـا جنـة رفت بقلبـي
دنياك تعبق بالطيوب وعـن منـى الاشواق تنبي
وهواك يعلـق بالقلوب ويستثير هـوى المحب
لولاك ما عرف الهوى قلبي وأزهـر بعـد جدب
عـام تولـى والطيـوف تغازل الاشواق قربـي
فأصيح مـن حرق البعاد فـلا تجيب ولا تلبـي
واظل أرنو للكرى ينساب مـن رعشات هدبـي
وألملـم الاطيـاف والاشواق في لهـف وحـب

بغـداد يـا أخت الجمال ويـا ربيعا بعـد قفر
أنت الحياة فان صددت ترنحت أحـلام فجري
واذا وصلت تهـادت الآمـال في أنـداء عطـر
أهواك آسرتـي وفي ريـا نـداك يطيب أسري
أبدا أحن الـى ربوعـك والحنين رواء عمـري
ما بت الا والربيع يطوف فـي جنـات سحـر
أترقب الحلـم الجميـل لعلـه بالشوق يسـري
لاذوب في عطـر الندى ويقبـل الافيـاء ثغـري

جامعة الكويت — احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى تسجيل ما يهرف به الادعياء من هجو فاضح ، فهذا ما كنا نربأ بالباحث عنه ، ولعله في الطبعة الثانية مـن كتاب « العروبة والاسلام » يتناسى هذا الهجاء الاليـم فيمحوه دون تثريب .

لقد قضى الشاعر حياته مضيعا بين قومه حتـى جاز له ان يقول في ألم :

ديار الشرق هل بك مـن قطين — دعيني مـا الديار ومـا القطين
ظمئت وفي فمي الادب المصفى — وضعت وفي يدي الكنـز الثمين
أمـن أدبي تظـل الطير تبكـي — فمـا ادبـي اشدو أم رنـين
ظلمت ابـي ونفسي ان مثلـي — لغال فـي النوابـغ لا يهـون
كريم تدفـع الاخـلاق عنـه — ويمنـع ركنـه الادب الحصين
اقول فيفـزع الشعراء صوتـي — وما انا في بنـي وطني ظنـين
أشد علـى الفنون يدي وانـي — لفـي زمـن جهالتـه فنـون
لربي ما عملت وعنـد قومـي — ديونـي حـين تلتمس الديـون
وجودي مـا عرفتك غير معنـى — تغلغل فـي الخفـاء فما يبـين
غريق فـي الظـلام ولا مغاص — ولا جسـر يـلاذ بـه امـين

أطل ويضرب التيـار وجهـي — فأيـن أنـا أحـر أم سجـين

او يقول :

هذي القصائد ما انتفعت بنظمها — فعلام ارجوها لنفـع غلامـى
أيفاخر الاقوام مـن بعدي بهـا — فلقلما تدري بـذاك عظامـى
النار اولى بالـذي انـا جامـع — امـا لدفء او لنضج طعـام
هبني أبـا تمـام فـي ابداعـه — ماذا يسرك مـن أبـي تمـام
اودى فضاع قريضه في معشـر — ليسوا باعـراب ولا اعجـام

الى امثال هذه الابيات الحائرة أفيجوز لنا بعد موته ان نقسو عليه بنشر الاهاجي اللاذعة وتسجيل الاراجيف الواهية ، فيعز عليه الانصاف بعد الموت كما فقـده في الحياة ، مع ما كان يرى من اقبال الدنيا علـى ادعياء الفن حين تعد لهم المناصب وتمهـد لشعرهم المطابع ، ويكسبون الاجر ماديا في الجيب وادبيا في نباهة الذكـر وانتشار الدوي ! وانها لمأساة .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الطبيعـة ..

الطبيعة موضوع خطير ، جليل الشان ، يأخذ منه بقسط وافر ارباب الشعر والخيال ، واصحاب الدين والفلسفة ، وعلماء النبات والحيوان ... والطبيعة في معناها الاكبر تشمل الكون كله ، بما فيه من مخلوقات الله سبحانه .. ويصل الفكر ببعض الفلاسفة في شانها الى ما يرادف « الخالق » جل شانه ، ومن هنا ينزلق بعض الكتاب في تعبيرهم عن « الطبيعة الخلاقة » .. وما اشبه ذلك من التعبيرات المنحرفة التي لا تدل الا على احد امرين .. اما ان صاحبها ملحد ، ينكر الاديان السماوية .. واما انه منساق على غير هدى ، يقلد القائلين بمثل ذلك ، دون بصيرة واعية ، او ادراك سليم ..

ولست ادري في الحقيقة ماذا كان المقصود من جعل « الطبيعة » .. بابا للدراسة في قسم اللغة الانجليزية .. وهي دراسة ادبية محضة .. هل كان المقصود ان نتلقن على استاذنا سنكورت ، وزملائه، حب الطبيعة باعتبارها بابا كبيرا من ابواب الشعر الانجليزي .. ام المراد ان نتعلم عنهم عبادة الطبيعة ، باعتبارها قوة خارقة ، من وراء قوة البشر ، وانها هي المقصود الحقيقي لاولئك الشعراء ، حين يكثرون من ذكر عناصرها او مظاهرها ، في اثواب من الجمال الشعري ، الذي يغلف ما وراءه من اغراض خداعة او مسمومة ، بغلاف شفاف من الوزن والقافية ، والموسيقى الرائعة ، وسمو الخيال ، وجـــلال التعبير ؟!

لقد كنت اقرأ « شلي » .. كنت ادمن قراءته .. وكنت اعجب بما يحتوي عليه شعره من جمال ، حين يتحدث عن النبات الحساس .. وعن الريح الغربية العاصفة ، وهي ترتعش في اصفرار واحمرار ، كما يرتعش المريض بالحمى .. وعـن السحابة التي تنام علـى اكتاف الجبال .. وعن القمر الذي يتسلق جدار السماء .. كنت اقرأ كل ذلك فيعجبني ، ويبهرني حتى لاشغف بما فيه من جمال وابداع .. ولكن شيئا من ذلك لم يكن يؤثر قلامة ظفر في ايماني بالله .. ولم اكن لاتصور للحظة واحدة ، ان الشاعر يمكن ان يعني بذلك شيئا لا يحتمله العقل ، يخفيه وراء ذلك الجمال الخلاب .. فان كان يعنيه ـ ومعروف انه كان ملحدا ـ فاني كنت بين احد امرين ، اما ان يغطى جمـــال الاسلوب على ما وراءه من هدف بعيد ، فلا التفت له .. واما ان يظهر مقصده واضحا ، فتمجه نفسي حينئذ وتنكره اشد الانكار ..

وقد خرجت من محاضرات الاستاذ سنكورت .. في الطبيعة .. باعجابي بهذا اللون من الشعر ، الذي يشبه شعر الوصف في ادبنا العربي .. فوق ما كان لهذا الاستاذ من طريقة في الالقاء ، لا تخلو من بخبخة ونسنسة ـ على حد تعبير الدكتور طه حسين في حديثه عن المتنبي ـ ولكنها كانت تشوقني الى الاستماع له والاستزادة منه .. فلست انسى انه كان يقرأ قصيدة طويلة بعنوان « الفصول » للشاعر ادموند سبنسر ، لا تزال صور منهـــا عالقـــة بذهني .. وانه كـــان يقرأ قصيـــدة « بروتـــا لاميـــون » للشاعـــر نفســـه .. فيخفـــض ويرفع « بتشديد الفاء المكسورة في الكلمتين » في صوته ، حين يصل الى نهاية كل صمد من اصمادها ، ذات الثمانية عشر شطـــرا .. والتي يقول فيها الشاعر مخاطبا نهر التيمس :

« ايها التيمس الجميل ! فلتجر ناعما ، هامتا ، متهدا .. حتى اتم لك اغنيتي ! »

وعندما شرعت في جمع ديوان « اليخت الذهبي » .. وتقسيمه الى ابواب ، كانت لدي حصيلة طيبة ، مما يمكن ان يسمى شعر الطبيعة.. وهي هنا طبيعة مصرية ، عربية في مصدرها وفي التعبير عنها ، ولكنهـــا تزيد على شعر الوصف المجرد ، بما اكتسبته مـــن هـــذه القرارات والدراسات الغربية .. ومن هنا كان باب « الطبيعة » في الديـــوان ، بابا من ابوابه الرئيسية .. على انني في نظرتي الحالية لذلك التقسيم اجد ان روحا عامة كانت تشمله . مما كان يجعل بعض قصائد البـــاب توجد في غيره .. ومن هنا كان وضع قصيدتي التعارف بين الطـــلاب القدامى والجدد ، في باب الجامعيات .. وهما اجدر ان توضعا في باب الطبيعة ..

الاولى هي قصيدة « الاخاء » .. وقد القيت بجزيرة الشاي فـــي احدى حفلات التعارف .. تقول الفقرة الاولى :

ايه يا دار ! كل مـــا بـــك حسن صيغ فنا من الفنون الجميلـــه
فيك شعر ، وفيك ورد شبـــاب واخـــاء ، ورحمة ، وفضيلـــه
وحواليك روضة .. سقسق العصفـــور فيها .. واخضر ثوب الخميله
وجرى الجدول المصفق .. بالنو ر .. يرى نرجس المياه سبيلـــه
وامانـــي فـــي الشباب اتيحـــت هي بعد انصرافه .. مستحيلـــه

وبعد هذا المرور العابر على الطبيعة في الصمد الاول ، الذي يكاد يكون تسجيلا لها ، واظهارا لاصباغها والوانها .. يأتي الصمد الثانـــي ليبعث الحياة في هذه المظاهر الجميلة في صمت وسكون .. فيقول :

يا يدا .. مشعل الهدى ضوأتـــه يسكب النور في رياض القـــرون
ارفعيه .. فان فيـــه الامانـــي مشعلات بكهربـــاء الفنـــون
يوقظ الورد ، والبنفسج ، واللبـ ـلاب .. في مقمر الدجي المفتون
ويثير الافكار .. في سعف النخـــل .. وفي الجدول المغني الحنـــون
ارفعيـــه .. فانـــه أبـــدي كاشف البحر ، منقذ للسفـــن

فاذا ما استيقظ الورد واللبلاب ، وثارت الافكار في سعف النخل .. تحركت كل مظاهر الطبيعة ودبت الحركة والنشاط في دار الفنون.. وهي ذلك العالم الروحي ، الذي يعد وطنا للجميع .. يلتقون فيه على هوى الطبيعة والشعر .. ويتفانون في خدمة العلم كالنحلة الدائبـــة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على عملها .. وهكذا يثمر زرع الاخاء ما يرجى له من ثمر .. ولذلك يوصف الاخاء في الصمد الاخير بانه ذلك الطائر الذهبي الخالد ..

سوف يحيى الاخاء في الخلد طيرا ذهبيـــا ، وتصـــدا الاجسام
تستحيل الوجوه في الفكر وهمـا عجبي ، كيف تخلـد الاحـلام
كـل هـذا الجمال يمضي هبـاء ويظـل النشيـد ، والانغـام
ويظـل الاخـاء .. في عنق الايـام .. عقـدا يشع منـه النظـام
ان ذهبنا .. فسوف يخبر عنـا صادق الحب، والصفا، والسلام
ولقد ذهبنا .. فليت شعري حدث عنا الاخاء والحب .. كمـا

تصور الشاعر ذلك ، في لحظة رائقة ، من لحظات صباه البعيد ؟!

اما القصيدة الثانية من قصائد التعارف .. فهي قصيدة « جيل من النور » .. وسنقتصر على ما فيها من وصف الطبيعة .. وهو في الحقيقة وصف لحديقة الاورمان ، المحيطة بمباني الجامعة .. التـي ضمت معاهد الحب والجمال ، وغيرتها يد الايام .. وهذه هي الابيـات في مطلعهـا :

لا الزهر زهـر ولا الحديقـة الا باحلامـك الرشيقـه
يـا بهجـة العمـر والاماني وآيـة بالعلـى خليقـه
ملأت جـو الآمـال عطـرا بـوردة منـك او شقيقـه
كـان روض الاورمـان دنيـا للخلـد ، احلامهـا نسيقـه
سحر مـن السحـر عبقـري تميـس اغصانـه الوريقـه
كـأن زهـر البشنين فيـه عرائس فـي الشتـا غريقـه
كـأن شـدو الطيـور لحـن يأتي مـن الجنـة السحيقـه
وانت روح الشباب .. تسـري في الجيـل .. حساسة عميقـه

اما القصيدة الاولى في باب الطبيعة نفسه .. فهي قصيدة هامة من حيث موضوعها ، وشكلها ومحتواها جميعا .. وهي احد المعالـم البارزة في محاولة التجديد ، التي مارستها حينئذ .. الا وهي قصيدة « الفيضان » .. وقد كان من المهم ان اتحدث عن « النيل » في الشعر، وان كان حديثي قد اختلف عن حديث شوقي عنه .. لقد كان شوقـي يحيي استاذه مرجليوت ، وهو استاذ التاريـخ في جامعة كمبردج ، فجمع مادة قصيدته عن النيل كلها من كتب التاريخ .. امـا قصيدة الفيضان ، فكانت من وحي النيل نفسه ، وفي ساعة معينة من ساعات امتلائه ، وهو يفمر الشطآن ، ويجري ليفمـر ارض الريف ، العطشى المتطلعة اليه .. وكان يصحب هذا الاخذ المباشر من النيل ، ذلـك الخيال المجنح ، او المهوم ، او الحالم كما كان يحلو للشعراء في ذلـك الوقت ان يعبروا عن شطحاتهم .. اما فيما يتصل بالاسلوب ، فقـد كانت القصيدة جديدة حقـا ، وان كانت الاصماد التي اجريتها عليهـا ليست اختراعا خالصا لي ، ولكنها متابعة للشاعر ادمونـد سبنسر ، الذي اشرت اليه منذ قليل ، في قصائده المتصلة بالطبيعة .. وكان له صمد ، او دور شعري ، عرف باسمه ، من الايامبك ، تجري فيـه التفعيـلات ، على تسعة اشطر ، او اسطر ، كما سبق ان ذكرت .. على الترتيب التالي :

١ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٣ ـ .. كما كان لـه صمد آخر مضاعف يحتوي على ثمانية عشر شطرا ، هو مـا ذكرته في الحديث عن قصيدة « بروتالاميون » ومعناها « الاغنية التي تقال فـي الاعراس » .. وهذا الصمد المتضاعف تجري تفعيلاته علـى الترتيب التالي ، وهو : ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١ ـ ١ (مجزوء) ـ ٢ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٢ (مجزوء) ـ ٤ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٥ (مجزوء) ـ ٥ (مجزوء) ـ ٦ ـ ٦ .. وقد جربت هذين الصمدين في تلك المحاولات الكثـيرة البادئة ، واحسست انهما يعطيان جمـالا طبيعيا ، وموسيقيا بغـير حدود . ولذلك كنت اود ان ارسم من هذه الاصماد الغربية ، ومـن مثيلاتها .. ما يمكـن ان نتخذه ضوابط لشعرنا العربـي .. مراعين طبيعته ، ونسقه ، واغراضه .. متحاشين بهذه الضوابط ان يندفـع بنا الى ما اندفع اليه الشعر الجديد المعاصر ، من فوضى لا حد لهـا، ضيعت ما يحتوي عليه من جمال فعلي ، عند احسن شعرائه ، وقربته فعلا الى النثر ، كما قال العقاد في معارضته المعروفة لهذا الشعر .. وكما نقول نحن ، مصححين قول العقاد ، او موضحين له في الحقيقة ، بانه اصبح قريبا الى النثر الفني ، الذي هو في مختلف عصور الشعـر العربي نوعا من الشعر المنثور ، لم يدع اصحابه ابدا انـه شعر ، لبعد ما بينه وبين الشعر !

وقصيدة « الفيضان » منظومة على الطريقة الاولى من اصمـاد سبنسر ، وهـي التساعية .. وهذا هو الصمد الاول منها .. كمثـل عليهـا :

يا زاخر النيل ، جلابا من الازل مجدد الفيض ، ما دار الجديدان
وساقي الغاب ذي الاعشاب والدغل تكسوه بردى اوراق ، وعيـدان
والسيسبان.. باعلى الشط كالجان والنخل ماردة .. حلت ضفائرها
هي الطبيعة اضفت ثوب الـوان عليك، ام انت قد زخرفت سائرها
بمائـك العذب اذ تسقى مخاضرها ؟

والسيسبان ، شجر لا اذكره اعتباطا ، فيضحك او يسخر مـن كان مولعا بتتبع بعض الالفاظ في الشعر الجديد يومئذ .. وانما اذكره لذكرى عزيزة كانت ترتبط بطفولتي الاولى ، ارتباطا وثيقـا ، هـذه الطفولة ، التي ظللت استمد منها ، مصادر الهام لا حد لها ، وارجو ان يأتي الحديث عنها في هذا الحصاد ، في دوره ، ان شاء الله ..

اما تشبيه النخل بالماردة التي حلت ضفائرها .. فلم يكن مأخوذا الا من مصدره ، وهو الطبيعة ذاتها .. وكان من المعجبين به يومئذ ، الصديق الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل .. ولعله لا زال محتفظا بذلك الاعجاب حتى اليوم !

وهناك قصيدة اخرى في هذا الباب بعنوان « الحقل الابدي » .. جرى نظمها على ذلك الاصماد .. وهي صيحة مـن صيحات الامل ، ودعوة الى الالتفات نحو الريف واهله ، ولمحة مـن لمحات الفكر .. منها هذا الصمد :

يا حقل ، انت لمثلي فرحة الابـد والشمس في مطلع الاشراق آمالي
كم انشدتني السواقي فيك عن بعد لحن الهناء، فاحيت كاسف البال
وشاق عيني خيال الصبوة الخالي ورددت عذبـات الدوح تهماسي
ومشط النخل شعرا فرعه عـال وشق جدوله الفـلاح بالفـاس
مغنيـا .. لا يبالي الدهـر بالناس !

هل رأيت النخل يمشط شعره في هذه المرة .. بعد ان كان محلول الضفائر من قبل ؟! هناك كانت الروعة والتهويل والبحث عن المجهول.. وهنا جاءت النظرة الهادئة للامل والعمل ، والركون الى فرحة الابد.. ثم يلي هذا الصمد :

نظرت راد الضحى من رحبنا فذتي اليك يا حقل.. والاحزان تفعمني
الى مرب عظيم مـن اساتذتي بمحكم الشعر والتنزيل يلهمنـي
ابكي على النفس والاخوان والوطن موزع الفكر بالاكـوان مشغـولا
وصاحب الشعر لا ينفك في حزن يظنه عـن هموم البعث مسؤولا
وكـان يكفيـه هـم النشأة الاولـى !

ونحن ندع موجة الحزن الطاغية ، التي كانت تلف هذا الشاب ، اول نشأته ، منبعثة مما كان يكتنف حياته من غموض وابهام .. لكـي نتساءل حقا ، ما هو الفرق بين نظم القصيدة على هذه الاصماد ، وبين اطلاقها في بحر البسيط ، على طريقة السابقين من شعراء العربية .. في مثل قصيدة « الروض الناعس في الظهيرة » .. التـي تليهـا في الديوان ؟ فقد نزلت صباح يوم الى حديقة النزهة بالجزيرة ، ومعـي كتب للمذاكرة .. وكان الجو بين الربيع والصيف ، والبنفسج يمـلأ الروضة ، ولكن الجو المائل للحرارة كان يدعو للنوم : فنام الجالسون على المقاعد ، وفوق الحشائش ، كما نامت غادة حسناء بعض الوقت.. ثم نهض الجميع من نومهم ، وذهبت الحسناء الـى نافورة المـاء ، فنضحت وجهها وشعرها .. وهكذا دبت الحياة من جديد ..

يا دمية فوق خـد الورد ناعسة وفي الظهيرة احـلام الازاهـير
وللصبا بحفافـي ثوبهـا عبث تداعب الخز من ابريسم الحـور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الجبل

★

أحبها حين يحمي وجهها الغضب ... وناظراها ظبـى تسبي وتستلب
وقد تلظى فم واستبسلت شفـة ... تكاد لـولا الثنايا الفـر تختضب
كانمـا أمسكتها عـن مهاتـرة ... رخيصة ولديها المقـول الـذرب
عضت لماها علـى كـره محاذرة ... من أن يكون لـه من نطقها سبب
فلا الحضارة تغريها « بهارجها » ... ولا لآلـيء دنياهـا ولا الذهب
بريئـة تتأبـى ان يظـن بهـا ... وقد نماها الى شم الذرى نسب

وديع ديب

كنه ونقـوش فوقـه .. ورق
قد طال نومك، فضحى تبعتي املي
ومنهـا :
هي الظهيرة تفشي الروض لجهـا
والنائمون كموتى الحرب.. منظرهم
في ظل وارفـة ، تهتـز ناعسة
لمـا رأيتهم فوق الربـى قطعـا
ومنها اخيرا :
وغـادة وثبـت جذلانـة ، فرنت
بالمـاء بلـت لتسبيني غدائرهـا
فراشة جن منها اللهو ، فانطلقت

قـد ثقبتـه مناقير العصافير
كالشمس تبعث للشباك بالنـور
وهاجة بحـرور الضوء مغمـور
تراهم بـين مطـوي ومنشور
كمارد من بني الشيطان مخمـور
ظللت ارقب فيهم نفخـة الصور
الي عن حور في العين مسحـور
وارسلتها كمسك فـوق كافـور
على الحشائش، في خدع وتغرير

وتنتهي القصيدة بالاعتذار عن هذا انـوم والكسل ومتابعـة الحسان في الحدائق العامة .. في هذين البيتين :

جلست ثم للهو ، استعين بـه ... على جهاد لكسب العيش مقـدور
لما رأيت خشوعا في الطبيعة لـم ... أبخل عليهـا بانشـاد المزامـير

ومرت الايام .. ثم اعقبتها السنوات الطوال ..

وفي الرابع والعشرين من يناير عام ١٩٦٨ .. وكان الشاب قـد اصبح كهلا ، حطمته الاحداث التي دار بها الجديدان فعلا .. كمـا حطمته احداث حزيران المؤلمة حقا .. جلس هذا الكهل ، او الشيخ ، يشكو الزمان ، ويعاود القول في شعـر الطبيعة .. فاذا بهـذا الشعر المنطلق البسيط المليء بالآمال والوعود .. يتحول الى شعر فلسفـي ، ينظر ، ويتعمق ، ويحلل ، ويستنتج .. لقد كان الالهام هذه المرة ، متخذا بعض الصور التي يراها الذين تصفو نفوسهم ، وتتضح الرؤية امام بصائرهم وابصارهم .. لقد رأى الناس في هذه الحياة المزدحمة ، يشبهون تماما هذا النبات الاخضر ، المنتشر على سطح الارض ، فهـو يولد وينمو ويعيش ويموت .. وكذلـك الانسان .. وهكـذا كانت القصيدة الجديدة الاخيرة في شعر الطبيعة .. بعنـوان : « نحـن كالنبات » .. فلنستمع الى الشيخ .. وهو يتحدث :

اننا كالنبات .. نـزرع في الار ... ض ، ونسقي ماء الحياة فننمـو
اترى حين يحـرث الارض فـلا ... ح .. له من فلاحة الارض علـم
ثم يلقي البذور فيها .. ويمضي ... وعلى ثغـره رضاء ، وبسـم
وتجـيء الميـاه ، تمخـر فـي الطين .. بطـونـا ، ظلامهـا مدلهـم
غـير ان الشقوق تبتلـع المـا ... ء .. وتحفو على الجنى.. وتضم
ثم يبدو النبات اخضر .. يشتق طريقا الـى الهـواء .. فيسمـو
كل صبح لـه الطبيعة .. فرشا ... ة .. زهاها في لوحة الكون رسم

هذه قصة الميلاد .. فماذا عن قصة النشاة والحياة ، وما فيهـا من نعيم وعذاب ، ومن تطاحن كبار وصغار ، ومن تتابع بقاء وفناء ..؟

اشرقت نضرة النبات علـى الار ... ض .. لها بهجة ، ولون ، وطعم
فرقتها الحقول مـن كل نـوع ... ضمه مـن جوانب الارض قسم
من بقول صغيرة .. تمـلأ الار ... ض ، كما يملأ السموات .. نجم
وشماريخ باسقات .. تخفـي ... في ذراها .. بدر السماء الاثـم
رب خضراء من سنابل قمـح ... ما حكاها في الافق الا الخضـم
فاجأتها عواصف الريـح تـذرو ... فانثنت فـي مياههـا تستحم
وعجـوز مـن شاهق السرو .. لا يحكيـه الا عالـي الجبـال اشم
مذهل في صموده .. غير ان الر ... يـح تشتد .. والعواء يصـم
كل يوم تنمو البقول .. وتمضي ... وتفيض الزهور ... ثـم تلم
بينما الغاب مـن قرون طـوال ... قائم ، فارع البطولة ، شهـم

ولا بد من عظة وعبرة ، في مثل عابر .. فليكن هذا المثل :

مر يومـا .. علـى مسنة دوح ... عامـل فـي نشاطـه مستجـم
ولديـه المنشار .. في صفحتيه ... جاءها الموت ، والقضاء الملـم
قلت لمـا ترنحت مـن أعاليهـا .. فاهوت ! للدهـر نفـذ حكـم

ثم تأتي الخلاصة :

انما يولد النبات .. كمـا نـو ... لد.. طفلا ، له من الارض.. أم
ثـم يمضي مع النماء حثيثـا ... ثم يشتـد منـه روح ، وجسم
ثم يبدو في آخـر العمر شيخـا ... اثر الشيب فـي النضارة وسـم
ثم يلقى الى الثرى.. فاقد الرو ... ح .. فاشلاؤه على الارض..فحم

ثم تجيء النهاية .. ونصل الى المقصود من هذه الحكاية :

هكـذا نحـن كالنبات قديمـا ... حظنا ان نعيش .. والعمر يـوم
فاغنم الصفو مـن حياتك والحب .. فصفو الحياة ، والحب .. غنم
مولد ، ثـم نشاة ، ثـم مـوت ... ان نعش او نمت .. فماذا يهـم

وهكذا استمعنا الى الشاعر ، شابا وشيخا .. في حديثه عـن « الطبيعة » .. فلنستمع اليه ، شابا وشيخا ايضا .. في حديثه عن .. « الحب » !

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري



شبـاب الارز

القيت في المهرجان الخطابي الـذي اقامتـه المدرسة
الحديثة في سد البوشريـة ـ لبنـان

فوزي عطوي

* * *

تواثبتم الـى الدنيـا شبابـا ... ترون المجـد أمـرا مستجابـا
علـى اهدابكـم يختـال ومض ... أبـي اللمح ، يجتـاح الضبابـا
وهذا صرحكم ، ان قيـل صرح ... بنـى خلقـا ، واعـلاه قبابـا
عـن العرفـان مزقتم حجابـا ، ... وفوق الجهـل أسدلتم حجابـا
نهلتم مـن معين الفكـر فكـرا ، ... وزدتم فوق بـاب العلـم بابـا
سئلت الشعر فيكـم ، غير انـي ... شجاني ان يقال : شدا فخابـا
فعذرا ان اتيت ، وفوق ثغـري ... أطل الحرف يضطرب اضطرابـا
وحسبـي ان أعيبـت قافياتـي ... بأني ، في المحبـة ، لـن أعابـا
لقد امعنت عن شعري اغترابا ، ... ومـا عودت شعري الاغترابـا
وليس يضـير ألحانـي احتجاب ... فان الشمس تعـرف الاحتجابـا

شباب الارز ، ارفض ان تحابـي ... على حـق ، وارفض ان تحابـى
وبي ثقـة ، اذا ريعت بـلاد ... بأنك لـن تراع ولـن تهابـا
فـلا تعجب اذا مـا هـز شوقي ... الى شعري ، نداؤك فاستجابـا
لعينيـك الاغاريـد النشاوى ، ... ابث بهـا هـواك المستطابـا
أجلك ان تهـون وفيـك عـرق ... نـدي الجـود ، ينسكب انسكابا
أجلك ان تخنث مـن رفـاه ، ... وان تأسى اذا مـا الريب رابـا
لمثلـك انـت وطئت الليالـي ، ... فلا تسفح علـى قدم شرابـا

شباب الارز ، مـا كرمت بـلاد ... اذا جفـت اليراعـة والكتابـا
ولا رانت علـى الوطن الدياجي ... اذا مـا حث للعلـم الركابـا
ومـن عبث التمـدن ان نجاري ... علـى عنت ، قشورا لا لبابـا
ومـن عبث التفرنج ان نـداري ... لـدى الغرباء ، احلاما كذابـا
ومـن عبث المصالـح ان نماري ... بـلا وعـي ، ضـلالا لا صوابـا
ومـن عبث التعصب ان نداجـي ... لصوص الطائفيـة ، والذئابـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يراد بنـــا انقسام واحتراب ، ونرفض الانقســام والاحترابــا
فــلا اضحت اهلتنــا سيوفــا ، ولا صلباننــا امســت حرابــا

شباب الارز هــل اشجاك شعب اذاب مــن الحشاشة مــا اذابــا
يضللـــه الابالســة احتيــالا ، ويوسعــه السماســرة احتزابــا
أرادوه اغتــرارا وارتيابــا ، ونجحــده اغتــرارا وارتيابــا
وشــاؤوه ابتــذالا وارتكابــا ونمقتــه ابتــذالا وارتكابــا
تعصبــه لسادتــه ارانــي ، وقد جربتــه ، العجب العجابــا
أطــاع جهالــة نكــرا ، فبــاع المنــازل والمآكــل والشرابــا
ولــولا العار لــم يربــأ بعرض ، ولولا العيب مــا صان الثيابــا
عدوت الى السياسة مستطارا ، فلــم احسن سؤالا او جوابــا
وكنت أضــل ضليــل لانــي حسبت الشعب ينتخب انتخابــا
بذرت مــروءة ، وبذلت حبــا ، فلملمــت الشتيمــة والسبابــا
ومن عجب الشعوب ، تعق نسرا! وتجحــده ، وتأتــم الغرابــا

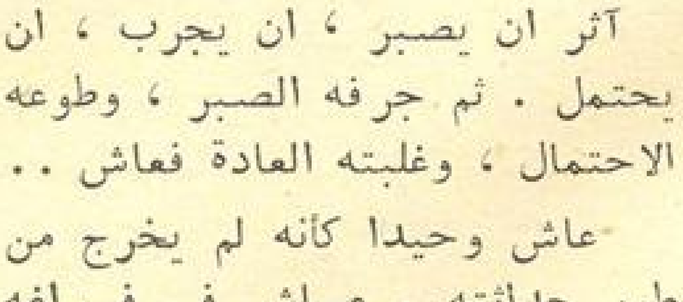
ويــا امــل البــلاد ، اذا كفيتم مــن الغنم « السلامة والايابــا »
فمــا استقلالكم الا خداعــا ، ومــا امجادكــم الا سرابــا
عدوكــم نضــا ظفرا ونابــا ، فــلا تستمرئوا ظفــرا ونــابــا
حذار حذار ان نمنــى بخطب ، وان نــرث المهانــة والخرابــا
اللفانتــوم هيأنــا مقــالا ، وللنابالــم اعددنــا خطابــا
وهل نحمي بعاطفــة حدودا ، ونحرسهــا بكــاء وانتحابــا
وهــل نحيي بتعويض شهيدا ، وهــل بالحكي ندفــع الاغتصابا
كفانــا ذلــة انــا قتلنــا ، وشردنــا ، واشبعنــا عذابــا
فلمــا ثــار ثائرنــا ، سعينــا نرجي « مجلس الامن » العقابــا
ففاز العــدل في الدنيــا وفزنــا واوسعنــا عدوتنــا عتابــا
وان شئنا غــدا محــو احتلال سنسأل «مجلس الامن» انسحابا

شبــاب الارز ، نهواكــم أبــاة ، وننشدكم ، علــى الجلى ، صلابا
باونــا قبلكــم عمــرا شجيا ، وقاسينــاه صابــا او رضابــا
ولكنــا صدقنــا الناس ودا ، واصفيناهم الخلــق المذابــا
سلوا التاريخ ، هل عزت دمانــا فاظمأت الروابــي والشعابــا
بنــى اسلافنــا لبنــان حــرا ، فمــج الاحتــلال والانتدابــا
ومــا ألهتــه اسماء كــذاب تبــدل كلمــا شاءت اهابــا
فباهوا مثلمــا كنــا نباهي ، متــى نسأل فخــارا وانتسابــا
لنــا وطــن اردنــاه منيعــا ، نحــاذر ان نــدمــره شبابــا
ونكــره ان نبــدده تراثــا ، ونأبــى ان ندنســه ترابــا
اذا مــا ذرة بثــراه مســت ابحنــاه النواصي والرقابــا

فوزي عطوي

الفراغ

بقلم ابراهيم المصري



نشأ « مصطفى » بعد وفاة امه ، في كنف امراة ابيه « علية هانم » التي لم تعقب خلفا ، والتي كانت تحقد عليه وتستبد به ، وترى في محض وجوده حيا امامها ، تعييرا لها ، وانتقاصا من قدرها ، وشماتة صارخة في انوثتها العقيمة الباطلة .

وكان ابوه الذي جاوز الخمسين، يعشق امراته الصبية ، ويأتمر بأمرها ، ويغض عن استبدادها بولده ، ويعتقد من فرط عشقه لها انها لا تأخذ مصطفى بالشدة الا لتدلل على انها قد حلت محل امه ، وان من واجبها ان تخلص في الاهتمام به ، وان تقوم اعوجاجه وتحسن تربيته .

وهكذا عاش مصطفى ناقما على حظه ، كاتما همه ، مبغضا زوجة ابيه ، يمشي في البيت مخافتا خطاه ، ثم ينطوي في عزلة موحشة ، ويسبح في فراغ خانق ، يحاول جهده التخلص منه في صحبة رفاقه ، فيعجز . فيرتد مكرها الى عزلته ، ويظل متقلبا في فراغه ، ينهبه الصمت والحلم ، وتنهشه عوامل الكآبة والاسى .

ولبث طوال ايام حداثته فريسة هذا الفراغ . فاستدق احساسه ، ورقت مشاعره ، واغرق في الكآبة والتحسر . فبات ظمآن الى العطف ، تواقا الى المحبة ، نزاعا الى مطالعة القصص ، متلهفا على الخيال والشعر وشتى العواطف التي حرم منها ، حتى بلغ طور الشباب واتم تعليمه واشتغل مدرسا .

وفجأة توفي والده ، وخلف له ثلاثين فدانا من اجود اطيان الفيوم. وتزوجت امراة ابيه . فنأت عليه وطأة العزلة ، وضاق ذرعا بالفراغ الجاثم على صدره . فما ان تعرف اتفاقا في بيت صديق له الى فتاة تدعى « اعتماد » ، حتى التهب تصوره الشعري ، وخيل اليه ان اعتماد فتاة دمثة رقيقة وديعة ، فيها الاستجابة الروحية التي ينشدها . فلاذ بها واراد ان يحبها ، واسرع وتزوجها فرارا من عزلته ، وتخلصا من فراغه ، وتوكيدا لاستقلاله وحريته ، وثأرا لكرامته من ذكرى العذاب المهين الذي كانت تسومه اياه امراة ابيه .. بيد انه لم يكد يقترن باعتماد حتى صحا .. ادرك على الفور انه لم يحبها ، وانه قد خدع فيها ، وان فراغ قلبه هو الذي دفعه اليها ، وانها عكس ما كان قد تصوره تماما . فهجس في روعه ان يطلقها . ولكنه استهول الطلاق ولما يمض على زواجه اكثر من شهر واحد ، واستهول الغدر بالفتاة البريئة التي اطمأنت اليه ووثقت فيه . فحنى رأسه صاغرا وامتثل ..

آثر ان يصبر ، ان يجرب ، ان يحتمل . ثم جرفه الصبر ، وطوعه الاحتمال ، وغلبته العادة فعاش ..

عاش وحيدا كأنه لم يخرج من طور حداثته . عاش في فراغه المكفهر الملبد الكثيف وفي نيته مع ذلك ان يحرص على راحته ويسعد ... اجل . كان في نيته ان يسعد كما كان في نيته من قبل ان يحب . فراض نفسه على القناعة ، وراض عواطفه على الكبت ، وابى الا ان يتمثل قلبه اشبه بالطائر الاليف يحب قضبان سجنه ، ويأنس الى يد صاحبه ، ويلتقط منها في استسلام قوت يومه ، ويتخبط في القفص كما لو كان يحلق في فسحة سماء ...

واعقب من امراته ولدين وبنتا . فكبلته الابوة . فلم يزدد فقط تواكلا وامتثالا ، بل حاول اقناع نفسه ان ركود حياته الزوجية متعة ،وسكونها الحالم فتنة ، وبلادتها المستعصية نعمة ، وتشابه ايامها ولياليها سعادة فاترة قريرة ، من الخير له ان يذعن لها ويقبل بها وان كانت لا تملأ فراغ قلبه التائه العليل ..

والحق ان زوجته اعتماد كانت شابة وجميلة ، مخلصة ووفية . ولكنها بالطبع والخلق كانت قاسية، بل كانت كهلة تكبر مصطفى بسنين .

كانت اعتماد شديدة الانطواء على نفسها وعلى بيتها واولادها ، تكره العواطف والخيال ، وتكره المرح والشباب والحياة .

كانت متكبرة الى حد التسلط ، صارمة الى حد التزمت ، جادة الى حد الجهامة والعبوس . كانت ارادتها اقوى من اهوائها ، وحب التسلط اقوى منها من انوثتها . فأمضى مصطفى في صحبتها اكثر من عشر سنوات ، محكوما بها ، خاضعا لها ، لا يتبرم بشيء او ينقم على شيء او يشعر انه راغب في شيء .

كان النظام البارد الدقيق المهيب شائعا في بيته ، والهدوء المظلم الاصم مسيطرا حتى على اولاده ... حتى الاولاد علمتهم اعتماد كيف يصمتون، وكيف يرتجفون ، وكيف يطيعون ويفكرون ، واستلت من نفوسهم روح المرح ، واخمدت فيهم جذوة الحياة .

ومع ذلك فالاولاد كانوا يحبون اعتماد ... كانوا يحبونها ويعجبون بها كما يحب التلاميذ معلمهم القاسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعجبون به . ولكنهم كانوا ايضا يخافونها . وكان خوفهم منهايدفعهم الى الكذب عليها والتغرير بها والافلات من رقابتها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

فالابن الاكبر كان يحتال عليها في خبث ويبتز منها القروش ، ويعصي امرها ويذهب خفية الى السينما . والابن الثاني كان يؤكد لها انه في طريقه الى المدرسة ثم يهرب ليلعب الكرة مع اولاد الشوارع . والبنت كانت تخدعها وتنسل الى النملية او البوفيه وتسرق الحلوى كلما سنحت لها الفرص .. وهو ... هو نفسه مصطفى ... كان رغم نزوعه الى الراحة وميله الى القناعة واستسلامه لحكم الاقدار ، قد بدأ هو الاخر يكذب عليها ، ويخدعها كما يخدعها اولادها ، ويروغ منها ، ويضللها ، ويتطلع خلسة وعلى دهش منه الى جارة جديدة ، هبطت فجأة حيهم ، واتخذت لها منزلا في العمارة الملاصقة لبيتهم ، وتعرفت الى اعتماد ، وشرعت تزورها ...

وكانت الجارة الجديدة ارملة حسناء تدعى « فوزية » ، تعيش في كنف شقيق لها ، يشتغل بتجارة الاخشاب ويتنقل بين القاهرة والاسكندرية ، ويعطف على شقيقته ويخلص لها ، ويأبى ان يتزوج حتى يزوجها مرة ثانية ويطمئن على مستقبلها .

هذه الارملة الفاتنة اقتحمت حياة مصطفى دون ان يشعر ..

تسللت الى فكره . تغلغلت في خياله . خالست آماله واحلامه . تجاوبت اصداء سحرها في فراغ قلبه . فمضى ينظر اليها نظرة ملؤها اللهفة والقلق والاضطراب ، مستعذبا هذه اللهفة الغريبة عنه ، وهذا القلق الدخيل عليه ، وهذا الاضطراب الغامض المبهم الطارىء الذي لا عهد له به .

وفي غفلة عنه ، تجمعت عواطفه المكبوتة وطاردته ، ثم حاصرته وارهقته ، ثم دفعت به دفعا الى التماس شيء من الرقة والوداعة والعطف بجوار فوزية .

وهكذا اهتم بها ... وكما لاذ باعتماد فرارا من فراغه وثأرا لنفسه من ذكرى امراة ابيه ، كذلك لاذ بفوزية فرارا من جمود امرأته ، واكفهرار جو بيته ، وتشابه حياته المحنق المثير .

مال الى فوزية في لحظة من تلك اللحظات الخاطفة التي يشعر فيها الانسان ان فراغ قلبه قد اتسع ، وان عليه ان يملأه بأي شيء والا



ابراهيم المصري

●

ملأته الحسرة بالموت والعدم .

وبدأ يتقرب الى جارتهالجديدة ... بدأ يجملها بعقله ، ويزينها بتصوره ، ويخلع على شخصها نفس الحلل التي كان قد خلعها بالامس على امرأته .

لم تجده التجربة نفعا . لم يفكر . لم يتأمل . لم يدرك انه قد تقنع بوهمه ، وان فوزية هيالاخرى قد تكون متقنعة مثله ..

كان يكره الحقيقة ، ويجزع من الصدق . ويود ان يرى ما يحب ان يكون لا ما هو بالفعل كائن . فلم يستطع في مبدأ الامر ان يرى وجه فوزية الصحيح ، فاعتقد انها المراة المنشودة ، وانها عاطفية وحساسة ورقيقة ، قد اجتمع فيها والتقى عندها كل ما كان ينقصه وينقص زوجته اعتماد ..

وكانت فوزية امراة في نحو الثلاثين ، مديدة القامة ، ناهدة الصدر ، وطيدة البدن ، ذات شعر مجعد أثيث ، وعينين سوداوين قاتمتين ، وخدين مكتنزين موردين ، وشفتين ناتئتين حمراوين ،تلتمعان كلما ابتسمت او ضحكت ، وتلقيان على بشرة وجهها القمحية الصقيلة بل على بدنها المربرب كله ضوءا صارخا ، يثير كوامن الفطرة ويلهب رغبات الحواس . كانت ممتلئة صحة ونشاطا وقوة . كانت تعرف ان جمالها الحسي الصارخ يخيف منها طلاب الزواج ولا يحرك في نفوسهم غير بواعث الشهوة . فكانت تلطفه جهدها بالنظرة الناعسة ، والرنوة الفاترة ، والبسمة الحالمة ،والكلمة اللينة ، والخفر والقلق المنكسر الخجول المشبع بظل العاطفة ، والشبيه في مظهره الساذج الغرير بخفر العذارى .

كانت فوزية تصطنع هذا الخفر لتبعث الثقة في قلوب الرجال ، وتظفر آخر الامر بزوج ساذج وميسور . فأخذ مصطفى بمظهرها ، وراعه منها اقتران القوة بالضعف ، والحيوية بالبراءة ، والصحة بالرقة والدماثة والدلال . فانساق اليها وبدأ يحبها ...

ولم يكد يحبها حتى خرج من واقعه ، واطلق العنان لمولدات خياله ، واندفع يبالغ في التصور والخيال مبالغة اسكرته .

تصور انه التقى بفوزية منذ سنين ، بل تصور انه عرفها قبل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مولدها ، وانه اتصل بروحها في دنيا غير هذه الدنيا ..

تصورها امرأة مثالية نادرة ، لا كبرياء في نفسها ، ولا دهاء في طبعها ، ولا خلاعة في اخلاقها ، بل رقة كرقة الورد ، ودماثة كدماثة الماء ، وعذوبة كعذوبة اروع الشعر .

ولكن العجيب في مصطفى انه كان يتصور الجمال ويبدعه ، ولا يستطيع في الوقت نفسه الا ان يتأمله ويتفرس فيه ...

كان يعيش من وجود فوزية ، فكان مضطرا الى النظر اليها ، والتأمل فيها ، وانعام النظر في كل حركة او اشارة تصدر عنها ..

وشيئا فشيئا ، وعلى مر الايام ، سقطت الغشاوة عن عينيه وبدأ يتنبه ويستكشف ويرى ..

وكانت المرأة وقد استشعرت حبه لها وسلطانها الخفي عليه ، لم تعد تحفل بالقناع الذي اسدلته على وجهها . فتطلع اليها الشاب مذهولا وابصرها .

ادرك وهو محير ومخبل وتائه ، ان فوزية الساحرة ، فوزية الرقيقة فوزية المثالية النادرة ، ما هي في الواقع الا مخلوق انساني حسي رخيص تتمثل فيه الغرائز البشرية البدائية اتم واكمل تمثيل .

ادرك انها مخلوق نصفه ضحك ونصفه شره ! ..

والحق ان فوزية كانت تحب ان تضحك بقدر ما تحب ان تأكل .

كانت شبه حيوان مرح فتي ، حاد الاسنان ، قوي المعدة ، مفتول العضل . وكانت حياتها موزعة بين الضحك والشراهة ، تبدع النكتة الطريفة كما تبدع لونا فاخرا من الوان الطعام ، وتستمرىء النادرة المستملحة كما تستمريء طبقا شهيا من « الضولمة » او « الطورلي » او مزيج الفاكهة المثلجة ..

وارتاع مصطفى ولم يصدق .. لم يستطع ان يتصور كيف ان هذه المخلوقة العابثة الماجنة الحسية المنهومة ، امكنها ان تؤدي بمثل تلك المهارة دور العذراء الخفرة ، وتؤثر فيه وتجذبه ... ومع ذلك فقد كان يحبها . كان يحبها وهو يستنكر . كان يحبها وهو يسخط . فحاول ان يبتعد . حاول ان يفر . ولكنه اشفق على نفسه من فراغه ، واشفق على نفسه من عزلته ، واشفق على نفسه من فقد حافز حي ، يجمل حياته ، ويلهب خياله ، ويبعث فيه نبض العاطفة واتقاد الشعر . فاستمسك بفوزية ، وتهافت عليها ، وتعلق بها .

رأى في اشراق ضحكتها حدثا في حياته ، وفي نشاط حركاتها وصخب حديثها وشره نفسها ، مرح الحياة الذي حرم منه في بيته كما حرم منه اولاده ..

بيد ان هذا المرح الاناني الوحشي الغليظ ، كان يروقه من المرأة وهو يكربه . فهاله ان يظل المرح جفافا ، والضحك استهتارا ، والشره انانية وحشية منكرة . فعصفت به وثبات خياله ، وملكت عليه فكره وتطلعاته ، فآلى على نفسه ان يهذب المرأة .. ان يلطف من غلظة مشاعرها ، ان يوقظ الهامد من وجدانها ، ان يضرم فيها شعلة العاطفة المجتاحة التي كان يحترق هو بها ..

اراد ان يبدل شخصية فوزية ، ان يحبها كما يشتهي ، ان يرتفع بها الى مستوى خياله ، ان يبدع منها صورة الحبيبة الكاملة التي ينشدها !

وراح يمعن في التودد اليها ، ويتقرب جاهدا الى شقيقها ، ويحث امراته على الاكثار من زيارتها . وكل ذلك في تيقظ وتنبه وتحفظ وقدرة خارقة على التمويه ، ضلل بها زوجته التي كانت لفرط استقامتها واخلاصها تعتقد اعتقادا راسخا ان زوجها لا يمكن الا ان يكون مخلصا ووفيا وشبيها بها .

وتوثقت الصلات بين مصطفى وشقيق فوزية . فكان يرى المرأة في معظم الاوقات ، ويتصل بها في غيبة شقيقها ، فتبدو له زهرة غضة يانعة نبتت فجأة في حقل حياته المجدب الكئيب .

وشرع يجاهد ليحرك قلبها ... غازلها في كياسة وادب ثم استمالها في رفق ولين ثم اندفع وحادثها في معنى الحب ، وقيمة العواطف ، وروعة الفضائل ، وسحر الاخلاق المهذبة الرقيقة ، المترفعة عن الدنايا ، المحلقة فوق المادة ، الذاهبة في النبل والتسامي الى حد الكمال النفسي الاصيل ... ولكن فوزية كانت تنظر اليه مستغربة ، ثم تستزيده مشجعة وصابرة ، ثم تفرح لسذاجته وتتخذ مظهر الجد والفهم . فيسترسل هو في حديثه العاطفي السامي ، فتنتشي هي خيلاء وزهوا ، وتزداد يقينا من عمق حبه لها . فتتبدل فجأة وتتحول ، وتطلق نفسها على سجيتها غير حافلة . وعندئذ كان مصطفى كلما اشار الى الحب والعواطف ابتسمت ، وكلما ذكر حرقة العاشق المحروم ضحكت ، وكلما تنهد وتأوه قهقهت ، وكلما كشف عن سره تجاهلت واعرضت ثم رشقته بنكتة لاذعة ثم راحت تضحك للنكتة وتضحك منه ، شاعرة بلذة عظيمة في اتخاذ حبه والمه وفلسفته مادة للهذر والمجون .

وجاهد ايضا ليستدر عطفها ، وناضل ايضا ليوقظ رحمتها وحنانها ولكنه كان يكلمها وكانت تأكل ، وكان يتوسل اليها وكانت تقزقز اللب ، وتلتهم الفول السوداني ، وتنفخ في حبات الحمص ثم تعبث بواحدة منها ثم تلقى بها في الهواء وتتلقفها في فمها الشره المفتوح وتمضغ .

وضاق مصطفى ذرعا بدلالها البارد غير المكترث . فاضطرم حبه ونسي واجبه نحو امراته واولاده ، واعتزم ان يظفر بهذه المرأة خليلة له ، على ان يواصل كفاحه لصقلها وتبديل اخلاقها ورفعها الى مستواه .

واحست هي منه تلهف العاشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتورط المحب المتخبط الحائر . فبدل ان تعطف عليه ، زادتها لهفته كبرا ، وزادها عشقه قسوة وشماتة ودلالا . فتأججت فيها غرائز المراة وشرعت تعذبه . شرعت تقربه تارة ثم تصده ، تقبل عليه تارة ثم تروغ منه ، تعلله بالامل ثم تنكمش وتصدف عنه . فحنق عليها ، وازداد تشبثا بها ، وارتمى في غمرة حبه وهو مخبول .

ولما ابصرته مسلوب الوعي ، مفقود اللب ، اشبه بالثمرة الناضجة على وشك السقوط ، اقبلت عليه فجاة ، واخذته في الفخ الذي نصبه لنفسه ، ولانت ورقت وعطفت ، وراحت تكاشفه بحبها ، وتبثه آلامها وآمالها ، وتمنيه ببعض اللذائذ والمتع ، وتشير من طرف خفي الى استعدادها للزواج به لو اشفق عليها بدوره ، واقدم في سبيلها على التحرر من قيده والتضحية بأولاده والطلاق من زوجته ...

وحملق فيها مصطفى وذهل .

هبط قلبه ، وانعقد لسانه ، وجعل يتأملها وهو مذعور .

فلكي تقهر ضعفه وتصرع تردده وتحل فيه محل عقله وارادته ، اعرضت عنه بضعة ايام ، ثم اقبلت بجمعها عليه . تظاهرت بأن قد فاض بها الحب والحرمان والشوق ، ثم انسابت اليه ، وانسكبت بغتة بين ذراعيه ، وجادت عليه ببعض القبل وهي تتملص منه . فاشتد ذعره ، واشتدت لهفته . ولكنها اقصته عنها ومنته بالمزيد لو تزوجها . ثم انتهزت فرصة تغيب شقيقها لعمل في الاسكندرية ودعت مصطفى لتناول طعام العشاء .

وتوزعت نفس الشاب بين الرغبة والخوف ، بين فتنة المغامرة وجسامة الخطر ، بين جاذبية اللذة وفداحة الثمن ، بين الحبيبة التي تريد ان تصبح زوجة ، وبين الزوجة المخلصة الوفية واولادها الابرياء المساكين .

ولبث النهار بطوله يتفرس في امراته واولاده ويفكر .. يفكر فيهم وفي الموعد ايضا .. يفكر فيهم وفي المتعة ايضا .. يفكر فيهم ويتلهف ويتردد ، فتجذبه المتعة ، وتفريه بالتخلص من النار في النار .

وما ان دنا الموعد حتى اسرع الى فوزية .. بيد انه لم يكد يشرف على بيتها حتى عاوده التوجس والقلق . فدخل مرتبكا خائفا متحفظا . فرحبت المراة بمقدمه واستشعرت اضطرابه وتردده . ولكنها ابتسمت له .طوقته بذراعيها .منحته قبلة طويلة مشغوفة لم يألفها . ومضت تستفسره عن سبب همه ، ثم قادته الى حجرة صغيرة بعيدة ، واجلسته على مقعد مستطيل وثير ، تجاه مائدة كبيرة حفلت بكل ما لذ وطاب ..

ولكي تبدد هواجسه وتسري عنه ريثما تستطيع ان تتمكن منه ، انطلقت تضحك وتثرثر ، وتحدثه عن الجد والافلام والازياء وهي تتمنع عليه عامدة حتى يأكل ويكتظ ويترخى . ولما احست انها قد استنفدت الحديث في التافه من الامور ، عادت فأقبلت على مصطفى . وقبل ان تتكلم في الحب والعواطف ، والآمال والاحلام ، والمستقبل والحياة ، انثنت من فورها الى الاشياء المحببة اليها ، ورمت المائدة بنظرة متلهفة ،وشرعت تومىء باصبعها الى مختلف الوانها ، وتبتسم لها ، وتغري مصطفى بها ، وتزين له في لذة ونهم مذاق شرائح اللحم النضاحة بالمرق ، وليونة الكفتة الزاخرة بالقدونس ، ودسامة الشوربة التي يكسوها دهن الدجاج، ورقة الباذنجان المحشي التائه في الدمعة والسابح في السمن البلدي .

وكان مصطفى يصغي اليها وهو يرتعش ..

كان لا ينظر الى المائدة بل يحدق في المراة .. فخيل اليها انه مفتون بها ، مأسور بفضلها ، ماخوذ بكل ما اعدته له . فسبقته لتشجعه . واسرعت وانكبت على المائدة بعينين لامعتين متقدتين ، وبدن متحرق متهافت ، وفم شره غريض . ثم شمرت عن ساعدها البض ، وشرعت تمزق بأسنانها شرائح اللحم ، وتغمس بأصابعها الخبز في الخضر والدمعة ، وتلتهم الطعام التهاما وهي تتلمظ وتئن وتضحك ..

وشاهد مصطفى انهيار حلمه واختلج . اختلج تحت هزة عنيفة من النفور . تقزز وتراجع . غام بصره . انقبض قلبه . اخذ الاشمئزاز بمخنقه . روعه هذا المخلوق الجميل العجيب الذي لا يمكن ان يتغير ، هذا المخلوق الجميل العجيب الذي تجمع كل شيء فيه واستقر في بطنه . فمال الى المائدة مكرها ، وجامل فوزية ما استطاع ، واكتفى بأن ازدرد بعض قطع من الكفتة وشيئا من الفاكهة ثم اعتذر بأنه مصدوع ونهض ... فاغتاظت المراة . عز عليها ان تكون قدتبرجت وتعبت وانفقت واعدت كل هذا الطعام على غير جدوى . فحاولت ان تستبقيه ، ان تجذبه بالدعابات والقبل . ولكنه صد عنها في رفق، وكرر اعتذاره . فعبست في وجهه . فازداد تأففا وتبرما . فلم تجد بدا من كبح غيظها خشية ان تغضبه وتفقده . فتملص منها وهو يترضاها ثم وعد ان يزورها مساء الغد ثم انحنى شاكرا وقبل يدها ، وانصرف وهي تشيعه بنظرة ملؤها الترفع والاحتقار والكمد .

وخرج مكروب النفس ، ضيق الصدر ، صريع الامل والخيال والعلم . واراد ان يفرج عن نفسه بالتجول في الشوارع فترة . ولكنه ابصر بيته على مسافة بضع خطوات منه ، يتطلع اليه وكأنه يناديه . فاتجه نحوه . صعد الدرج في بطء ، وفتح الباب بمفتاحه الخاص ودخل.

دخل البيت فألفاه ساكنا هامدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كعهده به ، والاولاد نياما ، والهرة الصغيرة البيضاء التي التقطتها ابنته من الشارع منكمشة في احدى الزوايا ، والمصباح الخافت يريق على الفسحة الكبيرة ضوءه الكابي ويلف جوانبها البعيدة في شبه ظلمة نيرة كظلمة الكهوف . فازداد قلبه انقباضا ، وتحول ودخل مخدعه .

دخل المخدع على اطراف قدميه ، فأبصر امرأته ممددة على فراشها ، مستغرقة في نومها ، مستقيمة الوضع ، جامدة الوجه ، قاسية التقاطيع ، تخفق انفاسها باترة كطبعها ، منتظمة كعقلها ، موقعة على غطيطها المتعاقب الاجش الرتيب . فحدق اليها لحظة وارتجف .

احس ان ليس في مقدوره ان يوقظها ، وليس في مقدوره ان يخلع ملابسه ويرقد الليلة بجوارها . فتحول ايضا . تحول بالرغم منه . مشى الى الفسحة . ابى ان يلقي نظرة على حجرة الاولاد . اسرع الى الباب ففتحه في رفق وخرج .

وغافله الفراغ . استوى امامه . اناخ على فكره وقلبه وكيانه . فطفق يمشي في الشوارع هائما على وجهه حتى كلت قدماه . فكر راجعا ودخل بيته .

دخل البيت وظل واقفا وسط الفسحة الساكنة ، يجيل الطرف حوله في شرود ، ولا يدري ماذا يجب عليه ان يفعل .. لم يشعر بأية حاجة الى النوم . لم يشعر بأية حاجة الى الراحة .

كانت اعصابه متوترة . فانطلق الى حجرة مكتبه ، وتناول كتابا ، وارتمى على مقعد وهم بأن يقرأ . ولكنه انتفض فجأة . احس شيئا غريبا . شيئا لم يكن متوقعا . احس انه جائع . فنهض . نهض من فوره ... مشى في الدهليز الطويل . اتجه نحو المطبخ . اوقد النور . طاف بعينيه يبحث عن الحلة الكبيرة . رفع الغطاء عن الحلة ونظر في جوفها ، وابتسم ..

وكانت امراته قد طهت في ذلك اليوم ملوخية وتركت له نصيبه منها للعشاء . فتأمل الملوخية مرة ثانية واومضت عيناه ... اومضت عيناه وسال لعابه . فأسرع وجاء بطبق مجوف كبير وضعه بجوارا الحلة على منضدة المطبخ ثم جلس تجاه المنضدة ثم صب في الطبق شيئا من الملوخية ثم وضع فوق الملوخية طبقة من الارز ، وفوق الارز طبقة من اللحم ، وفوق اللحم طبقة من الملوخية ، وفوق الملوخية طبقة من البصل ، ثم روى هذا كله بعصير الليمون ، ثم نظر الى الطبق الشامخ الوطيد وشرع يأكل ..

وعلى دهش منه احس انه يأكل بجمع بدنه وحواسه . احس انه يأكل في استمتاع عميق . احس انه يأكل في شراهة عجيبة ، في لذة لم يشعر بها قط . فمضى يلتهم الطعام التهاما ويتلمظ ويتمطق ، ويرمق نافذة المطبخ بعين زائغة ، ويبتسم .

وما ان اتى على الطبق حتى نهض ... نهض مدفوعا بقوة لا تقاوم . وفي حركة سريعة ، حركة آلية استغربها هو نفسه ، مد يده واطفأ النور ثم انصت لحظة واطمأن ثم اندفع الى النافذة ففتحها ، وحدق الى المنور الفاصل بين بيته وبيت فوزية ، ثم تلفت حوله وهو يقظ وشارد ، واختطف مكنسة المطبخ ، ومد من النافذة مقبضها الخشبي المستطيل . وطفق يضرب به احدى نوافذ بيت فوزية ضربا حذرا خفيفا متقطعا ..

وفجأة سطع النور . فتحت النافذة . اطلت المرأة منها . فلم يمهلها الشاب وهمس :

ـ انا ... انا مصطفى ! ..

فأنطفأ النور ، وساد الصمت . ثم ندت عن فوزية ضحكة مخنوقة ، وهمست هي ايضا :

ـ تعال ...

ـ واوصدت النافذة . فأجفل مصطفى ، وظل واقفا . لم يتحرك . لم يدر من الذي ضرب النافذة ، وهل هو الذي ضربها ؟ .. ومع ذلك فقد احس انه منجذب ، انه مأخوذ . فحنى راسه مستسلما ، واعتزم ان يذهب . فمشى ... مشى الى الباب وهو يتمثل فوزية بين ذراعيه ويلهث . ولكنه ما ان بلغ الفسحة ، ما ان دس يده في جيبه لينتزع مفتاح الباب ، حتى توقف بغتة ... تذكر انه لم يغلق نافذة المطبخ . لم يضع المكنسة حيث كانت . فخشي ان يفتضح . فكر راجعا . اوقد النور . هم بان يوصد النافذة . واذ ذاك ، اذ ذاك فقط لاح له الطبق .. الطبق الكبير .. الطبق المجوف .. طبق الملوخية . فشخص اليه فجأة وتصوره ... تصوره كما كان . تصوره كومة شاهقة من الغذاء اللزج سرعان ما اختفت . فاستبد به الدهش والذهول ، وجعل يسائل نفسه : كيف ؟ .. أهو الذي اكل كل هذا . أهو الذي ابتلع كل هذا . اهو الذي كان يكره الطعام كل ما هو دسم وغليظ ، امكنه ان يستوعب كل هذا ؟! .. من ، من الذي التهم كل ما كان في الطبق ؟ .. هو ام فوزية ؟ ... لا ... هو .. هو نفسه .. كان هو نفسه فوزية بذاتها ! .. كان يتهالك على الطعام مثلها . كان يلتهم ويمضغ مثلها . كان يطحن ويستمريء مثلها . تجسدت المرأة فيه . انسلت الى اعماقه . سرقته من ذاته . وبدل ان يرتفع هو بها ، تمكنت هي منه وهبطت به الى الحضيض . فغض على شفتيه المتقلصتين وحدق ... حدق ايضا الى الطبق الخاوي . فألفاه اشبه بهوة ، هوة عميقة كريهة ، تخلفت فيها خطوط بشعة خضراء ، وعلقت بها وتناثرت حولها حبات الارز ، وفتات الخبز ، وقشور البصل ، وقطرات الليمون ، ونقط السمن ... فظل يشخص الى الهوة الى الطبق الغادر ويرتجف ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى راحل

الى روح شقيقي منذر الذي لـم يمهلـه المرض فقضى في ١٦ حزيـران
ولم يتم ربيعه الثامن عشر

أخي صليت كـي أنسى بانـا كلنـا راحـل
وأن العمـر محدود فهمـا عانـد السائـل
سيستخذي ٠ امام الدا ء ، أين الصامد الآمـل

لئـن ساءلتـه اصبر أخي بالصبر لـن تقهـر
وهل اسطيع غـير الصبـ ر ، رغمـا انني مجبر
فـان المـرء أختـاه برغم الانف قـد يؤجر

أنـا صليت كـي أنسى فقـد لا نلتقـي بعـد
وان الـدرب في تشريـ ن عـار كسبه فقـد
شتـاء بـارد قاس على عمري اتـى يعـدو

وداعـا يـا أخـي انـي اذا صليت لـن أنسى
بـأن اليـوم ان أضحى سـواء كـان او امسى
وأني قـد قطعت الـدر ب صيادا بـلا مرسى

دمشق سلافة العامري

غشيته نفس الغاشية التي احسها الساعة قرب فوزية . ملكـه نفس التقزز . اخذ بمخنقه وكـاد ان يبتليه بالغثيان . فاقشعر بدنه ، وواجه بعينيه انحداره وسقوطه . فحول بصره عن الطبق الغادر وايقن ... ايقن يقينا قاطعا ان المـوت ، الموت المعنوي المحتم ينتظره هناك ... موت واجبه وضميره ، موت قلبه وفكره ، موت احلامه وتطلعاته، موت كل ما كان يصبو اليه ويأمل ان يستعلى به من حب وشعر وجمال وكمال ... لا ... لن يستطيع... ابدا لن يستطيع .. لن يستطيع ان يذهب الى المراة ، ولن يستطيع ان يأكل بعد اليوم مثل هذا الطبق ! ..

وجاهد نفسه جهاد المستهـول العازم . اوصد النافذة . وضـع المكنسة حيث كانت . اطفأ النـور واستدار . بيد انه لم يكـد يحس انه وحيد ، وان الظلمة تكتنفه كأنها تقصيه عن العالم ، حتى نهشتـه الحسرة ومزقه اليأس . فشـق عباب الظلمة ، وجعـل يتطلع الـى الفضاء كالعميان .. اين يجد خياله، اين يعثر على ضالته ، اين ينقع غلة روحه الطامعة في شيء يراه ولا يراه، يعرفه ولا يعرفه ، يسمع رنين صوته، ويود ان يقتنص الرنين ولكنه لايدري من اين مأتـاه ؟... وزحف اليـه الفراغ ، الفراغ الضبابي ، الفراغ المحنق ، الفراغ الغاشم . زحف اليه واحتواه . جثم على صدره كما كان يجثم عليه طبق الملوخية الثقيـل الغليظ . فشعر انه يكاد يختنق . يختنق بالفراغ والحسـرة والطعام والظلام . فأراد ان يتخفف . ان يتنفس . ان ينفض هذا العمل عن بطنه وصدره وينام . فمشـى الى الفسحـة مهتديا بضوء المصبـاح الخافت . ثم مشى الى مخدعه . مشى وهو يتعثر . مشـى وهـو يستعجل الخلاص .

ولما دخل المخدع ، تفرس لحظة في امراته النائمة ، في امراته الجامدة الصارمة المهيبة حتى في غطيطهـا المتزن الرتيب . فلم يحفل . لمعت عيناه . اندس في رفق بجوارها ، ثم التصق عامدا بها ، ثم مد يـده المرتعشة الملهوفة وايقظها ..

القاهرة ابراهيم المصري



هـلال ناجـي

محاورة الذئب في الشعر العربي

بقلم هـلال ناجـي

* * *

للذئب حديث متشعب في ديوان الشعر العربي . لكن محاورته ومكالمته ، والحديث معـه وعنـه ، وانطاقه واستنطاقه ، شيء نادر في شعرنا العربي ، مـا نعلم ان احدا من الباحثين سعى الى رصده من قبل .

وقد يكون مرد هذه الندرة ضياع الكثير مـن شعر الصعاليك العرب الذين اتيحت لهم اكثر مـن غيرهـم مواجهة الذئاب في الفلوات خلل حياة التشرد والصعلكة ، مما قد يكون احتواه كتاب « اشعار فهم » وكتاب «اشعار الازد » . وكتاب « اشعار اللصوص » لابـي سعيـد السكري وسواها من ضائع المصادر والدواوين .

غير ان تراث السلف الذي سلم مـن غير الدهـور حفظ لنا بعضا من هذه المحاورات الطريفة ، التي قـد تختلف في التفاصيل والهدف ، ولكنها تأتلف فيما تدور حوله من محاورة الذئب وانطاقه .

ولعل من اعرق هذه المحاورات ، ذلك اللقاء الشائق بين امريء القيس والذئب على نبع ماء . كان النبع آجنا والكلأ حوله قد امحل وما ثمة صوت يغـري بالاقبال او يوحي بالانس بعد طول وحشة ، فاما الذئب فقد كـان فريدا كما الخليع الذي خلعته عشيرته فليس لـه اهـل وليس له مال وليس له عصبة وما ان له زاد . وامـا الشاعر فقد كان غارقا في هواجسه مشغول البال بهـواه والتقيا على النبع فعرض الشاعر على الذئب مشاركته في زاده وعرض عليه اطعامه بلا اسراف ولا تقتير فرد الذئب متعجبا من الدعوة مستغربا الاكرام الذي لـم يلقه ذئب من قبله .

وبحذر الذئب اعتذر عن مشاركة الشاعر طعامه ، لكنه سأله فضلة ماء فاجابه الشاعـر : عليـك بالحوض ففيه بقية مما تركت الناقة . فعـوى الذئب ، مستدعيا رفاقه الابعدين من الذئاب ليشاركوه فضلة المـاء تعبيرا عن حبه لبني جنسه .. ومضى الشاعر لطيته :

وماء كلون البول قد عاد آجنـا ... قليل به الاصوات في كـلا محـل
لقيت عليه الذئب يعوي كأنـه ... خليع خلا من كل مال ومن أهـل
فقلت له يا ذئب هل لـك في اخ ... يواسي بلا اثرى عليك ولا بخـل
فقال : هداك الله انـك انمـا ... دعوت لما لـم يأته سبع قبلـي
فلـم يأتيـه ولا استطيعـه ... ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض اني تركتـه ... وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطـرب يستعـوي ذئابـا كثيرة ... وعديت ، كل من هواه على شغل

وترسم شاعرة من بنـي عجل صورة تفيض حزنـا وتنبض أسى وشجى حين يهلك الطاعون الجارف قومهـا بالبصرة ايام ابن الزبير وتنظر حولها فتجد اهلهـا جميعا قد بادوا وانها بقية قوم هلكـوا ويفاجئها الذئب الجائـع بنداء يحمل في طياته نذر الموت فمـا تتشبث بالحياة ولا تبتئس وما ترهب موتا ولا تخافه ، اذ ما قيمة الحياة بعد فقدان الاحبة . فلا ضير عندها ان تمـوت في اثـر مـن هلكوا نجاء من الاحزان .. وبتلك الروح القانعـة بالمصير تخاطب الذئب المتادي :

الا ايها الذئب المنادي بسحـرة ... هل انبئك الامر الذي قد بدا ليا
بدا لي انـي قـد بقيت وانني ... بقية قـوم اورثونـي المباكيـا
ولا ضير اني سوف اتبع من مضى ... ويتبعني من بعد من كان تاليـا

لكننا نجد للذئب صورة تختلف في شعر (مكلم الذئب) ، حين يستحيل الذئب بشيرا برسول ومنبئا عن نبوة . وهي ان صح الخبر ـ مـن معجزات الانبيـاء الكرام ـ التي تحدثنا عنها كتب السيرة .

فمن قصة مكلم الذئب هذا انه كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح فيه صاحبنا فاقعى الذئب وقال له : انتزع مني رزقا رزقني به الله قال صاحبنا . فصفقت بيدي تعجبا وقلت : والله مـا رأيت ولا سمعت اعجب من هذا ؟! فقال : اتعجب من هذا ورسول اللـه بين هذه النخلات يحدث بما كان وما يكون ويدعو الـى الله عباده ؟! قال : فجئت الى النبي (صلعم) واخبرتـه بالقصة واسلمت . فكان يقال لصاحبنها : مكلـم الذئب ولولده ، بنو مكلم الذئب قال الشاعر :

الى ابن مكلم الذئب ابـن أوس ... رحلت غـدا فكنت على أمـان

ومكلم الذئب هذا اختلف في شخصه في كتب السيرة النبوية فهو عندهم اصبان بـن أوس الاسلمي وقيـل اصبان بن عياد الخزاعي وقيل بل هو : رافع بـن عميرة الطائي ، غير ان ما يهمنا هو ابيات رافع بـن عميـرة

والمزعوم انه قالها في كلام الذئب اياه وروايتها :

رعيت الضان احميهـا بكلبـي ... من الضب الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذئـب نادى ... يبشرني باحمـد مـن قريـب
سعيت اليه قد شمرت ثوبـي ... عـلى الساقين قاصـدة الركيب
فالفيت النبـي يقـول قـولا ... صدوقا ليس بالقـول الكـذوب
فبشرني بديـن الحـق حتـى ... تبينـت الشريعـة للمنيـب
وابصرت الضيـاء يضيء حولـي ... امامي ان سعيت ومـن جنـوب

وذات ليلة والفرزدق خارج من الكوفة في نفر من اصحابه يريدون يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا آخر الليل وجزر شاة وسلخها اعجلهم المسير فوضع المسلوخة على بعير ربطها به . ثم جاء الذئب على ضوء النـار فحركها فذعرت الابل وجفلت الركاب منه وتطلع الفرزدق فابصر الذئب ينهش الشاة المجزورة فمضى يقطع من الشاة يرمي بها للذئب يشاركه في زاده ويذيقه رفده ويمنحه قراه . فلما شبع الذئب العبوس تكشر ضاحكا فاستدناه الشاعر وسيفه على مقربة منه وخاطبه . ان كل ولا تخونني نكن اصحابا او كالاصحاب ، فانك والغدر توامان ولو انك نبهت غيري لتلقاك بسهم او برمح .

لكنك رفيق سفر وصديق رحلة ، ورفاق الطريق اخوة وان تعادى قوماهما ، ولقد خلد الفرزدق هذه الصورة الشعرية الرائعة بالابيات التالية :

واطلس عسال ومـا كان صاحبا ... دعوت لناري موهنـا فاتانـي
فلما اتى قلت ادن دونك انني ... واياك في زادي لمشتركـان
فبت أسوي الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مـرة ودخـان
فقلت لـه لمـا تكشر ضاحكـا ... وقائم سيفي من يـدي بمكـان
تعش فان واثقتنـي لا تخوننـي ... نكن مثل من يـا ذئب يصطحبان
وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... اخيين كانـا ارضعـا بلبـان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القـرى ... اتـاك بسهم او شباة سنان
وكل رفيقي كل رحل وان همـا ... تعاطى القنا قوماهمـا ، أخـوان

في ايام صباي كنت ارتـاد سهل البطين باراضي اللطيفية وذات مساء علا صراخ صغـار الرعيان وهم يعودون باغنامهم الى القرية.. وهببنا لنجدة المستغيثين، لكن الذئب المغير كان قد افلح في خطف شاة من الشياة ولم ندرك منه سوى شبحه يمرق على مبعدة مختفيا في احشاء الظلام . لم يكن اختطاف الذئب لشاة امرا غريبا لكن الغريب هوية النعجة المختطفة ذلك انه من بين مئات النعاج لم يسط الذئب الا على نعجة امراة ايم لا تملك من دنياها غيرها وحين سرى النبأ في القرية الوادعة عـلا نحيب من كوخ تلك المرأة فكدر صفو الليل الساجي .

ودارت القهوة في المضيف وتشعبت معها الاحاديث لكن النعجة الفقيدة ظلت تستأثر باهتمام السامرين .. بعضهم كان يبتسم في عجب من امر هذا الذئب الذي لـم يختر غير نعجة (ام عبد) وهي لا تملك غيرها .

وبعضهم يرد ذلك الى الاقدار .. وبعضهم يرى ان هلاك النعجة الوحيدة هو امتحان من الله لها ، وعلى قدر الصبر يجزى الصابرون. وبعضهم راى ان فقدان نعجتها هو بشير لها بقطيع نعاج في الآخرة .

وقص بعضهم كيف ان (ام عبـد) باعت الشوك اعواما ليجتمع لها ثمن هذه النعجة وانها كانت تريـد ان تنسج لها من صوفها كسوة وبساطا .

وقص آخرون ان (ام عبـد) كانت تحدثهم عن اللبن الكثير والزبدة الشهية التي ستجنيها اذا ما ولدت نعجتها .

وتحدث آخر عن الحملان الكثار التي كانت تحلم بها ثم تضاحك المتحلقون على القهوة من تعقيب احدهم :

« ملعون الوالدين ـ ابو سرحان ـ شلـون عرف نعجة (ام عبد) !!

اما انا فقد هزتني الحادثـة من الاعماق ، وفي اعماق نفسي دار حوار بيني وبين الذئب الغادر كانت من ثماره الابيات التالية :

في ريفنا المفضي علـى جرحه ... عاشت مـع الآلام في حندس
كانت تبيـع الشوك اعوامهـا ... فعلت البـؤس علـى اكـؤس
احلامهـا ان تقتنـي نعجـة ... من صوفها تثرى وقـد تكتسي
ولبـن تحلم فـي مخضـه ... مخض شحيح فـي دجى مفلس
وزبـدة تطمـع فـي بيعهـا ... لساكـن في القصر او معـرس
وجاءها الدهـر بمـا ترتجي ... من بعـد عمر شائـه اتعس
فمـرت البسمـة عجلانـه ... مـا ترتجي البسمة من مدفس
كما يمـر البـرق لا يبتغـي ... من وقفة فـي وجهها الانحس

ذات مسـاء لونـت شمسـه ... متـن الربـى فازدان فـي ملبس
عـلا صراخ من رعـاة الفـلا ... عـاث ابـو سرحـان بالارؤس
وهبت القريـة مـن فورهـا ... تنظـر مـا كـان مـن المدمس
يـا ويـل احلام لهـا بـددت ... وسالـت الادمـع للمعطـس
الذئب لـم يفرس سوى نعجـة ... وماتـت الفرحـة فـي الانفس

سائلت ذاك الذئـب فـي حيرة ... عن سر جور كـان فـي الاشوس
ايستلـب الجائـع امثالـه ... ام انهـا فـي طبعـك المبلس
من بين الف من شياة الورى ... واريت حلـم المملـق المفلس
فلاح لـي مـن خلف انيابـه ... طيف ابتسـام في فم اعبس
عتبك يـا هـذا علـى عالـم ... شردني فـي كالـح الاطعس
تجـوع اطفالـي فمـا سائـل ... عنها وعني فـي الدجى الانحس
وحين لـم الـق سوى سادر ... مستوحش الاخـلاق مستفرس
آمنت بالجـور وهـا انني وانت النعجـة مـن اطلس
ربـاه يـا خالق كـل الورى ... فيم خلقت الجـور فـي الانفس

للذئب شأو آخر وصور اخرى في ديـوان الشعـر العربي بعضهم كالشنفرى صور شكـوى الـذئب لبنـي جنسه اروع تصوير وادقـه . وبعضهم كالمرقش رسم صورة لاكرامه الذئب الجائع وهي صورة تأثر بها من جاء بعده . وانفرد البحتري بقصيدته التي صور فيها قتلـه ذئبا في صراع من اجل البقاء . على العكس من ذلك فقد نمت الالفة بين ـ الاحمر السعدي ـ والذئب فكان مـن ثمارها قوله :

أراني وذئب القفر الفين بعدمـا ... بدانـا كلانـا يشمئـز ويذعـر
تالفني لمـا دنـا وألفتـه ... وامكنني للرمي لو كنت اغـدر
ولكنني لـم يأتمنـي صاحـب ... فيرتاب بـي مـا دام لا يتغـير

لكن كل هذه الروائع تخرج عن دائرة بحثنا التـي رصدنا فيها (محاورة الذئب) دون غيرها من الصور .

بغـداد **هلال ناجي**

قديم جديد عن الشاعر القروي

كتب هذا المقال في ٣١ ديسمبر ١٩٤٤ ولم ينشر

بقلم الدكتور سلمون جورج

* * *

رشيد سليم الخوري ، الملقب بالقروي ، اي شاعر الضيعة ، معدود بين اشهر شعراء العرب . ففي لبنان وسوريا ومصر وسائر الاقطار التي تتخاطب بلغة القرآن، يتناشدون بالاعجاب والتقدير قصائد هذا الشاعر الذي يقيم بيننا منذ ثلاثين عاما . انه رجل معتدل القامة ، رشيقها ، سبط الشعر ، ذو عينين عسيلتين معبرتين ، ينبعث منهما بريق ناطق بالذكاء والجاذبية . عرفناه منذ ثلاثة عقود فما راعنا منه كتواضعه البارز في بساطته الطبيعية البعيدة كل البعد عن مظاهر الكلفة والتأنق والعجرفة الفارغة . طيب . مخلص . محبوب . تتجلى على محياه مخايل المختارين لحمل رسالة شريفة .

ومنذ خمس سنوات لا يفتأ صديقي الياس عاصي يراودني في ترجمة قصائد رشيد الى البرتوغالية . فاما لاني لم اكن اقدر شاعريته . واما اشفاقا من حمل عبء جديد . او لاني اعلم ان الترجمة لا تختلف عن محاولة القبض على شعاعة من ضوء القمر كنت لا اكف عن الروغان .

وصديقي يلتهب غيرة على شعر صديقه الصادح باناشيد الحرية ، المتقد حماسة لتحطيم قيود الاستعباد.

بيد ان الياس عاصي من الرجال الذي يتقهقرون امام العقبة الاولى ولا العشرين . فما وجدتني هذا العام الا منقادا اليه . وانا على يقين ان هذه الشعرية الشهية بتقطرها من شق يراعي . وانسكابها في آنيتي ، ستفقد معظم طيبها وصفائها ونكهتها . فالحقيقة التي لا يجهلها احد ، ان اللغات كالشعوب يتميز بعضا عن بعض بطبائع وتقاليد ومصطلحات خاصة . ونقل كل هذه العناصر والخصائص مؤمنة سليمة الى لغات اخرى يقتضي التحلي بمواهب خارقة ، اعترف باني اول العاطلين منها.

ومع ذلك فلا يخلو ان يكون بين السهام التي اطلقناها على رفوف هذه الاخيلة المجنحة سهم صائب يرشد الى روعة ودسامة النوع الذي ينمي اليه الطير الواقع .

ولد رشيد سليم الخوري سنة ١٨٨٧ في قرية صغيرة من قرى لبنان . بين مدينتي جبيلَ والبترون . من ارياف المتوسط التي انطلق منها رواد ابطال من الفينيقيين بمراكبهم الشراعية يحملون المدنية عبر اعمدة هرقل الى شواطىء بريطانيا والبلطيق . وينشئون ويبنون اول ما عرف من المدن والمستعمرات على سواحل افريقيا . ولا بد ان يكون رشيد وهو يتأمل ذلك الخضم العامر تاريخه بالعظائم ، قد غمر نفسه الفخار ببطولات اجداده الذين ابتدعوا الحرف . واطلعوا به على البشرية سناء فجر جديد ، اخرجها من ظلمات ليل الامية الذي غشي ابصارها من عهد التكوين وكان نقطة اعظم وامجد تحول في مجرى التاريخ الانساني على الاطلاق .

لم تتميز حياة رشيد بحوادث غير عادية . درس وعلم بضع سنوات في مدارس اميركية ووطنية . يختار منها كل عام اجملها موقعا ، واطيبها مناخا . وهكذا كان يغذو روحه الشاعرة بكل ما تحفل به مناظر بلاده من فتنة وسحر . ويستنشي من رباها ووهادها وسهولها بقايا انفاس البطارقة والرسل الذين طالما جالوا في ارجائها منذ القديم . وهل في الدنيا ينبوع للفكر اصفى وبيئة للشعر اجمل ، من تلك البيئة وذلك الينبوع اللذين الهما رينان ولامارتين اروع الخواطر الفكرية والمقاطع الشعرية في الادب الفرنسي ؟!

ينبع الشعر من مجرد اسم لبنان الذي يعني الجبل الابيض . طقس معتدل . فصول تتعاقب بنظام . دون ادنى اختلاف عاما عن عام . صادقة الموعد . لا تغش ولا تخون . اغراس تين واعناب كانما نقلت الى الارض من مشاتل الجنة . رياحين مسكرة العبير . كروم زيتون ونخيل وبواسق صنوبر وارز تنبسط فروعها في فضائها، انبساط اسمائها في صفحات الكتب المقدسة . ففي هذا المحيط العابق بالبراءة ، الغني بالمثالية ، نبض قلب الفتى رشيد بالموهبة . واحس بان القدر اختاره ليكون شاعرا يتغنى بالجمال ويعزف على عوده الحان الحرية والاستقلال .

وفي سنة ١٩١٣ هاجر الى البرازيل . ونزل الى ميدان الجهاد في سبيل العيش حول بلدة (مريانا) الموسومة بطابعها الديني وكنائسها القديمة .

في تلك الغربة السحيقة ، وعلى امتداد تلك الطرق الخالية التي لا يؤنس وحشتها من حين الى آخر الا صدى انين العجلات التي تجرها الثيران . كانت تغمر نفسه الكآبة . ويستبد بقلبه الحنين الى الوطن البعيد .

ويرحل الى صنبول ويطبع فيها بما وفره من كد ثلاث سنوات ، ديوانه الاول « الرشيديات » وعلى هذا المنوال يطبع ديوانه الثاني « القرويات » سنة ١٩٢٢ « فالاعاصير » سنة ١٩٣٢ . وهي قصائده النارية التي يحمل بها على الاستعمار . وينشد لبلاده الحرية . ويدعو الى الوحدة العربية . انه لم يعبر البحار باحثا عن شجرة الكنوز المرصودة . بل عن دوحة اخرى عميقة الجذور في تربة العدالة . مسبطرة الفروع في سماء المجد . انه آثر حرية وطنه على حريته الاقتصادية . فهو شاعر اجتماعي . لا شاعر وجداني حسب . يروعك من شعره الغنائي خصب المخيلة الشرقية . ولطائف المعاني الملهمة . وحبه المتناهي للطبيعة . وروائع المعروض من لوحاتها في السماء والارض . اذا وصف زهرة او شجرة او جدولا او برتقالة ، نفحته عروس الهامه بابكار الصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي تعجز ريشة الرسام العبقري عن بدائع الوانها .

عندما قرات قصيدته « ليمونتي » خطر على بالي كثيرون من شعرائنا . امثال بازيليو دي غاما وسنطا ريتا دورون وايتا باريكا وبطيخته الشهية التي اذكرها ولعابي يسيل .. وأناناسته المتوجة باكليل الشوك .. ولا انسى كذلك سيزاريو فردي وشمامته التي تعود بنسبها الشريف الى دمشق ..

اما قصيدة « الدوحة الساقطة » لرشيد ، فهي من اروع ما قرات . كنت اظن ان غيرا جونكيرو والبرتو اوليفيرا قد جاءا بكل ما يمكن ان تتفتق عنه اذهان العباقرة في موضوع الشجرة ، ولم يتركا مجالا لقائل . حتى طلع علينا رشيد بدوحته الساقطة التي جمعت محاسن قصيدتي الشاعرين البرازيلي والبرتوغالي . وزادت عليهما ما لم يخطر لهما على بال . فهذه الشجرة التي تتحول الى جسر عظيم . وتدعو الله ان يقوي دعائمها . ويثبت اقدامها . لتعبر عليها الجماهير . حاملة بشرى السلام الى العالم . هي من قصائد المثل العليا الجديرة بان تسمى شعرا تولوستويا ..

بيد اننا لو استعرضنا كل قصائد رشيد ، لوجدنا ان ارفعها شانا . وابعدها شأوا . لتلك الرائعة بحلة المجد . انها ، ولا ريب ، قصيدة « حضن الام » . التي هي اجل واجمل واسمى من كل ما بلغته مخيلات الشعراء للتعبير عن محبة الام وحنانها . فلا هوغو ولا ريشبان ولا رودنباخ ولا جونكيرو ولا الشعراء الانكليز والطليان والالمان او السلاف جاؤوا بما يستحق المقارنة بهذه الفلتة الشعرية البكر . لهذا اللبناني المتواضع . الذي لا يفتأ يروح شبحه ويغدو بيننا في الحاضرة الصنبولية وعيون هذه الجماهير كلها غافلة عنه .

سألنا رشيدا عن احب الشعراء اليه . فاجاب ، عنترة والمتنبي . الاول فارس قبيلة عبس وشاعرها ابن السوداء الحبشية . حواض الغمرات . وناظم اروع القصائد في حب عبلة . والثاني هو من قيل ان القوافي كانت تخضع لسلطانه . والافكار والاخيلة تزدحم على اطراف بنانه ولسانه . رنت مدائحه الخالدة في بلاط سيف الدولة بابيات تجارت فيها البلاغة والحكمة كفرسي رهان . رأس يحاذي رأسا وعنان يحتك بعنان .

ولنعد الى شعر رشيد الاجتماعي لنقول انه الفلم الناطق بابرز ملامح شخصيته . فرشيد سليل امة اختارها الله للعظائم . وابن بلاد خصتها السماء باوفر نصيب من الجمال . ولكنها ترزح تحت نير الطغيان الاجنبي . لقد مضه وارمضه ما مضها وارمضها . وكان خير معبر عن آلامها وآمالها . يسدد سن قلمه الى صدر الاستعمار . كما يشرع البدوي رمحه في وجه المغير على مضربه . ويزمجر باعاصيره زمجرة الاسد الغضوب على من يقتحم عليه عرينه . فلكأنه وهو يناضل في ساحة جهاده الادبي ، يردد قول (هايني) :

« الورود الورود ! اني ابتغي اكليلا لراسي في المعترك . ومزهري ! هاتوا لي مزهري ! لاغني نشيد الحرب . كلمات كالاجرام المشتعلة . تنقض على القصور فتحرقها . وتنهل على الاكواخ فتنيرها . انا الفرح . انا الحماسة . انا الثورة . انا السيف . انا النار » .

وما حماسيات القروي الا السيف والنار مجتمعين . قصائده كقصائد كاسترو الفس مسطرة بالدموع والدماء . ولئن اسمعتك هديل الحمائم في مواقف التشبيب بمن يهوى . فانها تزار زارات الليوث الضارية . والسيول العارمة . في آذان المجرمين . المغمدين خناجرهم في احشاء وطنه المعبود . واي وطن هو هذا الوطن ! مهد الانبياء والرسل . وطن محمد الذي خلع على المراة اسنى حلل التقديس حين قال . الجنة تحت اقدام الامهات .

ناهيك بالحضارة العربية . بعظمة عبد الرحمان الثالث الذي جعل من قرطبة بغداد الغرب . والحكم الثاني ومكتبته التي كانت تضم جناحيها على اربعمائة الف مجلد علق الحواشي على الوف منها . والمنصور وغزواته التي كان يصحبه فيها اربعون شاعرا لتمجيد بطولاته . وتخليد فتوحاته . الم يكن العرب ، كما يشهد (غبنز) ، خير سلالة بيضاء تلألات انوارها في دياجي القرون الوسطى ؟! اولم يعترف (له بون) في معرض الكلام عن كشوفهم العلمية الخطيرة ، انهم لا يضاهيهم شعب في انجاز اضخم الاعمال باقصر الازمان ؟ اولم يثبت ميشال ت . اعظم مؤرخي فرنسا ، ان العرب ارحم الناس في الحروب واعفهم عند المقدرة ؟ اليست هذه الامة الباسلة الحالمة هي التي اتحفت الدنيا بالحمراء والف ليلة وليلة ؟

اجل . وتلك هي الامة التي فتح الشاعر عينيه عليها . فتفطر قلبه حين وجدها مريضة مدنفة مدماة في قيود الذل . تعاني اشد الوان البغي والطغيان . فاشعار رشيد لا تتسم بشجو (المعتمد) في منفاه بطنجة . ولا بحنين (المغربي) الى اندلسه وهو مبعد في مصر . بل هي اشبه بدمدمة الجحافل الزاحفة الى ميادين الوغى . ولذا كان مغاوير الدروز في حملاتهم على الفرنسيين يهزجون باناشيد الشاعر الكبير ، الذي سيخلد ذكره في حماسياته القومية خلود تاديو كزيوسكو في صراعه الادبي من اجل وطنه بولونيا .

لقد حاولت المستطاع في نقل بعض قصائد هذا الشاعر المشهور الى البرتوغالية ، وانا على يقين اني لم اتمكن من القبض على اشعة القمر .. ولكني لا اعدم الرجاء باني قد اوصلت الى مسامع كثيرين ، ولو صدى خفيفا لحفيف اجنحة هذا النسر المحلق في الاعالي . وجعلتهم يستشفون من خلال بعض هذه الترجمات ، جانبا من عبقرية شاعر عربي اكسب امته شرفا بروائع خياله وبدائع فنه . ولا سيما بايمانه الموطد الاركان على مبادىء العدالة الخالدة وجمال الحرية السرمدي .

صنبول ـ البرازيل **سلمون جورج**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الرزاق الهلالي

حقائق جديدة في حياة الزهاوي

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

لقد شاءت المصادفات اللطيفة ، ان تجعلني في عداد دارسي شاعر العراق الكبير ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، بل ومن اكثر المعنيين بحياته ، وفكره وادبه ! اما ما هي تلك المصادفات ، فأذكر منها تلك التي كانت الدافع الاول لهذا الاهتمام ، وخلاصتها :

اني عندما كنت أقرأ مجلة « المؤرخ » التي اصدرها الاستاذ المرحوم رزوق عيسى في بغداد سنة ١٩٣٢ وجدت في عددها الصادر في شهر كانون الاول من تلك السنة عنوانا غريبا هو « حكومتي لا تعطي لمن سكت » فرحت بدافع حب الاستطلاع ، اقرأ ما جاء تحت هذا العنوان ، فماذا قرأت ! قرأت ما كتبه صاحب المجلة قائلا :

« وقع قبل ربع قرن ، حادث خلاصته ، انه في احد الايام زار الاستاذان ، الزهاوي والرصافي ، احد ساسة الانكليز ، الرحالين ، المدعو الدكتور ارنست لويد في احدى الدور الواقعة في محلة راس القرية وكنت اترجم ما يدور من حديث بين الثلاثة ، ومما قاله الزهاوي للرحالة الانكليزي ، قوله : ان حكومة تركيا ، التي على راسها السلطان عبد الحميد ، الطاغية ، عينت لي راتبا، اتقاضاه في غرة كل شهر، لكي لا اندد بسياستها الخرقاء، واغض الطرف عن مساوئها !!

فأجابه ، ذلك السياسي على الفور قائلا :

اخطأت ايها الاستاذ الطالب للاصلاح .. ان حكومتي لا تهب اموال الامة لمن يعرف الحقيقة ويسكت عنها ، بل تغدق عليه العطايا والهبات والالقاب السامية اذا نطق فأرشدها الى الصواب والحكمة !!

فاحمرت وجنتا الاستاذ ـ الزهاوي ـ من بيان مناظره ، وتلعثم لسانه المشهود له بالذلاقة ، واقسم بالله انه سوف ينظم قصيدة بعنوان « ان حكومتي لا تعطي لمن سكت » وينشرها في احدى جرائد مصر !

ولست اعلم ان كان شاعرنا الزهاوي ، بر بوعده ، لاني لم اعثر في ديوانه المطبوع على قصيدة بهذا العنوان!! بيد انه نظم قصائد كثيرة بهذا المعنى ، ومطلع احداها :

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا وادعيها وان صاحوا وان جلبوا

وجاء في قصيدة اخرى :

قولوا الحقيقة جاهرين واعلنوا للناس ما فيها من الاسرار
ان لم تقولوا الحق عند ثبوته جهرا فما انتم من الاحرار »

تلك هي القصة التي رواها لنا صاحب مجلة « المؤرخ » وقرأتها بعد ثلاثين عاما من نشرها فاذا بي اجد نفسي مدفوعا بعنوان تلك القصة ، وقلت يا حبذا لو تسنى لي دراسة هذا الجانب من حياة هذا الشاعر الكبير ، الا وهو جانب (الثورة والسكوت) ! ثم تشاء المصادفة ايضا ان اروي هذه القصة للاستاذ الاديب صاحب جريدة « الايام » وبعدها « البلد » ، للاخ عبد القادر البراك ، فاذا به ينشر في اليوم الثاني خبرا يعد قراءه فيه قائلا بان الهلالي سينشر بمناسبة ذكرى وفاة الزهاوي ، (تحقيقا هاما) !!

فتجاه هذا الوضع وجدت نفسي مضطرا لاعداد هذا التحقيق ، الذي نشرت مقالته الاولى يوم (٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٣) تحت عنوان « الزهاوي بين الثورة والسكوت »، حتى اذا اكتملت حلقاته نشرتها لي « دار الثقافة » في بيروت (كتيبا) يحمل العنوان نفسه !!

جئت بهذه النبذة عن تلك المصادفة التي كانت السبب في حملي على دراسة حياة هذا الشاعر الكبير ، لانطلق منها الى القول ، بان صلتي بالزهاوي لم تنقطع منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ، اذ أخذت على عاتقي دراسة حياة هذا الشاعر ، دراسة شاملة ، حتى اذا تسنى لي القاء النور الساطع على مختلف جوانب تلك الحياة ، خرجت بدراسة موسعة عنه اسميتها « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » وقد استطعت بما بذلت من جهد ، ان اكشف عن بعض الحقائق (الجديدة) في حياته ، تلك الحقائق التي اخفى هو نفسه ، قسما منها، وضاع القسم الآخر بين الاضابير والمظان ، ولما كنت اعتقد ، ان في الكشف عن هذه الحقائق ، فائدة كبرى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد رايت ان الخصها على صفحات مجلـــة « الاديب » الزاهرة ، لتكون مرجعـا للراغبين في دراسة حيـاة هذه الشخصية العراقية الكبيرة والباحثين في ادبه وفكره !

ولما كانت تلك الحقائق كثيرة ، فهاأنذا ، الخصهـا للقاريء الكريم على الوجه الآتي :

أولا ـ تقويم وتقويم !

ان دارسي حيـــاة المرحـــوم الزهاوي يعتبرون الترجمة التي كتبها الزهاوي عن حياته ونشرها الدكتور محمد صبري في الجزء الثاني من كتابه « شعراء العصر » الذي اصدره في القاهـــرة سنـــة ١٩١٢ ، ان هـؤلاء الدارسين يعتبرون هذه الترجمة ، اقدم ترجمة كتبهـا الزهاوي عن حياته . ولما كان الزهاوي في تلـك الترجمة قد اثبت كثيرا من التواريخ وقال عنها انهـــا (تواريـخ هجرية) باضافة حرف (هـ) بعد كل تاريخ منها ، فقـد حولها بعض دارسي حياته الى مـــا يقابلها مـن التاريخ الميلادي ، وهم بعملهم هذا لم يكونوا دقيقي الملاحظة بعد ذلك التحويل ، لانهم لم يهتموا بواقع الحال ، اهتمامهم بالرقم ! وهم بهذا التحويل (على ما ظهر لنا بعد الكشف عن حقيقة التقويم الذي استعمله الزهاوي) قد وقعوا في الخطأ ، فنتج عن ذلك تداخل الاحداث التاريخية بعضها ببعض !

فلقد استعمل الزهاوي التاريخ (الرومي) وان كان قد وضع حرف (هـ) بعده ، ذاك لان الاتراك ، درجـوا على ان يكتبوا هـــذا التاريخ في معاملاتهم علاوة علـــى التاريخ الهجري الاسلامي !

وحيث ان الفرق بين التاريـخ الهجري الاسلامي ، والرومي ، (سنتان) ، اي ان (الرومي) يقل (سنتين) عن (الهجري الاسلامي) فقد كان على دارسي الزهاوي ان يضيفوا (سنتين) على ما سجل في كتاب « شعـراء العصر » قبل ان يحولوا ذلك الى ما يقابله مـن التقويم الميلادي !

وكمثال على ذلك الخلط بـــين التقويمين نقـــدم الحقيقة الآتي بيانها :

قال الدكتور محمد صبري في الصفحة (٣٩) مـن الجزء الثاني من كتابه « شعراء العصر » ما نصه :

« وفي ٣٠ تشرين الاول سنة ١٣٢٤ هـ عين أستاذا للفلسفة الاسلامية في المكتب الملكي في الاستانة .. » فهل هذا التاريخ صحيح اذا اعتبرناه هجريا ؟!

ان المعلوم تاريخيا ، ان الزهاوي سافـــر الـــى استانبول بعيد الانقلاب العثماني اي في سنـــة ١٩٠٨م ، وهذا التاريخ الميلادي يقابل سنة (١٣٢٦ هـ) فما الذي نرى من هذه الحقيقة ؟ نرى ان ما ذكره الدكتور محمـد صبري ، انما هو التاريخ (الرومي) ولذلك لو اضفنـا اليه (سنتين) ينطبق التاريخ مع التاريخ الذي ذكرنـا وهو سنة (١٣٢٦ هـ) .

ان هذه الحقيقة تكشف عن الاخطاء الكثيرة التـي وقع فيها بعض دارسيه ، وهو ما بيناه بالتفصيل فـــي كتابنا « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » الذي نأمل صدوره في المستقبل القريب ان شاء الله !

ثانيا ـ الزهاوي وابو الهدى !

ومن الحقائق التي اتضحت لنا ، ان الزهاوي روى انه القى قصيدته « حتام تغفل » في دار شيـخ الاسلام الشيخ ابي الهدى الصيادي والتي مطلعها :

الا فانتبه للامـــر حتام تغفـــل اما علمتك الحال ما كنت تجهل ؟

وان هذا الشيخ رفع تقريرا ضده الـــى السلطان عبد الحميد ، فنفاه هذا الى بغداد !!

هذا ما رواه الزهاوي للاستاذ المرحوم رفائيل بطي الذي اثبته في كتابه « الادب العصري في العراق العربي » الذي اصدره في القاهرة سنة ١٩٢٣ ، فهل كانت هـــذه الرواية صحيحة ؟!

لقد ظهر لنا ان ذلك غير صحيح ، بـل الصحيح ، ان الزهاوي كان قد قرأ قصيدته التـــي نظمها بمناسبة انتصار الجيش العثماني على الجيش اليوناني والتـــي مطلعهـــا :

هو الفتح القى في قلوب العدى **هولا واثبت ان الحق يعلو ولا يعلـــى**

وان الشيخ الصيادي ، اخبـــر السلطان بهـــا ، فأصدر أمره بتعيينه (واعظا عاما في اليمن) اما قصيدته « حتام تغفل » فقد قراها في احـــد الاجتماعات السرية التي عقدتها الخلية التي يرأسها الشاعر التركي صفا بك والتي كان الزهاوي من اعضائها ! وبتقرير رفعـه احـد جواسيس السلطان تقرر نفيه الى بغداد في سنة ١٩٠٠م .

ثالثا ـ الزهاوي وعبد الوهاب باشا !

لقد ذكر بعض دارسي الزهاوي ، ان الزهاوي قد اصدر كتابه « الفجر الصادق في الرد علـــى منكـــري التوسل والكرامات والخوارق » في زمن الوالي عبدالوهاب باشا الالباني للتخلص من كيد هذا الوالي ومـــن خصومه المحيطين بـــه !

ولكننا عندما انهينا قراءة كتابه هذا ، وجدناه يقول في خاتمته بانه (قد تم تنميقه في غـــرة رمضان سنـــة ١٣٢٢ هـ) .

ولدى الرجوع الى الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العراق بين احتلالين » لمؤلفـــه الاستاذ عباس العزاوي للوقوف على تاريخ وصول الوالي (الالباني) الى بغداد ، وجدنا هذا المؤرخ يقول ان هذا الوالي كان قد وصل الى بغداد يوم (٨ شوال سنة ١٣٢٢ هـ) فماذا نفهم مـــن هذا ؟ نفهم ان الوالي عبد الوهاب باشا الالباني ، قـــد وصل بعد انتهاء الزهاوي من (تنميق) كتابـه بخمسة اسابيع ، ومن ثم فلم يكن لهذا الوالي علاقة به ؟!

رابعا ـ الزهاوي والاتراك !

ان من يقرأ دواوين الزهاوي ، لا يجـــد فيها اي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشارة الى قصائده التي نظمها في الحث على الجهاد ، ومدح الجيش العثماني ، تلك القصائد التي نظمها في بداية الحرب العالمية الاولى ، فقد حذف الكثير منها ، وما اثبته منها جعل له عناوين جديدة لا علاقة لها بها . ومن تلك القصائد ، قصيدته (الرائية) الطويلة التي نشرها تباعا على صفحات جريدة « صدى الاسلام » في شهر مايس (ايار) سنة ١٩١٦ ومطلعها :

الا ايها الجيش اللهام المعسكر تقدم فانت المستطيع المظفر

ومدح فيها انور باشا الذي زار بغداد يومذاك قائلا :

اانور انت اليوم درع لامة يحاربها ثلثا الانام واكثر

ومما يلاحظ انه لم ينشر من قصيدته هذه التي ناهزت (المئة بيت) سوى (١٣) بيتا في الصفحة (١٠٩) من ديوانه تحت عنوان « اليك تنظر » وكتب في صدرها عبارة (يخاطب بها الجيش) دون ان يذكر اي جيش هذا !! وان كانت الابيات تدل على انه الجيش العثماني !!

خامسا ـ الزهاوي وشهداء سورية .

وللزهاوي قصيدة عنوانها « النائحة » ومطلعها :

على كل عود صاحب وخليل وفي كل بيت رنة وعويل

وانه عندما اثبت بعض ابياتها في الصفحة (١٦٨) من ديوانه ، قال في صدر الصفحة :

« وهي قصيدة يرثي بها من شنقهم جمال باشا في سورية من افاضل العرب » .

فمتى نظم هذه القصيدة ؟! هل نظمها عند ارتكاب هذه الجريمة النكراء ، كما توهم بعض دارسيه ، ام نظمها بعد ذلك التاريخ أي بعد (٦ ايار ١٩١٦) ؟!

لقد تأكد لنا انه نظمها بعد مرور (سنتين وخمسة اشهر) لا كما توهم الاستاذ علي عباس علوان في رسالة الماجستير « شعر جميل صدقي الزهاوي » وغيره ودليلنا هذا المقطع الذي لم يثبته في ديوانه ، ولكنه مثبت مع القصيدة في كتاب « الادب العصري في العراق العربي » لمؤلفه الاستاذ رفائيل بطي وهو قوله في انقاذ دمشق :

قد اسود ليل الظلم حتى كانه ستار على الارض الفضاء سديل
الى ان اتى بالفتح جيش عرمرم مدافعه تنكى العدا وتهول
وجاءت خيول العرب تعدو وراءها بمقربة للانكليز خيول
هنالك(اهل الشام) صاحوا وكبروا وكبر اعلام لهم وسهول

فمتى كان انقاذ دمشق من الاتراك ، هذا الذي يتحدث عنه الشاعر ؟ لقد كان يوم (١ ـ ١٠ ـ ١٩١٨) اي ان الزهاوي نظم قصيدته هذه بعد هذا التاريخ على اي حال !!

سادسا ـ الغاء وظائف الزهاوي !

قال الزهاوي في ترجمة حياته « وبعد قدوم جلالة الملك فيصل الى بغداد ، بشهرين ، الغيت وظيفتي في (العدلية) وقطع راتبي ، وعلمت انه سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي .. »

فهل كان الزهاوي دقيقا في كلامه هذا ؟!

لقد ثبت لي بما لا يقبل الشك ، بان الحقيقة غير ما ذكر الزهاوي ، ذاك اني لما وقفت على اضبارته التقاعدية التي بحثت عنها في مديرية التقاعد العامة ، ظهر لي من الاوراق والوثائق الرسمية ، ان وظيفته في العدلية وهي (رئاسة لجنة تعريب القوانين التركية) كانت قد الغيت بتاريخ (٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٢١) اي بعد يوم واحد من وصول الامير فيصل الى بغداد . في حين ظهر لنا منها ايضا بانه ترك عمله في المعارف بتاريخ (٣١ ـ ٧ ـ ١٩٢١) .

سابعا ـ تقاعد الزهاوي !

لقد قال الزهاوي في ترجمة حياته ، بانه قد استدعى بحق (التقاعد) فلما ظهر ، ان هذا الراتب التقاعدي هو (١٥٠) روبية في الشهر ، رفضها قائلا « لاني وجدتها دون استحقاقي » ، فهل صحيح انه رفض هذا الراتب ؟!

لقد ثبت لنا من دراسة الوثائق الموجودة في اضبارته التقاعدية ، بانه قد طالب السلطات آنذاك لزيادة هذا الراتب ، وانها مساعدة له جعلته (٢٠٠) روبية في الشهر ، حتى اذا تم له ضمان هذا الراتب ، سافر الى القاهرة سنة ١٩٢٤ كما هو معلوم .

ثامنا ـ الزهاوي الناقد !

لقد ظهر لي ، وانا ادرس حياة هذا الشاعر الفكرية والادبية ، بانه قد قام بنقد عدد من كبار الشعراء ، فقد نقد شعر الاستاذ عباس العقاد ونشر نقده هذا على صفحات مجلة « لغة العرب » في اعدادها الصادرة سنة ١٩٢٨ كما انه فقد ثلاث قصائد من ديوان « الشوقيات » ولكنه وهو ينشر فصول هذا النقد لم يكن يوقع عليها الا باسمه الصريح ولا بتوقيع مستعار !

ثم انه نقد شعر الاستاذ الرصافي بمقالات عدة نشرها بتواقيع مستعارة على صفحات جريدة « الفيحاء» الدمشقية !

وقد تسنى لنا جمع فصول هذا النقد من مظانها المختلفة تمهيدا لنشرها في كتاب اسميناه « الزهاوي ناقدا » .

تاسعا ـ قصيدة عريانة !

وهذه قصيدة طويلة عدد ابياتها (٢٣٥) قال عنها المرحوم الدكتور ناصر الحاني ، بانه قد اطلع عليها عند السيد جودت عبد المجيد قريب الزهاوي ، ولاحظ بعد قراءتها انها قصيدة فيها كثير من (المجون والخلاعة) وانه نظمها على سبيل الفكاهة في احد (البارات) في احد البلدان الاجنبية ، فماذا قال ؟!

لنستمع اليه وهو يصف ذلك (البارك) قائلا :

ما البارك الا بقاع للمخزيات جماع

ثم يقول فيها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كفاح غزة

رمز البطولة انت غـــزة هاشم ... وحمى العروبـة والحفاظ الحازم
انـزلت بالاعـــداء كـل بليـــة ... واذقتهم مـــر الكفـاح الصارم
هم يحسبون بان حوضك سائـغ ... للطامعين فخاب ظـــن الواهـم
مـــا ليلهـم بحماك ليـل آمـن ... كـــلا وليس نهارهـم بالسالـم
فالرعب ايـــن تحصنوا يلقونـه ... في حصنهم بـل في سرير النائـم
والموت كيف توجهـوا يجدونـه ... رصدا لهـــم في كف ليث ناقـم
في الدرب ، في سيارة ، بمخيـم ... في مخفر ، او عنـد جسر قائـم
يتساءلون اغـزة هـــي مسكن ... للجن ؟ ام هـي غابـة لضراغـم
لم تجدهم في الجـور اي وسيلة ... خطرت لعـات في البريـة ظالـم
نسف البيوت وحرقها والقتل لا ... يثني المناضل عـن حمى ومحارم
عقبى الغرور مدى الزمان وخيمة ... كم بـاء صاحبه بصفقة غـــارم
يـا ايهـا الغازون ليـس بغـزة ... لكم سوى الموت المريـر الحاسم
ابطال غـزة ليس يلـوي عزمهم ... طغيان بـــاغ او ضـراوة غاشم
وهم الاباة الثائرون علـــى الاذى ... والصامدون لكـل خطب داهـم
افتأملـون بـأن يقـر بأرضهـــا ... لكـــم مقام ؟ ذاك حلـم الحالم
ارض العروبـــة للعروبـة كلهـا ... ليست لشـــذاذ ولا لاعاجـــم
في كـــل شبر مـن ثراها غرسة ... للعرب ذات علـى وذات مكـارم
لـن يتركوها للدخيل يعيث فـي ... انحائهـا بمفاسـد ومظالـــم
الله حسبك ايهـا الساري علـى ... بركات ربـك غـير بـاغ آثـــم
ترجـــو معونتـه لقهـر عـدوه ... فلينصرنك وهـو اعـدل حاكـم
وليخذلـن البغـي حتـى ينجلي ... وتعود انت بثغـــر نصر باسـم

حلـب — محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في (البرك) وهو كسوق يباع مـا لا يباع
هناك تمشي الى جانب الظباء الضيـــاع
هنـاك للعين تبـدو مـن الحلي شعـاع
تلـك الخريدة بيضاء لان منهـا الطبـــاع
وهـــذه البكر سمراء مـا عليهـا قنـاع
تلقى بهـا نظـرات مـن الحسان تبـاع
اشـارة فكـــلام فموعـد فاجتمـــاع

عاشرا ـ ابيات الرصافي !

حين وري جثمان المرحـوم الزهاوي ، التـراب ، وقف زميله الاستاذ الرصافي ، ليلقـــي خمسة ابيات ، اعرب فيها عن مشاعره قائلا :

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى ... مثل ميت وصرت بالموت حيـــا
مـا حيـاة العظيم الا خلـــود ... بعد موت يكـون للجسم طيـــا
سوف يبقى بين الورى لـك ذكر ... (ناطق) بالبقاء لم يخش (عيا)
انت فرد في الفضل حيـا وميتـا ... حزت في الحالتين ذكـرا عليـــا
سوف ابكي عليك شجوا وانـــي ... (بك قد كنت في الحياة شجيا)

هذه هي الصورة الصحيحة لابيات الرصافي ، كمـا وقفت عليها في عدد جريدة الاستقلال الصادر يوم (٢٥ـ ٢ ـ ١٩٣٦) وفيها حقيقة ترينا ان (كلمة وشطرا) منها قد حرفها او غيرها الرواة ، فقد وضعوا (شيا) بـدل (عيا) في اخر البيت الثالث !

وجعلوا الشطر الثاني مـن البيت الخامس (كنت ابكيك في الحياة شجيا) وهذا خلاف ما قال الرصافي !

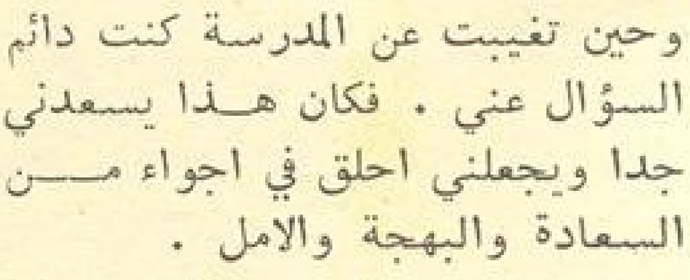
وبعـد :

فهذه عشر حقائق اقدمها لقراء مجلـــة « الاديب » الزاهرة ، ارجو ان اكون قـــد وضعت بعرضها ، بـين ايدي الدارسين والباحثين ، مادة حريـــة بالتقديـــر والاهتمام لا سيما وانها تكشف عن كثير من جوانب حياة هذه الشخصية العراقية الكبيرة التي تركت لها في سجل الفكر والادب صفحات لوامع .

بغـداد — عبد الرزاق الهلالي

قلب في رسالة

بقلم سلمى لحام العطري



زوجي العزيز .

هناك دوافع كثيرة دفعتني للكتابة اليك ، ومصارحتك بكل ما يدور في رأسي . وكثيرا ما حاولت ان اشرحها لك شفهيا ، ولكني كنت اجد الافكار تضيع ، والكلمات تتلاشى .. والحروف تهرب ... وابقى مع حيرتي وحزني ودموعي . ولهذا عمدت الى الكتابة اليك ، لاكون بعيدة عن سحرك وتأثيرك ولاصارحك بالحقيقة وهي : انني اشقى الزوجات .

لا تعجب .. لا تدهش .. لا تتساءل وتذهب بك الظنون بعيدا . فانا ما زلت احبك ، وما زلت اذكر قصة حبي لك يوم كنت طالبة في آخر صف اعدادي . وكنت انت الاستاذ الذي يدرسنا مادة « الكيمياء » .

بدأت قصة حبي لك عندما رأيتك تدخل غرفة الصف بخطواتك الرزينة الهادئة . وتلقي علينا محاضرة عنوانها الاجتهاد والاخلاق والعمل ثم تشرح لنا الدرس بنبراتك القوية . ومحياك المليء بالثقة والاعتداد بالنفس . وفي عينيك يشع بريق غريب ، بريق فيه قسوة وفيه لين ، بريق تخافه ولكن تحبه .

ومن يومها دخلت حياتي .. ولم تعد صورتك تبرح مخيلتي .. وبت امير احلامي ، لا اغفو الا وصورة طيفك آخر ما ارى . ولا افتح جفني الا على طيفك .

تراك ذاكر كيف ارتميت في احد الايام وتدحرجت من اعلى سلم المدرسة حتى اسفله ، فاصابتني جروح عديدة وانتابتني آلام كثيرة ؟ احسبك تذكر هذه الحادثة . ولكنك قطعا لا تعرف سبب ذلك . دعني اصارحك بما اخفيته عنك سنين ، واقول لك وللمرة الاولى .. انك انت السبب في كل ذلك . فلقد رأيتك في اسفل السلم ، وحاولت ان الحق بك ، لامتع نظري برؤيتك ، ولاسعد قلبي وابهج نفسي بسماع صوتك ، ومن شدة سرعتي وارتباكي زلت قدمي ، فلم اعد اشعر بشيء . وافقت من غيبوبتي لارى نفسي بغرفة الناظرة ، وانت الى جانبي . نسيت آلامي ، لم اعد اشعر بها ، فكأن نظراتك الحانية ، وابتسامتك الودود مخدر قوي ضاع به الالم . وتفحصت جروحي برقة . وقلت لي بصوت يفيض عذوبة :

ـ من الافضل ان تذهبي الى الطبيب يا سوسن .

ـ ابدا ليس هناك داع للطبيب يا استاذ .

تحاملت على نفسي ، ووقفت بصعوبة ، فأمسكت يدي ... وتمنيت لو امسكت بها ابد الدهر .

وحين تغيبت عن المدرسة كنت دائم السؤال عني . فكان هذا يسعدني جدا ويجعلني احلق في اجواء من السعادة والبهجة والامل .

كنت اغار عليك من كل صديقة تمتدحها او تفضلها علي ، ولهذا اخذت اجتهد واذاكر دروسي من اجلك ، لالفت نظرك ، لاسمع كلمة حلوة منك ، ولانال اعجابك وتقديرك . ونلت ما اردت ، فكنت دائم الثناء على اجتهادي وذكائي ، وبت تلميذتك المفضلة ، فانصت واستمع اليك وانت تلقي الدرس بصمت وخشوع ، كخشوع وصمت العابد المتنسك . كنت استمع اليك بقلبي وروحي ونفسي .. بجميع كياني . حتى انني كنت اتضايق من صوت انفاسي المترددة وخفقات قلبي المتسارعة .

مضى العام سريعا ونجحت . وكان نجاحي بالنسبة لقلبي كارثة تحل به .. واية كارثة اكبر من ان تغيب عن عيني . بكيت كثيرا .. وحزنت وتأملت ، وزرت مدرستي لاسباب شتى سرعان ما يختلقها قلبي ليحتال على رؤيتك وانت لم تلحظ .. لم تشعر بي وبحبي .

مضت الايام وذهبت سنين فخبت شعلة حبك ، ويئس قلبي من حبه الصامت المعذب ، ففتر لساني عن ذكرك . واسدل النسيان ستائره على قلبي ، فتلاشت صورتك ، وضاع سحرك ، ولم تعد ذكراك الا صورة جميلة عابرة .

وفجأة ، وبعد خمس سنوات اجتمعت بك ، عند صديقتي « سلوى » ولم استطع كتم فرحتي الكبرى بك ، وانا اراك امامي بقامتك الطويلة ، وعينيك الجميلتين ، ونظراتك الحانية الوديعة ، والشعيرات البيض التي بدت تغزو دجى شعرك . وتطلعت الي بفرحة واعجاب وانت ترى تلميذتك التي كانت ترتدي ثوبها المدرسي ، وتحزم شعرها بالشريط الابيض . باتت صبية ناضجة . وابتسمت وما اجمل وابهى ابتسامتك وقلت لي وعيناك تتفحصان شعري المتناثر على كتفي .. عيني .. اعتدال قامتي دقة خصري . وصحت باعجاب :

ـ آه ما هذا يا سوسن .. لقد بت صبية رائعة الجمال .

وتعددت لقاءاتنا عند صديقتي « سلوى » زوجة قريبك . لقاءات كنت اخالها صدفة ، ولم اعلم انها نسيج احتيالك على رؤيتي الا فيما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد . تراك ذاكر ما قلته لي ذات مرة ، عندما خرجت قريبتك لبعض الشؤون :

ـ سوسن اريد ان اراك لاعرف رايك في مسألة ضرورية .

فازدادت خفقات قلبي ، وتسارعت دقاته ، وشعرت بقدمي ترتجفان وترتعشان ، واستولى علي الارتباك والحيرة . وعدت تسألني :

ـ سوسن اين أراك ؟

وبصوت مرتجف خائف قلت لك:

ـ لا استطيع ان اقابلك .

وقطع علينا الحديث حضور زوجة قريبك وصديقتي ، فهممت بالانصراف وعندها رايتك تتطوع لتوصيلي .

كانت الطبيعة تزمجر غاضبة ثائرة ، والسماء ملبدة بغيوم كثيفة .. والجو بارد ، والمطر يتساقط ، وجلست الى جانبك في السيارة خائفة واجفة ، منكمشة كعصفور فاجأته عاصفة باردة ، تخالجني الشكوك والظنون . ورايتك تنجه بي نحو الغوطة ، وعندما سألتك عن السبب قلت لي وانت تبتسم بثقة :

ـ ان لي معك حديثا طويلا ، الا تثقين بي ؟

كنت اثق بك كل الثقة رغم الاقاويل التي سمعتها تحاك مجددا حول سلوكك ، فقد سمعت عنك انك شاب مغامر ، لك في دنيا الهوى صولات وجولات ، رغم الوقار والعزم اللذين يبدوان في محياك وطلعتك فحدثت نفسي بخوف وقلت :

ـ ربما كان كذلك ، وانا لن اكون بطلة لاحدى مغامراته . ماذا يريد مني ؟

والتفت اليك لاواجهك بما يدور في رأسي من ظنون . فكانت نظراتك الحانية الودود ، كشعاع الشمس اذاب شكوكي وازال مخاوفي . وكأنك قرأت ما يدور في رأسي فقلت لي بحنان :

ـ ما بك يا سوسن خائفة منكمشة هكذا ؟

ـ لا شيء على الاطلاق وكل ما هنالك اني اخشى ان يراني احد .

وبصوت ساحر قلت لي :

ـ لا تخافي .. فأنا معك .

وبعد فترة من الصمت اللذيذ ، رأيتك تلتفت وتقول لي بارتباك :

ـ أتؤمنين بالحب يا سوسن ؟

فقال لك لساني :

ـ لا انه سخافة كبرى !

ـ انك تمزحين بدون شك .

ـ ابدا ، فانا لا اؤمن بحب الرجل .

ابتسمت ابتسامة لم استطع تفسيرها وقلت لي :

ـ لو سمعت هذا الكلام من فتاة غيرك لسألتها ، ان كان هناك حبا فاشلا في حياتها ، او ان هناك رجلا خدعها او خانها .

ولم تعبأ بنظراتي الغاضبة بل تابعت قائلا :

ـ اما انت يا سوسن فأنا اعرفك كل المعرفة ، وان ما تقوليه ليس عن تجربة بل سمعت بعض المعقدات يقلن : الرجال ذئاب خداعون كاذبون .

ـ سألتك بتحد :

ـ اولستم كذلك ، اريد ان اسألك كم مرة احببت ؟

قهقهت بسعادة قائلا :

ـ شكرا لك على حبك يا حسنائي الصغيرة .

ـ صحت بعصبية :

ـ ولكني لم اقل انني احبك .

ـ عيناك قالت ذلك ، وانا انسان اصدق لغة العيون .

فتنهدت قائلة :

ـ عيناي تكذبان .

ـ ان العيون لا تكذب يا سوسن. فهي رسول القلب ومرآته الصادقة. ولعلك سمعت بعض القصص المبالغ بها عني ؟

اجبتك بسخرية :

ـ طبعا ستقول لي انك لم تعرف الحب بعد ؟

وبعد برهة من الصمت قلت بنبرة صادقة :

ـ نعم يا سوسن فانت اول حب. لا تذكريني بماضي فأنا رجل لا ارفض المتعة اذا اتيحت لي ، وهناك فرق بين الحب والمتعة . لقد احببتك بقوة وثقي انني لن اغدر بهذا القلب النقي الطاهر ، والوجه البريء . ولا انكر انني حاولت نسيان هذا الحب ، فهناك فارق السن بيننا ، ولكن حبك كان اقوى من كل اعتبار ، فهل تقبلين ان تكوني شريكة حياتي .

واصبحت زوجتك ، وتهت فخرا بين صديقاتي ، الاستاذ محسن الذي تحلم به الكثيرات والذي لم تستطع فتاة الفوز بقلبه ، جاء يقدم لي قلبه وحبه ولقبه ، وشعرت بالسعادة تغمرني ، وانا اسير بقربك وكأنني اطير من الفرح .

واعمتني الفرحة في بادىء الامر عن رؤية حقيقتك ، وبدأت افتح عيني على واقعي وانني بالنسبة لك دمية او تمثال من الرخام كما تقول وكان هذا يشقيني ، واخذت تعاملني كطفلة ليس عليها الا الطاعة العمياء ، فطلباتك اوامر يجب ان تنفذ دون اية مناقشة او جدال ، وعلي ان أأتمر بأمرك ، وانتهي لنهيك ، فأحب ما تحب ، واكره ما تكره ، وكأن صورة الطالبة ما زالت محفورة في مخيلتك . ولكني اليوم لست تلميذتك انني زوجتك شريكة حياتك ، ولي اراء خاصة غير ارائك ، وافكار غير افكارك . فأنا انسانة ولست ظلالك . اريد ان ارتب منزلي كما اريد ، ان اختار لون ستائره . اريد ان اشعر انني سيدة هذا المنزل ولست آنية صماء من الزهور تنقلها من مكان الى اخر . وطلبت شيئا من الحرية والاستقلال اللذين تتمتع بهما اقل الزوجات شأنا ، وساءك وانت الاستاذ ان تثور تلميذتك وتشق عليك عصى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عطش وجوع

يا عائدين الى الربوع ... قلبي تحرق للرجوع
نهنهته فازداد تحنانا ... وعربد في الضلوع
لا يطمئن به الوساد ... ولا يقر له ولوع
كانت تسليه الدموع ... فصار يهزأ بالدموع
لكانه ـ والريح في اعقابه ـ طير هلوع
ولت ليالي الانس ... وانطفأت بهيكله الشموع
وذوت امانيه فما ... في روضه نشر يضوع
شيعت شمس رجائه ... ومضيت ابحث عن يشوع
يا قلب لا تجزع فلم ... يظفر بحاجته جزوع
ان الخنوع لكالردى ... فحذار عاقبة الخنوع
الصبر اجدى في البلاء ... فربما أمن المروع
هل يملك المحروم الا ... ان يكد وان يجوع
ما كان اخسر صفقتي ... لما نزحت عن الربوع
اغراني الفجر الكذوب ... وغرني البرق الخدوع
قالوا الطموح هو الرجولة ... قلت ما احلى القنوع
لولا سراب المجد لم ... تسلخ عن الاصل الفروع
مالي الى هذي السفاسف ... والزخارف من نزوع
حسبي رضى غلواء ... حسبي طيفها وقت الهجوع
اني اكتفيت من الخضم ... بحسوة الطير القنوع
من ليس يرضيه النزول ... فليس يرضيه الطلوع
يا عائدين الى الحمى ... قلبي به عطش وجوع
لا تعذلوه فليس ترويه ... الضروع ولا الزروع
بالله هل في الركب ... متسع لملهوف ولوع
حزمت امتعتي فيا ... قلب ارتقب يوم الرجوع

بوانس ايرس ـ الارجنتين ... زكي قنصل

الطاعة وقلت لي ما معناه انني ما زلت طفلة لا افهم من الحياة شيئا ، ولهذا يجب ان تسيطر علي، وان استأذنك بكل شيء . بالهواء الذي استنشقه .. بالابتسامة التي ابتسمها ، بالثوب الذي ارتديه ، بالحلم الذي احلم به . وحاولت ان اكسر قيد حبك ، ولكنه كان اقوى مني . فأرتد الى نفسي وابكي بحرقة شخصيتي .. حريتي .. كياني ، لقد سلبتهم جميعا باسم الرباط المقدس . علي ان لا اناقشك في امر وان اقبل ما تفرضه علي دون جدال ، وان انفذ اوامرك دون اعتراض . وكلما ثرت كانت ثورتي تتلاشى كما تتلاشى الموجة وتتكسر على الشاطىء الصلب .

لقد كرهت ربيع عمري، وتمنيت لو تجاوزته وقفزت الى الخريف . فغز المشيب مفرقي . فلعلك تنظر الي نظرتك ، الى الشريك او الى الند .

وبعد كل ما اطلبه منك يا حبيب عمري . هو ان تؤمن ان للسيطرة حدودا يجب ان لا تتجاوزها ، وان الحب لا يعني بحال من الاحوال الاستعباد والاستبداد ، انني شريكة حياتك وندا لك . لي نفس حقوقك . فدع لي شيئا من الحرية التي تذكرني بانسانيتي .. بكرامتي .. بشخصيتي .. بوجودي . ولا تضيق الخناق على حبنا ، فأنا اخشى عليه الاختناق والموت . ولا تمنع الشمس والماء والهواء عن زهرة حبنا .

ترى هل تستجيب لندائي . ام انك تبتسم بسخرية وتهكم وتقول : انها مجرد عبث طفلة ؟

المخلصة : سوسن

دمشق ... سلمى لحام العطري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

هذا مدني

ويقولون : هذا الرجل مدني (بفتح ففتح) ، وذاك قروي (بفتح ففتح) . والصواب : هذا مديني (بفتح فكسر) ، لانه لا يجوز ان يقال : مدني (بفتح ففتح) ، الا للرجل ، او الثوب اذا نسبا الى المدينة المنورة وحدها .

اما الطير ونحوه ، اذا جاءا من المدينة المنورة ، وكل من ينتسب، وما ينتسب الى اية مدينة اخرى ، فالنسبة : مديني (بفتح فكسر). حتى المرأة التي تنتسب الى المدينة المنورة ، يقال : انها : مدينية (بفتح فكسر) .

اما جمع مدينة فهو: مدن (بضم ففضم) ، ومدن (بضم فسكون)، ومدائن (بفتح الميم) .

والنسبة الى مدائن كسرى هي : مدائني .

مذ اليوم

ويقولون : لم أره مذ (بضم فكسر) اليوم الاول من هذا الشهر . والصواب : لم أره مذ (بضم فضم) اليوم الاول ... ، لان ذال (مذ) الساكنة لا تكسر عند التقائها بلام (اليوم) الساكنة ، كما تنص القاعدة عندما يلتقي ساكنان . وهذا يرجح ان اصل (مذ) هو (منذ) ، التي حذفت منها النون تخفيفا ، كما يقول الخضري . وبعضهم يضم ذال (مذ) بلا ساكن اصلا .

وجاء في الهمع : ان كسر ميم (مذ ومنذ) لغة . ولا استحسن كسر الميم فيهما لبعدها عن المألوف .

الامرأة

وانكر شراح الفصيح على من يقول : ان هذه الامرأة كريمة ، وهذا الامرؤ كريم . وقالوا : ان الصواب هو : امرأة كريمة ، وامرؤ كريم ، دون ان ندخل عليهما اداة التعريف للتخفيف . واجازوا ادخال (ال) التعريف على مرأة ومرء فقط .

ولكن الامام النحوي الكبير أبا علي الفارسي حكى قول بعض العرب : الامرأة (بالالف واللام) . وما علينا الا ان نجيز تحلية (امرأة) ب (أل) التعريف ، ما دام علامة كبير كالفارسي حكى ذلك ، رغم انني أرى ان لفظ (المرأة) اخف على السمع من (الامرأة) .

و (مرأة) هي مؤنث (مرء) بفتح الميم فيهما . وضم الميم في (مرء) لغة . اما مثنى مرء فهو مرآن ، وجمعه : رجال . ويجيزون ان نقول : (١) هذا امرأ ، ورأيت امرأ ، ومررت بامرأ (بفتح راء امرىء فيها) .

٢ ـ هذا امرؤ ، ورأيت امرؤا ، ومررت بامرؤ (بضم راء ـ امرؤ ـ فيها) .

٣ ـ هذا امرؤ (بضم الراء) ، ورأيت امرأ (بفتح الراء) ، ومررت بامرىء (بكسر الراء) .

اما تصغير (مرء) فهو : مريء (بضم ففتح فسكون) ، وتصغير مرأة : مريئة (بضم ففتح فسكون) .

ويجيزون ان يكون مؤنث مرء : مرة (بفتح ففتح وبترك الهمزة). وقالت امرأة من العرب : انا امرؤ لا اخبر السر . وقال الكسائي : سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول : انا امرؤ اريد الخير .

وتجمع المرأة على نساء ونسوة (من غير لفظها) . اما النسبة الى امرىء فهي مرئي (بفتح ففتح) ، والنسبة الى امرىء القيس هي : امرئي (بكسر الراء والهمزة) ، كما يرى الصحاح .

وربما سموا الذئب امرأ ، وذكر يونس ان قول الشاعر :

وانت امرؤ تعدو على كل غرة فتخطىء فيها مرة وتصيب

يعني به الذئب .

مراكش

ويقولون : سافر الى مراكش (بفتح الميم وتضعيف الراء وكسر الكاف) او مراكش (بضم الميم وتضعيف الراء وكسر الكاف) ، وهم يقصدون بذلك المملكة المغربية ، التي عاصمتها الرباط ، والتي يطلقون عليها اسم (رباط الفتح) . والصواب ان نقول : سافر الى مراكش (بفتح الميم وتضعيف الراء وضم الكاف) .

امسى المساء

ويقولون : أمسى المساء . والصواب : حل المساء ، لان معنى الفعل (أمسى) : دخل في المساء . وليس من المعقول ان يدخل المساء في المساء .

المصران الاعور

ويقولون : التهب مصرانه (بضم فسكون) الاعور ، أي : زائدته الدودية . والصواب : التهب مصيره الاعور ، لان المصير (بفتح فكسر) هو المعى (بكسر ففتح) ، وجمعه : مصران (بضم فسكون) ، وامصرة (بفتح فسكون فكسر) . اما مصارين فهي : جمع الجمع .

امضى ايامه في الدراسة

ويقولون : امضى فلان ايامه في دراسة متواصلة . والصواب : سلخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلان ايامه في دراسة متواصلة .

اما الفعل (أمضى) فمن معانيه :

١ ـ أمضى الامر امضاء : انفذه . يقال : أمضى الحاكم حكمه.

٢ ـ امضى البيع : اجازه ، ومنه اخذت العامة الامضاء لتوقيع الصك .

٣ ـ امضاه الى فلسطين : أرسله اليها .

٤ ـ أمضيت له : تركته في قليل الخطأ ، حتى يبلغ به اقصاه ، فيعاقب في موضع لا يكون لصاحب الخطأ فيه عذر .

معهد الموسيقا الغربي

ويقولون : معهد الموسيقا الغربي . والصواب : معهد الموسيقا الغربية، لان كلمة (الغربي) هنا هي وصف للموسيقا ، وهي مؤنثة ، وليست وصفا للمعهد (المذكر) .

املاريا

ويقولون : أصيب فلان باللاريا ، أي : أصيب بالحمى مع البرد المصحوب بقشعريرة (بضم ففتح فسكون) ، أي : رعدة . والصواب: أصيب فلان بالبرداء (بضم ففتح) .

استملك

ويقولون : استملك فلان ارضا . والصواب : امتلك ارضا ، او ملكها (بفتح ففتح) ، او تملكها (بفتح ففتح فتضعيف) .

نموذجات من حرف النون

نتج عنه كذا

ويقولون : نتج عنه كذا . والصواب : نتج منه كذا ، وهو من المجاز، لان معنى : نتج الشيء (بضم الهمزة) من الشيء = خرج منه ونشأ . ومنه : نتجت البهيمة نتاجا (بفتح النون) : أي وضعت ولدا . وهذا الولد قد نتج منها .

ذو نفس نتن

ويقولون : فلان ذو نفس (بفتح الفاء) نتن (بفتح فسكون) . والصواب : هو ذو نفس نتن (بفتح فكسر) ، جمعه : نتنى (بفتح فسكون ففتح) . أو : ذو نفس منتن (بضم فسكون فكسر) ، او منتن (بكسر فسكون فكسر) ، او منتن (بضم فسكون ففضم) . وزاد تاج العروس ولسان العرب على الصفات المشبهة من الفعل (انتن) الصفة المشبهة منتين (بكسر فسكون فكسر) ، وجمع الصفات الاربع الاخيرة مناتين (بفتح الميم) . وهنالك صفة سادسة هي نتين ، وجمعها : نتناء (بضم ففتح) .

اما قول الشاعر :

والريح آخذة مما تمر بـه نتنا من النتن او طيبا من الطيب

(بتسكين التاء في نتن) فضرورة شعرية ، لا يلجأ الى مثلها الشعراء الفحول . فنتن (بفتح فسكون) ليست صفة ، بل هي مصدر الفعل نتن (بفتح ففتح) ، والنتانة هي مصدر الفعل نتن (بفتح فضم) .

أنجب الوالدان أولادا

ويقولون : أنجب الوالدان اولادا . والصواب : أنجب الوالدان ، أي: ولدا أولادا نجباء . أو : انجبا بأولاد .

اما اذا كان الاولاد نجباء ، فاننا نقول : أنجب الاولاد (بضم الدال) . والفعل (انجب) فعل لازم .

وانجبت المرأة ، فهي منجبة (بضم فسكون فكسر) ، ومنجاب (بكسر فسكون) : ولدت النجباء . والنسوة : مناجيب .

ويقول ابن الاعرابي : أنجب الرجل = جاء بولد نجيب ، او جاء بولد جبان . فمن جعله مدحا ، أخذه من الفعل : نجب (بفتح فضم) ينجب (بضم الجيم) نجابة ، اذا كان فاضلا كريما حسيبا نفيسا في نوعه . ومن جعله ذما ، أخذه من النجب (بفتح ففتح) ، وهو قشر الشجر .

انجاص

ويطلق سكان سورية ولبنان اسم الانجاص على شجر الفاكهة المسمى بالفرنسية Poirier ، وبالانكليزية Pear-tree . والاسم الصحيح للشجر المذكور وثمره هو الاسم المستعمل في الجمهورية العربية المتحدة ، أي : الكمثري (بضم فتضعيف مفتوح فسكون ففتح) .

اما كلمة اجاص (بكسر فتضعيف) التي يطلقونها في بلاد الشام على الكمثرى خطأ ، فهي الشجر المسمى باسم البرقوق (بضم فسكون) في الجمهورية العربية المتحدة .

النوادي

ويجمعون النادي على نواد . والصواب : اندية . وجمع الجمع : انديات . ويجمع اللسان النادي على اندية وأنداء .

والنادي هو المجلس والقوم المجتمعون فيه . ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله . ويطلق النادي على اهل المجلس مجازا .

ومن معاني النادي : الشخص او الشبح .

اما قوله تعالى في الآية ١٧ من سورة العلق : « فليدع (بفتح فسكون ففتح فسكون فضم) ناديه » . فمعناه : فليدع عشيرته ، وهم اهل النادي ، والنادي مكانه ومجلسه ، فسماه به (مجاز مرسل علاقته المحلية) .

والندي (بفتح فكسر فتضعيف) ، والندوة (بفتح فسكون) ، والمندى (بضم فسكون ففتح) تعني (النادي) ايضا .

ولكن المعجم الوسيط يجمع النادي على اندية ونواد ، وبذلك ساير معظم العامة في البلاد العربية ، الذين يجمعون النادي على نواد .

ويجيز الفلاييني ان نجمع الاندية على نواد ، ويقول انه مطابق للقياس ، كما قالوا : « جامع وجوامع ، وطابق وطوابق ، وسالف وسوالف ، وسابق وسوابق » .

ثم ويستشهد بقول صاحب القاموس في اوائل خطبة كتابه : (محمد خير من حضر النوادي) .

ويقول عباس حسن في الجزء الرابع من « النحو الوافي » : « والحق ان صيغة (فاعل) تجمع قياسا على (فواعل) ، سواء أكانت صيغة (فاعل) صفة للمذكر العاقل ام غير العاقل . ولكنها ان كانت وصفا لمذكر غير عاقل كانت اقوى » .

اما النوادي ، فمن معانيها :

١ ـ الحوادث .

٢ ـ الاشياء المبتلة .

٣ ـ النون المتفرقة في النواحي ، او الشاردة .

٤ ـ النواحي .

٥ ـ نوادي الكلام : ما يتفوه به الانسان وقتا بعد آخر .

٦ ـ نوادي النوى (جمع نواة) : ما تطاير منها عند كسرها .

اما مفرد النوادي فهو : النادية . وقد تجمع النادية على ناديات .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

رحلة الى صعيد مصر

بقلم اسكندر داود

* * *

الانسان بطبيعته محب للاطلاع ، ميال الى الرحلة والسفر ، وقد جاءت وسائل النقل الحديثة فطوت الابعاد ،واختصرت الزمن ، ويسرت للناس اسباب التجوال والتنقل في انحاء الارض . ولذا كثرت في ايامنا هذه الرحات الجماعية التي تنظمها شركات السياحة لزيارة الاقطار المختلفة . وكنا جماعة من الناس ذهبنا في واحدة من هذه الرحلات الى صعيد مصر . وفيما يلي بعض ما رأيناه في تلك البلاد .

بدانا رحلتنا في مدينة الاقصر ، وتقع على ضفة النيل الشرقية ، وتقوم على انقاض القسم الجنوبي من مدينة طيبة القديمة . وكانت طيبة العاصمة السياسية والدينية لمصر منذ قيام الاسرة الثامنة عشرة حتى الرابعة والعشرين ، اي خلال حقبة امتدت اكثر من خمسماية عام وكان لمصر فيها من رفعة الشأن ، وامتداد رقعة السلطان، ما جعلها قبلة انظار العالم القديم . كانت في ذلك الحين امبراطورية مترامية الاطراف ، امتدت شمالا الى نهر الفرات ، وجنوبا الى اقاصي بلاد النوبة . وكان حكام البلاد المجاورة يتسابقون لتقديم الولاء والجزية للجالس على عرش طيبة . واحرزت تلك العاصمة شهرة بعيدة ، فأشاد بذكرها الكتاب والرحالون ، وذهب الخيال بعيدا بهوميروس حين ذكرها فقال : « طيبة ذات الماية باب ، وكل منها يتسع لمرور مايتي رجل مع خيولهم ومركباتهم في آن واحد ، وفيها تنصب جميع ثروات مصر ، وبيوتها تزخر بالكنوز » .

وادي الملوك

بدأنا رحلتنا في الاقصر بزيارة وادي الملوك ، وهي المنطقة التي اشتهرت بهذا الاسم ، والتي تحوي مدافن عدد كبير من الملوك الذين تعاقبوا على عرش طيبة . وتقع على ضفة النيل الغربية ، في سفح السلسلة الجبلية المقابلة لها . فاذا اجتاز المسافر المنطقة الزراعية المحاذية لمجرى النهر الفى نفسه يسير وسط برية جرداء ، ويبلغ اخيرا بقعة تكثر فيها التلال والوهاد ، وفيها مدافن اولئك الملوك . وهنالك منطقة اخرى بعيدة عن الاولى خصصت لمدافن الملكات ، وثالثة لمدافن النبلاء .

وكان المدفن يحفر عميقا في الجبل ، ويصار اليه بواسطة سرداب طويل منحدر ، يسير في خط مستقيم ، ويكون متعرجا احيانا . وكانوا بعد الدفن يعنون بردم السرداب وازالة كل اثر يدل عليه . ويتألف المدفن من بضع حجرات متصلة ، ليس بينها جدار ، تخصص واحدة لمومياء المتوفي ، وتوضع حوله وفي الحجرات الاخرى بعض مقتنياته من جواهر وحلي ، والبسة واسلحة ، وترسم على جدرانها مشاهد مختلفة من سيرته ، كتعبده للالهة ، وترؤسه للحفلات الدينية بوصفه رئيس الكهنة الاعظم ، ومنها حروبه وانتصاراته ، واسفاره ورحلات الصيد التي كان يخرج اليها . وتروي رسوم اخرى مآثر الراحل كاهتمامه بحفر الاقنية ، وايصال مياه الري الى الاراضي الزراعية . وفي غيرها يرى محاطا برجال دولته حينا ، وبعبيده او عمال مزارعه حينا آخر . والى ذلك مناظر مستقاة من الحياة اليومية ، كالمآدب وحفلات الموسيقى والرقص ، وما يصاحب هذا كله من بذخ ومن وسائل توفير السرور لهؤلاء الحكام . وبعضها كان يمثل الفرعون وهو يتقبل الهدايا من بعض رعاياه ، او من موفدي الحكومات الاجنبية .

وكانوا يرمون من وراء هذا كله الى ابعاد الوحشة عن المتوفي ، وتسهيل عودة الروح الى جسده كما كانوا يعتقدون . والى ذلك فان قدماء المصريين كانوا يرون ان الحياة الاخرى ليست الا امتدادا افضل لحياة الانسان على هذه الارض . ولهذا كانوا يعنون بان يوفروا للراحل كل ما هو في حاجة اليه من متاع ومن اسباب الراحة والطمأنينة . ومن هنا هذه الرسوم الملونة الجميلة التي كانوا يزينون بها مدافنهم ، والتي تتسم دوما بطابع البهجة والمرح . وهي سجل حي امين يجد فيه المؤرخون مصدرا ثريا لدراساتهم وابحاثهم .

واهم مدافن وادي الملوك قبر توت عنخ امون ، وسيتي الاول ، ورمسيس الثاني . ويمتاز قبر سيتي الاول عليها جميعا باتساعه وحسن هندسته وجمال نقوشه. اما قبر توت عنخ آمون فقد كان لاكتشافه دوي بعيد المدى في جميع انحاء العالم ، وما زالت اصداؤه تتردد حتى اليوم . ومع ذلك فهو اصغرها جميعا . وان الناظر اليوم يعجب كيف اتسعت هذه المساحة الضيقة للاثاث الكثير الفخم الذي وجد فيها ، ومنه العربة الملكية والتوابيت الاربعة المتداخلة المطلية بالذهب ، والتي كانت تحيط بالمومياء ، وتمثاله الخشبي بالحجم الطبيعي ، الى جانب عشرات من التحف الاخرى . ولكن العجب يزول اذا علمنا ان هذا الملك توفي ولم يكن قد تجاوز العشرين من سنيه ، فهو لم يكن قد اعد لنفسه مدفنا ملائما ، على عادة ملوك مصر وعظمائها في تلك الايام . ولذلك اضطروا الى حشر ذلك الاثاث وتكديسه كله في تلك البقعة الصغيرة .

وعلى الرغم مما اتخذوا من حيطة وحذر لم تسلم مقابرهم من سطو اللصوص . وسرقات المدافن بدأت منذ عهد بعيد ، وازدادت في عهد الرعامسة . ومع ذلك فلا تزال هنالك مدافن لا حصر لها مخبوءة في باطن الارض ،

تزخر بالكنوز ، والتحف ، لم يعرف مكانها اللصوص ، ولا اهتدى اليها الباحثون .

معبد الدير البحري

وسرنا بعد ذلك الى بقعة جبلية تعرف عندهم بالدير البحري وفيها معبد من اشهر معابد مصر القديمة ، هو معبد الملكة حاتشبسوت ، لفظة تثقل على الاذن العربية ، ولكنها اسم ملكة من اعظم الشخصيات التي حكمت مصر. كانت امراة طموحة ، اغتصبت الملك من ابن اخيها الصغير الجالس على العرش ، وحكمت مصر بحزم ودهاء مدة ثمانية عشر عاما . كانت ترتدي زي الرجال ، وتستعمل ضمير المذكر في النصوص ، ايهاما للناس ان التقاليد محترمة ومصونة ، ولم يطرأ عليها تغيير بوجود امراة على العرش .

وقد اختارت لبناء معبدها مكانا مرتفعا يقع في لحف ذروة شاهقة من الحجر الرملي الاحمر ، تقف وراءه كالجدار . فهو من هذه الجهة كثير الشبه بموقع بلدة معلولا المعروفة في سورية ، والتي هي الى الشمال الشرقي من دمشق .

ويصار الى المعبد في طريق صاعدة ، ويقوم على اليمين والشمال صفان طويلان من الاعمدة الرشيقة المتراصة ، ووراءها ابهاء المعبد ومقاصيره الكثيرة ، المزدانة بالنقوش والرسوم والتماثيل . ويعلو هذا الطابق الاول سطح تقوم في وسطه طريق صاعدة اخرى ، والى جانبيها كذلك صفان من الاعمدة ، يعلوهما سطح ثان يتصل بالجبل ، وينتهي بعدد من الاقواس . ولهذا يطلق علماء الآثار على هذا البناء اسم « المعبد ذي السطوح » .

وادعت هذه الملكة ، دعما لسلطانها وهيبتها ، انها ليست من صلب والدها ، وانما هي ابنة الآله آمون الذي اختار والدتها لتكون اما لابنة تحكم مصر . ولم تكن حاتشبسوت اول من ادعى بهذا النسب ، بل سبقها اليه الكثيرون من فراعنة مصر . وقد رسمت على جدران معبدها قصة تلك « الولادة العجائبية » ، فنرى الآله آمون والامراة المعدة لان تحمل منه وقد جلسا على الارض ، وامسك كل منهما بيد الاخر ، واخذا يتبادلان عبارات الحب والولاء ، وقد نقشت على الجدران المحيطة بهما . وفيها الكثير من معاني الاناشيد ، كتذكير المخلوق بنعم الاله عليه ، ولزوم تفانيه في محبة الآله وطاعته . وفي زاوية قريبة نرى ربات الولادة في ترقب ، حتى اذا حانت الساعة جاءت احداهن واخذت بيد الوالدة الى الحجرة المعدة لاستقبال المولود الجديد ، والذي كتب له ان يكون ملكا على مصر .

وفي ردهة اخرى نجد رسوما متقنة تمثل الرحلة البحرية التي اوفدتها الملكة الى بلاد بونت الواقعة عند مضيق باب المندب ، والمعروفة اليوم باسم الصومال . سارت الرحلة في البحر الاحمر ، وقد اوكل اليها جلب الحجارة الكريمة ، والاخشاب الثمينة ، والبخور ، وانواع من الاشجار التي تعيش هنالك . وقد ابدع المصورون في رسم مناظر طريفة لسكان تلك البلاد ، وملابسهم ، وقراهم المبنية على ضفاف الانهار ، واشجار البخور التي تعيش عندهم .

وعندما انتهت زيارتنا لهذا المعبد ، وهممنا بمغادرته، صاح بنا الدليل : « الفت نظركم ايها السادة الى ذاك الجدار الذي مر عليه اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وقد احتفظ برسومه والوانه » . ونظرنا فاذا حائط في الطرف الجنوبي من المعبد ، سقط سقفه منذ ازمان ، اما رسومه فما زالت على كثير من نضرتها ، برغم تعرضها لشمس الصعيد وللعوامل الاخرى ، طيلة هذه السنين . قلنا : وهذا دليل آخر على حذق المثال المصري ، وفهمه العميق لاسرار الاصباغ والالوان .

ان هذا المعبد بموقعه في حضن ذلك الجبل الاشم وانفراده في تلك البرية الواسعة التي يلفها الصمت ، وصفوف اعمدته الطويلة فوق سطوحه المتدرجة ، يترك في نفس القادم اليه اعمق الاثر . وقد وصفه احد الاثريين الانكليز فقال انه « واحد من الابنية الاكثر دراماتيكية في العالم » .

معابد الكرنك

ان اعظم آثار مدينة الاقصر وابعدها شهرة ، الهياكل المعروفة باسم معابد الكرنك ، وكانت تقع قديما في الضاحية الشمالية لمدينة طيبة ، وتؤلف اعظم مجموعة من معابد مصر القديمة ، تعاقب على بنائها الكثيرون من ملوك طيبة. وتمتاز هذه المجموعة بمداخلها الفخمة ،وردهاتها الفسيحة، واعمدتها المنيفة ، والمسلات المنبثقة في كثير من ارجائها. وتزدان جدرانهاواعمدتها وسقوفها بنقوش جميلةوزخارف متقنة . والملوك الذين تتابعوا على الحكم كان يعنى كل منهم بتدوين الاحداث الهامة التي كانت تقع في ايامه ، فهي كتاب مفتوح يقص علينا الكثير من انباء تلك الازمان .

واعظم ما في معابد الكرنك بهو الاعمدة الكبير الذي تبلغ مساحته اكثر من خمسة الاف متر مربع ، وترتفع فيه صفوف متوازية من الاعمدة ، يبلغ عددها ماية واربعة وثلاثين ، فيخيل للناظر انه داخل غابة ملتفة من الاعمدة ، يدهش لضخامتها وكثرتها .

ويقوم على جانبي الممر الرئيسي لهذا البهو الكبير صفان من الاعمدة الجبارة « يرتد عنها الطرف وهو كليل »، اذ يبلغ ارتفاعها نحو اربعة وعشرين مترا . وان هذا المنظر المهيب ، الذي يجاوز جميع الاقيسة المألوفة ، ويجمع بين العظم والرشاقة وجلال القدم ، يغمر النفس بخشوع عميق الى جانب ما يثيره فيها من شعور بالجمال .

وتدل التواريخ المنقوشة على مداخل المعابد وعلى

جدرانها ان رمسيس الاول كان البادىء في بناء الاعمدة الكبيرة هذا ، وجاء بعده ابنه سيتي الاول فوجه اعظم عناية الى اكماله وزخرفته ، ثم جاء حفيده رمسيس الثاني فاضاف اليه بعض التحسينات ، وامر بان ينقش على مدخله الرئيسي : « ان جمال هذا الهيكل يصل الى اعالي السماوات » .

وتمتلىء جدران الكرنك واعمدته باخبار الحروب التي خاضها هذا الفرعون او ذاك ، وترينا الجنود باسلحتهم ومركباتهم . واحد هذه النقوش يمثل سيتي الاول في موكب النصر ، ورؤساء الجيوش التي هزمها يمرون من امامه ، وقد اوثقت سواعدهم بالحبال ، وهو ينظر اليهم بازدراء .

ويطلق علماء الآثار اسم « الحديقة النباتية » على احدى ردهات الكرنك ، وقد رسمت على جدرانها انواع كثيرة من نباتات البلاد السورية وحيواناتها . ذلك ان تحوتمس الثالث ، في احدى حملاته على سورية ، امر رجاله بان يعنوا بدراسة احياء تلك البلاد ، وان يختاروا منها ما يصلح لادخاله الى مصر ، ويقول الدكتور احمد فخري في كتابه « مصر الفرعونية » انه « كان ضمن ما ادخلوه الى مصر اذ ذاك الدجاج والرمان » .

ان الشعور الديني العميق ، والمهابة التي كانت تحيط بالعرش والجالس عليه ، وعبقرية الفنان المصري القديم ، وصبر العامل وجلده ، اجتمعت كلها فجاءتنا بتلك المعجزات التي يصاب انسان اليوم امامها بالذهول ، برغم ما في زماننا هذا من خوارق ومعجزات .

مسجد اسلامي في معبد آمون

وفي الاقصر مجموعة اخرى من الهياكل تعرف بمعبد آمون تسير موازية لمجرى النيل ، وعلى مسافة غير بعيدة منه ، وفيها الردهات الفسيحة ، والاعمدة المضلعة والمثمنة . واعظم هذه الهياكل بناه رمسيس الثاني ، ويمتاز بجمال نقوشه ، وتناسق ابهائه ومقاصيره .

وكانت تقف امام مدخله الفخم مسلتان عظيمتان ، بقيت احداهما حيث هي ، وقد نقشت عليها القاب هذا الفرعون ومنها : « سيد طيبة ، حبيب الآلهة ، باني معابد الاقصر لتمجيد ابيه آمون الذي وضعه على عرش مصر ، ملك مصر العليا والسفلى » . اما الثانية فهي اليوم في ساحة الكونكورد في باريس، وكان اهداها محمد علي باشا حاكم مصر ، الى لويس فيليب ، ملك فرنسا اذ ذاك . جئت مرة الساحة المطلة على معبد آمون من الجهة الشرقية فرايت مسجدا ومئذنة فوق احد سطوحه ، يحيط بهما جداران متقابلان من جدرانه . فاسرعت الخطى ، كأن كنزا ينتظرني هناك ، واذا بي امام درج حجري متقن الصنع ارتقيته وعددت درجاته فكانت تسعا وعشرين ، تنتهي عند سطح يقوم عليه المسجد المعروف باسم مسجد « ابو الحجاج » ، وهو بناء حجري تعلوه قبة حسنة الشكل ، وله منبر خشبي لطيف ، وقد فرشت ارضه بطنافس حمراء ، ويتسع لنحو ماية وخمسين من المصلين . وسألت بعض من كانوا هنالك فقالوا ان رجلا من مدينة الموصل ، ومن اهل التقى والصلاح ، نزل الاقصر منذ سبعماية وخمسين عاما ، واختار لبناء مسجده هذا السطح المرتفع في معبد آمون . ثم جدد بناؤه منذ خمسين عاما . وهو ومئذنته مطليان بلون ضارب الى الصفرة . وهنالك حجرة ملاصقة للمسجد كتب فوق بابها : « مقام سيدي ابي الحجاج » ، وقد جعلت مدفنا له ولاثنين من اولاده .

لقد طربت حقا لهذا اللقاء الفريد بين معبد آمون الفرعوني ، ومسجد ابو الحجاج الاسلامي ، وراقتني جدا هذه الرفقة الحلوة بين الاثنين ، في رحلتهما الطويلة عبر الزمان .

وفي المساء ارتفع صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة ، وكنت اصغي الى هذا الصوت المصري العذب وكأني اسمع معه اصواتا كثيرة اخرى ، آتية من اعماق الدهور ، وكلها تمجيد للقدرة الالهية المسيرة لهذا الكون، والتماس لمرضاتها وجدواها .

وفي هذا الجو الحافل برؤى الماضي البعيد وذكرياته انتهت زيارتنا لمدينة الاقصر التاريخية ، واخذنا نعد العدة لزيارة اسوان .

اسوان والسد العالي

وفي صباح اليوم التالي كنا في طريقنا بالقطار الى اسوان ، وكانت بعض مدن الصعيد وقراه ، وقد نثرت على ضفاف النيل الهادىء ، تطل علينا تضاحكنا ، ثم تعود فتختفي عنا وراء اشجار النخيل ، ومن تلك المدن ، اسنا ، وادفو ، وكوم امبو ، ولها صيت ذائع في عالم الآثار ، ومن المواقع الاقتصادية الهامة في مصر الحديثة .

وكنا نشاهد في مسيرتنا جميع وسائل النقل التي استخدمها الانسان منذ نشأته على هذه الارض ، ومنها الحمير الصعيدية المشهورة ، والجمال ، والمركبات على اختلاف انواعها ، الى جانب القطارات والسيارات ، ونرى على صفحة النيل القوارب الشراعية ، والزوارق البخارية والسفن النيلية المعدة لنقل المسافرين والسياح من القاهرة الى مدن الصعيد فالسودان .

وتقع مدينة اسوان على الضفة الشرقية من النيل ، وهي مركز المحافظة المعروفة بهذا الاسم . واذا اشرف الانسان عليها من موقع مرتفع يرى النيل وقد انحنى عندها بشكل نصف دائرة تلتف المدينة حولها . والى الجنوب الشرقي سلسلة من تلال وردية اللون ، يقابلها على الضفة الغربية ، سلسلة اخرى من حجر رملي ضارب الى الصفرة. وترى على صفحة النيل خمس عشرة جزيرة بين كبيرة وصغيرة تغطي اكثرها الحقول والابنية . وهناك المراكب

باشرعتها البيضاء والملونة تروح وتجيء بين ضفتي النهر وتلك الجزر ، والشمس تغمر باشراقتها اللطيفة المجموعة كلها . وهنا ينسى المرء انه في اسوان ، ويخيل اليه انه انتقل فجأة الى بقعة خيالية ، لجمال المشهد وطرافته وتنوعه .

ومن تلك الجزر واحدة اختارتها احدى الشركات السياحية واقامت عليها فندقا حديثا احاطته بحدائق غناء ، وهو آمن ملجأ للهاربين من صخب المدن ، وضجيج السيارات .

ومنها الجزيرة المعروفة بجزيرة كتشنر ، هكذا يسمونها هنالك ، وكان هذا القائد البريطاني قد اختارها في احدى رحلاته لتكون حديقة نباتية تجمع الكثير من نباتات المنطقة الاستوائية واشجارها . زرناها فوجدناها حسنة التنسيق ، وقيل لنا انها تضم نحو ثمانماية نوع من تلك النباتات ، استورد بعضها من اماكن قصية كأندونيسيا وهي اليوم تابعة لوزارة الزراعة المصرية .

ويؤم اسوان في فصل الشتاء الكثيرون من طالبي الراحة والصحة لينعموا بدفء الشمس ، وصفاء الجو ، واعتدال المناخ . وكان ممن نزلوها في اوائل الخمسينات زعيم الطائفة الاسماعيلية المشهور الاغا خان . وكان مصابا بداء المفاصل فوجد في جوها خير علاج لما كان يشكو منه ، وصار يزورها كل شتاء ، واوصى بان يدفن في ثراها . وتوفي سنة ١٩٥٧ .

وساروا بنا في اسوان الى مقالع الجرانيت ، وهو الحجر الوردي المعروف الذي كانوا يصنعون منه مداخل المعابد ، والمسلات ، واللوحات التذكارية . ورأينا هنالك مسلة كبيرة كانوا قد اتموا نحت جوانبها الثلاثة ، وبقي الرابع وهو الاسفل متصلا بكتلة المقلع . وربما وقع لهم ما الهاهم عن مسلتهم تلك .

ومن اسوان ذهبنا لزيارة السد العالي ، والطريق بينهما تجتاز منطقة بركانية كثيرة التضاريس تغطيها الصخور والحجارة السوداء ، نعود بعدها الى ضفة النيل وما فيها من بهجة واشراق ، ثم يطل علينا السد العالي بكتلته الجبارة المتربعة فوق مجرى النهر . وهو تل عظيم مستدير الشكل ، فاذا بلغنا قمته رأيناها سطحا فسيحا تخترقه الطرق العريضة المتقنة وتعلوه شبكات الكهرباء والمواصلات . وقد صمم السد على ان يتحكم بمياه النهر فيحتجز منها ما يزيد عن حاجة الاستهلاك ، وخاصة مياه الفيضانات ، فيتجمع من هذا الفائض الكتلة المائيةالمعروفة ببحيرة ناصر ، والتي تمتد بين التلال المحيطة بمجرى النهر مسافة خمسماية كيلومتر . ومن هذه البحيرة تشتق الاقنية الكثيرة فتروى المساحات المعدة للافادة من هذا المشروع على الضفتين .

اما مساقط المياه الحاصلة من ارتفاع سطح البحيرة عن مجرى النيل العادي فقد اقيمت عندها عنفات (توربينات) لتوليد طاقة كهربائية تسد حاجات القطر باكمله . وعدد هذه العنفات اثنتا عشرة ، وعند وصولنا الى موقع السد كانت اثنتان منها في حالة العمل ، وكان الماء يندفع منهما تلا عاليا من القطن المندوف ، ثم يعود فينصب في مجرى النهر . وقيل لنا ان كتلة السد العالي تبلغ اربعة وخمسينمليون متر مكعب، اي انها تعادل سبع عشرة مرة كتلة هرم الجيزة الاكبر . انه مشروع جبار وصف بحق انه واحد من اعظم منجزات القرن العشرين ، وسيبقى اسمه مقترنا باسم مؤسسه العظيم ، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وفي فندق اسوان التقينا برجل افرنسي وزوجه ذكرا لنا انهما قدما مع مجموعة من السياح الافرنسيين من مدينة تولوز . جاء هؤلاء السياح اولا الى القاهرة ، ثم اقلتهم باخرة نيلية الى مدن الصعيد فالسودان . الزوج مهندس متقاعد ، والزوجة تعمل مدرسة للتاريخ في بعض المدارس الثانوية . وسألناه : كيف وجدتم وادي النيل ؟ وما كدنا نتم السؤال حتى ارتفعت الايدي ، وابرقتالعيون وانهالت عبارات التعجب والمديح : « اوه ما اجمل وما اعجب هذا الذي رأيناه ! ان ما شاهدناه ليفوق كثيرا ما كنا نتوقع » . وكان اعجابهما منصبا بشكل خاص على معابد الكرنك وابو سنبل . وقالت السيدة : « مهما تفننوا في تصوير هذه الآثار ، وتقديمها لنا بشكل جذاب ، ومهما اسهبوا في وصفها ، فنحن لن نفهمها ولن ندرك حقيقتها ، الا اذا جئنا ورأيناها بانفسنا ، وليس الخبر كالعيان » .

ثم اردفت : « اني لاعجب اشد العجب من هؤلاء المصريين ، فقد احرزوا منذ القديم تلك المكانة الرفيعة في علوم الطبيعة والرياضيات والطب والفلك وهندسة البناء ، الى جانب فنون النحت والنقش والتصوير . حقا انه شعب جدير بالاعجاب » .

ودار الحديث حول الرحلة فقالت ... ان من بين رفاق السفر رجلا في السادسة والثمانين من عمره ، وزوجته وهي في الثالثة والثمانين . وكلاهما بصحة جيدة، ولا يدعان شيئا يفوتما من برنامج الرحلة .

وفي اسوان انتهت رحلتنا الى صعيد مصر ، واخذنا نعود ادراجنا كل الى موطنه ، متمنين لو طالت اقامتنا في وادي النيل الجميل لننعم بجوه اللطيف ، ونرى المزيد من مخلفات قدماء المصريين .

دمشق **اسكندر داود**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القهـوة في البحـيرات

قصي سالم علـوان

البصرة ـ العـراق

انني أرحل مع عينيك الى بحار لا تعرف الساحل
طيرا مذهب الجناحين
في منقاره اغنية بلون الربيع المنتشي
انني أتطلع الى عينيك اللتين بلون القهوة
ولا أرتـوي
فانـا ظمىء ، يا حبيبتي ، لا اعرف الري
ولا أريـد
انني أحب الظمأ لأنه الحياة
وانـا أحب أن أموت
وأنا أتحرق الى قطرة ماء !
وعندما تتعرى عيناي
وتسبحان في عينيـك
في بحيرتـي القهـوة
ترف روحي كزهرة في ندى الصباح
نشـوى
الحياة فيها دفق نور بدر
يغسلها .. حتى تستحيل الى نور سائل
ولا شيء غير النور السائل
اي شيء هما عيناك ؟!
انا لا أحفظ من الحكايا الكثير
ولكنني عن عينيك أعرف ألف حكاية ممتعة
ترويها روحي الى روحي وأنا احدق !
احدثـك عن القمر ؟
احدثك عن ليلتين بيضاوين
يتوسط كلا منهما في قمر بني
لـه كل ما للقمر واكثر ؟!
اي شيء هما عيناك ؟!
لي بعض معرفة بالالفاز
ولكني تجاه عينيك
تجاه اللغز الاكبر
اللغز الذي لن استطيع حله
ولـن استطيع
فلولا حدثتني انت عن شيء
شيء بسيط عنهما
لولا حدثني هدب مقن
بعض أغنية ثـرة
أعيش معها ألف ليلة .. وألف !
ليته حدثني ...
ليـــت
وأي سد منيع هذه الحروف الثلاثة !!

الشاعر الايطالي
البينو بييرو

في مجموعة من قصائده

Albino Pierro

•

ترجمة عيسى الناعوري

•

تعريف : ولد الشاعر الايطالي ألبينو بييرو عام ١٩١٦ ، ونال شهادته الجامعية في الآداب من جامعة روما عام ١٩٤٤ . وهو يعيش في روما منذ عام ١٩٣٩ ، ويعمل في تدريس التاريخ والفلسفة في المدارس الثانوية .

ظهرت له عدة مجموعات شعرية باللغة الايطالية ، وباللهجة العامية لمسقط رأسه (مقاطعة لوكانيا) في الجنوب الايطالي . ونالت هذه المجموعات شهرة واسعة في ايطاليا ، وترجم بعضها الى الفرنسية وبعض اللغات الغربية الاخرى . وقد اهتم بشعره كثير من كبار الكتاب والشعراء والنقاد الايطاليين .

من مجموعاته الشعرية ، بالايطالية الفصحى وبالعامية ، نذكر :

١ ـ وجدانيات
٢ ـ وجدانيات جديدة
٣ ـ امي كانت عابرة
٤ ـ البلد الصادق
٥ ـ لماذا الموت ؟
٦ ـ العشاق
٧ ـ قريتي
٨ ـ ارض الذكرى

وغيرها . وجدير بالذكر ان المجموعات المكتوبة باللهجة العامية قد ظهرت وازاء كل قصيدة منها ترجمتها بالايطالية الفصيحة .

وفي ما يلي ترجمة لعدد من قصائد الشاعر لبينو بييرو ، مأخوذة من عدد من مجموعاته الشعرية :

واحدة فقط

من بين كل هذه الاشياء الصغيرة
التي تمتزج باشياء اخرى كبيرة
شيء واحد فقط أتمناه :
شيء واحد حقيقي لا يموت
ويحتفظ بضياء الفكر .
وكذلك كلمة واحدة
خير من لا شيء :
تستطيع ان تغرس جذورها ،
في اثناء النوم ،
فاذا هي تجد نفسها ،
عند الصباح ،
زهرة جميلة .

وانت قد تجد السرور
في قرنفلة حمراء على الصدر
في لباس آخر ،
حتى لا تعود تبالي بأن تحسب
عدد القفزات ،
بين الكثير من الصراخ
وانغام الارغنات

الزمن الذي يمر

هذا الزمن الذي يمر
هو صراخ في الظلام ،
ينمو
ويظل يزداد ضخامة .

هنا وهناك شرارة
تشبه لمع البرق
الذي يقبل في البرد
احد الجدران ويداعبه .
يود لو يطلع لنا الشمس
هنالك من فوق ،
وكشخص جميل
يود لو يتحدث الي



الشاعر البينو بييرو

ولكن الريح تدعوه زلزالا .
وقبل ان تصل الكلمات
الى قلبي
اذا بها قد اصبحت دفينة .

وتنتظر دائما

وتنتظر دائما
داري المسكينة تلك :
في الليل يندبني الظلام
في الحجرات الصامتة ،
وصوت سقوط الماء ،
عندما تمطر الدنيا ،
ومن بعده الريح ، والسهام .

انها جميعا ما تزال ثابتة كما كانت أشياء ذلك العهد :
لقد رأتني أولد
ثم وقد أصبحت يافعا .
ولكن ما الذي نريده ؟
بعد قليل سأصبح أنا أيضا
شيخا هرما .

آه ! ان بي لخوفا من العودة
بين تلك الجدران الاربعة ،
فقد يصبح فيما بعد
كل منا مرآة للآخر .

أمس

لم تجيئي أمس
وحين كنت انتظر
وفمي يفهق كالمحتضر
كان الموت يمر على جسدي
والبرد يزداد شدة

ثم ، كما في بحر من الثلج ،
أصيبت الدنيا بالبكم
ولم يكن ثمة غير عصفور دوري
ينبسط جناحاه في الاعماق .

اليوم الذي مضى

اليوم الذي مضى
هو رسالة دون عنوان ،
سافرت وليس من يعرف
الى أين .
ولو شئنا ان نعيدها لكي نكتب
كلمة اخرى على الاكثر ،
هي أحلى الكلمات
فسنبقى كابريق الفخار الفارغ
ذي الزعبوبة الجافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الماء .
وماذا ترانا ننتظر يا حبيبتي ؟
ماذا ننتظر ؟
ولا نمضي قفزا الى الحفر
ما دام النهار لا يزال ملكنا ؟

أننتظر حتى الشيخوخة
التي لا شيء فيها
غير الصلوات ؟

لا تخافي

حتى السماء هذا الصباح
انفتحت باكية
وهي تمطر
ويبدو ان من حولي
أصواتا كئيبة
هي الرعود والبروق
المختلطة بالرياح
المندفعة للشجار .

لا تخافي يا حبيبتي ،
فانا لا أعرف مطلقا
ما يدعوه الآخرون انتقاما .
كوني متزنة حاذقة
ولا تفكري بي .
هبيني كنت حجرا ، او سكينا ،
او ميتا يعود
لكي يمتصك بين النجوم .

من الذي صنع لك السحر ؟

كيف لا تلاحظين
ان الزمن يمر
وأننا نتقدم نحو الشيخوخة ؟
من الذي صنع لك السحر
ان كنت لا تتحركين
ثم تختبئين
وتنظرين كأنك متحجرة ؟
انني أبكي ليلا ونهارا
ولا تحسين بي ،
وساعات طوالا أسير في الدار
ثم ، اذا ما خرجت ،
أجد في كل جهة
دخانا يعميك ، وريحا
تصفر في اعماقك كالقصب .

من كان ذا قلب

من كان ذا قلب
فهو طفل خائف ،
يحلم بشيء ثم يجد لذة
كلذة الفراشة على الزهرة .
في أحسن لحظات فرحه
ينفجر باكيا بقوة

طقوس الحب

أسرت الحب يا طفله ... بقلب رف كالنحله
وهل أمست عيون الرو ... ض تخشى في الهوى فله
ملأت الدرب أزهارا ... لقلب عاشق خله
وعصفور الهوى يحكي ... هوانا نقلة نقله
هنا كنا .. وغنينا ... طقوس الحب في وهله
وغاب الصمت في رعش ... وصار الليل في وهله
وراح السحر منسابا ... يناغي البدر في رحله
وقلنا كل ما قلنا ... وضعنا قبلة قبله

حلب — احمد دوغان

وفي قلبه اشواك عديدة .
آه ، ايها الموت الخؤون
الذي يطارد الطيبين !
هذا الطفل المسكين
الشريد في الدنيا ،
بدلا من ان يضحك ويغني
يبكي للموت تارة ،
وتارة يود
لو يفرق .

في هذه الساعة

لو كنت أعرف ان ابصق
كأحد رعاة الماعز
في هذه الساعة
لكان في وسعك
أن تقول ان العالم
جميل وهو يفرق .

« ولكن ثمة أطفالا مرضى
وشيوخا ليس لهم أحد »
كذلك يصيح بي القمر :
هذا القمر المشغول البال ،
والذي لا يخاف ابدا في الظلام
كوردة في بحر من الاشواك .

الليل

لقد جاء الليل
والمياه ثابتة
وكل شيء ثابت .

موجة تركض نحو الشاطىء
من ذا الذي يحملها ؟
رغوة سوداء
على صخرة سوداء .
أفكر في اليقظى
وفي عودتنا بين الناس .

المقعد الخالي

طوال الليل كان الناس
محبوسين داخل الجدران
يتعبون صامتين .
ثم خرجوا الى المنتزه
فاكتشفوا ان النهار قد طلع .
وفي الهواء
كانت طراوة الاوراق
وأغاريد البلابل .
لقد أحسوا
بانهم كانوا دائما امواتا
أولئك الناس ،
ومع ذلك
ـ هكذا كانوا يفكرون
بين اليقظة والنوم ـ
لن يلبث
ان يصبح مقعدنا خاليا .
ولن يرجع بعدئذ أحد
من عالم الصمت اللاملموس .
وستطلع الاصباح دائما
مع اغاريد الطيور .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رفيق اللبابيدي - عبد اللّه الجزار
عبد الرحمن الكيالي - نبيل بدران

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ــ محمد رفيق اللبابيدي

ولد « محمد رفيق » في مدينة عكاء بفلسطين سنة ١٩٠٨ ونشأ وترعرع في مدينة الناصرة ، وفيها قضى طفولته وتلقى دروسه الابتدائية . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها عاد مع اسرته الى عكاء والتحق بمدرستها الاميرية وانهى الصف الثانوي الاول ، وهو نهاية صفوفها ، ثم جاء بيت المقدس ودخل الكلية البطريركية (الكردينال فراري فيما بعد) وغلب عليه الاتجاه الادبي تحت وطأة الاوضاع السياسية الشاذة التي كانت تسود فلسطين ، ووجد فيه متنفسا للقلق النفسي الذي كان يلازم الشباب الفلسطيني الواعي .

وبتوجيه من استاذ الجيل المرحوم خليل السكاكيني وبتوصية منه الى صديقه الدكتور منصور فهمي التحق « محمد رفيق » بالجامعة المصرية الاهلية كطالب مستمع ، وكان يتردد على حلقات في الازهر الشريف ليدرس اللغة العربية دراسة شاملة عميقة الجذور ، وحين تحولت الجامعة المصرية من صفتها الاهلية الى صفتها الحكومية آثر « محمد رفيق » ان يلتحق بكلية « دار العلوم » بنصح من الشيخ عبد العزيز شاويش ، وقد اشتهرت هذه الكلية بتخريج مدرسين للغة العربية وادبها .

وفي خريف عام ١٩٣٣ تخرج « محمد رفيق » من « دار العلوم » وحصل على اجازتها العليا وعاد الى فلسطين وعين استاذا للادب العربي في الثانويات الاميرية لمدن يافا وحيفا وعكاء ، وخلال عمله في قطاع التدريس اعارته معارف فلسطين لحكومة البحرين ، وهناك اسهم في انشاء مدرسة ثانوية وامضى فيها سنة في تدريس اللغة العربية .

وتحت وطأة الكارثة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) عاد « محمد رفيق » الى القاهرة وشارك في المؤتمر الوطني الفلسطيني المنعقد بمدينة غزة ، ممثلا لمدينة عكاء وعمل سكرتيرا خاصا بالمرحوم احمد حلمي عبد الباقي رئيس حكومة عموم فلسطين فممثلا لفلسطين في لجنة فلسطين الدائمة المنبثقة من مجلس جامعة الدول العربية (١٩٤٨ ــ ١٩٥٤) .

وعند انشاء « ادارة فلسطين » في الامانة العامة لجامعة الدول العربية وقع عليه اختيار المسؤولين ليكون موظفا في الجامعة فعمل فيها قرابة اربع عشرة سنة وكيلا لادارة فلسطين فمديرا لادارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، الى حين احالته على التقاعد عام ١٩٦٨ .

كتب « محمد رفيق » فصولا ادبية اتسمت بالعمق والشمول ، ونشر مقالات مسلسلة عام ١٩٥٣ في جريدة « الدفاع » تحت عنوان « كيف نستعرض ادبنا العربي ؟ » تميزت ببساطة في التعبير ، وسلاسة في الاداء ، ويغلب على نثره الاداء السليم والبعد عن الاسلوب الادبي الخاضع لتاثير ما قرأه وحفظه من النصوص الادبية ، اذ ان حياته المتصلة بشؤون عمله في جامعة الدول العربية (١٩٤٨ ــ ١٩٦٨) قد طوعت اسلوبه لما هو مالوف في صياغة المذكرات الدبلوماسية .

وتأثر اسلوبه الادبي بالوان الثقافة التي تسلح بها خلال مطالعاته ، واسفرت طريقته في تدريس اللغة العربية عن اعتراف طلابه بمحاسن هذه الطريقة واقبالهم على دراستها بشغف ولذة ، وهو يفاخر بالسنوات التي سلخها كمدرس للعربية وآدابها لاخلاصه في خدمة لغته وتدريسها باسلوب جذاب جميل بعيد عن الجمود الذي كان يسود المدارس العربية عهد ذاك .

وخلال معالجته الشؤون الادبية في الصحف الفلسطينية اشتهر بتوقيعه الادبي « ابن خلدون » بوصفه موظفا محظور عليه الكتابة في الصحف والمجلات .

من آثاره القلمية : لو قدر لمحمد رفيق ان يجمع الفصول الادبية التي نشرها والمقالات التي لم تنشر ، وحزمها في كتب مطبوعة لاثرى الخزانة الادبية بروائع نثره . ويحتفظ « محمد رفيق » بمخطوطين احدهما عن القضية الفلسطينية والاخر عن الجامعة العربية من زاوية عمله فيها مدة ١٤ عاما .

نموذج من شعره : قرض « محمد رفيق » الشعر في مناسبات شتى . وهو يقول ان شعره متوسط لا يعدو ان يكون صورا من صور الاستجابة للانفعالات العفوية . ومن المؤسف فقدان ما نظم من شعر ، غير اننا نحتفظ بابيات وجهها الى اديب العربية الكبير المرحوم اسعاف النشاشيبي في ربيع عام ١٩٣٣ بمناسبة صدور كتابه « البطل الخالد صلاح الدين » وقد نشرتها جريدة « الجهاد » القاهرية ونقلتها جريدة « الجامعة الاسلامية » اليافية في صفحتها الاولى ، ودونك تلك الابيات :

من بيان الفرقان صاغ بيانه ... زانه الله بالبلاغة زانه
أي نثر يجري وراء دراريـ ... ـه وشعر يحكي اليه جمانه
جادني غيثه بيانا مصفى ... من رحيق الله اكبر شانه
في كتاب فيه من السحر ذوب ... ومن الروض جنة فينانه
لم يعبه سوى قلائد عقيا ... ن ونسج ما كان الا رصانه

قام يتلو لنا مزامير داوو ... د ويحكي عن معبد الحانه
ويشق التاريخ يأتي بسحبا ... ن ليروي من مزنه سحبانه
أين يممت مبصر انت منه ... ثمر الفضل مدركا ابانه
بسمات الربيع يرفل بالز ... هر ويبدي من زهره انسانه

انما انت وثبة الدهر فيها ... خص بها الكون صادعا اركانه
هي أم اللغات فامسح بآي ... من بليغ المأثور تلك الرطانه
لقيت فيك كهفها أي كهف ... كان « اسعاف » حارسا ميدانه

وبعد ان وقف المرحوم النشاشيبي على ابيات اللبابيدي الاحد عشر اهداه احدى عشرة نسخة من كتابه « البطل الخالد صلاح الدين» هدية منه الى ابياته الاحد عشر ... ووجه اليه الرسالة التالية بالخط الكوفي الذي اشتهر به سادن اللغة العربية :

« سيدي الاديب النابغة السيد محمد رفيق اللبابيدي

قرأت القصيدة في الجهاد وفي الجامعة الاسلامية ، شعوري بعد التلاوة وسروري بنبوغ نابغة عربي يتمثلان بقول المتنبي :

رب ما لا يعبر اللفظ عنه ... والذي يضمر الفؤاد اعتقاده

وقد ارسلت باثنتي عشرة نسخة هدية الى احد عشر بيتا من القصيدة . والسيد يهدي النسخ الى من احب واما البيت العاشر فالله اسئل ان يعينني على مكافأته .

٢ ــ الشيخ عبد الله الجزار

ولد « الجزار » في مدينة « عكا » عام ١٨٥٥ وتحدر من اسرة دلفت

الى فلسطين من المغرب العربي ، وبعد ان درس علومه الابتدائية في بعض كتاتيبها قصد الازهر الشريف ليتزود بالعلم والمعرفة بتشجيع من الشيخ علي البشرطي ثم عاد الى مسقط رأسه حاملا شهادة العالمية ، ضليعا من اللغة العربية والفقه ، وعين مدرسا وخطيبا واماما في جامع احمد باشا الجزار حاكم عكا المشهور وصاحب الحوادث التاريخية مع نابوليون ، ثم التحق بالقضاء الشرعي كاتبا في المحكمة الشرعية في العهد العثماني ، وتدرج في سلك القضاء حتى اصبح قاضيا شرعيا لمحكمة عكا الشرعية فمفتيا لهذه المدينة التاريخية في العهد العثماني ، ثم ظل في الافتاء زمن الانتداب البريطاني حتى آخر حياته وجعله المجلس الاسلامي الاعلى قاضي عكا الشرعي ايضا فجمع بين هذين العملين ، ولكن في زمن الانتداب كانت وظيفة القضاء الشرعي هي المعول عليها .

وليتمكن الشيخ الجزار من اداء رسالة العلم الصحيح اسس « المدرسة الاحمدية » (نسبة لاحمد باشا الجزار) في حرم جامع الجزار بعكا وتولى تخريج الطلاب منهاعلى طريقته في التعليم والتنشئة، فخرج من بين يديه ارهاط منهم من كان له شأن في المجتمع العربي الاسلامي في فلسطين وخارجها .

وفي حرم الجامع اقام ما يقرب من مئة غرفة ، كان الغرض من اقامتها نزول الطلبة القادمين من فلسطين وحوران طلبا للعلم ، وقد رصدت لهذه المدرسة مخصصات من ريع الاوقاف التي اوقفها احمد باشا الجزار للانفاق على هذه المدرسة ، ولصرف الرواتب لطلابها .

والذين اتصل حبلهم بحبل الشيخ الجزار وتتلمذوا له ، عرفوا فيه سمت الهيبة والوقار ، وخبروه فقيها راوية للحديث ، حافظا للنصوص ، مرجعا في شؤون الفتوى ، وتقيا صالحا ورعا يهابه مواطنوه ويحترمه طلابه .

وكان الشيخ الجزار اذا سار من بيته الى المدرسة اقبل الناس على لثم يديه ، ودرج على عادة سنوية مستحبة هي تلاوة السيرة النبوية ليلة عيد المولد النبوي بصوت مؤثر رخيم .

وبعد وفاته عام ١٩٣٩ دفن في مقبرة الشيخ مبارك بمدينة عكا .

من آثاره القلمية : لم نقف للشيخ الجزار على اثر قلمي مطبوع سوى انه حقق « رسالة الربيع بن الليث » وطبعها في عكا سنة ١٩٢٨، والارجح ان لديه آثارا مخطوطة لكنها ذهبت مع الريح بذهابه من هذه الدنيا !

٣ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي

ولد « عبد الرحمن » في مدينة « الرملة » البيضاء بفلسطين عام ١٩١٦ ، اما والده الشيخ رباح صالح الكيالي فمن مواليد « اللد » ودخل مدرسة الرملة الحكومية عام ١٩٢١ ومكث فيها حتى نهاية عام ١٩٢٨ واتم الصف الثانوي الثاني بنجاح وكان لوالدته فضل في اصرارها على ان يواصل ولدها تعليمه في الازهر ، وفي (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩) حقق امنية والدته اذ قصد الازهر وامضى فيه اربع سنوات وحصل على شهادتيه الابتدائية والثانوية .

وفي عام ١٩٣٢ التحق بـ « دار العلوم العليا » بالقاهرة وامضى فيها اربع سنين وعاد منها الى فلسطين يحمل اجازة التدريس وعمل استاذا للغة العربية وآدابها في « كلية روضة المعارف » بالقدس سنتين كاملتين وفي ربيع عام ١٩٤١ عين في ادارة المعارف بالقدس وعمل مدرسا للعربية في ثانوية الخليل ثم نقل الى المحاكم الشرعية وعمل رئيسا لديوان محكمة القدس الشرعية فنائبا لقاضيها الشرعي فقاضيا شرعيا ثانيا في مدينة يافا لكنه لم يمارس عمله فيها نظرا للاحداث التي سادت فلسطين عام ١٩٤٨ .

وفي نهاية ١٩٤٨ هاجر الى دمشق فالعراق حيث عين استاذا للعربية في ثانوية الديوانية ثم عاد الى سورية وعين استاذا للعربية في ثانوية المعري بحلب . وفي عام ١٩٥٠ عاد الى القدس وعين استاذا للعربية في ثانوية الرشيدية وفي عام ١٩٥٢ عاد الى العراق وعمل استاذا للعربية في ثانوية الكويت ثم استاذا للعربية في ثانوية بغداد النموذجية ثم عاد الى الاردن وعين استاذا للعربية والتربية والفلسفة في كلية بيرزيت الوطنية وفي خريف عام ١٩٥٥ عين استاذا للعربية في « كلية الحسين الثانوية » بعمان ثم استاذا للعربية والثقافة الاسلامية في « دار المعلمين » بعمان ثم مديرا لدار المعلمين الريفية بحواره (من اعمال محافظة اربد) مدة سنتين ثم مفتشا عاما للغة العربية بوزارة التربية والتعليم ثم مراقبا للتوجيه التربوي في مديرية التربية والتعليم بعمان ثم مديرا للتربية والتعليم في محافظة البلقاء ثم مستشارا ثقافيا في سفارة الاردن بالجزائر ثم نقل رئيسا للتوجيه التربوي في وزارة التربية والتعليم بعمان ثم عاد الى الجزائر في صيف ١٩٦٨ معارا لوزارة التربية الجزائرية ليعمل في القطاع التربوي ، وفي عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عين استاذا في « معهد تاهيل المفتشين ومديري دور المعلمين » التابع لجامعة الجزائر .

وخلال طلبه العلم في القاهرة كان عضوا في لجنة نادي الطلاب العرب نشر الكثير من شعره في « المقطم » و « الاهرام » و « البلاغ » و«الجهاد» والحياة و« كوكب الشرق » و« الرسالة » كما نشر قصائد في « الجهاد » و « الثبات » و « صوت الاهالي » البغدادية وفي « الدفاع » و فلسطين » و « الحرية » التي كانت تصدر في يافا بفلسطين كما نشر مقالات في صحيفة « الجهاد » المقدسية وقصصا وشعرا في مجلة « الآداب » البيروتية .

وفي عام ١٩٣٦ تفوق في مسابقة الشعر الادبية اذ جاء الاول في تلك المسابقة التي جرت في القاهرة للعيد الوطني الاقتصادي ، كما اذاع القصائد والقى المحاضرات من اذاعة القدس ونشر اثنتين وعشرين مقالة مسلسلة في جريدة « الجامعة الاسلامية » لصاحبها المرحوم الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، تؤلف كتابا بعنوان « حرية الفكر في الاسلام » . والقى محاضرات ادبية في يافا والقدس وحلب والجزائر وغيرها واشترك في عدد من المؤتمرات التربوية .

وابان عمله في جامعة الجزائر اعد بحثا وافيا عن « الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين » ابتداء من ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ وهو موضوع رسالة قدمها الى جامعة الجزائر وحصل منها على شهادة « دكتور في الآداب » .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور عبد الرحمن الكيالي بعض آثاره القلمية ومنها :

١ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ١) طبع في المطبعة العصرية بالقدس عام ١٩٥٠ .

٢ ـ القريب : في تاريخ الادب العربي ـ طبع في المطبعة العصرية بالقدس عام ١٩٥٤ .

٣ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ٢) طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

٤ ـ الوافي : في تاريخ الادب العربي (ج ٣) طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

٥ ـ التأسيس في النقد الادبي ـ طبع في المطبعة الاقتصادية بعمان عام ١٩٦٠ .

وله آثار قلمية ما زالت مخطوطة منها :

١ ـ معالم الادب الاندلسي .
٢ ـ حرية الفكر في الاسلام .
٣ ـ احاديث واقاصيص .
٤ ـ محاضرات وابحاث .
٥ ـ الساحل الوضاء (ديوان شعر) .
٦ ـ الشوط الاول (ديوان شعر) .
٧ ـ الدرب التائه (ديوان شعر) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نماذج من شعره : كان الشاعر الكيالي يسير ذات ليلة في الجبال المحدقة ببلدة « بيرزيت » والمطلة على الساحل الفلسطيني فشاهد الانوار الكهربائية مشعشعة ... تنير الشاطىء الغربي على امتداده ، فآلمه ان يرى الوطن مغصوبا في يد العلج اليهودي المخمور بنشوة النصر فانشأ يقول :

هذي المشاعل في الشطوط مشاعلي ... والساحل الوضاء ذلك ساحلي
هي من دمائي تستمد زيوتها ... وضياءها من بسمتي وتفاؤلي
نشرت على الرمل الحبيب شعاعها ... ورمت ظلال السحر فوق خمائلي
وتبسمت والشوق يرسل في دمي ... نغم الحنين الى تراب الساحل

اني هنا فوق الجبال موطد ... قدمي أرقب موطني ومنازلي
احيا بمرآها الجميل وانتشي ... بعبيرها في بكرتي واصائلي
واغازل البدر المطل كزورق ... للتبر يمطرها بنور وابل
واشم زهر البرتقال واسمع الهمس ... الخفيف من الغصين المائل
واشارك الحسون في تنغيمه ... والقبرات ترف فوق سنابل

اني هنا فوق الجبال موطد ... قدمي كالعملاق دون تخاذل
اصغي الى التاريخ يلذع امتي ... بلظى يصب على الذليل الخامل
يجلو لها بين الدموع طريقها ... فوق النصال على ضريم شاعل
لكنها والقيد يثقل خطوها ... ترنو الى غدها بقلب آمل
وتصوغ من اناتها انشودة ... التحرير من ذل الهوان القاتل
وعلى نزيز البؤس من اكبادنا ... نحدى لتحقيق المصير الفاضل

اني هنا فوق الجبال مصمم ... اني سانزع شقوتي عن كاهلي
اني هنا... للنور ... للحق الذي ... تدعو اليه اواخري واوائلي
فردوسي المغصوب ذلك غايتي ... ومزارعي فيه وفيه معاملي
اني على هذي الجبال اعيشه ... بدمي واعصابي وكل وسائلي
في كل شبر من مفاتن ارضه ... مجد يزودني بعزم باسل
شهداؤه يحيون ملء جوانحي ... ورفاتهم تذكي لهيب مراجلي
انا لاجيء فوق الجبال مشرد ... احيا لانعم بالمعاد العاجل
ساعود احمل راية الحق التي ... منها تشع مكارمي وشمائلي
واعلم الاجيال بعدي انني ... رويت من دمعي رياض فضائلي
هذي المشاعل في الشطوط مشاعلي ... والساحل الوضاء ذلك ساحلي

ولم ينس الاغتراب شاعرنا الكيالي الذل الذي يبلوه شعبه ... والهوان الذي تعانيه بلاده بعد ان استباحها « اليهودي التائه » بحديده وناره ... وعبث بمقدساتها ... وجرعها الزقوم والغسلين .

بلادي جراحك مني تسيل ... دماء توهج شريانها
سماؤك نبع الصفاء الحنون ... أيصفو لغازيك تحنانها
وانجمك الزهر الباسمات ... أيسطع بالنور برهانها
واطيارك الصدح الهاتفات ... أتهجع في الليل اكنانها
وازهارك الفضة الناعسات ... ايبسم للفجر وسنانها
وانداؤك الماس فوق المروج ... أيضحك للشمس عقيانها

فلسطين جل انتسابي اليك ... وان انكر الشمس عميانها

٤ ـ نبيل ايوب بدران

ولد « نبيل » في مدينة « حيفا » بفلسطين عام ١٩٣٧ ونشأ في اسرة عشقت فن التمثيل ، وهيأت من خلال فرقة تضم نفرا من الهواة جوا فنيا شهدته مدينة حيفا حتى عام ١٩٤٨ ، واشتهر والده اسكندر ايوب بدران بهواية التمثيل منذ عام ١٩٢٦ وكان من اعلام الحركة المسرحية بفلسطين .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ نزحت اسرة بدران الى لبنان واستقرت في بيروت . وفي عام ١٩٥٧ حصل « نبيل » على البكالوريا اللبنانية (القسم الثاني) ولتوفر امكانية العمل في المانيا الغربية قصد جامعة شتوتغارت للتخصص في هندسة الكهرباء ، وقبل حلول موعد الدراسة عمل في مصانع سيمنس كرسام فني ، وخلال السنة الاولى من اقامته بالمانيا بدأ اهتمامه بالشؤون الاقتصادية وبمشاكل الدول النامية ، اقبل على دراسة الشؤون الاقتصادية والبحث في مشاكل التخلف ، وازداد اهتماما بالشؤون الاقتصادية ـ الاجتماعية في العالم .

وفي جامعة شتوتغارت شرع في دراسة الهندسة لكن اهتمامه العلمي اتجه شطر الاقتصاد وتضافرت عوامل جديدة جعلت من اهتمامه بالامور الاقتصادية والاجتماعية التزاما سياسيا . وخلال مشاركته في حلقة اتحاد عمال الجزائر في مدينة شتوتغارت ، خلال حرب التحرير الجزائرية ، تفتحت عيناه على اهمية العمل النقابي ، فراح يقارن بين علاقة الاستعمار بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي للسكان الاصليين وللشعوب المستعمرة على وجه العموم ، واقبل على مطالعة الكتب التي تروي تاريخ التطور الاقتصادي والاجتماعي في الدول الاوروبية .

ومن الزاوية الاقتصادية ـ الاجتماعية طفق يحلل مشاكلنا القومية ويربط الوحدة العربية بمفهوم اقتصادي ، مدركا اهمية العمل والتثقيف في توحيد وتوعية الطبقة العاملة ، فحين طلب بعض العمال العرب ، ومعظمهم من الفلسطينيين الذين اموا المانيا طلبا للعمل ، الانتساب الى اتحاد الطلاب العرب في جامعة شتوتغارت كان « نبيل » عهد ذاك نائبا لامين السر ، فوجههم وساهم الجميع في انشاء اتحاد للعمال العرب في مدينة شتوتغارت .

وجاء انفصال عام ١٩٦١ ، الذي فرق الوحدة بين مصر وسورية، يؤكد اهمية العامل الاجتماعي في الوحدة العربية . وحملته مؤازرته على الاهتمام الفعلي بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه وطننا العربي والاطلاع على تطور ومستوى الحركة العمالية وخلال عمله مع الطلاب والعمال العرب في المانيا بدأ يتلمس مشاكل الفرد العربي خصوصا فقدان المنهجية لديه وافتقار عمله الى وضوح في الهدف والتخطيط .

ازاء هذا الاهتمام المتزايد بالمشاكل الاقتصادية ـ الاجتماعية وجد « نبيل » نفسه في تناقض تام مع دراسة الهندسة ، وبعد عام ونصف العام من دراسته الهندسة قرر الاتجاه شطر علم الاقتصاد . وحفاظا على الفترة التي امضاها في درس الهندسة بجامعة شتوتغارت التحق بجامعة كالدسروه الهندسية ليدرس الاقتصاد التقني ، وبعد فراغه من الامتحانات في علوم الاقتصاد قصد ، في الفصل الصيفي لعام ١٩٦٤ جامعة فرانكفورت لتوفر الموضوعات الاقتصادية والادارية في كلية الاقتصاد ولرفعة شأن اساتذتها خصوصا في علم الاجتماع . وخلال اقامته بمدينة كالدسروه كان يعمل صيفا في مصانع شتوتغارت ليمارس بصورة واسعة نشاطه .

وبالرغم من التحاقه بجامعة فرانكفورت فقد حد من عمله مع نقابة شتوتغارت واتجه نحو النشاط الطلابي في مدينة فرانكفورت لتواجد الطلاب العرب فيها وهناك سعى مع بعض زملائه الى انشاء حلقة ثقافية هدفها رفع مستوى الطالب العربي من عقلية التلميذ الى عقلية الطالب الجامعي . وانطلاقا من معرفته بمشاكل البلاد النامية فقد استطاع الحصول على موافقة اساتذته على ان يعالج في اطروحة الدبلوم التي يقدمها علاقة النقابات العمالية بالتنمية الاقتصادية وكان عنوان الاطروحة التي اعدها « تأثير زيادة اجور العمال في القطاع الصناعي على دخل الفرد في القطاع الزراعي في الدول النامية » .

وفي عام ١٩٦٦ دعا المركز اللبناني العربي للعلاقات العامة في بيروت الى مسابقة عن الاقتصاد اللبناني كان موضوعها « خلل التبادل الاقتصادي اللبناني ومدلوله في امكانيات التنمية » فعاد « نبيل » الى بيروت وقدم لهذه المسابقة دراسة جاءت في ٣٥٣ صفحة فنال بها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قـالت

الشمل منعقد الاواصر مـن كل سامرة وسامـر
في ليلة رقص الفتون علـى مناجـاة الضمائـر
قالت ومـــلء اهابها روح تأجـج بالمشاعـــر
وتأوهت فكأنمـــا زفراتهـــا لهـب المجامـــر
واشتد نبض عروقها بـدم مـن الاعماق فائـر
فسقت حقول الياسمين بأرجـوان نجيـع ثائـر
حسناء حـاك لهـا الجمال غلالة أرج الازاهـر
فاذا بها فينوس تخطر مـن جديـد في الحواضر
ويلفهـا شوق ينـــوء بحملـه جيـل مكابـــر

وعلـى حـدود ... نـؤ مـن التحنان ماطـر
يهمي كفيض غمامة ألقـــا علـــى ألـق المحاجر
فيضوع عبر حديثها نفس لذيـذ الشم طاهـر
كأريج زنبقة منـدى مفعـــم النسمات عاطـر
((يا صاحبي ذبل الغرام ولم يعد في الناس شاعر
هلك الألى كانت لهـــم بهوى نفوسهم بصائـر
العاشقون المدنفـون مضت عصورهـم الغوابـر
لا قيس بعد اليـوم يحرق راحتيه ولا يحـاذر
فالحب في هـذا الزمـان فعال فاجرة وفاجر))

غامت رؤاى علـى محيـا رائـع القسمات آسر
وتأملت عيناي عينيها كفعـــل فتـــى مغامـر
أرنو فأرمق حسنها ثمـــلا كما أرنـو لساحـر
يا للأسى ، الحسن ينحب وهو مثل الروض ناضر
ومضت تمر بخاطري صور مجنحـة الخواطـر
اتكون مثل شذا الربيع وقلبها بالبؤس عامـر .

وسبحت في لجج مـن النعمى كقرصان مخاطـر
اذ شاهد الشط القريب وبحـره بالهول زاخـر
وصرخت من لهف وبي شوق الى الشفتين قاهر
يا غادتي هذا الحبيب أتاك فـوق جناح طائـر
ليلم اشرعة الاسى عـــن زورق الحب المهاجـر

خليل خلايلي
دمشق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجائزة الثانية .

وبعد نشوب حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ جمد « نبيـل » دراسته في المانيا وعاد في صيف ١٩٦٨ الى بيروت والتحق بجهاز مركز الابحاث وتفرغ ، كباحث واسع الاطلاع ، للقضايا التي يبلوها الشعب الفلسطيني .

من آثاره القلمية : تلمس « نبيل » مشاكلنا الاجتماعيـــة والاقتصادية فعالج بعضها بقلمه ووضع كتابا بعنوان « التعليـم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني » وقصره على مرحلة مـا قبل عام ١٩٤٨ وصدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨ عن « مركز الابحاث » التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت .

نموذج من نثره : « هزت الحرب العالمية الاولى المجتمع العربي المشرقي هزا عنيفا وغيرت بعض معالم الخارطة السياسية ، اذ دخل الشعب العربي بعد هذه الحرب في عملية تحول ومعرفة للـــذات القومية بشمول لم يكن متصورا قبل الحرب ، ولكن سرعة التحول لم تكن مرئية .

لم يكن هذا التحول انقلابا في تكوين المجتمع العربي بل افرازا سريعا لقوى جديدة ، غير منسلخة عن القوى التقليدية ، وفي الوقت نفسه سارعت القوى التقليدية في تطوير نفسها ، بصورة اسرع من ذي قبل لضمان نفوذها . ونتيجة للتطور الاقتصادي المتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية ، اضطر المجتمع العربي لتغيير الكثير في مسلكه ومفاهيمه نسبيا ، فبدا ذلك في حياته اليومية ، كمثل انتشار اللباس الاوروبي والرغبة في تعليم الابناء تعليما حديثا .

واعترافا بهذا التغيير وادراكا لابعاده ، لا بد من التأكيـد على ان النتائج الحقيقية لهذا التغيير ستأتي مع الثلاثينات ، اي مـع انتشار النمط الاقتصادي الحديث والجهاز الحكومي والتعليم .

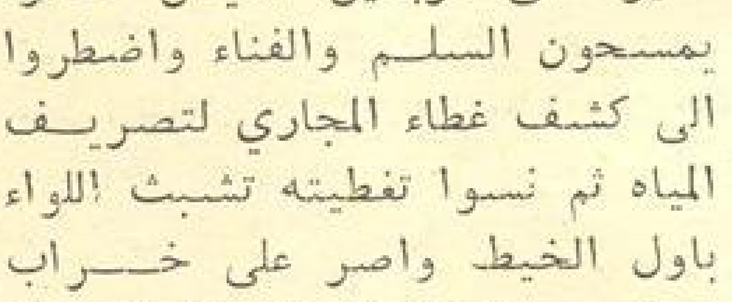
ومع بدء الحكم الاستعماري البريطاني لفلسطين ، كان المجتمع الفلسطيني ما يزال محافظا على طابعه التقليدي ، اذ بقيت القـوى الاجتماعية السابقة ، بالرغم من هذه الحرب في مواقعها ، ولكـــن التراكم الحضاري ، الذي حصل خلال الاربعين سنة الاخيرة مـــن الحكم العثماني ، ساهم في الاسراع بنشر التغيير او التحديث بعد الحـرب .

ان دراسة المجتمع الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى لـن تكون بحثا استطلاعيا « ستاتيكيا » بل تسعى الى فهم هذا المجتمع من خلال تطوره وقوة مراكز طبقاته وفئاته » .

عمان ــ الاردن
البدوي الملثم

كان اجمل يوم

بقلم السيدة احسان كمال



واخيرا .. ها هو في طريقه الى شقة طارق .. رغم كل العقبات ، الفكرة خطرت له اول وهلة عندما اخبرته مدرسة فصله انه لا دراسة للفصل كله اليوم حيث الكبار يمتحنون امامه ساعتان يستطيع ان ينفقمها في اللعب عند طارق .. ولا بأس ان يقول لوالده بعد ذلك عن الحقيقة حتى لا يدخل النار كما اكدت له امه عن جزاء الكاذبين ، ما الذي يستطيع عمله عندئذ سيضربه ثمن تافه لمتعة كبرى وسعادة عظمى ... من يوسعه ان يرى لعب طارق ولا يقول ذلك ؟ المهم لن يستطيع ان يعيد عقارب الساعة ليمنعه عن الذهاب كما فعل حتى الان ... والده يجلس كالاسد ـ كعادته دائما ـ امام باب العمارة .. يبدو انه لن يستطيع فعلها ليته يذهب الى اي مكان ، لكن الامل كان ضئيلا ... فهو لا يبارح دكته ابدا الا اذا كان طلب احد السكان مستعجلا وكان صبياه غائبين ، صبياه جالسين من حوله الى يمين والى اليسار مستحيل ان يخطر لثلاثة من السكان شراء اشياء في فترة واحدة .. فجأة تذكر سلم الخدم .. انه حتى لو ولج من المدخل الرئيسي فلن يستعمل المصعد ... وما حاجته به ؟ انه يصعد الادوار الاثني عشر جميعا في المناسبات ليرى الالعاب النارية من فوق السطح فهل ستتعبه اليوم خمسة ؟ لم يتردد هو دائما ينفذ اوامر والده . اغلبها كان معقولا .. اليوم لا حق له في رفضه فاللواء بنفسه هو الذي دعاه .. بل واكد عليه .

حادثة تبدو غير قابلة للتصديق يحلو له كثيرا ان يستعيدها لنفسه ولاصدقائه في المدرسة وقبلها كان لا بد ان يستعيد الحادثة الاولى .. العناية الالهية وحدها من غير شك هي التي ساقته الى المدخل الخلفي للعمارة في ذلك اليوم بل وتلك اللحظة بالذات فاذا به يسمع صرخات واهنة ضعيفة .. جرى الى مصدرها ليرى ذلك المنظر الرهيب بنت اللواء عبد الخالق متدلية حتى رأسها في فتحة المجاري ومتعلقة بيديها الضعيفتين في حافة الفتحة .. انطلق يجري الى والده وصبيانه الذين لحقوا الطفلة على اخر رمق .

ما كادوا ينتشلونها حتى اغمي عليها ، الله وحده يعلم ماذا كان منظر اللواء عبد الخالق حين راى الطفلة اذا كان ذلك منظره بعدها بنصف ساعة . كالوحش الهائج ، رغم انه كان سبب نجاتها الا ان منظره اخافه حتى اضطر الى الانزواء تحت دكة والده وصوت اللواء يهدد ويتوعد يصله حتى هناك ، وجاء بوليس النجدة والمطافىء والاسعاف لا بد بناء على استدعائه .. انحصرت المسؤولية اخيرا على الزبالين الذين كانوا يمسحون السلم والفناء واضطروا الى كشف غطاء المجاري لتصريف المياه ثم نسوا تغطيته تشبث اللواء باول الخيط واصر على خراب بيوتهم .. زادت ثورته عندما امسك بعصا زعافة الحوائط ودلاها في الفتحة فكادت تختفي باكملها ... القى بالخشبة بعيدا وجلس على الارض في حالة ذهول .. ظل فترة يخبط كفا بكف وهو يردد « لا حول ولا قوة الا بالله .. لولا لطف الله والولد الصغير لضاعت البنت وما ابشعها ميتة .. ربما لم يعلم بامرها احد وظللنا نبحث عنها العمر كله .. هذا اهمال جسيم » .

ولا يشبع فضول السامعين عن مدى ما نفذه اللواء من تهديداته سريعا ما يقفز الى الصورة الثانية .. التي كانت على عكس الاولى .. جميلة مورقة .. يكاد يقسم انها المرة الاولى التي راى فيها ـ هو او غيره ـ اللواء عبد الخالق يضحك ، لماذا هو متجهم دائما .. يشبه منظر ابيه عندما اختلف معه صاحب العمارة السابقة ففصله وظل طويلا يتردد على قهوة النوبيين ثم يعود مكشرا . ايامها سمع اكثر من مرة كلمة « خالي شغل » هل اللواء ايضا خالي شغل ، لكنه غني جدا . لعب ابنه وحدها في غرفته الصغيرة تكفي لفتح محل لبيع اللعب ، ملابسه واولاده الفخمة والسيارات الفارهة والسائق تلمع على ذراعه الاشرطة .. لا يملك ابوه عشر هذا ولا يكف طول النهار عن الضحك . مع ذلك ما شأنه هو وتكشيرة اللواء المهم انه في تلك المرة الوحيدة الخالدة التي ضحك فيها كان يضحك له هو .. اكثر من ذلك داعب شعره بأصابعه هل كان فيها كهرباء كاد جسمه كله يرتعش ، ابنك هذا يا عم عبده ؟ .. يبدو ان الضحك يمدي .. ابوه ايضا ضحك هو ويرد بالايجاب فعاد اللواء يسأل :

ـ هو الذي راى الحادثة يومها اليس كذلك ؟

ـ نعم .. الحمد لله .. جاء ساعتها يجري باقصى سرعة .

ـ يبدو انه ولد نبيه .. اسمع دعه يأتي عندنا يوما ليلعب مع طارق رد والده بغمغمة لا تكاد تبين فعاد اللواء يؤكد .

ـ ضروري .. ضروري من حضوره .. وسأكون ـ وكذلك طارق ـ مسرورين من زيارته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا يرفض والده اذن. لايستطيع ان يحضر له لعبة واحدة من عشرات عند طارق ثم يحرمه من فرصة كهذه تهبط عليه من السماء ، لم تكن تلك باول مرة يقف فيها هذا الموقف يوم نادته حرم الدكتور مؤمن واعطته قرشا ليشتري لها علبة سجائر اعترض بشدة واعاد لها القرش مؤكدا ان صبيه سيعود خلال دقائق .. كانت تلك اوامره له دائما « لا تأخذ نقودا من اي ساكن مع انه هو يأخذ منهم جميعا هل يفضل مكسب صبيانه على مكسب ابنه؟ لم يكن يستطيع مناقشة ابيه لذلك حمد الله ان حرم الدكتور عمدت الى مناقشته .. رد عليها بكبرياء :

ـ لن يكون خادما يكفي ابيه ، احرم نفسي من اشياء كثيرة كي اعلمه حتى يصل الى مستقبل افضل

ـ وذلك لا يتعارض مع تلبية طلب اي ساكن .

ـ بل سيشب ونفسيته معتادة المهانة .

ـ اي مهانة ؟ .. انك معقد .

ـ انني حر في ابني واذا كنت متعجلة سأشتري لك انا ولكن ابني لن يخدم احدا حتى يستطيع ان يملأ مركزه عندما يصبح من السادة.

لم يفهم شيئا يومها وعاد والده يؤكد عليه ما سبق من اوامره ، اعتبر نفسك كاحد اطفال السكان هل يستطيع ساكن اخر ان يرسلهم لقضاء احد شؤونه لقاء قرش ؟ اذا كان حقا يراه مساويا لابناء السكان فلماذا يمنعه من تلبية دعوة اللواء .

قال بدهشة : هل تعتبرها حقا دعوة ؟ .. كانت كلمة .. مجرد كلمة .. ربما نساها ثاني يوم ... ربما اعترضت زوجته .. ربما بدوت في عينها قذرا .. ربما تعالى ابنه عليك ورفض اللعب معك .. لماذا تعرض نفسك للسخرية والطرد ؟ .

لا .. ابوه يبالغ . طارق لطيف .. اكثر من مرة تحدث معه عما شاهده في التلفزيون اللواء ايضا ليس طفلا يقول الكلمة ويرجع فيها .. الم يقل ابوه ذلك عن نفسه ذات مرة الشعرات البيضاء في راس اللواء اكثر منها في راس ابيه ، زوجة اللواء هي التي يخشى منها حقا متعجرفة للغاية . جلس على السلم دفعة واحدة .. ما العمل لو لم يكن اللواء بالشقة .. هل يكتفي الخدم بطرده ام يضربوه على جرأته دق قلبه الصغير بعنف لكن ساقيه لم تطاوعاه على النزول .. نافذة الجنة مغلقة



احسان كامل

كعادتها منذ شهر وهذا ما ضاعف عذابه .. قبل هذه الموجة الباردة كانت شرفة حجرة طارق المطلة على السلم الخلفي دائما مفتوحة كان بسره مجرد مشاهدة اللعب المدهشة من بعيد .. اروعها السيارة الحمراء .. اكثر من مرة تصور نفسه هو ـ وليس طارق الجالس داخلها بتجول بها في الفيراندة حول المرجيحة الكبيرة ذات الالوان البديعة والكرسي الذي شكل على هيئة اوزة .. متفاديا بمهارة الحصان الخشبي الهزاز والدراجة الصغيرة .. اعادت مناظر اللعب في خياله القوة والحماسة الى قلبه فعاد يكمل السلم آن للخيال اليوم ان يتجسد ... تلك مكافأته الوحيدة .. ماذا استفاد من الورقة المالية الكبيرة ؟ لم يكن شبح اللواء داخل سيارته قد اختفى عن ناظريه بعد حين مد ابوه يده واخذها .. اقفل فمه على سؤاله فاطل من عينيه .. اجاب الوالد :

ـ والدتك قاربت الولادة .

كان والده يعلم من اسابيع ان والدته قاربت على الولادة فهل كان يتوقع ان ما حدث سيحدث عموما لا بأس فالدعوة بالنسبة له اجمل ولن يعاون والدته في وضع حملها ان تحل محله .

قبل ان يعود شبح اصبع والده للمثول امام عينيه محذرا كانت اصبعه هو تضغط زر الجرس ... بالكاد استطاع افهام الخادمة التي شهقت مستنكرة .. رجاها بلهجة هي مزيج من التوسل والتصميم معا ان تبلغ سيادة اللواء .. عادت اليه وقد تغيرت سحنتها .. سار خلفها واجف القلب .. هز راسه هزة ذات مغزى « لم تكن مجرد كلمة قالها اللواء يا ابي .. » في طريقه الى الباب مع الهانم قابلني ورحب بي . بل واكد على خادمته ان تقدم لي شيكولاته . حمدا لله انهم خارجون .. يستطيع ان يأخذ حريته في اللعب .. ولن يخشى ان ترتفع انغام الكمان او تعلو فرقعة البندقية او يحدث القطار الكهربائي ضجة اثناء سيره . طارق ايضا قابله بحفاوة .. دهش للحقيبة في يده .. اضطر للرد على سؤاله :

ـ اذهب للمدرسة بعد الظهر ..

ـ اذن ارني خطك في العربي ..

ان والدي يقول ان خطي رديء .

لم ينتظر الرد وبادر بفتح الحقيبة وانطلقت فرقعة .. لا .. لم يكن بداخل الحقيبة قنبلة زمنية .. اسرع بفتح علبة الكبريت الصغيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليهدىء من روع طارق .. الخجل يعوق حركته .. لماذا لقيه اليوم ؟ وما الذي دفعه لاخذه .. ؟ لعب به في حياته كلها مـرات معدودة ... لدقائق .. وبعدها كان يتركه حيث وجده .. اول مرة يضعه في حقيبته ماذا سيقول عنه طارق الان : صدق والده .. لم يكن من الصـواب ان يصعد للعب مع ابن اللواء عبـد الخالق .. هل تحوي حقيبة طارق المدرسية حشرات ؟ كما توقع صرخ طارق منزعجا .

ـ صرصار .. صرصار ..

لا فرقع لوز .. اهـون .. الصرصار اكثر قذارة .. كأنما هو يقدم اعتذارا .

ـ بل هو فرقع لوز ..

ـ صحيح .. شكله ليس كشكل الصرصار .. لكني لم اره من قبل قط .

ـ هو نادر .. يمر احيانا عـام واكثر دون ان نرى واحدا منه .

ـ ولكن لماذا تحتفظ به ؟ .. هز كتفيه .. سأل نفسه هذا السؤال من ثوان .. لم يجد ما يرد به سوى ان يقول : « انظر » وضع سبابته على ظهر الحشرة الصغيرة فانطلقت تقفز قفزة عالية وهي تطرقع بذلك الصوت الغريب .. افاق طارق من ذهوله ليضحك عاليا .. سـأل باهتمام « هل يفعل ذلك اذا لمسته انـا » ، اسرع يجرب ، وتكـررت الحركة .. ، وفي كل مـرة يـزداد انبهاره .. بدأ الهدوء يتسلل الـى نفس بكر .. بـل السـرور .. والزهوة ، لكنه ما لبث ان بدأ يضيق .. زادها طارق بعض الشيء ، لا يا طارق .. ليس فرقع لوز باللعبة الممتعة الى هذا الحد .. انا نفسي .. رغم حرماني من اللعب .. لـم اكن اغتبط به هكذا ، ترمومتـر السرور بدأ ينخفض بنفس نسبـة ارتفاعه عند طارق .. هتف الاخير:

ـ ماذا لو اركبناه طائرة ؟ اسرع الى بعض اوراق القص واللصق .. عمل دائرة وبللها ثم وضع فوقهـا فرقع لوز .. لصقت الورقة ببطنـه .. لمسه .. قفز بالورقة ، وقفز طارق ايضا وقد استخفه المرح :

ـ الطائرة ينقصها ذيل ..

بدأ يعمل في تأن وعناية . عمـل الذيل ليس سهلا .. اوراق عديدة تقص وتربط بخيوط وتلصق اسند بكر رأسه الى كفه .. لكن الضيق يمنحه بعض الجراة ..

ـ الا تلاعبني ببعض لعبـك يـا طارق ؟ هتف بدهشة : طبعا ـ طبعا ... دقائق .

قفز فرقع لوز بالذيل .. لا شك ان شكله كان مبهجا جدا والا لما هلل طارق كل هذا التهليل اما هو فرآه سخيفا غاية السخف :

ـ ما هذا الصندوق الذي حط فرقع لوز بجواره ؟

ـ هذا انسان آلي .

ـ ماذا يفعل ؟ ..

ـ انه رائع .. يسير بقدميـه وعلى شاشة التلفزيون في صـدره تتوالى مناظر الفضاء البديعة ... انظر .. انطلقت الفرقعة .. صاح بدهشة :

ـ لم المسه ..

رد بجفاء : احيانا يقفز وحده ..

ـ لكنه اختفى ..ترى اين ذهب؟

ـ ماذا قلت عن هذا الانسـان الآلي ؟

اشاح بيده : ادره انت يا اخي وتفرج عليه ..

ـ لكن كيف ؟

ـ ضع السلك في راسه .

لكنه لم يعرف .. خشـي ان يفسده .

يستطيع ان يدير القطار :

ـ اين هو يا طارق .

تلفت طارق حائرا : لا ادري والله .. آه .. ها هو ..

قفز اسفل الدولاب ليخرج ممسكا بفرقع لوز ..

ـ هل عطل ..؟ المسه فـلا يقفز ..

احس بالشماتة بل لم يستطع ان يخفي سخريته :

ـ ربما ليس له مزاج ..

اثار ذلك اهتمام طارق وتشبثـه باللعبة اكثر .. اول مرة يلعب بلعبة لها ارادتها الخاصة فلا تستجيـب لرغبته المطلقة وتدور عندما يريد . اشاح بكر براسه فاذا به يلمح ـ من خلال النافذة ـ الشمس وقداوشكت على المغيب .. لم يبق الا القليل على موعد عودته من المدرسة ويجب الا يتجاوز حتى لا يزيـد قلق والدتـه عليه من عقاب والده .. غمغـم بأسـى :

ـ كادت الدنيا تظلم .

تنبه طارق « هذا صحيح» ترك فرقع لوز ومضى .. دولاب اللعـب من هنا يا طارق .. لكن الاخيـر ضغط زر النور ثم عاد الى لعبته الجديدة مكررا محاولته للتغلب على عنادها المفاجيء .

ـ سأنزل يا طارق ..

ـ لم تلعب بعد .. اسمع .. هل تستطيع ان تتركه لي ؟

ـ بالتأكيد .. انني لا اريـده قط .

ـ اذن سأدعه الان .. اين علبته؟ فتح دولابه ولم يستطع اغلاقه .. كانت بين ذراعيه الصغيرتين كومـة كبيرة من اللعب وضعها امام بكـر واخذ منه علبة الكبريت .. لكنه لم يودعها كنزه الثمين .. رفع اصبعه وكأنه امام مدرسته : آخر مرة والله العظيم ..

وقفز فرقع لوز .. كانت قفزته الاخيرة فعلا كاد ان يصطدم بوجه الخادمة وهي داخلة تحمل كوبا من اللبن .. شهقت .. اسرعت تخلع شبشبها وفي ثانية واحدة انتهى كل شيء صرخ طارق : ـ ما هذا ؟

ـ فرقع لوز

ـ ما هذا الذي فعلته ؟

قتلته ...

ـ لكني كنت العب به .. لقـد اهدانيه بكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهـواك

الـى الصديـق الشاعـر احمـد أبـو سعـد

★

أهواك فـوق تصور وتخيـل ... وهواك سحر يبعث الالهام لـي
يا افق اسعادي وموئـل غبطتي ... ونعيم آمالـي وحلـم تأملـي
ما لحت لـي الا وقلت قصيدة ... عصماء لـم تخطر ببـال البلبـل
وطفقت في وادي الجمـال مرددا ... لحني بحبـك في نشيـد مرسل
الحسن انت كساك من افوافـه ... القا تطوف بـه القلوب وتجتلـي
عيناك علمتـا فؤادي في الهـوى ... سر الفتون مـن الجمال المذهـل
مالي وحبك غـير وجهك مصدر ... للوحي حيث صباك وحي تخيلي
ان الوسيلـة في المحبـة غايـة ... صعبت معانيها لفهـم العـذل
احبيبتي لولاك مـا غنى الهـوى ... لحنا على قيثار عمـري المقبـل
قد كان عمري قبل حبك فارغـا ... مستوحشا ابدا كقفـر ممحـل
فسطعت في قلبي ربيعـا اخضرا ... يسقي الحياة بكوثـر وبسلسـل
وعرفت فيك بشاشة الحب الذي ... قد عاد لي دنيا الهوى مـن اول
انـا لا ألام اذا جعلتـك وبغير رشف رحيقها لـم أثمـل
في الحب اعجاز ولا يـدري بـه ... من كان عـن دنيا الغرام بمعـزل

البحرين — احمد محمد الخليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ اهداك ؟ .. ونعم الهدايا .. وماذا كان عسى ان يهدينا ابن ست ام بكر سوى البلاوي .

كنت مندهشة لوجوده ... كان يجب ان اخمن .. لكن الغلطة ليست غلطته بقدر ما هي غلطتنا نحن .

رفع طارق الشبشب .. يـا للكارثة .. ما هذه الفتافيت المتناثرة؟ ذهب فرقع لوز الى الابـد .. لا يستطيع احد اصلاحه كأي لعبـة تتحطم .. ايضا لا تـوجد محلات تخصصت في بيعه . وتذكر كلمات بكر : « يمر احيانا عام واكثر لا نرى واحدا منه » كانت حسرته شديدة ... لم تمكنه من النطق حتى وهـو يتناول من يدها كوب اللبن . لماذا ركز نظره على وجهها كل هـذا الوقت .. هل كان يبحث عن كلمة تعبر عن سخطه وغيظه وبغضـه الشديد لها ؟ يبدو ان جميع الكلمات لم تكن كافية . فجأة .. قـذف بكوب اللبن على السجادة باقصى قوته .. خبطت الخادمة علـى صدرها مروعة :

ـ اقسم بالله العظيم لن امسحه حتى تأتي الهانم وترى .. وانـت يا وش البلاوي .. اعجبك هذا ؟ هيا انزل .. اتفضل .. بسرعة .

صاح طارق : اتركيه ربع ساعة .. لم يلعب بعد .

ـ ولا دقيقة .. حـان مـوعد حمامك .

ـ حسنا يا بكر .. اصعد مـرة اخرى .. لا تهتم بكلامها كان اليوم اجمل يوم عندى . صاحـت ، وصورة مكبرة ـ لتعب مضـن ينتظرها في تنظيف السجادة ـ تكربها .. بعد ان ظنت ان شقاء اليـوم قارب الانتهاء ؟

ـ بودي ان يفعل .. حتى اكسر رجله .

اسرع يقفز السلالم وفي نفسه يقين راسخ ان فرقع لوز لـم يمت .. فقط كانت اول مرة يعرف فيها انه يحس احيانا ببعض المشاعـر السعيدة عندما يلمس ظهره شخص فيقفز الى اعلى .. والمربرة عندما يلزه شخص آخر فينطلق قافزا الى اسفل .

القاهرة — احسان كمال

مكتبة الاديب



شروق الاسلام

تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٤٠ صفحة ـ مطبعة دار الشعب بالقاهرة

المتتبع لنمو القصة وتطورها في ادب ابراهيم المصري يلحظ على الفور فوق متانة البناء وطرافة الاسلوب ، ذلك الانفساح الكبير في المضمون بما يحمله دائما من تفتح شامل على ابعد المشاعر رنينا في النفس واشدها لذلك تاثيرا على ضمير الانسان وفكره ومنازعه . وقد تعنف تلك المشاعر حتى تكون كالاعاصير وقد ترق حتى تصير كالنسمات . ولكنه في تناوله لما يتناوله منها خلال تخبط الانسان الدائم بين قوى الخير والشر او بين نوازع الهدى والضلال او بين عوامل الرجاء واليأس ـ ليحتضنها في اخلاص الفنان الكبير الذي لا يعنيه منها سوى النفاذ الى منابعها الاولى من طبيعة الفرد ونشاته وماضيه جهد ما يستطيعه الفن في هذا السبيل ..

ثم هو في تصويره لتلك المشاعر حريص كل الحرص على ان تظل محصورة في اطارها الخاص وخاضعة لتاثير الاحداث المتعاقبة بالفة ما بلغت تلك الاحداث من التشابك او التعقيد . فاثر الاحداث هو قبل غيره ـ فيما اعتقد ـ هدف الفنان الاصيل . الفنان الذي لا يعظ وانما يسجل ، ولا يتحكم في مصائر الابطال وانما يتركهم في حومة الصراع يستخلصون لانفسهم الطريق تبعا لما تمليه عليهم ظروفهم كافة . فالنفس البشرية ليست خيرا كلها وليست شرا كلها وانما هي تميل الى الخير او تنحرف الى الشر متاثرة بعواملها الداخلية وبما يطرأ عليها ايضا من مؤثرات ..

قد نقول عن احد القصصيين ان ابطاله يبدون وكانهم خرجوا لتوهم من مأتم . ونقول عن آخر ان ابطاله يبدون وكانهم خارجون من عرس . ونحكم لهذا السبب على الاول بانه متشائم جدا وعلى الثاني بانه متفائل جدا .. فهذه الاحكام وامثالها فضلا عما فيها من اعتساف فانها تظلم الواقع مثلما تظلم الفن والفنان نفسه .

فالواقع لا تبتعد فيه دار الاحزان كثيرا عن دار الافراح .والفنان حر في ان يلتقط شخصياته من اي قطاع اراد .. اذ لا يقيده في الحقيقة غير الحياة في وحدتها الكاملة .. يصدق هذا على كل عمل فني يستحق البقاء كما يصدق هنا بخاصة على مجموعة « شروق الاسلام » احدث ما اخرجه الينا ابرهيم المصري . ففيها نلتقي بما اسلفنا الاشارة اليه . نلتقي بالبناء المحكم والعرض الدقيق والاسلوب النابض الحي . كما نلتقي بذلك المضمون الواسع العميق والذي يختلف بطبيعة الحال من قصة الى قصة ولكنه ينتظم متالقا جليلا خلف مغزى عام يرضي الفن الرفيع كما يرضي انبل المثل .

وتعبر عن ذلك المغزى هذه الكلمة القصيرة التي صدر بها الفنان الكبير مجموعته الجديدة : « الانسان جسد وروح ، غريزة وعقل ، قلب وضمير » . وهذه المجموعة من القصص التاريخي تمثل الانسان وهو يبذل ويضحي ، ويغالب نوازع الجسد ليتفوق بالايمان والروح . كما تمثله في صراعه بين ثورة غرائزه وضوابط عقله ، بين مشتهيات قلبه وصوت ضميره . هذا الصراع الابدي الذي يكتوي الانسان بناره ، فيحترق وينسحق ، او يخرج بطلا ثبت الجنان ، صلب العزيمة مشرئب الفكر والروح نحو النور والهدى » .

تطالعنا في بداية المجموعة ثلاث قصص اسلامية رائعة اهمها « شروق الاسلام » استوحاها الكاتب من روح الاسلام السمحة الكريمة في صراعها المرير مع بقايا الوثنية العنيدة المتجبرة . وذلك خلال حروب الردة التي نشبت معاركها في اطراف الجزيرة على عهد الخليفة الاول رضي الله عنه .

وتدور القصة حول فتاة مسلمة تمتحن في دينها وعفافها وحبها اعنف امتحان وتخرج منتصرة ولو انها تكون قد دفعت حياتها ونفسها ثمنا لهذا الانتصار ...

ماتت عنها امها وسولت نفس والدها ان يرتد عن الاسلام ويلحق بجيش المارقين من اعدائه . فتركها وديعة عند شيخ مؤمن . ولكن ابن هذا الشيخ كان مشركا ، وكان فتى في مقتبل الشباب كما كان اخاها في الرضاعة ، يهيم بها حبا ويهجر امرأته من اجلها ثم يراودها عن نفسها مراودة دائبة ملحة فلا يظفر منها بغير الاعراض والصد . وكانت الفتاة تكتم انباء محاولاته الآثمة عن والده الشيخ الذي كان يعيش في بيت ولده مهملا منبوذا لانه كان من الذين شاهدوا الرسول واسلموا على يديه . ولكن عن الشيخ كانت تلاحظ كل شيء وترعى تلك الوديعة الغالية وتنتظر الفرصة لتخليصها ..

وها هي الفرصة توشك ان تسنح فهذا هو الشاب ينبيء الفتاة يوما بان طلائع الجيش الاسلامي قادمة ويريدها على ان تستسلم له الساعة او يحملها عنوة على الفرار معه ... ولا تستطيع الفتاة وهي تخفي فرحتها بما تسمع الا ان تجبهه بانه جبان ونذل . فيستل خنجره يريد ان يطعنها به . فيبرز والده الشيخ من مكمنه وفي يده سكين يطعن بها ولده فيصيب كتفه . وفي ثورة هياج الشاب وفي لوثة جنونه بما ظنه تواطؤا بين والده والفتاة يطعنهما معا فيرديهما قتيلين .

وتكون طلائع الجيش الاسلامي قد اقبلت في تلك اللحظة بقيادة القائد المظفر خالد بن الوليد . فيشهد الحادث المروع . وفي الجيش ابن عم الفتاة الشهيدة وخطيبها . فيهم لساعته بان يفتك بالشاب القاتل . ولكن خالد القائد ورجل الدولة الحكيم يستمهله يريد ان يسمع من الشاب قصته ... ويتهاوى الشاب فجاة معلنا ندمه وتوبته وايمانه بهذا الدين الذي استطاع ان يغرس في نفوس اتباعه اعلى مثل الخير والطهر والفداء .. ثم يطلب ان يلحق بمقدمة الجيش فيكون له ما اراد ...

تلك هي قصة « شروق الاسلام » في هيكلها المجرد . ولكن ذلك الهيكل المجرد يخرج من بين يدي ابراهيم المصري وهو ينتفض حياة وحيوية وحرارة وقد شحنه بما شاءت له عبقريته الفنية من تلك اللمسات النفسية العميقة والمباغتة التي يواكب بها اوصافه الحسية الدقيقة لهذه الشخصية او تلك ، والتي تتوزع على جوانب عمله في مهارة وتندمج مع سياقه الطبيعي . لا لتكون زخرفا وتوشية تلصق من خارج ـ ان جاز التعبير ـ بل لتكون هي نسيج القصة الحي في اروع صورها الممكنة .

فلنطالع هذا المشهد القصير في وصف احدى محاولات الشاب مع الفتاة قبل مقتلها على يده بقليل :

« يمين الحق يا هند ما عذبتك الا لاني احبك . وما آلمتك الا لاكون آسي جراحك . وما اجترأت عليك الا لارد عني عادية موت داهم او جنون . اني لاراك يا هند اينما سرت وحيثما حللت . اراك في

ظلال النخيل ، في طيران الحمام ، في قفز الظباء ، في تموجات شعاع القمر ، في نفسي . فرفقا يا هند بي ، وعطفا من لدنك علي ، وعفوا عن الكافر الاثيم الذي يحبك ويلثم خاشعا موطىء قدميك .

فتقول هند مذهولة :

ـ انادم انت على ما حاولت ؟

فيجيبها محدقا فيها :

ـ انا نادم على ذنبي ولكني غير نادم على رغبتي .. »

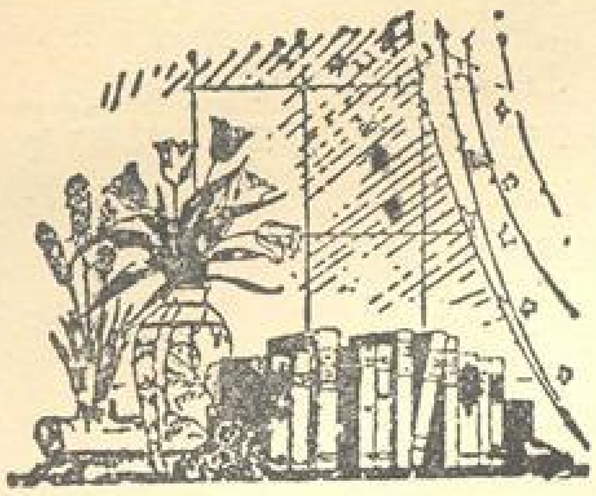
هذه العبارة « انا نادم على ذنبي ولكني غير نادم على رغبتي .. » مثال واحد فقط على دقة الكاتب في تصويره للبطل الذي سوف يستفيق على حياة جديدة بعد ذلك الحدث الدامي الذي يندفع الى ارتكابه والذي ستتهاوى تحت وقره دعائم بنيانه النفسي الجاهلي ، فتشرق بصيرته ويهتدي .

لا استطيع ان اضع القلم عن مجموعة « شروق الاسلام » وفيها عدا تلك القصص الاسلامية الثلاثة التي وقفنا عند اولاها وقفة ربما تكون قد طالت نسبيا ـ دون ان اقف وقفة طويلة اخرى عند قصة شائقة من بين الاثنتي عشرة قصة الباقية . قصة هي في تقديري من اروع ما انتجه خيال ابراهيم المصري وتلك هي « سحر المجهول » وقد استوحى الكاتب فكرتها على ما يبدو لي من واقعة معينة واجرى حوادثها في مصر الفرعونية القديمة . وموضوعها هو توزع الفنان بين ما تنشده روحه المتعطشة دوما الى الحياة والحب والحرية وبين ما يريده عليه الواقع من النزول على احكامه وضروراته ومبادئه . وبطل القصة الذي يدور الموضوع حوله هو بالضرورة فنان . فنان لحما ودما ، وان كانت مهنته هي الطب . يتخلى فجاة عن مهنته المربحة ويتخلى عن ابنة عمه الجميلة التي تطارده بهواها البريء الطاهر ويترك ايضا قريته ليتبع احدى تلك الفرق الجوالة يمارس مع افرادها هوايته المفضلة وهي (النفخ في المزمار) ويحوز اعجاب افراد الفرقة كما يحوز اعجاب المشاهدين .

ولكنه هو نفسه يؤخذ بسحر راقصة الفرقة فيقع في شراك حبها . وكانت لا تفتأ تلاحظ تاثيرها عليه فتفتن في اذلاله والعبث بعواطفه . فتنصرف بهواها الرخيص ـ على مشهد منه ـ الى ذلك المصارع الضخم الجثة المفتول العضل ، او الى هذا المطرب الوسيم الطامة الرخيم الصوت ، او الى هذا المضحك الاحدب المترهل الدميم البارع في التنكيت والقفش . وكلهم من افراد الفرقة . (وقد تانق الكاتب في اختيار هؤلاء وغيرهم ليكونوا تشكيلة طيبة لعمل فني ممتاز) وكان الفنان بطل القصة يرى كل هذا ويتعذب . ولكن الراقصة تتحول بعواطفها فجاة اليه . ذلك ان الفرقة تهبط ذات يوم بضاحية تملكها احدى الاميرات فتعجب الاميرة ببطلنا نافخ المزمار وتستدنيه منها وتريد ان تمنحه قدرا كبيرا من المال . ولكنه يرفض المال في ادب بالغ . وتقدر الاميرة مشاعره فتقول له ان المال هو على كل حال مالك وفي وسعك ان تاتي لطلبه يوم تدفعك الحاجة اليه ..

منذ ذلك اليوم والراقصة لا تفتأ تدور حول فتانا وتتملق عواطفه حتى تحمله ـ متعللة بحاجتها الماسة الى بعض المال ـ على ان يذهب الى قصر الاميرة ويطلب ماله .. وما ان تستولي هي على هذا المال حتى تختفي تماما ... تختفي مع من ؟ ... مع الاحدب المترهل الدميم البارع في القفش والتنكيت والذي عشقته لانه عرف كيف يضحكها .. ويرتد البطل الى ابنة عمه النقية . ولكنه بعد حبه العاصف للراقصة ، لا يرى في الفتاة غير صفاء بارد يخيل اليه انه يشبه صفاء الموت . فيلوذ بمهنته كطبيب ويهرع الى دار ليعالج فيها المرضى ، حيث ينقطع للحب المخصب اي حب الانساني الاعلى ممثلا في خدمة التاعسين المتالمين .

هذه النهاية الرائعة تملك علينا عقلنا وحواسنا ، وترتفع بنا الى افق من الفن الواقعي المثالي ، قل ان نلمس شبيها له في ادبنا القصصي .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والواقع ان هذه القصة التي يغمرها الشعر وتسبح في جو خالب من موسيقى العاطفة والروح ، يرن صداها في نفوسنا رنين « سمفونية » شائقة ، عرف المؤلف كيف يوفق بين انغامها المتضاربة ، ويبدعها في وحدة فنية متماسكة متكاملة .

واما قصة « المراة والقدر » فهي ايضا من روائع ابراهيم المصري.

وفكرة القصة هي ان المراة قد تعصف بلبها الاحلام العريضة ، فتظل محرومة دون ان تفقد الامل في تحقيق احلامها يوما . بل لعل املها يتضخم كلما طال حرمانها . ثم تظفر من الدنيا فجاة بالكثير فلا تقنع به وتظل تطلب المزيد . حتى اذا اوشكت ان تحس بالاكتفاء ثم ضربتها الاقدار واضطربت قليلا او كثيرا . فانها في الغالب لا تستسلم بل تظل اطماعها كامنة فيها . فتعود وتتحدى وتكافح وتجاهد ثارا لانوثتها المهزومة وسعيا وراء آمالها واحلامها .

فانت ترى ان الطرافة في فن ابراهيم المصري في ازدحام قصصه بتلك المعاني النفسية الشفافة الموحية التي تتجمع كالاضواء تنبثق من جواهر نادرة . فلا يسع القارىء المشاهد الا ان يهتف : « هي رائعة ... » ثم يصمت طويلا ويتأمل ..

وبعد ، فهذه المجموعة النفيسة قد اثرت ولا ريب مكتبتنا العربية. واني لاتمنى لصاحبها الكاتب القصصي الكبير حياة مديدة يتحفنا ايضا خلالها بالشائق الممتع من الاعمال .

طنطا ـ مصر — **ابراهيم سعد الجندي**

•

« القانون في الطب » لابن سينا

شرح وترتيب جبران جبور ـ تقديم الدكتور خليل ابو خليل ـ تعليق الدكتور احمد شوكت الشطي ـ ٣٣٦ صفحة حجم كبير ـ منشورات مكتبة الطلاب ببيروت .

يختلف المؤرخون في مقدار ما الفه الشيخ الرئيس ابن سينا من مصنفات ، فبينما يدعي بعضهم ان كتبه لم تتعد المائة ، فقد زعم آخرون انها بلغت مائتين وستة وسبعين كتابا .

ومهما يكن من امر هذا الخلاف ، فثمة اتفاق اساسي على ان اهم كتب ابن سينا الفلسفية هو كتاب « الشفاء » الذي يقع في ثمانية عشر مجلدا ، والذي اختصر في ثلاثة مجلدات ، تحت عنوان « النجاة » ، كما ان اهم كتبه الطبية كتاب « القانون » الذي يقع في اربعة عشر مجلدا .

يقول ابن سينا في مقدمة كتاب « القانون » : اصنف في الطب كتابا مشتملا على قوانينه الكلية والجزئية اشتمالا يجمع الى الشرح الاختصار ، والى الايفاء الاكثر حقه من البيان والايجاز » .

وكتاب القانون يتفرع الى مبحثين : نظري وعملي ، يتوزعان بدورهما الى خمسة اقسام :

اما المبحث النظري ، فيتضمنه القسمان الاول والثاني من الكتاب، وفيهما يتحدث المؤلف عن وظائف الاعضاء وعلم الامراض وحفظ الصحة.

واما المبحث العملي ، ففي القسم الثالث من كتاب « القانون » يتناول ابن سينا بالبحث الامراض العامة ويشرح الاعضاء ، ابتداء بالرأس ، وبعد ذلك يصف الادوية وطرق المعالجة ، وابن سينا يصف هذا القسم العملي بانه « الحافظ للصحة والمعيد لها » . وفي القسم الرابع ، يتحدث ابن سينا عن الامراض العامة التي لا تختص بعضو بعينه كالحميات والطاعون والجدري ، ويصف لها الادوية . والقسم الخامس والاخير يبحث في الادوية المركبة وعلم تركيبها ، ويتناول بعض المسائل التي الم بها المؤلف عن طريق التجربة .

ومن الملاحظ ان ابن سينا ، من خلال كتابه « القانون » ، لم يخترع الطب اختراعا ، وانما حذا حذو اسلافه ، واضاف الى ما اخذه عنهم بعضا من تجاربه واختباراته . وفيما كان الرازي من اتباع جالينوس ، فقد كان ابن سينا من اتباع ابقراط وارسطو .

ولا ريب في ان كتاب « القانون » هذا كان ذا قيمة كبرى ، فاولع به الغربيون في القرون الوسطى ، ولبثوا يدرسونه في كلياتهم وجامعاتهم حتى اوائل القرن الثامن عشر ، ولاسيما في « لوفان » وفي « مونبلييه » .

هذا عرض سريع لمضمون كتاب « القانون » ولاهميته العلمية التاريخية التي جعلته ، في القرون السالفة ، في طليعة المراجع العليا بجامعات اوروبا .

وقد قادنا الى هذا العرض ، ظهور كتاب جديد في عداد منشورات « مكتبة الطلاب » ببيروت ، بعنوان « القانون في الطب » لابن سينا ، وقد اهدي الينا من الناشرين الكرام ، وسئلنا ابداء رأينا فيه بطريقة موضوعية ، مجردة ، بعيدة عن الاعتبارات الخاصة .

وحقيقة الامر ان عنوان الكتاب لا يتفق مع مضمونه ، لان ما تضمنه يتعلق حصرا ببعض الادوية المفردة والنباتات ، كما يشير شارحه ومرتبه الاستاذ جبران جبور الذي يتضح لكل منصف انه بذل جهودا مباركة لشرح هذه المفردات وللبحث والتنقيب عن اصولها ، ومعانيها ، فضلا عن ذكر مرادفها في اللغة الاجنبية ، كلما تسنى له ذلك .

واذا كنا ننوه بمقدمة الدكتور خليل ابو خليل رئيس دائرة الارشاد الصحي في وزارة الصحة العامة اللبنانية ، للكتاب ، وبرسالة الدكتور احمد شوكت الشطي رئيس منظمة الهلال الاحمر العربي السوري ، الى شارح الكتاب الاستاذ جبران جبور ، حول كتاب « القانون » ، فانه لا يفوتنا ان ننبه الى ما اتفقا عليه ، حول القيمة التاريخية وحسب التي بقيت للادوية النباتية المذكورة في كتاب « القانون » ، بحيث ان الكتاب اصبح جزءا من تراثنا القديم ، ولم يعد ملائما الملاءمة كلها لما آل اليه العصر من تطور على الصعيدين الطبي والعلمي .

لذلك ، فقد كنا نتمنى لو ان الاستاذ جبران جبور ، بدأ من حيث كان يحتم عليه التحقيق العلمي السوي ان يبدأ بحيث عمد الى تحقيق المبحث النظري من كتاب « القانون » ، وهكذا حتى تنتهي جميع اقسام الكتاب ، واذن لكانت خدمته الى التراث العربي اكبر ، ولكان انجازه العلمي اعظم قيمة .

واملنا كبير بأن يعاد النظر في امكانية اخراج جميع اجزاء كتاب « القانون » ، وكتاب « الشفاء » ، و« النجاة » ، و « الاشارات والتنبيهات » ، وسواها من كتب الشيخ الرئيس ، لئلا تكون هذه النفائس عرضة للضياع او الاندثار على مر الزمان .

فوزي عطوي

•

لفتنا الجميلة

تاليف فاروق شوشة ـ ١٦٢ صفحة ـ كتاب الاذاعة والتليفزيون ـ طبع بمؤسسة روز اليوسف بالقاهرة

« الصفحات التي يضمها هذا الكتاب مختارات مما قدمه البرنامج الاذاعي « لفتنا الجميلة » الذي يجتاز الان عامه الخامس ، فقد بدأ اولى حلقاته في سبتمبر ١٩٦٧ محاولا من خلال حلقاته اليومية المتصلة ان يقدم ويعرض مواطن الجمال في لفتنا العربية من خلال نماذجها

الرفيعة : شعرا ونثرا ، ادبا وفكرا ، تراثا وحضارة ، بلاغة وبيانا ».

بهذه الكلمات يقدم المذيع الشاعر : فاروق شوشة كتابه القيم « لغتنا الجميلة » الذي صدر حديثا عن سلسلة الكتاب الشهري لمجلة الاذاعة والتليفزيون القاهرية ، وهي سلسلة جديدة صدرت في مايو الماضي وتهدف لتوصيل الثقافة بما فيها المواد الفنية والادبية والفكرية التي تقدمها الاذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية الى جمهور الكلمة المطبوعة .

والكتاب ينقسم الى سبعة فصول تحمل العناوين التالية : بعض الاسرار من لغتنا الجميلة ـ من اقوالهم : كلمات باقية ـ سؤال وجواب ـ من كل بستان زهرة ـ الشعر ديوان العرب ـ عندما يتكلم مجمع اللغة العربية ـ قل ولا تقل .

وقبل ان نمضي في تناولنا لهذا الكتاب بالعرض ، يجدر ان نشير الى نقطتين هامتين :

النقطة الاولى ، ان هناك كما هائلا وضخما تملكه الاذاعة من التراث الادبي والفني والفكري الذي يتمثل في المواد والبرامج الثقافية التي شارك ويشارك بها اعلام وقادة الفكر والثقافة ، ولكن هذا التراث الضخم ظل حبيسا مسجلا على اشرطة الاذاعة ، وبالتالي لم يستفد به سوى جمهور المستمعين ، وحرم منه جمهور الكلمة المقروءة .

اما النقطة الثانية ، فهي تتمثل في حاجتنا الشديدة والماسة الى مداومة واستمرار البحث والدراسة والتنقيب في تراثنا الادبي واللغوي بما فيه التراث الاذاعي ، وذلك بقصد اعداد المزيد من الدراسات والبحوث في المجال اللغوي ، لكي نستطيع ان نسد الفراغ الذي تعاني منه لغتنا في المكتبة العربية ، فلا شك ان هناك نقصا ملموسا في المؤلفات اللغوية بالمكتبة العربية .

ومن هنا ، فان هذا الكتاب الذي يدور حول لغة الضاد ، لغتنا العربية ، هو محاولة موفقة ومخلصة من المذيع الشاعر فاروق شوشة ، صاحب البرنامج الاذاعي اليومي « لغتنا الجميلة » الذي يقدمه من البرنامج العام ، ذلك لان الكتاب يحقق للكلمة المذاعة فرصة الوصول الى جمهور القراء ، كما انه اضافة جديدة في مجال البحوث والدراسات اللغوية .

ترى ، كيف ينظر العرب الى لغتهم الجميلة ؟ .. يقول الاستاذ فاروق شوشة في كتابه : « منذ قديم ، والعرب يدركون قيمة لغتهم ، يحثون على تعلمها وتجويدها والتزود بآدابها ، ويرون ذلك جزءا من الخلق القويم وسمة للانسان الكامل » .

وحول هذا قال « عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه » : « تعلموا العربية ، فانها تثبت العقل ، وتزيد في المروءة » .

ويقول الخليفة الاموي « عبد الملك بن مروان » : ما الناس الى شيء من العلوم احوج منهم الى اقامة السنتهم التي بها يتحاورون الكلام ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها . ان الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى الاغذية » .

وهكذا نجد ان العرب ، قديما وحديثا ، نظروا الى لغتهم نظرة ذات معنى ودلالة كبيرة ، ليس باعتبارها اداة للتفكير والتخاطب فحسب ، بل بوصفها سمة ضرورية وهامة من سمات الانسان الكامل : عقليا وخلقيا .

واذا القينا نظرة ـ ولو عابرة ـ على تاريخ اللغة العربية ، فسوف نرى ان العرب في كل العصور ، عصرا بعد عصر ، قد احاطوا لغتهم بهالة من الاهتمام والعناية والاعتزاز والقداسة .

ولا شك ، ان هناك الوانا من الجمال في لغة الضاد ، وفي ذلك يشير الاستاذ فاروق شوشة الى بعض السطور التي وردت في كتاب « لغتنا الشاعرة » للاستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول : « من الوان الجمال في لغتنا العربية اتساعها للمعاني المجردة والمعاني المحسوسة ، وتطور هذه المعاني جيلا بعد جيل من اصولها اللغوية الى دلالاتها ومعانيها الجديدة .. وطريقها لتحقيق ذلك هو المجاز » .

ولعل المتأمل اليوم في لغتنا الجميلة التي نستعملها الان يلاحظ ان هناك كثيرا من الاساليب والكلمات التي شاع استخدامها ، وكلها تعبيرات مستحدثة تسللت الينا نتيجة عدة اسباب منها : الترجمة والاحتكاك والتفاعل بين اللغات ووسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة .

والى جانب هذا ، هناك بعض الاخطاء الشائعة على الالسنة والاقلام ، ومن بينها خطأ يتصل باستعمال الكلمات العربية في احوال معينة ، مما ينتج عن هذا الاستعمال الخاطئ البعد عن دائرة الصواب ، ويسوق المؤلف امثلة عديدة نشير الى بعضها على سبيل المثال ، فالبعض يقول « اتخذت فلانا كصديق » والصواب ان يقال « اتخذت فلانا صديقا » ومثل « تحادث فلان مع فلان » والصواب ان يقال « تحادث فلان وفلان » ، ويخطيء البعض في استعمال كلمة « طالما » فيقولون خطأ « لن احضر طالما انني مريض » والصواب استعمال كلمة « ما دام » بدلا من كلمة « طالما » فيقال « لن احضر ما دمت مريضا ».

وان احدا لا يستطيع ان ينكر الدور الكبير الذي يقوم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال نظره في بعض الكلمات والالفاظ والاساليب الشائعة وذلك بتحقيقه وضبطه لها واقراره لصحتها وتحديده لمجالات استعمالها الصحيح .

ويختتم الاستاذ فاروق شوشة كتابه بقوله : « يتطلب منا الوعي باسرار لغتنا الجميلة تمييز الفروق بين الوان التعبير المختلفة ، والتعرف على الموطن الصحيح لاستخدام كل كلمة ، وكل تعبير في كلامنا الفصيح » .

ولئن حرص المؤلف في تصنيفه للكتاب على ان يكون ممثلا للالوان المتعددة التي قدمها في برنامجه الاذاعي « لغتنا الجميلة » ، وان تظل المادة التي قدمها كما هي دون اضافة او اختصار لكي تظل محتفظة بتلقائيتها وبساطتها ، فانه في الوقت نفسه كان حريصا على ان يشير الى بعض المراجع والمصادر التي استعان بها حتى يمكن لمن شاء المزيد ان يرجع اليها .

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

والحق ، ان هذا الكتاب هو نافذة مفتوحة نطل منها على لغة الضاد ، لغتنا العربية ، بكل ما فيها من جمال وسحر واصالة ، وقيمة الكتاب تتجلى في الكشف عن مواطن الجمال في لغتنا ، كما تتجلى في تذوق هذا الجمال .

مصر الجديدة — عبد الرحمن طاهر شلش

●

بنات الهديل

مجموعة شعرية باللغة العامية ـ راجي عشقوتي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ مطبعة صادر بيروت

من مزايا راجي عشقوتي الكثيرة واحدة لعلها ابرزها جميعا . انها ميزة البساطة . والذين منا الفوا هذه الهالات الخارجية من كل نوع التي اعتاد الكثيرون من فنانينا هذه الايام ـ وربما في سائر الازمان ـ ان يحيطوا بها انفسهم ، يترددون اذ تقع ابصارهم على راجي كما ترددت في ان يصدقوا بانه شاعر . فلا زوائد او نواقص في قيافته على الاطلاق ، ولا طول او قصر في الشعر والشارب واللحية . ولا هو كاسد المتنبي في مشيته حتى كانه آس يجس عليلا . ولا هو ان تحدث تعمد الايهام في حديثه فاكثر من ذكر المعاناة مثلا ، والتجربة ، والوجودية ، والتمزق ، والصورة والرمز ، ناهيك بالجزالة والجرس والديباجة . ولكن راجي مع كل هذا ، او على الرغم من كل هذا شاعر . وقد فرض نفسه على عالم الشعر بثلاثة دواوين رابعها هو موضوع هذه الكلمة .

ان بساطة اعتمدها راجي عشقوتي في شخصه قد ابت الا ان تتسرب الى شعره ايضا . والذي اعنيه بتلك البساطة ليس فقط انه اختار اللغة اليومية متنفسا لاحاسيسه ومشاعره في جميع قصائد هذا الديوان ، بل ان جميع قصائد الديوان ايضا تدور حول البسيط البسيط من الاشياء حولنا التي لكثرة ما يراها الناس قل ان يروها . مثل هذه الاشياء « زيتوني » « شجرة الحي » « كانون جمر » «صياد» « بلا مربى » « شيطني » وغيرها من المهملات التي تطرق اليها شعر عشقوتي .

والذي يذكر للشاعر في قصائده البسيطة تلك انه استطاع في اكثر من واحدة منها ان يكون امينا لوظيفة الفن الكبرى التي هي المحك الاول والاخير لتقييمه . ووظيفة الفن الكبرى هذه هي ان يستطيع الفنان ، اذ يتصدى للبسيط والعادي والمبتذل في نفسه وفي الوجود من حوله ان ينفذ منه عبر فنه الى مدلولاته المصيرية والكونية والمطلقة.

ان نصور نملتين مثلا تقتتلان ، مهما بلغنا من دقة في تصويرهما ليس وظيفة الفن . اذ كل عين مبصرة في الوجود قادرة على ان تبصرهما وربما بصورة ادق . ووظيفة الفن هي ان نتمكن من النفاذ عبر الصورة التي نرسمها للنملتين المقتتلتين ، الى ملحمة الثنائية في الوجود الاعظم .

والذي يشفع للعدد الكبير من قصائد « بنات الهديل » التي تصدت للعادي والآني والبسيط ولم تستطع ان ترفعه عن عاديته وآنيته وبساطته ، ان طائفة قليلة اخرى من شقيقاتها قد تجسد فيها شيء من غرض الفن الاصيل . مثل هذه القصائد القليلة « انانية » ، « كانون جمر » ، « زيتوني » ، « وشجرة الحي » . ولعل هذه الاخيرة اجملها واصفاها :

« وين رحتي ؟ يا شجرة الحي
من قبل كيف كنتي ! ما احلاكي !
مزهري جنينة غرام وفي ،
وقلوبنا تزهر عملقا كي
من ثيابك مين عراكي
وما بقى فيكي ولا ورقة اليه ؟
ذبلو عيونك !
نشفو من المي !
وشو بكي زغرتي ؟
وهيك مثل الضايعة صرتي ؟
وكلك تغيرتي ؟
عمبسألك .. ما بتقدري تردي ؟
ما بدك تردي ؟
ومن هالسؤال المر شو بدي ؟ !
كلنا في هالدني شجرا
وفي لها ايام خير وشر
بتضحك باول عمرها خضرا
وبتشيب وبتصفر
وبيهر منها الريش
وبتموت حتى تعيش » .

لست من الذين يقيمون وزنا لهذا اللفظ الذي يسهم فيه الكثيرون في ايامنا حول الشعر العامي والشعر الفصيح وحول اي من اللغتين اجدر بهذا الفن . ففي اعتقادي انه ليس ثمة شعر عامي وشعر فصيح . بل هناك شعر اذا سف كان عاميا حتى في فصيحه واذا ارتقى كان فصيحا حتى في عاميته . فنحن نعرف عن شعراء كثيرين خلقوا لغتهم في حين اننا لا نعرف في تاريخ البشرية عن لغة خلقت شاعرا . واذا كان لا بد من قسمة للشعر الى نوعين فتلك القسمة لا تكون بين شعر عامي وشعر فصيح بل بين شعر فعل وشعر انفعال . اما شعر الانفعال فهو ذاك الذي يكون الشاعر فيه عبدا للعالم الخارجي ، ينفعل باشيائه فيحاول ان يعبر عن انفعاله . كان تستثير الشاعر امرأة جميلة او روضة غناء ، او ذكرى حبيبة او شلال هادر او غير ذلك من الامور المباشرة التي تلهب احساسه وتدفعه الى ان يقول فيها الشعر . ان شاعر الانفعال مهما اجاد واخلص في تصور انفعاله وتصويره يظل عبدا للاشياء ، كما يظل شعره على جودته ابدا دونها . ذلك لان السبب دائما اعظم من المسبب كما ان الله اعظم في عين المؤمن من الوجود الذي خلقه . وان نحن غربلنا شعرنا العربي قديمه وحديثه على هذا الاساس سقط منه الكثير الكثير .

اما شعر الفعل فهو ذاك الذي لا ينتظر الاشياء حتى تفعل فيه ليستوحيها . بل انه يتناولها ليوحي اليها وليضفي عليها من ذاته كيانا جديدا اوسع واشمل واعمق منها بما لا يقاس . انه شعر العمارات الفنية التي نلمسها عند القلة من شعراء العالم الذين منهم دانتي وشكسبير وامثالهما . فعلى الذين يريدون للعامية ان تصبح لغة الشعر ان يخلقوا منها اثرا شعريا من النوع الفاعل لا المنفعل .

لست ابغي القول ان راجي عشقوتي قد خلق في بنات الهديل مثل هذا الاثر . ولكني اعتبر ان قيمة هذا الديوان هي في ذلك العدد القليل بين قصائده التي اثبتت ان خلق مثل هذا الاثر بالعامية ليس بالامر المستحيل

نديم نعيمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقـولا يوسف

عبد اللطيف النشار الشاعر الطائب

بقلم نقولا يوسف

* * *

واخيرا كف قلم النشار عن الكتابة والنشر . وقد ظل زهاء ستين عاما يجول ويصول في ساحات الصحف والمجلات .. وتعطل اللسان المجلي في المنتديات والمقاهي والمجتمعات ، بعد ان ملأ الاوراق والاسماع بأبيات الشعر والمقالات ، والنقدات والمترجمات ، والاحاديث والذكريات، منذ ان توقف القلب الشيخ الفتي ، وصاحبه في طريقه الى صومعته المقفرة بضواحي القاهرة ـ مساء ٢٦ من فبراير (شباط) ١٩٧٢ .. ولم تزل يده ممسكة بالحقيبة العامرة بالصحائف المعدة للمطبعة ..

رحل شاعرنا الظريف شيخا في السابعة والسبعين ـ ولم يترك وراءه من حطام الدنيا ما يساوي فلسا ، وان كان قد خلف للمتأدبين ثروة من الآراء والتجاريب والتوجيهات والترانيم ـ منثورة ومنظومة ـ لم يعن هو ولا غيره بحصرها وجمعها ، فبقيت بعده مطوية في صدور الصحف تترقب البعث والنشور ..

ولد الشاعر الكاتب عبد اللطيف النشار بدمياط عام ١٨٩٥ (كما ذكر لنا ، وقبيل ذلك كما يظن البعض) من ابوين سكن اسلافهما هذه المدينة منذ بضعة اجيال وعلى شواطئها قضى طفولته . فلما انتقل منها في صباه مع والديه الى الاسكندرية ليستوطنها معظم العمر ، حمل معه انطباعات البيئة الاولى وخواصها ، والموروثات الاسرية وتقاليدها . وكان بعض افراد هذه الاسرة من شيوخ الدين ، والبعض من الادباء والشعراء ، كما كان منهم التجار والموظفون من الطبقة الوسطى المثقفة ..

وورث عبد اللطيف ملكة الشعر عن أبيه وجده فكان والده « خمدي النشار » ـ (١٨٧٣ ـ ١٩٢٣) شاعرا له ديوان مطبوع سماه : « ثمرات الافكار » ، وله المقالات الادبية والاجتماعية في صحف عصره .. كما كان جده « الشيخ محمد علي النشار » ، المدرس بالمعاهد الدينية ينظم الشعر ويحفظه .. وقد تأثر عبد اللطيف والده في ريادته للنظم السلس الجزل ، والنثر الواضح الفكرة والاسلوب .. وكذلك ورث قوة الايمان والزهد في الدنيويات عن اجداده شيوخ الدين وعلمائه . وان لم يشتغل بالعلوم والابحاث الدينية ، وظل طيلة حياته الشاعر الفنان الذي امتزجت الشاعرية والروحانية ، وتصارعت العاطفة والعقل في نفسه ..

ارتحل شاعرنا الى مقره الجديد حينما نقل والده الى وظيفة كتابية بمحكمة الاسكندرية . وهناك تلقى تعليمه الابتدائي ، ثم توظف كاتبه بمحكمة الاسكندرية الاهلية ، واعتمد في معيشته المادية على مرتبه الشهري من هذه الوظيفة حتى سن التقاعد ، وعلى القليل من اجر كتاباته ومترجماته في الصحف .. وتزوج عام ١٩٢٢ وانجب كريمته التي عنى بتعليمها حتى تخرجت في كلية الآداب ثم تزوجت وتنقلت بين القارات .. وسبقته قرينته في شيخوخته الى دار البقاء فعاش سنيه الاخيرة وحيدا ..

وفي الاسكندرية وجد النشار مجالا فسيحا للتثقف الذاتي ، واقبل على مطالعة الكتب والصحف والمجلات المتوفرة حوله ، وشغف بشتى فروع المعرفة . ودرس اللغة الانجليزية وقرأ فيها الكثير من الادب الانجليزي والآداب العالمية ، وترجم من روائعها الى العربية عددا وافرا من الروايات والاقاصيص والقصائد ..

ثم صاحب الكثيرين من ادباء هذه المدينة وتردد على مجالسهم ، وشق طريقه الى دور الصحافة حيث لقي قلمه كل ترحيب .. وكانت اولى تلك الجماعات السكندرية التي خالطها النشار في فجر شبابه وتركت أثرا في ادبه ، الجماعة التي اطلق عليها : « شعراء الشلال » اذ كانت تعقد ندواتها ، ايام الحرب العالمية الاولى في « حدائق الشلالات » المعروفة في الاسكندرية بهذا الاسم الى اليوم . فهناك قنوات تنحدر مياهها من مرتفعات صغيرة على شكل شلالات .. وكان لاحد هؤلاء الشعراء « عثمان حلمي » الشاب الموظف بالبلدية كوخ في طرف الحديقة للاشراف عليها ، فاتخذت جماعتنا هذا الكوخ منتدى ادبيا تجتمع فيه ، وتنتقل منه في بعض الامسيات الى مقاهي « الميناء الشرقي » .. وكثيرا ما تلتف حول الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري ، فمن افرادها من تتلمذ عليه بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية ، منذ ان عاد من بعثته بانجلترة عام ١٩١٢ وعين مدرسا بها ، وجميعهم من المعجبين بشعره المنشور في الصحف والدواوين ، وبآرائه في الشعر والشعراء ، وهم يعرضون عليه منظوماتهم ، ويستمعون الى نقداته وتوجيهاته ، وهم بعد ذلك ينظمون فيه المدائح فيبادلهم التحية بأحسن منها ..

كان « شعراء الشلال » هؤلاء ـ وجميعهم من الشباب المتقارب السن هم: عثمان حلمي (١٨٩٤ـ١٩٦٢) وعبد اللطيف النشار (١٨٩٥ـ ١٩٧٢) وحسن فهمي (١٨٩٥ ـ ١٩٣٠) وزكريا جزارين (١٨٩٧ ـ ١٩٥٥) وعبد الحميد السنوسي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) ومحمد مفيد الشوباشي (١٨٩٩) وعبد الحكيم الجهني (١٩٠٠) وقد رحلوا جميعا الى دار البقاء ما خلا الصديقين الاخيرين ، وخلف كل منهم ديوانا شعريا مطبوعا او مخطوطا ..

بينما كان هناك عدد آخر من ادباء الاسكندرية ـ شعراء وكتاب ـ عاشرهم النشار طوال حياتهم وسعد بصداقتهم وادبهم ومنهم المرحومون: خليل شيبوب ، وشقيقه صديق شيبوب ، وعبد الحميد سالم ، وبيرم التونسي ، ومحمد فضل اسماعيل ... غير من عرفهم من شيوخ الادب وشبابه خارج الثغر ..

وقد جمع بين « شعراء الشلال » تعلقهم بالادب العربي والآداب العالمية قديمها وحديثها ، وتطلعهم الى الحرية والجمال والتجديد ، وشعور الفرد بذاتيته بعد ان قويت فيهم النزعة الشخصية التي سرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع نمو الطبقة المتوسطة المثقفة ، المعتزة بنفسها .. ثم المامهم باللغة الانجليزية التي وجدوا فيها ضالتهم من الوان الادب العالمي المترجم اليها ، ومن الادب الانجليزي ـ شعره وقصصه ومسرحياته ـ متنقلين بين الرومانسية والواقعية تنقلهم بين القديم والجديد ..

وهكذا اتجه النشار وزملاؤه الى التجديد والابتكار في الشعر واغراضه ، والى نظم الشعر المعبر عن خلجات النفس والتجارب الذاتية ، وقل اهتمامهم بشعر المناسبات والمحافل والموضوعات التقليدية المطروقة .. وبدأوا ينشرون قصائدهم في الصحف والمجلات مما ضمه فيما بعد عدد من دواوينهم ..

وفي اوائل العشرينيات انضم عبد اللطيف النشار الى اسرة « وادي النيل » الجريدة اليومية المسائية المعروفة محررا بها خارج وظيفته بالمحكمة .. وكان يصدرها بالاسكندرية الصحفي محمد الكلزة فيما بين مايو ١٩٠٨ ونهاية ١٩٣٦ معاصرة امتداد حركة مصطفى كامل الوطنية ، فاحداث الحرب العالمية الاولى ومعاهدات السلام ، فثورة ١٩١٩ المصرية وما اعقبها من تقلبات سياسية بمصر والشرق .. ومسايرة ايضا الحركة الادبية العربية خلال ربع قرن ونيف من حياة الجريدة .. وقد أيدت اول عهدها مبادىء مصطفى كامل والحزب الوطني ، ثم ناصرت « الوفد » وسعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ وتعرضت غير مرة للانذار والتعطيل بسبب حملاتها ونقداتها السياسية . وعطلت مرة احد عشر شهرا حينما تولى رئاسة تحريرها الكاتبان محمد توفيق دياب ومحمود عزمي وهاجما وزارة محمد محمود.. وافسحت الجريدة صدرها لاقلام الادباء الهواة مع المحترفين فنشروا بها المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، والشعر والقصة والنقد ، مما لم يزل مدخرا في مجلداتها للنقاد والمؤرخين ..

ونرى النشار وسط تلك التيارات السياسية والاجتماعية والادبية ، مؤيدا دائما الثورات التحررية والنهضات الاجتماعية ، داعيا الى الاصلاح والتجديد والتقدم ، مناصرا الحق والعدالة ، وتحرير الوطن والفكر ..

وفي دار « وادي النيل » زامل النشار من كتابها في فترات مختلفة : محمد الهيباوي ، وعبد الحميد السنوسي ، ومفيد الشوباشي ، وعبد الحكيم الجهني ، وعبد الحميد سالم ، واحمد حسين ، وفتحي رضوان ، ويحيى حقي ، واحمد عبد الغفار ، وتوفيق دياب ، ومحمود عزمي ..

وفي الاسكندرية كان يعاصر « وادي النيل » عدد وافر من الصحف والمجلات العربية من كل حجم وصنف وعلى صفحاتها تتمرس الاقلام بالكتابة ، وفي حجراتها تدور المناقشات والمساجلات ، وفي مقدمة تلك الصحف : جريدة « الاهالي » اليومية التي اصدرها عبد القادر حمزة فيما بين ١٩١٠ و ١٩٢١ ثم نقلها الى القاهرة ، وكان من محرريها في بعض الفترات : عباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، وابراهيم المازني ، وبيرم التونسي ، وعبد الحكيم الجهني ، ومحمد ابو العز ... ثم جريدة « البصير » اليومية (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤) لاصحابها آل شميل ، وكتبت بها عشرات الاقلام .. غير ان النشار وقف عمله الصحفي على « وادي النيل » حتى احتجبت (في آخر يوم من عام ١٩٣٦) وان لم يقصر شعره على صحيفة او مجلة واحدة بالاسكندرية وخارجها .. وكان صديقا للجميع قلما يناوش بدعاباته المنظومة غير من يهاجمه وكثيرا ما كان يحلو لزملائه مداعبته او مغاضبته ..

وبدأ النشار علاقته بوادي النيل اولا على اساس ان يترجم لها عن الانجليزية بعض الروايات المشهورة تنشر مسلسلة في الجريدة وعلى ان يمدها من حين لآخر ببعض البحوث الادبية ، كان منها ما كتبه اسبوعيا تحت عنوان : « حديث الثلاثاء » تناول فيه الوانا من النقد الادبي والتحليلي للادب العربي قديمه وحديثه . وكان في نقده للشعر العربي القديم رائدا . من ذلك على سبيل المثال قوله ان في دراسة الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى ما يكشف عن العلاقات الاجتماعية بجزيرة العرب في ذلك الزمن ، وانه في شعره عن حرب السباق ، ومساعي البعض في سبيل الصلح فيها ، وعن الحرب والهدنة ، وما يحظر وما يباح في احوال الحرب ، ومنها حربات النساء ، ما يشير الى آداب في المجتمع الجاهلي خلال الحرب ، وما يشبه قوانين الحرب والسلم الدولية ..

والواقع اذا جمعت هذه الفصول لكونت مؤلفا نقديا قيما . كما يمكن جمع مقالاته الاخرى المتفرقة في مجلدات « وادي النيل » وغيرها من الصحف والمجلات ، لتكون كتبا ادبية شتى ..

وكان مما ترجمه النشار من الروايات المسلسلة بصحيفة « وادي النيل » ، « كوخ العم توم » للكاتبة ستاو ، وعدد من قصص تولستوي وديستوفسكي ثم ريدار هجارد وهول كين ... وغيرهم ..

وفي تلك الفترة التي بدأ فيها النشار حياته الصحفية ، بدأت معها ايضا تلك السلسلة الطويلة من الطرائف التي اتصلت بحياته كلها ، وكان يتندر بها اصحابه ومنها انه كان يوقع على ما يلخصه او يعلق عليه للجريدة من اقوال الصحف الانجليزية بعبارة : « لمراسلنا في لندن » في حين كان زميله المرحوم عبد الحميد سالم يوقع على ترجماته عن الصحف الفرنسية : « لمراسلنا في باريس » !..

ثم كان النشار يتخذ من قهوة صغيرة بأحد دروب الاسكندرية منتدى يساهر فيه اخصاءه وندماءه . واطلق على هذا المقهى « كوخ العم توم » وهو عنوان الرواية المشهورة التي وضعتها في القرن التاسع عشر الكاتبة « ستاو » عن قضية الزنوج والرق باميركا ، وترجمها النشار الى العربية كما سلف . وذاع هذا الاسم بين ادباء الثغر ، كما شاع ما يصدر هناك عن النشار من مرتجلات منظومة ، ودعابات ساخرة ، ومساجلات مع الشعراء كان يرفه بها عن نفسه وعن جلسائه ـ وقل ما نشر منها ـ مستخفا بما يصيبه من الناس من صدمات ..

ثم كان التندر بـ « حقيبة النشار » العتيقة التي كان يحملها بيده الى كل مكان ، محتوية على اصناف الصحف والمجلات والكتب العربية والانجليزية ، ورزم الورق ، واقلام الحبر وزجاجاته وادوات اصلاحها .. فاطلق رفاقه على حقيبته ، وعلى مكتبه بالجريدة وهو يماثلها في الفوضى : « شادر النشار » !..

وفناننا بعد هذا لا يعنى بملبسه ولا بمأكله ، ولا بفلوسه ولا بنظام معيشته بعامة ، منصرفا بكليته الى مطالعاته وكتاباته وتأملاته .. ومن امثلة التحدي انه في فجر شبابه مرض بحمى هددت حياته ، فكان صديقه الشاعر عثمان حلمي يعوده كل يوم ومعه طاقة من الورد . قال النشار بعد شفائه انه لم ينج من هذا المرض الا بفضل هذا الود وذاك الورد فقد بثا فيه الامل وحب الحياة .. غير ان طبيبه حذره من انه خرج مهددا في قلبه ، وانه سوف يموت بالسكتة القلبية في اية ساعة !. وتمرد النشار على الحياة ، وظل يمارس اخشن الوان العيش، حتى اشرف على الثمانين من عمره ، وبينما كان عائدا الى بيته في تلك الليلة (٢٦ فبراير ١٩٧٢) سقط في الطريق متوفيا بالسكتة القلبية ، ولم يعرفه احد غير كواء تصادف مسيره هناك وقتئذ ، فابلغ الامر الى صديق له ..

وعندما نقل النشار قلمه الى جريدة « السفير » (التي انشأها بالاسكندرية المرحوم عبد الرحمن شرف عام ١٩٢٤ ولم تزل تصدر بعده الى الساعة) ، لم ينقطع عن مكاتبتها ومراسلتها الى آخر ايام حياته .. وفيها نشر بضع مئات من المقالات والنقدات والنبذ والذكريات ، وابيات الشعر ، وسلسلة من الاحاديث بعنوان : « سكندريات » تدور حول مسائل وتعليقات ثقافية واجتماعية وعمرانية من وحي الاسكندرية .. ثم ملاحظاته السياحية وبخاصة عن رحلته الاخيرة الى انجلترة واقامته بلندن اكثر من ستة اشهر .. وبعض هذه الكتابات بلا توقيع ، واكثرها باسمه كاملا .. وكلها في اسلوب سلس واضح صريح ، تتخلل عباراته آراء سديدة ، وسخرية احيانا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما انتقل الى القاهرة عقب « الاحالة الى المعاش » ، واتخذها مقرا الى يوم وفاته اخذ يترجم عن الانجليزية عشرات الاقاصيص الهندية لمجلة « صوت الشرق » الشهرية بالقاهرة الى جانب كتابة بعض النقدات والمقطوعات الشعرية بهذه المجلة وبغيرها ..

وكان اوج نشاط النشار الادبي ـ فيما يبدو ـ خلال الثلاثينيات ففي عام ١٩٣١ صدرت له مجموعة شعرية بعنوان « جنة فرعون » . ثم اعيد طبعها مع مجموعة اخرى سماها « نار موسى » وظهرت المجموعتان في مجلد واحد عام ١٩٣٣ وقدمهما صديقاه الشاعر خليل شيبوب والكاتب صديق شيبوب .. ومنذ عام ١٩٣٢ كان النشار عضوا عاملا في الجماعة الادبية التي انشاها عامذاك بالاسكندرية عدد من ادبائها العرب من كتاب وشعراء وصحافيين ومن مختلف المهن والوظائف والطبقات ، تجمع بينهم الميول الادبية ، وسموها « جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية » ، واختاروا خليل شيبوب اول رئيس لها ، وعبد اللطيف النشار وكيلا لها .. وظلت عاملة حوالي ثلاثين سنة ، قامت خلالها بنشاط ثقافي متعدد الجوانب ، فاقامت المهرجانات والمحاضرات والندوات ، وحفلات التأبين والتكريم ، وعاونت على طبع مؤلفات ودواوين اعضائها ، وانشأت مدرسة مسائية شعبية يتناوب فيها الاعضاء تدريس التاريخ ، والادبين العربي والفرنسي ، والمواد الاجتماعية والعلمية .. ودعت عددا من مشاهير الادباء من شتى الاقاليم للمحاضرة .. وكان من مهرجاناتها التذكارية على مر السنين ، ما اقيم لابن خلدون ، واحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، ثم لخليل شيبوب ، وعبد الرحمن شكري ، وعثمان حلمي ، وصديق شيبوب وغيرهم عقب وفاتهم .. ثم اقامت عام ١٩٦٢ مهرجانا تذكاريا لمرور ثلاثين عاما على تأسيسها ، وذلك بمدرج كلية الآداب بالثغر .. ونرى النشار يشارك في نشاط هذه الجماعة طوال حياته بالمحاضرة والقاء القصائد والتدريس والمناقشة في الندوات .. كما رأيناه بعد ذلك في مهرجانات الشعر الكبرى التي عقدت بالاسكندرية وفي محافل القاهرة ..

وفي الثلاثينيات ايضا نرى النشار سكرتيرا « لنادي الشباب المصري » عام ١٩٣٣ ومسهما في « ديوان الاسكندرية » الذي طبعه علي البحراوي عام ١٩٣٥ وبه مختارات من قصائد ثلاثة عشر شاعرا سكندريا بينهم النشار .. وعندما ينقل الشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي نشاطه الثقافي الى الاسكندرية بين عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٤٦ (عام هجرته الى اميركا) ومعه مطبعته « التعاون » وينشىء مجلاته : « ادبي » و « الامام » و « مملكة النحل » ، ويكون « رابطة اللوتس » و « جماعة الادب المصري » ، ويحرك الجو الثقافي هناك ، ويجمع حوله الادباء الشباب ، نجد النشار يدور يوما في فلك هذه الحركة ، ويوما في افلاك اخرى ..

النشار الشاعر

ولد عبد اللطيف النشار ، وفي قرارة نفسه موهبة الشعر والفن نمت معه تغذيها عوامل الوراثة والبيئة ، ثم تجاريب الحياة واحداثها ، فالمطالعات والمبادلات الفكرية .. وانعكست هذه الملكة الشعرية على منظوماته ومنثوراته ، وعلى تصرفاته في حياته الخاصة والعامة . وقد تراه مجردا قلمه في الميادين الصحفية ، معالجا شتى الموضوعات الفكرية والاجتماعية ، والقومية والسياسية او منهمكا في ترجمة القصص والروايات الى العربية ثم لا يلبث ان يعود الى طبيعته الاولى الشعرية الفنية فهو الشاعر الفنان اولا واخيرا ..

وكانت هذه الشاعرية في البدء وجدانية عاطفية ، وكان شاعرنا يتغنى بمشاهداته وتجاربه واحاسيسه الذاتية .. ثم ينجذب الى موروثاته الدينية فينحو الى الايمان والتفاؤل ، والقناعة بما قدر له من حظ ، فاذا تمرد على حظه راح يسخر من نفسه وممن حوله في منظومات لا يذاع اكثرها ، ويتناقلها اصحابه متفكهين .. وفي كل ما ينظم النشار من شعر وجداني او تأملي او قومي ، لا يخرج لفظا ومعنى والغموض والتكلف والصنعة ..

وفي العشرينيات كان ينشر شعره في مجلات : « الملاجيء العباسية» بالاسكندرية ، وفي الهلال ، والسياسة الاسبوعية ، والبلاغ الاسبوعي، والاهرام ، ووادي النيل .. وكثر انتاجه في الثلاثينيات وتفرق في الصحف ، ورأينا بعضه في « المجلة الجديدة » لسلامة موسى (مثل « الحياة في الريف » يوليه ١٩٣١ ، وانشودة « صياح الديك » للاطفال مايو ١٩٣٩) .. وفي مجلة « ابولو » لابي شادي ، منه شعر مترجم عن الانجليزية .. وفي « ديوان الاسكندرية » المحتوي على نخب من قصائد شعرائها ١٩٣٥ .

وفي ١٩٣١ ظهرت مجموعته « جنة فرعون » ـ ثم ضمت الى مجموعته : « نار موسى » وظهرا معا عام ١٩٣٣ ـ وقدمهما خليل شيبوب وصديق شيبوب ، وتناولهما الكتاب بالنقد ، واثنى عليهما الاستاذ العقاد بجريدة « الجهاد » .. ونشرت مجلة « ابولو » (في عدد سبتمبر ١٩٣٣) نقدا لاحد الادباء جاء به :

« عبد اللطيف النشار شاعر وابن شاعر . قرأنا له طرفا من شعره المجيد في مناسبات شتى .. وعندي ان النشار من زمرة الشعراء المفكرين الذين قلما يبالون بالاساليب . وهو ذاتي النزعة ، يميل الى القدسيات أحيانا ، بحنين من يسأم الحضارة . ذو شخصية مستقلة غالبا ومقلدة تارة . وهو على ما يلوح لي معتد بنفسه كثيرا . ونتيجة ذلك سمو تعبيره او سماحته وبساطته مرة ، واسفافه وتفككه مرات ، لقلة مبالاته .. ولكن لشاعرنا فضيلة الاستقلال الذي هو قرين الشخصية . وفي الواقع لا يمكنني ان افهم بروز شاعر لا شخصية له . فبينما تقرأ للنشار من شعره الغني قصائد : ملل ، وفجر الامل ، والكتب ، ويوم من حياتي ، وقمح يوسف ، وهاروت ، ونفوس العظماء ، وشروط الشمس بين المقابر ، والحسن المدخر.. بينما تقرأ مثل هذا الشعر الجميل للنشار ـ الجميل حقا ، روحا ومعنى ولفظا ـ وان لم اقل ابتكارا ـ تجد هذا الديوان زاخرا بشعر كثير مفكك لا نرى تفسيرا لوجوده الا اهمال النشار وعدم مبالاته بتجديد نظمه وربما كان لمزاولة النشار اعمال الجرائد بعض التأثير في اسلوبه .. ومن شعر النشار جانب منه ولكنه محدود .. والنشار كالعقاد من الشعراء المستوعبين . ولكنه حين ينظم يعبر عادة عن نفسه . وهذه فضيلة منشودة . وقلما يكون مقلدا . ولا اعيب شعره لا بتوارد الخواطر ولا بتداعيها ، فحسبي منه الصدق في التعبير » ..

ولم ينقطع شاعرنا عن النظم الى آخر ايام حياته ، مما يضم ديوانا كبيرا (لم يجمع بعد) ـ به شكول من القصائد الوجدانية ، والتأملية ، والقومية ، والثورية ، والوصفية .. ثم مقطوعات شتى في الرثاء والمدح .. والمناسبات والمداعبات والسخرية ـ وتمتاز جميعا ـ كما سلف القول ـ بالسلاسة والسهولة ، وبرقة اللفظ ، والبعد عن التكلف والصنعة والغموض والتعقيد ..

ومن بواكير شعره قوله :

صلاتي لربي نظم شعري فانني ... بذلك اجلو ما حبا من مواهب
بآيته في صنع نفسي وعونه ... اكشف عن آي له وعجائب
وما تكشف الاسرار الا لشاعر ... شغوف باصدار لها وعواقب
الا يا منى نفسي لاية غاية ... أطيل الى المجهول لحظ مراقب
فاما بدا لي منه ومض تبعته ... لادرك منه جانبا بعد جانب
كانني باظهار الخفي موكل ... فما تصبيني واضحات المطالب
ولو خلت الدنيا من الشعر ما بدت ... قلامة ظفر من جميل وصائب

ومن شعره التاملي قوله في « السعادة » :

وصف السعادة واصفون فاسرفوا ... وأرى الامين على الحقائق يبخل
قالوا السعادة في القناعة ـ حبذا ... لو لم تلح مطالب لا تفعل
ليس السعادة فعل شيء تشتهي ... ان السعادة حب شيء تفعل
صح اختيار المرء حين اختاره ... عملا عليه بالجوانح يقبل

صدقت ارادة مستقل حازم ... يسرى فلا يشكو ولا يتململ
ما اكثر الشاكين هان مصابهم ... لكنهم طلبوا الاسى وتعجلوا
أولى الامور بأن يطول تأمل ... في كنهه ما يفعل المتأمل
كل يفكر مفردا في نفسه ... ان الشقي عليه باب يقفل
اطلق سراحك في الحياة واهلها ... فالصعب في الدنيا الفسيحة يسهل
انا لا اقول (انا) وانسى امتي ... في غير دائرتي وجود اجمل
ليس السعادة في مجاهل كوكب ... ناء فمنهجها القريب مذلل

وظل النشار يشارك بشعره في الاحداث القومية والعالمية، منتصرا دائما للحق والحرية والعدالة .. ومنذ عام ١٩٥١ ظهر له بمجلة « الرسالة » بالقاهرة عدة قصائد قومية منها ما يحمل هذه العناوين : « الشعور المكبوت » .« نسف قرية » « الفدائي » « العلمين » .. كما نشر له بصحيفة « اخبار دمياط » ـ ١٩٦٢ ـ بعض قصائد تحت عنوان : « ملحمة الثورة في عشر سنوات » ، منها مطولة عن « معركة القناة وبورسعيد » ، واخرى عن « السد العالي » ..

وفي مطلع قصيدة « العلمين » يقول :

علمان في « العلمين » يقتتلان ... يا مصر ما العلمين ما العلمان
لا ابتغي غيظ النحاة ولم امل ... للاين اذ يرضى النحاة الآن
قل مخطئا واسمع مقالة مخطىء ... لا يحسن التصويب كل اوان

والى جانب تلك الالوف المؤلفة من الابيات التي كان ينظمها النشار في مختلف اغراض الشعر والوانه ، وينشرها في المناسبات ، ويلقيها في المحافل والمهرجانات ، فقد كان يرتجل متى شاء في مجالسه الخاصة الكثير من المنظومات الساخرة ، ومن امثلة هذا الفيض الوافر قوله :

الا اقصر عن الشعر ... فشرط الشاعر الجهل
يتابع كل خالجة ... فليس لرايه ظل
ويسبيه الخيال فلا ... غرابة فيه اذ يغلو
قصارى ما يرجيه ... مقال الناس : يا فحل
ودع الله يا شعري ... أودع ثم لن اسلو

ويرد على الشعراء الذين يهجونه مداعبين ومنهم صديقه القديم عثمان حلمي :

صحافة الجنة قد اجمعت ... على انتدابي مخبرا في الجحيم
فقلت : لا بأس ، فلي عندها ... أهل مودات وعهد قديم :
« عثمان » فيها راكبا رأسه ... ما زال يهجوني بشعر سقيم
وكل من اعرفهم في الدنا ... من ساهر او سامر او نديم
صحافة الجنة اني هنا ... فانتظري اخبار أهل الجحيم

وعلم ان المرحوم دكتور زكي مبارك تحدث عن الجانب الفكاهي من شعر النشار ، من اذاعة بغداد ، وذكر ان للنشار اسلوبا خاصا لا يجرح وان كان يؤلم ، فكان تعليقه دعابة اخرى ضمنها مناوشة صديقه الشاعر د. زكي ابو شادي :

أيهتف باسمي من منابر بغداد ... أأذكر من اقصى المدائن في «الراد»
لعمري لقد اصبحت صوتا لهصدى ... وقدكنتاخشى ان اكون«ابا شادى»

وعن وظيفته في المحكمة يقول :

ثلاثون عاما في المحاكم افسدت ... بياني فاصبحت الغبي المغفلا !

وعلم ان الوزير « خشبة باشا » يستدعيه لامر لم يعجبه فارسل اليه :

وكل ما قابل النشار ينشره ... فاحذر مقابلة النشار يا خشبه !

ويتحدى ناقديه متهكما :

سأصيح من فوق المآذن معلنا ... اني و« جبرة» نلعب « الكنكانا »
الناس تلعن في الصباح اباهم ... والناس تلعن في المساء أبانا

الى آخر تلك الطرائف التي يصعب حصرها ، ولم ينشر اكثرها، ووضعها شاعرنا على هامش شعره الرفيع ، يبددها في الهواء مع دخان سيجارته ..

الكاتب الصحفي

وكان النشار كاتبا ناثرا كما كان شاعرا ناظما وكتاباته المنشورة غير المترجمة اوفر من منظوماته واكثر تنوعا .. فلطالما شارك بقلمه في احداث بلاده وهموم عصره الفكرية والاجتماعية والسياسية . ونشر في الصحف والمجلات كبيرها وصغيرها شتى الدراسات الادبية والنقدية ، والمقالات القومية والاجتماعية ، والتعليقات على الحوادث العالمية ، والكثير من ذكرياته ومشاهداته في رحلاته ، وآرائه في الكتاب والمؤلفات، مما يمكن جمعه وتنسيقه في مجلدات تفيد قراءها وتعين النقاد على تقويمها ..

وبين هذه الآثار النثرية احاديثه المسلسلة بجريدة « وادي النيل» ومنها « حديث الثلاثاء » الذي تناول فيه الوانا من النقد الادبي والتحليلي للادب العربي القديم والحديث .. ومقالاته بمجلة «الرسالة» ومنها ما يحاكي فيه أبا الفرج الاصفهاني على نمط عصري .. ثم كلماته في جريدة « السفير » اليومية السكندرية ، وبعضها بعنوان : « سكندريات » والبعض عن رحلته عام ١٩٦٨ الى انجلتره واقامته بلندن نحو سبعة اشهر دارسا متحدثا الى أهل الادب وارباب الصحف. والطرائف تتبعه كعادته فقد انتخبه بعض صحابه الانجليز هناك رئيسا لنادي العزاب !.

وهو في كل ما يكتب ، كما لو كان يتحدث الى رفقته ، صريح الراي ، واضح الفكرة ، لا يتانق ولا يزخرف ، ولا يبهم ولا يسهب ..

المترجم

ولقد زود النشار المكتبة العربية بعدد وافر من القصص والروايات العالمية التي ترجمها من الانجليزية الى العربية ، وكان ينشر الكثير منها مسلسلة في صحف وادي النيل ، والبلاغ والسياسة ومجلة « الرواية » .. كما ترجم الكثير من الاقاصيص منها ما نشر بمجلة « صوت الشرق » بالقاهرة حيث نقل الى العربية عشرات من القصص الهندية الحديثة ..

ومما ترجم من الروايات : « الشقيقتان » لجورج ايبرز ، و « هيباتيا » لتشارلز كنجزلي ، و « الاسكندر » لارمسترونج ـ وقد نشر هذه الرواية الاخيرة بجريدة وادي النيل عام ١٩٣٠ وطبعت في كتاب عام ١٩٣٤ ـ وذكر في مقدمتها عامدا انه في سبيل ترجمة كل ما يدور حول تاريخ الاسكندرية منذ القديم في الكتب القصصية ، امثال تلك الروايات الثلاث « لاعتقادي ان الاثر الذي يطبعه التاريخ القصصي الامين أوكد من اثر التاريخ وبخاصة في نفوس الشبان ، وبخاصة ايضا فيما يتعلق بالعهود القديمة والشخصيات القديمة ، ذلك لان بعض الحقائق يفتقدها المؤرخ فلا يستطيع سد ثغرها وتكملة نقصها ، ولكن الفنان يستطيع هذه التكملة بما يمليه عليه خياله الصادق » ...

وفي « سلسلة كتب الاسكندرية » هذه ترجم النشار ايضا كتاب « حوادث الاسكندرية في الثورة العرابية » ، بحث تاريخي في اسلوب قصصي للكاتب الانجليزي هـ. ج. هنتي .

وترجم النشار ايضا خارج هذه السلسلة من الروايات : « كوخ العم توم » لهاريت ستاو ، وانا كرنين لتولستوي ، ونوتردام دي باري لهوجو ، وبعض قصص دستوفسكي ، وريدار هاجارد ، وهول كين ..

وترجم مجموعتين من اقاصيص شاعر الهند تاجور : خالتي وقصص اخرى ، ووكيل البريد وقصص اخرى .. كما ترجم « حاج بابا الاصفهاني » و « وحاج بابا من لندن » وكذلك مسرحيات قصيرة للطلبة منها : « خريستوف كولمب » و « دون كيشوت » و « تحتمس الثالث » .. وعددا من الروايات المقررة على الطلاب ، منها : آمال عظيمة ، وروبرت هنشو ، والفرسان الثلاثة ، وسيد فرنسي ، ومدام كوري..

ثم ترجم بعض الشعر الانجليزي والعالمي نظما الى العربية ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

شعاع بلادي

أحق بلادي أم الشعاع ؟ ... ألا يضحك الشمس هذا الخبر
شعاعك يا شمس لون بلادي ... على كل شيء بها قد ظهر
صباغ السحاب ووشي الیباب ... وتبر التراب وعطر الثمر
من الغصن نقطف صوغ الشموس ... وفي الماء نشرب ذوب القمر
أحب شعاع بلادي الرقيق ... قبيل المغيب وبعد السحر
وأهفو له من حنايا السفوح ... مطلا وفوق ضفاف النهر
واسمع في الماء ألحانه ... واقرأ اوراقه في الشجر
واجمع من سحر ابداعه ... الى مكتبي باقة من زهر
وان غاب عني وراء الغمام ... وخلف سجوف الظلام استتر
تمليته مشرقا في شعوري ... ضحوكا ببيتي ملء الحجر
كأني بقلبي خبأت سناه ... فان غاب عني من القلب ذر

وأما الشعاع الذي يزعمون شعاع النبوغ الجليل الخطر
شعاع الذكاء المضيء سناه ... على نفسه لا النفوس الأخر
فذلك ما ليس عيني تراه ... كأني عنه قصير النظر
بلادي رجراجة في سناه ... تدب وتهوى ولا مستقر
ينكرها وهجه في العيون ... خلوبا لعوبا بضوء البصر
متى سوف يرزن هذا الشعاع ... ويهدأ من بعد كر وفر
لابصر لون بلادي الاصيل ... ووجه التراب وشكل الحجر

عجبت لمفتخر فيّ بلادي ... بصنع حروف الهجاء أفتخر
اذا نحن تهنا بسبك الحروف ... يتيه سوانا بسكب الفكر
وما تفخر الكاس بالصانعيها ... ولكن بمن صب او من عصر

بلادي الى الحب في حاجة ... وهذا لعمري الشعاع الاغر
شعاع يضيء جمال بلادي ... لكل غريب اليها نظر
اذا أنت ابصرته في الشفاه ... أضاء وفوق الوجوه استعر
ولاح لعينيك ملء العيون ... وملء القلوب وملء الفكر
وأبصرته في دروب الحياة ... بكل مضيق وكل ممر
وسرت مع الناس في ضوئه ... واعطيت خيرا فلم تلق شر
وطالعته مشرقا في كتاب ... غني الحروف مليء الفقر
وراعك ايماضه في قصيد ... سنى الخيال جلي الصور
فقل عن بلادك أم الشعاع ... ومن كان أنكر هذا ، أقر

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حقائق واوهام في النقد الادبي

بقلم روز غريب

* * *

هناك من يعتقدون ان النقد موضوع قد يستغني عنه الاديب والفنان وربما استغنى عنه القارىء . لان للاولين من الذوق والاحساس الفني ما يغنيهما عن النقد . كذلك القارىء قد يستهدي بذوقه ويكتفي بالتذوق الشعوري والمتعة الخالصة التي لا تحتاج الى اعمال الفكر .

لكن الذوق والتذوق ، ما هما ؟ أليسا حصيلة ثقافة فنية ، واعية او لاواعية ، يتلقاها الفنان والقارىء منذ انفتاح عينيه على ما حوله ، فاذا هي نماذج واصول ومثل وقيم تجتمع في ذهنه تدريجا ، تؤلف ذخيرة ومرجعا يعينه على التذوق الصحيح ، معتمدا على المقارنة والمقايسة والاستلهام وكل ما يؤلف لديه نواة الحكم والنقد .

ليس النقد سوى تذوق عميق ، متعدد المناحي ، يحول صاحبه الى فنان لانه ، نظير الفنان ، يستطيع ان يرى في الصنيع الفني ميزات وخصائص لا يراها كل انسان ، في حين ان الفنان يرى في الطبيعة وفي الواقع اشياء ومزايا لا يراها غيره . فالنقد كالفن ريادة واكتشاف .

النقد وجد منذ وجد الفن ، لازمه وكان اتبع له من ظله والبرهان على اهمية النقد هذا التراث النقدي الضخم الذي حفظته الاجيال عند جميع الشعوب العريقة في حضارتها وهذه الآثار النقدية الخالدة التي تركها عباقرة عالميون امثال افلاطون وارسطو ولونجينوس وهوراس من الصور الكلاسيكية ، و « كانت » وهجل وديدرو وكروتشي وسانت بوف وايليوت وسواهم من العصور الحديثة .

ارتبط النقد خلال تاريخه الطويل بقواعد ونظريات حاول اصحابها ان يفرضوها على الفنانين والادباء لانهم وجدوا فيها مصادر هداية للناشئين منهم ونماذج يحتذيها الذين لم تتوفر لهم وسائل الخلق والابداع ، وقد درج الاسلاف في كل بيئة وعصر على نقل تجاربهم ومآثرهم الى الخلف يحفظوها ويستفيدوا منها . اذكر بهذه المناسبة مشهدا رأيت فيه سيدة يابانية تقوم بصنع الشاي حسب الطريقة الخاصة التي وضعها حكيم ياباني مشهور واوصى بها بني قومه . رأيت تلك السيدة تنفذ المراسيم خطوة خطوة كأنها طقوس دينية يجب تنفيذها بروح الخشوع والطاعة دونما سؤال . كذلك كانت القواعد التي وضعها ارسطو للمأساة عقيب درسه لنتاج عباقرة المسرحيين اليونان ، قواعد مقدسة لا يجوز الحياد عنها .

في النقد حقائق ثابتة اصطلح عليها النقاد في كل بيئة وعصر والتزمها اهل الفن والادب . منها الاعتقاد بأن الفن موهبة ودربة واتقان ، وانه تعبير غير عادي ، فيه مقدار من الابتكار يقيه من الانحدار الى التقليد والابتذال، كذلك اصطلحوا على القول ان الفن مصدر متعة لمتذوقيه بما فيه من اثارة للعاطفة والفكر والخيال ، وان الاثر الفني ، مع مراعاته لقانون الوحدة الذي ينقذه من التشويش والفوضى ، يتصف بالتنوع الذي لا يخل بالوحدة ولكن يلتزمه الفنان منعا للرتابة والاملال .

فاذا جئنا الى الفنون اللسانية كالشعر والنثر الفني وجدنا من صفاتهما الثابتة مقدارا من الموسيقية المعبرة عن المعنى والتزاما للعبارة الايحائية التي تشير الى معان اوسع او ابعد من المعنى الظاهر ووسائلهما لذلك هي الايجاز والاطناب ، المجاز وما يتصل به من فنون التصوير والتنسيق الفني . فكل كلام يشتمل على معنى بعيد او ضمني يدخل في نطاق الفن .

تمتاز قواعد الفن اجمالا بالمرونة المناقضة للصلابة والجمود ، وبالرحابة التي تفتح امام الفنان سبيل الخلق والتجديد . فاذا قلنا ان العبارة الفنية تنكر الحشو وفضول الكلام انبرى من يقول لنا ان الحشو جائز احيانا حين يكون وسيلة توكيد . فالشاعر الذي يقول :

وابني غدا يدعيه الخلود متى يدعي

كان في وسعه الاستغناء عن « متى يدعي » التي زادها لتتمة البيت لكن القارىء لا يرى فيها مخالفة للذوق لانها تجانس كلمة « يدعيه » فتزيدها بروزا او تضعها في النور .

الا ان هذه المرونة كانت من عوامل التناقض وسوء الفهم وقد عارضها المتصلبون من النقاد فساقوا النقد الى التحجر والجمود ولم يميزوا بين الحقائق والاوهام .

اوهام النقد المعاصر

سوف احصر اوهام النقد المعاصر في ثلاثة وجوه . الاول يتصل بالنقد الذي رفع من شأنه تقدم العلوم الاجتماعية في عصرنا . اعني النقد البيئي والسيكولوجي .

الثاني يتصل بالنقد الذي عززته نظريات الالتزام والواقعية والمذاهب الاخرى .

الثالث يتعلق بالاسلوب والتقنية واوهام هذه الناحية مزيج من قديم وحديث .

اوهام النقد البيئي والسيكولوجي

توضحت اهمية النقد البيئي حين اعلن تين Taine الفرنسي ، الناقد المتشبع بالروح العلمية التي ميزت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القرن التاسع عشر في اوروبا ، ان الادب والفن ، نظير السكر وحامض الكبريت ، حصيلة عناصر متمازجة هي العرف والبيئة والعصر .

وقد ذكر النقاد قبل « تين » ان الادب الجيد ينبع من البيئة ويعبر عنها . لكن تين انفرد بتوسيع الفكرة وتحليلها في كتبه .

اهمية النقد البيئي تعود الى كونه يلقي ضوءا على العوامل التي وجهت الاديب . ففي العصر الجاهلي مثلا كان الفخر ابرز اغراض الشعر في بيئة قبلية قوامها الغزو والبطش والفروسية وشعارها المفاخرة والمهاجاة بين القبائل .

الا ان النقاد الذين ادمنوا النقد البيئي اخطأوا من ناحيتين . اولا انهم حصروا فيه اهتمامهم وظنوا ان نقد البيئة والعصر ، او ما يمكن ان ندعوه النقد التاريخي ، يكفي لنقد الصنيع الادبي او الفني ، من هنا صار تدريس النقد في معاهد العلم شبيها بتدريس التاريخ او نوعا من التحقيق التاريخي . ثانيا ان منهم من ظنوا ان انعكاس البيئة في الادب دليل كاف على جودته ، كما يرى بعض شعراء اليوم ان الغموض دليل كاف على شاعريتهم . وكلا الفريقين مخطىء لان النقد البيئي اشد اتصالا بالبحث التاريخي منه بالنقد الادبي . فاذا قلنا ان الشعر الجاهلي يعبر عن البيئة الجاهلية فذلك دليل على اصالة ذاك الشعر وانتمائه الى ذاك العصر . الا ان انعكاس البيئة في الشعر الجاهلي لا يعد دليلا على جودته الا اذا سبقه الاعتراف بانه صحيح النسبة الى الشعر قبل انتسابه الى الجاهلية .

ان كتب التاريخ والمذكرات تعبر عن البيئة التي ظهرت فيها لكنها تعتبر كتب تاريخ الا اذا امتازت بالاسلوب الفني الذي يقيم حدا فاصلا بينها وبين كتب العلم . لهذا نقول ان مذكرات سان سيمون من صنف الادب لامتيازها باسلوب فني بين الطرافة ، في حين ان مذكرات نابليون اقرب الى التاريخ . وعليه تكون مهمة الناقد ان يثبت اولا ، باعتماد اصول النقد الجمالي ، ان الصنيع الذي ينقده يستوفي خصائص الفن ويعبر عن طبيعة فنية قبل ان يحلل العوامل البيئية التي شاركت في تكوينه .

ننتقل الى النقد السيكولوجي الذي يتناول شخصية الفنان ومقدار تأثيرها في فنه . هذا النقد ذو شقين الاول تاريخي يروي سيرة الاديب واخباره ويصف ميوله الخلقية ومقدار تأثيرها في ادبه . هذا النقد اذا اسعفنا على تفهم ادبه لا يسعفنا على تذوقه او تقييمه لانه ، نظير النقد البيئي ، لا يطلعنا على اسرار فنه ولا يعلل ما فيه من فرادة او عبقرية .

لهذا يتصدى الشطر الآخر منه ـ اعني التحليل النفساني الذي جاء به فرويد ـ لمعالجة هذه الناحية حين يزعم أن العقد النفسية الكامنة في اللاوعي هي الحافز الاول على النشاط الفني . الا ان بعض الباحثين ينكرون وجود اللاوعي ويرى غيرهم ان التسليم بوجود العقد في منطقة اللاوعي لا يفسر وجود الفن لان العقد قد تحرك الموهبة لكنها لا تخلقها . والنقد السيكولوجي لا يتصدى لشرح اسرار الجمال ولا لاثبات وجوده . فاذا قال فرويد ان عقدة النقص عند ميكال انجلو وجهته في سبيل الفن لا يزيدني قوله اعجابا بانتاج ميكال انجلو او تفهما لعبقريته . لان الذي يهمني من الفنان هو مواطن الابداع في انتاجه لا العوامل المبهمة التي حركت موهبته وألهمته الفن .

اسطورة الصدق

من اخطاء النقد البيئي ونقد السيرة اعتقاد النقاد ان ادب الاديب وفن الفنان صورة صادقة لشخصيته .

هذا الاعتقاد اذا صدق احيانا لا يصدق دائما . فاذا كان اسلوب الفنان او الاديب يعبر تعبيرا صادقا عن موهبته وقدرته على الابتكار والتصرف في فنون القول فالمعاني التي يحتويها فنه لا تصدر دائما عن عقيدة راسخة . ان الشاعر يستطيع ان يمدح الفضل من غير ان يكون فاضلا وان يعظم الكرم من غير ان يكون كريما وان يبرع في تصوير اللصوصية من غير ان يمارسها فعلا .

والروائي يبدع في تصوير فتنة الحب بالنفوس وتلاعب الاهواء بالعقول وهو بمعزل عنها . فاملي برونتي في عزلتها كتبت « مرتفعات ووذرنغ » وابتدعت فيها ابطالا خياليين من ذوي الشذوذ العاطفي لم يكن لهم اي صلة بتجاربها الواقعية . والمتنبي يقول في بعض شعره :

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب

لكن درسنا لسيرة المتنبي لا يدل على انه لم يمارس الخداع والتمويه . وشوقي في « مجنون ليلى » يتلبس شخصية قيس ويبدع في تصوير اغراض الهوى العذري وفي قصيدة « انا انطونيو » يجيد عرض حالة المحب الصوفي ، ولم يكن شوقي ـ فيما نعلم ـ عذريا في حبه ولا صوفيا .

كان الشاعر ييتس يقول : « شخصيتي الفنية ابعد ما تكون عن ذاتيتي ، فالفنان في فنه يتلبس شخصا اخر ويعبر عن اشواق واحلام اكثر من تعبير عن واقع ذاتي . لذلك يكون من السذاجة الالحاح على موضوع الصدق عنده » .

المعاني العظيمة لا تصنع الفن العظيم

هناك المتأثرون بالاتجاهات الفلسفية المعاصرة الذين يقيسون الاثر الفني بمقدار ما يحتويه من معان فلسفية والفاظ « حضارية » وصور كونية او ميتافيزيقية فينعون على الشاعر الجاهلي خلو شعره من الاتجاه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الحضاري » والفلسفي الميتافيزيقي ، وينكرون الشاعر او الاديب الذي لا يأتي بفلسفة جديدة وافكار غير شائعة .

الى هؤلاء نقول ان الفلسفة لا تصنع الشعر ولا الفن ولو كان الامر كذلك لكان ارسطو وسبينوزا والفارابي شعراء . والشاعر حين يفلسف شعره لا يخلق فلسفة بل يقتبسها الا اذا كان هو نفسه فيلسوفا وهذا نادر عسير فنحن لا نعرف شاعرا ابتكر فلسفته الا « نيتشه » .

الشاعر مبدع وابداعه يبدو اولا في اسلوبه الذي ينفرد به ويدل عليه . وقد يأتي بملاحظات دقيقة وابتكارات عجيبة في معانيه . يرى الاشجار تتعانق والاعشاب تتهامس . يسمع موسيقى الافلاك وتنهد البنفسج . يلاحظ « بغض الارض للدم » وارتعاش الزنبقة امام نسيم السحر ، ويلوح له في عناقيد الزهر جوقة من الملائكة او يتخيل الفجر مشيرا بأصابعه الوردية . وقد يبصر خفايا النفس البشرية بشكل لا يتوصل اليه المحلل النفساني لكن رؤى الفنان انما تدل على قوة تخيل او صدق فراسة ورهافة احساس لا على حقائق علمية او مبادىء فلسفية الا اذا اثبت التحقيق العلمي صحتها او قيض للاحلام ان تتجسد في حقائق . لذلك يعتقد ان الرومنطيقيين الالمان في كشفهم للعالم المحجوب من النفس البشرية مهدوا لنظريات فرويد في اللاوعي كما مهد بساط الريح لاختراع الطيارة .

وهناك المدارس الحديثة التي تحصر قيمة الادب والفن في فائدتهما الاجتماعية وتكتفي من النقد بشرح المعاني وتقييمها من غير التفات الى المبنى والاسلوب .

تلك مدارس الواقعية والالتزام والمذاهب الاخرى التي تعتمد في تقييم الصنيع الفني مقدار انسجامه مع فلسفتها الخاصة . تريده ملتصقا بالواقع ، خادما لمصلحة الشعب ، ملتزما قضاياه ، متفائلا بامكاناته ، بعيدا عن التشاؤمية والانهزامية والفردية والذاتية ، مقيدا بهدف اجتماعي انساني « لا طائرا مغردا تصطفق جناحاه عبثا في الفراغ » .

ونحن مع احترامنا لنبل مقاصد الواقعيين والالتزاميين وامثالهم لا نستطيع ان نفرض الالتزام على الاديب ولكننا نؤمن بالالتزام الحر الذي يترك له حرية الشعور والتفكير ويربأ به ان يصبح آلة دعاية الا ان يكون ذلك باختياره . كذلك نرفض تقييم الفن على اساس المضمون وحده لاعتقادنا ان الاسلوب في الفن مقدم على المضمون .

أسطورة الاناقة

كما لا يزال عند بعض شعرائنا رواسب من عهد سيطرة المبادىء الرومنطيقية ، حين راجت عندنا عباوة المراة في الشعر وتأنيه الخيال واللذة والالم واطلاق حرية الاهواء، كذلك لا تزال تسيطر علينا رواسب من عهود التصنع والتحذلق العباسية ، حين شاع الاسلوب الانيق المترف والتزمه الادباء « لذاته » لا لمناسبته المقام فقدموا اللفظ على المعنى في المواقف التي تستدعي وضوح التفكير ودقة التعبير ، كأنما المقصود بالكلام ان يطرب الاذن ويبرز براعة الكاتب في النحت والصقل وان ساقه ذلك الى السخف والغموض .

اسطورة الاناقة ، ظاهرة ورثناها من عصور الملابس الفضفاضة السابغة والاواني المزخرفة والاثاثات المكدسة . ووجود هذه الظاهرة في عصر الرياضة والسرعة والدقة العلمية دليل تخلف وجمود . الشعر في عصرنا « كلام مشحون شحنا قويا » وهو اقرب الى الاختزال واشبه بالتصوير الصيني والشعر الياباني في اعتماده التلميح والايجاز والرمز والوثب وسائر ضروب الايحاء . بل ربما استوحى العبارة الشعبية الخشنة وادب الفولكلور واساطير عهود الفطرة ، فيجري فيه اختيار الالفاظ لمناسبتها لا لاناقتها .

ان انصار التأنق في عصرنا يجب ان يتذكروا مبدأ اعلنه الجاحظ منذ عشرة قرون حين قال « وانا ازعم ان سخيف القول مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفخم » .

ذلك هو مبدأ « مراعاة مقتضى الحال » الذي يعد ركنا ثابتا من اركان الكلام وقد ورد في كتاب « الخطابة » لارسطو قبل الجاحظ بثلاثة عشر قرنا وخلاصته ان الاناقة لا تصح الا في مواقف معينة .

لنورد مثلا هذه العبارة : « تغيرت انت وتغيرت الديار » ولنقارنها بقول الشاعر :

لا انت انت ولا الديار ديار

نجد ان العبارتين بمعنى واحد لكن الثانية تعبر عن انفعال وتناسب موقفا عاطفيا اما الاولى فتناسب موقف هدوء واتزان ، لهذا جاءت خالية من الايقاع .

اذا كان الشعر لا يصلح لغير مواقف الانفعال وشبوب العاطفة ، كذلك النثر الشعري . اما الاصناف الاخرى من النثر فمنها نثر بين بين يناسب القصص والمسرح ومنها نثر البحث العلمي الذي يجافي الاناقة والترف اللفظي ويحصر الاهتمام في صحة المعنى ودقة التعبير . والنثر الصحافي الذي تقدم فيه الطرافة المعنوية وخفة الظل على الاناقة اللفظية .

ان نثر المقالة الصحافية عندنا يتطور تطورا محمودا . يقلع عن الاسلوب الخطابي التقليدي ، يهمل الزخارف اللفظية والتراكيب الموروثة ، يقترب من عبارة اساتذة الحوار والقص في كلامنا الدارج . عبارته قصيرة، حرة ، شبه عفوية ، تهمل ادوات الوصل والجزالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لفتة

حملتني الدروب في مهمة التيه ، فطاشت مع الدروب شؤوني
وتبارت بي الخطوب ، فما تنفك تسعى لعاليات عريني
ضيعتني الاهواء ، حتى مللت السير في مسرب الحياة المهين
فكان الزمان ـ يا ضيعة العمر ـ صحارى ترادفت في جبيني
وكان الرغاب في سبسب الشوق امان تلفعت بالشجون
آه منها ، وآه امسي منها ، بددتني ما بين عنف ولين
لفتة تسكب المهابة في القلب ، وشك يجول عبر اليقين

دمشق **اسماعيل عامود**

اللفظية لكن وراءها طاقة فنية وتمرسا في افانين الحديث الممتع .

اوهام التصنيف

كان القدماء يصنفون الشعراء وسواهم من الادباء حسب عصورهم اي تصنيفا تاريخيا . وقد حاول ابن سلام تصنيفهم حسب طبقاتهم فوقع في اخطاء عديدة . وحاول غيره من النقاد تصنيفا آخر فقال الآمدي في البحتري انه كان على مذهب الاوائل لم يفارق عمود الشعر اما ابو تمام فخالف التقليد . وقد يكون الآمدي اول من اشار الى اختلاف المذهب عند شاعرين متعاصرين . اما في عصرنا فقد ساقنا تكاثر المدارس الادبية عند الغربيين وتأثيرها في ادبنا ، الى محاولة تصنيف شعرائنا وناثرينا على غرار التصنيف الغربي .

هنا يجب ان نذكر امرين اولا ان المدارس الادبية نشأت في الغرب ، لا في بلادنا ، وادباؤنا المعاصرون تأثروا بتلك المدارس ولم ينتسبوا اليها . وهم حين ألفوا عصبة او رابطة ذات اتجاه تجديدي ، كما فعل ادباء المهجر وجماعة « ابولو » ، لم يرتبطوا بمدرسة ادبية معينة ولم يحددوا لذواتهم اسلوبا خاصا وانما استهدفوا الثورة على القديم وتجديد الادب العربي تجديدا يشمل النوع والموضوع والاسلوب ومنهم من اصابه تأثير عدة مدارس مجتمعة ، كما هي الحال في ادب جبران ونعيمه وابي ماضي . واذا غلب عليهم جميعا طابع الرومنطيقية فلأن هذه المدرسة كانت اسهل منالا واوسع مجالا من سواها ومنها نبعت جميع الحركات التجديدية المتأخرة .

ثانيا ـ ان الغربيين انفسهم ، رغم انقسام ادبهم في كتب التاريخ الى كلاسيكي ورومنطيقي ورمزي وغير ذلك، يلتزمون جانب الحذر في تصنيف ادبائهم . فهناك الادباء الحائرون بين الرمزية والسوريالية ، امثال رامبو وجيرار دو نرفال . او بين الكلاسيكية والرمزية نظير بودلير وفاليري او بين الرومنطيقية والرمزية نظير الفرد دو فينيي . لذلك نجد ناقدا كبيرا مثل كروتشي ينكر التصنيف ويقول : هناك شعر جيد وشعر رديء وكل تصنيف آخر يعد فاشلا .

والامر الذي يجب استنتاجه هنا ان نلتزم نحن كذلك جانب الحذر في تصنيف ادبائنا . فنشير الى علامات تجديدهم من غير ان نحشر كلا منهم في احدى المدارس الغربية التي قد يكون تأثره بها عارضا قليل الوضوح او مبنيا على مشابهات عفوية او من نوع توارد الخواطر والمشاركة الانسانية الحرة . فنحن اذ نلاحظ اغراب امرىء القيس او ذي الرمة في صورهما الشعرية قد يبدو لنا وجه شبه بينهما وبين السورياليين رغم انعدام الصلة الزمانية او الثقافية بين الفريقين . في هذه الحالة يجوز لنا ان نلاحظ المشابهة وان كانت ضئيلة لكن من السذاجة ان نصنف امرء القيس وذا الرمة مع السورياليين .

النقد ريادة واكتشاف ، تفسير وتوسيع وتحليل للمادة التي ننقدها ، يرافقه تعليل وبرهان . والناقد يعرف اصول النقد العامة كما يعرف الطبيب احوال المرض واغراضه . لكنه مثل الطبيب يدرك ان لكل فنان مزاجه وتجاوبه الخاص فلا يصح تطبيق قواعد واحدة على جميع الافراد الذين نتخذهم موضوع درسنا . وكما انه يحق للفنان تخطي القواعد كذلك يحق للناقد .

روز غريب

غيـاب

مـاذا ؟ مـاذا
واعود اهز جدارا باهت
واناجي التقويم الصامت
يتلمس اصبعي الشاهد
رقمـا هـارب
يبصم شكلـه
يرجوه ان يبقى يتسمر !
ان يغدو شمسا تتالق
قمـرا يسهـر
يرقب مثلي عود الغائب !
فيدور الرقم ، يزوغ الرقم
يطـير ، يجـن
ويزوبع في القمقم مارد
يأبـى السجن !
يرفض أن يمسي
ـ ما تهوى نفسي ـ
في الافق شراعا للعائد !

●

قلبـي مطبـق
والهدب حنين مرتحل
في اليأس المتقطر يغرق !
فانـا وحدي
اشعـل وجـدي
في العتم منارا ...
قنديـلا
انظر في التقويم الصامت
واحر رماد جدار باهت
يتلمس اصبعي الشاهد
رقمـا هارب
يبحث عنـه
يبصم شكلـه
ويحاول ان يضفر منـه
منديـلا
اكليـلا
والرقم يزوبع ، يأبى السجن ...

●

وانـا وحدي
وحـدي
وحـدي
اترقب في غفو المقلـه
في الحلـم الشارد
عـود الغائب

اديـل الخشن
الشويفات ـ لبنـان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

يقولون .. ويفعلون !

حين كان العربي ..

يسير في وطنه الواسع الارجاء ، مرفوع الراس ، عزيز الحمى ، موهوب الجانب ، لا تمرغ هامته مذلة الهوان ، ولا يتجرأ عدو مهما بلغت سطوته ان يقتحم له حدا ، ليقينه ان الذي سوف يلقاه عند ذلك الحد من قوة ومنعة ، كفيل بأن يحطم عدوانه ، ويرده على اعقابه مذموما مدحورا ، يجر اذيال الخيبة والفشل ..

حين كان العربي كذلك ..

كانت توافيه الايام المشهودة ، فتمتلىء معها الديار بالبهجة ، وتعم فيها الغبطة والسرور ، ويومذاك .. كان يستمريء الناس ايامهم تلك بكل ما فيها من نعيم ، ويرون فيها اياما مشهودات بكل ما في الكلمة من معنى ، وذلك بعد عناء الجهاد في شتى ميادين العمل المثمر ، والدفاع عن محارم الاوطان .

والعربي اليوم ..

حين يستقبل يوما من ايامه المشهودة ، يستقبل فيه ما يذكره بذلك الماضي المشرق ، ثم يذكره الى جانب ذلك بحاضره القاتم البغيض ، حيث تطالعه فيه المواقف الكالحة ، التي اصبح فيها تغتصب اوطانه ويشرد اهلها ، وتسلب ثرواته وينتهبها الطامعون في وضح النهار ، ويشن العدوان على حدوده ، فلا يملك الا الشكوى ، تتلاحق بتلاحق العدوان ، ولا يحرك ساكن للدفاع عن هذه الحدود .

واذا ما تعرم الخصم واشتد عناده ، وابى ان يتزحزح عما يحتله من اقطارنا برغم شتى القرارات الدولية ، لم يجد منا غير التهديد والوعيد ، وحشد كافة ما لدينا من طاقات الكلام ، ثم ينتهي ذلك كله الى غير ما عمل ، ويتلاشى هباء منثورا ...

فواذلاه .. كيف لا نبدل الواقع المهين ؟!

وكيف يغيب عنا — ونحن دون تجيش الجيوش — ذلك القول المأثور : « ما ترك الجهاد قوم الا ذلوا ؟ » .

وكيف لا نتعلم مما يصنعه عدونا فينا حين يصنع اكثر مما يقول ، وحين لا يمنعه من تنفيذ مخططاته حرب تدور في الصين ، او اخرى تشب في البرازيل ، او ضباب ينعقد فوق جبهات القتال فلا تتضح معه الرؤية؟!

ترى .. كيف يغيب عنا ذلك ، وكيف يفوتنا ان نتأثر به ؟!

مع الذكرى

حين تتوافر الجراة في النفوس ، تهون لديها المنية ، وترخص معها الحياة من اجل احراز النصر ، الذي يصبح مطلبا دونه كل مطلب . وعندها لا يغلب صاحب الجراة غالب . ما دام قد صمم على ان يبلغ احدى اثنتين : تحقيق ذلك الهدف او نيل الشهادة ، ولهذا ورد في القول المأثور : « من طلب الموت وهبت له الحياة .. » .

واما اولئك الذين يطلبون الحياة ويخافون الموت ، فانهم هم الذين يغلبهم الغالبون على ما في ايديهم ، ويصبحون نهبا مقسما حين يجتاحهم الغزاة ، وما اكثر هؤلاء الغزاة في كل جيل وفي كل عصر ، وان تمايزت الوانهم واختلفت اشكالهم ، وحرفوا الاسماء عن مسمياتها ، وهم يطلقون عليهم الالقاب والنعوت .

وان من اصحاب الجراة الذين لا يغلبهم غالب ، تلك القبضة الضئيلة القليلة من الرجال ، الذين قيل عنهم يومذاك انهم : (اكلة جزور) ، واعني بهم جماعة المسلمين في بدر ، حين وقفوا بعددهم القليل شبه الاعزل الذي راوح الثلاث مئة ، في وجه العدد العديد ، والسلاح الذي جاوز الوفرة والكثرة ، فثبتوا ثبات الجبال ، وقاتلوا قتال الرجال ، واقبل الواحد منهم وهو يحرص على الموت حرص عدوه على الحياة ، فغلبوا وسلبوا ، واستأسر لهم من سادة قريش البهاليل ، ممن توهموا وهم يقبلون على المعركة انه لن يغلبهم غالب !

وان من اصحاب الجراة كذلك ..

اولئك الذين وقفوا عند شاطىء الاندلس ، يقول

لهم طارق بن زياد وقد اشفق عليهم لضآلة عددهم امام ذلك الجحفل الجرار من اعدائهم ، فيرد بالصوت الجهير : « البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر .. » . وصدقوا وصبروا كما اراد قائدهم ، فكانت لهم الغلبة !

وان من اصحاب الجراة اخيرا ..

اخوتنا في الامس القريب من ابناء الاردن ، وقد وقفوا امام عدوهم الزاحف اليهم في (الكرامة) بعدد يفوق عددهم ، فصمموا على احراز النصر ، وثبتوا ثبات الجبال ، فاذا هم يفعلون الاعاجيب ، وليس في ايديهم من السلاح حيال ما داهمهم عدوهم به غير الضئيل قليل الجدوى ، واذا هم يتعقبون خصمهم في تقهقره ، فيضطرونه الى الاندحار ، وهم يصيبون منه كل مقتل.!!

اجل .. اولئك هم اصحاب الكرامة ، وهم يسيرون على غرار من سبقوهم بين ثنايا التاريخ ، فيحرزون مثل الذي احرزوه في مواقفهم تلك من نصر مؤزر .

ولقد رايتني استعيد في الخاطر موقفهم ذاك حين اظلتنا منه الذكرى ، فما احوجنا الى ان نتذكر مواقف البطولة والتضحية ، ونحن نقف من عدونا موقفا تتأرجح معه بوادر المعركة ما بين عشية وضحاها .

ما أحوجنا الى ان نتذكر ذلك ..

فلعلنا نجد فيه الاسوة الحسنة ، ولعلنا نجد فيه العبرة !

في اكرم الاعياد

كيف انساها ؟! ..

تلك التي كانت تعطي عطاء الجواد وهو يمنح بسخاء كل ما وصلت اليه يده ، دون ان تمن بما اعطت وما بذلت ، وما اكثر ذاك الذي كانت تعطيه وتبذله .. حتى لا يحيط به حصر !!

تلك التي كانت تغضي عن المكروه حين يبدر هذا المكروه ، وما اكثر ما كان يبدر بقصد او بغير قصد ، ولا تقابله بأكثر من ابتسامة الغفران والتسامح ، وكان بوسعها ان تفعل غير ذلك .. ولكنها دائما لا تفعله .. وهي قادرة عليه !!

تلك التي كانت ترتضي الحرمان بكل ما فيه من قسوة وجفاء ، من اجل ان ترى سواها يناله ذاك الذي حرمت نفسها منه ، فيبهجها ذلك ، ويملأ نفسها بالغبطة والرضوان !!

تلك التي كانت تسهر الليل بطوله الى جانب ما تكبدته من جهد النهار ، في سبيل ان تخفف الالم حين يشكو منه اولئك الذين حرصت على ان تجنبهم كل عثرة من عثرات الدهر ، وان ترد عنهم كل عادية من عواديه ، حتى ولو كلفها ذلك ان تردها بحشاشة كبدها .

تلك التي احبت الحب كله ، والحب في اصدق صورة من صوره ، وفي اسمى غاية من غاياته ، وفي انبل معنى من معانيه ، وفي اشرف وجه من وجوهه . ولم تترقب ان تملأ يديها من وراء ذلك بمثوبة ، او تنال عنه عوضا او جزاءا !!

تلك التي بذلت غاية الجهد ، من اجل ان تدخل السرور الى قلوب من حولها ، وتغسل ما تراكم فيها من ضباب الاسى ، بعد الذي تعرضوا له من عواصف الحياة ، وما اكثر ما كانت تخفي وراء الابتسامة التي اشرق بها وجهها قلبا امضه من الالم ما لا طاقة لها به ، ولكنها كانت تكابر وتتجلد ، ولا تقيم وزنا لما كانت تعانيه ، ما دامت تعيد البهجة والسرور الى نفوس من حولها ، وتعيد اليهم الضحكات الحبيبة ، التي تنطلق من اعماق الصدور !!

كيف انساها .. وكيف انسى ذلك منها ؟!

وانه في المكان الذي لا ينسى ولا يجوز ان ينسى ، ما دامت في الدنيا مشاعر تمتلىء بها ثنايا القلوب ، ويقدر معها بنو الانسان لكل محسن احسانه ولكل صاحب فضل فضله ، ويعترفون معها كذلك بكل صنيعة من صنائع الخير والبذل والعطاء !

انها الام .. والام دونما تحديد ، وكائنة من تكون هذه الام ، وهل كان احد غيرها يماثلها في ذلك ، ويصل الى ادنى مرتبة من مراتبه ؟!

هيهات ان يكون ذلك ..

وان من حق الام على كل انسان ان يبثها مثل هذه النجوى ، ما دام من حقها عليه ان يعترف لها بفضل الامومة ، بعد ان اصاب من برها وحنانها ما تمتع به منذ كان طفلا غض الاهاب !

ان من حق الام على كل انسان ـ ذكرا كان ام انثى ـ ان يفعل ذلك ، وان يصحبه اذا استطاع ببعض ما تصل اليه حيلته ، مقرونا بكل ما تستطيع ان تحمله شفتاه من عبارات الحب الصادق ، يعطرها الولاء والاعتراف بالجميل .

اجل . ان من حق الام على كل انسان ان يفعل هذا كلما اطل (عيد الام) ، وترامت له افياء وظلال !

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

وجه

وجهك يا سمية
يا طفلتي البريئة الحيية
يشع بالنقاء
يشع بالصفاء
ينشلني ...
من وحدتي الابدية

الزقازيق ـ مصر — حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأ في بيئة محافظة يلتزم جميع افرادها بالعادات والتقاليد الموروثة ، وكان والده ميسور الحال يعمل في التجارة . لقد رزق ابواه بضعة اطفال ، ولكنهم قضوا جميعا وهم في مرحلة الطفولة . وما ان بلغ مبلغ الرجال حتى زوجه والده من ابنة اختهالارملة التي جاءت لتعيش في كنفه هي وابنتها عندما توفي زوجها . وعاش عبد الله وزوجته في منزل والده ، معززين مكرمين . بعد سنة رزقا بولد اسمياه باسم والده الذي توفي بعد زواجه ببضعة اشهر .

احسن عبد الله التصرف بمال أبيه فنماه وزاد فيه ، وزار البلدان المجاورة واحس بالتطور وشعر بالتغيير ، وصار يتحرر من تقاليد بيئته وينظر الى الافق الرحب ليتذوق الحياة العصرية وما جلبته معها من نعم وملذات ، فادخل الى بيته الراديو والثلاجة والتلفاز ومكيف الهواء ، والغسالة الكهربائية وفرن الغاز وغير ذلك .

ولم تكن زوجته تحسن استعمال بعض هذه الاجهزة ، وكثيرا ما كانت تفضل ان تغسل الثوب بيديها على استعمال الغسالة خوفا من ان تمسها الكهرباء بسوء ، ومع هذا فقد كانت تقوم بعملها في المنزل بكل جهد واخلاص .

وكبر « توفيق » والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية ، وكان كوالده وحيد والديه ، ولكن له خمس اخوات . وتزوجت اختاه الكبيرتان من غير اقربائهما ، فأبو توفيق يريد التحرر من القيود المفروضة ويريد ان ينطلق مع الركب المتطور .

ومن خلال تجواله في مختلف الاقطار وتذوقه مباهج المدنية مع بعض اصدقائه صار يميل عن « ام توفيق » التي بدأت تخطو مترهلة في العقد الخامس من العمر ، وصارت نضارتها تخبو وشبابها يتوارى يوما بعد يوم .

واتم توفيق المرحلة الثانوية فارسله والده الىعاصمة بلد مجاور لينهل من العلم ما يشاء ، فهو لا يريد ان يقيده بنوع من العلم يقصر همه عليه ، بل يريده ان ينطلق بحرية فيختار ما يشاء ويعيش كما يريد .

عندما عاد توفيق لقضاء العطلة السنوية بين اهله ، أشار بعض الاصدقاء على والده ان يزوجه ان كان يريد حفظه من الغواية . فالمدينة التي يدرس فيها كبيرة وفيها الكثير من وسائل اللهو والاغراء والفتون . كان جوابه لهم في كل مرة ، انه لا يريد ان يقيد ولده كما قيد هو من قبل، بل يريده ان ينطلق حتى يسكن من تلقاء نفسه . فهو

ظن لا يخيب

بقلم ابراهيم اسعد الشنطي

لا يريد لابنه الوحيد ان ينطلق ولديه عدد من الابناء ، كما يفعل هو الان. لذلك فقد صمم على تركه يجول ويختار حتى اذا ما حان الوقت وطلب الزواج ، اختار شريكة عمره بدون قيود فيسكن عندئذ اليهما ويستقر .

نعم ، انه لا ينسى ما فعله في العام الماضي عندما سافر الى المدينة التي يدرس فيها ولده بحجة ان يراه ويطلع على اعماله في المدرسة . لقد



كان ولده وسيلة لا غاية ، وكان ذريعة اتخذها لتحقيق قصده . كانت « سميرة » ، التي اتخذها صاحبة له وخليلة منذ بضع سنوات ، تريد ان تنتقل الى تلك المدينة لتكون قريبة ، على حد قولها ، من شخص يريد الزواج بها . فلم يطق صبرا على فراقها وتبعها وقضى بضعة ايام معها بعيدا عن اعين الفضوليين . وقد كان دائما حريصا في هذه الناحية حتى انه كان يخفي اسمه الحقيقي عنها هي ، وكذلك مركزه الاجتماعي وبلدته التي يقيم فيها . وما تركها الا بعد ان وعدته بنسيان فكرة الزواج كليا ، ووعدها هو من ناحيته ، بارسال ما تحتاج اليه من نقود ، وبزيارتها في السنة القادمة ليقضي الصيف معها . لن يتأخر ابدا ، اذ لا بد ان يأتي ليشهد حفلة تخرج ولده من الجامعة وهذه مناسبة لا تفوت . سيأتي تشيعه زوجته بدعواتها الحارة كي يرعاه الله وولدهما الذي سيكون اول شاب يتخرج من الجامعة في بلدتهم .

واجتهد ابو توفيقفي عمله وسافر الى عدة اقطار لتنمية تجارته ، لكنه عاد من آخر هذه الرحلات منهوك القوى متعبا ، فقد اصابته حمى شديدة الزمته الفراش مدة طويلة ، وحالت دون حضوره حفلة تخرج ولده ، فاكتفى بارسال ما يكفيه من المال ، ويزيد عن حاجته .

تأخر توفيق عن موعد عودته بضعة اسابيع فكتب والده اليه يستفسره عن الامر ، ولكن برقية وصلت منه في عصر اليوم التالي تفيد بانه قادم بالطائرة في صباح الغد ومعه مفاجأة سارة .

انهمك اهل الدار بالاستعداد واستدعيت الاختان المتزوجتان للمساعدة في اعداد المنزل ليليق بمقام المفاجأة السارة . وفي الصباح استيقظوا مبكرين واعادوا ترتيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشجرة الهرمة

●

عـاد الربيـع معطـر الانفاس ... فعـلام صمتك دونمـا احساس
الروض طـلـق والطيور نشائـد ... والمـاء منساب الـى الاغراس
حيث المواكب باكتمـال ظاهـر ... بجمالهـا كمواكب الاعـراس
كل الغصون مـع النسيم تحـرك ... الا غصونـك في وجـوم قـاس
كانت ظلالـك للصغـار ملاعبـا ... في غمـرة الافراح ، والاينـاس
او يقطفون مـن الثمار جنيـة ... وسط النهـار بغفلـة الحراس
واليوم وحدك في العـراء حزينة ... تتحرقـين الـى ظـلال الآس
لا حارس البستان قربك ساهـر ... يجني الثمار ، ولا ضجيج الناس
بعـد العطاء هرمت في شجراتهم ... لتكابـدي الاسقام ، دون مؤاس

العراق ـ الكوت — كاظم محمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنزل .

وازفت الساعة المقـررة ومرت طائرة منخفضة العلو باتجاه المطـار وكانوا يقيمون على مقربة منـه ، فقالت احدى البنات موجهة الحديث لامهـا :

ـ أتعرفين .. اظن ان هذه هـي الطائرة التي فيها توفيق !

ـ صحيح .. وهل حان الوقت؟ اين انت يا أبـا توفيق أما زلت تستحم ؟ ها هي الطائرة قد وصلت!

ورد ابو توفيق مـن الداخـل قائلا : « لا .. لا اظـن ذلـك ، فالساعة الآن التاسعة فقط ، باقي ساعة بالضبط ، وعلى كـل حال سنكون هناك قبل الموعد » .

وسارت الدقائق بطيئة ، وكـل واحد من افراد العائلـة يستعجل الاخر ويستحثه على السرعة واخيرا تم كل شيء على ما يرام ووقف اهل البيت في ساحة المنـزل ينتظرون ابـا توفيق ليفرغ مـن ارتداء ملابسه .

وفجأة قرع الباب فاسرعوا لمعرفة الطارق ، وما كادوا يصلون حتـى كان توفيق يدخل المنزل ومعه فتاة ميادة القد ، ريانة الصبا ، ممشوقة القوام تضع على عينيها نظارة سوداء سرعان ما نزعتهـا لتسلم علـى المستقبلين الذين احاطوهما من كل جانب .

وعانقت الام ولدهـا وكذلـك الاخوات ، وقدم هو الفتاة ، التـي ترافقه ، بانها خطيبته ، وان امـر الخطوبة كان السبب في تأخره عـن موعد حضوره .

واخذت ام توفيق بجمال الفتـاة وكذلك الاخوات، وما استيقظت من دهشتها الا حينما سأل توفيق عـن والده ، فصاحت امه وهي متجهة نحو الحجرة التـي يرتدي فيهـا زوجها ملابسه :

ـ ابو توفيق .. ابـو توفيق ، تعال شوف ، ولدك جـاء ومعـه عروس تقول للقمر غيب وانا مكانك.

ـ وانا أبوك يا توفيق ، انا مـا قلت لك انه طالع لابيه ، ظني فيـه ما يخيب !

ووضع ابو توفيق قدميه فـي الحذاء مسرعـا ، وسار بخطوات واسعة يعانق « ولده » الذي انكب على يده يقبلها ، ثم سار معه ليعرفه على خطيبته التي تقف مع اخواتـه في صحن الدار وقدمها اليه قائلا :

هذه « سميرة » خطيبتي ..

ـ انت .. انت خطيبة ولـدي ، خطيبة توفيق ، لا .. لا يمكـن .. لا يمكن هذا ابدا .

قال ابو توفيق ذلك وهو يسقط على الارض بين يدي ولده ، ويـده المرتجفة لا تزال تشير نحو الفتـاة بعصبية شديدة .

الظهران — ابراهيم احمد الشنطي

سوق الحميدية

عقدوا لـه زبـر الحديد عمائمـا ... فمضى بقادمة يحلـق حالمـا
تتقـادم الدنيـا علـى شعفاتـه ... وتراه مـن غير الحوادث باسمـا
قصرت يد الاحداث عنه فاطبقت ... عجزا وظل على الحوادث قائمـا
شابت مفارقـه ولـم ترزح لـه ... قدم ولـم يطرق برأس واجمـا
وسعت جوانحه الجموع تلاطمت ... أطباقهم كالسيل يعصف عارمـا
كل تفيـأ رفرفا مـن دونـه ... ورأى بـه دون الهجيرة عاصمـا
لا صدره يومـا يضيق بوافـد ... متطفل او كـان يزجر قادمـا
أرخى على الجمع الغفير جناحـه ... من رحمـة وحنـا عليهم رائمـا

سوق تطاول كالصراط ولم يكـن ... وهو الصراط يروع يومـا غاشما
وسع الجميع وكل شخص جاءه ... عـاد المعافى ظافرا او سالمـا
وجدت بـه زمر الكواعب منهلا ... نقع الصدى وشفى الفؤاد الحالما
ورأت بـه الاطفال رجـع ظنونهم ... يفتر عـن شنب ويهمس باغمـا
وتعوذت زمـر الرجال حيالـه ... كتعـوذ المظلـوم آنس ظالمـا
هدرت بـه أموالهـم وتبـددت ... في مثل طرف العين أطبـق نائمـا
سلع كمـا تهوى الرغاب تكدست ... اطباقها بيـد الرغـاب غمائمـا
من كـل اصفر فاقـع او ازرق ... زاه واحمـر ، تستثير سخائمـا
تجد الفقير يمـر مـر سحابـة ... مـن دونهـا متحسرا او نادمـا
وتـرى النساء تطلعت مشدوهة ... وكانهـن بـه كشفـن عوالمـا

سوق بنـور الكهربـاء تزينت ... أطواقه فاهـل يشرق باسمـا
سطعت ثواقبـه بنـور ثواقب ... تجلو الدجى وتزود ليـلا قاتمـا
أنوارها فيء الظـلال شعاعهـا ... لا جاحم النيران يقـذف جاحمـا
كادت تسيل من النضارة رقـة ... في فاحـم لليـل يحصب فاحمـا
وتناثرت مثـل الصوارم فتيـة ... تحكي بهمتهـا الفرنـد الصارمـا
بغمت بمعسول النـداء لعلهـا ... تلقى سميعا او تنبـه ساهمـا
تسعى وتكدح للحياة ومـا بهـا ... طفل على شظف ، تبـرم ناقمـا
نزلت على شرع الحيـاة وشمرت ... عـن ساعد حتـى تكون الغانمـا

سوق تجسدت المطامـع دونـه ... مقـلا مؤرقـة ترف حوائمـا
زخرت متاجـره بكـل عجيبـة ... دقت ، وجلت صنعـة ومعالمـا
طرف كاعلام الربيع علـى الثرى ... نشرت ورفـت طـرة وتمائمـا
نظمت على الاطباق طاقـات كمـا ... نظـم الربيـع خمائـلا وكمائمـا
والناس افـواج تطـوف حيالها ... كغمائـم عصفت تسوق غمائمـا
او انهـم وفـد الحجيج تلاطمت ... أعلامه والليل يزخـر فاحمـا

فتـن اللبيب بـه فخـال فؤاده ... مـن نشوة ممـا رآه واهمـا
ما كان يدري مـا يضم رحابـه ... وهـي العريضة متجرا أم عالمـا

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

لوحات شعرية من زكي قنصل

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

غير محمول كلامي على محمل المغالاة لو نعت شاعرا من المهجر الجنوبي وفي مستوى عال مثل زكي قنصل بالشاعر الفنان .. لانه كذلك . قال عنه البدوي الملثم في كتابه « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية » : « وزكي شاعر فنان يمر كل آن بمشاهد تمر بها انت وانا ، فنراها تافهة ولكن زكيا اقام من تلك المشاهد التافهة اشخاصا لهم وزن في الحياة ورسالة يؤدونها في صدق وصمت .. »

مهما يكن من شيء فهل يفتقر ذلك الا الى تدليل .؟!

اذا كان زكي قنصل بتحديه جور الايام به ومصابرته على المكاره والشقاء في ذلك المحيط المعقد الضاج بالنزعات المادية ، قد تمكن من اثبات شخصيته في ما تسنى له من مجال العمل وخوض معركة الفكر ، فانه قد قيض له ان يقبض على صولجان الشعر بمثابرته على التثقيف الذاتي والانفتاح على الآفاق والتفتيش في مسالك الحياة ، متأثرا بما يترامى اليه عبر حواسه الواعية لكل ملهاة ومأساة ، وعبر افكاره الملتقطة لكل صوت وصدى .

في شعر زكي قنصل غير قليل من اللوحات المنصهرة في بوتقة الفن ، اشتقت من خبرات حياتية .. حضارية . كذلك فيه صور روائع .. نواطق تتداخل فيها عناصر الحب والحنين والكآبة ، وتتواجد فيها سمات العفوية والخصوبة والثورة ..

معناه : ان شعره وليد الواقعية ...

ان هذه اللوحات والصور التي تعود بجذورها الى مكونات عديدة ومعينة لدى الشاعر القنصل انما تعبر عن جموحه العاطفي وطموحه المتجسد في اغواره ، وترسم خطوطا بارزة لمشاطراته القومية والانسانية ، ثم تفصح عن اصالته في المعاناة الشعورية ، وقد صبت في تلك القوالب الفنية الملائمة ، بما لها من حيوية وحركة الى حد تكون معه القصيدة ذات وحدة انسانية مؤثرة تارة ، او كيانا مستقلا ولكن بطبقات تخضع كل واحدة منها لظاهرة المد والجزر — ان صح التعبير — كما لو كانت سمفونية عبقرية تارة اخرى .

العاطفة عند زكي قنصل موصولة الشبوب والجموح .. انها مهماز نبوغه الشعري وعلامة مضيئة على درب تطلعه ونار مقدسة تصهره ثم تصوغه صياغة جديدة .. مشحونة بطاقات من الجمالية والانطلاقية توفران له وللقارىء المدرك قدرا مشتركا من نشوة الفكر وبهجة الروح ، حتى لكأنه .. متبول يتوقل شواهق القمم بشوق تلقائي ويتعمق اسرار الكينونة واللانهاية على رسله :

لولا الملاح وسحرهن لما ... عرف البشاشة في الهوى ثغر
كلا ولا هب النسيم .. ولا ... لاحت ذكاء ولا زكت ...

.

بابي وروحي من اذا ابتسمت ... ايقنت ان الكون يفتر
والزهر ان يضحك بحضرتها ... فلكي يحل بصدرها الزهر
والبدر ان يطلع وقد رقدت ... فلكي يقبل ثغرها البدر

ومن نافذة عواطفه يستشرف زكي قنصل مرفأ ذكرياته وامنياته ، ويستعيد نداء الحياة والمجهول في رحاب ذاته ، طارحا زفراته الحبيسة في صدره ، محققا بالتالي طموحه المتجسد في قراره :

كيف التغني ونفسي كلها الم ... يا للهزار قضى في زوره النغم
اين انطلاقي وراء الحسن اشربه ... دمعي واطعمه قلبي والتهم
هذا الضعيف بصدري لم يعد حرما ... للحب .. اخنى عليه الحب والهرم
خفوقه كدبيب الظن حشرجة ... اهذه غاية الغلوان يا هرم
غاضت منابع الهامي فوالهفي ... هل يضحك الحقل ان لم تطهل الديم
لا لن اسومك ان تشدو على فنن ... الروض ما دهاه ساهم وجم
هذا سراحك اذهب غير متهم ... من كان كالشمس لم تعلق به تهم

من هنا كانت لوحاته العاطفية تمثل شرائح من منسولة من كيانه وضميره .. وهي تنبض بنفحات الحب والحنان وصرخات الانعتاق والتوثب ورعشات اللوعة والرجاء :

يا مهد احلامي لئن شردت ... قدمي فروحي عنك لم تغب
ما زلت في مغناك اذرعه ... من مرتعب خصب الى خصب
ان كان لي في العيش من ارب ... يغرى فانك منتهى اربي
اهواك مزورا ومبتسما ... واراك في حزني وفي طربي
اغفو ورسمك في مخيلتي ... وافيق وهو يجول في هدبي

على ان عاطفة زكي قنصل وان كانت موزعة على مستويات شتى فانها كالمحرار يتأثر بعامل المناخ ، مرة هابطة واخرى صاعدة ..

الا تأملت معي هذه اللوحة : الوانها وظلالها .. خيالها ومضمونها .. ارضيتها المستشفة عن عمق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرؤيا وحدة التجربة العاطفية وجلال التعبير :

غدا تطير الى الفيحاء غلواء ... هل يلتقي بعدها قيس وليلاء
قلبي على الركب حوام يشيعه ... والقصد انت فما في الركب اغراء
لولاك ما هزني شوق لذي سلم ... ولا شجاني الى الزوراء حداء
غلواء مرت ليالي العمر فارغة ... هلا استرحنا الا يضنيك اسراء
عيناك عيناك في حلي ومرتحلي ... دار واهل ومرساة وميناء

تلك ابيات من قصيدة غلواء ...

وغلواء وان كانت اسم زوجته ، فانها لقب حمله زكي قنصل مستأثرا به بعد وفاة الشاعر اللبناني المعروف : الياس ابو شبكة .. هذا الذي اشتهر بهذا اللقب طوال حياته بين شعراء العالم العربي وادبائه .

عاطفة حب متفجرة من كل منابع الوجود الذاتي والانساني تنسحب بابعادها على لوحة رسمت بريشة حادة الضربات كثيفة الالوان لا تتعمل الاسلوب التجريدي او السريالي لتغاير ما هو داع وواقع :

لم يبق غيرك ينبوعا لالهامي ... غلواء لا تضحكي من دمعي الهامي
روحي فدى ثغرك المعسول ما رقصت ... الا عليه اهازيجي واحلامي
لكم ترشفت في الاوهام خمرته ... وكم سكرت وكم اسكرت اوهامي
الله يشهد ما وشيت قافية ... الا رأيتك تختالين قدامي
جنحت باسمك انغامي وقلت لها ... طيري فصعقت الدنيا لانغامي

لزكي قنصل حظ رائع وممتاز في المشاطرة الانسانية .. تتباين انعكاسات آياتها على شعره الذي هو ـ كما يقول جورج صيدح ـ « من نوع الجوهر الغالي » . كذلك تختلف مشخصاتها بشكل مباشر او غير مباشر من قصيدة لاخرى بسبب من متطلبات الفن المرتبط عضويا بالواقع المعاش .

وخير تمثيل لهذا كله مطولته في ابنته « سعاد » .. تلك التي انسلت الى الوجود وبها يقول :

اني لاقرأ في جبينك سفر ماضي البعيد
وارى على عينيك بارقتين من حلمي الشريد
ضحكت لي الدنيا فوافرحي بمقدمك السعيد
اليوم ابعث من ضريحي . اليوم اولد من جديد

غير ان سعاد لم تتكحل عيناها بنور الدنيا بالمعنى الصحيح ، ولم تدرك من أمرها : ما فيها ومن فيها فتركتها ـ ولها من العمر ثمانية شهور ـ مأسوفا عليها الى غير عودة . وهنا السر الذي يعيي الاذهان ويهزأ بالخيالات والتصورات .. سر الحياة والموت . يقول الشاعر وكله دموع غزار :

اسعاد جئتكلا بشاشة في العيون ولا بريق
النار ملء جوانحي والشوك في عرض الطريق
دجت الحياة وشاه في عيني محياها الانيق
لا الروض زاه بعد زغلولي ولا عودي وريق
ويحي؟ اأغرق في الدموع وليس لي امل الغريق

اكبر الظن ان مطولة سعاد هذه احدى روائع زكي قنصل ، وقد قام عليها مجده الشعري الباذخ . ولا شك ان المعاني شائعة .. مطروقة ولا يمكن ان تبدو خلاقة .. جديدة الا عندما يضفي عليها الشاعر الموهوب او الكاتب الاصيل من ذاتيته واصالته ما يجعلها كذلك . ومن هنا اخالف رأي الدكتورة عزيزة مريدن التي تقول عن هذه المطولة في كتابها « القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي » : « والباحث في قصائد ديوان (سعاد) يلاحظ انها لا تخرج في معناها عن قصائد الرثاء التقليدية التي كثيرا ما رأينا انها عند الشعراء الاخرين ... » .

تستلفت نظري قصائد كثيرة لزكي قنصل في مثل هذه المعاني الانسانية الجليلة ، فقد أمست السمة المميزة لانتاج معظم شعراء عصرنا وادبائه شرقا وغربا ، لانهم رأوا كوارث الحضارة المعاصرة وقاسوا ويلات الحربين العالميتين وما لاقاه ويلاقيه الانسان الضائع المنسحقة انسانيته .

امامي الان لوحة او قصيدة « صباغ او مساح الاحذية » .. الا ما اجدرها بالوقوف عندها بعض الشيء :

في وجنتيه طلاقة وتورد ... وعلى اصابعه خضاب اسود
ضاقت به الدنيا فلم يحفل بها ... شتان عبد في الحياة وسيد
ما هاضت البلوى جناح رجائه ... او شل همته الكفاح المجهد
ابدا يدندن ثغره اغنية ... تعلو على تكرارها وتجدد
ايان جاع فزاده في كيسه ... نعم الرفاق لفافتان ومزود
وينام حيث تناله سنة الكرى ... سيان لينه لديه وجلمد
لا يستقر به المكان كانما ... في نفسه دنيا تقوم وتقعد

وتعود اعماق الشاعر كالبركان حرقة وثورة بينما تتواتر قدامه صور أولئك المنكوبين وما يتخلل معيشتهم من أسباب الضنك والعوز والنصب .. انه يقول في قصيدة اسماها « البناء » :

بنى القصور وكوخه خرب ... بئست حياة كلها تعب
الشوك يزجر في مسالكها ... والريح ما تنفك تضطرب
لا يزدهي في ليله قبس ... الا تولت طمسه النوب
لكأنه في الناس حاشية ... وكأنه في الاهل مغترب
الرفش والمنقار عدته ... في العيش لا علم ولا نشب
بالروح في كانون نظرته ... يصطك من قر ويضطرب
جمدت على المنقار راحته ... فكأنها من بعضها خشب

أليست تلك لمحات انسانية تخلق نوعا من تداعي الافكار والمعاني وتثير النفوس الرحيمة ..؟!

اذن وجد زكي قنصل نفسه امام حقائق مرة .. رهيبة ، وهو يقاسي تجارب عنيفة ، ويصافح عبوس الاشياء من حواليه ويرتطم متحسرا بانماط متفاوتة من الناس ، فكان تجاوبه معهم ومشاركته اهتماماتهم وهمومهم ، ولا سيما الكادحين المنافحين .. الفقراء المسحوقين منهم شيئا واضح المعالم في شعره الانساني ..

تنم على هذا كله قصائده (الشرطي .. الخباز .. العاملة .. ساعي البريد .. منضد الحروف .. بائعة الزهر .. العتال .. الفلاح .. المعلمة .. بائع السوس .. بائع الجرائد) .. وفي الاخيرة يقول مصورا حالة كادح طحنته رحى المعاناة المستديمة وامتصت غضارته متاعب الايام :

يا حاملا خبز الشقوس الى الورى ... لو انصفوك تسابقوا لفتاته

من زاد الطريق

اذا زرت صحبي في « فكسبرك » وما حولها من قرى او مغاني
تخيلت اني في موطن وان بنت عنه فما زال داني
وطرت بروحي فوق البحار وفوق الجبال وفوق المباني
الى بقعة سميت قرنة وكم من خبايا بتلك القراني
خبايا كنوز من الغاليات فخر الجنان ، وفخر اللسان
هنالك حيث الندى والذكاء وعزم تحدى صروف الزمان
وما شئت من خلق باهر وما شئت من رائعات البيان
ألا عاش قومي ولبنان عاش لهم وله الارز رمز الجنان

غرنفيل ـ امريكا نعمة حاج

وزعت نفسك بينهم متابطا عبثا نهضت به على علاته
طورا تحوم على الجموع وتارة تسعى الى الفلاح في وكناته
في كل اذن من هتافك رنة وصدى شجي الوقع من مطاته
كم ذا تحداك الشتاء بقره وبثلجه فضحكت من حملاته
شمرت عن زند يفيض صلابة وكشفت عن صدر زها بشباته

اما قصيدة « العملاق الاسود » فلوحة نموذجية في منتهى القوة والابداع ، لانها حصيلة تجربة انسانية صادقة .. عميقة ، صور فيها شاعرنا الزكي الخصيصة المثلى للروح الانسانية التي تجمل بها محمد علي كلاي ، بطل الملاكمة العالمي ، حين آثر المطاردة والاضطهاد على الذهاب الى الحرب .. دعه يقل ويسترسل :

مرحى لظلمتك السوداء يا بطل حامت عليك قلوب والتقت مقل
ثار البغاث فلم تعبأ بثورتهم يا ريح لن يدري بك الجبل
لله وقفتك الشماء كم كشفت سترا وكم صححت ما زيف الدجل
قالوا تخليت عن اهل فقلت لهم لا ينكر الاهل الا الارذل النفل
الله يشهد لم تأثم كما زعموا لكن كفرت بما قالوا وما فعلوا
كفرت بالقتل والتشريد في بلد تنازعت دمه الاحقاد والاسل

طويلة هي القصيدة وعلى هذا المنوال الرائع الذي كله حركة واثارة ...

وبعد ... فان الصدق في المعاناة الشعورية والباسها ثوبا طبيعيا منسجما مع توترها وعمقها يطبع قصائد زكي قنصل بطوابع خاصة ظاهرة ، والا فان هذي القصائد بات يعوزها ابعاد فنية من التساوق اللفظي والترابط المعنوي والتلاحم الموسيقي . يقول اديب فرنسي هو فكتور كوزان : « القانون المطلق للفن هو الصدق » .. ولعله يعني صدق المعاناة والتجربة ولا يمكن ان يؤدي ـ كما ارى ـ مثل هذا الصدق الا الى صدق التعبير والتصوير اي المهارة في اصطناع الاداة ..

ثمة اكثر من دليل وآية على ما سلف من توطئة ! من ذلك قصيدة زكي قنصل « بائعة الزهر » وفيها يقول :

رأيتها حيرى في زحمة الإحلام
كأنها تقرأ اسطورة الاوهام
تسير كالسكرى في موكب الايام
وترقص الزهرا بهذه الانغام

الزهر يا عشاق حي على الزهر
يزهو من الاوراق في ثوبه العطرى
هدية المشتاق للخد والنحر
وحلية الاعناق اسنى من الدر
سبحان من زانه بوشيه الزاهي
وصاغ الوانه أمنت بالله

من يشتري الريحان يموج بالعطر
مزركش الوان منمنم الثغر
اهزوجة الرحمان رفت على النهر
يرفها نيسان في موكب الزهر
سبحان من زانه بوشيه الزاهي
وصاغ الوانه امنت بالله

وليس لي بعد الذي اردت الا التوسل بما دبجه جورج صيدح في موسوعته العظيمة « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » عن هذه الرائعة بالذات : « مقاطع قصيرة كعمر الزهور والفاظ شفافة كندى الصباح ومعان ساذجة كابتسامات العذارى .. » كذلك يقول : « هذي هي القصيدة التي تمنيت ان يسمعها ابو ماضي شاعر الزهر والندى . حتى اذا تخايلت الوانها امام عينه وتراقصت انغامها في سمعه قال معي : ان زكي قنصل شاعر مبدع كبير » ...

وهل هذا كله الا تعزيز لما كان لي منه ..

بغداد ـ الاعظمية وحيد الدين بهاء الدين

اديب حر .. من القرن الرابع

بقلم عبد الرحمن علي

* * *

عالم بالعربية ، وفقيه ، ومؤرخ ، وشاعر ، وناثر ، وناقد بصير متذوق ، قال عنه صاحب اليتيمة : حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وانسان حدقة العلم ، ودرة تاج الادب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الاتقان والاحسان في كل ما يتعاطاه » . وقال فيه ياقوت : كان اديبا اريبا كاملا .. ومدحه الصاحب فاحسن المدح والثناء ، وعلى هذه الشاكلة كانت شخصية القاضي الجرجاني العلمية ..

والجرجاني ، هو ابو الحسن علي بن عبد العزيز المشهور بالقاضي . ولد في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ونشأ بها ، وقد كان القرن الرابع الذي عاش فيه الجرجاني قرن التمزقات السياسية ، تعددت فيه الحواضر الاسلامية ، وانقسمت الامبراطورية العباسية الى دويلات عديدة ، ولم تعد الثقافة العلمية موكولة بالحاضرة بغداد ، بل تقاسمتها الامصار البعيدة كالقاهرة والري وحلب وغزنة ، وهي بيئات اسلامية انجبت العديد من العلماء والادباء وحسبك ان ترجع الى كتاب اليتيمة لترى فضائل هذه الاقاليم في فنون الشعر والنثر ..

وفي عصر القلق السياسي هذا ينبغي ان نتعرف على امرين : « الاول : هو هذا التنافس بين الحواضر الاسلامية مما حفز العلماء والادباء لشد الرحال اليها . والثاني : ذلك الجانب المظلم من الحياة تسببه النقلات الاجتماعية الجديدة وما يصاحبها من اختلال القيم وارتباك المفاهيم وما كان الامر ليخلو من صور منكودة وكرامات مفقودة وتعديات من علية القوم لم يسلم من شرورها بعض فضلاء الادب وارباب الحرف ..

يذهب احد الباحثين الى ان هذا الضعف السياسي الذي اصاب مركز الخلافة لم ينعكس اثره على العلوم والآداب ، اذ ان تاريخ الفكر الانساني يدلنا على انه لا صلة بين القوة السياسية والانتعاش الثقافي ، فجان جاك روسو وموتنسكيو ظهرا في فترة بلغ من ضعفها السياسي ان انتهت بالثورة الفرنسية ، وروسيا القيصرية انجبت اعلامها الافذاذ في الفترة السابقة للثورة البلشفية (١) . وهذا صحيح ، ولعله يصدق ايضا على العصور المتأخرة ، وما كثرة الاعمال الموسوعية والمصنفات الادبية الكبرى في عصور الانحدار السياسي الا دالة اخرى على ان الاعمال التأليفية تحتشد حين تضطرب الحياة ويشتد ايلامها ..

لم يكن القاضي الجرجاني بمعزل عن عصره ، ولعله صورة حقيقية مجسدة لهذا العصر الغني بالمفارقات ، فقد تنقل في اكثر من حاضرة ، طالبا الدرس والعلم مرة وساعيا لتحقيق الامن واسباب الحرية مرة اخرى ، ثم عرج على الصاحب واشتد اختصاصه به وحل منه محلا بعيدا في رفعته .. وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به احوال في حياة الصاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وافضى محله الى قاضي القضاة ، فلم يعزله عنه الا موته رحمه الله (٢) .

تلك هي حياة الجرجاني في خطوطها العامة ، ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو البحث عن شخصانية الجرجاني وتحليل نفسيته في ضوء شعره الذاتي الجاد ، وموقفه الصادق من قيم عصره ، وصدوره عن نفس عالية محبة للحرية ، مترفعة عن السقطات ومنازل الهوان ، حتى استحال موقفه هذا الى لون من الوان الغربة الروحية ظل يعاني منها الى آخر ايامه .. ولا ننسى ان هذه النفس القوية العادلة انعكس اثرها على تواليفه وانتاجه ، وفي كتابه النقدي العظيم « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ما يشي بثقافته الرصينة واعتداله في الحكم على آثار المتنبي ، حيث اصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الامد في فصل الخطاب ، واعرب عن تبحره في الادب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح كما يقول الثعالبي ..

نظر الجرجاني الى احوال زمانه فهاله ان يرى تهافت الناس على اسباب النعيم وهدرهم لكراماتهم في سبيل غرض زائل ومتعة ذاهبة ، وكأن القوم لم يسمعوا قولة التوحيدي : « ما تعاظم احد على من دونه الا بقدر ما تصاغر لمن هو فوقه » ، والوصولية داء ينخر في النفوس ويذل الرجال ، وما كان الجرجاني ليعبر على افعال هذا النوع من الافراد ، لذلك انطلق بصوته الثائر معبرا عن الهموم التي تعتمل في نفسه ، وطالبا للعزلة ، فقال معللا هذا الانقباض الذي الم به ، بلهجة الانسان العزيز النفس :

يقولون لي : فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهمو هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا ... من الذم اعتد الصيانة مغنما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

١ ـ القاضي الجرجاني ، الاديب الناقد . دكتور محمود السمرة ص ٢٤ .

٢ ـ يتيمة الدهر . ج ٤ . ط ٢ تحقيق محي الدين عبد الحميد ص ٣ .

٣ ـ النثر الفني . انظر فصل ابي الحسن الجرجاني ج ٢ . طبع دار الكاتب العربي .

ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بـدا طمـع صيرته لـي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكـن لاخدمـا
أاشقى بـه غرسا واجنبه ذلـة ؟ ... اذا فاتباع الجهل قد كان أحزمـا
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظمـوه في النفوس لعظمـا

لقد تحدث الاديب الراحل الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ، حديث المعجب بالقاضي الجرجاني(٣)، ولعل في حياة الرجلين من وجوه التشابه مـا يؤكد صحة هذا الحب والاعجاب ، ولم أجد اديبا معذبا حرا اقـرب الى روح الجرجاني منه ، فقد عاش هـو الآخر غريب الفكر والروح ، يعاني من ثورة النفس وقسوة الزمـان ، وان فاق صاحبه من حيث الخسران ، فانتهت حياتـه بفصل فاجع كما هو معروف .. وهذا هـو شأن الادباء الاحرار في كل زمان ومكان ، يبذلـون حشاشة النفس ، ويسرقون من وقت الاهل ، تعظيما للعلم وتعلية لمقامه ، رافضين الخضوع والتذلل :

وقالوا توصل بالخضوع الى الفتى ... وما علموا ان الخضوع هـو الفقر

صدق الجرجاني ، فاذا كانت نفس الاديب من هذا الطراز فيالبعدها عن الحياة الرضية الوادعة ، وهذا هو الاختيار الصعب ، فيه شقوة واصطبار ، وتوجع وعثار :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر ... فاما اصطباري فهو ممتنع وعـر
كاني الاقي كـل يـوم ينوبنـي ... بذنب وما ذنبي سوى انني حـر
فان لم يكن عند الزمان سوى الذي ... اضيق به ذرعا فمندي له الصبر
وقالوا توصل بالخضوع الى الفتى ... وما علموا ان الخضوع هو الفقـر
وبيني وبين المـال بابان حرمـا ... علي الفتى : نفسي الابية والدهر

ومن احر ابياته التي يظهر فيها قوة احساسه وحبه الصادق الى مرابع الخلان ، تلك الابيات التـي يتشوق فيها الى بغداد ، وبها نحس مرارة الفقد ولهيب الحنين :

أراجعة تلـك الليالـي كعهدها ... الى الوصل ام لا يرتجى لي رجوعها
وصحبة اقـوام لبست لفقدهم ... ثياب حداد مستجد خديعها
اذا لاح لي من نحو بغداد بارق ... تجافت جفوني واستطير هجوعهـا
سقى صبابتي بغداد كل غمامـة ... يحاكي دمـوع المستهام هموعها
يحن اليهـا كـل قلب كانمـا ... يشاد بحبـات القلوب ربوعها
فكل ليالي عيشها زمـن الصبا ... وكل فصول الدهر فيهـا ربيعها
وما زلت طوع الحادثات تقودني ... على حكمهـا مستكرها فاطيعها

يقول المفكر برديائف : «من الخطأ اعتبار العزلة نزعة انعزالية ، وانما على العكس من ذلك لا توجـد عزلة الا وكان وجود الذات الاخرى والانا الاخرى مرادفا للعالـم المجرد الموضوعي » (٤) . وعزلة الجرجاني كانت مقترنة دائما بوجود الغير ، ولم تكن عزلة مرضية حادة ، هـو موقف من مواقف الحياة الاصيلة السليمة ، مما يميـز الانسان الموهوب المتفرد ، ولعل ذلك يتضح مـن خـلال هذه الابيات التي كتبها الى اخوين له يعتذر من انقباضه عنهمـا :

ايا معهد الاحباب ذكرهم عهـدي ... ودم لي وان دام البعاد على الود
ولي خلـق لا استطيع فراقـه ... يفوتني حظـي ويمنعني رشدي
تفور من الاخوان من غير ريبـة ... تعد جفاء والوفاء لهـم وكـدي
غذيت به طفلا فان رمت هجره ... تابى واغرتني بـه الغة المهـد
على انني اقضي الحقوق بنيتـي ... وابلغ اقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبـي وودي ومنطقـي ... وابلغ في رعي الذمام لهم جهـدي
فان انتما لـم تقبلا لـي عذرة ... والزمتماني فيه اكثر مـن وجدي
فقولا لطبعـي ان يزول فانـه ... يرى لكما حق الموالي على العبـد

فهذه العزلة اذن لها دواعيها ومصادرها الانسانية، ومن مظاهرها اشتداد وطأة الحزن على النفس وارهاقها بالكآبة التي تصيب القلوب الذكية :

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي ... على نفس محـزون وقلب كئيب
تقسمني الايـام قسمة جائـر ... على نفرة مـن حالها وشحـوب

هذه لمحة الـى انسانيـة القاضـي الجرجانـي ، استوقفتنا مثلما استوقفت غيرنا من الباحثين ، ولم نقف عند الجوانب الاخرى من حياته ، ولرواة الادب العـام ، ولع خاص بذكر الجانب الماجن واللاهي في حياة الادباء ، وما ارى ذلك يمنعنا من التوكيد على حياة الادباء الجادة المشرقة ، وحسبنا ان نقبس من حياة ابي الحسن ، مـا يعطينا صورة حقيقية وصامدة ، وبخاصة اننـا نعيش اليوم في مجتمعات انتقالية اصطلحت على نفوس احرارها الهموم ، وتواجدت نوائب وامتحانات لا تقـوى علـى غشيانها القلوب المترددة الخائرة ، اذ هي رحلة حضارية جديدة محفوفة بالمخاطر كما نعلم ..

البصرة — عبد الرحمن علي

قـالت

وقالت : فـؤادي أسـير لديـك
فكيـف يهـون الـوداد عليـك
وذكـرى هـواي تـردد أنـى
قضيت الليالي علـى ساعديـك
فكانت حياتي .. ربيعا .. خلـودا
بـدرب مشوق علـى راحتيـك
فكيف ستنسى هـواي الاثـير
وكيـف يهـون الـوداد عليـك

خيـوط الضيـاء بـدرب حياتـي
سقاها انسكاب السنا مـن يديـك
وكانـت رؤاي الغزيـرة وهمـا
فعـادت وجـودا يتـوق اليـك
ويهفو اشتياقـا ويغلـى احتراقـا
لينساب ذوبـا الـى مقلتيـك
فكيف ستنسى فـؤادي الاسـير
وكيف يهـون الـوداد عليـك

القليوبية ـ مصر — رفعت محمد سلام

٤ ـ العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف . الترجمة العربيـة ص ١١٧ .

من الطائف الى الباحة

بقلم سليم الرافعي

* * *

انطلقت بنا السيارة الضخمة من مدينة « الطائف » بالسعودية متجهة الى الباحة . وكان الطريق قطعة من الطبيعة الصحراوية ـ الجبلية في آن ، ممتدا امتدادا لا يخطر بالبال ، ومتعرجا . فالارض عذراء ، رغم مرور آلاف السنين ، لم تألف الكثافة التي تعودناها في وادي الفرات ، وشرقي البحر الابيض عموما . والسكون يتزاحم في هذا الفضاء الساطع . وترى اكواما من الحجارة هنا وهناك ، منتصبة بسوادها وضخامتها ـ كانها بقية الدهور المنسحقة يخيل اليك انها كائنات ممتلئة حياة وتعبيرا .

اما الشجر ، فقد اشار اليه السائق بقوله موضحا :

ـ السلم ، والسدر ، ما تريان .

اخيرا وقع البصر عليهما . شجرتان تعيشان الصحراء . وتعيشهما مخيلة الشعوب العربية في المشرق والمغرب .

شجرتان كئيبتان ، رصينتان ، متوسطتان حجما ، متألقتان شوكا ، جدير بك ان تفهمهما ، من نظرة واحدة . فلا مجال للترف هنا ، ولا مكان للهو . نعم . تنشىء الامطار المتدفقة ادواح الارز الجبارة في لبنان ، وتملأ انهار النيل والعاصي ودجلة والفرات مزارع الارز والقطن والفاكهة بالالوان الخضراء والحمراء والبيضاء ، اما هنا فالامر مختلف لان الطبيعة نفسها جبارة ، مترامية ، لا تقبل منافسة الشجر والزروع .

فلتنحن الاشجار ، ولتقصر ، وليتوجه الناظر الى مصدر الخلود .

احتواني افق رهيب . حدثني هامسا :

ـ ايها الكائن ! لقد الفت الاخضر الممرع في وطنك ، فظمئت نفسك الى الاغبر والمجدب . تأمل جيدا ، تر انني لا اطيق ان تعبث بي المياه بسواقيها وترهاتها ، ولا اتحمل المزارع بنظامها ولا الحقول بأزهارها الهشة ، انا اكبر من ذلك ، انا البحر ابتلع كل شيء ، وامتد بحرية واندفاع الى حيث اشاء ، واعيش النمط الاسطوري البهيج . على حين يتحير امثالك في اوطانهم : كيف يعيشون ، واي نمط يرتضون ، يسلبكم الغزاة ويهبونكم ، يعطونكم ويمنعونكم ، يعرفونكم وينكرونكم . فما حقيقتكم ؟

واجبت في ذهول : حقيقتنا من حقيقتك ، ايها الافق !

وسمع السائق صوتي الحالم ، وكنت قابعا الى جواره ، فنظر الي متفحصا وسأل : هل يخاطب الاستاذ احدا ؟ قلت : نعم . يسألني هذا الافق مستغربا امري ، واجيبه موضحا امري . لقد بحثت في بطون الكتب عن نسب يلحقني به ، فهداني البحث الى اني بدوي نازح ، اخالط البحر الابيض المتوسط مخالطة المستريب ، واتقي امواجه واعادي نصف شعوبه بل اني لا اعترف بتراثه الانساني والحضاري ، الا بمقدار ما يعترف به هذا الافق الرهيب ، ثم صرخت بملء فمي : اني بدوي ورب الكعبة !

وتأثر السائق ، فيما يبدو ، بهذه اللهجة العفوية ، فضحك ضحكة صافية وقال : تتحدثان ، انت والافق ، ونحن لا ندري . ثم اكتسى وجهه ملامح الجد ، ونابع : الحقيقة ان في الامر مغالطة . كلمة (بدوي) ليست نقيضا لكلمة لبناني او مصري . ثم نظر الي بسرعة وقال :

ثيابك مثلا ليست من تراث البادية على الاطلاق . عاداتك ايضا هي على ما اعتقد عادات الافرنج ، فانت لا تتحمل اللحية كما ارى ، مع انها تحدد ملامح البدوي ، ثم اننا معاشر البدو الاقحاح نؤمن باله واحد ، وانتم تؤمنون بآلهة المذاهب والعقائد المتضاربة . فمن اين لكم صفاء هذا الافق وبساطته واعتداده بنفسه ؟

وفجأة ، تناهت الينا صرخة احد الركاب : الصلاة ! الصلاة !

اوقف السائق السيارة ، واندفع الركاب مشمرين عن سواعدهم متأهبين للوضوء . والقيت نظرة فاحصة على المكان ، فبدا لي على الفور مسجد ريفي متواضع كأنما بني لساعته ، انساح الى جانبه خيط ماء ، لا ادري من اين جرى . والى خطوات منه قهوة ضخمة مبنية بجذوع النخل ، اتجهنا اليها بعد ان ادينا الصلاة ، فمدت لنا حصر قصيرة خشنة ، وسعى علينا خادم يمان بصينيتين : احداهما للقهوة ، واخرى للشاي ، ثم تقدم صاحب القهوة فآنسنا بكلمات حلوة : حيا الله الرجال ، يا هلا بكم ! وفي الحال ناوله سائق سيارتنا صرة كنا احضرناها من الطائف وجمعنا فيها شرائح اللحم ورغفان الخبز وقدرا من البطاطس والطماطم والتفاح والبرتقال ، حتى السكر والشاي والصلصة !

ثم تحول سائقنا الى سيارته الضخمة ، والقى نظرة عطف عليها . . وخيل الي انه يود تقبيلها ، يا للعجب ! انه يمسحها بخرقة نظيفة وينحني تحتها بتؤدة واشفاق . قلت في نفسي : هل يعيد السائق الحديث شخصية « الحادي » القديم ؟

السائق الحديث هو فاتح الجزيرة العربية . يخترق قلبها الذي استعصى على الغزاة والفاتحين . ينصت ، طيلة سفره ، الى جهاز الراديو فتلتقط اذناه اخبار العواصم الكبرى من واشنطن حتى نيبال . فبلغ بالسيارة وبالراديو اقصى ما يطمح اليه ابن المدينة في باريس وبيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تذكر

★

كلانا يا أخي يجتا ... ز دربا فاغرا فاه
كلانا يا أخي عار ... ونحو الشمس مسراه
كلانا واضح الرؤيا ... يميني ثم يمناه

تذكر يا أخي الانسا ... ن أني صامت الحزن
وأني قد سلكت الدر ... ب اذعانا على وهن
من الاعماق أستهدي ... خرافات عن الامن
ووعدا .. لا يلبيني ... يطوف العمر في ظني

تذكر انني يوما ... طرقت الباب في اصرار
وان الساعد الممدو ... د قد ضاقت به الاحجار
تذكر يا أخي أني ... عرفت الشوق للاعصار
يلف الكون يمحو الزي ... ف تستخذي له الاسرار

دمشق — سلافة العامري

والقاهرة !

الاغاني والتعليقات الدينية والطبية والسياسية والادبية والتاريخية ، فكيف لا يفكر السائق ، بل كيف لا يتميز بطاقة الرأي والفكر ؟

ليست هذه صحراء . انها جزء من العالم الحديث ، ثم درت على عقبي فوقع بصري على مائدة شهية وناداني الجميع : بادر طعامك يا استاذ !

انحططنا على الركب . وشمرنا عن السواعد واخذنا نغترف من اكوام الارز واللحم ، وكان السائق يتخير شرائح اللحم الطرية فيفرقها على مؤاكليه ، ويخص الغرباء بأطايبها .

وكان الشاي ضروريا بعد هذه الوجبة الدسمة . فارتشفناه على عجل . وصعدنا الى السيارة مستجيبين لنداء السائق : هلموا .

وبعد لحظة صمت . قال السائق دون مقدمة : الحق اني لا احب هذا الراديو . فماذا تفيدنا هذه الاغاني التي تهب على اسماعنا من اذاعات البلاد العربية ؟ ثم التفت الي يخاطبني : انتم تؤلفون كتبا عظيمة في الدين وفي التراث ، ولكني لا اتمنى قراءتها . ما معنى هذه الثرثرة ؟ لست ادري ! فهل الدين موضوع يحتاج الى التأليف والتصنيف والتعليق والشرح ؟ الا ترى — يا استاذ — ان مسجدا ريفيا كالذي صلينا فيه يغني عن مئات الكتب والشروح ؟

ثم خبط بيده على مفتاح الراديو ، ليسكته ، وتدفق — كأنه محاضر في جامعة — اسمع من هذا المذياع كلمة « التراث » الوف المرات . فلماذا تعشقون التراث ولا تعشقون الدين نفسه ؟ وتتحدثون عن الحرية ولا تعرفون ان الدين هو الحرية مقرونة بالنظام . فكيف تكون هذه السيارة التي نركبها حرة ان لم تكن خاضعة لنظامها ؟ لقد اشتريناها من مصنع غربي ولكنا نسخرها لقضاء رحلاتنا ، فما معنى كونك بدويا يا استاذ ؟

ضايقني هذا السؤال المحرج ، ولكني ادركت ان الرجل يبني محاورة عقائدية فذة ، ويريد ان يسخر بعرب البحر الابيض ، الذين لا يقودون حضارة الغرب وفق مشيئتهم ، ويكتفون بالكتابة عن امجاد الماضين .

وحانت مني نظرة الى الطريق فرأيت ابدع منظر في جزيرة العرب ، حقا ، انها عبقرية الطبيعة المفارقة ، وشعرت بالارتياح لانني تخلصت من حوار السائق ولكنه فهم اني مشغول بالطبيعة عن كل شيء فاخذ يردد اسماء القرى : — هذه « الجادية » هذه « زهران » هذه «رغدان» واخيرا هذه (الباحة) ، انها قمم مكسوة باشجار اللوز . ولما رآني مستغرقا في تأمل الرواء الاخضر والهضاب الشجراء ، هزني بقوة وقال :

— ماذا تظن يا استاذ لبنان ؟ ان لبنان كله مأخوذ من « الباحة » .

طرابلس — لبنان — سليم الرافعي

ارواح الاماني

تغازل قلبي امنيات سعيدة ... يرف بها مثل الطيور ويخفق
مني مستحيلات ولكن همسها ... بنفسي يوحي أنها تتحقق
أراها بعين الوهم ذات نضارة ... تفوح بانفاس الجنان وتعبق
واستاف منها كالزهور روائحا ... لها أرج يهتاج من يتنشق
تزيد وضوحا حين تصفو خواطري ... وتسطع كالمرآة نفسي وتشرق
اذا جئت روضا او نزلت خميلة ... تخيلتها رفافة تتألق
ويطرب سمعي كالبلابل شدوها ... وتثمر في مرأى الفؤاد وتونق
منى مستحيلات أصيخ لصوتها ... فيشكرني منه سلاف معتق
أكاتمها كالسر بين جوانحي ... وأحنو عليها ما استطعت وارفق
وأغرسها في روض نفسي بذرة ... فتنمو بأحناء الضلوع وتغدق
تعهدتها بالسري جهدي وانما ... دمي جدول من دونها يترقرق
فيالغصون في الضلوع وريقة ... ويا لدم يروي الغصون فتورق
أحاذر غيري ان يلم بسرها ... فيعتدني أهذي جنونا واحمق
جنحت اليها من صميم مشاعري ... وان عزني رأي سديد ومنطق
تفيء علي الامن والبشر والرضا ... فيرتاح ذهن بالفجاءات مقلق
والا ففي دنيا الحقيقة صادم ... لذي حلم يصحو صباحا فيصعق
عهدت الاماني عند غيري من الورى ... سرابا به تصدى حشاه وتحرق
فما لسرابي تستحيل مدامة ... بها يصبح النشوان سكرا ويعبق
لأي مطار يرتقي الوهم صاعدا ... الى حيث لا يسمو جناح محلق
اذا أبدع الرسام في الطرس مشهدا ... من الغيد يزهو حسنهن ويبرق
تراهن في القرطاس نبض ملامح ... وفور دم طي الصبا يتدفق
وتسمع همس العين للعين بالمنى ... فتلهم تأويلا يدق ويعمق
فلم لم يشد وهم الاديب معاقلا ... تتيح اليه الامن ساعة يفرق
أخا العاطفين انطلق وفق ما ترى ... فان قيود المنطقيين ترهق
يعيشون في دنيا الوقار حجارة ... من الصم لا تشكو ولا تتشوق
وانت فؤاد بالاساطير حالم ... تفاديه أطياف الجمال فيخفق
له عالم يرتاده بشعوره ... موشى بفن الملهمين منمق
فيذهل عن دنيا الأنام الى التي ... يضاحكه منها بهاء ورونق
اذا ما تمنى فالمحال على مدى ... يشير اليه من قريب فيلحق
فيدنو اليه الجاه والمال والهوى ... مواكب تهتاج الحليم فينزق
الا تلك ارواح الاماني تقمصت ... شخوصا بمرأى العين تسنى وتألق

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه الصعيد في القصة المصرية

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

شجية هي حكايا الصعيد المصري ، ومثيرة هي قصصه واشجانه .. اكبر من ان يتناولها كاتب او يلم بها اديب ، لانها الزمان : الاصل والصورة في آن واحد .. الحلم والواقع .. الالم والامل .. لذا فمن الصعب علينا ان نحكي عنها او نرويها . لماذا ؟ لان الصعيد المصري ما زال بؤرة العراقة العربية وما زال كذلك منطقة التخلف الحضاري العنيد .. ومن ثم فان المرء يحتار عندما يرصد هذا الواقع المتناقض ، ويأسى لما يحويه !

فالصعيد المصري بحكم موقعه ـ خاصة في اسوان وقنا ـ ما زال يحافظ على الاصالة العربية ، وما زالت تجري العروبة صافية في اعماقه بكل ملامحها الانسانية ومعالمها الاخلاقية النبيلة .. ولا عجب اذا رأيت هنالك تضامنا وتآخيا وحبا وعطفا وكرما وسموا في العلاقات واحتراما للكلمة وقداسة للفظة ..

وقد أتاح العمق الجغرافي للصعيد المصري ان يصمد في وجه الغزاة المتتابعين ، وان تنمو فيه قيم العروبة الخالدة والسماحة الاسلامية الخالصة .. فلم تؤثر فيه عوامل التغيير الخارجي والطارىء بمثل السرعة التي اثرت في منطقة الوجه البحري خاصة مدنه الساحلية .

بيد ان هذه الميزة التي ظفر بها الصعيد المصري تكاد تذهب بعيدا عن مرمى البصر اذا نظر المرء الى طبيعة بعض العلاقات الاجتماعية والعادات المتجذرة في اعماق الصعايدة .. ونستطيع بالتأكيد ان نرى خلال نظرتنا بقعا سوداء وبصمات اشد سوادا تجعل نفس الانسان تذهب حسرات على هذا الذي يجري هنالك مثل : الثأر، ووأد المرأة لاقل شبهة تدور حولها ، ونظرة الشك والريبة لما تقدمه الحضارة الحديثة .. حتى لو كان خيرا عميما .. فضلا عن التخلف العلمي الذي يشترك فيه ابناء الوطن جميعا ..

ورغم هذا فان الواقع يتغير . ويتغير لصالح الزمن القادم ، وان لم يكن بالسرعة المطلوبة فانه تقدم لايستطيع المرء ان ينكره او يتجاهله .

واذا سألنا انفسنا : ماذا قدم الادب العربي في مصر تعبيرا عن هذا الواقع الصعيدي ونتائجه ؟ فاننا لا نجد نتاجا ادبيا يتكافأ مع عمق هذا الواقع وابعاده المختلفة . ربما لان ذلك يرتبط بمسيرة الادب العربي عامة وتخلفه عن معالجة كافة القضايا الملحة بالابداع المطلوب او المفروض . وايضا فاننا لا نستطيع مع هذا التناول السريع ان نجيب اجابة كاملة ودقيقة لسؤال تشمل الاجابة عليه واقعا اكبر من كل سؤال وكل جواب .

وعندما نطالع ما كتبه الاديب « عبد العال الحمامصي » عن الواقع الصعيدي ، فسوف نرى نوعا من المعالجة الجيدة يفرض علينا ان نقف امامها بالاحترام ونتمنى لها مزيدا من الجودة والعمق والتوفيق . فهو يمثل حياة الصعيدي المتعددة الانماط ، والمختلفة الاغراض ، المتباينة الدوافع ، فيمكننا ان نرى الفتى الصعيدي الذي هاجر من الصعيد الى المدينة ليطلب العلم وربما المجد والشهرة ، ولكنه يصاب بالخيبة لما يجري مخالفا احلامه وتطلعاته . ونستطيع ان نطالع جبين الفتاة التي قتلت ظلما نتيجة وقوعها في غرام بريء مع واحد من الشباب . كما يتيح لنا فرصة المعايشة لواقع المدينة التي مات قلبها ، وتناقض الحياة فيها مع واقع الريف الطيب المليء بالبساطة والمشاعر الانسانية الفياضة تجري في عروق بنيه .

وخلال الدائرة المرتبطة بالواقع الصعيدي يبث عبد العال الحمامصي همومه واشواقه مفعمة بمحاولات طموحة يتجاوز بها الحياة الآسنة ليصل الى الضفة الاخرى .. ضفة الصراع والحركة والحيوية ، وان كانت هذه الضفة تعني في الزمن القديم : الموت والصمت والخلود الساكن .!

واشد محنة يصطدم بها الصعيدي المفعم بالبراءة والرجولة والشهامة والاخلاص الى حد السذاجة هي محنة القسوة التي يخالطها في المدينة . وهي محنة من طراز فريد تكاد تنسحب على العالم المتمدين جميعه اذ اصبح الناس يعنون بذواتهم فقط ، لا يهتم احد بآخر ، ولا يسأل انسان عن انسان ، وكل العلاقات اصبحت نفعية صرفية قوامها المادة الصماء . افرغت هذه العلاقات من كل القيم والعواطف والاريحية الروحية . لقد اصبحت المدينة ميتة .. بلا قلب .. اضحت ميتة الحس والوجدان . هنالك جثة في الطريق ولكن واحدا من الواقفين يبخل بورق صحيفته لتغطية هذه الجثة ، وتظل بلا غطاء ؟ « بعد الاسابيع التي قضيتها في هذه المدينة لن استغرب اي تصرف يحدث فيها . رأيت بعيني رجلا رفض ان يتخلى عن صحيفته لتغطى بها عورة جثة » (ص ٤٢ من مجموعة للكتاكيت اجنحة) .

ان مجتمع المدينة تخلى في مجموعه العام عن الشهامة والنخوة التي الفها في وطنه الاول .. في الريف الصعيدي بقراه ونجوعه التي يشعر فيها المرء بالتلاقي والاحساس الواحد والشعور المشترك في اطار الالفة والبساطة والعفوية . كأنه قدر لا مفر منه يقابله ما يحدث

في المدينة اللاهية والمزدحمة والمختنقة .

«كيف استطيع تدبير احتياجاتي في مدينة مسعورة. كالبغي لا تتعامل ابدا بقلبها . كيف تكفيني الجنيهات التي اتقاضاها شهريا من صاحب المجلة لتغطية نفقاتي من طعام ولباس وكتب وسكن ودخان » ص ١١٥ .

وقد تكون هذه المشكلة ذات اتصال شخصي بحياة الكاتب الخاصة حتى انه يكرر اكثر من مرة الحديث عن فشله وخيبة امله في القاهرة التي مات قلبها « خدعت في القاهرة . خاب املي . انها مدينة مات قلبها » ص ٣٩ . وفي موضع آخر يقول « ماذا افعل الآن في مدينة مات قلبها . عشرة جنيهات كيف اواجه الحياة بها » ص ١١٧

بيد اننا ازاء هذا القرف الذي يشعر به الكاتب تجاه القاهرة لا نملك الا ان نستشف من وراء ذلك رغبة ما .. رغبة اصيلة في العودة الى النبع الصافي الذي اغترف منه في صباه عندما كان طفلا وصبيا يعيش في قلب الصعيد الجواني . وهي رغبة تشبه الحلم بالمدينة الفاضلة التي لم تتحقق حتى الآن ، ويبدو انها لن تتحقق ابدا ! ومع ذلك فان صوت الكاتب لم يضع عبثا عبرة كلماته ، لانه بالضرورة عبر عن شوق جماعي للصفاء الخالص والتلقائية والفرار من سطوة القهر الاعمى !

ان الزيف الذي يغلف حياة المدينة الكبيرة يحتم على الانسان ان يقوم بالمواجهة .. ليس فقط مجرد التأفف والتمني بالخلاص . بل بالتعبير والكشف والمعالجة الواعية . ان التناقض بين الحياة لعطائها الاصيل والفطري وبين الحياة المدهونة والمزوقة لا بد ان يخلق نوعا من الانفصام او شرخا من النفس الانسانية التي تنتقل من الصورة الاولى الى الصورة الثانية فتفجؤها تلك بغم عظيم ! وهذا الانفصام او ذلك الشرخ قد لا يلتئم او يصح ابدا ، وعندئذ يتحدد مصير مخلوق بشري بالضياع ، وان كان يحمل في اعماقه نزوعا الى المشاركة والعطاء فوق ارضه وبين اهليه . ولعل الحمامصي قد استطاع تصوير ذلك تصويرا كاملا او اقترب منه في معظم قصصه القصيرة التي ضمها مجموعته الاولى « للكتاكيت اجنحة » . ويستطيع القارىء ان يدرك عمق هذه القضية لو قرأ قصة « التذكرة » او « العاملة » او « الطريق الآخر » او « العجوز وشجرة التوت » او « الفتى الذي جاء متأخرا » ..

وفي معالجته لقضية التناقض هذه لا يملك الكاتب الا ان يسوح مع احزانه مفضفضا عنها ومطلقا لنفسه العنان .. والحزن ـ لست ادري ـ مأساة جيلنا والجيل الذي سبقنا ، ينهمر على كل الاشياء في جميع المواسم والفصول دون انذار او مقدمات ! ولا شك ان القارىء سوف يلمح على كل سمة من سمات الشخصيات الصعيدية ظلا من الحزن يتناسب مع حرارة الموقف وظرفي الزمان والمكان .

وعلى جانب آخر من جوانب المعايشة للواقع الراهن يمتطي الكاتب صهوة قلمه ، ويرصد معالم الزمان الايجابية ، ويجسد المقاومة التي توشك ان تكون رومانسية الفكر والسلوك كما في « الطريق الآخر » و « الصعايدة » و « للكتاكيت اجنحة » و « اشياء هو لا يدركها » ...

وثمة قضية ازلية في الصعيد المصري ، وهي علاقة المجتمع بسلوك المرأة .. وهي قضية تناولتها التمثيليات الاذاعية بكثرة ملحوظة ، وعولجت معالجات شتى . بيد ان مجال تناولها في القصة القصيرة كان ضئيلا للغاية . ولم ينس الحمامصي ان يركز على هذه القضية التي تلح عليه بشكل ما . وقد عبر عنها في قصة « المحاكمة » مدينا هذا الواقع الذي ما زال يقيد سلوك المرأة ويغله في اطار الحكم عليه ظاهريا .. بيد اننا نستشعر مفارقة في هذه القصة . فالفتاة القتيلة شقيقة البطل القاتل (!!) وقد أباح لها اهلها حظا من التعليم (!) فرغم الاعتراف بحقها في التعليم ـ وهو اعتراف ضمني بحرية معينة ـ الا ان حق الممارسة لهذه الحرية محكوم برغبة الآخرين مهما كانت هذه الرغبة صالحة او سيئة !

تبقى قضية الصياغة الفنية والتعبير ادبيا عن وجه الصعيد المصري .. فهل استطاع عبد العال الحمامصي ان يعطينا شيئا يؤثر بالعمق في وجداننا وكياننا . أم انه قرأ علينا تقريرا وصفيا لظاهرة معينة ؟

الحق ان عبد العال الحمامصي قد تمرس بكتابة القصة منذ زمان . وكتب كثيرا ولم ينشر الا قليلا ، وتابع في نفس الوقت مسيرته على طريق التطور الفني . واذكر انه كان في اوائل الستينيات واحدا من الزملاء الذين كانوا يشكلون الطلائع الخضراء في فترة قحط كانت موقوفة على الاسماء المعروفة منذ الاربعينيات . وقد اصبحت هذه الطلائع في زمننا ـ بعد ذبول معظمها ـ تشكل عماد الحركة القصصية في مصر على اختلاف في المنهج والتكوين .

ولا احسبني عند قراءة قصصه القصيرة والتي عكس عليها وجه الصعيد المصري الا معترفا به كفنان ذي احساس مرهف ويملك رؤية مستمدة من هويتنا الذاتية.

وقد لاحظت ان هناك تلازما معينا بين الرؤية والتعبير ، والفكر والاسلوب .. فعندما يتناول بعض القضايا العامة يرهف احساسه ويرق شعوره ويتسامى فنيا لينتج لنا قصصا جيدة الفكرة والاداء . ولعل ذلك يتضح في قصتين هما « التذكرة » و « الطريق الآخر » وهما من انضج القصص التي كتبها الحمامصي على الاطلاق .

اما ما عدا ذلك فاننا نراه يقع في التقرير الوصفي والسرد المباشر والوضوح الجهير وكلها تفسد العمل الفني ، وتشكل عبئا كبيرا على الاداء الفني ، والتركيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هجـران

★

وهجرتني .. انا لا الـح والحف ... سلم الهوى ، فهو الظلوم المنصف
يشكو النوى، وهو المعذب بالنوى ... في الصدر، هذا الناسك المتصوف
وتركته نهـب الحنين ، فكيف لا ... يشكو الحنين ، وكيف لا يتلهف
يرجو ويأمـل ، وهـو في آمالـه ... ورجائه ، النهم الهلـوع المسرف
الحب فيه ـ علـى غرارة حبـه ... وجنونه ـ حلو الشمائل ، مترف
ويمل فلسفـة اللسان ، لانـه ... كالطفل يحلم ، وهـو لا يتفلسف
وعلى براءته .. فما هـو غادر ... وعلـى طبيعته .. فـلا يتكلف
اتراه ينكر ساعدي ، وقد هوى ... وغفا علـى زنـدي هذا الاهيف
وانا الذي هفهفتـه ، ومنحتـه ... حبي واغنيتي ، فقيل : مهفهف

اما النجوم ـ ولي علـى اضوائها ... ثغـر يعطره اللقـاء ومرشف
عرفت هواي ، فما هنالك مشرق ... منها ـ ولو جهل الورى ـ لا يعرف
وعلـى غلالات الربيـع مقطـر ... مما يجود بـه الشذى ، ومقطف
فسلـي هنالـك اي قلب هـزه ... حب يزغـرد للجمـال ، ويهتف
وسلي اريـج الياسمين ، فانـه ... شعـر يترجمني ، وحس مرهف

أنا يا هواي ـ ولا الح ـ مشاعر ... سكرى ، وقلب بالصبابـة يرعف
يتبطن الحب الصحيح، فلا جنى ... يومـا عليـه مـزور ومحرف
ان الـدم العربـي في يمدنـي ... بالمغنيـات ، فكيـف لا اتعفـف
وصلابة الصحراء شيء في دمـي ... يحيـا ، وسـر بالابـاء مغلف
فاذا هجرت فان لـي لقيا علـى ... اخلاقهـا شرفـا تعـين وتسعف

طرطوس ـ سورية ... احمد علي حسن

القصصي .. ويظهر ذلك جليا في « لحظـة فـرح » و « امرأة من بورسعيد » .

ورغم ان معظم القصص التي كتبها الحمامصي قـد صيغت باسلوب كلاسيكي ذي هندسة دقيقة ، وحبكـة محكمة ، الا انه دخل ميدان التجديد بقصته « قابيـل يخنق القمر » ليحاول اضفاء بعض الظلال الحديثة فـي البناء القصصي . ولكنني لم استطع التفاعل معها ذلـك انني ارى الحداثة او المعاصرة لها اصول لا بد ان ترتكـز عليها وتستخدم هذه الاصول بمهارة تدفع القارىء لمزيد من المتعة والمتابعة والاستبطان للواقع المحسوس ، وتعطيه ايضا مزيدا من الانطلاق النفسي والروحي .

لقد اثارت قصص الحمامصي قضية تحتاج الـى استلهام ومعالجة ودراسة ، لغنائها بالكثير مـن الصور والمعاني ولالتصاقها بواقعنا وتأثيرها في مستقبلنا ..

ان الصعيد المصري يمثل عينة من الصعيد العربي والريف العربي والبادية العربية .. وكلها تحتاج الـى هزة عنيفة بالفكر تنقله من الزمن القديم المظلم الى روح العصر والاوان .. وعلى ادبنـا العربي تتوقف المسيرة للخلف او للامام .

مصر ـ مرقص بحيرة ... حلمي محمد القاعود

لقاء تحت المطر

الربيع

بقلم فتحي الابياري



كان واقفا في ذلك المكان ، منتظرا حبيبة قلبه . ذات صباح مبكر . بالرغم من سقوط قطرات من الرذاذ ، والوقت ربيع . لكن ذلك الصباح يختلف عن كل صباح ، لانه يذكره ، بتلك اللحظات التي لا تنسى عندما يصاب بصاعقة يسمونها الحب .. احيانا . لقد مرت الايام سراعا ، لكن ذلك الصباح ، وذلك اليوم .. تعاهدا على ان يلتقيا فيه ، ليسترجعا معا اجمل لحظات قلبيهما .. حين تلاقت خفقاتهما في لحن واحد .. سحري . بعيدا عن كل واقع محسوس . ولمح وجهها من بين عشرات الوجوه ، والاجساد . وتلاقت نظراتهما الفرحة ، وغابت يدها الناعمة في حضن كفه الدافىء. وسارا بعيدا عن المكان .. وقال لها :

ـ صباح الخير ..

ـ صباح الخير ..

ـ كيف امضيت الامس ..

ـ في ألم .

ـ لماذا ؟ تركتك .. وكنت السعادة بعينها .. ليتني لا اتركك لحظة .

ـ كيف !

ـ ماذا حدث !

ـ وجدت الاولاد يبكون ..

ـ لماذا ؟

ـ لانني تأخرت قليلا .. فكرت .. الا نلتقي معا .

ـ هكذا ..

ـ لا تنظر الي .. ارجوك .. لا احتمل .. كفى ما مر بي بالامس مع الاولاد .

ـ كفى ما مر بك انت من ايام .. بل من سنين ضائعة .. الى ان ولدت من جديد ..

ـ كيف احتمل ؟ انني متضايقة ؟

ـ لن تتضايقي وانت معي .. وخاصة في هذا اليوم بالذات .. سنذهب الى حديقتنا .

ـ لن اذهب .

ـ لماذا ؟

ـ يكفي ان أراك ..

ـ كما يرى غريبان احدهما الآخر ..

ـ السماء تمطر ..

ـ رذاذ الربيع .. ليس مطرا .. انه يغسل من نفوسنا .. آلام الشتاء ..

ـ لقد فكرت .. ورأيت ان نبتعد ولو قليلا .. انني متضايقة..

ـ من الاولاد .. لكنني تركتك بالامس فقط وانت سعيدة .. وانت تطيرين من فوق الارض .. كأنك تسيرين فوق القمر .. لا يمكن ان

ـ ارجوك !!

ـ واعرف انك تحاولين اكثر من مرة .. ان تحبيني .. او تحبي نفسك .. من لحظة سعادة .. هل يوجد من تدعو الله مثلك .. ان تكره حبيبها بمثل ما تحبه من حب كبير ..

ـ لا تعذبني اكثر مما انا فيه ..

ـ لماذا تعكرين صفو تلك الذكرى في هذه اللحظة بالذات .. انت لست انت .. كنت بالامس فقط.. تهبينني انقى لمسات الحب .. الصافي كانت ذراعاك تحوطني .. كأنك تخشين ان اختفي .. وكانت اصابعي تتسلل بين خصلات شعرك وتلتقي روحانا .. في قبلة خاطفة ونحن نسير بين الورود ..

ـ ارجوك .. لا تجعلني أتراجع فيما قررته ..

ـ من الذي سمح لك بأن تقرري؟! اشياء كثيرة عشت محروما منها .. وما زلت . لقد تعودت على الحرمان .. منذ أيام طفولتي .. ولم أتعود أن ..

ـ لا احتمل ان اسمع ..

ـ سأسكت .. وابتلع حرماني.. ولكنني لا اريد ان اراك متضايقة .. ولست أنا السبب .

ـ كيف !

ـ لانني لا أضايقك !

ـ ولكنك لا تخاف علي .. من عيون الآخرين .

ـ عدنا الى عيون الآخرين .. سحقا لهذه العيون .. لانني لن اعيش مليون سنة .. لكنني لا اهتم بها .. فقط اهتم .. بك .. واخاف عليك .. لا كما تتوهمين .

ـ اذن .. فلنبتعد ..

ـ لانك جبانة .. وتفكرين بعقلك .. الذي لا يحب .. الا المنفعة .

ـ ماذا تقول ؟

ـ كلام كالنار .. لاحرق عقلك الذي سجنك طوال عمرك ..

ـ اتصور انني اسير بجوارك الآن ..

ـ قلت لك .. لا تنظر الي هذه النظرات .. لا أكاد احتمل ..

ـ ماذا يريدون .. اكثر من هذا ... كنت محروما منك اسبوعا .. لم أرك فيه . وعندما أجدك .. افقدك هكذا .

ـ لم تفقدني .. ولن تفقدني .

ـ قلبي يعرف هذا .. لانك تحاولين ان تقتلي قلبك .. وهذا مستحيل ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشريد

يا عذبة الصوت يا دفء الاناشيد ... انـا المتيم بالقيثار والعود
لحن الرباب وآهات المنى سحرت ... على لماك واحلام العناقيد
والناي انت واوتار بكت نغما ... والزهر في خفر يختال كالغيد
غنيت حبي فوجه الليل في الق ... والطير زغرد والايام في عيد
والزهر لما تزاءت مقلتاك سنى ... قتلن ما بين تشريد وتسهيد
لكن قلبي ملتاع وبي حرق ... يلفني الشوق في اعطافك الصيد
الا اخاف على قلبي متيمتي ... نفذت في اثنين كسار وجلمود
كفى الرنين ويا انغامها احترقي ... اما كفاك سهام الانجل السود
انا غريب بنى في البحر دارته ... فالريح لا سكن والموج في جود
تخالني ساريات السفن في جذل ... ويقتل الوجد مني سر تغريدي
ظمآن للمطلق المجهول في لهف ... امشي الدروب صدى ظل الاناشيد
يظلني قمر في داره درر ... كالحلم يغفو على اغفائه الجيد
ويسرق الموج مني سر رعشته ... وتخطف الريح آهاتي وتنهيدي
اشدو الهوى نغما في ظل قافيتي ... ويرقد الليل في احضان تشريدي
اصادق القمر الراني على أفق ... واقطن الضوء في احلى المواعيد
اطوف في جزر الاحلام من وله ... ويخلق الحب مني سر تمجيدي
تؤمني نحلات الزهر من عبق ... وكل طير هفا شاد وغريد
وكل فرعاء ما ارخت جدائلها ... الا سرت في محياها اغاريدي
حتى الزنابق لما ضح عاطرها ... صاغت محاسنها زهرا على عودي
والبحر لما زها في مده عكست ... امواجه في فم الملاح ترديدي
حبيبتي طلفت روحي مدى جسدي ... ردي الحياة اعيدي اليوم تشييدي

محمد توفيق صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كفى !!

ـ شكرا .. شكرا .. يكفيني .. ان قلبك الدافىء .. جعلني املك الدنيا .. لحظات .. وجعلك تحسين بالوجود ..

ـ يكفيني ان اراك فقط .. ولو من بعيد ..

ـ انني حزين من أجلك .. لان قلبك .. سينزف دما .. وستعودين الى حياة الثلوج .. في عز الصيف .. لكن سينتصر قلبك في النهاية .. مهما فعلت !

وافترقا بالصمت .. وحاولت هي ان تستنجد بساقيها لتختبىء في زحام الناس ، بينما وقف هو .. رافعا ناظريه الى السماء .. مسترجعا صورة ذلك الجبل الشاهق الارتفاع الذي وقف عليه ذات لحظة .. في ذات يوم .. في مكان ما وكانت هي معه .. وكانا معا بعيدا عن كل عيون .. يرتشفان احلى ثمار الربيع .. الحب .

القاهرة — فتحي الابياري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

نحاتة

ويقولون : نحاتة (بكسر النون) الحجر او الخشب . والصواب نحاتة (بضم النون) الحجر او الخشب .

وتطلق النحاتة (بضم النون) على البرادة (بضم الباء) ، وهي ما سقط من المبرد . وهذا الاطلاق مجازي . اما النحاتة (بكسر النون المضعفة) فهي حرفة النحات .

نخر السوس الخشب

ويقولون : نخر (بفتح الخاء) السوس الخشب . والصواب : نخر (بكسر الخاء) ينخر (بفتح الخاء) نخرا (بفتح ففتح) ، فهو ناخر ونخر (بفتح فكسر) ، وهو من المجاز .

ويأتي الفعل نخر (بفتح الخاء) متعديا حين نقول : نخر الحالب الناقة ، أي : ادخل يده في منخرها ودلكه لتدر ، والناقة : نخور (بفتح النون) .

واذا جاء الفعل نخر (بفتح الخاء لازما) ، فانه يعني: مد الصوت من خياشيمه وصوت (بتضعيف الواو) .

العطاء النذر

ويقولون : هذا عطاء نذر (بفتح فسكون) ، أي : قليل تافه . والصواب : هذا عطاء نزر (بفتح النون وتسكين الزاي) . وفعله : نزر (بفتح فضم) الشيء ينزر (بضم الزاي) نزرا (بفتح فسكون) ونزارة (بفتح النون) ونزورة (بضم النون) ونزارا (بفتح النون).

اما النذر (بفتح النون المضعفة وتسكين الذال) ، فهو : ما يقدمه المرء لربه ، او يوجبه على نفسه من صدقة او عبادة او نحوهما . وجمعه : نذور . وفعله : نذر (بفتح الذال) ينذر (بكسرها) وينذر (بضمها) نذرا (بفتح فسكون) ونذورا (بضم النون) . والنذيرة (بفتح فكسر) هي : ما يعطيه .

اصيب بنزيف

ويقولون : اصيب فلان بنزيف من انفه . والصواب : اصيب بنزف (بفتح فسكون) من انفه ، لان النزيف هو : الذي سال منه دم كثير حتى ضعف . ونقول : نزف (بفتح الزاي) الدم فلانا نزفا ، فهو نزيف او منزوف .

ومن معاني النزيف :

١ ـ المحموم .

٢ ـ السكران .

٣ ـ من عطش حتى يبست عروقه ، وجف لسانه .

اما النزف من الانف فهو : رعاف (بضم الراء) ورعف (بفتح فسكون) ورعف (بفتح ففتح) وهي من المجاز . وفعله : رعف (بفتح ففتح) ورعف (بفتح فضم) كما في الصحاح والمصباح والتاج واللسان (وقد انكره الازهري والاصمعي) ورعف (بضم فكسر) وقد انكره الازهري .

ولكن المعجم الوسيط يقول ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قال ان من معاني (النزيف) : خروج الدم غزيرا من الانف او الفم او نحوهما لعلة او جرح .

تنازل عن حقه

ويقولون : تنازل فلان عن حقه لجاره . والصواب : نزل له عن حقه . وقد جاء في التاج : نزل عن الامر : اذا تركه ، كأنه كان مستوليا عليه مستعليا ، وهو مجاز .

اما (تنازلوا) فمن معانيه :

١ ـ تطاعموا عند هذا مرة ، وعند ذاك أخرى .

٢ ـ نزلوا عن ابلهم الى خيلهم فتضاربوا في الحرب .

وكل فعل على وزن (تفاعل) يحمل معنى المشاركة بين اثنين او اكثر . وهنا لم ينزل عن حقه الا شخص واحد .

ونشتق (تفاعل) للواحد احيانا ، اذا دل ذلك الاشتقاق على الكذب : مثل : تعامى : اذا تظاهر بالعمى ، وتصام : ارى من نفسه انه اصم ، مع انه يسمع ، وتماوت : أرى انه ميت وهو حي . والتنازل عن الحق لا يمكن ان يتظاهر به المرء ، ويضمر عدم التنازل .

المتنزه ، المنزه

ويقولون : متنزه (بضم فسكون ففتح ففتح) . والصواب : متنزه (بضم ففتح ففتح فزاي مضعفة مفتوحة) ، لان الفعل هو : تنزه (بفتح الاحرف كلها مع تضعيف الزاي) ، وليس انتزه (على وزن افتعل) .

ويخطيء آخرون فيسمون المتنزه منزها (بفتح فسكون ففتح) ، كما فعل ابراهيم طوقان في قصيدته « كارثة نابلس » :

كان جرزيم منزها ، والغواني في ظلال منه ، وماء زلال

وجرزيم هو احد جبلي مدينة نابلس .

عرق النسا

ويقولون : اصيب بالتهاب في عرق النسا (بكسر النون) . والصواب: اصيب بالتهاب في عرق النسا (بفتح النون) . وهو عرق (عصب) غليظ يمتد من الورك الى الكعب . مثناه : نسوان ونسيان (بفتح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النون والسين فيهما) . وجمعه : انساء (بفتح فسكون) .

ولا يقتصر التهاب هذا العصب على النساء وحدهن ، بل يلتهب في كلا الرجال والنساء على حد سواء .

ويكتب المصباح (النسى) بالالف المقصورة . وقال الاصمعي : هو النسا (بفتح النون المضعفة) ، ولا تقل : عرق النسا ، ولكن ابن السكيت أجاز ذلك .

نسائي

ويقولون في النسبة الى نساء : نسائي كالجمعيات النسائية المنتشرة في العالم العربي . والصواب : نسوي (بكسر فسكون فكسر) . وهذا هو قول سيبويه اورده التاج واللسان .

وتجمع المراة ايضا على : نسوة (بكسر فسكون) ، ونسوة (بضم فسكون) ، وكسر النون افصح كما يرى المصباح ، ونسوان (بكسر فسكون) ، ونسوان (بضم فسكون) ، ونسون (بكسر فضم).

ويقول بعضهم : ان النساء هي جمع : نسوة . ويصغر على نسية (بضم ففتح فتضعيف) ، ونسيات (بضم ففتح فتضعيف) . والثاني : تصغير للجمع .

نسبة له او بالنسبة له

ويقولون : نسبة له ، وبالنسبة لكذا . والصواب : نسبة اليه ، وبالنسبة الى كذا . أي : بالنظر اليه والقياس اليه .

اما المجاز الذي جاء في الاساس والتاج واللسان : جلست اليه فنسبني ، فانتسبت له ، فان (نسبني) هنا معناه : سالني ان انتسب . (وانتسبت له) هنا معناه : أظهرت نسبي لمن سالني عنه ، وذكرته .

ولم أجد (اللام) بعد الفعلين (نسب وانتسب) ، او بعد المصدر (النسبة) في التاج ، واللسان ، والاساس ، والمصباح ، والمحيط ، ومتن اللغة ، والصحاح ، واقرب الموارد .

وجاء في فهرس شذور الذهب لابن هشام الانصاري لشارحه محمد محيي الدين عبد الحميد ما يأتي :

١ ـ الافعال بالنسبة للمفعول به .
٢ ـ الاعداد بالنسبة للتذكير والتانيث .
٣ ـ الاعداد بالنسبة للتمييز .

وجاء في النحو الوافي في الفهرس المفصل للمجلد الرابع :

١ ـ والنسب للمثنى .

اما في بقية الفهرس ، وفي المتن والهامش ، فقد جاء الفعل (نسب) وكلمة (النسبة) متبوعين بحرف الجر (الى) ، كما ظهر ذلك في كتب النحو الاخرى .

فاما ان يكون وضع اللام هفوة غير مقصودة ، واما ان يكون شارح الشذور ، ومؤلف النحو الوافي ، قد عملا برأي صاحبي لسان العرب والصحاح ، عندما قالا : حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى . وانا لا ارى باسا ان نقول : نسب له كما نقول: نسب اليه .

منسوب الماء

ويقولون : بلغ منسوب ماء النيل كذا مترا . والصواب : بلغ مستوى ماء النيل كذا مترا . اما المنسوب فهو :

١ ـ ذو الحسب والنسب .
٢ ـ شعر منسوب : فيه نسيب (غزل) .
٣ ـ خط منسوب : ذو قاعدة .

رجل نشط

ويقولون : رجل نشط (بفتح فكسر) . والصواب : رجل نشيط او ناشط ، أي : الذي تطيب نفسه للعمل وغيره .

ومن معاني الفعل : نشط (بفتح فكسر) ينشط (بفتح الشين) نشاطا :

١ ـ نشطت الدابة : سمنت .
٢ ـ نشط من المكان : خرج .
٣ ـ نشط فلان : قطع من بلد الى بلد .

نصب عينه

ويقولون : وضع استرداد فلسطين نصب (بكسر فسكون) عينه . والصواب : وضع استردادها نصب (بضم فسكون) عينه ، أي : امام نظره .

النصبة

ويطلقون اسم النصبة (بفتح فسكون) على الشجرة الصغيرة ، التي تقتلع من مكانها لتغرس في البستان ، وهي ماخوذة من الفعل نصبه : اذا اقامه ورفعه . والنصبة عامية ، فصيحها غريسة (بضم ففتح فسكون) ، اذا كانت صغيرة جدا ، او : غرسة اذا كانت صغيرة .

ويستعمل آخرون كلمة شتلة (بفتح فسكون) ، وهي دخيلة من الآرامية بلفظها ومعناها .

نصب تذكاري

ويقولون : اقاموا للفدائي المجهول نصبا (بفتح ففتح) تذكاريا . والصواب : اقاموا له نصبا (بضم فضم) ، او نصبا (بفتح فسكون)، او نصبا (بضم فسكون) تذكاريا .

أما النصب (بفتح ففتح) فهو :

١ ـ التعب .
٢ ـ العلم (بفتح ففتح) المنصوب .

اخذ بناصره

ويقولون : أخذ بناصره . والصواب : ناصره ، او نصره ، او شد أزره ، او اخذ بيده ، لان الناصر هو :

١ ـ الناصر : النصير ، وجمع الناصر : نصر (بفتح فسكون) مثل : صاحب وصحب . أما جمع النصير فهو : الانصار ، مثل : شريف واشراف .

٢ ـ الناصر: المسيل الذي يأتي بالماء من بعيد. وجمعه : نواصر.

٣ ـ الفيث (مجاز) .

٤ ـ كل من ينتمي الى قبيلتي الاوس والخزرج ، اللتين ناصرتا رسول الله (ص) ، والجمع : انصار . والنسبة : انصاري . وهي : نصيرة .

نصراني

ويقولون : هذا رجل نصراني (بضم النون) والصواب : نصراني (بفتح النون الاولى) ، نسبة الى الناصرة على غير قياس . وهو نصران ، وهي نصرانة (بفتح النون فيهما) ، وهم نصارى ، مثل ندمان وندمانة وندامى . وقيل : نصران ونصرانة لا يستعملان الا في الشعر . قال ابو الاخزر الحماني :

فكلتاهما خرت ، واسجد رأسها كما أسجدت نصرانة لم تحنف

وقال صاحب الصحاح ، بعد ان استشهد بهذا البيت : « ولكن لم يستعمل نصران الا بياء النسب ، لانهم قالوا : رجل نصراني ، وامراة نصرانية » .

والنصرانية ايضا : دين النصارى .

صيدا ـ لبنان محمد العدناني

الحرية

بمناسبة الاحالة الى المعاش في ٣ سبتمبر ١٩٧٢

حرروني ، فديتكم ، من قيودي ... واسمعوا في الغناء عذب نشيدى
واحيلوا الى المعاش .. سجينا ... لم يعش لحظة .. وراء السدود
كنت حيا .. وكنت ميتا سواء ... لابسا في الحياة .. ثوب فقيد
لم تزل حولي العيون .. تراعيني .. الى أن بكت عيون قصيدى
لا تخافوا .. فقد وكلت لربي ... أمر رزقي .. فخصني بالمزيد

أحمد الله .. قد بلغت انتصاري ... آخر الحرب.. بعد طول الصمود
أنا كالطائر الذي هجر الاقفاص .. يبغي حرية التفريد
والسجين الذي اقام طويلا ... في ظلام الحرمان ، والتشريد

أحمد الله . قد خرجت نقيا ... طاهر الذيل ، لم تدنس برودي
لم يغرر بي النضار .. ولكن ... بات بالزهد وهو جد زهيد
وكفاني العنقود من صالح الكر ... م ، فاغني عن ابنة العنقود
ان اقل « ثائر » فقولة حق ... او اقل « صابر » فربي شهيدى
او انادي بان يحرر شعبي ... فلاني كرهت ظلم العبيد
شرع الله عتقهم .. فلماذا ... تعلن الحرب بين بيض وسود
ان دهى السود لفحة الشمس .. فالبيض .. لهم في الجحيم لفح الوقود
انما الصدق ، والتواضع ، والايثار ، والحب .. كل ذاك رصيدى
وحصيدي من الحياة هو الصحب . وارجو الا يقل حصيدى
أطفىء النار ان تنال خصومي ... وهم يعملون للتصعيد
واذا اشرف الحسود على المو ... ت .. تمنيت لو فديت حسودى
سيئاتي .. ان لم تكن حسناتي ... للذي بالعداء .. طوق جيدى

ان للشعر .. كل حين من الدهر .. نداء للبعث ، والتجديد
صاحبي مذ بلغت عشرا ، الى ستين .. احلام صحوتي ، ورقودى
انه في صباي أسعد جدي ... وهو اليوم.. مسعد .. لحفيدى
واذا عشت .. متلف لحياتي ... واذا مت .. ضامن لخلودى
وهو سحر عهدته اي سحر ... يلبس الفاتنات اغلى العقود
ويغني كانه الطائر الصداح .. مستلهما جمال الوجود
باقة الزهر ، صحبة للورود ... غمزة العين ، حمرة للخدود

يا ليالي الاسكندرية عودي ... وامنحي القلب حبه من جديد
وامنحيني ركنا .. على شاطىء البحر.. من السابحات .. غير بعيد
هذه فترة السكون الى الرا ... حة .. بعد العناء والمجهود
عمل الصامتين اكثر جدوى ... من هتاف مجلجل الترديد
وامنحيني من البصيرة والايمان .. نور الهدى ، وسر االشهود
ليس بعد المشيب.. اجدى على العاقل .. من ذكر آية التوحيد
ان في ان اعيش ستين عاما ... لحياة .. وربي المعبود

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري



الدكتور علي الناصر

رسائل من علي الناصر

١٨٩٠ ـ ١٩٧٠

بقلم فاضل السباعي

* * *

ـ ٩ ـ

حلب ١١ ـ ١ ـ ١٩٦٩

فاضلي العزيز

اخذت رسالتك ، وقرأت اقصوصتك في مجلة « الاديب » (٢٠) .

فاقول لك بحق انها ناجحة ومفيدة . وعندي أنه يجب على كل من له علاقة بتربية الإطفال ان يقرأها ، لان الاطفال حساسون بصفة خاصة تجاه الظلم والاجحاف بحقوقهم ، الامر الذي يخلق عندهم عقدا نفسية يعانون من ضررها طيلة حياتهم ، ويمكنها ان تنحرف بهم عن سواء السبيل . ومن هنا تظهر الفائدة في اقصوصتك هذه ، وقد تمكنت من عرضها وبلغة الاطفال عرضا واقعيا موفقا ، ونجحت في انهائها في صورة روائية لبقة ، وهذا ما تمتاز به رواياتك طويلة كانت ام قصيرة .

اما المنتخبات ، فقد انتهى طبعها تقريبا ، وسترسل اليك نسخة منها في اول فرصة .

ها أنا مرسل اليك مقطوعتين مما كتبته حديثا .

مع تمنياتي الحارة واشواقي ، عزيزي . (الدكتور علي الناصر)

ـ ١ ـ

.

● راجع « رسائل من علي الناصر » الاديب عدد يونيو ١٩٧٢ .

ـ ٢ ـ

أحس كانني ما زلت طفلا ... أدرب مجبرا في درب عمري
أناتيء ناطقا ، أخطو وأحبو ... وأبكي في العثار وضيق صبري
ويشدهني الجمال ، كأن عيني ... لاول مرة فتحت فأجري
بلا حذر أمد يدي مشوقا ... أحاول قبضه بيدي وفكري
تهلل في خفي كيان نفسي ... رغائب ما اتحنت يوما لقسر
هنا أهوى هنا أنسى

ـ ١٠ ـ

حلب ١٢ ـ ٣ ـ ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

انني آسف ان أقول لك انني أضعت رسالتك السابقة (٢١) ، وان اخبرك بأن « س » (٢٢) قد غدر بي ، (.....) . وكنت لا أبخل عليه بشيء بالرغم عن التحذير المتواصل من قبل الاصدقاء ، لانني كنت مخدوعا به لدرجة البلاهة وحسن النية ، وكنت في سعي متواصل لاجد له عملا ، فلذا أرجو الا تعترف به من الآن فصاعدا . وانك لو قرأت (.....) ، لبهت كيف نسج علينا خيوطه الشيطانية واصطادنا كما يصطاد العنكبوت الذبابة .

اما بخصوص الدكتورة زاهدة (٢٣) ، فان أخاها قد اشترى عشرين نسخة من الكتاب ، وهذا فضل منه ، وقلت له في حينه ان يرسل لها ولزوجها نسختين (.....) لا يمكنني ان ارسل هدايا الى اصحاب القائمة التي ارسلتها لي في الوقت الحاضر (٢٤) .

وعلى كل فان عدنان سيذهب الى دمشق في آخر الشهر وسيطلعكم على التفاصيل ، وكيف اننا نسعى لسحب قسم من النسخ على أمل ان تشتريها وزارة الثقافة والارشاد او غيرها من المؤسسات التي نامل ان تعوض شيئا مما صرفناه (٢٥) .

لا تؤاخذني على هذا الكتاب المضطرب السخيف ، لان روحي في فوضى ويأس ، وانني لاخجل من سذاجتها وبلاهتها وظنها بالناس الخير والصدق . واظن انها ستحمل بلاهتها حتى في العالم الآخر .

كم انا مشتاق اليك . (الدكتور علي الناصر)

ـ ١١ ـ

حلب ٣ ـ ٤ ـ ١٩٦٩

فاضلي العزيز !

ان شوقي لك لشديد ، وارجو ان تاح لي الفرصة ، أو لك ، لنلتقي عن قريب .

ها أنا مرسل لك هدايا نسخا من كتابي مع صديقي الودود السيد جورج راعي ، صاحب صيدلية الحرية . فارجو ان تتلطف بارسالها لاصحابها (٢٦) . واذا صعب عليك الامر استعن بالاستاذ سعد صائب او غيره .

وانني اكرر تنبيهي لك بعدم الثقة بـ « س » ، لانه لا يستحق الثقة ، كما سأشرحه لك فيما بعد .

وارجو ان تعلمني عن عنوان الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة ، لاقدم له نسخة .

هذا وقد ارسلت نسخا لجميع من في القائمة التي ارسلتها الي من الادباء والاديبات والشعراء والشاعرات في مصر (٢٧) ، كما انك اذا شئت ان تدلني على غيرهم فلا مانع .

هل بالامكان تصريف بعض النسخ بواسطتك في دمشق ، بدون ان تكلف نفسك ما تكره ، حتى ارسل لك ما تريد منها ، أم لا ؟

صحتي خير من قبل . وساذهب والعائلة الى بيروت لنرى ولدي وعائلته ، في شهر أيار .

انني لا ازال اكتب بعض المقطوعات .

وفي الختام اقبل جبينك الوضاح العالي ، واهدي احتراماتي الى العائلة الكريمة . (الدكتور علي الناصر)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١٢ —

حلب ١ — ٥ — ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

بعد جهد جهيد وجدت رسالتكم التي تسألون فيها عن رأيي في قصتكم « رسالة غير ودية » ، وكنت قد قرأتها واعجبت بها ، فهي نوع جديد مما بدأتم تحاولونه ، واني قمين بانكم ستبلغون القمة بما تصبون اليه من الفن الرفيع .

أعدت اليكم المقطوعتين ، وصححت وشكلت ما اردتم (٢٨) .

وها انا ارسل مقطوعة كتبتها صباح هذا اليوم :

أهاب بنا الوهم في حقبة فكنا نعيش وكنا نريد
وفارقنا الوهم واحسرتا فرحنا نحن ورحنا نعيد
فيأسك ، يا صاح ، طي الرشاد وطي الضلال ، قديم جديد

لأنت التي في مساء الحياة حفظت الوداد العقيم البليد

تردني رسائل من اقطار العالم العربي مشيدة بالديوان الاخير ، مما جعلني اعتقد اننا خطونا خطوة جدية الى الامام بخصوص الفن ، والبعض أرسل شيئا من نتاجه ، ومنهم الدكتور عبد العزيز حبابي ، فقد اهداني قصته « جيل الظما » وكتابه « من الكائن الى الشخص »، وهو بلا شك فذ من افذاذ الادب والشعر في اللغتين العربية والفرنسية.

أما ما طلبت من النسخ فاني سأرسلها متى سنحت الفرص وفي اقرب وقت (٢٩) .

احترامي الى الدكتورة زاهدة ، ومن يهمه امري ، مع عميق حبي وشوقي . (الدكتور علي الناصر)

حاشية : طلب « ادونيس » من وليد اخلاصي معلومات عني . ولكنني لم أجد مناسبة لاجتماعي بوليد ، وانت تعلم مقدار تهاوني بهذه الامور .

— ١٣ —

حلب ١٢ — ٦ — ١٩٦٩

فاضلي الحبيب

أخذت رسالتك ، وشكرتك على اهتمامك الصادق بي .

اما بخصوص ارسال نسخ عن الرسائل التي وردتني بخصوص الديوان ، فانني لا اريد نشرها في الوقت الحاضر (٣٠) ، (.....). وقد أتمكن في المستقبل من نشرها مجموعة .

ان صحتي لا بأس بها ، لولا التوتر العصبي الشديد الذي اعانيه. ولا أخفي عنك انني في ثورة غضبي طردت « أ. ن » ، لانه هو السبب في معرفتي ب « س » ، وانني غير نادم على ما فعلت ، لان صداقته على مقدار انتفاعه مني ، وقد سئمت مثل هذه الصداقات التي لا تجلب غير الضرر .

شوقي اليك كثير ، مع تقديم احترامي الى السيدة زاهدة ، لاني أكن لها ودا واحتراما أكيدين . ودم لمن يقدر لك اهتمامك بقضاياي ، ولدي العزيز . (الدكتور علي الناصر)

— ١٤ —

حلب ٤ — ٨ — ١٩٦٩

أبو فراس السباعي الحبيب !

هذه أول مرة طيلة حياتي المديدة أكتب جواب رسالة بعد تلقيها فورا (٣١) . ومن هنا تدرك وانت اللبيب مقدار سروري بمولود (روايتكم) الجديدة ، جعلها الله مشرقة نضرة خالدة (٣٢) .

فالى الامام ايها الفارس المغوار ، مع قبلاتي الى « فراس » و « الفراسات » اللواتي اشتاق لرؤيتهن ، ايها الصديق الذي اعتز بصداقته .

سلامي الى من يذكرني في دمشق . (الدكتور علي الناصر)

— ١٥ —

٢٨ — ٨ — ١٩٦٩

فاضلي الصغير الكبير !

سامحك الله ، فقد عكرت علي نصف نهار بالترقب لسماع كلمة « زين » ، التي تخفي عنك مخالبها بنعومة شعرها المخملي ، فهل كان اليوم والساعة اللذان عينتهما لي مغلوطين ؟ (٣٣)

وعلى كل يمكنك ان ترسل لي الكلمة ، وهذا امر هين . اما الذي ليس بهين فهو ما كتبته بتاريخ ٢٥ — ٨ — ١٩٦٩ ، والذي أظن ان ليس له من علاج :

صحو

الراعي الشاب ، الذي كان يقص على رفاقه كل ليلة كيف انه

٢٠ — القصة هي « رسالة غير ودية » ، « الاديب » ، يناير — كانون الثاني ١٩٦٩ .

٢١ — يعني رسالتي المؤرخة في ٢٢ — ٢ — ١٩٦٩ ، وقد سألته فيها عن رأيه في قصتي « الصورة والاسم » المنشورة في مجلة « الاداب » كانون الثاني — يناير ١٩٦٩ ، كما اعدت اليه المقطوعتين اللتين تضمنتهما رسالته التاسعة ، لتصحيح وضبط كلمات فيهما . وان له عودة الى رسالتي تلك .

٢٢ — حرصت على ان ارمز الى اسم الرجل ، الذي جد الحديث عنه هنا ، بالحرف « س » ، ذلك ان الناصر سيكيل له سيلا من الاتهامات ، لسوء تفاهم وقع بينهما ، بدا انه انتهى فيما بعد الى « تفاهم » . وهذا ما حملني على ان احذف فقرات من هذه الرسالة والرسالة الرقم (١٣) التالية .

٢٣ — ان اشاراته ، هنا ، الى الدكتورة زاهدة حميد باشا ، هي رد على ما كتبت اليه ، في ١٠ — ٣ — ٦٩ ، فور ان تلقيت نسخة من ديوانه « اثنان في واحد » ، قلت : « سألتني الدكتورة زاهدة عنكم وعن أخباركم ، وقد علمت منها انها لا تعلم بصدور الديوان . واعتقد انكم لن تنسوا اهداءها ، فهي من المعجبين بأدبكم » .

٢٤ — في رسالتي المؤرخة في ١٠ — ٣ — ٦٩ ، عرضت عليه اسماء عدد من الكتاب والشعراء وعناوناتهم ، مقترحا عليه ان يرسل اليهم نسخا من الديوان هدية .

٢٥ — ان من بعض مآسأة الكاتب العربي تلك « المفضلة » التي تصادفه حين نشره نتاجه في كتاب : ان « يمول » الطبع ، في احيان كثيرة ، وان يسهر على « توزيع » الكتاب اهداء وبيعا ، وان يروج له، استيفاء للنفقات ! وها هو ذا شاعر كبير ، في السبعينات ، يضطر الى سلوك هذا السبيل ، وا أسفاه !!

٢٦ — المهدون هم : سعيد الجزائري ، عزيزة هارون ، يحيي الشهابي ، مفيد عرنوق ، صالح عضيمة ، سعد صائب ، اسكندر لوقا الدكتور ممدوح حقي ، الدكتور بديع حقي ، الدكتور نعيم الرفاعي ، الفة الادلبي ، مروان شاهين . تسلمت النسخ المهداة اليهم من السيد جورج راعي يوم ٥ — ٤ — ١٩٦٩ ، وقد زارني في مقر عملي آنذاك في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . وقد بعثت بها الى اصحابها ، عدا نسخة الدكتور بديع حقي الذي كان غائبا عن دمشق .

٢٧ — الذين اقترحت عليه اهداءهم ، وهم : حنيفة فتحي ، شريفة فتحي ، روحية القليني ، محمود بن الشريف ، محمد مصطفى الماحي ، عادل الغضبان ، الدكتورة لطيفة الزيات ، علي الجندي ، محمد عبد الغني حسن .

٢٨ — عثر ، هنا ، على رسالتي الضائعة ، فرد الي المقطوعتين المشار اليهما . ولكن الامر التبس عليه بالنسبة للقصة ، فـ « رسالة غير ودية » المنشورة في « الاديب » ، سبق له ان بين رأيه فيها في رسالته التاسعة ، واما قصة « الصورة والاسم » المنشورة في « الاداب » ، والتي سألته برأيه فيها ، فقد بدا انه فاته الاطلاع عليها.

٢٩ — كنت قد طلبت منه ، في ٢١ — ٤ — ٦٩ ، ان يزودني

يشاهد (جنية الحرش) بجمالها الرائع ، الذي لم تر مثله عين ، ويطيل في الحديث عنها ووصف فتنتها ...
لقد عاد ذات ليلة وفمه لا ينطق بكلمة ،
ذلك انه ... رآها حقا !

فما يعني ، يا قلبي المسكين ، انشادك الحب طوال هذه السنين؟
لا تستح من دمعة تتأرجح بين جفنيك !
أنضب وهمك ، وعجز خداعك نفسك ، عن ان يريك حية تسعى؟
أين عينا (لصتك) ؟
اين صدر ساذجتك المرحة ؟
اين (الشعر المسدل بالسكر) واليأس الحاني ؟
اين (....) التي ظلت طوال سنين معلقة على صدرك ، جاهدة بصبرها وايمانها ان تهديك ؟
اين (..... الذي جمد مسماره من الظل) ؟
اين ؟... اين ؟...

يا قلبي !
ما قددت من صوان .
فانا ابن امرأة ساذجة ، تقية ، حنون ، كافحت في حياتها البائسة بصبر شامخ .
لا تكتم تدلهك بعروبتك ووطنك وكرامة الانسان في هذا الفراغ المخزي !
لا تكن جبانا ، رعديدا ...
فقطرة حمراء من دمك النبيل فيها عنفوان الكفاح .

اما آن لك ،
وقد هجرك الوهم ،
ان تحطم تمائيلك ببرودة ... الاصم الاعمى ! (٣٤)

ينسخ من الديوان لاتولى اهداءها الى بعض من اعرف ممن الكتاب ، أملا في ان يكتبوا عنه . وقد بعث الي ، في بريد لاحق ، بخمس نسخ، قمت باهدائها الى كتاب ... لم يكتب اي منهم كلمة عن الديوان .

٣٠ ـ كتبت اليه ، في ٩ ـ ٦ ـ ٦٩ ، اقول : « حبذا لو تعهدون الى احد اصدقائكم بنسخ ما ترون من الرسائل الواردة المتضمنة آراء في ديوانكم ، وتوافونني بها لاحيلها بدوري الى النشر » .

٣١ ـ كنت قد أشرت عليه ، في رسالتي المؤرخة في ١ ـ ٨ ـ ٦٩، ان يقرأ الصفحة ٦٢ من عدد اغسطس ـ آب ٦٩ من « الاديب » : « ففيها خبر شخصي » عني ! ذلك أني قد رزقت في ٣٠ ـ ٦ ـ ٦٩ غلاما سميته « فراس » ، بعد ان منحني الله ثلاث بنات خلال تسعة عشر عاما من زواجي .

٣٢ ـ لست ادري لم سمى ابني « رواية » . لعل ذلك تقدير منه لادب الاديب، فالنتاج الادبي عنده يعدل في قيمته الولد .

٣٣ ـ كنت قد هتفت اليه ، من دمشق الى حلب ، في يوم ٢٠ او ٢١ ـ ٨ ـ ٦٩ ، اخبره بأن « زين » قد سجلت مغي مقابلة اذاعية ، ستذاع من راديو دمشق في السابعة من مساء الجمعة ٢٢ ـ ٨ ـ ٦٩ . ثم تبين لي أني قد اوقعته في المطب الذي وقعت أنا نفسي فيه : فلا أنا ولا هو أتيح لنا ان نسمع شيئا في الموعد المحدد . ذلك ان المقابلة لم تذع من اذاعة « صوت الشعب » التي يسمعها السوريون عادة ، بل من « البرنامج العام » ، وهو اذاعة ترسل الى البعيد . وقد فهم الناصر مني خطأ ان ما يذاع هو كلمة من « زين » عني .. سامحني الله.

٣٤ ـ بعثت بهذه المقطوعة النثرية ، التي سميتها « صحو » ، الى « الاديب » في ٣ ـ ١٠ ـ ٦٩ ، فنشرت المقطع الثالث منفصلا في عدد نوفمبر ـ تشرين الثاني ٦٩ ، ثم المقطع الاول في عدد يناير ـ كانون الثاني ٧٠ ، على ان المقطوعة نشرت كاملة ضمن مقالي « الشاعر علي الناصر » في مجلة « المعرفة » ، المشار اليه في غير هذا الهامش .

٣٥ ـ كنت قد كتبت اليه ، في ٢٨ ـ ٩ ـ ٦٩ ، اقول : « ان فراس ولدي الحبيب ، ينمو بسرعة ملحوظة . وهو دائم الابتسام والضحك . من المؤمل ان يطلع كاتبا روائيا ! » .

٣٦ ـ يبدو اني ، اذ كتبت اليه رسالتي المؤرخة في ٢٨ ـ ٩ ـ ٦٩ وطويتها على نسخة من مقطوعته النثرية « صحو » لاقرار نشرها ، قد استوضحته بأسطر كتبتها على النسخة ذاتها ، عن بعض التعابير في المقطوعة . فهو هنا يجيب عن الاستيضاح .

٣٧ ـ سبقت الاشارة اليها في أولى الرسائل .

٣٨ ـ ان هذه الايضاحات الاربعة والحاشية ، قد ضمنتها مقالي في مجلة « المعرفة » ، العدد المشار اليه في حاشية سابقة .

٣٩ ـ لا احسب ان هناك سرا أبوح به بعد ان رمزت الى الاسماء الصريحة بحروف .

٤٠ ـ كنت قد بعثت بهذه الابيات ، بعد ان سميتها « شتاء العمر » ، الى « الاديب » في ٥ ـ ١١ ـ ٦٩ ، فنشرت في عدد ديسمبر ـ كانون الاول ٦٩ .

٤١ ـ كنت قد اقترحت عليه ، في رسالتي المؤرخة في ٢٨ ـ ٩ ـ ٦٩ ، ان يقدم نسخة من ديوانه الى صديق العرب والمسلمين المستشرق المجري الحاج عبد الكريم جرمانوس ، وكتبت له عنوانه . وقد بدا ، الآن ، انه قد فعل ، وانه تلقى رأي الاستاذ المستشرق في الديوان .

٤٢ ـ وجهتها الى « الاديب » ، في رسالتي المؤرخة في ٥ ـ ١١ ـ ٦٩ ، وقد نشرت في عدد يناير ـ كانون الثاني ، بعنوان « الى الدكتور علي الناصر » .

صديقي الوفي ! قم عني بتقبيل جبين فراس ، مع تقديم ودي واحترامي لافراد العائلة جميعا . (الدكتور علي الناصر)

ـ ١٦ ـ

حلب ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٦٩

فاضلي الحبيب !

ان شوقي لك لا مزيد عليه . والآن اقول لك ان شوقي لرؤية «فراس» قد حطم الدكتور . وبالرغم من اني اخلفت وعدي مرارا كثيرة بخصوص زيارتي دمشق ، الا اني الآن ارى نفسي منقادا شئت او ابيت للبر بالوعد ، وقريبا سأحظى برؤية ابتسامة « فراس » الملاك المفدى (٣٥).

أما بخصوص الايضاح الذي تطلبه لكلمة « صحو » (٣٦) ، فهو كما يلي :

١ ـ (اللصة) : هي امرأة احببتها حبا عنيفا ، وكانت مبتلاة بسرقة ما تقع يدها عليه .

٢ ـ (الشعر المسدل بالسكر) : هو لـ « ج » ، التي ضمتني سنين طويلة ورأمتني في محنتي كأم (٣٧)

٣ ـ (.)

٤ ـ (..... الذي جمد مسماره من الظل) : قطعة كتبت لـ « زين » ، التي كانت تسلس ايضا (.....) .

حاشية : هؤلاء النسوة ، اللواتي تذكرتهن اثناء كتابتي هذه الكلمة ، لسن سوى ذكريات أتت عرضا للتعبير قليلا عن قلب يخفق ، ولما يزل يخفق ، امام الجمال والضجر والشوق الذي لا تخمد ناره (٣٨) .

فاضلي العزيز !

اياك ان تبوح بالسر (٣٩) ، وهنا تدرك المقطوعة التي كتبتها بتاريخ ٢١ ـ ٩ ـ ١٩٦٩ ، وهي كما يلي :

صاح ! اني خبرت قبل مماتي ... مغريات الاوهام ، شكلا فشكلا
فنبلدت ... حين طيف مماتي ... راح يشتاق لي نهارا وليلا
عاشق يحمل اكتئاب شتائي ... وانحلال الاشواق حولا فحولا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوى والغد

تقولين : انا على موعد
مـع الامنيات الخضيلة
في شرفـات الغـد
مـع الليل والانجم
وطيف الرؤى .
فيـا للغـد
وفي الضفة الثانية
ربيـع دمـاء
وموسم ذل ونـار

سئمت من الامس والذكريات
ومن قول : « انا على موعد
مع الامنيات الخضيلة ،
في شرفات الغد »
وأي غـد
لنا ، وظلال الهوان تخيم فوق الرؤوس
وألف حبيب يمور
وراء الحدود
وفي القدس ضوء الشموع

خبا تحت صخر الدموع
وفي غـزة الراعفه
يمرغ في الوحل معنى الوجود

فيا أنت سيري ولا تنظري
وراءك ،
اني رميت القيود
وخلفت في عتمات الكهوف
صبابات « قيس صغير »
لو امتدت الظلمة العاتيه
لمـات ـ برغم الغـد
أسير اللظى والهجير

هواي أماني الصغار
وعـزم الكبـار ،
هواي انهيار السدود
هواي انتصار كبير
كبـير .

دمشق

رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلة ... ان تشيح بالوجه عمـا كنت تفديه بالحشاشة قبلا (٤٠)
(بلا توقيع)

ـ ١٧ ـ

٣ ـ ١١ ـ ١٩٦٩

فاضلي الحبيب
ها أنا مرسل لك رسالة المستشرق جرمانوس (٤١) ، بالرغم عـن ان لدي العشرات من الرسائل التي ارسلت الي من قبل الشخصيات العربية البارزة في الادب . ارجو منك ان تنشرها في أي مجلة شئت (٤٢) ، قبل نشر اخواتها والتي آمل ان انشرها في كراس خاص .
شوقي اليك وللحبيب فراس ، عظيم . واحترامي الاكيد لافـراد العائلة . (الدكتور علي الناصر)

تلك كانت آخر كلمات الناصر الي .
وكان آخر ما كتبت اليه في ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ :
أستاذي الكريم
تحية وشوق . وكل عام وانتم بخير .
أخط اليكم هذه الرسالة ، وانا في استعجال . فالمعذرة .

نشر في « الاديب » ، عدد نوفمبر ـ تشرين الثاني ٦٩ ، جـزء صغير من قصيدتكم التي سميناها « صحو » ، وفي عدد ديسمبر ـ كانون الاول ـ نشرت قصيدتكم « شتاء العمر » :
صاح ! اني خبرت قبل مماتي
واما رسالة الدكتور جرمانوس ، فمـا أشك في انهـا ستنشر في « الاديب » في العدد الذي يصدر اول العام الجديد . وكل عام وانتم بخير
ثم اسلم لاخيك المخلص .

وبعد ، لقد لقي الشاعر الدكتور علـي الناصر نهايته برصاصة غادرة ، وهو وحيد في عيادته بحلب ، ظهيرة الاول من حزيران ـ يونيو ١٩٧٠ . ولم يكتشف أمره الا بعد عشرين ساعة على مصرعه .
وها قد تقضى عامان على مصرعه ولما يعرف قاتله .
ورحمات الله عليك ، ايها الصديق ، انسانا وفنانـا قـد جهل قدره الناس .

دمشق

فاضل السباعي

الـدمـوع

قـدسوهـا
فهي ذوب الروح
في لهب المجامـر
وهـي لولاهـا
لكـان الكـون قفـرا
للمسافـــر
انها فيض ينابيع الفؤاد
فاذا ما امتلأت تلك الينابيع
طفـت
فاندفعت عبـر المحاجـر

وارحموهـا
انما تسكابها رمز الندم
يعصر القلب فيدمى
هاتفا .. يـا ليتني
يـا ليت لـم
انها تغسل ادران الخطيه
ترجع النفس طهورا
انهـا تفعل
في القلب الـذي
أيقظه باري البريـه

وارهبوهـا
انها صامتة انطق من الف لسان
عندما تحكي حكايات الالم
مزجت من شقوة القلب
بـــدم
في المآسي .. في السجون
في ظـلال المـوت
في صمت الثكـل
في ظلام تنحني فيه الرجال
تحت احمال من البأس
ثقـال

انها صامتة أنطق من
الف لســان
عندما تحكي حكايات الالم
مزجت من شقوة القلب

بـــدم

الدمـوع
اي سر في الدموع .. ؟
دمعـة الطفـل الحبيب
ان في قوتها شيئا عجيب
سمرتنا .. جعلتنا كالعبيد
حول مهد الطفل نجثو
اي مكروه دهاه .. ؟
ليتنـا كنـا فـداه

دمعة خرساء في عين الشيوخ
مـا امر الدمعة الخرساء
في عين الشيوخ
انها تهمس فات العمر
ويحي كيف فات
انها تلمس نبع الخير فينا
انهـا تنطقنا
يا بؤسه شيخا ضعيف
ظللوه بالحنان
قبل ان يمسي صدى . او ذكريات

دمعة تسكب في حجر مريض
انها تقرع ابواب السماء
دمعة الام .. بصمت بوجيب
انها قدسية النطق
تنـادي بالفـداء
في ليالي البؤس .. من قلب العذارى
اكـل اليأس رجاهـا
في ليالي البشر في لقيا احبه
بعد ان طال نواها

يا دموع الندم القدسي
قـد طهرتنا
يـا دموع الشوق خففت عوادي
مـا بنـا

الرابية ـ لبنان

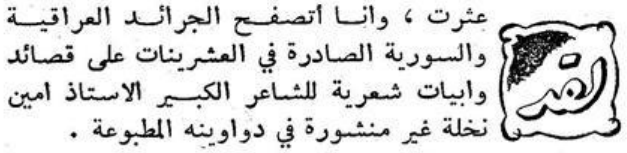
اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر امين نخلة في العشرينات

بقلم حارث طه الراوي

* * *



عثرت ، وانا أتصفح الجرائد العراقية والسورية الصادرة في العشرينات على قصائد وابيات شعرية للشاعر الكبير الاستاذ امين نخلة غير منشورة في دواوينه المطبوعة .

ومهما تكن الاسباب التي حالت بين الاستاذ نخلة وبين نشر هذه القصائد ، فان بقاءها في الظل انما يفقدنا حلقة من سلسلة تطور شعر وشاعرية شاعرنا ، ينبغي الا تفقد .

وسأتناول هذه النخليات المجهولة بالعرض والتقييم فيما يلي وفقا لتسلسلها الزمني :

١ ــ موشح « ولية الامر » :

وهو اول عمل شعري وقفت عليه لامين نخلة . وقد نشر في جريدة « العراق » البغدادية (السنة ٢ ــ العدد ٤١٠ ــ ٢٨ ايلول ١٩٢١ ص ٣) . وقد مهدت له الجريدة بالمقدمة التالية :

« ناظم هذه القصيدة (امين افندي نخلة) شاعر رقيق رغم حداثة سنه ، فهو فتى في روعة الشباب ، وقد ورث الشاعرية عن أبيه (حضرة رشيد بك نخلة) الاديب اللبناني الكبير المعروف برقته وابداعه في المنظوم والمنثور ، وسننقل الى ادباء العراق من حين الى اخر شيئا من آثار « الاب » و « الابن » فنوقفهم على « روح » الشعر العصري الراقي » .

وهذا الموشح مكون من اربع مقاطع استوعبت تمنيات فتى « رومانسي » ملتهب الدم مجنح الخيال . وتسري في هذه المقاطع روح شاعر من شعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين الرومانسيين ولكنها لا تطغى على روح الفتى العربي اللبناني :

انا لو كنت نفحة الروض صبحا أملأ الروض والروابي فوحا
ما لعبت الصباح الا بشعرك
انا لو كنت نحلة في البكور اجتني الشهد من ثغور الزهور
ما وقفت البكور الا بثغرك
انا لو كنت موجة في البحر أتهادى ما بين صخر وصخر
ما سكنت المساء الا بصدرك
آه لو كنت هذه او تلكا آه لو كنت ــ بين أيديك ــ ملكا
آه لو كنت ــ والكيان بامرك

اما الابيات الغزلية الثلاثة التي نشرها الامين في جريدة « المعرض » البيروتية (السنة ١ ــ العدد ٥ ــ ٦ تشرين الاول ١٩٢١ ص ٧) فتبدو ــ رغم رومانسيتها الواضحة ــ بريئة من روح شعراء الفرنسيس ، تترقرق فيها روح امين الحلوة المرحة ، وتزينها الجزالة العربية الجميلة :

اذا ما دعت في جنح ليل حمامة وجاوبها فوق الغصون اليف
وهب شميم الشيح في الايك هبة لها عند تحريك الغصون حفيف
وددت لو اني كنت طائر أيكة أناجي حبيبي ساعة واطوف

واطول قصائد الامين في العشرينات قصيدة « ما الارز الا الشام » (جريدة الفيحاء ــ العدد ١٧ ــ ١٧ ت٢ ١٩٢٣ ص ٥) التي تقع في (٣٥) بيتا . وليس في هذه القصيدة وحدة موضوع ، فالشاعر يستهلها بالحنين ويلج منه الى السياسة ومنها الى الفخر . وحسبي ان اقتطف الابيات التالية من الحنين الوجداني:

كم في هواك مكابد ومقاسي دنف عليك وما له من آس
لكنما وجدي وانت عليمة وقد الهوى قبل اشتعال الراس
يا انس لذات الشباب وراحها ومقيل صفو الشاعر الحساس
بك جهد هذا الحب والوجد الذي أطويه بين جوانحي وحواسي
ارض شببت بها واورق فوقها عودي ، وكان جمالها ايناسي
كم ريبة لي في الزمان وأهله والحب قيد الريب والوسواس
اني لاوجس خيفة من طارق اما حسا من فيض مائك حاسي
واخاف نفح الآس في خطراته فلرب عاصفة ينفح الآسي

ومن ابياته السياسية التي تصور واقع الحياة السياسية في لبنان سنة ١٩٢٣ قوله :

« البرلمان » وما ذكرت جلاله الا صبوت الى بلاد الناس
شورى هناك اساسه حق وما في الحق من عدل ومن قسطاس
فالمستظل من الشعوب ظلاله ما بات خوف الملك في ايجاس
والملك ان قامت دعائمه على حرية وشريعة وقياس
عزت جوانب عرشه وبدا بها للحق نبراس على نبراس
هذا هو الشورى الصحيح فهل لنا في « مجلس التمثيل » غير كراسي

ومن ابياته في الفخر والاعتزاز بالعروبة قوله :

قالوا : العروبة قلت من ابناؤها حسب أتيه به رفيع الراس
« غسان » منسبه ومطلع أصله حيث الاصول نواضر الاغراس
فمواطن الخيم المنيعة موطني واناس حامية الخيام اناسي
ما ضرني والدهر بدل امره اما تبدل منزلي ولباسي
وانا الذي ملء الزمان قصائدي عربية الارواح والانفاس
ومضارب الاطناب قبلة صبوتي وشمائل الاعراب خمرة كاسي
واذا هويت العرب لم افقد هوى لسحقيق اودية وشم رواسي
لبنانها والسفحتان وارزها روحي فدى الجبل الاشم الراسي
ما الارز الا الشام من احسابه وهي الطوال متينة الامراس
ركنان من شرف العمومة في العلى قاما على الارماح والاقواس

ويظهر اعتزاز الامين بلغة الاجداد بكل وضوح وجلاء في قصيدته « لغة الاعارب » (الفيحاء ــ العدد ٢٣ ــ ١ كانون الثاني ١٩٢٤ ص ٥) حيث يقول :

لغة الاعارب أسعدت زمنا كانت به الجوزاء سدتها
واليوم في ابنائها شقيت أتزول بعد اليوم شقوتها
سل خاطرات الروض باكرة هل في نسيم الروض رقتها
والبلبل الشادي هوى وجوى هل في شجي النوح لهجتها
والدوح مصطبحا ومغتبقا هل في نضير الدوح نضرتها

هذا الربيع أتى وبهجته أربيعها يأتي وبهجتها
ما ان تقوم وترتعي لغة ما لم تقم في الارض دولتها

يا زهرة الياسمين

اليها على ضفاف النيل ... بعد غيبة عشر سنوات

اريجك يا زهرة الياسمين ... يرش بقلبي الجوى والحنين
وعيناك ما زالتا كالسماء ... صفاء ، كحبات ماء معين
وما زلت أنشودة للربيع ... وما زلت أمنية الحالمين
وما زلت فتنة كل العيون ... وما غيرتك ليالي السنين

وثغرك ما زال يا زهرتي ... كما كان بالامس كالكرزة
وموعده ظامىء ظامىء ... ومن وهج الشوق كالجمرة
وعمرك ان زاد يوما تزيدي ... جمالا ، فيا روعة الروعة
وما زالت الخمر في وجنتيك ... تطل صنوفا من الفتنة
وهذا عبيرك ما زال يسري ... ويفعم دنياي بالنشوة

رأيتك فانسابت الذكريات ... بقلبي ، فاورق بعد الفوات
وكان حديثك كالاغنيات ... بسمعي وأحلى من الاغنيات
فتحت فؤادك ثم انطلقت ... تقصين ما قد تولى وفات
ولما انفعلت رأيت الدموع ... تساقطن كالانجم النيرات
فديت دموعك يا منيتي ... فديتك ، فاتنة الفاتنات

ألا ليتني عالما من رؤى ... ليسبح في عالم من خيال
وينساب نحو الاماني الوضاء ... بروضك حيث الهوى والجمال
بغير قيود ، بغير سدود ... بغير حدود ، بغير محال
وينشق منك هوى فاتنه ... هو السحر لكنه من حلال
ولو يستطيع أحال النجوم ... لصدرك عقدا فريد المثال

تمنيت .. كم أمنيات عذاب ... ترد الى القلب شرخ الشباب
تهدهده قبل فوت الربيع ... ولكنها أمنيات كذاب
مجرد وهم يبل الظما ... مجرد امنية بالشراب
صرعت بها النفس كي تستريح ... وتنجو من لفحات العذاب
اذا عز نيل المنى شاعرا ... جرى واهما قانعا بالسراب

صديقة قلبي ، لا تعتبي ... أئن ظمىء القلب لم يشرب
فانت مناي البعيد البعيد ... وحبك مني كالكوكب
ولكنها خفقة من فؤاد ... يعربد من شاعر طيب
يعيش مع الوهم أيامه ... وكم حطم الوهم من مأرب
اذا لم يجد واقعا يشتهي ... دعيه ليحطم .. لا تغضبي

الكويت — محمود سلطان

وحسبي ان اختم هذه النخليات المجهولة الطريفة بالابيات الوجدانية الاخوانية التالية التي تصور وفاء ابي سعيد اجمل تصوير « ورب خل » (الفيحاء ـ العدد ٤٩ ـ ١١ تموز ١٩٢٤ ص ٥) :

ورب خل رعى في شيمتي زمنا ... خصب الوفاء ومنضور المروءات
حتى اذا حال يومي بعد نفرته ... رعيت من يومه قحط المودات
اني اذا ما ربيعي عاد مخصبه ... انزلته في مراعيه الخصيبات

واني اذ ابتهل من صميم القلب الى الله سبحانه وتعالى ان يمن على حبيبنا امين نخلة بالعافية والشفاء لارجو منه ان يضم هذه النخليات المجهولة الى « الديوان الجديد » في طبعته الثانية ان شاء الله .

بغداد — حارث طه الراوي

قطار المساء يتوقف ويهبط عدد من الركاب من بينهم كان شخص طويل ورفيع يحمل حقيبة كبيرة يتقدم بخطوات ثقيلة نحو غرفة معاون المحطة وقدم له نفسه قائلا :

ـ انا عبد الهادي .. الناظر الجديد .. من فضلك مفاتيح الاستراحة .. وقف المعاون .. كان شابا صغير السن مد يده في خجل وشد على يد حضرة الناظر .. كان عنده خبر بوصوله ..

حاول ان يتحدث معه ولكن الضيف الجديد لم يكن على استعداد . اخذ المفاتيح واتجه بخطواته المرهقة نحو الاستراحة كان يعرفها جيدا انها تشبه غيرها من استراحات السكة الحديد .. لا جديد .. وضع المفتاح داخل قفل الباب واداره ..

انفتح الباب .. كان له صرير كئيب يقود عليه ـ يشبه غيره تماما ... وضع الحقيبة ثم اشعل عود الثقاب وعلى ضوئه وبعد ان تبين طريقه جيدا اغلق الباب وتنهد .. بحث في عصبية عن زر النور . ضغطه بقوة .. امتلأت الغرفة بالنور وتبين ملامحها .. كما قدر تماما مثل غيرها قديمة ومتآكلة .. طلاؤها ذكرى .. كلمات كثيرة مكتوبة على الحائط ...

تذكروا عبد المتجلي ...
للذكرى حسن ظاظا
نحمدو ...

اسماء زملاء سفر سبقوه الى الاستراحة كما سبقهم الى استراحات غيرها .. تذكر وحدته وليالية الطويلة التي قضاها مسافرا او باحثا عن الراحة داخل حجرة من الحجرات .. احس برجفة تهزه بعنف .. لماذا يرتجف ...

الوحدة يحس بها اليوم .. التعب الارهاق .. الماضي .. الحاضر .. الايام المتشابهة ، صفير القطارات تذاكر ... مخالفة ...

صباح الخير يا حضرة الناظر . فطار يا ولد .. يا ناس حرام عليكم .. ماضيه كله شعر به فجأة .. أحس بالاشفاق نحو نفسه .. احس بأنه مسكين وان حياته ليس لها معنى .. ليس لها قيمة .. لماذا يعيش ؟ بل وكيف عاش الفترة الماضية كلها .. لماذا لم تختر له الاقدار عملا مريحا .. هل كان حاله سيصبح على ما يرام .. لو كان له بيت واسرة .. لو كان قد استقر .. كان يحب ان يعيش حرا والآن بل اللحظة شعر ان حريته قتلته .. احس بأنه ميت .. وتحرك في صمت نحو السرير السفري .. مثل غيره تماما مجموعة من الانقاض .. القى بجسده فوقه .. لا يهمه شيء

دموع الفجر

بقلم السيد ابراهيم

سوى ان يرتاح ..

الرحلة شاقة.. حضر من اقصى الصعيد .. لكن لحظات .. وتنبهت كل حواسه .. كان يريد ان ينام لكن اشياء كثيرة كانت تحدث حوله .. شيء صغير يحاول قرض طرف الحذاء .. وتذكر انه حتى لم يخلع ملابسه .. نهض من الفراش .. يد مكتبه وجده ملقى بجوار السرير وحاول مطاردة الفأر .. وجد على الحائط رسما ضاحكا لرجل يطارد فأرا دعابة من زميل سبقه اليه



الفأر ... كان بجوار الرسم وبخط ضاحك .. مفعوله اكيد .. مكتوب .. سمع اصواتا تأتي من بعيد لم يتبينها جيدا .. يبدو انها ترتفع شيئا فشيئا .. لا يهم .. القى بجسده فوق السرير .. احشاء السرير يخرج منها اسراب من الحشرات .. احس بها تتسلل الى ملابسه ثم الى جسده ..

هب واقفا .. الضيق يكاد يخنقه .. اتجه نحو النافذة .. الموت يتسلل اليه خافتا .. عاد ثانية نحو الفراش .. ارتمى فوقه محاولا التغلب على الارق .. الصوت يرتفع .. يصفع اذنيه بعنف ، يتقلب على جنبه .. يهب واقفا تكاد اسنانه تتحطم من شدة ضغطه عليها ...

اف هؤلاء الملاعين .. ماذا يريدون الم يجدوا مكانا للسهر الا بجوار الاستراحة ... لا بد ان القنهم درسا .. ساخرج اليهم ..

وهرول خارجا من الباب واغلقه وراءه بعنف .. تبين على البعد مجموعة خيام كالحة .. عمال تراحيل .. هؤلاء الناس .. يغنون ؟ اقترب من الرجال .. هبوا وقوفا .. يا الف مرحب .. اتفضل .. شاي يا عليوه.. آنست يا بيه .. وادار بصره فيما حوله.. الخيام قطع من القماش الاسود المتآكل هجروها وافترشوا الارض الرملية .. القادر منهم افترش حصيرا.. يتناولون الشاي في اكواب من الصفيح ، سوداء .. يرتشفون السائل المغلي بسعادة .. كبيرهم يقول :

ـ يا واد يا علوان .. غني يا ولد ..

ـ حاضر يا بوي ..!

وغنى علوان بصوته الشاب .. كان علوان في الحقيقة يبكي .. صوته الحزين الشاب تسلل الى داخل نفسه اذاب آلامه وحرك اشجانه .. احس بعذابه ، بآلامه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غلطة ليس تغتفر

●

لا تسلني .. سل السحر ... كلما هاج واستعر
فجفوني سقيمة ... أو سل الليل والقمر
من لظى الحب اصطلى ... وفؤادي قد انكسر
سورة الحب هل أنا ... ضيق الافق والنظر
فلقد كان حبها ... غلطة ليس تغتفر
كلما زار طيفها ... زارني الدمع والسهر
لا تقل هل عشقتها ... انظر الفعل والأثر
أو تلمني فانها ... فتنة تخلب الفكر
صاغها الله كي يرى ... ما عسى يصنع البشر
من رؤى الحلم صاغها ... درة تخطف البصر
ليتني ما رأيتها ... أو رأى القلب واصطبر
انني ما ظننتها ... تدع القلب .. ينتحر
أو تدري بانني ... بعدها كدت اندثر

الناظور ـ المغرب — القمري الحسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخرج من اعماقه .. علوان مثله تماما .. يشعر بالوحدة .. بالحنين بالضياع ولكنه يختلف تماما عنه .. يغني ويبكي ولكنه راض عن نفسه .. لماذا . .

هل يستطيع ان يرضى هو الآخر عن نفسه ؛ عن حاله .. لماذا يتمرد .. والآن .. انتهى علوان من الغناء وتبعه آخر استخفه الطرب فأخذ يرقص ويرقص وهم يصفقون نسي نفسه واشترك معهم .. صفق بشدة ومع كل ضربة ومع كل نغمة كان يحس بآلامه تذوب بنفسه ؛ تصفو بحيويته تعود اليه ..

وتجولت عيناه دون وعي منه داخل الخيام .. مجموعة من الإواني الفخارية .. ملابس ممزقة .. كلها اشكال والوان .. سعداء .. كيف ؟..

ولكنه لم ينتظر ردا على سؤاله تحرر منه بسرعة لماذا يسأل ؟.. ارتد بصره بسرعة . غرق في افراحهم .. استخفه الطرب تحرر من الواقع المادي .. خلق في سعادة بعيدا عن الالم .. وجد نفسه يعيش معهم بروحه بكيانه .. نسي عذابه .. نسي رحلاته .. نسي كل شيء .. احس بالشبع يتخم قلبه .. انفرجت اساريره ضحك .. ارتفع صوته مجلجلا .. حياهم وردوا التحية باحسن منها ... السعادة تغمره .. السعادة ترفرف على الجميع كم كان غبيا .. بالطبع هم اذكى منه ..

احس بالانتعاش .. هفت نفسه لكوب شاي .. استجابوا له في كرم وكأنهم كانوا يقرأون افكاره . وعندما احس بالجوع كانت في انتظاره مائدة حافلة بالعيش الجاف وقطع المخلل والجبن القديم .

أكل بشهية لم يعهدها في نفسه وهو المدخن العنيد . مر الوقت سريعا .. ضوء الفجر يتسلل في رفق ، والنسيم العليل ينعش الارواح الهائمة .. وقف خاشعا امام جمال الطبيعة وتنهد في راحة وهو يتطلع الى السماء الرائعة .. كان مبهورا .. احس بالحياة .. ردد في خشوع : سبحانك ربي .. كم من النعم تحيط بنا ونحن جاحدون .. سبحانك ربي .

وانهمرت دموعه وكأنها كانت تنتظر لحظة الفرج .. احس بالرضا وهو يرى الله في كل شيء حوله .

القاهرة — السيد ابراهيم



مدرسة الاستاذ الامام

واثرها في اللغة والادب

تأليف الدكتور احمد الشرباصي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

بين يدي الآن آخر كتاب اخرجه الى المكتبة العربية الدكتور احمد الشرباصي وهو : « مدرسة الاستاذ الامام واثرها في اللغة والادب » وقد بدأه بقوله :

« بدأ اعجابي بشخصية الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ـ عليه رضوان الله ـ منذ الصغر ، فما كدت اعقل معنى الاسلام ومفهوم العربية حتى كان اسم الشيخ على لساني وفي جناني ، يراوحني ويغاديني ، وما كدت أبدأ دراستي الثانوية الازهرية حتى كنت أراه كالمثل الاعلى للازهري ، واراه عنوانا للتفتح الذهني ، وسعة الافق في فهم الدين واستنباط احكامه » .

فالكتاب اذن نتيجة دراسة نفسية وحياة فكرية ، عاشها المؤلف اكثر من ربع قرن ، يعاشر الامام وتلاميذه وشيوخه ، ويقرأ له ولهم، ويكتب عنه وعنهم ، ويستمع الى من يكتب عنه او يحاضر فيه .

نجد ذلك واضحا في حياة المؤلف وفي قوله : « واخذ اعجابي بشخصية الاستاذ الامام يزداد يوما بعد يوم ، كلما تقدمت بي السن ، ولقد مضيت انتقل في مراحل دراستي : من الثانوية الى العالية في كلية اللغة العربية ـ حرسها معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ الى التخصص ، الى « الماجستير » ، الى « الدكتوراه » ، والاعجاب بشخصية الاستاذ الامام موصول الزيادة والنماء ... فالامام محمد عبده ـ في نظري وفكري ـ مجدد ديني ومصلح لغوي ، ومجاهد سياسي ، وعبقرية نادرة المثال من عبقريات ذلك الازهر الشريف » .

ولعل هذه العبارات قد حددت المنهج الذي سار عليه المؤلف في دراسة شخصية الامام ومدرسته ، لانها تصور الأهداف التي عاش في ظلها ينظر الى الشيخ محمد عبده طالبا ، ومدرسا ، وقاضيا ومفتيا ، وصحفيا واديبا ، ومصلحا اجتماعيا ، وسياسيا ثائرا ، ومحاضرا ومتحدثا في الاندية الخاصة والعامة .

وليس أدل على ذلك الانفعال النفسي من ان ترى المؤلف قد اختار لحصوله على درجة « الماجستير » دراسة احد تلاميذ الامام ، وهو امير البيان « شكيب ارسلان » ، فقدمه لقرائه في جزءين كبيرين ، اشبع فيهما رغبة الاديب العربي ، وافرغ فيهما جهده ودراسته لاسلوبه الخطابي الفضفاض ، وخياله واستنباطه ، مؤيدا دراسته بالمثل الادبية القوية الدلالة . ثم اختار لحصوله على درجة « الدكتوراه » دراسة عن اكبر تلاميذ الاستاذ الامام ، وهو السيد محمد رشيد رضا .

والدكتور الشرباصي خطيب اديب مدرس ، محاضر ، ولمثل هذه الشخصية اسلوب لا بد ان يصل الى مداه ، يقوم على بسط القول ووفرة الادلة وسهولة العرض والعبارة ، مع ملاحظة نفسية القارىء والسامع ، ليصل كلامه الى قلبه ، ويقع منه موقع القبول .

لذلك لا تكاد تبدأ في قراءة المؤلف في أي موضوع تناوله الا وتجد نفسك مشدودا معه ، لا تستطيع مفارقته حتى تنتهي منه ، وذلك بما يثير في نفسك من قضايا يأخذ في معالجتها بأسلوب شيق رقيق .

وكذلك سار الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « مدرسة الاستاذ الامام واثرها في اللغة والادب » .

فهو يحدثك عن الامام وعوامل قوته في اللغة والادب ، فاذا هي ، اولا : القرآن الكريم ، حفظه ، فكان له مددا لغويا وفكريا ونفسيا ، استقام به منطقه وتعبيره وتفكيره ، ومعالجته لشؤون الحياة ، واذا هي ، ثانيا : استاذه الاول الشيخ درويش خضر ، الذي قرأ معه رسائل ، وربطه بأدب القرآن وأدب الحديث ، فانتزعه من دواعي اللهو واللعب ، حتى صار اللعب أبغض شيء اليه ، وحبب اليه القراءة والدرس ، فاستقل بعقله وجهده في المطالعة والفهم ، وقد ورث منهما الكثير .

ثم كان باعث النهضة في الشرق السيد جمال الدين الافغاني مرشده واستاذه ، وموجهه الى العناية بالانشاء ، وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، حتى صار ابرع من استاذه في البيان والتعبير .

ثم ينتقل المؤلف فيحدثنا عن آثار الامام الأدبية ، فقد شرح « منهج البلاغة » كما شرح « مقامات البديع الهمذاني » .

وهنا يقف المؤلف موقف الناقد الاديب ، فيثير قضية قدم الخلاف فيها حول نسبة كتاب « نهج البلاغة » للامام « علي » هل هو كلام الامام حقا ، او هو من صنع الشريف الرضي او غيره ، فينقل رأي علماء الادب في ذلك ، من شك ، ومن أثبت ، ومن سلك طريقا وسطا ، وموقف الشيخ « محمد عبده » من تلك القضية وشدة احتراسه ، ونظرته الى الكتاب حين شرحه على انه كتاب لغة وبلاغة وبيان وتعبير ، وانه لم يترك غرضا من اغراض الكلام الا أصابه ، ولم يدع للفكر ممرا الا جابه ، وانه باسمه « نهج البلاغة » جدير . على ان المؤلف لم يفصل في هذه القضية .

ويحدثنا عن شرح المقامات واثر الامام الادبي وتحقيقه ، بعد ان يترجم لنا البديع ومقاماته ، وكيف ان شرح المقامات دليل على علم الشيخ بالتاريخ ، وعنايته بتوضيح الامور البلاغية في اسلوب كاشف قريب التناول من القارىء .

وقد تناول المؤلف مدرسة الاستاذ الامام وتلاميذه ، بعد ان تناول شيوخه ، ومن هنا تحدث عن اثر الامام في « شكيب ارسلان » و « رشيد رضا » و « سعد زغلول » ، وادباء عصره وشعرائه وفي مقدمة من تكلم عنهم : حافظ ابراهيم ، ومحمد مصطفى المراغي . فيقول : « كان الاستاذ الامام محمد عبده صاحب مدرسة كبيرة في التوجيه الديني واللغوي والادبي والسياسي ، وقد استطاع في مجال الادب واللغة ان يجمع حوله طائفة من تلاميذه الذين صاروا فيما بعد اعلاما في مجتمعهم وبين قومهم ، وتوافر لهم نصيبهم الملحوظ من الذوق الادبي واللغوي والاسهام الفكري في الحياة الفكرية بمختلف الجهود ».

ولقد جعل الشيخ محمد عبده من بيته ناديا علميا ادبيا ، يعمر بالسمر الثقافي في المجتمع الذي يحضره كل عربي بلهفة وشوق ، سواء أكان مسلما أم مسيحيا ، لان الثقافة كانت عنوان ذلك الندى الكريم ، والمؤلف يورد رأي النقاد في اسلوب الاستاذ الامام ، ويحاول مناقشتها في اسلوب هادىء مستند الى الدليل ، ومع ذلك فقد ظهر حبه للامام واضحا في هذه المناقشة ، فحاول ان يبرىء اسلوب الامام من كل شائبة ، وقد ظهر ذلك واضحا في ملاحظاته على رسالته التي كتبها في سجن القاهرة ، متهما بالاشتراك في الثورة العرابية ، فيعلل ما فيها من تهويل ومبالغة ، بانه كتبها وهو ثائر ، فهول من شأن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتن التي تجسم ظلامها وتحجر ، والذي بغى وطغى ، حتى كأن صخوره متنزعة من مركز الارض الى المحيط الاعلى ، معرضة ما بين المشرق والمغرب ، ممتدة الى القطبين ، فهي شاملة الدنيا كلها بالطول والعرض ، مسيطرة على قلوب الثقلين من الجنة والناس .

وهكذا يمضي الشيخ في رسالته التي نقل بعضها الدكتور الشرباصي ، وسمى اسلوبها اسلوب « سطوة » ، وهي تسمية طريفة جديدة ، ولسنا مع المؤلف في ان الاسلوب في الرسالة يغلب فيه الاسلوب المرسل على أسلوب السجع ، مع التزام الشيخ بختم كل فقرة منها بجملة تنتهي بالياء والنون او الواو والنون .

ويعترف المؤلف بأن الشيخ بذل مجهودا ذهنيا في رسالته حتى يحقق فيها ما التزم .

ولا انكر ان المؤلف حاول في كثير من مواقفه ان يكون محايدا في موقفه من الامام ، ولكن حبه لشخصية استاذه الامام الشيخ محمد عبده حسن في عينيه كل شيء ، حتى مآخذه التي اخذها عليه برفق ، ثم يختم المؤلف كتابه بمديد من الملاحظات اللغوية التي استرعت نظره وهو يقرأ للاستاذ الامام .

فقد استعمل « البئر » مذكرة وهي مؤنثة ، قال تعالى : « وبئر معطلة » ، وقال في رسالة له : « فاهدهم مني أزكى السلام » ، والصواب : فاهد اليهم ، ويقول في رسالة الى حفني ناصف : « وسيرسل اليك سند الاستلام » . والصحيح : سند التسليم . ويقول الامام « دعيت لتدريس » والصواب ان يقول : ودعيت الى تدريس .

وهكذا يستمر المؤلف يسرد ملاحظاته على الاستاذ الامام اللغوية ، ثم يقول : « انها اخطاء مشتركة بين الامام وشكيب ارسلان ورشيد رضا ، وجل المعصوم من الخطأ والنسيان » .

وعلى كل هذه الملاحظات ، ملاحظات يطول بي القول لو ذكرتها ، ولهذا اختم هذه الكلمة بشكر المؤلف على ما قدم ويقدم للمكتبة العربية من بحوث ودراسات ، وارجو ان اوفق الى كلمة أخرى في هذا المصنر الادبي القيم ، والله الموفق .

جامعة الازهر
عبد الحسيب طه
استاذ بكلية اللغة العربية

●

ضفاف الهوى

مجموعة شعرية ـ رضا الفيلي ـ تقديم محمد عفيفي ـ ١٦٨ صفحة ـ مع لوحات فنية ـ مطبعة حكومة الكويت

« ضفاف الهوى » هذا ديوان عذب جميل عطر الانفاس فواح العبير جادت به قريحة شاب كويتي مثقف يدرس في الولايات المتحدة الامريكية، ويجري فيه جدولان عذبان من جداول الثقافة الرفيعة ، الجدول الاول هو جدول الثقافة العربية التي تمكن فيها الشاعر كل التمكن بعد ان امعن في قراءة دواوين الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، ولم يمر على قرائتها مرور السحاب او عابر السبيل انما تمحصها وتعمقها وهضمها واستوعبها . ووقف على دواوين ايليا ابو ماضي وعلي محمود طه ، وخليل مطران ، ونزار قباني ، والياس ابو شبكة وغيرهم من اعلام الشعر في العصر الحديث ممن عرفوا باتجاهاتهم العاطفية الفياضة وانطلاقاتهم الشعرية الاخاذة . اما الجدول الثاني الذي يتمثل في هذا الديوان فهو جدول الثقافة الغربية الذي يتراءى في دواوين شعراء امريكا امثال فروست ووتمان



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسيدني لانيز وغيرهم كما يتراءى في دواوين لورد بيرون ، وشلي وسير والترسكوت وغيرهم من اعلام الادب الرومانطيقي الخلاب .

اما الشاعر فهو الاستاذ رضا الفيلي الذي يطلب العلم هنا في الولايات المتحدة ويدرس في نفس الجامعة التي اقوم بالتدريس فيها ، وقد لمست فيه عاطفة جياشة واحساسا ملهما ونبعا فياضا من الشعور لا يكل ولا يفيض بل يتدفق في سلاسة وحلاوة ويجري في عذوبة وصفاء. والواقع اني لم اقرأ لشاعر عربي يمجد العيون وسحرها ودلالها كما يمجدها رضا الفيلي . فالعيون سحر والهام عند قلبه والعيون وحي واجلال في نظره ، والعيون بعد ذلك كله بل قبل ذلك كله بل وفوق ذلك كله نغم عذب ساحر يتدفق في ديوان ، ويشيع في كلماته فيثير الكوامن ويحرك المشاعر ويخطف الابصار . اسمعه يقول :

عيناك كل وارف وغناء عصفور طليق
بجناحه الذهبي يمزج آهتي بدم الشروق
ويداك لمسة ياسمين الفجر للغصن الوريق
واذا همست انساب همسك من فم الغيم الرقيق
انت الهوى المفقود في دنياي والحب العريق
وربيع وجهك لا يزال يقبل الثغر الانيق
يحكي له اسطورة الاشواق في قلبي المشوق

فهنا تجد المعاني الرائعة تتدفق كالموج المتدفق على الشاطيء ، والموجة تهمس في اذن الاخرى احاديث الهوى واغاريد الغرام . وهنا تجد الموسيقى العذبة الحنون التي لا تصل الى الاذن حتى تصل الى اغوار القلب واعماق النفس وحنايا الصدور . وهو في هذه المعاني اشبه باللورد بيرون الذي كان يبث في سمع صاحبه احاديث الهوى ، ونفثات الغزل على الشاطيء الحبيب او هو اشبه بابي القاسم الشابي وهو يستلهم حبه وشبابه ويزكي ترانيمه في اذن الصباح الوليد . وفي قصيدة اخرى يقول رضا الفيلي :

عيناك يا اغرودتي
كغابة زرقاء
عميقة كقطعة هوت من السماء
صافية كخمر انغاسنا
يغرقنا في لجة العيون
في آمة العذاب
في غده السراب
في عالم يطفئنا بناره
في زرقة تبحث عنها السماء
ويزهو الخيال
حين يضم سحرك المكنون
بزرقة العيون .

فانت تحس ابيات رضا تنسلل في روعة وجلال دون حدود ودون قيود وتحس خياله ينطلق في سموات الخيال كالطائر بهره الفضاء وتخلب عيونه رؤى السماء ومعاني الجمال . وهو في تحركه وانطلاقه اشبه بالشاعر الامريكي والت ويتمان (١٨١٩ ـ ١٨٩٢) الذي اغرم بهذا اللون بعد الشعر الحر الطليق . ونظم فيه مجموعة قيمة من القصائد والالحان .

ولكن رضا الفيلي يعجب ايما اعجاب بلون معين من العيون . كما كان الشاعر الرقيق شاعر الجندول علي محمود طه حين يعجب بلون معين من الجمال فكما كان علي محمود طه يترنم بقوله « شرقي السمات حلو اللفتات » فكذلك غاص الجمال العربي في قلب رضا الفيلي فنظم قصيدة من عيون شعره بعنوان « عينان عربيتان » :

عربية العينين يا ليل النهار الساهر
لا ترسلي سهميك من جفنيهما
اني اضمهما بجفن مشاعري
وانا اغني بين اكداس الصدى
ووقود الحاني حطام مزاهري

وفي فقرة اخرى من هذه القصيدة العذبة كانسام الربيع الحلوة كريق الندى في الصباح البديع يقول :

عربية العينين يا اغرودة الصحراء
يا سمرة النوار في اخفاءة النجم البعيد
ماذا اقول وقد نسيت اللحن في اشعة القمر .

ليصدقني القارىء الكريم باني استمتعت حقا باحاديث العيون في ديوان الفيلي ضفاف الهوى حتى لقد صدق الشاعر الحديث حين قال « جفنه علم الغزل » .

وقد علمت العيون رضا الفيلي من الغزل فابدع وتفنن فن النسيب فافاض واجاد . فليمعن رضا الفيلي في قراءته وامعانه ، وليمعن رضا الفيلي في تفننه وابداعه فهو طليعة الشباب الكويتي المثقف وبرغم غض من براعم هذا الوطن العربي الكبير ولكن رضا الفيلي على رغم حبه للعيون العربية يستمد الهامه ايضا من العيون الزرقاء التي تبدو من زرقة السماء الصافية او من زرقة اديم البحر في الليلة القمراء الرائعة كما يبدو ذلك في قصيدته « عينان زرقاوان » .

غير ان رضا الفيلي لا يطرب فقط من احاديث الطبيعة ومجالي الفتنة ومنابت الجمال انما يطرب كذلك من احاديث الشهامة والبطولة وصور الكفاح والجهاد والجلاد ، ففي قصيدة « موكب الثوار » تلمس الريح عاصفة ، والنار موقدة شديدة الاوار ، وهي نار تحرق الاعداء. وتهدي المكافحين الى سواء السبل فهي نور يلهم ونار تحرق . اسمعه يقول :

موكب الثوار جاء
مثلما الليل ولا بد له من اخر
موكب الثوار جاء
بذرة الثوار جاءت
من خلال الوت من درب القنوط
شقت القشرة وامتدت من الارض الوفية
موكب الثوار جاء
وجنين الصبح في الليل تململ .

وفي قصيدة « اغنية الى القدس » يثور رضا الفيلي لما حدث في القدس الحبيبة حيث لوث المعتدون معالم المدينة العريقة ولطخوا هالتها المقدسة وشوهوا جمالها فقص جند الظلام المارقون شعرها الجميل بخمرة الجنون . وقلعوا الاظافر النقية الحنان ، وخدشوا البسمة في ثغر المسيح بل نقد علقها الجناة صورا وسددوا لصدرها المنور الطهور وخدها المعطر الاثيل اظافر القرد العجوز .

وهكذا يمضي بنا رضا الفيلي في ديوانه من روضة الى روضة ، ومن الهام الى الهام ومن احاديث الحب والغرام الى ترانيم المجد والجهاد ، ومن لغة العيون الى سحر الجفون ، ومن هيمان الفراش الى رنات القبل كصليل الحلى في ايدي الغواني الحسان . فهنيئا للاستاذ الفيلي بديوانه وهنيئا للقارىء العربي بهذا النصر الادبي وهذا الكنز الفني النفيس .

جامعة جنوب كاليفورنيا — جمال الدين الرمادي

•

شعر ابي سعد المخزومي

تحقيق الدكتور رزوق فرج رزوق ـ ٨٠ صفحة كبيرة ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه ١٩٧١

ابو سعد المخزومي واحد من اولئك الشعراء المنسيين الذين قلت

اخبارهم وتناثرت اشعارهم ، لانشغال الناس والمؤلفين عنهم بمن هم اكثر اتصالا بالخلفاء او الامراء او الرؤساء .

وقد بلغت قلة حظ ابي سعد من الشهرة ان احد المحققين المعاصرين قال حين ورد ذكر أبي سعد المخزومي في كتاب حققه : « لا اعرف عنه شيئا » .

ولقد عني الدكتور رزوق فرج رزوق ـ الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بكلية الاداب ببغداد ـ بهذا الشاعر العباسي المجيد المغمور ، فعرف به ، وجمع شعره ، وحقق هذا الشعر فاضاف الى مجموعات الشعر العباسي ودواوينه هذه المجموعة الشعرية الجديدة: « شعر أبي سعد المخزومي » .

عرف شاعرنا بكنيته . وقد اختلف المؤلفون القدامى والمحققون المحدثون فيها فذكر بعضهم « ابا سعد » ، وذكر البعض الاخر « ابا سعيد » . والصحيح ما ذكره الاولون فقد وردت الكنية « ابو سعد » في ابيات شعراء عاصروا شاعرنا وهجاهم وهجوه ، مثل دعبل وابن ابي الشيص وابي البرق .

اما اسمه فعيسى بن خالد بن الوليد ، من ولد الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي . ونراه فخورا بنسبه اذ يرد على كل من كان ينفي هذا النسب :

اني امرؤ من قريش في اروماتها لا يستطيع لي الاعداء تكذيبا

ولقد بخل الرواة ومؤرخو الادب بذكر مكان ولادة شاعرنا وسنتها وبالكلام عن نشأته ومصادر ثقافته .

ويتبين من شعره انه كان بين المقربين من شعراء المأمون ، وان له مع دعبل الخزاعي هجاء كثيرا . وقد اختلف الرواة في سبب هذا التهاجي وكان مما ذكروه ان دعبلا كان شديد التعصب للقحطانية على النزارية وقال قصيدة يرد بها على الكميت ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن ، فناقضه ابو سعد وهجاه ، وطال تهاجيهما .

وقد طرق ابو سعد بشعره ابواب الشعر المعروفة في زمانه ، من مدح وهجاء وفخر وحكمة وغزل وهزل .

ولقد ساءه ان يضطر الى استخدام شعره في المدح ، فقال في الشاعر المداح الذليل :

الكلب والشاعر في حالة يا ليت اني لم اكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه يستطعم الوارد والصادرا

وطمح الى المعالي ، فقال يفخر بحسبه ، ويذم دعبلا :

املي في التاج ألبسه وله في الشعر آمال
ليس من يسمو به حسب مثل من يسمو به مال

وقال في الدهر وعجائبه :

ما اعجب الدهر في تصرفه والدهر لا تنقضي عجائبه
فكم رأينا في الدهر من اسد بالت على رأسه ثعالبه

وتغزل ، ولان لمن يحب ، فقال :

اي محب لك لم احكه واي ليل لك لم ابكه
ان كان لا يرضيك الا دمي فقد اذنا لك في سفكه

واعلن ، بظرف ، عن رأيه في الصديق المثالي فقال :

نعم الصديق صديق لا يكلفني ذبح الدجاج ولا شي الفراريج
يرضى بقدرين من كشك ومن عدس وان تشهى فزيتون بطسوج

هذا وقد وجمع المحقق من شعر الشاعر المتناثر في الكتب مائة وتسعة وثلاثين بيتا هي مما نسب الى ابي سعد وحده ومما نسب اليه والى غيره . واذا نحن اقتصرنا على ما نسب اليه وحده وجدناه (١٢١) بيتا في (٣٧) مقطوعة ، جلها من بحر الوافر (٨ مقطوعات) ثم البسيط (٦ مقطوعات) ثم الطويل (٤ مقطوعات) والمتقارب (٤ مقطوعات) .

اما منهج المحقق فهو انه بعد ان عرف بالشاعر وشعره رتب النصوص الشعرية حسب التسلسل الهجائي لقوافي الابيات ، وقد اورد مع النصوص احيانا ما يتصل بها من اخبار قصيرة ومقدمات تشير الى مناسباتها او توضح معانيها العامة ، وضبط الابيات بالشكل، واعتمد عند تعدد مراجع التخريج على رواية اقدم هذه المراجع ، فان زاد عليه مرجع آخر في عدد ما رواه من ابيات النص كان لرواية هذا المرجع الرجحان وعليه الاعتماد .

وختم التحقيق بشروح وتعريفات بالاعلام وتعليقات وفهارس ثلاثة: للاعلام ، ولصدور الابيات وقوافيها ، ولمراجع البحث والتحقيق التي بلغ عددها ٦٥ مرجعا .

وصدر الكتاب بمساعدة جامعة بغداد . ولا بد لنا من ان نشكر للمحقق الفاضل جهوده في تحقيق هذا الشعر ، ومساهمته في حركة احياء التراث العربي المتميزة في ايامنا هذه بالحيوية والنشاط .

بغداد صباح نوري مرزوك

•

لهيب الروح

مجموعة شعرية ـ فطينة النائب ـ (؟) صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

من الدواوين التي ضمتها خزانتي المتواضعة ديوان « لهيب الروح » للشاعرة فطينة النائب ، ضربة « اميلي برونتي » شاعرة التباريح والاحزان . وتاريخ اقتنائي الديوان يعود الى شهر أيار من عام ١٩٥٥، اي عام صدوره . ومنذئذ وانا احاول الكتابة عنه ، لكن في كل مرة كنت اهم بذلك ، كانت تصدني عوائق وحوائل لا حصر لها في خضم الحياة . وكلما عزمت على تدوين خواطري عنه ، شعرت كان يدا خفية تطويه ، وطيفا غامضا يهمس : دع عنك هذا ، فاوانه لم يحن بعد ! وكنت اعيده الى اترابه على مضض ! فالديوان قمين بدراسة متانية ، وخليق بالتثمين وتبيان اصالة صاحبته الشعرية وعمق شعورها ، وتعدد جوانبها الفنية .

ابرز جانب من جوانب الديوان نزعتان قويتان متناقضتان في آن معا : الامل واليأس ـ الامل الجياش المخضوض العارم الى حد الثورة احيانا ، واليأس المرير الى حد القنوط والخمود احيانا . ها هي تتكلم عن روحها قائلة :

اما عاهدتني ان ترتضي بالغل والحبس
فكم خاطبتني في الليل كم اصغيت للهمس
لهيب اينما ولت وشجو للحشا موري
هيا روحي اما يكفيك لا تستعبدي ثوري
ذري الآلام يا اختاه في محرابك الهادي
وواريها ببسمات تهدهد قلبك الصادي
ولا ترضي اذا ثارت وهاتي بشرك البادي
فعقبى الليل اشراق سيأتي بعد ميعاد

وها هي تخاطب قيثارها الصامت ، مفصحة عن اليأس والالم الملمين بها :

الام الصمت يا قيثار والايام تشقينا
وسحب اليأس والآلام تغدو فوق وادينا
سنصلي في جحيم الصمت تجفونا أمانينا
ونحيا والهوى طيف بعيد عن أيادينا

وفي سورة من التباريح والاوصاب في قصيدتها « الورود الدامية » نغمة اعتزاز وترفع :

انا من ملكت زمام نفسي رفعة

تليها هذه النغمة الحزينة اليائسة الخافتة التي تختم بها سنفونيتها :

ماذا لدي سوى غيوم كللت
سوداء تذكرني بأفق صاح

ويندر ان تخلو قصيدة من اليأس والامل في ثناياها ، مع تفاوت في سورة كل منهما بين قصيدة واخرى . ففي « وعود ضائعة » ترى ان « رائحة اليأس أحلى من عذاب الامل الذي لا يتحقق » وتقول :

لكم دنا ظامىء للنبع منتظر
لعله بعد نار الصبر يبترد
فما استقى رشفة تحيي به أملا
وظل يقنع بالاقوال ما وعدوا

ومن قصيدة « حنين » هذان البيتان :

على الشاطىء وقد اودعت هذا الموج اسراري
كتبت اليأس والآمال فوق الثائر الجاري
ضياعا راحت الآمال أشتاتا بتيار
ومرت نسمة حيرى لتمحو موج أفكاري

وها هي تعنون احدى قصائدها بالامل البعيد الذي تقول عنه : « انتظار الامل الم ، واقصى الالم لذة ، وما الحياة إلا أمل مؤلم أو الم لذيذ » ، فتخاطبه :

يا أيها الامل البعيد الا دنوت قليلا
لترى ورودك ذابلات في الضلوع ذبولا
وترى ظلاما في الجوانح دامسا مسدولا
أمست ربوع الامس بعدك دفنة وطلولا

وفي (النور المظلم) عزوف عن الامل واستسلام الى اليأس :

دع الاماني ظماء لا تسقها بعد يبس
فكم غرست ورودا والدهر اذبل غرسي
فلا تنزلي الدياجي قد خاب بالنور حدسي
دعني لكيد الليالي لقد تعلمت دوسي

وخاطبت (فراشة حول النار) تقول :

لقد أردت شقاء العيش فاحتملي
واحصي الدقائق في حب بلا أمل

وخاطبت « بركان » ذاتها مفصحة عن اليأس المستفحل ، قائلة :

يمور فيك اليأس مستفحلا
كأنه في الحكم سلطان

ويعاودها الشعور بالامل فتتمنى :

يا نفس هل من ومضة للمنى تفريك فالآمال ريحان
فالدهر والحب وآمالنا زهر وينبوع وظمآن

ان الشاعرة الرهيفة تشكو انعدام الاصدقاء والاوفياء والخلان كما تشكو الحرمان ، فحق لها ان تتوجع وتتلظى :

يا نفس قد كان لنا صحبة كأنهم بالامس ما كانوا
ضاقت بك الدنيا على وسعها وليس للضليل اوطان
وقد خلت من مخلص واحد كأنما لم يبق سكان

وتعتريها يقظة من يقظات القوة رغم ما تعانيه من وهن ، فتصرخ:

لا أعرف الضعف وما نابني فالضعف موت وهو ألوان
فلن يرى العذال الامنا حتى تضم الجسم أكفان

ويتجسم نزوع الشاعرة الى الامل المورق المتالق تارة ، والى اليأس الشاحب المدلهم تارة أخرى ، افضل تجسيم في « دوحة الامل » وهي عندي من عيون قصائد الديوان ، ومن افضل ما طالعت من شعر الفرنجة والعرب في (الامل) فهي عندي افضل من قصيدة ثوماس هود الانكليزي « الى الامل » التي مطلعها :

تناول قيثارك ، يا ملاك السيرافيم الصغير
واعزف لي ابهج الانغام

فالحزن قاتم والهم صارم
والحياة تغني بغاية السآمة
ايه ! تناول قيثارك !
غن كعادتك اذ كان الشباب كله فصلا مشرقا مديدا
وقد جلست أسمع انشادك المبتكر ابدا
ونعيم المستقبل عنوانك الدائم
حينئذ يولي بعيدا كل هم طفيف كأشباح الرؤيا
كان كل صوت رفرف هناك قد حام فوق جدول السلوان !

كما انها عندي افضل من قصيدة عبد الرحمن شكري (مناجاة الامل) ذات البحة بسبب قافيتها الحائية ، التي بعض ابياتها :

أيا بلسم الاحزان لولاك لم يعش على عنت الدنيا لهيف ونائح
معين على البلوى،معين على‌الضنى اذا لم يكن فيه معين وناصح
أيا طائرا يشدو وفي النفس أيكه فيخفت فيها يأسها المتناوح
ويا آسي الاحزان والظلم والضنى ولولاك أعيا الطب مود وطائح
تضاحك في يأس ونحس وكربة كأن الرزايا عاتبات موازح
وتخلق منك النفس دنيا سنية وفي افق منها النجوم اللوائح
تعللنا بالسعد من بعد ميتة فتحسن في مرآك الضرائح

ومن العسير تفضيل احد مقاطع القصيدة « دوحة الامل » الخمسة على بعضها ، فكلها رائعة الصور ، ظريفة المعاني ، لطيفة الوقع ، رصينة الايقاع . قالت في الدوحة :

طوبى لمن دوما يعيش بجوها يتعطر
متشبثا بغصونها والى ذراها ينظر

ثم تخاطبها :

يهواك قلبي ما حييت موافيا لا يهجر
ويعيش يدنيه الطموح اليك لا يتغير
سهران مشبوب الجوانح هائما يتصور
متيقظا يرعاك وهو بشوقه متحير
لا تبعدي عن يائس وعلى الاسي لا تبخلي
واذا انتويت بنا النوى ، فترفقي وتمهلي

وتصف « دنياها » بنبرة حزينة ، ترتفع طورا ، وتنخفض طورا :

دنياي نبع دافق الماء ما بين ازهار وافياء
قد اولع باغرائي في نار اقصاء وادناء
هل تهنا الروح بايذاء وتقنع العين بايماء
دنياي صمت مطبق رائع تطوف في ارجائها نفسي
فيها ظلام طال مسراه وبعده الاشراق والفجر
ارتقب الصبح وارعاه ورب صبح دونه القبر

ويعاودها اليأس ثانية في « حطام » :

سفيني قبلة حيرى ووجه البحر مرآة أرى فيها الطيف اليأس قد لاحت علامات
سفيني، أين ما نرجوه مما بت أخشاه واين الامل البسام يسري في ثناياه

وهكذا نطالع الامل واليأس بين هنيهة واخرى بين دفتي الديوان، اذ يلوح ان الحياة لم تحقق جل امانيها اليانعة ، فلازمتها الهموم والاشجان :

كلما خلت للهموم انفراجا يتوالى هطولها كالسحاب

فبوركت دوحتك النضرة يا فطينة ـ الدوحة المنتصبة على شاطىء ، مده الامل البسام ، وجزره اليأس الكالح . وبوركت قيثارتك التي تطلق انغام التفاؤل والخيبة وبين الامل واليأس، والتفاؤل والخيبة تمضي سحابة العمر يا شاعرتي الرهيفة الفطينة ، فلولا الامل واليأس لما كان ديوانك ذو الكلم النظيم ، بل لتعذرت الحياة على هذه الغبراء .

بغداد — يعقوب فرام منصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com